

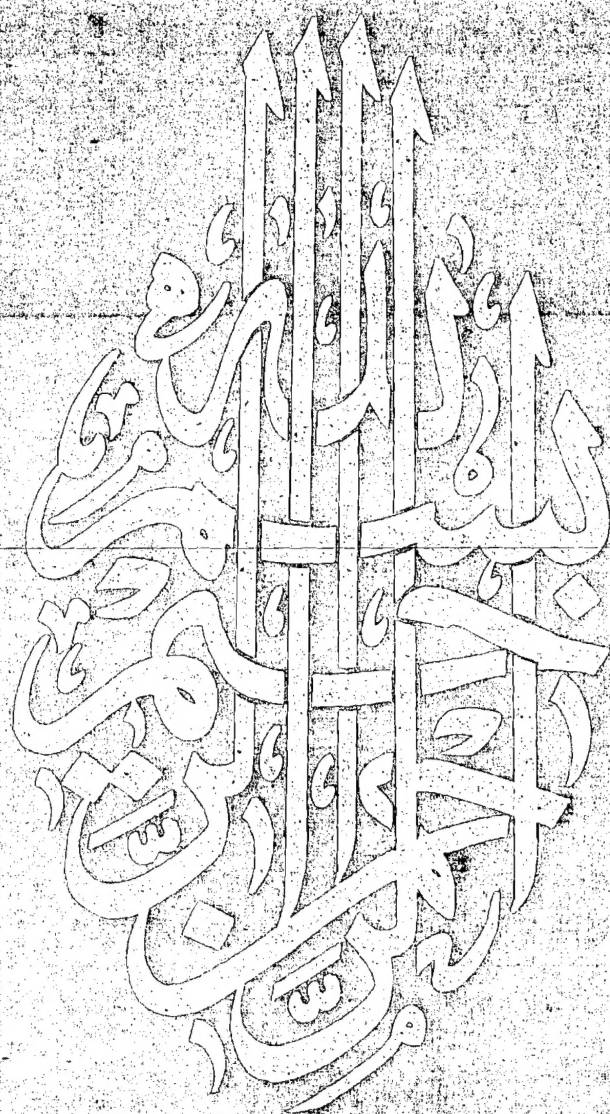
قُرْآنُ الْعَرَبِيِّينَ

عَلَى

تَفْسِيرِ الْجَلِيلِ

لِلْقَاضِي
الْشَيْخِ مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ كَنْعَانَ

بِإِذْنِ الشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

أُعِدَّ تَنْضِيدُ حُرُوفِهَا وَتَرْتِيبُهَا
بَعْدَ إِعْدَادِ الْمُؤَلِّفِ النَّظَرَ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَرَاثِي

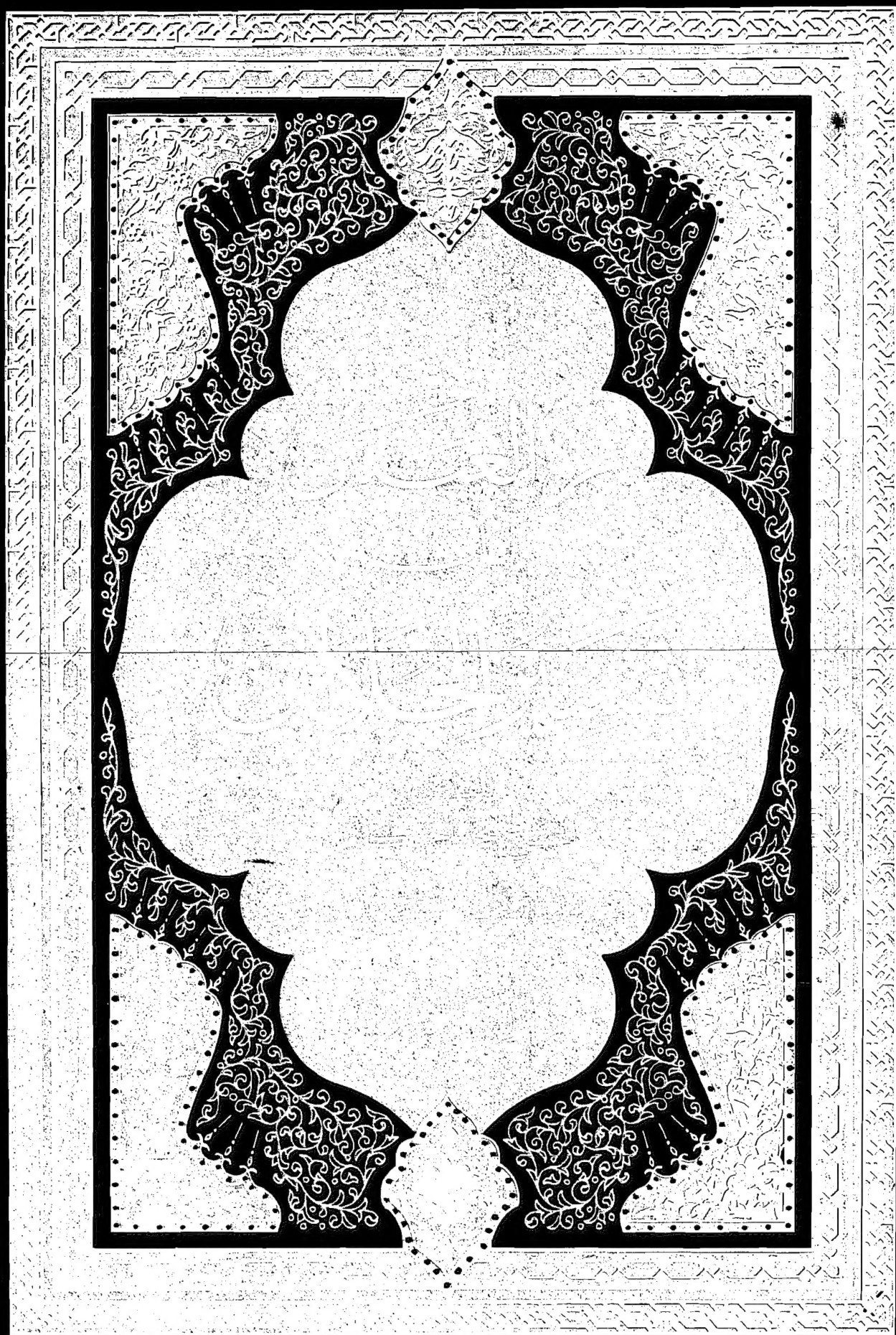
شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

أسرها الشيخ رزي رشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٩٦١١١ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الإدارة العامة
لشئون المصاحف ومراقبة المطبوعات

الرقم
التاريخ
المرفقات

الموضوع

المكرم سعادة صاحب مكتبة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فاجابة لكتابكم رقم بدون وتاريخ ١٤٠٥/٥/٢ هـ ومرفقه القرآن الكريم وبهامشه قره العينين على

تفسير الجلالين للقاضي محمد احمد كنعان

وافيد سعاد تكم انه تمت دراسة القرآن الكريم الذى بهامشه قره العينين على تفسير الجلالين

واتضح ما يلى :-

١- طباعة المصحف بالرسم العثمانى وطباعه جيدة وعدد صفحاته ٨٢٧ تضم الصفحة ١٢ سطرا ،

٢- التعليق على تفسير الجلالين مفيد فيه تفنيد للقصص المزعومة بشأن الانبياء والرسل عليهم

الصلاة والسلام واستدرك على الامامين الجليلين بعض العبارات فى التفسير فاضاف اليها بعض

البيانات وجعلها بين قوسين ،

لذا لا مانع من فسخ الكميه الموجودة لديكم من كتاب (قره العينين على تفسير الجلالين) اذا

كانت مطابقة للعينة ^{المزودة} وقد تم حفظ العينة لدينا للرجوع اليها عند الحاجة .

وفق الله الجميع لما فيه رضاء وخدمة كتابه الكريم وشرعه المطهر انه مسوع قريب والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته .

مدير الادارة العامة

لشئون المصاحف ومراقبة المطبوعات

٧١٤

عبد الله بن رذن البسداح

بِسْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ، وَيُدَافِعُ نِقَمَهُ، وَيُكَافِي مُزِيدَهُ.

والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، خاتم النبيين، سيدنا محمد، النبي الأمي، العربي، الهاشمي، وعلى آل بيته وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فلقد أكرمنا الله عز وجل بخدمة كتابه العزيز، ومن علينا بنعمة النظر في علومه وتفسيره، ويسر لنا إخراج أربعة من التفاسير — حتى الآن — هي:

١ — «قُرَّةُ العينين على تفسير الجلالين»، وهو هذا الكتاب.

٢ — «التفسير المختصر المفيد للقرآن المجيد» في ثلاثة مجلدات، وهو مختصر لتفسير «المنار» للسيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى.

٣ — «مواهب الجليل من تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل» وقد طبع على هامش المصحف الشريف.

٤ — «فتح القدير، تهذيب تفسير الحافظ ابن كثير» في ستة مجلدات ما عدا الفهارس.

وقد انتشرت أعمالنا العلمية هذه، وغيرها من مؤلفاتنا، انتشاراً واسعاً، ولأقت بفضل الله تعالى، الاستحسان والثناء، من العلماء الأجلاء، إلا ما كان من حاسدٍ مُتَكَسِّبٍ بالعلم، لم ير مساوياً «تفسير الجلالين» إلا بعد أن جعلناه «قُرَّةً للعينين».

وها نحن نُقدِّم هذا الكتاب من جديد بعد أن أعدنا النظر فيه، وفي تعليقاتنا عليه، غير مُغفلين ما وصلنا من نصائح الأفاضل.

سائلين الله عز وجل: أن يُبَيِّننا وجميع المؤمنين، بالقول الثابت، في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وكتب في مدينة بيروت عام ١٤١٤ هـ.

محمَّد كنعان

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً»، أحمدده حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، قال عنه في «كشف الظنون»: «وهو — مع كونه صغير الحجم — كبير المعنى، لأنه لبّ لباب التفاسير»، لذلك اعتبره العلماء تفسيراً للمتتهين من طلبة العلم لا للمبتدئين منهم، ولا عجب في ذلك، فلقد تضمن تفسيراً للآيات بعبارات مختصرة موجزة، اكتفَى في كثير منها بالتلميح والإشارة، واعتنى مؤلفاه رحمهما الله تعالى اعتناءً كبيراً ببيان وجوه القراءات والإعراب، حتى بات هذا التفسير خلاصةً من خلاصات العلوم، لا يستفيد منه الفائدة المرجوة، ولا يدرك قيمته سوى طلبة العلم بين أيدي العلماء.

ولكنه — مع ما فيه من فوائد — لم يخلُ من إسرائيليّات وروايات لا أصل لها، وأحاديث ضعيفة الإسناد أو موضوعة، نقلها كلا الجلالين من دون بيان ولا تنبيه، فأساءت هذه القصص والأخبار الباطلة إلى محاسن هذا التفسير ومكانته، ومع ذلك فقد انتشر انتشاراً واسعاً بسبب طباعته على هوامش المصحف الشريف، الأمر الذي دفع أكثر الراغبين في الحصول على نسخة من كتاب الله تعالى، إلى اختيارها مهمشةً بتفسير الجلالين، فتهافت مؤسسات الطباعة والنشر على طباعته وتوزيعه بأعداد كبيرة، من دون تنبيه أو انتباه إلى ما فيه، فلم نجد من بين دور النشر كافة من اعتنى بهذا التفسير كما هو الواجب — حتى الآن —، لا من حيث المعنى: ببيان ما فيه من إسرائيليّات وتفسيرات غير دقيقة، ليعرف القارئ وجّه الصواب، فلا يقع في اعتقاد باطل، أو يفهم معنى غير صحيح لآية من كتاب الله عز وجل، ولا من حيث النص: بتحقيقه وضبطه، وتحرير عبارة مؤلفيه «الجلالين» رحمهما الله تعالى.

والغريب في الأمر أن ينتشر هذا التفسير كلّ هذا الانتشار، وتسمح السلطات في جميع بلاد المسلمين بتداوله، مع ما فيه من إسرائيليّات وقصص باطلة، وأخبار موضوعة.

إننا في سياق قولنا هذا، ننبه المسلمين جميعاً إلى أمر خطير متروك في عصرنا، ألا وهو: عدم الاهتمام بتنقيح المؤلفات والكتب — وفي أولها كتب التفسير — فإن هذا العمل واجب الحكام والمسؤولين من حيث طلبه والأمر به، لأنه يحتاج إلى جهد كبير ومال وفير، أما التذكير بهذا الواجب والمساهمة في إنجازه والقيام به فهو واجب العلماء، كل حسب طاقته واستطاعته.

لذلك رأيتُ واجباً عليّ، بعد أن اطلعت على ما في «تفسير الجلالين» من فوائد مجهولة وغامضة، وما فيه بالمقابل من إسرائيليّات وقصص وأقوال غير صحيحة، أن أقوم بمراجعتها وقراءتها على مهل، فأقبلت على العمل فيه بقراءة دقيقة وتحقيق هادئ، فتوقفت عند كل جملة غير مستقيمة المعنى فصوبتها، أو نقل غير

(ب)

محقق فينت ما فيه ووجهته، إلى غير ذلك مما سنبينه في هذه المقدمة، وستراه في الكتاب، وذلك من أجل طباعته من جديد، وتقديمه إلى المسلمين تفسيراً مصوباً، سليماً، منقحاً، يطمئن إليه قلب القارئ، ويرتاح إلى ما فيه فكره. فتنامى هذا العمل وكبر، حتى صار جزءاً يتكامل مع التفسير، فسميناه: «قرة العينين على تفسير الجلالين»^(١)، رجاء أن يجعله الله تعالى قرّة عين لمؤلفه، وناشره، وقارّته^(٢).

لقد كان من الأهون عليّ أن أكتب وأجمع تفسيراً جديداً — كما اقترح عليّ بعض الأفاضل — لأنه لن يأخذ من الجهد والوقت ما أخذه هذا العمل، ولكنني لم أرغب في ذلك لسببين:

أولهما: قصور باعنا في هذا الفن، وتَهَيُّبُنَا الخوضَ في لُجَّتِهِ، خوفاً من الوقوع في عثرات خطيرة، كما فعل بعض المعاصرين الذين استهونوا هذا الشأن، فَشَّتْ بهم الفكر، وعثرت أقلامهم عثرات جساماً لا عذر لهم فيها، ولا مبرر يعفيهم من عقابها وعواقبها، من ذلك قول أحدهم في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: «ولكنه رغم ذلك ترك للناس حرية اختيار الإله الذي يرضونه مصدراً لنظام حياتهم، فلا يكرههم على اختيار الإسلام، بل ترك لهم الحرية» وكأنه — وهو المفسر — لم يفسّر قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ — أَي: شرك — ويكون الدين كله لله﴾ (ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣)، وتفسير أحدهم: «الأكل من الشجرة» بأنه «العلاقة الجنسية، أي: الجماع بين آدم وحواء عليهما السلام»، إلى غير ذلك من الأقوال التي قيلت بدافع من التسرع والعجلة وعدم التحقيق، وأحياناً بدافع التشوّف إلى التجديد، وإنه لمنزلق خطير.

هذا: مع العلم بأنه لا ينقصنا تفسير جديد، لأن تفاسير القرآن الكريم كثيرة جداً — والله الحمد — وقد أخذ بعضها عن بعض، بل الذي ينقصنا هو القراءة الدقيقة الواعية لتلك التفاسير، والرجوع في فهم النص القرآني إلى مصادره الموثوقة، لكيلا يقول أحد في كتاب الله برأيه.

أما السبب الثاني: فهو أن أيّ تفسير جديد لن يحقق الغاية التي نسعى إليها، ألا وهي: تبصير المسلمين بكتاب الله تعالى، ومساعدتهم على فهم آياته، وتنبههم إلى ما في هذا التفسير وأمثاله من روايات وأقوال لا يجوز اعتقاد مضمونها، لأن التفسير الجديد لن ينتشر بين أيدي الناس على النحو الذي بلغه «تفسير الجلالين»، فلدينا عدد من التفاسير الحديثة لا يعرفها أكثر الناس، فيكون إصلاح هذا التفسير الواسع الانتشار، مع إبقائه على نحو ما هو عليه الآن بهامش المصحف الشريف، أكثر فائدة، وأعمّ نفعاً، بل نراه واجباً وجوب كفاية، لذلك قمنا بهذا الواجب بفضل الله تعالى وتوفيقه.

(١) وممن سمى بهذا الاسم الشيخ عبد الله بن محمد الشنُشُوري المتوفى عام ٩٩٩ هـ فله كتاب سماه «قرة العينين في مساحة ظرف القلّتين»، وكذلك للشيخ مصطفى محمد فاضل بن ماء مَين المتوفى عام ١٣٢٨ هـ كتاب سماه: «قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين».

(٢) قال الإمام أبو طالب: «المفضّل بن سلمة الكوفي» المتوفى نحو عام تسعين ومائتين في رسالته:

«غاية الأرب في معاني ما يجري على ألسن العامة في محاورتهم وأمثالهم من كلام العرب»:

(قولهم): «أقرّ الله عينه». قال الأصمعي: المعنى: أبرد الله دمعته، لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة، و «أقرّ»: مشتق من القُرور وهو الماء البارد، وقال غيره: معنى «أقرّ الله عينك» أي: صادفت ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إليه. وقال أبو عمرو: معنى «أقرّ الله عينه» أنام الله عينه، والمعنى: صادف سروراً أذهب سهره فنام. وقال عمرو بن كلثوم: يوم كسريّة ضرباً وطعنأ أقرّ به موابك العيونأ
أي: نامت عيونهم لمّا ظفروا بما أرادوا منه. اهـ.

وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» في مادة «قَرَر»: (وفي حديث الاستسقاء: «لو رآك لَقَرَّت عيناه» أي: لَسُرَّ بذلك وفرح)، رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

(ج)

المجلد الثاني

أُلّف هذا التفسير علّمان مشهوران من أعلام الإسلام، لقب كل منهما: «جلال الدين». هما:

١ - أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «المحلة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فُسّر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

٢ - وأبو الفضل: «عبد الرحمن ابن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشيوطي» - نسبة إلى «أسيوط أو شيوط» بضم الهمزة والسين^(١) إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ «أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ الموافق ١٥٠٥م). وهو الذي فُسّر التتمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وَهَمَ صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلي - ، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين، وكتب ما فسرّه في أربعين يوماً كما سيأتي في خاتمته.

(١) قولهم: «بضم الهمزة والسين». لقد اختلف العلماء في ضبط «الأسيوطي أو الشيوطي». على ثلاثة أقوال:

القول الأول: بضم الهمزة والسين نسبة إلى «أسيوط»، قال ابن الأثير في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب»: «الأسيوطي: بضم الألف وسكون السين المهملة وضم الياء المنقوطة بنقطتين من تحت وفي آخرها طاء مهملة بعد الواو، نسبة إلى «أسيوط» وهي بليدة بديار مصر من الريف الأعلى بالصعيد».

ثم قال رحمه الله: «ومنهم من يسقط الألف». ولكنه لم يبين من يفعل ذلك، ولم يذكر وجهاً آخر فيها. ثم قال: «والمشهور بهذه النسبة: أبو علي الحسن بن علي بن الخضر بن عبد الله الأسيوطي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة. وغيره». اهـ.

وهذا هو الضبط المشهور في نسبة الجلال السيوطي رحمه الله، وهو الذي أورده الفيروزآبادي في «القاموس المحيط» وأيده «الزبيدي» - رحمهما الله - في شرحه.

والقول الثاني: بفتح الهمزة، ومن قال به ياقوت الحموي رحمه الله في كتابه: «معجم البلدان»، ومما زاد المسألة إشكالاً أنه تكلم في «أسيوط» وضبطها بفتح الهمزة - وبهذا تعرف في أيامنا - ولم يذكر قولاً آخر في ضبطها، وقال: هي مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر. ونسب إليها «أبا علي الحسن الأسيوطي» الذي ذكره ابن الأثير في «اللباب»، ثم تكلم في موضع آخر في «سيوط» قائلًا:

«هي كورة جليّة في صعيد مصر» ولم يضبطها، ولم يذكر أنها هي «أسيوط» ذاتها أو غيرها، ولكن الظاهر هنا مما يفيد كلام «الزبيدي» في شرح القاموس حيث قال: «ولها - أي: لأسيوط - كورة مضافة إليها مشتملة على قرى جليّة سيأتي ذكر بعضها في هذا الكتاب». اهـ. أن «سيوط» هي هذه الكورة التي ترجم لها في معجم البلدان، فيكون هناك مدينة اسمها «أسيوط»، وكورة - أي: ضواحي - تابعة لها تدعى «سيوط»، فالنسبة إلى الاسمين واحدة، لذلك يقال: «أسيوطي» و «سيوطي». بالضم فيهما على الأصح.

أما القول الثالث: فهي «أسيوط» بالألف، مضمومة ومفتوحة ومكسورة، و «سيوط» من دون الألف مضمومة ومفتوحة ومكسورة أيضاً، فهي ست لغات.

هذا ما نقله «الزبيدي» عن شيخه أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي المتوفى عام سبعين ومائة بعد الألف. واستغربه الزبيدي، واستغرب أيضاً القول بأنها بفتح الهمزة.

والغريب أيضاً في هذه المسألة: أن يختلف في ضبطها «ابن الأثير» صاحب «اللباب» المتوفى عام ثلاثين وستمائة، و «الحموي» صاحب «معجم البلدان» المتوفى عام ستة وعشرين وستمائة وهما عالمان متعاصران، وأبناء الجيل الواحد لا يختلفون عادة في أسماء المدن المشهورة على هذا النحو.

وعلى كل حال، فإن ما يتعارف عليه الناس في ضبط الأسماء ليس بحجة.

هذا التفسير

لم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسماً، بل عُرف بين العلماء بـ «تفسير الجلالين» وبـ «الجلالين» — اختصاراً — نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه: «بُغية الوعاة في تراجم اللُغويين واللُّحاة» عند ترجمته للإمام موفق الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي» المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جوّد فيه الإعراب وحرّر أنواع الوقوف»^(١)، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس، قلت^(٢): وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أنا في تكمّلته مع الوجيز^(٣)، وتفسير البيضاوي^(٤) وابن كثير^(٥).

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمةً ولا خاتمة للقسم الذي فسرّه، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسرّه، وقد نقلناها من حيث كانت في آخر تفسير سورة «الإسراء» إلى هنا في هذه المقدمة لإفساح المجال ثمة للتفسير، مع بيان ما ألحق بهذه الخاتمة، وهذا نصّها:

خاتمة السيوطي

قال مؤلفه: «هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم، الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه، في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تُجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكلیم — [أي: في أربعين يوماً] — وجعلته وسيلة للفوز بجنت النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمّل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول.

فرحم الله امرءاً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه، وقد قلت:

حَمَدْتُ الله رَبِّي إِذْ هَدَانِي لَمَّا أَبْدَيْتَ مَعَ عَجْزِي وَضَعْفِي
فَمَنْ لِي بِالْخَطَا فَأَرَدَ عَنْهُ وَمَنْ لِي بِالْقَبُولِ وَلَوْ بِحَرْفٍ؟

هذا: ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً، ويفتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وكأني بمن اعتاد بالمطولات — وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها — حسماً، فعَدَلْ إلى صريح العناد ولم يوجهه إلى دقائقها فهماً ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾.

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي، بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها. كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلت» أي: الجلال السيوطي رحمه الله.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى عام ٤٦٨هـ.

(٤) قوله: «وتفسير البيضاوي»: هو التفسير المسمى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» لمؤلفه: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي — نسبة إلى مدينة «البيضاء» بفارس — المتوفى عام ٦٨٥هـ. وقال ابن السبكي: عام ٦٩١هـ. ولقد يَسَّرَ الله لنا فاختصرناه في كتاب سميناه: «مواهب الجليل».

(٥) قوله: «وابن كثير» أي: وتفسير ابن كثير وهو الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤هـ.

(هـ)

رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً، واطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً، وجعلنا به من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفُرعَ من تأليفه: يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء: في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفُرعَ من تبييضه: يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة^(١)، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ علامة كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى، أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم، وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يديه وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي، انظر، - وعرض عليه مواضع فيها كأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف - ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه، والشيخ يتبسم ويضحك.

قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: «الذي أعتقد وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته، أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة، كيف لا؟ وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه، لا مرية عندي في ذلك.

وأما الذي رأي في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة، وهي سيرة جداً ما أظنها تبلغ عشرة مواضع، منها:

أن الشيخ قال في صورة «ص»: والروح «جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه»، وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة «الحجر»، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصریحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ، فنمسك عنها.

ومنها: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: «الصابئون فرقة من اليهود» فذكرت ذلك في سورة «البقرة» وزدت «أو النصارى»، بياناً لقول ثان، فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي «المنهاج»: «وإن خالفت السامرة اليهود، والصابئة النصارى في أصل دينهم»، وفي شروحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً^(٢)، فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا». انتهت خاتمة السيوطي رحمه الله.

(١) جاء في المخطوطة الأولى بعد قوله: «وسبعين وثمانمائة» ما يلي: «على يد مؤلفه العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي». وكتبه لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بالتقصير: أحمد بن مغلباي الحنفي لطف الله تعالى به آمين ورحمه، يوم الخميس سادس عشرين جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة. ونقول: ومنه يظهر أن خاتمة السيوطي تنتهي عند قوله: «وإليه المرجع والمآب»، وأن ما قاله الشيخ الطوخي، وما نُقلَ بعد ذلك عن الجلال السيوطي، لم يكتبه السيوطي بيده في خاتمته، بل قاله بعد ذلك، فأضافه إليها بعض النسخ تمييزاً للفائدة كما هو واضح من سياق الكلام وما فيه من حوار. وهذا ما قاله «الصاوي» في حاشيته.

(٢) قوله: «ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً»، لقد أشرنا إلى ذلك في مواضعه من التفسير، وبيئنا من هم «الصابئة» في تعليقنا ص ١٥١.

(و)

مكانته لدى العلماء

لقد حظي «تفسير الجلالين» باهتمام العلماء حتى يومنا هذا، فقام كثير منهم بشرحه وتوضيح دقائقه في مؤلفات وحواشٍ بلغت أحياناً الأربعة مجلدات، من أهمها:

١ - حاشية للشيخ محمد بن عبد الرحمن العلقمي المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّيِّرِينَ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ» فرغ من تأليفها عام ٩٥٢هـ. ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق عمرها الله تعالى.

٢ - وحاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى عام ١٠٠٦هـ سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَذْرَيْنِ عَلَى الْجَلَالِينَ» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣ - وحاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري المتوفى عام ١٠١٠هـ سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام ١٠٠٤هـ طبع جزء منها. وقد اطلعت على قسم منه من مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت.

٤ - وحاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ «الجمال» المتوفى عام ١٢٠٤هـ سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥ - وحاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ «حاشية الصاوي على الجلالين»، ألفها الشيخ: أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ) الذي قال في مقدمتها:

«ولما كان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، وأجمع على الاعتناء به الجُمُ الغفير من أهل البصائر والتنوير، وجاءني الداعي الإلهي بقراءته، فاشتغلت به على حسب عجزِي، ووضعت عليه كتابةً ملخصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق المدقق الورع، الشيخ سليمان الجمل. اهـ.

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦ - وحاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام ١٢٨١هـ.

٧ - وحاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري المتوفى عام ١٢٦٨هـ في ثلاثة مجلدات - مخطوطة - .

٨ - وحاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

٩ - وحاشية للشيخ مصطفى الدؤمي المعروف بالدؤماني ثم الصالحاني المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في مجلدين سماها: «ضوء النيرين لفهم تفسير الجلالين».

١٠ - وحاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيبى الأنصارى الشافعى محدث الديار اليمنية المتوفى عام ١١٠١هـ.

١١ - وشرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجى المتوفى عام ١١٢١هـ.

١٢ - وحاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري المتوفى عام ١١٩٠هـ وسماها: «كتاب الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين».

١٣ - وحاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التَّطَوَّاني الحائك المتوفى عام ١٢٣٧هـ.

١٤ - وحاشية للشيخ عبد الله بن محمد التَّبَرَاوي المصري المتوفى عام ١٢٧٥هـ سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.

١٥ - وحاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم التَّرمَاني - نسبة إلى «ترمانين» إحدى قرى حلب - المتوفى عام ١٢٩٣هـ.

١٦ - وحاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزَّوَاك الحُديدي الرِّيدى المتوفى عام ١٣١١هـ.

١٧ - وحاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي المتوفى عام ١٠٣٦هـ.

١٨ - و «مَسَرَّة العَيْنين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل الفواقجي الطرابلسي المتوفى عام ١٣٠٥هـ.

١٩ - وأخيراً كتابنا المختصر هذا الذي سميناه: «قَرَّة العَيْنين على تفسير الجلالين».

كما سمعت أن من العلماء المعاصرين مَنْ أَلَفَ شارحاً «تفسير الجلالين» ولكني لم أطلع على مؤلفاتهم.

لقد كان «تفسير الجلالين» - ولا يزال - مرجعاً لكثير ممن ألفوا في هذا الفن، فقد اقتبس منه ونقل عنه كثيراً من عباراته السيد: «عبد الله بن محمد رضا الحسيني» الشهير بـ «شُبَّر» - على وزن «سُكَّر» وتعني: «الحَسَن» في لغة فارس - من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية المتوفى عام ١٢٤٢هـ في تفسيره المعروف بـ «تفسير شُبَّر» الذي أَلَفَه عام ١٢٣٩هـ.

وأخذ به كامله فأضاف إليه وأعاد سبك بعض عباراته قاضي القضاة في نيجيريا - الآن - الشيخ أبو بكر محمود جومي في تفسير سماه^(٢): «ردّ الأذهان إلى معاني القرآن» الذي أَلَفَه عام ١٣٩٢هـ. وقد أشار إلى ذلك في خاتمته.

ولقائل يقول: طالما أن العلماء السابقين واللاحقين قد شرحوا هذا التفسير وأطنبوا، فما هو الداعي إلى وضع كتاب جديد عليه؟ نقول:

إن الهدف من عملنا هذا هو: تصويب ما في كتاب «تفسير الجلالين» كما أشرنا، وجمع أكثر ما يمكن من المعلومات الصحيحة، المختصرة، المفيدة، مع إبقائه - وما يضاف إليه - على هوامش المصحف

(١) هذه الحواشي السبع من الرقم ١٠ إلى ١٧ وردتنا بعد صدور الطبعة الأولى لكتابنا هذا من أحد الإخوة الذي قام بتتبع المؤلفات في «الأعلام» كله فجزاه الله خيراً، كما نأمل ممن لديه أسماء مؤلفات أخرى على «تفسير الجلالين» أن يبعث بها إلينا لضمها إلى هذه اللائحة.

(٢) بناء على طلب دار النشر التي طبعتها في بيروت قمت بنفسي بمراجعة التفسير المذكور وإعادة صياغة كثير من عباراته.

(ح)

الشریف، وهذا غیر متحقق حتی الآن، إذ نجد بالعودة إلى ما طُبع من هذا التفسیر أنها طبعت لا تحقق الغاية العلمية التي ذكرناها، بل هي تحقق منافع مادية بحثة للقائمين بها، وهذا هو مقصودهم، أما ما طبع من شروح «تفسیر الجلالین»، فقد وجدنا مؤلفيها — على جلالة قدرهم وطول باعهم — لا يتوقف أحد منهم عند رواية باطلة، أو قصة إسرائيلية، أو تفسیر مبالغ فيه لیبين وجه الصواب فيها، بل لاحظنا أن صاحبي الحاشيتين — الصاوي والجمل — يُسهبان في شرح القصة والرواية التي يشير إليها الجلالان، ويضيفان إلى ما أوجزه أحد الجلالين كثيراً من الأمور التي لا أساس لها ولا أصل، ولم يبين أيُّ واحد منهما في حاشيته ما كان يجب بيانه وتصويبه، فالشيخ «الجمل» يكثر من النقل عن التفسير الأخرى، ولا يعقب بشيء، وكذلك فعل الشيخ «الصاوي»، إلا أن حاشية هذا الأخير تفضل حاشية شيخه بما فيها من بيان وجوه الإعراب والقراءات، وتصويب عبارة الجلالين، وقد استفدت من هذه الحاشية في هذا المجال، أما الشروح الأخرى فلم نطلع عليها، فلا نقول فيها شيئاً.

وعلى كلِّ حالٍ، فهي شروح تدخل في نطاق المطوّلات، التي لا يرجع إليها إلا النادر من طلبة العلم، وليس بمقدور العامة الرجوع إلى هذه المراجع لمعرفة الصواب في مسألة ما، بل لا يرغب فيه كثير من المتعلمين القادرين، فكان مفيداً إيجاز ذلك واختصاره، بعد تصويبه وتنقيحه، لذلك قمنا بهذا العمل لتحقيق تلك الغاية بفضل الله عز وجل وتوفيقه.

منهاج العمل

لقد اعتمدنا في عملنا هذا منهجاً لم يكن بعضه متبعاً من قبل، نلخصه بما يلي:

أولاً: أضفنا إلى التفسير — في سياق كلام المؤلفين — ما وجدنا الحاجة داعية إليه، لزيادة فائدة، أو لتوضيح عبارة المؤلف، أو تصويبها، معتمدين في ذلك طريقة هي الأولى من نوعها في حقل التأليف والتحقيق — والحمد لله — بحيث يكون الكلام الذي أضفناه إثباتاً للقول الصحيح، أو نفياً للقول المردود الذي يذكره.

من ذلك — على سبيل المثال — ما في ص ٣٠٦ الآية ٢٤ من سورة «يوسف» عليه السلام، حيث كان نص الجلال السيوطي كما يلي:

﴿ولقد همت به﴾ قصدت منه الجماع ﴿وهمَّ بها﴾ قصد ذلك.

فصارت العبارة كما يلي:

﴿ولقد همت به﴾ قصدت منه الجماع [أو: لتبشّ به لعصيانه أمرها] ﴿وهمَّ بها﴾ [ليضربها أو ليدفعها عنه، ولا يجوز أن يقال: [قصد ذلك [أي: الجماع، لأنه معصوم عن ذلك]].

فقد أثبتنا المعنى الصحيح، وأدخلنا تفسير المؤلف لهمَّ يوسف في سياق النفي، وبذلك يتمكن القارئ من فهم المعنى الصحيح بكل سهولة.

وفي بعض المواضع نقدم القول الصحيح، ونُدخل القول الآخر بعد صيغة التضعيف — [قيل] — وغير ذلك مما سلاحظه القارئ عندما يقرأ هذا التفسير.

ولكي يعرف القارئ ذلك فقد جعلنا كل ما أضفناه — ولو كان كلمة واحدة — بين مثل هاتين الحاصرتين ([.....])، فكل ما هو بينهما من كلامنا وليس من قول الجلالين، قليلاً كان أو كثيراً،

ومع ذلك يظل بإمكان القارئ أن يقرأ عبارة المؤلف إذا استثنى كلامنا المحصور بين الحاصرتين المذكورتين، فيدرك كيف كانت العبارة، ثم كيف صارت، وسيلاحظ أن إضافاتنا قد سهلت عليه فهم كلام الجلالين تسهيلاً واضحاً.

إننا لم نلجأ إلى ما يعرف في أيامنا بـ «التهذيب»، الذي يعني الحذف من كلام المؤلف، والتعديل، وهذا في نظرنا نزول بمستوى الكتاب إلى مستوى القارئ، بدلاً من الصعود بمستوى القارئ إلى مستوى الكتاب، حتى رأينا مَنْ هذَّب كتاب: «شرح شذور الذهب» في النحو لابن هشام، وسمعت بأن هناك من يرغب في تهذيب «تفسير الجلالين»، بحذف القراءات والإعراب منه، ولست أدري كيف تهذَّب قواعد اللغة العربية، وماذا يبقى من هذا التفسير إن حذفنا منه هذه المسائل؟! بل كيف يفسَّر القرآن من دون الإعراب؟ والعلماء يعتبرون الإعراب فرعاً عن المعنى، فمن فهم أعرب.

إننا لم نلجأ إلى طريقة التهذيب هذه، لأننا لا نرى ذلك تهذيباً لعبارة المؤلف، بل هو تشذيب وحذف، وثمة فرق كبير بين التهذيب والتشذيب، فالتهذيب يكون بإصلاح العبارة، بشرحها وتوضيح غامضها، لا بحذفها، فما عملناه في هذا التفسير هو — والحمد لله — التهذيبُ الصحيح له.

ولقائل يقول: ماذا يستفيد القارئ العادي من وجوه القراءات والإعراب؟. نقول: إن العلماء — ومنهم الجلالان — لم يؤلفوا كتبهم للعامة، بل لطلبة العلم بين أيدي العلماء، ولا للذين لا يريدون أن يطلبوا العلم بل ينتظرون مجيئه إليهم معلباً وكأنه عقاقير طبية، لا يلبث أحدهم أن يتلعبها حتى يصبح عالماً.

ومن جهة أخرى، فإن المؤلفات كثيرة ومتفاوتة في سلاسة العبارة، فعلى القارئ أن يختار ما يناسبه منها، لا أن نقوم نحن بإفساد مؤلفات العلماء مسaireً لمثل هؤلاء.

إننا نسمع — بكل ألم — نقداً من قبل الكثيرين في أيامنا، للعلوم الإسلامية بكل فنونها، ولأساليب علمائها ولـمؤلفاتهم، فثمة مَنْ ينتقد كتب النحو والصرف، ولا يعجبه سيبويه، ولا ابن هشام، وآخر لا تعجبه كتب الفقه أو التفسير أو الحديث، ويراهها كتباً صفراء..، وآخر يطالب بثورة على كل هذه المؤلفات، ويدعو إلى التجديد في كل شيء.. هكذا.. من غير وعي ولا تبصر، حتى أوشك أن ينطبق عليهم قول القائل:

نُرفِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا . فلا ديننا يبقى ولا ما نرفِّعُ

وحجة هؤلاء في ثورتهم هذه، أنها علوم معقدة، صعبة، لا يفهمونها. وهذا صحيح، فمن ذا الذي يقول: إن العلم سهل المنال؟.. وماذا يقولون في علم: الطب أو الهندسة إلخ؟ فهل هي علوم سهلة وميسورة، كما يريدون أن يكون عليه حال العلوم الشرعية تلك؟! لا نظن أنهم يقولون: إنها أسهل من شرب الماء البارد، لأننا نرى طلبة هذه العلوم، يمضون قسماً كبيراً من أعمارهم في دراستها وتحصيلها، ولا يبلغون منها ما يرتجون.

فليست العلة في العلوم ولا في الكتب، ولا في الورق الذي طبعت عليه — أيّاً كان لونه — ، ولا في العلماء الذين ألقوها، بل العلة والعجز في الهمم التي كلَّتْ، والعزائم التي ضعفت، والدنيا التي غرَّتْ وخدعت، والجهالة التي تَفَشَّتْ وانتشرت. فإذا كان لأحد من مطلب في مجال العلم فليكن: الثورة على الخمول والكسل، والدعوة إلى شدِّ العزم والتطلع إلى معالي الأمور، وحمل أمانة العلم بكل همة وإخلاص.

(ي)

ثانياً: وضعنا في أسفل الصفحات تعليقات مهمة مختصرة، حيث رأينا أن المقام يتطلب شرحاً، أو تصويماً، أو تنبيهاً، أو زيادة فائدة، وقد التزمنا بوضع التعليق - وعلى الأقل سطر واحد منه - في الصفحة ذاتها التي فيها محور الموضوع المعلق عليه، ثم تابعنا التتمة على الصفحة التالية إذا لزم الأمر، وهكذا. . . حتى نهاية التعليق. وقد تناولنا في هذه الحواشي كثيراً من المواضيع في: العقائد، والأحكام الشرعية، وأسباب النزول، والتراجم، وقصص الأنبياء، والبلدان والمواقع، والمواعظ والرقائق، والقراءات، والإعراب، واللغة، ووجوه التفسير، وبيان الروايات والإسرائيليات الباطلة والمبالغ فيها، وما لا يجوز أن ينسب إلى الأنبياء والملائكة، وغير ذلك مما تمكن معرفته بالرجوع إلى الفهرس، ولكننا لم نتمكن من شرح بعض المواضيع والمسائل كما كنا نتمنى بسبب ضيق المجال المتبقي بعد التفسير في أسفل الصفحات، وقد اضطرنا ذلك إلى إلغاء بعض التعليقات المهمة^(١).

ثالثاً: قمنا بتخريج الأحاديث والآثار التي ذكرتها، أو أشير إليها في التفسير، وبإثبات نص ما لم يثبت المؤلف منها، وكذلك الأقوال والروايات الأخرى، وفعلنا مثل ذلك بأسباب النزول، فاكتفينا بإثبات ما يقبل منها مما لم يذكره المؤلف، أو ذكره ولكن باختصار شديد، ملتزمين بأن يكون سبب نزول الآية معها في أسفل الصفحة ذاتها، خلافاً لما هو عليه الحال في الطبقات المتداولة، حيث جاء بكتاب: «الباب الثقل في أسباب النزول» فوزع على صفحات التفسير لملء الفراغات فيه، من غير ترتيب ولا بيان ولا تحقيق.

رابعاً: ربطنا ما بين الآيات ذات الموضوع الواحد، فأحللنا القارئ في جميع مواضعه إلى التعليق «الأم» الذي بينا فيه ما يتعلق بموضوع ذلك التعليق، فمثلاً: «آيات الخمر»، علقنا على آيات التحريم منها في سورة «المائدة» ص ١٥٥، وأحللنا القارئ إلى هذا التعليق حيث أمكننا ذلك بقولنا في التعليقات: [ارجع إلى تعليقنا حول «تحريم الخمر» ص ١٥٥]، وهكذا سائر المواضيع الأخرى، وأحياناً نشير إلى ذلك في سياق التفسير.

خامساً: قمنا بمساعدة الأخوين الكريمين، الشابين الناشئين في طاعة الله تعالى: «رمزي دمشقية وعبد الحميد شانوحة» بمقابلة نص «تفسير الجلالين» على مخطوطتين نادرتين، قدمهما إلينا الأخ الأستاذ زهير الشاويش حفظه الله تعالى، صاحب «المكتب الإسلامي» من مخطوطات مكتبته العامرة، أطلقنا عليهما اسمي: «المخطوطة الأولى» و «المخطوطة الثانية».

فالمخطوطة الأولى هي بحجم ٢٢ × ١٣ سم، كتبت عام اثنين وعشرين وتسعمائة للهجرة (٩٢٢ هـ الموافق ١٥١٦ م) أي: بعد وفاة الجلال السيوطي بإحدى عشرة سنة، وهذه المخطوطة هي التي نعنيها بقولنا في التعليقات: (وفي المخطوطة الأولى.. كذا).

أما المخطوطة الثانية فهي بحجم ٣٠ × ٢٠ سم، كتبت عام ثمانية وتسعين ومائة بعد الألف للهجرة، وهذه المخطوطة هي التي نعنيها بقولنا: «وفي المخطوطة الثانية... كذا» (راجع النماذج بعد المقدمة)^(٢).

كما كان بين أيدينا عدد من الطبقات النادرة، كنا نرجع إليها عند الحاجة وهي:

(١) ومنها - مثلاً - التعليق التالي من ص ٣٥:

قوله: «وأجهد الصوم في الحالى». بيانه: أن الإجهاد شرط لجواز الإفطار في المرض فقط. أما المسافر فيباح له الفطر إلا أن الصوم أفضل عند الشافعية ما لم يُجهد الصوم.

(٢) وحين إعادة النظر في الكتاب للطبعة السادسة، كان بين أيدينا مخطوطة ثالثة قيمة، ثبت نموذجاً منها بعد المقدمة.

- ١ — الطبعة البولاقية لعام ١٢٨٠ هـ.
- ٢ — والطبعة البولاقية لعام ١٢٩٨ هـ.
- ٣ — والطبعة الميمنية لعام ١٣١٢ هـ.
- ٤ — وطبعة المكتبة التجارية الكبرى مع حاشية الصاوي لعام ١٣٧٥ هـ.
- ٥ — وطبعة المكتبة التجارية الكبرى مع حاشية الجمل لعام ١٣٧٧ هـ.

وقد ظهر لنا من هذه المقابلة، أن في الطبعات المتداولة على هوامش المصحف الشريف من «تفسير الجلالين» أخطاء كثيرة، وتغييراً وتعديلاً في عبارة الجلالين، وحذف عبارات منه وزيادة أخرى، كمقدمة السيوطي — مثلاً — فهي محذوفة كلها من إحدى الطبعات، ومحذوف بعضها في طبعات أخرى، وقد أشرنا إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابنا هذا، حيث أمكننا ذلك ولم نذكرها كلها بسبب ضيق المجال.

ولكن: يكفي أن نؤكد للقارئ من خلال خبرتنا وعملنا في هذا التفسير، أن النص الذي حققناه — والذي هو الآن بين يديه —، يُعتبر أصح ما يمكن أن يتوصل إليه التحقيق وأصوبه، وأن باستطاعته أن يصحح جميع الطبعات الأخرى بناء عليه، لأنه لم تُخْذَم طبعة من طبعات «تفسير الجلالين» بمثل ما خُذِمَتْ به هذه الطبعة.

ونحن لا نقول ذلك إعجاباً بعملنا — معاذ الله — بل نصيحة خالصة لوجه الله عز وجل، لأن غاية ما يتمناه طالب العلم، أن يجد بين يديه كتاباً محققاً، منقحاً، موثقاً، وهذا ما فعلناه بهذا التفسير بفضل الله تعالى وتوفيقه، وله جل شأنه الحمد والمنة.

سادساً: هناك أمور مهمة وجدنا من المفيد تنبيه القارئ إليها، وتوضيح أمور أخرى قد تلفت انتباهه وهو يقرأ هذا الكتاب، فعقدنا هذا البند في ثلاثة عشر تنبيهاً لهذه الغاية.

* التنبيه الأول:

وضعنا في آخر الكتاب فهرساً بالمواضيع التي كتبنا فيها، رتبناه على الحروف الهجائية. وفهرساً آخر بالسُّور، وفهرساً بالأجزاء.

* التنبيه الثاني:

دمجنا التعريفيين بالمصحف الشريف اللذين كانا ملحقين به في تقرير واحد، وضممنا ترجمة موجزة للشيخين: «الحسيني والضباع» رحمهما الله، اعترافاً بما لهما من فضل في ضبط هذا المصحف الشريف ومراجعته.

* التنبيه الثالث:

نظراً إلى كثرة المواضيع التي بحثنا فيها، فقد اضطررنا إلى الرجوع إلى عدد كبير من المراجع، في التفسير والحديث والفقه والتاريخ واللغة وغيرها، رأينا أن لا نسردها في ثبوت واحد لكثرتها.

* التنبيه الرابع:

لقد حرصنا على أن تكون بداية كل صفحة من التفسير بأول كلمة من صفحة المصحف الشريف، بحيث يكون تفسير آيات الصفحة معها في الصفحة ذاتها، ولم نخالف ذلك إلا في مواضع قليلة اضطررنا إليها ضيق المجال كما سيلاحظه القارئ.

* التنبيه الخامس:

عندما يكون التعليق متعلقاً بمسألة مهمة، فقد وضعنا في سياق التفسير جملة: - [اقرأ التعليق] -
لتنبيه القارئ إلى ضرورة قراءة ذلك التعليق لسبب وجيه ومهم.

* التنبيه السادس:

اضطررنا إلى تنزيل «حديث الإسراء» في الصفحة ٣٦٤ من أصل التفسير وَوَضَعِهِ - بحرف التعليق -
أسفل الصفحة المذكورة وما يليها، وذلك ليتسع المجال لتفسير الآيات، كما اضطررنا إلى تصغير الحرف
قليلاً في «أسماء الله الحسنى» ص ٣٧٩ وقصة موسى والخضر عليهما السلام ص ٣٩٠ للغاية ذاتها.

* التنبيه السابع:

نقلنا خاتمة الجلال السيوطي رحمه الله - مع ملحقاتها - من آخر سورة «الإسراء» إلى مقدمتنا هذه كما
تقدم.

* التنبيه الثامن:

لم يتقيد «الجلالان» في تفسيرهما هذا بقراءة أو رواية واحدة - كما كان يُظن - ، ولم يلتزما بتقديم
قراءة معينة في جميع الآيات، لذلك لا يقال: إن النص القرآني المثبت في التفسير هو برواية حفص، أو:
برواية ورش، أو: غيرهما.

وقد ورد في خاطرنا أول الأمر أن نتقيد في الآيات الداخلة في التفسير برواية «حفص عن عاصم»، فلم
يتفق لنا ذلك، بسبب ارتباط التفسير بالقراءة أو الرواية التي يقدمها كلا الجلالين، فأبقيناه كما هو.

* التنبيه التاسع:

سيلاحظ القارئ أن كلمات القرآن الكريم التي في سياق التفسير قد طبعت بالإملاء المعهود، وقد
فعلنا ذلك لا على أنه خط قرآني، بل باعتباره صورة للرسم القرآني الذي كُتِبَ به المصحف الشريف، أي:
إننا لا نعتبر تلك الكلمات القرآنية مصحفاً معداً للتلاوة، لأنه لا يجوز كتابة المصحف الشريف بغير الرسم
العثماني الصحيح، الذي كتبه به أصحاب رسول الله ﷺ، بأمر من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله
عنهم، لارتباط التلاوة به.

* التنبيه العاشر:

سيجد القارئ كثيراً من المفردات والأسماء، في التفسير أو الحواشي، مضبوطة على نحو ربما ظنّه
البعضُ ضبطاً غير صحيح - لمخالفتنا المألوف فيها - فلا يَعْجَلَنَّ أحدٌ بتصويب ما يظنّه من هذه المفردات
خطأً، إلا بعد مراجعة معاجم اللغة والتراجم.

* التنبيه الحادي عشر:

لقد أكثر الجلالان رحمهما الله من الإشارة إلى القراءات، الصحيحة منها والشاذة، لذلك رأينا بيانها
هنا فنقول: قال الإمام الحافظ، شمس الدين: «محمد بن محمد بن محمد الجزري» المتوفى عام ثلاثة
وثلاثين وثمانمائة رحمه الله في كتابه «منجد المقرئين»: «كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد
المصاحف العثمانية - ولو تقديراً - وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها». ثم وضع ذلك بقوله:
ومعنى «العربية مطلقاً»: أي ولو بوجه من الإعراب، نحو قراءة حمزة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ﴾ - بالجر - .

(م)

ومعنى «أحد المصاحف»: واحد من المصاحف التي وجهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، كقراءة ابن كثير^(١) ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾^(٢). بزيادة «من»، فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة. ومعنى «ولو تقديراً» ما يحتمله رسم المصحف، كقراءة مَنْ قرأ ﴿ملك يوم الدين﴾ بالألف، فإنها كتبت بغير الألف للاختصار، فهو موافق للرسم تقديراً.

ونعني بالتواتر: ما رواه جماعة عن جماعة... وهكذا إلى منتهاه، وهو يفيد العلم من غير تعيين عدد، هذا هو الصحيح، وقيل بالتعيين، واختلفوا فيه، فقليل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون - أي: راوياً - .

والذي جَمَعَ في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو: قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم: (أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر، وعاصم، وحمة، والكسائي، وخلف)، أخذها الخلف عن السلف، إلى أن وصلت في زماننا، فقراءة أحدهم كقراءة الباقيين في كونها مقطوعاً بها. اهـ. ملخصاً من كلام ابن الجزري رحمه الله.

فهذه هي الأركان الثلاثة الواجب اجتماعها لتكون القراءة صحيحة، وقد جمعها الحافظ ابن الجزري رحمه الله في منظومته: «طيبة النشر في القراءات العشر» حيث قال:

فكل ما وافق وَجْهَ نَحْوٍ وكان للرسم احتمالاً يَخْوِي
وصحَّ إسناده هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

أما القراءة الشاذة فهي: كل قراءة اختلف فيها ركن من أركان القراءة الصحيحة ولو كان قارئها أحد القراء السبعة، وإليها أشار ابن الجزري في «طيبته» بعد البيتين المذكورين حيث قال:

وحيثما يخل ركن أثبت شذوذهُ لو أنه في السبعة

ونقل أيضاً عن قاضي القضاة «عبد الوهاب ابن السبكي» في كتابه «جمع الجوامع» في الأصول قوله: «والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ وفاقاً للبغوي والشيخ الإمام»، يعني والده أبا الحسن علي بن عبد الكافي السبكي.

ونقل أيضاً عن الإمام أبي عمر ابن عبد البر: إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يجوز أن يصلى خلف مَنْ يقرأ بها. فلا تجوز القراءة بالشاذ لا في الصلاة ولا في غيرها، وإنما نقلها مَنْ نقلها من العلماء لفوائد فيها تتعلق بعلم العربية، لا للقراءة بها.

وقال الحافظ ابن الجزري: سئل الإمام أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله في حدود عام أربعين وستمائة: «هل يجوز أن يقرأ القارئ عشرة، كل آية بقراءة ورواية؟». فأجاب: «وإذا شرع القارئ بقراءة ينبغي أن لا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام تعلّق بما ابتدأ به، وما خالف ذلك ففيه جائز وممتنع».

ونقول: والمفهوم من جوابه هذا: أنه لا يصح لمن قرأ آية برواية أو بقراءة أن ينتقل إلى القراءة بغيرها، ما دام للكلام تعلّق بما ابتدأ به، ومنه يُعلم خطأ بعض المقلّدين في تلاوة القرآن الكريم، الذين يسمع أحدهم

(١) هو عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى عام عشرين ومائة، وهو غير ابن كثير صاحب التفسير الذي تقدمت ترجمته ص (د).

(٢) الآية «١٠٠» من سورة «التوبة»، وهذه القراءة انفرد بها ابن كثير رحمه الله.

(ن)

رواية أو قراءة في كلمة، فيأتي بها - تقليداً - من غير دراية بهذا العلم، ولا معرفة بأصول الانتقال من قراءة إلى أخرى، ظاناً أنه طالما يقرأ بقراءة صحيحة فلا بأس بذلك، ولكنه لم يعلم بأنه - وإن كان يقرأ بقراءة صحيحة - فإنه قد أخطأ في الأداء وخالف قواعد هذا العلم الشريف التي لا يجوز القول فيها بالرأي والتشهي، بل بالتحصيل والتلقي من أفواه الثقات من الشيوخ.

* التنبيه الثاني عشر:

أشار كلا الجلالين في أول كل سورة إلى اختلاف العلماء في عدد آيات السور، ومنها على سبيل المثال قول الجلال المحلي رحمه الله في أول سورة «الحج»: «وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية»، أي: إن في عدّ آي هذه السورة خمسة أقوال.

واختلاف العلماء في عدد آيات السور يرجع إلى اختلاف رواياتهم في المواضع التي هي آخر الآية، أي: في الفاصلة التي هي آخر كلمة من الآية، نحو: «العالمين»، «نستعين» إلخ.

فأكثر فواصل الآيات متفق عليها، ولكن: هناك بعض الفواصل اختلفت فيها الروايات، وهي قليلة جداً، فاعتبرها بعض علماء العدد آخر آية، ولم يعتبرها آخرون كذلك، فمثلاً، قوله تعالى في سورة «القيامة»: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، هو عند بعضهم آية واحدة، وعند غيرهم هو آيتان، فعذوا: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ آية، وعذوا: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ آية أخرى.

وقد ألّف العلماء مصنفات في هذا الفن من علوم القرآن الكريم، أشهرها كتاب: «البيان» لأبي عمرو الداني، و «ناظمة الزهر» للشاطبي رحمهما الله تعالى.

* التنبيه الثالث عشر:

سيلاحظ القارئ - وربما يستغرب - أننا لم نسترسل كثيراً في تفسير الآيات المتضمنة أموراً علمية، ولم نتوقف عند كل آية منها كما فعل البعض، الذين تعقبوا تلك الآيات وفسروها بناءً على الكشوفات العلمية الحديثة، بل شرحنا بعضاً منها وأمرنا البعض الآخر كما هو مع ما قاله المؤلف فيه، ولم يكن ذلك مناً رفضاً لمبدأ تفسيرها بناءً على ما أثبتته البحث العلمي، ولكننا فعلنا ذلك لسببين اثنين:

أولهما: أن الله تعالى تحدى بالقرآن الثقلين، فقال: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، فهو معجز في أحكامه وقصصه، ومعجز في نظمه وبيانه، ومعجز أيضاً فيما فيه من آيات الكون والتكوين.

فقد أودع الله تعالى فيه أسراراً لا تنجلي كلها في عصر واحد، بل يفهم منها كلُّ عصر بقدره، فما هو معلوم من معنى هذه الآية في عصرنا لم يكن معلوماً في العصور السابقة، وما هو منها غير واضح بالنسبة إلينا اليوم، سيأتي يوم تكون فيه واضحة المعنى، هذا بالإضافة إلى أن النظريات والاكتشافات العلمية لا تكون قطعية في كل حال، بل لا بد من مضي وقت عليها تتأكد فيه صحتها ومطابقتها للواقع، قبل أن نأخذها على أنها حقيقة علمية مسلم بها. فلقد كان معلوماً لقرون خلّت عند علماء الهيئة - أي: الجغرافيا - أن الشمس ثابتة لا تتحرك أبداً، ثم تبين للباحثين أخيراً أنها ليست ثابتة كما كانوا يظنون في الماضي، بل إن لها مداراً ومساراً مع مجموعتها، وهذا ما جاء صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ. وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

(س)

فكان أولئك الذين يزعمون التمسك بالعلم يعتبرون ما قاله الله تعالى في جريان الشمس غير صحيح من الوجهة العلمية، فضلوا بذلك ضللاً بعيداً ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾، إلى أن أثبت العلم الحديث نفسه خطأ النظرية السابقة، وأكد جريان الشمس كما جاء في القرآن الكريم.

لذلك فضلنا عدم الخوض في معنى جميع هذه الآيات العلمية، والاكتفاء بما يساعدنا العلم القطعي على فهمه منها، بما يتفق مع المأثور وأوجه اللغة العربية، لئلا يأتي زمان تظهر فيه حقائق علمية تكشف خطأ ما ذهبنا إليه، كما هو حالنا مع العلماء المتقدمين، فإننا رأينا بعض أقوالهم في هذه الآيات غريبة وبعيدة كل البعد عن المعنى الصحيح، لا لأننا أعلم منهم، بل لأن التطور العلمي في عصرنا لم يكن موجوداً في عصرهم، فمثلاً: قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، «إن ﴿ن﴾ هو: الحوت الذي على ظهره الأرض» وقيل: «هو الحوت الذي عليه الصخرة التي عليها الثور الذي على قرنه الأرض»، وهذا تفسير غريب عجيب، لا سند له من مأثور ولا معقول.

فبيّنا - مثلاً - معنى «الرعد والبرق والصاعقة» وفقاً لما حدده العلم الحديث بناء على الحديث النبوي الشريف، (راجع ص ٣٢٢). وشرحنا قوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ الآية «٢٩» من سورة «الأنبياء» ص ٤٢٣، فأظهرنا التطابق الكامل بين اللغة، والمأثور، والحقائق العلمية الحديثة.

أما الآيات الأخرى التي ليست واضحة وضوحاً قطعياً بالنسبة إلينا، كقوله تعالى في سورة «الانشقاق» ص ٨٠٠: ﴿فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا انسق. لتركبن طبقاً عن طبق﴾، التي اعتبرها بعضهم تصريحاً بوصول الإنسان إلى القمر والكواكب الأخرى، فإننا نفضل عدم الخوض فيها في الوقت الحاضر، بل ترك ذلك إلى وقت آخر، قد تساعدنا فيه - أو تساعد غيرنا - الكشف العلمية على فهمها فهماً أوضح وأسلم.

ومثل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾ التي قيل في معناها الكثير من الأقوال في الماضي والحاضر، ومع ذلك فإن المعنى الدقيق لها لا يزال بحاجة إلى بحث وتعمق في دراسة تكوين المني ومصدره، وإن لها في ذاكرتي معنى استخلصته لنفسي من قراءتي لما كتبه بعض الباحثين المعاصرين في خلق الإنسان، ولكنني فضلت عدم إثباته في هذا الكتاب، لأتيح لنفسي مجالاً أوسع للتأكد من صحة فهمي لمعناها وسلامته، وعدم تعارضه مع نص آخر، أو قول مأثور، أو مقتضيات اللغة، وأيضاً الحقائق العلمية في هذا المجال.

فالمهم في هذا الأمر أن نؤمن إيماناً مطلقاً لا يداخله أدنى ريب، بأن ما جاء في القرآن الكريم هو الحق، سواء أكان المعنى واضحاً بالنسبة إلينا أم لا، وأن ما يخالفه هو الباطل.

وأن لا نغترّ بمظاهر العلم الحديث التي لا تتفق مع ما هو واضح الدلالة من الآيات القرآنية، لأن ما هو كذلك وهم لا حقيقة.

وأن لا نردّ ما أثبتته العلم إثباتاً قطعياً بناءً على فهم غير قطعي للآية أو الحديث الثابت. مع اعتقادنا الجازم بأن القرآن هو الدليل على صحة ما يثبتته البحث العلمي، ليس العكس.

هذا عملنا في «تفسير الجلالين»، نقدمه «قرة عينين» لكل راغب في فهم آيات القرآن، سائلين الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا دائماً إلى خدمة كتابه العزيز.

(ع)

وإننا — مع اعتقادنا بأن كل جهدٍ أمام كتاب الله تعالى قليل وكَلِيل — نقول :
حسبنا أننا حاولنا، وبذلنا في هذا العمل وسعنا وطاقتنا، يدفعنا إلى ذلك صدق نية يعلمها الله تعالى
وحده، فإنَّ عُثْرَ في كلامنا على هفوة سبق بها قلمنا، فما ذلك بغريب على أمثالنا، ونحن على استعداد
للرجوع إلى الحق — إن أخطأناه — مع دعائنا بالخير لكل ناصح أمين .
وأما ما يجده القارئ في عملنا هذا حسناً، فهو من فضل الله علينا وتوفيقه، فالفضل منه تعالى وإليه،
وهو الموفق والهادي .
وصلَّى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

وكتب في «بيروت» في الأول من شهر ذي الحجة الحرام من العام الثاني بعد المائة الرابعة والألف للهجرة

مَحَمَّدُ كَنْعَانُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا موافقًا لعمه . مكافئًا لمزيد . والصلوة والسلام على محمد وآله
وصحبه ووجوده . هذانما اشتدت اليه حاجة الراغبين . في كلمة تفسير القرآن الكريم
الذي ألفه الامام العلامة المحقق جلّ الله في الدين محمد بن احمد الحلبي الشافعي رحمه الله
وتتبعه ما فاتر وهو من اول سورة البقرة الى اخر الاسرا يتبعه على منطقتين ذكرنا فيهم
بكلام الله تعالى والاعتماد الى ارجح الاقوال . واعرابنا يحتاج اليه وتنبيهه
على القرأت المختلفة المشهورة . على وجه لطيف . وتعبيرنا بحسن . وترك القوس
بذكر اقوال غير رشيته . واغارب محالها كتب العربية . والله اسأل النفع به في الدنيا
واحسن الجزاء عليه في العقبى . منه وكرمته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أعلم بمراده بذلك . لئلا يهمل هذا الكتاب الذي يقروء . محملًا لثبات فيه امر من عند
الله وحمله التخيير بشدوه ذلك والاشارة به للتعظيم . هذانما يحتاجان هاهنا . اي
الصائرين للنقوى باشتال لاوامر واجتناب النواهي لانتفاعهم بذلك . لئلا يهمل
يؤمنون بصدق قول الغيب . بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ويعلمون الصلوة
اي يؤمنون بها بحقوقها ومجاوبتها . اعطيتهم فيفقون . يخرجون في طاعة الله والذين يؤمنون
بالليلك اي القرآن وما انزلنا فيك اي التوراة والانجيل وغيرهما . بالآخرة يؤمنون .

يعلمون

نموذج رقم «١»

من «المخطوطة الأولى» المكتوبة عام (٩٢٢ هـ الموافق ١٥١٦ م)
وفيه : مقدمة السيوطي رحمه الله وتفسير أول سورة «البقرة»

بسم الله

لما ثبت مع عجزى وضعفى . فنزل بالخطا فارد عنه . وسئل بالقبول لو عجزى
وهذا ولم يكن قط في خلقنا ان تعرض لذلك لعلنى بالعجز عن الخوض في هذه المسالك المحسنة
ان ينفع به نفعاً جتاء ويفتح به قلوباً علقفاً واعيناً عجمياً واذا ناسعاه . وكانى بمن اعتنا
بالمطولات . وقد انزب عن هذه التكلية واصلها صما وعدل الى صريح العناد ولم
يوجه الى دقايقها فمن كان في هذه اعشى فهو في الآخرة اعشى . رزقنا الله به هدايةً الى
الحق ونوفيقاً واطلاً على دقايقه كلنا . وتحققاه وجعلنا به مع الذين انعم عليهم
البنين والصديقين والسهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً . فرغ
من تأليفه يوم الاحد عاشر شوال سنة سبع وثمان مائة .

وكان الابداء فيه يوم الاربعاء ستمثل رمضان من السنة المذكورة . وشرع
من تيسرته يوم الاربعاء سادس صفر سنة احدى وسبعين وثمان مائة على يد
مولفه العلامة جلال الدين عبد الرحمن ابن ابى بكر السيوطى وكبته لنفسه العلامة
الى الله تعالى المعترف بالتقصير احمد بن مصطفى الخفيفى لطف الله تعالى به امين . و
يوم الخميس سادس عشر من جمادى الاول سنة اثنان وعشرين وثمان مائة
تأليف الشيخ بن ابى بكر الخطيب اخبرني صديقنا الشيخ العلامة كمال الدين بن
اخو شيننا الشيخ الامام جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى انه رأى اخاه الشيخ جلال الدين
المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطى
على مصنف هذه التكلية وقد اخذ الشيخ هذه التكلية في يده وصفحها وقال المصنفها
المذكور اياها احسن وضعى ووضعك فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها شائها بحسب
والشيخ تيسم وضعك . ~~والشيخ~~ شيخنا الشيخ الامام العالم العلامة جلال
الدين بن ابى السيوطى مصنف هذه التكلية الذي اعتقد واجزم به ان الوضع الذي
وضعه الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى في قطعته احسن وضعى تا بطبقات كثيرة

نموذج رقم «٢»

من «المخطوطة الأولى» المكتوبة عام (٩٢٢ هـ الموافق ١٥١٦ م)

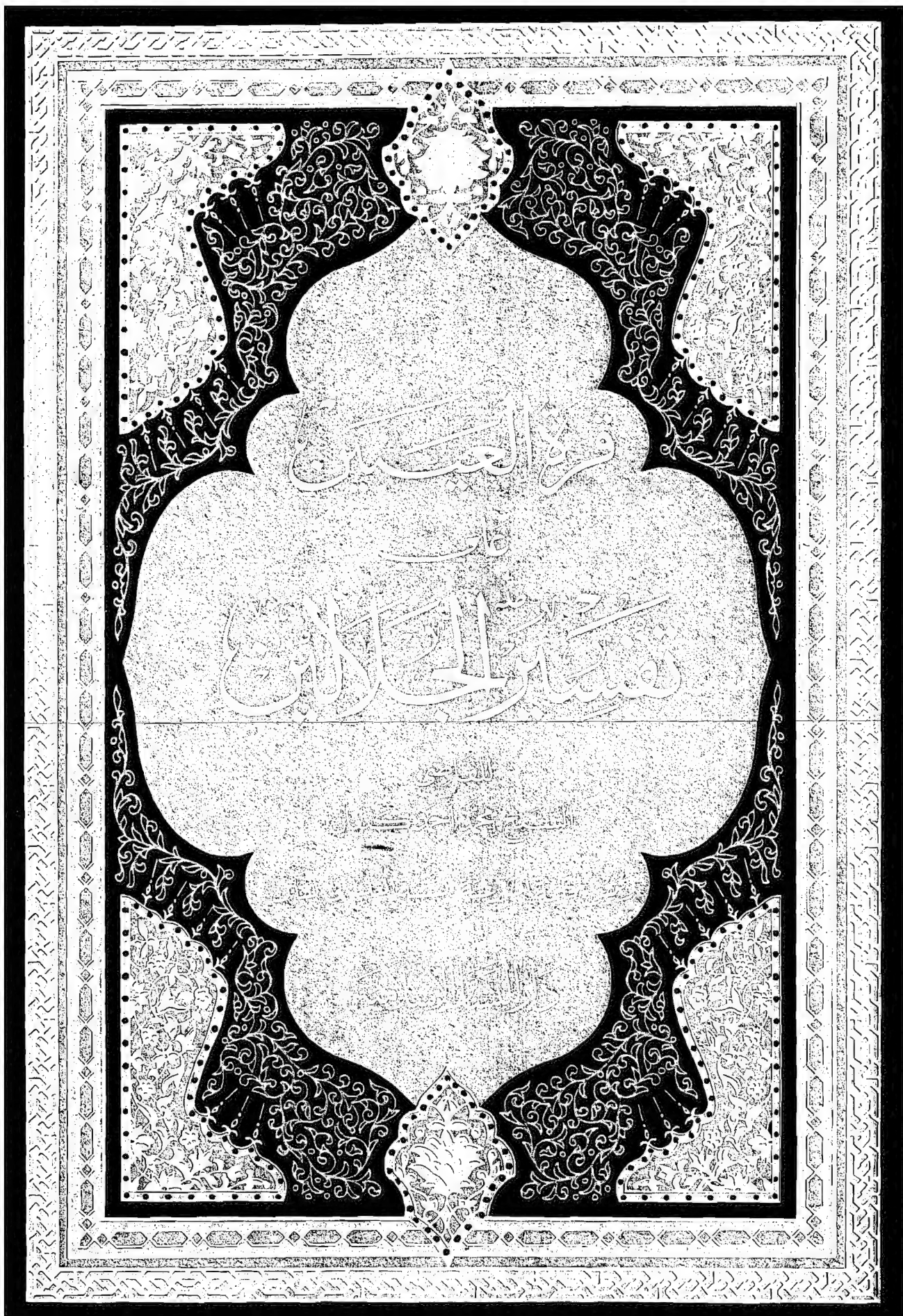
وفيه . قسم من خاتمة السيوطى رحمه الله مبيناً فيه تاريخ : التأليف والنسخ

ملایند

من «المخطوطة الثانية» المكتوبة عام (١١٩٨هـ الموافق ١٧٨٣م) وفيه: مقدمة الجلال السيوطي، وتفسير أول سورة «البقرة»

٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



[قال الإمام جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى:]

﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ﴾

(مكية، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة: «صراط الذين» إلى آخرها، وإن لم تكن منها، فالسابعة «غير المغضوب» إلى آخرها، ويُقدَّر في أولها: «قولوا»، ليكون ما قبل «إياك نعبد» مناسباً له، بكونها من مقول العباد)
١ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها، من أنه تعالى

مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمده، و«الله»: عَلَّمَ على المعبود بحق ﴿رب العالمين﴾ أي: مالك جميع الخلق، من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكلُّ منها يُطلق عليه «عالم»، يقال: عالم الإنس، وعالم الجن، إلى غير ذلك، وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم، وهو [مشتق] من «العلامة»، لأنه علامة على موجدته. ٣ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله. ٤ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء، وهو يوم القيامة، وخصَّ بالذكر لأنه لا مُلك فيه لأحد إلا الله تعالى، «لمن المُلْكُ اليومَ لله [الواحد القهار]»، ومن قرأ «مالك» فمعناه: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو: هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب، فصَحَّ وقوعه صفة لمعرفة ٥ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخضع بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها. ٦ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه، ويُبدل منه: ٧ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية، ويُبدل من «الذين» بصلته: «غير المغضوب عليهم» وهم: اليهود «ولا» وغير «الضالين» (١) وهم: النَّصَارَى، ونكتة البديل، إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى.

(١) يُسنُّ: بعد قراءة الفاتحة قول: «آمين» في الصلاة وغيرها. وهي ليست من كلمات القرآن الكريم باتفاق العلماء ومعناها: «استجب يا رب» فهي اسم فعل أمر مبني على الفتح. أخرج الترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه وغيرهم عن وائل بن حجر الحضرمي قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقال: «آمين» يمدُّ بها صوته. وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقولوا: آمين، فمَن وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدَّم من ذنبه».

[قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى:]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

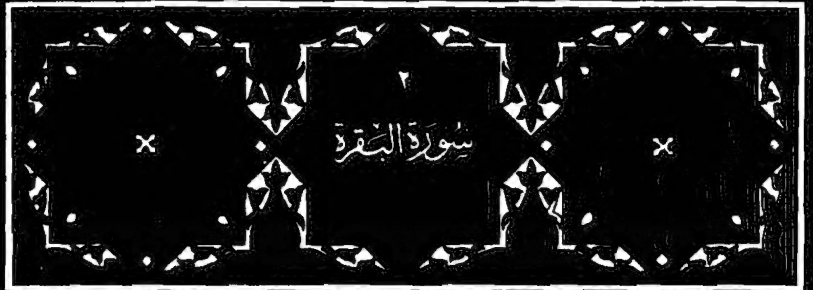
الحمد لله حمداً موافياً لنعمه، مكافئاً لمزيدة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده، وبعد: فهذا ما اشتدَّت إليه حاجةُ الرَّاعِبِينَ، في تكملة تفسير القرآن الكريم، الذي ألَّفه الإمام المحقق جلال الدين: محمد بن أحمد المحلِّي الشافعي رحمه الله، وتتميم ما فاتته، وهو: من أول سورة «البقرة» إلى آخر «الإسراء»، بتتمة على نمطه، مِنْ ذِكْرِ ما يُفهمُ به كلامُ الله تعالى، والاعتمادُ على أرجح الأقوال، وإعراِب ما يُحتاجُ إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعراِب محلَّها كُتِبَ العربية، واللَّه نَسألُ النفعَ به في الدنيا، وأحسن الجزاءِ عليه في العقبى، بمنَّه وكرمه.

﴿سُورَةُ الْبَقَرَةِ﴾

(مدينة مائتان وست أو سبع وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الم﴾^(١) الله أعلم بمراده بذلك.
٢ ﴿ذلك﴾ أي: هذا ﴿الكتاب﴾ الذي يقرؤه محمد ﷺ ﴿لأريب﴾ شك ﴿فيه﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خبرٌ مبتدؤه «ذلك»، والإشارة به للتعظيم ﴿هدى﴾ خبر ثان، أي: هادٍ للمتقين الصائرين إلى التقوى، بأمثال الأوامر، واجتناب النواهي، لاتقائهم بذلك النار.
٣ ﴿الذين يؤمنون﴾ يصدقون بالغيب بما غاب عنهم من البعث، والجنة، والنار ﴿ويقيمون الصلاة﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله.
٤ ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ أي: القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمون.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْم • ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ •
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ •



(١) ليس لهذه الأحرف المنزلة في أوائل بعض السُّور معنى مستقلٌ بالفهم بالنسبة إلينا، بل إنها نزلت متقطعة وتقرأ كذلك، فهي سرُّ الله تعالى في القرآن كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، نؤمن بها ونقرؤها كما نزلت، ولكنَّ ذلك لا يمنع من التماس الحكمة من نزولها هكذا، فهي تشير إلى الحروف الهجائية العربية التي بها نزلت آيات القرآن تعجيزاً للعرب، لأنهم زعموا أن محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من عنده، وهم يعلمون أنه أمي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة، فلو كان زعمهم هذا صحيحاً، لكانوا هم أقدر على الإتيان بمثله، بل بأحسن منه، لأنهم أهل اللغة، لكنهم عجزوا ويهتروا، ولو استطاعوا لفعلوا: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.

٥ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالجنة، الناجون من النار.
٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سواء عليهم﴾ بفتح الهمزة ﴿أنذرتهم﴾ بتحقيق الهمزتين [مع مدّة بينهما مدّاً طبعياً، فهما قراءتان]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: مدّاً لازماً بسبب حركات، وهذه الثالثة]، وتسهيلها و [أي: مع] إدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه، [ففيها خمس قراءات سبعة] ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، و «الإنذار»: إعلام مع تخويف.

٧ ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ طبع عليها [بسبب كفرهم] واستوثق، فلا يدخلها خير ﴿وعلى سمعهم﴾ أي: مواضعه، فلا ينفعون بما يسمعون من الحق ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ غطاء، فلا يبصرون الحق ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ قويٌّ دائم. ٨ ونزل في المنافقين: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ أي: يوم القيامة، لأنه آخر الأيام ﴿وما هم بمؤمنين﴾ روعي فيه معنى «من»، وفي ضمير «يقول» [روعي] لفظها.

٩ ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية، [كالقتل، والأسر، وضرب الجزية عليهم] ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وما يشعرون﴾ وما يعلمون خداعهم لأنفسهم، و «المخادعة» هنا من واحد، «كعاقبت اللص» وذكر الله فيها تحسين، وفي قراءة (١٠) ﴿وما يخدعون﴾ [من غير ألف] ١٠ ﴿في قلوبهم مرض﴾ شكٌ ونفاق، فهو يُمرض قلوبهم، أي: يضعفها ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ بالتشديد، أي: [يكذبون] نبي الله، وبالتخفيف أي: [يكذبون] في قولهم: آمناً. ١١ ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لهؤلاء ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ وليس ما نحن فيه بفساد.

١٢ قال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ بذلك. ١٣ ﴿وإذا قيل لهم﴾ كما آمن الناس ﴿أصحاب النبي﴾ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟ أي: لا نفعل كفعلهم، قال تعالى ردّاً عليهم: ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ ذلك.

الْمُفْلِحُونَ

أُولَئِكَ عَلَى هدى من ربهم وأُولَئِكَ هم المفلحون ﴿٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

(١) قوله: «وفي قراءة». يشير كلا الجلالين بقوله هذا إلى القراءة السبعة، أو التي في العشرة. ويقول: «وقرىء» إلى القراءة الشاذة، وقد أضفنا بعدها كلمة «شذوذاً» لمزيد من البيان، أرجع إلى معنى القراءة الصحيحة والشاذة في المقدمة.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْرٍ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ

١٤ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله: «لَقِبُوا»، حُذفت «الضمّة» للاستئصال، ثم «الياء» لالتقاءها ساكنة مع الواو [ثم ضُمَّت القاف للمناسبة] «الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا﴾ منهم ورجعوا ﴿إلى شياطينهم﴾ رؤسائهم ﴿قالوا إنا معكم﴾ في الدين ﴿إنما نحن مستهزون﴾ بهم بإظهار الإيمان. ١٥ ﴿الله يستهزئ﴾ بهم ﴿يعمهُون﴾ يترددون تحيرًا، حال. ١٦ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي: استبدلوا بها ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أي: ما ربحوا فيها، بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدّة عليهم ﴿وما كانوا مهتدين﴾ فيما فعلوا. ١٧ ﴿مثلهم﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كمثل الذي استوقد﴾ أوقد ﴿ناراً﴾ في ظلمة ﴿فلما أضاءت﴾

أُتارت ﴿ما حوله﴾ فأبصر واستدفاً وأمن ما يخافه ﴿ذهب الله بنورهم﴾ أطفأه، وجميع الضمير مراعاةً لمعنى «الذي» ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق خائفين، فكذلك هؤلاء، آمنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. ١٨ هم ﴿صم﴾ عن الحق، فلا يسمعون سماع قبول ﴿بكم﴾ خُرس عن الخير، فلا يقولونه ﴿عمى﴾ عن طريق الهدى، فلا يرونه ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة. ١٩ ﴿أو﴾ مثلهم ﴿كصيب﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله «صَيوب» [اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً، ثم أدغمنا] من «صاب، يَصُوب» أي: يَنزِل من السماء ﴿السحاب فيه﴾ أي: السحاب ﴿ظلمات﴾ متكاثفة ﴿ورعد﴾ وهو: الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وبرق﴾^(١) لمعان سوطه الذي يَزْجُر به ﴿يجعلون﴾ أي: أصحاب الصَّيْب ﴿أصابعهم﴾ أي: أناملها ﴿في آذانهم من﴾ أجل ﴿الصواعق﴾ شدة صوت الرعد، لئلا يسمعوها ﴿حذر﴾ خوف ﴿الموت﴾ من سماعها، كذلك هؤلاء: إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البيّنة المشبهة بالبرق، يستنون آذانهم لئلا يسمعوه، فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم، وهو عندهم موت ﴿والله محيط

بالكافرين﴾ علماً وقدره، فلا يفتونونه.

٢٠ ﴿يكاد﴾ يقرّب ﴿البرق يخطف أبصارهم﴾ يأخذها بسرعة ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ أي: في ضوئه ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ وقفوا، [وهذا] تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ بمعنى: وأبصارهم ﴿الظاهرة كما ذهب بالباطنة﴾ إن الله على كل

(١) قوله تعالى: ﴿ورعد وبرق﴾. إن تفسير الجلال السيوطي رحمه الله لهما غير واضح، أرجع إلى تعليقنا حول: «الصاعقة والبرق والرعد» ص ٣٢٢.

شيءٌ شاءَ قديرٌ ومنه إذهاب ما ذَكَرَ. ٢١ يا أيها الناس أي: أهل مكة [وغيرها] اعبدوا وحُدوا ربكم الذي خلقكم أنشأكم ولم تكونوا شيئاً [و] خلق الذين من قبلكم لعلكم تتقون بعبادته عقابته، و«لعل» في الأصل: للترجي، وفي كلامه تعالى: للتحقيق. ٢٢ الذي جعل خلق لكم الأرض فراشاً حال، بساطاً يُفترش، لا غاية في الصلابة أو: الليونة، فلا يمكن الاستقرار عليها والسماء بناءً سقفاً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من أنواع الثمرات رزقاً لكم تأكلونه، وتغلفون به دوابكم فلا تجعلوا لله أنداداً شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه الخالق و [أن الأنداد] لا يخلقون، ولا يكون إلهاً إلا مَنْ يخلق. ٢٣ وإن كنتم في ريب شك مما نزلنا على عبدنا محمد من القرآن، أنه من عند الله فأتوا بسورة

من مثله أي: المنزل، و«من» للبيان، أي: هي مثله في البلاغة، وحسن النظم، والإخبار عن الغيب، و«الشورة»: قطعة لها أول وآخر، أقلها ثلاث آيات وادعوا شهداءكم ألهتكم التي تعبدونها من دون الله أي: غيره، لتعينكم إن كنتم صادقين في أن محمداً قاله من عند نفسه، فافعلوا ذلك، فإنكم عربيون فصحاء مثله.

٢٤ ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: فإن لم تفعلوا ما ذُكرَ لعجزكم ولن تفعلوا ذلك أبداً، لظهور إعجازه، [وجملة: «ولن تفعلوا»] اعتراض «فاتقوا» بالإيمان بالله، وأنه ليس من كلام البشر النار التي وقودها الناس الكفار والحجارة كأصنامهم منها، يعني: أنها مفردة الحرارة، تتقد بما ذُكر، لا كتار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه أعدت هيئت للكافرين يعذبون بها، جملة مستأنفة، أو: حال لازمة.

٢٥ وبشر أخبر الذين آمنوا صدقوا بالله وعملوا الصالحات من الفروض والنوافل أن أي: بأن لهم جنات حقائق ذات شجر، ومساكن تجري من تحتها أي: تحت أشجارها وقصورها الأنهار أي: [تجري] المياه فيها، و«النهر»: الموضع الذي يجري فيه الماء، لأن الماء ينهره، أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز كلما رزقوا منها أطعموا من تلك الجنات من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أي: قبله في الجنة، لتشابه ثمارها، بقرينة [قوله]: «وأتوا به» أي: جيئوا بالرزق متشابهاً يشبه بعضه بعضاً لوناً، ويختلف طعماً ولهم فيها أزواج من الحور وغيرها مطهرة من الحيض وكل قذر وهم فيها خالدون ماكنون أبداً، لا يقنون ولا يخرجون.

الْبَيْتُ الْاِثْنَانِ
شَيْءٌ قَدِيرٌ ٢١ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢٢ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٣ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٤ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٥
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا
 الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
 مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٦ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي

الجري إليه مجاز كلما رزقوا منها أطعموا من تلك الجنات من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أي: قبله في الجنة، لتشابه ثمارها، بقرينة [قوله]: «وأتوا به» أي: جيئوا بالرزق متشابهاً يشبه بعضه بعضاً لوناً، ويختلف طعماً ولهم فيها أزواج من الحور وغيرها مطهرة من الحيض وكل قذر وهم فيها خالدون ماكنون أبداً، لا يقنون ولا يخرجون. ٢٦ ونزل ردّاً لقول اليهود - لما ضرب الله المثل بالدباب في قوله: «وإن يسلبهم الدباب شيئاً»، والعنكبوت في قوله: «كمثل العنكبوت»: - ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟: «إن الله لا يستحيي

أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

أن يضرب ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿ما﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثانٍ، أي: أي مثل كان، أو: زائدة لتأكيد الخسنة، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بعوضة﴾ مفرد «البعوض» وهو: صغار البق ﴿فما فوقها﴾ أي: أكبر منها، أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه﴾ أي: المثل ﴿الحق﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ تمييز، أي: بهذا المثل، و «ما» استفهام إنكار، مبتدأ، و «ذا» بمعنى: «الذي» بصلته خبره، أي: أي فائدة فيه؟ قال تعالى في جوابهم: ﴿يضلُّ به﴾ أي: بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿ويهدي به كثيراً﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعته.

٢٧ ﴿الذين﴾ نعت ﴿ينقضون عهد الله﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده عليهم ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الإيمان بالنبي، و [صلة] الرحم، وغير ذلك، و «أن» بدل من ضمير «به» ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكّر ﴿هم الخاسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم [إن لم يؤمنوا].

٢٨ ﴿كيف تكفرون﴾ يا أهل مكة ﴿بالله و﴾ قد كنتم أمواتاً ﴿نطفاً في الأصلاب﴾ فأحياكم في الأرحام والدينا، بنفخ الروح فيكم؟ والاستفهام: للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان، أو: للتوبيخ ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ تُردُّون بعد البعث، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩ وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جميعاً﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثم استوى﴾ بعد خلق الأرض أي: قصد ﴿إلى السماء فسوّاها﴾ الضمير يرجع إلى «السماء»، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه [بعد خلقها]، أي: صيَّرها، كما في آية أخرى: «ففضاها» ﴿سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾ مجعلاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن

القادر على خلق ذلك ابتداءً - وهو أعظم منكم - قادرٌ على إعادتكم؟!.

٣٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ يَخْلُقْنِي فِي تَنْفِيزِ أَحْكَامِي فِيهَا، وهو آدم ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالمعاصي ﴿ويسفك الدماء﴾ يُرْفِقُهَا بِالْقَتْلِ، كما فعل بنو الجان، وكانوا فيها، فلما أفسدوا، أرسل الله عليهم الملائكة، فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿ونحن نسبح﴾ مَنَاسِّينَ ﴿بحمديك﴾ أي: نقول سبحان الله وبحمده ﴿ونقدس لك﴾ نُتَزِّمُكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ، فاللام زائدة، والجملة: حال، أي: فنحن أحقُّ بالاستخلاف.

﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدل بينهم، فقالوا: لن يخلق ربُّنا خلقاً أكرم عليه منا، ولا أعلم، لسبقنا له [أي: لذلك الخليفة، في الخلق والفضل]، ورؤيتنا ما لم يَرَهُ، فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض، أي: وجهها، بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجِنَتْ بالمياه المختلفة، وسَوَّاه ونفخ فيه الروح، فصار حيواناً حَسَّاساً، بعد أن كان جماداً. ٣١ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي: أسماء المسمَّيات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى الْقَصْعَةُ وَالْقُصَيْعَةُ، وَالْفَسْوَةُ وَالْفُسَيْةُ، وَالْمَغْرَقَةُ، بأن ألقى في قلبه علماً ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: المسمَّيات - وفيه تغليب العقلاء - ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تَبَكُّيْنَا [والزَّامَا بالحجة، لإظهار مكانة آدم]: ﴿أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ المسمَّيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم، أو: أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط، دلٌّ عليه ما قبله.

٣٢ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. ٣٣ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: المسمَّيات، فسمَّى كلَّ شيء باسمه، وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ تعالى لهم موبخاً [أي: منبهاً]: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تُسْرُونَ من قولكم: ﴿لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا وَلَا أَعْلَمُ؟﴾ ٣٤ ﴿وَوَدَّ أَنْبِئَهُمْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [هو أبو الشياطين، ومن الجن، وقيل: هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من السجود ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عنه، وقال: أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله. ٣٥ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر لِيُعْطَفَ عليه: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء، بالمد، وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ﴾

الْجَنَّةُ

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذُ مِنْكُمْ رَغْداً وَرَوْجاً أَجَنَّةً وَكُلَا مِنْهَا رَغْداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَآرَزَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ

وَكُلَا مِنْهَا أَكَلًا ﴿رَغْداً﴾ واسعاً لا حَجَرَ فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي: بالأكل منها، وهي: الحنطة، أو: الكرم، أو: غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين. ٣٦ ﴿فَآرَزَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس [أي: أذهبهما، وفي قراءة ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾] [أي: نَحَاهُمَا ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجنة بأن قال لهما: «هل أدلكما على شجرة الخلد [وَمَثَلُكَ لَا يَبْلَى؟]» [وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النَّعِيمِ ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرض، أي: أنتما بما اشتملنا عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعضُ الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ

مستقرّ ﴿موضع قرار﴾ ﴿ومتاع﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إلى حين﴾ وقت انقضاء آجالكم. ٣٧ ﴿فخلقني آدم من ربه كلمات﴾ ألهمه إياها، وفي قراءة: بنصب «آدم» ورفع «كلمات»، أي: جاءه، وهي: [قوله تعالى في سورة «الأعراف»: «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا» الآية، فدعا بها ﴿فتاب عليه﴾ قبل توبته^(١) ﴿إنه هو الثواب﴾ على عباده ﴿الرحيم﴾ بهم. ٣٨ ﴿قلنا اهبطوا منها﴾ من الجنة ﴿جميعاً﴾ كرّره ليُعطف عليه: ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يأتينكم مني هدى﴾ كتاب ورسول ﴿فمن تبع هداي﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة. ٣٩ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ كُتِبَنا ﴿أولئك أصحاب النار﴾ هم فيها خالدون ﴿ما يكون أبداً، لا يفتنون ولا يخرجون﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٧﴾ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ ؕ كَلِمَاتُ فَتَابَ عَلَيْهِ ؕ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ؕ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ؕ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٠﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ؕ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٤١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أُنْزِلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ؕ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَقُونَ ﴿٤٢﴾ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

٤٠ ﴿يا بني إسرائيل﴾ [هم] أولاد يعقوب ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أي: على آبائكم، من الإنجاء من فرعون، وخلق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك، بأن تشكروها بطاعتي ﴿وأوفوا بعهدي﴾ الذي عهدته إليكم، من الإيمان بمحمد ﴿أوف بعهدكم﴾ الذي عهدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وإياي فارهبون﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري.

٤١ ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ من القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ من التوراة، بموافقته له في التوحيد و [إثبات] الثبوة ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ من أهل الكتاب، لأن خلقكم تبع لكم، فإنهم عليكم ﴿ولا تشتروا﴾ تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثمناً قليلاً﴾ عوضاً يسيراً من الدنيا، أي: لا تكتموا خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وإياي فاتقون﴾ خافون في ذلك دون غيري.

٤٢ ﴿ولا تلبسوا﴾ تخلطوا ﴿الحق﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بالباطل﴾ الذي تفترونه ﴿ولا تكتموا الحق﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وأنتم تعلمون﴾ [أي: والحال أنكم تعلمون] أنه الحق.

٤٣ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ صلّوا مع المصلّين، محمد وأصحابه. ٤٤ ونزل في علمائهم، وكانوا يقولون

لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق: ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وتنسئون أنفسكم﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل؟

(١) قوله: «قبل توبته» أرجع إلى تعليقنا حول «آدم والأكل من الشجرة» ص ٤١٧ وما يليها، وحول «حواء» ص ٥٣٣، وحول «إبليس» ص ٣٨٨، وإلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢، وحول «الجن» ص ٧٧٠.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوء فعلكم، فترجعون؟، فجملة النسيان [هي] محل الاستفهام الإنكاري [أي: كيف يحصل منكم ذلك؟]. ٤٥ ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا المعونة على أنوركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث: «كَانَ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ» [أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود]. وقيل: الخطاب لليهود، لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرئاسة، أمروا بالصبر، وهو: الصوم، لأنه يكسر الشهوة، والصلاة، لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وَإِنهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة. ٤٦ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مِلَاقُ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيهم. ٤٧ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

البقرة

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ ^(١) بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: [فضلت] آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم. ٤٨ ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو: يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فَتَقْبَلْ، «فما لنا من شافعين» ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يُنْعَمُونَ من عذاب الله.

٤٩ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي: آباءكم، والخطاب به وبما بعده، للموجودين في زمن نبينا بما أنعم على آبائهم، تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدّه، والجملة حال من ضمير «نَجَّيْنَاكُمْ» ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ يذبحون ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ أبناءكم ﴿النَّاسِ الْيَهُودِ﴾ ويستحيون ﴿يَسْتَحْيُونَ﴾ يستحيون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ [فلا يقتلونهن،] لقول بعض الكهنة له: إِنَّ مَوْلِدًا يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَءِيلَ، يَكُونُ سَبَبًا لِّذَهَابِ مَلِكِكَ ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ العذاب، أو: الإنجاء ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاء، أو: إنعام ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٥٠ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بِكُمْ﴾ بسبيكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هارين من عدوكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

٥١ ﴿وَإِذَا وَعَدْنَا﴾ بآلف، ودونها ﴿مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إلهًا [كما سيأتي ص ٤١٥] ﴿مِّن بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذة، لوضعكم العبادة في غير محلّها. ٥٢ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبكم ﴿مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم. ٥٣ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة

(١) قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآيات. لقد قصّت الآيات (٤٠ - ١٢٣) من سورة البقرة أخبار بني إسرائيل، واليهود منهم =

والفرقان عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لعلكم تهتدون﴾ به من الضلال.

٥٤ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ الَّذِينَ عَبْدُوا الْعَجَلَ﴾ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴿إِلَهًا﴾ فتوبوا إلى بارئكم ﴿خَالِقَكُمْ مِنْ عِبَادَتِهِ﴾ فاقتلوا أنفسكم ﴿أَي: لِيَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْمَجْرِمَ﴾ ذلكم ﴿الْقَتْلُ﴾ خير لكم عند بارئكم ﴿فَوَفَّقَكُمْ لِفَعْلِ ذَلِكَ﴾، وأرسل عليكم سحابة سوداء [مظلمة]، لئلا يُبصر بعضكم بعضاً فيرحمهُ، حتى قُتِلَ مِنْكُمْ نَحْوُ سَبْعِينَ أَلْفًا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

٥٥ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعبدوا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتكم كلامه: ﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ

لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عَيَانًا ﴿فَأَخَذْنَاكَمُ الصَّاعِقَةَ﴾ الصَّيْحَةُ فَمُتُّمْ ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ مَا حَلَّ بِكُمْ.

٥٦ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحياناًكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ لعلكم تشكرون ﴿نَعْمَتَنَا بِذَلِكَ﴾.

٥٧ ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرِّ الشمس في التَّيِّهِ ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ فِيهِ ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ هُمَا التَّرْنَجِين [وهو كالعسل الأبيض]، وَالطَّيْرُ السَّمَانِي - بتخفيف الميم والقصر - وَقَلْنَا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وَلَا تَذْخَرُوا، فَكَفَرُوا النِّعْمَةَ وَادَّخَرُوا، فَقَطَّعَ عَنْهُمْ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بِذَلِكَ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لِأَن وَبَالَه عَلَيْهِمْ.

٥٨ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ التَّيِّهِ: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بَيْتَ الْمَقْدَسِ، أَوْ: أَرِيحَا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ وَاسْعًا لَا حَجَرَ فِيهِ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أَي: بِأَبْهَامِهَا ﴿سَجْدًا﴾ مُتَّحِينَ ﴿وَقُولُوا﴾ مَسْأَلَتُنَا ﴿حِطَّةٌ﴾ أَي: أَنْ تَحُطَّ عَلَانَا خَطَايَانَا ﴿نَغْفِرْ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ الْبَاءِ وَالْتَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ فِيهِمَا ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالطَّاعَةِ ثَوَابًا. ٥٩ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ، وَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ﴾ [كَمَا فِي حَدِيثِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ سَيَأْتِي نَصُّهُ ص ٢١٩] ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى

سُورَةُ التَّيْنَةِ

وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ لِمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَوَضَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى

= خاصة مع موسى عليه السَّلام، وطرفاً من أخبار النصارى، فالتبس على بعض الناس ما فيها من ثناء على بني إسرائيل لما في آيات أخرى من ذم اليهود ولعنهم. وسبب ذلك عدم التفريق بين «بني إسرائيل» و«اليهود» والظنُّ بأنهما شيء واحد، وهذا خطأ واضح لأن القرآن الكريم فرق بينهما، فإذا جمعنا الآيات التي تذكر «بني إسرائيل» في مقابلة الآيات التي نزلت في «اليهود» نرى: أن «إسرائيل» هو لقب نبي الله «يعقوب» بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأن «بني إسرائيل» هم أولاده «يوسف وإخوته» وذرياتهم. قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ - أَي: يَعْقُوبُ - عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾. وإسرائيل وبنوه كانوا مسلمين فعندما يذكر الله تعالى =

الذين ظلموا فيه وضع الظاهر موضع المضمر، مبالغة في تقييح شأنهم ﴿رجزاً﴾ عذاباً طاعوناً ﴿من السماء بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن الطاعة، [قيل]: فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً، أو: أقل. ٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ استسقى موسى﴾ أي: طلب الشئياً ﴿لقومه﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ وهو [الحجر] الذي فرَّبْوه، خفيف مربع كُرَّس الرجل، رخام أو كِذَّان [— بتشديد الذال — حجارة رَخْوَةٌ، أو: هو مطلق حجر كما سيأتي ص ٥٦١]، فَضْرَبَهُ ﴿فانفجرت﴾ انشقت وسالت ﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾ بعدد الأسباط ﴿قد علم كل أناس﴾ سَبَطُ منهم ﴿مشرِبهم﴾ موضع شربهم، فلا يَشْرِكُهم فيه غيرهم، وقلنا لهم: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عَيَّي» بكسر المثلثة [أي: أنسد].

سورة الأنعام

الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦١﴾
 * وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيَّانَ مِّن

٦١ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿واحد﴾ وهو: المنُّ والسلوى ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا﴾ شيئاً ﴿مما تُنبت الأرض من﴾ للبيان ﴿بقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها [أو: «ثومها» لقراءة ابن مسعود «وثومها»] ﴿وعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا﴾ قال لهم موسى ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أَوْخَسُ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أَشْرَفُ؟، أي: أتناخذونه بـدله؟، والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا، فدعا [موسى] الله تعالى [بما طلبوه] فقال تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار [أي: بلدة من البلدان] ﴿فإن لكم﴾ فيه ﴿ما سألتم﴾ من النبات ﴿وضربت﴾ جعلت ﴿عليهم الذِّلَّةُ﴾ الدُّلُّ والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي: أثر الفقر، من السكون والخزي، فهي لازمة لهم — وإن كانوا أغنياء — لزوم الدرهم المضروب لسكته [أي: طبعت عليهم فلا تفارقهم] — ﴿وبأؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله ذلك﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين﴾ كزكريا ويحيى ﴿بغير الحق﴾ أي: ظلماً ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، وكرره للتأكيد.

٦٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) بالأنبياء من قبل

﴿والذين هادوا﴾ هم اليهود والنصارى والصابئين طائفة من اليهود، أو: النصارى من

= «بني إسرائيل» بخير، فالمقصود أولاد يعقوب والصالحون من ذريتهم، لا اليهود، أما اليهود: فهم الذين عبدوا عجل السامري، ثم تابوا، واسمهم هذا مشتق من «هاد» إذا تاب ورجع، ولكن توبتهم لم تكن صادقة «وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم»، وهم فئة من بني إسرائيل وليسوا كل بني إسرائيل، فليس كل إسرائيلي يهودياً. كما أنه ليس كل يهودي إسرائيلياً.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، لا يصح أن يُفهم من هذه الآية، ومن مثلها التي في سورة المائدة ص ١٥١ ومن الآية ١٧ =

آمن ﴿بِالله واليوم الآخر﴾ في زمن نبينا ﴿وعمل صالحاً﴾ بشريعته ﴿فلهم أجرهم﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ روعي في ضمير «آمن» و «عمل» لفظ: «من»، وفيما بعده [روعي] معناها. ٦٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذنا ميثاقكم﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل، اقتلعناه من أصله عليكم لَمَّا أبيتُم قبولها، وقلنا: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾ النار، أو: المعاصي. ٦٤ ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لكم بالتوبة، أو: تأخير العذاب ﴿لكنتُم من الخاسرين﴾ الهالكين. ٦٥ ﴿ولقد﴾ لام قسم ﴿علمتم﴾ عرفتم ﴿الذين اعتدوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿منكم في السبت﴾ لصيد السمك وقد نهيناهم عنه، وهم أهل «إيلة» [وهي: بلدة عند خليج العقبة] ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ مُبْعَدِينَ، فكانواها، وهلكوا بعد ثلاثة أيام.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٩﴾ فَعَلَّانَهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٦ ﴿فجعلناها﴾ أي: تلك العقوبة ﴿نكالا﴾ عبرة [لغيرهم] مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ أي: الأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وموعظة للمتقين﴾ اللّه، وخُصُّوا بالذكر، لأنهم المتفجعون بها، بخلاف غيرهم. ٦٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه﴾ وقد قُتِلَ لهم قَتِيل لا يُذَرَى قَاتِلُهُ، وقد سأله أن يدعو الله أن يُبَيِّنَ لهم، فدعا: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هُزُوًا﴾ [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وبضم الزاي مع إبدال الهمزة واوًا، أي:] مهزوءاً بنا، حيث تُجَبِّنا بمثل ذلك؟ ﴿قال أعوذ﴾ امتنع ﴿بالله﴾ من ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ المستهزئين. ٦٨ فلما علموا أنه عَزْمٌ [أي: فَرَضٌ لا هزل فيه] ﴿قالوا ادع لنا ربك يبيِّن لنا ما هي﴾ أي: ما سئُها؟ ﴿قال﴾ موسى ﴿إنه﴾ أي: الله ﴿يقول إنها بقرة لا فارض﴾ مُسِنَّةٌ ﴿ولا بكر﴾ صغيرة [بل هي] ﴿عوان﴾ نَصَفَتْ [في سئها] ﴿بين ذلك﴾ المذكور من السَّيِّئَاتِ ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ به من ذبحها.

= من سورة الحج ص ٤٢٥: أن اليهود، أو النصارى، أو الصابئين، أو أحداً من الكافرين، سيدخلون الجنة على ما هم عليه من كفر وضلال، بل إن نجاتهم من النار تتوقف على إيمانهم بما جاء به محمد ﷺ، لا سبيل لهم سواه، وليس في الآية «قواسم مشتركة» بين المسلمين وغيرهم كما يزعم البعض، فالناس: مؤمن أو كافر، لا وسط بينهما، وهذا أصل من أصول العقيدة، لا يجوز التساهل فيه مطلقاً، فمُجْمَلُ معنى الآية هو: أن النجاة من العذاب ليست بأمانى الناس، بل هي لمن آمن إيماناً صحيحاً كما أمره الله على لسان رسوله، لا كما يهوى الإنسان ويتمنى، «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»، ارجع إلى تعليقنا حول «الصابئين» ص ١٥١.

٦٩ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديد الصفرة ﴿تَسْرُّ النَّازِرِينَ﴾ إليها بحسبها، أي: تُعجبهم. ٧٠ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة، أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرتة، فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث (١) «لو لم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد». ٧١ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ غير مذلة بالعمل، [فهي لا] «تثير الأرض» تغليبها للزراعة، والجملة صفة «ذلُول» داخله في النفي [أي: لا تعمل في حراثة الأرض] «ولا نسقي الحرث» الأرض المهيأة للزراعة «مسلمة» من العيوب وآثار العمل «لاشية» [لا] لون [آخر] «فيها» غير لونها [الأصفر الفاقع] ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ نطق بالبيان التام، فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه، فاشتروها بملء مسكها [بفتح الميم - أي: جلدها] ذهباً «فدبحوها وما كادوا يفعلون» لغلاء ثمنها، وفي الحديث (٢) «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم».

الْبَقَرَةُ

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّازِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿٧٤﴾

٧٢ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الدال»، أي: تخاصمتم وتنافستم «فيها» [فاتهم بعضكم بعضاً بقتل تلك النفس] «والله مخرج» مظهر «ما كنتم تكتُمون» من أمرها، وهذا اعتراض وهو أول القصة.

٧٣ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي: القتل «ببعضها» فُضِرَبَ [بجزء منها، قيل: بلسانها، أو عَجَبٍ (٣) ذنبها فحیی، وقال: قتلني فلان وفلان - لابني عمه - ومات، فخرما الميراث وقَتِلَا، وقال تعالى «كذلك» الإحياء «يحيي الله الموتى ويريكم آياته» دلائل قدرته «لعلكم تعقلون» تتدبرون، فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة، قادر على إحياء نفوس كثيرة، فتؤمنون.

٧٤ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أيها اليهود، صلبت عن قبول الحق «من بعد ذلك» المذكور من إحياء القتيل، وما قبله من الآيات «فهى كالْحِجَارَةِ» في القسوة «أو أشد قسوة» منها «وإن من الحجارة لما يتفجر

منه الأنهار وإن منها لما يشقق» فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الشين» «فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط» ينزل من علو إلى سفلى «من خشية الله» وقلوبكم لا تتأثر ولا تليين ولا تخشع

(١) قوله: «وفي الحديث الخ» أخرجه الطبري بإسناد منقطع، عن ابن جريج وقتادة السدوسي، عن النبي ﷺ، وروى متصلاً.

(٢) قوله: «وفي الحديث: لو ذبحوا... الخ»، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، عن ابن عباس موقوفاً، وأخرج البزار وغيره قريباً منه مرفوعاً.

(٣) قوله: «أو عَجَبٌ ذنبها» هو: عظم كالخرذلة في العنصر آخر سلسلة الظهر، وهو مختص بالإنسان على الصحيح ولا يوجد في الحيوان.

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة بالتحانية، وفيه الالتفات عن الخطاب.
 ٧٥ ﴿أفتطمعون﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أي: اليهود ﴿وقد كان فريق﴾ طائفة ﴿منهم﴾ [هم] أحبارهم
 ﴿يسمعون كلام الله﴾ في التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرونه^(١) ﴿من بعد ما عقلوه﴾ فهموه ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مفترون؟
 والهمزة للإنكار، أي: لا تطمعوا [في إيمانهم]، فلهم سابقة بالكفر.

٧٦ ﴿وإذا لقوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ بأن محمداً نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وإذا خلا﴾
 رجع ﴿بعضهم إلى بعض قالوا﴾ أي: رؤسائهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أتحدثونهم﴾ أي: المؤمنين ﴿بما فتح الله

عليكم﴾ أي: عرفكم في التوراة من نعت محمد
 ﴿ليحاجوكم﴾ ليخاضموكم، واللام للضرورة
 [أي: ليصيروا خصماءكم] ﴿به عند ربكم﴾ في
 الآخرة، وقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع
 علمكم بصدقه؟ ﴿أفلا تعقلون﴾ أنهم يحاجونكم
 إذا حدثتموهم، فتنتهون؟.

٧٧ قال تعالى: ﴿أو لا يعلمون﴾ الاستفهام
 للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أن الله

يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ ما يخفون وما
 يظهر، من ذلك وغيره، فيرعوا عن ذلك؟
 ٧٨ ﴿ومنهم﴾ أي: اليهود ﴿أميون﴾ عوامٌ
 ﴿لا يعلمون الكتاب﴾ التوراة ﴿إلا﴾ لكن
 ﴿أمانى﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم
 فاعتمدها ﴿وإن﴾ ما ﴿هم﴾ في جحد
 نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إلا يظنون﴾
 ظناً ولا علم لهم [والظن لا يغني عن الحق
 شيئاً].

٧٩ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ

بأيديهم﴾ أي: مُخْتَلَقاً من عندهم ﴿ثم يقولون

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
 لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
 أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا
 أَمَانِي وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ
 ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا
 يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً
 قُلْ أَتُحَدِّثُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ

(١) قوله: «يغيرونه»، لا شك في أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام قد حُرِّفَتْ، وأن الإنجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام قد غيّر وبُذِّل، وأن الذين فعلوا ذلك هم الأحبار والرهبان، الذين يعلمون الكتاب ويقرؤونه، دون سواهم من عامة اليهود والنصارى.

على الله ما لا تعلمون ﴿٨١﴾ بلى ﴿تمسك﴾ النار ﴿وتخلدون فيها﴾ من كسب سيئة ﴿شركاً﴾ وأحاطت به خطيئته ﴿بالإفراد، والجمع، أي: استولت عليه وأحدقت به من كل جانب، بأن مات مشركاً فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ روعي فيه معنى «مَنْ»، [فجاء على الجمع]. ٨٢ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

٨٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ في التوراة وقلنا ﴿لا تعبدون﴾^(١) بالثناء والياء ﴿إلا الله﴾ خبر بمعنى النهي، وقرئ [شدوذاً]: «لا تعبدوا» [بصيغة النهي] ﴿و﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً﴾ برّاً ﴿وذى القربى﴾ القرابة،

عطف على «الوالدين» واليتامى والمساكين وقولوا للناس ﴿قولاً حسناً﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد، والرفق بهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين، مصدر، ووصف به مبالغة ﴿واقموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة، والمراد أبائهم ﴿إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ عنه كبائكم. ٨٤ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ وقلنا ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ [أي: لا يخرج بعضكم بعضاً من داره] ﴿ثم أقررتم﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وأنتم شهدون﴾ على أنفسكم.

٨٥ ﴿ثم أنتم﴾ يا هؤلاء تقتلون أنفسكم يقتل بعضكم بعضاً ﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الظاء»، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها [أي: حذف التاء، أي: تتعاونون] عليهم بالإثم بالمعصية ﴿والعدوان﴾ الظلم ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ وفي قراءة «أسرى» ﴿تفدوهم﴾ وفي قراءة «تفادوهم»، تفدوهم من الأسر بالمال، أو غيره، وهو مما عهد إليهم ﴿وهو﴾ أي: الشأن ﴿محرم عليكم إخراجهم﴾ متصل بقوله: «وتخرجون»، والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حرم ترك الفداء، [حرم

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ شَاهِدُونَ ﴿٨٥﴾ يَا هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَيُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ فِيهِ بِإِذْغَامِ «التَّاء» فِي الْأَصْلِ فِي «الظَّاء»، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالتَّخْفِيفِ عَلَىٰ حَذْفِهَا [أَي: حَذْفِ التَّاء، أَيْ: تَتَعَاوَنُونَ] عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ بِالْمَعْصِيَةِ «وَالْعُدْوَانِ» الظُّلْمُ «وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَىٰ» وَفِي قِرَاءَةٍ «أَسْرَىٰ» تُفَدُّوهُمْ وَفِي قِرَاءَةٍ «تَفَادُوهُمْ»، تَفَدُّوهُمْ مِنَ الْأَسْرِ بِالْمَالِ، أَوْ غَيْرِهِ، وَهُوَ مِمَّا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ «وَهُوَ» أَيْ: الشَّأْنُ «مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ» مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: «وَتُخْرِجُونَ»، وَالْجُمْلَةُ بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ، أَيْ: كَمَا حُرِّمَ تَرْكُ الْفِدَاءِ، [حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الْإِخْرَاجَ]، وَكَانَتْ قَرِيبَةً حَالِفُوا الْأَوْسَ، وَالنَّضِيرُ [حَالِفُوا] الْخَزْرَجَ، فَكَانَ كُلُّ فَرِيقٍ يَقَاتِلُ مَعَ حَلْفَائِهِ، وَيُخْرِبُ دِيَارَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ، فَلِذَا أُسْرِوا فَدَّوْهُمْ، وَكَانُوا إِذَا سُئِلُوا: لِمَ تَقَاتِلُونَهُمْ وَتَفَدُّونَهُمْ؟ قَالُوا: أَمَرْنَا بِالْفِدَاءِ، فَيَقَالُ: فَلِمَ تَقَاتِلُونَهُمْ؟ فَيَقُولُونَ: حَيَاءٌ أَنْ تُسْتَدَلَ حَلْفَاؤُنَا، قَالَ تَعَالَى: «أَفْتَوْمُنُونِ بَعْضُ

عليكم الإخراج»، وكانت قريظة حالفوا الأوس، والنضير حالفوا الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، ويخرب ديارهم ويخرجهم، فإذا أسروا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا: لم تقاتلونهاهم وتفدوهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء، فيقال: فلم تقاتلونهاهم؟ فيقولون: حياء أن تستدل حلفاؤنا، قال تعالى: «أفتؤمنون ببعض

(١) قوله تعالى: «لا تعبدون» في الآية (٨٣)، و «لا تسفكون» و «لا تخرجون» في الآية (٨٤)، جاء الفعل المضارع في المواضع الثلاثة مرفوعاً لأن «لا» التي قبله ليست ناهية، بل هي جمل خبرية، جاء النهي فيها بلفظ الخبر، وهو أبلغ من صريح النهي.

الكتاب ﴿ وهو الفداء ﴾ وتكفرون ببعض ﴿ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة؟ ﴾ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي ﴿ هَوَانٌ وَذُلٌّ ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ وقد خُزُوا بِقَتْلِ قَرِيْظَةٍ ، ونفي النضير إلى الشام ، وضرب الجزية ﴾ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴿ [في نار جهنم] ﴾ وما الله بغافل عما تعملون ﴿ بالتاء والياء . ٨٦ ﴾ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴿ بأن آثروها عليها ﴾ فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴿ يُمنعون منه . ٨٧ ﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿ التوراة ﴾ ووقَّينا من بعده بالرسول ﴿ أي : أتبعناهم رسولا في إثر رسول ﴾ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴿ المعجزات ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ﴾ وأيدناه ﴿ قوَّيناه ﴾ بروح القدس ﴿ من إضافة الموصوف إلى الصفة ، أي : الروح المقدسة ، [وهو :] جبريل لطهارته ، [كان] يسير معه حيث سار ، [يُعِينُهُ وَيُلْهِمُهُ الْعُلُومَ] ، فلم تستقيموا ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى ﴿ تحب ﴾ أنفسكم ﴾ من الحق ﴿ استكبرتم ﴾ تكبرتم عن اتباعه ؟ جواب «كلما» ، وهو محل الاستفهام ، والمراد به التوبيخ ﴿ ففريقا ﴾ منهم ﴿ كذبتهم ﴾ كعيسى ﴿ وفريقا تقتلون ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية ، أي : قتلتم ، كزكريا ويحيى ؟ .

٨٨ ﴿ وقالوا ﴾ [أي : اليهود] للنبي استهزاء : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ ^(١) جمع «أغلف» ، أي : مغشاة بأغطية ، فلا تعي ما تقول ، قال تعالى : ﴿ بل ﴾ للإضراب ﴿ لعنهم الله ﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم من القبول ﴿ بكفرهم ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿ فقليلاً ما يؤمنون ﴾ «ما» زائدة لتأكيد القلة ، أي : إيمانهم قليل جداً .

٨٩ ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ من التوراة ، هو القرآن ﴿ وكانوا من قبل ﴾ قبل مجيئه ﴿ يستفتحون ﴾ يستنصرون ﴿ على الذين كفروا ﴾ يقولون : اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ من الحق ، وهو بعثة النبي ﴿ كفروا به ﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة ، وجواب «لما» الأولى ، دل عليه جواب [«فلما»] الثانية ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ .

١٧

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

(١) قوله تعالى : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ . جاء ذكر القلب في القرآن بأسماء مختلفة منها : «القلب» مفرداً ومثنى ومجموعاً ، و «الغُزْد» بالإفراد والجمع فقط ، و «الألباب» جمع «لُب» ، ولم يرد إلا مجموعاً . . ووصف الله تعالى قلوب الكافرين بأنها : لاهية ، عمياء ، قاسية ، لا تقبل الحق ولا تلين لذكر الله تعالى ، ويُن سبب هذه الأمراض فقال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي : إن عملهم السيء غطى قلوبهم ، فحجب عنها نور الإيمان ، فأصبحوا وكأنهم لا قلوب لهم ولا أعين ولا آذان ، لانعدام الفائدة منها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ أما قلوب =

٩٠ ﴿بَشِّرْهُمْ بِشَرِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: حظها من الثواب، و«ما» نكرة بمعنى «شيئاً» تمييز لفاعل «بشّر»، [والتقدير: «بشّر الشيء شيئاً»] والمخصوص بالذم: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أي: كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له لـ «يكفروا»، أي: حسداً على ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مَنْ عِبَادَهُ فَبَاوُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقاقه من قَبْلِ بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

٩١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي: التوراة، قال تعالى ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ سواه، أو: بعده، من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لَمَّا مَعَهُمْ قُلٌ﴾ لهم ﴿فَلَمَّ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ من قبل إن كنتم مؤمنين بالتوراة، وقد نهيتهم فيها عن قتلهم؟، والخطاب للموجودين في زمن نبينا، بما فعل آباؤهم، لرضاهم به.

الجزء الأول

يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا
أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءً وَ
بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩١﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ

وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يُكْفِرُهُمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ

إِعْمَلُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ

الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

٩٢ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات، كالعصا^(١) واليد وفلق البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذ.

٩٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الجبل، حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾^(٢) أي: خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب [الأبدان] ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلٌ﴾ لهم ﴿بَشِّرْهُمْ بِشَرِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالتوراة من عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم، المعنى: لستم بمؤمنين، لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد آباؤهم، أي: فكذلك أنتم، لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه [ولا بعبادة غير الله تعالى]. ٩٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

٩٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

= المؤمنين فعلى العكس من ذلك هي: قلوب صالحة خاشعة. ارجع إلى تعليقنا ص ٤٤٠.

(١) قوله: «كالعصا واليد». ارجع إلى تعليقنا حول «آيات موسى عليه السلام» ص ٢٧٨.

(٢) قوله تعالى: «وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» أي: عجل السامري الذي عبده، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٤١٥، وحول «السامري» ص ٤١٣.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٦﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٨﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾
أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾ تَعَلَّقَ بِتَمَنِّيهِ الشَّرْطَانِ، عَلَى أَنَّ [الشَّرْطَ] الْأَوَّلَ قَيْدٌ فِي الثَّانِي، أَي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهَا لَكُمْ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ يُوْثَرُهَا، وَالْمَوْصِلُ إِلَيْهَا الْمَوْتُ، فَتَمَنَّوْهُ. ٩٥ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ كَفَرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَلْزَمِ لَكُذْبِهِمْ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ فَيَجَازِيهِمْ. ٩٦ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾ [وَهِيَ: الْحَيَاةُ الْمَتَوَالِيَةُ وَإِنْ كَانَتْ ذَلِيلَةً] ﴿وَوَاحِدٌ أَحْرَصَ﴾ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْمُنْكَرِينَ لِلْبَيْعِ عَلَيْهَا، لَعَلَّهُمْ بَأْنَ مُصِيرِهِمْ [إِلَى] النَّارِ، دُونَ الْمُشْرِكِينَ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ [فَلَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ] ﴿يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ «لَوْ» مُصَدَّرِيَّةٌ بِمَعْنَى «أَنَّ»، وَهِيَ بِصَلَتِهَا فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرِ مَفْعُولٍ «يَوْمَئِذٍ» ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ النَّارِ ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ فَاعِلٌ «مُزَحِّزٍهُ»، أَي: تَغْمِيرُهُ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ فَيَجَازِيهِمْ. ٩٧ وَسَأَلَ [أَحَدَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، وَيَدْعَى عَبْدِ اللَّهِ] بَنَ صُورِيَا النَّبِيَّ ﷺ، أَوْ: عُمَرَ^(١): عَمَّنْ يَأْتِي بِالْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: جَبْرِيلُ، فَقَالَ [السَّائِلُ]: هُوَ عَدُونَا يَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَلَوْ كَانَ مِيكَائِيلَ لَأَمْنَا، لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالخُسْبِ وَالسَّلَامِ، فَتَزَلُ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لَجَبْرِيلَ﴾ فَلَيْمَتْ غِيظًا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ ﴿وَهَدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَبُشْرَى﴾ بِالْجَنَّةِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ٩٨ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ﴾ بِكُسرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا بِلا هَمْزٍ، وَبِهِ [أَي: بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالرَّاءِ مَقْرُونًا] بَيَاءٌ [بَعْدَ الْهَمْزِ - جَبْرِيلَ] - عَلَى وَزْنِ «سَلْسِيلٍ»، وَدُونَهَا [أَي: جَبْرِيلَ بِدُونِ الْيَاءِ] ﴿وَمِيكَالَ﴾ عَطَفَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، مِنْ عَطَفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَفِي قِرَاءَةِ «مِيكَائِيلَ» بِهَمْزٍ وَيَاءٍ، وَفِي أُخْرَى بِلا يَاءٍ ﴿فَلَمَّا كَانَ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ أَوْقَعَهُ مَوْقِعَ «لَهُمْ» بَيَانًا لِحَالِهِمْ، [إِذْ لَا يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا الْكَافِرُونَ]. ٩٩ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أَي: وَاضِحَاتٍ، حَالٍ، [وَهُوَ] رَدُّ لِقَوْلِ ابْنِ صُورِيَا لِلنَّبِيِّ: مَا جِئْتَنَا بِشَيْءٍ ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾. ١٠٠ ﴿كَفَرُوا بِهَا﴾ وَكَلِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ ﴿عَهْدًا﴾ عَلَى الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ إِنْ خَرَجَ، أَوْ: [عَاهَدُوا] النَّبِيَّ أَنْ لَا يَعَاوَنُوا عَلَيْهِ الْمُشْرِكِينَ «نَبَذَهُ» طَرَحَهُ «فَرِيقٌ مِنْهُمْ» بِنَقْضِهِ، [وَجُمْلَةٌ «نَبَذَهُ»] جَوَابٌ «كَلِمَا»، وَهُوَ مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ ﴿بَلْ﴾ لِلانْتِقَالِ «أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ». ١٠١ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [هُوَ] مُحَمَّدٌ ﷺ «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أَي: التَّوْرَةَ

(١) قوله: «أر عمر»، لو استغنى عنه الجلال السيوطي لكان أوضح، لأن عمر لم يسأل ولم يسأل عمن يأتي بالوحي، وسبب نزول الآية ٩٧ المذكور، مروى عن ابن عباس، قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف له على سند، وإنما نزلت ردًا على اليهود القائلين ذلك، كما رواه أحمد والطبراني وغيرهما.

﴿وراء ظهورهم﴾ أي : لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كانهم لا يعلمون﴾ ما فيها من أنه نبي حق، أو : أنها كتاب الله . ١٠٢ ﴿واتبعوا﴾ عطف على «تبذ» ﴿ما تتلو﴾ أي : تلك ﴿الشياطين على﴾ عهد ﴿ملك سليمان﴾ من السحر، وكانت دفتته تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو : كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه، وفشاذلك، وشاع أن الجن تعلم الغيب، فجمع سليمان الكتب ودفتها، فلما مات، دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا : إنما ملككم بهذا، فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم، قال تعالى - تبرئة لسليمان، ورداً على اليهود في قولهم : انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً - : ﴿وما كفر سليمان﴾ أي : لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿ولكن﴾

بالتشديد والتخفيف ﴿الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿ويعلمونهم﴾ ما أنزل على الملكين ﴿أي : [ما] ألهماه من السحر، وقرىء [شدوذا] بكسر اللام، الكائنين ﴿ببابل﴾ بلد في سواد العراق ﴿هاروت وماروت﴾^(١) بدل، أو : عطف بيان لـ «الملكين»، قال ابن عباس : هما ساحران كانا يعلمان السحر، وقيل : ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس، [وهذا قول أكثر المفسرين، وهو الصحيح في توجيه معنى الآية] ﴿وما يعلمان من﴾ زائدة ﴿أحد حتى يقول﴾ له نصحاً ﴿إنما نحن فتنة﴾ بليّة من الله للناس، ليمتحانهم بتعليمه، فمن تعلمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فلا تكفر﴾ بتعلمه، فإن أبى إلا التعلم علماه ﴿فيتعلمون﴾ منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴿بأن يتغص كلًّا إلى الآخر﴾ وما هم ﴿أي : السحرة﴾ بضارين به بالسحر ﴿من﴾ زائدة ﴿أحد إلا بإذن الله﴾ بإرادته ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ في الآخرة ﴿ولا ينفعهم﴾ السحر ﴿ولقد﴾ لام قسم ﴿علموا﴾ أي : اليهود ﴿لمن﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها [عن العمل لفظاً لا محلاً]، و«من» موصولة ﴿اشتراه﴾ اختاره، أو : استبدله بكتاب الله ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب في الجنة ﴿ولبس ما﴾ شيئاً ﴿شروا﴾ باعوا ﴿به أنفسهم﴾ أي : الشارين، أي : [لبس] حظها من الآخرة أن تعلموه، حيث أوجب لهم النار ﴿لو كانوا يعلمون﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه . ١٠٣ ﴿ولو أنهم﴾ أي : اليهود ﴿آمنوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿واتقوا﴾ عذاب الله بترك معاصيه كالسحر،

الْبُرْءُ الْأَوَّلُ

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَٰتَقْوَا الْمَوْثَبَةَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

وجواب «لو» محذوف، أي : لأثبوا، دلّ عليه : ﴿لمثوبة﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿من عند الله خير﴾ خبره، [أي : المثوبة من عند الله خير] مما شروا به أنفسهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه خير لما آثروه عليه . ١٠٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا﴾ للنبي ﴿راعنا﴾ أمر من «المراعاة»، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب، من «الرّعونة»، [أي : الحمق والجهل]، فسروا بذلك، وخاطبوا بها النبي، فنهي المؤمنين عنها ﴿وقولوا﴾ بدلها ﴿انظرونا﴾ أي : انظر إلينا ﴿واسمعوا﴾

(١) ما ذكره نقلة المفسرين في خبر الملكين، وابتلائهما بمحبة المرأة وعقابهما، لم يرد فيه ما يعتد به من الأخبار، بل هو من كتب اليهود وافتراءهم.

ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وللڪافرين عذاب اليم﴾ مؤلم، هو النار. ١٠٥ ﴿ما يؤذ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ من العرب، عطف على «أهل الكتاب»، و «من» للبيان ﴿أن ينزل عليكم من﴾ زائدة ﴿خير﴾ وحي ﴿من ربكم﴾ حسداً لكم، [والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود] ﴿والله يختص برحمته﴾ نبوته ﴿من يشاء﴾ والله ذو الفضل العظيم.

١٠٦ ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً نزل: ﴿ما﴾ شرطية ﴿نسخ من آية﴾ أي: نزل حكمها، إمّا مع لفظها، أو لا، وفي قراءة بضم النون من

«أنسخ» أي: نأمر، أو نأمر، أو [نأمر] جبريل بنسخها ﴿أو ننسأها﴾ أي: نؤخرها فلا نزل حكمها، و [لكن] نرفع تلاوتها، أو: نؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز من النسيان، أي: ننسكها أي: نمنحها من قلبك، وجواب الشرط: ﴿نأت بخير منها﴾ أنفع للعباد في السهولة، أو: كثرة الأجر ﴿أو مثلها﴾ في التكليف والثواب ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير [أي: هو على كل شيء قدير].

١٠٧ ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿ولي﴾ يحفظكم ﴿ولا نصير﴾ يمنع عذابه عنكم إن أتاكم؟

١٠٨ ونزل لما سأل أهل مكة أن يوسعها، ويجعل الصفا ذهباً: ﴿أم﴾ [بمعنى: بل] [وبمعنى: همزة الإنكار] ﴿تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى﴾ أي: سأل قومه ﴿من قبل﴾ من قولهم: «أرنا الله جهرة» وغير ذلك ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ أي: يأخذه بدله، بترك النظر في الآيات البينات، واقتراح غيرها ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ خطأ الطريق الحق، و «السواء» في الأصل: الوسط.

١٠٩ ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو﴾ مصدرية ﴿يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً﴾ مفعول له، كائناً ﴿من عند أنفسهم﴾ أي: حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ في التوراة ﴿الحق﴾ في شأن النبي ﴿فاعفوا﴾ عنهم، أي: اتركوهم ﴿واصفحوا﴾ أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ فيهم من القتال ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

١١٠ ﴿واقیموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ طاعة، كصلة [رحم] وصدة ﴿تجدوه﴾ أي: ثوابه

سُورَةُ التَّوْبَةِ

أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

«عند الله إن الله بما تعملون بصير» فيجازيكم به. ١١١ «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً» جمع «هائد» «أو نصارى» قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران، لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ^(١)، أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود، وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى «تلك» القولة «أمانيتهم» شهواتهم الباطلة «قل» لهم «هاتوا برهانكم» حجتكم على ذلك «إن كنتم صادقين» فيه. ١١٢ «بلى» يدخل الجنة غيرهم «من أسلم وجهه لله» أي: انقاد لأمره، وخصّ الوجه لأنه أشرف الأعضاء، فغيره أولى «وهو محسن» موحد «فله أجره عند ربه» أي: ثواب عمله، الجنة «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» في الآخرة. ١١٣ «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» معتدّ به، وكفرت بعيسى. «وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» مُعتدّ به، وكفرت بموسى «وهم» أي: الفريقان «يتلون الكتاب» المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال «كذلك» كما قال هؤلاء «قال الذين لا يعلمون» أي: المشركون من العرب وغيرهم «مثل قولهم» بيان لمعنى: «ذلك» أي: قالوا لكلّ ذي دين «ليسوا على شيء». «فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» من أمر الدين، فيدخل المحقّ الجنة والمبطل النار.

الجزء الثالث

عند الله إن الله بما تعملون بصير^ع وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصري^ع تلك أمانيتهم^ع قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين^ع بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن^ع فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون^ع وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب^ع كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم^ع فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون^ع ومن أظلم ممن منع مسجداً لله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين^ع لهم في الدنيا خزي^ع ولهم في الآخرة عذاب عظيم^ع ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله عظيم

١١٤ «ومن أظلم» أي: لا أحد أظلم «ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه» بالصلاة والتسبيح «وسعى في خرابها» بالهدم، أو: التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو: في المشركين لما صدّوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت، [وصحح القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة، لأن اللفظ عامٌ ورَدَ بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف] «أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين» خبر بمعنى الأمر، أي: أخيفوهم بالجهاد، فلا يدخلها أحد آمناً «لهم في الدنيا خزي» هوان بالقتل والسبي والجزية «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» هو النار.

١١٥ ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبله، أو: في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت: «ولله المشرق والمغرب» أي: الأرض كلها، لأنهما ناحيتاها «فأينما تولوا» وجوهكم في الصلاة بأمره «فثم» هناك «وجه الله» قبلته التي رضىها «إن الله

(١) قوله: «لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ»: هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله. فإن المناظرة التي أشار إليها لم ينزل بشأنها قوله تعالى: «وقالوا لن يدخل الجنة...» بل نزل فيها قوله تعالى: «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء...» الآية ١١٣ الآتية، وذلك أن اليهود قالوا في تلك المناظرة للنصارى: لستم على شيء، وكفروا بعيسى والإنجيل. فقال النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحدوا نبوة موسى وكفروا =

واسع ﴿يسع فضله كل شيء﴾ ﴿عليم﴾ بتدبير خلقه .

١١٦ ﴿وقالوا﴾ بواو ودونها [وهما قراءتان سبعيتان أي:] اليهود والنصارى، ومن زعم أنَّ الملائكة بناتُ الله ﴿اتخذ الله ولداً﴾ قال تعالى ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عنه ﴿بل له ما في السماوات والأرض﴾ ملكاً [فهو مالكمهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم]، والملكيَّة تنافي الولادة، وعبرَ بـ «ما» تغليياً لما لا يعقل ﴿كلُّ له قانتون﴾ مطيعون، كلُّ بما يُرادُّ منه، وفيه تغليب العاقل .

١١٧ ﴿بديع السماوات والأرض﴾ موجدُهما لا على مثال سبق ﴿وإذا قضى﴾ أراد ﴿أمراً﴾ أي: إيجاده ﴿فإنما يقول له

كن فيكون﴾ [بالرفع] أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر .

١١٨ ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لولا﴾ هلاً ﴿يكلمنا الله﴾ أنك رسوله ﴿أو تأتينا آية﴾ مما اقترحنه على صدقك؟ ﴿كذلك﴾ كما قال هؤلاء ﴿قال الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مثل قولهم﴾ من التبعث وطلب الآيات ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في الكفر والعناد، فيه تسليَّة للنبي ﷺ ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ يعلمون أنها آيات، فيؤمنون، فاقترح آية معها نَعُثُ .

١١٩ ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالهدى ﴿بشيراً﴾ [تبشيراً] من أجاب إليه بالجنة ﴿ونذيراً﴾ [تنذيراً] من لم يجب إليه بالنار ﴿ولا نسأل عن أصحاب الجحيم﴾ النار، أي: الكفار، [أي: لا نسألك] ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم «تسأل» [مع فتح التاء على الخطاب] نهياً .

١٢٠ ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ دينهم ﴿قل إن هدى الله﴾ أي: الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وما عداه ضلال ﴿ولئن﴾ لا م قسم ﴿اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها فرضاً ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ الوحي من الله ﴿ما لك من الله من ولي﴾ يحفظك ﴿ولا نصير﴾ يمنعك منه .

١٢١ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ ﴿يتلونهُ حق تلاوته﴾ أي: يقرؤونه كما أنزل، والجملة حال، و «حقَّ» نُصِبَ على المصدر، [أي: صفة لمصدر محذوف تقديره: «تلاوة حق تلاوته»]، والخبر ﴿أولئك يؤمنون به﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿ومن يكفر به﴾ أي: بالكتاب المؤتَّى، بأن يُحرِّفهُ ﴿فأولئك

= بالتوراة فنزلت الآية ١١٣ المذكورة، أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس . وقد ذكر ذلك السيوطي نفسه في كتابه: «الدر المتثور» و «لباب النقول»، أما هذه الآية، ففيها إخبار عما يظنه كل فريق لنفسه من النجاة، وللآخر من الهلاك .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

وَسِعُ عِلْمٍ ﴿١١٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْنَتُونَ ﴿١١٧﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهت قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٢٠﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ

هم الخاسرون ﴿لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم﴾.

١٢٢ ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ تقدم مثله [الآية ٤٧ ص ١٠].

١٢٣ ﴿واتقوا﴾ خافوا ﴿يوماً لا تجزي﴾ تغني ﴿نفس عن نفس﴾ فيه ﴿شيئاً ولا يقبل منها عدل﴾ فداء ﴿ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ يمتنعون من عذاب الله.

١٢٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ ابتلى﴾ اختبر ﴿إبراهيم﴾ وفي قراءة «إبراهيم» ﴿ربّه بكلمات﴾ بأوامر ونواه، كلفه بها، قيل: هي مناسك الحج، وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وفرق [شعر] الرأس، وقلم الأظفار، ونتف الإبط، وخلق العانة، والختان، والاستنجاء، ﴿فأتمهن﴾ أذهن تأمات ﴿قال﴾

تعالى له: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ قدوة في الدين ﴿قال ومن ذريتي﴾ أولادي، اجعل أئمة ﴿قال لا ينال عهدي﴾ بالإمامة. ﴿الظالمين﴾ الكافرين منهم، دل على أنه ينال غير الظالم.

١٢٥ ﴿وإذ جعلنا البيت﴾ الكعبة ﴿مثابة للناس﴾ مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿وأمناً﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقي قاتل أبيه فلا يهيجهُ ﴿واتخذوا﴾ أيها الناس ﴿من مقام إبراهيم﴾^(١) هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مصلًى﴾ مكان صلاة، بأن تُصلُّوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة [«اتخذوا»] بفتح الخاء، خبر [لا أمر] ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أمرناهما ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿طهرا بيتي﴾ من الأوثان ﴿للطائفين والعاكفين﴾ المقيمين فيه ﴿والركع السجود﴾ جمع راع وساجد، [أي: المصلين].

١٢٦ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا﴾ المكان ﴿بلداً آمناً﴾ ذا أمن، وقد أجاب دعاءه، فجعله حرمًا لا يُسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلَى خلاهُ [أي: لا يقطع حشيشه الرطب] ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ وقد فعل بنقل «الطائف» من الشام إليه [كما قيل]، وكان أفقر لا زرع فيه ولا ماء ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾

بدل من «أهله»، وخصَّهم بالدعاء لهم، موافقة لقوله: [لا ينال عهدي الظالمين] ﴿قال﴾ تعالى ﴿و﴾ أرزق ﴿من كفر فأمته﴾ بالتشديد والتخفيف، في الدنيا بالرزق ﴿قليلاً﴾ مدة حياته ﴿ثم أضطره﴾ ألجته في الآخرة ﴿إلى عذاب﴾

(١) قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى﴾ أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وغيرهم، عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًى، فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى﴾. وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب ﴿وإذا سألتموهن متاعاً =

النار ﴿فلا يجد عنها محيصاً﴾ وبئس المصير ﴿المرجع هي ١٢٧﴾ ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد﴾ الأسس، أو: الجذور ﴿من البيت﴾ يئنه، متعلق بـ «يرفع» ﴿وإسماعيل﴾ عطف على «إبراهيم»، [يبنى معه، وهما] يقولان: ﴿ربنا تقبل منا﴾ بناءنا ﴿إنك أنت السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل. ١٢٨ ﴿ربنا واجعلنا مسلمين﴾ منقادين ﴿لك﴾ و﴿اجعل﴾ من ذريتنا ﴿أولادنا﴾ أمة ﴿جماعة﴾ مسلمة لك ﴿ومن﴾ للتبعض، وأتى به [أي: بالتبعض]، لتقدم قوله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ﴿وأرنا﴾ علمنا ﴿مناسكنا﴾ شرائع عبادتنا، أو: حجنا ﴿وتب علينا﴾ إنك أنت التواب الرحيم ﴿سألاه التوبة مع عصمتها، تواضعاً وتعليماً لذريتهما﴾.

١٢٩ ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي: أهل البيت [الحرام] ﴿رسولاً منهم﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه بحمد ﷺ ﴿يتلو عليهم آياتك﴾ القرآن ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب ﴿الحكيم﴾ في صناعته.

١٣٠ ﴿ومن﴾ أي: لا يرغب عن ملة إبراهيم ﴿فيتركها﴾ إلا من سفه نفسه ﴿جهل﴾ أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو: استخف بها وامتنها ﴿ولقد اصطفينا﴾ اخترناه ﴿في الدنيا﴾ بالرسالة والخلة ﴿فهو خليل الله تعالى﴾ ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

١٣١ واذكر ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ انقذ الله، وأخلص له دينك ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾.

١٣٢ ﴿ووصى﴾ وفي قراءة: «أوصى» ﴿بها﴾ بالملة ﴿إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ [أوصى أيضاً بها] بنيه قال: ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ دين الإسلام ^(١) ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [هذا] نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت.

١٣٣ ولما قال اليهود للنبي: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ نزل: ﴿أم كنتم شهداء﴾ حضوراً ﴿إذ حضر يعقوب﴾

سُورَةُ التَّيْنَةِ

النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

= فاسألوهن من وراء حجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن» فنزلت كذلك.

(١) قوله: «دين الإسلام»، لأن الإسلام دين الله تعالى، لم يرض للعباد سواه، ولم يأمر بغيره، وبه أرسل الله تعالى جميع المرسلين إلى أممهم وأقوامهم، وهذه الآيات عن إبراهيم ويعقوب تدل على ذلك، فدين الله واحد هو الإسلام، لأنه تعالى واحد، أما الأديان الأخرى التي عرفها الناس، فهي من وضع أصحابها، وما أنزل الله بها من سلطان، وأتباعها جميعاً في الآخرة من الخاسرين. ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

الموت إذ بدل من «إذ» قبله «قال لبنيه ما تعبدون من بعدي» بعد موتي؟ «قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق» عُدَّ إسماعيل من الآباء تغليباً، ولأنَّ العمَّ بمنزلة الأب «إلهاً واحداً» بدل من «إلهك» ونحن له مسلمون و «أم» بمعنى همزة الإنكار، أي: لم تحضروه وقت موته، فكيف تُسَبِّحُون إليه ما لا يليق به.

١٣٤ «تلك» مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما، وأنت لتأنيث خبره «أمة قد خلت» سَلَفَتْ «لها ما كسبت» من العمل، أي: جزاؤه، استئناف «ولكم» الخطاب لليهود «ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون» كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها. ١٣٥ «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا» «أو» للتفصيل، وقائل

الأول «يهود المدينة»، و [قائل] الثاني «نصارى نجران» «قل» لهم «بل» تتبع «ملة إبراهيم حنيفاً» حال من «إبراهيم» [أي: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم «وما كان من المشركين».

١٣٦ «قولوا» خطاب للمؤمنين «آمنوا بالله وما أنزل إلينا» من القرآن «وما أنزل إلى إبراهيم» من الصحف العشر «وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط» أولاده^(١) «وما أوتي موسى» من التوراة «وعيسى» من الإنجيل «وما أوتي النبيون من ربهم» من الكتب والآيات «لا نفرق بين أحد منهم» فنؤمن ببعض، ونكفر ببعض، كاليهود والنصارى «ونحن له مسلمون».

١٣٧ «فإن آمنوا» أي: اليهود والنصارى «بمثل» «مثل» زائدة «ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا» عن الإيمان به «فإنما هم في شقاق» خلاف معكم «فسيكفيكم الله» [أي: فسيكفيك الله] يا محمد شقاقهم «وهو السميع» لأقوالهم «العليم» بأحوالهم، وقد كفاه إياهم، بقتل قريظة ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم. ١٣٨ «صبغة الله» مصدر مؤكَّد لـ «آمناً»، ونصبه بفعل مقدر، أي: «صَبَغْنَا الله [صِبْغَةً]»، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب «ومن» أي: لا أحد «أحسن

الْحَمْدُ لِلَّهِ

أَلَمْ تَرَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٨﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٩﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءُ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤٠﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

(١) قوله: «أولاده» أي: أولاد يعقوب، وهو «إسرائيل» عليه السَّلام، وقد اتفق العلماء على أن يوسف بن يعقوب هو نبي، أما إخوته، فقد قال بعضهم: إنهم أنبياء، ودليلهم على ذلك أنهم هم المعنيون بقوله تعالى: «والأسباط»، ولكنَّ الصواب: أن إخوة يوسف العشرة - أي: ما عدا بنيامين - ليسوا بأنبياء قطعاً، لأن ما صدر عنهم نحو أخيه يوسف ووالدهم، لا يصدر مثله عن أنبياء، بل ولا يرضون به، كما سيأتي في «سورة يوسف».

قال القاضي عياض في الشفاء: وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم، وقال ابن كثير: لم يبق دليل على نبوتهم، ويمثله قال القرطبي والرازي، وقال البيهقي في رسالة سماها «رفع التعسف عن إخوة يوسف»: لم يُنْقَلْ عن أحد من الصحابة والتابعين نبوتهم، وقال ابن كثير: =

من الله صبغة ﴿ونحن له عابدون﴾. ١٣٩ قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً لكان ميتاً، فنزل: ﴿قل﴾ لهم ﴿أتحاجوننا﴾ تخاصموننا ﴿في الله﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وهو ربنا وربكم﴾ فله أن يصطفى من عباده من يشاء ﴿ولنا أعمالنا﴾ نجازي بها ﴿ولكم أعمالكم﴾ نجازون بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿ونحن له مخلصون﴾ الدين والعمل دونكم، فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال. ١٤٠ ﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون﴾ بالباء والتاء ﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل﴾ لهم ﴿ءأنتم أعلم أم الله؟﴾ أي: الله أعلم، وقد برأ منهما إبراهيم بقوله: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً»، والمذكورون معه تبع له ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾ أخفى عن الناس ﴿شهادة عنده﴾ كائنة ﴿من الله؟﴾ أي: لا أحد أظلم منه، وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية [أي: عقيدة التوحيد] ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ تهديد لهم.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ آلِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

١٤١ ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ تقدم مثله [في الآية ١٣٤]. ١٤٢ ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهال ﴿من الناس﴾ اليهود والمشركين ﴿ما ولأهم﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ [أي: على استقبالها في الصلاة، وهي بيت المقدس؟، والإتيان بالسین الدالة على الاستقبال [في قوله «سيقول»] من الإخبار بالغيب ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي: الجهات كلها، فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء، لا اعتراض عليه ﴿يهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الإسلام، أي: ومنهم أنتم، دل على هذا [قوله تعالى:]

١٤٣ ﴿وكذلك﴾ كما هديناكم إليه ﴿جعلناكم﴾ يا أمة محمد ﴿أمة وسطاً﴾ خياراً عدولاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة، أن رسلهم بلغتهم ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ أنه بلغكم ﴿وما جعلنا﴾ صيرنا

﴿القبلة﴾ لك الآن، الجهة ﴿التي كنت عليها﴾ أولاً وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود، فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم حوّل [عنها] ﴿إلا لنعلم﴾ [أي: علم ظهور ﴿من يتبع

= ومن استدل على نبوتهم بقوله تعالى: ﴿والأسباط﴾ فليس استدلاله بقوي، لأن المراد بالأسباط، «شعوب بني إسرائيل»، وكان يوجد فيهم من الأنبياء الذين نزل عليهم الوحي من السماء. اهـ. فيطون بني إسرائيل يقال لهم «أسباط»، «كالقبايل» في الغرب، و«الشعوب» في العجم، ولا وجه لتفسير «الأسباط» بأولاد يعقوب لصلبه، بل إنها تعني الجماعات الكثيرة.

الرسول ﴿ فيصدقهُ ﴾ ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي: يرجع إلى الكفر، شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتدَّ لذلك جماعة ﴿ وإن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنها ﴿ كانت ﴾ أي: التولية إليها ﴿ لكبيرة ﴾ شاقَّة على الناس ﴿ إلا على الذين هدى الله ﴾ ومنهم ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يثبِّتكم عليه، لأن سبب نزولها ^(١): السؤالُ عمَّن مات قبل التحويل ﴿ إن الله بالناس ﴾ المؤمنين ﴿ لرؤوف رحيم ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، و ﴿ الرأفة ﴾: شدة الرحمة، وقُدِّمَ الأبلغ [أي: الرؤوف] على ﴿ الرحيم ﴾، مراعاةً للفاصلة [أي: لرؤوس الآي]. ١٤٤ [أخرج الشيخان والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم، عن البراء بن عازب قال:

كان النبي ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يصلي نحو الكعبة، فكان يرفع رأسه إلى السماء فنزل: ﴿ قد ﴾ للتحقيق ﴿ نرى تقلب ﴾ تصرف ﴿ وجهك في ﴾ جهة ﴿ السماء ﴾ متطلعاً إلى الرُّوحى، ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يؤذ ذلك، لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أذعَى إلى إسلام العرب ﴿ فلنولينك ﴾ نُحوِّلُكَ ﴿ قبلة ترضاها ﴾ تحبها ﴿ فول وجهك ﴾ استقبل في الصلاة ﴿ شطر ﴾ نحو ﴿ المسجد الحرام ﴾ أي: الكعبة ﴿ وحيثما كنتم ﴾ خطاب للأمة ﴿ فولوا وجوهكم ﴾ في الصلاة ﴿ شطره ﴾ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه ﴿ أي: التولي إلى الكعبة ﴾ ﴿ الحق ﴾ الثابت ﴿ من ربهم ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ بالتاء، أيها المؤمنون، من امثال أمره، وبالياء، أي: اليهود، من إنكار أمر القبلة.

١٤٥ ﴿ ولئن ﴾ لام القسم ﴿ أثبت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿ ما تبعوا ﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿ قبلك ﴾ عناداً ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم، وطمعهم في عوده إليها ﴿ وما بعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ أي: اليهود قبلة النصارى، وبالعكس ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ التي يدعونك إليها ﴿ من بعدما جاءك من العلم ﴾ الوحي ﴿ إنك إذا ﴾ إن اتبعتمهم فرضاً ﴿ لمن الظالمين ﴾.

الْبُيُوتُ الْمُبَارَكَةُ

الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٩﴾

١٤٦ ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ﴾ أي: محمداً ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ بنعته في كتبهم، قال [عبد الله] بن سلام: «لقد عرفته حين رأيته، كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشدُّ» ﴿ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق ﴾ نعتة ﷺ ﴿ وهم يعلمون ﴾ هذا الذي أنت عليه.

(١) قوله: «لأن سبب نزولها الخ»، فقد تساءل الصحابة، عما يقولون في صلاة الذين ماتوا قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة، ولم يدروا ما يقولون فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ الآية، روى ذلك البخاري وغيره، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

١٤٧ ﴿الْحَقُّ﴾ كائن ﴿مَنْ رِبِكْ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه، أي: [لا تكوننَّ] من هذا النوع، فهو أبلغ من: «لا تَمْتَرْ».

١٤٨ ﴿وَلِكُلِّ﴾ من الأمم ﴿وَجْهَةً﴾ قبله ﴿هُوَ مَوْلِيهَا﴾ وَجْهَهُ في صلاته، وفي قراءة «مَوْلَاهَا» [أي: مأمور بالتوجه إليها] ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ يجمعكم يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

١٤٩ ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴿بِالتَّاءِ، وَالْيَاءِ، تَقْدَمُ مِثْلُهُ﴾ [في ختام الآية ١٤٤]، وكرّره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

١٥٠ ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ﴿كَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ﴾ [لئلا يكون للناس اليهود، أو: المشركين ﴿عليكم حجة﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره، أي: لتتضي مجادلتهم لكم، من قول اليهود: يَجْحَدُ دِينَنَا وَيَتَّبِعْ قِبَلَتَنَا، وقول المشركين: يَدَّعِي مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَيُخَالِفْ قِبَلَتَهُ] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالعناد، فإنهم يقولون: ما تحوّل إليها إلّا ميلاً إلى دين آبائهم، والاستثناء متصل، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلّا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [أي: لا تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿واخشوني﴾ بامثال أمري ﴿ولا تم﴾ عطف على «لئلا يكون» ﴿نعمتي عليكم﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿ولعلمكم تهتدون﴾ إلى الحق.

١٥١ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ «أنتم» أي: إتماماً كإتمامها، بإرسالنا ﴿فيكم رسولاً منكم﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿ويزكيكم﴾ يطهركم من الشرك ﴿ويعلمكم﴾

سُورَةُ الشُّورَةِ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ نِعَمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٥٢﴾

الكتاب ﴿القرآن﴾ والحكمة ﴿ما فيه من الأحكام﴾ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

١٥٢ ﴿فاذكروني﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أذكركم﴾ قيل: معناه «أجازيكم»، وفي الحديث [القدسي عن النبي ﷺ] عن الله [تعالى قال]: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَأَةٍ» [رواه البخاري ومسلم وغيرهما] ﴿واشكروا لي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿ولا تكفروا﴾ بالمعصية.

١٥٣ يا أيها الذين آمنوا استعينوا على الآخرة بالصبر على الطاعة والبلاء [وعن المعصية] والصلاة خصها بالذكر لتكررها وعظمها [إن الله مع الصابرين] بالعون. ١٥٤ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات [مثل غيرهم من الأموات] بل هم أحياء [أرواحهم في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت] لحديث بذلك [رواه مسلم والبيهقي وغيرهما] ولكن لا تشعرون [لا] تعلمون ما هم فيه. ١٥٥ ولنبشرونكم بشيء من الخوف للعدو والجوع القحط ونقص من الأموال بالهلاك والأنفس بالقتل والموت والأمراض والشرات بالجوائح [التي تهللك الزرع والثمر، أي: لنختبرنكم بهذه المصائب]، فننظر أتصابرون أم لا؟ وبشر الصابرين على البلاء بالجنة. ١٥٦ وهم:

الْمُهْتَدُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ١٥٧ * إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ١٥٨ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

الذين إذا أصابتهم مصيبة بلاء قالوا إنا لله ملكاً [وخلقاً] وعبيداً، يفعل بنا ما يشاء وإنا إليه راجعون في الآخرة، فيجازينا، وفي الحديث^(١): «من استرجع عند المصيبة، آجره الله فيها، وأخلف الله عليه خيراً»، وفيه: أن مصباح النبي ﷺ طفيء فاسترجع، فقالت عائشة: إنما هذا مصباح، فقال: «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله. ١٥٧ أولئك عليهم صلوات مغفرة من ربهم ورحمة نعمة وأولئك هم المهتدون إلى الصواب. ١٥٨ إن الصفا والمروة جبلان بمكة من شعائر الله أعلام دينه، جمع «شعيرة» فمن حج البيت أو اعتمر أي: تلبس بالحج أو العمرة، وأصلهما: القصد والزيارة «فلا جناح عليه» [أي: لا] إثم عليه «أن يطوف» فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء «بهما» بأن يسعى بينهما سبعا، نزلت لما كره المسلمون ذلك، لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض، لما أفاده رفع الإثم من التخير، وقال الشافعي وغيره: [السعي] ركن، وبين فرضيته بقوله: «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره، وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» يعني الصفا، رواه مسلم «ومن تطوَّع» وفي قراءة بالتحية وتشديد الطاء مجزوماً، وفيه إدغام التاء فيها «خيراً» أي: بخير، أي عمل ما لم يجب عليه، من طواف وغيره «فإن الله شاكر» لعمله بالإثابة عليه «عليم» به.

١٥٩ ونزل في اليهود: «إن الذين يكتُمون» الناس «ما أنزلنا من البينات والهدى» كآية الرجم ونعت محمد ﷺ «من بعد ما بيناه للناس في الكتاب» التوراة «أولئك يلعنهم الله» يُبعدهم من رحمته «ويلعنهم

(١) قوله: «وفي الحديث: من استرجع الخ»، هذا معناه، أما لفظه فقد رواه مسلم عن أم المؤمنين - هند بنت حذيفة - أم سلمة رضي الله عنها =

اللاعنون ﴿الملائكة والمؤمنون، أو: كلُّ شيء﴾، بالدعاء عليهم باللعنة. ١٦٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَيَتُوبُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. ١٦١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال [أي: لم يؤمنوا قبل الغرغرة، وهي: إذا بلغت الروح التراقي، أي: الحلقوم، ففي الحديث، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْ» رواه الثرمذي وحسنه] ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، و «الناس» [في قوله «والناس أجمعين»] قيل: عامٌّ، وقيل: المؤمنون.

١٦٢ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة، أو: النار المدلول بها عليها ﴿لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يُمهلون لتوبة، أو معذرة.

١٦٣ ونزل لما قالوا: صِف لنا ربك: ﴿وَالْهَيْكَلُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ﴾ إله واحد لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، [ولا في أفعاله] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو «الرحمن الرحيم».

١٦٤ وطلبوا آية على ذلك فنزل: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ عَجَائِبٍ﴾ واختلاف الليل والنهار ﴿بِالذَّهَابِ وَالْمَجِيِّ، وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ﴾ والفلك السفن التي تجري في البحر ولا ترسب، [وهي] موقرة [أي: مثقلة] ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [أي: السحاب] ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها وبث ﴿فَرَّقَ وَنَشَرَ﴾ بها ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ تقلبيها جنوباً وشمالاً، حارة وباردة ﴿وَالسَّحَابِ الْغَيْمِ﴾ المُسَخَّرِ المذلل بأمر الله تعالى، يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة [أي: بلا شيء يتعلّق به لئلا يسقط] ﴿لَايَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون [فيؤمنون]. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

دون الله ﴿أَي: غيره﴾ أنداداً أصناماً ﴿يُحْبِبُونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كُحِبَ اللَّهُ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد، لأنهم لا يعدلون عنه بحالٍ ما، والكفار يعدلون [ويرجعون] في الشدة إلى الله [ثم ينسونه بعد زوالها عنهم].

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

اللَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ

= قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجزني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها، إلا آجره في مصيبتى، وأخلف له خيراً منها».

﴿ولو ترى﴾ [بالتاء]، تُبصر يا محمد ﴿الذين ظلموا﴾ باتخاذ الأنداد، [لأن الشرك ظلم عظيم] ﴿إذ يرون﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، [أي:] يصرون ﴿العذاب﴾ لرأيت أمراً عظيماً، و ﴿إذ﴾ بمعنى «إذا» ﴿أن﴾ أي: لأن ﴿القوة﴾ القدرة والغلبة ﴿لله جميعاً﴾ حال ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ وفي قراءة [«ولو» يَرَى] بالتحثانية، والفاعل [على هذه القراءة] قيل: ضمير السامع، وقيل: ﴿الذين ظلموا﴾، فهي [أي: «يَرَى»] بمعنى: «يعلم»، و ﴿أن﴾ وما بعدها سَدَّتْ مَسَدُ المفعولين، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله، وأن القدرة لله وحده وقت معايتهم له، وهو يوم القيامة، لَمَا اتخذوا من دونه أنداداً.

لَبَّيْكَ يَا مُحَمَّدُ

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا يَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

١٦٦ ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿تبرأ الذين اتبعوا﴾ أي: [تبرأ الرؤساء] من الذين اتبعوا ﴿أي: [من أتباعهم، و] أنكروا إضلالهم﴾ و ﴿قد رأوا العذاب وتقطعت﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بهم﴾ عنهم ﴿الأسباب﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا، من الأرحام والمودة. ١٦٧ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم﴾ أي: المتبوعين ﴿كما تبرؤوا منا﴾ اليوم، و ﴿لو﴾ للتمني، و «نتبرأ» جوابه ﴿كذلك﴾ أي: كما أراهم شدة عذابه، وتبرؤ بعضهم من بعض ﴿يريههم الله أعمالهم﴾ السيئة ﴿حسرات﴾ حال، ندامات ﴿عليهم﴾ وما هم بخارجين من النار بعد دخولها.

١٦٨ ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ حال ﴿طيباً﴾ صفة مؤكدة، [لأن الحلال لا يكون إلا طيباً]، أي: مستلذاً ﴿ولا تتبعوا خطوات﴾ طرُق ﴿الشيطان﴾ أي: تزيينه ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة.

١٦٩ ﴿إنما يأمركم بالسوء﴾ الإثم ﴿والفحشاء﴾ القبيح شرعاً ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ من تحريم ما لم يحرم، وغيره.

١٧٠ ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: الكفار ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قالوا﴾ لا ﴿بل نتبع ما ألفينا﴾ وجدنا ﴿عليه﴾

آباءنا من عبادة الأصنام، وتحريم السوائب والباحث، قال تعالى ﴿أ﴾ يتبعونهم ﴿ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ من أمر الدين ﴿ولا يهتدون﴾ إلى الحق؟ والهزمة للإنكار [والتوبيخ والتعجب، أي: لا يليق بكم ذلك، بل عليكم أن تفكروا، ولا تقلدوا تقليداً أعمى].

١٧١ ﴿ومثل﴾ [أي:] صفة ﴿الذين كفروا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى، [أي: مثلهم معهم] ﴿كمثل الذي ينعق﴾ يصوت ﴿بما لا يسمع﴾ [أي: يسمع] صوتاً ولا يفهم معناه، أي: هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم

﴿صَمَّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة.

١٧٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ ﴿حَلَالَاتٍ﴾ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴿عَلَىٰ مَا أَحَلَّ لَكُمْ﴾ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ.

١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أَي: أَكْلَهَا، إِذِ الْكَلَامُ فِيهِ، وَكَذَا مَا بَعْدَهَا، وَهِيَ مَا لَمْ يُذَكَّ شَرْعًا، وَأَلْحَقَ بِهَا بِالسُّنَّةِ، مَا أَبَيَّنَ مِنْ حَيٍّ، [وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَا قُطِعَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيْتٌ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَالْحَاكِمُ،] وَخُصَّ مِنْهَا السَّمَكُ وَالْجِرَادُ، [فَهُمَا حَلَالٌ] ﴿وَالدَّمَ﴾ أَي: الْمُسْفُوحُ كَمَا فِي «الْأَنْعَامِ»: [«أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا»، لِيُخْرَجَ الْكَبِدُ وَالطَّحَالُ، فَهُمَا حَلَالٌ] ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ خُصَّ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

صَمَّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا
كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ
وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنَ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّا الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ءِثْمًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ
فَإِصْبِرْهُم عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ

اللحْمُ لِأَنَّهُ مَعْظَمُ الْمَقْصُودِ، وَغَيْرُهُ تَبِعَ لَهُ ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ أَي: ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ، وَ«الْإِهْلَالُ»: رَفْعُ الصَّوْتِ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَهُ عِنْدَ الذَّبْحِ لِأَلْهَتِهِمْ ﴿فَمَنَ اضْطُرَّ﴾ الْجَائَةُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِّمَّا ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خَارِجَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عَلَيْهِمْ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فِي أَكْلِهِ ﴿إِنَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ، حَيْثُ وَسَّعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَخَرَجَ الْبَاغِي وَالْعَادِي، وَيُلْحَقُ بِهِمَا كُلُّ عَاصٍ بِسُفْرِهِ، كَالْأَبْقِ [أَي: الْعَبْدُ الْهَارِبُ مِنْ سَيِّدِهِ،] وَالْمَكَّاسُ^(١)، فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَكْلُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَتُوبُوا، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ.

١٧٤ ﴿إِنَّا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ الْمَشْتَمَلُ عَلَى نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُمْ الْيَهُودُ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا، يَأْخُذُونَهُ بِدَلَّةٍ مِنْ سَفَلَتِهِمْ، فَلَا يَظْهَرُ وَنُهُ خَوْفُ فَوْتِهِ عَلَيْهِمْ ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَزْكِيهِمْ ﴿يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿مَوْلَمَ، هُوَ: النَّارُ.

١٧٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أَخَذُوا بِدَلَّةٍ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ الْمَعْدَةُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَوْلَمْ يَكْتُمُوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أَي: مَا أَشَدَّ صَبْرَهُمْ! وَهُوَ تَعْجِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ ارْتِكَابِهِمْ مُوجِبَاتِهَا مِنْ

غَيْرِ مِبَالَاةٍ، وَإِلَّا فَأَيُّ صَبْرٍ لَهُمْ؟ ١٧٦ ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي ذُكِرَ مِنْ أَكْلِهِمُ النَّارَ وَمَا بَعْدَهُ ﴿بِأَنَّ﴾ بِسَبَبِ أَنَّ ﴿اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«نَزَلَ» فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ بِكُتْمِهِ ﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بِذَلِكَ، وَهُمْ الْيَهُودُ، وَقِيلَ: الْمَشْرُكُونَ، [اخْتَلَفُوا] فِي الْقُرْآنِ حَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ: شَعْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: سَحَرٌ، وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خِلَافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عَنِ الْحَقِّ. ١٧٧ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ﴾

(١) قوله: «المكاس»، «المكس» بفتح الميم: الخيانة، ويراد به الذي يأخذ الضريبة ظلماً، أو يسرق من الزكاة.

والمغرب ﴿نزل ردا على اليهود والنصارى، حيث زعموا ذلك﴾ ولكن البر ﴿أي: ذا البر، وقرىء [شذوذاً] بفتح الباء، أي: البار﴾ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ﴿أي: الكتب﴾ والنبيين وآتى المال على ﴿مع﴾ حبه ﴿له﴾ ذوي القربى ﴿القربة﴾ واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴿المساكر﴾ والسائلين ﴿الطالبين﴾ وفي ﴿فك﴾ الرقاب ﴿المكاتبين والأسرى﴾ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴿المفروضة﴾ و ﴿أما﴾ ما ﴿جاء﴾ قبله ﴿وهو قوله تعالى: «وآتى المال»، فهو﴾ في التطوع، ﴿فلا تكرر﴾ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴿الله، أو: الناس﴾ والصابرين ﴿نُصِبَ على المدح﴾ في البأساء ﴿شدة الفقر﴾ والضراء ﴿المرض﴾ وحين البأس ﴿وقت شدة القتال في سبيل الله﴾ أولئك ﴿الموصوفون بما ذكر﴾ الذين صدقوا ﴿في إيمانهم، أو: ادعاء البر﴾ وأولئك هم المتقون ﴿الله﴾.

الْمُتَّقُونَ

وَالْمَغْرِبَ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى
فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَنِ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَى
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَوةٌ يَأْتُوا أَوَّلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٠﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

١٧٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ فرض ﴿عليكم﴾ القصاص ﴿المماثلة﴾ ﴿في القتل﴾ وصفاً ﴿أي:﴾ في الحرية والإسلام وغيرهما، و ﴿تجاوز المماثلة﴾ فعلاً، ﴿بأن يقتل القاتل بمثل ما قتل﴾ الحر ﴿يقتل﴾ بالحر ولا يقتل بالعبد والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى وبيئت السنة أن الذكر يقتل بها، ﴿فقد أمر النبي ﷺ برض﴾ — أي: دق — رأس يهودي بين حجرين، لرضه رأس جارية، رواه الشيخان، وأنه تعتبر المماثلة في الدين، فلا يقتل مسلم ولو عبداً، بكافر ولو حراً، ﴿لقوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر»﴾ رواه البخاري ﴿فمن عفى له﴾ من القاتلين ﴿من﴾ دم أخيه ﴿المقتول﴾ شيء ﴿بأن ترك﴾ القصاص منه، وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص، بالعفو عن بعضه، و ﴿بالعفو﴾ من بعض الورثة، وفي ذكر أخيه، تعطف داع إلى العفو، وإذناً بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان، و ﴿من﴾ مبتداً شرطية، أو: موصولة، والخبر ﴿فاتباع﴾ أي: فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿المغفوء عنه﴾ بالمعروف بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو، يفيد أن الواجب أحدهما، وهو أحد قولي الشافعي، و ﴿القول﴾ الثاني: ﴿أن﴾ الواجب القصاص، والدية بدل عنه، فلو عفا ولم يسمها فلا شيء، ورجح ﴿و﴾

على القاتل أداء للدية إليه ﴿أي:﴾ إلى العافي، وهو الوارث بإحسان بلا مظل ولا بخس ذلك الحكم المذكور، من جواز القصاص، والعفو عنه على الدية تخفيف تسهيل ﴿من ربكم﴾ عليكم ﴿ورحمة﴾ بكم، حيث وسع في ذلك، ولم يحتم واحداً منهما، كما حتم على اليهود القصاص، وعلى النصارى الدية ﴿فمن اعتدى﴾ ظلم القاتل، بأن قتله، ﴿بعد ذلك﴾ أي: العفو ﴿فله عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة بالنار، أو: في الدنيا بالقتل.

١٧٩ ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي: بقاء عظيم ﴿يا أولي الألباب﴾ ذوي العقول، لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع، فأحيا نفسه ومن أراد قتله، فشرع ﴿القصاص﴾ لعلكم تتقون ﴿القتل لمخافة القود﴾ ١٨٠ ﴿كتب﴾ فرض ﴿عليكم﴾

إذا حضر أحدكم الموت ﴿أي: أسبابه﴾ «إن ترك خيراً» مالا ﴿الوصية﴾ مرفوع: بـ «كتب»، متعلق «إذا» إن كانت ظرفية [محضة، وتقدير الكلام: «كتب عليكم الوصية إذا حضر» أي: وقت حضور الموت]. ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطية، و [هو أيضاً] جواب «إن» أي: فليوص ﴿للولادين والأقربين بالمعروف﴾ بالعدل، بأن لا يزيد على الثلث، ولا يفضل الغني ﴿حقاً﴾ مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله ﴿على المتقين﴾ الله، وهذا ﴿أي: وجوب الوصية﴾ منسوخ بآية الميراث، وبحديث: «لا وصية لوارث» رواه الترمذي [وقال: حديث حسن صحيح]. ١٨١ ﴿فمن بدّله﴾ أي: الإيصال، من شاهد ووصي ﴿بعد ما سمعه﴾ علمه ﴿فإنما إثمهُ﴾ أي: الإيصال المبدّل ﴿على الذين يدلّونه﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إن الله سميع﴾ لقول

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِثْمٌ إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾
يَتَأَيَّاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ

الموصي ﴿عليم﴾ بفعل الوصي، فمجاز عليه. ١٨٢ ﴿فمن خاف من موصٍ﴾ مخفّفاً ومثقلاً ﴿جنفاً﴾ ميلاً عن الحق خطأ ﴿أو إثمًا﴾ بأن تعمّد ذلك، بالزيادة على الثلث، أو: تخصيص غني مثلاً ﴿فأصلح بينهم﴾ بين الموصي والموصى له، بالأمر بالعدل ﴿فلا إثم عليه﴾ في ذلك ﴿إن الله غفور رحيم﴾. ١٨٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فرض ﴿عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ من الأمم ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. ١٨٤ ﴿أياماً﴾ نُصِبَ بالصيام، أو: بـ «صوموا» مقدراً ﴿معدودات﴾ أي: قلائل، أو: مؤقتات بعدد معلوم، وهي: رمضان كما سيأتي، وقلّله تسهلاً على المكلفين ﴿فمن كان منكم﴾ حين شهوده ﴿مريضاً أو على سفر﴾ أي: مسافراً سَفَرُ القصر، وأجهد الصوم في الحالين فأفطر ﴿فعدة﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿من أيام أخر﴾ يصومها بدله ﴿وعلى الذين﴾ لا يطيقونه ﴿لكبر، أو مرض لا يرجى برؤه﴾ فدية هي ﴿طعام مسكين﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد، لكل يوم، وفي قراءة بإضافة «فدية»، وهي للبيان، وقيل: «لا» غير مقدّرة، وكانوا مخيّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسخ [التخيير] بتعيين الصوم بقوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، قال

ابن عباس: إلّا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فمن تطوع خيراً﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فهو﴾ أي: التطوع ﴿خير له وأن تصوموا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿خير لكم﴾ من الإفطار والفدية ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم، فافعلوه تلك الأيام.

١٨٥ ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القدر منه ﴿هدي﴾ حال، هادياً من الضلالة، ﴿للناس وبينات﴾ آيات واضحة ﴿من الهدى﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿و﴾ من ﴿الفرقان﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فمن شهد﴾ حضر ﴿منكم﴾

الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر^١ تقدم مثله [في الآية السابقة]، وكُرِّرَ لثَلَاثَ يَوْمٍ نَسَخَهُ بتعميم: «مَنْ شَهِدَ» يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر^٢ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر، ولكون ذلك، في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم، [فقد] عطف عليه: «وَلِتُكْمِلُوا» بالتخفيف والتشديد «العدة» أي: عدة صوم رمضان «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ» عند إكمالها «على ما هداكم» أرشدكم لمعالم دينه «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» الله على ذلك. ١٨٦ وسأل جماعة النبي ﷺ: أقرِبتُ ربنا فتناجِيةً، أم بعيد فتناديةً؟ فنزل: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» منهم بعلمي، فأخبرهم بذلك «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا» بإنالته ما سأل «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي» دعائي بالطاعة «وَلْيُؤْمِنُوا» يَدُومُوا على الإيمان «بِئْسَ لَعَلَّكُمْ يَرْشُدُونَ» يهتدون.

الْبَيْتُ الثَّانِي

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ^٣ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ^٤ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا^٥ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ^٦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^٧ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ^٨ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا^٩ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ^{١٠} أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ^{١١} هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ^{١٢} عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ^{١٣} فَالْعَنَ بَشَرُوهُنَّ^{١٤} وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ^{١٥} وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ^{١٦} لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ^{١٧} ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ^{١٨} وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ^{١٩} فِي الْمَسْجِدِ^{٢٠} تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا^{٢١} كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

١٨٧ «أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ» بمعنى الإفشاء «إِلَى نِسَائِكُمْ» بالجماع، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه، وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء، [أو إذا نام قبل ذلك، كما حصل لقيس بن صُرْمَةَ، فغشي عليه نصف النهار من الجوع، رواه البخاري وغيره] «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» كناية عن تعاقبهما، أو احتياج كل منهما إلى صاحبه «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ» تخونون «أَنْفُسَكُمْ» بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره - [كما رواه أحمد، وابن أبي حاتم، بسند حسن، وغيرهما] - واعتذروا إلى النبي ﷺ «فَنَابَ عَلَيْكُمْ» قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ «وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ» إِذْ أَحِلَّ لَكُمْ «بِأَشْرَوْهِنَّ» جامعوهن «وَابْتَغُوا» اطلبوا «مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» أي: أباحه من الجماع، أو: قدره من الولد «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا» اللَّيْلَ كُلَّهُ «حَتَّى يَبَيِّنَ» يَظْهَرُ «لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» أي: الصادق، بيان للخيوط الأبيض، وبيان الأسود محذوف، أي: من الليل، شبه ما يبدو من البياض، وما يمتد معه من الغيش، بخيطين أبيض وأسود، في الامتداد «ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ» مِنَ الْفَجْرِ «إِلَى اللَّيْلِ» أي: إلى دخوله بغروب الشمس «وَلَا تَبَاشَرُوهُنَّ» أي:

نساءكم «وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ» مقيمون بنية الاعتكاف^(١) «فِي الْمَسَاجِدِ» متعلق بـ «عَاكِفُونَ»، نهْيٌ لِمَنْ كَانَ يَخْرُجُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَيَجَامِعُ امْرَأَتَهُ وَيَعُودُ «تِلْكَ» الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ «حُدُودُ اللَّهِ» حدها لعباده ليقفوا عندها «فَلَا تَقْرُبُوهَا» أبلغ من: «لَا تَعْتَدُوهَا» المعبر به في آية أخرى، [هي الآية «٢٢٩» من هذه السورة] «كَذَلِكَ» كما بيّن لكم ما ذُكِرَ «يُبَيِّنُ

(١) قوله: «بنية الاعتكاف»، الاعتكاف: هو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وهو سنة في كل وقت، ولا يختص بزمان إلا بالنذر، =

الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴿١٨٨﴾ ولا تأكلوا أموالكم بينكم ﴿١٨٨﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بالباطل﴾ الحرام شرعاً، كالسرقة والغصب ﴿و﴾ لا ﴿تُذَلُّوا﴾ تلقوا ﴿بها﴾ أي: بحكومتها [أي: بإقامة الدعوى بها باطلاً]، أو: بالأموال رشوة ﴿إلى الحكام لتأكلوا﴾ بالتحاكم ﴿فريقاً﴾ طائفة ﴿من أموال الناس﴾ متلبسين ﴿بالإثم وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون. ١٨٩ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿عن الأهلة﴾ جمع «هلال»: لم تبدو دقيقة، ثم تريد حتى تمتلئ نوراً، ثم تعود كما بدت، ولا تكون على حالة واحدة كالشمس؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿هي مواقيت﴾ جمع «مقات» للناس ﴿يعلمون﴾ بها أوقات زرعهم ومتاجرهم، وعدد نسايتهم، [جمع «عدة» أي: ليحصوا عدة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها]،

وصيامهم وإفطارهم ﴿والحج﴾ عطف على «الناس» أي: يعلم بها وقته، فلو استمرت على حالة [واحدة] لم يعرف ذلك ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ في الإحرام، بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون، وتركوا الباب، و[هم ناس من الأنصار] كانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برّاً ﴿ولكن البر﴾ أي: ذا البر ﴿من اتقى﴾ الله بترك مخالفته ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ في الإحرام كغيره ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ تفوزون. ١٩٠ ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام، وتجهز لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نزل: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿الذين يقاتلونكم﴾ من الكفار ﴿ولا تعتدوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ المتجاوزين ما حدَّ لهم، وهذا منسوخ بآية «براءة»: [وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً] ويقولوه: ١٩١ ﴿واقتلوه﴾ حيث ثقتهموهم ﴿وجدتهموهم﴾ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴿أي: من مكة، وقد فعلَ بهم ذلك عام الفتح﴾ والفتنة ﴿الشرك منهم﴾ أعظم ﴿من القتل﴾ لهم في الحرم، أو: الإحرام، الذي استعظمتهموهم ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ أي: في الحرم

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

اللَّهُ أَيَّتَنَّهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَأَتَا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ ۚ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ

﴿حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم﴾ فيه ﴿فاقتلوهم﴾ فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كذلك﴾ القتل والإخراج ﴿جزاء الكافرين﴾.

١٩٢ ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فإن الله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم. ١٩٣ ﴿وقاتلوهم حتى

= وأكده في شهر رمضان، وأكده اعتكافُ العشر الأواخر منه، فقد روى البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين»، والأيام العشرة هي العشر الأواخر من رمضان.

لا تكون ﴿فِتْنَةً﴾ توجب ﴿شُرَكَاءَ﴾ ويكون الدين ﴿العبادة﴾ لله وحده لا يعبد سواه ﴿فإن انتهوا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم، دل على هذا: ﴿فلا عدوان﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إلا على الظالمين﴾ ومن انتهى فليس بظالم، فلا عدوان عليه. ١٩٤ ﴿الشهر الحرام﴾ المحرم، مقابل ﴿بالشهر الحرام﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله، رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿والحرّمات﴾ جمع «حرمة» [وهو: ما يجب احترامه ﴿قصاص﴾ أي: يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ بالقتال في الحرم، أو: الإحرام، أو: الشهر الحرام ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سئى مقابله اعتداءً لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿واتقوا الله﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر.

الجزء الثاني

لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٦﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٧﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٨﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَكَمِلْ وَصَدَّاعٌ فَحَلِقُوا فِي الْإِحْرَامِ ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عَلَيْهِ ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ ثَلَاثَةِ أَصْعٍ مِنْ غَالِبِ قَوْتِ الْبَلَدِ، عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ ﴿أَوْ نَسْكَ﴾ أَي: ذَبْحِ شَاةٍ، وَ «أَوْ» لِلتَّخْيِيرِ، وَالْحَقُّ بِهِ مَنْ حَلَقَ لغير عذر، لَأَنَّهُ أَوَّلَى بِالْكَفَّارَةِ، وَكَذَا مَنْ اسْتَمْتَعَ بِغَيْرِ الْحَلْقِ، كَالطَّبِيبِ وَاللَّيْسِ وَالدهن لعذر، أو: غيره ﴿فَلِذَا أَمِتُمْ﴾ العدو، بَأَن ذَهَبَ، أو: لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ اسْتَمْتَعَ ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أَي: بسبب فراغه منها، بِمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أَي: إِلَى الْإِحْرَامِ بِهِ، بَأَن يَكُونَ أَحْرَمَ بِهَا فِي أَشْهُرِهِ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنْ الْهَدْيِ﴾

١٩٥ ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ طاعته، الجهاد وغيره ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ أي: أنفسكم، والباء زائدة ﴿إلى التهلكة﴾ الهلاك، بالإمساك عن النفقة في الجهاد، أو: تركه، لَأَنَّهُ يَقْوِي الْعَدُوَّ عَلَيْكُمْ ﴿وأحسنوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ أي: يشيهم.

١٩٦ ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ أذوهما بحقوقهما ﴿فإن أحصرتم﴾ مُنِعْتُمْ عَنْ إِتْمَامِهِمَا بِعُدْوَةٍ^(١) ﴿فما استيسر﴾ تيسر ﴿من الهدي﴾ عليكم، وهو: شاة ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ أي: لا تحللوا ﴿حتى يبلغ الهدي المذكور﴾ محلّه ﴿حيث يحل ذبحه﴾ وهو: مكان الإحصار عند الشافعي، فيذبح فيه بنية التحلل، ويفرق على مساكينه، ويحلّق، وبه يحصل التحلل ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾ كقمل وصداع، فحلّق في الإحرام ﴿ففدية﴾ عليه ﴿من صيام﴾ لثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ ثلثة أصع من غالب قوت البلد، على ستة مساكين ﴿أو نسك﴾ أي: ذبح شاة، و «أو» للتخير، والحق به من حلّق لغير عذر، لَأَنَّهُ أَوَّلَى بِالْكَفَّارَةِ، وَكَذَا مَنْ اسْتَمْتَعَ بِغَيْرِ الْحَلْقِ، كَالطَّبِيبِ وَاللَّيْسِ وَالدهن لعذر، أو: غيره ﴿فلإذا أمتم﴾ العدو، بَأَن ذَهَبَ، أو: لم يكن ﴿فمن تمتع﴾ اسْتَمْتَعَ ﴿بالعمرة﴾ أَي: بسبب فراغه منها، بِمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أَي: إِلَى الْإِحْرَامِ بِهِ، بَأَن يَكُونَ أَحْرَمَ بِهَا فِي أَشْهُرِهِ ﴿فما استيسر﴾ تيسر ﴿من الهدي﴾

عليه، وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به، والأفضل [أن يذبحها] يوم النحر ﴿فمن لم يجد﴾ الهدي، لفقده أو: فقد ثمنه ﴿فصيام﴾ أي: فعليه صيام ﴿ثلاثة أيام في الحج﴾ أي: في حال الإحرام به، فيجب حينئذ أن يُحْرَمَ قَبْلَ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْأَفْضَلُ قَبْلَ السَّادِسِ، لِكِرَاهَةِ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَلَا يَجُوزُ صَوْمُهَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ عَلَى أَصَحِّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ إِلَى وَطَنِكُمْ، مَكَّةَ أَوْ غَيْرَهَا، وَقِيلَ: إِذَا فَرَّغْتُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَفِيهِ الثَّقَاتُ عَنِ الْغَيْبَةِ ﴿تلك عشرة

(١) هذا على القول بأن الحصر يختص بالعدو، فمن أصابه مرض أو نحوه فلا شيء عليه.

كاملة ﴿ جملة تأكيد لما قبلها ﴾ ذلك ﴿ الحكم المذكور، من وجوب الهدي، أو: الصيام على مَنْ تمتع ﴾ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴿ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم، عند الشافعي، فإن كان [أهله حاضري المسجد الحرام]، فلا دم عليه ولا صيام، وإن تمتع، [والمرحلة: أربعة وعشرون ميلاً، والميل: أربعة آلاف خطوة]، وفي ذكر «الأهل» إشعار باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج، ولم يستوطن، وتمتع، فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني: لا، و«الأهل» كناية عن النفس، وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالثنية، القارن، وهو: مَنْ أحرم بالعمرة والحج معاً، أو: يُدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿ واتقوا الله ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ وأعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالفه.

١٩٧ ﴿ الحج ﴾ وقته ﴿ أشهر معلومات ﴾ شوال وذو القعدة، وعشر ليال من ذي الحجة، وقيل: كله ﴿ فمن فرض ﴾ على نفسه ﴿ فيهن الحج ﴾ بالإحرام به ﴿ فلا رفق ﴾ جماع فيه ﴿ ولا فسوق ﴾ معاص ﴿ ولا جدال ﴾ خصام ﴿ في الحج ﴾ [بالرفع مع التنوين في الثلاثة]، وفي قراءة بفتح الأولين (١)، والمراد في الثلاثة النهي ﴿ وما تفعلوا من خير ﴾ كصدقة ﴿ يعلمه الله ﴾ فيجازيكم به، ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلاً على الناس ﴿ وتزودوا ﴾ ما يُبلغكم لسفركم ﴿ فإن خير الزاد التقوى ﴾ ما يُتقى به سؤال الناس وغيره ﴿ واتقون يا أولي الألباب ﴾ ذوي العقول. ١٩٨ ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ في ﴿ أن تبتغوا ﴾ تطلبوا ﴿ فضلاً ﴾ رزقاً ﴿ من ربكم ﴾ بالتجارة في الحج، نزل ردّاً لكرامتهم ذلك ﴿ فإذا أفضتم ﴾ دفعتم ﴿ من عرفات ﴾ بعد الوقوف بها ﴿ فاذكروا الله ﴾ بعد المبيت بمزدلفة، بالتلبية والتهيل والدعاء ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ هو: جبل في آخر المزدلفة يقال له «قُزَح»، وفي الحديث: «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً» رواه مسلم ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل ﴿ وإن ﴾ مخففة ﴿ كنتم من قبله ﴾ قبل هداه ﴿ لمن الضالين ﴾ ١٩٩ ﴿ ثم أفيضوا ﴾ يا قريش [وهو عامٌ لجميع من حج] ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ أي: من عرفة، بأن تقفوا بها معهم،

سُورَةُ التَّوْبَةِ

كاملة ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ واتقوا الله وأعلموا أن الله شديد العقاب ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ﴿ يتأول الألباب ﴾ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ

وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم، و«ثم» للترتيب في الذكر ﴿ واستغفروا الله ﴾ من ذنوبكم ﴿ إن الله غفور ﴾ للمؤمنين ﴿ رحيم ﴾ بهم. ٢٠٠ ﴿ فإذا قضيتُم ﴾ أدبتم ﴿ مناسككم ﴾ عبادات حجكم، بأن رميتم جمره العقبة، وطفتم، واستقررتم بمنى ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتكبير والثناء ﴿ كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿ أو أشد ذكراً ﴾ من ذكركم إياهم ونُصِبَ «أشد» على الحال من «ذكراً» المنصوب بـ «اذكروا»، إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا ﴾ نصيبنا ﴿ في الدنيا ﴾ فيؤتاه فيها ﴿ وما له

(١) قوله: «بفتح الأولين» صوابه: «برفع الأولين» منوأمع بناء الثالث على الفتح. فهذه قراءة، وفي قراءة أخرى، ببناء الثلاثة على الفتح.

في الآخرة من خلاق [أي: نصيب. ٢٠١] ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ هي: الجنة ﴿وقنا عذاب النار﴾ بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون، ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله:

٢٠٢ ﴿أولئك لهم نصيب﴾ ثواب ﴿من﴾ أجل ﴿ما كسبوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿والله سريع الحساب﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

٢٠٣ ﴿واذكروا الله﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿في أيام معدودات﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فمن

تعجل﴾ أي: استعجل بالتفكير من منى ﴿في يومين﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فلا إثم عليه﴾ بالتعجيل ﴿ومن تأخر﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فلا إثم عليه﴾ بذلك، أي: هم مخيرون في ذلك، ونفي الإثم ﴿لمن اتقى﴾ الله في حجه، لأنه الحاج في الحقيقة ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٠٤ ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ أنه موافق لقوله ﴿وهو ألد الخصام﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك، لعداوته لك، وهو الأخنس بن شريق، كان منافقاً حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحبه له، فيذني مجلسه، فأكذبه الله في ذلك، ومر بزرع وحمر [أي: حمير] لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى:

٢٠٥ ﴿وإذا تولى﴾ انصرف عنك ﴿سعى﴾ مشى ﴿في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾ من جملة الفساد ﴿والله لا يحب الفساد﴾ أي: لا يرضى به.

٢٠٦ ﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ في فعلك ﴿أخذته العزة﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بالإثم﴾ الذي أمر باتقائه ﴿فحسبه﴾ كافيه

اللَّهُ الْبَاقِي

فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٢﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٣﴾ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٧﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

٢٠٧ ﴿ومن الناس من يشري﴾ يبيع ﴿نفسه﴾ أي: يبذلها في طاعة الله ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضاة الله﴾ رضاه، وهو «صهيب»، لما آذاه المشركون، هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿والله رؤوف

(١) قوله: «الحديث بذلك». لقد سها الجلال السيوطي رحمه الله، في وصفه نصف النهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، ولقد بينا ذلك مفصلاً في تعليقنا ص ٣٣٧، فارجع إليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري﴾ الآية، أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: لما خرج =

بالعباد ﴿ حيث أرشدهم لما فيه رضاه . ٢٠٨ ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه ، لَمَّا عَظُمُوا السَّبْتَ ، وَكَرِهُوا الْإِبْلَ ، [حيث حَرَّمُوا أَكْلَ لَحُومِهَا وَشَرَبَ أَلْبَانِهَا] بعد الإسلام : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ﴾ ^(١) بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿ كافة ﴾ حال من «السِّلْم» ، أي : في جميع شرائعه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ ﴾ طرق ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ أي : تزيينه بالتفريق ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ بيِّن العداوة . ٢٠٩ ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ ﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتِ ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه . ٢١٠ ﴿ هَلْ ﴾ ما ينظرون ﴿ يَنْتَظِرُونَ ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : أمره ، كقوله : «أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ» أي : عذابه ﴿ فِي ظِلِّ ﴾ جمع «ظلة» ﴿ مِنْ الْعِغَمِ ﴾ السحاب ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ وقضي الأمر ﴿ تَمَّ أَمْرُ هَلَاقِهِمْ ﴾ وإلى الله تُرْجَعُ الأمور ﴿ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ ، فِي الْآخِرَةِ ، فِيجَازِي [كُلًّا بِعَمَلِهِ] .

٢١١ ﴿ سَلِّ ﴾ يا محمد ﴿ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ تبيكتا [وَالْزِمَامَ لَهُمْ بِالْحِجَةِ] ﴿ كَمْ أَتَيْنَاهُمْ ﴾ «كم» استفهامية ، معلقة «سَلِّ» عن المفعول الثاني ، وهي [أي : «كم»] ، ثاني مفعولي «آتينا» ، ومميّزها [قوله] : ﴿ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ ظاهرة ، كفلق البحر ، وإنزال المن والسلوى ، فبدّلوها كفراً ﴿ وَمَنْ يبدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ أي : ما أنعم به عليه من الآيات ، لأنها سبب الهداية ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ كفراً ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ له .

٢١٢ ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من أهل مكة [وغيرها] ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿ وَهُمْ ﴾ هم ﴿ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لفقرهم ، كبلال وعمار وصهيب ، أي : يستهزئون بهم ، ويتعالون عليهم بالمال ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الشرك ، وهم هؤلاء [الفقراء] ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿ أَي : رِزْقًا وَاسِعًا فِي الْآخِرَةِ ، أَوْ : الدُّنْيَا بَأَن يَمْلِكُ الْمَسْخُورُ مِنْهُمْ أَمْوَالَ السَّاخِرِينَ وَرِقَابَهُمْ . ٢١٣ ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ على الإيمان ، فاختلفوا ، بَأَن آمَنَ بَعْضُ ، [أي : دام على إيمانه] ، وكفر بَعْضُ ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾ إليهم ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ مَنْ آمَنَ بِالْجَنَّةِ ﴿ وَمُنْذِرِينَ ﴾ مَنْ كَفَرَ بِالنَّارِ ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿ لِيُحْكَمَ ﴾ به ﴿ بَيْنَ النَّاسِ ﴾

النبي ﷺ إلى المدينة همت بالخروج ، فصدني قتيان من قريش ، ثم خرجت ، فلحقني منهم ناس بعد ما سرت بريداً ليردوني ، فقلت لهم : هل لكم أن أعطيكم أوقية من ذهب وتخلوا سبيلي ؟ ففعلوا ، فقلت : احفروا تحت أشكفة الباب — أي : عتبته — فإن تحتها الأوقية ، وخرجت حتى قدمت رسول الله ﷺ وهو في قُبَاء قبل أن يتحول منها ، فلما رأني قال : «يا أبا يحيى ربح البيع» . ثم تلا هذه الآية ، و «البريد» : مسافة اثني عشر ميلاً .
(١) قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ الآية ٢٠٨ ، هذا نهى عام راضع عن تخيير بعض الأحكام بالعمل بها بطريق الشهية والاستسباب اتباعاً للهوى ، بل الواجب على المسلم أن يأخذ بالشرع الحنيف كله ، مع الرضا والتسليم بحكم الله تعالى ، واعتقاد أحقيته على كل حال .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلٍِّ مِّنَ الْعِغَمِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ؕ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ

فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿۲۱۴﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿۲۱۴﴾ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ ﴿۲۱۴﴾ أَي: الدِّينِ ﴿۲۱۴﴾ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ ﴿۲۱۴﴾ أَي: الْكِتَابَ، فَمِنْ بَعْضٍ وَكَفَرَ بَعْضٌ ﴿۲۱۴﴾ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴿۲۱۴﴾ الْحُجُجُ الظَّاهِرَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَ «مَنْ» مُتَعَلِّقَةٌ بِ«اخْتَلَفَ»، وَهِيَ وَمَا بَعْدَهَا مَقْدَمٌ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَعْنَى، [فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: «وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ»] ﴿۲۱۴﴾ بَغْيًا ﴿۲۱۴﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿۲۱۴﴾ بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ﴿۲۱۴﴾ لِلْبَيَانِ ﴿۲۱۴﴾ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴿۲۱۴﴾ بِإِرَادَتِهِ ﴿۲۱۴﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿۲۱۴﴾ هِدَايَتَهُ ﴿۲۱۴﴾ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿۲۱۴﴾ طَرِيقَ الْحَقِّ.

٢١٤ ونزل في جهْدٍ - [بفتح الجيم: «مشقة»] - أصاب المسلمين [يوم الأحزاب، حيث أصاب النبي ﷺ

الْبَيِّنَاتُ

فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿۲۱۴﴾ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ ﴿۲۱۴﴾ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ﴿۲۱۴﴾ ءَامَنُوا لَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿۲۱۴﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ ﴿۲۱۴﴾ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿۲۱۴﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الدِّينُ وَالْآقَرِينَ ﴿۲۱۴﴾ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿۲۱۵﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿۲۱۶﴾

وَأَصْحَابَهُ بَلَاءٌ شَدِيدٌ بَعْدَ حَصَارِ الْمَدِينَةِ]:
﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا ﴿۲۱۴﴾ لَمْ يَأْتِكُمْ مَثَلٌ ﴿۲۱۴﴾ شَبَّهُ مَا أَتَى ﴿۲۱۴﴾ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿۲۱۴﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُحَنِّ، فَتَصَبَّرُوا كَمَا صَبَرُوا ﴿۲۱۴﴾ مَسْتَهْمُ ﴿۲۱۴﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ مِثْلَةُ مَا قَبْلَهَا ﴿۲۱۴﴾ الْبَاسَاءِ ﴿۲۱۴﴾ شِدَّةُ الْفَقْرِ ﴿۲۱۴﴾ وَالضَّرَّاءِ ﴿۲۱۴﴾ الْمَرَضُ ﴿۲۱۴﴾ وَزُلْزَلُوا ﴿۲۱۴﴾ أَزْعَجُوا بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ﴿۲۱۴﴾ حَتَّى يَقُولَ ﴿۲۱۴﴾ بِالنَّصَبِ وَالرَّفْعِ، أَي: قَالَ ﴿۲۱۴﴾ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴿۲۱۴﴾ اسْتِبْطَاءٌ لِلنَّصْرِ، لِتَنْهَاهِ الشَّدَّةَ عَلَيْهِمْ: ﴿۲۱۴﴾ مَتَى يَأْتِي ﴿۲۱۴﴾ نَصْرُ اللَّهِ ﴿۲۱۴﴾ الَّذِي وَعَدْنَاهُ؟، فَاجِيبُوا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ ﴿۲۱۴﴾ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿۲۱۴﴾ إِيْتِيَانُهُ.

٢١٥ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿۲۱۵﴾ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴿۲۱۵﴾ أَي: [مَا] الَّذِي يُنْفِقُونَهُ، وَالسَّائِلُ: عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ، وَكَانَ شَيْخًا ذَا مَالٍ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَاذَا يُنْفِقُ، وَعَلَى مَنْ يُنْفِقُ؟ ﴿۲۱۵﴾ قُلْ لَهُمْ ﴿۲۱۵﴾ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ ﴿۲۱۵﴾ بَيَانٌ لـ «مَا»، شَامِلٌ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَفِيهِ بَيَانٌ [الشَّيْءِ] الْمُتَّفَقِ، الَّذِي هُوَ أَحَدُ شَقِي السُّؤَالِ، وَأَجَابَ عَنِ الْمَصْرَفِ الَّذِي هُوَ الشُّقُّ الْآخِرُ بِقَوْلِهِ: ﴿۲۱۵﴾ فَلِللَّهِ الدِّينَ وَالْآقَرِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿۲۱۵﴾ أَي: هُمْ أَوْلَىٰ بِهِ ﴿۲۱۵﴾ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ﴿۲۱۵﴾ إِنْشَاقٌ، أَوْ: غَيْرُهُ ﴿۲۱۵﴾ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿۲۱۵﴾ فَمَجَازٌ عَلَيْهِ.

٢١٦ ﴿كُتِبَ﴾ فُضِّضَ ﴿۲۱٦﴾ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴿۲١٦﴾ لِلْكَفَّارِ ﴿۲١٦﴾ وَهُوَ كُرْهُ ﴿۲١٦﴾ مَكْرُوهٌ ﴿۲١٦﴾ لَكُمْ ﴿۲١٦﴾ طَبْعًا، لِمَشَقَّتِهِ ﴿۲١٦﴾ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿۲١٦﴾ لِمِيلِ النَّفْسِ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْمَوْجِبَةِ لِهَلَاكِهَا، وَتَفَوُّرِهَا عَنِ التَّكْلِيفَاتِ الْمَوْجِبَةِ لِسَعَادَتِهَا، فَلَعَلَّ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ - وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ - خَيْرًا، لِأَن فِيهِ: إِقَامَةُ الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةُ، أَوْ: الشَّهَادَةُ وَالْأَجْرُ، وَفِي تَرْكِهِ - وَإِنْ أَحْبَبْتُمُوهُ - شَرًّا، لِأَن فِيهِ: الدَّلُّ وَالْفَقْرُ وَحَرَمَانُ الْأَجْرِ ﴿۲١٦﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴿۲١٦﴾ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿۲١٦﴾ ذَلِكَ، فَبَادِرُوا إِلَى مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ.

٢١٧ وأرسل النبي ﷺ أول سراياه، وعليها عبد الله بن جحش، فقاتلوا المشركين، وقتلوا [عمرو] بن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة، والتبس عليهم برجب، فعيرهم الكفار باستحلاله، فنزل: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ المحرم ﴿قتال فيه﴾ بدل اشتغال ﴿قل﴾ لهم ﴿قتال فيه كبير﴾ عظيم وزراً [أي: هو وزر عظيم]، مبتدأ وخبر ﴿وصلد﴾ مبتدأ، منع للناس، ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿وكفر به﴾ بالله ﴿و﴾ صد عن ﴿المسجد الحرام﴾ أي: مكة ﴿واخراج أهله منه﴾ وهم: النبي ﷺ والمؤمنون، [الذين أخرجهم كفار مكة منها بغير حق، فهاجروا إلى المدينة]، وخبر المبتدأ: ﴿أكبر﴾ أعظم وزراً ﴿عند الله﴾ من القتال فيه ﴿والفتنة﴾ الشرك [بالله] منكم ﴿أكبر من القتل﴾ لكم فيه ﴿ولا يزالون﴾ أي: الكفار ﴿يقاتلونكم﴾ أيها المؤمنون ﴿حتى﴾ كي

يردوكم عن دينكم ﴿إلى الكفر﴾ إن استطاعوا ومن يرتدد^(١) منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت ﴿بطلت﴾ أعمالهم ﴿الصالحة﴾ في الدنيا والآخرة ﴿فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقيد بالموت عليه يفيد: أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله، فيشأب عليه ولا يعيده، كالحج مثلاً، وعليه الشافعي﴾ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٢١٨ ولما ظن السرية [أي: أفراد سرية عبد الله بن جحش، المذكورة في الآية السابقة] أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر، نزل: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾ لإعلاء دينه ﴿وأولئك يرجون رحمة الله﴾ ثوابه ﴿والله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم. ٢١٩ يسألونك عن الخمر والميسر ﴿القمار، ما حكمهما؟﴾ قل ﴿لهم﴾ ﴿فيهما﴾ أي: تعاطيها ﴿إثم كبير﴾ عظيم، وفي قراءة بالمثلثة [كثير]، لما يحصل بسببها من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿ومنافع للناس﴾ باللذة^(٢) والفرح في الخمرة، وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿وإثمهما﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفسد ﴿أكبر﴾ أعظم ﴿من نفعهما﴾ ولما نزلت [هذه الآية]، شربها قوم وامتنع آخرون، إلى أن حرمتها آية «المائدة» ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ أي: ما قدره ﴿قل﴾ أنفقوا ﴿المفوق﴾

أي: الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيّعوا أنفسكم، وفي قراءة بالرفع بتقدير «هو» ﴿كذلك﴾ أي: كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم﴾، سيأتي تعليق مهم حول «الردة» وأسبابها ص ٣٦٠.

(٢) قول المؤلف: «باللذة والفرح في الخمر» تفسير لا وجه له لمنافع الخمر، لأن ما يشعر به السكران ليس لذة ولا فرحاً، ولكنها حالة فقدان الوعي والاتزان، حيث يتحول شارب الخمر في سكره إلى مجنون مؤقت، وما يصدر عن المجنون لا يعتبر في نظر العقلاء سعادة، =

٢٢٠ ﴿فِي﴾ أمر ﴿الدنيا والآخرة﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم، فإن أكلوهم يأثموا، وإن عزلوا مالهم من أموالهم، وصنعوا لهم طعاماً وحدهم، فخرج ﴿قل إصلاح لهم﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خير﴾ من ترك ذلك ﴿وإن تخالطوهم﴾ أي: تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه، أي: فلكم ذلك ﴿والله يعلم المفسد﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿من المصلح﴾ بها فيجازي كلا منهما ﴿ولو شاء الله لأعتكم﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إن الله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في صنعه. ٢٢١ ﴿ولا تنكحوا﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿المشركات﴾ أي: الكافرات ﴿حتى يؤمن﴾

البقرة

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴿حرّة﴾، لأن سبب نزولها: العيب على من ﴿١﴾ تزوج أمة، وترغيبه في نكاح حرّة مشركة ﴿ولو أعجبكم﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ ﴿ولا تنكحوا﴾ تزوجوا ﴿المشركين﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ لماله وجماله ﴿أولئك﴾ أي: أهل الشرك ﴿يدعون إلى النار﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها، فلا تليق مناكتهم ﴿والله يدعو﴾ على لسان رسله ﴿إلى الجنة والمغفرة﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بإذنه﴾ بإرادته، فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون. ٢٢٢ ﴿أخرج مسلم والترمذي وغيرهما: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم، أخرجوها من البيت ولم يواكلوها، ولم يجتمعوا معها في البيوت، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزل: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أي: الحيض، أو: مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿قل هو أذى﴾ قذر، أو: محلّه ﴿فاعتزلوا النساء﴾ اتركوا وطأهن ﴿في المحيض﴾ أي: وقته، أو: مكانه ﴿ولا تقربوهن﴾ بالجماع ﴿حتى يطهرن﴾ بسكون الطاء، وتشديدها والهاء، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، أي: يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فإذا تطهرن فأتوهن﴾ بالجماع ﴿من حيث أمركم الله﴾ بتجنبه في الحيض، وهو القبل، ولا تعدّوه إلى غيره ﴿إن الله يحب﴾ يثيب ويكرم ﴿التوابين﴾ من الذنوب ﴿ويحب المتطهرين﴾ من الأقدار. ٢٢٣ ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي: محل زرعكم الولد.

= والقول الصحيح في معنى «المنافع»: إنها «الريح»، فإن العرب كانوا يجلبون الخمر من الشام برخص، فيبيعونها في الحجاز بريح، وكان طالب الخمر يشتريها بثمان غلال، فالمنافع المشار إليها في الآية هي مالية بحتة، أرجع إلى تعليقنا حول «تحريم الخمر والميسر» ص ١٥٥.
(١) قوله: «العيب على من تزوج أمة... إلخ»، هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، كانت عنده أمة سوداء فأعتقها وتزوجها، فأبوا عليه ذلك وعابوه، هذا وقد أجمع المسلمون، على أنه لا يحل ولا يجوز أن يتزوج المرأة المسلمة إلا مسلم، فمن أنكر ذلك فهو مرتد.

﴿فَاتُوا حُرَّتْكُمْ﴾ أي: محلّه وهو: القُبْلُ ﴿أَنْتَى﴾ كيف ﴿شْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، نزل رداً لقول اليهود: مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي قُبْلِهَا، أي: من جهة دُبُرِهَا، جاء الولد أحوْلٌ ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح، كالسمية عند الجماع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيهِ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ﴾ بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه، بالجنة. ٢٢٤ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلف به ﴿عَرْضَةً﴾ علة مانعة ﴿لَايْمَانِكُمْ﴾ أي: نُصْباً لها [أي: غَرْضاً مانعاً من فعل الخير]، بأن تُكثروا الحلف به ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبْرُوا وَتَتَّقُوا﴾ فتُكَرَّه اليمين على ذلك، ويسنُّ فيه الحنث ويكفِّر، بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البر ونحوه، إذا حلفتُم عليه، بل اتقوه وكفروا، لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

٢٢٥ ﴿لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي﴾ أيمانكم وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو: لا والله، وبلى والله، فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصده من الأيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

٢٢٦ ﴿لِلَّذِينَ يُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرْبِصَ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فإن فاقوا رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى البوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

٢٢٧ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه بأن لا يفيشوا فليُتَرَقَّعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم، المعنى: ليس لهم بعد ترئص ما ذُكر، إلا الفينة أو الطلاق.

٢٢٨ ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق، جمع ﴿قُرْءٍ﴾ بفتح القاف وهو: الطهر، أو: الحيض، قولان، وهذا في المدخول بهن، أما غيرهن، فلا عدة عليهن، لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَةٍ﴾، وفي غير الآية والصغيرة، فعدتهن ثلاثة

أشهر، والحوامل، فعدتهن أن يضعن حملهن، كما في «سورة الطلاق»، والإماء، فعدتهن قرءان بالثنية [كما سيأتي ص ٤٨] ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ﴾ أشهر، والحوامل، فعدتهن أن يضعن حملهن، كما في «سورة الطلاق»، والإماء، فعدتهن قرءان بالثنية [كما سيأتي ص ٤٨] ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما، لا إضرار المرأة، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و[قوله:] «أحق» لا تفضيل فيه، إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿ولهنَّ﴾ على الأزواج ﴿مثل الذي﴾ لهم ﴿عليهنَّ﴾ من الحقوق ﴿بالمعروف﴾ شرعاً، من حسن العشرة، وترك الضرر، ونحو ذلك ﴿وللرجال عليهنَّ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

فَاتُوا حُرَّتْكُمْ أَنْتَى شْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عَرْضَةً لَأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لِلَّذِينَ يُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

درجة ﴿ففضيلة في الحق، من وجوب طاعتهم لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق﴾ والله عزيز ﴿في ملكه﴾ حكيم ﴿فيما دبره لخلقهم﴾.

٢٢٩ ﴿الطلاق﴾ أي: التطلق الذي يراجع بعده ﴿مرتان﴾ أي: اثنتان ﴿فإمساك﴾ أي: فعليكم إمساكن بعده بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرار ﴿أو تسريح﴾ أي: إرسال لهن ﴿بإحسان ولا يحل لكم﴾ أيها الأزواج ﴿أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ من المهور ﴿شيئاً﴾ إذا طلقتموهن ﴿إلا أن يخافا﴾ أي: الزوجان ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ أي: أن لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق، وفي قراءة ﴿يخافا﴾ بالبناء للمفعول [أي: من قبل ولاية الأمور] فـ ﴿أن لا يقيما﴾ بدل اشتغال من الضمير فيه، وقرئ [شدوذاً] بالفوقانية في الفعلين ﴿فإن خفتم﴾ ن ﴿لا يقيما﴾ حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴿نفسها﴾ من المال ليطلقها، أي: لا حرج على الزوج في أخذه، ولا [على] الزوجة في بذله ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله﴾ فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون.

الجزء الثاني

دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَكَحَّ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُنَّ قَارِنٌ انْقِضَاءُ عِدَّتِهِنَّ ﴿فأمسكوهن﴾ بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرار ﴿أو سرحوهن﴾ بمعروف ﴿اتركوهن حتى تنقضي عدتهن﴾ ولا تمسكوهن بالرجعة ﴿ضراراً﴾ مفعول له ﴿لتعتمدوا﴾ عليهن، بالإلجاء إلى الافتداء، والتطليق، وتطويل الحبس ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ [بالهمزة، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً، أي: مهزوءاً بها بمخالفتها].

٢٣٠ ﴿فإن طلقها﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فلا تحل له من بعد﴾ [أي: من بعد] الطلقة الثالثة ﴿حتى تنكح﴾ تزوج ﴿زوجاً غيره﴾ ويطأها كما في الحديث، رواه الشيخان^(١) ﴿فإن طلقها﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أن يتراجعا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك﴾ المذكورات ﴿حدود الله﴾ بينها لقوم يعلمون يتدبرون.

٢٣١ ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرار ﴿أو سرحوهن﴾ بمعروف ﴿اتركوهن حتى تنقضي عدتهن﴾ ولا تمسكوهن بالرجعة ﴿ضراراً﴾ مفعول له ﴿لتعتمدوا﴾ عليهن، بالإلجاء إلى الافتداء، والتطليق، وتطويل الحبس ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ [بالهمزة، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً، أي: مهزوءاً بها بمخالفتها].

(١) قوله: «رواه الشيخان» أي: وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبنت طلاق، فتزوجني عبد الرحمن بن الزبير، وما معه إلا مثل هذبة الثوب - أي: عتيباً - فبسم النبي ﷺ فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟» لا... حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. هذا ويجب أن يكون النكاح الثاني مقصوداً لذاته، لا لتحليل المرأة للزوج الأول، فإن قصد به التحليل، كان الطرفان أئمين بالإجماع، مع خلاف في صحة العقد، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لعن الله المحلل والمحلل له» رواه الشافعي والترمذي.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعْظُمُكُمْ بِهِ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

٢٣٢ ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاباً للأولياء، أي: [فلا] تمنعهن من ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلقات لهن، لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار، طلقها زوجها [ولم يراجعها حتى انقضت عدتها]، فأراد أن يراجعها، فمنعها معقل بن يسار، [فلما نزلت هذه الآية قال معقل: «سَمِعْتُ لِرَبِيِّ وَطَاعَةً»، ثم دعاه فقال: أَزْوَاجُكَ وَأَكْرَمُكَ]، كما رواه الحاكم [والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم] ﴿وَإِذَا تَرْضَاؤُهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً^(١) ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن العضل

﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المستفاد به ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك العضل ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم [أي: للأزواج]، لما يُخْشَى على الزوجين من الزينة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فاتبعوا أمره.

٢٣٣ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي: لِإِئْرَاضِغْنَ ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ﴾ عامين ﴿كَامِلِينَ﴾ صفة مؤكدة، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^(٢) ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع، إذا كُنَّ مَطْلُقاتٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا﴾ بسببه، بأن تُكْرَهَ على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضارُّ ﴿مَوْلُودُ لَهُ﴾ بولده. أي: بسببه، بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة «الولد» إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارث الأب وهو الصبي، أي: على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فَصَالَا﴾ فطاماً له قبل الحولين، صادراً ﴿عَنْ تَرْضَاؤِهِمَا﴾ اتفاقاً ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما، لتظهر مصلحة

الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضع غير الوالدات.

شُرُوحُ الْبَقَرَةِ

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ^١ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٢٣٢) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^٢ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^٣ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ^٤ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٢٣٣) * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ^٥ كَامِلِينَ^٦ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرَّضَاعَةَ^٧ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^٨ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا^٩ لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ^{١٠} وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ^{١١} فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ^{١٢} فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا^{١٣} وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ^{١٤}

(١) قوله: «شرعاً» أشار بذلك إلى أن المعروف ما عرفه الشرع وجاء به، والمنكر ما أنكره ونهى عنه، أرجع إلى تعليقنا حول معناها

(٢) قوله تعالى: «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرَّضَاعَةَ» أرجع إلى تعليقنا حول «الرضاعة وحكمها» ص ٧٤٩.

﴿فَلا جناح عليكم﴾ فيه ﴿إذا سلمتم﴾ إليهن ﴿ما آتيتن﴾ أي: أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بالمعروف﴾ بالجميل، كطيب النفس ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٣٤ ﴿والذين يتوفون﴾ يموتون ﴿منكم ويذرون﴾ يتركون ﴿أزواجاً يترصدن﴾ أي: ليرصدن ﴿بأنفسهن﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن أن يضعن حملهن، بآية [سورة] «الطلاق» [وهي قوله تعالى: «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن»]، والأمة على النصف من ذلك بالسنة^(١) ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ انقضت عدة ترصدن ﴿فلا جناح عليكم﴾ أيها الأولياء ﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ من التزئذير والتعرض للخطاب ﴿بالمعروف﴾ شرعاً ﴿والله بما تعملون خبير﴾ عالم بباطنه كظاهره.

البقرة

فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ أَنْكَرُ سَدِّ كُرُونِهِنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ وَفِي قِرَاءَةِ «تَمَاشُوهُنَّ» [بضم التاء]، أي: تجامعوهُنَّ ﴿أو﴾ لم ﴿تفرضوا لهن فريضة﴾ مهراً، و«ما» مصدرية ظرفية، أي: لا تبعه عليكم في الطلاق - زمن عدم المسيس والفرص - بإئس ولا مهر، فطلقوهن ﴿ومتعوهُن﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿على الموسع﴾ الغني منكم

٢٣٥ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم﴾ لو حتم ﴿به من خطبة النساء﴾ المتوفى عنهن أزواجهن، في العدة، كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك؟ ورُبَّ راغب فيك ﴿أو أكننتم﴾ أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من قصد نكاحهن ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ بالخطبة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ أي: نكاحاً ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ أي: ما عرف شرعاً من التعريض، فلكم ذلك، ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي: على عقده ﴿حتى يبلغ الكتاب﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أجله﴾ بأن ينتهي ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ من العزم وغيره ﴿فاحذروه﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿واعلموا أن الله غفور﴾ لمن يحذره ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

٢٣٦ ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ وفي قراءة «تَمَاشُوهُنَّ»، [بضم التاء]، أي: تجامعوهُنَّ ﴿أو﴾ لم ﴿تفرضوا لهن فريضة﴾ مهراً، و«ما» مصدرية ظرفية، أي: لا تبعه عليكم في الطلاق - زمن عدم المسيس والفرص - بإئس ولا مهر، فطلقوهن ﴿ومتعوهُن﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿على الموسع﴾ الغني منكم

(١) قول المصنف: «والأمة على النصف من ذلك بالسنة». قد يفهم منه ثبوت كون عدة الأمة المتوفى عنها زوجها، نصف عدة الحرة بالسنة أيضاً. وهذا المعنى غير مراد، لأنه لم يثبت ذلك في السنة، بل الوارد فيها بيان عدة الأمة المطلقة، في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان» رواه الدارقطني موقوفاً وأخرجه مرفوعاً وضعتوه، وأخرجه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام: فاتفقوا على ضعفه.

﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ الرِّزْقُ﴾ ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قَدَرِ الزوجة ﴿مَتَاعاً﴾ تمتعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، صفة «مَتَاعاً» ﴿حَقّاً﴾ صفة ثانية، أو: مصدر مؤكّد ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين. ٢٣٧ ﴿وإن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴿يَجِبُ لَهُنَّ﴾ ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: الزوجات فيتركه ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج، فيترك لها الكل، وعن ابن عباس: [أو يعفو] الولي إذا كانت محجورة، فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به. ٢٣٨ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها. ﴿وَالصَّلَاةُ الْوَسْطَى﴾ هي: العصر، أو: الصبح، أو: الظهر، أو: غيرها أقوال [أقواها الأول، لما أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود قال: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرَّت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملائكة أجوافهم وقبورهم ناراً»]، وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَانِتِينَ﴾ قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كل قنوت في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره، وقيل: ساكتين، لحديث زيد بن أرقم: «كنا نتكلم في الصلاة، حتى نزلت، فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام» رواه الشيخان.

٢٣٩ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو، أو: سيل، أو: سُبُع ﴿فَرَجَالاً﴾ جمع «رجل» أي: مُشَاةً صَلَواً ﴿أَوْ رُكْبَاناً﴾ جمع «راكب»، أي: كيف أمكن، مستقبل القبله أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى «مثل»، و«ما» مصدرية، أو: موصولة.

٢٤٠ ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَةً﴾ [بالنصب]، وفي قراءة بالرفع، أي: عليهم [وصية] ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ وليعطوهم ﴿مَتَاعاً﴾ ما يتمتعن به من النفقة

والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال، أي: غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعاً، كالتزوين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث: [«ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد»]. وترئص الحول [منسوخ] بآية [البقرة] - ٢٣٤ - «يتربصن بأنفسهن» أربعة أشهر وعشراً السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة عند الشافعي رحمه الله. ٢٤١ ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ﴾ يُعْطِيَنَّهُ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقّاً﴾ نُصِبَ بفعله المقدر ﴿عَلَى

سُورَةُ النِّسَاءِ

قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤٠﴾ وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤١﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى

المتقين ﴿الله تعالى﴾، كَرَّرَهُ لِيَعْمَ الْمَمْسُوسَةُ أَيْضًا، إِذِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ فِي غَيْرِهَا. ٢٤٢ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما يبين لكم ما ذكر
 ﴿يَبِينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ٢٤٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي: [ألم]
 ينته علمك ﴿إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾ أربعة، أو: ثمانية، أو: عشرة [آلاف]، أو: ثلاثون، أو:
 أربعون، أو: سبعون ألفاً ﴿حذر الموت﴾ مفعول له، وهم: قومٌ من بني إسرائيل، وقع الطاعون ببلادهم ففروا^(١)
 ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ فماتوا ﴿ثم أحياهم﴾ بعد ثمانية أيام، أو: أكثر، بدعاء نبيهم حزقيل — بكسر المهملة والقاف
 وسكون الزاي — فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت^(٢)، لا يلبسون ثوباً إلا أعاد كالكفن، واستمرت في أسباطهم [كذا قيل،
 من غير دليل] ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾

الْمُرَّةِ الثَّانِي

الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
 وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْفُلَّانِ مِنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
 مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ
 أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
 أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

ومنه إحياء هؤلاء ﴿ولكن أكثر الناس﴾ والكفار
 الكفار ﴿لا يشكرون﴾ والقصد من ذكر خبر
 هؤلاء، تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عطف
 عليه: ٢٤٤ ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي: لإعلاء
 دينه ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾
 بأحوالكم، فيجازيكم. ٢٤٥ ﴿من ذا الذين﴾
 يقرض الله ﴿بإففاق ماله في سبيل الله﴾ قرضاً
 حسناً ﴿بأن ينفقه الله عز وجل عن طيب قلب﴾
 ﴿فيضاعفه﴾ وفي قراءة ﴿فيضعفه﴾ بالتشديد ﴿له﴾
 أضعافاً كثيرة ﴿من عشر إلى أكثر من سبعمائة﴾،
 كما سيأتي [في الآية ٢٦١] ﴿والله يقبض﴾
 يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً ﴿ويبسط﴾
 [بالصاد والسين، أي: يوسع له لمن يشاء امتحاناً
 ﴿والله ترجعون﴾ في الآخرة بالبعث، فيجازيكم
 بأعمالكم.

٢٤٦ ﴿ألم تر إلى الملا﴾ الجماعة ﴿من﴾
 بني إسرائيل من بعد موت ﴿موسى﴾ أي: [ألم]
 ينته علمك [إلى قصتهم وخبرهم] ﴿إذ قالوا لنبي﴾
 لهم ﴿هو: شموئيل﴾ ﴿أبعث﴾ أقم ﴿لنا ملكاً﴾
 نقاتل معه ﴿في سبيل الله﴾ تنتظم به كلمتنا
 ونرجع إليه ﴿قال﴾ النبي لهم ﴿هل عسيتم﴾
 بالفتح والكسر ﴿إن كتب عليكم القتال﴾ ن
 ﴿لا تقاتلوا﴾ خبر «عسى»، والاستفهام لتقرير
 التوقع بها ﴿قالوا وما لنا﴾ ن ﴿لا نقاتل في﴾
 سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بسبيهم

وقتلهم، وقد فعلَ بهم ذلك قومٌ جالوت، أي: لا مانع منه مع وجود مقتضيه، قال تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾
 ﴿تولوا﴾ عنه وجبوا.

(١) قوله: «وقع الطاعون ببلادهم ففروا»، وقيل: دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا من وجه عدوهم حذر الموت، وهذا القول أقرب، يؤيده ما يشير
 إليه قوله تعالى: ﴿وهم ألوف﴾ أي: خافوا من القتال وهم كثر، والفرار من الطاعون لا يستدعي الإشارة إلى أنهم ألوف.
 (٢) قوله: «فماشوا دهرًا عليهم أثر الموت»، إلى قوله: «واستمرت في أسباطهم». فيه مبالغة لا دليل عليها.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم: الذين عبروا النَّهْرَ مع طالوت كما سيأتي [في الآية ٢٥٠] ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمجازيهم، وسأل النبي [المذكور في الآية السابقة]، رَبِّهِ إِرْسَالَ مَلِكٍ، فأجابه إلى إِرْسَالِ طالوت.

٢٤٧ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دَبَّاعًا أَوْ رَاعِيًا ﴿وَلَمْ يَوُثْ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ [بالسين والصاد، أي: سعة] ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ، وأجملهم وأتمهم خَلْقًا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ شِئَاءٍ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ شِئَاءٍ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

٢٤٨ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء^(١)، أنزله الله على آدم واستمر إليهم، فغلبتهم العمالة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه، كما قال تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ أي: تركاهما، وهي: نعل موسى، وعصاه، وعمامة هارون، وقفيز المَن الذي كان ينزل عليهم، ورُضاض [بضم الراء أي: ثنات] من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حال من فاعل «يأتيكم» ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه، وتسارعوا إلى الجهاد، فاختر من شبابه سبعين ألفاً.

٢٤٩ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حرّاً شديداً، وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي، وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِ﴾ فاكتمى بها ولم يزد عليها، فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ فشرَبوا منه.

لما وَافَوْهُ بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغُرْفَةِ [التي اغترفها كل واحد منهم، كما تقدم]، روي [— وهي رواية ضعيفة جداً —] أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلثمائة وبضعة رجالاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

(١) قوله: «كان فيه صور الأنبياء». لقد تساهل السيوطي رحمه الله في هذا من غير دليل، ثم إن قوله هذا مخالف لإخباره تعالى عما في التابوت بقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. إلخ، ولم يقل: «إن فيه صور الأنبياء»، هذا فضلاً أن في إمكان تصوير الأنبياء بُعداً وحرابة، بالإضافة إلى أن حكم التصوير في الشرائع السابقة غير معلوم لدينا، فلنقف عند حدود ما أخبر الله تعالى به، ولنترك المبالغة فإنها غير محمودة.

أَمِنُوا مَعَهُ وَهُمْ: الَّذِينَ اقْتَصَرُوا عَلَى الْغُرْفَةِ ﴿قَالُوا﴾ أَي: الَّذِينَ شَرِبُوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قُوَّةٌ ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾
 أَي: بِقَتَالِهِمْ، وَجَبْتُوا وَلَمْ يَجَاوِزُوهُ ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يَوْقِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ مُّلاقُوا اللَّهِ﴾ بِالْبَيْعِثِ، وَهُمْ: الَّذِينَ جَاوَزُوهُ
 ﴿كَمْ﴾ خَبْرِيَّةٌ بِمَعْنَى «كثِير» ﴿مِنْ فِتْنَةٍ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالْعَوْنِ
 وَالنَّصْرِ.

٢٥٠ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أَي: ظَهَرُوا لِقِتَالِهِمْ وَتَصَافَّوْا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ اضْبُتْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبْتَ﴾
 أَقْدَامَنَا ﴿بِتَقْوِيَةِ قُلُوبِنَا عَلَى الْجِهَادِ﴾ وَانْصَرْنَا عَلَى
 الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

الْحُكْمُ الثَّانِي

٢٥١ ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ كَسَرُوهُمْ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ
 ﴿وَقَتَلَ دَاوُدَ﴾ وَكَانَ فِي عَسْكَرِ طَالُوتَ
 ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ أَي: دَاوُدَ ﴿اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ فِي
 بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿وَالْحِكْمَةُ﴾ الثَّبُوتُ، بَعْدَ مَوْتِ
 شَمُوئِيلَ وَطَالُوتَ، وَلَمْ يَجْتَمِعَا [أَي: الْمَلِكُ
 وَالنَّبِيُّ] لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾
 كَصَنْعَةِ الدُّرُوعِ، وَمَنْطِقِ الطَّيْرِ ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ﴾
 النَّاسَ بَعْضُهُمْ ﴿بِدَلِّ بَعْضٍ مِنْ النَّاسِ﴾
 ﴿بِبَعْضٍ﴾ [أَي: وَلَوْلَا قِيَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَارَبَةِ
 الْكُفْرَةِ وَالْأَشْرَارِ] ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بِغَلْبَةِ
 الْمُشْرِكِينَ، وَقَتَلَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَخْرِبَ الْمَسَاجِدَ
 ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فَدَفَعَ
 بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

٢٥٢ ﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾
 نَتْلُوهَا ﴿نَقُصُّهَا﴾ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ﴾
 بِالصِّدْقِ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التَّأَكِيدُ
 بِ«إِنَّ» وَغَيْرِهَا، رَدُّ لِقَوْلِ الْكُفَّارِ لَهُ: «لَسْتُ
 مَرْسَلًا». ٢٥٣ ﴿تِلْكَ﴾ مَبْتَدَأُ ﴿الرَّسْلِ﴾ صِفَةٌ،
 وَالْخَبَرُ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بِتَخْصِيصِهِ
 بِمَنْقَبَةٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ ﴿مِنْهُمْ مِنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كَمَوْسَى
 ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أَي: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾
 عَلَى غَيْرِهِ، بِعُمُومِ الدَّعْوَةِ^(١)، وَخَتَمَ النَّبُوَّةَ،
 وَتَفْضِيلَ أُمَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَالْمُعْجَزَاتِ
 الْمُتَكَاثِرَةِ، وَالْخُصَائِصِ الْعَدِيدَةِ ﴿وَأَتَيْنَا

أَمِنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ
 غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩
 وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
 وَثَبْتَ أَقْدَامَنَا وَانْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٥٠
 فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ
 بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ٢٥١ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
 وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٥٢ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
 وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

حَرْفُ
جَزْءِ
٣

عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ ﴿قَوَيْنَاهُ﴾ بِرُوحِ الْقُدُسِ^(٢) جَبْرِيلَ، [كَانَ] يَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ.

(١) قوله: «بعموم الدعوة...» الخ، روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرغب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تجل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة».

(٢) قوله تعالى: «بروح القدس» أي: الروح المقدسة، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» - ص ٣٧٦.

﴿ولو شاء الله﴾ هُدى الناس جميعاً ﴿ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ بعد الرسل، أي: أممهم ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ لاختلافهم، وتضليل بعضهم بعضاً ﴿ولكن اختلفوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فمنهم من آمن﴾ ثبت على إيمانه ﴿ومنهم من كفر﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ تأكيد ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ من توفيق من شاء، وخُذْلان مَنْ شاء. ٢٥٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ زكاته ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع﴾ فداء ﴿فيه ولا خلة﴾ صداقة تنفع ﴿ولا شفاعة﴾ بغير إذنه، وهو: يوم القيامة، [بافتتح من غير تنوين في الثلاثة]، وفي قراءة برفع الثلاثة [مع التنوين] ﴿والكافرون﴾ بالله، أو: بما فُرض عليهم ﴿هم الظالمون﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

٢٥٥ ﴿الله لا إله﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إلا هو الحي﴾ الدائم البقاء ﴿القيوم﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لا تأخذه سنة﴾ نعاس ﴿ولا نوم﴾ له ما في السماوات وما في الأرض ﴿ملكاً﴾ وخلقاً وعبداً ﴿من ذا الذي﴾ أي: لا أحد ﴿يشفع عنده إلا بإذنه﴾ له فيها ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: الخلق ﴿وما خلفهم﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إلا بما شاء﴾ أن يُعلمهم به منها، بإخبار الرسل ﴿وسع كرسية السماوات والأرض﴾ قيل: أحاط علمه بهما [وهذا قول ضعيف، وإن رجَّحه بعضهم، لأن الأحاديث لا تؤيده، وكذلك اللغة] وقيل: ملكه، وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته، لحديث^(١): «ما السماوات السبع في الكرسي، إلا كدراهم سبعة ألقيت في ثُرس» ﴿ولا يؤوده﴾ ينقله ﴿حفظهما﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وهو العلي﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿العظيم﴾ الكبير. ٢٥٦ ﴿لا إكراه في الدين﴾^(٢) على الدخول فيه ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي: ظهر بالآيات البينات، أن الإيمان رُشد، والكُفر غيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد، أراد أن يكرهم على الإسلام ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ الشيطان، أو: الأصنام، وهو يُطلق على المفرد والجمع ﴿ويؤمن بالله﴾ فقد

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات﴾ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾^(١) يتأبها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴿له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده﴾ إلا بإذنه ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ إلا بما شاء ﴿وسع كرسية السموات والأرض ولا يعوده﴾ حفظهما ﴿وهو العلي العظيم﴾ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد

(١) قوله: «الحديث: ما السماوات السبع... إلخ»، هذا حديث موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يوجد مسنداً إلى النبي ﷺ. قال القرطبي في تفسيره: والذي تقتضيه الأحاديث، أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وأخرج الأجرني وأبو حاتم البستي في صحيح مسنده والبيهقي — وذكر أنه صحيح — عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما السماوات السبع في جنب الكرسي، إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة»، وفضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على الحلقة، فالعرش غير الكرسي وأعظم منه، هذا هو الصحيح، وذهب بعضهم إلى أن العرش هو الكرسي، وعلى هذا القول مشى الجلالان في هذا التفسير، وقد نبهنا إلى ذلك في مواضعه.

(٢) قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس المتوفى عام ٣٣٨ في ناسخه، قولاً سديداً في هذه الآية، منه ما يلي: =

استمسك ﴿بالمعروة الوثقى﴾ بالعقد المحكم ﴿لا انفصام﴾ انقطاع ﴿لها والله سميع﴾ لما يقال ﴿عليم﴾ بما يفعل.

٢٥٧ ﴿الله ولي﴾ ناصر ﴿الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿والذين كفروا أولياؤهم﴾ الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴿ذكر الإخراج﴾ إما في مقابلة قوله: ﴿يخرجهم من الظلمات﴾؛ أو: في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود، ثم كفر به ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

٢٥٨ ﴿ألم تر إلى الذي حاج﴾ جادل ﴿إبراهيم في ربه﴾ لـ ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أي: حملة بطره بنعمة الله على ذلك،

وهو [الملك الكافر] «ثمود» ﴿إذ﴾ بدل من ﴿حاج﴾ ﴿قال إبراهيم﴾ لما قال له: من ربك الذي تدعونا إليه؟ ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قال﴾ هو ﴿أنا أحبي وأميت﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا برجلين، فقتل أحدهما وترك الآخر، فلما رآه غيباً ﴿قال إبراهيم﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها﴾ أنت ﴿من المغرب﴾ فبهت الذي كفر ﴿تخيّر ودهش﴾ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿بالكفر﴾ إلى مَحَجَّةِ الاحتجاج.

٢٥٩ ﴿أو﴾ رأيت ﴿كألدي﴾ الكاف زائدة ﴿مر على قرية﴾ هي: بيت المقدس، ركباً على حمار، ومعه سلّة تين، وقدر عصير، وهو «عزير» [وقيل: غيره، قال ابن كثير في تاريخه: المشهور أن «عزيراً» نبي من أنبياء بني إسرائيل] ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها، لما خرّبها بختنصر ﴿قال أنى﴾ كيف ﴿يحيي هذه الله بعد موتها؟﴾ استعظماً لقدرته تعالى ﴿فأما الله﴾ وألبه ﴿مائة عام ثم بعثه﴾ أحياء، ليزه كيفية ذلك ﴿قال﴾ تعالى له ﴿كم لبثت﴾ مكثت هنا؟ ﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ لأنه نام أول النهار فقبض، وأحيي عند الغروب، فظن أنه يوم النوم ﴿قال بل لبث مائة عام﴾

الْبَيْتُ الثَّالِثُ

أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٧﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٩﴾ أَوْ كَأَلَدِي عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ

= من العلماء من قال هي منسوخة، ولأن النبي ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام، وقتلهم، ولم يرض منهم إلا الإسلام.

وقال بعض العلماء: ليست بمنسوخة، ولكنها نزلت في أهل الكتاب، لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يكرهون أهل الأوثان، فهم الذين نزل فيهم ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾، واحتج لذلك بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب، قال عمر: اللهم اشهد ثم تلا: ﴿لا إكراه في الدين﴾، ومن قال إنها مخصوصة، ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت المرأة تجعل على نفسها، إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أُجْلِيَتْ بنو الضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، قالت الأنصار: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله هذه الآية.

وقول ابن عباس في هذه الآية أولى الأقوال لصحة إسنادها، وإن مثله لا يوجد بالرأي. اهـ.

فانظر إلى طعامك ﴿التين﴾ وشرابك ﴿العصير﴾ لم يتسنه ﴿لم يتغير مع طول الزمان، و«الهاء» قيل: أصل [في الكلمة] من «سَاهَتْ»﴾، وقيل: للسكت من «سَانَيْتُ»، وفي قراءة بحذفها ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف هو؟ فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح، فَعَلْنَا ذلك لتعلم [أن الله على كل شيء قدير] ﴿ولنجعلك آية﴾ على البعث ﴿للناس وانظر إلى العظام﴾ من حمارك ﴿كيف نُشْرِهَا﴾ نحييها، بضم النون [والراء]، وقرئ [شدوذاً] بفتحها، [أي: بفتح النون] من «أنشر» و«نشر» لغتان، وفي قراءة: «ننشزها» بضم النون والزاي، نحركها ونرفعها ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكُسيت لحماً، ونُفِخ فيه الروح ونَهَقَ ﴿فلما تبين له﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قال أعلم﴾ علم مشاهدة ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ وفي قراءة: «أعلم»، أمر من الله له.

سُورَةُ التَّيْنَةِ

فَإَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

٢٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال تعالى له: ﴿أو لم تؤمن﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك، ليجيبه بما سأله^(١)، فيعلم السامعون غرضه ﴿قال بلى﴾ آمنت ﴿ولكن﴾ سألتك ﴿ليطمئن﴾ يسكن ﴿قلبي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾ بكسر الصاد وضمها، أملهن إليك وقطعهن، واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثم اجعل على كل جبل﴾ من جبال أرضك ﴿منهن جزءاً﴾ ثم ادعهن ﴿إليك﴾ يأتينك سعياً ﴿سريعاً﴾ واعلم أن الله عزيز ﴿لا يعجزه شيء﴾ ﴿حكيم﴾ في صنعه، فأخذ طاووساً، ونسراً، وغراباً، وديكاً، وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن، فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رؤوسها.

٢٦١ ﴿مثل﴾ صفة نفقات ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ أي: طاعته، ﴿كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ فكذاك نفقاته، تُضَاعَفُ لسبعمئة ضعف، [أخرج أحمد والترمذي - وحسنه - وابن حبان وغيرهم، عن خريم بن فاتك الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من أنفق نفقة في سبيل الله، كتبت له بسبعمئة

ضعف﴾ [والله يضاعف أكثر من ذلك ﴿لمن يشاء والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بمن يستحق المضاعفة. ٢٦٢ ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً﴾ على المنفق عليه، بقولهم مثلاً: قد أحسنتُ إليه، وجبرتُ حاله ﴿ولا أذى﴾ له، بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه، ونحوه ﴿لهم أجرهم﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عند ربهم ولا خوف

(١) قوله: «بما سأله»، هو هكذا في المخطوطة الثانية، وفي المخطوطة الأولى: «بما سأله» أي: ليجيب إبراهيم عن السؤال - «أو لم تؤمن» - بمثله أي: بقوله: «بلى أنا مؤمن ولكن ليطمئن قلبي»، فيعلم الناس غرضه من هذا الطلب، وفي بعض النسخ المطبوعة «بما أجاب».

عليهم ولا هم يحزنون ﴿ في الآخرة .

٢٦٣ ﴿ قول معروف ﴿ كلام حسن ، وردَّ على السائل جميل ﴿ ومغفرة ﴿ له في إلحاحه ﴿ خير من صدقة يتبعها أذى ﴿ بالمن ، وتعير له بالسؤال (١) ﴿ والله غني ﴿ عن صدقة العباد ﴿ حلیم ﴿ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي .

٢٦٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم ﴿ أي : أجورها ﴿ بالمن والأذى ﴿ إبطالاً ﴿ كالذي ﴿ أي : كإبطال نفقة الذي ﴿ ينفق ماله رثاء الناس ﴿ مرثياً لهم (٢) ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿ وهو المنافق (٣) ﴿ [أخرج البزار والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ قال : «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق

لوالديه ، ومُذْمِنُ الخمر ، والمثان بما أعطى»] ﴿ فمثله كمثل صفوان ﴿ حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل ﴿ مطر شديد ﴿ فتركه صلباً ﴿ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿ لا يقدرُونَ ﴿ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رثاء الناس ، وجمع الضمير باعتبار معنى «الذي» ﴿ على شيء مما كسبوا ﴿ عملوا ، أي : لا يجدون له ثواباً في الآخرة ، كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه ، لإذهاب المطر له ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين .

٢٦٥ ﴿ ومثل ﴿ نفقات ﴿ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء ﴿ طلب ﴿ مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴿ أي : تحقيقاً للثواب عليه ، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه ، لإنكارهم له ، و «من» ابتدائية ﴿ كمثله الجنة ﴿ بستان ﴿ بربرة ﴿ بضم الراء وفتحها ، مكان مرتفع مستو ﴿ أصابها وابل فأتت ﴿ أعطت ﴿ أكلها ﴿ بضم الكاف وسكونها ، [أي :] ثمرها ﴿ ضعفين ﴿ مثلي ما يثمر غيرها ﴿ فإن لم يصبها وابل فظل ﴿ مطر خفيف يصبها ويكفيها ، لارتفاعها ، المعنى : تثمر وتزكو ، كثر المطر أم قل ، فكذاك نفقات من ذكر ، تزكو عند الله ، كثرت أم قلت ﴿ والله بما تعملون بصير ﴿ فيجازيكم به .

سورة التين

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٦﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴿٢٦٧﴾ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُفِلَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴿٢٦٩﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رَّيْبَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصْبَهَا وَابِلٌ فَطُلَّ ﴿٢٧١﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٧٢﴾ أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا

٢٦٦ ﴿ أيود ﴿ أحسب ﴿ أحدكم أن تكون له جنة ﴿ بستان ﴿ من نخيل وأعنان تجري من تحتها الأنهار له فيها ﴿ ثمر ﴿ من كل الثمرات و ﴿ قد ﴿ أصابه الكبير ﴿ فضعف من الكبير ﴿ وله ذرية ضعفاء ﴿ أولاد صغار لا يقدرُونَ عليه ﴿ فأصابها

(١) قوله : «وتعير له بالسؤال» أي : لمن يحل له ذلك ، أرجع إلى تعليقنا حول «التكفف» ص ٦٩٣ .

(٢) قوله : «مرثياً لهم» الرثاء : هو الشوك الأصغر ، يُطَّل ثواب العمل ، أرجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٩٥ .

(٣) قوله : «وهو المنافق» أي : الذي يطن الكفر ويتظاهر بالإسلام ، أرجع إلى تعليقنا حول «النفاق» ص ١٢٦ .

إعصار^١ ريح شديدة فيه نار فاحترقت^٢ ففقدها أحوج ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عَجَزَةً متحيرين، لا حيلة لهم، وهذا تمثيل لنفقة المراثي والمان، في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي [أي: لا يؤد ذلك]، وعن ابن عباس: هو [مثل] لرجل عمل بالطاعات، ثم بُعث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أحرقت أعماله^٣ كذلك كما بين ما ذكر^٤ يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون^٥ فتعتبرون. ٢٦٧ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا^٦ (١) أي: زكوا^٧ من طيبات^٨ جباد^٩ ما كسبتم^{١٠} من المال^{١١} وم^{١٢} من طيبات^{١٣} ما أخرجنا لكم من الأرض^{١٤} من الحبوب والثمار^{١٥} ولا تيمموا^{١٦} تقصدوا^{١٧} الخبيث^{١٨} الرديء^{١٩} منه^{٢٠} أي: المذكور^{٢١} تنفقون^{٢٢} له في الزكاة، حال من ضمير^{٢٣} تيمموا^{٢٤} ولستم^{٢٥} بأخذه^{٢٦} أي: الخبيث، لو أعطيتموه في حقوقكم^{٢٧} إلا أن تغمضوا فيه^{٢٨} بالتساهل وغض البصر، فكيف تؤذون منه حق الله؟^{٢٩} واعلموا أن الله غني^{٣٠} عن نفقاتكم^{٣١} حميد^{٣٢} محمود على كل حال. ٢٦٨ الشيطان يعدكم الفقر^{٣٣} يخوفكم به إن تصدقتم، فتمسكون^{٣٤} ويأمركم بالفحشاء^{٣٥} البخل ومنع الزكاة^{٣٦} والله يعدكم^{٣٧} على الإنفاق^{٣٨} مغفرة^{٣٩} منه^{٤٠} لذنوبكم^{٤١} وفضلاً^{٤٢} رزقاً خلفاً منه^{٤٣} والله واسع^{٤٤} فضله^{٤٥} عليم^{٤٦} بالمنفق. ٢٦٩ يؤتي الحكمة^{٤٧} أي: العلم النافع المؤدي إلى العمل^{٤٨} من يشاء^{٤٩} ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً^{٥٠} لمصيره إلى السعادة الأبدية^{٥١} وما يذكر^{٥٢} فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، [أي: يتعظ^{٥٣} إلا أولو^{٥٤} الألباب^{٥٥} أصحاب العقول. ٢٧٠ وما أنفقتم^{٥٦} من نفقة^{٥٧} أدبتم من زكاة، أو: صدقة^{٥٨} أو نذرتم من نذر^{٥٩} فوقيتم به^{٦٠} فإن الله يعلمه^{٦١} فيجازيكم عليه^{٦٢} وما للظالمين^{٦٣} بمنع الزكاة^{٦٤} أو النذر، أو: بوضع الإنفاق في غير محله، في معاصي الله^{٦٥} من أنصار^{٦٦} مانعين لهم من عذابه. ٢٧١ إن تبدوا^{٦٧} تظهروا^{٦٨} الصدقات^{٦٩} أي: النوافل^{٧٠} فنعما هي^{٧١} أي: نعم شيئاً إبداءها^{٧٢} وإن تخفوها^{٧٣} تسرُّوها^{٧٤} وتسوتوها^{٧٥} الفقراء فهو خير^{٧٦} لكم^{٧٧} من إبدائها وإيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض: فالأفضل إظهارها ليقتدى به، ولثلاثتهم، وإيتاؤها الفقراء متعين^{٧٨} ويكفر^{٧٩} بالياء والنون، مجزوماً بالعطف على محل «فهو»، ومرفوعاً على الاستئناف «عنكم من» بعض «سيئاتكم والله بما تعملون

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاخِذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ٢٦٧ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمٍ ٢٦٨ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٢٦٩ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٢٧٠ إِنْ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمَ هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا» الآية: أخرجه الترمذي وصححه، وابن ماجه، والبيهقي في سننه، وغيرهم، عن البراء بن عازب، قال: كان ناس ممن لا يرغب في الخير، يأتي الرجل بالقنو (أي: علق النخل الذي فيه ثمره) فيه الشبص والحشفت - أي: أردأ الثمر -، وبالقنو قد انكسر، فيعلقه في المسجد، فتزلت هذه الآية، قال البراء رضي الله عنه: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده.

(٢) قوله تعالى: «أو نذرتم من نذر» الأولى أن لا ينذر الإنسان أصلاً، لأن النذر مكروه، ولأن المسلم ينبغي له أن يكون سباقاً إلى فعل الخير، من غير التزام مسبق، أو ما يشبه المعاوضة، فإذا حصل النذر، فقد اتفق العلماء على أنه يكون منعقداً ولازماً، إذا كان المنذر =

خير عالم بباطنه كظاهره، لا يخفى عليه شيء منه. ٢٧٢ ولما منع ﷺ من التصديق على المشركين ليسلّموا نزل: ﴿ليس عليك هدام﴾ أي: الناس إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغ ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وما تنفقوا من خير﴾ مال ﴿فلأنفسكم﴾ لأن ثوابه لها ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ أي: ثوابه، لا غيره من أعراض الدنيا، خير بمعنى النهي ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ جزاؤه ﴿وانتم لا تظلمون﴾ تنقصون منه شيئاً، والجملتان تأكيد للأولى.

٢٧٣ ﴿للفقراء﴾ خبر مبتداً محذوف، أي: الصدقات ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ أي: حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الصفة^(١)، وهم: أربعمائة من المهاجرين، أُرصدوا لتعلم القرآن، والخروج مع السرايا ﴿لا يستطيعون ضرباً﴾ سفرأ ﴿في الأرض﴾ للتجارة والمعاش، لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي: لتعففهم عن السؤال وتركه، ﴿تعرفهم﴾ يا مخاطب ﴿بسماتهم﴾ علامتهم، من التواضع وأثر الجهد ﴿لا يسألون الناس﴾ شيئاً فيلحقون ﴿الحافاً﴾ أي: لا سؤال لهم أصلاً، فلا يقع منهم إلحاف، وهو: الإلحاح ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ فمجاز عليه. ٢٧٤ ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرأً وعلانية﴾ فلم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٢٧٥ ﴿الذين يأكلون الربا﴾ أي: يأخذونه، وهو: الزيادة في المعاملة، بالنقود والمطعومات، في القدر أو الأجل ﴿لا يقومون﴾ من قبورهم ﴿إلا﴾ قياماً ﴿كما يقوم الذي يتخبطه﴾ بصرعه ﴿الشيطان من المس﴾ الجنون، متعلق بـ «يقومون» ﴿ذلك﴾ الذي نزل بهم ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ في الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغة، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا فمن

الأنفال

خَيْرٌ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٦﴾ لِّلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٧﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن

طاعة أو قرية، مثل: الصلاة، أو الصيام، أو الصدقة، أو الحج، أو قراءة القرآن، وانفقوا كذلك على أن نذر المعصية حرام وباطل، كمن نذر أن يشرب خمرأً، وكذلك النذر لغير الله تعالى حرام، كالنذر للأضرحة والمزارات وأصحابها، فقد أخرج مسلم والترمذي والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنذروا، فإن النذر لا يُغني من القدر شيئاً، وإنما يُستخرج به من البخيل» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه، فقال: «ما بال هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي إلى الكعبة، قال: «إن الله عن تعذيب هذا نفسته لغني»، وأمره أن يركب.

(١) قوله: «نزلت في أهل الصفة»، أرجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٥٩.

جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيدُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآتَقُوا اللَّهَ وَذَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٩﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

جاءه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وَّعَظٌ ﴿مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عن أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي، أي: لا يَسْتَرُدُّ منه ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [وقال البيضاوي: يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية. اهـ. وهو الأحسن في معنى الآية، لأنه لا مؤاخذه في فعل شيء قبل تحريره] ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله، مشبهاً له بالبيع في الحِلِّ ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هم فيها خالدون. ﴿٢٧٦﴾ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقصه ويذهب بركته، [فقد أخرج أحمد والحاكم وصححه، والبيهقي في «شُعَبُ الْإِيمَان» وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ»] ﴿وَيُزِيدُ الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدُها وينمِّيها ويضاعف ثوابها، [روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمْرَةً

مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرِيهِ أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ - أي: مُهْرَهُ - حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجِبَلِ»] ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الرِّبَا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر بأكله، أي: يعاقبه. ﴿٢٧٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ﴿٢٧٨﴾ ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآتَقُوا اللَّهَ وَذَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى؛ نزلت لمَّا طالب بعض الصحابة، بعد النهي، برِّباً كان لهم قبل. ﴿٢٧٩﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به [من ترك الرِّبَا كله] ﴿فَأْذَنُوا﴾ اعلموا [واستيقنوا] ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: لا يَدِينِي لَنَا بِحَرْبِهِ ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ﴿٢٨٠﴾ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي: عليكم تأخيرُه ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين وضمها، أي: وقت يُسَّرُ ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل، [وهو «تصدقوا»]، في الصاد، وبالتخفيف على حذفها، أي: تصدَّقوا على المعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه،

في الحديث «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» رواه مسلم. ﴿٢٨١﴾ ﴿وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزءاً ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر.

(١) قوله: «لا يَدِينِي لَنَا بِحَرْبِهِ». أي: لا قدرة ولا طاقة لنا بحربه، والقاتل قبيلة «ثقيف»، ونص مقالته كما نقلها البيضاوي: «لا يَدِينِي لَنَا بِحَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» هكذا بثنية «يد» وحذفت التون تخفيفاً، وقد أجمع المسلمون على تحريم الرِّبَا قليلاً وكثيره، وأنه من كبائر الذنوب، روى =

﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة، أو: زيادة سيئة. ٢٨٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بِدِينٍ﴾ كَسَلَمَ وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدين ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته، لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبُ﴾ يمنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دُعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فضله بالكتابة، فلا يبخل بها، والكاف متعلقة بـ ﴿يَأْبُ﴾ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُملِ الكاتب [الشخص] الذي عليه الحق ﴿الَّذِينَ﴾، لأنه المشهود عليه، فيُقرُّ، لِيُعْلَمَ ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿منهُ﴾ أي: الحق ﴿شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾ مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ عن الإملاء، لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ﴾

لخرس أو جهل باللغة، أو: نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ﴾
 وليه ﴿مُتَوَلِّى أَمْرِهِ﴾ من والد ووصي وقيم و مترجم
 ﴿بِالْعَدْلِ﴾ واستشهدوا ﴿أَشْهَدُوا عَلَى الَّذِينَ﴾
 ﴿شَهِيدِينَ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي: بالغي
 المسلمين الأحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدان
 ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾
 من الشهداء ﴿لَدِينِهِ وَعَدَالَتِهِ﴾ وتعدد النساء لأجل
 ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة، لنقص
 عقولهن وضبطهن، [بسبب غلبة عاطفتهم، وليس
 هذا انتقاصاً من مكانة المرأة، بل هو إعلان
 للواقع، من أجل ضمان حقوق العباد] ﴿فَتُذَكَّرُ﴾
 بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكرة
 ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسية، وجملة الإذكار محل العلة،
 أي: لتذكر إن ضللت، ودخلت [أن] على
 الضلال، لأنه سببه، [أي: سبب التذكير]، وفي
 قراءة بكسر «أن» شرطية، ورفع «تذكر» استئناف،
 [والجملة المؤلفة من: المبتدأ المحذوف والفعل
 والفاعل]، جوابه، [والتقدير: «إن تضل إحداهما
 فالحكم: تذكر» إلخ] ﴿وَلَا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾
 زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا﴾
 تساموا ﴿تَمَلُّوا مِنْ أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم
 عليه من الحق، لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان
 ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ وقت
 حلوله، حال من الهاء في «تكتبوه» ﴿ذَلِكَ﴾
 أي: الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾
 للشهادة ﴿أَيُّ﴾ أعون على إقامتها، لأنه يذكرها

لِلْمُتَّقِينَ

وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ
 بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ
 كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
 فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ
 وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً
 أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيهِ بِالْعَدْلِ
 وَأَسْأَلُ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
 فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ
 إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ
 إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
 إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى
 أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

﴿وَأَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ لا ترتابوا ﴿تَشْكُرُوا﴾ في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ [بالرفع]،
 وفي قراءة بالنصب، فـ «تكون» ناقصة، واسمها ضمير التجارة «تديرونها بينكم» أي: تقبضونها ولا أجل فيها،

مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله: آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه» وقال: «هم سواء»، أي: في الإثم واستحقاق
 اللعنة، ولا يُغيّر من الأمر شيئاً أن يُسمّى «الربوا» - احتيالا - : «فائدة» أو «ربعا» أو «فاثضا»، أو غير ذلك من الأسماء والأوصاف، فإن هذا مخادعة
 لا يقع فيها إلا فاعلها، «يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون»، فالربوا حرام إلى يوم القيامة، تحريماً =

﴿فليس عليكم جناح﴾ في ﴿أ﴾ ن ﴿لا تكتبوها﴾ والمراد بها، المتجرُّ فيه ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ عليه، فإنه أَدْفَع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نَذْب ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ صاحب الحق ومن عليه، بتحريف، أو امتناع من الشهادة، أو: الكتابة، أو: لا يضُرُّهما صاحب الحق، بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وإن تفعلوا﴾ ما نهيت عنه ﴿فإنه فسوق﴾ خروج عن الطاعة لاحتقار ﴿بكم واتقوا الله﴾ في أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ مصالح أموركم، حال مقدرة، أو: مستأنف ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

٢٨٣ ﴿وإن كنتم على سفر﴾ أي: مسافرين وتداينتم ﴿ولم تجدوا كاتباً فرهن﴾ وفي قراءة «فرهان» [وكلاهما]

جمع «رهن»، «مقبوضة» تستوثقون بها، وبينت السنة، جواز الرهن في الحضر^(١)، و[مع] وجود الكاتب، فالتقييد بما ذكر، لأن التوثيق فيه أشد، وأفاد قوله: «مقبوضة»، اشتراط القبض في الرهن، والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ أي: الدائن المدين على حقه، فلم يرتهن ﴿فليؤد الذي أؤتمن﴾ أي: المدين «أمانته» دينه ﴿وليتق الله ربه﴾ في أدائه ﴿ولا تكتبوا الشهادة﴾ إذا دُعيت لإقامتها ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ خصص [القلب] بالذكر، لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا آثم تبعه غيره، فيُعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿والله بما تعملون عليم﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٨٤ ﴿الله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا﴾ تظهروا ﴿ما في أنفسكم﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أو تخفوه﴾ تُسرُّوه ﴿يحاسبكم﴾ يخبركم ﴿به الله﴾ يوم القيامة ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه، والفعْلان بالجزم، عطفاً على جواب الشرط، والرفع، أي: فهو [يغفر ويعذب] ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه محاسبكم وجزاؤكم.

٢٨٥ ﴿آمن﴾ صدق ﴿الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿بما أنزل إليه من ربه﴾ من القرآن ﴿والمؤمنون﴾ عطف عليه ﴿كل﴾ تنوينه عوض

من المضاف إليه ﴿آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ بالجمع والإفراد [قراءتان سبعيتان] ﴿ورسله﴾ يقولون ﴿لا نفرق بين أحد

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾
* وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضٌ فليؤدِّ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْسَتُهُ وَلَيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾
الْسَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾
بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

= لا يؤثر فيه إبدال اسم مكان اسم، ثم إن في تحريم الربا مع إيجاب الزكاة في المال، ما يدفع صاحب المال إلى تشغيل ماله وعدم كنزه، وتشغيل المال يؤدي إلى الإكثار من فرص العمل، وإلى زيادة الإنتاج، فتنتهي بذلك مشكلة البطالة، وتكثر السلع، وترخص الأسعار، ويعم الناس الرخاء والحبوحة، أما النظام الربوي، فإنه يشجع على تجميد الأموال في المصارف، وهذا التجميد، تعطيل لدور المال في تحريك عجلة الحياة.

(١) قوله: «وبينت السنة جواز الرهن في الحضر النخ» فقد روى البخاري في «صحيحه» عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورهنه درعاً من حديد».

﴿من رسله﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وقالوا سمعنا﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وأطعنا﴾، نسألك ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية [التي] قبلها، شكوا المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم المحاسبة بها، فتزل: ٢٨٦ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لها ما كسبت﴾ من الخير، أي: ثوابه ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من الشر، أي: وزره، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه، مما وسوست به نفسه، وقالوا: ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ بالعقاب ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ تركنا الصواب، لا عن عمد، كما أخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة، كما ورد في الحديث [الصحيح]: ﴿إن الله تجاوز لي عن أمتي: الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه﴾

رواه الطبراني وابن حبان والبيهقي في سننه وغيرهم، فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أمراً يثقل علينا حمله ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي: بني إسرائيل، من قتل النفس في التوبة، وإخراج ربع المال في الزكاة، وقرض موضع النجاسة^(١) ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا به﴾ من التكليف والبلاء ﴿واعف عنا﴾ امح ذنوبنا ﴿واغفر لنا وارحمنا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فانصرونا على القوم الكافرين﴾ بإقامة الحجّة، والغلبة في قتالهم، فإن من شأن المولى، أن ينصر مواله على الأعداء، وفي الحديث: لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ، قيل له عقب كل كلمة: ﴿قد فعلت﴾ [رواه أحمد ومسلم، من حديث عبد الله بن عباس، وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»، عن أبي ذر الغفاري، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الله ختم سورة البقرة، بأيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهما، وعلموهما نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء﴾].

﴿سُورَةُ الْاَنْعَامِ اِنْشَاءً

(مدنية، مائتان أو: إلا آية)

الجزء الثالث

مِنْ رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سُورَةُ الْعَمَلَاتِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الم﴾ (٢) الله أعلم بمرادته بذلك . ٢ ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ . ٣ ﴿نزل

(١) في هامش المخطوطة الأولى بعد قوله: «موضع النجاسة» مع الإشارة إلى أنه في نسخة ما يلي: «وفق العين من النظر إلى ما لا يحل».

(٢) قوله تعالى: ﴿الم﴾، هو من المشتبهات التي لا ينبغي أن نطلب لها تأويلاً، أرجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

عليك ﴿يا محمد﴾ الكتاب ﴿القرآن﴾ متلبساً ﴿بالحق﴾ بالصدق في أخباره ﴿مصدقاً﴾ لما بين يديه ﴿قبله﴾ من الكتب ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ . ٤ ﴿من قبل﴾ أي : قبل تنزيله ﴿هدى﴾ حال ، بمعنى : هاديتين من الضلالة ﴿للناس﴾ ممن تبعهما ، وعبرَ فيهما بـ «أنزل» ، وفي القرآن بـ «نزل» المقتضي للتكرير ، لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وأنزل الفرقان﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل ، وذكره بعد ذكر الثلاثة ، ليعم ما عداها ، [كصحف إبراهيم ، وكل وحي أنزله الله على نبي] . إن الذين كفروا بآيات الله ﴿القرآن﴾ وغيره ﴿لهم عذاب شديد والله عزيز﴾ غالب على أمره ، فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذو انتقام﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه ، لا يقدر على مثلها أحد . ٥ ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء﴾

كائن ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ لعلمه بما يقع في العالم ، من كل شيء وجزئي^(١) ، وخصهما بالذكر ، لأن الحسن لا يتجاوزهما .

٦ ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ من ذكورة وأنوثة ، وبياض وسواد ، وغير ذلك ﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ صنعته .

٧ ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ واضحات الدلالة ﴿هن أم الكتاب﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وأخر متشابهات﴾ لا تفهم معانيها ، كأوائل السور ، وجعله كله محكماً ، [كما جاء] في قوله [تعالى : ﴿كتاب﴾ أحكمت آياته] ثم فصلت من لدن حكيم خبير] . بمعنى : أنه ليس فيه عيب ، [لا في ألفاظه ، ولا في معانيه] ، و [جعله] متشابهاً في قوله [تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾] كتاباً متشابهاً ، بمعنى : أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ ميل عن الحق ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء﴾ طلب ﴿الفتن﴾ لجهالهم ، بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وابتغاء تأويله﴾ تفسيره ، [يفسرونه تفسيراً باطلاً لا أصل له] ﴿وما يعلم تأويله﴾ تفسيره ﴿إلا الله﴾ وحده ﴿والراسخون﴾ الشابتون المتمكنون ﴿في العلم﴾ مبتدأ خبره : ﴿يقولون آمنا به﴾ أي : بالمتشابه أنه من عند الله ، ولا نعلم معناه ﴿كل﴾

من المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا وما يذكر﴾ بإدغام التاء في الأصل في الدال ، أي : يتعظ ﴿إلا أولو الألباب﴾ أصحاب العقول ، ويقولون أيضاً ، إذا رأوا من يتبعه [أي : المتشابه] : ٨ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [لا] تملأها عن الحق ، بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا ، كما أزغت قلوب أولئك ﴿بعد إذ هديتنا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وهب لنا من لدنك﴾ من عندك

سورة الغنجل ٢

عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٢ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ٣ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ٤ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٦ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ٩ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ١٠ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ١١ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

(١) قوله : ﴿من كل شيء وجزئي﴾ أشار بذلك إلى الرد على الفلاسفة ، الذين زعموا أن الله يعلم الكلليات ، ولا يعلم الجزئيات ، فكفروا بذلك ، كما كفروا بقولهم بقدوم العالم مادة أو نوعاً ، وإنكارهم حشر الأجساد ، وقولهم : إن الحشر للأرواح فقط ، والحق : أن البعث بالروح والجسد معاً .

﴿رحمة﴾ تبيّنا ﴿إنك أنت الوهاب﴾ ٩ يا ﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ تجمعهم ﴿ليوم﴾ أي: في يوم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ هو يوم القيامة، فتجازيهم بأعمالهم، كما وعدت بذلك ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ مواعده بالبعث، فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى، والغرض من الدعاء بذلك: بيان أن همّهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية، لينالوا ثوابها، روى الشيخان [وغيرهما] عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ إلى آخرها، وقال: «فلذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»، وروى الطبراني في «الكبير»، عن أبي موسى الأشعري، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي، إلا ثلاث خلال»، وذكر منها: «أن يفتح لهم الكتاب، فيأخذه المؤمن ويتغني تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب»، الحديث.

البقرة الثالثة

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابِ
ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
سَعْيُهُمْ بَشْتَلَابٌ وَيَحْمَرُّونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِهِم رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾
زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

﴿١٠﴾ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله أي: عذابه ﴿شيئاً﴾ وأولئك هم وقود النار ﴿بفتح الواو﴾ ما توقد به.

﴿١١﴾ دأبهم ﴿كذاب﴾ كعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم﴾ من الأمم، كعاد وثمود ﴿كذبوا بآياتنا﴾ فأخذهم الله ﴿أهلكهم﴾ بذنوبهم ﴿والجملة مفسرة لما قبلها﴾ والله شديد العقاب.

﴿١٢﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام، مَرْجِعُهُ من بدر، فقالوا له: لا يَغْرُنْكَ [من نفسك]، أن قتلت نَفَرًا من قريش، أغماراً لا يعرفون القتال: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿للذين كفروا﴾ من اليهود ﴿ستغلبون﴾ بالثناء والياء، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وتحشرون﴾ بالوجهين، في الآخرة ﴿إلى جهنم﴾ فتدخلونها ﴿وبئس المهاد﴾ الفراش هي.

﴿١٣﴾ قد كان لكم آية عبرة، وذكر الفعل، للفصل [بينه وبين اسمه بالخبر] ﴿في فئتين﴾ فئتين ﴿التقنا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فئة تقاتل في سبيل الله﴾ أي: طاعته، وهم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسان، وست أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة ﴿وأخرى كافرة يرونهم﴾ أي: الكفار ﴿مثلهم﴾ أي: [مثل] المسلمين، أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رأى العين﴾ أي: رؤية ظاهرة معانية، وقد نصرهم الله مع قتلهم ﴿والله يؤيد﴾ يقوي ﴿ينصره من يشاء﴾ نصره ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لذوي البصائر، أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟

﴿١٤﴾ زين للناس حب الشهوات ما تشتهي النفس وتدعو إليه، زينها الله ابتلاءً، أو: [زينها] الشيطان ﴿من النساء والبنين والقناطر﴾ الأموال الكثيرة ﴿المقنطرة﴾ المجمعة ﴿من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾ الحسان،

﴿١٤﴾ زين للناس حب الشهوات ما تشتهي النفس وتدعو إليه، زينها الله ابتلاءً، أو: [زينها] الشيطان ﴿من النساء والبنين والقناطر﴾ الأموال الكثيرة ﴿المقنطرة﴾ المجمعة ﴿من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾ الحسان،

﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثُ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ به فيها، ثم يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ﴾ المرجع، وهو الجنة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

١٥ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿أَوْبِنْتُمْ﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ المذكور من الشهوات؟ استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبر، مبتدؤه: ﴿جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: مقدّرين [ومتّظرين] الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مَطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره، مما يستقذر ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بكسر أوله وضمّه، لغتان، [وهما قراءتان سبعيتان] أي: رضى كثير ﴿مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عالم ﴿بِالْعِبَادِ﴾ فيجازي كلّاً منهم بعمله.

١٦ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله، [في قوله تعالى: «الَّذِينَ اتَّقَوْا»] ﴿يَقُولُونَ﴾ يا ﴿رَبَّنَا﴾ إِنَّا آمَنَّا ﴿صَدَّقْنَا بِكَ وَبِرَسُولِكَ﴾ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

١٧ ﴿الصَّابِرِينَ﴾^(١) على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ المتصدين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، خُصِّصَتْ بالذكر، لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

١٨ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَبَيِّنُ لخلقهِ بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا هُوَ﴾ و﴿شَهِدَ بِذَلِكَ﴾ الملائكة ﴿بِالْإِقْرَارِ﴾ وأولو العلم ﴿مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الجملة، أي: تفرد ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

١٩ ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [والذي لا يقبل من العباد سواه] هو: ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرع [وهو: الدين] المبعوث به الرسل [أجمعون]، المبني على التوحيد [لقوله تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»]، وفي قراءة بفتح «إِنْ»، بدل من «أنه إلخ» بدل-اشتمال ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى،

في الدين، بأن وُحِّدَ بعضٌ، [فآمنوا إيماناً صحيحاً]، وكفر بعضٌ، [أي: أصروا على كفرهم، فلم يؤمنوا] ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴿أي: المجازاة له﴾.

٢٠ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد، في الدين ﴿فَقُلْ﴾ لهم:

سُورَةُ النِّعَمِ ٢

وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوْبِنْتُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مَّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَعَايَتْ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ

(١) قوله تعالى: «الصَّابِرِينَ»، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «الصبر» ص ٦٠٧.

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ انقذتُ له، أنا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وخصَّ الوجه بالذكر لشرفه، فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ مشركي العرب ﴿ءَاسَلَمْتُمْ﴾ [استفهام قصيد به الأمر] أي: أسلموا ﴿فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا [التساهل، كان] قبل الأمر بالقتال.

٢١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة «يقاتلون» ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم اليهود، روي: أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهاهم مائة وسبعون من عبّادهم، فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أَعْلِنُهُمْ ﴿بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ مؤلم، وذكُرُ البشارة تهكم بهم [وتَهَزُّؤُ]، ودخلت الفاء في خبر «إِنَّ»، لشبه اسمها الموصول بالشرط.

الْبَلَاءُ الْآخِرُ

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ الْيَمِّ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ۖ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمَهُمْ مُّعْرِضُونَ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسَنَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ۖ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

٢٢ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير، كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها، لعدم شرطها [وهو الإيمان الصحيح] ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب.

٢٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا﴾ حظاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُذْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم معرضون ﴿عَنِ قَبُولِ حُكْمِهِ﴾ نزل في اليهود، زنى منهم اثنان^(١)، فتحاكموا إلى النبي ﷺ، فحكم عليهما بالرجم فأبوا، فجيء بالتوراة فوجد [حكمُ الرجم] فيها، فرُجما، فغضبوا.

٢٤ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم ﴿لَن نَّمْسَنَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يوماً، مُدَّةَ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَل، ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ من قولهم ذلك [و «ما» فاعل «غَرَّهُم»، وتقدير الكلام: وغرهم ما كان يفكرون في دينهم، أي: بظنهم أن ما افتروه في الدين حق].

٢٥ ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعَتْهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم، جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر.

(١) قوله: «زنى منهم اثنان» أي: يهود خبير، هذا قول الكلبي في سبب نزول هذه الآية، وقال السدي: إنه ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال له أحدهم: هلم يا محمد نخاصمك إلى الأحبار، فقال رسول الله ﷺ: «بل إلى كتاب الله»، فقال: بل إلى الأحبار... فنزلت... وهناك أقوال أخرى، وعلى كلٍّ: فالمقصود بالآية هم اليهود، وقيل: اليهود والنصارى.

﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة، أو: زيادة سيئة.

٢٦ ونزل لَمَّا وَعَدَ ﷻ أُمَّةً مَلِكًا فَارِسَ وَالرُّومَ، فقال المنافقون: هيهات ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ يا الله ﴿مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ﴾ بإيثاره [الملك] ﴿وَتَذُلُّ مِنْ تَشَاءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿الْخَيْرِ﴾ أي: والشر ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢٧ ﴿تُولِجُ﴾ تُدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ﴾ تُدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كلُّ منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾^(١) كالإنسان والطائر، من النُّطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقاً واسعاً.

سُورَةُ الْغَاثَةِ ٢

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذُلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَبِسٌ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تَقَةً وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلِمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَحْجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

٢٨ ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يوالونهم ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: يواليههم ﴿فَلَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تَقَةً﴾ مصدر ﴿تَقَيْتُهُ﴾، أي: «تخافوا مخافة»، فلکم موالاتهم باللسان دون القلب، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: «التَّقَاةُ»: التَّكَلُّمُ بِاللِّسَانِ، وَالْقَلْبُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ»، وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمَا]. وهذا قبل عِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْرِي [حُكْمُ «التَّقَاةِ»]، فِي [كُلِّ] بَلَدَةٍ لَيْسَ [بِالْإِسْلَامِ] قَوِيًّا فِيهَا ﴿وَيَحْذَرُكُمْ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْكُمْ، إِنْ وَالَيْتُمُوهُمْ ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع، فيجازيكم.

٢٩ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم، من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يُعْلِمَهُ اللَّهُ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

٣٠ اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبره: ﴿تَسُودُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

(١) قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ...﴾ الآية، ذَكَرَ الْإِخْرَاجَ هَذَا، فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ

الكریم: هُنَا، وَفِي سُورَةِ «الْأَنْعَامِ» ص ١٧٨، وَفِي «يُونُسَ» ص ٢٧١، وَفِي «الرُّومِ» ص ٥٣٢، وَالْمُرَادُ بِالْحَيِّ هُوَ: مَنْ كَانَتْ فِيهِ حَيَاةٌ، وَبِالْمَيِّتِ: مَنْ لَا حَيَاةَ فِيهِ، وَ «الْإِخْرَاجُ» إِشَارَةٌ إِلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَخَلَقَ مِنْهَا، فَالْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ كَائِنَاتٌ حَيَّةٌ، يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْهَا، مَا هُوَ سَبَبٌ لِلْخَلْقِ، كَالنُّطْفَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَبَعْضُ الْحَيَوَانِ؛ وَكَالْبَيْضَةِ مِنَ الطُّيُورِ وَبَعْضُ الزَّوَاحِفِ، فَالْمَنِي وَالْبَيْضَةُ، جَعَلَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مَهْيَأَيْنِ، لِتَكُونَ مِنْهُمَا بَدَايَةُ خَلْقِ كَائِنٍ حَيٍّ، فَمَنْ الْمَنِي يَبْدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ وَبَعْضُ الْحَيَوَانِ، وَالْمَنِي: لَيْسَ كَائِنًا حَيًّا كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ، بَلْ فِيهِ قَابِلِيَّةٌ لِلْمَنِيِّ، إِذَا اسْتَقَرَّ فِي الرَّحِمِ، وَالْبَيْضَةُ لَيْسَتْ كَائِنًا حَيًّا أَيْضًا بَلْ هِيَ كَالْمَنِيِّ صَالِحَةٌ لِلْفَقْسِ غَالِبًا، وَمَا قَلْنَاهُ فِي النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ، يَقَالُ أَيْضًا فِي الْحَبُوبِ وَالْبَقُولِ، فَإِنَّهَا لَا تَنْبِتُ مَرَّةً أُخْرَى، إِلَّا إِذَا بَسَتْ وَجَفَتْ، فَلَوْ أُعِيدَتْ زُرْعَةُ الْبَصْلِ أَوْ الْقَمَحِ — مَثَلًا — قَبْلَ يَسَسَا تَعَامًا فَإِنَّهَا تَفْسُدُ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَنْبِتُ.

أمدأ بعيداً ﴿ غاية في نهاية البعد، فلا يصل إليها ﴾ ويحذركم الله نفسه ﴿ كرر للتأكيد ﴾ والله رؤوف بالعباد ﴿ ٣١ ونزل لما قالوا: ما نعبد الأصنام، إلّا حباً لله، ليقربونا إليه: ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ بمعنى: أنه يثيبكم ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور ﴾ لمن اتبعني، ما سلف منه قبل ذلك ﴿ رحيم ﴾ به.

٣٢ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أطيعوا الله والرسول ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿ فإن تولوا ﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿ فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي: لا يحبهم، بمعنى: أنه يعاقبهم.

٣٣ ﴿ إن الله اصطفى ﴾ اختار ﴿ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران ﴾ بمعنى أنفسهما (١)

﴿ على العالمين ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم.

٣٤ ﴿ ذرية بعضها من ﴾ ولد ﴿ بعض ﴾ منه ﴿ والله سميع عليم ﴾.

٣٥ اذكر ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾ [واسمها] «حَنَّة» لما أسنت واشتافت للولد، فدعت الله، وأحست بالحمل: يا ﴿ رب إني نذرت ﴾ أن أجعل ﴿ لك ما في بطني محرراً ﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا، لخدمة بيتك المقدس ﴿ فتقبل مني إنك أنت السميع ﴾ للدعاء ﴿ العليم ﴾ بالنيات، وهلك عمران [أي: مات] وهي حامل.

٣٦ ﴿ فلما وضعتها ﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلاماً، إذ لم يكن بحرر إلّا الغلمان ﴿ قالت ﴾ معذرة يا ﴿ رب إني وضعتها أنثى والله أعلم ﴾ أي: عالم ﴿ بما وضعت ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى، وفي قراءة: يضم التاء ﴿ وليس الذكر ﴾ الذي طلبت ﴿ كالأنثى ﴾ التي وُهِبَتْ، لأنه يقصد للخدمة، وهي لا تصلح لها، لضعفها وعورتها، وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿ وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها ﴾ أولادها ﴿ من الشيطان الرجيم ﴾ المطرود، في الحديث: «ما من مولود يولد إلّا معه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً إلّا مريم وابنها» رواه الشيخان [وغيرهما].

٣٧ ﴿ فتقبلها ربها ﴾ أي: قبل مريم من أمها ﴿ بقبول حسن وأنبأها نبأاً

البقرة

أمدأ بعيداً ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ والله رؤوف بالعباد ﴿ ٣٠

﴿ قل ﴾ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر

لكم ذنوبكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ ﴿ قل أطيعوا الله

والرسول ﴾ فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴿ ٣١

* ﴿ إن الله اصطفى ﴾ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران

على العالمين ﴿ ٣٢ ﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميع

عليم ﴿ ٣٣ ﴾ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت

لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع

العليم ﴿ ٣٤ ﴾ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى

والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإني

سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان

الرجيم ﴿ ٣٥ ﴾ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً

(١) قوله: «بمعنى أنفسهما» الأولى في اللغة أن يقال: «نفسهما»، أي: نفس إبراهيم، ونفس عمران، كما هو متحى السيوطي في تفسيره هذا، ولكن: لا داعي إلى هذا المذهب، طالما أن الآية صريحة في ذكر «آل»، مع كل من: «إبراهيم» و«عمران»، أي: إن الله تعالى اصطفى إبراهيم وعمران، واصطفى الأنبياء والصالحين من ذريتهما، ولا يفهم من الآية بحال، الشاء على من كفر من الذريتين.

حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمَزًا وَآذَكَرُّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

حَسَنًا أَنشأها بَخْلَقَ حَسَنَ، فَكَانَتْ تَنْبُتُ فِي الْيَوْمِ، كَمَا يَنْبِتُ الْمَوْلُودُ فِي الْعَامِ، وَأَتَتْ بِهَا أُمُّهَا الْأَحْبَارَ، سِدْنَةَ بَيْتِ
الْمَقْدَسِ فَقَالَتْ: دُونَكُمْ هَذِهِ الذُّبَيْرَةُ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا، لِأَنَّهَا بِنْتُ إِمَامِهِمْ، فَقَالَ زَكْرِيَّا: أَنَا أَحَقُّ بِهَا، لِأَنَّ خَالَتَهَا عِنْدِي،
فَقَالُوا: لَا حَتَّى نَقْتَرِعَ، فَانْطَلَقُوا - وَهُمْ تِسْعَةٌ وَعَشْرُونَ - إِلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، وَالْقَوَا أَقْلَامُهُمْ، عَلَى أَنَّ مِنْ ثَبِتَ قَلَمُهُ فِي
الْمَاءِ وَصَعِدَ، فَهُوَ أَوْلَى بِهَا، [وَمَنْ غَرَقَ قَلَمَهُ، أَوْ ذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِيهَا]، فَثَبِتَ قَلَمَ زَكْرِيَّا، فَأَخَذَهَا، وَبَنَى
لَهَا غُرْفَةً فِي الْمَسْجِدِ بِسُلَّمٍ، لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَانَ يَأْتِيهَا بِأَكْلِهَا وَشَرْبِهَا وَدَهْنِهَا، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةً الصَّيْفِ بِالشِّتَاءِ
وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ بِالصَّيْفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا﴾ ضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَفِي قِرَاءَةِ: بِالتَّشْدِيدِ وَنَصَبِ «زَكْرِيَّا» مَمْدُودًا
[بِهَمْزٍ]، وَمَقْصُورًا [بِلَا هَمْزٍ]، وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ

﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الْغُرْفَةُ،
وَهِيَ: أَشْرَفُ الْمَجَالِسِ ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قَالَ
يَا مَرْيَمُ أَنَّى؟ مِنْ أَيْنَ؟ ﴿لَكَ هَذَا؟﴾ قَالَتْ: وَهِيَ
صَغِيرَةٌ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يَأْتِينِي بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ
﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ زَرْقًا وَاسْعًا
بِلَا تَبَعَةٍ.

٣٨ ﴿هُنَالِكَ﴾ أَي: لَمَّا رَأَى زَكْرِيَّا ذَلِكَ، وَعَلِمَ
أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّيْءِ فِي غَيْرِ حِينِهِ، قَادِرٌ
عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْوَلَدِ عَلَى الْكِبَرِ، وَكَانَ أَهْلُ بَيْتِهِ
انْقَرَضُوا ﴿دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾ لَمَّا دَخَلَ الْمِحْرَابَ
لِلصَّلَاةِ جَوْفَ اللَّيْلِ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾
مِنْ عِنْدِكَ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ وَلَدًا صَالِحًا ﴿إِنَّكَ
سَمِيعٌ مُجِيبٌ﴾ الدُّعَاءِ.

٣٩ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ﴾ أَي: جَبْرِيلُ ﴿وَهُوَ قَائِمٌ
يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أَي: الْمَسْجِدِ ﴿أَن﴾ أَي:
بِأَنَّ، وَفِي قِرَاءَةِ: بِالْكَسْرِ بِتَقْدِيرِ الْقَوْلِ ﴿اللَّهُ
يُبَشِّرُكَ﴾ مُثَقَّلًا وَمُخَفَّفًا ﴿بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾
كَائِنَةٍ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: بِعِيسَى أَنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، [أَي:
أَمْرُهُ وَكَلِمَتُهُ، فَرُوحُ الْمَسِيحِ مَخْلُوقَةٌ كِبَاقِي أَرْوَاحِ
الْمَخْلُوقَاتِ]، وَسَمِيَ «كَلِمَةً» لِأَنَّهُ خَلَقَ بِكَلِمَةٍ:
«كُنْ» ﴿وَسَيِّدًا﴾ مُتَبَوِّعًا ﴿وَحَصُورًا﴾ مَمْنُوعًا مِنْ
النِّسَاءِ، [مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، أَي: لَا يَرِغِبُ فِيهِنَّ
لِشُغْلِهِ بِالطَّاعَةِ] ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ رَوَى: أَنَّهُ
لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً، وَلَمْ يَهْمُ بِهَا. ٤٠ ﴿قَالَ رَبِّ
أَنَّى﴾ كَيْفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ
الْكِبَرَ﴾ أَي: بَلَغْتَ نَهَايَةَ السَّنِّ، مَائَةً وَعَشْرِينَ سَنَةً ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بَلَغْتَ ثَمَانِي وَتِسْعِينَ ﴿قَالَ﴾ الْأَمْرُ ﴿كَذَلِكَ﴾

مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكُمْا ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لَا يَعْجِزُهُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُظَاهِرُ هَذِهِ الْقُدُورَةَ الْعَظِيمَةَ، أَلْهَمَ السُّؤَالَ،
لِيَجَابَ بِهَا. ٤١ ﴿وَلَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى سُرْعَةِ الْمُبَشِّرِ بِهِ﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً أَي: عَلَامَةً عَلَى حَمْلِ امْرَأَتِي ﴿قَالَ﴾
آيَتُكَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّ﴾ ﴿لَا تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ أَي: تُنْمَعُ مِنْ كَلَامِهِمْ، بِخِلَافِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، [فَلَا تُنْمَعُ عَنْهُ] ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ أَي: بِلَيَالِيهَا ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ إِشَارَةً ﴿وَآذَكَرُّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صَلِّ ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ أَوَاخِرَ النَّهَارِ وَأَوَاثِلَهُ.
٤٢ ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أَي: جَبْرِيلُ ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اخْتَارَكَ ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مِنْ مَسِيسِ الرِّجَالِ

﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ أي: أهل زمانك.

٤٣ ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ أطيعيه ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ أي: صلي مع المصلين.

٤٤ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿من أنباء الغيب﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نوحه إليك﴾ يا محمد ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ في الماء يقرعون، ليظهر لهم ﴿أيهم يكفل﴾ يربي ﴿مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ في كفالتها، فتعرف ذلك فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

٤٥ اذكر ﴿إذ قالت الملائكة﴾ أي: جبريل ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ أي: ولد ﴿اسمه المسيح عيسى

ابن مريم﴾ خاطبها بنسبته إليها، تنبيهاً على أنها تلده بلا أب، إذ عادة الرجال، نسبهم إلى آبائهم ﴿وجيهاً﴾ ذا جاه ﴿في الدنيا﴾ بالثبوة ﴿والآخرة﴾ بالشفاعة^(١) والدرجات العلا ﴿ومن المقربين﴾ عند الله.

٤٦ ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام، [وقد كلمهم قائلاً: «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً...»] الآيات من سورة «مريم» [و﴿يكلّمهم أيضاً﴾ «كهلاً و﴿جعلناه﴾ «من الصالحين﴾].

٤٧ ﴿قالت رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ بتزوج ولا غيره؟ ﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً﴾ أراد خلقه ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي: فهو يكون.

٤٨ ﴿ونعلمه﴾ بالنون والياء ﴿الكتاب﴾ الخطّ ﴿والحكمة والتوراة والإنجيل﴾.

٤٩ ﴿و﴿نجعلهُ﴾ رسولاً إلى بني إسرائيل﴾ في الصبا، أو: بعد البلوغ، ففخ جبريل في جيب درعها فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة «مريم»، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أنى﴾ أي: بأني ﴿قد جئتكم بأية﴾ علامة على صدقي ﴿من ربكم﴾ هي: ﴿أنى﴾ وفي قراءة: بالكسر استئنافاً ﴿أخلق﴾ أصور^(٢) ﴿لكم من الطين

الْبَيْتُ الثَّالِثُ

وَاصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَمْرِمُ أَقْنِي لَرَبِّكَ
وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي
بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٨﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٩﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ

١) قوله: «بالشفاعة»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» يوم القيامة ص ٦١٢.

٢) قوله: «أصور». إن تفسير الخلق هنا بالتصوير هو الصواب، لأنه لا يجوز إسناد فعل الخلق بمعنى الإيجاد إلى غير الله تعالى «الله خالق كل شيء»، «هل من خالق غير الله؟» فلا خالق غيره تعالى، وما فعله المسيح عليه السلام، كانت معجزات أجراها الله تعالى على يديه تصديقاً له، ليؤمن بنو إسرائيل برسالته ويتبعوه.

كهيفة الطير ﴿ مثل صورته، فالكاف اسم مفعول ﴿فأنفخ فيه﴾ الضمير للكاف [أي: في المصور] ﴿فيكون طيراً﴾ وفي قراءة: «طائراً» ﴿بإذن الله﴾ بإرادته، فخلق لهم «الخفاش»، لأنه أكمل الطير خلقاً، فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، [ليتميز ما فيه فعل المخلوق من خلق الخالق] ﴿وأبرىء﴾ أشفي «الأكمه» الذي وُلد أعمى ﴿والأبرص﴾ وخصاً بالذكر، لأنهما داء إعياء، وكان بعثه في زمن الطب، فأبرأ في يوم خمسين ألفاً^(١) بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وأحيى الموتى بإذن الله﴾ كرّره لنفي توهم الألوهية فيه، فأحيا عازراً صديقاً له، وابن العجوز، وابنة العاشر، [أي: جابي العشر]، فعاشوا وولّد لهم، وسام بن نوح ومات في الحال [اقرأ التعليق] ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما

تدخرون﴾ تدخرون ﴿في بيوتكم﴾ مما لم أعيناه، فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿آية لكم إن كنتم مؤمنين﴾. ٥٠ ﴿و﴾ جتكم ﴿مصدقاً لما بين يدي﴾ قبلي ﴿من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ فيها، فأحل لهم من السمك والطير، ما لا صنيعة له [أي: ما لا شوكة له يؤدي بها]، وقيل: أحل الجميع، فـ «بعض» بمعنى «كل» ﴿وجتكم بآية من ربكم﴾ كرّره تأكيداً، وليبني عليه: ﴿فأتقوا الله وأطيعون﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته. ٥١ ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا﴾ الذي أمركم به ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به. ٥٢ ﴿فلما أحس﴾ علم ﴿عيسى منهم الكفر﴾ وأرادوا قتله ﴿قال من أنصاري﴾ أعواني، ذاهباً ﴿إلى الله﴾ لأنصر دينه ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ أعوان دينه، وهم: أصفياء عيسى أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من «الخوَر» وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب أي: يبيضونها ﴿آمنّا﴾ صدقنا ﴿بالله واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأننا مسلمون﴾. ٥٣ ﴿ربنا آمنّا بما أنزلت﴾ من الإنجيل ﴿وابتغنا الرسول﴾ عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق. ٥٤ ﴿قال تعالى: ﴿ومكروا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى، إذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿ومكر الله﴾ بهم، بأن

سُورَةُ التَّوْبَةِ

كَهَيْفَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلَلْ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

ألقى شبه عيسى على من قصد قتله^(٢) فقتلوه، ورفع عيسى إلى السماء ﴿والله خير الماكرين﴾ أعلمهم به. ٥٥ اذكر ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك﴾ قابضك ﴿ورافعك إلي﴾ من الدنيا من غير موت ﴿ومطهرك﴾ مبعذك ﴿من الذين

(١) قوله: «وأبرأ في يوم خمسين ألفاً الخ»، وأنه أحيا فلاناً وفلاناً... الخ... إن هذا لم يرد فيه خبر موثوق، وليس هو مما يصح أن يُفسر بالرأي، لأنها معجزة، فيجب الإيمان بما جاء في القرآن الكريم بخصوصها بلا زيادة ولا نقصان.

(٢) قوله: «بأن ألقى شبهه على من قصد قتله»، الصحيح أن الذي ألقى شبه عيسى عليه كان أحد تلاميذه، لحديث بذلك، أشرنا إليه ص ١٣٠.

كفروا وجاعل الذين اتبعوك ﴿ صدقوا بنبوتك من المسلمين ﴾ [وهم الذين اتبعوا محمداً ﷺ]، والنصارى [الذين كانوا على دين المسيح، الذي هو الإسلام، قبل بعثة محمد ﷺ] ﴿فوق الذين كفروا﴾ بك، وهم: اليهود [ومن حَرَفَ دين المسيح من النصارى]، يُعْلِنُهُم بالحجة والسيف ﴿إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين. ٥٦ ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿والآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم من ناصرين مانعين منه. ٥٧﴾ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم ﴿بالباء والنون﴾ أجورهم والله لا يحب الظالمين ﴿أي: يعاقبهم، روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته، فتعلقت به أمه وبكت، فقال لها: إن القيامة تجمعنا، وكان ذلك ليلة القدر بيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين، وروى الشيخان: «أنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية» وفي حديث مسلم: «أنه يمكث سبع سنين»، وفي حديث عند أبي داود الطيالسي (١): «أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه»، فيحتمل أن المراد، مجموع لبثه في الأرض، قبل الرفع وبعده. ٥٨ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نتلوه﴾ نقصه ﴿عليك﴾ يا محمد ﴿من الآيات﴾ حال من الهاء في «نتلوه»، وعامله: ما في «ذلك» من معنى الإشارة ﴿والذكر الحكيم﴾ المحكم، أي: القرآن. ٥٩ ﴿إن مثل عيسى﴾ شأنه الغريب ﴿عند الله كمثل آدم﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس «خلقه» أي: آدم، أي: قاله ﴿من تراب ثم قال له كن﴾ بشراً ﴿فيكون﴾ أي: فكان، وكذلك عيسى، قال له: كن من غير أب، فكان. ٦٠ ﴿الحق من ربك﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: أمر عيسى ﴿فلا تكن من الممترين﴾ الشاكين فيه. ٦١ ﴿فمن حاجك﴾ جادل من النصارى ﴿فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾ بأمره ﴿فقل﴾ لهم ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا وأنفسنا وأنفسكم﴾ فجمعهم ﴿ثم نبتهل﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ بأن نقول: «اللهم العن الكاذب في شأن عيسى»، وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك، لما حاجوه فيه، فقالوا:

الْبَابُ الثَّالِثُ

كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٩﴾ إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٠﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُن مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ

حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا الرسول ﷺ، وقد خرج معه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إذا دعوت فأمثروا»، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية، رواه أبو نعيم [في الدلائل، وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما قريباً منه]، و [روى أحمد] عن ابن عباس قال: «لو خرج الذين يباهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً»، وروي: «لو خرجوا لاحترقوا». ٦٢ ﴿إن هذا﴾ المذكور ﴿لهو القصص﴾ الخبر

(١) قوله: «الطيالسي» هو صاحب المستد، الذي قال فيه ابن الأثير في «اللباب»: إنه من حسن الحديث، ونص الحديث مرفوعاً: =

﴿الحق﴾ الذي لا شك فيه ﴿وما من﴾ زائدة ﴿إله إلا الله وإن الله لهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٦٣ ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ فيجازيهم ، وفيه وضع الظاهر موضع المضمَر .

٦٤ ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾ مصدر بمعنى : مستو أمرها ﴿بيننا وبينكم﴾ هي : ﴿أ﴾ ن ﴿لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ كما اتخذتم الأحرار والرهبان [حيث أطعموهم فيما حللوه لكم وحَرَّموه عليكم] ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فقولوا﴾ أنتم لهم ﴿اشهدوا بأننا مسلمون﴾

موحدون .

٦٥ ونزل لما قال اليهود : إبراهيم يهودي ونحن على دينه . وقال النصارى كذلك : ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تحتاجون﴾ تخاصمون ﴿في إبراهيم﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾ بزمان طويل ، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ^(١) ؟ ﴿أفلا تعقلون﴾ بطلان قولكم ؟

٦٦ ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أنتم﴾ مبتدأ ، يا ﴿هؤلاء﴾ والخبر ﴿حاججتم فيما لكم به علم﴾ من أمر موسى وعيسى ، وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم﴾ من شأن إبراهيم ﴿والله يعلم﴾ شأنه ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ .

٦٧ قال تعالى تبرئة لإبراهيم : ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً﴾ ماثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مسليماً﴾ موحداً ﴿وما كان من المشركين﴾ [كما يزعمون] .

٦٨ ﴿إن أولى الناس﴾ أحقهم ﴿بإبراهيم﴾ للذين اتبعوه ﴿في زمانه﴾ وهذا النبي ﴿محمد﴾ لموافقته له في [الإيمان الصحيح ، وفي] أكثر شرعه ﴿والذين آمنوا﴾ من أمته ، فهم الذين ينبغي أن يقولوا : نحن على دينه ، لا أنتم ﴿والله

سُورَةُ النِّسَاءِ ٣

الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ قُلْ يَأْهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥﴾ يَأْهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجَّجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

= «يمكث عيسى في الأرض بعدما ينزل أربعين سنة، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنون»، وهذا الحديث أيضاً في سنن أبي داود السجستاني، وقد طعن في هذه الأحاديث وفي غيرها، نفر من الزنادقة في عصرنا، ابتغاء التشكيك في السنة النبوية، التي هي المرجع في فهم أحكام القرآن الكريم، بحجة أنها لا توافق عقولهم أي : أهواءهم، والغريب أن هؤلاء لا علم لهم بشيء من علوم الحديث، بل إن منهم من لا يحسن القراءة، ولكنها فتنة، نعوذ بالله من شرها وشر أهلها .

(١) قوله : «وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية» هذا لف ونشر مرتب، أي : ما حدثت اليهودية إلا بعد نزول التوراة، وما حدثت النصرانية إلا بعد نزول الإنجيل، فالذين آمنوا مع موسى وعيسى، هم مسلمون، لأن كلا منهما قد جاء بالإسلام لا بسواه، فليست «اليهودية» ديناً لموسى، ولا «النصرانية» ديناً للمسيح، بل أحدث ذلك الذين كفروا من قومهما بعدهما . ارجع إلى تعليقنا ص ١٠ .

﴿ومَنهم مَن إن تَأْمَنهُ بدينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ لخِيَانَتِهِ ﴿إِلَّا مَا دَمَت عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لَا تَفَارِقُهُ، فَمَتَى فَارَقْتَهُ أَنْكَرَهُ، كَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، اسْتَوْدَعَهُ قَرَشِي دِينَارًا فَجَحَدَهُ ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: تَرَكَّ الْأَدَاءَ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ﴾ أَي: الْعَرَبِ ﴿سَبِيلٌ﴾ أَي: إِثْمٌ، لَا اسْتِحْلَالَ لَهُمْ ظَلَمٌ مِّنْ خَالَفَ دِينَهُمْ، وَنَسَبُوهُ إِلَيْهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فِي نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ. ٧٦ ﴿بَلَى﴾ عَلَيْهِمْ فِيهِ سَبِيلٌ ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الَّذِي عَاهَدَ عَلَيْهِ، أَوْ: بِعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ، مَن آدَاءَ الْأَمَانَةِ وَغَيْرِهِ ﴿وَاتَّقَى﴾ اللَّهُ، بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَعَمَلِ الطَّاعَاتِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فِيهِ وَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ، أَي: يُحِبُّهُمْ، بِمَعْنَى: يُبَيِّهِمْ. ٧٧ وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ لَمَّا بَدَّلُوا نَعْتَ النَّبِيِّ، وَعَهَدَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ، أَوْ: فِيمَنْ حَلَفَ كَاذِبًا فِي دَعْوَى (١)، أَوْ:

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٢

وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ

فِي بَيْعِ سَلْعَةٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يَسْتَبْدِلُونَ ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حَلْفُهُمْ بِهِ تَعَالَى كَاذِبِينَ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ﴾ نَصِيبٌ ﴿لَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ غَضَبًا عَلَيْهِمْ ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يَرْحَمُهُمْ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يَطْهَرُهُمْ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلَّمٌ. ٧٨ ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ﴾ أَي: أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾ طَائِفَةٌ، كَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ﴿يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أَي: يَعْطِفُونَهَا بِقِرَاءَتِهِ عَنِ الْمَنْزِلِ، إِلَى مَا حَرَفُوهُ مِنْ نَعْتِ النَّبِيِّ وَنَحْوِهِ ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أَي: الْمَحْرُفَ ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ. ٧٩ وَنَزَلَ لَمَّا قَالَ نَصَارَى نَجْرَان: إِنْ عَيْسَى أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوهُ رَبًّا، أَوْ: لَمَّا طَلَبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ السُّجُودَ لَهُ ﷺ، [وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ]: ﴿مَا كَانَ﴾ يَنْبَغِي ﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أَي: الْفَهْمَ لِلشَّرِيعَةِ ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾ يَقُولُ:

= اليهود مقابل مصالح ومكاسب دنيوية خاصة، لذلك: نحذر المسلمين من الماسونية وبساتنها وبناياتها - الأحرار -، كي لا ينجرفوا في تيارها، فإن أول الماسونية مُغْرِي، ثم بعده خزي وخسران، وهل بعد الإسلام إلا الكفر والضلال؟.

(١) قوله: «أو فِيمَنْ حَلَفَ كَاذِبًا فِي دَعْوَى» أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرًا - أَي: حَلَفَ جَرَاءَةً - لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الْآيَةَ قَالَ - أَي: ابْنُ مَسْعُودٍ - : فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: مَا يَحْذَرُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ - أَي: ابْنُ مَسْعُودٍ ؟ - قُلْنَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فِي أَنْزَلْتُ، كَانَتْ لِي بَثْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي - اسْمُهُ «مُعْدَان» -، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ أَيْضًا: وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ فَجَحَدَنِي - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْتُكَ أَوْ يَمِينُهُ» فَقُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرًا يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ - أَي: كَاذِبٌ غَيْرُ نَاسٍ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا مَكْرَهٌ - لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ».

﴿كُونُوا رِبَانِينَ﴾ علماء عاملين^(١)، و [الرَّبَّانِيُّ] هو: الكامل في العلم والعمل، منسوب إلى «الرب» بزيادة ألف ونون تفخيماً [والأصل: «رَبِّيُّونَ»] ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد «الكتاب وبما كنتم تدرسون» أي: بسبب ذلك، فإن فائدته أن تعملوا. ٨٠ ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع استئنافاً، أي: الله، والنصب: عطفاً على «يقول»، أي: البشر ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة، واليهودُ عزيراً، والنصارى عيسى ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟ لا ينبغي له هذا. ٨١ ﴿وَإِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام، للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق، وكسرهما، متعلقة بـ «أخذ»، و «ما» موصولة على الوجهين، أي:

للذي ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ إياه، وفي قراءة «آتيناكم» ﴿مَنْ﴾ كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ﴿مَنْ﴾ الكتاب والحكمة، وهو محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم، [أي: تؤمنون به وتنصرونه] إن أدركتموه، وأمتهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ عهدي ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. ٨٢ ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ٨٣ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء، أي: المتولون، والتاء، ﴿وَلَهُ أَسْلَمُ﴾^(٢) انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً﴾ بلا إياء ﴿وَكَرْهاً﴾ بالسيف، ومعانية ما يلجىء إليه ﴿وَالِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ بالتاء والياء، والهمزة [في أول الآية] للإنكار.

٨٤ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده^(٣) [أي: الأنبياء منهم ومن ذريتهم] ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ﴾

(١) قوله: «علماء عاملين». إن ثمرة العلم والعمل به، والعلم إن لم يتفع به صاحبه كان ريبالاً عليه، فلقد شبه الله تعالى بني إسرائيل الذين تركوا العمل بالتوراة، بالحمار يحمل على ظهره كتاباً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. فالحمار يتساوى عنده حمل أسفار الحكمة، وحمل سواها من الأنفال، ولا يشعر من هذه وتلك، إلا بما يعاينه من تعب وإرهاق، فتعوز بالله تعالى من علم لا ينفع، ومن قول بلا عمل.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمُ﴾ من في السماوات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً، اختار الحافظ ابن كثير في تفسيره أن معناه: [أي: استسلم له من فيهما طَوْعاً وكَرْهاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُ﴾ من في السماوات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً، فالْمُؤْمِنُ يستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر يستسلم لله كَرْهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان الذي لا يخالف ولا يمانع، أما المعنى الذي ذكره الجلال السيوطي رحمه الله فليس وافياً كما يدركه المتأمل.

(٣) قوله: «أولاده»، ليس جميع أولاد يعقوب أنبياء، و «الأسباط» هم: شعوب بني إسرائيل، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٦.

من ربهم لا نفرق بين أحد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون مخلصون في العباد.

٨٥ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

٨٦ ونزل فيمن ارتد^(١) ولحق بالكفار: كيف أي: لا يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أي: وشهادتهم أن الرسول حق وقد جاءهم البينات الحجج الظاهرات على صدق النبي والله لا يهدي القوم الظالمين أي: الكافرين.

٨٧ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٨٨ خالدین فیہا أي: اللعنة، أو: النار المدلول بها عليها [أي: باللعنة على النار] لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ينهلون.

٨٩ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا عليهم فإن الله غفور رحيم بهم.

٩٠ ونزل في اليهود: إن الذين كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى ثم ازدادوا كفراً بمحمد لن تقبل توبتهم إذا غرغروا^(٢)، أو: ماتوا كفاراً أولئك هم الضالون.

٩١ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض^(٣) مقدار ما يملؤها ذهباً ولو افتدى به أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط، وإيضاحاً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر أولئك لهم عذاب

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٨٥
وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ٨٦ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٨٧
أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ٨٨
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ٨٩
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ٩٠ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا
كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ٩١
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ٩٢ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) قولنا: «نزل فيمن ارتد» أخرج النسائي وابن حبان والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجل من الأنصار - هو: الحارث بن سويد - فأسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه: قاتلاً: أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فسألوه فقال ﷺ: «نعم».

وقال العلامة هبة الله بن سلامة في كتابه «الناسخ

والمسوخ»: نزلت في ستة رهط ارتدوا عن الإسلام، ثم استثنى الله واحداً منهم، - هو الحارث المذكور - فصارت فيه توبة، وفي كل نادم إلى يوم القيامة، أي: لم يتب منهم غيره. [ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢].

(٢) قوله: «إذا غرغروا». أي: إذا بلغت الروح الحلقوم، روى الترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». أي: يقبل التوبة من جميع المعاصي ومنها الكفر، والتوبة منه تكون بالإيمان.

(٣) قوله تعالى: «فلن يقبل من أحدهم». أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟، فيقول: نعم. فيقال: لقد سُئِلت ما هو أيسر من ذلك - يعني: الإيمان - فذلك قوله تعالى: «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار...» الآية..

اليم مؤلم ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين منه . ٩٢ ﴿لن تنالوا البر﴾ أي: ثوابه، وهو: الجنة ﴿حتى تنفقوا﴾ تصدقوا ﴿مما تحبون﴾ من أموالكم ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ فيجازي عليه .

٩٣ ونزل لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحوم الإبل والبأنها: ﴿كل الطعام كان حلالاً﴾ حلالاً ﴿لبنی إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل﴾ يعقوب ﴿على نفسه﴾ وهو الإبل، لما حصل له عرق «النساء»، بالفتح والقصر، فنذر إن شفي لا يأكلها، فحرم عليه ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه، فبهتوا ولم يأتوا بها .

٩٤ قال تعالى: ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب، لا على عهد إبراهيم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل .

٩٥ ﴿قل صدق الله﴾ في هذا، كجميع ما أخبر به ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم﴾ التي أنا عليها ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿وما كان من المشركين﴾ .

٩٦ ونزل لما قالوا: قِيلَ لَنَا قَبْلَ قَبْلَتِكُمْ ﴿إن أول بيت وضع﴾ متعبداً ﴿للناس﴾ في الأرض ﴿للذي ببكة﴾ بالباء، لغة في «مكة»، سميت بذلك، لأنها تَبَكُّ أعناق الجابرة، أي: تدفُّها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين [عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» . قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة»]، وفي حديث [أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عمر موقوفاً عليه]: أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض، زَبْدَةٌ [بفتح الزاي، أي: كتلة من الزبد] بيضاء، فدُحيت الأرض من تحتها، ﴿مباركاً﴾ حال من «الذي» أي: ذا بركة ﴿وهدى للعالمين﴾ لأنه قبلتهم .

٩٧ ﴿فيه آيات بينات﴾ منها ﴿مقام إبراهيم﴾

البقرة

الْيَمُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت، فأثر قدماء فيه، وبقي إلى الآن، مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه، و [لا دليل على] أن الطير لا يعلوه [لأ استشفاء كما قيل] ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ لا [يجوز أن] يُتَعَرَّضَ إليه بقتل، أو: ظلم، أو غير ذلك ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [أي: واجب، بكسر الحاء وفتحها: لغتان في مصدر «حجج»، بمعنى «قصد»، وهما قراءتان سبعيتان]، ويبدل من «الناس» ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ طريقاً، فسره ﴿بالزاد والراحلة﴾، رواه الحاكم وغيره ﴿ومن كفر﴾ بالله، أو بما فرضه من الحج ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم . ٩٨ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون

بآيات الله ﴿القرآن﴾ والله شهيد على ما تعملون ﴿فيجازيكم عليه﴾ ٩٩ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون ﴿تصرفون﴾ عن سبيل الله ﴿أي: دينه﴾ من آمن ﴿بتكذيبكم النبي﴾، وكنتم نعمة ﴿تبغونها﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عوجاً﴾ مصدر بمعنى معوجة، أي: مائلة عن الحق ﴿وأنتم شهداء﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم، دين الإسلام، كما في كتابكم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم.

١٠٠ ونزل لما مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج، وغازطهم تألفهم، فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن، فتشاجروا وكادوا يقتلوا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾.

١٠١ ﴿وكيف تكفرون﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم﴾ يتمسك ﴿بالله﴾ [أي: بدينه] ﴿فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾.

١٠٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ [أخرج عبد الرزاق، والحاكم وصححه، والطبراني وغيرهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ فسر قوله تعالى ﴿حق تقاته﴾: «بأن يطاع فلا يُغصى، ويُشكر فلا يكفر، ويُذكر فلا يُنسى» فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ ففسخ بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(١) ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ موحدون.

١٠٣ ﴿واعتصموا﴾ تمسكوا ﴿بجبل الله﴾ أي: دينه ﴿جميعاً ولا تفرقوا﴾ بعد الإسلام ﴿واذكروا نعمة الله﴾ إنعامه ﴿عليكم﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إذ كنتم﴾ قبل الإسلام ﴿أعداء﴾ فالف جمع ﴿بين قلوبكم﴾ بالإسلام ﴿فأصبحتم﴾ فصرتم ﴿بنعمته إخواناً﴾ في الدين والولاية ﴿وكنتم على شفا﴾ طرف حفرة من النار ﴿ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً﴾ فأنقذكم منها ﴿بالإيمان﴾ كذلك ﴿كما بين لكم ما ذكر﴾ يبين الله لكم آياته

سُورَةُ الْغُفْرِ آيَاتُ ٣

بِأَيِّتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿٣﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ

(١) قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾. هذه الآية - كما

قال الجلال السيوطي رحمه الله - ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ لأنه يتعذر على العبد ذلك بسبب ما جبل عليه من ضعف، فخفف الله على عباده، فقبل منهم وُسْعهم وطاعتهم، فظن بعض الناس أن المطلوب منهم هو الحد الأدنى من التقوى، أي: ما تيسر لهم منها، زاعمين أن هذا هو معنى «الاستطاعة»، - والتقوى فيها شدة على النفس - ولكي ندرك المعنى الدقيق لها فنضرب هذا المثل، نقول: لو أدخل أحد الناس إلى مكان مملوء بالذهب والمجوهرات وقبل له: احمل ما تستطيع، فهل سيكتفي بقبضة من ذهب ويقول: هذه استطاعتي؟ لا، بل إنه سيحمل ويحمل حتى يضطر إلى التخفيف لئلا يتمكن من النهوض... فحمله بأقصى طاقته هي: «الاستطاعة»، وكذلك الحال في التقوى، فإن المطلوب بذلك أقصى ما نستطيع في عمل الواجب وترك المحرمات، ما لم تصل إلى حد الحرج أو الضرورة، فعندهما فقط، نخرج عن التكليف، ونأخذ بالرخص وتباح لنا الضرورات، قال تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

لعلكم تهتدون. ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، الإسلام، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر^(١) وأولئك الداعون، الأمرون، الناهون، هم المفلحون، الفاتزون، و«من» للتبعض، لأن ما ذكر، فرض كفاية لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحد كالجاهل، وقيل: زائدة، أي: لتكونوا أمة. ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا عن دينهم «واختلفوا» فيه «من بعد ما جاءهم البينات» وهم: اليهود والنصارى «وأولئك لهم عذاب عظيم». ١٠٦ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، أي: يوم القيامة «فأما الذين اسودت وجوههم» وهم الكافرون، فيلقون في النار، ويقال لهم توبيخاً: «أكفرتم بعد إيمانكم» يوم أخذ الميثاق «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون».

الآيات

١٠٧ وأما الذين ابيضت وجوههم، وهم المؤمنون «ففي رحمة الله» أي: جنته «هم فيها خالدون».

١٠٨ تلك، أي: هذه الآيات «آيات الله نتلوها عليك» يا محمد «بالحق وما الله بريد ظمناً للعالمين» بأن يأخذهم بغير جرم.

١٠٩ «ولله ما في السموات وما في الأرض» ملكاً [فهو مالكمهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم] «والى الله ترجع» تصير الأمور.

١١٠ «كنتم» يا أمة محمد، في علم الله تعالى «خير أمة أخرجت» أظهرت «للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٨﴾ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ

(١) قوله تعالى: «ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» المعروف: هو ما عرفه الشرع، والمنكر: هو ما أنكره الشرع، فكل أمر يقبل به الشرع ويرضاه فهو: «معروف»، وكل أمر لا يقبل به الشرع ويأباه فهو: «منكر»، وأعلى أنواع المعروف: «الإيمان»، وأشنع المنكرات: «الكفر بالله تعالى».

والمنكر يظل منكراً إلى يوم القيامة، ومثله المعروف، فتعاضت الناس على «منكر» لا يجعله «معرفاً»، وكذلك تركهم «المعروف» واستغرابهم إياه لا يجعله منكراً، فالشرع هو المرجع في معرفة الحلال والحرام، والحسن والقيح، والمعروف والمنكر.

إن ترخيص الدول بالمنكرات مثل: إباحة التعامل بالربا أو الزنا أو الخمر... لا يذهب عنها وصف «المنكر»، ولا يجعلها «معرفاً» عند الله عز وجل، ولا يغني المسلمين من مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وقوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان» ليس مدحاً لمن كانت هذه حاله، بل هو تحذير للمسلمين من التهاون في إنكار المنكر، لتلا يصلوا إلى أضعف الإيمان أي: إلى درجة يكون المؤمن فيها ضعيفاً، في مواجهة الكفرة والفاستين، عاجزاً حتى عن التلفظ بقول الحق.

أهل الكتاب لكان ﴿الإيمان﴾ خيراً لهم منهم المؤمنون ﴿أي: منهم من آمن﴾، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ الكافرون، [أخرج ابن جرير، عن قتادة السدوسي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: «من سره أن يكون من تلك الأمة، فليحقق شرط الله منها»، أي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله].

١١١ ﴿لن يضرؤكم﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إلا أذى﴾ باللسان، من سب ووعيد وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ﴿منهزمين﴾ ثم لا ينصرون ﴿عليكم، بل لكم النصر عليهم﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ لَّن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يُولُواكُمْ أَلَدَبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٣﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٤﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ

١١٢ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ (١) أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا ﴿حَيْثُما وَجَدُوا، فَلَا عِزَّ لَهُمْ وَلَا اِعْتِصَامَ﴾ ﴿إِلَّا﴾ كَاتِبِينَ ﴿بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ المؤمنين، وهو: عهدهم إليهم بالأمان، على [شرط] أداء الجزية، أي: لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [كما يُضْرَبُ الْبَيْتُ عَلَى أَهْلِهِ، فَالْيَهُودِيُّ يُظْهَرُ مِنْ نَفْسِهِ الْفَقْرُ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك تأكيد ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ﴿وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

١١٣ ﴿لَيْسُوا﴾ (٢) أي: أهل الكتاب ﴿سواء﴾ مستويين ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [أي: القرآن الكريم] ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي: في ساعاته ﴿وهم يسجدون﴾ يصلُّون، حال.

١١٤ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿مِّنْ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

١١٥ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا﴾ بالتاء، أيها الأمة، والياء أي: الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾

تُكْفَرُوهُ ﴿بِالْوَجْهِينِ﴾ [أي: بالتاء والياء] أي: تُعَدِّمُوا ثوابه، بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾. ١١٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ...﴾ الآية، رجح الرازي في معنى ﴿الذِّلَّةُ﴾: أن يحاربوا ويُقتلوا، وتُغْنَمَ أموالهم، وتُسَبَّى ذُراريهم، وتَمْلِكَ أراضيهم. أي: هكذا يجب أن يعاملوا أينما وجدوا، إلا بعهد من الله، وعصمة وذمام من الله ومن المؤمنين، فبعهد الأمان، لا قتل ولا غنيمه ولا سبي، وهذا المعنى أوضح من غيره، ومثله قوله تعالى في المنافقين: ﴿إِنَّمَا تُقَاتِلُوا أَكْثَرَهُمْ غُلَامًا مِّنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْغِيكِ وَالْفِتْنَةِ وَأَعَدُّوا لَكُمْ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً...﴾ الآية، أخرج ابن جرير والطبراني والبيهقي في الدلائل وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، =

كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله أي: من عذابه شيئاً وخصهما بالذكر، لأن الإنسان يدفع عن نفسه، تارةً بفداء المال، وتارةً بالاستعانة بالأولاد وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

١١٧ ﴿مِثْلُ﴾ صفة ﴿ما ينفقون﴾ أي: الكفار ﴿في هذه الحياة الدنيا﴾ في [سبيل التحريض على] عداوة النبي، أو صدقة ونحوها ﴿كمثل ريح فيها صر﴾ حر، أو: برد شديد ﴿أصابت حرث﴾ زرع ﴿قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعصية ﴿فأهلكته﴾ فلم ينتفعوا به، فكَذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وما ظلمهم الله﴾ بضائع نفقاتهم ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر الموجب لضياعتها.

الجزء الرابع

كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾ مِثْلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ هَآؤُنَّ أُولَآءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَى الْأَنَامِلِ أَطْرَافَ الْأَصَابِعِ ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ شِدَّةُ الْغَضَبِ، لَمَّا يَرُونَ مِنْ ائْتِلَافِكُمْ، وَيَعْبُرُ عَنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ بَعْضُ الْأَنَامِلِ مَجَازًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ عَضَ [فِي الْوَاقِعِ] قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ أَي: ائْتُوا عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ، فَلَنْ تَرَوْا مَا يَسُرُّكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بِمَا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَضْمُرُهُ هَؤُلَاءِ.

١١٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ أَصْفِيَاءَ، تُظَلِّعُونَهُمْ عَلَى سِرِّكُمْ ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم، من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نَصَبَ بَنَزَعِ الْخَافِضِ، أَي: لَا يَقْصُرُونَ لَكُمْ فِي الْفَسَادِ ﴿وَدُّوا﴾ تَمَنَّوْا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أَي: عَنَّتْكُمْ، وَهُوَ: شِدَّةُ الضَّرَرِ ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظَهَرَتْ ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ الْعَدَاوَةُ لَكُمْ ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بِالْوَقِيعَةِ فِيكُمْ، وَإِطْلَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى سِرِّكُمْ ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ مِنَ الْعَدَاوَةِ ﴿أَكْبَرُ﴾ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذَلِكَ، فَلَا تَوَالِيَهُمْ.

١١٩ ﴿هَا﴾ لِلتَّنْبِيهِ ﴿أَنْتُمْ﴾ يَا ﴿أُولَآءِ﴾ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْكُمْ وَصِدَاقَتِكُمْ ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لِمَخَالَفَتِهِمْ لَكُمْ فِي الدِّينِ ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أَي: بِالْكِتَابِ كُلِّهَا، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ ﴿وَإِذَا لِقَوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَى الْأَنَامِلِ﴾ أَطْرَافَ الْأَصَابِعِ ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ شِدَّةُ الْغَضَبِ، لَمَّا يَرُونَ مِنْ ائْتِلَافِكُمْ، وَيَعْبُرُ عَنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ بَعْضُ الْأَنَامِلِ مَجَازًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ عَضَ [فِي الْوَاقِعِ] قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ أَي: ائْتُوا عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ، فَلَنْ تَرَوْا مَا يَسُرُّكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بِمَا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَضْمُرُهُ هَؤُلَاءِ.

١٢٠ ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ تَضَبَّكُمْ ﴿حَسَنَةٌ﴾ نِعْمَةٌ، كُنْصَرُ وَغَنِيمَةٌ ﴿تَسُوْهُمْ﴾ تُخْزِنُهُمْ

﴿وَلِنْ تَضَبَّكُمُ سَيِّئَةٌ﴾ كَهَزِيمَةٍ وَجَدَبٌ ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ [إِنْ تَمْسَسْكُمْ... إلخ...]. متصلة بالشرط قبل [أي: بقوله: «إذا لقوكم...»]، وما بينهما [وهو قوله: «قل موتوا...»] اعتراض، والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم، فلم توالوهم؟ فاجتنبوهم.

= قالت أخبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا، ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿ليسوا سواء...﴾ الآية. ارجع إلى ترجمة عبد الله بن سلام في تعليقنا ص ٣٢٧.

وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى أَذَاهُمْ وَتَتَّقُوا اللَّهَ، فِي مَوَالِيهِمْ وَغَيْرِهَا ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بِكسر الضاد وسكون الراء [من «ضار»
 «يضر»]، وَضَمُّهَا وَتَشْدِيدُهَا [من «ضر» «يضر»] ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ١٢١ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
 الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢٢ إِذْ هَمَّتْ
 طَافِقَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ١٢٣ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢٤ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ
 يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنْزَلِينَ ١٢٥ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ
 فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُسَوِّمِينَ ١٢٦ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
 قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ١٢٧ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ١٢١ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ١٢٢ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢٣ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ١٢٤ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٢٥ ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ١٢٦ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١٢٧ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ١٢١ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ١٢٢ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢٣ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ١٢٤ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٢٥ ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ١٢٦ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١٢٧ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾

وقد صبروا، وأنجز الله وعده، بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق، عليهم عمام صفر، أو بيض، أرسلوها بين
 أكتافهم. ١٢٦ ﴿وما جعله الله﴾ أي: الإمداد ﴿إلا بشرى لكم﴾ بالنصر ﴿ولتطمئنن﴾ تسكن ﴿قلوبكم به﴾ فلا تجزع من
 كثرة العدو وقتلكم ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ يؤتیه من يشاء، وليس بكثرة الجند. ١٢٧ ﴿ليقطع﴾
 متعلق بـ «نصركم» أي: ليهلك «طرفاً من الذين كفروا» بالقتل والأسر «أو يكبتهم» يذلهم بالهزيمة.

﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يرجعوا ﴿خَائِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. ١٢٨ ونزل ﴿لَمَّا كَسَتْ رَبَاعِيَةٌ﴾، وشج وجهه يوم أحد، وقال: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم»: «ليس لك من الأمر شيء». بل الأمر لله، فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى: «إلى أن» ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يَعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر. ١٢٩ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته. ١٣٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (١) ﴿بِأَلْفٍ وَدُونِهَا﴾ بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تفوزون. ١٣١ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها. ١٣٢ ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾. ١٣٣ ﴿وَسَارِعُوا﴾ بواو ودونها

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة. أعدت للمتقين ﴿اللَّهُ﴾ بعمل الطاعات. ١٣٤ ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ﴾ [أموالهم] في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ اليسر والعسر ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الكافين عن إضائه مع القدرة ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ممن ظلمهم، أي: التاركين عقوبتهم ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال، أي: يشيهم.

١٣٥ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَغْفِرْ﴾

(١) قوله: «ونزل لما كست رباعية» الخ «الرباعية» - على وزن «الثمانية» - هي: السن التي بين الثنية والثاب، والثنية واحدة «الثنايا» وهما: السنان الأماميان، يليهما من كل ناحية «الرباعية»، ثم «الثاب»، ثم «الأضراس»، ويقال لكل ضرس «رحتى»، ومن الأضراس «النواجذ» وللإنسان أربعة «نواجذ» واحد في كل جهة، وهو آخر الأضراس يليه «ضرس الحنك» أي: ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل..

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوه إلى ربهم؟». فنزلت.

فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ

٨٤

(٢) قوله تعالى: «أضغافاً مضاعفة» يقول السفهاء من الناس: إن الربا المحرم هو ما كان أضغافاً مضاعفة، وهو ما يسمونه «الربا الفاحش» فقط، وهذا خطأ كبير، وفهم سقيم، روى ابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»، فالآية لا تحرم الربا الفاحش فحسب، بل فيها تحريم الربا أساساً، وذكر التضعيف فيها، إشارة إلى نتائج الربا وآثاره السيئة، فالربا يتكاثر، كلما مددت فترة أجل الدين، كما هي عادة المرابين، وهذا تنبيه إلى خطورة الربا وأضراره التي منها: إغراق المدين في الدين. ارجع إلى آيات تحريم الربا الأخرى في سورة «البقرة» وتعليقنا هناك ص ٥٩.

الذنوب إلا الله ولم يصروا ﴿١٣٦﴾ يقيموا ﴿١٣٧﴾ على ما فعلوا ﴿١٣٨﴾ [من الذنوب]، بل أقبلوا عنه ﴿١٣٩﴾ وهم يعلمون ﴿١٤٠﴾ أن الذي أتوه معصية.

١٣٦ ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿ونعم أجر العاملين﴾ بالطاعة، هذا الأجر.

١٣٧ ونزل في هزيمة أحد: ﴿قد خلت مضت﴾ من قبلكم سنن ﴿طرائق في الكفار، يأمهالهم ثم أخذهم﴾ فسيروا ﴿أيها المؤمنون﴾ في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿الذين كذبوا﴾ الرسل، أي: آخر أمرهم من الهلاك، فلا تحزنوا لغلبيتهم، فإنما أمهلهم لوقتهم.

سُورَةُ الْغَاثَةِ ٢

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾
أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٧﴾
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٣﴾

١٣٨ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بيان للناس﴾ كلهم ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿وموعظة للمتقين﴾ منهم. ١٣٩ ﴿ولا تهنوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وانتم الأعلون﴾ بالغبلة عليهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله [أي: إن كنتم مؤمنين، فلا تهنوا ولا تحزنوا]. ١٤٠ ﴿إن يمسسكم﴾ يصيبكم بأحد ﴿قرح﴾ بفتح القاف وضمها [وهما قراءتان سبعيتان. ر ﴿قرح﴾ بفتح القاف معناه: الجراحة. ويضمها: ألم الجراحة، أي: [جهد من جرح ونحوه] فقد مس القوم الكفار ﴿قرح مثله﴾ بيدر ﴿وتلك الأيام نداولها﴾ نصرفها ﴿بين الناس﴾ يوماً لفرقة ويوماً لآخرى، ليتعظوا ﴿وليعلم الله﴾ علم ظهور [أي: ليظهر ما علمه وهو: تمييز] ﴿الذين آمنوا﴾ أخلصوا في إيمانهم، من غيرهم ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الكافرين، أي: يعاقبهم، وما ينعم به عليهم استدراج. ١٤١ ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿ويمحق﴾ يهلك ﴿الكافرين﴾. ١٤٢ ﴿أم﴾ بل ﴿حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما﴾ لم ﴿يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ علم ظهور ﴿ويعلم الصابرين﴾ في الشدائد.

(١) قوله تعالى: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾، فيه مسألتان: الإصرار على المعصية، وفعلها من غير علم بتحريمها.

أما الإصرار فهو: الإكثار من المعصية وتكرار فعلها، والمراد بالمعصية هنا ما كان من صفات الذنوب دون كبائرها، كالنظرة والقبلة، فتكفرها الحسنات كالصلاة والوضوء، ما لم يعاودها فاعلها إلى حد الإصرار، من غير توبة بعد كل مرة، لأنها بذلك تصبح كبيرة من الكبائر، قال الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه «كف الرعاع»: «والحاصل: أن المعتمد عندنا، أن ذلك - أي: سماع المعازف - من الصفات، حيث لم يحصل إيمان عليه، حتى غلبت معاصيه طاعاته، وإلا التحق بالكبائر، في إبطال العدالة ورد الشهادة»، أي: وجوب التوبة على الفور.

وأما فعل المعصية بغير علم بتحريمها، فإن الإنسان لا يُعَذَّرُ بجهله في أحكام الشرع، إلا إذا كان ممن نشأ في بادية بعيداً عن أهل العلم، أو كان قريب عهد بالإسلام، أرجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

١٤٣ ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ﴾ فيه ح ذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الموت من قبل أن تلقوه﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر، لننال ما نال شهداؤه ﴿فقد رأيتموه﴾ أي: سببته [وهو]: الحرب ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي، فلم انهزمت؟ ١٤٤ ونزل في هزيمتهم، لما أشيع أن النبي قُتل وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل﴾ كثيره ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ رجعتكم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري، أي: ما كان [محمد] معبوداً فترجعوا [بموته] ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وإنما يضر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ [الذين يشكرون] نعمه، بالثبات [في القتال].

الشاكرين

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ الْجِرَاحِ وَقَتْلِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ ﴿وَمَا ضَعُفُوا عَنْ الْجِهَادِ﴾ وَمَا اسْتَكَانُوا خَضَعُوا لِعَدُوِّهِمْ، كَمَا فَعَلْتُمْ حِينَ قُتِلَ النَّبِيُّ ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ عَلَى الْبَلَاءِ، أَي: يَشِيهِمْ. ١٤٧ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ، مَعَ ثِيَابِهِمْ وَصَبْرِهِمْ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تَجَاوَزْنَا الْحَدَّ ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ [قَالُوا هَذَا] إِذْ نَافَا بِأَنْ مَا أَصَابَهُمْ لِسُوءِ فَعْلِهِمْ، وَهَضْمًا لِنَفْسِهِمْ ﴿وَوَيْتَ أَقْدَامَنَا﴾ بِالقُوَّةِ عَلَى الْجِهَادِ ﴿وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. ١٤٨ ﴿فَأَنَاهُمْ﴾ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا [فَاعْطَاهُمْ] النَّصْرَ وَالْغَنِيْمَةَ

(١) قوله: «والفاعل ضميره» أو نائبه. فعلى قراءة من قرأ: «قاتل»، يكون الفاعل «ربيون»، أو «ضميراً» مستتراً فيه تقديره: «هو» يعود إلى «نبي»، وعلى قراءة من قرأ: «قُتِلَ» بالمبني للمجهول، يكون نائب الفاعل «ربيون»، أو «ضميراً» مستتراً فيه تقديره: «هو» يعود إلى «نبي».

والمؤلف رحمه الله أعرب «ربيون» مبتدأ مؤخرًا، خبره مقدم عليه هو شبه الجملة: «معهم»، فيكون بذلك قد اختار أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً في «قاتل»، أو: نائبه ضميراً مستتراً في «قُتِلَ»، فيكون الفعل مسنداً إلى «نبي» فقط، وتقدير الكلام: «كم من نبي قاتل أعداءه أو قُتِلَ، كان معه جموع كثيرة، فما وهنوا في قتالهم معه، أو: بعد موت نبيهم».

ويصح إعراب «ربيون» فاعلاً لـ «قاتل»، أو نائب فاعل لـ «قُتِلَ»، وتعليق «معهم» بالفعل المذكور، فيكون الفعل مسنداً إلى «ربيون» =

﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي: الجنة، وحُسْنُهُ [هو]: التفضل فوق الاستحقاق ﴿والله يحب المحسنين﴾.

١٤٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يُردُّوكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿على أعقابكم﴾ فتنقلبوا خاسرين. ١٥٠ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وهو خير الناصرين﴾ فأطيعوه دونهم.

١٥١ ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها: الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد، على العود واستئصال المسلمين، فَرَعِبُوا ولم يرجعوا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حُجَّةً على عبادته، وهو: الأصنام ﴿ومأواهم النار وبئس مَثْوًى﴾ مأوى ﴿الظالمين﴾ الكافرين هي.

١٥٢ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر

﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جِئْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ، بالمقام في سفح ^(١) الجبل للرمي، فقال بعضكم: نذهب فقد نُصِرَ أصحابنا، و [قال] بعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وعصيتُمْ﴾ أمره، فتركتكم المركز لطلب الغنيمة ﴿مَنْ بَعْدَمَا أُرَاكُم﴾ الله ﴿مَا تَحِبُّونَ﴾ من النصر، وجواب «إذا» دل عليه ما قبله، أي: منعكم نصره ﴿منكم﴾ من يريد الدنيا ﴿فترك المركز للغنيمة﴾ ومنكم من يريد الآخرة ﴿فثبت به حتى قُتِلَ﴾ كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدَّر، [أي: «منعكم نصره»، ثم صرفكم] أي: ردكم للهزيمة ﴿عنهم﴾ أي: الكفار ﴿ليبتليكم﴾ ليمتحنكم، فيظهر المخلص من غيره، [فهرِيتُمْ] ﴿ولقد عفا عنكم﴾ ما ارتكبتموه ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ بالعفو.

١٥٣ اذكروا ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ تَبْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ هَارِبِينَ ﴿وَلَا تَلَوْنُ﴾ تَعْرِجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُم﴾ أي: من ورائكم يقول: «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ» [رواه الطبري وابن المنذر عن ابن عباس، ورواه بعضهم عن الحسن البصري وقتادة السدوسي] ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمًّا﴾

بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى «على»، أي: مضاعفاً على غَمِّ فَوْتِ الْغَنِيمَةِ ﴿لِكَيْلًا﴾ متعلق بـ «عفا» [في الآية السابقة]، أَوْ بـ «أَثَابَكُمْ»، فـ «لَا» زائدة ﴿تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة

سُورَةُ الْغَنَةِ آيَاتُ ٢

وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ

أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ

النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ۖ بِمَا

أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانٌ ۚ وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارُ

الْنَارِ ۚ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۖ

إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ

وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَأْجُحُونَ ۖ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا

وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

* إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنُ عَلَى أَحَدٍ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ

فِي أُنْحَاكُمْ فَاثْبِكُمْ ۖ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

= فقط كما ذكرنا، وعليه يكون معنى الآية: «لماذا ضعفتُم أيها المسلمون، بسبب ما أصابكم يوم أحد؟... فإن كثيراً من الأنبياء من قبل، كان يقاتل مع النبي منهم أصحابه، فيصابون فيصابون ويثبتون، فكونوا مثلهم صابرين ثابتين».

(١) قوله: «في سفح الجبل للرمي»، إن موقع الرماة لم يكن في سفح جبل أحد كما هو شائع، بل كان على تلة صغيرة مشرفة على =

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ١٥٤ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا﴾ (١) ﴿نُعَاسًا﴾ بدل ﴿يَغْشَى﴾ بالياء والتاء ﴿طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يمشون تحت الْحَجَفِ [بافتح جمع حَجَفَة وهي: الترس من جلد، وتسقط السيوف منهم] وطائفة قد أهتمتهم أنفسهم أي: حملتهم على الهم، فلا رغبة لهم إلا نجاتها، دون النبي وأصحابه، فلم يناموا، وهم المنافقون ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا﴾ غير الظن ﴿الْحَقِّ ظَنًّا﴾ أي: كظن الجاهلية حيث اعتقدوا أن النبي قُتل، أو: لا يُنصَر ﴿يَقُولُونَ هَلْ﴾ ما ﴿لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ شَيْءٍ قُلْ لَهُمْ﴾ إن الأمر كله ﴿بِالنَّصَبِ﴾ (٢) تأكيد، والرفع مبتدأ خبره ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكُمْ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا﴾

ها هنا أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج قلم نقتل، لكن أخرجنا كرهاً ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ لو كنتم في بيوتكم ﴿وَفِيكُمْ مِنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَتْلَ﴾ (لبرز) ﴿الَّذِينَ كَتَبَ﴾ قضي ﴿عليهم القتل﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مُضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم، لأن قضاء تعالى كائن لا محالة ﴿وَفَعَلَ مَا فَعَلَ بِأَحَدٍ﴾ (ليتلى) يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم، من الإخلاص والنفاء ﴿وَلِيَمْحَصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ واللَّهُ عليم بذات الصدور ﴿بِمَا فِي الْقُلُوبِ﴾ لا يخفى عليه شيء، وإنما يتلى ليظهر [ما في قلوبكم] للناس.

١٥٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ﴾ (الجمعان) جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد، وهم المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إن الله غفور ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (حليم) لا يعجل على العصاة.

١٥٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المنافقين ﴿وَقَالُوا لَا خِوَانَهُمْ﴾ أي: في شأنهم إذا

الجزء الرابع

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكُمْ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مُضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النَّقَىٰ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَا خِوَانَهُمْ إِذَا

أرض المعركة، وذلك أن النبي ﷺ أمر خمسين رجلاً من الرماة، بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه، بأن يشتروا على تلك التلة، ليدفعوا خيل المشركين بالنبل، لئلا يأتوهم من ورائهم، كما تقدم في تفسير الآية ١٢١ ص ٨٣.

(١) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾ الآية، أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي وغيرهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أبا طلحة قال: غَشِيَنَا - أي: النعاس - ونحن في مصافنا يوم أحد. حدث - أبو طلحة - أنه كان ممن غشيه النعاس يومئذ، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذ، ويسقط وأخذ، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ والطائفة الأخرى: هم المنافقون، ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، كذبهم، إنما هم أهل شك وريبة في الله عز وجل.

(٢) أي: ينصب كله ورفعه، قرأتان سبعيتان.

ضربوا ﴿سافروا﴾ في الأرض ﴿فماتوا﴾ أو كانوا غزى ﴿جمع غاز﴾، فقتلوا ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ أي: لا تقولوا كقولهم ﴿ليجعل الله ذلك﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿والله بما تعملون﴾ بالتاء والياء ﴿بصير﴾ فيجازيكم به.

١٥٧ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿قتلتم في سبيل الله﴾ أي: الجهاد ﴿أو متم﴾ بضم الميم وكسرها، [فعلى الضم] من «مات يموت»، و [على الكسر من «مات» يَمَاتُ] [كـ «خاف يخاف»] أي: أتاكم الموت فيه ﴿لمغفرة﴾ كائنة ﴿من الله﴾ لذنوبكم ﴿ورحمة﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها، [أي: «المغفرة من الله ورحمة»]، جواب القسم، وهو:

[أي: «المغفرة»] في موضع الفعل، [تقديره: لئن قتلتم ليغفرن الله لكم ويرحمكم، وهو] مبتدأ خبره: ﴿خير مما تجمعون﴾ من الدنيا، بالتاء والياء.

١٥٨ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿متم﴾ بالوجهين، [أي: بضم الميم وكسرهما] ﴿أو قتلتم﴾ في الجهاد وغيره ﴿إلى الله﴾ لا إلى غيره ﴿تحشرون﴾ في الآخرة، فيجازيكم.

١٥٩ ﴿فبما﴾ «ما» زائدة ﴿رحمة من الله لنت﴾ يا محمد ﴿لهم﴾ أي: سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿ولو كنت ظفا﴾ سيئ الخلق ﴿غليظ القلب﴾ جافياً، فأغلظت لهم ﴿لأنفصوا﴾ تفرقوا ﴿من حولك فاعف﴾ تجاوز ﴿عنهم﴾ ما أتوه ﴿واستغفر لهم﴾ ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿وشاورهم﴾ استخرج آراءهم ﴿في الأمر﴾ أي: شأنك، من الحرب وغيره، تطبيقاً لقلوبهم، وليستن بك، وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فإذا عزم﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به بعد المشاورة ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ عليه.

١٦٠ ﴿إن ينصركم الله﴾ يعينكم على عدوكم، كيوم بدر ﴿فلا غالب لكم وإن يخذلكم﴾ يترك نصركم، كيوم أحد ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ أي: بعد خذلانه، أي: لا ناصر لكم ﴿وعلى الله﴾ لا غيره ﴿فليتوكل﴾ ليقن ﴿المؤمنون﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ ظُفَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا مِّنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ١٥٩ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٦٠ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٦١ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

١٦١ ونزل لما فقدت قطيفة حمراء^(١) يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها: ﴿وما كان﴾ ما ينبغي ﴿لنبي أن يغلل﴾ يخون في الغنمية فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالناء للمفعول، أي: يُنسب إلى الغلول ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثم توفى كل نفس﴾ الغال وغيره، جزاء ﴿ما كسبت﴾ عملت ﴿وهم

(١) قوله: «ونزل لما فقدت قطيفة حمراء»، أخرج سبب النزول هذا، الترمذي - وحسنه - وابن جرير الطبري وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما، و«القطيفة» على وزن «الصَّحِيفَة» هي: دثارٌ مُخَمَّلٌ.

لا يظلمون ﴿ شيئا ١٦٢ ﴾ أفمن اتبع رضوان الله ﴿ فإطاع ولم يغفل ﴾ كمن بآء ﴿ رجع ﴾ بسخط من الله ﴿ لمعصيته وغلوله ﴾ وماواه جهنم وبئس المصير ﴿ المرجع هي ؟ لا .

١٦٣ ﴿ هم درجات ﴾ أي : أصحاب درجات ﴿ عند الله ﴾ أي : مختلفو المنازل ، فلمن اتبع رضوانه الثواب ، ولمن بآء بسخطه العقاب ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيجازيهم به .

١٦٤ ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ أي : عربيا مثلهم ، ليفهموا عنه ويشرفوا به ، لا ملكا ، ولا عجميا ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ القرآن ﴿ ويذكهم ﴾ يظهرهم من الذنوب ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ السنة ﴿ وإن ﴾ مخففة أي : إنهم ﴿ كانوا من قبل ﴾ أي : قبل بعثه ﴿ لفي ضلال مبين ﴾ .

الجمعة

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَاوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُم دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبَةَ بِأَحَدٍ ، بَقْتَل سَبْعِينَ مِنْكُمْ ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ بَيِّنَةٌ ، بَقْتَل سَبْعِينَ ، وَأَسْرَ سَبْعِينَ مِنْهُمْ ﴿ قَلْتُمْ ﴾ مُتَعَجِّبِينَ ﴿ أَنَّى ﴾ مِنْ أَيْنَ لَنَا ﴿ هَذَا ﴾ الْخُذْلَانُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ فِينَا ؟ وَالْجُمْلَةُ الْآخِرَةُ [أي : قولهم : «أنى هذا» ، هي] محل الاستفهام الإنكاري ، ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هو من عند أنفسكم ﴾ لأنكم تركتم المركز ﴿ فخلدتم ﴾ إن الله على كل شيء قدير ﴿ ومنه النصر ومنعه ، وقد جازاكم بخلافكم ، [أي : بسبب مخالفتكم أمر النبي ﷺ بالبقاء خلف المسلمين] .

١٦٥ ﴿ أولما أصابتكم مصيبة ﴾ بأحد ، بقتل سبعين منكم ﴿ قد أصبتم مثلها ﴾ بيدر ، بقتل سبعين ، وأسر سبعين منهم ﴿ قلتم ﴾ متعجبين ﴿ أنى ﴾ من أين لنا ﴿ هذا ﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ والجملة الأخيرة [أي : قولهم : «أنى هذا» ، هي] محل الاستفهام الإنكاري ، ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هو من عند أنفسكم ﴾ لأنكم تركتم المركز ﴿ فخلدتم ﴾ إن الله على كل شيء قدير ﴿ ومنه النصر ومنعه ، وقد جازاكم بخلافكم ، [أي : بسبب مخالفتكم أمر النبي ﷺ بالبقاء خلف المسلمين] .

١٦٦ ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ بأحد ﴿ فيأذن الله ﴾ بإرادته ﴿ وليعلم ﴾ الله علم ظهور المؤمنين ﴿ حقا ، [أي : ليظهر ما علمه من صدق إيمانهم] .

١٦٧ ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾ الذين ﴿ قبل لهم ﴾ لما انصرفوا عن القتال ، وهم : عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿ تعالوا قاتلوا في سبيل الله ﴾ أعداءه ﴿ أو ادفعوا ﴾ عنا القوم ، بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿ قالوا لو نعلم ﴾ نحسن ﴿ قتالا لا تبعناكم ﴾ قال تعالى

تَكْذِيبًا لَهُمْ : ﴿ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين ، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾ ولو علموا قتالا لم يتبعوكم .

(١) قوله : «تركتم المركز» ، أي : حيث أمر النبي ﷺ جماعة من الرماة بالبقاء ، بقيادة «عبد الله بن جبير» رضي الله عنه ، على تلة مشرفة على أرض المعركة يوم أحد ، لحماية المسلمين من خلفهم ، كما تقدم ص ٨٧ .

«والله أعلم بما يكتُمون» من النفاق. ١٦٨ «الذين» بدل من «الذين» قبله، أو: نعت «قالوا لإخوانهم» في الدين «و» قد «قعدوا» عن الجهاد «لو أطاعونا» - أي: شهداء أحد، أو إخواننا - في القعود «ما قُتلوا قل» لهم «فادرؤوا» ادفعوا «عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين» في أن القعود ينجي منه. ١٦٩ ونزل في الشهداء: [أي: شهداء أحد، قالوا: من يبلغ إخواننا، أنا أحياء في الجنة نُرزق، لئلا يَنكَلُوا عن الحرب، ولا يزهّدوا في الجهاد؟، فقال الله تعالى: «أنا أبلغهم عنكم»، كما في حديث رواه أبو داود وأحمد] «ولا تحسبن الذين قتلوا» بالتخفيف والتشديد «في سبيل الله» أي: لأجل دينه «أمواتاً بل» هم «أحياء عند ربهم» «أرواحهم في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت»، كما ورد في الحديث [الذي رواه مسلم والبيهقي وغيرهما] «يرزقون»

يأكلون من ثمار الجنة. ١٧٠ «فرحين» حال من ضمير «يرزقون» «بما آتاهم الله من فضله و» هم «يستبشرون» يفرحون «بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم» من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين»: «أن أي: بأن «لا خوف عليهم» أي: الذين لم يلحقوا بهم «ولا هم يحزنون» في الآخرة، المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم. ١٧١ «يستبشرون بنعمة» ثواب «من الله وفضل» زيادةً عليه «وأن» بالفتح عطفاً على «نعمة»، والكسر استئنافاً «الله لا يضيع أجر المؤمنين» بل يأجرهم. ١٧٢ «الذين» مبتدأ «استجابوا لله والرسول»^(١) دعاءه، بالخروج للقتال، لما أراد أبو سفيان وأصحابه العزء، وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أحد «من بعد ما أصابهم القرح» بأحد، وخبر المبتدأ: «للذين أحسنوا منهم» بطاعته «وأتقوا» مخالفته «أجر عظيم» هو: الجنة. ١٧٣ «الذين» بدل من «الذين» قبله أو: نعت «قال لهم الناس» أي: نعيم بن مسعود الأشجعي، [وقد أرسله أبو سفيان، ليشط المسلمين وهم يستعدون للخروج للقاء المشركين في موسم بدر] «إن الناس» أبا سفيان وأصحابه «قد جمعوا لكم» الجموع ليستأصلوكم، [إن خرجتم للقائهم]

«فأخشوهم» ولا تأتوهم «فزادهم» ذلك القول «إيماناً» تصديقاً بالله وبقيناً «وقالوا حسبنا الله» هو كافينا أمرهم «ونعم الوكيل» المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه، فلم يأتوا، وكان معهم تجارات، فباعوا وربحوا، قال تعالى: ١٧٤ «فانقلبوا» رجعوا من بدر «بنعمة من الله وفضل» بسلامة وربح «لم يمسسهم سوء» من قتل أو جرح «وأتبعوا

سُورَةُ الْغُفَّةِ ٢

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ^ط لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ سَوْءٌ وَآتَبَعُوا

(١) قوله تعالى: «الذين استجابوا لله والرسول» الآية، ما ذكره الجلال السيوطي، هو قول مجاهد وعكرمة، قال القرطبي: وقد شذَّ في =

رضوان الله بطاعته وطاعة رسوله في الخروج والله ذو فضل عظيم على أهل طاعته. ١٧٥ ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ﴾ أي: القائل لكم: إن الناس إلخ ﴿الشيطان يخوف﴾ كم ﴿أولياءه﴾ الكفار ﴿فلا تخافوهم وخافون﴾ في ترك أمري ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً. ١٧٦ ﴿وَلَا يُحْزِنُكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي [من: «أحزنه»]، ويفتحها وضم الزاي من «حزنه»، [وهي] لغة في «أحزنه» الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعاً بنصرته، وهم أهل مكة، أو: المنافقون، أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ بفعلهم، وإنما يضرون أنفسهم ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً﴾ نصيباً ﴿في الآخرة﴾ أي: الجنة، فلذلك خذلهم ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ في النار. ١٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ

اشتروا الكفر بالإيمان﴾ أي: أخذوه بدله ﴿لن يضروا الله﴾ بكفرهم ﴿شيئاً﴾ ولهم عذاب أليم مؤلم. ١٧٨ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿الذين كفروا أنما نملي﴾ أي: إملاءنا ﴿لهم﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خير لأنفسهم﴾ و«أن» ومعمولاها، [أي: واسمها وخبرها]، سُدَّتْ مسدُّ المفعولين في قراءة التحتانية، [وتقدير الكلام: «ولا يحسبن الكافرون إملاءنا لهم خيراً لأنفسهم»]، و[سُدَّتْ] مسدُّ [المفعول] الثاني في [القراءة] الأخرى، [فيكون الفاعل ضميراً مستتراً، و«الذين» هو المفعول الأول، والجملة من «أن» واسمها وخبرها، في محل نصب المفعول الثاني لـ «تحسبن»] ﴿إنما نملي﴾ نمهل ﴿لهم ليزدادوا إثماً﴾ بكثرة المعاصي ﴿ولهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة في الآخرة. ١٧٩ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ لِيَتْرَكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عليه﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حتى يميز﴾ بالتخفيف والتشديد: يفصل ﴿الخبيث﴾ المنافق ﴿من الطيب﴾ المؤمن، بالتكاليف الشاقة الميينة لذلك، ففعل ذلك يوم أحد ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿ولكن الله يجتبي﴾ يختار ﴿من رسله من يشاء﴾ فيطلعه على غيبه، كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ النفاق ﴿فلکم أجر عظيم﴾.

الْحَزَنَةُ

رِضْوَانُ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يُحْزِنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٩﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَاعْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٠﴾

فولهما هذا، وقال ابن إسحاق والواقدي: إنها نزلت ثناء على المسلمين الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ معركة أحد، ثم خرجوا معه في اليوم التالي ليوم أحد، لطلب عدوهم على ما بهم من ألم وجراح، فساروا ثمانية أميال من المدينة، وكانوا ستمائة وثلاثين رجلاً، حتى بلغوا موضعاً يقال له: (حمرأ الأسد)، فأقاموا به بضعة أيام، ثم رجعوا إلى المدينة من غير أن يلقوا عدوهم، فعرفت هذه بغزوة (حمرأ الأسد)، وكانت جبراً لخللهم يوم أحد، عندما خالفوا أمر النبي ﷺ وتفرقوا عنه، قال القرطبي: هذا تفسير الجمهور لهذه الآية، وقيل: هم سبعون رجلاً، انتدبهم النبي ﷺ لينهبوا في أثر كفار مكة، مخافة أن يرجعوا.

١٨٠ ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ﴾ ^(١) بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل [لا محل له من الإعراب]، و [المفعول] الأول: ﴿بُخْلُهُمْ﴾ مقدراً قبل الموصول، على الفوقانية، [فيكون التقدير: ولا تحسبن بخل الباخلين خيراً لهم]، و [مقدراً] قبل الضمير على التحتانية [أي: ولا يحسبن الباخلون بخلهم خيراً لهم] ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ بأن يُجْعَلَ حية في عنقه تنهشه، كما ورد في الحديث ^(٢) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به. ١٨١ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ﴾ وهم

سُورَةُ الْغَنَاءِ ٢

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونُ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨١ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ١٨٢ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَبِيسُ الظَّلَامِ لِلْعَبِيدِ ١٨٣ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٨٤ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَ وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ١٨٥

اليهود، قالوه لما نزل [قوله تعالى]: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه، وفي قراءة بالياء مبتدأ للمفعول ﴿و﴾ نكتب ﴿قَتْلَهُمْ﴾ بالنصب [على القراءة الأولى]، والرفع [على قراءة الياء] ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء، أي: [يقول] الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ١٨٢ ويقال لهم إذا ألقوا فيها: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عجز بها [أي: بالأيدي]، عن الإنسان [كله]، ولم يقل: ﴿قَدَّمْتُمْ﴾، لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَبِيسُ ظُلَامٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. ١٨٣ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لـ ﴿الَّذِينَ﴾ قبله ﴿قَالُوا﴾ لمحمد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ [أن لا] نصدقه ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فلا نُؤْمِنُ لك حتى تأتينا به، وهو ما يُتقرب به إلى الله، من نَعَمٍ وغيرها، فإن قُبِلَ جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي مكانه، وعُهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك، إلا في المسيح ومحمد، قال تعالى ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخاً ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى، فقتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ، وإن كان الفعل لأجدادهم، لرصاصهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟. ١٨٤ ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَ وَالْبَيِّنَاتِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما، [أي: ﴿وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ﴾] ﴿الْمُنِيرِ﴾

الواضح، هو: التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونُ﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «البخل» ص ٧٢٣.

(٢) قوله: ﴿كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ﴾ أي: الذي رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ آتَاهُ =

١٨٥ ﴿كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّنُ أَجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بُعِدَ ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبه، [فقد أخرج الترمذي والحاكم وصحَّحاه، وابن حبان وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن مَوْضِعَ سَوِّطٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، اقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ: فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ»] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل [الخادع الذي لا يدوم، بل] يَتَمَتَّعُ بِهِ قَلِيلًا ثُمَّ يَفْنَى. ١٨٦ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ ^(١) حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَانِ، وَ [حُذِفَتْ] الْوَاوُ ضَمِيرُ الْجَمْعِ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ: لَتُخْتَبَرُنَّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بِالْفَرَائِضِ فِيهَا، [كفريضة الزكاة] والجوائح [التي تجتاحها، كالسيول والعواصف والقحط وغيرها]

الْمِثَاقُ

كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّنُ أَجُورَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
* لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بِالْعِبَادَاتِ [التي تكلفون بها]،
والبلاء [الذي يصيبكم] ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ
الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنَ الْعَرَبِ ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ مِنَ
السَّبِّ وَالطَّعْنِ وَالتَّشْيِيبِ بِسَنَائِكُمْ [وغير ذلك]
﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ اللَّهَ ﴿فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أَي: مِنْ مَعْزُومَاتِهَا الَّتِي
يُعْزَمُ عَلَيْهَا لَوْجُوبُهَا. ١٨٧ ﴿وَوَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذَ
اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أَي: الْعَهْدَ
عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ ﴿لَيُبَيِّنَنَّ﴾ أَي: الْكِتَابَ
﴿لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ أَي: الْكِتَابَ، بِالْيَاءِ
وَالتَّاءِ بِالْفَعْلَيْنِ ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طَرَحُوا الْمِثَاقَ
﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾
أَخَذُوا بِدَلِّهِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ سَفَلَتِهِمْ،
بِرِيَّاسَتِهِمْ فِي الْعِلْمِ، فَكْتَمُوهُ خَوْفَ قُوَّتِهِ
عَلَيْهِمْ ﴿فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [أَي: بِشَيْءٍ الشَّرَاءِ]
شَرَّاهُمْ هَذَا. ١٨٨ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ
﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فَعَلُوا فِي إِضْلَالِ النَّاسِ
﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ مِنَ التَّمَسُّكِ
بِالْحَقِّ وَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾
بِالْوَجْهَيْنِ [أَي: بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ]، تَأْكِيدٌ ﴿بِمَفَازَةٍ﴾
بِمَكَانٍ يَنْجُونَ فِيهِ ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ فِي الْآخِرَةِ، بَلْ
هُمْ فِي مَكَانٍ يَعَذِّبُونَ فِيهِ وَهُوَ: جَهَنَّمُ ﴿وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مَوْْلَمٌ فِيهَا، وَمَفْعُولٌ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾
الْأُولَى، دَلَّ عَلَيْهِمَا مَفْعُولًا ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ الثَّانِيَّةُ

عَلَى قِرَاءَةِ التَّحْتَانِيَّةِ، وَعَلَى الْفَوْقَانِيَّةِ حُذِفَ [الْمَفْعُولُ] الثَّانِي فَقَطْ، [وَتَقْدِيرُهُ: «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ نَاجِينَ»].

١٨٩ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خِزَانَتِ الْمَطَرِ وَالرِّزْقِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

= اللَّهُ مَا لَا فَلَـمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ، مُثَّلٌ لَهُ مَا لَهُ شَجَاعًا — أَي: حَيَّةٌ — أَتَرَعُ لَهُ زَيْبَتَانِ يَطُوقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزَتَيْهِ — بِعَنِي: بِشَدْقِيهِ وَهَمَا: جَانِبَا فَعْمَ — يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ... أَنَا كَتَبْتُكَ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ.

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَتُبْلَوُنَّ» إلخ... أَصْلُ الْفِعْلِ «تُبْلَوُنَّ» الْوَاوُ الْأُولَى هِيَ: لَامُ الْفِعْلِ «بَلَّوْا» وَالْوَاوُ الثَّانِيَّةُ هِيَ: «وَارِ الْجَمَاعَةَ»، أَضْيَفُ =

قدير ﴿ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين﴾ ١٩٠ ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ وما فيهما من المعجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالمجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿آيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لأولي الألباب﴾ لذوي العقول. ١٩١ ﴿الذين﴾ نعت لما قبله، أو: بدل ﴿يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ مضطجعين أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك^(١) حسب الطاقة ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ الخلق الذي نراه ﴿باطلاً﴾ حال [أي: عبثاً، بل [خلقته] دليلاً على كمال قدرتك ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فقنا عذاب النار﴾. ١٩٢ ﴿ربنا إنك من تدخل النار﴾ للخلود فيها ﴿فقد أخزيت﴾ أمته ﴿وما للظالمين﴾

سُورَةُ الْغَنَاقَةِ ٢

قَدِيرٌ ﴿١٨٨﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا

[أي: الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر، حيث قال: ﴿وما للظالمين﴾ ولم يقل: ﴿وما لهم﴾]، إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿من﴾ زائدة [للتوكيد] ﴿أنصار﴾ يمتنعونهم من عذاب الله تعالى. ١٩٣ ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي﴾ يدعو الناس ﴿للايمان﴾ أي: إليه، وهو محمد ﷺ، أو القرآن ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿آمنوا﴾ بربكم فآمنوا به ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر﴾ غط عنا سيئاتنا ﴿فلا تظهرها بالعقاب عليها﴾ وتوفنا ﴿اقبض أرواحنا﴾ مع ﴿في جملة الأبرار﴾ الأنبياء والصالحين.

١٩٤ ﴿ربنا وآتنا﴾ أعطنا ﴿ما وعدتنا﴾ به ﴿على﴾ السنة ﴿رسلك﴾ من الرحمة والفضل، وسؤالهم ذلك - وإن كان وعده تعالى لا يخلف - سؤال أن يجعلهم من مستحقيه، لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير ﴿ربنا﴾ مبالغة في التضرع ﴿ولا نخزنا يوم القيامة﴾ إنك لا تخلف الميعاد ﴿الوعد بالبعث والجزاء﴾.

١٩٥ ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ دعاءهم ﴿أنني﴾ أي: باني ﴿لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ كائن ﴿من بعض﴾ أي: الذكور من الإنثى وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها، أي: هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت

أم سلمة: [وهي: أم المؤمنين هند بنت حذيفة بن المغيرة المخزومية رضي الله عنها] يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فالذين هاجروا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وأخرجوا من ديارهم وأوذوا﴾

= إليه نون التوكيد فصار «تبلونن». فحذفت «نون الرفع» لتوالي النونات، وحذفت «الواو» ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، فصار «تبلون».

(١) قوله: «يصلون كذلك» فيه إشارة إلى صلاة المريض، فقد روى البخاري في صحيحه، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

في سبيلي ﴿وَقَاتِلُوا﴾ الكفار ﴿وَقَتْلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة بتقديمه ﴿لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ﴾ سيئاتهم ﴿أَسْتَبْرَهَا﴾ بالمغفرة ﴿وَلَا دَخَلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مصدر من معنى: ﴿لَا كُفْرَنَ﴾ مؤكداً له ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ الجزء ١٩٦ ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد: ﴿لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تَصَرَّفَهُمْ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ بالتجارة والكسب، [فإن الدنيا لا تدوم]. ١٩٧ هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي. ١٩٨ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: مقدِّرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ [عندما يدخلونها] ﴿نَزَلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للضيف، ونصبه على الحال من «جَنَّاتٍ»، والعامل فيها معنى الظرف: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [تقديره: ﴿نَزَلًا عِنْدَ اللَّهِ﴾] ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ من متاع الدنيا. ١٩٩ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ كَعِبَادِ اللَّهِ بَنَ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَالنَّجَاشِيِّ^(١)، [آمَنُوا بِاللَّهِ] ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾ حال من ضمير «يؤمن»، مراعى فيه معنى «مَنْ»، أي: متواضعين ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشتركون بآيات الله ﴿الَّتِي عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ والإنجيل من بعث النبي ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾ من الدنيا بأن يكتُموا خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين كما في [آيات ٥٠ حتى ٥٥ من سورة] «القصص» ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار [مقداره خمسون ألف سنة، لحديث بذلك، رواه ابن حبان في صحيحه، وليس] من أيام الدنيا^(٢).

٢٠٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على الطاعات [وفي القتال]، والمصائب، وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم [فإن النصر مع الصبر] ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا على الجهاد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

الْمِائَةُ

فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقَتْلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٢٠٠﴾

- (١) قوله: «والنجاشي». روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، فيعلم من هذا أنه قد ملك الحبشة في حياة النبي ﷺ ملكان أولهما: «أصْحَمَةُ» الذي هاجر إليه جماعات من المسلمين سنة خمس من النبوة، فرفض تسليمهم إلى أهل مكة وأمنهم، ثم أسلم، وقد نغاه النبي ﷺ يوم توفي، وصلى عليه في المدينة منصرفاً من «تبوك»، في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، ثم بعد وفاته تولى مكانه ملك آخر، فكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، ولم يعلم جوابه، والظاهر أنه لم يسلم. ارجع إلى ترجمة «عبد الله بن سلام» ص ٣٢٧.
- (٢) قوله: «من أيام الدنيا» هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله، والصحيح ما صوبناه في التفسير وما بيناه في تعليقنا ص ٣٣٧ فارجع إليه.

سُورَةُ النِّسَاءِ

(مدنية: مائة وخمس، أو: ست، أو: سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سَبْعُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۖ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا
وُثِّقَتْ رُبُوعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ

٩٧

١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿اتَّقُوا رَبَّكُم﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء بالمد، [خلقها] من ضَلَع من أضلاعه، [أي: أضلاع آدم] اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فَرَّقَ ونَشَرَ ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء^(١) ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ [بتشديد السين]، فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها، أي: تساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم، حيث يقول بعضكم لبعض: «أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ»، و «أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ» ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة: بالجر عطفًا على الضمير في «بِهِ»، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم، فيجازيكم بها، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٢ ونزل في يتييم، طَلَبَ من وليه ماله فممنعه، [والولي: رجل من غطفان، كان عنده مال كثير لابن أخ له يتييم، فترافعا إلى النبي ﷺ]: «وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ الصِّغَارَ الْأُلَىٰ لَا أَبَ لَهُمْ أَمْوَالُهُمْ» إذا بلغوا «وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ الْحَرَامَ بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ: أي [لا] تأخذوه بدله، كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم، وجعل الرديء من مالكم مكانه «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ مِزْمُومَةً إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا» ذنبًا «كَبِيرًا» عظيمًا، ولما نزلت تخرجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم مَنْ تحته العشر، أو: الثمان من الأزواج، فلا يَغْدِلُ بينهم، فنزل [في بيان العدد المباح جمعهن من الزوجات، وفي ٣: «وَأَنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسِطُوا» تغدوا في اليتامى فتخرجتم من أمرهم، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن «فَانكِحُوا» تزوجوا «مَا» بمعنى «مَنْ» «طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»^(٢) مثنى وثلاث ورباع» أي: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا على ذلك «فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا» فيهن بالنفقة والقسم «فَوَاحِدَةٌ» أنكِحوها «أَوْ» اقتصروا على «مَا مَلَكَتْ

(١) قوله: «من آدم وحواء»، أرجع إلى تعليقنا حول آدم عليه السلام ص ٤١٧، و «حواء» عليها السلام ص ٥٣٣.

(٢) قوله تعالى: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»، أرجع إلى تعليقنا حول تعدد الزوجات والعدل بينهما ص ١٢٤.

أيمانكم من الإماء، إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذلك﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو التسري [بملك اليمين] ﴿أدنى﴾ أقرب إلى ﴿ألا تعولوا﴾ تجوروا.

٤ ﴿وآتوا﴾ أعطوا ﴿النساء صدقاتهن﴾ جمع ﴿صدقة﴾، [أي:] «مهورهن» ﴿نحلة﴾ مصدر: [أي:] عطية عن طيب نفس ﴿فإن طبن لكم شيء منه نفساً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق، فوهبه لكم ﴿فكلوه هنيئاً طيباً﴾ مريضاً محمود العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت رداً على من كره ذلك.

الْبَيْتَامَى

٥ ﴿ولا تؤتوا﴾ أيها الأولياء ﴿السفهاء﴾ [أي:] المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أموالكم﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ مصدر «قام»: أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم، فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: «قيماً»، جمع «قيمة»، ما تقوم به الأمتعة ﴿وارزقوهم فيها﴾ أطعموهم منها ﴿واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ عذروهم عذرة جميلة، بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا.

٦ ﴿وابتلوا﴾ اختبروا ﴿اليتامى﴾ قبل البلوغ، في دينهم، وتصرفهم في أحوالهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي: صاروا أهلاً له بالاحتلام، أو السن، وهو: استكمال خمس عشرة سنة [قمرية]، عند الشافعي ﴿فإن أنستم﴾ أبصرتم ﴿منهم رشداً﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها﴾ أيها الأولياء ﴿إسرافاً﴾ بغير حق، حال ﴿وبداراً﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها، مخافة ﴿أن يكبروا﴾ رشداً، فيلزكم تسليمها إليهم ﴿ومن كان﴾ من الأولياء ﴿غنياً فليستعفف﴾ أي: يعف عن مال اليتيم، ويمتنع من أكله ﴿ومن كان فقيراً فليأكل﴾ منه ﴿بالمعروف﴾ بقدر أجره عمله ﴿فإذا دفعتم إليهم﴾ أي: إلى اليتامى ﴿أموالهم فاشهدوا عليهم﴾ أنهم تسلموها وبرئتم، لئلا يقع اختلاف،

فترجعوا إلى البيعة، وهذا أمر إرشاد [لا وجوب] ﴿وكفى بالله﴾ الباء زائدة ﴿حسيباً﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

٧ ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية، من عدم توريث النساء والصغار: ﴿للرجال﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نصيب﴾ حظ ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ المتوفون ﴿وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه﴾ أي: المال ﴿أو كثر﴾ جعله الله ﴿نصيباً مفروضاً﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم.

٨ ﴿وإذا حضر القسمة﴾ للميراث ﴿أولو القربى﴾ ذوي القرابة ممن لا يرث.

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قُولاً﴾ معروفاً ﴿جَمِلاً﴾ بأن تعتدروا إليهم: أنكم لا تملكونه، وأنه للصغار، وهذا، قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في تركه، وعليه فهو نذير، وعن ابن عباس: واجب. ٩ ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي: ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ﴾ لو تركوا ﴿أَيَّ﴾ قاربوا أن يتركوا ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: بعد موتهم ﴿ذَرِيَّةً ضِعَافاً﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريعتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ للميت [أي: لمن حضرته الوفاة] ﴿قُولاً سَدِيداً﴾ صواباً، بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلثه، ويدع الباقي لورثته، ولا يتركهم عالة.

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملاًها ناراً ﴿لأنه يؤول إليها﴾ وسيسلون ﴿سَعيراً﴾ بالبناء للفاعل، أو: المفعول: يدخلون ﴿سَعيراً﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها. ١١ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يأمركم ﴿اللَّهُ فِي شَأْنِ أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يذكر: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى﴾ إذا اجتمعتا معه، فله نصف المال، ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت، وكذا الاثنان، لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانُ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أولى، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر، فمع الأنثى أولى، و﴿فَوْقَ﴾، قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لَمَّا فُهِمَ استحقاق البنتين الثلثين، من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع فـ ﴿كَانَ﴾ تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخُوهِ﴾ أي: الميت، ويبدل منهما: ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثته أبواه فلائمه الثلث فإن كان له إخوة فلائمه السُّدُسُ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ إن الله

سُورَةُ النِّسَاءِ

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۖ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۖ وَلِأُخُوهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ۖ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۖ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۖ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۖ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۖ إِنْ اللَّهُ

المال [كله، إذا كان الوارث الأب والأم فقط]، أو [ثلث] ما يبقى بعد [فرض] الزوج، [إذا كان الورثة: زوجاً أو زوجة وأماً وأباً، وهذه هي المسألة المعروفة بـ «الغراوين»] والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: لثلاثين فصاعداً، ذكر أو: إناث ﴿فَلَأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مَنْ بَعْدَ﴾ تنفيذ ﴿وصية يوصي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دين﴾ عليه، وتقديم الوصية على الدين، وإن كانت مؤخره عنه في الوفاء، للاهتمام بها ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ في الدنيا والآخرة، فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث، فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله، ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ إن الله

كان عليهما بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما دبره لهم، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ منكم أو: من غيركم ﴿فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ وألحق بالولد في ذلك، ولد الابن بالإجماع ﴿ولهن﴾ أي: الزوجات، تعددن أو: لا ﴿الربع مما تركن﴾ إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد ﴿منهن أو: من غيرهن﴾ فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين ﴿وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً﴾ وإن كان رجل يورث ﴿جملة: يورث، في محل رفع﴾ صفة

[لـ «رجل»]، والخبر [أي: خبر «كان»]:
﴿كلالة﴾^(١) [مصدر «كل»] أي: لا والد له ولا ولد ﴿أو امرأة﴾ تورث كلالة ﴿وله﴾ أي: للموروث كلالة ﴿أخ أو أخت﴾ أي: من أم، وقرأ به ابن مسعود وغيره، [وهذه القراءة تفسير للآية، وبيان من الصحابي لمعناها] ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ مما ترك ﴿فإن كانوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أكثر من ذلك﴾ أي: من واحد ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار﴾ حال من ضمير «يوصي»، أي: غير مدخل الضرر على الورثة، بأن يوصي [المورث] بأكثر من الثلث ﴿وصية﴾ مصدر مؤكّد «يوصيكم» ﴿من الله والله عليم﴾ بما دبره لخلقهم من الفرائض ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن خالفه، وخصت السنة توريث من ذكر، بمن ليس فيه مانع، من قتل، أو: اختلاف دين، أو: رق، [فلا يرث من فيه مانع من موانع الميراث هذه، قال ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم» متفق عليه].

١٣ ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى، وما بعده ﴿حدود الله﴾ شرائعه التي حدها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في ما حكم به ﴿يدخله﴾ بالياء، والنون التثنية ﴿جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾. ١٤ ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده

(١) قوله تعالى: ﴿كلالة﴾ قال أحدهم في تعريفها:

«كلالة، مصدر كل وانقرذ أي: لم يرثه والد ولا ولد

أي: من كان ورثته من الإخوة والأخوات، أشقاء أو لأب أو لأم، أو منهم جميعاً.

وقد ذكرت «الكلالة» في القرآن الكريم مرتين، الأولى: هنا في هذه الآية، حيث بين الله تعالى ميراث «الإخوة والأخوات لأم»، والثانية: في آخر آية من «سورة النساء» ص ١٣٣، حيث بيان أحكام ميراث «الإخوة والأخوات» لأبوين، أو لأب فقط.

يدخله ﴿بِالْجَهَنَّمَ﴾ [أي: بالياء والنون] ناراً خالداً فيها وله ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة، وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ «مَنْ»، و [روعي] في «خالدين» معناها. ١٥ ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مَنْ نَسَاكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن يجعل الله لهن سبيلاً طريفاً إلى الخروج منها، أمروا بذلك أول الإسلام، ثم جعلَ لهن سبيلاً: بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً، ورجم المحصنة، وفي الحديث لما بين الحد قال ﴿خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي﴾، قد جعل الله لهن سبيلاً، [الثيب تُرْجَمُ وَالْبُكَرُ تُجْلَدُ] رواه مسلم. ١٦ ﴿وَاللَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأْتِيَانَهَا﴾ أي:

سُورَةُ النِّسَاءِ

يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١١﴾ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَاعْزِمُوا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْعَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوَا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا

الفاحشة، الزنا، أو: اللواط ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَاعْزِمُوا﴾ بالسَّبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم عنده - وإن كان محصناً - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر، بدليل ثنية الضمير [في يأتيناها]. و [صاحب القول] الأول قال: أراد بهما الزاني والزانية، ويردّه تبينهما بـ «مَنْ»، المتصلة بضمير الرجال - [«مِنْكُمْ»] -، واشتركا في الأذى والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال، لما تقدم في النساء من الحبس ١٧ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ حال، أي: جاهلين إذ عصوا ربهم ^(١) ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قبل أن يغفروا ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم. ١٨ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿إِنِّي تَبْتُ الْآنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلماً. ١٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوَا النِّسَاءَ﴾ أي: ذاتهن ﴿كَرَاهًا﴾ بالفتح والضم لغتان [وقراءتان]، أي: مكرهين على ذلك، كانوا في الجاهلية يترثون نساء أقرباتهم، فإن شلقوا تزوجوهن بلا صداق، أو: زوجوهن وأخذوا صداقهن، أو: عضلوهن [أي: منعوهن عن الزواج] حتى يقتدين بمسا ورثته، أو: يمتن فيرثوهن، فنهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم، بإمساكنهن ولا رغبة لكم فيهن، ضارراً لتذهبوا

(١) قال مجاهد وغيره: «كل عامل بمعصية الله، فهو جاهل حين عملها».

ببعض ما أتيموهن من المهر إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بفتح الباء وكسرها، أي: يثبت، أو: هي بيّنة، أي: زناً، أو: نشوز، فلكم أن تضاروهن، حتى يفندين منكم ويختلن وعاشروهن بالمعروف أي: بالإجمال في القول والشفقة والنبيت فإن كرهتموهن فاصبروا ففسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ولعله يجعل فيهن ذلك، بأن يرزقكم منهن ولدًا صالحاً.

٢٠ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج أي: أخذ بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد أتيتن إحداهن أي: الزوجات قنطاراً مالا كثيراً صداقاً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً ظلماً وإثماً مبيناً بيّناً، ونصبهما على الحال، والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في:

المائدة

٢١ وكيف تأخذونه أي: بأي وجه وقد أفضى وصل بعضكم إلى بعض بالجماع، المقرر [والمؤكد] للمهر وأخذن منكم ميثاقاً عهداً غليظاً شديداً، وهو: ما أمر الله به، من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان.

٢٢ [كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم، فنهوا عن ذلك بقوله تعالى]: ﴿ولا تنكحوا ما﴾ بمعنى (من) ﴿نكح آبائكم من النساء إلا﴾ لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك [قبل التحريم]، فإنه معفو عنه إنه أي: نكاحهن كان فاحشة قبيحاً ومقتناً سبباً للمقت من الله، وهو: أشد البغض وساء بش سبيلاً طريقاً ذلك.

٢٣ حرمت عليكم أمهاتكم أن تنكحوهن، وشملت الجدات من قبل الأب، أو: الأم وبنياتكم وشملت بنات الأولاد وإن سفلن وأخواتكم من جهة الأب، أو: الأم وعماتكم أي: أخوات آبائكم وأجدادكم وخالاتكم أي: أخوات أمهاتكم وجداتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ويدخل فيهن أولادهم وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم قبل استكمال الحولين، خمس رضعات كما بينه الحديث^(١) وأخواتكم من الرضاعة ويلحق بذلك بالسنة البنات منها، وهن من أرضعنهن موطأته، والعمات، والخالات،

بِبَعْضِ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنتُمْ إِحْدَلُهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا تَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۚ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۚ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي جُورِكُمْ مِنْ

وبنات الأخ، وبنات الأخت منها، لحديث: «يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ» رواه البخاري ومسلم وأمّهات نسائكم وربائبكم جمع «ربيبة» وهي: بنت الزوجة من غيره اللاتي في حجوركم تربونهن، صفة موافقة للغالب، فلا مفهوم لها [أي: ليست بقيد، فتحرم بنت الزوجة على زوج أمها، ولو لم يربها هو] من

(١) قوله: «كما بينه الحديث» أي: الذي رواه مسلم ومالك وعن عائشة قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ من القرآن تعني بذلك قرُب عهد النسخ من وفاته ﷺ، ارجع إلى ص ٧٤٩.

سُورَةُ النِّسَاءِ

نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴿ أَيْ: جَامِعْتُمُوهُنَّ ﴾ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ إِذَا
فَارَقْتُمُوهُنَّ ﴿ وَحُلَائِلُ أَزْوَاجِ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ بخلاف مَنْ تَبَنَيْتُمُوهُنَّ، فَلَكُمْ نِكَاحُ حُلَائِلِهِنَّ [وَسَيَاتِي بَيَانُ
حُكْمِ التَّبَنِي فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ص ٥٤٩] وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ﴿ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ بِالنِّكَاحِ، وَيَلْحَقُ بِهِمَا
— بِالسُّنَّةِ — الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَّتِهَا، أَوْ: خَالَتِهَا، [فَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا»
رَوَاهُ الشَّيْخَانُ]، وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَمِلْكُهُمَا مَعًا، وَيَطَأُ وَاحِدَةً ﴿الْأُ﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ نِكَاحِكُمْ بَعْضَ مَا ذَكَرَ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّبِيِّ ﴿رَحِيمًا﴾
بَكُمْ فِي ذَلِكَ. ٢٤ ﴿وَوُحِدْتُ عَلَيْكُمْ
﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ أَيْ: ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ ﴿مِنْ
النِّسَاءِ﴾ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارَقَةِ أَزْوَاجِهِنَّ،
حَرَائِرَ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ، أَوْ: لَا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ الْإِمَاءِ بِالسَّبْيِ، فَلَكُمْ وَطْؤُهُنَّ وَإِنْ
كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ، بَعْدَ الْإِسْتِبْرَاءِ
[أَيْ: تَبَيَّنَ بَرَاءَةُ رَحْمَتِهَا مِنَ الْحَمْلِ بِحَيْضَةٍ]
﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: كَتَبَ
ذَلِكَ ﴿عَلَيْكُمْ وَأَحْلَ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ
﴿لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أَيْ: سِوَى مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
مِنْ النِّسَاءِ ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تَطْلُبُوا النِّسَاءَ
﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بِصَدَاقٍ أَوْ ثَمَنِ ﴿مُحْصَنِينَ﴾
مُتَزَوِّجِينَ ﴿غَيْرِ مُسَافِحِينَ﴾ زَانِينَ ﴿فَمَا﴾ فَمَنْ
﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تَمَتَّعْتُمْ ^(١) ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ مِمَّنْ تَزَوَّجْتُمْ
بِالْوَطْءِ ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مَهْرَهُنَّ الَّتِي فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾
أَنْتُمْ وَهُنَّ ﴿بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ مِنْ حُطَّاءَ، أَوْ:
[حُطَّاءَ] بَعْضُهَا، أَوْ: زِيَادَةً عَلَيْهَا ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ
عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ.
٢٥ ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ أَيْ: غِنَى
لَهُ ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الْحَرَائِرَ
﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هُوَ جَرِي عَلَى الْغَالِبِ، فَلَا مَقْهُومَ
لَهُ [أَيْ: لَيْسَ قَيْدًا، فَيَجُوزُ نِكَاحُ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ أَيْضًا] ﴿فَمَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾
يَنْكِحَ ﴿مِنْ قَبَائِلِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ

إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ الْعَالَمُ بِتَفْصِيلِهَا، وَرُبَّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ الْحَرَّةَ فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَيْ:
أَنْتُمْ وَهِيَ سَوَاءٌ فِي الدِّينِ، فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِهِنَّ ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مَوَالِيَهُنَّ ﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾ أَعْطَوْهُنَّ

(١) قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾... الصحيح أن هذه الآية تعني لزوم المهر وتأكيده بالدخول بالزوجة، وقد جاء في بعض الروايات أنها
نزلت في «نِكَاحِ الْمُتَعَةِ»، وهو الزَّوْجُ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ بِلَفْظِ «الْمُتَعَةِ» كَمَتْنُكَ، إخراج ذلك ابن حنبل وابن جرير عن مجاهد، وأخرجه أيضاً
الطبراني والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس، ثم نسخت، وعلى كل حال فقد أجمع المسلمون على تحريم «نِكَاحِ الْمُتَعَةِ»، =

﴿أجورهن﴾ مهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مطل ونقص ﴿محصنات﴾ عفاف، حال ﴿غير مسافحات﴾ زانيات جهراً ﴿ولا متخذات أخدان﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فإذا أحصن﴾ زوّجن، وفي قراءة بالبناء للفاعل: تزوّجن ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ زناً ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ الحرائر الأبقار إذا زنين ﴿من العذاب﴾ [أي: الحد، فيجلدن خمسين، ويُغَرِّبْنَ نصف سنة، ويقاس عليهن العبيد، ولم يُجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد، بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذلك﴾ أي: نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لمن خشي﴾ خاف ﴿العنت﴾ الزنا، وأصله: المشقة، سمي به الزنا، لأنه سببها، بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿منكم﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار، فلا يحل له نكاحها، وكذا من استطاع طول خرة، وعليه الشافعي، وخرّج بقوله: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾، [الإماء] الكافرات، فلا يحل له نكاحها، [أي: الأمة الكافرة]، ولو عدم [القدرة] وخاف [العنت] ﴿وأن تصبروا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خير لكم﴾ لثلا يصير الولد رقيقاً ﴿والله غفور رحيم﴾ بالتوسعة في ذلك.

٢٦ ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ويهديكم سنن﴾ طرائق ﴿الذين من قبلكم﴾ الأنبياء، في التحليل والتحريم، فتتبعوهم ﴿ويتوب عليكم﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها، إلى طاعته ﴿والله عليم﴾ بكم ﴿حكيم﴾ فيما دبره لكم. ٢٧ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ كرهه ليبني عليه: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ اليهود والنصارى، أو: المجوس، أو: الزناة ﴿أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ تعدلوا عن الحق، بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

٢٨ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات. ٢٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بالحرام في الشرع، كالربا والغصب ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن تكون﴾ تقع ﴿تجارة﴾ [بالرفع فـ تكون] تامة، وفي قراءة بالنصب، أي: تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عن تراض﴾

الزنا

أَجُورُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا

منكم ﴿وطيب نفس﴾ فلكم أن تأكلوها ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها، أيًا كان، في الدنيا. أو: الآخرة، بقربة ﴿إن الله كان بكم رحيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك. ٣٠ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: ما نهى عنه ﴿عدواناً﴾ تجاوزاً للحلال، حال ﴿وظلماً﴾ تأكيد ﴿فسوف نصليه﴾ ندخله ﴿ناراً﴾ يحترق فيها.

= وعلى أن الذي أعلن تحريمها هو رسول الله ﷺ، جاء في تحريمها أحاديث كثيرة... منها ما أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم، عن سيرة الجّهني رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قائماً بين الركن والباب - أي: من الكعبة - وهو يقول: «يا أيها الناس، إني كنت أذنت =

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ هيناً. ٣١ ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ وهي ما ورد عليها وعيد، كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس: هي [أي: الكبائر]. إلى السبعمائة أقرب، [وفي رواية أخرى عنه: إنها إلى السبعين أقرب، وهذه الرواية أصحهما عنه] ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وندخلكم مدخلًا﴾ بضم الميم وفتحها، أي: إدخالاً، أو: موضعاً ﴿كراماً﴾ هو الجنة. ٣٢ ﴿ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ من جهة الدنيا، أو: الدين، لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿للرجال نصيب﴾ ثواب ﴿مما اكتسبوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿ولللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ من طاعة أزواجهن، وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت [أم المؤمنين] أم سلمة [رضي الله عنها]: «لينا كنا رجالاً، فجاهدنا، وكان لنا مثل أجر الرجال» ﴿واسألوا﴾ بهمة ودونها ﴿الله من فضله﴾ ما احتجتم إليه، يعطكم ﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ ومنه: محل الفضل، وسؤالكم. ٣٣ ﴿ولكل من الرجال والنساء﴾ جعلنا موالى ﴿[ورثة و] عَصَبَةً، يُعْطُونَ﴾ مما ترك الوالدان والأقربون ﴿لهم من المال﴾ والذين عاقدت بألف ودونها ﴿أيمانكم﴾ جمع «يمين» بمعنى القسم، أو: اليد، أي: الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على الثمرة والإرث ﴿فاتوهم﴾ الآن ﴿نصيبهم﴾ حظوظهم من الميراث وهو: السدس ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ مطلعاً، ومنه حالكم، وهذا منسوخ بقوله: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض». ٣٤ ﴿الرجال قوامون﴾ مسأطون ﴿على النساء﴾ يؤدبنهن، ويأخذون على أيديهن ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ أي: بتفضيله لهم عليهن، بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وبما أنفقوا﴾ عليهن ﴿من أموالهم﴾ فالصالحات ﴿منهن﴾ قانتات مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بما حفظ﴾ لهن ﴿الله﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن لكم، بأن ظهرت أمارته ﴿نعضوهن﴾ فخرهن الله ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر، إن أظهرن النشوز ﴿واضربوهن﴾ ضرباً غير مبرح، إن لم يرجعن بالهجران ﴿فإن أطعنكم﴾ فيما يراى منهن ﴿فلا تبغوا﴾ تطلبوا ﴿عليهن سيلاً﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً.

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣١﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ نَصِيبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٤﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ

لكم في الاستمتاع، ألا وإن الله حرمها إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سيلاً، ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً، وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال: «ما بال رجال ينكحون هذه المتعة، وقد نهى رسول الله ﷺ عنها؟! لا أوتي بأحد نكحها إلا رجعت»، وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمير الإنسية»، أي: الحمير الأهلية.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن. ٣٥ ﴿وإن خفتن﴾ شقاق ﴿خلاف﴾ بينهما ﴿بين الزوجين، والإضافة للتوسع، [أي: على التوسع في اللغة]، أي: شقاقاً بينهما [وهو الأصل، فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل: «مكر الليل»، أي: «مكر في الليل»] ﴿فابعثوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حكماً﴾ رجلاً عدلاً ﴿من أهله﴾ أقاربه ﴿وحكماً من أهلها﴾ ويوكل الزوج حَكْمَهُ في طلاق، وقبول عوض عليه، وتوكل هي حَكْمُها في الاختلاع، فيجتهدان، ويأمران الظالم بالرجوع، أو: يفرقان إن رآياه، قال تعالى: ﴿إن يريدن﴾ أي: الحكمان [وقيل: الزوجان] ﴿إصلاحاً﴾ [بصدق نيتهما فيه] ﴿يوفق الله بينهما﴾ بين الزوجين، أي: يقدرهما على ما هو الطاعة، من إصلاح أو: فراق ﴿إن الله كان عليماً﴾ بكل شيء ﴿خبيراً﴾ بالبواطن كالظواهر.

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٧﴾ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٤٠﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

٣٦ ﴿واعبدوا الله﴾ وحذوه ﴿ولا تشركوا به شيئاً﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً﴾ برّاً ولين جانب ﴿وبذي القربى﴾ القرابة ﴿واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾ القريب منك، في الجوار، أو: النسب ﴿والجار الجنب﴾ البعيد عنك في الجوار أو: النسب ﴿والصاحب بالجانب﴾ الرفيق، في سفر، أو: صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ من الأرقاء ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً﴾ متكبراً ﴿فخوراً﴾ على الناس بما أوتي.

٣٧ ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يخْلون﴾ بما يجب عليهم ﴿ويسامرون الناس بالبخل﴾ به ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من العلم والمال، وهم اليهود، [كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم على محمد، فإننا نخشى عليكم الفقر، وكانوا أيضاً: يكتمون ما علموه من صدق النبي ﷺ، ولا يقولون الحق وهم يعلمونه،] وخبر المبتدأ [محذوف، تقديره:] ﴿لهم وعيد شديد﴾ ﴿وأعتدنا للكافرين﴾ بذلك وبغيره ﴿عذاباً مهيناً﴾ ذا إهانة. ٣٨ ﴿والذين﴾ عطف على ﴿الذين﴾ قبله ﴿ينفقون أموالهم رياء الناس﴾ مرآتين لهم (٢) ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فساء﴾ بش ﴿قريناً﴾ (٣) هو. ٣٩ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾

(١) قوله: «ويوكل الزوج»، اشتراط التوكيل هو مذهب الشافعية والأحناف، لأن مهمة الحكيم عندهم منحصرة في الإصلاح، وليس لهما أن يفرقا بين الزوجين إلا بتفويض منهما، أما المذهب المالكي، فيمنح الحكيم حق الحكم بالتفريق، من دون اشتراط توكيل الزوجين لهما.

(٢) قوله: «مرآتين لهم» الرياء هو: الشرك الأصغر الذي يطل ثواب العمل الصالح، أرجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٩٥.

(٣) قوله تعالى: «فساء قريناً» أرجع إلى تعليقنا حول «القرين» بجميع معانيه ص ٦٣٣.

وأنفقوا مما رزقهم الله ﴿٤٠﴾ أي: أيُّ ضرر عليهم في ذلك؟ والاستفهام للإنكار، و «لو» مصدرية، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ فيجازيهم بما عملوا. ﴿٤١﴾ «إن الله لا يظلم» أحداً ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة، بأن ينقصها من حسناته، أو يزيدها في سيئاته ﴿وإن تك﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة بالرفع، فـ «كان» تامة ﴿يضاعفها﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، وفي قراءة «يضعّفها» بالتشديد ﴿ويؤت من لَدُنْهِ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ لا يقدّره أحد. ﴿٤٢﴾ «فكيف» حال الكفار ﴿إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ يشهد عليها بعملها، وهو: نبيها ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء شهيداً﴾. ﴿٤٣﴾ «يَوْمَئِذٍ يَدْعُونَ» يوم المجيء ﴿يَوْمَئِذٍ يَدْعُونَ﴾ وعصوا الرسول ﴿لو﴾ أي: أن ﴿تَسْأَلُوا﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل [أي: «تَسْأَلُوا»] ومع إدغامها في السين، أي: [تَسْأَلُوا]، والمعنى: [تسوى بهم الأرض] بأن يكونوا تراباً مثلها، لعظم هوله، كما في آية أخرى: «ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً» ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ مما عملوه، وفي وقت آخر يكتُمونه، ويقولون: «والله ربنا ما كنا مشركين». ﴿٤٤﴾ «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة» أي: لا تُصَلُّوا ﴿وأنتم سكارى﴾ (١) من الشراب، لأن سبب نزولها: صلاة جماعة في حالة الشكر ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ بأن تَصْحُوا ﴿ولا جنباً﴾ بإيلاج، أو: إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إلا عابري سبيل﴾ مجتازي ﴿سبيل﴾ طريق، أي: مسافرين ﴿حتى تفتسلوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافرين، لأن له حكماً آخر [هو «التيمة»]، سيأتي [ص ١٣٧]، وقيل: المراد النهي عن قربان [الجُب] مواضع الصلاة، أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث [فيها فجائزاً] ﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أو على سفر﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب، أو محدثون ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ هو: المكان المعد لقضاء الحاجة، أي: أحدث ﴿أو لامستم النساء﴾ وفي قراءة بلا ألف، وكلاهما بمعنى «اللمس»، وهو: الجَسُّ باليد،

سُورَةُ النِّسَاءِ ،

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴿٤١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿٤٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَدْعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ﴿٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْباً إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ

قاله ابن عمر، وعليه الشافعي، وألحق به الجَسُّ بباقي البشرة، وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿فلم تجدوا ماء﴾ تتطهرون به للصلاة، بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فتيمموا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صعيداً طيباً﴾ تراباً طاهراً، فاضربوا به ضربتين ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مع المرفقين منه، و «مسح» يتعدى بنفسه وبالحرَف ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾. ﴿٤٤﴾ «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب» وهم اليهود ﴿يشترُونَ

(١) الآية (٤٣)، قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾ الآية، أخرج الترمذي، وأبو داود والحاكم وغيرهم =

الضلالة ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق، لتكونوا مثلهم. ٤٥ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ﴾ منكم، فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكُفِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكُفِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعاً لكم من كيدهم. ٤٦ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يَحْرِفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة، من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿يَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ، إذا أمر بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ﴾ حال بمعنى الدعاء [على النبي ﷺ]، أي: «لا سمعت»، ﴿وَيَقُولُونَ لَهُ رَاعِنَا﴾ وقد نهي [المؤمنون] عن خطابه بها [في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا»]، وهي: كلمة سب بلغتهم ﴿لِيَّا﴾ تحريفاً ﴿بِالسُّتْهِمْ وَطَعْنًا﴾ قدحاً ﴿فِي الدِّينِ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل «وعصينا» ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فقط ﴿وَانظُرْنَا﴾ انظر إلينا، بدل «راعنا» ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقُومَ﴾ أعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه. ٤٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾ ولما نزلت، أسلم عبد الله بن سلام، فقيل: كان وعيداً بشرط، فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة. ٤٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراف به ويغفر ما دون ﴿سِوَى ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له، بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء، عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا﴾ ذنباً عظيماً كبيراً.

٤٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود، حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت:

الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٥﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴿٤٦﴾ وَكَفِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٧﴾ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسُّتْهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقُومَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سَكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. اهـ. وفي هذه الرواية اختلاف في السند والمتن، وأصح ما في هذا الباب، ما رواه الحاكم وصححه، وأيده الذهبي، عن علي قال: «دعانا رجل من الأنصار، قبل تحريم الخمر، فحضرت صلاة المغرب، ففقد رجل فقراً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، فالتبس عليه، فنزلت، ثم عقيب الحاكم عليه: بأن نسبة الشكر وهذه القراءة، إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه غير صحيحة، ونقول: إن وجود علي بن أبي طالب، مع هؤلاء النفر من الصحابة، في تلك الدعوة لا يقدح فيه، ولا في غيره منهم، ولا يعتبر عيباً يشوب حياته الناصعة بالعلم والفضل والجهاد، طالما أن ذلك قد حصل قبل نزول التحريم، هذا وقد أجمع المسلمون على أن قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سَكَارَى﴾ منسوخ حكمه بآيات «المائدة» ص ١٥٥.

يزكي ﴿من يشاء﴾ بالإيمان ﴿ولا يظلمون﴾ يُنْقِصُونَ من أعمالهم ﴿فتيلاً﴾ قَذَرُ قشرة^(١) النواة. ٥٠ ﴿انظر﴾ متعجباً ﴿كيف يفترون على الله الكذب﴾ بذلك ﴿وكفى به إثماً مبيناً﴾ بيئاً. ٥١ ونزل في كعب بن الأشرف، ونحوه من علماء اليهود، لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، وحرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ صنمان لقريش ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أبي سفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: أنحن أهدي سبيلاً - ونحن ولادة البيت، نسقي الحاج، ونُقْري الضيف، ونفك العاني [أي: الأسير]، ونفعل - أم: محمد... وقد خالف دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هؤلاء﴾ أي: [أجابوهم]: أنتم ﴿أهدي من الذين آمنوا سبيلاً﴾ أقوم طريقاً.

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلِمُونَ فِتْيَلًا ﴿٥١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِثِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٤﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٥﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

٥٢ ﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله﴾ فلن تجد له نصيراً ﴿مانعاً من عذابه﴾. ٥٣ ﴿أم﴾ بل ﴿ألهم نصيب من الملك﴾ أي: ليس لهم شيء منه، ولو كان ﴿فإذا لا يؤتون الناس نقيراً﴾ أي: شيئاً نافهاً قدر النقرة في ظهر النواة، لفرط بخلهم. ٥٤ ﴿أم﴾ بل ﴿أيحسدون﴾ أي: اليهود [الناس] أي: النبي ﷺ ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ من النبوة وكثرة النساء، أي: يتمنون زواله عنه، ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ جده، [أي: جد محمد ﷺ الأعلى]، كموسى وداود وسليمان ﴿الكتاب والحكمة﴾ النبوة ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ فكان لداود: تسع وتسعون امرأة، وللسليمان: ألف ما بين حرة وسرية.

٥٥ ﴿فمنهم من آمن به﴾ بمحمد ﷺ ﴿ومنهم من صد﴾ أعرض عنه ﴿فلم يؤمن﴾ وكفى بجهنم سعيراً ﴿عذاباً لمن لا يؤمن﴾. ٥٦ ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم﴾ ندخلهم ﴿ناراً﴾ يحترقون فيها ﴿كلما نضجت﴾ (٣) احترقت ﴿جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿ليذوقوا

(١) قوله: ﴿قذرة قشرة النواة﴾ هذا سبق قلم من الجلال السيوطي رحمه الله، لأن هذا معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو:

الخيوط الذي في بطن النواة، و «النقير» سيأتي ذكره هنا في الآية ٥٣، وهذه الثلاثة يضرب بها المثل في القلة.

(٢) قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس...﴾ إن الفضل الذي بسببه حسده اليهود هو: النبوة، والكرامة الحاصلة بسببها في الدين والدنيا. ولا يقدّر النبوة كرامة، فذكر الجلال السيوطي كثرة النساء والزوجات تساهل منه، فاليهود لم يحسدوه على كثرة الزوجات، لأن العرب كان من عادتهم ذلك، ولكنهم قصدوا التعريض به ليطعنوا بنبوته، فهم حسدوه على النبوة فقط، لذلك ردّ الله عليهم، فذكرهم بما أعطى آل إبراهيم من الملك والنبوة - لا من النساء - ومع ذلك فإن اليهود لم يحسدوهم، فلماذا يحسدون محمداً وحده ١٩.

(٣) قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم...﴾ إن الإحساس بال ألم الجرح أو الحرق أو الضرب، منحصر في الطبقة الجلدية من الجسم، فإذا احترق الجلد ذهب الإحساس بالألم، لذلك جاء التعبير القرآني هنا بلفظ «كلما» التي تفيد التكرار مع الاستمرار، فكلما احترقت =

العذاب ﴿ ليقاسوا شدته ﴾ إن الله كان عزيزاً لا يعجزه شيء ﴿ حكيماً ﴾ في خلقه . ٥٧ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ دائماً لا تنسخه شمس ، وهو : ظل الجنة . ٥٨ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات ﴾ أي : ما أوثمن عليه من الحقوق ﴿ إلى أهلها ﴾ نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه ، مفتاح الكعبة ، من عثمان بن طلحة الحبشي سادنها ، قسراً ، لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ، ومنعه [المفتاح] ، وقال [ابن طلحة المذكور] : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال : « هاك خالدة تالدة » وأخرجه الطبراني عن ابن عباس بلفظ : « خذوها بني طلحة ، خالدة تالدة لا ينتزعها منكم إلا ظالم » يعني : حجابة البيت ، ومعنى قوله :

« خالدة تالدة » أي : تنتقل من الآباء والأجداد ، إلى الأولاد والأحفاد دائماً ، فعجب [طلحة] من ذلك ، فقرأ له علي الآية فأسلم ، وأعطاه عند موته لأخيه « شيبه » ، فبقي في ولده . والآية وإن وردت على سبب خاص ، فعمومها معتبر بقريظة الجمع ، [فالأمر فيها يشمل الأمانات كافة] ﴿ وإذا حكمتم بين الناس ﴾ يأمركم ﴿ أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً ﴾ فيه إدغام ميم « نعم » في « ما » النكرة الموصوفة ، أي : « نعم شيئاً » يعظكم به ﴿ ألا وهو : تأدية الأمانة ، والحكم بالعدل ﴾ إن الله كان سمياً ﴿ لما يقال ﴾ بصيراً ﴿ بما يفعل . ٥٩ ﴾ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي أصحاب الأمر ﴿ أي : الولاة ﴾ منكم ﴿ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴾ أو : هم أهل القرآن والعلم ، واختاره الإمام مالك ﴿ فإن تنازعتم ﴾ اختلفتم ﴿ في شيء ﴾ فردوه إلى الله ﴿ أي : إلى كتابه ﴾ والرسول ﴿ مدة حياته ، وبعده إلى سنته ، أي : اكشفوا عليه ، أي : على حكم الله ﴾ ، منهما ، [أي : من الكتاب والسنة] ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك ﴾ أي : الرد إليهما ﴿ خير ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿ وأحسن تأويلاً ﴾ مآلاً [وعاقبة] . ٦٠ ونزل لما اختصم يهودي ومناق ، فدعا [المناق] إلى كعب بن الأشرف ، ليحكم بينهما ، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ ، فأتياه ، ففضى لليهودي ، فلم يرض المناق ، وأتباعه ، فذكر له اليهودي ذلك ، فقال للمناق : أذكلك قال ؟ قال : نعم ، فقتله : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ الكثير الطغيان ، وهو : كعب بن الأشرف ﴿ وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ ولا يوالوه .

الَّذِينَ آمَنُوا

الْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٨﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ

= جلود الكافرين بدلهم الله جلوداً أخرى ، ليدوقوا بها العذاب ، وهو من إعجاز القرآن الذي سبق ما أثبتته العلم بقرون . ومثلها قوله تعالى في سورة المعارج : ﴿ كلاً إنها لظى ﴾ نزاعة للشوى ﴿ أي : جلدة الرأس ، وقوله تعالى في سورة الحج : ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يَصْبُونَ من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ يُسْهِرُهُمْ ما في بطونهم والجلود ﴾ أي : وتُصْهِرُهُمْ جلودهم . أرجع إلى تعليقنا حول العذاب والنعيم ص ٦٧٤ .

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق .

٦١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ﴾ وإلى الرسول ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾ رأيت المنافقين يصدون ﴿يَعْرِضُونَ عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوْا﴾ .

٦٢ ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي ، أي : أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على ﴿يصدون﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحاً ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفاً بين الخصمين ، بالتقريب في الحكم ، دون الحمل على مَرُّ الحق .

٦٣ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ، وكذبهم في عذرهم ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثراً فيهم ، أي : ازجرهم ، ليرجعوا عن كفرهم .

٦٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره ، لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ واستغفر لهم الرسول ﴿فِيهِ الثَّقَاتُ﴾ عن الخطاب ، تفخيماً لشأنه ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم .

٦٥ ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة [للتأكيد القسم] ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ^(١) حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً ، أو : شكاً ﴿مِمَّا قُضِيَتْ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ من غير معارضة .

٦٦ ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل

سُورَةُ النِّسَاءِ

وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قُضِيَتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ

(١) قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ الآية . أخرج

البخاري ومسلم وغيرهما ، أن عروة بن الزبير ، حدث عن الزبير بن العوام ، أنه خاصم رجلاً من الأنصار ، إلى رسول الله ﷺ في ماء كانا كلاهما يسقيان به النخل ، فقال

الأنصاري للزبير : سرح الماء يمرُّ ، فأبى عليه . فقال رسول الله ﷺ : «اسقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» . فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟! ... أي : قضيت له لأنه ابن عمك ؟! فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال : «اسقِ يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك» . قال الزبير : ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك . والأنصاري هو : «حاطب بن أبي بلتعة» كما في رواية لابن أبي حاتم ، عن سعيد بن المسيب ، وقد كان بنوه وإخوته في مكة ، ولهذا كتب حاطب إلى كبار قريش عام الفتح ، يخبرهم بعزم النبي ﷺ على حربهم ، وهذا سبب توهم البعض أنه ليس أنصاريًا .

قال ابن الأثير في «النهاية» : الجذر : هو ما رفع حول المزرعة كالجدار ، وقيل : هو أصل الجدار ، وروي : «الجذر» جمع «جدار» ، وروي «الجذر» بالذال المعجمة : أي : مبلغ تمام الشرب .

﴿ما فعلوه﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إلا قليل﴾ بالرفع على البدل، والنصب [ـ «قليل»] على الاستثناء [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من طاعة الرسول ﴿لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً﴾ تحقيقاً لإيمانهم. ٦٧ ﴿وإذا﴾ أي: لو ثبتوا ﴿لآتيناهم من لدنا﴾ من عندنا ﴿أجرًا عظيمًا﴾ هو: الجنة.

٦٨ ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾.

٦٩ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة، وأنت في الدرجات العلا، ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ فيما أمر به ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء، [وسمّوا «صديقين»]، لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿والشهداء﴾ القتلى في سبيل الله^(١) ﴿والصالحين﴾ غير من ذكر ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ رفقاء في الجنة، بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في الدرجات العالية، بالنسبة إلى غيرهم.

٧٠ ﴿ذلك﴾ أي: كونه مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الفضل من الله﴾ تفضل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وكفى بالله عليمًا﴾ بثواب الآخرة، أي: فثقوا بما أخبركم به ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾.

٧١ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم﴾ من عدوكم، أي: احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فانفروا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثبات﴾ متفرقين، سرية بعد أخرى ﴿أو انفروا جميعاً﴾ مجتمعين [جيشاً واحداً]. ٧٢ ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ ليتأخر عن القتال، كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه، وجعله منهم من حيث الظاهر، واللام في الفعل [ليبطئن] للقسمة ﴿فإن أصابكم مصيبة﴾ قتل وهزيمة ﴿قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ حاضراً فأصاب. ٧٣ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أصابكم فضل من الله﴾ كفتح وغنمة ﴿ليقولن﴾ نادماً ﴿كان﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لم يكن﴾ بالياء والناء ﴿بينكم وبينه مودة﴾ معرفة وصداقة، وهذا راجع إلى قوله: ﴿قد أنعم الله علي﴾، اعترض به بين القول ومقوله وهو: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ أخذ حظاً وافراً من الغنمة. ٧٤ قال تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ لإعلاء دينه

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ۚ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِنَ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا ۖ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَانْفِرُوا جَمِيعًا ۖ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۖ وَلَٰئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) قوله: «القتل في سبيل الله»، هم الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، أي: إعلاء لدينه، وكلمة الكافرين هي: كفرهم بالله تعالى، أرجع إلى تعليقنا حول «الجهاد» ص ١١٨.

﴿الذين يشرون﴾ يبيعون ﴿الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل﴾ يستشهد ﴿أو يغلب﴾ يظفر بعدوه ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ثواباً جزيلاً .

٧٥ ﴿وما لكم لا تقاتلون﴾ استفهام توبيخ ، أي : لا مانع لكم من القتال ﴿في سبيل الله﴾ في تخليص ﴿المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وأذوهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كنت أنا وأمّي منهم ﴿الذين يقولون﴾ داعين : يا ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ مكة ﴿الظالم أهلها﴾ بالكفر ﴿واجعل لنا من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ يتولى أمورنا ﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ يمتنعنا منهم ، وقد استجاب الله دعاءهم ، فيسرّ لبعضهم الخروج ، وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة ، وولّى ﷺ عتاب بن أسيد ، فأنصف مظلومهم من ظالمهم .

٧٦ ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ أنصار دينه ، تغلبوهم ، لقوتكم بالله ﴿إن كيد الشيطان﴾ بالمؤمنين ﴿كان ضعيفاً﴾ واهياً ، لا يقاوم كيد الله بالكافرين .

٧٧ ﴿الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾^(١) عن قتال الكفار ، لما طلبوه بمكة ، لأذى الكفار لهم ، وهم : جماعة من الصحابة ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب﴾ فرض ﴿عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون﴾ يخافون ﴿الناس﴾ الكفار ، أي : عذابهم بالقتل ﴿كخشيت﴾ هم عذاب ﴿الله أو أشد خشية﴾ من خشيتهم له ، ونصب ﴿أشد﴾ على الحال ، وجواب ﴿لما﴾ ، دل عليه ﴿إذا﴾ وما بعدها ، أي : [فلما كتب عليهم القتال] ، فاجأتهم الخشية ﴿وقالوا﴾ جزعاً من الموت ﴿ربنا لم كتب علينا القتال؟ لولا﴾ هلاً ﴿أخرتنا إلى أجل قريب قل﴾ لهم ﴿متاع﴾

(١) قوله تعالى : ﴿الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم...﴾ ، جاء في سبب نزول هذه الآية رواية ،

لم تخل من خلل ، فقد أخرج النسائي والبيهقي في سننه وغيرهم عن ابن عباس : أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا : يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنّا صرنا أذلة - وهم بذلك يطلبون الإذن بالقتال في مكة - فقال ﷺ : إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا القوم ، فلما حوّل الله إلى المدينة ، أمره الله بالقتال فكفوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والذي رجّحه القرطبي : أن هذه الآية في وصف المنافقين ، وثمة وجه آخر ، هو قول مجاهد بأنها نزلت في اليهود ، على نحو ما تقدم في قصة «طالوت» من سورة «البقرة» ص (٥٠) .

ويصح توجيه رواية ابن عباس ، بأن الذين انخذلوا بعد فرض القتال ، هم نفر ممن كان مع عبد الرحمن بن عوف ، من ضعاف الإيمان ، وهذا يوافق نص الآية ﴿إذا فريق منهم...﴾ ويبرئ ابن عوف من هذا الموقف المشين .

سُورَةُ النِّسَاءِ

الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴿٧٦﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ تَخْشِيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعُ

الدنيا ما يتمتع به فيها، أو الاستمتاع بها قليل، أيل إلى الفناء والآخرة أي: الجنة خير لمن اتقى عقاب الله، بترك معصيته ولا تظلمون بالتاء والياء: تنقصون من أعمالكم فتبلاً، قدر قشرة النواة^(١)، فجاهدوا.

٧٨ أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج، حصون مشيدة مرتفعة، فلا تخشوا القتال خوف الموت وإن تصبهم أي: اليهود حسنة خصب وسعة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة جذب وبلاء، كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة يقولوا هذه من عندك يا محمد، أي: بشؤمك قل لهم كل من الحسنة والسيئة من عند الله من قبله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون أي: لا يقاربون أن يفهموا

حديثاً يلقى إليهم، و «ما» استفهام تعجب من فرط جهلهم، ونفي مقارنة الفعل أشد من نفيه.

٧٩ ما أصابك أيها الإنسان من حسنة خير فمن الله أتتك، فضلاً منه وما أصابك من سيئة بلية فمن نفسك أتتك، حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب وأرسلناك يا محمد للناس رسولا حال مؤكدة وكفى بالله شهيداً على رسالتك.

٨٠ من يطع الرسول فقد أطاع الله^(٢) ومن تولى أعرض عن طاعته، فلا يهتمك فما أرسلناك عليهم حفيظاً حافظاً لأعمالهم، بل نذيراً، وإلينا أمرهم فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٨١ ويقولون أي: المنافقون إذا جاؤوك: أمرنا طاعة لك فإذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم يادغام التاء في الطاء، وتركه، أي: أضمرت غير الذي تقول لك في حضورك من الطاعة، أي: عصيانك والله يكتب يأمر بكتب ما يبيتون في صحائفهم، ليجازوا عليه فأعرض عنهم بالصفح وتوكل على الله ثق به، فإنه كافيك وكفى بالله وكيلاً مفوضاً إليه.

٨٢ أفلا يتدبرون يتأملون القرآن وما فيه من المعاني البديعة ولو كان

الْمُحْكَمَاتُ

الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۖ
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُّشِيدَةٍ ۚ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ
مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ۖ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۖ مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ
فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ

(١) قوله: «قدر قشرة النواة» هذا سبق قلم من الجلال السيوطي، فهذا معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة، و «النقير» هي: النقرة في ظهر النواة. وهذه الثلاثة يضرب بها المثل في إرادة القلة.

(٢) قوله تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» نص صريح في وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ، التي نقلت إلينا بواسطة الثقافات من العلماء والرواة، وهي معروفة مشهورة، لا يماري فيها إلا كل متكبر مريض القلب، فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكبر على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله... فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإن ما حرّم رسول الله، كما حرّمه الله».

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً^(٨٣) تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه. ^(٨٣) وإذا جاءهم أمر^(٨٣) عن سرايا النبي ﷺ، بما حصل لهم ^(٨٣) من الأمن^(٨٣) بالنصر^(٨٣) أو الخوف^(٨٣) إذاعوا به^(٨٣) أفشوه، نزل في جماعة من المنافقين، أو: في ضعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﷺ ولو ردوه^(٨٣) أي: الخبر^(٨٣) إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم^(٨٣) أي: ذوي الرأي في أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عنه حتى يُخبروا به^(٨٣) لعلمه^(٨٣) - هل هو مما ينبغي أن يذاع أو: لا - ^(٨٣) الذين يستنبطونه^(٨٣) يتبعونه ويطلبون علمه، وهم: المديعون^(٨٣) منهم^(٨٣) من الرسول وأولي الأمر^(٨٣) ولولا فضل الله عليكم^(٨٣) بالإسلام^(٨٣) ورحمته^(٨٣) لكم بالقرآن^(٨٣) لاتبعتم الشيطان^(٨٣) فيما يأمركم به^(٨٣) من الفواحش^(٨٣) إلا قليلاً^(٨٤). ^(٨٤) فقاتل^(٨٤)

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(٨٣) وَإِذَا جَاءَهُمْ
أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ^(٨٣) وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ^(٨٣)
مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
إِلَّا قَلِيلًا^(٨٤) فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ^(٨٤)
وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ
كَفَرُوا^(٨٤) وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا^(٨٤) مَّنْ يَشْفَعْ
شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا^(٨٤) وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا^(٨٤) وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُّقْبِتًا^(٨٥) وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَبِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا^(٨٥)
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا^(٨٦) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ^(٨٦) وَمَنْ أَصْدَقُ

يا محمد^(٨٤) في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك^(٨٤) فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك، فإنك موعود بالنصر^(٨٤) وحرص المؤمنين^(٨٤) حثهم على القتال ورغبهم فيه^(٨٤) عسى الله أن يكف بأس^(٨٤) حرب^(٨٤) الذين كفروا والله أشد بأساً^(٨٤) منهم^(٨٤) وأشد تنكيلاً^(٨٤) تعذيباً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي»^(٨٤) لرواه البيهقي في الدلائل، فخرج سبعين^(٨٤) ركباً إلى بدر الصغرى، فكف الله بأس الكفار، بإلقاء الرعب في قلوبهم، ومنع أبي سفيان عن الخروج، كما تقدم في آل عمران^(٨٥). ^(٨٥) من يشفع^(٨٥) بين الناس^(٨٥) شفاعة حسنة^(٨٥) موافقة للشرع^(٨٥) يمكن له نصيب^(٨٥) من الأجر^(٨٥) منها^(٨٥) بسببها^(٨٥) ومن يشفع شفاعة سيئة^(٨٥) مخالفة له^(٨٥) يمكن له كفل^(٨٥) نصيب من الوزر^(٨٥) منها^(٨٥) بسببها^(٨٥) وكان الله على كل شيء مقبلاً^(٨٥) مقتدرًا، فيجازي كل أحد بما عمل. ^(٨٦) وإذا حييتم بتحية^(٨٦) كان قيل لكم: سلام عليكم^(٨٦) فحيوا^(٨٦) المحيى^(٨٦) بأحسن منها^(٨٦) بأن تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته^(٨٦) أو ردوها^(٨٦) بأن تقولوا كما قال، أي: الواجب أحدهما، والأول أفضل^(٨٦) إن الله كان على كل شيء حسيباً^(٨٦) محاسباً، فيجازي عليه، ومنه رد السلام، وخصت الشنة، الكافر والمبتدع والفاسق، والمسلم على قاضي الحاجة، ومن

في الحمام، والآكل، فلا يجب الرد عليهم، بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: «وعليك». ^(٨٧) الله لا إله إلا هو^(٨٧) والله^(٨٧) ليجمعنكم^(٨٧) من قبوركم^(٨٧) إلى^(٨٧) في يوم القيامة لا ريب^(٨٧) شك^(٨٧) فيه ومن^(٨٧) أي: لا أحد^(٨٧) أصدق

(١) قوله: «فخرج في سبعين ركباً»، الصحيح أنه خرج في ألف وخمسمائة في السنة الرابعة للهجرة، قاله: أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي - نسبة إلى جده «واقد» - المتوفى عام سبع ومائتين هجرية.

(٢) قوله: «كما تقدم في آل عمران» أي: صفحة ٩١، فارجع إليها فإن فيها تصويبات مفيدة في سبب نزول الآيتين ١٧٢ و ١٧٣ منها.

من الله حديثاً ﴿قولا﴾ ٨٨ ولما رجع ناس من [معركة] أحد، [وهم: المنافقون]، اختلف الناس فيهم، فقال فريق: نقتلهم، وقال فريق: لا، فترل ﴿فما لكم﴾ أي: ما شأنكم صرتم ﴿في المنافقين فئتين﴾ فرقتين؟ ﴿والله أركسهم﴾ ردهم [من عز الإسلام إلى ذل الكفر] ﴿بما كسبوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل﴾ هـ ﴿الله﴾ أي: تعدوهم من جملة المهتدين؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ومن يضل﴾ هـ ﴿الله فلن تجد له سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى.

٨٩ ﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون﴾ أنتم وهم ﴿سواء﴾ في الكفر ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾

توالونهم، وإن أظهروا الإيمان ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ^(١) ﴿فإن تولوا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً﴾ توالونه ﴿ولا نصيراً﴾ تتصرون به على عدوكم.

٩٠ ﴿إلا الذين يصلون﴾ يلجأون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد، بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، كما عاهد الله، هلال بن عويمر الأسلمي، [على أن لا يعين على النبي ﷺ ولا يعينه، وعلى أن من لجأ إليه، لا يتعرض الرسول ﷺ له] ﴿أو﴾ الذين ﴿جاؤوكم﴾ وقد ﴿حصرت﴾ ضاقت ﴿صدورهم﴾ عن ﴿أن﴾ يقاتلوكم مع قومهم ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ معكم أي: ممسكين عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرضوا إليه بأخذ ولا قتل، وهذا [النهي عن التعرض لهم] وما بعده، منسوخ بآية السيف ﴿ولو شاء الله﴾ تسلطهم عليكم ﴿لسلطهم عليكم﴾ بأن يقوِّي قلوبهم ﴿فلقاتلوكم﴾ ولكنه لم يشأ، فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم﴾ أي: انقادوا ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

٩١ ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿ويأمنوا قومهم﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم، وهم: [بنو] أسد وغطفان ﴿كلما ردوا إلى الفتن﴾ دُعوا إلى الشرك

الْمُنَافِقُونَ

من الله حديثاً ﴿٨٧﴾ * ﴿قالكم﴾ في المنفقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً ﴿٨٨﴾ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴿٨٩﴾ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴿٩٠﴾ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتن

(١) قوله: «هجرة صحيحة تحقق إيمانهم»، قال القرطبي: هجرة المنافقين كانت الخروج مع النبي ﷺ في الغزوات، وقال أيضاً في معنى الآيات (٨٨ - ٩٠): «اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم إلا أن يهاجروا، وإلا أن يتصلوا بمن بينكم وبينهم ميثاق، فيدخلوا فيما دخلوا فيه فلهم حكمهم، وإلا الذين جاؤوكم قد حصرت صدورهم، عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم فلا تقتلوهم. اهـ. وهذه الأحكام منسوخة بآية السيف كما ذكر المؤلف، أما نزول الآية ٨٨ في المنافقين فقد رواه البخاري ومسلم والترمذي.

﴿أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقع ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك قتالكم ﴿وَلَمْ يَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لم يلقوا إليكم السلام ﴿وَلَمْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ لم يكفوا أيديهم عنكم ﴿فَخَذَوْهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتَلَوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم وأولتكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴿يُرَاهَانَا بَيِّنًا ظَاهِرًا عَلَى قَتْلِهِمْ وَسَبِيهِمْ لَعْنُورُهُمْ﴾ ٩٢ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا أَخْطَأَ﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْأً﴾ بأن قصد رمي غيره، كصيد أو شجر، فأصابه، أو ضربه بما لا يقتل غالباً [فقتله] ﴿فَتَحْرِيرٌ﴾ عتق ﴿رَقَبَةً﴾ نَسَمَةً ﴿مُؤْمِنَةً﴾ عليه ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصْدُقُوا﴾ يتصدقوا عليه بها، بأن يعفوا عنها، وبَيِّنَتِ الشُّنَّةُ [فيما رواه الدارقطني]: أنها مئة من الإبل، عشرون بنت خاض^(١)،

وكذا بنات لبون وبنون لبون، وحِقاق، وجذاع، وأنها على عاقلة القتال، وهم: عصبة، إلا الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين، على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة، فإن لم يفوا فمن بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَكُمْ وَهُوَ﴾ مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴿عَلَى قَاتِلِهِ كِفَارَةٌ﴾، ولا دية تسلم إلى أهله لحرايتهم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فَدْيَةٌ﴾ له ﴿مُسَلِّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وهي: ثلث دية المؤمن، إن كان يهودياً أو نصرانياً، وثلاث عشرين إن كان مجوسياً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقبة، بأن فقدوها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه، كفارة، ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليهِ ﴿تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم. ٩٣ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً، عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أبعدته عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤول بمن يستحله، أو: بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، وعن ابن عباس أنها على ظاهرها، وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة، وبَيِّنَتِ آيَةُ «البقرة» أن

سُورَةُ النِّسَاءِ

أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْذُوهُمْ وَأَقْتَلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ٩١ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطْأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلِّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قاتل العمد يقتل به، وأن عليه الدية إن عفي عنه، وسبق قذرها، وبَيِّنَتِ الشُّنَّةُ [فيما رواه أبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان]: أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى: شبه العمد، وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً، فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد، [أي: كديته]، في الصفة [المذكورة]، و [كالقتل] الخطأ، في التأجيل [ثلاث سنين]، و [في] الحمل [على العاقلة]، وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ. ٩٤ ونزل لما مر نفر من الصحابة، برجل من بني سليم، وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا نقيّة، فقتلوه واستاقوا غنمه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتُم للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) هي: أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و «اللبون»: التي أتمت الثانية. و «الحقة»: التي أتمت الثالثة، و «الجذعة»: التي أتمت الرابعة.

فَتَبَيَّنُوا ﴿١﴾ وفي قراءة: بالمثلثة (١) في الموضعين ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ بألف ودونها، أي: التحية، أو: الانقياد، بقوله كلمة الشهادة، التي هي أمانة على الإسلام ﴿لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك، فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تَعْصَمُ دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ، بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتجار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به. ٩٥ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة، والنصب استثناء،

الْمُجَاهِدُونَ

فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا
تَبْتَغُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٦﴾
دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ
وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

من زَمَانِهِ، أو: عَمَى، أو: نحوه ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ لضرر ﴿درجة﴾ فضيلة، لاستوائهما في النية، وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه:

٩٦ ﴿درجات منه﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿ومغفرة ورحمة﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وكان الله غفوراً﴾ لأوليائه ﴿رحيماً﴾ بأهل طاعته.

٩٧ و[روى البخاري والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال:] نزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا، [وخرجوا مع المشركين، يكثرُونَ سوادهم على رسول الله ﷺ] فقتلوا يوم بدر مع الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قَالُوا﴾ معتردين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخاً ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم؟ قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

(١) قوله: «وفي قراءة بالمثلثة»، أي: «فتبينوا»، وقوله: «في الموضعين»، أي: هذا والذي في آخر الآية، ومثلهما القوضع الذي في «الحجرات».

(٢) قوله تعالى: «في سبيل الله». ينال المجاهد في سبيل الله تعالى إحدى الحسنيين، النصر على العدو، والظفر بالغنيمة، أو الشهادة إذا كان قتاله في سبيل الله، روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، وفي رواية: يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، وينال شرف الشهادة، من قتل دفاعاً عن ماله أو دينه، روى الشيخان قوله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد»، وزاد أبو داود والترمذي: «ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد».

فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك^(١) ببطن نخل رواه الشيخان «ود الذين كفروا لو تغفلون» إذا قمتم إلى الصلاة «عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة» بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح «ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم» فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو: أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورُجِحَ «وخذوا حذركم» من العدو، أي: احترزوا منه ما استطعتم «إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً» ذا إهانة. ١٠٣ «فإذا قضيت الصلاة» فرغتم منها «فاذكروا الله» بالتهليل والتسبيح «قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» مضطجعين،

المزلة

فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تالمون فإنهم يالمون كما تالمون أي: مثلكم، ولا يجنبون عن قتالكم وترجون أنتم من الله من النصر والثواب عليه ما لا يرجون هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه «وكان الله عليماً» بكل شيء «حكيماً» في صنعه. ١٠٥ وسرق طعمة بن أبيرق درعاً، وخباها عند يهودي، [يدعى زيد بن السمين]، فوجدت عنده، فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ، أن يجادل عنه ويبرئه، [بعد ما شهدوا الزور على براءة صاحبهم] فنزل: «إنا أنزلنا إليك الكتاب القرآن» [بالحق] متعلق بـ «أنزل» [لتحكم بين الناس بما أراك] أعلمك «الله» فيه «ولا تكن للخائنين» كطعمة [وقومه وأمثالهم] «خصيماً» مخاصماً عنهم. ١٠٦ «واستغفر الله» مما هممت به، [فقد هم بقطع يد اليهودي، فأعلمه الله الحال بالوحي] فهم أن يقضي على طعمة، فهرب إلى مكة وارتد، وهناك نقب حائطاً ليسرق، فسقط عليه فقتله، فمات مرتداً [«إن الله كان غفوراً رحيماً»].

أي: في كل حال «فإذا أطمأننتم» أمتم «فأقيموا الصلاة» أدوها بحقوقها «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً» مكتوباً، أي: مفروضاً «موقوتاً» أي: مقدراً وقتها، فلا تؤخر عنه.

١٠٤ و [قيل]: نزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد، [والصحيح: لما خرج ﷺ مع المسلمين إلى حمراء الأسد] كما تقدم ص ٩١ [فشكوا الجراحات: «ولا تنهوا» تضعفوا «في ابتغاء» طلب «القوم» الكفار لقتالهم «إن تكونوا تالمون» تجدون ألم الجراح «فإنهم يالمون» كما تالمون أي: مثلكم، ولا يجنبون عن قتالكم «وترجون» أنتم «من الله» من النصر والثواب عليه «ما لا يرجون» هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه «وكان الله عليماً» بكل شيء «حكيماً» في صنعه.

١٠٥ وسرق طعمة بن أبيرق درعاً، وخباها عند يهودي، [يدعى زيد بن السمين]، فوجدت عنده، فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ، أن يجادل عنه ويبرئه، [بعد ما شهدوا الزور على براءة صاحبهم] فنزل: «إنا أنزلنا إليك الكتاب القرآن» [بالحق] متعلق بـ «أنزل» [لتحكم بين الناس بما أراك] أعلمك «الله» فيه «ولا تكن للخائنين» كطعمة [وقومه وأمثالهم] «خصيماً» مخاصماً عنهم. ١٠٦ «واستغفر الله» مما هممت به، [فقد هم بقطع يد اليهودي، فأعلمه الله الحال بالوحي] فهم أن يقضي على طعمة، فهرب إلى مكة وارتد، وهناك نقب حائطاً ليسرق، فسقط عليه فقتله، فمات مرتداً [«إن الله كان غفوراً رحيماً»].

(١) قوله: «وقد فعل النبي ﷺ كذلك إلخ». أي: صلى صلاة الخوف. بعد أن نزلت هذه الآية.

فقد أخرج عبد الرزاق، وأحمد وأبو داود والنسائي، وغيرهم، عن أبي عياش الزرقني - وهو زيد بن الصامت - رضي الله عنه قال: =

١٠٧ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي، لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ أي: يعاقبه.

١٠٨ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياة ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَثُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة، ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً. ١٠٩ ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ يا هؤلاء^(١) خطاب لقوم طعمة ﴿جَادَلْتُمْ﴾ خاضتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ [شدوذا]: «عنه» ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَذِبَهُمْ﴾ أم من يكون عليهم وكيلاً ﴿يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ وَيَذَبُ عَنْهُمْ؟﴾ أي: لا أحد يفعل ذلك.

شُورَةُ النَّبَاةِ

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبْتَثُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

١١٠ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره، كرمي «طُعْمَةٍ» اليهودي [بالسرقة] ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه، أي: يَتُبُّ ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به.

١١١ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأن وبالها عليها، ولا يضر غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ [بخلقها] ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

١١٢ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ تحمّل ﴿بُهْتَانًا﴾ برميّه ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ بيتاً بكسبه.

١١٣ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلَوْكَ﴾ عن القضاء بالحق، بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾

= «كنا مع النبي ﷺ بِشُفَّانَ، فاستقبلنا المشركون عليه خالداً بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم... ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر، فصلّى الرسول ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف، قال ابن حجر في الفتح: أوّل ما صلّيت صلاة الخوف في

«شُفَّانَ»، وقال الزيلعي في «نصب الرّاية»: الذي استقر عند أهل السّير والمغازي، أن النبي ﷺ صلّى صلاة الخوف في أربعة مواضع هي: في «شُفَّانَ» وهي: قرية جامعة على نحو يومين من مكة على طريق المدينة، وفي «بطن نخل» وهو: موضع من نجد على نحو يومين شرقي المدينة. وفي «غزوة ذات الرقاع» السنة الرابعة للهجرة، وفي «ذي قرد» وهو موضع على نحو يوم من المدينة.

(١) قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ...﴾ الآية. إن معنى الآية عام، وفيها تحريم الدفاع عن الباطل وأهله أيّاً كان السبب، لأن الحق أحق أن يتبع، وهي تعني بصورة واضحة «المحامين»، الذين اتخذوا من الدفاع عن المتخاصمين مهنة لهم، فلا يجوز «للمحامي» أن يتخذ من مبدأ «حق الدفاع»، ذريعة للوقوف ضد «الحق» وهو يعلم، ولو أن كل «محام» تحرى الحق قبل أن يقبل الوكالة، فلم يدافع إلا عن صاحب الحق، لضاعت السبل على المعتدين والظالمين، ففي رفض الدفاع عن الباطل، إعلاء للحق ونصر لأصحابه، وهذا واجب على كل إنسان.

وما يضرّونك من زائدة شيء لأن وبال إضلالهم عليهم وأنزل الله عليك الكتاب القرآن والحكمة ما فيه من الأحكام وعلمك ما لم تكن تعلم من الأحكام والغيب وكان فضل الله عليك بذلك وغيره عظيماً.

١١٤ لا خير في كثير من نجواهم أي: الناس، أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون إلا نجوى من أمر بصدقة أو معروف عمل بر أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك المذكور ابتغاء طلب مرضات الله لا غيره من أمور الدنيا فسوف نؤتيه بالنون والياء، أي: الله أجراً عظيماً.

الْحِكْمَةُ

وَمَا يَضُرُّوْنَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٥﴾ * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٦﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٨﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٩﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١٢٠﴾ وَلَا ضَلَالَةَ وَلَا مَنِينًا وَلَا مَرْنَمًا لَهُمْ

١١٥ ومن يشاقق يخالف الرسول فيما جاء به من الحق من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالمعجزات ويتبع طريقاً غير سبيل المؤمنين^(١) أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين، بأن يكفر بنوله ما تولى نجعله والياً لما تولاه من الضلال، بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ونصله ندخله في الآخرة جهنم فيحترق فيها وساءت مصيراً مرجعاً هي.

١١٦ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً عن الحق.

١١٧ ما يدعون يعبد المشركون من دونه أي: الله، أي: غيره إلا إناثاً أصناماً مؤنثة^(٢) كاللات، والعزى، ومناة وإن ما يدعون يعبدون بعبادتها إلا شيطاناً مرديداً خارجاً عن الطاعة، لطاعتهم له فيها وهو: إبليس^(٣).

١١٨ لعنه الله أبعد عن رحمته وقال أي: الشيطان لأتخذن لأجعلن لي من عبادك نصيباً حظاً مفروضاً مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي.

١١٩ ولأضلنهم عن الحق بالوسوسة ولأمنينهم ألقى في قلوبهم طول الحياة: أن لا بعث ولا حساب ولأمرنهم

(١) قوله تعالى: «ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» فيه دليل واضح على أنه الحق لا يكون في غير سبيل المؤمنين، وهو أيضاً تحذير من مخالفة الجماعة والشذوذ عنها، فقد أخرج الترمذي والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً، ويد الله على الجماعة، فمن شذَّ شذَّ في النار».

(٢) قوله: «أَصْنَامًا مُؤَنَّثَةً»، أي: أسماؤها مؤنثة، فاللات مأخوذ من «إله»، والعزى من «العزير» ومناة من «المنان»، وهذا بيان لشدة جهلهم وضلالهم، وسُخِّفَ عقولهم، إذ هم يكرهون الأنثى، ويحتقرونها، ومع ذلك يدعون أصناماً سمّوها أسماء الإناث.

(٣) قوله: «وَهُوَ إِبْلِيسُ»، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٨٨.

فَلْيَبْتَكَنْ إِذَانَ الْأَنْعَامِ وَقَدْ فُعِلَ ذَلِكَ بِالْبَحَائِرِ (١) وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا يَتَوَلَّاهُ وَيُطِيعُهُ مَنْ دُونِ اللَّهِ أَي: غَيْرُهُ «فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا»
بَيِّنًا، لِمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِ. ١٢٠ «يَعْدُهُمْ» طُولُ الْعُمُرِ «وَيَمْنِيهِمْ» تَبَيُّنُ الْأَمْالِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ لَا يَبْعَثَ وَلَا
جَزَاءَ «وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ» بِذَلِكَ «إِلَّا غُرُورًا» بَاطِلًا. ١٢١ «أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَغْدَلًا»
بِذَلِكَ. ١٢٢ «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا»
أَي: وَعْدُهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَحَقُّهُ حَقًّا «وَمَنْ» أَي: لَا أَحَدَ «أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» أَي: قَوْلًا. ١٢٣ وَنَزَلَ لَمَّا افْتَخَرَ
الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ (٢): «لَيْسَ» الْأَمْرُ
مَنْطُوقًا «بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ» بَلْ
بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ «مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ» إِمَّا
فِي الْآخِرَةِ، أَوْ: فِي الدُّنْيَا بِالْبَلَاءِ وَالْمَحَنِّ كَمَا
وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ (٣) «وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»
أَي: غَيْرِهِ «وَلِيًّا» يَحْفَظُهُ «وَلَا نَصِيرًا» يَمْنَعُهُ
مِنْهُ.

١٢٤ «وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا» مِنَ الصَّالِحَاتِ مَنْ
ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يُدْخَلُونَ «بِالْبَنَاءِ»
لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ «الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا» قَدَرُ
نُقْرَةِ النَّوَاةِ.

١٢٥ «وَمَنْ» أَي: لَا أَحَدَ «أَحْسَنُ دِينًا» مِمَّنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ» أَي: انْقَادَ وَأَخْلَصَ عَمَلَهُ
«لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» مُوَحَّدَ «وَاتَّبَعَ مِلَّةَ»
إِبْرَاهِيمَ «الْمُرَافِقَةَ لِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ» حَنِيفًا «حَالًا،
أَي: مَائِلًا عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ

(١) قوله: «وقد فعل ذلك بالبحائر» جمع «بحيرة» وهي:
الناقة تلد أربعة بطون، وتأتي في البطن الخامس بذكر،
فكانوا لا يحملون عليها، ويتركونها للطواغيت،
ويشقون أذانها علامة على ذلك.

(٢) قوله: «ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب» هذا
وجه غير قوي، إذ لو حصلت هذه المفاخرة لكان
المسلمون فيها على حق قطعاً، فلا يعقل أن ينزل القرآن
فيرد عليهم، والروايات التي وردت فيها هذه المفاخرة
ليست قوية من حيث سندها، فعدم الأخذ بها أولى،

وعن مجاهد بن جبر رحمه الله: أن هذه المفاخرة كانت بين مشركي العرب وأهل الكتاب حيث قال العرب: لا نبعث ولا نحاسب، وقالت اليهود
والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا هو الصحيح، يؤيده سياق الآيات.

(٣) قوله: «كما ورد في الحديث» أي: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية «ليس بأمانيتكم» فكل
سوء جُزينا به؟، فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تصب؟» أي: تتعب — ألسنت تمرض؟، ألسنت تحزن؟، ألسنت
تصيبك اللأواء؟ قال: بلى، قال: «فهو ما تجزون به»، رواه أحمد وابن حبان وغيرهما أي: تكون هذه المصائب كفارةً لذنوبكم، يؤيده
قوله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» رواه الترمذي وقال: حسن
صحيح.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا خالص المحبة له . ١٢٦ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً
﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ علماً وقُدرة، أي: لم يزل متصفاً بذلك . ١٢٧ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى
﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن، [وكان أهل الجاهلية، لا يورثون المولود حتى يتكبر، ولا يورثون المرأة] ﴿قُلْ﴾ لهم
﴿اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، ويفتيكم أيضاً ﴿فِي﴾ يتامى النساء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغُبُونَ﴾ أيها الأولياء، عن ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن،
وتعضلونهن [أي: تمنعهن] أن يتزوجن، طمعاً في ميراثهن، أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَفِي﴾ المستضعفين

الْمِيرَاثُ

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَى
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ
بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا
بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ
وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا

الصغار ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ أن تطوهم حقوقهم
﴿وَفِي﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾
بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾
فإن الله كان به عليماً فيجازيكم به .
١٢٨ ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوع بفعل يفسره:
﴿خَافَتْ﴾ توقعت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾
ترفعاً عليها، بترك مضاجعتها، والتقصير في
نفقتها، لبغضها، وطموح عينه إلى أجل منها
﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ﴾
يُصْلِحَا ﴿فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ،
وَفِي قِرَاءَةٍ: «يُصْلِحَا» مِنْ «أَصْلَحَ» بَيْنَهُمَا
صُلْحًا ﴿فِي الْقَسَمِ وَالنَّفَقَةِ، بَأَنْ تَتْرَكَ لَهُ شَيْئًا،
طَلِبًا لِبَقَاءِ الصُّحْبَةِ، فَإِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ، وَالْأُ
فَعَلَى الزَّوْجِ أَنْ يُوَفِّيَهَا حَقَّهَا، أَوْ: يَفَارِقَهَا
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ مِنْ الْفَرْقَةِ وَالنُّشُوزِ
وَالْإِعْرَاضِ، [وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَمَا اصْطَلَحَا
عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ]، قَالَ تَعَالَى فِي بَيَانِ
مَا جَبَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ
الشُّحَّ﴾ شدة البخل، أي: جُبِلَتْ عَلَيْهِ، فَكَانَهَا
حَاضِرَةً لَا تَغِيبُ عَنْهُ، الْمَعْنَى: أَنَّ الْمَرْأَةَ
لَا تَكَادُ تَسْمَحُ بِنَصِيحَتِهَا مِنْ زَوْجِهَا، وَالرَّجُلُ
لَا يَكَادُ يَسْمَحُ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ، إِذَا أَحَبَّ غَيْرَهَا
﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ العجور
عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾
فيجازيكم به .

١٢٩ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (١) تُسَوُّوا ﴿بَيْنَ

النِّسَاءِ﴾ فِي الْمَحَبَّةِ ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ إِلَى الَّتِي تَحِبُّونَهَا فِي الْقَسَمِ وَالنَّفَقَةِ ﴿فَتَدْرُوهَا﴾
أَي: تَتْرَكُوا الْمُمَالَ عَنْهَا ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ الَّتِي لَا هِيَ أَيْمٌ [مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ]، وَلَا [هِيَ] ذَاتُ بَعْلٍ ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ بِالْعَدْلِ فِي الْقَسَمِ

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ...﴾ لا يستطيع الإنسان أن يعدل بين زوجاته في محبة القلب، وهذا حق لا خلاف فيه، ولكن لا عذر له في عدم العدل في البيوتة والنفقة بجميع أنواعها، فعدم المساواة يبين في ذلك ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، والرسول عليه الصلوة والسلام، كان الأسرة الحسنة للزوج العادل، المحسن إلى أهله، وفيه يجب أن ياتسي المسلمون، فقد أخرج أحمد =

﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فإن الله كان غفوراً﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رحيماً﴾ بكم في ذلك. ١٣٠ ﴿وإن يتفرقا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يفن الله كلا﴾ عن صاحبه ﴿من سعته﴾ أي: فضله، بأن يرزقها زوجاً غيره، ويرزقه غيرها ﴿وكان الله واسعاً﴾ لخلقه في الفضل ﴿حكيماً﴾ فيما دبره لهم. ١٣١ ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب﴾ بمعنى: الكتب ﴿من قبلكم﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿وإياكم﴾ يا أهل القرآن ﴿أن﴾: بأن ﴿اتقوا الله﴾ خافوا عقابه، بأن تطيعوه ﴿و﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إن تكفروا﴾ بما وصيتم به ﴿فإن لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً، وملكاً وعبيداً، فلا يضره كفركم ﴿وكان الله غنياً﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حميداً﴾ محموداً في صنعه بهم.

١٣٢ ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ كرهه تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ شهيداً بأن ما فيهما له.

١٣٣ ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يا أيها الناس ويات بآخرين ﴿بذلكم﴾ وكان الله على ذلك قديراً.

١٣٤ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم الآخر؟ وهلاً طلب الأعلى بإخلاص له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ١٩ ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾.

١٣٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ قائمين ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿شهداء﴾ بالحق ﴿لله ولو﴾ كانت الشهادة ﴿على أنفسكم﴾ فاشهدوا عليها، بأن تقرؤوا بالحق ولا تكتسوه ﴿أو﴾ على ﴿الوالدين والأقربين إن يكن﴾ المشهود عليه ﴿غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ أي: بالمشهود له والمشهدود عليه [منكم، وأعلم بمصالحهما

= وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا تسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: محبة القلب، وقد حذر من عدم العدل بين الزوجات، فقال ﷺ: «من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيته ساقط»، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، ولقد أباح الله تعالى للمسلم القادر أن يجمع في عصمته أربع زوجات، بعد أن كان التعدد في

الجاهلية مطلقاً لا حد له، ونبه إلى وجوب الاكتفاء بواحدة أو بملك اليمين، عند الخوف من عدم العدل بينهما، فقال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾.

إن إباحة تعدد الزوجات دليل على صراحة الإسلام، في معالجة قضايا الإنسان الخاصة، أما الذين لم تعجبهم إباحة التعدد، فإنهم رفضوا الحلال وأباحوا لأنفسهم وللناس الحرام، فشرعوا للناس قوانين تمنع التعدد وتعاقب عليه، وتبيح الزنا ولا تعاقب عليه، إذا حصل برضا الطرفين، فأئي الأمرين خير للمرأة؟ أن تكون زوجة شريفة، أم أن تكون خليعة؟ ثم: إن الإسلام لم يفرض التعدد، بل أباحه مع التشديد على وجوب العدل، والإباحة تعني: أنه معلق بإرادة الرجل والمرأة، فلماذا تقبل المرأة أن تكون «ضرة» لامرأة أخرى؟، فإذا كان التعدد غير لائق — كما يزعمون ويزعم — فإن بإمكان النساء وحدهن منعه، بامتناعهن عن القبول بزواج متزوج... وهذا ما لا يفعله.

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٣٠ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣٢ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٣٣ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ١٣٤ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ١٣٦

١٣٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا﴾ دَاوَمُوا عَلَى الْإِيمَانِ ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ عَلَى الرُّسُلِ، بِمَعْنَى «الْكِتَابِ» وَفِي قِرَاءَةٍ: بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ فِي الْفَعْلَيْنِ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، فَيَكْفُرُ بِهَا جَمِيعاً أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهَا] فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً عَنْ الْحَقِّ.

١٣٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بموسى، وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعده بعباسي ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُفْغِرْ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

١٣٨ ﴿بشر﴾ أخبر يا محمد ﴿المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾^(١) مؤلفاً، هو: عذاب النار.

١٣٩ ﴿الذين﴾ بدل، أو: نعت للمنافقين
﴿يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ لما
يتوهمون فيهم من القوة ﴿آيتفون﴾ يطلبون
﴿عندهم العزة﴾ استفهام إنكار، أي: لا يجدونها
عندهم ﴿فإن العزة لله جميعاً﴾ في الدنيا والآخرة
ولا ينالها إلا أولياؤه. [والله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون].

١٤٠ ﴿وقد نزل﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، ﴿عليكم في الكتاب﴾ القرآن، في سورة «الأنعام»، - [هو وقوله تعالى فيها: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره»]- ﴿أن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿إذا سمعتم آيات الله﴾ القرآن ﴿يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم﴾ أي: الكافرين والمستهزين ﴿حتى يخوضوا

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ نَعِرْتُمْ فَلَئِنْ
 اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ
 ءَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
 ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
 وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٢٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ يُبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٩﴾
 وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ
 يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

(١) قوله تعالى: ﴿بشر المنافقين...﴾ الآية، النفاق قسمان: نفاق عملي، ونفاق اعتقادي.

أما النفاق العملي، أي: في الأعمال، فبمثل ما جاء في الحديث الشريف، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن، كانت فيه خصلةٌ من نفاق حتى يدَّعها: إذا أومن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» متفق عليه، و«نفاق العمل» معصية، لا تُخرج فاعلها من الإيمان.

وأما النفاق الاعترافي، فهو: إظهار الإسلام كإعلان الشهادتين، والصلاة أمام الناس، مع إخفاء الكفر في القلب، وعلى هذا النوع يطلق اسم «النفاق» بلا قيد، فإذا قيل: فلان منافق، أو: من المنافقين، فذلك يعني نفاق الاعتقاد، كعبد الله بن أبي السُّلُولي وجماعته، والآيات التي تتحدث عن المنافقين، نزلت فيهم وفي أمثالهم.

في حديث غيره إنكم إذا إن قعدتم معهم مثلهم في الإثم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

١٤١ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بَكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظَفَرٌ وَغَنِيمَةٌ ﴿مِنْ﴾ الله قَالُوا ﴿لَكُمْ﴾ ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد، فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم، فأبقينا عليكم؟ ﴿وَوَ أَلَمْ﴾ نمنعكم من المؤمنين أن ينظفروا بكم، بتخذيهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المنة، قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ﴾

يحكم بينكم وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ﴾ للكافرين على المؤمنين سبيلاً طريقاً بالاستتصال.

١٤٢ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ يخادعون الله ﴿يَظَاهِرُونَ﴾ خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية [كالقتل والأسر] وهو خادعهم مجازيهم على خداعهم، فيفتضحون في الدنيا، بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا﴾ كسالى متاقلين ﴿يِرَآوُنَ النَّاسَ﴾^(١) بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

١٤٣ ﴿مُذَبِّبِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسويين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين، [روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ - الْمُرْتَدَّةِ وَالْحَائِرَةِ - بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَجِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»] ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ - ﴿اللَّهُ فَلَئِنْ تَجَدَّ﴾ له سبيلاً طريقاً إلى الهدى.

١٤٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن

سُورَةُ النِّسَاءِ

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآوُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٣﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ

والنفاق الاعتقادي من أشنع أنواع الكفر وأخطرهما لذلك لن يكونوا في النار فحسب، بل في الدرك الأسفل منها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً، والآيات ١٣٧ - ١٤٥ من «سورة النساء»، تكشف طرفاً من مكائدهم، وستأتي في سورة «التوبة» آيات أخرى فيهم.

(١) قوله تعالى: ﴿يُرَآوُنَ النَّاسَ﴾، «الرياء» هو: الشرك الأصغر، يَحِيطُ بِهِ ثَوَابُ الطَّاعَةِ، وهو من صفات المنافقين، وكذلك قيامهم إلى الصلاة وهم كسالى، وعدم ذكرهم لله تعالى في الصلاة إلا قليلاً، ففي بيان صفاتهم، تحذير للمسلمين الصادقين منها ومنهم. أرجع إلى تعليقتنا حول «الرياء» ص ٣٩٥.

تجعلوا لله عليكم ﴿بمولاتهم﴾ سلطاناً مبيناً ﴿برهاناً بيّناً على نفاقكم؟﴾ ١٤٥ ﴿إن المنافقين في الدرك ﴿المكان﴾ الأسفل من النار﴾ وهو قعرها ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ مانعاً من العذاب.

١٤٦ ﴿إلا الذين تابوا﴾ من النفاق ﴿فآمنوا﴾ وأصلحوا ﴿عملهم﴾ واعتصموا ﴿وثقوا﴾ بالله وأخلصوا دينهم لله ﴿من الرياء﴾ فأولئك مع المؤمنين ﴿فيما يؤتونه﴾ وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴿في الآخرة﴾، وهو: الجنة.

١٤٧ ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم﴾ نعمة ﴿وآمنتم﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يعذبكم ﴿إن شكرتم وآمنتم﴾ وكان الله شاكراً ﴿لأعمال المؤمنين﴾ بالإثابة ﴿عليماً﴾ بخلقه.

١٤٨ ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ [أي: بالدعاء] من أحد [على أحد]، أي: يعاقبه عليه ﴿إلا من ظلم﴾^(١) فلا يؤاخذه بالجهر به، بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه، [وإن يصبر فهو خير له]، ﴿وكان الله سميعاً﴾ لما يقال ﴿عليماً﴾ بما يفعل.

١٤٩ ﴿وإن تبدوا﴾ تظهروا ﴿خيراً﴾ من أعمال البر ﴿أو تخفوه﴾ تعملوه سراً ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ ظلم ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾.

١٥٠ ﴿إن الذين يكفرون بالله﴾ ورسله ﴿و يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ويقولون نؤمن ببعض﴾ من الرسل ﴿ونكفر ببعض﴾ منهم ﴿و يريدون أن يتخذوا بين ذلك﴾ الكفر والإيمان ﴿سبيلاً﴾ طريقاً يذهبون إليه.

١٥١ ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿واعتدنا

(١) قوله تعالى: ﴿إلا من ظلم﴾. لقد حرم الله تعالى الظلم بين العباد، وأوعد الظالمين بالعقاب الشديد، ووعد المظلومين بالنصر بعد الصبر، قال تعالى في الحديث القدسي المشهور: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي - أي: تنزهت عنه، فلا أظلم أحداً - وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».. أي: لا يظلم بعضكم بعضاً. وقال ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». رواهما مسلم.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، عندما بعثه النبي ﷺ داعياً إلى الإسلام قال له: «واثق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله

حجاب»، رواه الشيخان، أي: إن دعوته مقبولة مستجابة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله...﴾ الآية.

أخرج ابن جرير وابن حميد، عن قتادة بن دعامة السدوسي في هذه الآية أنه قال: أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن ومحمد، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما: بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله. أرجع إلى تعليقنا حول «الاديان» ص ٢٤٥.

الْمُنَافِقُونَ

تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٦﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ

لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٧﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ

مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٩﴾

إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ

سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

للكافرين عذاباً مهيناً ﴿١٥٢﴾ ذا إهانة، وهو عذاب النار.

١٥٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يَفِرُّوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء ﴿أَجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لأوليائه ﴿رَحِيماً﴾ بأهل طاعته.

١٥٣ ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى، [سألوه ذلك] تعتنا، فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: آبائهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ^(١) عياناً ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقاباً لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم [بالعذاب الشامل] ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مَبِيناً﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم، حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة، فطاعوه، [فقتل بعضهم بعضاً].

سُورَةُ النِّسَاءِ

لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يَفِرُّوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ
ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴿١٥٤﴾
فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

١٥٤ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم، ليخافوا فيقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مُظْلٌ عليهم: [أخذوا ما آتيناكم بقوة، ثم قلنا لهم]: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة: بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي: لا تعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ على ذلك، فنقضوه.

١٥٥ ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾ «ما» زائدة، والباء للنسبية متعلقة بمحذوف، أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم ﴿لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ ختم ﴿اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تعي وعظاً ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

١٥٦ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانياً بعيسى، وكرر الباء، للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾.

إن طلب يهود بني إسرائيل هذا من موسى عليه السلام، يذكرون بالملحدين في هذا العصر الذين يقولون: أين الله؟ أرونا الله، وإذا كان موجوداً فلماذا لا نراه؟ إلخ. ويظن أحدهم أنه بقوله هذا، يحقق إنجازاً باهراً، ويعبر عن تقديمه، ولكنه لم يدر أن قوله هذا رجعية وتخلف، وعودة بالعقل البشري المتعلم، إلى عصور الانحطاط، الذي كان يسيطر على يهود بني إسرائيل منذ ثلاثة آلاف سنة، إن عاقلاً لا يمكنه أن يصدق، ولا أن يقبل، بتشكيك الناس في الله تعالى خالق السماوات والأرض ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكَ فَاظِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...؟﴾ لا نشك ربنا... إلخ في سلامة عقول الملحدين، وأماناً بك ربنا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

على مريم بهتاناً عظيماً ﴿ حيث رموها بالزنا ١٥٧ ﴾ وقولهم ﴿ مفتخرين : ﴿ إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ في زعمهم ، أي : بمجموع ذلك عذبناهم ، قال تعالى تكذيباً لهم في قتله : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ المقتول والمصلوب — وهو صاحبهم ^(١) — بعيسى ، أي : ألقى الله عليه شبهه ، فظنوه إياه ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه ﴾ أي : في عيسى ﴿ لفي شك منه ﴾ من قتله ، حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول : الوجه وجه عيسى ، والجسد ليس بجسده ، فليس به ، وقال آخرون : بل هو هو ﴿ ما لهم به ﴾ بقتله ﴿ من علم إلا اتباع الظن ﴾ استثناء منقطع ، أي : لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿ وما قتلوه يقيناً ﴾ حال مؤكدة لنفي القتل ، [أي : لم يقتلوا المسيح ذاته] .

١٥٨ ﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً ﴾ في ملكه ﴿ حكيماً ﴾ في صنعه .

١٥٩ ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ من أهل الكتاب ﴾ أحد ﴿ إلا ﴾ ليؤمننَّ به ﴿ بعيسى ﴾ [أنه عبد الله ورسوله] ﴿ قبل موته ﴾ أي : [قبل موت] الكتابي ، [فيؤمن] حين يعاين ملائكة الموت ، فلا ينفعه إيمانه ، أو : قبل موت عيسى ، لما ينزل قرب الساعة ، كما ورد في حديث ^(٢) ﴿ ويوم القيامة يكون ﴾ عيسى ﴿ عليهم شهيداً ﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم .

١٦٠ ﴿ فبظلم ﴾ أي : فبسبب ظلم ﴿ من الذين هادوا ﴾ هم : اليهود ﴿ حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ هي التي في قوله تعالى : [وعلى الذين هادوا] ﴿ حرّمنا كل ذي ظفر ﴾ الآية ١٤٦ من سورة الأنعام ﴿ وبصدهم ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دينه صداً ﴿ كثيراً ﴾ .

١٦١ ﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ﴾ في التوراة ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ بالرشا في الحكم ﴿ وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً .

١٦٢ ﴿ لكن الراسخون ﴾ الثابتون ﴿ في العلم منهم ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿ والمؤمنون ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿ يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ من الكتب ﴿ والمقيمِينَ الصلوة ﴾ نصب على المحدث ، وقرئ [شذوذاً] : بالرفع ﴿ والمؤتون ﴾

الْمُؤْتُونَ

عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّحُوا عَنْهُمْ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ الرَّاخِشُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

(١) قوله : ﴿ وهو صاحبهم ﴾ أي : هو من اليهود . ولكن الصحيح : أن الذي صُلب شاب من تلاميذ المسيح عليه السلام ، كان أحدهم سناً ، رضي بأن يُلقى عليه شبه المسيح ، ويقتل مكانه ، ليكون رفيقه في الجنة ، جاء ذلك في حديث إسناده صحيح أخرجه ابن أبي حاتم والنسائي عن ابن عباس موقوفاً .

(٢) قوله : ﴿ كما ورد في حديث ﴾ هو : ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ، حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويقيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها ﴾ وفي مسلم : ﴿ كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم ، فأنتكم منكم ﴾ أي : بكتاب ربكم وسنة نبيكم ... =

الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم بالثرون والياء ﴿أجرًا عظيمًا﴾ هو الجنة . ١٦٣ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده و﴾ كما ﴿أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ ابنه ﴿ويعقوب﴾ بن إسحاق ﴿والأسباط﴾ أولاده، [أي: الأنبياء من ذرية يعقوب] ﴿وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا﴾ أباه ﴿داود﴾ زبوراً بالفتح، اسم للكتاب المؤتى، وبالضم، مصدر بمعنى: مزبوراً، أي: مكتوباً. ١٦٤ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ روي^(١): أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ [جلال الدين المحلي] في سورة «غافر» [عند قوله تعالى: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك»] ﴿وكلّم الله موسى﴾ بلا واسطة ﴿تكليماً﴾.

١٦٥ ﴿رسلاً﴾ بدل من «رسلاً» قبله ﴿مبشرين﴾ بالثواب من آمن ﴿ومنذرين﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ يقال ﴿بعد﴾ إرسال ﴿الرسل﴾ إليهم، فيقولوا: «ربنا لولا أرسلت إلينا رسلاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين»، فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في ملكه ﴿حكيماً﴾ في صنعه.

١٦٦ ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه: ﴿لكن الله يشهد﴾ بين نبوتك ﴿بما أنزل إليك﴾ من القرآن المعجز ﴿أنزله﴾ متلبساً ﴿بعلمه﴾ أي: عالماً به، أو: وفيه علمه ﴿والملائكة يشهدون﴾ لك أيضاً ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على ذلك.

١٦٧ ﴿إن الذين كفروا﴾ بالله ﴿وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الإسلام، بكتهم نعت محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق. ١٦٨ ﴿إن الذين كفروا﴾ بالله

= فيحكم بالإسلام، وبشريعة محمد ﷺ، لا بشرع جديد، لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وعند أبي داود وأحمد بإسناد صحيح: «ويذهب الناس إلى الإسلام ويضع الجزية». أي: أن الجزية ثغية تنزل المسيح، فإذا نزل أسقطها، ولا تفرض من بعد ذلك.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ؕ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ؕ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٢﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿٣﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهٖ ؕ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) قوله: «روي أنه تعالى بعث... إلخ»، يشير الجلال السيوطي إلى حديث ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، والصحيح: أنه لم يرد في عدد الأنبياء والرسل، نصّ يصح الاحتجاج به، أما الحديث الذي أخرجه ابن حبان وصححه، والذي جاء فيه أن «عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وعدد الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة»، فقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال السيوطي في الدر المنثور: إنه ضعيف، لا صحيح ولا موضوع، ومع ذلك يتساهل السيوطي هنا تبعاً للمحلي، في نقل هذه الرواية، ولو أشار إلى وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين جملة، بمن لم يسمهم الله تعالى، وتفصيلاً بمن سماهم، كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، لكان ذلك أولى وأنفع، لأنه الصحيح في هذا الباب.

﴿وظلموا﴾ نبيّه بكتمان نعته ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً﴾ من الطرق.

١٦٩ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿خالدِينَ﴾ مقدّرِينَ الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًا﴾ وكان ذلك على الله يسيراً ﴿هيناً﴾.

١٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا﴾ به، واقصدوا ﴿خَيْراً لَكُمْ﴾ مما أنتم فيه ﴿وإن تكفروا﴾ به ﴿فإن الله ما في السماوات والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يضره كفركم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقهم ﴿حكيماً﴾ في صنعه به.

١٧١ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَغْلُوا﴾^(١)

تتجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ ولا تقولوا على الله إلاّ ﴿القول﴾ ﴿الحق﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها﴾ أوصلها الله ﴿إلى مريم وروح﴾ أي: ذو روح ﴿منه﴾ [أي: مخلوقة كما خلقت الأرواح الأخرى، وإضيف [الروح] إليه تعالى تشریفاً له، وليس كما زعمتم: ابن الله، أو: إلهاً معه، أو: ثالث ثلاثة، لأن ذا الروح مركّب، والإله منزّه عن التركيب، وعن نسبة المركّب إليه ﴿فآمَنُوا بالله ورسله ولا تقولوا﴾ الآلهة ﴿ثلاثة﴾ الله، وعيسى، وأمه ﴿انتهوا﴾ عن ذلك، وأثروا ﴿خيراً لكم﴾ منه، وهو: التوحيد ﴿إنما الله إله واحد سبحانه﴾ تنزيهاً له عن أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض ﴿خلقاً وملكاً وعبيداً، والملكية تنافي النبوة﴾ وكفى بالله وكبلاً ﴿شهِيداً عَلَى ذَلِكَ﴾.

١٧٢ ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن أن يكون عبداً

الْبَيْتُ الثَّانِي

وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً ﴿١٦٨﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ
بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا
لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَبَلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا

(١) قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾. الغلو في الدين أمر خطير ومردود، مثل التفريط، فاليهود الذين قالوا عن المسيح عليه السلام: إنه ابن زنى كفروا، مثل الذين قالوا

عنه: إنه إله، ولم يسلم من الكفر وعواقبه، إلا المسلمون المؤمنون، الذين آمنوا بالمسيح على أنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح من عنده، وليس النهي عن الغلو في الدين خاصاً في أهل الكتاب، بل إن أمة محمد ﷺ، منهيّة أيضاً عن الغلو في دينها، والرسول عليه الصلاة والسلام، حذّر المسلمين من الوقوع في شرك الغلو، فقد أخرج البخاري عن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عبد الله ورسوله»، ولقد ضلّ كثير من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأبغضه قوم حتى أكفروه، وهم «الخوارج»، وغالى في حبه آخرون حتى ألوهوه، وفي هاتين الطائفتين أخرج البخاري في تاريخه، والحاكم وصححه، عن علي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «إن لك في عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمته — أي: رموها كذباً بالزنا — وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له».

الله ولا الملائكة المقربون ﴿عند الله، لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً، وهذا من أحسن الاستطراد، ذَكَرَ للرد على من زعم أنها آلهة، أو: بنات الله، كما رَدَّ بما قَبْلَهُ على النصارى، الزاعمين ذلك، المقصود خطابهم ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ في الآخرة.

١٧٣ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لا عين رأت، ولا أُذُن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ عن عبادته ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، هو: عذاب النار ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ولياً﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نصيراً﴾ يمنعهم منه.

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا فَسَيَكْفُرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً
أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿١٧٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلَتْ
إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِيناً ﴿١٧٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٩﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لِبَسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ
فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

١٢٣

١٧٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ حجة
﴿من ربكم﴾ [لكم إن اتبعتموه، و] عليكم [إن
كفرتم به]، وهو النبي ﷺ ﴿وأنزلنا إليكم نوراً
مبيناً﴾ بيناً، وهو القرآن، [لتهتدوا بهديه،
وتحكموا بما أنزل الله فيه].

١٧٥ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا﴾ [تقووا
بإيمانهم] ﴿به﴾ فسيدخلهم في رحمة منه وفضل
ويهديهم إليه صراطاً طريقاً ﴿مستقيماً﴾ هو
دين الإسلام.

١٧٦ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قل الله
يفتيكم في الكلالة إن امرؤ﴾ مرفوع بفعل
يفسره: ﴿هلك﴾ مات ﴿ليس له ولد﴾
أي: لا والد، وهو: الكلالة ﴿وله أخت﴾
من أبوين، أو: أب ﴿فلها نصف ما ترك﴾
وهو: أي: الأخ كذلك ﴿يرثها﴾ جميع
ما تركت ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ فإن كان
لها ولد ذكر، فلا شيء له، أو: أنثى، فله
ما فضل عن نصيبها، ولو كانت الأخت
أو الأخ من أم، ففرضه السدس كما تقدم
أول^(١) السورة ﴿فإن كانتا﴾ أي: الأختان
﴿اثنتين﴾ أي: قصاعدان، لأنها نزلت في
جابر، وقد مات عن [سبع] أخوات،
[فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن
جابر بن عبد الله قال: دخل عليَّ
رسول الله ﷺ، وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ

ثم صبَّ عليَّ ففعلت، فقلت: إنه لا يرثني إلا كلاله - أي: غير الأصول والفروع - فكيف
الميراث؟ فنزلت هذه الآية، ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ الأخ ﴿وإن كانوا﴾ أي: التورثة ﴿إخوة رجالاً ونساءً

(١) قوله: «كما تقدم أول السورة» أي: في تفسير الآية ١٢ من سورة «النساء» ص ١٠٠ حيث بين الله تعالى ميراث «الكلالة» فيما إذا ترك
الميت «إخوة» أو «أخوات» لأم، وقد ذكرنا في تعليقنا هناك معنى «الكلالة».

﴿قوم﴾ لأجل ﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وتعاونوا على البر﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿والتقوى﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿ولا تعاونوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿على الإثم﴾ المعاصي ﴿والعدوان﴾ التعدي في حدود الله ﴿واتقوا الله﴾ خافوا عقابه، بأن تطيعوه ﴿إن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه.

٣ ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ أي: أكلها ﴿والدم﴾ أي: المسفوح، كما في «الأنعام»، [ليخرج الكبد والطحال، فهما حلال كما بيّنا ص ١٨٧] ﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿والمنخنقة﴾ الميتة خنقاً ﴿والموقوذة﴾ المقتولة ضرباً ﴿والمتردية﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿والنطيحة﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وما أكل السبع﴾ منه ﴿إلا ما ذكيت﴾ أي:

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٥

قَوْمِ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ
وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقَ الْيَوْمَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ
لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

١٣٥

أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء، فذبحتموه ﴿وما ذبح على﴾ اسم ﴿النصب﴾ جمع ﴿نصاب﴾، وهي: الأصنام ﴿وأن تستقسموا﴾ تطلبوا القسمة والحكم ﴿بالأزلام﴾ جمع ﴿زلم﴾، بفتح الزاي وضمها، مع فتح اللام [هو:] ﴿فدح﴾، بكسر القاف، صغير لا ريش له ولا نصل، وكانت سبعة، عند سادن الكعبة، عليها أعلام، وكانوا يحكمونها، فإن أمرتهم ائتمروا، وإن نهتهم انتهوا ﴿ذلكم﴾ [المذكور من المحرمات، فعله] ﴿فسق﴾ خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة، عام حجة الوداع، [السنة العاشرة للهجرة]: ﴿اليوم يشس الذين كفروا من دينكم﴾ أن تردوا عنه، بعد طمعهم في ذلك، لما رأوا من قوته ﴿فلا تخشَوْهم واخلشون اليوم﴾ أكملت لكم دينكم ﴿أحكامه وفرائضه﴾ فلم ينزل بعدها^(١) حلال ولا حرام [اقرأ التعليق] ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ بإكماله، وقيل بدخول مكة آمنين ﴿ورضيت﴾ أي: اخترت ﴿لكم﴾ الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة ﴿مخافة﴾ إلى أكل شيء مما حُرِّم عليه، فأكله ﴿غير متجانف﴾ مائل ﴿لإثم﴾ معصية ﴿فإن الله غفور﴾ له ما أكل ﴿رحيم﴾ به في إباحته له، بخلاف المائل لإثم، أي: المتلبس به، كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يحل له الأكل. ٤ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿ماذا أحل لهم﴾ من الطعام ﴿قل

أحل لكم الطيبات﴾ المستلذات ﴿و﴾ صيد ﴿ما علمتم من الجوارح﴾ الكواشب، من الكلاب والسباع والطيور

(١) قوله: «فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام»، هذا قول جماعة، منهم محمد بن مروان، المعروف بالشَّدي الصغير - وكان ضعيفاً منكراً الحديث - ولكن الثابت في الصحيحين وغيرهما: أن آيات الرِّبَا والذِّين والكلالة، قد نزلت بعد ذلك، ولا تنافي بين ما جاء فيها من إكمال الدين، وبين القول بنزول تلك الأحكام بعدها، وقد وجه ابن جرير هذا الإشكال فقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم، بإفراهم بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، حتى حجه المسلمون، لا يخالطهم المشركون. اهـ. ارجع إلى تعليقنا ص ٢٦٤.

«مكّلين» حال، من «كَلَبَتِ الْكَلْبُ» بالشديد، أي: أرسلته على الصيد «تعلّمونهن» حال من ضمير «مكّلين»، أي: تؤدّبونهن «مما علمكم الله» من آداب الصيد، أي: [من طريقة إمساكه] «فكلوا مما أمسكن عليكم» - وإن قتلته - إن لم يأكلن منه، بخلاف غير المعلّمة، فلا يحل صيدها، وعلامتها: أن تُسَرَّسَل إذا أرسلت، وتزجر إذا زُجرت، وتُمسك الصيد، ولا تأكل منه، وأقل ما يُعرف به ذلك، ثلاث مرات، فإن أكلت منه، فليس مما أمسكن على صاحبها، فلا يحل أكله، كما في حديث الصحيحين^(١) وفيه: أن صيد السهم، إذا أرسل وذكر اسم الله عليه، كصيد المعلّم من الجوارح «واذكروا اسم الله عليه» عند إرساله «واتقوا الله إن الله سريع الحساب».

الجزء الثاني

مُكَلِّينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مَهْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُنْزَوِّجِينَ وَلَا مُتَّخِذِي مَسَافِحِينَ ﴿٦﴾ مَعْلَنِينَ بِالزَّنا بَيْنَهُنَّ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴿٧﴾ مِنْهُنَّ تُسْرَوْنَ بِالزَّنا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ أَيُّ: يَرْتَدُّ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ الصَّالِحُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَلَا يَنَابُ عَلَيْهِ. «وهو في الآخرة من الخاسرين» إذا مات عليه.

٦ «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم» أي: أردتم القيام «إلى الصلاة» وأنتم محدثون «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق» أي: معها، كما بيته الشُّنَّة، [فيما رواه البرّاء والطبراني في «الكبير»، من حديث واثل بن حُجْر الحضرمي، أن النبي ﷺ: «غَسَلَ فِي وَضُوئِهِ: يَمِينَهُ وَيسَارَهُ، حَتَّى جَاوَزَ الْمِرْفَقَ، ثَلَاثًا، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ، حَتَّى جَاوَزَ الْكَعْبَ»]

«وامسحوا برؤوسكم» الباء للإلصاق، أي: الصقوا المسح بها، من غير إسالة ماء، وهو: اسم جنس، فيكفي أقل ما يصدق عليه، وهو: مسح بعض الشعر، وعليه الشافعي «وأرجلكم» بالنصب، عطفًا على «أيديكم»، وبالجزم على الجوارح «إلى الكعبين» أي:

معهما، كما بيته الشُّنَّة [في حديث واثل المذكور]، وهما العظامان الناتان في كل رجل، عند مقْصِلِ الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة، بالرأس الممسوح، يفيد وجوب الترتيب، في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة، [وهو قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»]، وجوب النية فيه، كغيره من العبادات «وإن كنتم جنباً فاطهروا» فاغتسلوا «وإن كنتم مرضى» مرضاً يضره الماء «أو على سفر» أي: مسافرين «أو جاء

(١) قوله: «كما في حديث الصحيحين»، ونصه عن عدِّي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك، فاذكر اسم الله عليه، =

أحد منكم من الغائط﴾ أي: أحدث، [بمخرج غائط أو بول أو ريح] ﴿أو لامستم النساء﴾ سبق مثله في آية «النساء» [رقم ٤٣ صفحة ١٠٧] ﴿فلم تجدوا ماء﴾ ^(١) بعد طلبه [في الوقت] ﴿فتيمموا﴾ اقصدوا ﴿صعيداً طيباً﴾ تراباً طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مع المرفقين ﴿منه﴾ بضربتين، والباء للإصاق، وبيئت السنة [في حديث، صحح الأئمة وفتة على ابن عمر]: أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ ضيق بما فرض عليكم، من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ولكن يريد ليظهركم﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ بالإسلام، ببيان شرائع الدين ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمه. ٧ ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿وميثاقه﴾ عهده ﴿الذي واثقكم به﴾ عاهدكم عليه ﴿إذ قلتم﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سمعنا وأطعنا﴾ في كل ما تأمر به وتنهى، مما نحب ونكره ﴿واتقوا الله﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب، فغيره أولى. ٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ قائمين ﴿لله﴾ بحقوقه ﴿شهداء بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا يجرمنكم﴾ يحملنكم ﴿يحملنكم﴾ بظنكم ﴿شئان﴾ بغض ﴿قوم﴾ أي: الكفار ﴿على ألا تعدلوا﴾ فتتألوا منهم لعداوتهم ﴿اعدلوا﴾ في العدو والولي ﴿هو﴾ أي: العدل ﴿أقرب للتقوى واتقوا الله﴾ إن الله خير بما تعملون ﴿فيجازيكم به﴾. ٩ ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وعداً حسناً ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ هو الجنة. ١٠ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾. ١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ وَعدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

= فإن أمسك عليك فأدركته حياً فاذبحه، وإن أدركته قد قُتل ولم يأكل منه فكله، وإن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قُتل، فلا تأكل، فإنك لا تدري أيهما قُتل، وإن رميت بسهمك، فاذكر اسم الله تعالى، فإن غاب عنك، فلم تجد فيه إلا أثر سهمك، فكل إن شئت، وإن وجدته غريقاً في الماء فلا تأكل.

(١) قوله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا...﴾ الآية. هذه «آية الطهارة»، بينت أهم أحكام: «الوضوء»، و«الغسل»، و«التيمم»، وفصلت السنة النبوية، كيفية فعلها على وجه الكمال، «فالوضوء» يكون كما يلي:

يسمي المتوضئ الله تعالى، ويغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً مع الاستنشاق، ثم يغسل وجهه ثلاثاً، ثم يده اليمنى فاليسرى مع المرفقين ثلاثاً، ثم يمسح رأسه كله، يبدأ بمقدم رأسه حتى يذهب بيديه إلى قفاه، ثم يردُّهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم يدخل أصابعه السبائتين، فيمسح بهما باطن أذنيه، ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، ثم يغسل رجليه مع الكعبين ثلاثاً، اليمنى ثم اليسرى، مصححاً النية في جميع أعمال الوضوء.

أما «الغسل»: فالواجب فيه: نية رفع الحدث الأكبر، وغسل البدن كله، وكيفية غسل النبي ﷺ هي، كما رواها الشيخان عن عائشة رضي الله عنها - واللفظ لمسلم - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة، يبدأ فيغسل يديه، ثم يقرغ يمينه على شماله فيغسل فرجه، ثم يتوضأ، ثم يأخذ الماء، فيدخل أصابعه في أصول الشعر، ثم حفن على رأسه ثلاث حفنات، ثم أفاض على سائر جسده، ثم غسل رجليه. =

إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ لِيَفْتَكُوا بِكُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَعَصَمَكُمْ مِمَّا أَرَادُوا بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٢ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يُذَكِّرُ بَعْدَ «وَبَعَثْنَا» فِيهِ التَّفَاتِ عَنِ الْغَيْبَةِ، [أَي:] أَقْمِنَا «مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا» مِنْ كُلِّ سَبْطٍ نَقِيبٌ، يَكُونُ كَفِيلًا عَلَى قَوْمِهِ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، تَوْثِقَةً عَلَيْهِمْ «وَقَالَ» لَهُمْ «اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ» بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرَةِ «لَنْ» لَمْ قَسَمَ «أَقِمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ» نَصَرْتُمُوهُمْ «وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ «لَا تُكْفِرْنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلْنَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ» الْمِيثَاقِ «مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَ «السَّوَاءُ» فِي الْأَصْلِ: «الْوَسْطُ»، فَتَقَضُّوا الْمِيثَاقَ.

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

١٣ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فِيمَا نَقَضْتُمْ» «مَا» زَائِدَةٌ «مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ» أَبْعَدْنَاهُمْ عَنْ رَحْمَتِنَا «وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» لَا تَلِينَ لِقَبُولِ الْإِيمَانِ «يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ» الَّذِي فِي التَّوْرَةِ، مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَغَيْرِهِ «عَنْ مَوَاضِعِهِ» الَّتِي وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، أَيْ: يَذِلُّونَهُ «وَنَسُوا» تَرَكُوا «حِطًّا» نَصِيحًا «مِمَّا ذَكَرُوا» أَمَرُوا «بِهِ» فِي التَّوْرَةِ، مِنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ «وَلَا تَزَالُ» خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ «تَطَّلِعُ» تَظْهَرُ «عَلَى خَائِنَةٍ» أَيْ: خِيَانَةِ «مِنْهُمْ» بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَغَيْرِهِ «إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» مِمَّنْ أَسْلَمَ «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ» إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «وَهَذَا [الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَأَمْثَالِهِ]، مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السِّيفِ، [وَهِيَ آيَةُ الْخَامِسَةِ مِنْ سُورَةِ «التَّوْبَةِ»].

١٤ «وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» (١) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ:

إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقِمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ١٢ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى

أما «التيمم»: فالواجب فيه: نية التيمم، والصعيد الطاهر، وهو: طهارة تعبديّة بحتة، بدلاً عن الوضوء والغسل، أو عن أحدهما، إذا فقد الماء، أو تعذر استعماله لمانع كمرض.

(١) قوله تعالى: «قالوا إنا نصارى». أي: هم سَمَوْا أنفسهم نصارى، أخرج عبد الرزاق وغيره عن قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى: «ومن الذين قالوا إنا نصارى» قال: «كانوا بقرية يقال لها الناصرة، كان عيسى ابن مريم ينزلها، وهو اسم تسبوا به ولم يؤمروا به».

أما الذين آمنوا بالمسيح كما أمرهم الله - أي: أنه عبد الله ورسوله - قبل بعثة محمد ﷺ، فهم «مسلمون»، ودينهم هو الإسلام، لأن الإسلام دين الله إلى جميع خلقه «أرسل به رسوله كافة»، قال تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام» وقال: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»، أما بعد بعثة محمد ﷺ، فلا نجاة لأحد، إلا بالإيمان به واتباعه.

و «النصارى» جمع، مفردة: «نَصْرَان»، مثل: «حَيَارَى»، و «خَيْرَان»، و «نَصْرَانِي»، وهو مأخوذ من «النصر»، لأن الأولين منهم، زعموا أنهم نصرروا المسيح عليه السلام.

ارجع إلى تعليقنا حول «الآديان» ص ٢٤٥.

﴿أخذنا ميثاقهم﴾ [أي: أخذنا من الذين قالوا: «إنا نصارى» ميثاقهم]، كما أخذنا على بني إسرائيل^(١) العهد ﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾ في الإنجيل، من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فأغرينا﴾ أوقعنا ﴿بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ بتفريقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وسوف ينبئهم الله﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فيجازيهم عليه.

١٥ ﴿يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون﴾ تكتُمون ﴿من الكتاب﴾ التوراة والإنجيل، كآية الرجم، وصفته [أخرج الحاكم عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب - أخذنا من هذه الآية - لأن الرجم كان مما أخفوا] ﴿ويعفو عن كثير﴾ من ذلك، فلا يبينه، إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ هو النبي ﷺ ﴿وكتاب﴾ قرآن ﴿مبين﴾ بين ظاهر.

١٦ ﴿يهدي به﴾ أي: بالكتاب ﴿الله من اتبع رضوانه﴾ بأن آمن ﴿سبل السلام﴾ طرق السلامة ﴿ويخرجهم من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿بإذنه﴾ بإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ دين الإسلام.

١٧ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم: اليعقوبية، فرقة من النصارى^(٢)، [بل هذا هو معتقد عائلتهم] ﴿قل فمن يملك﴾ أي: يدفع ﴿من﴾ عذاب ﴿الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً لقدرة عليه ﴿والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ ١٨ ﴿وقالت اليهود

سُورَةُ التَّائِيَةِ

أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

(١) قوله: «كما أخذنا على بني إسرائيل العهد» يظن كثير من الناس: أن «اليهود» هم كل بني إسرائيل، والواقع: أن «اليهود» كانوا فئة من بني إسرائيل، ولم يكن بنو إسرائيل جميعهم يهوداً، وأن الميثاق قد أخذ على بني إسرائيل جميعاً - بمن فيهم اليهود - بأن يؤمنوا بـ موسى، ويعملوا بما أنزل الله تعالى في التوراة، وبأن يؤمنوا بكل رسول يأتي من بعده، وبمحمد ﷺ خاصة، ووصفه لهم في التوراة، ليعرفوه، وكذلك أخذ العهد على الذين قالوا: «إنا نصارى»، بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، ووصفه لهم في الإنجيل، وسماه لهم عيسى عليه السلام باسمه، فأمن بعضهم وكفر آخرون من الفريقين، أرجع إلى تعليقنا حول بني إسرائيل ص ١٠.

(٢) هؤلاء هم أتباع الكنيسة «الأرثوذكسية»، ومعناها باليونانية: «المذهب المستقيم».

والنصارى: أي: [قال] كل منهما ﴿نحن أبناء الله﴾ أي: كأبنائه في القرب^(١) والمرتلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة [كما يظنون] ﴿وأحبأوه قل﴾ لهم يا محمد ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأب ولده، ولا الحبيب حبيبه، وقد عذبكم [في الدنيا بالقتل والأسر]، فأنتم كاذبون ﴿بل أنتم بشر ممن﴾ من جملة من ﴿خلق﴾ من البشر، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم ﴿يغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ المرجع.

١٩ ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿ليبين لكم﴾ شرائع الدين ﴿على فترة﴾ انقطاع ﴿من الرسل﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك

خمسماية وتسع وستون سنة، لـ ﴿أن﴾

لا ﴿تقولوا﴾ إذا عذبتم ﴿ما جاءنا من﴾ زائدة ﴿بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾ فلا عذر لكم إذا ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

٢٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم﴾ أي: منكم ﴿أنبياء وجعلكم ملوكاً﴾ أصحاب خدام وحشم، [عن ابن عباس قال: كان الرجل من بني إسرائيل، إذا كانت له الزوجة والخدام والدار، يسمى ملكاً، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما] ﴿وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ [في زمانكم]، من المن والسلوى، وفلق البحر، وغير ذلك.

٢١ ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ [المباركة، أو] المطهرة ﴿التي كتب الله لكم﴾ [أي: أمركم بدخولها، وهي: [بلاد] الشام ﴿ولا ترتدوا على أديباركم﴾ تنهزوا خوف العدو ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ في سعيكم.

٢٢ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين﴾ من بقايا «عاد»، طوالاً ذوي قوة ﴿وإننا لندخلها

لكن هل قولهم «نحن أبناء الله» ولو على سبيل المجاز، قول جائز لا كفر فيه؟.. لقد ظن البعض، أنه يجوز إطلاق «ابن الله» مجازاً على من يحبه الله، فأولوا معتقداً للنصارى، وحملوه على هذا المحمل، وهذا ظن سييء ومذهب خطير، لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده بحال، فإن استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له، اعتماداً على الرأي والقياس، غير مقبول في اللغة، فلا يصح، قياساً على قولنا: فلان أسد أي: شجاع، أن نقول: «كل قيتاً» ونعني «عسلاً»، بجامع أن النحل تمتص الرحيق، مثلما يأكل الإنسان، ثم تصبه من فمها كما يقيء الإنسان! ولو جازت مثل هذه الاستعمالات، لأدى ذلك إلى ضياع اللغة وفسادها، حيث يعتمد كل إنسان إلى حمل كلامه على المعنى الذي يريد، هو، زاعماً أنه يستعمل الكلمة مجازاً لا حقيقة، وفوق ذلك كله، فإن الله تعالى، حكم بالكفر على الذين وصفوه بالأبوة، ووصفوا المسيح بالنبوة له، بقوله تعالى: ﴿لقد

كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾.

(١) قوله: «أي: كأبنائه في القرب والمرتلة إلخ...» هذا هو ظن الذين كفروا... اليهود والنصارى... ولكن هل قولهم «نحن أبناء الله» ولو على سبيل المجاز، قول جائز لا كفر فيه؟.. لقد ظن البعض، أنه يجوز إطلاق «ابن الله» مجازاً على من يحبه الله، فأولوا معتقداً للنصارى، وحملوه على هذا المحمل، وهذا ظن سييء ومذهب خطير، لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده بحال، فإن استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له، اعتماداً على الرأي والقياس، غير مقبول في اللغة، فلا يصح، قياساً على قولنا: فلان أسد أي: شجاع، أن نقول: «كل قيتاً» ونعني «عسلاً»، بجامع أن النحل تمتص الرحيق، مثلما يأكل الإنسان، ثم تصبه من فمها كما يقيء الإنسان! ولو جازت مثل هذه الاستعمالات، لأدى ذلك إلى ضياع اللغة وفسادها، حيث يعتمد كل إنسان إلى حمل كلامه على المعنى الذي يريد، هو، زاعماً أنه يستعمل الكلمة مجازاً لا حقيقة، وفوق ذلك كله، فإن الله تعالى، حكم بالكفر على الذين وصفوه بالأبوة، ووصفوا المسيح بالنبوة له، بقوله تعالى: ﴿لقد

حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون لها. ٢٣ قال لهم رجالان من الذين يخافون مخالفة أمر الله، وهما: «يوشع وكالب»، من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبارة «أنعم الله عليهما» بالعصمة [عن إفشاء السر]، فكتما ما اطلعا عليه من حالهم، إلا عن موسى، بخلاف بقية النقباء، فأفشوه فجنبوا «ادخلوا عليهم الباب» [أي: بيت المقدس]، ولا تخشوهم، فإنهم أجساد بلا قلوب «فإذا دخلتموه فإنكم غالبون» قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين».

٢٤ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وريك فقاتلا هم «إنا ها هنا قاعدون» عن القتال.

سورة الشورى

حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ

فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسِيٰٓءُ إِنَّا لَن

نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا

إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا

نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

أَبْنَىٰٓ أَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ

٢٥ قال موسى حينئذ «ربّ إني لا أملك إلا نفسي و» إلا «أخي» ولا أملك غيرهما، فأجبرهم على الطاعة «فافرق» فافصل «بيننا وبين القوم الفاسقين». ٢٦ قال تعالى له «فإنها» أي: الأرض المقدسة «محرمة عليهم» أن يدخلوها «أربعين سنة يتيهون» يتحيرون «في الأرض» وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس «فلا تأس» تحزن «على القوم الفاسقين» روي أنهم كانوا يسIRON الليل جادين، فإذا أصبحوا، إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه، ويسIRON النهار كذلك، حتى انقروا كلهم، إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمةً لهما وعذاباً لأولئك، «وسأل موسى ربه عند موته، أن يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ فَأَدْنَاهُ»، كما في الحديث [الذي رواه مسلم]، ونُبِئَ يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، [كما سيأتي] وروى أحمد في مسنده حديث: «إن الشمس لم تُجْبَسْ عَلَى بَشَرٍ، إِلَّا لِيُوشَعَ، لِيَأْتِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ»، [وأخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه قوله ﷺ: «إن نبياً من الأنبياء قاتل أهل مدينة، حتى إذا كاد

أن يفتحها، خشي أن تغرب الشمس فقال: أيتها الشمس، إنك مأمورة وأنا مأمور، بحرمتي عليك، إلا وقفت ساعة من النهار، قال: فحبسها الله تعالى، حتى افتتح المدينة]. ٢٧ «واتل» يا محمد «عليهم» على قومك «نبأ» خبر «أبني آدم» هابيل وقايل «بالحق» متعلق بـ «اتل» «إذ قربا قرباناً» إلى الله، وهو: كبش لهابيل، وزرع لقايل «فُتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا» وهو هابيل، بأن نزلت نار من السماء، فأكلت قربانه «ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ» وهو قايل، فغضب وأضر الحسد في نفسه، إلى أن حج آدم «قال له «لأقتلنك» قال لم؟ قال: ليقبل قربانك دوني» قال إنما يتقبل الله من المتقين». ٢٨ «لئن» لام قسم «بسطت» مددت «يدك إليّ لتقتلني ما أنا بباسط

يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين في قتلك. ٢٩ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك الذي ارتكبه من قبل فتكون من أصحاب النار ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك، فأكون منهم، قال تعالى: «وذلك جزاء الظالمين». ٣٠ فطوعت زينب له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح فصار «من الخاسرين» بقتله، ولم يدر ما يصنع به، لأنه أول ميت^(١) على وجه الأرض، من بني آدم، فحملة على ظهره. ٣١ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ينبش التراب بمنقاره ويرجله، ويشير على غراب ميت معه، حتى وراه ليبريه كيف يوارى يستر «سوءة» أخيه قال يا ويلتى أعجزت عن «أن أكون مثل هذا الغراب فأواري

الجزء الثاني

يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ^ط إِنْ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٩)
إِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٣٠) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣١) فَبَعَثَ اللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ
قَالَ يَوَيْلَ لَيَأْجُزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
فَأُورِيَ سَوْءَةَ أُخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣٢) مِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ (٣٣) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

سوءة أخيه فأصبح من النادمين على حملة، [لا على قتله]، وحفر له وواراه، [وهذه الآية أصل في دفن الميت]. ٣٢ «من أجل ذلك» الذي فعله قابيل «كتبنا على بني إسرائيل أنه» أي: الشأن «من قتل نفساً بغير نفس» قتلها «أو» بغير «فساد» أتاه «في الأرض» من كفر، أو: زناً، أو: قطع طريق^(٢) أو: نحوه «فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها» بأن امتنع عن قتلها «فكأنما أحيا الناس جميعاً» قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها «ولقد جاءتهم» أي: بني إسرائيل «رسلنا بالبينات» المعجزات «ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون» مجاوزون الحد، بالكفر والقتل، وغير ذلك. ٣٣ ونزل في الثرنيين، لما قدموا المدينة وهم مرضى، فأذن لهم النبي ﷺ، أن يخرجوا إلى الإبل، ويشربوا من أبوالها والبيانها، فلما صَحُّوا، قتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الإبل، [فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم - فقأها بحديدة - فتركوا في الحرة، حتى ماتوا على حالهم. رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وإنما فعل بهم ذلك، لأنهم فعلوا بالرعاة مثله]: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» بمحاربة المسلمين

(١) قوله: «لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم»

أي: وكان قابيل أول قاتل، روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ نصابٌ - من دمها، لأنه كان أول من سنَّ القتل».

(٢) قوله: «من كفر أو زناً أو قطع طريق»، يشير بالسببين الأولين إلى ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، أي: يجرم الزاني حتى الموت، إذا كان ثيباً أي: محصناً، و«المُحْصَن» هو: الذي حصل منه وطء، ولو مرة بعد التكليف، في نكاح صحيح، رجلاً كان أو امرأة، وذلك بالشروط الشرعية في هذا الباب، وكذلك يُقتل القاتل عمداً بغير حق، ويُقتل أيضاً العرند عن الإسلام بعد استتابته، أما قوله: «أو قطع طريق» فيشير به إلى قوله تعالى: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» الآية ٣٣ التالية.

وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَصْلُبُوا أَوْ تَقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا
مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ

﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَصْلُبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ الْيَسْرَى﴾ ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل: لمن قُتِلَ فقط، والصلب: لمن قُتِلَ وأُخذ المال، والقطع: لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي: لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي، وأصح قوليه: أن الصلب ثلاثاً بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً، ويلحق بالنفي، ما أشبهه في التنكيل، من الحبس وغيره ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ نَجْزِي﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو: عذاب النار. ٣٤ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والْقَطَّاعِ ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه

﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عَبَّرَ بِذَلِكَ دُونَ: ﴿فَلَا تَحْذَرُواهُمْ﴾، ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته، إِلَّا حدود الله، دُونَ حقوقِ الْآدَمِيِّينَ، كَذَا ظَهَرَ لِي، وَلَمْ أَرِ مِنْ تَعَرُّضٍ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِذَا قُتِلَ وَأُخِذَ الْمَالُ: يَقْتُلُ وَيَقْطَعُ (١) وَلَا يَصْلُبُ، وَهُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، [وَلَكِنْ الْمَعْتَمَدُ فِي مَذْهَبِهِ: أَنَّهُ يَقْتُلُ وَيَصْلُبُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ]، وَلَا تَفِيدُ تَوْبَتَهُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ شَيْئاً، وَهُوَ أَصَحُّ قَوْلِيهِ أَيْضاً. ٣٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خَافُوا عِقَابَهُ، بِأَنْ تَطِيعُوهُ ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطْلُبُوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ مَا يَقْرِبُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لِإِعْلَاءِ دِينِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ.

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثَبِتَ ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ٣٧ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يَتَمَنُّونَ ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ﴾ [وَيُطْلَبُونَ ذَلِكَ قَائِلِينَ: «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا»] ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دَائِمٌ.

٣٨ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «أَل» فِيهِمَا مُوصُولَةٌ مُبْتَدَأٌ، [وَصَلَتْهَا هِيَ الصِّفَةُ الصَّرِيحَةُ أَي: الَّذِي سَرَقَ، وَالتِّي سَرَقَتْ]، وَلَشَبَّهَهُ بِالشَّرْطِ، دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهُوَ: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أَي: يَمِينُ كُلِّ مِنْهُمَا مِنَ الْكَوْعِ، [وَهُوَ: مَا يَلِي الْإِبهَامَ، أَي: مِنْ مَفْصِلِ الْكَفِّ عَنِ السَّاعِدِ]،

وَبَيَّنْتَ الشُّنَّةَ: أَنَّ الَّذِي يُقَطَّعُ قَبْهُ، رُبْعُ دِينَارٍ فَصَاعِدًا، [قَالَ ﷺ: «لَا تَقَطَّعُ يَدُ السَّارِقِ، إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»]، وَأَنَّهُ إِذَا عَادَ قَطَعْتَ رِجْلَهُ الْيَسْرَى، مِنْ مَفْصِلِ الْقَدَمِ، ثُمَّ الْيَدَ الْيَسْرَى، ثُمَّ الرَّجْلَ الْيَمْنَى، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَعْزُرُ [بِمَا يَرَاهُ الْإِمَامُ مِنْ عَقُوبَةٍ، رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُنَّتِهِ، وَأَبُو يَعْلَى] ﴿جَزَاءً﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عَقُوبَةً لَهُمَا ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي خَلْقِهِ. ٣٩ ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رَجَعَ عَنِ السَّرِقَةِ

(١) قوله: «يقتل ويقطع» فيه تقديم وتأخير وحقه أن يقول: «يقطع ويقتل» لئلا يفهم أن القطع يكون بعد القتل، لأن القطع بعد القتل =

﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ في التعبير بهذا، ما تقدم [من سقوط حق الله تعالى]، فلا يسقط بتوبته حق الآدمي، من القطع ورد المال، نعم بينت السنة: أنه إن عفا عنه قبل الرفع^(١) إلى الإمام، سقط القطع، وعليه الشافعي. ٤٠ ﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

٤١ ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ صُنِعَ ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ يقعون فيه بسرعة، أي: يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿من﴾ للبيان ﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم﴾ بالسنتهم، متعلق بـ ﴿قالوا﴾ ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم: المنافقون ﴿ومن

الذين هادوا﴾ قوم ﴿سماعون للكذب﴾ الذي افترته أجهارهم، سماع قبول ﴿سماعون﴾ منك ﴿لقوم﴾ لأجل قوم ﴿آخرين﴾ من اليهود ﴿لم يأتوك﴾ وهم: أهل خيبر، زنى فيهم محصنان، فكرهوا رجمهما، فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يحرفون الكلم﴾ الذي في التوراة، كآية الرجم ﴿من بعد مواضعه﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يبدلونه ﴿يقولون﴾ لمن أرسلوهم ﴿إن أوتيتهم هذا الحكم المحرف، أي: الجدل، أي: [إن] أفتاكم به محمد ﴿فخذوه﴾ فاقبلوه ﴿وإن لم تؤتوه﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فاحذروا﴾ أن تقبلوه ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ إضلاله ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾ في دفعها ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم﴾ من الكفر، ولو أراد الله لكان ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ ذلك بالفضيحة والجزية ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ [هو عذاب النار]. ٤٢ هم ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ بضم الحاء وسكونها، أي: الحرام كالرشا ﴿فإن جاؤوك﴾ لتحكم بينهم ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله: ﴿وأن احكم بينهم﴾ [بما أنزل الله] الآية، فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم، وجب إجماعا ﴿وإن تعرض

الْحُكْمُ فِي الْقِيَامَةِ

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾
* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٣﴾ سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ

= تمثيل بالقتل وهو غير جائز، أي: تقطع يده ورجله من خلاف، ثم يقتل ويصلب، وهذا قول ضعيف، خرجه أبو الطيب محمد بن المفضل بن سلمة البغدادي، المتوفى عام ثمانية وثلاثمائة، وليس هو أصح قولي الشافعي كما ذكره الجلال السيوطي.
(١) قوله: ﴿إن عفا عنه قبل الرفع﴾. أما إذا كان العفو بعد الرفع إلى الإمام، فلا يسقط القطع، جاء ذلك فيما أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن أول حد أقيم في الإسلام، على رجل أتى به رسول الله ﷺ وقد سرق، فشهدوا عليه، فأمر به النبي ﷺ بقطع، فتأثر الرسول ﷺ وهو يراه تقطع يده، فلما رأوا ذلك منه قالوا: فأرسله - أي: أتركه ولا تقطع يده - قال: «فهل قبل أن تأتونني به؟ إن الإمام إذا أتى بحد لم يسع له أن يعطيه»، وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم: أن رجلاً شفع في سارق سرق له رداءه، عند رسول الله ﷺ لما أمر بقطع يده، فقال له ﷺ: «هلا كان ذلك قبل أن تأتيني به؟»، وفي نأثره ﷺ، حث لصاحب الحق، على الستر والعفو، أملاً في صلاح أمر السارق وتوبته.

عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت بينهم ﴿فاحكم بينهم بالقسط﴾ بالعدل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين في الحكم، أي: يشيهم. ٤٣ ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة﴾ [التي جاءهم بها موسى] ﴿فيها حكم الله﴾ بالرجم، استفهام تعجيب، أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم ﴿ثم يتولون﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿من بعد ذلك﴾ التحكيم ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾. ٤٤ ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾ من الضلالة ﴿ونور﴾ بيان للأحكام ﴿يحكم بها النبيون﴾ من بني إسرائيل ﴿الذين أسلموا﴾ انقادوا لله، [وكل الأنبياء مسلمون] ﴿للذين هادوا و﴾ [يحكم بها لهم] ﴿الربانيون﴾ العلماء منهم ﴿والأحبار﴾ الفقهاء ﴿بما﴾ أي: بسبب الذي ﴿استحفظوا﴾ استودعوه، أي: استحفظهم الله

سُورَةُ التَّائِيَةِ ٥

عَنَّهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

إياه ﴿من كتاب الله﴾ أن يبدلوه ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ أنه حق ﴿فلا تخشوا الناس﴾ أيها اليهود، في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ، والرجم وغيرهما ﴿واخشون﴾ في كتمانها ﴿ولا تشتروا﴾ تستبدلوا ﴿بآياتي ثمنًا قليلًا﴾ من الدنيا، تأخذونه على كتمانها ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ به. ٤٥ ﴿وكُتِبْنَا﴾ فرضنا ﴿عليهم فيها﴾ أي: التوراة ﴿أن النفس﴾ تقتل ﴿بالنفس﴾ إذا قتلها ﴿والعين﴾ تُقَطَّع ﴿بالعين والأنف﴾ يُجَدِّع ﴿بالأنف والأذن﴾ تُقَطَّع ﴿بالأذن والسِّن﴾ تُقَلَّع ﴿بالسِّن﴾ [بنصب الجميع]، وفي قراءة بالرفع في الأربعة - [أي: في «والعين» وما بعدها -] ﴿والجروح﴾ بالوجهين [أي: بالرفع والنصب، عند نصب الجميع، أما عند رفع الأربعة، فبالرفع فقط] ﴿قصاص﴾ أي: يقتص فيها إذا أمكن، كإلـد والرجل والذكر ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه [القصاص، ففيه] الحكومة، [بأن يقدَّر المجني عليه رقيقاً، ثم يُنظر إلى نسبة النقص الذي سببه العدوان في قيمته، فيؤخذ مثلها من الـدية، وهذا الحكم، وإن كُتِبَ عليهم، فهو مقرر في شرعنا ﴿فمن تصدق به﴾ أي: بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فهو كفارة له﴾ لما أتاه ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ في القصاص وغيره ﴿فأولئك هم

(١) قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ختام الآية (٤٤)، ثم قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ ختام الآية (٤٥)، ثم قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ختام الآية (٤٧)، اشتبه على بعضهم معنى هذه الآيات، إلى حد الإعلان بعدم الرضا، عما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها، وهذا شطط لا داعي إليه، فتبيناً لوجه الصواب نقول:

أولاً: إن هذه الآيات هي لجميع الأمم، المسلمين منهم وأهل الكتاب على السواء، وإن نزلت في أهل الكتاب خاصة، هذا هو القول الصحيح فيها، وهو قول عبد الله بن عباس، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وقول سعيد بن جبير والحسن البصري رحمهما الله تعالى، كما

٤٧ ﴿وَقُلْنَا لِيُحْكَمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ﴾ من الأحكام، [والدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تبديل]، وفي قراءة بنصب «يُحْكَم»، وكسر لامه، عطفاً على معمول «آتَيْنَاهُ»، [ويصح اعتبار الواو استثنائية، وقوله «لِيُحْكَم» متعلقاً بمحذوف، تقديره: وآتَيْنَاهُ ذَلِكَ لِيُحْكَم، وهذا التوجيه أحسن].
﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الْبَيْتُ الثَّانِي

ثانياً: لقد وصف الله تعالى مَنْ لم يحكم بما أنزله، بأوصاف ثلاثة هي: «الكفر»، «الظلم»، و«الفسق»، وصفاً عاماً مطلقاً، والسبب في هذا الوصف المتعدد: واحد، هو: «الحكم بغير ما أنزل الله»، فلا يصح والحالة هذه، أن نأخذ وصفاً واحداً منها، ونلزم أنفسنا بالحكم على أساسه، مع صرف النظر عن الصفتين

الأخرين. فإذا تيسر إيمان بوصف «الكفر» في قوله تعالى: «فأولئك هم الكافرون»، ليحكم بناء عليه بالخروج من الإسلام، على كل من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً، فماذا يفعل بوصف «الظلم» و«الفسق»، والسبب للأوصاف الثلاثة واحداً؟

لقد حسم حبر الأمة، عبد الله بن عباس الموضوع، بتفسير موجز مفيد، فقد أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه، وغيرهما عنه رضي الله عنه، في الآيات الثلاثة المذكورات أنه قال: «كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»، لقد صدق رضي الله تعالى عنه فيما قال، وكيف لا وهو ترجمان القرآن؟ وما الغرابة في ذلك، ما دامت اللغة تساعد، والنصوص عليه متضافرة؟

فللكفر في اللغة معنيان: أحدهما، أنه ضد الإيمان، والآخر: جحود النعمة، وهو ضد «الشكر»، ويقال للكفر بمعنييه: إنه =

ولا تتبع أهواءهم واحذرهم. [أن] لا [يفتنوك] يضلوك. عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا. عن الحكم المنزل، وأرادوا غيره. فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم. بالعقوبة في الدنيا [ببعض ذنوبهم] التي أتوها، ومنها التولي، ويجازيهم على جميعها في الآخرة [وإن كثيراً من الناس لفاسقون]. ٥٠. [أفحكم الجاهلية يبغون] - بالياء والتاء - : يطلبون، من المداينة، والميل [عن الحق]، إذا تولوا [عن حكمك؟]. وهذا [استفهام إنكاري] أي: لن يظفروا منك بالحكم الذي يشتهون، لأن الحكم الذي يبغونه، إنما يحكم به حكام الجاهلية [ومن] أي: لا أحد. أحسن من الله حكماً لقوم. عند قوم [يوقنون] به، خصوا بالذكر، لأنهم الذين يتدبرونه.

٥١. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء. تولونهم وتوادونهم، [بأن تولوهم أموركم، وتعتمدوا على الاستنصار بهم] [بعضهم أولياء بعض] [ينصر بعضهم بعضاً]، لاتحادهم في الكفر [ومن يتولهم منكم فإنه منهم] من جملتهم، [أي: كأنه مثلهم] [إن الله لا يهدي القوم الظالمين] بموالاتهم الكفار.

٥٢. فترى الذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد، كعبد الله بن أبي المنافق [يسارعون فيهم] في موالاتهم [يقولون] معذرين عنها [نخشى أن نصيبنا دائرة] يدور بها الدهر علينا، من جذب أو غلبه، ولا يتم أمر محمد، فلا يميزونا، [أي: لا يعطونا الميزة]، وهي: الطعام، قال تعالى: [فعسى الله أن يأتي بالفتح] بالنصر لنبيه، بإظهار دينه [أو أمر من عنده] بهتك ستر المنافقين وافتضحهم [فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم] من الشك وموالاته الكفار [نادمين].

٥٣. ويقول بالرفع: استئنافاً، بواو ودونها، وبالنصب: عطفاً على [يأتي] [الذين آمنوا] لبعضهم - إذا فتك سترهم - تعجباً [أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم] غاية اجتهدهم فيها [إنهم لمعكم] في الدين؟

سُورَةُ التَّائِيَةِ

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ

= [ظلم] وإنه [فسق]، فالكافر [ظالم]، وهو أيضاً [فاسق]، قال تعالى عن لقمان وهو يعظ ولده: [يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم]، ووصف الله تعالى [إبليس] بالفسق بقوله: [وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه]. فلا يلزم من ذكر [الكفر]، حمله بالضرورة على المعنى المخرج عن الملة دائماً، بل قد يراد به ما دون ذلك من الأعمال، قال البخاري في [كتاب الإيمان]: [باب كفران العشير، وكفر دون كفر] أي: الكفر متنوع، متفاوت زيادة ونقصاناً، فيطلق اسمه على بعض المعاصي، وقال النووي في شرح مسلم: [باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر، على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق]، وفيه أن النبي ﷺ سمي الطعن في النسب، والنيابة، كفرًا، وسمى إباق العبد من سيده كفرًا، =

قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخره بالعقاب. ٥٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ بالفك والإدغام: يرجع ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى الكفر، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة، بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري، رواه الحاكم في صحيحه ﴿أَذَلَّةٌ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ﴾ أشداء ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه، كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ وَآدَمَ﴾ ٥٥ ونزل لما قال [عبد الله] بن سلام: يا رسول الله، إن قومنا [يهود قريظة والنضير، قد] هجرونا [لأننا أسلمنا]: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ خاشعون، أو: يصلون صلاة التطوع. ٥٦ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم، أوقعه موقع «فإنهم»، بيانا لأنهم من حزبه، أي: أتباعه. ٥٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا﴾ [بالهمز، هنا وفي الآية التالية، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بالواو مع ضم الزاي]، مهزوءاً به ﴿وَلَعِبَاءَ مِنْ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ﴾ المشركين، بالجر والنصب ﴿أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم. ٥٨ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان، [وسياتي بيان مشروعيتها ص ٧٤٢] ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُوءًا وَلَعِبَاءَ﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا ﴿ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

الْمَثَلُ الْخَيْرُ

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ وَآدَمَ ﴿٥٥﴾ وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبَاءَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبَاءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٩﴾

والمراد بذلك التغليب، أو بيان أن هذه الأفعال من أخلاق الكفار، فهذا كفر دون كفر، صحيح أن الظلم أو الفسق عند الإطلاق، يُعَهِمُ منه ما دون الكفر من الذنوب، لكن قد يُقصد به «الكفر» أيضاً، فمن أكل حق غيره يقال: له «ظالم»، ومن كفر بالله فهو أيضاً ظالم، فهذا ظلم دون ظلم، ومن شرب الخمر من غير استحلال فهو «فاسق»، ومن كفر بالله تعالى فهو فاسق أيضاً، فهذا فسق دون فسق، فيقال للكافر بالله هو: كافر وظالم وفاسق، ويوصف العاصي أيضاً بكفر النعمة، وبالظلم وبالفسق. ولهذه المسألة نظائر معروفة، منها: أن «الشرك» نوعان: «الشرك الأكبر»، وهو المخرج عن الإيمان، و«الشرك الأصغر»، وهو: «الرياء»، فهذا شرك دون شرك... أقرأ تعليقا حول الرياء ص ٣٩٥.

ومنها أن «النفاق» أيضاً نوعان هما: «نفاق الاعتقاد»، وهو كفر خالص، مثل نفاق عبد الله بن أبي السلولي، و«نفاق العمل»، وهو خصال سيئة، لا يخرج فاعلها عن الإسلام بفعلها، كالتي في الحديث الذي أخرجه الشيخان: «إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» فهذا نفاق دون نفاق، أرجع إلى تعليقا حول «النفاق» ص ١٢٦.

فإذا كان هذا الحاكم، لا يحكم بما أنزل الله جعولاً منه لحكم الله، أو استهزاء به، أو شكاً في صلاحه للحياة، أو لنحو ذلك، فهو «كفر» يُخرجه عن الإسلام وهو في الوقت نفسه، «ظلم» و«فسق»، وأما إذا كان يؤمن، بأن حكم الله هو الحق، وهو الصالح =

٥٩ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ: «بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: «بالله وما أنزل إلينا الآية، فلما ذكر عيسى، قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ﴾ تنكرون ﴿مَنَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على: «أَنْ آمَنَّا»، المعنى: ما تنكرون إلا إيماننا، ومخالفتكم في عدم قبوله، المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما يُنكر. ٦٠ ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرِّ مَنْ﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ [الذين] الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةٌ﴾ ثواباً، بمعنى: جزاء [بالعقاب، وتسمية العقاب «مَثُوبَةٌ»، تهكُّم بهم، مثل «فبشَّره» بعذاب أليم] ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؟ [ثم بيّن مَنْ هو شر الناس، والمستحق للعقاب في واقع الأمر فقال: ﴿هُوَ﴾ من لعنه الله]

أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

الْقِرْدَةَ وَالْخَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿و﴾ من ﴿عَبْدِ

الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في:

«منهم»، معنى: «مَنْ»، [أي: الجمع]،

[وروعي] فيما قبله لفظها، [فجاء مفرداً]، وهم:

اليهود، وفي قراءة: بضم باء «عبد»، وإضافته

إلى ما بعده، [وهو] اسم جمع له «عبد»، ونصبه

بالعطف على «الْقِرْدَةَ» «أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا» تمييز،

لأن ماوهم النار ﴿وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

طريق الحق، وأصل «السَّوَاءِ»: الوسط، وذكر

«شراً» [في الآية مرتين]، و«أضلَّ»، في مقابلة

قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم. ٦١ ﴿وَإِذَا

جَاؤُوكُمْ﴾ أي: منافقو اليهود [وكانوا إذا

دخلوا على الرسول ﷺ، أظهروا له الإيمان

نفاقاً] ﴿قَالُوا آمَنَّا وَ﴾ [الواقع أنهم] ﴿قَدْ

دَخَلُوا﴾ إليكم، متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ

خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤمنوا

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ هـ من النفاق.

٦٢ ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود

﴿يَسَارِعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ﴾ الحرام

كالرُّشَا ﴿لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هـ [أي: بئس

العمل] عملهم هذا.

٦٣ ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾

منهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ

السَّحْتَ﴾ لبئس ما كانوا يصنعون هـ، [وهو:]

ترك نهيمهم. ٦٤ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم، بتكذيبهم النبي ﷺ، بعد أن كانوا أكثر الناس مالا

﴿بِيدِ اللَّهِ مَغْلُولَةً﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، كثروا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - ، قال

تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾ أسكت ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ عن فعل الخيرات، [هذا] دعاء عليهم، [جاء بلفظ الخبر، أو: هو

إخبار عما سيحل بهم في نار جهنم، حيث تُشدُّ أَيْدِيَهُمْ إلى أعناقهم عقاباً لهم على كفرهم] ﴿وَلَعَنُوا﴾ بما قالوا

سُورَةُ التَّائِيَةِ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ

وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ

فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ

اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ

وَالْخَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ

عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ

دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ

فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ

الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا

بل يده مبسوطتان ﴿مبالغة بالوصف بالجود، وثنى اليد، لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخي من ماله، أن يعطي يديه﴾ ﴿يتفق كيف يشاء﴾ من توسيع وتضييق، لا اعتراض عليه ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك﴾ من القرآن ﴿طغياناً وكفراً﴾ لكفرهم به ﴿والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب﴾ أي: لحرب النبي ﷺ، [بتعاطي أسبابها] ﴿أطفأها الله﴾ أي: كلما أرادوه [بسوء]، بزعمهم [أنه ليس رسولاً]، ردّهم ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ أي: مفسدين بالمعاصي ﴿والله لا يحب المفسدين﴾ بمعنى أنه يعاقبهم. ٦٥ ﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ [أي: اليهود والنصارى]

﴿آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿واتقوا﴾ الكفر ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾.

٦٦ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ بالعمل بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وما أنزل إليهم﴾ من الكتب ﴿من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ بأن يوسّع عليهم الرزق، ويقبض من كل جهة ﴿منهم أمة﴾ جماعة ﴿مقتصدة﴾ تعمل به، وهم من آمن بالنبي ﷺ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وكثير منهم ساء﴾ بئس ﴿ما﴾ شيئاً ﴿يعملون﴾.

٦٧ ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ جميع ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ ولا تكتنم شيئاً منه^(١)، خوفاً أن تنال بمكروه ﴿وإن لم تفعل﴾ أي: لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فما بلغت رسالته﴾ بالافراد والجمع، لأن كتمان بعضها كتمان كلها ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يحرس حتى نزلت، فقال: [«يا أيها الناس»] انصرفوا فقد عصمني الله رواه الحاكم [والترمذي، والبيهقي في «الدلائل» وغيرهم، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها] ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾. ٦٨ ﴿قل يا أهل

= حكم بغيره، فهذا يقال فيه: إنه كفر بنعمة الله - وحكم الله من أعظم النعم - وفعله هذا: ظلم

وفسق، فليس الأمر واحداً على كل حال، بل لكل «حاكم»... «حكم»... بحسب اعتقاده وموقفه من حكم الله تعالى، فكما أنه لا يجوز

تبرئة «الحاكمين»، الذين لا يحكمون بما أنزل الله بالجملة، فكذلك لا يجوز «إكفارهم» بالجملة... (١) قوله: «ولا تكتنم شيئاً منه» مما هو واجب على المسلم اعتقاده: أن نبينا محمداً ﷺ - وقبله جميع الأنبياء - قد بلغ كل ما أنزل إليه من ربه، وأنه لم يكتنم شيئاً منه، فقد روى الترمذي وصححه وغيره، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الرحي، لكتنم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه - بالإسلام وهو زيد بن حارثة - وأنعمت عليه - بالعتق - أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ الآية ٣٧ من سورة «الأحزاب» ص ٥٥٥، ولكنه بلغ هذه الآية، وهي مخاطبه وحده، امتثالاً لأمر الله تعالى، وبياناً لأحكام الإسلام الحنيف.

الجزء الثاني

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ * يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ يَأَهْلَ

الكتاب لستم على شيء من الدين معتد به حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمان بي وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك من القرآن طغياناً وكفراً لكفرهم به فلا تأس تحزن على القوم الكافرين إن لم يؤمنوا بك، أي: لا تهتم بهم.

٦٩ [إن الذين آمنوا والذين هادوا^(١) هم اليهود، مبتدأ «والصابئون» فرقة منهم^(٢)، [أو: من النصارى والنصارى] ويبدل من المبتدأ: «من آمن» منهم «بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» في الآخرة، خبر المبتدأ، ودالٌّ على خبر «إن». ٧٠ «لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإيمان بالله ورسله وأرسلنا

إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم من الحق، كذبوه «فريقاً» منهم «كذبوه» هـ «وفريقاً» منهم «يقتلون» كزكريا ويحيى، والتعبير به [أي: بـ «يقتلون»] دون «قتلوا»، حكاية للحال الماضية، [ومراعاة] للفاصلة، [أي: رؤوس الآي].

٧١ «وحسبوا» ظنوا «الأ تكون» بالرفع، فـ «أن» مخففة، والنصب: فهي ناصبة، أي: تقع «فتنة» عذاب بهم، على تكذيب الرسل وقتلهم «فعموا» عن الحق، فلم يبصروه «وصموا» عن استماعه «ثم تاب الله عليهم» لما تابوا «ثم عموا وصموا» ثانياً «كثير منهم» بدل من الضمير «والله بصير بما يعملون» فيجازيهم به.

٧٢ [ثم شرع في بيان قبائح النصارى، بعد ذكر قبائح اليهود فقال تعالى:] «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» سبق مثله [في سورة «النساء»]، في قوله تعالى: «ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم» الآية [١٧١] «وقال» لهم «المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم» فإني عبد ولست بآله

سُورَةُ التَّائِيَةِ

الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٠﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧١﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

(١) قوله تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هادوا» الآية.

ارجع إلى تعليقنا على الآية «٦٢» المماثلة من سورة «البقرة» ص ١٢.

(٢) قوله: «فرقة منهم» أي: من اليهود، لقد وافق الجلال السيوطي هنا، الجلال المحلي في تعريف «الصابئة»،

بأنهم «فرقة من اليهود»، وزاد في «سورة البقرة»: «أو النصارى»، بياناً لقول ثانٍ معروف عند فقهاء الشافعية — كما ذكر في خاتمته — ففي شروح المنهاج: أن الشافعي رحمه الله نص على أن الصابئين فرقة من النصارى، وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: إنهم يعظمون النجوم ولا يعبدونها، وعند صاحبيه: هم الذين يعبدون الكواكب.

ولكن ما يفيد كلام الإمام الشهرستاني، في «الملل والنحل»، أن الصابئة ليسوا من اليهود ولا من النصارى، حيث قال: «الصابئة» في اللغة من «صبأ الرجل» إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزينهم عن نهج الأنبياء قيل لهم: «الصابئة»، وإنما مدار مذهبهم التعصب للروحانيين، أي: للملائكة. ثم يقول: مذهب هؤلاء، أن للعالم صنائعاً فاطراً حكيماً، ويقولون: الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون، قد جُلبوا على الطهارة، =

[وقال لهم أيضاً:] «إنه من يشرك بالله» في العبادة غيره «فقد حرم الله عليه الجنة» منه أن يدخلها «ومأواه النار وما للظالمين من» زائدة «أنصار» يمنعونهم من عذاب الله. ٧٣ «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث» آلهة «ثلاثة» أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه، وهم: فرقة من النصارى «وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون» من الثلاث ويوحدوا «ليمنس الذين كفروا» أي: ثبتوا على الكفر «منهم عذاب أليم مؤلم، وهو: النار.

٧٤ «أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه» مما قالوا؟، استفهام توبيخ «والله غفور» لمن تاب «رحيم» به.

الْبُرْهَانُ النَّصْرَانِيُّ

إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ٧٤
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٥
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ٧٦ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ٧٧ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ٧٨ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

٧٥ «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» فهو يمضي مثلهم، وليس بإله كما زعموا، وإلا لما مضى «وأمه صديقة» مبالغة في الصدق «كانا يأكلان الطعام» كغيرهما من الحيوانات، [أي: الكائنات الحية التي تتغذى من الطعام]، ومن كان كذلك، لا يكون إلهاً، لتركيبه وضعفه، وما ينشأ منه من البول والغائط «انظر» متعجباً «كيف نبين لهم الآيات» على وحدانيتنا «ثم انظر أني» كيف «يؤفكون» يصرفون عن الحق، مع قيام البرهان.

٧٦ «قل أتعبدون من دون الله» أي: غيره «ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع» لأقوالكم «العليم» بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

٧٧ «قل يا أهل الكتاب» اليهود والنصارى «لا تغلوا» تجاوزوا الحد «في دينكم» غلوا «غير الحق» بأن تَضَعُوا عيسى، [أي: تنقصوه عن مرتبته]، أو ترفعوه فوق حقه «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل» بغلوهم، وهم أسلافهم «وأضلوا كثيراً» من الناس «وضلوا عن سواء السبيل» طريق الحق، «والسواء» في الأصل الوسط. ٧٨ «لعن الذين كفروا

= وفطروا على التقديس والتسييح، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وإنما أرشدنا إلى هذا معلماً الأول «عازيمون وهرمس» أي: شيت وإدريس عليهما السلام - فنحن نتقرب إليهم - أي: إلى الملائكة - ونتوكل عليهم - فهم أربابنا وألهتنا وشاغلنا، وشفاعنا عند الله، وهو رب الأرباب، وإله الآلهة، ويقولون أيضاً: الأنبياء أمثالنا في النزع، وأشكالنا في الصورة، يشاركوننا في المادة، يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويساهموننا في الصورة، أناس بشر مثلنا، فمن أين لنا طاعتهم، وبأية مزية لهم لزم متابعتهم، ولئن أطلعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون (انتهى، يتصرف).

فمن هذا نعلم: أن الصابئة يعبدون الملائكة، وينكرون النبوة، وكما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله، فهم يعظمون النجوم، لأنها مسيرة بقوة الملائكة، ولا يعبدونها، وبناء عليه فهم ليسوا أهل كتاب، فلا يجوز نكاح نسائهم، ولا أكل ذبائحهم، والله أعلم.

من بني إسرائيل على لسان داود ﴿بأن دعا عليهم﴾^(١)، فمسخوا قرده، وهم: أصحاب «إيلة»، [الذين اعتدوا في السبت، بأخذ الحيتان، على ما سيأتي في سورة «الأعراف»] و«عيسى ابن مريم» ﴿بأن دعا عليهم، فمسخوا﴾^(١) خنازير، وهم: أصحاب المائدة ﴿ذلك﴾ اللعن ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. ٧٩ ﴿كانوا لا يتناهون﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عن﴾ معاودة ﴿منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ - [أي: بش الفعل] فعلهم هذا. ٨٠ ﴿ترى﴾ يا محمد ﴿كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ من أهل مكة، بغضاً لك ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ من العمل لمعادهم، الموجب لهم ﴿أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾. ٨١ ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾ محمد ﴿وما أنزل إليه ما اتخذوهم﴾ أي: الكفار ﴿أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾ خارجون عن الإيمان. ٨٢ ﴿لتجدن﴾^(٢) يا محمد ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ من أهل مكة، لتضاعف كفرهم وجهلهم، وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك﴾ أي: قُربُ مودتهم للمؤمنين ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿منهم قسيسين﴾ علماء ﴿ورهباناً﴾ عبّاداً ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن اتباع الحق، كما يستكبر اليهود وأهل مكة، نزلت في وفد النجاشي، القادمين عليه من الحبشة، قرأ سورة «يس»، فبكوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى. ٨٣ قال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ من القرآن ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فاكتبنا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَيْسٍ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمُ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا

(١) قوله: «بأن دعا عليهم فمسخوا قرده»، وقوله بعد ذلك: «بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير» ليس دقيقاً، بيانه كما يلي:

إن داود وعيسى عليهما السلام لعنا الكفرة من بني إسرائيل، بسبب عصيانهم وعدوانهم، أما مسخ أصحاب السبت قرده، فلأنهم اعتدوا فيه وخالفوا، ولا داعي لربط المسخ بدعاء داود، وأما مسخ أصحاب المائدة خنازير، فقد جاء في حديث ضعيف، لا تقوم به الحجة، سيأتي في تفسير الآية (١١٥)، وحصر اللعن في هاتين الفئتين، غير صحيح، لأن الآية تعم جميع الكفرة من بني إسرائيل.

(٢) قوله تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة﴾ الآية، ذكر الإمام السيوطي هنا، أنها نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة، ولكن القول المشهور في كتب السير والتفاسير، أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا «سورة مريم»، من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى خوفاً من مشركي مكة، ففاضت أعينهم من الدمع، مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي، وبعث يعلم النبي ﷺ بإسلامه، ومما يجب التنبيه إليه، أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصاري كما يتوهم البعض، فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ، في الأندلس، والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن، ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا، ففي هؤلاء نزلت الآيات، لا في مطلق نصرائي، أو قسيس، أو راهب، هذا مع القطع، بأن اليهود، هم أشد الكافرين عداوة للمسلمين، أرجع إلى تعليقنا حول «النجاشي» ص ٩٦.

مع الشاهدين ﴿المقرئين يتصديقهما﴾. ٨٤ ﴿وقالوا في جواب من غيرهم بالإسلام من اليهود﴾ «ما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق﴾ القرآن، أي: لا مانع لنا من الإيمان، مع وجود مقتضيه ﴿ونطمع﴾ عطف على «نؤمن» ﴿أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ المؤمنين الجنة. ٨٥ قال تعالى: ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ بالإيمان. ٨٦ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾. ٨٧ ونزل لما هم قوم من الصحابة، أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش، [أخرج أصله الشيخان وغيرهما]: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ [وهذه الآية، أصل في ترك التمتع والتشدد في التبع]. ٨٨ ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله، حال متعلق به، [والمعنى: «كلوا الحلال الطيب مما رزقكم الله»] واتفقوا الله الذي أنتم به مؤمنون. ٨٩ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو﴾ الكائن ﴿في إيمانكم﴾ هو: ما يسبق إليه اللسان، من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، [روى ذلك البخاري، عن عائشة رضي الله عنها] ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة «عاقدم» ﴿الإيمان﴾ عليه، بأن حلفت من قصد «فكفارته» أي: اليمين، إذا حثمت فيه ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين «مُدٌّ» ﴿من أوسط ما تطعمون﴾ منه ﴿أهلكم﴾ أي: أفصده وأغلبه، لا أعلاه، ولا أدناه ﴿أو كسوتهم﴾ بما يسمى كسوة، قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي ﴿أو تحرير عتق رقبة﴾ أي: مؤمنة، كما في كفارة القتل والظهار، حملاً للمطلق على المقيّد ﴿فمن لم يجد﴾ واحداً مما ذكر ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التابع، وعليه الشافعي ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿كفارة

الْحُكْمُ فِي الْبَيْعَاتِ

مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُوهٗ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَرَةُ الْكُفَرِ

(١) قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ الآية ٨٩.

لا يبنني للمسلم أن يحلف إلا إذا استحلّف، وإذا أراد أن يحلف، فليحلف بالله تعالى أو ليدع، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، فلا يجوز الحلف بمخلوق كالأنبياء، والملائكة، والملوك، والكتب، والشرف، وحياة الابن أو الأب، إلخ... واليمين أنواع ثلاثة هي: «اللغو» وقد أشار إليها السيوطي هنا، لا مواخذة فيها ولا كفارة، «واليمين الغموس»، وهي: التي يحلفها =

أَيْمَنُكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ أَنْ تَنْكُثُوهَا، مَا لَمْ تَكُنْ عَلَى فِعْلٍ بَرٍّ، أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، فَاَفْعَلُوهُ وَكُفِّرُوا، كَمَا [تَقْدَمُ] فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» [الآيَةُ ٢٢٤] «كَذَلِكَ» أَي: مِثْلُ مَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذُكِرَ «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» هـ عَلَى ذَلِكَ. ٩٠ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ» (١) الْمُسْكِرُ الَّذِي يَخَامِرُ الْعَقْلَ «وَالْمَيْسِرُ» الْقِمَارُ «وَالْأَنْصَابُ» الْأَصْنَامُ «وَالْأَزْلَامُ» قِدَاحُ الْأَسْتِقْسَامِ، [تَقْدَمُ شَرْحُهَا ص ١٣٥] «رَجَسٌ» خَبِيثٌ مُسْتَقْدَرٌ «مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ» الَّذِي يَزِينُهُ «فَاجْتَنِبُوهُ» أَي: الرَّجَسَ، الْمُعْتَبَرُ بِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، أَنْ تَفْعَلُوهُ «لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ» [وَالْأَمْرُ بِالاجْتِنَابِ أُبْلَغُ فِي إِفَادَةِ التَّحْرِيمِ]. ٩١ «إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» (٢) «وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» (٣) «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (٤) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِّنَ الصَّيْدِ

أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ أَنْ تَنْكُثُوهَا، مَا لَمْ تَكُنْ عَلَى فِعْلٍ بَرٍّ، أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، فَاَفْعَلُوهُ وَكُفِّرُوا، كَمَا [تَقْدَمُ] فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» [الآيَةُ ٢٢٤] «كَذَلِكَ» أَي: مِثْلُ مَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذُكِرَ «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» هـ عَلَى ذَلِكَ. ٩٠ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ» (١) الْمُسْكِرُ الَّذِي يَخَامِرُ الْعَقْلَ «وَالْمَيْسِرُ» الْقِمَارُ «وَالْأَنْصَابُ» الْأَصْنَامُ «وَالْأَزْلَامُ» قِدَاحُ الْأَسْتِقْسَامِ، [تَقْدَمُ شَرْحُهَا ص ١٣٥] «رَجَسٌ» خَبِيثٌ مُسْتَقْدَرٌ «مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ» الَّذِي يَزِينُهُ «فَاجْتَنِبُوهُ» أَي: الرَّجَسَ، الْمُعْتَبَرُ بِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، أَنْ تَفْعَلُوهُ «لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ» [وَالْأَمْرُ بِالاجْتِنَابِ أُبْلَغُ فِي إِفَادَةِ التَّحْرِيمِ]. ٩١ «إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ» إِذَا

أَتَيْتُمُوهَا، لَمَّا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ «وَيَصُدَّكُمْ» بِالِاسْتِغْثَالِ بِهِمَا «عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ» خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» عَنْ إِيْتَانِهِمَا؟ أَي: انْتَهَوْا، [وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلُ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَكُلِّ مُسْكِرٍ، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَفِي تَحْرِيمِ الْقِمَارِ بِأَنْوَاعِهِ]. ٩٢ «وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا» الْمَعَاصِي «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» عَنْ الطَّاعَةِ «فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» الْإِبْلَاجُ الْيُسْرَ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا. ٩٣ [رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: أَنَّهُ بَعْدَ نَزُولِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: قُتِلَ فُلَانٌ وَقُتِلَ فُلَانٌ، وَهِيَ فِي بَطُونِهِمْ، فَتَزَلْ]: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا» [شَرِبُوا وَ] أَكَلُوا، مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، قَبْلَ التَّحْرِيمِ «إِذَا مَا اتَّقَوْا» الْمَحْرَمَاتِ «وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا» ثَبَتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ «ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا» الْعَمَلِ «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» بِمَعْنَى أَنَّهُ يُبَيِّنُهُمْ. ٩٤ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِّنَ الصَّيْدِ

صاحبها كاذباً وهو يعلم، وسميت بالغموس، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، وهي من كبار الذنوب. «واليمين المنعقدة»، وهي: التي يحلفها الإنسان، قاصداً فعل شيء، أو عدم فعله في المستقبل، ففي الحنث فيها الكفارة المذكورة في الآية.

(١) قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر» الآيات

(٩٠ - ٩٣). أجمع المسلمون على أن هذه الآيات محكمات، وأنها ناسخة لما نزل في الخمر والميسر قبلها، وعلى أنها تفيد التحريم القطعي، للخمر والقمار، على اختلاف مصادرها وأسمائها، وأن من أنكر تحريمهما فقد كفر، ومما يزيد في بيان تحريم الخمر، إقامة الحد على شاربيها، وهو من الحدود المعروفة في الشرع، فقد أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر، فجلده بتجريدتين نحو أربعين، قال أنس: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون، فأمر به عمر، وسبب هذه الاستشارة، ما أخرجه أبو داود والنسائي: أن خالد بن الوليد كتب إلى عمر: «إن الناس قد انهمكوا في الخمر، وتحاقروا العقوبة»، وعند عمر المهاجرون والأنصار، فسألهم فأجمعوا على أن يضرب ثمانين. و «الخمر» هو كل شراب يسكر، قليله وكثيره في الحرمة سواء، قال ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» رواه مسلم، وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» رواه أحمد وابن حبان وصححه، والترمذي وحسنه وغيرهم.

تَنَالَهُ أَي: الصَّغَارَ مِنْهُ ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ [تَنَال] ﴿رِمَاحُكُمْ﴾ الْكِبَارَ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ بِالْحَدِيدِيَّةِ وَهُمْ مُحْرَمُونَ، فَكَانَتِ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ، أَي: غَائِبًا لَمْ يَرَهُ، فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنْهُ، فَاصْطَادَهُ ﴿فَلَهُ عَذَابُ الْيَمِّ﴾ ٩٥. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ بِحُجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ﴾ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ ﴿بِالتَّنَوُّينِ وَرَفَعَ مَا بَعْدَهُ، أَي: فَعَلِيهِ جَزَاءٌ﴾ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴿أَي: شَبَّهَهُ فِي الْخَلْقَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ بِإِضَافَةِ «جَزَاءٍ» يَحْكُمُ بِهِ﴾ أَي: بِالمِثْلِ، رَجُلَانِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لِهَمَا فَطَنَةٌ يَمِيزَانِ بِهَا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِهِ، وَقَدْ حَكَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغُلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِي النَّعَامَةِ بِبَدَنَةٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، فِي بَقْرِ الْوَحْشِ وَحِمَارِهِ بِبَقْرَةٍ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَوْفٍ، فِي الظَّبْيِ بِشَاةٍ، وَحَكَّمَ بِهَا [أَي: بِالْبَدَنَةِ]، ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا، فِي الْحِمَامِ [كَمَا فِي النَّعَامَةِ]، لِأَنَّهُ يَشَبُّهَا فِي الْعَبِّ، [أَي: شُرْبِ الْمَاءِ بِلا مَصٍّ] ﴿هَدْيًا﴾ حَالٍ مِنْ «جَزَاءٍ» ﴿بِالْبَالِغِ الْكَعْبَةِ﴾ أَي: يَبْلُغُ بِهِ الْحَرَمَ، فَيُذْبَحُ فِيهِ، وَيُتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُذْبَحَ حَيْثُ كَانَ، وَنَصَبَهُ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ، وَإِنْ أَضِيفَ، لِأَنَّ إِضَافَتَهُ لَفْظِيَّةٌ، لَا تَفِيدُ تَعْرِيفًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّيْدِ مِثْلٌ مِنَ النَّعَمِ، كَالْعَصْفُورِ وَالْجُرَادِ، فَعَلِيهِ قِيمَتُهُ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غَيْرُ الْجَزَاءِ، وَإِنْ وَجَدَهُ، هِيَ: ﴿طَعَامُ مَسَاكِينٍ﴾ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ، مَا يَسَاوِي قِيَمَةَ الْجَزَاءِ، لِكُلِّ مَسْكِينٍ مُدٌّ، وَفِي قِرَاءَةِ بِإِضَافَةِ «كَفَّارَةٌ» لِمَا بَعْدَهُ، وَهِيَ لِلْبَيَانِ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿عَدْلٌ﴾ مِثْلُ ﴿ذَلِكَ﴾ الطَّعَامِ ﴿صِيَامًا﴾ يَضُومُهُ، عَنْ كُلِّ مَدْيُومًا، وَإِنْ وَجَدَهُ وَوَجِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثَقُلَ جَزَاءُ «أَمْرِهِ» الَّذِي فَعَلَهُ «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ» مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَيْهِ ﴿فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ذُو انْتِقَامٍ ﴿مَنْ عَصَاهُ، وَالْحَقُّ بِقَتْلِهِ مُتَعَمِّدًا، فِيمَا ذَكَرَ [مِنْ لُزُومِ الْجَزَاءِ]، الْخَطَأُ [وَالْغَلْطُ] وَالنِّسْيَانُ، وَإِنْ كَانَ لَا إِثْمَ فِيهَا] ٩٦. ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، حَلَالًا كُنْتُمْ أَوْ مُحْرَمِينَ ﴿صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ أَنْ تَأْكُلُوهُ، وَهُوَ: مَا لَا يَعِيشُ إِلَّا فِيهِ، كَالسَّمَكِ، بِخِلَافِ مَا يَعِيشُ فِيهِ وَفِي الْبَرِّ، كَالسَّرَطَانِ ﴿وَطَعَامَهُ﴾ مَا يَقْذِفُهُ مَيْتًا ﴿مَتَاعًا﴾ تَمْتِعًا ﴿لَكُمْ﴾ تَأْكُلُونَهُ ﴿وَاللَّسْيَارَةَ﴾ الْمَسَافِرِينَ مِنْكُمْ، يَتَزَوَّدُونَ ﴿وَحَرَّمَ﴾ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ وَهُوَ: مَا يَعِيشُ فِيهِ مِنَ الْوَحْشِ الْمَأْكُولِ، أَنْ تَصِيدُوهُ ﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ فَلَوْ صَادَهُ حَلَالٌ [لِنَفْسِهِ]، فَلِلْمُحْرَمِ أَكْلُهُ، كَمَا بَيَّنَّتْهُ الشُّنَّةُ، [فِي قَوْلِهِ ﷺ: «صَيْدُ الْبَرِّ حَلَالٌ لَكُمْ، مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَدِّ لَكُمْ»]، رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٩٧. ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْمَحْرَمَ ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ يَقُومُ بِهِ أَمْرُ دِينِهِمْ، بِالْحُجِّ إِلَيْهِ، وَدُنْيَاهُمْ، بِأَمْنٍ دَاخِلِهِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لَهُ، وَجَبْنِي ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَفِي قِرَاءَةِ: «قِيَامًا» بِلا أَلِفٍ، مُصَدَّرٌ «قَامَ» غَيْرُ مُعَلٍّ. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بِمَعْنَى: الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ، ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمَ، وَرَجَبَ،

الْمَثَلُ الْخَامِسُ

تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ
فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٩٥﴾ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
مُتَعَمِّدًا بِجَزَاءٍ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَ طَعَامُ مَسْكِينٍ
أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
انْتِقَامٍ ﴿٩٦﴾ أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ
وَاللَّسْيَارَةَ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٧﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ
الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
وَالْقُلُوبَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

كَالسَّرَطَانِ ﴿وَطَعَامَهُ﴾ مَا يَقْذِفُهُ مَيْتًا ﴿مَتَاعًا﴾ تَمْتِعًا ﴿لَكُمْ﴾ تَأْكُلُونَهُ ﴿وَاللَّسْيَارَةَ﴾ الْمَسَافِرِينَ مِنْكُمْ، يَتَزَوَّدُونَ ﴿وَحَرَّمَ﴾ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ وَهُوَ: مَا يَعِيشُ فِيهِ مِنَ الْوَحْشِ الْمَأْكُولِ، أَنْ تَصِيدُوهُ ﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ فَلَوْ صَادَهُ حَلَالٌ [لِنَفْسِهِ]، فَلِلْمُحْرَمِ أَكْلُهُ، كَمَا بَيَّنَّتْهُ الشُّنَّةُ، [فِي قَوْلِهِ ﷺ: «صَيْدُ الْبَرِّ حَلَالٌ لَكُمْ، مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَدِّ لَكُمْ»]، رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٩٧. ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْمَحْرَمَ ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ يَقُومُ بِهِ أَمْرُ دِينِهِمْ، بِالْحُجِّ إِلَيْهِ، وَدُنْيَاهُمْ، بِأَمْنٍ دَاخِلِهِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لَهُ، وَجَبْنِي ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَفِي قِرَاءَةِ: «قِيَامًا» بِلا أَلِفٍ، مُصَدَّرٌ «قَامَ» غَيْرُ مُعَلٍّ. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بِمَعْنَى: الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ، ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمَ، وَرَجَبَ،

[جعلها الله] قياماً لهم، بأمنهم من القتال فيها «والهدي والقلائد» قياماً لهم، بأمن صاحبيهما من التعرض له «ذلك» الجغل المذكور «لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم» فَإِنَّ جَعْلَهُ ذَلِكَ — لجلب المصالح لكم، ودفع المضار عنكم قبل وقوعها — دليل على علمه بما هو في الوجود، وما هو كائن.

٩٨ «اعلموا أن الله شديد العقاب» لأعدائه «وأن الله غفور» لأوليائه «رحيم» بهم.

٩٩ «ما على الرسول إلا البلاغ» الإبلان لكم «والله يعلم ما تبدون» تظهرون من العمل «وما تكتُمون» تُخفون منه، فيجازيكم به. ١٠٠ «قل لا يستوي الخبيث» الحرام «والطيب» الحلال «ولو أعجبك» أي: سرَّك «كثرة الخبيث» [والمقصود بالخطاب أمته ﷺ، لذلك وجَّه الأمر إليهم بقوله]: «فاتقوا الله» في تركه «يا أولي الألباب» لعلمكم تفلحون» تفوزون.

١٠١ ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ [فسأله أحدهم: يا رسول الله من أبي؟ قال «أبوك فلان»، وكان يُطعن فيه، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وكانوا يسألونه استهزاءً، فيقول الرجل — تفضل ناقته —: أين ناقتي؟، ولما نزلت آية الحج قال أحدهم: أفي كل عام يا رسول الله؟، فقال: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، أخرجه مسلم والترمذي]: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد» تُظهر «لكم تسؤم» لما فيها من المشقة «وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن» في زمن النبي ﷺ «تبد لكم» المعنى: إذا سألتكم عن أشياء في زمنه، ينزل القرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءتكم، فلا تسألوا عنها، قد «عفا الله عنها» عن مسألتكم، فلا تعودوا «والله غفور حلِيم».

١٠٢ «قد سألها» أي: الأشياء [المحرجة] «قوم من قبلكم» أنبياءهم، فأجيبوا ببيان أحكامها «ثم أصبحوا» صاروا «بها كافرين» بتركهم العمل بها.

١٠٣ «ما جعل» شرع «الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام» كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيّب، قال: «البحيرة»

[هي]: التي يُمنح دَرُّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، و«السائبة»: التي كانوا يُسيبونها لآلهتهم، فلا يُحمل عليها شيء، و«الوصيلة»: الناقة البكر، تُبكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداها بأخرى، ليس بينهما ذكر، و«الحام»: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه، ودَّعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل عليه، فلا يُحمل عليه شيء، وسَمَّوه «الحامي» «ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثروهم لا يعقلون» وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله «ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثروهم لا يعقلون» أن ذلك افتراء، لأنهم قلَّدوا فيه آباءهم. ١٠٤ «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله

سُورَةُ الشَّارَةِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْأَبْلَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

وإلى الرسول ﴿أي: إلى حكمه، من تحليل ما حرمتم ﴿قالوا حسبتا﴾ كافينا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين والشرعة، قال تعالى: ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ إلى الحق؟ والاستفهام للإنكار.

١٠٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ أي: احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لا يضركم من ضل إذا هتديتم﴾ قيل: المراد، لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم، لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك [بخاصة]

البقرة

وإلى الرسول قالوا حسبتا ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿١٠٥﴾
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
إذا هتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم
تعملون ﴿١٠٦﴾ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر
أحدكم الموت ﴿أي: أسبابه﴾ حين الوصية اثنان
ذوا عدل منكم ﴿خبر بمعنى الأمر، أي: ليشهد، وإضافة شهادة لـ «بين»، على الاتساع، [إذ الأصل فيه: «شهادة ما بينكم»، أي: «فرض عليكم أن يشهد الوصية بينكم اثنان»، فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين، بالمفعول على السعة، ومنه قوله تعالى: «هذا فراق بيني وبينك»، أي: «ما بيني وبينك» و «حين» بدل من «إذا»، أو: ظرف لـ «حضر» «أو آخران من غيركم» أي: غير ملتكم «إن أنتم ضربتم سافرتكم» في الأرض فأصابكم مصيبة الموت تحسبونها من بعد الصلاة فاقسم بالله إن أرتبتم لا تشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآمين ﴿١٠٧﴾ فإن عثر على أنهما استحقا إثمًا فآخراهم يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله

نحلف به، أو نشهد كذباً لأجله ﴿ولو كان﴾ المقسم له، أو: المشهود له ﴿ذا قربى﴾ قرابة منا ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ التي أمرنا بها ﴿إنا إذا﴾ إن كتمانها ﴿لمن الآمين﴾. ١٠٧ ﴿فإن عثر﴾ أطلع بعد حلفهما ﴿على أنهما استحقا إثمًا﴾ أي: فعلاً ما يوجب، من خيانة، أو: كذب في الشهادة، بأن وجد عندهما - مثلاً - ما اتهم به، وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت، [كما سيأتي]، أو: [أنه] وصى لهما به ﴿فآخراهم يقومان مقامهما﴾ في توجيه اليمين عليهما ﴿من الذين استحق عليهم﴾ الوصية، وهم: الورثة، ويبدل من «آخران»: «الأوليان» بالميت، أي: الأقربان إليه، وفي قراءة «الأولين» جمع «أول» صفة، أو: بدل من «الذين» فيقسمان بالله على خيانة الشاهدين ويقولان:

لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا عَتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا
أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوَا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ
نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي
وَتُبْرِئُ الْأَعْمَىٰ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

﴿لشهادتنا﴾ يميننا ﴿أحق﴾ أصدق ﴿من شهادتهما﴾ يمينهما ﴿وما اعتدينا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إننا إذا لمين﴾
الظالمين المعنى: ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو: يوصي إليهما من أهل دينه، أو: غيرهم، إن فقدهم لسفر
ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما، فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء، أو دفعه إلى شخص زعماً أن الميت أوصى له به، فليحلفا
— إلى آخره —، فإن أطلع على أمانة تكذيبهما، فادعيا دافعا له، حلف أقرب الورثة على كذبهما، وصدق ما ادعوه، والحكم
ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين، وكذا شهادة غير أهل الملة، منسوخة [بقوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾]،
واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية، باثنين من أقرب الورثة، — مع أنه يصح الحلف من واحد
وأكثر —. لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي:

ما رواه البخاري، «أن رجلاً من بني سهم، خرج مع
تميم الداري، وعدي بن بداء، — وهما نصرانيان —
فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما
بتركته، فقدوا جاماً [أي: إناء] من فضة، مخصوصاً
[أي: منقوشاً] بالذهب، فرفعا إلى النبي ﷺ
فنزلت، فأحلفهما، ثم وجد الجاه بمكة، فقالوا:
ابتعناه من تميم وعدي، فنزلت الآية الثانية، فقام
رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية
الترمذي: فقام عمرو بن العاص، ورجل آخر
منهم، [هو: المطلب ابن أبي وداعة]، فحلفا،
وكانا أقرب إليه، وفي رواية: فمرض [السهمي]
فاوصى إليهما، [أي: إلى تميم وعدي]، وأمرهما
أن يبلغا ما ترك أهله، فلما مات، أخذاهما، ودفعا
إلى أهله ما بقي. ١٠٨ ﴿ذلك﴾ الحكم المذكور،
من رد اليمين على الورثة ﴿أذني﴾ أقرب إلى ﴿أن﴾
يأتوا أي: الشهود، أو: الأوصياء ﴿بالشهادة﴾
على وجهها الذي تحملوها عليه، من غير
تحريف ولا خيانة ﴿أو﴾ أقرب إلى أن ﴿يخافوا﴾
أن ترد أيمان بعد أيمانهم ﴿على الورثة المدعين﴾،
فيحلفون على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحون
ويغرمون، فلا يكذبوا ﴿واتقوا الله﴾ بترك الخيانة
والكذب ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول
﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن
طاعته، إلى سبيل الخير. ١٠٩ اذكر ﴿يوم يجمع﴾

توبيخاً لقومهم ﴿ماذا﴾ أي: الذي ﴿أجبتهم﴾ به، حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قالوا لا علم لنا﴾ بذلك ﴿إنك أنت علام﴾
الغيوب ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه، لشدة هول يوم القيامة وفزعهم، ثم يشهدون على أنفسهم، لما
يسكنون [ويطمثون]. ١١٠ اذكر ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ اشكرها ﴿إذ﴾
أيدتك ﴿قويتك﴾ بروح القدس ﴿جبريل﴾، [كان يسير معه حيث سار] ﴿تكلم الناس﴾ حال من الكاف في ﴿أيدتك﴾ ﴿في﴾
المهد ﴿أي: طفلاً﴾ ﴿و﴾ [تكلمهم] ﴿كهلاً﴾ [وهذا] يفيد نزوله قبل الساعة، لأنه رُفِعَ قبل الكهولة، كما سبق في
﴿آل عمران﴾. ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق﴾ [تجعل وتصور] ﴿من الطين كهية﴾ كصورة

﴿الطير﴾ والكاف اسم بمعنى «مثل»، مفعول [لـ «تخلق»] «بإذني فتتفخ فيها فتكون طيراً بإذني» بإرادتي «وتبريء الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى» من قبورهم أحياء «بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك» حين هموا بقتلك «إذ جثتهم بالبينات» المعجزات «فقال الذين كفروا منهم إن» ما «هذا» الذي جئت به «إلا سحر مبين» وفي قراءة «ساحر»، أي: عيسى.

١١١ ﴿وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه «أن» أي: بأن «آمنوا بي وبرسولي» عيسى «قالوا آمنا» بك وبرسولك «واشهد بأننا مسلمون»^(١). ١١٢ اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي: [هل] يفعل «ربك» وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده،

[أي: «هل يستطيع ربك»]، أي: [هل] تقدر أن تسأله؟ «أن ينزل علينا مائدة من السماء» قال لهم عيسى «اتقوا الله» في اقتراح الآيات «إن كنتم مؤمنين».

١١٣ ﴿قَالُوا نَرِيدُ﴾ سؤالها من أجل «أن نأكل منها وتطمئن» تسكن «قلوبنا» بزيادة اليقين «ونعلم» نزداد علماً «أن» مخففة أي: أنك «قد صدقنا» في ادعاء النبوة «ونكون عليها من الشاهدين».

١١٤ ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يوم نزولها «عيداً» نعظمه ونشرفه «لأولنا» بدل من «لنا»، بإعادة الجار «وآخرنا» لمن يأتي بعدنا «وآية منك» على قدرتك ونبوتي «وارزقنا» إياها «وأنت خير الرازقين».

١١٥ ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مستجيباً له «إني منزلها» بالتخفيف والتشديد «عليكم فمن يكفر بعد منكم» أي: بعد نزولها «فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» فنزلت الملائكة بها من السماء، عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا، قاله ابن عباس، وفي حديث: [موقوف على عمار بن ياسر، قال: «أنزلت المائدة من السماء، خبزاً ولحمًا، فأمرُوا أن لا يخونوا، ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا، فمُسَخَّوْا قردة وخنازير»] رواه الترمذي وقال: حديث غريب.

١١٦ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: يقول «الله» لعيسى في القيامة، توبيخاً لقومه «يا عيسى ابن مريم

الْبَيْتُ الْبَيْتُ

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَفَن كَفَرُوا بَعْدَ مَنكُم فَاذْبَحُوا عَذَاباً لَآ أَعَذِّبُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

(١) قوله تعالى: «واشهد بأننا مسلمون». إشارة إلى أن الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام هو «الإسلام»، وقد التبس هذا الأمر على كثير من الناس، فظنوا أن «الإسلام» جاء به محمد ﷺ وحده، وأن لكل نبي ديناً خاصاً به، وهذا خطأ فاحش، والصواب أن الإسلام دين الله تعالى، أرسل به جميع أنبيائه، ولا يقبل الله تعالى من العباد سواه «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» راجع ص ٢٤٥.

أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ عَيْسَى - وَقَدْ أَرْعَدَ - «سُبْحَانَكَ» تَزْيِيهَا لَكَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِكَ، مِنْ شَرِيكَ وَغَيْرِهِ «مَا يَكُونُ» مَا يَنْبَغِي «لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» خَيْرَ «لَيْسَ»، وَ «لِي» لِلتَّبْيِينِ «إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا» أَخْفِيهِ «فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ» أَي: مَا تَخْفِيهِ مِنْ مَعْلُومَاتِكَ «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ».

١١٧ «مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ» وَهُوَ «أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» رَقِيبًا أَمْنَعُهُمْ مِمَّا يَقُولُونَ «مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي» قَبَضْتَنِي ^(١) بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ «كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ» الْحَفِظُ لِأَعْمَالِهِمْ «وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» مِنْ قَوْلِي لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ بَعْدِي وَغَيْرِ ذَلِكَ «شَهِيدٌ» مُطْلِعٌ عَالِمٌ بِهِ. ١١٨ «إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ» ^(٢) أَي: مَنْ أَقَامَ عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُمْ «فَلْيَنْهَهُمْ عِبَادَكَ» وَأَنْتَ مَالِكُهُمْ،

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

«أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»
 قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ
 كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
 نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ^(١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
 أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
 شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ
 عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^(١١٧) إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ
 عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(١١٨)
 قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١٢٠)

تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ، لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْكَ
 «وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ» أَي: لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ «فَلْيَنْهَ» أَنْتَ
 الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ «الْحَكِيمُ» فِي صَنْعِهِ.

١١٩ «قَالَ اللَّهُ هَذَا» أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ «يَوْمُ يَنْفَعُ
 الصَّادِقِينَ» فِي الدُّنْيَا، كَعَيْسَى «صِدْقُهُمْ» لِأَنَّهُ
 يَوْمُ الْجَزَاءِ «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «بَطَاعَتِهِ»
 «وَرَضُوا عَنْهُ» بِثَوَابِهِ «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وَلَا
 يَنْفَعُ الْكَاذِبِينَ فِي الدُّنْيَا صِدْقُهُمْ فِيهِ، كَالْكَفَّارِ لَمَّا
 يَوْمُونَ عِنْدَ رُؤْيَا الْعَذَابِ. ١٢٠ «لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» خَزَائِنُ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ
 وَالرِّزْقِ وَغَيْرِهَا «وَمَا فِيهِنَّ» أَتَى بِ «مَا»، تَغْلِيظًا
 لَغَيْرِ الْعَاقِلِ «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وَمِنْهُ إِثَابَةُ
 الصَّادِقِ، وَتَعَذِّيبُ الْكَاذِبِ، وَخَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ
 [تَعَالَى]، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ ^(٣)، [أَي: لَا تَتَعَلَّقُ
 بِهَا قُدْرَتُهُ تَعَالَى]، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ تَتَعَلَّقُ بِالْمُمْكِنَاتِ
 فَقَطْ، لَا بِالْوَاجِبِ وَلَا بِالْمُسْتَحِيلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى
 وَاجِبُ الْوُجُودِ وَحْدَهُ.

(١) قوله: «قَبَضْتَنِي بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ»، أَي: مَنْ غَيْرَ مَوْتٍ،
 يُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ:
 «وَيُمْكِتُ - أَي: الْمَسِيحُ بَعْدَ نَزْوِلِهِ - أَرْبَعِينَ سَنَةً
 وَيَتَوَقَّى، وَيَصْلِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»، أَرْجَعَ إِلَى تَفْسِيرِ
 الْآيَةِ ٥٧٦ مِنْ سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» ص ٧٢، وَإِلَى تَعْلِيْقِنَا
 ص ١٣٠.

(٢) قوله تعالى: «إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَلْيَنْهَهُمْ عِبَادَكَ...». أَخْرَجَ

مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانٍ وَغَيْرُهُمْ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، ثَلَاثَ قَوْلٍ لِلَّهِ فِي إِبْرَاهِيمَ: «رَبِّ إِنِّهُنَّ أَضْلَلْنِ
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» الْآيَةَ، وَقَوْلُ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ: «إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَلْيَنْهَهُمْ عِبَادَكَ» الْآيَةَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «أَمَّنِّي أَمَّنِّي» وَبَكَى... فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جَبْرِيْلُ،
 اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أَمْتِكَ وَلَا نَسْأُؤُكَ».

(٣) قوله: «وَخَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ الْخ»، لَوْ اسْتَغْنَى الْجَلَالُ السِّيَاطِي عَنْهُ لَكَانَ أَحْسَنَ، لِأَنَّ مَا قَصَدَ نَفْيَهُ، لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِ عَامَةِ النَّاسِ بِالْفِطْرَةِ، بَلْ فِيهِ
 إِثَارَةُ شَكْوِكَ وَأَفْكَارِهِ، قَدْ تَكُونُ وَخِيمَةً الْعَاقِبَةُ، فَلَا دَاعِيَ إِلَى تَخْصِيصِ مَا لَا خُصُوصَ لَهُ فِي الْوَاقِعِ، وَلَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَالْعَمُومُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «كُلُّ
 شَيْءٍ» لَا خُصُوصَ لَهُ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مَا سِوَى اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى - وَإِنْ كَانَ يَسْمَى شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً؟ قُلْ
 اللَّهُ» -، لَا تَدْخُلُ ذَاتُهُ الْعَلِيَّةُ تَحْتَ الْعَمُومِ، لِيَخْصُصَهَا الْعَقْلُ، كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ السِّيَاطِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ﴾ (١)

(مكية إلا: «وما قَدَرُوا اللَّهَ» الآيات الثلاث، وإلا: «قل تعالوا» الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ وَفَاتَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ

١ ﴿الحمد﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابت
﴿لله﴾ وهل المراد: الإعلام بذلك، للإيمان
به، أو: الشاء به، أو: هما؟ احتمالات أُفِيدَها
الثالث، [أي: للإيمان والثناء معاً]، قاله الشيخ
[الجلال المحلي]، في [تفسير أول] سورة
«الكهف» «الذي خلق السماوات والأرض»
خصهما بالذكر، لأنهما أعظم المخلوقات
لِلنَّاطِرِينَ ﴿وجعل﴾ خلق ﴿الظلمات والنور﴾
أي: كل ظلمة ونور، وجمعها دونه، لكثرة
أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثم الذين
كفروا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بربهم يعدلون﴾
يسوون به غيره في العبادة. ٢ هو الذي
خلقكم من طين ﴿بخلق أبيكم آدم منه﴾ ثم
قضى أجلاً ﴿لكم تموتون عند انتهائه﴾ وأجل
مسمى ﴿مضروب عنده﴾ لبعثكم ﴿ثم أنتم﴾
أيها الكفار ﴿تموتون﴾ تشكون في البعث، بعد
علمكم أنه [تعالى] ابتداء خلقكم، ومن قدر
على الابتداء، فهو على الإعادة أقدر. ٣ وهو
الله ﴿مستحق للعبادة﴾ في السماوات وفي
الأرض يعلم سركم وجهركم ﴿ما تسرون، وما
تجهرون به بينكم﴾ ويعلم ما تكسبون ﴿تعملون
من خير وشر. ٤ ﴿وما تأتيتهم﴾ أي: أهل مكة
﴿من﴾ زائدة، [أو تبعضية] آية من آيات
ربهم ﴿من القرآن﴾ إلا كانوا عنها معرضين
[وإعراضهم كان بسبب تقليدهم الأعمى، للآباء
والأجداد، لا عن تفكر وتأمل]. ٥ فقد كذبوا

بالحق ﴿القرآن﴾ لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ﴿عواقب﴾ ما كانوا به يستهزئون [وهو القتل والأسر في
الدنيا، والعذاب الدائم في الآخرة]. ٦ أَلَمْ يَرَوْا في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كم﴾ خبرية بمعنى: كثيراً

(١) قوله: «سورة الأنعام»، أخرجه الطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت علي سورة
الأنعام، ومعها مركب من الملائكة، يسد ما بين الخافقين، لهم زجل وتسيح، والأرض ترتج»، قال أنس: ورسول الله ﷺ يقول: «سبحان
الله العظيم، سبحان الله العظيم»، وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام،
سبح رسول الله ﷺ، ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سدا الأفق».

﴿أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿مكناهم﴾ أعطيناهم مكاناً ﴿في الأرض﴾ بالقوة والسعة ﴿ما لم نمكن﴾ نعط ﴿لكم﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وأرسلنا السماء﴾ المطر ﴿عليهم مدراراً﴾ متتابعاً ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ تحت مساكنهم ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾.

٧ [ونزل في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل بن خويلد، لما قالوا: لن نؤمن لك، حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه، أنه من عند الله، وأنتك رسوله]: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً مكتوباً﴾ ﴿في قرطاس﴾ رق، كما اقترحوه ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أبلغ من «عائنه»، لأنه أنفى للشك ﴿لقال الذين كفروا إن﴾ ما ﴿هذا إلا سحر مبين﴾ تعتأ وعناداً.

٨ ﴿وقالوا﴾ [أي: كفار مكة] ﴿لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿ملك﴾ يصدقه ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ كما اقترحوا، فلم يؤمنوا ﴿لقضي الأمر﴾ بهلاكهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ يمهلون، لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم، من إهلاكهم عند وجود مقتترحهم، إذا لم يؤمنوا.

٩ ﴿ولو جعلناه﴾ أي: المنزل إليهم ﴿ملكاً لجعلناه﴾ أي: الملك ﴿رجلاً﴾ أي: على صورته، ليتمكنوا من رؤيته، إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿ولو أنزلناه وجعلناه رجلاً للبسنا﴾ شبهنا ﴿عليهم ما يلبسون﴾ على أنفسهم، بأن يقولوا: «ما هذا إلا بشر مثلكم».

١٠ ﴿ولقد استهزى﴾ يرسل من قبلك ﴿فيه تسلياً للنبي ﷺ﴾ ﴿فحاق﴾ نزل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب، فكذا يحق بمن استهزأ بك.

١١ ﴿قل﴾ لهم ﴿سيروا في الأرض﴾ ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿الرسل﴾ من هلاكهم بالعذاب، ليعتبروا.

١٢ ﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله﴾ إن لم يقولوه، [فإنه] لا جواب غيره ﴿كتب﴾ قضي ﴿على نفسه الرحمة﴾^(١) فضلاً منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿ليجمعنكم إلى﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمُكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ هَاقُ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٦﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَى

(١) قوله تعالى: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾، أخرج مسلم وأحمد، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله يوم خلق السماوات والأرض، مائة رحمة، منها رحمة يتراحم بها الخلق، وتسع وتسعون ليوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة» أي: فتعود مائة رحمة، يرحم الله بها عباده المؤمنين يوم القيامة.

وأخرج الترمذي وصححه، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق، كتب كتاباً بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي»، فرحمته تعالى في الدنيا عامة لجميع الخلق بلا استثناء، فهو خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم، أما في الآخرة، فإن رحمة الله لا تكون إلا للمؤمنين، ولا رحمة ولا مغفرة لمن كفر بالله تعالى، بل عليه لعنة وغضب من الله، ومأواه جهنم خالداً فيها أبداً. أرجع إلى تعليقنا حول «الدعاء للكافر والاستغفار له» ص ٢٦١.

يوم القيامة ﴿ليجازيكم بأعمالكم﴾ لا ريب ﴿شك﴾ فيه الذين خسروا أنفسهم ﴿بتعريضها للعذاب، مبتدأ، خبره﴾: ﴿فهم لا يؤمنون﴾. ١٣ ﴿وله﴾ تعالى ﴿ما سكن﴾ حل ﴿في الليل والنهار﴾ أي: كل شيء، فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وهو السميع﴾ لما يقال ﴿العليم﴾ بما يفعل. ١٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿أغیر الله أنخذ ولياً﴾ أعبدہ ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿وهو يطعم﴾ يَرْزُقُ ﴿ولا يطعم﴾ يَرْزُقُ ؟. فسيكون الجواب الذي لا جواب غيره، وهو: لا ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ الله من هذه الأمة ﴿وقيل لي﴾: ﴿لا تكونن من المشركين﴾ به. ١٥ ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بعبادة غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو: يوم القيامة. ١٦ ﴿من يصرف﴾ بالبناء للمفعول، أي: العذاب، و﴿في قراءة بالبناء﴾ للفاعل أي: الله، والعائد محذوف [تقديره: «يصرفه»] ﴿عنه يومئذ فقد رحمته﴾ تعالى، أي: أراد له الخير ﴿وذلك الفوز المبين﴾ أي: النجاة الظاهرة. ١٧ ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ بلاء، كمرض وفقر ﴿فلا كاشف﴾ رافع ﴿له إلا هو وإن يمسسك بخير﴾ كصحة وغنى ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ ومنه مسك به، [أي: بالخير، وبالضير]، ولا يقدر على رده عنك غيره. ١٨ ﴿وهو القاهر﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء، مستعلياً ﴿فوق عباده وهو الحكيم﴾ في خلقه ﴿الخبير﴾ بواطنهم كظواهرهم. ١٩ ونزل لما قالوا للنبي ﷺ: اثنتا بمن يشهد لك بالنبوة، فإن أهل الكتاب أنكروك: ﴿قل﴾ لهم ﴿أي شيء أكبر شهادة﴾ تمييز محوّل عن المبتدأ، [والأصل: شهادة أي شيء أكبر؟] ﴿قل الله﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره، هو ﴿شاهد بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم﴾ أخوفكم يا أهل مكة [وغيرها] ﴿به ومن بلغ﴾ عطف على ضمير «أنذركم»^(١) أي: [ولينذر به كل من بلغه القرآن، من الإنس والجن،] قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن، فكانما أبلغه محمد ﷺ، أي: كأنه رأى محمداً ﷺ، وسمع منه، فعلى كل ذي علم، من كتاب الله وسنة نبيه، أن يبلغه إلى غيره، قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» رواه البخاري، وقال ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً، فبلغه كما سمعه، قرّب مبلّغ أوعى من سامع» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

البقرة

يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسْسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسْسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ وَأَخُوفَكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ [وغيرها] ﴿به ومن بلغ﴾ عطف على ضمير «أنذركم»^(١) أي: [ولينذر به كل من بلغه القرآن، من الإنس والجن،] قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن، فكانما أبلغه محمد ﷺ، أي: كأنه رأى محمداً ﷺ، وسمع منه، فعلى كل ذي علم، من كتاب الله وسنة نبيه، أن يبلغه إلى غيره، قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» رواه البخاري، وقال ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً، فبلغه كما سمعه، قرّب مبلّغ أوعى من سامع» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(١) قوله: «عطف على ضمير - أنذركم - الخ» يحتل وجهين ذكرهما العلماء:

أحدهما: أن اسم الموصول - «مَنْ» - معطوف على ضمير الفاعل المستتر في: «أنذركم»، أي: «لأنذركم بالقرآن ولينذر به من بلغه من الثقلين».

وثانيهما: أن اسم الموصول المذكور، معطوف على الضمير - المفعول - من: «أنذركم»، أي: «لأنذركم به ولأنذر به مَنْ بلغه من الثقلين»، والمعنى الأول أوضح كما هو الظاهر، والله أعلم.

﴿أنتكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾؟ استفهام إنكار ﴿قل﴾ لهم ﴿لا أشهد﴾ بذلك ﴿قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾ معه من الأصنام [وغيرها].

٢٠ ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ أي: محمداً، بنعته في كتابهم ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ [فالذين آمنوا به فازوا، والذين خسروا أنفسهم] منهم [يادخالها النار المؤبدة عليهم] ﴿فهم لا يؤمنون﴾ به.

٢١ ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ بذلك.

٢٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا﴾ توبيخاً ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء لله؟

٢٣ ﴿ثم لم تكن﴾ بالتاء والياء ﴿فتنتهم﴾ بالنصب والرفع^(١)، أي: معذرتهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قولهم [وهم في النار يعذبون]: ﴿والله ربنا﴾ بالجر نعت، و[على قراءة] النصب نداء، [أي: «والله يا ربنا»] ﴿ما كنا مشركين﴾ [بك].

٢٤ قال تعالى: ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترونه﴾ - على الله من الشركاء.

٢٥ ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ إذا قرأت ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغشية، لـ ﴿أن﴾ لا ﴿يفقهوه﴾ يفهموا القرآن ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ صمماً، فلا يسمعون سماع قبول ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا

(١) قوله: «بالنصب والرفع».

إن ما ذكره السيوطي هنا ليس واضحاً ولا مفصلاً، وبيانه: أن في هذه الآية ثلاث قراءات سبعة

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٢٠ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢١ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ٢٢ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ٢٣ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٤ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٢٥ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا

١٦٥

ضبطها كما يلي:

على قراءة «تكن» بالتاء، يصح رفع «فتنتهم» اسماً لها، ويصح نصبها خبراً مقدماً، وعلى كلا الحالتين يتعين جر «ربنا»، فهنا قراءتان:

الأولى: «ولم تكن فتنتهم» - بالرفع - إلا أن قالوا والله ربنا - بالجر - .

الثانية: «ولم تكن فتنتهم» - بالنصب - إلا أن قالوا والله ربنا - بالجر - أيضاً.

وعلى قراءة «يكن»: - بالياء - فليس إلا نصب «فتنتهم» خبراً مقدماً، ويتعين نصب «ربنا»، أي: «ولم يكن فتنتهم» - بالنصب فقط - إلا أن قالوا والله ربنا - بالنصب فقط - على النداء أي: يا ربنا... وهذه هي القراءة الثالثة.

﴿إِلَّا أَصَاطِيرُ أَكَاذِبٍ﴾ ﴿الْأُولِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع «أسطورة» بالضم.

٢٦ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْتَوُونَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في [عنه] «أبي طالب» كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وَأِنْ﴾ ما «يهلكون» بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

٢٧ ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ وَقَفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ﴾

المؤمنين ﴿بَرْفَعِ الْفَعْلَيْنِ اسْتِثْنَاءً، وَنَصْبُهُمَا فِي جَوَابِ التَّمْنَى، وَرَفَعَ الْأَوَّلَ وَنَصَبَ الثَّانِي، [فَهَذِهِ ثَلَاثُ قَرَاءَاتٍ سَبْعِيَّةٍ، أَمَّا نَصْبُ الْأَوَّلِ وَرَفَعَ الثَّانِي، فَهِيَ قَرَاءَةٌ شَاذَةٌ] وَجَوَابُ «لَوْ» [تَقْدِيرُهُ:] لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا.

٢٨ قال تعالى: ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان، المفهوم من التمني ﴿بِدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ ما كانوا يخفون من قبل ﴿يَكْتُمُونَ﴾ بقولهم: «والله ربنا ما كنا مشركين»، بشهادة جوارحهم، فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رَدُّوا﴾ إلى الدنيا فَرَضًا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان.

٢٩ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿إِنْ﴾ ما ﴿مَيِّ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الحياة أخرى].

٣٠ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخاً: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا﴾ إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلْبَسْنَا نُرْدُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

٣١ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ بالبعث ﴿حَتَّى﴾ غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا﴾ هي: شدة التألم، ونداءها مجاز، أي: هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَى مَا فَرَطْنَا﴾ قَصَرْنَا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ [أي: ذنوبهم، كالكفر وغيره] ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث، في أفتح شيء صورة، وأنته ربحاً، فتركبهم ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بش ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه، [أي: بشس الحمل] حملهم ذلك.

٣٢ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعات، وما يُعِينُ عَلَيْهَا، فمن أمور الآخرة.

﴿وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ وفي قراءة: «ولدار الآخرة»، أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ - بالياء والتاء - ذلك، فيؤمنون؟ ٣٣ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق^(١) ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لِيَحْزُنَكَ﴾ الذي يقولون ﴿لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ﴾ فإنهم لا يكذبونك ﴿فِي السَّرِّ﴾، لعلمهم أنك صادق، وفي قراءة بالتخفيف [أي: بفتح الياء وكسر الذا] مخففة [أي: لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [الكافرين]، وضعه موضع المضمر [فقال: «ولكن الظالمين» بدل «ولكنهم»] ﴿يَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون. ٣٤ ﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ﴾ من قبلك ﴿فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾ فاصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴿يَاهْلَاكَ قَوْمُهُمْ﴾، فاصبر حتى يأتيك النصر يهلك قومك ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مواعيد [بالنصر لرسله وعباده المؤمنين] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلبك.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كَذَبْتَ
رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا حَتَّى
أَتَتْهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ
نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنْ كَانَ كَبِيرٌ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيَهُمْ بِعَايَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ ﴿٣٦﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

٣٥ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبِيرٌ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام، لحرصك عليهم ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سرياً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ فتأتيهم بآية ﴿مِمَّا اقْتَرَحُوا﴾ [ليؤمنوا]، فافعل، المعنى: أنك لا تستطيع ذلك، فاصبر حتى يحكم الله [بينك وبينهم] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ولكن لم يشأ ذلك، فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ﴾ بذلك، [هذا نهى له ﷺ عن هذه الحالة، وهذا النهي لا يقتضي إقدامه على ذلك، كما أن قوله: «ولا تطع الكافرين والمنافقين»، لا يعني أنه أطاعهم وقبل دينهم، وإنما ذلك مجرد تنبيه، لتبنيته والتخفيف من حرصه عليهم].

٣٦ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَى﴾ أي: الكفار، شبههم^(٢) بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يردون، فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿آيَةً﴾ مما

اقترحوا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلاء عليهم، لرجوب هلاكهم إن جحدوها.

(١) قوله: «للتحقيق» أي: إن مجيء الفعل المضارع بعد «قد»، في هذه الآية وأمثالها من القرآن الكريم، لا يجعلها تفيد «التقليل» كما هي القاعدة، هذا ما حكاه بعض النحويين، وعليه مشى الجلالان في هذا التفسير، ولكن العلامة ابن هشام في كتابه «مغني اللبيب»، يؤيد إبقاء المعنى على أساس القاعدة، وأنها تفيد التقليل، أرجع إلى بيان قوله هذا في تعليقنا ص ٤٦٩.

(٢) قوله: «شبههم بهم في عدم السماع»، أرجع إلى تعليقنا حول «سماع الموتى» ص ٥٣٧.

٣٨ ﴿وَمَا مِنْ ذَاةٍ﴾ ذابة ﴿تمشي﴾ في الأرض ولا طائر يطير ﴿في الهواء﴾ بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴿في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها﴾ ما فرطنا ﴿تركنا﴾ في الكتاب اللوح المحفوظ ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ فلم نكتبه ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ فيقضي بينهم، ويقتصر للجَمَاء من القراء، ثم يقول: لهم كونوا تراباً، أخرج ذلك عبد الرزاق، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة مرفوعاً، وروى مسلم عنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لَتَوُذَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجَلْحَاء - أي: التي لا قرن لها - من الشاة القراء﴾.

٣٩ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿صم﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وبكم﴾ عن النطق بالحق ﴿في الظلمات﴾ [أي: في] الكفر ﴿من يشأ﴾ الله ﴿إضلاله﴾ يضلله ومن يشأ ﴿هدايته﴾ يجعله على صراط ﴿طريق﴾ مستقيم ﴿دين﴾ الإسلام.

٤٠ ﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أرايتكم﴾ أخبروني ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ في الدنيا ﴿أو أتتكم الساعة﴾ القيامة المشتملة عليه، بغتة ﴿أغير الله تدعون؟﴾ لا ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن الأصنام تنفعكم، فادعوها.

٤١ ﴿بل إياه﴾ لا غيره ﴿تدعون﴾ في الشدائد ﴿فيكشف﴾ الله ﴿ما تدعون إليه﴾ أن يكشفه عنكم، من الضر ونحوه ﴿إن شاء﴾ كشفه وتسون ﴿تتركون﴾ ما تشركون معه من الأصنام، فلا تدعونه.

٤٢ ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من﴾ زائدة ﴿قبلك﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فأخذناهم بالبأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض، [وعن سعيد بن جبير قال: «البأساء والضراء»، خوف السلطان، وغلا السعر، أي: يسلط الله عليهم ولأه ظالمين، وتصبح معيشتهم في الحياة الدنيا صعبة لا هناءة فيها] ﴿لعلهم يتضرعون﴾ يتذللون فيؤمنون.

٤٣ ﴿فلولا﴾ فهلاً ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك، مع قيام المقتضي له ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فلم تَلَنَ للإيمان ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ من المعاصي، فأصروا عليها^(١).

٤٤ ﴿فلما نسوا﴾ تركوا ﴿ما ذكروا﴾ وعظوا وخوفوا ﴿به﴾ من البأساء والضراء، فلم يتعظوا ﴿فتحننا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم أبواب كل شيء﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حتى إذا فرحوا﴾

الْحُجَّةُ الْبَاطِلَةُ

وَمَا مِنْ ذَاةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكْرٌ فِي الْأُظْلُمِ مَنْ يَسْأَلِ اللَّهَ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَسْأَلِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

(١) قوله: «فأصروا عليها»، إن الإصرار على الصفات من الذنوب يجعلها كبائر، ارجع إلى تعليقنا حول «الإصرار على المعصية» ص ٨٥، وتعليقنا حول «كبائر الذنوب وصفاتها» ص ٦٤٢، وحول «محقرات الذنوب» ص ٧٠٢.

بما أوتوا ﴿فَرَحَ بَطَرٍ﴾ ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مَبْلُسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

٤٥ ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخرهم، بأن استؤصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

٤٦ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة [وغيرهم] ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمكم ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أعماكم ﴿وَوَخْتُمْ﴾ وختمكم ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم؟ ﴿انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ﴾ يعرضون، فلا يؤمنون.

٤٧ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُ عَذَابُ اللَّهِ﴾ بغتة أو جهرة ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ هل يهلك إلا القوم الظالمون الكافرون؟، أي: ما يهلك إلا هم.

٤٨ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٤٩ ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَمْسُحُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة.

٥٠ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾^(١) التي منها يرزق ﴿وَلَا أَنِّي﴾ أعلم الغيب ﴿مَا غَابَ عَنِّي وَلَمْ يُوْحِ إِلَيَّ﴾ ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى الكافر والبصير المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك، فتؤمنون؟^(٢)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

بِمَا أوتوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١﴾ فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُحُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٧﴾

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، الآية، هكذا وبكل صراحة أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ، أن يقول للمعاندِين، الذين طلبوا رزقاً أوسع ومعجزات أخرى، وهذا من أوضح الأدلة على صدقه عليه الصلاة والسلام، فإنه لم يعدّهم بشيء مما طلبوا، ولم يسأيرهم، ولم يدّع ما ليس بيده، بل أعلن لهم أنه رسول الله، ولا يتبع إلا ما يوحى إليه من ربه، وأنه جاء ليدعوهم إلى الله عز وجل، فينالوا بالإيمان، شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴿وذلك هو الفوز المبين﴾.

(٢) قوله: ﴿فَتُؤْمِنُونَ﴾ هو هكذا، مرفوع بثبوت النون، كما في المخطوطات، لأنه معطوف على «تتفكرون»، وليس جواباً للنفي لينصب، ومثل هذه الكلمة يتكرر كثيراً في هذا التفسير، وهي في بعض الطباعات المتداولة بحذف النون، وهو خطأ.

٥١ ﴿وَأَنْذِرْ﴾ خوف ﴿به﴾ أي: القرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه﴾ أي: غيره ﴿ولي﴾ ينصروهم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم، وجملة النفي، حال من ضمير: «يُحشروا»، وهي محل الخوف، والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لعلهم يتقون﴾ الله، بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات. ٥٢ ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾^(١) ربهم بالغداة والعشي يريدون ﴿بعبادتهم﴾ وجهه ﴿تعالى﴾ لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك، طمعاً في إسلامهم ﴿ما عليك من حسابهم من زائدة﴾ شيء. إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم﴾ جواب النفي ﴿فتكون من الظالمين﴾ إن فعلت ذلك.

الْمُزَالِمِينَ

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ [بِالْكِسْرِ] أَي: الشان، وفي قراءة: بالفتح بدل من «الرحمة»، من عمل منكم سوءاً بجهالة منه حيث ارتكبه ثم تاب رجع من بعده بعد عمله، عنه وأصلح عمله فإنه [بِالْكِسْرِ] أي: الله غفور له رحيم به، وفي قراءة بالفتح، أي: بالمغفرة له.

٥٣ ﴿وكذلك فتنا﴾ ابتلينا ﴿بعضهم ببعض﴾ أي: الشريف بالوضع، والغني بالفقر، بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿ليقولوا﴾ أي: الشرفاء والأغنياء منكرين: ﴿أهؤلاء﴾ الفقراء ﴿من الله عليهم من بيننا﴾ بالهداية؟، أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال تعالى: ﴿اليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ له، فيهديهم؟ بلى [هو أعلم بالشاكرين]. ٥٤ ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل﴾ لهم ﴿سلام عليكم كتب﴾ قضى ﴿ريكم على نفسه الرحمة إنه﴾ [بالكسر] أي: الشان، وفي قراءة: بالفتح بدل من «الرحمة»، من عمل منكم سوءاً بجهالة منه حيث ارتكبه ثم تاب رجع من بعده بعد عمله، عنه وأصلح عمله فإنه [بالكسر] أي: الله غفور له رحيم به، وفي قراءة بالفتح، أي: بالمغفرة له.

٥٥ ﴿وكذلك﴾ كما بيئنا ما ذكر ﴿نفصل﴾ نين ﴿الآيات﴾ القرآن، ليظهر الحق فيعمل به ﴿ولتستبين﴾ تظهر ﴿سبيل﴾ طريق ﴿المجرمين﴾ فتجنب، وفي قراءة بالتحانية، وفي أخرى بالفوقانية ونصب «سبيل»، خطا للنبي ﷺ.

٥٦ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ الآية أخرجه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وبلال ورجل من هذيل وأثنى... قال بعض العرب للنبي ﷺ: اطردهم، فلما نستحي أن نكون تبعاً لهؤلاء، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله أن يقع، فأنزل الله هذه الآية. وفي مثل ذلك نزل أيضاً قوله تعالى في سورة «الكهف»: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً...﴾ الآيةين ٢٨ و ٢٩، وكذلك قال قوم نوح من قبل: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ وطلبوا منه =

قل لا أتبع أهواءكم في عبادتها قد ضللت إذا إن اتبعتها وما أنا من المهتدين. ٥٧ قل إني على بينة بيان من ربي وقد كذبتكم به بربي، حيث أشركتم ما عندي ما تستعجلون به من العذاب إن ما الحكم في ذلك وغيره إلا الله يقض [بالصاد المعجمة]، القضاء [الحق وهو خير الفاصلين] الحاكمين، وفي قراءة يقض [بالصاد المهملة] أي: يقول. ٥٨ قل لهم لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم بأن أعجله لكم وأستريح، ولكنه عند الله والله أعلم بالظالمين متى يعاقبهم. ٥٩ وعنده تعالى مفاتيح الغيب خزائنه، أو الطرق الموصلة إلى علمه لا يعلمها إلا هو وهي الخمسة التي في قوله: إن الله عنده علم الساعة الآية، كما رواه البخاري (١) ويعلم ما يحدث في البر القفار والبحر القرى التي على الأنهار (٢)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ٥٦ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ٥٧ إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ٥٨ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ٥٩ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٦٠ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٦١ وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

= أن يطردكم، فأجابهم نوح عليه السلام: «وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملائكة ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون» ويا قوم من يصبرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون، وبذلك حطم المرسلون جيروت الطغاة والكافرين.

(١) قوله: «كما رواه البخاري»، أي: وأحمد وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير»، الآية الأخيرة من (سورة لقمان) ص ٥٤٤، فلا يعلم متى «يوم القيامة» إلا الله «لا يحلها لوقتها إلا هو»، وهو تعالى الذي ينزل المطر بمقدار ما يشاء، ومتى يشاء، وأين يشاء، لا يقدر على ذلك غيره، أما نشرات مراكز «الرصد الجوي» بخصوص الطقس

والمطر، فما هي إلا توقعات، مبنية على تقلب التيارات الهوائية، وليست إخباراً بالغيب، وهو تعالى وحده الذي يعلم ما في «الأرحام» قال تعالى: «وننزل في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى» أي: نثبت فيها الجنين، ذكر أو أنثى، واحداً أو أكثر، إن الإنسان لا يعلم شيئاً من ذلك، بل هو عاجز عن أن يعرف ماذا سيفعل في المستقبل، بل كثيراً ما يعجز عن فعل ما كان يريد أن يفعله، ويفعل غيره، كما أنه لا يدري أين يموت، ولا يعلم متى يموت، فسبحان الله علام الغيوب.

(٢) قوله: «القرى التي على الأنهار»، إن تفسير «البحر» بهذا، لا وجه له، والصحيح الذي عليه جمهور المفسرين: أن المراد «البر والبحر» المعروفان، وفيهما من عجائب المخلوقات ما لا يعلمه إلا الله تعالى، والآية في معرض بيان سعة علمه تعالى، فليس معنى قوله: «ويعلم ما في البر والبحر» أنه يعلم ما يحدث فيهما فقط، بل وما خلق فيهما من مخلوقات.

حَفَظَةُ ﴿ملائكة تحصي أعمالكم﴾ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته ﴿وفي قراءة «توفاه»﴾ رسلنا ﴿الملائكة الموكلون بقبض الأرواح﴾ وهم لا يفرطون ﴿يقصرون فيما يؤمرون به﴾ ٦٢ ﴿ثم رُدُّوا﴾ أي: الخلق ﴿إلى الله مولاهم﴾ مالكم ﴿الحق﴾ الثابت العدل، ليجازيهم ﴿إلا له الحكم﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ يحاسب الخلق كلهم، في قدر نصف نهار، [مقداره خمسون ألف سنة، - وليس] من أيام الدنيا^(١) - لحديث بذلك [رواه ابن حبان في صحيحه]. ٦٣ ﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة [وغيرهم] ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ أهوالهما، في أسفاركم، حين ﴿تدعونه تضرعاً﴾ علانية ﴿وخفية﴾ سرّاً، تقولون: ﴿لئن﴾ لا قسم ﴿أنجيتنا﴾ وفي قراءة «أنجانا»، أي: الله ﴿من هذه﴾ الظلمات والشدائد ﴿لنكونن من﴾

الشاكرين ﴿المؤمنين﴾. ٦٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿الله﴾ ينجيكم ﴿بالتخفيف والتشديد﴾ منها ومن كل كرب ﴿غمٌ سواها﴾ ثم أنتم تشركون ﴿به﴾. ٦٥ ﴿قل﴾ هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴿من السماء﴾، كالحجارة والصيحة ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كالخسف ﴿أو يلبسكم﴾ يخلطكم ﴿شيعاً﴾ فرقاً مختلفة الأهواء ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: ﴿هذه أهون وأيسر﴾، ولما نزل ما قبله: [قال: «أعوذ بوجهك»]، رواه البخاري، وروى مسلم حديث: «سألت ربي ألا يجعل بأس أمي بينهم، فمنعنيها»، وفي حديث [أخرجه أحمد والترمذي - وحسنه - عن سعد بن أبي وقاص قال: «لما نزلت قال ﷺ: «أما إنها كائنة، ولم يأت تأويلها بعد»] انظر كيف نصرف ﴿نبين لهم﴾ ﴿الآيات﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لعلهم يفقهون﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل. ٦٦ ﴿وكذب به﴾ بالقرآن ﴿قومك﴾ وهو الحق ﴿الصدق﴾ ﴿قل﴾ لهم ﴿لست عليكم بوكيل﴾ فأجازيكم، إنما أنا منذر، وأمركم إلى الله، وهذا قبل الأمر بالقتال^(٢). ٦٧ ﴿لكل نبي﴾ خبر ﴿مستقر﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وسوف تعلمون﴾ تهديد لهم. ٦٨ ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تجالسهم

الْبُرْهَانُ

حَفَظَةُ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمُ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرِفُ أَلَا يَتْلُو لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِكَيْلٍ بِكُمْ ﴿٦٧﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

(١) قوله: «من أيام الدنيا»، هذا سبق قلم من الجلال السيوطي رحمه الله، فصورنا العبارة على النحو المذكور في التفسير، وبيننا ذلك مع الأدلة في تعليقنا ص ٣٣٧ فارجع إليه.

(٢) قوله: «وهذا قبل الأمر بالقتال» يتكرر كثيراً في هذا التفسير، ومعناه: أن الآيات التي فيها مهادة الكفار، أو طلب الكف عنهم، أو الصبر على أذاهم وعدم مقاتلتهم، كلها منسوخة الحكم بالأمر بالقتال، وخصوصاً آية السيف وهو قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية الخامسة من سورة «التوبة».

﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما﴾ فيه إدغام نون ﴿إن﴾ الشرطية في ﴿ما﴾ المزيدة ﴿ينسينك﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد ﴿الشيطان﴾ فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ أي: [بعد] تذكره ﴿مع القوم الظالمين﴾^(١) فيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

٦٩ وقال المسلمون^(٢): إن قمنا كلما خاضوا، لم نستطع أن نجلس في المسجد، وأن نطوف، فنزل: ﴿وما على الذين يتقون﴾ الله ﴿من حسابهم﴾ أي: الخائضين ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ إذا جالسوهم ﴿ولكن﴾ عليهم ﴿ذكرى﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لعلهم يتقون﴾ الخوض.

٧٠ ﴿وذُرِّ﴾ اترك ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذي كُفُّوه ﴿لعباً ولهواً﴾ باستهزائهم به ﴿وغرَّتْهم الحياة الدنيا﴾ فلا تتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وذكر﴾ عظ ﴿به﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تبسل﴾ نفس ﴿تُسَلِّمَ﴾ إلى الهلاك ﴿بما كسبت﴾ عملت ﴿ليس لها من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ تقد كل فداء ﴿لا يؤخذ منها﴾ ما تفدي به ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ [أي: أهلكوا أنفسهم] ﴿بما كسبوا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب اليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ [أي: يكفروهم].

٧١ ﴿قل أندعو﴾ أنعبد ﴿من دون الله﴾ ما لا ينفعنا بعبادته ﴿ولا يضرنا﴾ بتركها، وهو: الأصنام [وغيرها] ﴿ونرد على أعقابنا﴾ نرجع مشركين ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ إلى الإسلام ﴿كالذي استهوته﴾ أضلته ﴿الشياطين في الأرض حيران﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب، حال من الهاء، [أي: الضمير في «استهوته»] ﴿له أصحاب﴾ رفقة ﴿يدعوناه إلى الهدى﴾ أي: ليهدهو الطريق، يقولون له ﴿ائتنا﴾ فلا يجيبهم فيهلك، والاستفهام [في: «أندعو»] للإنكار، [أي: لن نفعل ذلك]، وجملة التشبيه، حال من ضمير «نرد» ﴿قل إن هدى الله﴾ الذي هو الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وما عداه ضلال

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لِّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ۚ وَذِكْرِيهِ ۚ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ۚ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهَوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا ۚ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ۚ أَتُنَبِّئُكَ أَنَّ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ

(١) قوله تعالى: ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾. يؤخذ من هذه الآية، وجوب اجتناب مجالس الملحدين والزنادقة وأهل اللغو والفجور، والخطاب له ﷺ ولأمته جميعاً في كل زمان ومكان، فما أكثر الذين يضلون الناس ويسعون في الأرض فساداً، فعلى المسلم واجب الدفاع عن دينه والوقوف في وجه أعدائه أجمعين.

(٢) هذا أحد قولين في الآية، وعليه، فحكمها منسوخ بقوله تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ الآية (١٣٩) من سورة «النساء» الماثلة، وعلى القول الآخر يكون المعنى: إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم، فقد برئوا من عهدهم، وتخلصوا من إثمهم، ولو خاضوا في آيات الله بعد ذلك.

﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ﴾ أي: بأن نسلم ﴿لرب العالمين﴾. ٧٢ ﴿وَأَنْ﴾ أي: [وأمرنا] بأن ﴿أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾ تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب [والجزاء]. ٧٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققاً، [لِحُكْمٍ وَمَنَافِعٍ لِّعِبَادِهِ، لَا عِشَاءَ] ﴿وَوَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشَّيْءِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة، يقول للخلق: قوموا فيقوموا ﴿قَوْلُهُ الْحَقِّ﴾ الصِّدْقُ الْوَاقِعُ لَا مُحَالَةَ ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، النفخة الثانية من إسرافيل، لَا مُلْكُ فِيهِ لِغَيْرِهِ، ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ [الواحد القهار] ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ مَا غَاب [عَنْ وَسَائِلِ إِدْرَاكِ النَّاسِ، وَهِيَ: الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ]، وَمَا شَوَّهَدَ [أي: أدرك بها] ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي خَلْقِهِ ﴿الْخَبِيرُ﴾ بِبَاطِنِ الْأَشْيَاءِ كَظَاهِرِهَا.

الْمُرَّةِ السَّابِعُ

٧٤ ﴿وَوَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَ﴾ هو: لَقَبُهُ وَاسْمُهُ «تَارَخُ» ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تَعْبُدُهَا؟ إِسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ بِاتِّخَاذِهَا ﴿فَنِي ضَلَالٍ﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿مُبِينٍ﴾ بَيِّنٍ. ٧٥ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا أَرَيْنَاهُ إِضْلَالَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ مَلِكِ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا، [تَعْلِيمًا لِقَوْمِهِ] ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ بِهَا، وَجُمْلَةً: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وَمَا بَعْدَهَا، اعْتِرَاضٌ لِتَبْيِينِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَالتِّي بَعْدَهَا، وَعُطِفَ عَلَى «قَالَ» [قَوْلُهُ]:

٧٦ ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أَظْلَمَ ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ قِيلَ: هُوَ «الزُّهْرَةُ» ﴿قَالَ﴾ لِقَوْمِهِ وَكَانُوا نَجَامِينَ ﴿هَذَا رَبِّي﴾ (١) فِي رُؤْيَاكُمْ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غَابَ ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أَنْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا، لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالْإِنْتِقَالُ، لِأَنَّهُمَا مِنْ شَأْنِ الْحَوَادِثِ، فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ ذَلِكَ. ٧٧ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طَالَعًا ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ ﴿هَذَا رَبِّي﴾ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لثَنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يَنْتَبِيهِ عَلَى الْهَدْيِ ﴿لَا كُؤْنُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تَعْرِضُ لِقَوْمِهِ بِأَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالٍ، فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ ذَلِكَ. ٧٨ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ قَالَ هَذَا ذَكَرَهُ لِتَذْكِيرِ خَبِيرِهِ

وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقِّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَأُ اتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُؤْنُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا

(١) قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾

فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ، لَقَدْ تَوَقَّعَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ النُّجُومِ، ثُمَّ الْقَمَرِ، ثُمَّ الشَّمْسِ: «هَذَا رَبِّي» كَانَ عَنْ اعْتِقَادِ مَنْه بِالْوَهِيَاتِ، وَهَذَا ضَلَالٌ كَبِيرٌ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، وَالَّذِي يَجِبُ فِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ هُوَ: أَنْ يُسَلِّمَ لِخَصْمِهِ جَدًّا، يَحْكِي قَوْلَ خَصْمِهِ أَوَّلًا وَيَقْتُلُهُ - كَمَا هُوَ - غَيْرَ مُتَعَصِّبٍ، ثُمَّ يَكْرِهُ عَلَيْهِ قَيْطِلُهُ بِالْحُجَّةِ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، حَيْثُ بَيَّنَّ لَهُمْ بِالْأَدْلِيلِ الْمَحْسُوسِ، أَنَّ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، مَا هِيَ إِلَّا مَخْلُوقَاتٌ مَسْخَرَةٌ بِأَمْرِ خَالِقِهَا، فَظَهَرَ ثُمَّ تَأَمَّلْ وَتَفَقَّهْ، فَهِيَ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعْبَدَ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ مَنَظَرُ لِقَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَقَامِ الْإِسْتِدْلَالِ لِنَفْسِهِ، وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى بَرَهَانَهُ هَذَا «حُجَّةً»، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ»، فَكَيْفَ يَفْهَمُ حَاقِلَ مِنْ «الْحُجَّةِ»، أَنَّهَا اعْتِرَافٌ بِالْوَهِيَةِ الْكَوَاكِبِ؟

﴿ربّي هذا أكبر﴾ من الكوكب والقمر ﴿فلما أفلت﴾ وقويت عليهم الحجة، ولم يرجعوا ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ بالله، من الأصنام والأجرام المحدثّة، المحتاجة إلى محدث، فقالوا له: ما تعبد؟ ... ٧٩ قال [مجيباً] ﴿إني وجهت وجهي﴾ قصدت بعبادتي ﴿للذي فطر﴾ خلق ﴿السموات والأرض﴾ أي: الله ﴿حنيفاً﴾ مائلاً إلى الدين القيم، [دين التوحيد] ﴿وما أنا من المشركين﴾ به. ٨٠ ﴿وحاجّه قومه﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قال أتجاجوني﴾ بتشديد النون، وتخفيفها بحذف إحدى النونين، وهي: نون الرفع عند النحاة، ونون الوقاية عند الفراء، [أي:] أتجادلونني ﴿في﴾ وحدانية ﴿الله﴾ وقد هذان ﴿تعالى إليها﴾ ولا أخاف ما تشركون ﴿به﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء، لعدم قدرتها على شيء. ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن يشاء ربّي شيئاً﴾ من المكروه يصيبني، فيكون ﴿وسع ربّي كل شيء علماً﴾ أي: وسع علمه كل شيء. ﴿أفلا تتذكرون﴾ هذا فتؤمنون. ٨١ ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ بالله، وهي لا تضر ولا تنفع ﴿ولا تخافون﴾ أنتم من الله ﴿أنكم أشركتم بالله﴾ في العبادة ﴿ما لم ينزل به﴾ بعبادته ﴿عليكم سلطاناً﴾ حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء. ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ نحن أم أنتم؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من الأحق به - أي: وهو نحن - فاتبعوه. ٨٢ قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ أي: شرك، كما فسّر بذلك في حديث الصحيحين، [فقد أخرج الشيخان وغيرهما - واللفظ لمسلم - عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح - أي: لقمان - إن الشرك لظلم عظيم، إنما هو الشرك] ﴿أولئك لهم الأمن﴾ من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾. ٨٣ ﴿وتلك﴾ مبتدأ، ويبدل منه: ﴿حجبتنا﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله، من أقول الكوكب وما بعده، والخير ﴿آتيناهم﴾ إبراهيم ﴿أرشدناه﴾ لها، حجة ﴿على قومه﴾ نرفع درجات من نشاء ﴿بالإضافة﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَتَ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ جُبَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

والتنوين: في العلم والحكمة ﴿إن ربك حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه. ٨٤ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ ابنه (١)

(١) قوله: «ابنه»، أي: يعقوب بن إسحاق، فقد رُزق إبراهيم عليه السلام ولدين هما: «إسماعيل» الذي سبغ، والدته «هاجر»، وهو جد العرب المستعربة «العدنانيين»، ومن نسله خاتم الأنبياء محمد ﷺ، و«إسحاق» والدته «سارة»، وهو أبو «يعقوب» الذي هو «إسرائيل»، ومن ذريته «بنو إسرائيل» أي: يوسف عليه السلام وإخوته وذرياتهم. ارجع إلى تعليقنا حول «بنو إسرائيل» ص ١٠، وإلى كتابنا: «بنو إسرائيل واليهود، تاريخ ومصير».

﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنيه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيْنَاهُمْ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ٨٥ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ابنيه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم، [وهذا] يفيد: أن الذرية تتناول أولاد البنت، [لأن عيسى لا والد له] ﴿وَالْيَاسَ﴾ بن [هارون] (١) أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. ٨٦ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَالْبِسْعَ﴾ اللام زائدة (٢) ﴿وَيُونُسَ﴾ (٣) ولوطاً ﴿بَنَ هَارَانَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة.

٨٧ ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كُلًّا»، أو: «نوحاً»، و «مِنْ» للتبعض، لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٨٨ ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هُودوا إليه ﴿هَدَى اللَّهُ﴾ يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا ﴿فَرَضًا﴾ ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٨٩ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنَّبُوَّةَ﴾ فإن يكفر بها ﴿أَيَّ﴾ بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ أَرَصَدْنَا لَهَا ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار، [ومن سار على خطاهم].

٩٠ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ هم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريقهم إلى التوحيد والصبر ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ أَرَصَدْنَا لَهَا ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ أَرَصَدْنَا لَهَا ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار، [ومن سار على خطاهم].

(١) قوله: «ابن هارون أخي موسى»، في المخطوطة الأولى: «ابن أخي هارون» وهو سهو، والصحيح ما ذكرناه أخذاً من المخطوطة الثانية، «فالياس» من ذرية «هارون»، بعثه الله تعالى بعد «سليمان» إلى أهل «بعلبك»، ارجع إلى تعليقنا حول «بعلبك» ص ٥٩٤.

(٢) قوله «اللام زائدة» أي: والالف أيضاً، لأن أصل الاسم هو: «بِسْع» وهو معرفة فلا تدخله «أل» التعريف، إذ لا يتعرف الاسم من وجهين، وفي قراءة: «الْبِسْع»،

أصله: «لِيسع» نكرة، فدخلت عليه «أل» التعريف، وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد أرسل إلى قوم «إلياس» بعد وفاته أي: إلى أهل بعلبك، وقيل: إلى «بانياس» إحدى مدن ساحل الشام، والله أعلم.

(٣) قوله تعالى: «وَيُونُسَ» هو: «يونس بن مَتَّى» و «مَتَّى» هو اسم أبيه على الأصح، وهذا ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن مَتَّى»، قال ابن عباس: «ونسبه إلى أبيه»، وهذا ما رجحه الحافظ ابن حجر في «الفتح»، وقيل: هو اسم أمه، وهو من بني إسرائيل، يعود نسبه إلى «بنيامين» شقيق «يوسف» عليه السلام، وهو «ذو النون» - أي: صاحب الحوت - أرسله الله تعالى إلى أهل «نينوى» من بلاد العراق، وكانوا من عبدة الأوثان، فغاضبوه فتركهم، ثم عاد إليهم فآمنوا جميعاً، كما سيأتي في سورة «الصفات» ص ٥٩٥.

الْمُحْسِنِينَ

كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٨﴾ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي اللَّهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩١﴾

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٢﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

﴿للعالمين﴾ الإنس والجن . ٩١ ﴿وما قدروا﴾ أي: اليهود ﴿الله حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم، أو: ما عرفوه حق معرفته ﴿إذ قالوا﴾ للنبي ﷺ - وقد خاصموه في القرآن - : [يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «نعم» فقالوا:] ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء قل﴾ لهم ﴿مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه﴾ بالياء والتاء، في المواضع الثلاثة^(١) ﴿قراطيس﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿يبدونها﴾ أي: ما يحبون إبداءها منها ﴿ويخفون كثيراً﴾ مما فيها، كنعت محمد ﷺ ﴿وعلمتم﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آبائكم﴾ من التوراة، ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قل الله﴾ أنزله، إن لم يقولوه، [فإنه] لا جواب غيره ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ باطلهم ﴿يلعبون﴾ [حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون]. ٩٢ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿ولتنذر﴾ بالتاء والياء، عطف على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتنذر به ﴿أم القرى ومن حولها﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ خوفاً من عقابها، [أي: خوفاً من عقاب تاركها، وخص الصلاة بالذكر، لأنها أشرف العبادات، وأفضلها بعد الإيمان]. ٩٣ ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾^(٢) بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء﴾ نزلت في مسيلمة [الكذاب] ﴿و﴾ من ﴿من قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ وهم: المستهزون، قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ الظالمون﴾ المذكورون ﴿في غمرات﴾ سكرات ﴿الموت والملائكة باسطو أيديهم﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفاً: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ إلينا لنقبضها، [أو: خلصوها من العذاب إن استطعتم] ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ الهوان

(١) قوله: «في المواضع الثلاثة»، أي: «يجعلونه»، وفي «يبدونها» و «يخفون» التالين في هذه الآية.

(٢) قوله تعالى: «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً» الآية، قال القرطبي في هذه الآية قولاً حسناً ملخصه:

أنها نزلت في مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح زوجة مسيلمة، وكلهم تنبأ وزعم أن الله قد أوحى إليهم. وأضاف: ومن هذا النمط من أعرض عن العلم والفقه والشأن، وما كان عليه السلف الصالح من الشأن، فيقول: وقع في خاطري كذا... أو أخبرني قلبي بكذا... - أو: حدثني قلبي عن ربي - فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويقلب على خواطرمهم، ويزعمون أن ذلك لصفاتها من الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيستفنون بها عن أحكام الشرائع، ويزعمون: أن الخاصة لا يحتاجون لتلك النصوص. وهذا القول زندقة وكفر. اهـ.

ونقول: لقد ترك هؤلاء العبادات - كالصلاة - زاعمين أنها تنفع العامة فقط، أما من كان في مرتبتهم فليس مخاطباً بها، وهذا مذهب خطير يؤدي إلى تعطيل النصوص والعمل بالهوى، واتباع الهوى ضلال مبين.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب «لو»: لرأيت أمراً فظيعاً. ٩٤ ﴿وَيَقَالُ لَهُمْ إِذَا بُعِثُوا: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة^(١)، غُرلاً [كما كنتم قبل الختان، غير مقطوعي القلفة] ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخاً﴾ ما نرى معكم شفعاءكم ﴿الْأَصْنَامَ﴾ الذين زعمتم أنهم فيكم ﴿أَي: فِي اسْتِحْقَاقِ عِبَادَتِكُمْ﴾ شركاء ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [بالرفع أي:]: وصلكم، أي: نشئت جمعكم، وفي قراءة بالنصب: ظرف، أي: وصلكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا من شفاعتها.

الْمُرُوءَاتُ

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ^٢ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى^٣ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا^٤ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا^٥ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

٩٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿الْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر، من النطفة والبيضة^(٢) ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ النطفة والبيضة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَالِقُ الْمَخْرَجِ﴾ الله فاني تؤفكون فكيف تصرفون عن الإيمان، مع قيام البرهان؟

٩٦ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى: الصبح أي: شاق عمود الصبح، وهو: أول ما يبدو من نور النهار، عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ [يجر «الليل» بالإضافة، وفي قراءة «وَجَعَلَ اللَّيْلَ» بضمه مفعولاً «جعل»] ﴿سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب، عطفاً على محل «الليل»، [على قراءة الإضافة] ﴿حُسْبَانًا﴾ حساباً للأوقات، أو: الباء محذوفة، وهو حال من مقدر أي: يجريان بحسبان، كما في آية «الرحمن»: [«الشمس والقمر بحسبان»] ﴿ذَٰلِكُمُ الْمَذْكُورُ﴾ تقدير العزيز ﴿فِي مَلَكَةِ الْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

٩٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

٩٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصلب. وفي قراءة بفتح القاف، أي: مكان قرار لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾

(١) قوله: «حفاة عراة غرلاً»، جاء ذلك في حديث الشيخين، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُبَشِّرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةَ عَرَاةَ غُرْلًا» قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ الْأَمْرَ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَلِكَ» وفي رواية: «الْأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

(٢) قوله: «كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة»، أرجع إلى تعليقنا حول ذلك عند الآية المماثلة، ص ٦٧.

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مِمَّنْ خُضِرَ مِنْهُ جَبًا مَرَاتٍ كَبَا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجَنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَاِدٌّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صُلْحَةٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ما يقال لهم ٩٨ ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبت كل شيء﴾ ينبت ﴿فأخرجنا منه﴾ أي: النبات شيئاً ﴿خضراً﴾ بمعنى: أخضر ﴿نخرج منه﴾ من «الخضر» (١) ﴿جَبًا مَرَاتٍ كَبَا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ ثمرهما ﴿أنظروا﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إلى ثمره﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما، وهو جمع «ثمرة»، كـ «شجرة» و «شجر»، و «خشب» و «خشب» ﴿إذا أثمر﴾ أول ما يبدو، كيف هو؟ ﴿و﴾ إلى ﴿ينعه﴾ نصحه إذا أدرك، كيف يعود؟ ﴿إن في ذلكم لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بالذكر، لأنهم المتفهمون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين، ١٠٠ ﴿وجعلوا لله﴾ مفعول ثانٍ ﴿شركاء﴾ مفعول أول، ويبدل منه: ﴿الجن﴾ [أو: «شركاء» مفعول ثانٍ مقدم، و «الجن» مفعول أول مؤخر، أي: جعلوا الجن شركاء لله]، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿و﴾ قد ﴿خلقهم﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وخرقوا﴾ بالتخفيف والتشديد، أي: اختلقوا ﴿له بنين وبنات بغير علم﴾ حيث قالوا: عزيز ابن الله، والملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يصفون﴾ بأن له ولداً ١٠١ هو ﴿بديع السماوات والأرض﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أُنَّى﴾ كيف ﴿يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ زوجة ﴿وخلق كل شيء﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿وهو بكل شيء عليم﴾.

١٠٢ ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ وُحْدَهُ ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ. ١٠٣ ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي: لا تراه، وهذا مخصوص، برؤية المؤمنين له في الآخرة [ارجع إلى ص ٢٧٠] لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، وحديث الشيخين: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»، وقيل: المراد، لا تحيط به، [وهذا قول جمهور المفسرين] ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره [تعالى]، أن يدرك البصر، وهو لا يدركه، أو: يحيط بها علماً ﴿وهو اللطيف﴾ بأوليائه

القمر ليلة البدر، وقيل: المراد، لا تحيط به، [وهذا قول جمهور المفسرين] ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره [تعالى]، أن يدرك البصر، وهو لا يدركه، أو: يحيط بها علماً ﴿وهو اللطيف﴾ بأوليائه

(١) قوله: «من الخضر» وهي المعروفة في الاصطلاح العلمي اليوم بـ «المادة الخضراء» - الـ «كلوروفيل» - .

(٢) قوله: «مفعول ثانٍ»، هذا وجه أجازته الزمخشري وغيره، واستبعده كثيرون، والظاهر أن: «الله» متعلق بـ «شركاء» - المفعول الثاني المقدم - و «الجن» هو المفعول الأول المؤخر، كما بينا في متن التفسير.

﴿الخير﴾ بهم. ١٠٤ قل يا محمد لهم: ﴿قد جاءكم بصائر﴾ حجج ﴿من ربكم فمن أبصر﴾ ما فأن ﴿فلنفسه﴾ أبصر، لأن ثواب إبطاره له ﴿ومن عمي﴾ عنها فضل ﴿فعلينا﴾ وبال إضلاله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير. ١٠٥ ﴿وكذلك﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نصرف﴾ نبين ﴿الآيات﴾ ليعتبروا ﴿وليقلوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر ﴿دارست﴾ ذكرت أهل الكتاب، [فتعلمت منهم]، وفي قراءة «درست»، أي: [قرأت] كتب الماضين، وجئت بهذا منها ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾. ١٠٦ ﴿أتبع ما أوحى إليك من ربك﴾ أي: القرآن ﴿لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾. ١٠٧ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ رقيباً، فتجازيهم بأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال. ١٠٨ [أخرج عبد الرزاق، عن قتادة السدوسي قال: كان المسلمون يسيون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين﴾^(١) يدعونهم هم ﴿من دون الله﴾ أي: [لا تسبوا] الأصنام ﴿فيسبوا﴾ أي: فيسب عابدها] ﴿الله عدواً﴾ اعتداء وظلماً ﴿بغير علم﴾ أي: جهلاً منهم بالله ﴿كذلك﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر فاتوه ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ في الآخرة ﴿فينبتهم بما كانوا يعملون﴾ فيجازيهم به.

١٠٩ ﴿واقسموا﴾ أي: كفار مكة ﴿بالله جهد إيمانهم﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لئن جاءتهم آية﴾ مما اقترحوا ﴿ليؤمنن بها قل﴾ لهم ﴿إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وما يشعركم﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت، أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالثناء خطاباً للكفار، وفي أخرى: [أنها] بفتح «إن» بمعنى: «لعل»، أو: معمولة لما قبلها.

١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ نحول قلوبهم عن الحق، فلا يفهمونه ﴿وأبصارهم﴾ عنه فلا يبصرونه ولا يؤمنون ﴿كما لم

الْحَبِيرُ

الْحَبِيرُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنَبِينَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ وَاقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين﴾ الآية ١٠٨. قال أبو بكر ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن»:

اتفق العلماء على أن معنى الآية: لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم، وكذلك هو، فإن السب في غير الحجة فعل الأدنياء، فمنع الله تعالى في كتابه أحداً أن يفعل فعلاً يؤدي إلى محذور، ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في «سد الذرائع»، وهو: كل عقد - أو فعل - جائز في الظاهر، يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محذور. اهـ. أي: ما أدى إلى شيء أخذ حكمه، وإن لم يكن هو كذلك، فما أدى إلى الحرام فهو حرام، وما أدى إلى المكروه فهو مكروه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كالأكل - مثلاً - فهو في الأصل مباح، ولحفظ الحياة واجب، وهو مكروه فوق الحاجة، وإن بلغ حدود الضرر فهو حرام.

يؤمنوا به. أي: بما أنزل من الآيات ﴿أول مرة ونذرهم﴾ نتركهم ﴿في طغيانهم﴾ ضلالهم ﴿يعمهمون﴾ يترددون متحيرين.

١١١ ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى﴾ كما اقترحوا ﴿وحشرنا﴾ جمعنا ﴿عليهم كل شيء قبلاً﴾ بضميتين، جمع «قبيل» [أي: فوجاً فوجاً، وبكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة، فشهدوا بصدقك ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾^(١) لما سبق في علم الله ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن يشاء الله﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ ذلك.

١١٢ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شياطين﴾ مرءة ﴿الإنس والجن﴾^(٢) يوحى يوسوس ﴿بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾ مُمَوِّهَةً من الباطل ﴿غروراً﴾ أي: ليغروهم ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي: الإيحاء المذكور ﴿فذرهم﴾ دع الكفار ﴿وما يفترون﴾ من الكفر وغيره، مما زين لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١١٣ ﴿ولتصغى﴾ عطف على «غروراً»، أي: تميل ﴿إليه﴾ أي: الزخرف «أفئدة» قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا﴾ يكتسبوا ﴿ما هم مقترفون﴾ من الذنوب، فيعاقبوا عليه.

١١٤ ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ، أن يجعل بينه وبينهم حكماً، قل: ﴿أفغير الله أبغى﴾ أطلب ﴿حكماً﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلاً﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ التوراة، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يعلمون أنه منزل﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه، والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق.

١١٥ ﴿وتمت كلمة ربك﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صدقاً وعدلاً﴾ تمييز ﴿لا مبدل لكلماته﴾ بنقض أو: خُلف ﴿وهو السميع﴾ لما يقال

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

يُؤْمِنُوا بِهِ ^١أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١﴾
* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٤﴾ أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) قوله تعالى: ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾. هذا حال الجاحدين والمعادنين في كل زمان، لا يقبل أحدهم الحق ولو لمس به يده، ففعليتهم في الماضي والحاضر واحدة لم تتبدل، لأن قلوبهم عمياء قاسية لا تعي، ولا تلين للذكر الله وما نزل من الحق.

(٢) قوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ ومثله قوله تعالى في سورة «الناس»: ﴿من الجنة والناس﴾، فيه بيان وجود شياطين من الجن هم: إبليس وذريته وجنوده، وشياطين من الإنس هم: أصحاب الضلال والفسوق من بني آدم، الذين يَغُرُّون الناس ويخدعونهم بكلامهم المعسول وقولهم المزخرف، فيضلونهم عن طريق الحق، وأكثر شياطين الإنس، هم من الذين يزعمون أنهم «الأصحاب» و«الأصدقاء»، لذلك قال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾. ارجع إلى تعليقنا حول «إبليس» ص ٣٨٨.

﴿العلم﴾ بما يفعل. ١١٦ ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ أي: الكفار ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ دينه ﴿إن﴾ ما يتبعون إلا الظن ﴿في مجادلته﴾ لك في أمر الميتة، إذ قالوا: ما قتل الله، أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وإن﴾ ما هم إلا يخرسون ﴿يكذبون في ذلك﴾.

١١٧ ﴿إن ربك هو أعلم﴾ أي: عالم ﴿من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيجازي كلًا منهم.

١١٨ ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾^(١) أي: ذبح على اسمه ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾.

١١٩ ﴿وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ من الذبائح ﴿وقد فصل﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل، في

الفاعل [أي: «فصل» و«حرم»] ﴿لكم ما حرم

عليكم﴾ في آية «حرمت عليكم الميتة» [من

«سورة المائدة»] ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ منه،

فهو أيضاً حلال لكم، إني حدود

الضرورة^(٢)، المعنى: لا مانع لكم من أكل

ما ذكر، وقد بين لكم المحرم أكله، وهذا ليس

منه، ﴿وإن كثيراً ليضلوا﴾ بفتح الياء وضمها

﴿بأهوائهم﴾ بما تهواه أنفسهم، من تحليل

الميتة وغيرها ﴿بغير علم﴾ يعتمدونه في ذلك

﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين

الحلال إلى الحرام.

١٢٠ ﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾

علانيته وسره، و«الإثم» قيل: الزنا، وقيل:

كل معصية [وهو الأولى] ﴿إن الذين يكسبون

الإثم سيجزون﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا

يقترون﴾ يكسبون.

١٢١ ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾

بأن مات أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما

ذبحه المسلم، ولم يسم فيه عمداً أو نسياناً،

فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي

﴿وإنه﴾ أي: الأكل منه «لفسق» خروج عما

يحل ﴿وإن الشياطين ليوحون﴾ يوسوسون

﴿إلى أوليائهم﴾ الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ في

تحليل الميتة ﴿وإن أطعموهم﴾ فيه ﴿إنكم

لمشركون﴾.

الْمِيتَةُ

الْعَلِيمُ ١١٥ وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

يُخْرَصُونَ ١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١١٧ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ

إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ١١٨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا

ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا

مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ١١٩ وَذَرُوا ظِلْهَرِ الْإِثْمِ

وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا

يَقْتَرُونَ ١٢٠ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ

وَأَنَّهُ لَفَسَقٌ ١٢١ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ

لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢٢

(١) قوله تعالى: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾... الآيات. الصحيح: أن هذه الآيات، نزلت ردًا على المشركين من العرب، الذين قالوا للمسلمين: تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟ يعنون: الميتة، روى ذلك أبو داود والطبراني وابن ماجه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي بعض الروايات: أن قاتل ذلك هم اليهود، ويردّه: أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا فيها، وأن الآية في سورة «الأنعام» وهي مكية، وأنه ليس في أكثر الروايات ذكر اليهود.

(٢) قولنا: «في حدود الضرورة»، «الضرورة»: هي الحالة الملجئة لتناول ما هو ممنوع شرعاً، فهي عذر لصاحبها، تسمح له بتعاطي المحرم كالخمر والميتة بما يدفعها، لأن الضرورات تبيح المحظورات، ولأن الضرورة ضرر، و«الضرر يزال».

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا إِنَّا تُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ نُؤْتِيَ مَثَلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّهَا بُصْعَةٌ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا

١٢٢ ونزل في أبي جهل وغيره [من الكافرين]: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾^(١) بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ يتبصر به الحق من غيره، وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ «مثل» زائدة، أي: كمن هو ﴿في الظلمات ليس بخارج منها﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كذلك﴾ كما زُيِّنَ للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

١٢٣ ﴿وكذلك﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ بالصَّدِّ عن الإيمان ﴿وما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وما يشعرون﴾ بذلك. ١٢٤ ﴿وإذا جاءتهم﴾ أي: أهل مكة ﴿آية﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قالوا لن تؤمن﴾

به ﴿حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله﴾ من الرسالة والوحي إلينا، لأننا أكثر مالا وأكبر سناً، قال تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ بالجمع والافراد، و«حيث» مفعول به لفعل دل عليه «أعلم»، أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها، لذلك أنهم قالوا: «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»، أي: مكة والطائف [سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا] بقولهم ذلك ﴿صغار﴾ ذل ﴿عند الله وعذاب شديد بما كانوا يَمْكُرُونَ﴾ أي: بسبب مكروهم.

١٢٥ ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴿بأن يقدف في قلبه نوراً﴾ فينسخ له ويقبله، كما ورد في حديث [أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات»، وعبد الرزاق في «المصنّف»، وابن المبارك في «الزهد»] ﴿ومن يرد الله أن يضلّه﴾ أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً بالتخفيف والتشديد: عن قبوله ﴿حرجاً﴾ شديداً الضيق، بكسر الراء صفة، وفتحها مصدر، وُصِفَ فيه مبالغة ﴿كأنما يصعد﴾ وفي قراءة «يضاعد»، وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها ﴿في السماء﴾ إذا كُفِّتَ الإيمان، لشدة عليه ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] الجعل ﴿يجعل الله الرجس﴾

العذاب، أو: الشيطان، أي: يسلطه ﴿على الذين لا يؤمنون﴾ ١٢٦ ﴿وهذا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صراط﴾ طريق ﴿ربك مستقيماً﴾ لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكدة للجمل، والعامل فيها معنى الإشارة

(١) قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، إن الحياة الكاملة النافعة هي حياة القلب بالإيمان، والمؤمن هو الحي الذي يعرف معنى الحياة، أما الكافر فهو وإن كان حياً في جسده إلا أنه ميت القلب، وما قيمة حياة الجسد إذا كان القلب ميتاً والبصيرة عمياء؟.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ يَبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ فِيهِ إِدْغَامُ التَّامِّ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِّ، أَي: يَتَعَذَّبُونَ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ. ١٢٧ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ أَي: السَّلَامَةُ، وَهِيَ: الْجَنَّةُ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ [فِي الدُّنْيَا بِنَصْرِهِ وَهَدَاهُ، وَفِي الْآخِرَةِ بِرَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ] ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ١٢٨ ﴿وَوَدَّعَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ﴾ أَيْ: [يَحْشُرُ] اللَّهُ الْخَلْقَ ﴿جَمِيعاً﴾ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ بِإِغْوَائِكُمْ ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمُ﴾ الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ ﴿مَنْ الْإِنْسُ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انْتَفَعَ الْإِنْسُ بِتَزْيِينِ الْجِنِّ لَهُمُ الشَّهَوَاتِ، وَالْجِنُّ بِطَاعَةِ الْإِنْسِ لَهُمْ ﴿وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا تَحَشُّرٌ مِنْهُمْ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مَاوَاكُمْ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (١) مِنْ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَخْرُجُونَ فِيهَا لِشَرْبِ الْحَمِيمِ، فَإِنَّهُ خَارِجُهَا، كَمَا قَالَ: «ثُمَّ إِنْ مَرَجَعَهُمْ لِأَيِّ الْجَحِيمِ»، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ فِيمَنْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، فَ«مَا» بِمَعْنَى: «مَنْ» ﴿إِنْ رَبُّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ.

١٢٩ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا مَتَّعْنَا عَصَاةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ﴿نُؤَلِّي﴾ مِنَ الْوَلَايَةِ ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾ أَي: عَلَى بَعْضٍ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ الْمَعَاصِي.

٣٠ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أَي: مِنْ مَجْمُوعِكُمْ، أَي: بَعْضُكُمْ الصَّادِقُ بِالْإِنْسِ، وَرَسُلُ الْجِنِّ: نُذُرُهُمُ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ كَلَامَ الرُّسُلِ، فَيُلْغَوْنَ قَوْمَهُمْ ﴿يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا أَنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا [ذَلِكَ مِنَ الرُّسُلِ]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَرَّثْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فَلَمْ يُؤْمِنُوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

١٣١ ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: إِرْسَالُ الرُّسُلِ ﴿أَنْ﴾ اللَّامُ مُقَدَّرَةٌ، وَهِيَ مُخَفَّفَةٌ، أَي: لِأَنَّهُ ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ مِنْهَا ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لَمْ يَرْسِلْ إِلَيْهِمْ رَسُولاً يَبَيِّنُ لَهُمْ.

١٣٢ ﴿وَلِكُلِّ﴾ مِنَ الْعَامِلِينَ ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جَزَاءُ

الْجَنَّةُ النَّارُ

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّثْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ

(١) قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

لقد تكرر هذا الاستثناء مرات في القرآن الكريم، فلا يفهم أحد، أن خلود الكافرين في النار معلق بالمشيئة، بحيث يمكن أن يخرجوا منها ولو بعد حين، فخلود الكافرين في العذاب أبدي لا ينتهي، وقد قطعت الجدل حوله آيات القرآن الصريحة، مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾، قلنا هذا قبل البحث في المراد بهذا الاستثناء، حسماً لأيّ جدل، وقطعاً للشك، إذ هو أمر خطير تجرأ عليه بعض الزنادقة، فقالوا بعدم استمرار العذاب إلى ما لا نهاية له للكافرين.

أما الاستثناء — «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» — الوارد في هذه الآية، وفي قوله تعالى في سورة «هود»: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ خَالِدِينَ =

﴿مما عملوا﴾ من خير وشر ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بالياء والتاء. ١٣٣ ﴿وربك الغني﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم﴾ يا أهل مكة، بالإهلاك ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ من الخلق ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ أذهبهم، ولكنه أبقاكم رحمة لكم. ١٣٤ ﴿إن ما توعدون﴾ من الساعة والعذاب ﴿لآت﴾ لا محالة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ فائتين عذابنا. ١٣٥ ﴿قل﴾ لهم ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالكم ﴿إني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف تعلمون من﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿تكون له عاقبة الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿إنه لا يفلح﴾ يسعد ﴿الظالمون﴾ الكافرون. ١٣٦ ﴿وجعلوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لله مما ذرأ﴾ خلق ﴿من الحرث﴾

الزرع ﴿والأنعام نصيباً﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيباً، يصرفونه إلى سدنتها ﴿فقالوا هذا لله بزعيمهم﴾ بالفتح والضم، [أي: بفتح الزاي وضمها، قراءتان سبعيتان] ﴿وهذا لشركائنا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو: في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، كما قال تعالى: ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله﴾ أي: لجهته ﴿وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء﴾ بشئ ﴿ما يحكمون﴾ [أي: حكمهم هذا].

١٣٧ ﴿وكذلك﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زين﴾ لكثير من المشركين قتل أولادهم ﴿بالوآء﴾ شركائهم من الجن، بالرفع فاعل ﴿زين﴾، وفي قراءة: بينائهم للمفعول، ورفع «قتل»، ونصب الأولاد به، وجر «شركائهم» بإضافته، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ولا يضر، وإضافة القتل إلى الشركاء، لأمرهم به ﴿ليردوهم﴾ يهلكوهم ﴿وليلبسوا﴾ يخلطوا ﴿عليهم﴾ دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

= فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك.

الآية ١٠٦ ص ٣٠٠. ففي توجيهه أقوال كثيرة لعل

أقربها هو: أن الآية في أولها، تعني جميع الخلق، كفاراً

ومؤمنين عَصَا، ثم جاء التهديد بالعذاب والخلود فيه للكافرين، مع استثناء المؤمنين من الخلود إذا دخلوا النار، لأنهم يخرجون منها بشفاعة الشافعين، ومن لم تنله شفاعة، خرج برحمة أرحم الراحمين، ولا يبقى في النار، إلا من وجب عليه الخلود فيها من الكافرين، قال ابن كثير: وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً، واختاره الطبري، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

أما الاستثناء الآخر في قوله تعالى في سورة «هود»: ﴿فأما الذين شُئِلوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾. الآية ١٠٧ ص ٣٠٠. فقال فيه ابن كثير رحمه الله: معنى الاستثناء هنا، أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم، ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكل إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائماً. اهـ. أي: لو شاء الله عدم خلودهم لما كان لهم خلود، ولكن خلودهم واجب الوقوع، لأن الله تعالى وعدهم به ووعدته تعالى لا يخلف، وقال قتادة السدوسي: الله أعلم بئنياء، أي: بمراده بهذا الاستثناء.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ
الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنْ
مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلْ يَنْقُومُ
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٦﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

١٣٨ ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجَرَ﴾ حرام ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خَدَمَةِ الْأَوْتَانِ وَغَيْرِهِمْ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تُرْكَب، كَالسَّوَابِ وَالْحَوَامِي ^(١) ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افْتَرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

١٣٩ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ المحرمة، وهي: السَّوَابِ وَالْبَحَائِرِ ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لَذِكْرُنَا وَمَحْرَمِ﴾ على أزواجنا ﴿أَي: النَّسَاءِ﴾ وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً ﴿بِالرَّفْعِ﴾ [باعتبار «كان» تامة]، والنصب، مع تأنيث الفعل وتذكيره [على قراءة الرفع والنصب، فهي أربع

قراءات سبعة] ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك، بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ.

١٤٠ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بِالْوَادِ ﴿سَفَهًا﴾ جَهْلًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴿مِمَّا ذَكَرَ﴾ افْتَرَاءٌ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ.

١٤١ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خَلَقَ ﴿جَنَّاتٍ﴾ بَسَاتِينَ ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مَسْطُوطَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ، كَالْبَطِيخِ ﴿وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بَأَن ارْتَفَعَتْ عَلَى سَاقٍ، كَالنَّخْلِ ﴿وَوُكِّنَ﴾ أَنْشَأَ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾ مُخْتَلِفًا أَكْلَهُ ﴿ثَمَرُهُ وَجَبَهُ﴾ فِي الْهَيْئَةِ وَالطَّعْمِ ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَابِهًا﴾ وَزَقُّهُمَا، حَالٌ ﴿وَغَيْرِ مَتَشَابِهٍ﴾ طَعْمُهُمَا ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قَبْلَ النَّضِجِ ﴿وَاتُوا حَقَّهُ﴾ زَكَاتَهُ ^(٢) ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، مِنَ الْعُشْرِ [فِيمَا سَقَى بِمَاءِ الْمَطَرِ]، أَوْ: نَصْفَهُ [فِيمَا سَقَى بِآلَةٍ] ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بِإِعْطَاءِ كُلِّهِ ^(٣)، فَلَا يَبْقَى لِعِيَالِكُمْ شَيْءٌ ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الْمُتَجَاوِزِينَ مَا حُدِّدَ لَهُمْ.

١٤٢ ﴿وَوُكِّنَ﴾ أَنْشَأَ ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ﴾

(١) قوله: «السَّوَابِ وَالْحَوَامِي» جمع «سائبة»، و «حام».

تقدم بيان معناها ص ١٥٧

(٢) هذا أحد قولين في الآية، والقول الآخر: هي الصدقة في الحبوب والثمار غير الزكاة.

(٣) قوله: «بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء»، إن تفسير الإسراف بهذا، هو قول محمد بن مردان المعروف بالشَّيْءِ الصَّغِيرِ، وهو قول غير قوي، وفسره بعضهم بمنع الزكاة وهو غريب، لأن منعها من أبواب البخل لا الإسراف، إلا إذا أراد: أنهم أسرفوا على أنفسهم بالنخل، والصحيح الذي اختاره ابن جرير الطبري، قول عطاء بن أبي رباح، رحمه الله - كما نقله عنه ابن كثير - : أنه نهى عن الإسراف في كل شيء. ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر - والله أعلم - من سياق الآية، أن يكون عائدًا على الأكل، أي: لا تسرفوا في الأكل، لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وفي صحيح البخاري تعليقاً عن النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْتَسُوا، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»، وهذا من هذا والله أعلم. اهـ. ارجع إلى تعليقنا حول «الإسراف والتبذير» ص ٣٦٨.

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجَرَ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذِكْرُنَا وَمَحْرَمِ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَابِهًا وَغَيْرِ مَتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ

حَمُولَةٌ صالحة للحمل عليها، كالإبل الكبار «وفرشاً» لا تصلح له، كالإبل الصغار والغنم، سميت «فرشاً» لأنها كالفرش للأرض، لدنوها منها، [وللآية وجه آخر هو: أن للأنعام منفعتين، إحداهما: استعمالها للحمل، والثانية: الفرش المتخذ من أشعارها وأوبارها وجلودها] «كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان» طرائقه، من التحريم والتحليل «إنه لكم عدو مبين» بين العداوة.

١٤٣ «ثمانية أزواج» أصناف، بدل من «حَمُولَةٌ وفرشاً»، [أي: أنشأ من الأنعام حَمُولَةٌ وفرشاً، ثمانية أزواج] «من الضأن» زوجين «اثنين» ذكر وأنثى «ومن المعز» بالفتح والسكون «اثنين قل» يا محمد، لمن حرم ذكور

الأنعام تارة، وإنائها أخرى، ونسب ذلك إلى الله: «الذكرين» من الضأن والمعز «حرم» الله عليكم «أم الاثنين» منهما «أما اشتملت عليه أرحام الاثنين» [وهو الجنين]، ذكراً كان أو أنثى؟ «تبتوني يعلم» عن كيفية تحريم ذلك «إن كنتم صادقين» فيه، المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، أو [من قبل] الأنوثة، فجميع الإناث، أو: [من قبل] اشتمال الرحم، فالزوجان [حرام]، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنتكار.

١٤٤ «ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم أم الاثنين» أما اشتملت عليه أرحام الاثنين أم؟ بل «كنتم شهداء» حضوراً «إذ وصاكم الله بهذا» التحريم فاعتمدتم ذلك؟ لا، بل أنتم كاذبون فيه «فمن» أي: لا أحد «أظلم ممن افترى على الله كذباً» بذلك «ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين»

١٤٥ «قل لا أجد فيما أوحى إلي شيئاً محرماً على طاعم بطعمه إلا أن يكون» بالباء «والنساء» «ميتة» بالنصب، وفي قراءة [ثالثة: «تكون ميتة»] بالرفع مع التحتانية^(١) «أو دماً مسفوحاً» سائلاً، بخلاف غيره، كالكبدة والطحال، [فهما حلال]^(٢) «أو لحم خنزير فإنه رجس» [نجس] حرام «أو» إلا أن يكون

(١) قوله: «بالرفع مع التحتانية» هو هكذا في المخطوطتين والنسخ المطبوعة - وهو سبق قلم، إذ لم يقرأ به أحد - وصوابه: «بالرفع مع الفوقانية» أي: «تكون ميتة» كما أثبتناها في متن التفسير.

(٢) قولنا: «فهما حلال» لما رواه أحمد والبيهقي والحاكم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحيوت - أي: السمك - والجراد، وأما الدمان: فالكبدة والطحال». وهذا حديث موقوف على ابن عمر على الصحيح، قال البيهقي: هذا إسناد صحيح وهو في معنى المستند، وقال النووي: هو - وإن كان الصحيح وقفه - في حكم المرفوع، إذ لا يقال من قبل الرأي، أي: =

حَمُولَةٌ وَفَرَشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ١٤٣ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ هُمْ أُمَّ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٤٤ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ هُمْ أُمَّ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٤٥ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ١٤٦ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلْيَنْ رَبِّكَ

«فسقاً أهل لغير الله به» أي: ذبح على اسم غيره «فمن اضطر» إلى شيء مما ذكر فأكله «غير باغ ولا عاد» فإن ربك

غفور له ما أكل ﴿رحيم﴾ به، ويلحق بما ذكر بالسنة: كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، [قال ﷺ: «كل ذي ناب من السباع، فأكله حرام» رواه مسلم، وزاد في رواية أخرى له: «وكل ذي مخلب من الطير»]. ١٤٦ ﴿وعلى الذين هادوا﴾ أي: اليهود ﴿حرمنا كل ذي ظفر﴾ وهو: ما لم تفرق أصابعه، كالإبل والنعام ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾ الشروب، [جمع «شرب»، وهو هنا: الشحم الذي يغشى الكرش فقط]، وشحم الكلى ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أو﴾ حملته ﴿الحوايا﴾ الأمعاء، جمع «حوايا» أو «حاوية» ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ منه، وهو: شحم الألية، [بفتح الهمزة وسكون اللام -]، فإنه قد أحل لهم

ذلك ﴿التحريم﴾ جزيناهم ﴿به﴾ ببغيتهم بسبب ظلمهم، بما سبق في سورة «النساء»، [في قوله تعالى: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم»] ﴿وإنا لصادقون﴾ في أخبارنا ومواعيدنا. ١٤٧ ﴿فإن كذبوك﴾ فيما جئت به ﴿فقل﴾ لهم ﴿ربكم ذو رحمة واسعة﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلميح بدعائهم إلى الإيمان ﴿ولا يرد بأسه﴾ عذابه إذا جاء ﴿عن القوم المجرمين﴾. ١٤٨ ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا﴾ نحن ﴿ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ فأشركنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به، قال تعالى ﴿كذلك﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿قل هل عندكم من علم﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فتخرجوه لنا؟﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إن﴾ ما ﴿تبعون﴾ في ذلك ﴿إلا﴾ الظن وإن ﴿ما﴾ أنتم ﴿إلا تخرصون﴾ تكذبون فيه. ١٤٩ ﴿قل﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿فله الحجة البالغة﴾ التامة ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم أجمعين﴾. ١٥٠ ﴿قل لهم﴾ أحضروا ﴿شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ الذي حرمتوه ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾

فيم به الاحتجاج، فالكيد حلال بالإجماع، وخالف في «الطحال» من لا يعتد بخلافه، وأما ميتة البحر فحلال أيضاً لحديث ابن عمر المذكور ولما رواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «هو الطهور ماؤه الحِلُّ مَبِيَّتُهُ» وهو حديث صحيح.

(١) قوله تعالى: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ هكذا قال المشركون، مبترين - في ظنهم - كفرهم، ومثل قولهم هذا يقول ضعاف الإيمان، الذين إذا قيل لأحدهم «لماذا لا تصلي؟» أجابك: «حتى الله يريد».

صحيح أن كل شيء يحدث، فعلاً أو تركاً، هو بمشيئة الله تعالى وإرادته، ولكن على هؤلاء أن لا ينسوا، أن علم الله تعالى وإرادته، غيب لا يطلعون عليه، فمن الذي أدرك الكافر، أن الله تعالى أراد له أن لا يؤمن أبداً؟ وما أدرك تارك الصلاة - مثلاً - أن الله شاء له أن لا يصلي طول عمره؟ فلو أن الكافر آمن كما أمره الله، ولو أن العاصي تاب، أفلا تكون التوبة أيضاً قد حصلت بمشيئة الله؟ .. بلى.

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٨﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُهَدَاءَ كُرِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا

والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴿يُشْرِكُونَ﴾.

١٥١ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿ما حرم ربكم عليكم﴾ ن مفسرة ﴿لا تشركوا به شيئاً﴾ أحسنوا ﴿بإلوالدين إحساناً﴾ ولا تقتلوا أولادكم ﴿بالوَادِ﴾ من ﴿أجل﴾ إِملاق ﴿فقر تخافونه﴾ نحن نرزقكم وإياهم ﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ الكبائر كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي: علانيتها وسرها ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ كالقَوْدِ [أي: القصاص]، وحدّ الردة، ورجم المحصن، [كل ذلك بشروطه المقررة شرعاً] ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿وصاكم﴾ به لعلمكم تعقلون ﴿تدبرون﴾.

١٥٢ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي﴾ أي:

بالخَصْلَة التي ﴿هي أحسن﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حتى يبلغ أشده﴾ بأن يحتلم، [وتأنسوا منه رُشدًا] ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ طاقتها في ذلك، فإن أخطأ في الكيل والوزن، - والله يعلم صحة نيته -، فلا مؤاخذه عليه، كما ورد في حديث [مرسل]، أخرجه ابن مردويه عن سعيد بن المسيَّب [﴿وإذا قلتم﴾ في حكم أو غيره ﴿فاعدلو﴾ بالصدق ﴿ولو كان﴾ المَقُولُ نه، أو عليه ﴿ذا قربي﴾ قرابة ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ ذلكم وصاكم به لعلمكم تذكرون ﴿بالتشديد﴾^(١) والتخفيف: تتعظون.

١٥٣ ﴿وأن﴾^(٢) بالفتح [أي: بفتح الهمزة مع سكون النون وتشديدها]، على تقدير اللام، والكسر [وتشديد النون] استئنافاً ﴿هذا﴾ الذي وصيتم به ﴿صراطي مستقيماً﴾ حال، [وهو الإسلام] ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ الطرق المخالفة له ﴿فتفرق﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [والأصل: «تتفرق»، أي: تميل ﴿بكم عن سبيله﴾ دينه ﴿ذلكم وصاكم به لعلمكم تتقون﴾.

(١) قوله: «بالتشديد والتخفيف» أي: بتشديد الذال وتخفيفها، هو هكذا في المخطوطتين، وأشار في هامش الثانية إلى نسخة جاء فيها: «بالتشديد والسكون» وهو خطأ، إذ لم يقرأ أحد بسكون الذال.

(٢) قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ الآية: أخرج أحمد والنسائي والحاكم وغيرهم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً»، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «وهذه السُّبُلُ، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ هذه الآية. إن تفسير النبي ﷺ الآية بهذا المثل العملي معجزة له ﷺ، إذ هو إشارة صريحة إلى «الأحزاب» المعروفة في هذه الأيام، بعقائدها وأهدافها المضلّة عن سبيل الله، فلكل «حزب» سبيل خاص، وله دعاة يدعون الناس إليه، بل ويكروهونهم على اعتناق مبادئه، وكلها سُبُلٌ تبعد الناس عن السبيل المستقيم، عن «الإسلام»، الذي لا يقبل الله تعالى من العباد سواه. فعلى المسلم أن يحذر دعاة الضلال هؤلاء، وأن لا ينخدع بكلامهم المعسول، فإنه ينطبق على شعاراتهم المثل القائل: «اقرأ تفرح، جرب تحزن».

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥١﴾
 * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٤﴾

١٥٤ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ^(١) التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار، [أي: في ذكرها، لا في زمن نزولها، لأن التوراة نزلت قبل القرآن] ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث [بعد الموت] ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

١٥٥ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ يا أهل مكة، [وغيرها] بالعمل بما فيه ﴿وانتقوا﴾ الكفر ﴿لعلكم ترحمون﴾.

١٥٦ أنزلناه لـ ﴿أَنْ﴾ لَا ﴿تَقُولُوا﴾ إِنَّمَا أَنزَلَ
الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ مِنْ
قَبْلِنَا وَإِنْ ﴿مُخَفَّفَةً﴾ وَاسْمُهَا مُحَدَّوْفٌ، أَي: إِنَّا
﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قَرَاءَتِهِمْ ﴿لِغَافِلِينَ﴾ لَعَدَمِ
مَعْرِفَتِنَا لَهَا، إِذْ لَيْسَتْ بِلُغَتِنَا.

١٥٧ ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْلَىٰ مِنْهُمْ﴾ لَجُودَةُ أَذْهَانِنَا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بَيِّنَاتٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ لِّمَن اتَّبَعَهُ ﴿فَمَن﴾ أَي: لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أَعْرَضَ ﴿عَنْهَا سَتَجِدُنِي الَّذِينَ يَصْدُقُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَي: أَشَدُّهُ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ﴾ .

١٥٨ ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿الآ﴾
 أن تأتيهم ﴿بالتاء والياء﴾ الملائكة ﴿للقبض﴾
 أرواحهم ﴿أو يأتي ربك﴾ أي: أمره، بمعنى:
 عذابه ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ أي: علاماته
 الدالة على الساعة ﴿يوم يأتي بعض آيات﴾
 ربك ﴿وهي﴾ طلوع الشمس من مغربها، كما
 في حديث الصحيحين [عن أبي هريرة قال:
 قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تقوم الساعة حتى﴾
 تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها
 الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع
 نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ ثم قرأ
 هذه الآية] ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت﴾

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى
طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَفَنَ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنًا

(١) قوله تعالى: ﴿فَمِ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الآية، عندما يذكر الله تعالى التوراة والإنجيل، وما فيهما من ملى ونور ورحمة، ويحث بني إسرائيل على العمل بما أنزل فيهما، فالمراد من ذلك التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، قبل أن تنالها أيدي المجرفين، والإنجيل الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليه السلام قبل ضياعه، فالتوراة الموجودة اليوم، ليست بتلك التي جاء بها موسى، وإنجيل عيسى لم يبق كما هو، بل وضعوا مكانه أناجيل كثيرة، اتفقوا في نهاية أمرهم على اعتماد أربعة منها هي: (متى، ويوحنا، ولوقا، ومرقس) وردوا ما عداها.

فإن قال قائل: إن القرآن الكريم، يأمر بالعمل بما في التوراة والإنجيل، قيل له: إنهما المنزلان من عند الله تعالى، لا ما وضعته أيدي الناس، فما جاء من عند الله هو الهدي، وأما ما كتبه بأيديهم فهو: الهوى، واتباع الهوى ضلال كبير، ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لم يغيروا ولم يبدلوا، لآمنوا بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وبما جاء به، لأن الرسل جميعاً أصحاب رسالة واحدة، والكتب السماوية وحي إلهي إلى كل واحد منهم، و«المسلمون» هم: الرسل ومن آمن معهم، كل في عصره.

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

من قبل ﴿الجملة صفة النفس﴾ أو ﴿نفساً لم تكن﴾ كسبت في إيمانها خيراً طاعة، أي: لا تنفعها توبتها، كما في الحديث [عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه» رواه مسلم] ﴿قل انتظروا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إنا منتظرون﴾ ذلك. ١٥٩ ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ باختلافهم فيه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وكانوا شيعاً﴾ فرقاً في ذلك، وفي قراءة «فارقوا»، أي: تركوا دينهم الذي أمروا به، وهم: اليهود والنصارى، [وأخرج الطبراني، من حديث أبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بإسنادين جيدين، ولهما شواهد، قال ﷺ: «هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة»، فهي تحذير للمسلمين، من الفرقة وأتباع الأهواء، والإعراض عن الشريعة السمحة] ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: فلا تعرض لهم ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ بتولاه ﴿ثم ينبئهم﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يفعلون﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف، [على اعتبار نزولها في اليهود والنصارى فقط]. ١٦٠ ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي: «لا إله إلا الله» [إذ هي أفضل القول، والآية تعني كل عمل صالح] ﴿فله عشر أمثالها﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿ومن جاء بالسئة فلا يجزى إلا مثلاً﴾ أي: جزاءه، [إذا لم يغفر له] ﴿وهم لا يظلمون﴾ [لا] ينقصون من جزائهم شيئاً.

١٦١ ﴿قل إنني هديتني ربي إلى صراط مستقيم﴾ ويبدل من محله: «ديناً قبيماً» مستقيماً ﴿ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾. ١٦٢ ﴿قل إن صلاتي ونسكي عبادتي، من حج وغيره﴾ ومحياتي ﴿حياتي﴾ ومماتي ﴿موتي﴾ لله رب العالمين. ١٦٣ ﴿لا شريك له﴾ في ذلك ﴿وبذلك﴾ أي: التوحيد ﴿أمرت وأنا أول المسلمين﴾ من هذه الأمة. ١٦٤ ﴿قل أغير الله أبني رباً﴾ إلهاً، أي: لا أطلب غيره ﴿وهو رب﴾ مالك ﴿كل شيء﴾ ولا تكسب كل نفس ذنباً ﴿إلا﴾ عليها ولا تزرر ﴿تحمل نفس﴾ وازرة ﴿أثمة﴾ نفس ﴿أخرى﴾ [فلا يؤخذ أحد بفعل أحد] ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

(١) قوله تعالى: «من جاء بالحسنة» الآية ١٦٠.

أخرج الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرأ، إلى سبعائة، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسئة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له واحدة أو يمحوها الله»، وهذا من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين.

١٦٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة، أي: يخلف بعضهم بعضاً فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(١) بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم إياه، ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهم.

﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ﴾

(مكية: إلا واسألهم عن القرية) الثمان أو الخمس آيات، مائتان وخمس: أو: ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الْمَصِّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢ هذا ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِنْهُ﴾ أن تبلغه، مخافة أن تكذب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بـ «أنزل»، أي: للإنذار ﴿بِهِ وَذَكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به. ٣ قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مَن دُونَهُ﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿أُولِيَاءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء، تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها^(٢)، و «ما» زائدة لتأكيد القلة. ٤ ﴿وَكَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ نائمون بالظاهرة، و «القبيلة»: استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم، أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة نهاراً. ٥ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ [أي]: قولهم

(١) قوله تعالى: ﴿ورفع بعضهم فوق بعض درجات﴾، ومثله قوله تعالى في سورة «الزخرف» ص ٦٥٠: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لينخل بعضهم بعضاً﴾ أي: ليشغل بعض الناس بعضاً. لقد التبس على البعض معنى هاتين الآيتين، فظنوا أن الإسلام دينٌ طبقي يكرس الظلم، وهذا فهم غير صحيح، ولا هو من معاني القرآن الكريم، إذ من المعلوم: أن الإسلام حرم الظلم، بكل صوره وأنواعه تحريماً شديداً، ووضع من الحدود

والأحكام ما يردع الظالم، ولكنه لم يعالج الظلم بظلم آخر، كما فعل ويفعل اليوم، مدعو الإصلاح والدفاع عن مصالح الفقراء والكادحين، فالله تعالى رفع بعض الناس فوق بعض درجات، بأن خلقهم متفاوتين في الذكاء والقول والطول وغير ذلك، ولولا هذا التفاوت، لما عمل أحد لأحد عملاً، فلو فرضنا أن الناس جميعاً في مستوى واحد من الذكاء أو القوة، فلن يكون هناك دافع يدفع إلى العمل، إذ يأنف الإنسان أن يشتغل عند نظيره، وطبعي مع هذا الاختلاف في الطاقات أن تتفاوت المهن، فيرتضي كل فريق مهنة، فتختلف مداخيل الناس، وتتباين بالتالي مستويات معاشهم، وهذا أمر لا يمكن إنكاره، وهو موجود وظاهر في كل العالم حتى في البلاد الرافضة لهذا المنطق.

(٢) قوله: ﴿وفي قراءة بسكونها﴾ جاء هكذا في المخطوطتين والنسخ المطبوعة، وهو سهو صوابه: «بتخفيفها» أي: الذال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعية هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و «تفكرون» بياء قبل التاء.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(٧) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا هَاشِيَّتٌ وَمَائِنَانٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ أُولِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ

﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

٦ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم، عن إجاباتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ.

٧ ﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل، والأمم الخالية فيما عملوا.

٨ ﴿وَالْوِزْنَ﴾ للأعمال، أو: لصحائفها، بميزان له لسان وكِفَتَانِ، كما ورد في حديث^(١)، كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي:

يوم السؤال المذكور، وهو يوم القيامة ﴿الْحَقِّ﴾ العدل، صفة «الوزن» ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

٩ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون.

١٠ ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء، [ولا تُقرأ بالهمز، أي: جعلنا لكم] أسباباً تعيشون بها، «جمع معيشة» ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ [«ما» زائدة] لتأكيد القلة، [و «قليلًا» صفة مصدر محذوف، أي: شكراً قليلاً] ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

١١ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أبائكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن^(٢)، كان بين الملائكة، [وليس منهم] ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

١٢ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ﴾ ن ﴿لَا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ﴾ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

١٣ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾

فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ

الْحَقِّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ

بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ

مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ

(١) قوله: «كما ورد في حديث»، جاء ذكر الكفتين في أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه أحمد بسند حسن، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم - وصححه - والبيهقي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو حديث البطاقة وفيه: «فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة - التي فيها لا إله إلا الله - في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء». وأخرج البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الميزان له لسان وكِفَتَانِ، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، وهو ميزان ظاهر يراه الخلق، إظهاراً للعدل وقطعاً للعدو.

(٢) قوله: «أبا الجن»، الصحيح أنه واحد من الجن، ليس أباهم، ارجع إلى تعليقنا حول «إبليس» ص ٣٨٨، وحول «الجن» ص ٧٧٠.

من الصاغرين الذليلين. ١٤ ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس. ١٥ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، أي: يوم النسخة الأولى.

١٦ ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، والباء للقسمة، وجوابه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك، [لأصرفهم عنه]. ١٧ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة، فأمنعهم من سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم، لثلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين، [أخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان، عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ،

يَدْعُ هؤلاء الدعوات، حين يُصْبِحُ وحين يُمَسِّي: ﴿اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ قَوْفِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَغْتَالَ مِنْ تَحْتِي﴾].

١٨ ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْؤُومًا﴾ بالهمزة، معيباً، أو: ممقوتاً ﴿مَذْؤُورًا﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس، واللام للابتداء، أو: موطئة للقسمة، وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريتك، ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء ﴿مَنْ﴾ الشرطية، أي: مَنْ تَبِعَكَ أعذبه.

١٩ ﴿وَوُكِّلَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ أي: تأكيد للضمير في ﴿اسْكُنْ﴾، ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ ﴿حَوَاءَ﴾ بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهي: الحنطة^(١) ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(٢) إبليس ﴿لِيُذَيِّبَهُمَا﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وَوَرَى﴾ على وزن ﴿فَرَعَلْ﴾، من المواراة [أي: الستر] ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِلِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَينِ﴾ [يفتح اللام]، وقرئ [شدوذاً] بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها، كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَدْرَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكِ لَا يَبُلَى﴾. ٢١ ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك. ٢٢ ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا

الْبَيْتُ الْفَاتِحُ

مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾

قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ

لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَذْؤُورًا

لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾

وَيَنَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

سَوْءٍ تَرَاهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن

تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَاسَمَهُمَا

إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٢﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا

٢٢ ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا

(١) قوله: ﴿وهي الحنطة﴾: ثمة أقوال كثيرة في بيان نوع الشجرة، والصحيح أنه لا دليل يثبت شيئاً منها، فالإسكاف عن التعيين هو الأحسن.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾، اختلف العلماء في كيفية الوسوسة، فقال ابن مسعود، وابن عباس، وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة، وقال بعضهم: أغواهما بسلطانه ووساوسه وشيطانه، التي أعطاه الله تعالى، وقيل غير ذلك، والله أعلم. ارجع إلى تعليقنا حول ﴿آدم﴾ ص ٤١٧، و﴿حواء﴾ ص ٥٣٣، و﴿إبليس﴾ ص ٣٨٨.

الشجرة ﴿أي: أكلها منها﴾ بدت لهما سواتهما ﴿أي: ظهر لكل منهما قبله، وقُبِلُ الآخر ودُبِرَه، وُسْمِي كل منهما «سواة»، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وطبقاً يَخْصِفَان﴾ أخذاً يلزقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ ليستترا به ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ بَيِّن العداوة؟، والاستفهام للتقرير، [أي: قد قلت لكما ذلك]. ٢٣ ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ بمعصيتنا^(١) ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. ٢٤ ﴿قال اهبطوا﴾ أي: آدم وحواء، بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ مكان استقرار ﴿ومتاع﴾ تَمَتُّع ﴿إلى حين﴾ تنقضي فيه آجالكم، [وهو: الموت]. ٢٥ ﴿قال فيها﴾ أي: الأرض ﴿تحيون﴾ وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴿بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول﴾. ٢٦ ﴿يا بني آدم﴾ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً^(٢) ﴿أي: خلقناه لكم﴾ ﴿يوارى﴾ يستر ﴿سواتكم وريشاً﴾ هو: ما يتجمل به من الثياب، [وهذا دليل على وجوب ستر العورة] ﴿ولباس التقوى﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب عطف على «لباس»، والرفع مبتدأ، خبره جملة: ﴿ذلك خير ذلك من آيات الله﴾ دلائل قدرته ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب. ٢٧ ﴿يا بني آدم﴾ لا يفتننكم﴾ يضلنكم ﴿الشيطان﴾ أي: لا تتبعوه، فتفتنوا ﴿كما أخرج أبويكم﴾ بفتنته ﴿من الجنة ينزع﴾ حال، [والنزع: أخذ الشيء بقوة وسرعة] ﴿عنهما لباسهما ليريهما سواتهما﴾ أي: الشيطان ﴿يراكم هو وقبيله﴾ جسوده ﴿من حيث لا ترونهم﴾^(٣) للطائفة أجسادهم، أو: عدم الوانهم ﴿إنا جعلنا الشياطين

(١) قوله: «بمعصيتنا»، أرجع إلى تعليقنا حول «آدم» عليه السلام ص ٤١٧ وما يليها، وإلى تعليقنا حول «حواء» عليها السلام ص ٥٣٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿يا بني آدم﴾ قد أنزلنا عليكم لباساً... الآية، هذا تصريح بأن الملابس نعمة من الله تعالى، علَّم الإنسان صنعها واتخاذها، وبأن ستر العورة واجب، وهو المتفق مع فطرة الإنسان، فليس التعري تشريفاً للإنسان، بل هو إهانة له وتحقير، وتشبه بغير العقلاء من الحيوان.

(٣) قوله تعالى: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال بعض العلماء: هذا دليل على أن الجن لا يروْنَ، وقيل: رؤيتهم جائزة، وقال أبو جعفر النحاس: إنهم لا يروْنَ إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله عز وجل خلقهم خلقاً لا يروْنَ فيه، وإنما يروْنَ إذا نقلوا عن صورههم، ذكر ذلك القرطبي وقال: وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة، وقال البهوي في شرح السنة: إن رؤية الجن غير مستحيلة، والآية تعني الأعم والأغلب من الآدميين، امتحنهم بذلك ليفزعوا إليه عز وجل، ويستعيذوا به من شرهم، انتهى قوله.

والصحيح في هذه المسألة: أن الجن لا يروْنَ على صورتهم الحقيقية غير متشكلين بصورة أخرى، وذلك أن أحداً غير النبي ﷺ، لم يرَ شيئاً على صورته الحقيقية، فقد روى البخاري معلقاً في فضل «آية الكرسي»، حديثاً طويلاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يحرس زكاة الفطر، فأناء آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذه ليرقه إلى النبي ﷺ، ثم تركه، وبعد ثلاث ليال حضر فيها ذلك الآتي، قال له =

الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهِمَا سَوَاءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾ يٰبَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْرُورٍ شَأْنًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ يٰبَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يُرِيدُكَ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ؕ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ

أولياء أعوانا وقرناء للذين لا يؤمنون. ٢٨ وإذا فعلوا فاحشة كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا فاقترينا بهم والله أمرنا بها أيضاً قل لهم إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون أنه قاله؟ استفهام إنكار. ٢٩ قل أمر ربي بالقسط العدل وأقيموا معطوف على معنى «بالقسط»، أي: [أمر ربي فـ] فقال: أقسطوا وأقيموا، أو: قبله «فأقسطوا» مقدراً، [أي: قل أمر ربي بالقسط، فأقسطوا وأقيموا] وجوهكم لله عند كل مسجد أي: أخلصوا له سجودكم وادعوه اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك كما بدأكم خلقكم ولم تكونوا شيئاً تعودون أي: يعيدكم

أحياء يوم القيامة. ٣٠ فريقاً منكم هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله أي: غيره ويحسبون أنهم مهتدون. ٣١ يا بني آدم خذوا زيتكم ما يستر عورتكم عند كل مسجد عند الصلاة والطواف وكلوا واشربوا ما شئتم ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (١). ٣٢ قل إنكاراً عليهم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده من اللباس [وغيره] والطيبات المستلذات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم خالصة [أي: خاصة بهم، بالرفع خبر هي، و للذين آمنوا متعلق بـ خالصة]، والنصب، حال «يوم القيامة» فلا يشاركهم فيها غيرهم، لأنها تكون في الجنة، والكافرون في النار كذلك تفصل الآيات نبيها مثل ذلك التفصيل لقوم

رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان»، وروى الشيخان: أن عفريناً من الجن، تعرض للنبي ﷺ فجأة، ليقطع عليه صلاته، فأخذه، فأراد أن يربطه على سارية من سواري المسجد، لينظر المسلمون إليه، قال ﷺ: «فذكرت دعوة أخي سليمان: رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي». فرددته خاسئاً، فالشيطان الذي هم به النبي ﷺ، تبدى وظهر له، في صفته التي خلقه الله عليها، وكذلك كانوا في خدمة سليمان عليه السلام، أما الشيطان الذي ظهر لأبني هريرة، فكان على هيئة الآدميين، ولهذا لم يعرفه أبو هريرة، بل ظنه سارقاً، حتى أخبره النبي ﷺ بأنه شيطان. ارجع إلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠، ففيه أمور مهمة عنهم.

أُولِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (٣٠) * يٰبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

(١) قوله تعالى: «إنه لا يحب المسرفين»، أباح الله تعالى للإنسان: الأكل والشرب والسكن والملبس، وسائر متع الحياة الدنيا، في حدود كفايته، بما يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة، ليقبل على عبادة ربه شاكراً راضياً، فلا ينبغي أن تكون الدنيا أكبر همهم، بحيث يتجاوز حدود الحاجة، فإن تجاوزها في الأمور المباحة «إسراف»، والله تعالى لا يحب المسرفين، فعلى المسلم أن يأكل بلا إسراف، وأن يسكن بلا إسراف، وأن يلبس ويركب بلا إسراف، حتى ولو كان ثرياً، فلا يجوز للثني أن يضيع المال في غير حاجة، لأن للمال مهمة هي: تشغيل الناس — مع دفع الزكاة عنه — ببناء المعامل وإنشاء المزارع، أخرج ابن ماجه والبيهقي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت». أي: لا ينبغي للمسلم أن يكون أسير رغباته، أما «التبذير» فسيأتي الكلام فيه في تعليقنا ص ٣٦٨.

يعلمون يتدبرون، فإنهم المتفكرون بها. ٣٣ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالْبَغْيَ﴾ على الناس ﴿بِغْيَرِ الْحَقِّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة، [ومعنى هذا: أن الشرك بالله، لا يقبله عاقل سليم الطبع، إذ لا حجة لمشرك أبداً] ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) من تحريم ما لم يحرم، وغيره.

٣٤ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه، [فالأمم مثل

الواحد من الناس، لها أجل محدد تزول بانتهائه، مثلما يموت الإنسان إذا جاء أجله].

٣٥ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ إما ﴿فيه إدغام نون﴾ إن الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٣٦ ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

٣٧ ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَبَ بآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيحُهُمْ﴾ حظهم ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، من الرزق والأجل، وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ﴾ رسلنا ﴿أَيُّ: الملائكة﴾ يتوفونهم قالوا ﴿لَهُمْ تَبْكِيَةٌ﴾ [والزاماً لهم بالحجة]: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قالوا ضلوا غابوا ﴿عَنْهَا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

(١) قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، معناه - كما ذكر المفسر - أن يحلل الإنسان ويحرم، من غير دليل ولا حجة مقبولة شرعاً، أي: أن يتبع هواه، فيحرم على هواه، ويحلل على هواه، وهذه

حال الظالمين من الحاكمين والمتكبرين، الذين لا يقبلون بالحق - وما أكثرهم في أيامنا - فمنهم من يحكم بحكم الجاهلية وملل الكفر، ومع ذلك يصور للناس، أن حكمه هذا مطابق لحكم الله تعالى، ومنهم من يبيع المحرمات كالربا، تحت اسم «الفائدة» أو «الربح»، زاعمين أن الله حرم الربا إذا كانت أضعافاً مضاعفة، أو زاعمين أن هذه «الفوائد» التي تعطىها المصارف - البنوك - اليوم، ليست بالربا الذي حرمه الله، إلى غير ذلك من الحجج الواهية، أرجع إلى تعليقتنا حول تحريم الربا ص ٥٩.

ومنهم من خرب بيوت الناس، وأفسد الحياة الزوجية بين الأزواج، بتحريض المرأة على أهلها وزوجها وحثها على التعري والفساد والإفساد تحت شعار: «تحرير المرأة»، وغير ذلك من الضلالات والأهواء، يؤيدهم في ذلك نفر من علماء السوء، يزنون لهم الباطل ويحثونهم عليه، والعياذ بالله تعالى.

كافرين ﴿٣٨﴾ قال ﴿تعالى لهم يوم القيامة: ﴿ادخلوا في﴾ جملة ﴿أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ متعلق بـ ﴿ادخلوا﴾ ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لعنت أختها﴾ التي قبلها، لضلالها بها ﴿حتى إذا أداركوا﴾ تلاحقوا ﴿فيها جميعاً قالت أوراهاهم﴾ وهم: الاتباع ﴿لأولاهم﴾ أي: لأجلائهم، وهم: المتبوعون ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذاباً ضعفاً﴾ من النار قال ﴿تعالى: ﴿لكل﴾ منكم ومنهم ﴿ضعف﴾ عذاب مضعف ﴿ولكن لا يعلمون﴾ - بالياء والناء - ما لكل فريق. ﴿٣٩﴾ وقالت أولاهم لأوراهاهم فما كان لكم علينا من فضل ﴿لأنكم لم تكفروا بسبينا﴾، أي: ليس ذنبكم أهون من ذنبنا، ليكون عذابكم أخف، فنحن وأنتم سواء [في ارتكاب الكفر]، قال تعالى لهم: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾. ﴿٤٠﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا

واستكبروا ﴿تكبروا﴾ عنها ﴿فلم يؤمنوا بها﴾ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴿إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت، فيهبط بها إلى ﴿سجين﴾ [في الأرض السابعة]، بخلاف المؤمن، فتفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث^(١) ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج﴾ يدخل ﴿الجمل﴾ [هو: ذكر الناقة، وقرىء شذوذاً: ﴿الحمل﴾، أي: جبل السفينة] ﴿في سم الخياط﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم [الجنة] ﴿وكذلك﴾ الجزء ﴿نجزي المجرمين﴾ بالكفر.

﴿٤١﴾ لهم من جهنم مهاد ﴿فراش﴾ ومن فوقهم غواش ﴿أعطية من النار، جمع غاشية﴾، وتنويه عوض من الياء ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾. ﴿٤٢﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿مبتداً، وقوله: ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ طاقتها من العمل، اعتراض بينه وبين خبره وهو: ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾

(١) قوله: ﴿كما ورد في حديث﴾، رواه أحمد والنسائي والبيهقي وغيرهم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قال - أي: الملك -: اخرجني أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجني حميدة، وأبشري برزخ وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك، حتى تنتهي إلى السماء السابعة - أي: للعرض على ربها -

فإذا كان الرجل سوءاً، قال: اخرجني أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجني ذميمة، وأبشري بحميم وخصاق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يخرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا موجباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر.

أما مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة - أي: في عالم البرزخ - ففيه أقوال كثيرة، سببها كثرة الأحاديث الواردة في ذلك، وهي أحاديث يصدق بعضها بعضاً ولا تعارض بينها.

فالصحيح: أنه ليس لجميع أرواح المؤمنين أو الكافرين مستقر واحدة في فترة البرزخ كلها، بل هي متفاوتة في مستقرها تفاوتاً كبيراً بحسب أصحابها، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى، وهي أرواح الأنبياء، ومنها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث =

الجزء الثاني

كفـيرين ﴿٣٧﴾ قال ﴿ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أداركوا فيها جميعاً قالت أوراهاهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴿٣٨﴾ وقالت أولاهم لأوراهاهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴿٣٩﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴿٤٠﴾ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴿٤١﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة

فإذا كان الرجل سوءاً، قال: اخرجني أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجني ذميمة، وأبشري بحميم وخصاق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يخرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا موجباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر.

أما مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة - أي: في عالم البرزخ - ففيه أقوال كثيرة، سببها كثرة الأحاديث الواردة في ذلك، وهي أحاديث يصدق بعضها بعضاً ولا تعارض بينها.

فالصحيح: أنه ليس لجميع أرواح المؤمنين أو الكافرين مستقر واحدة في فترة البرزخ كلها، بل هي متفاوتة في مستقرها تفاوتاً كبيراً بحسب أصحابها، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى، وهي أرواح الأنبياء، ومنها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث =

هم فيها خالدون ﴿٤٣﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴿٤٣﴾ فقد كان بينهم في الدنيا تجري من تحت تصورهم الأنهار وقالوا عند الاستقرار في منازلهم الحمد لله الذي هدانا لهذا العمل الذي هذا جزاؤه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿٤٣﴾ حذف جواب «لولا»، لدلالة ما قبله عليه ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن﴾ مخففة، أي: أنه، أو: مفسرة، في المواضع الخمسة ﴿تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

﴿٤٤﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿٤٤﴾ تقريراً وتبكيماً، [أي: إلزاماً لهم بالحجة] ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا ﴿٤٤﴾ من الثواب ﴿٤٤﴾ حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ﴿٤٤﴾ ربكم﴾ من العذاب ﴿حقاً قالوا نعم فاذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿بينهم﴾ بين الفريقين أسمعهم: ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾.

﴿٤٥﴾ الذين يصدون ﴿٤٥﴾ الناس ﴿٤٥﴾ عن سبيل الله ﴿٤٥﴾ دينه ﴿٤٥﴾ ويفغونها ﴿٤٥﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عوجاً﴾ معوجة، [أي: كانوا في الدنيا، يبحثون عن الضلال ويسعون إليه] ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾.

﴿٤٦﴾ وبينهما ﴿٤٦﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حجاب﴾ حاجز، قيل: هو سور الأعراف ﴿وعلى الأعراف﴾ وهو: سور الجنة ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم، كما في الحديث ^(١) «يعرفون كلاً» من أهل الجنة والنار ﴿بسميهم﴾ بعلامتهم، وهي: بياض الوجوه للمؤمنين، وسوادها للكافرين، لرؤيتهم لهم، إذ موضعهم عال ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ قال تعالى: ﴿لم يدخلوها﴾ أي: [لم يدخل] أصحاب الأعراف الجنة ﴿وهم يطعمون﴾ في دخولها، قال الحسن: لم يطعمهم إلا لكرامة يريد بها بهم، وروى الحاكم [والبيهقي وعبد الرزاق]، عن حذيفة [ابن اليمان موقوفاً عليه] قال ^(٢): «بينما هم كذلك، إذ أطلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة، فقد غفرت لكم». ﴿٤٧﴾ وإذا صرفت أبصارهم ﴿٤٧﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿تلقاء﴾ جهة

سُورَةُ الْأَعْرَافِ ٧

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَّخِذُوا الْجَنَّةَ بُرُوزًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذْنُؤْذِنْ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

= شأته، وهي أرواح الشهداء، ما لم يجسها عن ذلك حق عيّد. وروح المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه، فللروح شأن غير شأن البدن، فهي مع كونها في الجنة هي في السماء، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وفي أسرع حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، ومنها مرسله ومجوسه، وعلوية وسفلية، ولها بعد مفارقة الجسد إحساس بالألم أو النعيم، أكثر مما كان لها وقت اتصالها بالبدن بكثير، وبالإجمال: فأرواح المؤمنين في «الجنة»، وأرواح الكافرين في «سجين». أرجع إلى تعليقنا حول «عذاب القبر ونعيمه» ص ٣٣٤، وتعلقنا حول «سماح الموتى» ص ٥٣٧.

(١) قوله: «كما في الحديث»، سيأتي نصه، وبيان من هم أصحاب الأعراف، في تعليقنا في الصفحة التالية - ص ٢٠٠.

(٢) سنذكر نصه كاملاً في تعليقنا التالي ص ٢٠٠.

أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النَّارِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ^(١) رِجَالًا مِّنْ أَصْحَابِ النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ النَّارِ جَمْعُكُمْ ﴿٤٩﴾ الْمَالُ، أَوْ: كَثَرَتُمْ ﴿٥٠﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥١﴾ أَي: وَاسْتِكْبَارَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ، مُشِيرِينَ إِلَى ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ:

﴿٤٩﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ قَدْ قِيلَ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وَقُرِءَ ﴿ادْخُلُوا﴾، بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَ [قُرِءَ] «دَخَلُوا» [وَهُمَا قِرَاءَتَانِ شَاذَتَانِ]، فَجُمْلَةُ النَّفْيِ حَالٌ، أَي: مَقُولًا لَهُمْ ذَلِكَ.

الْبَيْتُ الثَّانِي

أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ

قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾

أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ

لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ

النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا

رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا

بِعَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ

عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ

إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ

﴿٥٠﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴿٥١﴾ مِنَ الطَّعَامِ ﴿٥٢﴾ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا ﴿٥٣﴾ مِنْهُمَا ﴿٥٤﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ.

﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٥٢﴾ [فَاغْتَرُّوا بِهَا وَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَظَنُوا أَنْ مَا اعْتَادُوهُ مِنَ الْبَاطِلِ سَيَنْفَعُهُمْ] ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ ﴿٥٤﴾ تَتْرَكُهُمْ فِي النَّارِ ﴿٥٥﴾ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴿٥٦﴾ بِتَرْكِهِمُ الْعَمَلِ لَهُ ﴿٥٧﴾ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٨﴾ أَي: وَكَمَا جَحَدُوا.

﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ ﴿٦٠﴾ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿٦١﴾ بِكِتَابٍ ﴿٦٢﴾ قُرْآنٍ ﴿٦٣﴾ فَصَّلْنَاهُ ﴿٦٤﴾ بَيْنَهُ، بِالْأَخْبَارِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ﴿٦٥﴾ عَلَى عِلْمٍ ﴿٦٦﴾ حَالٌ، أَي: عَالِمِينَ بِمَا فَضَّلَ فِيهِ ﴿٦٧﴾ هُدًى ﴿٦٨﴾ حَالٌ مِنَ «الْهَاءِ» [فِي: «فَصَّلْنَاهُ»] ﴿٦٩﴾ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾ بِهِ.

﴿٧١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴿٧٢﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴿٧٤﴾ عَاقِبَةُ مَا فِيهِ ﴿٧٥﴾ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴿٧٦﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٧٧﴾ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ

(١) قوله تعالى: «ونادى أصحاب الأعراف».

«الأعراف» في اللغة: الشيء المشرف، وهي جمع «عَرْفٍ»، ومنه «عَرْفُ الدِّيكِ»، و«عَرْفُ الْفَرَسِ»، فالأعراف هي: شُرَفُ السُّورِ، أَي: الْحِجَابُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أما «أصحاب الأعراف»: ففي بيان مَنْ هُمْ،

عشرة أقوال مختلفة، ليس لواحد منها دليل قوي، ولكن أقربها وأقواها، هو ما ذكره السيوطي هنا في تفسير الآية ٤٦: من أنهم: رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم.

أما الحديث الذي أشار إليه المؤلف في تفسير الآية ٤٦: فهو: ما رواه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته فقال: «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون».

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي والحاكم، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، جُعِلُوا عَلَى سَوَاءٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أُطْلِعَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: قَوْمُوا فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَإِنِّي غَفَرْتُ لَكُمْ». وهذا أيضاً قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.

قيل [أي:] تركوا الإيمان به ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو﴾ هل ﴿نزد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ [بأن] نوحّد الله ونترك الشرك؟ فيقال لهم: لا، قال تعالى ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وضلّ﴾ ذهب ﴿عنهم﴾ ما كانوا يفترون ﴿من دعوى الشريك﴾.

٥٤ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها، لأنه لم يكن ثمّ شمس، ولو شاء خلقهن في لمحّة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثبوت ﴿ثم استوى على العرش﴾ هو في اللغة: سرير المَلِك، استواءً يليق به^(١) ﴿يغشى الليل النهار﴾ مخففاً ومشدداً، أي: يغطي كلّاً منهما بالآخر ﴿يطلب﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حشياً﴾ سريعاً، [أي: يتعاقبان]

﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ بالنصب عطفًا على «السماوات»، والرفع مبتدأ، خبره: ﴿مسخرات﴾ مذلات ﴿بأمره﴾ بقدرته ﴿إلا له﴾ الخلق ﴿جميعاً﴾ والأمر ﴿كله﴾ تبارك ﴿تعظم﴾ الله رب ﴿مالك﴾ العالمين.

٥٥ ﴿ادعوا ربكم تضرعاً﴾ حال، تذلاًّ ﴿وخفية﴾ سرّاً ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء، بالتشديد ورفع الصوت، [والخروج على أدب الدعاء].

٥٦ ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الرسل ﴿وادعوه خوفاً﴾ من عقابه ﴿وطمعا﴾ في رحمته ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ المطيعين، وتذكير «قريب»، المُخْبِر به عن «رحمة»، لإضافتها إلى الله.

٥٧ ﴿وهو الذي يرسل الرياح نُشْراً﴾ بين يدي رحمته ﴿بضم النون والشين﴾، أي: متفرقة قُدَامَ المطر، وفي قراءة: [«الرياح، والريح نُشْراً»] بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدراً، [أي: «الريح نُشْراً»]، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون، أي: [«الرياح»] بُشْراً، ومفرد الأولى «نُشُور» «كرسول» والآخرة [مفردها] «بشير» ﴿حتى إذا أقلت﴾ حملت الرياح ﴿سحاباً ثقالاً﴾ بالمطر ﴿سقتاه﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة

[إلى التكلم، فقد كان مقتضى السياق أن يقول: «ساقه»] ﴿لبلد ميت﴾ لا نبات به، أي: لإحيائها ﴿فأنزلنا به﴾ بالبلد

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نَزُدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ؕ ۝٥٣ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ

(١) قوله: «استواء يليق به» أي: لا يجوز أن يفهم من الاستواء معنى لا يليق بالله عز وجل مثل: الاستقرار، أو الجلوس، أو القعود، أو المكان، لأنه تعالى كان ولا مكان، ولا زمان، ولا عرش، ولا خلق، ثم خلق الخلق، ثم استوى على العرش كما وصف نفسه من غير تمطيل، ولا تشبيه، «ليس كمثل شيء»، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، عن سفيان الثوري رحمه الله قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك فسأله رجل فقال: «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله =

﴿الماء فأخرجنا به﴾ بالماء ﴿من كل الثمرات كذلك﴾ الإخراج ﴿نخرج الموتى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتؤمنون. ٥٨ ﴿والبلد الطيب﴾ العذب التراب ﴿يخرج نباته﴾ حسناً ﴿بإذن ربه﴾ هذا مثل للمؤمن، يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿والذي خبث﴾ ترابه ﴿لا يخرج﴾ نباته ﴿إلا نكدًا﴾ عسراً بمشقة، وهذا مثل للكافر ﴿كذلك﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نصرف﴾ نبين ﴿آيات لقوم يشكرون﴾ الله، فيؤمنون. ٥٩ ﴿لقد﴾ جواب قسم محذوف ﴿أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ بالجر صفة لـ ﴿إله﴾، [مراعاة للفظ]، و [في قراءة أخرى على] الرفع بدل من محله، [ومحل ﴿إله﴾ رفع بالابتداء، خبره ﴿لكم﴾ المتقدم عليه و ﴿من﴾ زائدة، ولم تعمل ﴿ما﴾ عمل ليس، بسبب تقدّم الخبر، فهي مهملة، أي: نافية فقط] ﴿إني أخاف عليكم﴾ إن عبدتم غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة. ٦٠ ﴿قال الملاء﴾ [أي: الكبراء و] الأشراف ﴿من قومه إنا لنراك في ضلال مبين﴾ بين.

الجزء الثاني

الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿٥٩﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَكذبوه ﴿٦٤﴾ فَانْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْغَرَقِ [ففي مياه الطوفان] ﴿ففي الفلك﴾ السفينة ﴿وأغرقنا الذين

٦١ ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ هي أعم من «الضلال»، فتفيها أبلغ من نفيه، [أي: ليس بي أي نوع من أنواع الضلال] ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾.

٦٢ ﴿أبلغكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رسالات ربي وأنصح﴾ أريد الخير ﴿لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فأمنوا بما جئتكم به، لأنه الحق].

٦٣ ﴿١﴾ كذبتهم ﴿وعجبتهم أن جاءكم ذكر﴾ موعظة ﴿من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذرکم﴾ العذاب، إن لم تؤمنوا ﴿ولتتقوا﴾ الله ﴿ولعلكم ترحمون﴾ بها؟ ١٩٤. ٦٤ ﴿فكذبوه﴾ فأنجيناه والذين معه ﴿من الغرق﴾ [في مياه الطوفان] ﴿في الفلك﴾ السفينة ﴿وأغرقنا الذين

٦٣ ﴿١﴾ كذبتهم ﴿وعجبتهم أن جاءكم ذكر﴾ موعظة ﴿من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذرکم﴾ العذاب، إن لم تؤمنوا ﴿ولتتقوا﴾ الله ﴿ولعلكم ترحمون﴾ بها؟ ١٩٤. ٦٤ ﴿فكذبوه﴾ فأنجيناه والذين معه ﴿من الغرق﴾ [في مياه الطوفان] ﴿في الفلك﴾ السفينة ﴿وأغرقنا الذين

الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق. -
وروى البيهقي بإسناد صحيح، عن عبد الله بن وهب المصري، أحد رواة الموطأ قال: كنت عند مالك، فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن «الرحمن على العرش استوى»، كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرخصة - أي: عرق عرقاً شديداً - ثم رفع رأسه فقال: «الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه».

وروى جواب الإمام مالك هذا، الإمام عبد الله القيرواني في كتابه «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ»، بلفظ: «الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة، أخرجوه».

فما يروى عن مالك رحمه الله أنه قال: «الكيف مجهول»، غير صحيح، ولم يثبت ذلك عنه، خلافاً لما هو شائع، ولأنه يثبت كيفية للاستواء، وهو باطل بالإجماع.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما تسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح - مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو: إمرارها كما جاءت، من غير تكيف، ولا =

كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿إنهم كانوا قوماً عَمِينَ﴾ عن الحق [فلم يؤمنوا].

٦٥ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى عاد﴾ الأولى^(١) ﴿أخاهم هوداً﴾ [عن ابن عباس قال: ليس بأخيهم في الدين، ولكنه أخوهم في النسب، لأنه منهم] ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ تخافونه، فتؤمنون؟.

٦٦ ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة﴾ جهالة ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾^(٢) في رسالتك.

٦٧ ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾. ٦٨ ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ مأمون على الرسالة.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٩﴾ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ - أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ - إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ أَبَلِغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٧٣﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا الْآلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

٦٩ ﴿أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ في الأرض ﴿من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بضطة﴾ قوة وطولاً، وكان طویلهم مائة ذراع^(٣)، وقصيرهم ستين [ذراعاً] ﴿فادكروا آلاء الله﴾ نعمه ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون.

٧٠ ﴿قالوا أجتئتنا لنعبد الله وحده ونذر﴾ نترك ﴿ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في قولك.

٧١ ﴿قال قد وقع﴾ وجب ﴿عليكم من ربكم

= تشبيه، ولا تعطيل؛ والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأنثمة - منهم نعيم بن حماد الخزاعي، شيخ البخاري - قال: «مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ - وَلَا رَسُولُهُ - تَشْبِيهٌ». فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى. اهـ.

(١) قوله: ﴿إلى عاد الأولى﴾ هم: قوم نبي الله (هود) عليه السلام؛ جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وإنه أهلك عاداً الأولى﴾، أرجع إلى

تعليقنا حولهم ص ٢٩١، أما عاد الآخرة - وهم المعنيون بـ «عاد» عند الإطلاق - فهم «ثمود» قوم نبي الله صالح عليه السلام، أرجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٩٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي: لسنا على يقين من صدقك، وهذه حال الكافرين، إنهم دائماً على الظن، وصدق الله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾، ولو تخطوا «الظن»، وأعرضوا عن الأوهام، لوصلوا إلى اليقين، أي: إلى الإيمان، لأنهم يكونون بذلك قد فكروا وتأملوا، أي: استعملوا عقولهم، فعُدَّ التفكير ذنب يعترف به الكافرون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - أي: في الدنيا - ما كنا في أصحاب السعير﴾ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير.

(٣) قوله: «وكان طویلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين» لو استغنى عنه الجلال السيوطي رحمه الله، واكتفى بما قاله قبله، لكان أحسن، لأن تحديد طول أطولهم وأقصرهم بما ذكره، مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام، ففي الصحيحين وغيرهما: أن طول =

رجس عذاب وعُذب أتجادلونني في أسماء سميتوها أي: سميت بها أنتم وآباؤكم أصناماً تعبدونها ما نزل الله بها أي: بعبادتها من سلطان حجة وبرهان فانتظروا العذاب إني معكم من المنتظرين ذلكم، بتكذيبكم لي، فأرسلت عليهم الريح العقيم، [ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم]. ٧٢ فأنجيناه أي: هوداً والذين معه من المؤمنين برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا أي: استأصلناهم وما كانوا مؤمنين عطف على «كذبوا». ٧٣ «و» أرسلنا «إلى ثمود» (١) بترك الصرف، [أي: بالمنع من الصرف، للعلمية والتأنيث]، مراداً به القبيلة أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة معجزة من ربكم على صدقي هذه ناقة الله لكم آية حال، عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عيّنوها فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء بغير أو ضرب فيأخذكم عذاب اليم.

الجزء الثاني

رَجَسَ وَغَضِبَ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٧) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومَ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ (٧٨) وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحُنُونَ لِلْجِبَالِ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَتَضَعِفُوا قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا

٧٤ واذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض من بعد عاد وبوأكم أسكنكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً تسكنونها في الصيف وتنحنون الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة، [أي: تنحنونها مقدّرين جعلها بيوتاً لكم] فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا [بفتح الثاء باتفاق القراء، من «عَثَى»، بكسر الثاء، «عَثَى»، بفتحيتين] في الأرض مفسدين [حال مؤكدة لمعنى الفعل «تعثوا»].

٧٥ قال الملأ الذين استكبروا من قومه (٢) تكبروا عن الإيمان به للذين استضعفوا

= آدم ستون ذراعاً - ارجع إلى تعليقنا ص ٤١٧ - وفي رواية لمسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «وطوله - أي: آدم - ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»، فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(١) قوله تعالى: «إلى ثمود»، ارجع إلى تعليقنا حول «ثمود» ص ٢٩٣.

(٢) قوله تعالى: «وقال الملأ» (الآيتين ٧٥ و٧٦) هذا أسلوب أهل الكفر والضلال في كل زمان لتشكيك المؤمنين في إيمانهم، فقوم صالح قالوا منذ آلاف السنين للمؤمنين: «أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه؟» أي: هل أنتم «واقفون» من صدقه؟ وقصدتم بهذا السؤال إلقاء الشك في نفوس المؤمنين، وهذا ما يفعله الزنادقة والملحدون في هذه الأيام، حيث يشيرون في عقول الناس - والشباب منهم خاصة - تساؤلات تحمل الشك في الله تعالى ورسالاته، بقصد إبعادهم عن الإسلام، ثم إخراجهم منه، ليعتقوا عقائد باطلة وضعها أعداء هذا الدين، ليصرفوا الناس بها عن سبيل الله تعالى، إنه الأسلوب عينه، أخبت أسلوب استخدمه أعداء الإسلام ولا يزالون، فعلى المؤمن أن لا يكثر بهم، وأن يواجههم بمزيد من الوعي والفقه في الدين وأن يفند مزاعمهم، فإنهم لا حجة لهم ولا برهان «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس»، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

لمن آمن منهم ﴿أي: من قومه، بدل مما قبله، بإعادة الجار ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾ إليكم؟﴾ قالوا ﴿نعم﴾
﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾. ٧٦ ﴿قال الذين استكبروا إنا بالذي آمتم به كافرون﴾. ٧٧ وكانت الناقة، لها يوم في
الماء، ولهم يوم، فملأوا ذلك ﴿فعمقروا الناقة﴾ عقرها قدار [بن سالف] بأمرهم، بأن قتلها بالسيف ﴿واعتوا عن أمر ربهم﴾
وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا ﴿به من العذاب، على قتلها﴾ إن كنت من المرسلين ﴿٧٨﴾ فأخذتهم الرجفة ﴿الزلزلة
الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء﴾ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿باركين على الركب، ميتين. ٧٩﴾ فتولى
أعرض صالح ﴿عنهم﴾ وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴿٨٠﴾ اذكر

﴿لوطاً﴾ ويبدل منه ﴿إذ قال لقومه أتأتون
الفاحشة﴾ أي: أدبار الرجال (١) ﴿ما سبقكم
بها من أحد من العالمين﴾ الإنس والجن.
٨١ ﴿إنكم﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل
الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين،
[وفي قراءة: ﴿إنكم﴾ بهمزة واحدة على
الخبر] ﴿لتأتون الرجال شهوة من دون النساء
بل أنتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون الحلال
إلى الحرام. ٨٢ ﴿وما كان جواب قومه إلا
أن قالوا أخرجوهم﴾ أي: لوطاً وأتباعه ﴿من
قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ من أدبار
الرجال (١). ٨٣ ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته

(١) قوله: «أدبار الرجال».

عُرف قوم لوط عليه السلام بارتكاب هذه
الفاحشة، فكانت أشنع ما فعلوه بعد كفرهم، وقد أجمع
المسلمون على أن هذه الفاحشة من كبائر الذنوب.
روى أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي، عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل
والمفعول به».

قال الإمام البغوي: اختلف أهل العلم في حد
اللوطي، فذهب بعضهم إلى أنه يحلُّ حد الزنا، فإن كان
محصناً يرجم، وإن لم يكن محصناً يجلد مائة، وهو
قول سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والحسن
البصري، وقتادة والثوري والأوزاعي، وهو قول
للشافعي، وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا
القول: جلد مائة وتغريب عام، رجلاً كان أو امرأة،

محصناً كان أو غير محصن، وذهب قوم إلى أن اللوطي يُرجم، محصناً كان أو غير محصن، رواه سعيد بن جبير ومجاهد، عن ابن عباس
رضي الله عنهما، وبه قال الزهري، وهو قول مالك وأحمد، والقول الآخر للشافعي: أنه يقتل الفاعل والمفعول به، كما جاء في الحديث. اهـ.
ولكن الراجح في مذهب الشافعي رحمه الله: أنه يحلُّ حد الزنا بجميع أحكامه وأحواله، ففي غير المحصن جلد مائة وتغريب عام، وفي
المحصن الرجم، وهو أيضاً قول أبي يوسف ومحمد صاحب أبي حنيفة رحمهم الله تعالى، ما عدا التغريب، وقال أبو حنيفة: يُعزَّر ولا يُقام
عليه الحد، وهو الراجح في مذهبه.

ولا شك في أن هذه الفواحش أعمال شاذة يتنزه عنها المسلم الذي هذبته الإسلام وكلُّ عاقل، لأن الله تعالى حرمها بنص القرآن الكريم
وصريح السنة النبوية، وانعقد الإجماع على ذلك كما ذكرنا، ثم لأن في فعل هذه الفاحشة ضرراً وأذى على الفاعل والمفعول به، فالله تعالى =

لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلَحًا مَّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَمَقُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٌ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رِسَالَةَ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتَاؤُنَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ ءِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ
إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ءِ إِلَّا امْرَأَتَهُ

كانت من الغابرين الباقين في العذاب. ٨٤ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل، فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾. ٨٥ ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إلى مدين أخاهم شعيباً قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة ﴿معجزة﴾ من ربكم ﴿على صدقي﴾ ﴿فأوفوا﴾ أتموا ﴿الكيل والميزان ولا تبخسوا﴾^(١) تنقصوا ﴿الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ بيعث الرسل ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ مريدي الإيمان، فبادروا إليه. ٨٦ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ توعدون ﴿تخوفون الناس بأخذ ثيابهم﴾، أو: المكس منهم. [وهو بفتح الميم وسكون الكاف: الضريبة - وأصله في اللغة الخيانة - و«المكس» هو: أخذها، قال ٱلشَّيْخُ: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ﴾، رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الحاكم،] ﴿وتصدون﴾ تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿من آمن به﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وتبغونها﴾ تطلبون الطريق ﴿عوجاً﴾ معوجة ﴿واذكروا﴾ إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴿قبلكم﴾ بتكذيب رسلهم، أي: آخر أمرهم من الهلاك، [فاعتبروا واتعظوا].

٨٧ ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ به ﴿فاصبروا﴾ انتظروا ﴿حتى يحكم الله بيننا وبينكم﴾، بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وهو خير الحاكمين﴾ أعدلهم. ٨٨ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

نهي عن إتيان الزوجة أثناء الحيض بسبب الأذى، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هِيَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا﴾ النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فما بالنا بعمل قوم لوط؟، هذا فضلاً أن الطباع البشرية السليمة تأنف ذلك وتبأه، قال الخليفة عبد الملك بن مروان: والله لولا أن هذا الفعل ذكر في القرآن الكريم، لما ظننت أنه يكون.

(١) قوله تعالى: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، الأمر بإيفاء المكيال والميزان، هو: عدم التطفيف، الذي بينه الله تعالى في أول سورة «المطففين» بقوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون... الآية.

الْمِيزَانُ وَالْكِيلُ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ عَبْدُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٨﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

أما النهي عن بخس الناس أشياءهم، فهو نهي عام، يدخل فيه المنع من: الغصب، والسرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق، وانتزاع المال بطريق الحيل، والغش، والإجحاف في تقييم سلعة الغير، والقول لصاحب الشيء: بضاعتك فاسدة، أو غير جيدة، أو رديئة، إذا كان ذلك خلافاً للواقع، بقصد شراءها برخص.

إن القارئ المتأمل في قصص الأنبياء، يرى: أن الله تعالى قد أخبر عن كل قوم، بما عُرفَ فيهم من فواحش ومنكرات، بعد الكفر بالله عز وجل، فأخبرنا عن قوم لوط عليه السلام بأنهم: كانوا يأتون الذكران من العالمين، ويفعلون في ناديتهم المنكر، وعن قوم شعيب عليه السلام بأنهم: كانوا ينقصون المكيال والميزان، وينخسون الناس أشياءهم، وعن بني إسرائيل بأنهم: كانوا يأخذون الربا وقد نهوا عنه، ويأكلون أموال الناس بالباطل، وأن أولئك الأقوام جميعهم، كانوا متكبرين لا يقبلون الحق، ويسخر كبراًهم من عاستهم.

من قومه ﴿عن الإيمان﴾ لنخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا^(١) أو لتعودن ﴿ترجعن﴾ ﴿في ملتنا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد، لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب ﴿قال﴾ ﴿أ﴾ نعود فيها ﴿ولو﴾ كنا كارهين ﴿لها؟﴾ استفهام إنكار.

٨٩ ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون﴾ ينبغي ﴿لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ ذلك، فيخذلنا ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿على الله توكلنا﴾^(٢) ربنا افتح ﴿بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الحاكمين. ٩٠ ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿اتبعتم﴾ شعيباً إنكم إذا لخاسرون.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ كَافِرِينَ ۖ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۖ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ۖ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ۖ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَرَّ يَغْنَوُ فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۖ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ

٩١ ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الركب، ميتين. ٩٢ ﴿الذين كذبوا شعيباً﴾ مبتدأ خبره ﴿كان﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها﴾ في ديارهم ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره، للرد عليهم في قولهم السابق. ٩٣ ﴿فتولى﴾ أعرض [شعيب] عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فلم تؤمنوا ﴿فكيف آسى﴾ أحزن

لقد قص الله تعالى هذه الأخبار، لتكون لنا فيها عبرة، فلا نفعل ما فعلوا، وفيها أيضاً إشارة إلى اختلاف الأقسام والقرى، في اعتيادهم بعض المنكرات واشتهارهم بها، وأن ذلك يمكن أن يكون في كل زمان، فكما عرف قوم لوط بفاحشتهم في الماضي، عرف أيضاً أقوام كثيرون في عصرنا بارتكابها، وهي التي تسمى اليوم: «الشذوذ الجنسي بين الرجال»، حتى وضعت بعض تلك الدول - ومنها: بريطانيا - قوانين بممارسة هذه الفاحشة من غير حرج ولا مانع، كما يعرف قوم أو بلدة، هنا وهناك، يأكل الربا، أو الزنا، أو شرب الخمر، أو القمار، أو المخدرات، أو عدم إكرام الضيف، أو السرقة والنشل، أو سب اسم الله تعالى، وسب الدين، أو الإكثار من الفاظ الطلاق، وغيرها من المنكرات والمفاسد - والعياذ بالله تعالى - . وقد

غابت عن أولئك سلطة الحاكم المسلم، الذي يغير المنكر بيده، وعجزت عن الإصلاح أصوات الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، الذين لا يملكون تغيير المنكر بغير البستهم، وأخلد عامة المسلمين إلى كتمان سيخطهم على مرتكبي المنكرات، راضين بمرئيتهم: أضعف الإيمان، وكان دون هؤلاء - وهم كثير - أناس، رضوا بالمنكرات وإن لم يفعلوها، واعتبروا النهي عنها تدخلاً في حرية الإنسان، فكان من نتائج كل هذا، ما كان من بلاء وشقاء، ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، فآلهم عافوك وغفرانك. ارجع إلى تعليقنا حول «المعروف والمنكر» ص ٨٠.

(١) قوله تعالى: ﴿من قريتنا﴾ هي «مدائن». ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٢٩٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿على الله توكلنا﴾ يظن بعض الناس: أن التوكل هو: ترك الأخذ بالأسباب، والخمول، والاعتماد على المحسنين من الناس، =

﴿على قوم كافرين؟﴾ استفهام بمعنى النفي، [أي: لن أحزن عليكم]. ٩٤ ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ فكذبوه ﴿إلا أخذنا﴾ عاقبنا ﴿أهلها بالبأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿لعلهم يضرعون﴾ يتذللون، فيؤمنون. ٩٥ ﴿ثم بدلنا﴾ أعطيناهم ﴿مكان السيئة﴾ العذاب ﴿الحسنة﴾ الغنى والصحة ﴿حتى عفوا﴾ كثروا ﴿وقالوا﴾ كفراً للنعمة ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر، وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال تعالى: ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغثة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئه قبله. ٩٦ ﴿ولو أن أهل القرى﴾ المكذبين ﴿آمنوا﴾ بالله ورسولهم ﴿واتقوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لفتحنا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم بركات من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ عاقبناهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾.

البقرة

عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرْعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَثَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا أَ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ شَاءَ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ

٩٧ ﴿أفأمن أهل القرى﴾ المكذبون ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بيئاتاً﴾ ليلاً ﴿وهم نائمون﴾ غافلون عنه. ٩٨ ﴿أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ نهاراً ﴿وهم يلعبون﴾.

٩٩ ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ استدراجه إياهم بالنعمة، وأخذهم بغثة ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

١٠٠ ﴿أولم يهد﴾ يبين ﴿للذين يرثون الأرض﴾ بالسكنى ﴿من بعد﴾ هلاك ﴿أهلها أن﴾ فاعل (١)، مخففة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لو نشاء أصبناهم﴾ بالعذاب ﴿بذنوبهم﴾ كما أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة (٢) للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة، [أي: التي دخلت الهمزة] عليهما، للعطف، وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول (٣)، عطفاً بـ ﴿أو﴾ نحن ﴿نطبع﴾ نختم

= في نفقته وحاجاته، وهذا غير صحيح. ارجع إلى تعليقنا حول التوكل ص ٣٣١.

(١) قوله: ﴿فاعل مخففة واسمها محذوف أي: أنه﴾ هو هكذا، كما في المخطوطتين وبعض النسخ المطبوعة، أي: إن الجملة المؤلفة من ﴿أن﴾ واسمها وخبرها في محل رفع فاعل ﴿يهد﴾، قال الإمام العكبري: وتقديره: ﴿أولم يبين لهم علمهم بمشيئتنا؟﴾. وقيل: فاعل ﴿يهد﴾ هو ضمير اسم الله تعالى، وتقديره: ﴿أولم يبين الله﴾

لهؤلاء أنه قادر على إهلاكهم؟ وهذا استفهام تقرير، أي: قد بين لهم ذلك، ولكنهم لا يفقهون.

(٢) قوله: ﴿والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ﴾، أي: هي همزة استفهام خرج عن معناها الأصلي، وأريد به توبيخهم على كفرهم وضلالهم وإعراضهم عن الحق، والمواضع الأربعة هي: ﴿أفأمن أهل القرى﴾ أول الآية (٩٧)، و ﴿أوأمن أهل القرى﴾ أول الآية (٩٨)، و ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ أول الآية (٩٩)، و ﴿أولم يهد﴾ أول الآية (١٠٠).

(٣) قوله: ﴿في الموضع الأول﴾ أي: من الموضعين، اللذين جاء فيهما بعد الهمزة واو، وهما: ﴿أوأمن﴾ أول الآية (٩٨)، وهذا هو الموضع الذي فيه القراءة بسكون الواو عطفاً بـ ﴿أو﴾، كما ذكر السيوطي، وأما الموضع الثاني فهو: ﴿أولم يهد﴾ أول الآية (١٠٠)، والقراءة فيه على الاستفهام فقط، باتفاق القراء.

﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الموعظة سماع تدبر. ١٠١ ﴿تلك القرى﴾ التي مر ذكرها ﴿نقص عليك﴾ يا محمد ﴿من أنبيائها﴾ أخبار أهلها ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيئهم ﴿بما كذبوا﴾ كفروا به ﴿من قبل﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] الطبع يطبع الله على قلوب الكافرين. ١٠٢ ﴿وما وجدنا لأكثرهم﴾ أي: الناس ﴿من عهد﴾ أي: وفاء بعهدهم، يوم أخذ الميثاق [عليهم، بقوله تعالى: «ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى»] ﴿وإن﴾ مخففة [من الثقلة واسمها محذوف، أي: وإننا] ﴿وجدنا أكثرهم لفاستقن﴾ [بترك الوفاء بالعهد، واللام في «الفاستقن» لازمة لها، لفصل بين «إن» المخففة، و«إن» التي بمعنى «ما»].

١٠٣ ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿موسى بآياتنا﴾ التسع^(١) ﴿إلى﴾ فرعون وملأته ﴿قومه﴾ ﴿فظلموا﴾ كفروا ﴿بها﴾ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴿بالكفر، من إهلاكهم.

١٠٤ ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾ إليك، فكذب.

١٠٥ ﴿حقيق﴾ جدير [صفة لـ «رسول»، أو خير ثان] ﴿على أن﴾ أي: بأن ﴿لا أقول على الله إلا الحق﴾ وفي قراءة: [«حقيق علي»] بتشديد الياء، فـ «حقيق» مبتدأ، خبره: «أن» وما بعدها ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي﴾ إلى الشام ﴿بني إسرائيل﴾ وكان استعبدهم.

١٠٦ ﴿قال﴾ فرعون له ﴿إن كنت جئت بآية على دعواك﴾ فأت بها إن كنت من الصادقين فيها.

١٠٧ ﴿فالتقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ حية عظيمة^(٢).

١٠٨ ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرَعُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ فَالتَّقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا

(١) قوله: «التسع» سيأتي بيانها تعليقا ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «حية عظيمة» هذا بيان لمعنى «الثعبان»، الوارد في هذه الآية، بما جاء في غيرها، كقوله تعالى: «فإذا هي حية تسعى»، فالحية تطلق على الأثني والذكر، وأما «الثعبان» فيطلق على «الحية الضخمة»، وقد ذكر بعضهم اتفاق أهل اللغة، على أن «الثعبان» هو: الحية الضخمة، الذكر، ولكن صاحب «القاموس المحيط» يقول في الثعبان: «إنه الحية الضخمة، أو الذكر خاصة، أو عام»، فعصا موسى قد انقلبت حية ضخمة، أي: «ثعباناً» سريع الحركة كالجان، قال في القاموس: و«الجان» أيضاً حية بيضاء وزرقاء، وهو نوع من الحيات سريع الحركة والامتزاز، قال تعالى: «فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب».

هي بيضاء ذات شعاع، [من غير برص^(١) ولا مرض] للنظرين خلاف ما كانت عليه من الأذمة، [أي: الشمرة].
 ١٠٩ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم فائق في علم السحر^(٢)، وفي «الشعراء»: أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور. ١١٠ يريد أن يخرجكم من أرضكم [بسحره] فماذا تأمرون. ١١١ قالوا أرجه وأخاه أخر أمرهما وأرسل في المدائن حاشرين ١١٢ يأتوك بكل ساحر وفي قراءة «سحار» عليم يفضل موسى في علم السحر، فجمعوا. ١١٣ وجاء السحرة فرعون قالوا أئن بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما [وتركه]، على الوجهين «لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين»؟ ١١٤ قال نعم وإنكم

الْمَلَأُ الْمَلَأَ

هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظَرَيْنِ ١٠٩ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ١١٠ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١١ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ١١٢ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ١١٣ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ١١٤ قَالَتْ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ١١٥ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ١١٦ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا عَصَاهُ بِسِحْرِ عَصَاهُ ١١٧ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٨ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٩ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ١٢٠ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ١٢١ قَالُوا آمَنَّا بِأَنْفُسِهِمْ سُجَّدًا ١٢٢ وَالتَّعْبِيرُ بِصِغَةِ الْمَجْهُولِ: «أَلْقَى» لِيُبَيَّنَّ أَنَّ سُجُودَهُمْ كَانَ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ، فَكَانَ أَحَدًا الْقَاهِمِ. ١٢١ قَالُوا آمَنَّا

لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. ١١٥ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. ١١٦ قَالُوا أَلْقُوا، أمر، للإذن بتقديم إلقائهم، توصلاً به إلى إظهار الحق فلما ألقوا حبالهم وعصيهم «سحروا أعين الناس» صرفوها عن حقيقة إدراكها «واسترهبوهم» خوفوهم، حيث خيلوها حيات تسعى «وجاؤوا بسحر عظيم». ١١٧ «وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف» يحذف إحدى التاءين في الأصل، [وهو «تلقف»، أي: تبتلع] «ما يافكون» يقلبون، يتمويههم. ١١٨ «فوقع الحق» ثبت وظهر «وبطل ما كانوا يعملون» من السحر. ١١٩ «فغلبوا» أي: فرعون وقومه «هناك» وانقلبوا صاغرين «صاروا ذليلين». ١٢٠ «وألقى السحرة ساجدين» [أي: ألقوا بأنفسهم سجداً، والتعبير بصيغة المجهول: «ألقى»، لبيان أن سجودهم كان من غير تردد، فكان أحداً القاهم]. ١٢١ قَالُوا آمَنَّا

(١) أضفنا هذا الإيضاح رداً على ما في كتب أهل الكتاب من أن يد موسى. «خرجت برصاء مثل الثلج»، ومعلوم أن «البرص» مرض مفر، لا يصاب به الأنبياء عليهم السلام. (٢) قوله: «في علم السحر». جمهور العلماء على أن «السحر» له حقيقة، تحدث عند نطق الساحر ببعض الكلام، أو فعل بعض الأشياء، وقيل: إنه تخيل باطل، لا أثر له غير تفريق الزوجين، والقول الأول هو الصحيح، والسحر: معدود من الأمراض والأمور الروحانية، يسري للبدن نفعاً وضراً، فلقد ثبت في

الصحيحين: أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، كما سيأتي في تعليقنا على سبب نزول «المعوذتين» ص ٨٢٦، ولكن العلماء لم يختلفوا في حرمة تعلم السحر وتعليمه، إلا بقصد التحذير منه وتجنبه، كما لم يختلفوا في كون العمل بالسحر حراماً ولو لفك مسحور، لأن فك السحر بالسحر لا يجوز، بل يفك بالآيات والذكر، كما فعل رسول الله ﷺ عندما نزلت عليه «المعوذتان».

و «السحر» من كبائر الذنوب: فقد روى الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» — أي: المهلكات — قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»، والسحر من الكبائر ما دون الكفر، إذا لم يكن فيه ما يؤدي إلى الكفر، وإلا كان كفراً، والعياذ بالله تعالى.

يُرب العالمين». ١٢٢ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا، لا يأتي بالسحر، [بل هو معجزة]. ١٢٣ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَأَمْسُكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، [وبعدهما ألف ممدودة، أي: بالاستفهام]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: بهمة واحدة بعد ألف، على سبيل الخبر الذي معناه الاستفهام] ﴿يَهْ بِمُوسَى﴾ قبل أن أذن ﴿أَنَا لَكُمْ إِنْ هَذَا صُنْعُ مَوْءٍ﴾ لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴿مَا يَنْالُكُمْ مِنْي﴾ ١٢٤ ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى، ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا بَعْدَ مَوْتِنَا، بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة.

١٢٦ ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تُنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به، ثلثا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [عن ابن عباس: قال: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء، قال الكلبي: إن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، ورجحه الرازي في تفسيره، وقال غيره: إنه لم يقدر عليهم].

١٢٧ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿اتُّذِرْ﴾ تترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذُرْكَ وَأَلْهَتْكَ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال: أنا ربكم وربها، ولذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿قَالَ سَنَقْتُلُكَ بِالشَّدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ﴾ أبناءهم ﴿المولودين﴾ ونستحيي ﴿نستحيي﴾ نساءهم ﴿[لاستعبادهم] كفعلنا بهم من قبل﴾ وإنا فوقهم قاهرون ﴿قَادِرُونَ﴾ ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل [إلى موسى الأمر].

١٢٨ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ ١٢٩ ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [أي: للذين يتقون] الله. ١٢٩ ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ أَأَمْسُكُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَلَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا نَنْقِمُ مِنْنَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتُذَرُّ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكَ وَيَهْتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٦﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ...﴾ الآية، المراد بالأرض التي يذكر معها الإرث في القرآن الكريم، هذه الأرض المعهودة التي نعيش عليها، ولم يختلف العلماء في ذلك إلا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ فقال بعضهم: «الأرض» فيها هي الجنة في الآخرة، والصحيح: أنها هذه الأرض التي نعيش عليها في الدنيا، ولقد بيَّنا وجه الصواب في هذا القول، في تعليقتنا آخر سورة «الزمر» ص ٦١٦.

من قبل أن تأتينا [أي: من قبل أن تبعث إلينا رسولا] ومن بعد ما جئنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض [فتصبحوا فيها سادة أقوياء، وقد أنجز الله وعده، فأنجاهم وأغرق فرعون وقومه] [فينظر كيف تعملون] فيها، [أتشكرون أم تكفرون؟]. ١٣٠ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين [بالقحط] ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون يتعظون، فيؤمنون. ١٣١ فإذا جاءتهم الحسنة [الخصب والغنى] قالوا لنا هذه [أي: نحن] نستحقها، ولم يشكروا عليها [وإن تصيبهم سيئة] جذب وبلاء [يطيروا] (١) يتشاءموا [بموسى ومن معه] من المؤمنين [بقولهم: إن ما أصابنا من بلاء، نخس سببه موسى ومن معه] [ألا إنما طائروهم] شؤمهم [عند الله] يأتيهم به [إذا شاء] ولكن أكثرهم لا يعلمون [أن ما يصيبهم من عنده [تعالى] بذنوبهم، لا من عند موسى وقومه].

الْبَلَاءُ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَائَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَاتَّخَذْنَاكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِإِنَّ كَشَفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٥﴾

١٣٢ [وقالوا] لموسى [مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين] فدعا عليهم، [فاستجبنا له].

١٣٣ [فارسلنا عليهم الطوفان] وهو: ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلق الجالسين، سبعة أيام [والجراد] فأكل زرعهم وثمارهم كذلك [والقمل] السوس، أو: هو نوع من القراد، فتبع ما تركه الجراد [والضفادع] فملا بيوتهم وطعامهم [والدم] في مياههم [آيات مفصلات] مبيّنات، [سيأتي بيانها ص ٢٧٨] [فاستكبروا] عن الإيمان بها [وكانوا قوماً مجرمين].

١٣٤ [ولما وقع عليهم الرجز] العذاب [قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك] من كشف العذاب عنا إن آمنا [لئن] لام قسم [كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل] [وكانوا يستخدمونهم].

(١) قوله تعالى: [يطيروا] أصله: عادة الجاهليين قبل الإسلام، في التطير بالسوانح والبوارح، من الطير والظباء - أي: الغزلان - وغيرها.

و [السانح] هو: ما والاك ميامنة، بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، و [البارح]، عكسه، فكانوا ينفرون الظباء والطير، فإن أخذت ذات اليمين، تبركوا بها، ومضوا في حوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال، رجعوا عن ذلك، وتشاءموا بها، فأبطل الشرع ذلك ونفاه، وأخبر أنه لا تأثير له في نفع أو ضرر، وجاء النهي عاماً عن التشاؤم بأي شيء.

روى أبو داود بإسناد صحيح، عن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»، ومعنى: قوله ﷺ: «ولا ترد مسلماً» أي: لا ترد الطيرة عما عزم عليه، لأنه يعلم أن الأمر كله لله... وفسر النبي ﷺ «الفأل» بأنه «كلمة صالحة»، روى ذلك البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه ونصه: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسميها أحدكم».

٣٥ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْفُؤَادِ يَنْكُشُونَ﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم. ١٣٦ ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر الملح ^(١) ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

١٣٧ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ﴾ بالاستعباد، وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض، وهي: [أرض] الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ وهي قوله: «ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض» إلخ ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَوَدَّعْنَاهُمُ أَهْلَكُنَا﴾ ما كان يصنع فرعون وقومه ﴿مِنَ الْعِمَارَةِ﴾ وما كانوا يعرشون ﴿بِكُسر الرأء وضمها، يرفعون من البنيان.

١٣٨ ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ عبرنا ﴿بَيْنِي إِسْرَائِيلَ وَالْبَحْرَ﴾ [وأغرقنا فرعون وجنوده فيه] ﴿فَاتَّوَا﴾ فمروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرهما ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها، [وكانت تماثيل بقر، فلهذا أخرج لهم السامري عجلاً، كما سيأتي في سورة «طه»] ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلموه. ١٣٩ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ﴾ هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ بِبَاطِلٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فكيف تريدون أن تكونوا مثلهم؟. ١٤٠ ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ معبوداً، وأصله: «أبغى لكم» وهو فضلكم على العالمين ﴿فِي زَمَانِكُمْ﴾ بما ذكره في قوله: ١٤١ ﴿وَأَذْكُرْ إِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ وفي قراءة «أنجناكم» ﴿مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْفُؤَادِ يَنْكُشُونَ ﴿١٣٦﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعْنَاهُمُ أَهْلَكُنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٨﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ يَسُومُونَكَ

(١) قوله: «البحر الملح» هو [إشارة إلى أن غرق فرعون وقومه، لم يكن في نهر النيل، كما يظن البعض، لأن العرب كانت تسمي كل ماء كبير بحراً، ومن ذلك سمي «النيل» بحراً، و«الفرات» بحراً، ولكن الله أغرقهم في البحر الملح أي: في مياه البحر الأحمر، في المنطقة المعروفة اليوم بخليج السويس، وكان ذلك في يوم العاشر من محرم، فقد روى البخاري في صحيحه

— واللفظ له — ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَالْيَهُودُ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ ظَهَرَ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوا»، وَشَلَّ ﷺ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: «يَكْفُرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: «قال الشافعي وأصحابه، وأحمد وإسحاق وآخرون: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعاً، لأن النبي ﷺ صام العاشر، ونوى صيام التاسع» انتهى. وذلك أخذاً مما رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: «لَنْ يَقْبَلَ إِلَيَّ قَابِلٌ، لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»، وَمَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَاشُورَاءَ هُوَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ فَقَطْ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تَعْظُمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

﴿سوء العذاب﴾ أشدُّه، وهو: ﴿يقتلون أبناءكم ويستحيون﴾ يستبقون ﴿نساءكم﴾ [فلا يقتلونها] ﴿وفي ذلكم﴾ الإنجاء، أو العذاب ﴿بلاء﴾ إنعام، أو ابتلاء ﴿من ربكم عظيم﴾ أفلا تتعظون، فتتبهون عما قلتم؟ ١٤٢ ﴿وواعدنا﴾ باللف ودونها ﴿موسى ثلاثين ليلة﴾ نكلمه عند انتهائها، بأن يصومها، وهي: «ذو القعدة»، فصامها، فلما تئمت، أنكر خلوف فمه، فاستاك، فأمره الله بعشرة أخرى، ليكلمه بخلوف فمه [أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً] كما قال تعالى: ﴿وأتممناها بعشر﴾ من ذي الحجة ﴿فتم ميقات ربه﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أربعين﴾ حال ﴿ليلة﴾ تمييز ﴿وقال موسى لأخيه هارون﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿اخلفني﴾ كن خليفتي ﴿ففي قومي وأصلح﴾ أمرهم ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ بموافقتهم على المعاصي.

البقرة السبع

سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءُكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤٢﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى
ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِئَمٍ مِّقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ
لَنَ تَرَنِي وَلَٰكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ
فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا
وَنَحَرَ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ
عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي نَحْنُ مَاءُ آبَتِكَ وَكُن مِّنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

١٤٣ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه، للكلام فيه ﴿وكلمه ربه﴾ بلا واسطة، كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قال رب أرني﴾ نفسك ﴿أنظر إليك قال لن تراني﴾ أي: لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون: «لن أرى»، يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فإن استقر﴾ ثبت مكانه فسوف تراني ﴿أي: تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك﴾ فلما تجلّى ربه ﴿أي: ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر، كما في حديث^(١) صححه الحاكم [اقرأ التعليق] للجيل جعله دكاً﴾ بالقصر والمد، أي: مذكوكاً مستويّاً بالأرض ﴿وخر موسى صعقاً﴾ مغشياً عليه، لهول ما رأى ﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾ تنزيهاً لك ﴿تبت إليك﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ في زمانى. ١٤٤ ﴿قال﴾ تعالى له: ﴿يا موسى إني اصطفتك﴾ اخترتك ﴿على الناس﴾ أهل زمانك ﴿برسالاتي﴾ بالجمع والإفراد ﴿وبكلامي﴾ أي: تكلمي إياك ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من الفضل ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي.

١٤٥ ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ أي: ألواح التوراة، و[قيل: كانت من سدر الجنة، أو: زبرجد، أو: زمرد. سبعة، أو: عشرة] والصحيح عدم تحديد نوعها، أو عددها، لأنه لا دليل على ذلك [من كل شيء] يحتاج إليه في الدين

(١) قوله: «كما في حديث صححه الحاكم»، وروى أحمد والترمذي مثله، ولو لم يُشر الجلال السيوطي إلى هذا الحديث لكان أحسن وأسلم، لأن في روايته من اختلف فيه، ولم يسلم من طعن، فالصحيح في تفسير الآية هو: «فلما تجلّى رب موسى وظهر للجيل — بعد أن خلق في الجبل حياة وإدراكاً ورؤية — رأى الجبل الله، كما سيرا المؤمنين في الآخرة، فاندك الجبل من شدة هيئته تعالى، وسقط موسى مغشياً عليه، لهول ما رأى من اندكائه»، وقال بمثل هذا القرطبي والنسفي في تفسيريهما. أرجع إلى تعليقنا حول رؤيته تعالى ص ٢٧٠.

﴿موعظة وتفصيلاً﴾ تبييناً ﴿لكل شيء﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فخذها﴾ قَبْلَهُ: «قلنا» مقدراً، [أي: قلنا له فخذها] ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين﴾ فرعون وأتباعه، وهي: مصر، لتعتبروا بها.

١٤٦ ﴿سأصرف عن آياتي﴾ دلائل قدرتي، من المصنوعات وغيرها ﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ بأن أخذلهم، فلا يتفكرون فيها ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيلاً﴾ طريق ﴿الرشد﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لا يتخذوه سبيلاً﴾ يسلكوه ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ الضلال ﴿يتخذوه سبيلاً﴾ ذلك ﴿الصرف﴾ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿تقدم مثله﴾ [في الآية ١٣٥، أي: لا يتدبرونها]. ١٤٧ ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ البعث، وغيره [من الحساب والجزاء يوم القيامة] ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ ما عملوه في الدنيا من خير، كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لهم [عليه في الآخرة]، لعدم شرطه [وهو: الإيمان]، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا، روى مسلم، عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، أما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجزى بها» [هل؟ ما «يجزون إلا» جزاء «ما كانوا يعملون» من التكذيب والمعاصي].

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ نَّخُذُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرَ قَوْمِكَ
يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ
لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٨ ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿من حلّهم﴾ الذي استعاروه^(١) من قوم فرعون بَعْلَةً عرس، فبقي عندهم ﴿عجلاً﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جسداً﴾ بدل [من «عجلاً»، أي:] لحماً ودماً ﴿له خوار﴾ أي: صوت يُسمع، انقلب كذلك، بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه، فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه، [كما سيأتي في سورة «طه» ص ٤١٤]، ومفعول «اتخذ» الثاني محذوف، أي: إلهاً ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً﴾ فكيف يتخذ إلهاً؟ ﴿اتخذوه﴾ إلهاً ﴿وكانوا ظالمين﴾ باتخاذهم.

١٤٩ ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿ورأوا﴾ علموا ﴿أنهم قد ضلوا﴾ بها، بعد رجوع موسى ﴿قالوا﴾ لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا، بالياء والتاء فيهما، [فعلى قراءة الياء، يكون: «ربنا» مرفوعاً على الفاعلية، وعلى قراءة التاء، يكون: «ربنا» منصوباً على النداء] ﴿لنكونن من الخاسرين﴾.

(١) معظم المفسرين ذهب هذا المذهب، وهو من أقاويل بني إسرائيل، والصحيح هو: أن الحلّي هي لبني إسرائيل، ولا صحة لرواية استعارته، والإضافة في قوله: «حلّهم» هي إضافة ملك.

١٥٠ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ مِنْ جَهَنَّمَ﴾ شديداً الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِسْمَا﴾ أي: بشس خلافة ﴿خَلَقْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ [أي: بنسبت] خلافتكم هذه، [أي: بشس ما عملتم بعدى]، حيث أشركتم ﴿أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [بما فعلتم، ولم تنتظروا حتى أرجع إليكم بأمره تعالى؟] ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ الألواح التوراة، غضباً لربه، فتكسرت^(١) ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [هارون]، أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ [هارون]: يا ابن أمك بكسر الميم وفتحها، أراد: أمي، وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا قَارِبُوا يَقتُلُونَنِي﴾ فلا تسمت ﴿تُفْرَحُ بِبِئْسِ الْأَعْدَاءِ﴾ بيا هانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل، في المؤاخدة.

الْحِجَابُ الْبَاطِنُ

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقتُلُونَنِي فَلَا تُسْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ الَّتِي أَلْقَاهَا وَفِي نُسْخَتِهَا أَي: ما نُسخ فيها، أي: كُتِبَ ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول، [أي: لربهم]، لتقدمه، [أصله: يرهبون ربهم].

١٥١ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أشركك في الدعاء، إرضاء له، ودفعاً للشماتة به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ١٥٢ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا، بالامر بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿المفترين﴾ على الله بالإشراك وغيره. ١٥٣ ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. ١٥٤ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: ما نُسخ فيها، أي: كُتِبَ ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول، [أي: لربهم]، لتقدمه، [أصله: يرهبون ربهم]. ١٥٥ ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه

(١) قوله: «فتكسرت»، وأخذ برأس أخيه، إن تكسر الألواح جاء في رواية لحديث رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً ونصه: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح، فانكسرت»، فقله: «فانكسرت» زيادة عما في رواية أخرى، ولعله من إدراج بعض الرواة، قال الفخر الرازي

في تفسيره: «ولما قال أن يقول: ليس في القرآن إلا أنه ألقى الألواح» أما أنه ألقاها بحيث تكسرت، فهذا ليس في القرآن، وإنه لجراة عظيمة على كتاب الله، ومثله لا يليق بالأنبياء عليهم السلام. اهـ. ونقول: إن قول الرازي هذا هو الصواب، فإن موسى عليه السلام كان غضبان قبل وصوله إلى قومه، فلا علاقة لغضبه بإلقاء الألواح، فغضبه كان على قومه الذين ضلوا بعده، ثم إن إلقاءها كان لا بد منه، إذ لا يعقل أن يظل يحملها. أما أخذه برأس أخيه وجره إليه، وما حصل بينهما، فقد بالغ بعضهم في تفسيره، فاعتبره عملاً لا يليق بالأنبياء، حتى اضطروا آخرون إلى الدفاع، ولكن الأمر ليس كما قالوا، فلا شيء غير لائق فيما فعله موسى وهارون عليهما السلام أو قالاه، فهما معاً يحملان رسالة واحدة، والعادة جارية على التوسع والمباينة بين ذوي القربى والأصحاب، ومن هذا القبيل قول سيدنا محمد ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، في حديث صححه الترمذي: «كلنك أمك معاذ» أي: فقدت أمك، وهذا دعاء عليه، لو قاله غيره ﷺ لربما غضب معاذ، فلو كان ذلك غير لائق لما قاله، وهو ﷺ أدري الناس بما يليق وبما لا يليق.

﴿سبعين رجلاً﴾ ممن لم يعبدوا العجل، بأمره تعالى ﴿لميقائنا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، ليعتذروا من عبادة أصنامهم العجل، فخرج بهم ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم، [ولم يفارقوهم] حين عبدوا العجل، قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية، وأخذتهم الصاعقة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أي: قبل خروجي بهم، ليعاين بنو إسرائيل ذلك، ولا يتهمونني [بقتلهم] ﴿ولإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ استفهام استعطاف، أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إن﴾ ما ﴿هي﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إلا ففتنك﴾ ابتلاؤك ﴿تضل بها من تشاء﴾ إضلاله ﴿وتهدي من تشاء﴾ هدايته ﴿أنت ولينا﴾ متولي أمورنا ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾. ١٥٦ ﴿واكتب﴾ أوجب ﴿لنا﴾

في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ﴿إنا هدنا﴾ تبنا ﴿إليك قال﴾ تعالى: ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ تعذيبه ﴿ورحمتي وسعت﴾ عمت ﴿كل شيء﴾ في الدنيا ﴿فسأكتبها﴾ في الآخرة ﴿للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ [فهم وحدهم الذين تنالهم رحمة الله يوم القيامة]. ١٥٧ [ثم بين الله تعالى صفات الذين كتب الله لهم الرحمة في الآخرة، لكيلا يظن أهل الكتاب، أن رحمته تعالى ستناهم، فقال: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ محمد ﷺ ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ باسمه وصفته ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ مما حرم في شرعهم ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ من الميتة ونحوها ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ (١) ثقلهم ﴿والأغلال﴾ الشدائد ﴿التي كانت عليهم﴾ كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة [من الثوب، وعدم طهارته بالغسل]

(١) قوله تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾، من المعلوم: أن بني إسرائيل شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، كما فعلوا في قصة أمرهم بذبح بقرة، لذلك حذر النبي ﷺ من التشدد والتنطع فقال: ﴿إن الذين يُسرُّ ولن يُشادَّ الذين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُم بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَال عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

وأبشروا» رواه البخاري، وقال ﷺ: «هلك المتنتطعون»، قالها ثلاثاً، رواه مسلم، وهم المتعمقون المشدودون في غير موضع التشديد. ومن الأمثلة على التنطع المذموم: ما رواه البخاري، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل - واسمه: يُسَيْرُ بن عروة الأنصاري - نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مُرُوهُ فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»، فرد عليه بدعة، وأمره بإتمام الصوم، لأنه عبادة مشروعة.

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادته، فلما أخبروا، كأنهم تقالوها - أي: وجدوها قليلة في حقهم هم - وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: =

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وعزروه﴾^(١) وقرّوه ﴿ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي: القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾.

١٥٨ ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون. ١٥٩ ﴿وَ﴾ [كان] ﴿مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [في زمانه] ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

الْحُجَّةُ الْبَاطِلَةُ

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
أُمَمًا ۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ۖ أَنِ اضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبُهُمْ ۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ۖ وَأَزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْآمَنَ وَالسَّلَوى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

١٦٠ [ثم رجع السياق، إلى بيان أحوال بني إسرائيل، وكيف كانوا يقابلون نعم الله عليهم، قال تعالى:] ﴿وقطعناهم﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثنتي عشرة﴾ حال ﴿أسباطاً﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وأوحينا﴾ إلى موسى إذ استسقاء قومه ﴿في التيه﴾ أن اضرب بعصاك الحجر ﴿فضربه﴾ فانبجست ﴿انفجرت﴾ منه اثنتا عشرة عيناً ﴿بعدد الأسباط﴾^(٢) ﴿قد علم كل أناس﴾ سبط منهم ﴿مشربهم﴾ وظللنا عليهم الغمام ﴿في التيه﴾ من حر الشمس ﴿وأزلنا عليهم المن والسلوى﴾ هما الترنجيبين [وهو: شيء حلوا]، والطير السمائي، بتخفيف الميم والقصر، وقلنا لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [فاكلوا، ولم يشكروا الله على ذلك] ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾. ١٦١ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إذ قيل

«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد - أي: أنام من الليل - وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(١) قوله تعالى: ﴿وعزروه﴾ جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: أولها: في الآية (١٢٨) من سورة المائدة ص ١٣٨، حيث قال تعالى خطاباً لبني إسرائيل: ﴿وآتاكم برسلي وعزروهم﴾، وثانيها: هنا في «الأعراف»، والموضع الثالث: في سورة «الفتح» الآية التاسعة منها ص ٦٧٩، حيث قال تعالى: ﴿لنؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾.

وللتعزير في اللغة معنيان متضادان، فيقال: «عزّره»: أي: لأمه، وعزّز الجاني: إذا ضربه مؤدياً دون التحذير، ومنه: «التعزير» الموكول إلى الحاكم، أي: التأديب على ما لا عقوبة دنيوية محددة فيه.

ويقال أيضاً: «عزّره»: أجله وعظمه ووقره، وأعانه وقواه، ونصره بسيفه ولسانه وهذا هو المعنى المراد من «التعزير» في المواضع الثلاثة المذكورة.

(٢) قوله: «بعدد الأسباط» هم أولاد يعقوب عليه السلام، يوسف وإخوته الأحد عشر، فهؤلاء وذرياتهم هم «بنو إسرائيل». ارجع إلى تعليقنا حول «الأسباط» ص ٢٦، وحول «بنو إسرائيل» ص ١٠.

لهم اسكنوا هذه القرية ﴿بيت المقدس﴾ واكلوا منها حيث شئتم وقولوا ﴿أمرنا﴾ ﴿حطة﴾ [أي: طلبنا أن تحط ذنوبنا، ليكون ذلك اعترافاً منهم بها] ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: باب القرية ﴿سجداً﴾ سجود انحناء ﴿تغفر﴾ بالنون، والتاء ^(١) مبنياً للمفعول ﴿لكم خطاياكم سنزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثواباً.

١٦٢ ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فقالوا ^(٢) [مستهزين]: «حبة في شعرة»، ودخلوا يزحفون على أستاههم، [جمع «سته»، أي: أوراكهم] «فأرسلنا عليهم رجلاً عذاباً من السماء بما كانوا يظلمون».

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ نَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا

١٦٣ ﴿واسألهم﴾ يا محمد، توبيخاً ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ مجاورة بحر القلزم، [أي: البحر الأحمر]، وهي: «إيلة»، [عند خليج العقبة]، ما وقع بأهلها؟ ﴿إذ يعدون﴾ يعتدون ﴿في السبت﴾ بصيد السمك، المأمورين بتركه فيه ﴿إذ﴾ ظرف لـ «يعدون» ﴿تأتيهم حثانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على الماء ﴿ويوم لا يسبتون﴾ لا يعظمون السبت، أي: سائر الأيام ﴿لا تأتيهم﴾ ابتلاء من الله ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ ولما صادوا السمك، افترقت القرية أثلاثاً: ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

١٦٤ ﴿وإذ﴾ عطف على «إذ» قبله ﴿قالت أمة منهم﴾ لم تصد، ولم تنه، لمن نهى: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ قالوا: موعظتنا «معذرة» نعتذر بها ﴿إلى ربكم﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿ولعلمهم يتقون﴾ الصيد.

١٦٥ ﴿فلما نسوا﴾ تركوا ﴿ما ذكروا﴾ وعظوا ﴿به﴾ فلم يرجعوا ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ بالاعتداء [في السبت] ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد ﴿بما كانوا يفسقون﴾. ١٦٦ ﴿فلما

(١) قوله: «بالنون والتاء» الحاصل: أن في قوله تعالى: «تغفر لكم خطيئاتكم» أربع قراءات سبعة، اثنتان منها بالنون واثنتان بالياء، الأولى: «تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ». الثانية: «تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ». الثالثة: «تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ» بالإنفراد. الرابعة: «تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ» بالجمع.

(٢) قوله: «فقالوا» إلخ. أخرجه البخاري ومسلم والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا: حطة... حبة في شعرة». وفي رواية قالوا: «حطة» بدل «حطة»، وذلك استهزاء منهم.

عتوا ﴿تَكْبَرُوا﴾ عَنْ ﴿تَرْكِ﴾ مَا نَهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿صَاغِرِينَ﴾، فَكَانُواهَا، وَهَذَا تَفْصِيلٌ لِمَا قَبْلَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَدْرِي مَا فَعَلَ بِالْفِرْقَةِ السَّاكِنَةِ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: لَمْ تَهْلِكْ، لِأَنَّهَا كَرِهَتْ مَا فَعَلُوهُ وَقَالَتْ: «لَمْ تَعْظُونَ»؟ إِنْ لَمْ يَرْوِ الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَجَعَ إِلَيْهِ، [أَي: إِلَى قَوْلِ عِكْرَمَةَ]، وَأَعْجَبَهُ ١٦٧ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ ١٦٨ ﴿أَعْلَمَ﴾ رَبِّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴿أَي: الْيَهُودَ﴾ [مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ] ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بِالذَّلِّ وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانَ، وَبَعْدَهُ بَخْتَنْصَرَ، فَقَتَلَهُمْ وَسَبَّاهُمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، فَكَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى الْمَجُوسِ، إِلَى أَنْ بُعِثَ نَبِينَا ﷺ، فَضَرَبَهَا عَلَيْهِمْ ﴿إِنْ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ عَصَاهُ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ. ١٦٨ ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فِرْقَانَهُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فِرْقًا ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ [وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَحَسَنَ إِسْلَامَهُمْ] ﴿وَمِنْهُمْ نَاسٌ﴾ دُونَ ذَلِكَ ﴿هَمُ﴾ الْكُفَّارُ وَالْفَاسِقُونَ ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ بِالنَّعَمِ ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ النَّقَمِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَنْ فَسْقِهِمْ.

الْبُرْءُ الشَّامِخُ

عَتَا عَنْ مَا نَهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴿١٦٨﴾ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْأَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٢﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا

١٦٩ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ عَنْ آبَائِهِمْ ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أَي: حِطَامَ هَذَا الشَّيْءِ الدُّنْيَى، أَي: الدُّنْيَا مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، [لِلشَّدَةِ حَرَصَهُمْ وَنَهْمَهُمْ] ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ مَا فَعَلْنَا ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الْجُمْلَةَ حَالًا، أَي: يَرْجُونَ الْمَغْفِرَةَ، وَهُمْ عَائِدُونَ إِلَى مَا فَعَلُوهُ، مُضْرَبُونَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي التَّوْرَةِ وَعْدُ الْمَغْفِرَةِ، مَعَ الْإِصْرَارِ ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ اسْتَفْهَامُ تَقْرِيرٍ، [أَي: قَدْ أَخَذَ] ﴿عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى «فِي»، [أَي: مِثَاقٌ فِي الْكِتَابِ] ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عَطَفَ عَلَى «يُؤْخَذُ»، [أَي: قَرَأُوا] ﴿مَا فِيهِ﴾ فَلَمْ كَذَّبُوا عَلَيْهِ، بِنِسْبَةِ الْمَغْفِرَةِ إِلَيْهِ مَعَ الْإِصْرَارِ؟ ﴿وَالْأَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الْحَرَامَ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالنَّاءِ، أَنَّهَا خَيْرٌ، فَيُؤْثِرُونَهَا عَلَى الدُّنْيَا؟.

١٧٠ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بِمَعْنَى «يُمْسِكُونَ»، بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بِمَعْنَى «لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»، وَفِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، أَي: «أَجْرَهُمْ». ١٧١ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا

١٧٢ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بِمَعْنَى «يُمْسِكُونَ»، بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بِمَعْنَى «لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»، وَفِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، أَي: «أَجْرَهُمْ». ١٧١ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ الآية (١٦٧)، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة، حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله... هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». و«الغرقد»: نوع من الشجر له شوك، قال الدينوري: «المرسجة» إذا عظمت صارت «غرقدة».

الجبل ﴿فوقهم كأنه ظلة وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنه واقع بهم﴾ ساقط عليهم، بوعد الله إياهم بوقوعه، إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبوا لثقلها، فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾.

١٧٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ﴾ حين ﴿أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾ بدل اشتغال مما قبله، بإعادة الجاز ﴿ذريتهم﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض، من صلب آدم، نسلاً بعد نسل، كنعو ما يتوالدون، كالذر، [جمعهم] بنوعان [— مكان بجانب عرفة —] يوم عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيته، وركب فيهم عقلاً ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ قال: ﴿ألمست بربكم؟ قالوا بلى﴾ أنت ربنا ﴿شهدنا﴾ بذلك، والإشهاد لـ ﴿أن﴾ لا ﴿يقولوا﴾ بالياء والتاء في الموضوعين، [هذا والذي بعده]، أي: [لشأن] يقول [الكفار] يوم القيامة إنا كنا عن هذا التوحيد ﴿غافلين﴾ لا نعرفه.

١٧٣ ﴿أو يقولوا﴾ إنما أشرك آباؤنا من قبل ﴿أي﴾ قبلنا ﴿وكننا ذرية من بعدهم﴾ فافتدنا بهم ﴿أفنهلكنا﴾ تعذبنا ﴿بما فعل المبطلون﴾ من آباءنا، بتأسيس الشرك؟ المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك، مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة، قائم مقام ذكره في النفوس.

١٧٤ ﴿وكذلك﴾ تفصل الآيات ﴿نبيين﴾، مثل ما بينا الميثاق، ليتدبروها ﴿ولعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم.

١٧٥ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ أي: اليهود ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذي آتينا آياتنا﴾ فأنسلخ منها ﴿خرج بكفره﴾، كما تخرج الحية من جلدها، وهو: بلعم بن باعوراء، من علماء بني إسرائيل، سئل أن يدعو على موسى [وقومه]، وأهدي إليه شيء، فدعا [عليهم]، فانقلب [دعاؤه] عليه، وانقلب لسانه على صدره ﴿فأتبعه الشيطان﴾ فأدركه، فصار قريته ﴿فكان من الغاوين﴾.

١٧٦ ﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ إلى منازل العلماء ﴿بها﴾ بأن نوقفه للعمل ﴿ولكنه أخلد﴾ سكن

﴿إلى الأرض﴾ أي: الدنيا، ومال إليها ﴿واتبع هواه﴾ في دعائه إليها، فوضعناه [وأهناه] ﴿فمثل﴾ صفته ﴿كمثل الكلب﴾ إن تحمل عليه ﴿بالطرد والزجر﴾ يلهث ﴿يذبح لسانه﴾ ﴿أو﴾ إن تركه يلهث وليس غيره من الحيوان كذلك، وجعلنا الشرط حال، أي: لاهثاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخسة، بقرينة «الفاء»، المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها، من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذلك﴾ المثل ﴿مثل القوم الذين﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آيِنِكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَلْيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَفَشِلُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كذبوا بآياتنا فاقصص القصص على اليهود، [وعلى غيرهم] ﴿لعلهم يتفكرون﴾ يتدبرون فيها، فيؤمنون.
 ١٧٧ ﴿سَاءَ﴾ بس ﴿مثلاً القوم﴾ أي: مثل القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بالتكذيب.
 ١٧٨ ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ [بإثبات الياء هنا، وصلاً ووقفاً، باتفاق القراء] ﴿ومن يضل فأولئك هم الخاسرون﴾.

١٧٩ ﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الحق ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ دلائل قدرة الله، بصر اعتبار ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ الآيات والمواعظ، سماع تدبر واتعاط

الجزء الرابع

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
 سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا
 يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
 مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
 لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ
 كَانُوا لَنْعَمٍ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
 يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

﴿أولئك كالأنعام﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بل هم أضل﴾ من الأنعام، لأنها تطلب منافعها، وتهرب من مضارها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أولئك هم الغافلون﴾.

١٨٠ ﴿والله الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون، الوارد بها الحديث^(١) و﴿الحسنى﴾: مؤنث ﴿الأحسن﴾ ﴿فادعوه﴾ سموه ﴿بها﴾ وذروا ﴿الذين يلحدون﴾ [بضم الياء وكسر الحاء]، من ﴿الحدة﴾، ويفتحهما من ﴿لحد﴾، [أي: يميلون عن الحق] ﴿في أسمائه﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم، كالكلمات من ﴿الله﴾، والعزى من ﴿العزیز﴾، ومناة من ﴿المنان﴾ ﴿سيجزون﴾ في الآخرة، جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٨١ ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ هم أمة محمد ﷺ، كما في حديث [موقوف على بعض التابعين، كقتادة، أخرجه ابن جرير الطبري وغيره، وهذا تفسير تابعي].

١٨٢ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن، من أهل مكة [وغيرها] ﴿سنستدرجهم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿من حيث لا يعلمون﴾.

١٨٣ ﴿وأملني لهم﴾ [أي: وأطوّل لهم ما هم فيه، و] أمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾ شديد لا يطاق.

(١) قوله: ﴿الوارد بها الحديث﴾، أي: الذي رواه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد ذكره السيوطي بتسامه في آخر سورة الإسراء ص ٣٧٩. وجاء ذكر أسماء الله الحسنى، في عدد من الأحاديث، من غير تعدد، فقد روى الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها - أي: حفظها - دخل الجنة»، أما تعددها اسماً اسماً، فلم يخرج في الصحيحين، بل ذكره عدد من أئمة الحديث، منهم ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، واهتم بها البيهقي وتعقبها في كتابه «الأسماء والصفات»، ولكن رواية الترمذي التي أشرنا إليها هي المعروفة والمتداولة.

١٨٤ ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مِّبِّينَ﴾ بَيْنَ
الإنذار؟.

١٨٥ ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا﴾،
فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانته؟ ﴿و﴾ في ﴿أَنْ﴾ [مخففة من الثقيلة]، أي: أنه ﴿عَسَى أَنْ﴾
يكون قد اقترب ﴿قَرَبٍ﴾ أجلهم ﴿فَيَمُوتُوا كُفَّارًا﴾، فيصيروا إلى النار، فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾
أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟.

١٨٦ ﴿مَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ﴾ من يضل الله فلا هادي له ويذرهم
بالياء والنون مع الرفع استئنافاً، [وفي قراءة
بالياء] والجزم، عطفاً على محل ما بعد الفاء،
[الواقعة في جواب الشرط، فهي ثلاث قراءات
سبعية] ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون
تحيراً.

١٨٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنِ﴾
الساعة ﴿الْقِيَامَةِ﴾ أيان ﴿مَتَى﴾ مرساها ﴿﴾
[قيامها]؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى تكون
﴿عِنْدَ رَبِّي لَا يَجْلِيهَا﴾ يظهرها ﴿لَوْ قُتِلَ﴾ اللام
بمعنى «في»، [أي: في وقتها] ﴿إِلَّا هُوَ﴾
ثقلت ﴿عَظُمَتْ﴾ في السماوات والأرض ﴿عَلَى﴾
أهلها لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة
﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ﴾ مبالغ في السؤال
﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ﴾ إنما علمها عند
الله ﴿تَأْكِيدَ﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿﴾
أن علمها عنده تعالى، [لأنهم ليسوا
مؤمنين].

١٨٨ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجلبه
﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ولو
كنت أعلم الغيب ﴿مَا غَابَ عَنِّي﴾
﴿لَا سَكَّرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾
من فقر وغيره، لاحترازي عنه باجتناب
المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار
للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِقَوْمٍ﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
مِّبِّينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ
خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا
مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَكَّرْتُ مِنْ
الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ

من القرآن الكريم، أو هو مرفوع، أي: من كلامه ﷺ؟. ورُجِّع الأول، فليس تعدادها من قوله ﷺ ولا من قول الصحابي
- أبي هريرة - راوي الحديث. قال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عَنِ الأسماء المذكورة.
وعلى كل حال، فإنه ما من اسم منها إلا ورد به الكتاب والسنة الصحيحة، غير اسم «الضبور»، فإنه لم يرد في القرآن الكريم، بل
جاء في حديث الشيخين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى
سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافهم ويرزقهم» يعني: الكفار، فلم يعاجلهم بالعقوبة.
وليس أسماءه تعالى منحصرة في التسعة والتسعين المشار إليها، بدليل حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ
وفيه: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك،
أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي» رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه.

يؤمنون ﴿١٨٩﴾ هو ﴿١﴾ أي: الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ أي: آدم ﴿وجعل﴾ خلق ﴿منها زوجها﴾ حواء ﴿ليسكن إليها﴾ [ليطمئن إليها] ويألفها ﴿فلما تغشاها﴾ جامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ هو النطفة ﴿فمرت به﴾ ذهبت وجاءت، لخفته ﴿فلما أثقلت﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفق أن يكون بهيمة ﴿دعوا الله ربهما لن آتينا﴾ ولداً ﴿صالحاً﴾ سوياً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك عليه. ١٩٠ ﴿فلما آتاها﴾ ولداً ﴿صالحاً جعلاً له شركاء﴾ (١) وفي قراءة: [شركاء] بكسر الشين والتنوين، أي: شريكاً ﴿فيما آتاها﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية، لعصمة آدم. وروى سُمرة [بن جُنْدَب] عن النبي ﷺ قال: ﴿لما

ولدت حواء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميّه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمّته، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره﴾ رواه الحاكم وقال: صحيح، والترمذي وقال: حسن غريب [اقرأ التعليق] ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ أي: أهل مكة، به من الأصنام، والجملة مسببة، عطف على «خلقكم»، وما بينهما اعتراض. ١٩١ ﴿أبشركون﴾ به في العبادة ﴿ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾. ١٩٢ ﴿ولا يستطيعون لهم﴾ أي: لعابديهم ﴿نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً، من كسّر وغيره، والاستفهام للتوبيخ.

١٩٣ ﴿وإن تدعوهم﴾ أي: الأصنام ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سواء عليكم أدعوتموهم﴾ إليه ﴿أم أنتم صامتون﴾ عن دعائهم، [فإنهم] لا يتبعون، لعدم سماعهم. ١٩٤ ﴿إن الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله عباداً مملوكاً أمثالكم فادعوهم فليستجبوا لكم﴾ دعاءكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنها آلهة. ١٩٥ ثم بين غاية عجزهم، وفضل عابديهم عليهم فقال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها؟ أم﴾ بل أ﴿لهم أيد﴾ جمع: «يد» «يبيضون بها؟ أم﴾ بل أ﴿لهم أعين يبصرون بها؟ أم﴾ بل أ﴿لهم

الجزء الرابع

يؤمنون ﴿١٨٨﴾ * هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴿١٨٩﴾ فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون ﴿١٩٠﴾ أبشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴿١٩١﴾ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴿١٩٢﴾ إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم فادعوهم فليستجبوا لكم إن كنتم صادقين ﴿١٩٣﴾ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبيضون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم

(١) قوله تعالى: ﴿جعلاً له شركاء﴾. اختلف المفسرون في الشرك الوارد في هذه الآية، فقال قوم: إن الكلام في آدم وحواء، وفشروا الشرك بأنه في تسميتهما الولد (عبد الحارث)، لا في الصفة والزبوية، واحتجوا على ذلك بالحديث الذي ذكره السيوطي هنا، ورواه الحاكم والترمذي، وقال آخرون: إن ما في الآيتين ١٨٩ و ١٩٠، لا يعني آدم وزوجه، بل يعنى جنس الآدميين، وبين عن حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعول عليه، فقوله تعالى: ﴿جعلاً له﴾ يعني: الجنسين أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هذا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ ولم يقل: يشركان. قال القرطبي: هذا قول حسن، ونقل ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: «هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً، فهوذا ونصروا»، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن البصري رحمه الله، أنه فسر الآية بذلك، =

أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهِ؟﴾ استفهام إنكار، أي: ليس لهم شيء من ذلك، مما هو لكم، فكيف تعبدونهم، وأنتم أنتم حالاً منهم؟ ١٩٦. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونَ﴾ فلا تنظرون ﴿[أي: فلا] تمهلون، فإني لا أبالي بكم.

١٩٦ ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ﴾ متولّي أموري ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه. ١٩٧ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم؟ ١٩٨ ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهَدْيِ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾. ١٩٩ ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [أي: اليسر

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهِ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونَ
فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٦﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٧﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ
تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهَدْيِ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٩٩﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُم مُّبْصُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِغَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ

٢٢٥

من أخلاق الناس، [أخرجه البخاري، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]، ولا تبحث عنها، [وأخرج الطبراني وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أمر الله نبيه، أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»] ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ المعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلا تقابلهم بسفهمهم. ٢٠٠ ﴿وَأَمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية؛ في «ما» المزيدة ﴿يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدْفَعُكَ عَنْكَ ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل، [وفي هذه الآية، استحباب التعوذ عند الغضب والوسوسة] (١).

٢٠١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ وفي قراءة «طائف»، أي: شيء ألم بهم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره، فيرجعون. ٢٠٢ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي الْغِيِّ﴾ [أي: في الضلال] ﴿ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصّر، كما تبصّر المتقون.

٢٠٣ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِغَايَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلاً ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ أنشأتها من قبل نفسك؟ ١٩٦ ﴿قُلْ﴾

لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ حُجج

= وهو من أحسن التفسير وأولى ما حُمِلَتْ عليه الآية. ثم بعد أن بين ابن كثير، ما في هذه الروايات التي فيها ذُكر آدم وحواء، من علل، وما عليها من مأخذ، قال: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته». اهـ. ونقول: إن هذا هو الحق، والمتفق مع منزلة الأنبياء عليهم السّلام.

(١) قولنا: «عند الغضب والوسوسة»، روى الشيخان عن سليمان بن صرد الخزاعي رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ =

﴿مَنْ رَبِّكُمْ وَهْدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. ٢٠٤ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لعلكم ترحمون﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة، وعبر عنها بالقرآن، لاشتمالها عليه، [وأخرج عبد الرزاق وغيره عن مجاهد قال: «وجب الإنصات في اثنتين: في الصلاة والإمام يقرأ، وفي الجمعة والإمام يخطب»] وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً.

٢٠٥ ﴿وَإِذْ ذَكَرَ رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سرّاً ﴿تَضَرَّعاً﴾ تذلاًلاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿وَفَوْقَ السَّرِّ﴾ دون الجهر من القول ﴿أَيُّ قَصْداً بَيْنَهُمَا﴾ بالغدو والآصال ﴿أَوَائِلَ النَّهَارِ وَأَوَاخِرَهُ﴾ ولا تكن من الغافلين ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. ٢٠٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(١) أي: يخصونه بالخضوع والعبادة، فكونوا مثلهم.

الجزء الرابع

مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ أَنْ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٥﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٧﴾

﴿سُورَةُ الْأَنْفَالِ﴾

(مدينة أو: إلّا) وإذ يمكرك

الآيات السبع، فمكية، خمس، أو: ست، أو: سبع وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا، لأننا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا رداءً، [أي: عوناً] لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفتتم إلينا، فلا تستأثروا بها، نزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم، لمن هي؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاء، فقسما ٢٢٢ بينهم على السواء، رواه الحاكم في المستدرک، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأصلحوا ذات بينكم، أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَدَنِيَّةٌ

وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

ورجلان يستبان، وأحدهما قد أحمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها

لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان الرجيم. (١) قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾. عندما يقرأ المسلم آية من آيات السجدة في القرآن أو يسمعها، يُسأل له أن يسجد سجدة واحدة، مثل سجوده في الصلاة، تسمى «سجدة التلاوة»، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فيقرأ السورة فيها السجدة، فيسجد ونسجد معه، حتى لا يجد أحداً مكاناً لوضع جبهته»، وأخرج مسلم وابن ماجه والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله... أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار». هذا: ويشترط لصحة سجود التلاوة، ما يشترط لصحة الصلاة، من الطهارة واستقبال القبلة وغيرهما.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَامِلُونَ الْإِيمَانَ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ﴾ ^(١) ﴿أَيَ: وَعِيْدُهُ﴾ وَجَلَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تَصْدِيقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ بِهِ يَتَّقُونَ، لَا بَغْيَ لَهُ. ٣ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يَأْتُونَ بِهَا بِحَقِّهَا ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أَعْطَيْنَاهُمْ ﴿يُنْفِقُونَ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. ٤ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ ﴿هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صَدَقَ بِلَا شَكٍّ ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ مَنَازِلٌ فِي الْجَنَّةِ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فِي الْجَنَّةِ. ٥ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ «أَخْرَجَ» ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الْخُرُوجَ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ كَافٍ «أَخْرَجَكَ»، وَ «كَمَا» خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ، أَيَ: هَذِهِ الْحَالُ [أَيَ: قِسْمَةُ الْأَنْفَالِ]، فِي حَالِ كَرَاهَتِهِمْ لَهَا، مِثْلُ إِنْخِرَاجِكَ [إِلَىٰ بَدْرٍ]، فِي حَالِ كَرَاهَتِهِمْ، وَقَدْ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ [قِسْمُ الْغَنَائِمِ] أَيْضًا. وَذَلِكَ:

أَنْ أَبَا سَفْيَانَ، قَدِمَ بَعِيرٌ مِنَ الشَّامِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ لِيَغْنَمُوها، فَعَلِمَتْ قُرَيْشٌ، فَخَرَجَ أَبُو جَهْلٌ وَمُقَاتِلُو مَكَّةَ لِيَذْبُوا عَنْهَا، وَهُمْ النِّفِيرُ، وَأَخَذَ أَبُو سَفْيَانَ بِالْعَبْرِ طَرِيقَ السَّاحِلِ، فَجَنَّتْ، فَقِيلَ لِأَبِي جَهْلٍ: ارْجِعْ، فَأَبَى، وَسَارَ إِلَىٰ بَدْرٍ، فَشَاوَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: «إِنْ اللَّهُ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ»، فَوَافَقُوهُ عَلَىٰ قِتَالِ النِّفِيرِ، [أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]، وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ وَقَالُوا: لَمْ نَسْتَعِذَّ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ٦ ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ الْقِتَالِ ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظَهَرَ لَهُمْ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَيْهِ عَيَانًا فِي كَرَاهَتِهِمْ لَهُ. ٧ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ الْعَبْرَ أَوِ النِّفِيرَ ﴿أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتُودُونَ﴾ تَرِيدُونَ ﴿أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أَيَ: الْبَاسِ وَالسَّلَاحِ، وَهِيَ: الْعَبْرُ ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لِقَلَّةِ عَدَدِهَا وَعَدَدِهَا، بِخِلَافِ النِّفِيرِ ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ٧ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ. ٩ اذْكُرْ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ ٨

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

(١) قوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ الْآيَاتِ، بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِيهَا، أَمُّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، فَوْصَفَهُمْ بِأَنْ قُلُوبُهُمْ تَوَجَّلُ وَتَمْتَلِي خَشْيَةً، إِذَا سَمِعُوا ذَكَرَ اللَّهِ، وَزَادُوا إِيمَانًا بِسَمَاعِ آيَاتِهِ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ وَيَتَّقُونَ بِهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ كَذَلِكَ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَقِيمًا لِلصَّلَاةِ، مُؤَدِّيًا لِلزَّكَاةِ وَسَائِرِ الْفَرَائِضِ، وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَا يَفِيدُ تَرْتِيبًا بَيْنَ هَذِهِ الصِّفَاتِ، كَمَا تَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ، مِنْ أَرْبَابِ الطَّرِيقِ، فَاعْتَبِرْ أَنَّهَا جَعَلَتْ «الذِّكْرَ» - أَيَ: الْوَرْدَ الَّذِي يَعْنُونَهُ هُمْ - فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ جَاءَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهِيَ أَكْبَرُ الذِّكْرِ وَأَفْضَلُهُ، هَذَا مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْآيَةَ لَا تَعْنِي «الذِّكْرَيْنِ»، بَلِ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا ذَكَرَ اللَّهِ خَافَتْ قُلُوبُهُمْ.

﴿منه﴾ تعالى ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ من الأحداث والجَنَابَات ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته إليكم، بأنكم لو كنتم على الحق، ما كنتم طمأى محدثين، [لا تجدون ماء تتطهرون به]، والمشركون على الماء ﴿وليربط﴾ يحبس ﴿على قلوبكم﴾ باليقين والصبر ﴿ويثبت به الأقدام﴾ أن تسوخ في الرمل. ١٢ ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أنى﴾ أي: بأنى ﴿معكم﴾ بالعون والنصر ﴿فتبوا الذين آمنوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ الخوف ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أي: الرؤوس ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ أي: أطراف [الأصابع، والمقصود قطع] اليدين والرجلين، فكان الرجل، يقصد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه^(١)، وفيها جاء^(٢) أنه ﷺ، رماه بقبضة من الحصى [وقال: «شاهت الوجوه»]، فلم يبق مشرك، إلا دخل في عينيه منها شيء، فهُزموا. ١٣ ﴿ذلك﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بأنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ له. ١٤ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿فدوقوه﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وأن للكافرين﴾ في الآخرة ﴿عذاب النار﴾. ١٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين

رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّمُ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

(١) قوله: «قبل أن يصل إليه سيفه» أخرج ذلك أبو الشيخ وابن مردويه، عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه، يؤيده ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم - هو: اسم فرس المَلِك -، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة».

(٢) أي: في معركة بدر الكبرى، روى ذلك الطبراني بإسناد حسن، والواقدي وغيرهما، وروى مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقال: «شاهدت الوجوه يوم حنين، ولا تعارض، فلعلهُ فعل ذلك في الموقعتين».

كفروا زحفاً أي: مجتمعين، كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ منهزمين. ١٦ ﴿ومن يولهم يومئذ أي: يوم لقائهم دبره إلا متحرفاً﴾ منعطفاً ﴿لقتال﴾ بأن يريهم الفرّة مكيدة، وهو يريد الكرّة ﴿أو متحيزاً﴾ منضماً ﴿إلى فئة﴾ جماعة من المسلمين، يستجد بها، [أو يُنجدُها] ﴿فقد باء﴾ رجع ﴿بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ المرجع هي، وهذا مخصوص، بما إذا لم يزد الكفار على الضّعف^(١).

١٧ ﴿فلم تقتلوهم﴾ بيدر بقوتكم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ بنصره إياكم ﴿وما رميت﴾ يا محمد، أعين القوم ﴿إذ رميت﴾ بالحصى [في وجوه الكافرين يوم بدر، كما تقدم]، لأن كفاً من الحصى، لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشرٍ ﴿ولكن الله رمى﴾ بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك، ليقهر الكافرين ﴿وليبيي المؤمنين منه بلاء﴾ عطاء

﴿حسناً﴾ هو الغنيمة ﴿إن الله سميع﴾ لأقوالهم ﴿عليم﴾ بأحوالهم.

١٨ ﴿ذلكم﴾ الإبلاء حق ﴿وأن الله موهن﴾ مضعف ﴿كيد الكافرين﴾.

١٩ ﴿إن تستفتحوا﴾ أيها الكفار، إن تطلبوا الفتح، أي: القضاء، حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أئنا كان أقطع للرحم، وأئنا بما لا نعرف، فأحنه الغداة، أي: أهلكه، [و «الحين»]، بالفتح: الهلاك، [﴿فقد جاءكم الفتح﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك، وهو أبو جهل ومن قُتل معه، دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وإن تنتهوا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نعد﴾ لنصره عليكم ﴿ولن تغني﴾ تدفع ﴿عنكم فتكم﴾ جماعاتكم ﴿شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين﴾ بكسر «إن» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام.

٢٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا﴾ تعرضوا ﴿عنه﴾ بمخالفة أمره ﴿وأنتم تسمعون﴾ القرآن والمواظ. ٢١ ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاض، وهم: المنافقون: أو: المشركون. ٢٢ ﴿إن شر الدواب﴾ عند الله [أي: ما دبّ على وجه الأرض] ﴿عند الله﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ١٥ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ

دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ

بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ

اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ

الْكَافِرِينَ ١٨ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ

تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدَ وَلَنُغْنِيَنَّ عَنْكُمْ

فِتْنَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ١٩

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ

وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا

وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٢١ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ

(١) قوله: «وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضّعف»، أي: فلا يحرم التوليّ حينئذٍ، وهذا قول الشافعي رحمه الله، قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»، وابن حجر الهيتمي في «الزواجر»: كان الشافعي رضي الله عنه يقول: إذا غزا المسلمون فلقوا بضعفهم من العدو، حرّم عليهم أن يولّوا، إلا متحرّفين لقتال أو متحيزين إلى فئة، وإن كان المشركون أكثر من ضيعفهم، لم أحبّ لهم أن يولّوا، ولا يستوجبون السخط عندي من الله، لو ولّوا عنهم على غير التحرّف للقتال أو التحيز إلى فئة، وهذا مذهب ابن عباس المشهور عنه. اهـ. فقد قال ابن عباس: «إن فرّ رجل من رجلين فقد فرّ، وإن فرّ من ثلاثة لم يفرّ»، قال أبو بكر الجصاص في «أحكام القرآن»: وهذا الحكم عندنا - أي: الأحناف - ثابت، ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفاً، لا يجوز لهم أن ينهزموا عن مثلهم، إلا متحرّفين لقتال، =

الصم ﴿عن سماع الحق﴾ ﴿البكم﴾ عن النطق به ﴿الذين لا يعقلون﴾ هـ، [روى البخاري وغيره، عن عبد الله بن عباس قال: إن هذه الآية، نزلت في نفر من بني عبد الدار، من قريش، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي، عما جاء به محمد، وتوجهوا مع أبي جهل، لقتال النبي ﷺ وأصحابه بيدر، فقتلوا جميعاً، ولم يؤمن منهم، إلا: مصعب بن عمير، وسويط بن حرملة]. ٢٣ ﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لأسمعهم﴾ سماع تفهم ﴿ولو أسمعهم﴾ قرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لتولوا﴾ عنه ﴿وهم معرضون﴾ عن قبوله، عناداً وجحوداً. ٢٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول﴾ بالطاعة ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ من أمر الدين، لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر، إلا بإرادته ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ فيجازيكم بأعمالكم. ٢٥ ﴿واتقوا فتنة﴾ إن أصابتكم لا نصيبين الذين ظلموا منكم خاصة ﴿بل تعمهم وغيرهم، واتقاوها، بإنكار موجها من المنكر﴾ ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه.

البقرة السبع

الصَّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۖ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ مَكَّةَ ۖ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ ۖ يَأْخُذُكُمُ الْكُفَّارُ بِسُرْعَةٍ ۖ فَأَوَّاكُم ۖ إِلَى الْمَدِينَةِ ۖ وَأَيَّدَكُم ۖ قَوَاكُم ۖ بِنَصْرِهِ ۖ يَوْمَ بَدْرَ ۖ بِالْمَلَائِكَةِ ۖ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۖ الْغَنَائِمَ ۖ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ نِعْمَهُ ۖ ٢٧ وَنَزَلَ فِي أَبِي لُبَابَةَ ۖ مِرْوَانَ ۖ وَقِيلَ ۖ رِفَاعَةَ ۖ بَنِي عَبْدِ الْمَنْدَرِ ۖ [الأنصاري]، وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه، [وفي رواية أخرى: على حكم سعد بن معاذ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم]، فاستشاروه، فأشار إليهم [بيده إلى حلقة:] أنه الذبيح، لأن عياله وماله فيهم، [ثم ندم على ذلك، فربط نفسه^(١) إلى سارية من سواري المسجد، حتى تاب الله عليه، فجاءه رسول الله، فحلّه بيده، رواه الواحدي وغيره في أسباب النزول]: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ لا ﴿تخونوا أماناتكم﴾ ما أوتمتم عليه، من الدين وغيره ﴿وأنتم تعلمون﴾.

٢٨ ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ لكم صاغة عن أمور الآخرة ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فلا تفوتوه، بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ٢٩ ونزل في توبته: ﴿يا أيها الذين آمنوا

أجر عظيم﴾ فلا تفوتوه، بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ٢٩ ونزل في توبته: ﴿يا أيها الذين آمنوا

أو متحيزين إلى فئة من المسلمين يقاتلونهم معهم، قال محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة - : إن الجيش إذا بلغوا ذلك - أي : اثني عشر ألفاً - فليس لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثر عددهم، ولم يذكر خلافاً بين أصحابنا فيه. اهـ. ونقل «الجصاص» عن الإمام مالك مثل قول محمد بن الحسن. ونقول: أما في أيامنا، فلم يبق لعدد الجند في الجيوش تلك الأهمية التي كانت له في الماضي، بل أصبحت الآلات والأسلحة الحربية هي المهمة في الحروب، بحسب نوعها وكميتها، فينبغي اعتبار ذلك عند الكلام في القرار من القتال في زماننا.

(١) قولنا: «فربط نفسه»، هذه هي المرة الأولى، التي ربط بها أبو لبابة نفسه، والمرة الثانية كانت بسبب تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة =

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ بِالْإِنَابَةِ وَغَيْرِهَا ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَخَافُونَ، فَتَنْجُوا ﴿وَيَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذُنُوبَكُمْ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ٣٠ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَقَدْ اجْتَمَعُوا لِلْمَشَاوِرَةِ فِي شَأْنِكَ، بَدَارِ النَّدْوَةِ ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يُوَثِّقُوكَ وَيَحْبِسُوكَ، [حَتَّى تَمُوتَ] ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلَّهُمْ، قَتْلَهُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، [لِيَضِيعَ دَمُكَ فِي الْقَبَائِلِ] ﴿أَوْ يَخْرِجُوكَ﴾ مِنْ مَكَّةَ ﴿وَيَمْكُرُونَ بِكَ﴾ وَيَمْكُرُ اللَّهُ بِهِمْ بِتَدْبِيرِ أَمْرِكَ، بَأَن أَوْحَى إِلَيْكَ مَا دَبَّرُوهُ، وَأَمْرَكَ بِالْخُرُوجِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أَعْلَمُهُمْ بِهِ، [فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهَجْرَةِ، وَنَجَاهُ مِنْ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ]. ٣١ ﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْحَيْرَةَ يَتَجَرَّ، فَيَشْتَرِي كُتُبَ أَخْبَارِ الْأَعَاجِمِ، وَيُحَدِّثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. ٣٢ ﴿وَإِذَا قَالُوا لِلَّهِ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَقْرُؤُهُ مُحَمَّدٌ﴾ هُوَ الْحَقُّ ﴿الْمَنْزِلُ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ ٣٣ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بِمَا سَأَلُوهُ ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لِأَنَّ الْعَذَابَ إِذَا نَزَلَ عَمَّ، وَلَمْ تَعَذِّبْ أُمَّةً، إِلَّا بَعْدَ خُرُوجِ نَبِيِّهَا وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ٣٤ حَيْثُ يَقُولُونَ فِي طَوَافِهِمْ: غَفْرَانِكَ، غَفْرَانِكَ، وَقِيلَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَغْفِرُونَ فِيهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ - أَي: لَوْ خَرَجَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَيْنِ الْكَافِرِينَ - لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. ٣٥ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بِالسَّيْفِ، بَعْدَ خُرُوجِكَ، وَ[خُرُوجِ] الْمُسْتَغْفِرِينَ [مِنْ الْمُؤْمِنِينَ]، وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ [أَي: بِإِعَادَةِ ضَمِيرِ: «هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»، إِلَى الْكُفَّارِ]، هِيَ نَاسِخَةٌ لِمَا قَبْلُهَا، وَقَدْ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِدَرٍّ وَغَيْرِهَا ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٢﴾ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣﴾ وَإِذَا قَالُوا لِلَّهِ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴿٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٥﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

= تَبُوكَ، فَرِيطَ نَفْسَهُ فِي سَارِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَنَزَلَ فِيهِ وَفِيهِمْ تَخَلَّفَ مَعَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْكُمْ أَصْحَابَهُمْ﴾ ١٠٢ مِنْ سُورَةِ «التَّوْبَةِ» ص ٢٥٩.

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ...﴾، هَذَا إِخْبَارٌ بِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ، مِنَ الْمَكْرِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، فَيُثْبِتُونَهُ وَرَصَدُوهُ عَلَى بَابِ مَنْزِلِهِ طَوِيلَ لَيْلَتِهِمْ، لِيَقْتُلُوهُ إِذَا خَرَجَ، فَأَمَرَ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَنْ يَنَامَ عَلَى فَرَاشِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ

مكء صفيراً وتصدياً تصفيقا، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها فذوقوا العذاب بيدر [من القتل والسبي، أو يقال: لهم ذلك يوم القيامة] بما كنتم تكفرون. ٣٦ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم في حرب النبي ﷺ ليصدوا عن سبيل الله فيسيفقونها ثم تكون في عاقبة الأمر عليهم حسرة ندامة، لفواتها وفوات ما قصدوه ثم يغلبون في الدنيا والذين كفروا منهم إلى جهنم في الآخرة يحشرون يساقون. ٣٧ ليميز متعلق بـ «تكون»، بالتخفيف والتشديد، أي: يفصل الله الخبيث الكافر من الطيب المؤمن ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً يجتمع متراكماً بعضه على بعض فيجعل في جهنم أولئك هم الخاسرون. ٣٨ قل

للذين كفروا كآبي سفيان وأصحابه إن يتنوها عن الكفر وقتال النبي ﷺ يغفر لهم ما قد سلف من أعمالهم، [لأن الإسلام يجب ما قبله] وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنة الأولين أي: سنتنا فيهم بالهلاك، فكذا نفعل بهم. ٣٩ وقتلوه حتى لا تكون توجد فتنة شرك ويكون الدين كله لله وحده، ولا يُعبد غيره فإن انتهوا عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم به.

٤٠ وإن تولوا عن الإيمان فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم ومتولي أموركم نعم المولى هو ونعم النصير أي: الناصر لكم. ٤١ واعلموا أنما غنمتم أخذتم من الكفار قهراً من شيء فإن الله خمسته يأمر فيه بما يشاء وللرسول ولذي

= غشيم النوم، فوضع على رؤوسهم تراباً، فلما أصبحوا، خرج عليهم علي، فأخبرهم أنه ليس في الدار أحد، فعلموا أنه ﷺ قد فاتهم ونجا، والخبر مشهور في السيرة وغيرها.

(١) قوله تعالى: «إلا مكء وتصدياً» الآية ٣٥ وما يليها، قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت قریش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم، وفي معنى الآية رد على الجاهل من المتصوفة، الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويشبه فاعله بالمشركين، فيما كانوا يفعلونه عند البيت. اهـ. وقال السيوطي في «الإكليل»: ففيه ذم

مَكَاءٌ وَتَصَدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٦
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٧ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ
جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٣٨
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ
اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ نِعِمَّ الْمَوْلَىٰ وَنِعِمَّ النَّصِيرُ ٤١ * وَاعْلَمُوا
أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

التصفيق والصفيير بالهم أو القصب، وقال ابن حجر في «كف الرعا»، قال ابن عبد السلام: «أما الرقص والتصفيق، فخفة ورعونة، لا يفعلهما إلا أرعن - أي: أحقر - أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعلهما، أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من أتباع الأنبياء، وإنما يفعلها الجهال السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء». اهـ.

وملخص القول في حكم هذه الأعمال: أن «الصفيير»: خفة ورعونة لا تليق بالمسلم، أما الصفيير بالآلة: فلا بأس به إذا كان لحاجة «كصفارة الشرطي»، وما عداه مذموم، وأن «التصفيق»: جائز في الصلاة للنساء فقط، إذا سها الإمام، لحديث البخاري: «التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء». وذلك بأن تضرب بباطن الكف اليمنى على ظاهر الكف اليسرى، أما التصفيق خارج الصلاة فهو مكروه، ولو كان استحساناً أو تأييداً، للرجال وللنساء على السواء.

القريبى ﴿قراءة النبي ﷺ﴾، من بني هاشم وبني المطلب ﴿واليتامى﴾ أطفال المسلمين، الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿والمساكين﴾ ذوي الحاجة، من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره، من المسلمين، أي: يستحقه النبي ﷺ، والأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه، من أن لكل خمس الخمس، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ فاعلموا ذلك ﴿وما﴾ عطف على «بالله» ﴿أنزلنا على عبدنا﴾ محمد ﷺ، من الملائكة والآيات ﴿يوم الفرقان﴾ أي: يوم بدر، الفارق بين الحق والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾ المسلمون والكفار ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه نصركم، مع قلتكم وكثرتهم. ٤٢ ﴿إذ﴾ بدل من «يوم» ﴿أنتم﴾ كائنون ﴿بالعدوة الدنيا﴾ القربى من

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ
ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى
الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٢ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ
حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٣ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ
فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤٤
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلُلْكُمُ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ٤٥ يَتَأَيَّاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

المدينة، وهي بضم العين وكسرهما [قراءتان سبعيتان، أي:] جانب الوادي ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ البُعْدَى منها ﴿والركب﴾ العير، كائنون بمكان ﴿أسفل منكم﴾ مما يلي البحر [الأحمر] ﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والنفير، للقتال ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ في علمه، وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فَمَلَّ ذلك ﴿ليهلك﴾ يكفر ﴿من هلك عن بينة﴾ أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه، وهي: نصر المؤمنين مع قلتهم، على الجيش الكثير، [قاله ابن إسحاق، أو: ليموت من يموت عن بينة رآها، وعبرة عاينها، فقامت عليه الحجة]، ﴿ويحيى﴾ يؤمن ﴿من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾. ٤٣ اذكر ﴿إذ﴾ يريكم الله في منامك ﴿أي: نومك﴾ قليلاً ﴿فأخبرت به أصحابك، فسُروا﴾ ولو أراكم كثيراً لفشلتم ﴿جنبتم﴾ ولتنازعتم ﴿اختلفتم﴾ في الأمر ﴿أمر القتال﴾ ولكن الله سلم ﴿كم من الفشل والتنازع﴾ إنه عليم بذات الصدور ﴿بما في القلوب﴾.

٤٤ ﴿وإذ يريكموهم﴾ أيها المؤمنون ﴿إذ التقيتم في أعينكم قليلاً﴾ نحو سبعين، أو: مائة، وهم ألف، لتقدّموا عليهم ﴿ويقللکم﴾ في أعينهم ﴿ليقدّموا، ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا﴾ [التقليل، كان] قبل التحام الحرب، فلما التحم، أراهم إياهم مثليهم، [أي: مثلي

الكفار، لإلقاء الرعب في قلوبهم من المؤمنين]، كما في «آل عمران»: [«يرونها مثليهم رأي العين»] ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور﴾. ٤٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ جماعة كافرة

= وأن «الرقص» الشائع في عصرنا غير جائز مطلقاً، وأشنعه رقص الرافضات العاريات على المسارح، أما إذا كان لعباً بالسلاح على هيئة الراقص، فهو جائز، لما جاء في صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها: أن الحشدة جاءوا يَزِفُون - أي: يرقصون - في يوم عيد في المسجد، فدعاها النبي ﷺ لتنظر إليهم معه، وكانوا يلعبون بحراهم.

﴿فَأْتَبَتُوا﴾ لقتالهم، ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تفوزون. ٤٦ ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ تَجِبُوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والعون.

٤٧ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليمنعوا غيرهم، ولم يرجعوا بعد نجاتها، [وهم أهل مكة] ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان^(١) بيد، فيتسمع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ علماً، فيجازيهم به.

الجزء العاشر

٤٨ ﴿وَاذْكُرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين، لما خافوا الخروج، من أعدائهم بني بكر، [من قبيلة «كنانة»، وكان بينهم وبين قريش حروب كثيرة] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [أي: مجير ومعين] من «كنانة»، وكان أتاها في صورة سُرَاقَة بن مالك، سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتْ﴾ التقت ﴿الْفِئْتَانُ﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكة - وكانت يده في يد الحارث بن هشام - ﴿نَكْصًا﴾ رجوع ﴿عَلَى عَقْبِهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له: اتخذ لنا على هذا الحال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

٤٩ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غُرْهُوْلَاءٌ﴾ أي: المسلمين ﴿دِينَهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قتلهم، يقاتلون الجمع الكثير، توهماً أنهم ينصرون بسببه، قال تعالى في جوابهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يثق به، يَغْلِبْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ حكيم ﴿فِي صُنْعِهِ﴾. ٥٠ ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ﴾

فَأْتَبَتُوا وَآذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴿٤٦﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٨﴾ هُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٩﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غُرْهُوْلَاءٌ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

(١) قوله: «وتضرب علينا القيان» أي: جمع «قينة» و «قَيْن» بفتح القاف وسكون الياء فيهما، و «القينة» هي: الأمة المملوكة المغنية، وقيل: لو كانت غير مغنية، و «القين»: العبد. و «القين» في الأصل هو: الحداد، وجمعه على هذا المعنى: «قيون» و «أقيان»، وله بَوَّبُ البخاري في صحيحه فقال: «باب: ذكر القَيْنِ والحداد، فَعَطَفَ «الحداد» على «القين» عَطَفَ تفسير، ليعلم أن مراده من «القين» الحداد لا غيره، وقال الخليل بن أحمد: «التقَيْن» معناه: «التزيين»، ومنه سميت المغنية «قينة»، لأن من شأنها الزينة. نقول: لعل قصده أن من شأنها التزيين، لأن المغنية تزِينُ الكلام، وتنغم به لتستميل قلوب السامعين، وهي المسماة في أيامنا «بالمطربة أو المطرب»، ويغلب على هؤلاء جميعاً الفساد والدعوة إليه، أرجع إلى تعليقنا حول «الغناء» ص ٥٣٩.

وأدبارهم ﴿بمقامع من حديد﴾ ﴿و﴾ يقولون لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي: النار، وجواب ﴿لو﴾ [محذوف، تقديره]: لرايت أمراً عظيماً. ٥١ ﴿ذلك﴾ التعذيب ﴿بما قدمت أيديكم﴾ عَبرَ بها، [أي: بالأيدي]، دون غيرها، لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي: بذئ ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

٥٢ ذاب هؤلاء ﴿كذاب﴾ كعادة آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله ﴿بذنوبهم﴾ جملة: «كفروا» وما بعدها، مفسرة لما قبلها، [أي: مفسرة لعادة آل فرعون، والذين من قبلهم] ﴿إن الله قوي﴾ على ما يريد ﴿شديد العقاب﴾ [لمن كفر به، وفَسَقَ عن أمره].

٥٣ ﴿ذلك﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بأن﴾ أي:

بسبب أن ﴿الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يدلوا نعمتهم كفراً، كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع، وأمنهم من خوف، ويَعَثَّ النبي ﷺ إليهم بالكفر، والصد عن سبيل الله، وقتال المؤمنين ﴿وأن الله سميع عليم﴾.

٥٤ ﴿كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وكل﴾ من الأمم المكذبة ﴿كانوا ظالمين﴾.

٥٥ ونزل في [يهود] قريظة^(١): ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾.

٥٦ ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ عاهدوا فيها ﴿وهم لا يتقون﴾ الله، في غدرهم.

٥٧ ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون ﴿إن﴾ الشرطية في ﴿ما﴾ المزیدة ﴿تتقنهم﴾ تجلدنهم ﴿في الحرب فشرد﴾ فرَّق ﴿بهم من خلفهم﴾ من المحاربين، بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لعلهم﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يذكرون﴾ يتعظون بهم.

(١) قوله: «ونزل في قريظة»: هم قوم من اليهود - من حلفاء الأوس - استوطنوا وادياً في ضاحية المدينة، على مسافة ميلين أو ثلاثة، إلى الجنوب الشرقي من المدينة، قرب منازل يهود «بني النضير»، الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة السنة الرابعة، بعد أن نقضوا العهد وهموا بقتله ﷺ، وفيهم نزلت «سورة الحشر» التي كان يسميها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «سورة النضير»، كما رواه عنه البخاري، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٧٢٩.

أما يهود «بني قريظة»، فقد نقضوا العهد، وحاربوا رسول الله ﷺ مع الأحزاب أيام الخندق سنة خمس فحاصروهم النبي ﷺ، فقتل مقاتلتهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وغنم أموالهم.

قال ابن إسحاق: «وكان ﷺ عند مقدمه المدينة، قد كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وأدع فيه يهود، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط عليهم واشترط لهم».

وقد فعل النبي ﷺ ذلك من دون طلب منهم، ولا مفاوضة معهم، فوادعهم وأعطاهم الأمان ليقرؤهم شرهم، ولكنهم نقضوا العهد - كعادتهم - وغدروا، فانتقم منهم.

وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥٢﴾ كَذَابِ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ كَذَابِ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ
عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ فَإِمَّا تَثَقَفَنَّ
فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٨ ﴿وَمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ عَاهَدُوكَ خِيَانَةً﴾ في عهد، بأمانة تلوح لك ﴿فَانْبِذْ﴾ اطرَحْ عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءٍ﴾ حال، أي: مستويًا أنتَ وهم، في العلم بنقض العهد، بأن تُعلمهم به، لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

٥٩ ونزل فيمن أفلت يوم بدر: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ الله، أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة بالتحثانية [مع كسر «إنهم»]، فالمفعول الأول محذوف، أي: «أنفسهم»، وفي أخرى بفتح «إن» على تقدير اللام، [مع التحثانية أيضاً، فهي ثلاث قراءات سبعة]. ٦٠ ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ لِقَاتَهُمْ﴾

الجزء العاشر

﴿وَمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: «هي الرمي» رواه مسلم^(١)، ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم، وهم: المنافقون، أو: اليهود، [أو: كل عدو] ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفُ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً.

٦١ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾^(٢) بكسر السين وفتحها، [أي: الهدنة و] الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهُا﴾ وعاهدكم، قال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف، و[قال] مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب، إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثِقْ بِهِ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل [اقرأ التعليق]. ٦٢ ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح، ليستعدوا لك ﴿فَإِنْ حَسِبَكَ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

٦٣ ﴿وَأَلْفٌ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإخراجه ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرة ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته. ٦٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

(١) قوله: «رواه مسلم». فقد أخرج مسلم وأحمد وغيرهما، عن عتبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ﴾ أخرج عبد الرزاق وأبو جعفر النحاس في «ناسخه»، وغيرهما، عن قتادة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ﴾، أي: الصلح، قال: كانت قبل نزول «براءة»، وكان النبي ﷺ يوادع الناس إلى أجل، فإما أن يُسلموا، وإما أن يقاتلهم، ثم نُسخ ذلك في «براءة»، فقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية الخامسة منها، وهي المعروفة بآية السيف، فنُزل إلى كل ذي عهد عهده، وأمره أن يقاتلهم، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وُسلموا، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك.

فما ذكره السيوطي عن ابن عباس، من أن الناسخ لهذه الآية هو آية السيف، هو قول قتادة، أما ابن عباس فقال: إن الناسخ لها هو =

المؤمنين ﴿أَي: كافيك الله ناصراً، وكافيك المهاجرون والأنصار جنداً، قاله الحسن البصري، واختاره أبو جعفر النحاس وغيره، وقيل: المعنى: كافيك الله، وكافي من اتبعك، فهو ناصرهم ومؤيدكم على عدوكم﴾. ٦٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَأَنْ يَكُنْ بِالْيَأِ وَالنَّاءِ﴾ منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم ﴿أَي: بسبب أنهم﴾ قوم لا يفقهون ﴿وهذا خبر بمعنى الأمر، أي: ليقاتل العشرة منكم المائتين، والمائة الألف، ويثبتوا لهم، ثم نسخ لما كثروا بقوله: ٦٦﴾ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴿بضم الضاد وفتحها، عن قتال عشرة أمثالكم﴾ فإن يكن ﴿بالياء والتاء﴾ منكم مائة صابرة يغلبوا ألفين مائتين ﴿منهم﴾ وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ﴿بإذنه، وهو خبر بمعنى الأمر، أي: لتقاتلوا مثليكم، وتثبتوا لهم﴾ والله مع الصابرين ﴿بعونه﴾.

٦٧ ونزل ﴿لَمَّا أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْر: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ تَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُ أَسْرَى﴾ حتى يشخن في الأرض ﴿يبالغ في قتل الكفار تريدون﴾ أيها المؤمنون ﴿عرض الدنيا﴾ حطامها، بأخذ الفداء ﴿والله يريد﴾ لكم ﴿الآخرة﴾ أي: ثوابها، بقتلهم ﴿والله عزيز حكيم﴾ وهذا، [أي: تعيّن قتل الأسير]، منسوخ بقوله: ﴿فَلَمَّا مَتَّأ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾.

٦٨ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَكُمُ فِيهَا أَهْذُومٌ﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾. ٦٩ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ وفي قراءة «الأسرى» ﴿إِنْ يَعْلَمَ

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (الآية ٣٥ محمد) أي: لا تضعفوا ولا تدعوا إلى السلم مع قوتكم واستعلائكم، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن الناسخ لها هو: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ (الآية ٢٩ التوبة)، لأن هدف القتال هو حمل الناس على الدخول في الإسلام، فإن لم يفعلوا، قُبلت منهم الجزية إن كانوا من أهلها، وهذا معنى قول مجاهد الذي أشار إليه المؤلف، أي: عاهد أهل الكتاب فقط، مقابل الجزية منهم.

(١) قوله: «ونزل لما أخذوا الفداء»، فقد أخرج مسلم في «صحيحه»، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر والتفروا، فهزم الله المشركين، وقُتل منهم سبعون رجلاً، وأسر سبعون رجلاً، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيباً لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، أي: أشرفها، فهو ي - أي: أحب - رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد، جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين وهما يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، =

الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾
 إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿أَلَعَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
 ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ
 وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى
 يُشَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ
 سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيهَا أَهْذُومٌ عَظِيمٌ ﴿فَكُلُوا مِمَّا
 غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمَ

الله في قلوبكم خيراً ﴿إيماناً وإخلاصاً﴾ يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴿من الفداء﴾ بأن يضعفه لكم في الدنيا، ويثيبكم في الآخرة ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله غفور رحيم﴾. ٧١ ﴿وإن يريدوا﴾ أي: الأسرى ﴿خيانتك﴾ بما أظهروا من القول ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ قبل بدر، بالكفر ﴿فأمكن منهم﴾ ببدر، قتلاً وأسرًا، فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه. ٧٢ ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ وهم المهاجرون ﴿والذين آووا﴾ النبي ﷺ ﴿ونصروا﴾ وهم الأنصار^(١) ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ في النصرة والإرث ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مآلهم من ولايتهم﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿من شيء﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حتى يهاجروا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة،

البقرة المكية

الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ﴿والله غفور رحيم﴾ ٧١ ﴿وإن يريدوا﴾ أي: الأسرى ﴿خيانتك﴾ فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴿والله عليم حكيم﴾ ٧٢ ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مآلهم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثق ﴿والله بما تعملون بصير﴾ ٧٣ ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إلا تفعلوه﴾ أي: تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تكن فتنة في الأرض فساد كبير﴾ بقوة الكفر، وضعف الإسلام. ٧٤ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا

وإن لم أجد بكاء تباكت لبيككما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» - شجرة قرية منه ﷺ - فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ إلى قوله: ﴿فكفوا﴾ ما غنمتم حلالاً طيباً فاحل الله الغنيمة لهم.

(١) قوله: ﴿وهم الأنصار﴾ إنهم أهل المدينة، الذين آووا رسول الله ﷺ والمسلمين المهاجرين، ونصروهم وساعدوهم وأثروهم على أنفسهم، وفيهم نزل قوله تعالى ثناء عليهم: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾، لذلك كان ﷺ يحبهم، واعتبر حبهم علامة على صدق الإيمان، فقد روى البخاري، عن أنس بن مالك

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»، رضي الله عنهم، وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

هذا وقد حذر النبي ﷺ من الطعن في أصحابه وسبهم، لما لهم من فضل على من سواهم، ولسابقتهم في الإسلام، فهم خير القرون بلا خلاف، لأنهم قرن النبي ﷺ، فقد روى مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»، وروى الشيخان وأبو داود والترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسب خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» أي: ولا نصف مده، لما جعل الله لهم من الأجر، بفضل صحبتهم وجهادهم مع النبي ﷺ.

لهم مغفرة ورزق كريم ﴿٧٥﴾ والذين آمنوا من بعد ﴿٧٥﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿٧٥﴾ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴿٧٥﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿٧٥﴾ وأولو الأرحام ﴿٧٥﴾ ذوو القربات ﴿٧٥﴾ بعضهم أولى ببعض ﴿٧٥﴾ في الإرث، من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة، ﴿٧٥﴾ وفي كتاب الله ﴿٧٥﴾ اللوح المحفوظ ﴿٧٥﴾ إن الله بكل شيء عليم ﴿٧٥﴾ ومنه حكمة الميراث.

﴿سُورَةُ التَّوْبَةِ﴾

(مدنية أو: إلا الآيتين آخرها،
مائة وثلاثون، أو: إلا آية)

ولم تكتب فيها البسملة، لأنه لم يؤمر بذلك، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف، وعن حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب، وروى البخاري، عن البراء [بن عازب]: أنها آخر سورة نزلت، [أي: من آخر ما نزل، وقد نزلت بعدها سورة «المائدة»، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها، فيما رواه عنها الترمذي والحاكم، وليس في هذه الأقوال، شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، بل ذاك اجتهاد من الصحابي، أو أنه أخبر بذلك، عن آخر ما سمعه هو من النبي ﷺ، ولم يسمع ما سمعه غيره].

١ هذه «براءة من الله ورسوله» واصلة إلى الذين عاهدتم من المشركين عهداً مطلقاً، أو دون أربعة أشهر، أو فوقها، ونقض العهد بما يذكر في قوله:

٢ ﴿فسبحوا﴾ سبوا آمنين، أيها المشركون ﴿في الأرض أربعة أشهر﴾ أولها شوال، [وآخرها: محرم]، بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ أي: فائتي عذابه ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل [والأسر]، وفي الآخرة بالنار.

٣ ﴿وأذان﴾ إعلام ﴿من الله ورسوله إلى الناس

يوم الحج الأكبر﴾ يوم النحر، [رواه البخاري وعليه الأكثرون، وقيل: هو يوم عرفة] ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿الله بريء من المشركين﴾ وعهودهم ﴿ورسوله﴾ بريء أيضاً، وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة، وهي: سنة تسع، فأذن يوم النحر بمنى، بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، رواه البخاري، [وزاد الإمام أحمد والترمذي: ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وكان من عادة بعض العرب في الجاهلية، أن يطوفوا حول الكعبة عراً، زاعمين أنهم لا يطوفون بشباب عصوا الله فيها]، ﴿فإن تبتم﴾ من الكفر ﴿فهو

﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ﴾

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ وَآيَةً

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٨﴾ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ

خير لكم وإن توليتم ﴿عن الإيمان﴾ فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر ﴿الذين كفروا بعذاب أليم﴾ مؤلم، وهو: القتل والأسر في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤ ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ من شروط العهد ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ من الكفار ﴿فأتوا إليهم عهدهم إلى﴾ انقضاء ﴿مدتهم﴾ التي عاهدتم عليها، [وهؤلاء هم: «بنو ضمرة»، من قبائل «بني بكر»، من «كنانة»، لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ، فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم] ﴿إن الله يحب المتقين﴾ بإتمام العهود، [أما الذين نقضوا العهد، فمدتهم أربعة أشهر].

المِثْرَةُ

خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا
عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَاِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا

٥ [ثم بين تعالى، حكم أولئك الذين نقضوا العهد، وهم «قريش»، الذين أعانوا حلفاءهم «بني دئل» من «بني بكر»، على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ فقال: ﴿فإذا أنسلخ﴾ خرج ﴿الأشهر الحرم﴾ وهي آخر مدة التأجيل، [المنقضية بنهاية شهر المحرم، وهو ليس من الأشهر الحرم، وجمعه مع ما قبله منها تغليبا] ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ في حلٍّ أو حرم ﴿وخذوهم﴾ بالأسر ﴿واحصروهم﴾ في القلاع والحصون، حتى يضطروا إلى القتل، أو الإسلام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ طريق يسلكونه، ونصب «كل» على نزع الخافض، [وتقديره: «في كل»] ﴿فإن تابوا﴾ من الكفر، [فأمّنوا] ﴿واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إن الله غفور رحيم﴾ لمن تاب، [وهذه هي الآية المعروفة بـ «آية السيف»، التي نسخت جميع آيات الأمر بالصفح عن المشركين، والصبر على أذاهم].

٦ ﴿وإن أحد من المشركين مرفوع بفعل يفسره: «استجارك» استأمنك من القتل فأجره﴾ أمّنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن ﴿ثم ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي: موضع أمّنه، وهو دار قومه، إن لم يؤمن، لينظر في أمره ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿بأنهم قوم لا يعلمون﴾ دين الله، فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا.

٧ ﴿كيف﴾ أي: لا ﴿يكون للمشركين﴾ الناقضين للعهد ﴿عهد عند الله وعند رسوله﴾ وهم الكافرون، [أي: هم] بهما غادرون، [ثم استثنى الله تعالى، الذين لم ينقضوا العهد منهم، وأمر بالاستقامة لهم ما استقاموا للمؤمنين فقال: ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ يوم الحديبية، [بدخولهم في عهد قریش، وهم «بنو ضمرة» على الصحيح كما تقدم، و[قيل: هم قریش، المستثنون من قبل] ﴿فما استقاموا

لكم ﴿أقاموا على العهد، ولم ينقضوه﴾ فاستقيموا لهم ﴿على الوفاء به، و «ما» شرطية﴾ إن الله يحب المتقين ﴿وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم، حتى نقضوا بإعانة﴾ (١) ﴿بني بكر﴾ على «خزاعة» [اقرأ التعليق]. ثم رجع السياق، إلى الكلام عن قريش وأعدائهم، الذين نقضوا العهد، قال تعالى: [٨] ﴿كيف﴾ يكون لهم عهد ﴿وإن يظهروا عليكم﴾ يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا﴾ يراعوا ﴿فيكم إلا﴾ قرابة ﴿ولا ذمة﴾ عهداً، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ بكلامهم الحسن ﴿ونأبى قلوبهم﴾ الوفاء به ﴿واكثرهم فاسقون﴾ ناقضون للعهد.

٩ ﴿اشترؤا بآيات الله﴾ القرآن ﴿ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، أي: تركوا اتباعها، للشهوات والهوى ﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه ﴿إنهم ساء﴾ بنس ﴿ما كانوا يعملون﴾ هـ، [أي: عملهم هذا].

١٠ ﴿لا يرقبون في مؤمن إلا﴾ قرابة ﴿ولا ذمة﴾ عهداً ﴿وأولئك هم المعتدون﴾.

١١ ﴿فإن تابوا﴾ [فآمنوا] ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدين ونفصل﴾ نبين ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

١٢ ﴿وإن نكثوا﴾ نقضوا ﴿إيمانهم﴾ موافقهم ﴿من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم﴾ عابوه ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمرة ﴿إنهم لا إيمان﴾ عهود ﴿لهم﴾ وفي قراءة بالكسر: [ولا إيمان لهم] ﴿لعلهم ينتهون﴾ عن الكفر.

١٣ ﴿ألا﴾ للتحضيض ﴿تقاتلون قوماً نكثوا﴾ نقضوا ﴿إيمانهم﴾ عهودهم ﴿وهووا بإخراج الرسول﴾ من مكة، لما تشاوروا فيه بدار الندوة، [وفي ذلك نزل قوله تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك»] ﴿وهوهم بدؤوكم﴾ بالقتال ﴿أول مرة﴾ حيث قاتلوا «خزاعة» حلفاءكم، مع «بني بكر» [حلفاء قريش]، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟ ﴿أتخشونهم﴾ أتخافونهم؟ ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ في ترك قتالهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢٤١

لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) قوله: «حتى نقضوا عهدهم، بإعانة بني بكر على خزاعة»، هذا بناء على ما ذهب إليه السيوطي هنا، ومثله فعل ابن كثير: من أن الاستثناء راجع إلى «قريش». والصحيح - كما بينا في تفسير الآيات ٤ و ٥ و ٧: أن المستثنى هم «بنو ضمرة»، من قبائل «بني بكر»، من حلفاء قريش، الذين لم ينقضوا العهد، وقد جاء استثناءهم وتخصيصهم، من عموم كلمة «المشركين»، لئلا يدخلوا في حكم «قريش» و «بني الدئل» من «بني بكر» الناقضين للعهد، الذين حُرِّضَ الله تعالى على قتالهم في هذه الآيات.

١٤ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾^(١) يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ مما فَعَلَ بهم، وهم «بنو خِزاعة». ١٥ ﴿وَيَذْهَبْ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام، كأبي سفيان [الذي أسلم عام الفتح] ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ١٦ ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار، [أي: أ] ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمْ اللَّهُ﴾ علم الظهور، [أي: بإظهار ما علمه من حال] ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ بطانة وأولياء، المعنى: ولم يظهر المخلصون — وهم الموصوفون بما ذكر — من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ١٧ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالافراد، [أي: المسجد الحرام]، والجمع [أي: كل مسجد]، بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها، [وهو: الإيمان الصحيح] ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. ١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾^(٢) من آمَن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ أحدًا ﴿إِلَّا اللَّهُ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. ١٩ ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك، [والقائمين به] ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

الْحَرَامِ]، والجمع [أي: كل مسجد]، بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها، [وهو: الإيمان الصحيح] ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. ١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾^(٢) من آمَن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ أحدًا ﴿إِلَّا اللَّهُ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. ١٩ ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك، [والقائمين به] ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

(١) قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ الآيتين، فيهما بيان السبيل الموصول إلى النصر، ألا وهو «الجهاد»، ورده على ضعاف النفوس، الذين يريدون النصر ويتوقعونه، بلا عمل ولا إعداد قوة، كما أمر الله تعالى، بل إن كثيراً من الذين يحاذون الله ورسوله، يتوهمون أن النصر سيكون حليفهم، ولكن النصر من عند الله، ينصر به عباده المؤمنين الذين ينصرونه، ليس غيرهم.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾. الآية، روى أحمد والترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَادُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ» قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ الآية. وفي رواية للترمذي: «يَتَعَادُ الْمَسْجِدَ».

فقد أثبت الله تعالى الإيمان، لمن عمر المساجد، بالصلاة فيها، وتنظيفها، وإصلاح ما وهى وضعف منها وترميمها، وروى عبد الرزاق، عن عمرو بن ميمون الأودي التابعي، المتوفى عام أربعة وسبعين: قال: أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يقولون: «إِنَّ الْمَسَاجِدَ بِيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْرُمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا».

الْحَرَامِ]، والجمع [أي: كل مسجد]، بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها، [وهو: الإيمان الصحيح] ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. ١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾^(٢) من آمَن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ أحدًا ﴿إِلَّا اللَّهُ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. ١٩ ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك، [والقائمين به] ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

الْحَرَامِ]، والجمع [أي: كل مسجد]، بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها، [وهو: الإيمان الصحيح] ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. ١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾^(٢) من آمَن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ أحدًا ﴿إِلَّا اللَّهُ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. ١٩ ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك، [والقائمين به] ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

أما بناء المساجد وإنشاؤها، فأجره عظيم وثوابه جزيل، فقد روى الشيخان وغيرهما، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا يَتَنَفَّىٰ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ».

ولكني ينال الباني هذا الأجر، لا بدُّ له من شرطين، أولهما: أن يكون بناؤه لله تعالى، لا رياء ولا سمعة، قال ابن الجوزي: من كتب اسمه على مسجد بناء، فهو بعيد من الإخلاص، أما الشرط الثاني: فأن يبنيه من مال حلال — غير الزكاة — كما جاء مصرحاً به في رواية البيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ولفظه: «مَنْ بَنَىٰ اللَّهُ بَيْتًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ، مِنْ مَالٍ حَلَالٍ، بَنَىٰ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، مِنْ دُرٍّ وَياقوت».

واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله في الفضل والله لا يهدي القوم الظالمين الكافرين. نزلت رداً على من قال ذلك، وهو العباس^(١) أو غيره.

٢٠ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً رَتَبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير. ٢١ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم. ٢٢ ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة، [أي: خالدين فيها إذا دخلوها] ﴿فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. ٢٣ ونزل فيمن ترك الهجرة، لأجل أهله وتجارته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾^(٢) اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

٢٤ ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبُكُمْ﴾ وفي قراءة: «عشيراتكم» «وأموال اقترفتموها» اكتسبتموها «وتجارة نخشون كسادها» عدم نفاقها «ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١

وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٢﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

(١) قوله: «وهو العباس أو غيره»، أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري وغيرهما، عن عبد الله بن عباس قال: قال العباس - يعني: والده - حين أسرى يوم بدر: إن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية. وروى القاضي أبو سليمان، يحيى بن يعمر العوفي، عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال: إن المشركين قالوا: عمارة بيت الله، وقِيَامُ عَلَى السَقَايَةِ، خير ممن آمن وجاهد، فنزلت رداً عليهم.

وقد جاء في تفسيرهما حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، فقد روى مسلم وأبو داود وابن حبان وغيرهم، عن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة،

دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، قال: ففعل، فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية، أي: ليست السقاية والعمارة وأمثالها، خيراً من الجهاد في سبيل الله، بعد الإيمان.

(٢) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ الآية ٢٣ و ٢٤، إن المؤمن يكره الكفر، كما يكره أن يلقى في النار، ويحب الله ورسوله أكثر من أي شيء آخر، وهذان الأمران هما من الخصال التي إذا وجدت في إنسان، ذاق حلاوة الإيمان، وأدرك قيمة هذه النعمة التي من الله تعالى بها عليه، نغني بها نعمة الإيمان والإسلام، فقد أخرج البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كن فيهن، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يتدف في النار».

وجهاد في سبيله ﴿فقدتم لأجله عن الهجرة والجهاد﴾ ﴿فتربصوا﴾ ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ تهديد لهم ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

٢٥ ﴿لقد نصركم الله في موطن﴾ للحرب ﴿كثيرة﴾ كبد وقرينة والنضير ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم حنين﴾ [هو:] واد بين مكة والطائف، أي: يوم قتالكم فيه «هوازن»، وذلك في شوال، سنة ثمان، [بعد فتح مكة] ﴿إذ﴾ بدل من «يوم» ﴿أعجبكم كثرتكم﴾ فقلتم: لن نغلب اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً، والكفار أربعة آلاف ﴿فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت﴾ «ما» مصدرية، أي: مع رحبها، أي: سعتها، فلم تجدوا مكاناً تطمثون إليه، لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غير [عمه] العباس، [وهو أخذ بلجام بغلته ﷺ]، و[ابن عمه]: أبو سفيان^(١) أخذ بركابه.

الجزء الثاني

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ۖ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدَبِّرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

٢٦ ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فرّدوا إلى النبي ﷺ، لما ناداهم العباس، بإذنه ﷺ، وقاتلوا ﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾ ملائكة [لتثبت المؤمنين] ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والأسر ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

٢٧ ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ منهم بالإسلام ﴿والله غفور رحيم﴾ [والإسلام يجب ما قبله].

٢٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ قذّر، لخبث باطنهم ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ أي: لا يدخلوا الحرم^(٢) ﴿بعد عامهم هذا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وإن خفتم عيلة﴾ فقراً، بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ إن شاء ﴿وقد أغناهم بالفتوح والجزية﴾ إن الله عليم حكيم.

٢٩ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ وإلا، لا آمنوا بالنبي ﷺ ﴿ولا يحرمون﴾

(١) قوله: «أبو سفيان أخذ بركابه» هو أبو سفيان: المنيرة بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتها حليلة السعدية، كان ممن يؤذي النبي ويهجوه، وإليه يشير حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله:

فَجَزَتْ مُحَمَّدًا فَأَجَبَتْ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ

ولكنه أسلم يوم الفتح، والنبي ﷺ متوجه إلى مكة، وشهد معركة «حنين»، أما المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق عادة فهو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، أسلم أيضاً عام الفتح، فرضي الله عنهما.

(٢) قوله: «فلا يدخلوا الحرم»، هذا ما نادى به منادي النبي ﷺ، كما تقدم في تفسير أول «سورة التوبة» ص ٢٣٩.

ما حرم الله ورسوله كالخمر [والربا والخزير وغيرهما، فإنهم مخاطبون بفروع الشريعة بعد الإيمان، وسيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر] «ولا يدينون دين الحق» الثابت، الناسخ [لما سبقه من الشرائع السماوية، والمبطل] لغيره من الأديان^(١)، وهو: دين الإسلام «من الذين» بيان لـ «الذين» «أوتوا الكتاب» أي: اليهود والنصارى «حتى يعطوا الجزية» الخراج المضروب عليهم كل عام «عن يد» حال، أي: منقادين، أو: بأيديهم، لا يوتلون بها «وهم صاغرون» أذلاء، منقادون لحكم الإسلام.

٣٠ «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح» عيسى «ابن الله ذلك قولهم بأفواههم» لا مستند لهم

عليه، بل «يضاهئون» يشابهون به «قول الذين كفروا من قبل» من آبائهم، تقليداً لهم «قاتلهم» لعنهم «الله أنى» كيف «يؤفكون» يصرفون عن الحق، مع قيام الدليل؟.

٣١ «اتخذوا أحبارهم» علماء اليهود «ورهبانهم» عبّاد النصارى «أرباباً من دون الله» حيث اتبعوهم، في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل، [قال ﷺ] بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلووه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرّموه» رواه الترمذي - وحسنه - والبيهقي وغيرهما [«والمسيح ابن مريم» اتخذوه إلهاً] «وما أمروا» في التوراة والإنجيل «إلا ليعبدوا» أي: بأن يعبدوا «إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه» تنزيهاً له «عماً» يشركون.

٣٢ «يريدون أن يطفئوا نور الله» شرعه وبراهينه «بأفواههم» بأقوالهم فيه «ويأبى الله إلا أن يتم» يظهر «نوره ولو كره الكافرون» ذلك.

٣٣ «هو الذي أرسل رسوله» محمداً ﷺ «بالحق» ودين الحق ليظهره «يُعْلِيهِ» على الدين كله «جميع الأديان»^(١) المخالفة له «ولو كره المشركون» ذلك.

٣٤ «يا أيها الذين آمنوا إن

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَكُونَ ﴿٢٢﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ

(١) قوله: «الأديان»، لقد شاع إطلاق «الأديان السماوية»، على كل من: «اليهودية» و «النصرانية» و «الإسلام»، على ظن أن اليهودية أو النصرانية دين سماوي، وهذا خطأ... لأن اليهودية ليست ديناً سماوياً، ولا هي دين موسى عليه السلام، بل وضعها أحبار اليهود من بعده، وكذلك النصرانية، فليست ديناً سماوياً، ولا هي دين المسيح عليه السلام، بل هي من وضع رؤساء الكنيسة وكهنتها، فاليهود والنصارى ليسوا أصحاب دين سماوي، بل هم «أهل كتاب سماوي»، والله تعالى أنزل التوراة والإنجيل، ولم ينزل ديناً اسمه «اليهودية» أو «النصرانية»؛ فالدين السماوي الوحيد هو: «الإسلام»، جاء به الرسل جميعاً إلى قومهم، فهو دين موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد وغيرهم، عليهم الصلاة =

كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلون﴾ يأخذون أموال الناس بالباطل﴾ كالرشا في الحكم﴾ ويصدون﴾ الناس﴾ عن سبيل الله﴾ دينه﴾ والذين﴾^(١) مبتدأ﴾ يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾ أي: الكنوز﴾ في سبيل الله﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من الزكاة، والخبر﴾ أي: خبر المبتدأ، جملة:﴾، فبشرهم﴾ أخبرهم﴾ بعذاب اليم﴾ مؤلم.

٣٥﴾ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى﴾ تحرق﴾ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وتوسع جلودهم، حتى توضع عليهم﴾ [كنوزهم] كلها، ويقال لهم:﴾ هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾ أي: جزاءه.

٣٦﴾ إن عدة الشهور﴾ المعتد بها للسنة﴾ عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله﴾ اللوح المحفوظ﴾ يوم خلق

السموات والأرض منها﴾ أي: الشهور﴾ أربعة حرم﴾ محرمة﴾ [هي:﴾ ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب﴾ ذلك﴾ أي: تحريمها﴾ الدين القيم﴾ المستقيم﴾ فلا تظلموا فيهن﴾ أي: الأشهر الحرم﴾ أنفسكم﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزراً، وقيل: في الأشهر كلها﴾ وقتلوا المشركين كافة﴾ جميعاً، في كل الشهور﴾ كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر.

٣٧﴾ إنما النسيء﴾ أي: التأخير لحرمه شهر إلى آخر، كما كانت الجاهلية تفعله، من تأخير حرمه﴾ المحرم، إذا هلّ وهم في القتال، إلى﴾ صفر﴾ زيادة في الكفر﴾ لكفرهم بحكم الله فيه﴾ يضل﴾ بضم الياء﴾ مبنياً للمجهول، وفتحها﴾ مع كسر الضاد﴾ مبنياً للمعلوم﴾ به الذين كفروا يحلون﴾ أي: النسيء﴾ عاماً ويحرمونه عاماً لبواطئوا﴾ يوافقوا، بتحليل شهر وتحريم آخر بدله﴾ عدة﴾ عدد﴾ ما حرم الله﴾ من الأشهر، فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر، ولا ينقصون، ولا ينظرون إلى أعيانها

والسلام، و﴾ اليهودية﴾ انحراف بعد موسى عن دينه، و﴾ النصرانية﴾ انحراف بعد عيسى عن دينه. قال تعالى:﴾ إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال:﴾ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، فلا يجوز إطلاق﴾ الأديان السماوية﴾ مراداً بها اليهودية والنصرانية مع الإسلام، ولكن يقال فيما جاء به الرسل من الشريعة:﴾ الشرائع السماوية﴾، فالشرائع تختلف أحكامها من عصر إلى عصر، قال تعالى:﴾ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ أما الدين فهو واحد.

(١) قوله تعالى:﴾ والذين يكتزون﴾ الآية، ثم قوله أيضاً:﴾ يوم يحمى عليها﴾ الآية.

أخرج ابن مردويه والبيهقي، عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، إن لي أوصاحاً من ذهب أو فضة، أفكتز هو؟ قال ﷺ:﴾ كل شيء تؤدي زكاته فليس بكتز، والأوصاح: هي نوع من الحلي يعمل من فضة، وسمي بذلك لبياضه.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:﴾ ما من صاحب ذهب ولا فضة =

الجزء العشرون

كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما يقتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون﴾ يحلون﴾ عاماً ويحرمونه عاماً لبواطئوا عدة ما حرم الله

﴿فاحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم﴾ فظنوه حسناً ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾. ٣٨ ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة حر، فشق عليهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقنتم﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة، واجتلاب همزة الوصل، أي: تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إلى الأرض﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ ولذاتها ﴿من الآخرة﴾ أي: بدل نعيمها؟ ﴿فما متاع الحياة الدنيا في﴾ جنب متاع ﴿الآخرة إلا قليل﴾ حقير. ٣٩ ﴿إلا﴾ بإدغام نون «إن» الشرطية، في «لا» في الموضعين: [هذا والذي في أول الآية (٤٠)] ﴿تنفروا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿ولا تضروه﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

فُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

أي: الله، أو: النبي ﷺ ﴿شيئاً﴾ بترك نصره، فإن الله ناصر دينه ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه نصر دينه ونبيه. ٤٠ ﴿إلا تنصروه﴾ أي النبي ﷺ ﴿فقد نصره الله﴾ إذ حين ﴿أخرجه الدين كفروا﴾ من مكة، أي: ألجأوه إلى الخروج، لما أرادوا قتله، أو: حبسه، أو: نفيه بدار الندوة ﴿ثاني اثنين﴾ حال، أي: أحدا اثنين، والآخر أبو بكر، المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة، فلا يخذله في غيرها ﴿إذ﴾ بدل من ﴿إذ﴾ قبله ﴿هما في الغار﴾ نقب في جبل ثور ﴿إذ﴾ بدل ثان ﴿يقول لصاحبه﴾ أبي بكر، وقد قال له، لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ بنصره ﴿فأنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿عليه﴾ قيل: على النبي ﷺ، وقيل: على أبي بكر ﴿وأيدته﴾ أي: النبي ﷺ ﴿بجنود لم تروها﴾ ملائكة، في الغار ومواطن قتاله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السفلى﴾ المغلوبة ﴿وكلمة الله﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هي العليا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ في صنعه.

٤١ ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء: أو: أغنياء وفقراء، وهي، [أي: الآية في عمومها]، منسوخة^(١) بآية «ليس على الضعفاء» ﴿وجاهدوا بأموالكم

= لا يؤدي حقها إلا صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار الحديث... واللفظ لمسلم. ارجع إلى تعليقنا حول «الزكاة» ص ٧٦٦.

(١) قوله: «منسوخة بآية» إلخ، هي قوله تعالى: «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله» الآية ٩١ من سورة «التوبة». فأسقط الله تعالى الجهاد، عن الذين لهم عذرهم كالضعفاء، وهم: الزمنى، والهرمون، وكالمرضى والذين لا يجدون نفقة الخروج، وجعل لهم ثواب المجاهدين، إذا كانوا يتمنون الخروج لو استطاعوا، =

وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٤٢﴾ أنه خير لكم، فلا تشاقلوا.

٤٢ ونزل في المنافقين الذين تخلفوا: ﴿لو كان﴾ مَادَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ ﴿عَرَضاً﴾ متاعاً من الدنيا، ﴿قريباً﴾ سهل المآخذ ﴿وسفراً قاصداً﴾ وسطاً ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ طلباً للغنمة ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة، فتخلفوا [عن الخروج معك يوم ﴿تبوك﴾] ﴿وسيحلفون بالله﴾ إذا رجعتهم إليهم ﴿لو استطعنا﴾ الخروج ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالحلف الكاذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ذلك.

الْمُؤْمِنُونَ

وَأَنْفُسُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا مَخْرَجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٤﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٥﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُولِيُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآرَتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٨﴾

٤٣ وكان ﷺ، أذن لجماعة في التخلف، باجتهاد منه، فنزل عتاباً له، وقَدَّمَ العفو تطميناً لقلبه: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ في التخلف، وهلاً تركتهم ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في العذر ﴿وتعلم الكاذبين﴾ فيه ؟

٤٤ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر في التخلف عن ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين﴾.

٤٥ إنما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت شكت قلوبهم في الدين ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون.

٤٦ ولو أرادوا الخروج معك ﴿لأعدوا له عدة﴾ أمة، من الآلة والزاد ﴿ولكن كره الله أنبعاثهم﴾ أي: لم يرد خروجهم ﴿فثبطهم﴾ كسّلهم ﴿وقيل﴾ لهم ﴿اقعدوا مع القاعد﴾ المرضى والنساء والصبيان، أي: قَدَّرَ الله تعالى ذلك.

كما حصل لبعض الصحابة، فقد أخرج مسلم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض»، وروى البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «إن أقواماً خلفنا بالمدينة، ما سلكتنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا، حبسهم العذر».

ومن منعه العذر عن الجهاد وكان موسراً، وجب عليه أن يجاهد بماله، ومن جهز غازياً في سبيل الله بما يحتاج إليه من العدة والمؤونة، نال ثواب الجهاد، وكتب مع المجاهدين، فقد روى الشيخان، عن زيد بن خالد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا» ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا» ومعنى قوله ﷺ: «ومن خلف غازياً في أهله بخير»، أي: صان غيبته في عرضه وماله، ورعى أسرته وساعدها.

٤٧ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً، بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أسرعوا بالمشي بينكم بالنميمة^(١) ﴿يَبْغُونَكُمْ﴾ يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ باللقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون، سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

٤٨ ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا﴾ لك ﴿الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفكر، في كيدك وإنطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَوَظَّهَرُ عَزَّ﴾ أمر الله ﴿دِينَهُ﴾ وهم كارهون له، فدخلوا فيه ظاهراً.

٤٩ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لَنِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتَنِي﴾ وهو الجذ بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هل لك في جلال بني الأصفر؟» [أي: ملوك الروم]، فقال: «إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر، أن لا أصبر عنهن فافتن، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف، وقرئ [شدوذاً]: «سقط» وإن جهنم لمحيطه بالكافرين لا محيص لهم عنها.

٥٠ ﴿إِنْ تُصَبِّكَ حَسَنَةً﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصَبِّكَ مُصِيبَةً﴾ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِنْ قَبْلِ قَبْلِ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ﴾ ويتولوا وهم فرحون بما أصابك.

٥١ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

٥٢ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل، أي: تنتظرون أن يقع ﴿بَنَا إِلَّا إْحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحَسَنِينَ﴾ تنبيه «حسن»، تأنيث «أحسن»، النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بَكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ﴾ بعذاب من عنده ﴿بِقَارِعَةٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أو بأيدينا ﴿بأن يؤذن لنا في قتالكم فتربصوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

٥٣ ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لَنِي وَلَا تَفْتَنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصَبِّكَ حَسَنَةً تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصَبِّكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا إْحْدَى الْحَسَنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا

(١) قوله: «بالمشي بينكم بالنميمة»... «النميمة» هي: «نقل الكلام بين الناس، على جهة الإفساد» أي: بقصده، وناقله «نمائم» وهو الذي يمشي بين الناس بالنميمة، وهي من كبار الذنوب، لما ورد فيها من وعيد شديد، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» رواه الشيخان، وهي أيضاً من أسباب عذاب القبر، فقد روى الشيخان - واللفظ للبخاري في إحدى رواياته - عن عبد الله بن عباس، أن رسول الله ﷺ مرّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله». أما نقل الكلام على سبيل الإصلاح بين الناس فجائز، قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيُنهي خيراً - أي: يتلغ خيراً على وجه الإصلاح - أو يقول خيراً» رواه الشيخان.

أو كرهاً لن يتقبل منكم ﴿ ما أنفقتموه ﴾ إنكم كنتم قوماً فاسقين ﴿ والأمر هنا بمعنى الخبر، [أي: إن نفقتكم طوعاً أو كرهاً غير مقبولة، وذلك أن الجد بن قيس، لما اعتذر عن الخروج، قال للنبي ﷺ: ولكن أعينك بمالي، فنزلت فيه وفي أمثاله من المنافقين].

٥٤ ﴿وما منعهم أن تقبل﴾ بالباء والياء ﴿منهم نفقاتهم إلا أنهم﴾ [وجملة: «أنهم كفروا»، في محل رفع] فاعل: [«منعهم»]، و «أن تقبل»، [أي: المصدر المؤول منها، هو: [مفعول «منعهم»]، وتقدير الكلام: «وما منعهم قبول نفقاتهم منهم، إلا كفرهم بالله»] ﴿كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ متناقلون^(١) ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ النفقة، لأنهم يعدونها مغراً.

٥٥ ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ أي: لا تستحسن نعمنا عليهم، فهي استدراج ﴿إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بها في الحياة الدنيا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وتزهد﴾ تخرج ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

٥٦ ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ أي: مؤمنون [مثلكم] ﴿وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين، فيحلفون تقية.

٥٧ ﴿لو يجدون ملجأ﴾ يلجؤون إليه ﴿أو مغارات﴾ سراديب ﴿أو مدخلا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لولوا إليه وهم يجمعون﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم، إسراعاً لا يرده شيء، كالفرس الجموح.

٥٨ ﴿ومنهم من يلمزك﴾ يعيبك ﴿في﴾ قسم ﴿الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا﴾ أي: يغضبون ولا يرضون.

٥٩ ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وقالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ من غنيمة أخرى ما يكفيننا ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ أن يغنيننا، وجواب «لو» [محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم].

الجزء العاشر

أَوْ كَرِهًا لَّنَ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾
وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ
مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٧﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً
أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٨﴾
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٦٠﴾

(١) قوله: «متناقلون»، التناقل عن الصلاة صفة من صفات المنافقين، وعلامة على ضعف الإيمان، روى البزار في حديث قصة الإسراء وفرض الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثم أتى - يعني: النبي ﷺ - على قوم تُرْضَخُ رؤوسهم - أي: تُدَقُّ وتكسر - بالصخر، كلما رُضِختْ عادت كما كانت ولا يَتَغَرَّعُونَ عنهم من ذلك شيء»، قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تناقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، وروى البخاري مثله في حديث طويل، عن سَمُرَةَ بن جَنْدُب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ولفظه: «أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُتْلَغُ - أي: يكسر - بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة».

٦٠ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الصدقات، من: جاب، وقاسم، وكاتب وحاشر ﴿وَالْمَوْلُفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا، أو: يثبت إسلامهم، أو: يُسَلِّمَ نظراؤهم، أو: يذبُّوا عن المسلمين، أقسام، والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي، لعز الإسلام، بخلاف الآخرين، فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرَّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْفَارِمِينَ﴾ أهل الدين، إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو: لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القائمين بالجهاد، ممن لا فيء لهم، ولو أغنياء ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نُصِبَ بقلعه المقدّر ﴿مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه

﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه، فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا منع صنف منهم إذا وُجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض أحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام»، وجوب استغراق أفرادها، [أي: أفراد كل صنف، بإعطائهم جميعاً]، لكن: لا يجب [ذلك] على صاحب المال إذا قَسَمَ، لعُسرهُ، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها، كما أفادته صيغة الجمع، وبيّنت الشُّنَّةُ [في أحاديث في الصحيحين]، أن شرط المعطى منها: الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مُطَّلِبياً. ٦١ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المناققين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعبية، وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾، إذا نُهِيَوا عن ذلك، لثلاثيَّة: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قيل ويقله، فإذا حلفنا له أننا لم نقل، صدَّقنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُسْتَمِعٌ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به، لا لغيرهم، واللام زائدة، للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَجْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على «أذن»، والجر عطفاً على «خير» ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ لهم عذاب اليم.

٦٢ ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون، فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول، أنهم ما أتوه ﴿لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يَرْضَوْهُ﴾

بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير [في «يرضوه»] لتلازم الرضائين، وخبر «الله»، أو: «رسوله»، محذوف، [لأن: «أحق»]، خبر أحدهما. ٦٣ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ يَحَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهُ﴾ ورسوله فإن له نار جهنم جزاء ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾. ٦٤ ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ أن تنزل عليهم ﴿أَي: الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴿مَنْ النِّفَاقُ﴾، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مَخْرُجٌ﴾ مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجه من نفاقكم. ٦٥ ﴿وَلَنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ﴾ معتردين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

* إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمَوْلُفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ
يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ
الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ
مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

ونلعب ﴿ في الحديث، لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿ قل ﴿ لهم ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ ﴾ ٦٦ ﴿ لا تعتذروا ﴾ عنه ﴿ قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ أي: ظهر كفركم، بعد إظهار الإيمان ﴿ إن يُغْفَ ﴾ بالياء: مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿ عن طائفة منكم ﴾ بإخلاصها وتوبتها، كمخشي بن حمير^(١) الأشجعي ﴿ تُعَذَّب ﴾ بالتاء والنون ﴿ طائفة ﴾ [بالرفع والنصب، ففيها قراءتان سبعيتان: الأولى: ﴿ إن يُغْفَ عن طائفة منكم تُعَذَّب طائفة ﴾ والثانية: ﴿ إن نَغْفَ عن طائفة منكم نُعَذَّب طائفة ﴾ بالنصب] ﴿ بأنهم كانوا مجرمين ﴾ مصرّين على النفاق والاستهزاء.

الْمُنَافِقُونَ

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٩﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴿٧٠﴾ جَزَاءٌ وَعِقَابٌ ﴿٧١﴾ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿٧٤﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٧٥﴾ [من القرون السابقة، كعاد وثمود وقوم فرعون] ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قسوةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا ﴿٧٦﴾ بِخِلَاقِهِمْ ﴿٧٧﴾ نَصَبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٧٨﴾ فَاسْتَمْتَعْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿٧٩﴾ بِخِلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخِلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ ﴿٨٠﴾ فِي الْبَاطِلِ، وَالطَّعْنُ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ أي: كخوضهم ﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

٦٧ ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ أي: متشابهون في الدين، كأبعض الشيء الواحد ﴿ يأمرُونَ بالمنكر ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ وينهون عن المعروف ﴾^(٢) الإيمان والطاعة ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿ نسوا الله ﴾ تركوا طاعته ﴿ فنسيهم ﴾ تركهم من لطفه ﴿ إن المنافقين هم الفاسقون ﴾.

٦٨ ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ﴾ جزاء وعقاباً ﴿ ولعنهم الله ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ دائم.

٦٩ ﴿ أنتم أيها المنافقون ﴾ كالذين من قبلكم ﴿ [من القرون السابقة، كعاد وثمود وقوم فرعون] ﴾ كانوا أشد منكم قسوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا ﴿ بخلقهم ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿ فاستمتعتم ﴾ أيها المنافقون ﴿ بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم وخضتم ﴾ في الباطل، والطعن في النبي ﷺ ﴿ كالذي خاضوا ﴾ أي: كخوضهم ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾

(١) قوله: ﴿ كمخشي بن حمير الأشجعي ﴾ هذا هو الثواب كما في المخطوطتين و «الإصابة»، وما في بعض النسخ المطبوعة: «كجحش بن حمير» تصحيف، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: له ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك؛ وجاء في تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، وبسند آخر إلى ابن مسعود: أنه ممن نزل فيه ﴿ ولئن سألتهم ليقولن... ﴾ الآية (٦٥) قال - أي: ابن الكلبي - فكان ممن عُفي عنه مخشي بن حمير، فقال: يا رسول الله، غير اسمي واسم أبي، فسماه رسول الله ﷺ «عبد الله بن عبد الرحمن»، فدعا مخشي ربه أن يقتل شهيداً حيث لا يعلم به، فقتل يوم اليمامة، ولم يعلم له أثر.

(٢) قوله تعالى: ﴿ وينهون عن المعروف ﴾، أرجع إلى تعليقنا حول معنى «المعروف والمنكر» ص ٨٠.

وأولئك هم الخاسرون ﴿٧٠﴾ ألم يأتيهم نبياً ﴿١﴾ خبر الذين من قبلهم قوم نوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وقوم إبراهيم هم الملك الكافر نمروذ وقومه وأصحاب مدين قوم شعيب والمؤتفكات قرى قوم لوط. أي: ألم يأتيكم نبياً أهلها؟ أتتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات، فكذبوهم، فأهلكوا ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بارتكاب الذنب.

﴿٧١﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴿أي: قلوبهم متحدة في التوآء، والتحاب﴾ (٢)

والتعاطف، وما يتبع ذلك من نصرة وعون؛ ثم يبين حالهم، في حياتهم العامة والخاصة، فقال تعالى: ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء، عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حكيم﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله.

﴿٧٢﴾ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن إقامة ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾.

﴿٧٣﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف ﴿والمنافقين﴾ باللسان والحجة، [لأنه لم يؤمر بقتل المنافقين، حتى لا يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه] واغلظ عليهم ﴿جميعاً﴾، بالانتهاز والمقت (٣) ﴿وماوهم جهنم وبش

(١) قوله تعالى: ﴿ألم يأتيهم نبياً...﴾ الآية ٧٠، ارجع إلى تعليقنا حول «عاد» ص ٢٩١، و«ثمود» ص ٢٩٣، و«مدين» ص ٢٩٦، و«المؤتفكات» ص ٢٩٥.

(٢) قولنا: «التحاب والتعاطف»، روى الشيخان - واللفظ لمسلم - عن النعمان بن بشير رضي الله

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أي: على المؤمنين أن يكونوا كذلك؛ فقد روى الشيخان أيضاً، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه.

(٣) قوله: «بالانتهاز والمقت»، أي: البغض والكره، فعلى المؤمن أن يحب الله، وفي الله، وأن يكره كذلك، فيحب المؤمنين ويؤاخذهم ويشفق عليهم، ويخفف لهم جناحه، ويظهر العزة والقوة أمام الكافرين، لينبهم إلى أنهم مكروهون لكفرهم وضلالهم، وأن المؤمن لا يرضى عن الكافر ولا يحبه، لكفره لا لشخصه لأن الله لا يرضى عن القوم الكافرين، تماماً كما رسول الله وأصحابه حيث وصفهم الله بقوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٠﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَبَشَسْ

المصير المرجع هي. ٧٤ ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿بِالله ما قالوا﴾ ما بلغك عنهم من السب، [وكانوا يذكرون النبي ﷺ ودينه بالسوء، فإذا سألهم، حلّفوا بالله: ما قالوا شيئاً من ذلك] ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة، عند عوده من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، فضرب^(١) عمار بن ياسر وجوه الرّواحل، لَمَّا غَشَوْهُ، فَرَدُّوا ﴿وما نَقَمُوا﴾ أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم، والمعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما يُنْقَمُ، [أي: يُكَرَهُ] ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النفاق، ويؤمنوا بك ﴿يَكْ خيراً لهم﴾ وإن يتولوا ﴿عن الإيمان﴾ يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وما لهم في الأرض من ولي﴾ يحفظهم منه ﴿ولا نصير﴾ يمنعهم. ٧٥ ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ وهو: ثعلبة بن حاطب^(٢)، سأل النبي ﷺ: أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً، ويؤدّي منه كلّ ذي حق حقه، فدعا له، فوسّع عليه، فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة، كما قال تعالى: [اقرأ التعليق]. ٧٦ ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا﴾ عن طاعة الله ﴿وهم معرضون﴾.

٧٧ ﴿فأعقبهم﴾ أي: فصير عاقبتهم ﴿نفاقاً﴾ ثابتاً ﴿في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ أي: الله، وهو يوم القيامة ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ فيه، فجاء بعد ذلك، إلى النبي ﷺ بزيارته، فقال: «إن الله معني أن أقبل منك»، فجعل يحشو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر، فلم يقبلها، ثم إلى عمر، فلم يقبلها، ثم إلى عثمان، فلم يقبلها، ومات في زمانه، [تنبيه]: هذه القصة غير صحيحة، اقرأ التعليق].

٧٨ ﴿الم يعلموا﴾ أي: المنافقون ﴿أن الله يعلم سرهم﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿ونجواهم﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ ما غاب عن العيان.

٧٩ ولما نزلت آية الصدقة، جاء رجل

الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُولُوا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ * وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَخَوَّبَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا فنزل: ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يلمزون﴾ يعيبون ﴿المطوعين﴾ المتطولين ﴿من المؤمنين﴾ في الصدقات والذين لا يجدون

(١) قوله: «فضرب عمار»، روى ذلك أحمد والطبراني والبخاري وغيرهم.

(٢) قوله: «هو ثعلبة بن حاطب الخ». إن هذه القصة التي أشار إليها السيوطي، والتي قيل: إن هذه الآيات نزلت فيها، هي قصة متداولة على الألسن، نقلها بعض المفسرين كما رويت، ولم ينكروا نسبتها إلى ثعلبة، مثل ابن كثير في تفسيره، والسيوطي هنا وفي «الدر المنثور»، =

إلا جهدهم طاعتهم، فيأتون به فيسخرون منهم والخبر: «سخر الله منهم» جازاهم على سُخْرِيَتِهِمْ «ولهم عذاب اليم». ٨٠ «استغفر» يا محمد «لهم أو لا تستغفر لهم» تخيير له في الاستغفار وتركه، قال ﷺ: «إني خيِّرتُ فاخترت»، يعني: الاستغفار، رواه البخاري «إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» قيل: المراد بالسبعين، المبالغة في كثرة الاستغفار، وفي البخاري، [في صلاته ﷺ على عبد الله بن أبي السَّلُولي]، حديث: «لو أعلم أنني لو زدت على السبعين غَفَرَ [له]، لزدتُ عليها» وقيل: المراد العدد المخصوص لحديثه [أي البخاري] أيضاً «وسأزيد على السبعين»، فبين له حسم المغفرة بآية: «سواءٌ عليهم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ [لن يغفر الله لهم]» «ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين» [فكف عن ذلك].

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٨٠ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ٨١ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٨٢ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذَّنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ٨٣ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ

٨١ «فرح المخلفون» عن تبوك «بمقعدهم» أي: ببقعدهم «خلاف» أي: بعد «رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا» أي: قال بعضهم لبعض «لا تنفروا» تخرجوا إلى الجهاد «في الحر قل نار جهنم أشد حراً» من تبوك، فالأولى أن يتقوها بترك التخلف «لو كانوا يفقهون» يعلمون ذلك، ما تخلفوا.

٨٢ «فليضحكوا قليلاً» في الدنيا «وليبكوا» في الآخرة «كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون» خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

٨٣ «فإن رجعت» ردك «الله» من تبوك «إلى طائفة منهم» ممن تخلف بالمدينة من المنافقين «فاستأذنوك للخروج» معك إلى غزوة أخرى «فقل» لهم «لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين» المتخلفين عن الغزو، من النساء والصبيان وغيرهم. ٨٤ ولما صلى النبي ﷺ على [عبد الله] بن أبي السَّلُولي [المنافق] نزل: «ولا تصل على أحد منهم

= وغيرهما، ونقلها آخرون وتعقبوها بالنقد، واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، فقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد

الآلهاني، وهو متروك. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: «أخرجه الطبراني، والبيهقي في «الدلائل» و«الشعب»، وابن أبي حاتم، والطبري، وابن مردويه، كلهم من طريق علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، وهذا إسناد ضعيف جداً». اهـ. وقال ابن حجر مثل ذلك في كتابه «الإصابة».

وقال القرطبي في تفسيره، بعد أن أورد القصة: قلت: وثعلبة، بدرّي، أنصاري. ومن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، وقال الضحاك: نزلت في رجال من المنافقين هم: بُنْتُلُ بن الحارث، وجَدُّ بن قيس، ومُعْتَبُ بن قشير، وهذا أشبه في نزول الآية فيهم. اهـ. فالصواب: أنها لم تنزل في ثعلبة بن حاطب، ولا في غيره من المسلمين، والقصة المشار إليها مردودة لا يصح قبولها، فإن كانت هذه الآيات قد نزلت في أناس بعينهم، فهم منافقون أصلاً، والدليل على ذلك: سياق الآيات التي جاءت تبين أفعال =

مات أبداً ولا تقم على قبره ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ كافرون، [وذلك: أن ابنه عبد الله، سأل النبي ﷺ أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأل أن يصلي عليه، فصلى عليه، فتزلت هذه الآية، فترك الصلاة على المنافقين، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما].

٨٥ ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق﴾ تخرج ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾. ٨٦ ﴿وإذا أنزلت سورة﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول﴾ ذوو الغنى ﴿منهم﴾ وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين.

٨٧ ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ جمع «خالفة»، أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ووطع على قلوبهم فهم لا يفقهون الخير.

٨٨ ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي: الفائزون.

٨٩ ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾.

٩٠ ﴿وجاء المعذرون﴾ يادغام التاء في الأصل في الـ ذال، أي: المعتذرون، بمعنى: «المعذورين» [أي: الذين لهم عذر مقبول، يمنهم عن الخروج للقتال]، وقرئ^(١) به ﴿من الأعراب﴾ إلى النبي ﷺ ﴿ليؤذن لهم﴾ في القعود، لعذرهم، فأذن لهم ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في ادعاء الإيمان، من منافقي الأعراب، عن المجيء للاعتذار سيصيب

المنافقين: [اقرأ الآيات ٧٣ - ١١٠]، وأيضاً: نص هذه الآية، فقوله تعالى: ﴿ومنهم﴾ يعني: ومن المنافقين، أي: عندما عاهدوا الله، كان كل واحد منهم منافقاً، ولم يكن مؤمناً ثم ناقض بنقض العهد، وقوله ﴿فأعقبهم﴾ أي: الذين نقضوا العهد، وهذا يعني أنهم جماعة، ولو كان واحداً لقال: «فأعقبه»، ومن غرائب ما في هذه القصة: رفض النبي ﷺ قبول زكاته، وكذلك الخلفاء الثلاثة من بعده، وهل يرؤ الرسول ﷺ

الجزء العشر
مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَنَكَ أُولَاطُولٍ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٨﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٩﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴿٩٠﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩١﴾ وَجَاءَ الْمَعْذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ

تانياً جاء معتذراً؟ وبذلك يتبين لنا رجحان قول الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى أنها نزلت في رجال من المنافقين كما تقدم، وأنه لا علاقة لثعلبة بن حاطب رضي الله عنه بهذه القصة ولا لأحد من المسلمين الصادقين.

(١) قوله: «وقرئ به» أي: بما بمعناه «أنهم معذرون»، أي: «المعتذرون» وهذه القراءة بضم الميم وسكون العين وكسر الـ ذال مخففة، من «أعذر، يُعذَرُ» - وهذه ليست قراءة شاذة كما يفهم من قول السيوطي: «وقرئ به» على عادته في الإشارة إلى القراءات الشاذة، بل هي قراءة في العشرة قرأ بها يعقوب بن إسحاق الحضرمي، أما الباقر من العشرة غيره فقرؤا بفتح العين وكسر الـ ذال مشددة، وفي المعنى على هذه القراءة قولان، أحدهما: ما ذكره المؤلف ومشى عليه، وثانيهما: أن «المعتذر» - بالتشديد قد يكون غير محق في عذره، أي: يعتذر ولا عذر له، فيكون معنى قوله: ﴿وجاء المعتذرون﴾ - على هذا القول - أي: الذين اعتذروا كاذبين لأنهم في الواقع لا عذر لهم، وكلا المعنيين لا بأس به.

الذين كفروا منهم عذاب اليم.

٩١ ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعُتَمَى وَالزَّمَنَى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إثم في التخلف^(١) عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في حال قعودهم، بعدم الإرجاف [أي: نقل الأخبار، إثارة للفتنة]، والتشيط، والطاعة [لله ورسوله]، وفيه: ترغيب الغازي، بطاعة الإمام، وعدم مخالفته [ما على المحسنين] بذلك ﴿مَنْ سَبِيلٌ﴾ طريق بالمؤاخضة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، في التوسعة في ذلك.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٩١﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ
إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٣﴾
* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ
وَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَحْلِفُونَ

جزء ١١
جزء ١١

٩٢ [ثم نفى المؤاخضة أيضاً، عن الذين لم يجدوا النبي ﷺ ما يحملهم عليه فقال: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار، وقيل بنو مُقَرَّن^(٢) ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِضُ﴾^(٣) تسيل ﴿مِنْ﴾ للبيان ﴿الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

٩٣ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ [أي: المؤاخضة] ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله [في الآية ٨٧].

٩٤ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَنْبَارِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. ٩٥ ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾

(١) قوله: في «التخلف عنه»، ارجع إلى تعليقنا حول «التخلف على الجهاد» ص ٢٤٧؛ وإلى تعليقنا حول «التولي يوم الزحف» ص ٢٢٩.

(٢) قوله: «بنو مقَرَّن»، هم من «مُرَنَّة»، كانوا سبعة إخوة، كلهم صحبوا النبي ﷺ، وفيهم نزلت هذه الآية، وعليه جمهور المفسرين، وهم: عبد الله، وعبد الرحمن، وعقيل، ومعقل، والنعمان، وسويد، وسنان، وقيل: نزلت في غيرهم، وعلى كل حال: فالذين طلبوا من النبي ﷺ أن يحملهم كثيرون.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾، هكذا كان حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الجهاد في سبيل الله، فأعظم به من إيمان، وأكرم بهم من مسلمين صادقين، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة - هي: تبوك - فقال: «إن بالمدينة لرجالاً، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً، إلّا كانوا معكم، حبسهم المرض»، وفي رواية له: «إلّا شركوكم في الأجر».

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ تَبُوكَ، أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ فِي التَّخَلُّفِ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْمَعَاتِبَةِ فَنَاعَرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ قَدْرٌ، لَخَبِثَ بَاطِنُهُمْ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

٩٦ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أَي: عَنْهُمْ، [فَأَقَامَ الظَّاهِرَ مَقَامَ الْمَضْمَرِ]، وَلَا يَنْفَعُ رِضَاكُمْ مَعَ سَخَطِ اللَّهِ.

٩٧ ﴿الْأَعْرَابُ﴾ (١) أَهْلُ الْبَدْوِ أَشَدُّ كُفْرًا وَتَفَاقًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينِ، لَجَفَانَتِهِمْ وَغِلْظِ طَبَاعِهِمْ، وَبَعْدَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أَوْلَىٰ ﴿أَنْ﴾، أَي: بِأَنْ

﴿لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ مِنْ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ بِهِمْ.

٩٨ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَغْرَمًا﴾ غَرَامَةً وَخَسْرَانًا، لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، بَلْ يَنْفِقُهُ خَوْفًا، وَهُمْ: بَنُو «أَسَدٍ» وَ«غَطَفَانَ» وَ«يَتْرَبِصُ» يَنْتَظِرُ ﴿بِكُمِ الدَّوَاتِرُ﴾ دَوَاتِرُ الزَّمَانِ أَنْ تَنْقَلِبَ عَلَيْكُمْ، فَيَتَخَلَّصُوا [مِنَ الْإِنْفَاقِ] عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ بِالْضَمِّ وَالْفَتْحِ، أَي: يَدُورُ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ عَلَيْهِمْ، لَا عَلَيْكُمْ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ.

٩٩ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كـ «جُهَيْنَةَ» وَ«مُزَيْنَةَ» وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ «قُرْبَاتٍ» تَقْرِبُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَ«وَسِيلَةً إِلَىٰ صَلَوَاتٍ» دَعَوَاتِ الرَّسُولِ لَهُ «أَلَا إِنَّهَا» أَي: نَفَقَتُهُمْ «قُرْبَةً» بَضْمُ الرَّاءِ وَسُكُونُهَا «لَهُمْ» عِنْدَهُ، [يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ] «سَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ» جَنَّتُهُ «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» لِأَهْلِ طَاعَتِهِ «رَحِيمٌ» بِهِمْ.

١٠٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ وَهُمْ: مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، أَوْ: جَمِيعَ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ

الْأَعْرَابُ

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَتَفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمِ الدَّوَاتِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

(١) قوله تعالى: «الْأَعْرَابُ»: يطلق على سكان البادية من العرب؛ ويقال لهم: «أعاريب»، وهو لفظ فصيح، والنسبة إلى «الأعراب»: «أعرابي»، لأنه لا واحد له، وليس «الأعراب» جمعاً للعرب، وإنما «العرب» اسم جنس، مفردة «عربي» منسوباً، وتصغير «العرب»: «عريب»، وإذا قيل للأعرابي: يا عربي فرح، وإذا قيل للعربي: يا أعرابي غضب، والمهاجرون والأنصار عرب لا أعراب، والعرب أصلان هما: العرب العاربة، وهم أولاد، «يعرب بن قحطان»، والعرب المستعربة، وهم العرب «العدنانيون»، واسم لغة العرب: «العربية» وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

اتبعوهم ﴿ إلى يوم القيامة ﴾ بإحسان ﴿ في العمل ﴾ رضي الله عنهم ﴿ بطاعته ﴾ ورضوا عنه ﴿ بثوابه ﴾ وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ وفي قراءة بزيادة «من»، [أي: «من تحتها»، وهي قراءة سبعة] خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴿ ١٠١ ﴾ ومن حولكم ﴿ يا أهل المدينة ﴾ من الأعراب منافقون ﴿ كـ «أسلم»، و «أشجع»، و «غفار»، [أي: بعض من هذه القبائل، لا كلها] ومن أهل المدينة ﴿ منافقون أيضاً ﴾ مردوا على النفاق ﴿ لجؤا فيه واستمروا ﴾ لا تعلمهم ﴿ خطاب للنبي ﷺ ﴾ نحن نعلمهم سنعلمهم مرتين ﴿ بالفضيحة، أو: القتل، في الدنيا، [والفضيحة في الدنيا، هي عذاب المرة الأولى على الصحيح، لأن أحكام الإسلام، جارية عليهم في الظاهر]، و [المرة الثانية: عذاب القبر] ثم يردون ﴿ في الآخرة ﴾ إلى عذاب عظيم ﴿ هو النار.

١٠٢ ﴿ و ﴾ قوم ﴿ آخرون ﴾ مبتدأ ﴿ اعترفوا بذنوبهم ﴾ من التخلف، [وجملة: اعترفوا بذنوبهم] نعت، [أي: صفة المبتدأ]، والخبر [جملة: ﴿ خلطوا عملاً صالحاً ﴾ وهو: جهادهم قبل ذلك، أو: اعترافهم بذنوبهم، أو: غير ذلك ﴿ وآخر سيئاً ﴾ وهو: تخلفهم ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ نزلت ^(١) في أبي لبابة وجماعة، أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد، لما بلغهم ما نزل في المتخلفين، وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ، فحلهم، لما نزلت.

١٠٣ ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ من ذنوبهم، فأخذ ثلث أموالهم، وتصدق بها ﴿ وصل عليهم ﴾ أي: ادع لهم ﴿ إن صلاتك سكن ﴾ رحمة ﴿ لهم ﴾ وقيل: طمانينة بقبول توبتهم ﴿ والله سميع عليم ﴾.

١٠٤ ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ ﴾ يقبل ﴿ الصدقات وأن الله هو التواب ﴾ على عباده، بقبول توبتهم ﴿ الرحيم ﴾ بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به، تهيبهم إلى التوبة والصدقة، [وترغيبهم فيهما].

١٠٥ ﴿ وقل ﴾ لهم، أو: للناس ﴿ اعملوا ﴾ ما شئتم ﴿ فسيرى الله عملكم ورسوله

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

اتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْلَمُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

(١) قوله: «نزلت في أبي لبابة الخ. أخرج ذلك البيهقي في «الدلائل»، وابن جرير وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: أنهم كانوا عشرة رهط، تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ورواه الواحدي في «أسباب النزول»، ولم يسم أحداً منهم، وأبو لبابة: هو: مروان، وقيل: رفاعة بن عبد المنذر، كان من أهل الصفة، وقد تقدم في سورة «الأنفال» ص ٢٣٠ أنه ربط نفسه مرة قبل هذه، بسبب يهود بني قريظة، ثم حله رسول الله ﷺ بعد نزول توبته.

و «أهل الصفة» هم: فقراء المهاجرين، كانوا يأوون إلى موضع مظلل في المسجد، حبسوا أنفسهم للجهاد وتعليم القرآن، عدّهم أبو نعيم في «الحلية» أكثر من مائة، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: كانوا يكثرون حتى يبلغوا نحو المائتين، ويَقُولُونَ.

والمؤمنون وسترودون ﴿بالبعث﴾ إلى عالم الغيب والشهادة ﴿أي﴾: الله ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [أي]: يجازيكم به. ١٠٦ ﴿وآخرون﴾ من المتخلفين ﴿مرجؤون﴾ بالهمز وتركه، مؤخرون عن العقوبة ﴿لأمر الله﴾ فيهم بما شاء ﴿إما يعذبهم﴾ بأن يمتهم بلا توبة ﴿وإما يتوب عليهم﴾ والله عليهم ﴿بخلقه﴾ حكيم ﴿في صنعه﴾ بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد: ﴿مُرارة بن الربيع﴾، و﴿كعب بن مالك﴾، و﴿هلال بن أمية﴾، تخلفوا كسلًا، وميلا إلى الدعة [والراحة]، لا نفاقًا، ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة، وهجرهم الناس، حتى نزلت توبتهم بعد، [كما سيأتي في الآية ١١٨]. ١٠٧ ﴿و﴾ منهم ﴿الذين اتخذوا مسجدا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضراراً﴾ مضارة لأهل مسجد

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُتْرُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ
لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ
عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٩﴾
أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ
أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ
فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٠﴾

﴿قُبَاء﴾ و﴿كُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر «أبي عامر» الراهب، ليكون معقلًا له، يقدم فيه مَنْ يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر، لقتال النبي ﷺ و﴿تفريقاً بين المؤمنين﴾ الذين يصلون بقباء، بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وإرصاداً﴾ ترقباً ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي: قبل بنائه، وهو: أبو عامر المذكور و﴿ليحلفن إن﴾ ما ﴿أردنا﴾ بيناته ﴿إلا﴾ الفعلة ﴿الحسنى﴾ من الرفق بالمسكين، في المطر والحر، والتوسعة على المسلمين ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، [وهم أن يفعل]، فنزل: ١٠٨ ﴿لا تقم﴾ تصل ﴿فيه أبدا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه، وجعلوا مكانه «كناسة» تلقى فيها الجيف ﴿لمسجد أسس﴾ بنيت قواعده ﴿على التقوى من أول يوم﴾ و﴿وضع﴾ فيه أساسه، يوم حلت بدار الهجرة، وهو مسجد «قُبَاء» كما في البخاري ﴿أحق﴾ منه ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿تقوم﴾ تصلي ﴿فيه﴾ فيه رجال ﴿هم الأنصار﴾ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴿أي﴾ يشيهم، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في صحيحه، عن عويم بن ساعدة، أنه ﷺ أتاهم في مسجد «قُبَاء» فقال: «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور، في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟» قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً، إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا. وفي حديث رواه البزار: فقالوا: نُشِيعُ الحجارة بالماء، فقال: «هو ذاك، فعليكموه».

١٠٩ ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى﴾ مخافة ﴿من الله﴾ و﴿رجاء﴾ ﴿رضوان﴾ منه ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا﴾ طَرَفِ ﴿جرف﴾ بضم الراء وسكونها، جانب ﴿هار﴾ مشرف على السقوط ﴿فانهار به﴾ سقط مع بانيه ﴿في نار جهنم﴾ [؟] وخبر ﴿من﴾ الثانية محذوف، تقديره: [خير]، [وهذا] تمثيل للبناء على ضد التقوى، بما يؤول إليه [من الخسران]، والاستفهام للتقرير، أي: الأول خير. وهو مثال مسجد «قُبَاء»، والثاني: مثال مسجد «الضُّرَّار» ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

١١٠ ﴿لَا يَزَالُ بَنِيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً شَكًّا﴾ [أي: سبباً للريبة] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ تفصل ﴿قُلُوبَهُمْ﴾ بآن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

١١١ ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بآن يبذلوها في طاعته، كالجهاد ﴿بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف، بيان للشراء، وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول، أي: فيقتل بعضهم، ويقاتل الباقي ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبَشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المُنِيل غاية المطلوب.

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ النَّبِيُّونَ الْعَلِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

١١٢ ﴿النَّابُونَ﴾ رُفِعَ عَلَى الْمَدْح بِتَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ، [أي: هم النَّابُونَ] مِنَ الشَّرْكِ وَالنَّفَاقِ ﴿الْعَابِدُونَ﴾ الْمُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ ﴿الْحَامِدُونَ﴾ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ﴿السَّابِقُونَ﴾ الصَّائِمُونَ ﴿السَّاجِدُونَ﴾ أَي: الْمُصَلُّونَ ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴿لِحُكَامِهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهَا ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْجَنَّةِ.

١١٣ وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لِعَمَلِهِ أَبِي طَالِبٍ^(١)، وَاسْتِغْفَارَ بَعْضَ الصَّحَابَةِ لِأَبْوَيْهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَةٍ [كَأَبِي طَالِبٍ] ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النَّارِ، بِأَنْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ، [ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ].

١١٤ ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

(١) قول السيوطي: «ونزل في استغفاره ﷺ لعمه» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وسيأتي نصه ص ٥١٥ مع سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. وأما استغفار بعض الصحابة لأبويهم المشركين، فقد أخرجه الترمذي والنسائي وغيرهما، واحتجوا على ذلك، باستغفار إبراهيم لأبيه، فنزلت هذه الآية والتي

بعدها في النهي عن ذلك، أما حكم الاستغفار للمشرك أياً كان سبب كفره والدعاء له، فبيانه:

أنه يجوز طلب المغفرة للكافر الحي، بقصد أن يهتدي للإسلام بمثل: «غفر الله لك» أي: هداك للإيمان الذي هو سبب المغفرة، ولكن الاستغفار له - إذا كان حياً - بقصد أن تغفر ذنوبه مع بقاءه على الكفر، لا يجوز، وكذلك لا يجوز الترحم عليه بقول: «المرحوم»، أو طلب المغفرة له بقول: «المغفور له»، إذا كان ميتاً، لأنه لا رحمة ولا مغفرة لمن مات كافراً، بل إن اعتقاد غفران الشرك مع العلم بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ﴾ كُفْرٌ.

أما الدعاء للكافر، فيجوز بمثل ما ورد في الحديث، فقد روى البخاري، أن يهودياً عطس، فقال له النبي ﷺ: «يهديكُم الله =

إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ: «سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي»، رَجَاءً أَنْ يُسَلَّمَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وَتَرَكَ الْاسْتِغْفَارَ لَهُ ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمُ لِأَوْاهٍ﴾ كَثِيرَ التَّضَرُّعِ وَالِدَعَاءِ ﴿حَلِيمٌ﴾ صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى. ١١٥ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ لِلْإِسْلَامِ ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ مِنَ الْعَمَلِ، فَلَا يَتَّقُوهُ، فَيَسْتَحِقُّوا الْإِضْلَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَمِنْهُ مُسْتَحَقُّ الْإِضْلَالِ وَالْهَدَايَةِ. ١١٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: غَيْرُهُ ﴿مَنْ وَلِيٌّ﴾ يَحْفَظُكُمْ مِنْهُ، [أَيُّ: مَنْ الْإِضْلَالِ] ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يَمْنَعُ عَنْكُمْ ضَرَرَهُ. ١١٧ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أَيُّ: أَدَامَ تَوْبَتَهُ ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أَيُّ: وَقْتِهَا، وَهِيَ حَالُهُمْ فِي غَزْوَةِ «تَبُوكَ»، كَانَ الرِّجَالُ يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً، وَالْعُسْرَةُ يَعْتَقِبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ، حَتَّى شَرَبُوا [مَاءَ] الْفَرَسِ، [فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَنْحَرُ بَعِيرَهُ، فَيَعَصِرُ مَا فِي كَرْشِهِ مِنْ قَرْنٍ، فَيُشْرِبُهُ] ﴿مَنْ بَعْدَ مَا كَادَ تَزِيغٌ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ: تَمِيلُ ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عَنْ اتِّبَاعِهِ إِلَى التَّخَلُّفِ، لَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالنِّبَاتِ ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الْحُكْمُ فِي الْإِسْلَامِ

إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ حَلِيمٌ ١١٥ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١٦ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١١٧ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ١١٨ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ وَقَفَّهِمُ لِلتَّوْبَةِ ﴿لِيَتُوبُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٩ يَتَابُهَا الَّذِينَ

١١٨ ﴿و﴾ تَابَ ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ (١) عَنْ التَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ، [بِسَبَبِ تَخَلُّفِهِمْ عَنْ الْخُرُوجِ يَوْمَ تَبُوكَ]، بِقَرِينَةٍ: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أَيُّ: مَعَ رَحْبِهَا، أَيُّ: سَعَتِهَا، فَلَا يَجِدُونَ مَكَانًا يَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قُلُوبُهُمْ لِلْغَمِّ وَالْوَحْشَةِ، بِتَأْخِيرِ تَوْبَتِهِمْ، فَلَا يَسْعَاهَا سُرُورٌ وَلَا أُنْسٌ ﴿وَضَنُّوا﴾ أَيْقَنُوا ﴿أَنْ﴾ مُخَفِّفَةٌ، [أَيُّ: أَنَّهُ] ﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وَقَفَّهِمُ لِلتَّوْبَةِ ﴿لِيَتُوبُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. ١١٩ ﴿يَتَابُهَا﴾ الَّذِينَ

= وَيُصْلِحُ بِالْكَمِّ. وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ الدَّعَاءُ لَهُ بِمِثْلِ: «قَوَّاكَ اللَّهُ»، أَوْ: «أَدَامَ اللَّهُ مَلِكُكَ»، أَوْ: «أَطَالَ اللَّهُ عَمْرَكَ».

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا» أَيُّ: الَّذِينَ

أَخْرَجَ الرِّسُولَ ﷺ أَمْرُهُمْ، وَهَمَّ: كَعَبَّ بْنُ مَالِكٍ، وَهُرَيْرَةُ بْنُ رَيْعَةَ الْعَامِرِيُّ، وَهَلَالَةُ بْنُ لُمَيْةٍ الْوَاقِفِيُّ، وَكُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، حَدِيثَهُمْ وَقَصَّتْهُمْ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ جَدًّا، لَا مَتْنٌ لِلذِّكْرِ هُنَا، وَمُلْخَصُهَا: أَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ تَبُوكَ، مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا سَبَبٍ مَانِعٍ، فَلَمَّا رَجَعَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَتَاهُ الْمُتَخَلِّفُونَ يَتَذَرُونَ إِلَيْهِ وَيُحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بَضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَكَانَ يَقْبَلُ مِنْهُمْ عَذْرَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَيَتْرَكُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَمَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ، فَقَدْ صَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَتَحَلَّوْا عَذْرًا، بَلْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، فَأَخْرَجَ الرِّسُولَ ﷺ أَمْرَهُمْ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِمُقَاطَعَتِهِمْ، فَقَاطَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا مَدَّةَ خَمْسِينَ يَوْمًا، حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. اقْرَأْ قَصَّتَهُمْ بِتَمَامِهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، أَوْ: فِي كِتَابِ: «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» بَابِ: «التَّوْبَةِ».

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٢٠﴾ بِتَرْكِ مَعْصِيَةِ ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) فِي الْإِيمَانِ وَالْعَهْدِ، بَأَن تَلْزَمُوا الصَّدْقَ لَفِي كُلِّ أَمْرٍ.

﴿١٢٠﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴿إِذَا غَزَا﴾ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴿بَأَن يَصُونُوا﴾ عَمَّا رَضِيَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَهُوَ نَهْيٌ بِلَفْظِ الْخَبَرِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: النَّهْيُ عَنِ التَّخَلُّفِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عَطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تَعَبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطُؤُونَ مَوْطِئًا﴾ مُصَدِّرٌ، بِمَعْنَى: ﴿وَطَأٌ﴾ يُغْبِظُ يُغْضِبُ ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ﴾ نَيْلًا ﴿قِتْلًا﴾ أَوْ: أَسْرًا، أَوْ: نَهْبًا ﴿إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أَي: أَجْرُهُمْ، بَلْ يَشِيهُمُ.

﴿١٢١﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ فِيهِ ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ وَلَوْ تَمْرَةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴿بِالسَّيْرِ﴾ إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ ﴿ذَلِكَ﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿أَي: جَزَاءَهُ﴾.

﴿١٢٢﴾ وَلَمَّا وُتِّخُوا عَلَى التَّخَلُّفِ، وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، نَفَرُوا جَمِيعًا، فَنَزَلَ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ إِلَى الْغَزْوِ ﴿كَافَّةً فَلَوْلَا﴾ فَهَلَّا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قَبِيلَةٌ ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ وَمَكْتُوبُ الْبَاقُونَ ﴿لِيَنْفِقُوا﴾^(٢) أَي: الْمَاكُثُونَ ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ مِنْ الْغَزْوِ، بِتَعْلِيمِهِمْ مَا تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عِقَابَ اللَّهِ، بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَهَذِهِ مَخْصُوصَةٌ بِالسَّرَايَا، وَالَّتِي قَبْلُهَا، بِالنَّهْيِ عَنِ التَّخَلُّفِ وَاحِدٍ، فِيمَا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ.

﴿١٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

﴿١٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿١٢٠﴾ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢١﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطُؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

(١) قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، إِنْ الصَّدْقُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِ، وَالْكَذِبُ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ﴾، أَي: الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ، ذَكَرْنَا كَانَ أَوْ أُنْثَى.

(٢) قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، «الْفَقْهُ» فِي اللُّغَةِ: الْفَهْمُ، وَ«فَقْهُ» الرَّجُلُ بِكَسْرِ الْفَاءِ، «فَقْهًا» أَي: فَهْمًا، وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ بِالْفَقْهِ: «فَقِيه»، وَقَدْ «فَقَّ» بِضَمِّ الْفَاءِ، أَي: صَارَ فَقِيهًا، رَوَى الشَّيْخَانُ وَأَحْمَدُ، عَنْ مَعَارِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة أي: أغلظوا عليهم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر. ١٢٤ ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ من القرآن ﴿فمنهم﴾ أي: المنافقين ﴿من يقول﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ تصديقاً؟ قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ لتصديقهم بها ﴿وهم يستبشرون﴾ يفرحون بها. ١٢٥ ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ كفرأ إلى كفرهم، لكفرهم بها ﴿وماتوا وهم كافرون﴾. ١٢٦ ﴿أو لا يرون﴾ بالياء، أي: المنافقون، والثناء: أيها المؤمنون ﴿أنهم يفتنون﴾ يبتلون ﴿في كل عام مرة أو مرتين﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ يتعظون. ١٢٧ ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ فيها ذكرهم، وقرأها النبي ﷺ ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ يريدون الهرب، يقولون: ﴿هل يراكم من أحد﴾ إذا قمتم؟، فإن لم يره أحد، قاموا [وانصرفوا]، والآن ثبتوا ﴿ثم انصرفوا﴾ على كفرهم ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الهدى ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ الحق، لعدم تدبرهم. ١٢٨ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾^(١) أي: منكم، [هو] محمد ﷺ ﴿عزيز﴾ شديد ﴿عليه ما عنتم﴾ أي: عنتكم، أي: مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حريص﴾ عليكم ﴿أن تهتدوا﴾ بالمؤمنين رؤوف ﴿شديد الرحمة﴾ رحيم يريد لهم الخير. ١٢٩ ﴿فإن تولوا﴾ عن الإيمان بك ﴿فقل حسبي﴾ كافي ﴿الله لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ به وثقت، لا بغيره ﴿وهو رب العرش﴾ الكرسي^(٢) ﴿العظيم﴾ خصه بالذكر، لأنه أعظم المخلوقات، وروى الحاكم في المستدرک، عن أبي بن كعب قال: آخر^(٣) آية نزلت: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخر السورة، [وهو قول ضعيف].

(١) قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ الآية

١٢٨

قال القرطبي في تفسيره: الخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك، إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه، وشرفوا به غابر الأيام، وقال الزجاج: هي مخاطبة لجميع العالم، والأول أصوب. اهـ.

وَلَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٤﴾
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٦﴾ أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا ۖ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۖ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٨﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٠﴾

٢٦٤

وفي صحيح مسلم، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل،

واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

(٢) قوله: ﴿الكرسي﴾، إن تفسير الجلال السيوطي رحمه الله «العرش»، بأنه «الكرسي» - ومثله فعل الجلال المحلي رحمه الله - هو جري على القول بأنهما شيء واحد، ولكن الصحيح: أن «العرش» غير «الكرسي»، وقد قدمنا بيان ذلك مع الأدلة، في تعليقنا ص ٥٣، فارجع إليه.

(٣) قوله: «آخر آية نزلت»، الصحيح: أن آخر ما نزل آيات الربا من سورة «البقرة»، التي آخرها قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية، ليس قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ كما هو شائع - راجع تعليقنا ص ١٣٥ - أما آية الكلاله، فهي آخر ما نزل في الموارث، كما تقدم في تفسيرها ص ١٣٤. وأما أول القرآن نزولاً، فهو قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ الآيات من أول سورة «العلق»، قولاً واحداً.

﴿سُورَةُ يُوسُفَ﴾

[عليه السلام]

(مكية، إلا: «فإن كنت في شك» الآيتين، أو: الثلاث،
أو: «ومنهم من يؤمن به» الآية، مائة وتسع، أو: عشر آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراذه بذلك ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «من» ﴿الحكيم﴾ المحكم.

٢ ﴿أكان للناس﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عجباً﴾ بالنصب، خبر «كان»، و[في قراءة] بالرفع اسمها، والخير: وهو اسمها على [القراءة] الأولى: ﴿أن أوحينا﴾ أي: لإحساننا ﴿إلى رجل منهم﴾ محمد ﷺ ﴿أن﴾ مفسرة ﴿أنذر﴾ خوف ﴿الناس﴾ الكافرين بالعذاب وبشر الذين آمنوا أن: أي: بأن ﴿لهم قدم﴾ سلف ﴿صدق عند ربهم﴾ أي: أجراً حسناً، بما قدموه من الأعمال ﴿قال الكافرون إن هذا القرآن، المشتعل على ذلك﴾ لسحر مبین ﴿بيّن، وفي قراءة: «لساحر»، والمشار إليه النبي ﷺ].

٣ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، أي: (١) في قدرها، لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه، لتعليم خلقه الثبوت. ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به (٢) ﴿يدبر الأمر﴾ بين الخلائق ﴿ما من﴾ زائدة ﴿شفيع﴾ يشفع لأحد ﴿إلا من بعد إذنه﴾ رد لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذلكم﴾ الخالق المدبر

﴿الله ربكم فاعبدوه﴾ وحدوه ﴿أفلا تدكرون﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، [وفي قراءة أخرى، بتخفيف الذال].
٤ ﴿إليه﴾ تعالى ﴿مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر، [أي: وعده وعداً، وحقه حقاً].

(١) قوله: «أي: في قدرها» هذا هو القول الصحيح في تفسير «ستة أيام»، وقد خالف السيوطي في مواضع أخرى ما قاله هنا، ومثله فعل الجلال المحلي رحمهما الله تعالى، ولقد بينا ذلك كله في تعليقنا ص ٦٣٠ فارجع إليه.

(٢) قوله: «استواء يليق به»، ارجع إلى تعليقنا حول «الاستواء» ص ٢٠١، وإلى معنى «العرش» ص ٥٣.

سُورَةُ يُوسُفَ ١٠

(١٠) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تَسْعُ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا

﴿إنه﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح على تقدير اللام ﴿يبدأ الخلق﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثم يعيده﴾ بالبعث ﴿ليجزى﴾ يثيب ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ [بالعدل^(١) مع الفضل] ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي: بسبب كفرهم.

٥ ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً﴾ ذات ضياء، أي: نور [فيه حرارة ودفء] ﴿والقمر نوراً وقدره﴾ من حيث سيره ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة، من كل شهر، ويستتر ليلتين، إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو: ليلة، إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لتعلموا﴾ بذلك ﴿عدد السنين والحساب﴾ ما خلق الله ذلك ﴿المذكور﴾ إلا بالحق لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يفصل﴾ بالياء والنون: يبين ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

٦ ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وما خلق الله في السماوات﴾ من ملائكة، وشمس وقمر ونجوم، وغير ذلك ﴿و﴾ في ﴿الأرض﴾ من حيوان، وجبال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها ﴿آيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لقوم يتقون﴾ فيؤمنون، خصهم بالذكر، لأنهم المنتفعون بها.

٧ ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ بالبعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدل الآخرة، بإنكارهم لها ﴿واطمنوا بها﴾ سكنوا إليها ﴿والذين هم عن آياتنا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غافلون﴾ تاركون النظر فيها.

٨ ﴿أولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ من الشرك والمعاصي.

٩ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم﴾ يرشدهم ﴿ربهم بإيمانهم﴾ به، بأن يجعل لهم نوراً، يهتدون به يوم القيامة، [كما قال تعالى في «سورة الحديد»: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم»] ﴿تجري من تحتهم﴾ [أي: من تحت منازلهم] ﴿الأنهار في جنات النعيم﴾. ١٠ ﴿دعواهم﴾

الْأَنْبِيَاءُ عَشْرٌ

﴿إنه﴾ يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمنوا بها والذين هم عن آياتنا غفلون﴾ أولئك ماولئهم النار بما كانوا يكسبون ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ دعوتهم

(١) قولنا: «بالعدل مع الفضل» أي: يخاسب الخلق جميعاً بالعدل كما قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾، «ولا يظلم ربك أحداً»، والظلم يكون إما بنقص الحسنات أو بالزيادة في السيئات، فلا ظلم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾، ثم يعامل المؤمنين بفضله تعالى، ويهيئهم بأحسن مما عملوا، ويتغمدهم برحمته ورضوانه، فعمل الإنسان مهما كان صالحاً وكثيراً، فإنه لا يغيث نعم الله تعالى عليه، لذلك يظلم الإنسان مفتقراً في كل حال - إلى فضل الله ورحمته، قال رسول الله ﷺ: «تقاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منة وفضل»، رواه مسلم.

فيها ﴿طلبهم لما يشتهونه في الجنة، أن يقولوا: ﴿سبحانك اللهم﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه بين أيديهم ﴿وتحيتهم﴾ فيما بينهم ﴿فيها سلام وآخر دعواهم أن﴾ مفسرة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

١١ ونزل لما استعجل المشركون العذاب^(١): ﴿ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بالخير لقضي﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إليهم أجلهم﴾ بالرفع والنصب، بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم ﴿فتذر﴾ ترك ﴿الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون متحيرين.

١٢ ﴿وإذا مس الإنسان الكافر الضر﴾ المرض والفقر ﴿دعانا لجنبه﴾ أي: مضطجعا ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ أي:

في كل حال ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر﴾ على كفه ﴿كان﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لم يدعنا إلى ضره﴾ كذلك ﴿كما زين له الدعاء عند الضر، والإعراض عند الرخاء﴾ ﴿زين للمسرفين﴾ المشركين ﴿ما كانوا يعملون﴾ [أما المؤمن، فإنه يشكر على النعمة، ويصبر على المصيبة، قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أثره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له» رواه مسلم].

١٣ ﴿ولقد أهلكنا القرون﴾ الأمم ﴿من قبلكم﴾ يا أهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ بالشرك ﴿و﴾ قد ﴿جاءتهم رسلكم بالبينات﴾ الدلالات على صدقهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ عطف على ﴿ظلموا﴾ ﴿كذلك﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ الكافرين.

١٤ ﴿ثم جعلناكم﴾ يا أهل مكة ﴿خلائف﴾ جمع «خليفة» ﴿في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم، فتصدقوا رسلنا؟

١٥ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات، حال ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث [وما بعده، من الحساب والجزاء] ﴿أنت بقرآن

شُكْرُكَ لَوْلِيَّتَنَا ١٠

فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۚ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۚ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۚ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتِ بَقْرَةٌ إِنْ

(١) قوله: «ونزل لما استعجل المشركون العذاب».

قال قتادة السدوسي، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبيرة، رحمهم الله تعالى في معنى هذه الآية: إنه دعاء الرجل على نفسه وماله وولده، بما يكره أن يستجاب له، أخرج مسلم، وأبو داود، وابن خزيمة في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، يُسأل فيها عطاءٌ فيستجيب لكم»، أي: فتدعوا، وهذا نهى صريح، عن الدعاء بالسوء، على من لا يستحقه، وسباني بيان فضل الدعاء بالخير ص ٦٢٦.

غير هذا ليس فيه عيب ألھتنا ﴿أو بدله﴾ من تلقاء نفسك ﴿قل﴾ لهم ﴿ما يكون﴾ ينبغي ﴿لي﴾ أن أبدله من تلقاء ﴿قيل﴾ ﴿نفسی﴾ إن ﴿ما﴾ أتبع إلا ما يوحى إلي إنى أخاف إن عصيت ربي ﴿بتبديله﴾ عذاب يوم عظیم ﴿هو﴾ يوم القيامة.

١٦ ﴿قل﴾ لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم ﴿أعلمكم﴾ به ﴿و﴾ لا نافية، عطف على ﴿ما﴾ قبله، وفي قراءة: [ولأدراكم] بلام، جواب ﴿لو﴾، أي: [لو شاء الله ما تلوته عليكم، و] لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فقد لبثت﴾ مكثت ﴿فيكم﴾ عمراً سنين أربعين ﴿من قبله﴾ لا أحدنكم بشيء ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه ليس من قبلي؟.

١٧ ﴿فمن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن﴾ افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿لا يفلح﴾ يسعد ﴿المجرمون﴾ المشركون.

١٨ ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ما لا يضُرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه، وهو: الأصنام ﴿ويقولون﴾ عنها ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ قل ﴿لهم﴾ ﴿أتنبئون الله﴾ تخبرونه ﴿بما لا يعلم﴾ [من الشركاء] ﴿في السماوات ولا في الأرض﴾ استفهام إنكار، أي: لو كان له شريك [في ملكه تعالى]، لَعَلِمَهُ، إذ لا يخفى عليه شيء [في الأرض، ولا في السماء] ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يشركونه﴾ معه.

١٩ ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ على دين واحد^(١)، وهو الإسلام، من لدن آدم إلى نوح، [وهذا^(٢) قول ابن عباس رضي الله عنهما]، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لُحَي، [الذي كان أول من سنَّ عادات الجاهلية] ﴿فاختلفوا﴾ بأن ثبت بعض، وكفر بعض ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لقضی بينهم﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فيما فيه يختلفون﴾ من الدين، بتعذيب الكافرين. ٢٠ ﴿ويقولون﴾ أي: أهل مكة ﴿لولا﴾ هلاً ﴿أنزل﴾

الْأَنْبِيَاءُ عَشْرَةٌ

غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايْ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ

(١) قوله: «على دين واحد وهو الإسلام»، فالإسلام دين الله، ولا يقبل من العباد سواه، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين، أرسلوا به إلى الناس ليُسَلِّموا لله رب العالمين، ارجع إلى تعليقنا حول «الآديان» ص ٢٤٥.

(٢) وهذا هو القول الصحيح، فإن قوم نوح عليه السلام كانوا أول من كفر بالرحمن وعبد الأوثان من الأمم، وكان نوح عليه السلام أول رسول واجه قوماً كافرين، فعاندوا وأصروا واستكبروا حتى أهلكهم الله بالطوفان.

عليه ﴿على محمد ﷺ﴾ آية من ربه ﴿كما كان للأنبياء، من الناقة [الصالح]، والعصا واليد [لموسى]﴾ ﴿فقل﴾ لهم ﴿إنما الغيب﴾ ما غاب عن العباد، أي: أمره ﴿الله﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليّ التبليغ ﴿فانتظروا﴾ العذاب، إن لم تؤمنوا ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ (١).

٢١ ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرها] ﴿رحمة﴾ مطراً وخصباً ﴿من بعد ضراء﴾ بؤس وجذب ﴿مستهم﴾ إذا لهم مكر في آياتنا ﴿بالاستهزاء والتكذيب﴾ قل ﴿لهم﴾ الله أسرع مكرًا ﴿مجازاة﴾ إن رسلنا ﴿الحفظة﴾ يكتبون ما تمكرون ﴿بالتاء﴾ (٢) والياء، [وستحاسبون عليه].

٢٢ ﴿هو الذي يسيركم﴾ وفي قراءة: «يشركم»، [وهي سبعة] ﴿في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ السفن ﴿وجرين بهم﴾ فيه التفات عن الخطاب [إلى الغيبة] ﴿بريح طيبة﴾ لينة ﴿وفرحوا﴾ بها جاءتها ريح عاصف ﴿شديدة الهبوب﴾، تكسر كل شيء ﴿وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: أهلكوا ﴿دعوا الله﴾ مخلصين له الدين ﴿الدعاء﴾ [لن] ﴿لام قسم﴾ انجيتنا من هذه الأحوال ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ الموحدين.

٢٣ ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ بالشرك ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم﴾ ظلمكم ﴿على أنفسكم﴾ لأن إثمه عليها، هو ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ [يرفع «متاع»، خبراً للمبتدأ المقدر، أي: [تتمتعون فيها قليلاً] ثم إلينا مرجعكم ﴿بعد الموت﴾ فنتبئكم بما كنتم تعملون ﴿فنجازيكم عليه﴾ وفي قراءة بنصب «متاع»، أي: تتمتعون [متاع الحياة الدنيا، وهو متاع زائل لا دوام له، قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

٢٤ ﴿إنما مثل﴾ صفة ﴿الحياة الدنيا كماء﴾ مطر

سُورَةُ التَّوْبَةِ

عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنَ بِيَمٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣﴾ فَلَمَّا أُنجِيتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّاهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ

(١) قوله تعالى: ﴿إني معكم من المنتظرين﴾، أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن يقول ذلك، في مقابلة قولهم له: «شاعر تريض به رب المنون»، فهم كانوا ينتظرون هلاكه - بزعمهم - لذلك قال لهم: إني أنتظر عذابكم إن لم تؤمنوا، مثلاً تنتظرون أتم هلاكي، فلنتظر معاً.

(٢) قوله: «بالتاء والياء»، قرأ بالياء - التختانية - أبو الحسن رُوْح بن عبد المؤمن، عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي، والهاقون بالتاء.

﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿نبات الأرض﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مما يأكل الناس﴾ من البرِّ والشعير وغيرهما ﴿والأنعام﴾ من الكلا ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ بهجتها، من النبات [والعمران] ﴿وازينت﴾ بالزهر [وغيره]، وأصله: ﴿تزينت﴾، أبدلت التاء زايًا، وأدغمت في الزاي ﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أناها أمرنا﴾ قضاؤنا، أو: عذابنا ﴿ليلاً أو نهاراً فجعلناها﴾ أي: زرعها [وعمرانها] ﴿حصيداً﴾ كالمحصول بالمناجل، [أي: خراباً] ﴿كان﴾ مخففة، أي: كأنها ﴿لم تغن﴾ تكن ﴿بالأمس كذلك﴾ فصل ﴿نبين﴾ الآيات لقوم يتفكرون. ٢٥ ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أي: السلامة، وهي: الجنة، بالدعاء إلى الإيمان [المؤدي إليها] ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿إلى صراط مستقيم﴾ دين الإسلام.

الجزء الثاني عشر

أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سِئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِن قَائِدَةٍ مِّنَ الْعَاصِمِينَ ﴿٢٩﴾ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٠﴾ وَيَوْمَ نُحْشِرُهُم جَمِيعًا

٢٦ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ هي النظر إليه تعالى، كما في حديث مسلم^(١) ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قتر﴾ سواد ﴿ولا ذلة﴾ كآبة ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾. ٢٧ ﴿والذين عطف على﴾ للذين أحسنوا، أي: وللذين ﴿كسبوا السيئات﴾ عملوا الشرك ﴿جزاء سيئة﴾ بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من زائدة ﴿عاصم﴾ مانع ﴿كأنما أغشيت﴾ ألبست ﴿وجوههم قطعاً﴾ بفتح الطاء، جمع «قطعة»، وإسكانها: أي: جزءاً ﴿من الليل مظلاً﴾ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. ٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم﴾ أي: الخلق ﴿جميعاً﴾

(١) قوله: «كما في حديث مسلم». أي: وغيره، كأحمد والترمذي وابن ماجه والبيهقي، عن صهيب بن سنان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال ﷺ: «إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم نثقل موازيننا، ونبيض وجوهنا، وتدخلنا الجنة، وترحنا عن النار؟... قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم».

وأخرج البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تشارون في رؤية الشمس بالظهرة، ضوءاً ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «وهل تشارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوءاً ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تشارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة، إلا كما تشارون في رؤية أحدهما».

فروية الله تعالى في الجنة، رؤية حقيقية تليق بجلاله تعالى، أما رؤية الله تعالى في الدنيا، فلم تتم لأحد من الناس، فلم يره موسى عليه الصلاة والسلام، وكذلك لم يره محمد ﷺ بعيني رأسه ليلة المعراج، خلافاً لما رجحه النووي في شرح مسلم، وأما ما ورد في بعض الروايات، عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهما، من أنه ﷺ قد رأى ربه تلك الليلة، فهو محمول على رؤية الفؤاد، يؤيد هذا =

ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴿نُصِبَ بِـ﴾ «الزموا» مقدراً ﴿أنتم﴾ تأكيد للضمير، المستتر في الفعل المقدر [المذكور]، ليعطف عليه: ﴿وشركاؤكم﴾ أي: الأصنام ﴿فزيلنا﴾ مَيَّزْنَا ﴿بينهم﴾ وبين المؤمنين، كما في آية: «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» ﴿وقال﴾ لهم ﴿شركاؤهم﴾ [أي: الآلهة التي عبدوها من دون الله] ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ «ما» نافية، وقدم المفعول للفاصلة، [أي: لا علم لنا بذلك]. ٣٠ ﴿هنالك﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تبلو﴾ من البلوى، وفي قراءة: [«تتلو»] بتاءين، من لغافلين [أي: لا علم لنا بذلك]. ٣٠ ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ قدمت من العمل ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ الثابت الدائم التلاوة، [وهي قراءة سبعية] ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ قدمت من العمل ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ الثابت الدائم

﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم﴾ ما كانوا يفترون ﴿عليه﴾ [تعالى]، من الشركاء. ٣١ ﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿أمن يملك السمع﴾ بمعنى: الأسماك، أي: خلقها ﴿والأبصار﴾ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج^(١) الميت من الحي ومن يدبر الأمر بين الخلائق؟ ﴿فسيقولون﴾ هو ﴿الله فقل﴾ لهم ﴿أفلا تتقون﴾ ه فتؤمنون؟. ٣٢ ﴿فذلكم﴾ الفعَّال لهذه الأشياء ﴿الله ربكم الحق﴾ الثابت، [الذي لا شك فيه] ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال؟﴾ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق — وهو عبادة الله — وقع في الضلال ﴿فأتى﴾ كيف ﴿تصرفون﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان؟. ٣٣ ﴿كذلك﴾ كما صُرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حقَّت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ كفروا، وهي: «الأملاَن جهنم»، الآية [١١٩] من سورة «هود»، أو هي: ﴿أنهم لا يؤمنون﴾. ٣٤ ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده

= حديث مسلم، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أتى أراه»، أي: حجابُه نور، فكيف أراه؟، أي: منعني النور عن رؤيته، وقد جاء لفظ: «حجابُه النور»، في حديث لمسلم، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ، وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نوراً»،

أي: لم أر غير النور، وقال أبو ذر: رآه بقلبه، ولم يره ببصره، وعلى هذا يُحمل قوله تعالى في سورة «النجم»: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ إن أعيد الضمير إلى الله تعالى، وهذا وجه غير وجهه في تفسير هذه الآية، وذلك لأن الضمير في: «رآه»، يعود إلى جبريل عليه السلام، لما جاء في حديث مسلم أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ وقوله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾: قالت: أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما هو جبريل عليه السلام، لم أره على صورته التي خُلق عليها، غير هاتين المراتين».

وهذا ما اعتمدته المحلِّي في سورة «النجم» كما سيأتي ص (٧٠١)، أما الاستدلال بقول ابن عباس وأنس، على أنه ﷺ رأى ربه ببصره ليلة المعراج، فهو معارض بما ذكرناه، خاصة وأن حديث عائشة مرفوع، والمرفوع مقدم على الموقوف.

(١) قوله تعالى: ﴿ويخرج الميت من الحي﴾، أرجع إلى معنى إخراج الحي من الميت والعكس، في تعليقتنا ص ٦٧.

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ

قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني توفكون ﴿أي: كيف﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل؟.

٣٥ ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ بنصب الحجج، وخلق^(١) الاهتداء؟ ﴿قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق﴾ وهو: الله ﴿أحق أن يتبع آمن لا يهدي﴾ يهندي: [بنفسه] ﴿إلا أن يهدي﴾ أحق أن يتبع؟ [وهذا] استفهام تقرير وتوبيخ، أي: الأول أحق [أن يتبع، وهو الله تعالى لأنه الهادي إلى الحق] ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد، من اتباع ما لا يحق اتباعه؟.

٣٦ ﴿وما يتبع أكثرهم﴾ في عبادة الأصنام ﴿إلا ظناً﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ فيجازيهم عليه.

الْبُرْهَانُ عَلَى الْإِسْلَامِ

قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ قُلْ تَعَالَىٰ ۚ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ

٣٧ ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى﴾ أي: [ما كان] افتراء ﴿من دون الله﴾ أي: غيره [أي: لا يقدر أحد على أن يأتي به، من عند غير الله تعالى] ﴿ولكن﴾ أنزل ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب ﴿وتفصيل الكتاب﴾ تبين ما كتبه الله، من الأحكام وغيرها ﴿لاريب﴾ شك ﴿فيه من رب العالمين﴾ متعلق بـ ﴿تصديق﴾، أو: بـ ﴿أنزل المحذوف، وقرء [شذوذاً] برفع: ﴿تصديق﴾ و ﴿تفصيل﴾، بتقدير: ﴿هو﴾.

٣٨ ﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ اختلقه محمد ﴿قل فاتوا بسورة مثله﴾ في الفصاحة والبلاغة، على وجه الافتراء، فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وادعوا﴾ للإعانة عليه ﴿من استطعتم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنه افتراء، فلم يقدرُوا على ذلك.

٣٩ قال تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي: القرآن، ولم يتدبروه ﴿ولما﴾ لم ﴿يأتهم تأويله﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] التأكيد ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم ﴿فانظر كيف

(١) قوله: «وخلق الاهتداء»، أشار الجلال السيوطي رحمه الله بقوله هذا، إلى أن المقصود من الهداية، إذا كانت مسندة إلى الله تعالى، هو: خلقها، فالله يهدي من يشاء، أي: يخلق في قلبه الهداية فيؤمن، أما إذا كانت الهداية مسندة إلى المخلوق، كقوله تعالى خطاباً للنبي ﷺ: ﴿وانك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ فيكون المعنى: إنك تدل الناس وتوجههم إلى الطريق المستقيم، إلى الإيمان بالله تعالى، لذلك خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ عندما أظهره حرصاً شديداً على إيمان عمه أبي طالب، أي: خفف على نفسك يا محمد، فإنك لا تملك خلق الهداية في قلب من تحب، لأن الهدى هدى الله تعالى.

كان عاقبة الظالمين ﴿بتكذيب الرسل، أي: آخر أمرهم من الهلاك، فكذاك نُهلك هؤلاء.

٤٠ ﴿ومنهم﴾ أي: أهل مكة ﴿من يؤمن به﴾ لِعَلِمَ الله ذلك منه ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ أبداً ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ تهديد لهم.

٤١ ﴿وإن كذبوك فقل﴾ لهم ﴿لي عملي ولكم عملكم﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ وهذا منسوخ بآية السيف^(١). ٤٢ ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ شَبَّههم بهم، في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿ولو كانوا﴾ مع الصم ﴿لا يعقلون﴾ يتدبرون؟.

٤٣ ﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون؟﴾ شَبَّههم بهم، في عدم الاهتمام، بل أعظم [من العمي]، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

٤٤ ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ [بالكفر والعصيان].

٤٥ ﴿ويوم نحشرهم﴾ [بالنور واللباء] ﴿كان﴾ [مخففة من الثقيلة]، أي: كأنهم ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا، أي: القبور ﴿إلا ساعة من النهار﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه، حال من الضمير [في: «نحشرهم»] ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضاً، إذا بُعِثوا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال، والجملة حال مقدرة، [أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم]، أو: متعلق الظرف: [يوم]، وتقدير الكلام: «يتعارفون بينهم يوم نحشرهم»، ثم أخبر الله تعالى، عن سوء حالهم يوم القيامة فقال: ﴿قد خسر الدين كذبوا بقاء الله﴾ بالبعث، [فدخلوا النار] ﴿وما كانوا مهتدين﴾.

٤٦ ﴿وإما﴾ فيه إدغام نون [إن] الشرطية، في «ما» المزيدة ﴿نرينك بعض الذي نعدهم﴾ نرينك بعض الذين نعدهم ﴿به من العذاب، في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك﴾ أو تنويفينك ﴿قبل تعذيبهم﴾ فللبنا

مرجعهم ثم الله شهيد ﴿مطلع﴾ على ما يفعلون ﴿من تكذيبهم وكفرهم، فيعذبهم أشد العذاب. ٤٧﴾ ولكل

سُورَةُ الْيُونُسَ ١٠

كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٣٩ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ

وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ٤٠

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ

مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ٤١ وَمِنْهُمْ

مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا

لَا يَعْقِلُونَ ٤٢ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي

الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ٤٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ

شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٤ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ

كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ ٤٥

وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا

مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ٤٦ وَلِكُلِّ

(١) قوله: «بآية السيف». هي الآية الخامسة من سورة «التوبة»، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَلَّوْهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وقد نسخت آية السيف هذه، آيات كثيرة، قال الحافظ ابن خزيمة: إنها مائة وثلاث عشرة آية، وقال غيره: هي أكثر من ذلك؛ والآيات التي نسختها آية السيف، هي تلك التي فيها الأمر بالصبر على الكافرين، والحث على الصفح عنهم، وعدم قتالهم.

أمة ﴿من الأمم﴾ رسول فإذا جاء رسولهم ﴿إليهم﴾ فكذبوه ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ بالعدل، فيعذبون، وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وهم لا يظلمون﴾ بتعذيبهم بغير جرم، فذلك نفع بهؤلاء.

٤٨ ﴿ويقولون﴾ [استهزاء وسخرية بالمؤمنين] ﴿متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه؟

٤٩ ﴿قل لا أملك لنفسي ضراً﴾ أدفعه ﴿ولا نفعاً﴾ أجلبه ﴿إلا ما شاء الله﴾ أن يقدري عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿لكل أمة أجل﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون﴾ يتأخرون عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ يتقدمون عليه.

الْحُكْمُ بِالْعَذَابِ

أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون ﴿٤٧﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن
كنتم صادقين ﴿٤٨﴾ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا
نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم
فلا يستعجلون ساعة ولا يستقدمون ﴿٤٩﴾ قل أرأيتم
إن أنكر عذابهم بيئنا أو نهراً ماذا يستعجل منه
المجرمون ﴿٥٠﴾ أثم إذا ما وقع آمنتم به ءالسن وقد
كنتم به تستعجلون ﴿٥١﴾ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا
عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴿٥٢﴾
* ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق
وما أنتم بمعجزين ﴿٥٣﴾ ولو أن لكل نفس ظلمت
ما في الأرض لا فتدت به وأسروا الندامة لما رأوا

٥٠ ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن أناكم عذابه﴾ أي: الله ﴿بيئاً﴾ ليلاً ﴿أو نهراً﴾ ماذا ﴿أي شيء﴾ يستعجل منه ﴿أي: العذاب﴾ المجرمون ﴿المشركون؟﴾ فيه وضع الظاهر: ﴿المجرمون﴾، موضع المضمرة: ﴿يستعجلون منه﴾، وجملة الاستفهام، ﴿أي: ماذا يستعجل الخ؟﴾ هي جواب الشرط: ﴿إن أناكم﴾ كقولك: إذا أتيتك، ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل، أي: ما أعظم ما استعجلوه.

٥١ ﴿أثم إذا ما وقع﴾ حل بكم ﴿آتمت به﴾ أي: الله، أو: العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم ^(١)، ويقال لكم: ﴿الآن﴾ تؤمنون ﴿وقد كنتم به﴾ [أي: بالعذاب] ﴿تستعجلون﴾ استهزاء؟

٥٢ ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هل﴾ ما ﴿تجزون﴾ إلا ﴿جزاء﴾ بما كنتم تكسبون.

٥٣ ﴿ويستنبئونك﴾ يستخبرونك ﴿أحق هو﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبحث؟، وليس سؤالهم هذا، للعلم والاعتبار، بل للاستهزاء والاستغراب [﴿قل إي﴾ نعم ﴿وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ بفاتئين العذاب.

٥٤ ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ كفرت ﴿ما في الأرض﴾ جميعاً من الأموال ﴿لا فتدت به﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وأسروا الندامة﴾ على ترك الإيمان ﴿لما رأوا

(١) قوله: ﴿فلا يقبل منكم﴾، لذلك لم يقبل إيمان فرعون عندما أدركه الغرق، وكذلك لا تقبل التوبة إذا بلغت الروح الحلقوم، قال ﷺ: ﴿إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر﴾ رواه الترمذي وحسنه، وقال تعالى: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾، وكذلك لا تقبل التوبة عندما تطلع الشمس من مغربها قبل يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: ﴿من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه﴾ رواه مسلم. أرجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

العذاب ﴿أخفاها﴾ - [أي: الندامة] - رؤسائهم، عن الضعفاء الذين أضلّوهم، مخافة التعيير ﴿وقضي بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئاً.

٥٥ ﴿إِن لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **إِنْ** **لَّهِ** **مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** **إِنْ** **وَعَدَ اللَّهُ** **بِالْبَيْعِ وَالْجِزَاءِ** **﴿حَقٌّ﴾** **ثَابِتٌ** **﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾** **أَيَ:** **النَّاسِ** **﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾** **ذَلِكَ.**

٥٦ ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

٥٧ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كتاب، فيه ما لكم وما عليكم،

وهو: القرآن ﴿وشفاء﴾ دواء ﴿لما في﴾
الصدور ﴿من العقائد الفاسدة والشكوك﴾
﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿ورحمة للمؤمنين﴾
به.

٥٨ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾
القرآن ﴿فَبِذَلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾
هو خير مما يجمعون ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ بالياء
والتاء.

٥٩ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا أَنزَلَ﴾
 الله ﴿خَلَقَ﴾ لكم من رزق فجعلتم
 منه حراماً وحلالاً ﴿كَالْبَحِيرَةِ﴾
 والسائبة^(١)، والميتة، [عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال: هم أهل الشرك،
 كانوا يُجْلَوْنَ من الحرث والأنعام ما شاؤوا،
 ويحرّمون ما شاؤوا] ﴿قُلْ أَلَا أَدْنَى لَكُمْ﴾
 في ذلك، بالتحليل والتحريم؟ لا ﴿أَمْ﴾
 بل ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون، بنسبة ذلك
 إليه.

٦٠ ﴿وَمَا ظَنَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟ أيحسبون أنه لا يعاقبهم؟ لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ يأمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٦١ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾
أمر ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ أي: من الشأن،

أَو: الله ﴿مَنْ قَرَأَ﴾ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خَاطِبُهُ وَأُمُّهُ ﴿مَنْ عَمِلَ إِلَّا كُنَّا

سُورَةُ يُوسُفَ ۱۰

الْعَذَابُ ^ط وَقُضِيَ ^ج بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

الْأَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ^قالْأَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥١﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّوا عَنْ عِظَةِ
مَنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ

مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ
أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٦﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى

اللَّهُ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ

وَمَا تَسْأَلُوهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

(١) قوله: «كالبحية والسائبة»، سبق شرحها في تفسير قوله تعالى: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة» الآية (١٠٣) من سورة «المائدة» ص ١٥٧ فيما رواه البخاري، عن سعيد بن المسيّب رحمه الله قال: «البحية» بفتح الباء: هي الناقة التي يُمنع لبنها للطواغيت، أي: لأصنامهم، فلا يحلبها أحد من الناس، و «السائبة»: هي الإبل التي كانوا يسيّبوها لألهتهم، فلا يُحمل عليها شيء، وهذا كان من عادات الجاهلية الفاسدة، فلما جاء الإسلام منع ذلك كله، وأمر الناس بالإيمان، وبالرجوع إلى حكم الشرع، في كل أمر وشأن.

عليكم شهوداً رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَعْرُبُ﴾ [بضم الزاي وكسرها]، يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ [بنصب «أصغر» و «أكبر»، ورفعهما] ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، هو: اللوح المحفوظ.

٦٢ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٦٣ هم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله، بامتنال أمره ونهيهِ.

٦٤ ﴿لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فَسُرَّتْ فِي حَدِيثٍ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، بِالرُّوْيَا^(١) الصَّالِحَةُ، يراها الرجل، أَوْ تُرَى لَهُ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةِ وَالشَّوَابِ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لَا خُلْفَ لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾

المذكور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٦٥ ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: «لَسْتُ مَرْسَلًا» وَغَيْرُهُ ﴿إِنْ﴾ اسْتِنَافَ «الْعِزَّةِ» الْقُوَّةُ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ هُوَ السَّمِيعُ ﴿لِلْقَوْلِ الْعَلِيمِ﴾ بِالْفِعْلِ، فَيَجَازِيهِمْ، وَيَنْصَرِّكُ.

٦٦ ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عِبَادًا وَمَلَكًا وَخَلْقًا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَعْبُدُونَ ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ أَصْنَامًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ﴿إِنْ﴾ مَا «يَتَّبِعُونَ» فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أَي: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَإِنْ﴾ مَا «هُمْ إِلَّا بِخَرَصُونَ» يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

٦٧ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾ إِنْشَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مُجَازٌ، لِأَنَّهُ يُنْصَرَفُ فِيهِ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٌ﴾ دَلَالَاتٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ﴾

(١) قوله: «بالرؤيا الصالحة...».

ما يراه الإنسان أثناء نومه: إِنْ كَانَ شَيْئًا يَسْرُهُ، فَتِلْكَ الرُّوْيَا الصَّالِحَةُ، وَهِيَ بَشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّوْيَا الصَّالِحَةُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَالَ ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَجِبُهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيَحْدِثْ بِهَا» رَوَاهُ

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

الشَّيْخَانِ، وَفِي رَوَايَةٍ: «فَلَا يَحْدِثُ بِهَا إِلَّا مَنْ يَحِبُّ»، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَسْرُهُ، فَذَلِكَ حُلُمٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - أَسَمُهُ الْحَارِثُ عَلَى الْمَشْهُورِ - ابْنُ رَبِيعٍ السَّلَمِيُّ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَرَى الرُّوْيَا فَتُفَرِّضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّوْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَتَّقِ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّمَا لَا تَقْرُءُ»، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ: «وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَفْلُقَ لِحُلُمٍ يَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، فَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ لَا ضَرَرَ مِنْهُ، بَلْ إِنْ ذَلِكَ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ، قَالَ: فَضَحَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ، فَلَا يَحْدُثُ بِهِ النَّاسَ». أَي: وَلَا يُلْقِي لَهُ بِالًا، فَإِنَّهُ لَا ضَرَرَ مِنْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا تَقَدَّمَ، لِأَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ. =

يسمعون ﴿سماع تدبر واتعاض . ٦٨﴾ قالوا ﴿أي : اليهود والنصارى ، ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتخذ الله ولدا﴾ قال تعالى لهم : ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هو الغني﴾ عن كل أحد ، وإنما يطلب الولد ، من يحتاج إليه ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿إن﴾ ما ﴿عندكم من سلطان﴾ حجة ﴿بهذا﴾ الذي تقولونه ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ استفهام توبيخ . ٦٩ ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لا يفلحون﴾ لا يسعدون . ٧٠ لهم ﴿متاع﴾ قليل ﴿في الدنيا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ، [قال ﷺ : ﴿الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر﴾ ، رواه مسلم] ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ بالموت ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ بعد الموت ﴿بما كانوا يكفرون﴾ . ٧١ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ أي : كفار مكة ﴿نبأ﴾ خبر ﴿نوح﴾

ويبدل منه ﴿إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر﴾ شق ﴿عليكم مقامي﴾ لبني فيكم ﴿وتذكيري﴾ و﴿عظي﴾ إياكم ﴿بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم﴾ [أي : اغزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وشركاءكم﴾ الواو بمعنى : مع] ﴿ثم لا يكن أمركم عليهم غمة﴾ مستورا ، بل أظهره وجاهروني به ﴿ثم اقضوا إلي﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿ولا تنظرون﴾ ثمهلون ، فإني لست مبالياً بكم . ٧٢ ﴿فإن توليتم﴾ عن تذكيري ﴿فما سألتكم من أجر﴾ ثواب عليه ، فتولوا [بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ .

٧٣ ﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ السفينة

وكل ما يراه المسلم في منامه ، قد يكون من تمثيل الشيطان -
الأ رؤية النبي محمد ﷺ ، فهي حق لا شك فيه ، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿من رآني في المنام فقد رآني ، فإني الشيطان لا يتمثل بي﴾ ، وروى الشيخان عن أبي هريرة أيضاً ، عن النبي ﷺ قال : ﴿من رآني في المنام ، فسيراني في اليقظة﴾ وهذه بشارة لمن رآه ﷺ ، بحسن الخاتمة والوفاء على الإيمان .

أما تعبير الرؤيا : فقد روى الشيخان وغيرهما ، عن سمرّة بن جندب رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح ، أقبل عليهم بوجهه فقال : هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا ؟ فكان ﷺ يقص عليهم رؤياه ، ويغبر لهم ما يرون وما يرى ، فمما رآه النبي ﷺ وعبرته : أنه رأى الناس يعرضون عليه وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومرّ عليه عمر بن الخطاب وعليه قميص يجزؤه ، قالوا : ما أولئك يا رسول الله ؟ قال : ﴿الدين﴾ ، وأول اللين بالعلم ، رواهما الشيخان والترمذي ، ومما أولئك لأصحابه : ما رواه الشيخان ، أن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، قصّت عليه رؤيا لأخيها عبد الله بن عمر فقال ﷺ : ﴿إن أخاك رجل صالح﴾ ، وفي هذا الباب أحاديث كثيرة في الصحيحين والسنن .
وأما ما يتداوله الناس في تأويل الأحلام من كتب ، فليس له في معظمه أصل يعتمد عليه ، ولهذا فهو مما يزيد في قلق الإنسان واضطرابه ، فلا ينبغي التعويل على جميعه ، وكذلك لا يصح أن يثبت على رؤيا أحد من الناس حكم شرعي ، لا في حق الرائي ولا غيره ، إلا رؤيا الأنبياء ، فإنها وحي وأمر ، قال تعالى عن إسماعيل عليه السلام : ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ يريد به قول أبيه له : ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ . وفي صحاح السنة : أن أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي ، الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

سُورَةُ يُوسُفَ ١٠

يَسْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٠﴾ * وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِعَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ

﴿وجعلناهم﴾ أي: من معه ﴿خلائف﴾ في الأرض، [أي: مستخلفين فيها] ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذبك.

٧٤ ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أي: نوح ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كذلك نطبع﴾ نختم ﴿على قلوب المعتدين﴾ فلا تقبل الإيمان، كما طبعنا على قلوب أولئك.

٧٥ ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملأه﴾ قومه ﴿بآياتنا﴾ التسع ^(١) ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان بها ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾.

الْبَيْنَاتُ

وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ بَحَاءَ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٨﴾ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ أَرَضَ مِصْرَ ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مُصَدِّقِينَ. ﴿٧٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوْنِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى بَعْدَ مَا قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّمَا أَنَا تَلْقِي وَإِنَّمَا أَنَا نَكُونُ نَحْنُ الْمُتْلِقِينَ﴾:

٧٦ ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحرمبين﴾ بَيِّنٌ ظاهر.

٧٧ ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ إنه لسحر ﴿أسحر هذا﴾؟ وقد أفلح من أتى به، وأبطل سحر السحرة ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

٧٨ ﴿قالوا أجتنا لنلتفتنا﴾ لثردنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء﴾ الملك ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ مصدقين.

٧٩ ﴿وقال فرعون اتنوني بكل ساحر عليم﴾ فائق في علم السحر.

٨٠ ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى بعد ما قالوا له:﴾ إما أن تلقني وإما أن نكون نحن المتلقين:

(١) قوله: «التسع»، تقدم في سورة الأعراف منها ثمانية ص ٢١٢، والتاسعة ستأتي في الآية ٨٨ ص ٢٨٠، وهذه الآيات التسع، كانت لفرعون وقومه، وهم: «القبط»، ليؤمنوا به ويصدقوه، وهي: «العصا»: التي صارت ثعباناً، و«اليد»: أي: يد موسى التي خرجت من جيبه بيضاء للناظرين، و«الطوفان»: وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوقهم، و«المجاد»: فأكل زرعهم وثمارهم. و«القمل»: هو «السوس» أو «الأرضة»، أو: نوع من القراد، وقيل: هو القمل المعروف، و«الصفادع»: فملأت بيوتهم وطعامهم، و«الدم»: فصارت مياههم كلها دماً أحمر، حتى أجهدهم العطش، و«طمس الأموال»: فصارت ذنائبهم ومعادهم حجارة منقوشة. و«السنون ونقص الثمرات»: فاحتبس عنهم المطر، وملك ثمارهم بالآفات، فطلبوا من موسى أن يدعو لهم ليكشف الله ما بهم فيؤمنوا، فدعا لهم فكشف الله عنهم العذاب، فلم يؤمنوا.

أما الآيات التي أوتيتها موسى عليه السلام، لحمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، أو لحمل المنحرفين منهم على الرجوع إلى الحق فهي: «فلق البحر» حيث نجاهم الله تعالى وأغرق فرعون وجنوده، و«إنزال المن والسلوى»، و«تظليل الغمام» في التيه، ليقمهم حر الشمس، و«تفجير الماء من الحجر» بعد أن ضربه موسى، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، و«تثاق الجبل» بأن رفعه الله فوق =

﴿الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾. ٨١ ﴿فَلَمَّا الْقُوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ، خبره: ﴿جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرَ﴾ [بهمزة الاستفهام قبل همزة «أل»، أي: أهو السحر؟]، بدل [من «ما» الاستفهامية، والمعنى: «ما هذا الذي جِئْتُمْ بِهِ؟ أهو السحر؟»] وفي قراءة بهمزة واحدة، [هي همزة الوصل، فهو] «إخبار»، ف «ما» [على هذه القراءة، اسم] موصول مبتدأ، [خبره: «السحر»] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُهُ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلَحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾. ٨٢ ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. ٨٣ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَوْلَادِ قَوْمِهِ﴾ أي: [قوم موسى، وقيل: قوم] فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينه، بتعذيبهم ﴿وَأَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَالٌ مُتَكَبِّرٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَأَنَّهُ لَمَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد، بادعاء الربوبية. ٨٤ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾. ٨٥ ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تُظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتنونا بنا. ٨٦ ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. ٨٧ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلًى تصلون فيه، لتأمنوا من الخوف^(١)، وكان فرعون يمنعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة. ٨٨ ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٠

الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا الْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٢﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٣﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

رؤوسهم كأنه ظلة، ليأخذوا ما جاءهم به موسى بجذ واجتهاد، و «المسخ» بجعل الذين عتوا منهم، وتكبروا عما نهبوا عنه، قردة خاشئين، و «مجيء الحيتان يوم السبت» بينما لا تأتيهم في غيره، و «الرجفة» وهي زلزلة شديدة أصابتهم بعد أن عبد بعضهم العجل، و «الصاعقة» التي أخذت الذين قالوا لموسى: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة»، و «إحياء الميت القليل»، المذكور في قصة «ذبح البقرة» في قوله تعالى: ﴿فَقَتَلْنَا أُضْرِيوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، و «إحيائهم بعد الموت» وهم «الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم». ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(١) قوله: «مصلًى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف»، هو تفسير لقوله تعالى: ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ أي: اتخذوا لأنفسكم أماكن خاصة للصلاة، ولم يُرد بالبيوت المنازل المسكونة، وهذا قول أكثر المفسرين، وذلك أن بني إسرائيل، كانوا لا يصلون إلا في مساجدهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتحريبها كلها ومنعهم عن الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون، بأن يتخيروا لبني إسرائيل بيوتاً بمصر، تكون مساجد للصلاة، وقيل: معناه صلوا في بيوتكم سرّاً لتأمنوا من فرعون، وهذا قول ضعيف، لأن جواز الصلاة في غير المساجد، من خصوصيات نبينا محمد ﷺ، ففي الحديث الصحيح: «وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»، فأئماً رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل، فنحن نصلي في المساجد والبيوت، وحيث أدركتنا الصلاة، إلا أن النافلة في المنازل أفضل منها في المساجد، فقد روى =

فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا اتيتهم ذلك ليضلوا في عاقبه ﴿عن سبيلك﴾ دينك ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ امسخها، [أخرج عبد الرزاق وغيره، عن قتادة السدوسي قال: بلغنا أن زروعهم وأموالهم، تحولت حجارة] واشدد على قلوبهم ﴿اطمع عليها واستوثق﴾ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴿المؤلم، دعا عليهم، وأمن هارون على دعائه. ٨٩﴾ قال تعالى: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق، ﴿فلم ينفعه إيمانه، كما سيأتي بيانه﴾ ﴿فاستقيما﴾ على الرسالة والدعوة، إلى أن يأتيهم العذاب ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ في استعجال قضائي، روي: أنه، [أي: نزول العذاب بهم]، مكث [وتأخر] بعدها، [أي: بعد دعوتهما]، أربعين سنة، [أخرجه الحكيم الترمذي عن مجاهد، وهو قول ضعيف].

الزُّلُمَةُ عَشْرٌ

فِرْعَوْنُ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَازَنَّا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالَقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُخَيِّدُكَ بِدَنِكَ لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى

٩٠ ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم لحقهم﴾ فرعون وجنوده بغياً وعدواً ﴿مفعول له﴾ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه ﴿أي: بأنه، وفي قراءة بالكسر استثنافاً﴾ لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴿كرره، ليُقبل منه، فلم يُقبل، ودس جبريل في فيه من حمأة البحر،﴾ [أي: طينه] - مخافة أن تناله الرحمة (١) وقال له: ٩١ ﴿الآن﴾ تؤمن ﴿وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان. ٩٢ ﴿فاليوم ننجيك﴾ نخرجك من البحر ﴿بيدك﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لتكون لمن خلفك﴾ بعدك ﴿آية﴾ عبرة، فيعرفوا عبوديتك، ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس: أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته، فأخرج لهم ليره ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿عن آياتنا لغافلون﴾ لا يعتبرون بها. ٩٣ ﴿ولقد بوأنا﴾ أنزلنا ﴿بني إسرائيل مَبْوَءَ صَدَقٍ﴾ منزل كرامة، وهو: الشام ومصر ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ فما اختلفوا ﴿بأن آمن بعض، وكفر بعض﴾ حتى

= مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان ﷺ يصلي

في بيتي قبل الظهر أربعاً، ثم يخرج فيصلّي بالناس ثم

يدخل فيصلّي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلّي ركعتين، ثم يصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلّي ركعتين... الحديث، وروى الشيخان وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً» يعني: صلاة النافلة.

(١) قوله: «مخافة أن تناله الرحمة» أخرج الطبراني في «الأوسط»، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال لي جبريل: ما كان على الأرض شيء أبغض إليّ من فرعون، فلما آمن - أي: حين لا ينفع الإيمان - جعلت أحشو فاه حمأة وأنا أعطيه، خشية أن تدركه الرحمة»، وأخرج أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما مثل حديث أبي هريرة.

وقد اعترض بعضهم كالرازي في تفسيره على هذه الأحاديث، وطعن آخرون فيها لجهة سندها، وهي اعتراضات غير قوية، =

جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿ من أمر الدين، بإنجاء المؤمنين، وتعذيب الكافرين. ٩٤ ﴿فإن كنت﴾ يا محمد، [أو: الخطاب لأمتي ﷺ] ﴿في شك مما أنزلنا إليك﴾ من القصص، فرضاً ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب﴾ التوراة ﴿من قبلك﴾ فإنه ثابت عندهم، يخبروك بصدقه، قال ﷺ (١): «لا أشك ولا أسأل» ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه. ٩٥ ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ [أو المراد بالخطاب أمتي ﷺ، فإن فيهم الشاك والمكذب]. ٩٦ ﴿إن الذين حقن﴾ وجبت ﴿عليهم كلمة ربك﴾ بالعذاب ﴿لا يؤمنون﴾. ٩٧ ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾.

٩٨ ﴿فلولا﴾ فهلاً ﴿كانت قرية﴾ أريد أهلها ﴿آمنت﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فنفعها إيمانها﴾ [والمراد بالتحضيض النفى، أي: ما آمنت قرية عند رؤية أمارات العذاب، فنفعها إيمانها] ﴿إلا﴾ لكن ﴿قوم يونس لما آمنوا﴾ عند رؤية أمارات العذاب، ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ انقضاء آجالهم. ٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس﴾ (٢) بما لم يشاء الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾؟ لا. ١٠٠ ﴿وما كان لنفس أن تؤمن

شُكْرًا لِلَّهِ

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٤﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٧﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٨﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ

فالأحاديث يقوي بعضها بعضاً من حيث السند، ولا إشكال فيها من حيث المعنى، لأن إيمان فرعون كان في وقت الفراغ، التي لا يصح عندها الإيمان ولا يقبل، فلا فائدة له من إيمانه في هذه الحالة، ودس جبريل الطين في فمه، تحقير له وإذلال، لأنه لم يكن أهلاً لرحمة الله تعالى قبل ذلك.

(١) قوله: «قال ﷺ... الحديث»، هو حديث ضعيف أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير الطبري، عن قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله - مرسلًا - يرفعه إلى النبي ﷺ قال - أي: قتادة - ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»، وروى ابن أبي حاتم وآخرون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يشك رسول الله ﷺ ولم يسأل» فخطابه ﷺ بهذا تأكيد لصدقه، وليفعل الشاكون ذلك فيسألوا، أو: أن المراد بالخطاب سواء ﷺ.

(٢) قوله تعالى: «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»، ليس معناه - كما يظن بعض الناس - أن الإنسان حر في عقيدته، والإيمان بما يشاء ولو باطلاً، وفهموا مثل ذلك من قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الآية ص ٥٣.

والصواب: أن الإنسان ليس حراً في اعتقاد ما يهوى من العقائد الباطلة، بل هو مكلف بالإيمان، وأمور بترك الكفر بجميع صورته وأنواعه، على نحو ما بينه الله تعالى على لسان رسله، وهذه الآية من باب التخفيف عن النبي ﷺ وتسليته، لأنه كان شديد الحرص على إيمان الناس، إلى حد يصوره قوله تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ أي: خفف عنك يا محمد، فأنت لا تملك إكراههم على ما تريده لهم من الإيمان، فاتركهم، ثم نسخ هذا الحكم بآية السيف، وأمره الله تعالى بقتالهم: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة - أي: شرك - ويكون الدين كله لله﴾.

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيُرَادُّهُ «وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» [أي: لا] يتدبرون آيات الله.

١٠١ ﴿قُلْ لَكُمْ مَكَّةُ أَنْظُرُوا مَاذَا أَيْ: الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ﴾ جمع «نذير»، أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله، أي: ما تنفعهم؟

١٠٢ ﴿فَهَلْ﴾ فما «ينتظرون» بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، أي: مثل وقائعهم، من العذاب ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

١٠٣ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، [أي: كنا نفعل ذلك] ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [معهم] من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ [أي: مثل ذلك] الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا

نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي ﷺ وأصحابه، حين تعذيب المشركين.

١٠٤ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: يا أهل مكة [وغيرها] ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، وهو: الأصنام، لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [وقد وصف: «الله» بأنه: «الذي يتوفاكم»، لذكرهم بالآخرة، التي هم عنها معرضون].

١٠٥ ﴿وَقِيلَ لِي﴾ «أَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ» حنيفاً مائلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [وهذا النهي موجه حقيقة إلى الناس، لا إلى النبي ﷺ، لأن الأنبياء معصومون عن الشرك بالله تعالى، قبل النبوة وبعدها، ومثله قوله تعالى:]

١٠٦ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد «من دون الله ما لا ينفعك» إن عبده «ولا يضرك» إن لم تعبد «فإن فعلت» ذلك فرضاً «فإنك إذا من الظالمين» [أي: لا تفعلوا ذلك أيها الناس، حتى لا تكونوا من الظالمين، فتخسروا أنفسكم].

١٠٧ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾ يصبك «الله بضر» كفقر ومرض «فلا كاشف» رافع

الْحُجَّةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

(١) قوله تعالى: «أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا» أي: مسلماً لم يعبد غير الله تعالى، و«الحنيف»: هو الصحيح الميل إلى الإسلام، وكان إبراهيم عليه السلام حنيفاً، وملكته «الحنيفة» أي: التوحيد، وهي ملة الأنبياء جميعاً، التي أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ باتباعها وتبليغها بقوله: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»، وقال ﷺ: «دُعِيتُ بِالْحَنِيفَةِ السَّمْعَةِ» أي: الشريعة المائلة عن كل باطل، فهي: «حنيفية» في التوحيد، «سمعة» في العمل، وضد الأمرين: الشرك، وتحريم الحلال، وقد ضعف الحافظ العراقي سند هذا الحديث، ولكن قال المناوي في شرح الجامع الصغير: له طرق ثلاث، ليس يبعد أن لا ينزل بسببها عن درجة «الحسن».

﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَرْدَكْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ دَافِعٍ﴾ [لفضله] الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

١٠٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [فآمنوا به، إن أردتم الخير لأنفسكم] ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [أي: موكول إليّ أمركم]، فأجبركم على الهدى.

١٠٩ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَاصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلهم، وقد صبر [عليه]، حتى حكم على المشركين بالقتال، و [على] أهل الكتاب بالجزية^(١).

سُورَةُ هُودٍ ١١

لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَرْدَكْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا ثَلَاثُ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِتُ أَهَكَتْ أَيْتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ

﴿سُورَةُ هُودٍ﴾ (٢)

[عليه السلام]

(مكية، إلّا: [و] أقم الصلاة، الآية، أو:

إلّا «فلعلك تارك» الآية، و «أولئك يؤمنون

به» الآية، مائة واثنان، أو:

وثلاث وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ﴾ بعجيب النظم، وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ يبيّن، بالأحكام والقصاص والمواعظ ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

٢ ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ

(١) قوله: «حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية»، المراد بالمشركين هنا: الذين يعبدون الأصنام كمشركي العرب، فلا تقبل منهم الجزية، بل يقاتلون إلى أن يسلموا أو يقتلوا، أما أهل الكتاب فإن الهدف من قتالهم حملهم على الإسلام، لأنه الخير لهم في الدنيا والآخرة،

أو إخضاعهم لحكم الله تعالى، لأنه خير لهم في الدنيا، فإن لم يؤمنوا وطلبوا الدخول في ذمة المسلمين، فإنه يقبل ذلك منهم، ويقرّون على دينهم، وتؤخذ منهم الجزية على نحو ما هو مبين في مواضع من كتب الفقه.

(٢) قوله: «سورة هود»، أخرج الترمذي وحسنه، والطبراني بسند صحيح، والبيهقي وغيرهم، من طرق كثيرة، عن عدد من الصحابة، أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد شئت، قال: «أجل شيتي هود وأخواتها: الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»، وفي روايات أخرى مع «هود»، غير هذه السور، وذلك لما في هذه السور، من العبر التي قصها الله تعالى في أخبار الأولين ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾، ولما جاء فيها من آيات التهيب والوعيد، كقوله تعالى: في سورة «عم يتساءلون»: ﴿فلوقوا فلم يزيدكم إلا عذاباً﴾.

نذير ﴿بالعذاب﴾ إن كفرتم ﴿وبشيراً﴾ بالثواب، إن آمنتم. ٣ ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿إليه﴾ بالطاعة ﴿يمتدكم﴾ في الدنيا ﴿متاعاً حسناً﴾ بطيب عيش، وسعة رزق ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو: الموت ﴿ويؤت﴾ في الآخرة ﴿كل ذي فضل﴾ في العمل ﴿فضله﴾ [أي: جزاءه] ﴿وإن تولوا﴾ فيه حذف إحدى التائين، [والأصل: «تولوا»]، أي: تعرضوا ﴿فإنني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ هو: يوم القيامة. ٤ ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ ومنه الثواب والعذاب. ٥ ونزل، كما رواه البخاري عن ابن عباس: فيمن كان [من الناس غير المؤمنين]، يستحي أن يتخلى [لقضاء حاجته]، أو يجمع [زوجته]، فيفضي إلى السماء، وقيل: في المنافقين، كانوا يضمرون خلاف ما يعلنون، ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ أي: الله ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ يتغطون بها ﴿يعلم﴾ تعالى ﴿ما يسرون وما يعلنون﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إنه عليهم بذات الصدور﴾ أي: بما في القلوب. ٦ ﴿وما من زائدة دابة في الأرض﴾ هي ما دب عليها ﴿إلا على الله رزقها﴾ تكفل به، فضلاً منه تعالى ﴿ويعلم مستقرها﴾ مسكنها في الدنيا، أو: الصلْب ﴿ومستودعها﴾ بعد الموت، أو: [في] الرحم ﴿كل﴾ مما ذكر ﴿في كتاب مبين﴾ بين، هو: اللوح المحفوظ. ٧ ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ أولها الأحد^(١)، وآخرها الجمعة ﴿وكان عرشه﴾ قبل خلقهما ﴿على الماء﴾ وهو على^(٢) متن الرياح، [روى البخاري عن عمران بن حصين، أنه ﷺ سئل عن أحوال هذا العالم فقال: «كان الله - أي: في الأزل - ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء»] ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بـ «خلق»، أي: خلقهما، وما فيهما من منافع لكم ومصالح، ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أي: أطوع لله ﴿ولئن قلت﴾ يا محمد لهم ﴿إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن، الناطق بالبعث، والذي تقوله ﴿إلا سحر مبين﴾ بين، وفي قراءة: «ساحر»، والمشار إليه النبي ﷺ.

الجزء الثاني عشر

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۚ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ ۚ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

(١) قوله: «أولها الأحد وآخرها الجمعة»، تبع السبوطي في هذا المحلي وغيره، وهو يخالف ما سبق، في تفسير: الآية ٣ من سورة «يونس» ص ٢٦٥، حيث قال: «ستة أيام من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر»، وقال مثل ذلك ص ٢٠١، وهذا هو الصحيح، ارجع إلى تعليقنا حول خلق السماوات والأرض ص ٦٣٠.

(٢) قوله: «وهو على متن الرياح» هذا قول مروى عن ابن عباس ومعناه: أن الرياح مخلوقة قبل الماء، والصحيح: أن أول مخلوق هو «الماء»، لحديث البخاري الذي ذكرناه في التفسير، فخلق الماء سابق على خلق العرش، وقد جاء ذلك صريحاً فيما رواه أحمد، والترمذي وصححه، مرفوعاً: «إن الماء خلق قبل العرش»، وروى الشدي الصغير في تفسيره بأسانيد: أن الله تعالى لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، وأولية خلق غيره أولية نسبية.

٨ ﴿وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ مَبْجِيءٍ أَتَمَّةٍ أَوْ قَاتٍ﴾ ﴿معدودة ليقولن﴾ استهزاء ﴿ما يحبسهُ﴾ ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عنهم وحاق﴾ نزل ﴿بهم﴾ ما كانوا به يستهزئون من العذاب.

٩ ﴿وَلَنُؤَذِّقَنَّهُمُ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿منا رحمة﴾ غنى وصحة ﴿ثم نزعناها منه إنه ليؤوس﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كفور﴾ شديد الكفر به.

١٠ ﴿وَلَنُؤَذِّقَنَّهُ نِعْمًا بَعْدَ ضَرْاءٍ﴾ فقرٍ وشدةٍ ﴿مستنه ليقولن﴾ ذهب السيئات ﴿المصائب عني﴾ ولم يتوقع زوالها، ولا شكر عليها ﴿إنه لفرح﴾ بطرٍ ﴿فخور﴾ على الناس بما أوتي.

١١ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الذين صبروا﴾ على الضراء ﴿وعملوا الصالحات﴾ في النعماء ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ هو: الجنة.

١٢ ﴿فلعلك﴾ ^(١) يا محمد ﴿تارك بعض ما يوحى إليك﴾ فلا تبلغهم إياه، لتهاونهم به ﴿وضائق به صدرك﴾ بتلاوته عليهم، لأجل ﴿أن يقولوا لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ يصدقه، كما اقترحنا ﴿إنما أنت نذير﴾ فما عليك إلا البلاغ، لا الإتيان بما اقترحوه ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ حفيظ، فيجازيهم.

١٣ ﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون افتراء﴾ أي: القرآن؟ ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مفتريات﴾ فلأنكم عربيون فصحاء مثلي، تحدثهم بها أولاً، ثم [تحدثهم] بسورة، [في] قوله تعالى في سورة «البقرة»: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» [وادعوا] للمعاونة على ذلك ﴿من استطعتم من دون الله﴾ [فعجزوا، ولو استطاعوا ذلك لفعلوه].

سُورَةُ هُودٍ

وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ وَلَنُؤَذِّقَنَّهُمُ الْإِنْسَانَ مِّنَا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۚ كَفُورٌ ﴿١١﴾ وَلَنُؤَذِّقَنَّهُ نِعْمًا بَعْدَ ضَرْاءٍ مَّسْتَه لَّيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ قُلْ فأتوا بعشر سور مثله ۚ مُفْتَرِيَتٍ وَّادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾

(١) قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ الآية. فيه بيان لحرص النبي ﷺ على إيمان الناس، وتسليته له ﷺ، أي: لا يضيق صدرك بقولهم ومطالبهم، ولا تنتم لذلك، بل بلغهم وأنذرهم، وإن تهاونوا وعاندوا وجحدوا، فما أنت إلا نذير، فليس معنى صدر هذه الآية، أنه ﷺ فُكِّرَ بترك شيء مما يوحى إليه، فإن ذلك لم يحصل، وهو معصوم عنه، بل إن الآية، تنشيط للنبي ﷺ، وحث له على متابعة تبليغ الرسالة، رغم كل المصاعب والمتاعب، وهذا ما حصل.

١٤ ﴿فَإِنْ﴾ ن ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أَي: مَنْ دَعَوْتُمُوهُ لِلْمَعَاوَنَةِ ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشركون ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ﴾ متلبساً^(١) ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة، أَي: أَنَّهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهل أنتم مسلمون؟ بعد هذه الحجة القاطعة؟، أَي: أسلموا. ١٥ ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بَأَن أَصْرَ عَلَى الشَّرْكِ، وقيل: هي في المراتين ﴿نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أَي: جزاء ما عملوه من خير، كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بَأَن نَوَسَعَ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أَي: الدُّنْيَا ﴿لَا يَبْخُسُونَ﴾ يَنْقُصُونَ شيئاً. ١٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ هـ ﴿فِيهَا﴾ أَي: [حبط عملهم في] الآخرة، فلا ثواب له ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[في الدنيا من الخيرات، لأنهم لم يؤمنوا، روى مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَقْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»].

١٧ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ﴾ بيان ﴿مَنْ رِبِّهِ﴾ وهو: النبي ﷺ، أو: المؤمنون، و[البينة] هي: القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه ﴿مَنْهُ﴾ أَي: مَنْ اللَّهِ، وهو: جبريل ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ أَي: القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التَّوْرَةُ، شاهد له أيضاً ﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾؟ حال. [أَي: أَيْكُونُ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ]، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَا ﴿أُولَئِكَ﴾ أَي: مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أَي: بِالْقُرْآنِ، فَلَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ فلا تك في مَرِيَّةٍ ﴿شَكَّ مِنْهُ﴾ مَنْ الْقُرْآنَ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ [وَأَمْثَالُهُمْ] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٨ ﴿وَمَنْ﴾ أَي: لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِنْ﴾ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴿بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ﴾ ﴿أُولَئِكَ يَعْزُضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْزُضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّا شَهِدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع «شاهد»، وهم: الملائكة، يشهدون للرسول بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [أَي: المشركون، قال تعالى: «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»].

(١) قوله: «متلبساً» بتقديم التاء على اللام، هذا هو الصواب، من «تَلَبَّسَ بِالشَّيْءِ» إِذَا خَالَطَهُ، وَأَمَّا تَقْدِيمُ اللَّامِ — مُتَلَبِّساً — كَمَا فِي بَعْضِ النُّسخ، فَهُوَ تَصْغِيفٌ، لِأَنَّهَا مِنَ الْإِتْبَاسِ فَيُقَالُ: التَّبَسَّ عَلَى الْأَمْرِ، أَي: اخْتَلَطَ وَاشْتَبَهَ، وَهُوَ غَيْرُ مُرَادٍ هُنَا، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، فَصَرَّفْنَاهَا جَمِيعَهَا، وَنَبَهْنَاهُ عِنْدَ بَعْضِهَا.

١٩ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾.

٢٠ ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ أُولِيَاءُ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يضاعف لهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق، [بسبب عنادهم وتكبرهم] ﴿وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾ أي: لفرط كراحتهم له، كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

٢١ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله، من دعوى الشريك.

٢٢ ﴿لَا جُرْمَ﴾ (١) ﴿أَي: حَقًّا﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾.

٢٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا، أو: أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

٢٤ ﴿مِثْلُ﴾ صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى﴾ - هذا مثل الكافر - ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ - هذا مثل المؤمن - ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟﴾ لا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال مفتوحة]، تتعظون.

٢٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي أَنَا بَأْنِي، وفي قراءة بالكسر على حذف القول، [تقديره: قال إني] ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يَبَيِّنُ الْإِنذَارَ.

٢٦ ﴿أَن:﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابُ يَوْمِ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿لَا جُرْمَ﴾، جاء في خمسة مواضع في القرآن الكريم: واحد منها هنا، وثلاثة في «النحل»: (الآية ٢٣ ص ٣٤٧، والآية ٦٢ ص ٣٥٣، والآية ١٠٩ ص ٣٦١) والموضع الخامس: الآية ٤٣ ص ٦٢٣ «غافر». وفيه - من حيث اللفظ - قولان: أحدهما:

أتهما كلمتان رُكبتا فصارتا كلمة واحدة، معناها: «حقاً»، وهي منصوبة بفعل محذوف تقديره: «حَقُّ حَقًّا»، و«أَنْ» وما بعدها في محل رفع فاعل، أي: «حَقُّ خسرانهم»، وهذا قول لسيبويه والفراء والخليل، حكاه عنهم أبو جعفر النحاس.

والقول الثاني: أتهما كلمتان غير مركبتين، معناهما: «لا بد ولا مخالفة»، «فلا نافية للجنس» أو «يجزم» اسمها مبني على الفتح في محل نصب، وجملة «أنهم في الآخرة...» في محل رفع خبرها، وهذا قول آخر للفراء والخليل، حكاه عنهما الثعلبي.

وقال بعضهم: إن «لا» نافية، تنفي أماني الكافرين، و«جرم» فعل ماضٍ بمعنى: «حَقُّ وثبت»، وجملة: «أنهم في الآخرة...» في محل رفع فاعل لـ «جرم»، فيكون المعنى: لا عبرة بأمانيتهم، بل حَقُّ وثبت خسرانهم في الآخرة، وقيل فيها غير ذلك، والذي ذكرناه أحسنه.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ

أليم ﴿مؤلم في الدنيا والآخرة. ٢٧﴾ فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ﴿وهم الأشراف﴾ ما نراك إلا بشراً مثلاً ولا فضل لك علينا ﴿وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أسافلنا، كالحاكة والأساكفة، [جمع «إسكاف»، وهو: صانع النعال] «باديء الرأي» بالهمز وتركه، أي: ابتداء، من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف، أي: [أتبعوك] وقت حدوث أول رأيهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ تستحقون به الاتباع منا ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

٢٨ ﴿قال يا قوم أرايتم﴾ أخبروني ﴿إن كنت على بينة﴾ بيان ﴿من ربي وآتاني رحمة﴾ نبوة ﴿من عنده فعميت﴾ [بتخفيف الميم والبناء للفاعل، أي:]

خفيت ﴿عليكم﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أنلزمكموها﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وأنتم لها كارهون﴾ [أي: لا نقدر على ذلك،] قال قتادة بن دعامه السدوسي^(١): والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام، لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك.

٢٩ ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مألاً﴾ تعطونه ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ ثوابي ﴿إلا﴾ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴿كما أمرتوني﴾ إنهم ملاقو ربهم ﴿بالبعث، فيجازيهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم﴾ ولكني أراكم قوماً تجهلون عاقبة أمركم.

٣٠ ﴿ويا قوم من ينصرني﴾ يمنني ﴿من الله﴾ أي: عذابه ﴿إن طردتهم﴾ أي: لا ناصر لي ﴿أفلاً﴾ فهلاً ﴿تذكرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال مفتوحة]، تتعظون.

٣١ ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا﴾ إني ﴿أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ولا أقول للذين تردوني تحتقر﴾ أمينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم^(٢) ﴿لهم﴾ قلوبهم ﴿إنني إذا﴾ إن قلت ذلك ﴿لمن﴾

البقرة الثانية

أليم ﴿٢٦﴾ فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلاً وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴿٢٧﴾ قال ينقوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴿٢٨﴾ وينقوم لا أسألكم عليه ما إلا أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴿٢٩﴾ وينقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلاً تذكرون ﴿٣٠﴾ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تردوني أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إنني إذا لمن

(١) قولنا: «قتادة» هو التابعي المشهور الثقة: قتادة بن

دعامه بن قتادة السدوسي البصري، نسبة إلى سدوس بن شيبان الوائلي، توفي عام سبعة عشر ومائة هجرية رحمه الله تعالى.
(٢) قوله تعالى: «الله أعلم بما في أنفسهم»، روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مر رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينجح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينجح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: فهذا خير من ملء الأرض مثل هذا، أي: ليست العبرة دائماً بمظاهر الجاه والغنى، بل المهم ما في القلب من الإيمان، وما تنطوي عليه النفس من الأخلاق الحسنة، وما يصدر عن الإنسان من عمل صالح، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة وصريحة، فالمهم هو الاعتبار والاعتناظ.

الظالمين ﴿٣٢﴾ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴿١﴾ خاصمتنا ﴿٢﴾ فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا ﴿٣﴾ به من العذاب ﴿٤﴾ إن كنت من الصادقين ﴿٥﴾ فيه .

﴿٣٣﴾ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء ﴿٦﴾ تعجيلة لكم ، فإن أمره إليه ، لا إلي ﴿٧﴾ وما أنتم بمعجزين ﴿٨﴾ بفاتين الله .
 ﴿٣٤﴾ ولا ينفعكم نصحي ﴿٩﴾ [أي : إبلاغي ، واجتهادي في إيمانكم] ﴿١٠﴾ إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴿١١﴾ أي : إغواءكم ، [بسبب رفضكم النصيحة] ، وجواب الشرط دل عليه : «ولا ينفعكم نصحي» ﴿١٢﴾ هو ريكم وإليه ترجعون ﴿١٣﴾ .

﴿٣٥﴾ قال تعالى : ﴿أم﴾ بل أ ﴿١٤﴾ يقولون ﴿١٥﴾
 أي : كفار مكة ﴿١٦﴾ افتراء ﴿١٧﴾ اختلق محمد القرآن ﴿١٨﴾ قل إن افتريته فعلي إجرامي ﴿١٩﴾
 إثمي ، أي : عقوبته ﴿٢٠﴾ وأنا بريء مما تجرمون ﴿٢١﴾ [أي : من إجرامكم ، في نسبة الافتراء إلي] .

﴿٣٦﴾ وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس ﴿٢٢﴾ تحزن ﴿٢٣﴾ بما كانوا يفعلون ﴿٢٤﴾ من الشرك ، فدعا عليهم بقوله : «رب لا تذر على الأرض الخ ، فأجاب الله دعاءه وقال :

﴿٣٧﴾ واصنع الفلك ﴿٢٥﴾ السفينة ﴿٢٦﴾ بأعيننا ﴿٢٧﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿٢٨﴾ ووحيًا ﴿٢٩﴾ أمرنا ﴿٣٠﴾ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴿٣١﴾ كفروا ، بترك إهلاكهم ﴿٣٢﴾ إنهم مفرقون ﴿٣٣﴾ .

﴿٣٨﴾ ويصنع الفلك ﴿٣٤﴾ حكاية حال ماضية ، [أي : فأخذ يصنعها] ﴿٣٥﴾ وكلما مر عليه ملا ﴿٣٦﴾ جماعة ﴿٣٧﴾ من قومه سخرُوا منه ﴿٣٨﴾ استهزأوا به ﴿٣٩﴾ قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴿٤٠﴾ إذا نجونا وغرقتم ﴿٤١﴾ ﴿٣٩﴾ فسوف تعلمون

(١) قوله تعالى : ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا﴾

جادلنا ، هذه مغالطة منهم ، بل هم الذين جادلوه

فأكثر الجدال ، و«الجدل» هو : شدة الخصومة

بالباطل ، و«المجادل» هو : المخاصم الذي لا يرغب في معرفة الحق ، بل يكابر ويعاند ، لذلك اعتبر النبي ﷺ «الجدل» من أسباب الضلال ، فقد روى أحمد والترمذي - وقال : حسن صحيح - والبيهقي وغيرهم ، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه : صُدِّي بن عجلان مشهور بكنته - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ . وروى الشيخان وغيرهما ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» ، أي : الشديد الخصومة بالباطل ، قال القاضي عياض : المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة ، والعقائد الزائفة ، لا المناظرة لإظهار الحق ، واستعلام ما ليس معلوماً عنده ، أو تعليم غيره ما عنده ، لأنه فرض كفاية ، خارج عما نهى عنه الحديث .

الظالمين ﴿٣٢﴾ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴿٣٣﴾ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ﴿٣٤﴾ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ﴿٣٥﴾ أم يقولون افتريته قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون ﴿٣٦﴾ وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴿٣٧﴾ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفركون ﴿٣٨﴾ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخرُوا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴿٣٩﴾ فسوف تعلمون

من ﴿موصولة، مفعول العلم﴾ يأتيه عذاب يخزيه ويحل ﴿عليه عذاب مقيم﴾ دائم. ٤٠ ﴿حتى﴾ غاية للصنع ﴿إذا جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ للخباز بالماء - وكان ذلك علامة لنوح - ﴿قلنا احمل فيها﴾ في السفينة ﴿من كل زوجين﴾ أي: ذكر وأنثى، أي: من كل أنواعهما [احمل]. ﴿اثنتين﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول [احمل]، أي: احمل اثنين من كل زوجين، وفي قراءة أخرى: ﴿كل﴾ بالتثنية، فـ ﴿زوجين﴾ مفعول [احمل]، و ﴿اثنتين﴾ تأكيد، وفي القصة: أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر، واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة ﴿وأهلك﴾ أي: زوجته وأولاده، [أي: احملهم معك فيها] ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ أي: منهم بالإهلاك، وهو: زوجته وولده

الجزء الثاني عشر

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
وَمَاءٌ آمِنٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْرَلٍ يَبُنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي
وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَىٰ الْجُودَىٰ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿كنعان﴾^(١)، بخلاف «سام» و «حام» و «يافت»، فحملهم وزوجاتهم الثلاث ﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساء هم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون، نصفهم رجال، ونصفهم نساء. ٤١ ﴿وقال﴾ نوح ﴿اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها﴾ بفتح الميمين^(٢) وضمهما، مصدران، أي: جريها، [أو: إجراؤها] ورسوها، أي: انتهى سيرها ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾ حيث لم يهلكنا. ٤٢ ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ في الارتفاع والعظم ﴿ونادى نوح ابنه﴾ كنعان ﴿وكان في معزل﴾ عن السفينة ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾. ٤٣ ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني﴾ يمتني ﴿من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله عذابه﴾ إلا ﴿لكن﴾ من رحم ﴿الله﴾، فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾. ٤٤ ﴿وقيل يا أرض ابلي ماءك﴾ الذي نبع منك، فشرته، دون ما نزل من السماء، فصار أنهاراً وبحاراً^(٣) ﴿وبيا سماء ألقمي﴾ أمسكي عن المطر، فأمسكت ﴿وغيض﴾ نقص ﴿الماء وقضى الأمر﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿واستوت﴾ وقفت السفينة ﴿على الجودي﴾ جبل بالجزيرة، بقرب «الموصل» ﴿وقيل بعداً﴾ هلاكاً ﴿للقوم الظالمين﴾ الكافرين.

(١) قوله: «ولده كنعان»، على افتراض صحة تسمية ابن نوح بهذا «كنعان»، فإنه غير «كنعان» جد «الكنعانيين»، بل الظاهر أن جداهم هو: كنعان بن سام بن نوح، وليس الهالك المغرق. أرجع إلى تعليقنا حول «كنعان» ص ٣١٥.

(٢) قوله: «بفتح الميمين» أي: «مجريها ومرساها»، هو سبق قلم صوابه: «بضم الميمين»، وفتح الأولى مع ضم الثانية، لأن فتح ميم «مرساها» مع الإمالة قراءة شاذة.

(٣) قوله: «فصار أنهاراً وبحاراً» ليس صحيحاً، لأن البحار والأنهار كانت قبل الطوفان، قال تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أخرج منها ماءها ومرعاها، ولقوله تعالى بعد: «وغيض الماء» أي: ابتلعت الأرض.

٤٥ ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خُلْفَ فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

٤٦ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين، أو: من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بنجاة عمل غير صالح ﴿فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَلَا نَجَاتَ لِلْكَافِرِينَ، وَفِي قِرَاءَةِ بَكْسَرٍ مِيمَ «عَمَلٍ»، وَنَصَبٍ «غَيْرٍ»، فَالضَّمِيرُ لِابْنِهِ﴾ فلا تسألن ﴿بِالتَّشْدِيدِ﴾ [مع فتح اللام]، والتخفيف، [أي: بكسر النون مع سكون اللام] ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم.

٤٧ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمَنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

سُورَةُ هُودٍ

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُحِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٨ ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة، أو: بتحية ﴿مِنَّا﴾ وبركات ﴿خَيْرَاتٍ﴾ عليك وعلى أمم ممن معك ﴿فِي السَّفِينَةِ﴾، أي: من أولادهم وذريتهم، وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع، ممن معك [أي: من ذريتهم] ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

٤٩ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾ أنت ^(١) ولا قومك من قبل هذا ﴿الْقُرْآنَ﴾ فاصبر ﴿عَلَى التَّبْلِيغِ وَأَذَى قَوْمِكَ﴾ كما صبر نوح ﴿إِنْ الْعَاقِبَةُ﴾ [النهاية] المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٥٠ ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ ^(٢) من القبيلة ﴿هُودًا﴾ قال يا قوم اعبدوا الله وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ زائدة ﴿إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ إن ما أنتم ﴿فِي عِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانِ﴾ كاذبون على الله.

(١) قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾، فيه رد على الكافرين الذين زعموا أن القرآن من عند محمد ﷺ، وإن أناساً من أهل الكتاب أعانوه عليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِلَى عَادٍ﴾ كانت مساكن «عاد»، قبيلة نبي الله «هود»، في أرض «الأحاف»، وهي اليوم منطقة رملية، تقع بين عُمان والربع الخالي واليمن، وقد وجدت أخيراً آثار كثيرة في تلك المنطقة.

كانوا يعبدون الأصنام من دون الله عز وجل، ذكرت قصتهم مراراً في القرآن الكريم، وقد أهلكهم الله «بريح صرر عاتية» سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً كما سيأتي في سورة «الحاقة» ص ٧٦١.

٥١ ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٥٢ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ (١) من الشرك ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ﴾ المطر - وكانوا قد مُنِعُوهُ - ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الذُّرُور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ مشركين.

٥٣ ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ ببرهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

٥٤ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتِرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فخبلك (٢)، لسببك إيها، فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ﴾ الله ﴿عَلَيَّ﴾ واشهدوا أنني بريء مما تشركونه به.

٥٥ ﴿مَنْ دُونَهُ فَكَيْدُونِي﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ تمهلون.

٥٦ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ﴾ نَسَمَةٍ تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أخذ بناصيتها ﴿أَي:﴾ مالكتها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخصَّ «الناصية» بالذكر، لأنَّ مَنْ أَخَذَ بناصيته، يكون في غاية الذل ﴿إِنْ﴾ ربي على صراط مستقيم ﴿أَي:﴾ طريق الحق والعدل، [أي: هو عادل، لا يأخذهم إلا بالحق].

٥٧ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [أصله: تتولَّوا]، أي: تُعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً ﴿بِإِشْرَاكِكُمْ﴾ إن ربي على كل

(١) قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ الآية، الواضح من هذه الآية الكريمة: أن الاستغفار والتوبة سبب من أسباب السعة في المعيشة، كما أن الإصرار على الذنب وعدم التوبة، سبب للشقاء وصعوبة الحياة في الدنيا،

حيث ينزع الله تعالى البركة من الأرزاق والأقوات، فتعتمد حياة الناس، ويظنون في قلق واضطراب، وتقسو القلوب ويعم الظلم والطغيان، روى أبو داود والنسائي، وابن حبان وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب» ولفظ النسائي: «من أكثر الاستغفار... إلخ». ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

(٢) قوله: «فخبلك» يقال: «خَبَلَهُ خَبَلًا» إذا أفسده، و «رجل به خَبَلٌ وَخَبَلٌ» أي: فساد في عقله، «ورجل مخبول» أي: منه الخبال، أي: الجنِّي، ويقال: «أصاب الناس خَبَلٌ» أي: فتنه من قتل وجراح، و «فلان به خبل» أي: فساد عضو، من داء أو قطع، و «طينة الخبال، ورذغة الخبال» أي: عصارة أهل النار، روى أبو داود والطبراني، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله رذغة الخبال، حتى يخرج مما قاله».

الْبَيِّنَةُ الْبَيِّنَاتُ

يَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مَنْ دُونَهُ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾

شيء حفيظ رقيب .

٥٨ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجِّنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مَنَا وَنَجِّنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد .

٥٩ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى آثامهم ^(١)، أي : فسبحوا في الأرض ، وانظروا إليها ، ثم وصف أحوالهم فقال : ﴿جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله﴾ جُمِعَ ^(٢)، لأن من عصى رسولاً ، عصى جميع الرسل ، لاشتراكهم في أصل ما جاوزوا به ، وهو : التوحيد ﴿واتبعوا﴾ أي : السفلة [والعامّة] ﴿أمر كل جبار عنيد﴾ معاند للحق ، من رؤسائهم .

٦٠ ﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ من

الناس ﴿ويوم القيامة﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿ألا إن عاداً كفروا﴾ جحدوا ﴿ربهم ألا بعداً﴾ من رحمة الله ﴿لعاد قوم هود﴾ [وهؤلاء هم : عاد الأولى] ، الوارد ذكرهم في قوله تعالى : في سورة «النجم» : «وأنه أهلك عاداً الأولى» ، وأما عاد الثانية ، فهم : «ثمود» ، قوم نبي الله صالح ، عليه السلام .

٦١ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى ثمود أخاهم﴾ ^(٣) من القبيلة ﴿صالحاً﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ﴿وخذوه﴾ ما لكم من إله غيره هو أنشأكم ﴿ابتداً﴾ خلقكم ﴿من الأرض﴾ بخلق أيبكم آدم منها ﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عماراً ، تسكنون بها ﴿فاستغفروهم﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿إليه﴾ بالطاعة ﴿إن ربي قريب﴾ من خلقه بعلمه ﴿مجيب﴾ لمن سأل .

٦٢ ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قبل هذا﴾ الذي صدر منك ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ من الأوثان ﴿واننا لفي شك مما تدعونا إليه﴾ من التوحيد ﴿مريب﴾ موقع في الريب .

٦٣ ﴿قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة﴾ بيان ﴿من ربي وآناني منه﴾ رحمة ﴿نبوة﴾ ﴿فمن ينصرني﴾ يمنعني

سُورَةُ هُودٍ ١١

شَيْءٌ حَفِيزٌ ٥٧ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِّنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجِّنَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٥٩ ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ٦٠﴾ * وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١ ﴿قَالُوا يَنْصَلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ٦٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي

٢٩٣

(١) قوله : «إشارة إلى آثامهم... إلخ» لعل الجلال السيوطي

يعني : أنها إشارة إلى البلاد التي كانوا فيها ، وهي : «الأحقاف» ، لأنه لم يبق لعاد آثار ظاهرة تشاهد ، بل موضع بلادهم اليوم رمال . أرجع إلى تعليقينا حولهم ص ٢٩١ .

(٢) قوله : «جمع» أي : أخبر تعالى أن عاداً جحدوا رسله — بالجمع — ولم يقل رسله وهو هود ، للسبب الذي ذكره السيوطي .

(٣) قوله تعالى : ﴿وإلى ثمود﴾ «ثمود» اسم للقبيلة التي منها نبي الله صالح عليه السلام ، كانوا من العرب العاربة ، وكانت مساكنهم في «الحجر» — بكسر الحاء — بين الحجاز والشام ، إلى الجنوب الشرقي من «مدين» ، أرض شبيب عليه السلام ، القريبة من خليج العقبة ، وتعرف اليوم بـ «فجّ الناقة» ، وهم : «أصحاب الحجر» ، ومدائنهم ظاهرة إلى اليوم ، تعرف بـ «مدائن صالح» وفيها عبرة لأولي الألباب ، كانوا يعبدون الأوثان من دون الله تعالى . ذكرت قصتهم مراراً في القرآن الكريم ، أهلكهم الله تعالى «بالصيحة» ، بعد أن عفروا الناقة التي طلبوها آية ، كما سيأتي .

﴿من الله﴾ أي: عذابه ﴿إن عصيته﴾ [بعدم إبلاغكم ونصحكم]؟ ﴿فما تزيدوني﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غير تخسير﴾ تضليل.

٦٤ ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ حال، عاملة [اسم] الإشارة، [لما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها»] ﴿فذروها تاكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ عقر ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ إن عقرتموها.

٦٥ ﴿فمقروها﴾ عقرها فذار [بن سالف]، بأمرهم، [فأسند الفعل إليهم، لرضاهم به] ﴿فقال﴾ صالح ﴿تمتعوا﴾ عيشوا ﴿في داركم ثلاثة أيام﴾ ثم تهلكون ﴿ذلك وعد﴾ [أي: ميعاد] ﴿غير مكذوب﴾ فيه.

الْبُرْجَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةُ

مِنْ اللَّهِ إِنَّ عَصِيَّتَهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٦﴾
وَيَقَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٧﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٩﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّبْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٧٠﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا
أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
فَلَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيدٍ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ

٦٦ ﴿فلما جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿نجينا

صالحاً والذين آمنوا معه﴾ وهم أربعة آلاف^(١) ﴿برحمة منا و﴾ نجيناهم ﴿من خزي يومئذ﴾ بكسر الميم إعراباً، وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني، وهو الأكثر [في اللغة، أما قراءة فهما سواء] ﴿إن ربك هو القوي العزيز﴾ الغالب.

٦٧ ﴿وأخذ الذين ظلموا الصبحه﴾ [الشديدة، وهي: «الطاغية»، كما في سورة «الحاقة»] ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب، متين.

٦٨ ﴿كان﴾ مخففة، واسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها﴾ في دارهم ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ بالصرف وتركه^(٢)، على معنى الحي، والقبيلة.

٦٩ ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق، ويعقوب، بعده ﴿قالوا سلاماً﴾ مصدر ﴿قال سلام﴾ عليكم ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيد﴾ مشوي، [وفي «الذاريات»: «فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين» فقربه إليهم قال ألا تأكلون؟] ٧٠

٧٠ ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ بمعنى: أنكرهم ﴿وأوجس﴾ أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة﴾ خوفاً، [لأن الضيف، إذا امتنع عن الأكل من طعام مضيفه، فقد يكون يضمر له سوءاً] ﴿قالوا لا تخف

(١) قوله: «وهم أربعة آلاف» وقيل: هم أكثر من ذلك بكثير، والأحسن عدم التعيين، لأنه لا دليل على عددهم، ولا عدد غيرهم من الأمم والقبائل السابقة، إلا قوم «يونس»، فقد قال تعالى فيهم: «وإرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون».

(٢) قوله: «بالصرف وتركه»، على معنى الحي والقبيلة، هذا لف ونشر مرتب، إشارة إلى قراءتين سبعيتين، فإن اسم «ثمود» يُصرف، إذا أطلق مراداً به الأب الأكبر أو الحي، أي: ديارهم، ويمنع من الصرف للعلمية والتأنيث، إذا أريد به «القبيلة».

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۖ قَالَتْ
يَبُوءُ لِي بَنَىٰ آلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ
اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۖ
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا
فِي قَوْمِ لُوطٍ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ۖ
يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۖ وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِئَئِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ۖ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ
كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۖ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۖ لَنُهْلِكَهُمْ ۖ ٧١ ۖ وَامْرَأَتُهُ ۖ أَي: امرأة إبراهيم «سارة» ۖ «قائمة» ۖ تخدمهم ۖ «فضحكت» ۖ استبشاراً
بهلاكهم ۖ «فبشرناها بإسحاق ومن وراءه» ۖ بعد ۖ «إسحاق يعقوب» ۖ ولده، تعيش إلى أن تراه. ٧٢ ۖ «قالت يا ويلتي» ۖ كلمة
تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ۖ «آلد وأنا عجوز» ۖ لي تسع وتسعون سنة ۖ «وهذا بعلي شيخاً» ۖ له
مائة، أو: وعشرون سنة؟ ونصبه على الحال، والعامل فيه، ما في «ذا» من الإشارة ۖ «إن هذا شيء عجيب» ۖ أن يولد ولد
لهرمين. ٧٣ ۖ «قالوا أتَعْجَبِينَ من أمر الله» ۖ قدرته ۖ «رحمة الله وبركاته عليكم» ۖ يا ۖ «أهل البيت» ۖ بيت إبراهيم ۖ «إنه حميد»
محمود ۖ «مجيد» ۖ كريم. ٧٤ ۖ «فلما ذهب عن إبراهيم الروح» ۖ الخوف ۖ «وجاءته البشري» ۖ بالولد أخذ ۖ «يجادلنا» ۖ يجادل
رسلنا ۖ «في» ۖ شأن ۖ «قوم لوط» ۖ (١).

٧٥ ۖ «إن إبراهيم لحليم» ۖ كثير الأناة ۖ «أواه»
منيب ۖ رجاء، فقال لهم: «أتهلكون قرية فيها
ثلثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية
فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون
قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا. قال:
أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا:
لا. قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟
قالوا: لا. قال: «إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم
بمن فيها»، [وقد رُوي بعض هذا الحوار عن
قتادة السدوسي، وبعضه عن سعيد بن جبيرة
رحمهما الله، وليس شيء منه مرفوعاً إلى
النبي ﷺ].

٧٦ ۖ فلما أطال مجادلتهم قالوا: «يا إبراهيم
أعرض عن هذا» ۖ الجدل ۖ «إنه قد جاء أمر ربك»
بهلاكهم ۖ «وإنهم آتيهم عذاب غير مردود» ۖ
٧٧ ۖ «ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم» ۖ حزن
بسيئهم ۖ «وضاق بهم ذرعاً» ۖ صدراً، لأنهم حسان
الوجه، في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه
ۖ «وقال هذا يوم عصيب» ۖ شديد.

٧٨ ۖ «وجاءه قومه» ۖ لما علموا بهم ۖ «يهرعون»
يسرعون ۖ «إليه ومن قبل» ۖ قبل مجيئهم ۖ «كانوا
يعملون السيئات» ۖ وهي: إتيان الرجال في الأدبار
ۖ «قال» ۖ لوط ۖ «يا قوم هؤلاء بناتي» ۖ [أي:
انصرفوا إلى النساء] فتزوجهن، [قال قتادة
ومجاهد وغيرهما: لم يكن بناته، ولكن كنن من
أُمَّته، وكل نبي أبو أُمَّته، وقال ابن جريج: أمرهم أن يتزوجوا النساء، ولم يُعرض عليهم سفاحاً، أي: زناً] ۖ «هن

(١) قول تعالى: «في قوم لوط»، أرسل نبي الله لوط عليه السلام إلى قومه، وكانت مدائنهم خمساً، عُرفت بـ «قرى» قوم لوط، وبـ «المؤنكة»،
أكبرها «سدوم»، بالدال المهملة، وهي التي كان يقيم فيها لوط، من بلاد الأردن على البحر الميت، وفي «معجم البلدان»: «سدوم» مدينة من
مدائن قوم لوط، وقال أبو حاتم: إنما هو «سدوم» بالدال المعجمة، والدال خطأ، قال الأزهرى: وهو الصحيح.
وعرف قوم لوط — بالإضافة إلى كفرهم — بإتيان الذكور وارتكاب الفواحش في ناديهم علانية؛ فأهلكهم الله، بأن جعل عالي قراهم
سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، كما سيأتي، ارجع إلى ص ٢٠٥.

أظهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون ﴿ففي ضيفي﴾ أضيافي (١) ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟.

٧٩ ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك﴾ [أي: نساء قومك] ﴿من حق﴾ حاجة، ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ من إتيان الرجال. ٨٠ ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ طاقة ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ غشيرة تنصرتني، لبطشت بكم.

٨١ فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ بسوء ﴿فأسر بأهلك بقطع﴾ طائفة ﴿من الليل ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إلا امرأتك﴾ بالرفع، بدل من «أحد»، وفي قراءة

بالنصب، استثناء من الأهل: أي فلا تُسر بها

﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾ فليل: لم يخرج بها،

وقيل: خرجت والتفت فقالت: واقوما،

فجاءها حجر فقتلها، وسألهم [لوط] عن وقت

ملاكهم فقالوا: ﴿إن موعدهم الصبح﴾ فقال:

أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أليس الصبح

بقريب؟﴾. ٨٢ ﴿فلما جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم

﴿جعلنا عاليها﴾ أي: قراهم ﴿سافلها﴾ أي:

بأن رفعها جبريل إلى السماء، وأسقطها مقلوبة

إلى الأرض ﴿وأمطرنا عليها حجارة من

سجيل﴾ طين طبخ بالنار ﴿منضود﴾ متتابع.

٨٣ ﴿مسومة﴾ معلمة، عليها اسم من يرمى بها

﴿عند ربك﴾ ظرف لها، [أي: للحجارة] ﴿وما

هي﴾ الحجارة، أو: بلادهم ﴿من الظالمين﴾

أي: أهل مكة ﴿ببعيد﴾.

٨٤ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى مدين﴾ (٢) أخاهم شعبياً

قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ﴿ما لكم

من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان

إنني أراكم بخير﴾ نعمة تغنيكم عن

التطيف ﴿وإنني أخاف عليكم﴾ إن لم تؤمنوا

الجزء الثاني عشر

أظهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس

منكم رجل رشيد ﴿٧٩﴾ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك

من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴿٨٠﴾ قال لو أن لي بكم قوة

أو آوي إلى ركن شديد ﴿٨١﴾ قالوا يلو ط إنا رسل

ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا

يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم

إن موعدهم الصبح أليس الصبح ب قريب ﴿٨٢﴾ فلما

جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة

من سجيل منضود ﴿٨٣﴾ مسومة عند ربك وما هي من

الظالمين ببعيد ﴿٨٤﴾ * وإلى مدين أخاهم شعبياً

قال يقيموا عبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا

المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم

(١) قوله: «أضيافي»، الضيافة من مكارم الأخلاق وآداب

الإسلام، ومن خلق النبيين والصالحين، ولقد حث

النبي ﷺ على إكرام الضيف، فقد أخرج الشيخان،

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه،

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت».

وروى البخاري، عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة»،

ورواه أحمد وأبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإلى مدين﴾. أرسل نبي الله شعيب عليه السلام إلى «مدين»، وهم: «أصحاب الأيكة»، و«الأيكة» هي: الغنضة ذات

الشجر الكثير، وتقع «مدين» في بلاد الحجاز مما يلي الشام، في الجهة الشمالية لخليج العقبة، وكان أهلها من العرب، سميت بلدتهم

باسم «مدين» أحد أولاد إبراهيم عليه السلام، ومع شركهم كانوا يبخسون المكيال والميزان ويفسدون في الأرض، فأهلكهم الله تعالى

بالصيحة كما سيأتي.

﴿عَذَابٌ يَوْمَ مُحِيطٍ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به مجاز، لوقوعه فيه.

٨٥ ﴿وَيَا قَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوا من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره، من «عَثِي» بكسر المثلثة: أفسد، و «مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها: «تعثوا».

٨٦ ﴿بِقِبَّةِ اللَّهِ﴾ رزقه، الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ رقيب، أجازيكم بأعمالكم، إنما بُعثت نذيراً.

٨٧ ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء ﴿يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف، [أي: بتكليفنا] ﴿أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ تترك ﴿أَنْ نَفْعَلَ﴾ [أي: وأن لا نفعل] ﴿فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ المعنى هذا أمر باطل، لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [أي: كما تزعم أنت لنفسك، أو:] قالوا ذلك استهزاء، [من فرط جهلهم وعنادهم].

٨٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [واسعاً] حلالاً؟ أفأشويه بالحرام، من البخس والتطفيف^(١) ١٢ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَى مَا أَنهَاجُ عَنْهُ﴾ فأتركه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم، [أي: أن تُصلحوا دنياكم] بالعدل، [وأخركم بالعبادة] ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ أرجع.

٨٩ ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يُكْسِبَنَّكُمْ^(٢) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافتي، [وهو] فاعل: «يَجْرِمُ»، والضمير مفعول أول، [والمفعول] الثاني، [هو: المصدر المؤول من جملة: ﴿أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب، [أي: لا يُكْسِبَنَّكُمْ خلافتكم لي، الإصابة بالعذاب، مثل ما أصاب غيركم، أي: لا تخالفوني فتهلكوا] ﴿وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ غيركم، أي: لا تخالفوني فتهلكوا] ﴿وَمَا قَوْمَ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم، أو: زمن هلاكهم ﴿مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا.

سُورَةُ هُودٍ

عَذَابٌ يَوْمَ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

٢٩٧

(١) قوله: «والتطفيف»، سيأتي معناه في أول سورة المطففين، ص ٧٩٦، وتقدم معنى «البخس» ص ٢٠٦.
(٢) قوله: «يُكْسِبَنَّكُمْ» هذا معنى من معاني «يجرمونكم» وبه قال الزجاج، وعليه جرى السيوطي في تفسير الآية، وتابعتا توضيحها، وهناك معنى آخر لا بأس به هو: «يجملنكم» فيكون معنى الآية: «لا يحملنكم خلافتكم لي، على ترك الإيمان، فيصيبكم ما أصاب الكفار قبلكم» قاله الحسن البصري وقادة السدوسي رحمهما الله تعالى.

٩٠ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ (١) بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم.

٩١ ﴿قَالُوا﴾ إيداناً بقلّة المبالاة ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً﴾ ذليلاً ﴿ولولا رهطك﴾ عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ بالحجارة ﴿وما أنت علينا بعزیز﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة.

٩٢ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتركوا (٢) قتلي لأجلهم، ولا تحفظوني لله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي﴾ [أي: جعلتم أمره] منبؤاً خلف ظهوركم، لا تراقبونه؟ ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً، فيجازيكم.

الْبُيُوتُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا قَمَا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَآتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ
وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيبًا
شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا
لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿٩٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾

٩٣ ﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالنكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [فليس كل عذاب يخزي ويذل، وفيه ردٌّ على تهديدهم له، بالرجم والتعذيب، أي: ليس ما تتوعدونني به من العذاب، هو المخزي، بل ما سيأتيكم من عذاب الله] ﴿و﴾ [ستعلمون أيضاً عند مجيء العذاب] ﴿مَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

٩٤ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجِيبًا﴾ والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴿صاح بهم جبريل﴾ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿باركين على الركب، ميتين﴾.

٩٥ ﴿كَانَ﴾ مخفية، أي: كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ﴾ (٣) كما بعدت ثمود.

٩٦ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر (٤).

(١) قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ الآية

ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٢ حيث بينا بعض فضائل الاستغفار ومنافعه الدنيوية، وإلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

(٢) قوله: ﴿فَتَرَكُوا﴾، هو منصوب بأن مضمره وجوباً، بعد فاء السببية المسبوبة بالاستفهام، وفي بعض النسخ المطبوعة: «فتركوا» بثبوت النون وهو خطأ.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «مدین» ص ٢٩٦، و «ثمود» ص ٢٩٣.

(٤) قوله: «برهان بين ظاهر» لقد أوتي موسى عليه الصلاة والسلام، آيات ومعجزات كثيرة، لفرعون وقومه من القبط، كالبعد والعصا، ليؤمنوا به ويتبعوه، وكذلك أوتي آيات ومعجزات أخرى، لقومه بني إسرائيل، ليأخذوا ما جاءهم به من التوراة بجد واجتهاد، وليعودوا عن غيهم، وقد بينا ذلك كله في تعليقنا ص ٢٧٨، فارجع إليه فقيه فوائد.

٩٧ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ

٩٨ ﴿يَقْدُمُ﴾ يَتَقَدَّمُ ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فَيَتَّبِعُونَهُ كَمَا اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنْيَا ﴿فَأُورِدَهُمُ﴾ أَدْخَلَهُمُ ﴿النَّارَ وَبَشَّ الْوَرْدَ الْمُرْوَدُ﴾ مَيَّ.

٩٩ ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أَيُّ: الدُّنْيَا ﴿لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لَعْنَةُ ﴿بَشَّ الرَّفْدُ﴾ الْعَوْنُ، [وَهِيَ اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا] ﴿الْمَرْفُودُ﴾ رَفَذَهُمْ [أَيُّ: أَرَفَدَتِ اللَّعْنَةُ الْأُولَى، بَلَعْنَةُ أُخْرَى تَقْوِيهَا، وَتَسْمِيَتُهَا «رَفْدًا»، تَهَكُّمٌ بِهِمْ].

١٠٠ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ، مَبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ ﴿مَنْ

أَنْبَاءُ الْقُرَى نَقَصَهُ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، [لِتُخْبِرَ بِهِ

قَوْمَكَ، لِيَعْتَبِرُوا] ﴿مِنْهَا﴾ أَيُّ: الْقُرَى ﴿قَائِمٌ﴾

هَلَكَ أَهْلُهُ دُونَهُ ﴿وَوُ﴾ مِنْهَا ﴿حَصِيدٌ﴾ هَلَكَ

بِأَهْلِهِ، فَلَا أَثَرَ لَهُ، كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ

بِالْمَنَاجِلِ.

١٠١ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ

﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالشَّرْكِ ﴿فَمَا

أَغْنَتْ﴾ دَفَعَتْ ﴿عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾

يَعْبُدُونَ ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: غَيْرِهِ ﴿مَنْ﴾

زَائِدَةٌ ﴿شَيْءٌ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عَذَابُهُ

﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ لَهَا ﴿غَيْرَ تَنْبِيءٍ﴾

تَخْشِيرٍ.

١٠٢ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مِثْلُ ذَلِكَ الْأَخَذِ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ

إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أَرَادَ أَهْلَهَا ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ (١)

بِالذَّنْبِ، أَيُّ: فَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَنْ أَخَذَهُ شَيْءٌ

﴿إِنْ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ﴾ رَوَى الشَّيْخَانُ، عَنْ

أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«إِنْ اللَّهُ لَيُكَلِّمُنِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ

لَمْ يَقُلْتُهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكَذَلِكَ أَخَذَ

رَبُّكَ، الْآيَةَ.

١٠٣ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ مِنَ الْقِصَصِ

﴿لَايَةً﴾ لَعِبْرَةٌ ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾

ذَلِكَ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ﴾ فِيهِ

النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ يُشْهَدُهُ جَمِيعُ

الْخَلَائِقِ.

١٠٤ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾

سُورَةُ هُودٍ

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ

بِرِشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ

وَبَشَّ الْوَرْدَ الْمُرْوَدُ ﴿١٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ بَشَّ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى

نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ

وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ

الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ

وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيءٍ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا

أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ

مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿٢٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا

لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ

لَوْ قَدْ مَعْلُومٌ عِنْدَ اللَّهِ.

١٠٥ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ فِيهِ حَذَفَ إِحْدَى النَّائِنِ، [أَصْلُهُ: لَا تَتَكَلَّمُ] «نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» تَعَالَى.

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَهِيَ ظَالِمَةٌ»، أَرْجِعْ إِلَى تَعْلِيلِنَا حَوْلَ «الظُّلْمِ» ص ١٢٨.

(٢) قَوْلُهُ ﷺ: «لَيُكَلِّمُنِي لِلظَّالِمِ»، أَيُّ: يُتَكَلَّمُ، يُقَالُ: «أَمَلَى لَهُ فِي عَيْهِ»، وَأَمَلَى اللَّهُ لَهُ: أَهْلَهُ وَطَوَّلَ لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْكَافِرِينَ: «وَأَمَلَى لَهُمْ»، أَيُّ: أَهْلَهُمْ «إِنْ كِيدِي مَتْنٍ».

﴿فمنهم﴾ أي: الخلق ﴿شقي و﴾ منهم ﴿سعيد﴾ كتب كل ذلك في الأزل. ١٠٦ ﴿فأما الذين شقوا﴾ في علمه تعالى ﴿ففي النار لهم فيها زفير﴾ صوت شديد ﴿وشهيق﴾ صوت ضعيف^(١). ١٠٧ ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إلا﴾ غير ﴿ما شاء ربك﴾ من الزيادة على مدتهما، مما لا منتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾. ١٠٨ ﴿وأما الذين سعدوا﴾ بفتح السين وضمها ﴿ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا﴾ غير ﴿ما شاء ربك﴾ كما تقدم، ودل عليه، [أي: على الخلود] فيهم، [أي: في السعداء] قوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل، هو الذي ظهر، وهو خالٍ من التكلف، والله أعلم بمراده^(٢). ١٠٩ ﴿فلاتك﴾ يا محمد ﴿في مرة﴾

شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم﴾ أي: كعبادتهم ﴿من قبل﴾ وقد عذبناهم ﴿وإنا لموفوهم﴾ مثلهم ﴿نصيهم﴾ حظهم من العذاب ﴿غير منقوص﴾ أي: تاماً. ١١٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق، إلى يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ في الدنيا، فيما اختلفوا فيه ﴿وإنهم﴾ أي: المكذبين به ﴿لفي شك منه مريب﴾ موقع في الريبة.

١١١ ﴿وإن﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿كلًا﴾ أي: كل الخلائق ﴿لما﴾ [بتخفيف الميم، و]، «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو: فارقة [بين «إن» المهملة والنافية]، وفي قراءة بتشديد «لما»، بمعنى: «إلا»، [القراءات أربع سبعة]، فـ «إن» [على قراءة التخفيف، بمعنى «ما»]، نافية ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ أي: جزاءها ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ عالم ببواطنه كظواهره.

١١٢ ﴿فاستقم﴾ على العمل بأمر ربك، والدعاء إليه ﴿كما أمرت و﴾ ليستقم ﴿من تاب﴾ آمن ﴿معك ولا تطفؤا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إنه بما تعملون

البقرة الثانية عشر

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿١١٠﴾ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ ﴿١١١﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءُ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿١١٢﴾ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴿١١٣﴾ نَصِيهِمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيِبٌ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٦﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) قوله: «صوت ضعيف» ما ذكره السيوطي في تفسير «الزفير والشهيق» مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورؤي عن آخرين أقوال أخرى، ولكن الصحيح الذي تساعد عليه اللغة: أن «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق» آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة، ولولا ذلك لَمَا كَانَ صوته أنكر الأصوات، ومعلوم أن الزفير: صوت يحدث عند إخراج الهواء من الصدر بقوة، والشهيق عند استنشاقه. وهما يصدران عن الإنسان أيضاً، إذا كان مرهقاً من التعب، ولا تعب أشد من عذاب النار، أي تنفسهم «زفير»، وأخذهم النفس «شهيق».

(٢) قوله: «والله أعلم بمراده» أي: بالاستثناء في هاتين الآيتين، فوجه السيوطي بما ذكره، ولقد فصلنا القول في معنى هذا الاستثناء في تعليقنا على قوله تعالى: ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ الآية (١٢٧) من سورة «الأنعام» ص ١٨٤، فارجع إليه ففيه فوائد.

بصير ﴿فمستكم﴾ تصيبكم ﴿النار وما لكم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿أولياء﴾ يحفظونكم منه ﴿ثم لا تنصرون﴾ تمنعون من عذابه.

١١٤ ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ الغداة والعشي، أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وزلفاً﴾ جمع «زلفة»، أي: طائفة ﴿من الليل﴾ المغرب والعشاء ﴿إن الحسنات﴾ ^(١) كالصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ الذنوب الصغائر، نزلت فيمن قبل أجنبية، [هو أبو اليسر: كعب بن عمرو السلمي الأنصاري، وقيل غيره] فأخبره ﷺ، فقال: ألي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه

الشيخان، [ولفظ البخاري: «لمن عمل بها من أمتي»] «ذلك ذكرى للذاكرين» عظة للمتعتلين.

١١٥ ﴿واصبر﴾ يا محمد على أذى قومك، أو: على الصلاة ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ بالصبر على الطاعة.

١١٦ ﴿فلولا﴾ فهلاً ﴿كان من القرون﴾ الأمم الماضية ﴿من قبلكم أولو بقية﴾ أصحاب دين وفضل ﴿ينهبون عن الفساد في الأرض﴾ المراد به النفي، أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إلا﴾ لكن ﴿قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ نهوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وأتبع الذين ظلموا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿ما أترفوا﴾ نعموا ﴿فيه وكانوا مجرمين﴾.

١١٧ ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾ منه لها ﴿وأهلها مصلحون﴾ مؤمنون.

١١٨ ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ أهل دين واحد ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الدين. ١١٩ ﴿إلا من رحم ربك﴾ أراد لهم الخير، فلا يختلفون فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وهي ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن ﴿والناس أجمعين﴾ [أي: من الكافرين من الثقلين، وهذا يدل على دخول الجن النار، وعذابهم فيها، كالإنس].

١٢٠ ﴿وكلاً﴾ نصب بـ «نقص»، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نقص عليك﴾

سُورَةُ هُودٍ ١١

بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ١١٤ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ١١٥ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١١٩ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

٣٠١

(١) قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، وروى أحمد والترمذي - وقال: حسن صحيح - والحاكم وغيرهم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تحبها، وخالف الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ»، يعني: لا يُعجزنك أيها الإنسان إذا فرطت منك سيئة، أن تتبعها بحسنة كصلاة وصدقة، فإن هذه تذهب تلك، ولكن لا يجوز استسهال الذنوب واستهوانها، كما يفعل بعض الجهلة، الذين يفترون الخطايا من الصغائر ثم يقولون: «هذه ليست كبائر، وبعد قليل ستزول ونصلي، فهذه بتلك»، فهذا من خداع الشيطان وغروره، وهو ما حذرنا منه النبي ﷺ فقد روى أحمد - ورواه محتج بهم في الصحيح - عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، =

من أنباء الرسول ما ﴿ بدل من كلاً ﴾ ثبت ﴿ نظمنا ﴾ به فؤادك ﴿ وجاءك في هذه ﴾ الأنباء، أو: الآيات ﴿ الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ خصوا بالذكرى، لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكفار.

١٢١ ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم ﴾ حالتكم ﴿ إنا عاملون ﴾ على حالتنا، تهديد لهم.

١٢٢ ﴿ وانتظروا ﴾ عاقبة أمركم ﴿ إنا منتظرون ﴾ ذلك.

١٢٣ ﴿ والله غيب السموات والأرض ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿ وإليه يرجع ﴾ بالبناء للفاعل، [أي: يعود، و] في قراءة بالبناء للمفعول، [أي: يرد] ﴿ الأمر كله ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿ فاعبد ﴾ وخذ ﴿ وتوكل عليه ﴾ ثق به، فإنه كافيك ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم، وفي قراءة بالفوقانية.

البقرة العشر

مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِخْدَىٰ عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

﴿سُورَةُ يُوسُفَ﴾ (١)

[عليه السلام]

(مكية، مائة وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، الإضافة بمعنى: «من»، «المبين» المظهر للحق من الباطل.

٢ ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة، [وغيرها من العرب] ﴿تعقلون﴾ تفهمون معانيه، [لأنكم عربيون فصحاء]. ٣ ﴿نحن نقص عليك

أن رسول الله ﷺ قال: «ليناكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعدو، وجاء ذا بعدو، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب، متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»، أي: متى يدان ويحاسب بها يرم القيامة يهلك مع الهالكين.

وروى الطبراني وأبو يعلى مثله، عن ابن مسعود مرفوعاً ورواه الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود أيضاً مرفوعاً عليه.

(١) قوله: «سورة يوسف» ذكرت قصة يوسف عليه السلام

في هذه السورة فقط، ولم تذكر في غيرها، وهي من عجائب القصص القرآني، لأنها تروي بكل صراحة ووضوح، كيف مالت امرأة العزيز إلى يوسف، وشغفها حباً، بأسلوب رصين، لا يشير في نفس القارئ شعوراً شياً، ولو أن قصة يوسف هذه، جاءت في غير القرآن، لكانت قصة تفتن الناس، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، قال عالم الحجاز عطاء بن أبي رباح: «لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح».

ومما ينبغي التنبيه إليه: أن بعض القصص والمفسرين، يتوسعون في تفصيل القصص الواردة في القرآن الكريم، بما لا دليل لهم عليه، بل وأحياناً بما لا يجوز أن يُنسب إلى نبي، فكانت قصة يوسف عليه السلام مجالاً واسعاً لهم، فلدشوا فيها من الأخبار والأقوال، ما لا يليق بيوسف — وهو الرسول — خاصة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾، كما سيأتي ص ٣٠٦، ولقد بينا وجه الصواب في جميع ما قيل عن الأنبياء في مواضعه، بما يكشف الغشاة، ويزيل الشك، بفضل الله تعالى.

أحسن القصص بما أوحينا ﴿إليك هذا القرآن وإن﴾ مخففة، أي: وإنه ﴿كنت من قبله لمن الغافلين﴾. ٤ اذكر ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ يعقوب ﴿يا أبت﴾ بالكسر، دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة، قُلبت عن الياء ﴿إني رأيت﴾ في المنام^(١) ﴿أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم﴾ تأكيد ﴿لي ساجدين﴾ جمع بالياء والنون، للوصف بالسجود، الذي هو من صفات العقلاء.

٥ ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك علي إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾ يحتالوا في هلاكك^(٢) حسداً، لعلمهم بتأويلها، من أنهم ﴿هم﴾: الكواكب، والشمس: أمك، والقمر: أبوك ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ظاهر العداوة.

٦ ﴿وكذلك﴾ كما رأيت ﴿يجتبيك﴾ يختارك ﴿ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ تعبیر الرؤيا ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ أولاده ﴿كما أتمها﴾ بالنبوة ﴿على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم.

٧ ﴿لقد كان في﴾ خبر ﴿يوسف وإخوته﴾^(٣) وهم أحد عشر ﴿آيات﴾ عبرة ﴿للسائلين﴾ عن خبرهم.

٨ اذكر ﴿إذ قالوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿ليوسف﴾ مبتداً ﴿وأخوه﴾ شقيقه ﴿بنيامين﴾ ﴿أحب﴾ خبر [المبتدا] ﴿إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إن أبانا لفي ضلال﴾ خطأ ﴿مبين﴾ بين، يابثارهما علينا.

٩ ﴿ثم تشاوروا بينهم﴾ فيما يفعلونه بيوسف، فقال بعضهم: ﴿أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يخل﴾

(١) قوله: ﴿في المنام﴾. ارجع إلى تعليقنا حول ﴿الرؤيا والحلم﴾ ص ٢٧٦.

(٢) قوله: ﴿يحتالوا في هلاكك حسداً﴾، «الحسد»: هو «تمني زوال النعمة عن صاحبها»، سواء كانت نعمة دين أو نعمة دنيا، وهو من أمراض القلوب، التي أمرنا الله بالاستعاذة من شر صاحبها بقوله: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ وروى أبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب»؛

وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي رواه الشيخان قوله ﷺ: «ولا تحاسدوا».

أما أن يتمنى الإنسان لنفسه مثل ما عند غيره، فهذه هي «الغبطة»، وهي محمودة لا شيء فيها، وإياها يعني النبي ﷺ بالحسد، في الحديث الذي رواه الشيخان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها» وفي رواية أخرى لهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ذكر فيها المال، ورجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار.

(٣) قوله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾، هؤلاء هم بنو إسرائيل أولاد يعقوب عليه السلام، ارجع إلى تعليقنا حول «الأسباط» لمعرفة الأنبياء منهم ص ٢٦، وإلى تعليقنا حول «بنو إسرائيل» ص ١٠، وإلى كتابنا: «بنو إسرائيل واليهود، تاريخ ومصير».

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٢﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلَّسَّائِلِينَ ﴿٥﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

لکم وجه أبیکم ﴿بأن یقبل علیکم﴾ ولا یلتفت لغيرکم ﴿وتکونوا من بعده﴾ أي: بعد قتل یوسف أو طرحه ﴿قوماً صالحین﴾ بأن تتوبوا.

١٠ ﴿قال قائل منهم﴾ هو «یهودا» ﴿لا تقتلوا یوسف والقوه﴾ اطرحوه ﴿فی غیابت الجب﴾^(١) مظلّم البثر، وفي قراءة: «غیابات» بالجمع ﴿یلتقطه بعض السیارة﴾ المسافرین ﴿إن کنتم فاعلین﴾ ما أردتم، من التفريق [بین یوسف وأبيه]، فاکتفوا بذلك، ثم تشاوروا بینهم مرة أخرى، لتنفيذ کیدهم، فاتفقوا على أخذه من أبيه بحيلة، فأتوا والدهم.

١١ ﴿قالوا یا أبانا ما لك لا تأمنا على یوسف وإننا له لناصحون﴾ لقائمون بمصالحه.

١٢ ﴿أرسله معنا غداً﴾ إلى الصحراء ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون والياء فیهما، نشطُ [بالمسابقة ورمي السهام]، ونشع [بأكل الثمار والطعام] ﴿وإننا له لحافظون﴾.

١٣ ﴿قال إني لیحزنني أن تذهبوا﴾ أي: ذهابکم ﴿به﴾ لفراقه ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وانتم عنه غافلون﴾ مشغولون.

١٤ ﴿قالوا لئن﴾ لام قسم ﴿أكله الذئب ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إننا إذا لخاسرون﴾ عاجزون. [أي: نحن نحمله من الذئاب، فلا نخف عليه]، فأرسله معهم.

١٥ ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾ عزموا ﴿أن يجعلوه فی غیابت الجب﴾ وجواب «لما» محذوف، أي: فعلوا ذلك، بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانتة، وإرادة قتله، وأذلوّه، فلما وصل إلى نصف البثر، ألقوه ليموت، فسقط فی الماء، ثم أوى إلى صخرة، فنادوه فأجابهم - یظن رحمتهم - فأرادوا رضخه بصخرة، فمتعهم «یهودا» ﴿وأوحینا إليه﴾ فی الجُبِّ، وحي حقيقة^(٢)، وله سبع عشرة سنة، أو دونها، تطمينا لقلبه ﴿لتنبتهم﴾ بعد الیوم ﴿بأمرهم﴾ بصنعهم ﴿هذا وهم لا یسعون﴾ بك حال الإناء.

١٦ ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ وقت المساء ﴿بیکون﴾.

لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ
الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَصِاحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتِعَ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ
الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا نَخْسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا

١٧ ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ نرمي ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن﴾ بمصدق ﴿لنا

(١) قوله تعالى: ﴿في غيابت الجب﴾، قال «ياقوت الحموي» في «معجم البلدان»: كان مقام يعقوب في قرية يقال لها «سِيلُون»، بأرض «نابلس»، وبه الجُبُّ الذي ألقى يوسف فيه، معروف بين «سَنْجِل» و«نابلس»، عن يمين الطريق. اهـ.

(٢) قوله: «وحي حقيقة» أي: بواسطة جبريل عليه السلام. وقيل: هو وحي إلهام، أي: ألهمه الله تعالى بما سيحصل له بعد ذلك، ولا مانع من القول بأحد هذين القولين، لأن المقصود هنا من الإيحاء إليه، تطمين قلبه عليه السلام، وإيناسه والتخفيف عليه.

ولو كنا صادقين ﴿عندك﴾، لأنهمتنا في هذه القصة، لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا؟ ١٨ ﴿وجاؤوا على قميصه﴾ محله نصب على الظرفية، أي: فوقه ﴿بدم كذب﴾ أي: ذي كذب، بأن ذبحوا «سَخْلَةً»، [— وهي المولودة لساعتها من الغنم، والمعز —] ولطخوه بدمها، وذَهَلُوا عَنْ شَقِّهِ، [أي: عن شق القميص]، وقالوا: إنه دمه ﴿قال﴾ يعقوب، لما رآه صحيحاً، وعلم كذبهم: ﴿بل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ففعلتموه به ﴿فصبر جميل﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: أمري، [أي: أما أمري، فصبر جميل] ﴿والله المستعان﴾ المطلوب منه العون ﴿على ما تصفون﴾ تذكرون من أمر يوسف. ١٩ ﴿وجاءت سيارة﴾ مسافرون من «مَدْيَنَ»^(١) إلى مصر، فزّلوا قريباً من جب يوسف ﴿فأرسلوا واردهم﴾ الذي يرد الماء، ليستقي منه ﴿فأدلى﴾ أرسل ﴿دلوه﴾ في البئر، فتعلق بها يوسف، فأخرجه، فلما رآه ﴿قال﴾ يا بشرى! وفي قراءة: «بشرى»، ونداؤها مجاز، أي: احضري فهذا وقتك ﴿هذا غلام﴾ فعلم به إخوته، [أي: إخوة يوسف، وكانوا منتظرين قرب البئر]، فأتوه ﴿وأسروه﴾ أي: أخفوا أمره، جاعليه «بضاعة» بأن قالوا: هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف، خوفاً أن يقتلوه ﴿والله عليم بما يعملون﴾. ٢٠ ﴿وشروه﴾ باعوه منهم ﴿بثمن بخس﴾ ناقص «دراهم معدودة» عشرين، أو: اثنين وعشرين ﴿وكانوا﴾ أي: إخوته [أو الذين اشتروه] ﴿فيه من الزاهدين﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر، فباعه الذي اشتراه، [قيل: بعشرين ديناراً، وزوجي نعل وثوبين. ٢١ ﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو: «قطفير» العزيز ﴿لامراته﴾ زليخا ﴿أكرمي مثواه﴾ مقامه عندنا ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ وكان [العزيز] حضوراً، [لا يأتي النساء، مع قدرته على ذلك، أو عقيماً] ﴿وكذلك﴾ كما نجيناه من القتل والجُبِّ، وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مكنا﴾ ليوسف في الأرض ﴿أرض مصر﴾، حتى بلغ ما بلغ ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ تعبير^(٢) الرؤيا، عطف على مقدّر، متعلّق بـ «مكنا»، أي: لنملكه، أو الواو زائدة، ﴿والله غالب على أمره﴾ تعالى، لا يعجزه شيء، [وقال

سورة يوسف ١٢

وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴿١٨﴾ فَصَبَرَ جَمِيلاً
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بِضُغَّةٍ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢١﴾
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمِّهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ

٣٠٥

سعيد بن جبیر: فعّال لما يشاء] ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ذلك. ٢٢ ﴿ولما بلغ أشده﴾ وهو ثلاثون سنة، أو: ثلاث «آتيانه حكماً» وعلماً ﴿فقها في الدين﴾، قبل أن يُبعث نبياً ﴿وكذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ لأنفسهم. ٢٣ ﴿ورأودته التي هو في بيتها﴾ هي زليخا ﴿عن نفسه﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها

(١) قوله: «مدین» هي: بلدة «شعيب» عليه السلام وقومه، ارجع إلى تعليقنا «حولها» ص ٢٩٦.

(٢) قوله: «تعبير الرؤيا»، ارجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحلم» ص ٢٧٦ ففيه فوائد.

«وغلقت الأبواب» للبيت «وقالت» له «هيت لك» أي: هلم، واللام للتبيين، وفي قراءة، بكسر الهاء [مع فتح التاء، كـ «قيل»]، و [في قراءة] أخرى، بضم التاء [مع فتح الهاء، كـ «حيث»] «قال معاذ الله» أعوذ بالله من ذلك «إنه» الذي اشترائني «ربي» سيدي «أحسن مثواي» مقامي، فلا أخونه في أهله، [أو: أن الضمير في: «إنه ربي»، يعود إلى الله تعالى، وهو الأقرب والأحسن] «إنه» أي: الشأن «لا يفلح الظالمون» الزناة.

٢٤ «ولقد همت به» ^(١) قصدت منه الجماع، [أو: لتبسط به، لعصيانه أمرها] «وهم بها» [ليضربها، أو: ليدفعها عنه، ولا يجوز أن يقال: قصد ذلك، أي: الجماع، لأنه معصوم عن ذلك] «لولا أن رأى برهان ربه» قال ابن عباس [في قوله تعالى: «لولا أن رأى برهان ربه»]:

«مثل له يعقوب، فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله»، [رواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي]، [قيل: وجواب «لولا»: «لجامعها»] [اقرأ التعليق] «بذلك» أريته البرهان «لنصرف عنه سوء» الخيانة «والفحشاء» الزنا «إنه من عبادنا المخلصين» في الطاعة، [بكسر اللام]، وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين.

٢٥ «واستبقا الباب» بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث فيه، فأمسكت ثوبه وجذبه إليها «وقدت» شقت «قميصه من دبر وألفيا» وجدا «سيداها» زوجها «لدى الباب» فتزمت نفسها، ثم «قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا» زنا «إلا أن يسجن» يحبس، أي: [إما] سجن «أو عذاب اليم» مؤلم، بأن يضرب.

٢٦ «قال» يوسف متبرئاً «هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها» ابن عمها، روي أنه كان في المهد، [أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس]، فقال [الشاهد]: «إن كان قميصه قد شق من قبل» قدّم «فصدقت وهو من الكاذبين».

٢٧ «وإن كان قميصه قد من دبر» خلف «فكذبت وهو من الصادقين».

٢٨ «فلما رأى» زوجها «قميصه قد من دبر قال إنه» أي: قولك «ما جزاء من أراد الخ» [من كيدكن] «مكركن وخداعكن» [إن كيدكن] أيها النساء «عظيم» ٢٩ ثم قال: يا «يوسف أعرض عن هذا» الأمر، ولا تذكره، لئلا يشيع

البقرة الثانية عشرة

وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ٢٤ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٥ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٢٦ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ ظَلَمَ كَبَدَنَّ كَيْدَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ رَبَّهُ فَكَبَدَ كَيْدَهُ ٢٨

(١) قوله تعالى: «ولقد همت به وهم بها» الآية ٢٤. دع عنك ما ذهب إليه السيوطي وغيره في تفسير هذه الآية، ولا تلتفت إليه، ولا تعتمد عليه، لأنهم نقلوا من غير تحقيق، ونشروا الآية معتمدين على روايات لا يجوز الاعتماد عليها، وإليك خلاصة جهدي يعلم الله تعالى وحده مداه، بذلك في تتبع تلك الروايات، التي نسجت حول قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، بحثاً عن تفسير صحيح لهذه الآية، =

﴿واستغفري﴾ يا زليخا ﴿لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ الاثمين، واشتهر الخبر وشاع. ٣٠ ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ بمدينة مصر ﴿امراة العزيز تراود فتاها﴾ عبدا ﴿عن نفسه قد شغفها حبا﴾ تميز، أي: دخل حبه شغاف قلبها، أي: غلافه ﴿إنا لنراها في ضلال﴾ أي: في خطأ ﴿مبين﴾ بين، بحبها إياه. ٣١ ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ غيبتهن لها ﴿أرسلت إليهن وأعدت﴾ أعدت ﴿لهن متكا﴾ طعاماً يقطع بالسكين، للاتكاء عنده، [على عادة المتكبرين]، وهو: الأترج ﴿وآتت﴾ أعطت ﴿كل واحدة منهن سكيناً﴾ وقالت ﴿ليوسف﴾ أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ﴿أعظمنه﴾ وقطعن أيديهن ﴿بالسكاكين﴾ ولم يشعرن بالألم، لشغل قلبهن بيوسف ﴿وقلن حاش لله﴾ تنزيهاً له ﴿ما هذا﴾ أي: يوسف ﴿بشرأ إن﴾ ما ﴿هذا إلا ملك كريم﴾ لما حواه من الحسن، الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحسن»، [رواه مسلم في حديث المعراج، وغيره].

٣٢ ﴿قالت﴾ امراة العزيز، لما رأت ما حل بهن: ﴿فذلكن﴾ فهذا هو الذي لمتني فيه في حبه، بيان لعذرها ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع ﴿ولكن لم يفعل ما أمره﴾ به ﴿ليسجن﴾ وليكوناً من الصاغرين الذليلين. [وفي قولها هنا: «ليسجن»، وقوله قبله: «إلا أن يسجن» أو عذاب الألم، ثم اعترافها جهرة أمام الملك، إشارة إلى تسلط النساء في ذلك الوقت، على الرجال، حتى في الحكم].

٣٣ فقلن له: أطع مولاتك ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب﴾ أمل ﴿إليهن وأكن﴾ أصبر ﴿من الجاهلين﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء، فلذا قال تعالى: ٣٤ ﴿فاستجاب له ربه﴾ دعاه

وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٠﴾
* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتِ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٢﴾
قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

١ - لا يتعارض مع غيرها من الآيات، ولا يتناقض مع منزلة الأنبياء، ولكي يكون المعنى واضحاً، فقد حددنا من الآية مسائل، ثم شرخناها، مراعين الأمور التالية:
١ - اختلف علماء اللغة في جواز تقديم جواب «لولا» عليها، فقال بعضهم: بالجواز، وعليه: فإن يوسف لم يهّم بها أصلاً، وقال آخرون: بعدم جوازه، وعليه: فإن يوسف قد هّم بها كما سنبين.

٢ - وأما قراء القرآن، فقد اتفق جمهورهم على الوقف عند قوله تعالى: ﴿ولقد همت به﴾، إذ بهذا الوقف يتخلص القارئ من شيء لا يليق بنبي، وهو: أن يهّم بامرأة، وينفصل قوله تعالى: ﴿وهم بها﴾ من حكم القسم قبله، أي: «ولقد»، ويصير: ﴿وهم بها﴾، مستأنفاً، إذ الهم منه متفرق لوجود البرهان.

٣ - وأمانا أيضاً روايات - ملفقة باطلة - قالت عن يوسف: إنه حلّ سراويله، وقعد منها مقعد الخائن، أو: مقعد الرجل من المرأة، ثم امتنع بعد أن رأى والده يعقوب عاصاً على أصبعه يقول له: يوسف... يوسف... إلى غير ذلك من الإسرائيليات المردودة.

٤ - وأمانا كذلك، أقوال الذين فسروا هذه الآية، بناءً على تلك الروايات، ولم يظهروا ما فيها من خلل، خلافاً لما هو الواجب.

٥ - وبين أيدينا أقوال علماء آخرين، ممن تصدّوا لتلك الأقوال والروايات، بالمناقشة والتحقيق والبيان فمع ملاحظة هذه الأمور،

سنبحث في المسائل الآتية فنقول:

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بالفعْل. ٣٥ ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ من بعد ما رأوا الآيات ﴿الدَّالَاتِ عَلَى بَرَاءَةِ يُوسُفَ، أَنْ يَسْجُنُوهُ، دَلٌّ عَلَى هَذَا: ﴿لِيَسْجُنَنَّهُ حَتَّى﴾ إِلَى ﴿حِينَ﴾ يَنْقُطِعَ فِيهِ كَلَامُ النَّاسِ، فَسُجِنَ. ٣٦ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾ غَلَامَانِ لِلْمَلِكِ، أَحَدُهُمَا سَاقِيهِ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِهِ، فَرَأَاهُ يَغْبِرُ الرُّؤْيَا، فَقَالَا: لِنَخْتَبِرَنَّهُ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ وَهُوَ: السَّاقِي ﴿إِنِّي أَرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا﴾ أَي: عِنْبًا ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْهُ خَمْرًا﴾ وَقَالَ الْآخَرُ: وَهُوَ: صَاحِبُ الطَّعَامِ ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِثًا﴾ خُبْرُنَا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بِتَعْبِيرِهِ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. ٣٧ ﴿قَالَ﴾ لَهُمَا، مَخْبَرًا أَنَّهُ عَالِمٌ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ فِي مَنَامِكُمَا إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ فِي الْبَقِيَّةِ ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ تَأْوِيلُهُ ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فِيهِ حَثٌ عَلَى إِيْمَانِهِمَا، ثُمَّ قَوَاهُ بِقَوْلِهِ ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ دِينِ قَوْمٍ لَا يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ تَاكِيدُ كَافِرُونَ﴾. ٣٨ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لِعَصْمَتِنَا ﴿ذَلِكَ﴾ التَّوْحِيدُ ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللَّهُ، فَيُشْرِكُونَ. ٣٩ ثُمَّ صَرَحَ بِدَعَائِهِمَا إِلَى الْإِيْمَانِ فَقَالَ: ﴿يَا صَاحِبِي﴾ سَاكِنِي ﴿السِّجْنَ الْأَرْبَابَ﴾

الْبَيْتُ الثَّالِثُ عَشَرَ

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥
ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَنَّهُ حَتَّى
حِينَ ٣٦ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا
إِنِّي أَرْنِي أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ
فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِثًا بِتَأْوِيلِهِ ٣٧
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٣٨ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ
تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٣٩ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٤٠ يَصْصَحِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ

* أولاً: «من هو يوسف؟»

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «أكرم الناس: يوسف، نبيُّ الله، ابنُ نبيِّ الله، ابنُ نبيِّ الله، ابنُ خليل الله». الحديث... يعني: ابن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام.

هذا هو «يوسف» كما وصفه رسولنا محمد ﷺ في هذا الحديث الصحيح، فهل يفعل أكرم الناس، ما قيل في تلك الروايات إنه فعله مع امرأة العزيز؟

* ثانياً: «ماذا قال العلماء في هذه الروايات؟»

قال الشهاب الخفاجي في «شرح الشفاء»: وما وقع في القصص من حلِّ السراويل وما بعده... كذب لا أصل له. اهـ. حتى إن الزمخشري في «الكشاف»، ردّها بشدة، ومثله فعل الرازي في تفسيره، وقال

الزمخشري: «ولو أن أوقع الزناة وأشطروهم، وأحلّهم حدّةً — أي: أوقعهم — وأصلحهم وجهاً، لقي بأدنى ما لقي به نبيُّ الله، مما ذكروا، لما بقي له عرق يتبّض، ولا عضو يتحرك، فيا له من مذهب ما أفحشه، ومن ضلال ما أبتغره» اهـ.

ونضيف إلى ذلك: أنه ليس في تلك الروايات، رواية واحدة صحيحة ومقبولة، بل لا شيء منها يُعَيَّل، لا من حيث السند ولا العتن، لأنها تتعارض مع نص القرآن وعصمة الأنبياء كما سنرى.

* ثالثاً: «حصول الهمّ منه عليه السلام».

وهذا على القول، بعدم جواز تقديم جواب «الولا» عليها، فماذا قال العلماء في هذا الشأن؟ قال الشهاب الخفاجي: ضمير: «هَمَّتْ» لامرأة العزيز، وضمير: «هَمَّ» ليوسف.

متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ خير؟ استفهام تقرير. ٤٠ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَصْنَامًا ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ عِبَادَتَهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ الْقَضَاءُ ﴿إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ ﴿أَمْرٌ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التَّوْحِيدُ ﴿الَّذِينَ الْقِيمُ﴾ الْمُسْتَقِيمُ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكَفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُمْ يَشْرَكُونَ. ٤١ ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحْذَكُمَا﴾ أي: السَّاقِي، فَيُخْرِجُ بَعْدَ ثَلَاثِ ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سَيِّدَهُ ﴿خَمْرًا﴾ عَلَى عَادَتِهِ ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فَيُخْرِجُ بَعْدَ ثَلَاثِ ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكُمْ، فَقَالَا: مَا رَأَيْنَا شَيْئًا، فَقَالَ: ﴿قَضَى الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [أي: سَيَقَعُ الْأَمْرُ الَّذِي] سَأَلْتُمَا عَنْهُ، صَدَقْتُمَا أَمْ كَذَبْتُمَا. ٤٢ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أَيْقَنَ ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وَهُوَ: السَّاقِي ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سَيِّدِكَ، فَقُلْ لَهُ: إِنْ فِي السِّجْنِ غَلَامًا مَحْبُوسًا ظَلَمًا، فَخَرَجَ ﴿فَأَنْسَاهُ﴾ أي: السَّاقِي ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَ﴾ يَوْسُفَ عِنْدَ ﴿رَبِّهِ فَلَبِثَ﴾ مَكَثَ يَوْسُفَ ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قِيلَ: سَبْعًا، وَقِيلَ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

٤٣ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ مَلِكُ مِصْرَ: «الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ» ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي: رَأَيْتُ [فِي الْمَنَامِ] ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ يَبْتَغِيْنَ سَبْعَ﴾ مِنَ الْبَقَرِ ﴿عِجَافٍ﴾ جَمْعُ «عِجْفَاء»، [أي: هِزْلَاءِ] ﴿وَسَبْعَ سَنَابِلَاتٍ خُضْرٍ وَآخَرَ﴾ أي: سَبْعَ سَنَابِلَاتٍ ﴿يَابَسَاتٍ﴾ قَدْ تَوَثَّ عَلَى الْخُضْرِ، وَعَلَتْ عَلَيْهَا ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ يَبْنُو لِي تَعْبِيرَهَا ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فَاعْبُرُوهَا. ٤٤ ﴿قَالُوا﴾ هَذِهِ «أَضْفَاثُ» أَخْلَاطُ «أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ

وَالْهَمُّ»: يَكُونُ بِمَعْنَى: «الْعَزْمُ الْمَصْنُوعُ عَلَى أَمْرٍ»، وَبِمَعْنَى: «مِيلٌ طَبِيعِيٌّ غَيْرُ اخْتِيَارِيٍّ»، وَهِيَ بِالْمَعْنَى الْأُولَى وَهُوَ: إِرَادَتُهَا الْفَاحِشَةُ، وَهِيَ بِالْمَعْنَى الثَّانِي، وَهُوَ غَيْرُ مَذْمُومٍ، بَلْ هُوَ مَدْحُوحٌ يُوجِرُ عَلَيْهِ، وَبِمَثَلِهِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضُ مَضِيْفًا: أَنَّ هَذَا مَذْهَبَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالتَّكَلِّمِيِّينَ، وَقَدْ ذَكَرُوا مَعَانِي أُخْرَى لَهُمْ يَوْسُفَ، مِنْهَا مَا فِي «شَرْحِ الشِّفَاءِ»، قِيلَ: هَمٌّ بِضَرْبِهَا وَدَفْعُهَا حِينَ أَسْكَنَتْهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَاهُ بِرَهَانِهِ، بِأَنَّهُ لَوْ ضَرْبُهَا لَثَبَتْ عَلَيْهِ التَّهْمَةُ، وَلَصَدَّقُوها فِي قَوْلِهَا بِإِخْلَافٍ، وَأَضْفَا الرَّاظِي هُنَا: أَنَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ يَوْسُفَ، أَنَّهُ لَوْ هَمٌّ بِدَفْعِهَا لَقَتَلَتْهُ،

أَوْ: لَكَانَتْ تَأْمُرُ الْحَاضِرِينَ بِقَتْلِهِ، وَأَضْفَا الْقُرْطُبِيُّ هُنَا أَيْضًا: إِذْ لَوْ ضَرْبُهَا لَأَوْهَمَ أَنَّهُ قَصْدُهَا بِالْحَرَامِ، فَامْتَنَعَتْ، فَضَرْبُهَا. اِهْدِ. وَنَقُولُ: هَذَا التَّفْسِيرُ أَقْرَبُ لِأَذْهَانِ الْعَامَّةِ، وَيَنْبَغِي التَّعْوِيلُ عَلَيْهِ، وَبِهِ صَوْنُ الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ. * رَابِعًا: «لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ هَمٌّ أَصْلًا»:

وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ بِجَوَازِ تَقْدِيمِ جَوَابِ لَوْلَا عَلَيْهَا، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: وَقَدْ حَكَى أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ يَوْسُفَ لَمْ يَهْمُ، وَأَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَيْ: لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ رَأَى بِرَهَانٍ رَبِّهِ لَهُمْ بِهَا، وَبِمَثَلِهِ قَالَ الرَّازِيُّ، وَأَضْفَا: وَهَذَا لَوْ جَوَّبَ عَصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ..

* خَامِسًا: «مَا هُوَ الْبِرْهَانُ الَّذِي رَأَى يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟»..

أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ، حَدِيثُ الْحَاكِمِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي «الْبِرْهَانِ» قَالَ: «مَثَلٌ لَهُ يَعْقُوبُ، فَضَرْبُ صَدْرِهِ، =

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَنْصَحِبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحْذَكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سَنَابِلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ

بتأويل الأحلام بعالمين. ٤٥ ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من الفتيين، وهو: الساقى ﴿وإذكر﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً، وإدغامها في الذال، أي: تذكر ﴿بعد أمة﴾ [أي: بعد] حين، حال يوسف [في السجن]: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ فأرسلوه، فأتى يوسف، فقال [له]: ٤٦ يا ﴿يوسف أيها الصديق﴾ الكثير الصدق ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لعلهم يعلمون﴾ تعبيرها. ٤٧ ﴿قال تزرعون﴾ أي: ازرعوا ﴿سبع سنين دأباً﴾ متتابعة، وهي تأويل «السبع السمان» ﴿فما حصدم فذرؤه﴾ أي: اتركوه ﴿في سنبله﴾ لئلا يفسد ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾ فادرسوه. ٤٨ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي: السبع المخصبات

البقرة العجاف

بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمَيْنِ ۖ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۖ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يُاسْتَسْتَلَىٰ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۖ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا فَصَدَّم فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ۖ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَكُلُونَ ۖ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۖ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ۖ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُوتَنِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَبَالَ النِّسْوَةِ ۖ الَّتِي قَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ ۖ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ

﴿سبع شداد﴾ مجذبات صعب، وهي تأويل «السبع العجاف» ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات، أي: تأكلونه فيهن ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تدخرون [للبدرا]. ٤٩ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي: السبع المجذبات ﴿عام فيه يغاث الناس﴾ بالمطر ﴿وفيه يعصرون﴾ الأعناب وغيرها، لخصبه. ٥٠ ﴿وقال الملك﴾ لما جاءه الرسول، وأخبره بتأويلها ﴿أتتوني به﴾ أي: الذي عبرها ﴿فلما جاءه﴾ أي: يوسف ﴿الرسول﴾ وطلبه للخروج ﴿قال﴾ قاصداً إظهار براءته ﴿ارجع إلى ربك فاسأله﴾ أن يسأل ﴿مابال﴾ حال «النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ إن ربي سيدي، [أو: ربي] يعني الله تعالى، وهو الأحسن. ﴿بكيدهن عليهن﴾ فرجع، فأخبر الملك، فجمعهم. ٥١ ﴿قال ما خطبكن﴾ شأنكن ﴿إذ راودتن﴾

فخرجت شهوته من أنامله، قال ابن كثير في تفسيره: ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك - الذي ذكر في الروايات - فالصواب: أن يطلق كما قال الله تعالى، وبمثلته قال القرطبي، وذكر الرازي أربعة وجوه لمعنى البرهان، أحدها: أنه «النبوة» المانعة من ارتكاب الفواحش، أحد: أي: لو لم يكن نبياً لهم بها كما هممت به، فإذا أردنا أن نحدد للبرهان معنى، فإن حملته على «النبوة» أسلم ما يحمل عليه، وإلا فليترك المعنى مطلقاً، كما صوّبه ابن كثير، يضاف إلى كل ذلك، أننا لو عدنا إلى آيات سورة يوسف، لوجدناها متضافرة، على أنه عليه السلام، لم يفعل شيئاً غير لائق مطلقاً، والدليل عليه ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ فلم يستجب لمرآودتها، وهي التي «غلقت الأبواب»

لكي لا يهرب، ﴿وقالت هت لك﴾ أي: تعال، وهلم، فقال فوراً: ﴿معاذ الله﴾ أي: أعوذ بالله منك، ومما أردته مني من الفاحشة، وقول يوسف: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾، وقوله بعد ذلك: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾، وشهادة الشاهد من أهلها، التي جاء الواقع يؤيدها، وقول العزيز لما رأى قميصه قد من دبر: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾، ثم قوله ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾، وقوله لأمراته: ﴿واستغفري لديك إنك كنت من الخاطئين﴾، فلم يوجه لوماً إلى يوسف، مع أن القضية خطيرة تتعلق بامرأته. وهو عزيز مصر.

وقولها لئساء المدينة اللاتي لئنهن: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع لعصمة الله له. وهذا يؤيد تفسير «البرهان» بالنبوة، ثم قولها أخيراً: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾، وقول النسوة جميعاً: ﴿حاش الله ما علمنا عليه من سوء﴾، ورفضه الخروج من السجن إلا بعد إعلان براءته. وهذا ما حدث، ثم استخلصه الملك لنفسه، وجعله على خزائن الأرض.

يوسف عن نفسه؟ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص وضع الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله: «هي راودتني عن نفسي»، فأخبر يوسف بذلك^(١) فقال:

٥٢ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿ليعلم﴾ العزيز ﴿أنني لم أخنه﴾ في أهله ﴿بالغيب﴾ حال ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ثم تواضع لله فقال: ٥٣ ﴿وما أبرئ نفسي﴾ من الزلل ﴿إن النفس﴾ الجنس ﴿لأثارة﴾ كثيرة الأمر ﴿بالسوء﴾ إلا ما ﴿بمعنى من﴾ ﴿رحم ربي﴾ فعصمه ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ [اقرأ التعليق].

٥٤ ﴿وقال الملك اتنوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام، وودع أهل السجن، ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثياباً حسنة، ودخل عليه ﴿فلما كلمه قال﴾ له ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام، وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وادّخر الطعام في سنبله، فتأتي إليك الخلق ليمتاروا، [أي: ليأخذوا الميرة، وهي: الطعام] منك، فقال: ومن لي بهذا؟

٥٥ ﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ أرض مصر ﴿إني حفيظ عليم﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

٥٦ ﴿وكذلك﴾ كإنعامنا عليه، بالخلاص من السجن ﴿مكناً ليوسف في الأرض﴾ أرض مصر ﴿يتبوأ﴾ ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة: أن الملك تزوجه وختمه، [أي: حلّه بخاتمه]، وولاه مكان العزيز وعزله، ومات [العزيز] بعد، فزوجه امرأته، فوجدوها عذراء، وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر، ودانت له الرقاب ﴿نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾. ٥٧ ﴿ولأجر الآخرة﴾ خير ﴿من أجر الدنيا﴾ للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ودخلت سنو القحط، وأصاب القحط﴾ أرض كنعان والشام.

٥٨ ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا، لما بلغهم: أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه

سورة يوسف ١٢

يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ٥٢
وَمَا أَبرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣ وَقَالَ الْمَلِكُ
اتَّنُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ٥٤ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦ وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٥٧ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

٣١١

(١) قوله: «فأخبر يوسف بذلك فقال»، إن جعل الآيتين ٥٢ و ٥٣ من كلام يوسف عليه السلام، هو قول الطبري، وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم، ولكن سياق الآيات لا يؤيده، قال ابن كثير: إن الكلام كله، من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك، وهذا هو القول الأشهر والأليق، والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وهو الأقوى والأظهر، ويكون المعنى ﴿ذلك﴾ أي: اعترافي بهذا على نفسي ﴿ليعلم﴾ زوجي ﴿أنني لم أخنه بالغيب﴾ بفعل الفاحشة، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، ثم قالت: ﴿وما أبرئ نفسي﴾ فإن النفس تهوى وتتمنى، ولهذا راودته ﴿إن النفس لأثارة بالسوء﴾ إلا ما رحم ربي، أي: إلا من عصمه الله.

﴿فدخلوا عليه فعرفهم﴾ أنهم إخوته ﴿وهم له منكرون﴾ لا يعرفونه، لبعد عهدهم به، وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر، فذهب أصغرنا، هلك في البرية، وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه، فاحتبسه ليتسلى به عنه، فأمر بئزاهم وإكرامهم.

٥٩ ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ وثى لهم كيلهم ﴿قال اتنوني بأخ لكم من أبيكم﴾ أي: «بنيامين»، لأعلم صدقتكم فيما قلتكم ﴿ألا ترون أنني أوفي الكيل﴾ أتمه من غير بخس ﴿وأنا خير المنزلين﴾؟

الْبُرَّةُ الْبَالِغَةُ

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتُّنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتِلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا

٦٠ ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ أي: ميرة ﴿ولا تقربون﴾ نهى، أو: عطف على محل: «فلا كيل»، أي: تُخَرِّمُوا وَلَا تَقْرَبُوا، [أي: لا كيل ولا قُرب].

٦١ ﴿قالوا سرود عنه أباه﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وإننا لفاعلون﴾ ذلك.

٦٢ ﴿وقال لفتنه﴾ وفي قراءة: «لفتيانه»، غلمانة ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿في رحالهم﴾ أوعيتهم ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلينا، لأنهم لا يستحلون إمساكها.

٦٣ ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ بالنون والياء ﴿وإننا له لحافظون﴾.

٦٤ ﴿قال هل﴾ ما ﴿آمنكم عليه إلا﴾ كما آمنتم على أخيه ﴿يوسف﴾ من قبل ﴿وقد فعلتم به ما فعلتم؟﴾ فאלله خير حَفِظًا وفي قراءة: «حافظًا»، تمييز، كقولهم: لله دَرَّةٌ فارساً ﴿وهو أرحم الرحمين﴾ فارجو أن يَمُنَّ بحفظه.

٦٥ ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ «ما» استفهامية، أي شيء نطلب من إكرام الملك، أعظم من هذا؟ وقرئ [شدوذا: «تبغي»] بالفوقانية، خطاباً ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا﴾ نأتي بالميرة لهم، وهي: الطعام ﴿ونحفظ أخانا﴾

ونزداد كيل بعير ﴿لأخينا﴾ ذلك كيل يسير ﴿سهل على الملك﴾، لسخائه.

٦٦ ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً﴾ عهداً ﴿من الله﴾ بأن تحلفوا ﴿لأنني به﴾ إلا أن يحاط بكم ﴿بأن تموتوا أو تغلبوا﴾ فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابه إلى ذلك ﴿فلما أتوه موثقهم﴾ بذلك ﴿قال الله على ما نقول﴾ نحن وأنتم ﴿وكيل﴾ شهيد، وأرسله معهم.

٦٧ ﴿وقال يا بني لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ لئلا تصيبكم العين^(١) ﴿وما أغني﴾ أذفع ﴿عنكم﴾ بقولي ذلك ﴿من الله من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ قدره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إن﴾ ما ﴿الحكم إلا﴾ الله وحده ﴿عليه توكلت﴾ به وثقت ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾.

سُورَةُ الْيُونُسَ ١٢

وَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَنَا تُنْذِرُ بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ
بَكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

٣١٣

٦٨ قال تعالى: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ أي: متفرقين ﴿ما كان يغني عنهم من الله﴾ أي: قضائه ﴿من شيء إلا﴾ لكن ﴿حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ وهي: إرادة دفع العين شفقة ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ لتعليمنا إياه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ إلهام الله لأصفيائه.

٦٩ ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى﴾ ضم ﴿إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس﴾ تحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه، على أنه سيحتال، [أي: سيفعل حيلة]، على أن يبقية عنده.

٧٠ ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾ هي: صاع من ذهب مرصع بالجواهر، [كان الملك يشرب فيه] ﴿في رحل أخيه﴾ بنيامين

(١) قوله: «لئلا تصيبكم العين». أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «العين حق» أي: الإصابة بها ثابتة موجودة، ولها تأثير في النفس، وزاد مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ولو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين» أي: أن العين من القدر، ولأن العين قد تصيب، فإن على الناظر «العائن»، إذا رأى شيئاً أثار إعجابه، أن يذكر الله عز وجل، أو يدعو بالبركة، فقد روى النسائي، عن

عامر بن ربيعة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه، فليدع بالبركة، فإن العين حق»، وأخرج البزار، وابن السنني، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، لم يضره».

ويُعَوِّذُ «المعيون» الذي أصابته عين، بآيات القرآن العظيم، والأذكار الواردة، فقد روى البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: «أعذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»، و«الهامة»: كل ذات سم يقتل كالحية، و«العين اللامة»: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء، أما الأحاديث الواردة في النهي عن الرقي، فهي محمولة على ما كان منها بغير اللسان العربي، وبغير أسماء الله وصفاته وكلامه، أو أن يعتقد الإنسان أن الرقية نافعة لا محالة، فيتكل عليها.

﴿ثم أذن مؤذن﴾ نادى مناد، بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أيتها العير﴾ القافلة ﴿إنكم لسارقون﴾. ٧١ ﴿قالوا﴾
﴿قد﴾ ﴿أقبلوا عليهم ماذا﴾ ما الذي ﴿تفقدون﴾؟. ٧٢ ﴿قالوا نفقد صواع﴾ صاع ﴿الملك ولمن جاء به حمل﴾
﴿بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به﴾ بالحمل ﴿زعيم﴾ كفيل. ٧٣ ﴿قالوا تالله﴾ قسم، فيه معنى التعجب ﴿لقد علمتم﴾
﴿ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾ ما سرقنا قط. ٧٤ ﴿قالوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه ﴿فما جزاؤه﴾ أي:
السارق ﴿إن كنتم كاذبين﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟.

٧٥ ﴿قالوا جزاؤه﴾ مبتدأ، خبره: ﴿من وجد في رحله﴾ يسترق، ثم أكد بقوله ﴿فهو﴾ أي: السارق ﴿جزاؤه﴾
أي: المسروق، لا غير، وكانت سئة
آل يعقوب ﴿كذلك﴾ الجزء ﴿نجزي﴾
الظالمين ﴿بالسرقة﴾، فصرحوا ليوسف بتفتيش
أوعيتهم.

٧٦ ﴿فبدأ بأوعيتهم﴾ ففتشها ﴿قبل وعاء أخيه﴾
لئلا يتهم ﴿ثم استخرجها﴾ أي: السقاية ﴿من﴾
وعاء أخيه، قال تعالى ﴿كذلك﴾ الكيد
﴿كدنا ليوسف﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه
﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه﴾ رقيقاً عن
السرقة ﴿في دين الملك﴾ حكم ملك مصر،
لأن جزاءه: الضرب، وتغريم مثلي المسروق،
لا الاسترقاق ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أخذه بحكم
أبيه، أي: لم يتمكن من أخذه، إلا بمشيئة
الله، بإلهامه سؤال إخوته، وجوابهم بستهم
﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بالإضافة والتنوين،
في العلم، كيوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾ من
المخلوقين ﴿عليم﴾ أعلم منه، حتى ينتهي إلى
الله تعالى.

٧٧ ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾
أي: يوسف، فقد سرق^(١) لأبي أمه صنماً
من ذهب، فكسره لئلا يعبد ﴿فأسرها يوسف﴾
في نفسه ولم ييدها ﴿يظهرها﴾ لهم
والضمير للكلمة التي في قوله: ﴿قال﴾ في
نفسه ﴿أنتم شر مكاناً﴾ من يوسف وأخيه،
لسرقتكم أخاكم من أبيكم، وظلمكم له ﴿والله﴾
أعلم ﴿عالم﴾ بما تصفون ﴿تذكرون من أمره﴾.

الجزء الثاني عشر

﴿ثم أذن مؤذن﴾ أي: السارق ﴿إنكم لسارقون﴾ ٧١ ﴿قالوا وأقبلوا﴾
﴿عليهم ماذا تفقدون﴾ ٧٢ ﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن﴾
﴿جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ ٧٣ ﴿قالوا تالله لقد علمتم﴾
﴿ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾ ٧٤ ﴿قالوا فما﴾
﴿جزاؤه﴾ إن كنتم كاذبين ٧٥ ﴿قالوا جزاؤه من وجد﴾
﴿في رحله فهو جزاؤه﴾ كذلك نجزي الظالمين ٧٥
﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ ثم استخرجها من وعاء
أخيه ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين﴾
﴿الملك إلا أن يشاء الله﴾ نرفع درجات من نشاء وفوق
﴿كل ذي علم عليم﴾ * ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق﴾
﴿أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها﴾
﴿لهم﴾ قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون ٧٧

(١) قوله: ﴿فقد سرق لأبي أمه صنماً﴾ روى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس عن فروخ بن قيس عن حماد بن عمار، وقيل: سرق من خالته، وقيل: سرق ميلين من ذهب - والميل: هو ما تكحل به العين - وقيل: سرق تمثالاً من كنيسة، وهذا أعجب الأقوال، لأنه لم يكن في ذلك الزمان كنيسة ولا كنيسة، وقيل: كان يسرق من طعام المائدة لإطعام المساكين، وكل هذه الأقوال باطلة لا أصل لها، ولم تثبت مرفوعة ولا موقوفة، ولا هي من كلام التابعين، بل هي من وضع القصاص، الذين يحبون الإغراب في نقل الأخبار ووضع الحوادث، لتزليل معنى الآية عليها، والصحيح في هذه الآية: أن قولهم هذا، كذب منهم على يوسف وأخيه فيما نسبوه إليهما، وهذا قول الحسن البصري كما نقله عنه القرطبي، وليست هذه أول مرة يكذبون فيها، فهم الذين قالوا لأبيهم بعد إلقائه في الحب: ﴿إنا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف =

٧٨ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا، ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك. ٧٩ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، حُذِفَ فَعْلُهُ وَأُضِيفَ إِلَى الْمَفْعُولِ، أَي: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ﴾ لَمْ يَقُلْ: «مَنْ سَرَقَ»، تَحَرُّزًا مِنَ الْكُذْبِ ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إِنْ أَخَذْنَا غَيْرَهُ ﴿لَظَالِمُونَ﴾. ٨٠ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ يَسُوا «مِنْهُ خُلُصُوا» اعْتَزَلُوا «نَجِيًّا» مَصْدَرٌ يَصْلُحُ لِلوَاحِدِ وَغَيْرِهِ، أَي: يَنَاجِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سَتَاءً، «رَوِيل»، أَوْ: رَأْيَا، «يَهُودَا» «أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا» عَهْدًا «مِنَ اللَّهِ» فِي أَخِيكُمْ «وَمِنْ قَبْلِ مَا» زَائِدَةٌ «فَرَطْتُمْ فِي يَوْسُفَ» وَقِيلَ: «مَا» مَصْدَرِيَّةٌ مُبْتَدَأُ

[مَوْخَرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَ «فَرَطْتُمْ»]، خَبْرُهُ: «مِنْ قَبْلِ» ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ أَفَارِقَ «الْأَرْضَ» أَرْضَ مِصْرَ «حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي» بِالْعَوْدَةِ إِلَيْهِ «أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي» بِخُلُوصِ أَخِي «وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» أَعْدَلُهُمْ. ٨١ «ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا» عَلَيْهِ «إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا» تَبَيَّنًا، مِنْ مَشَاهِدَةِ الصَّاعِ فِي رَحْلِهِ «وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ» لَمَّا غَابَ عَنَّا، حِينَ إِعْطَاءِ الْمَوْثِقِ «حَافِظِينَ» وَلَوْ عَلَّمْنَا أَنَّهُ يَسْرِقُ، لَمْ نَأْخُذْهُ. ٨٢ «وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا» هِيَ مِصْرُ، أَي: أَرْسَلْ إِلَى أَهْلِهَا فَاسْأَلَهُمْ «وَالْعِيرَ» أَي: أَصْحَابَ الْعِيرِ «الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا» وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ «كَنْعَانَ»^(١) «وَإِنَّا لَصَادِقُونَ» فِي قَوْلِنَا، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ، وَقَالُوا لَهُ ذَلِكَ.

٨٣ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فَفَعَلْتُمُوهُ، اتَّهَمَهُمْ لَمَّا سَبَقَ مِنْهُمْ مِنْ أَمْرِ يَوْسُفَ «فَصَبِرْ جَمِيلًا» [خَبْرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: [أَوْ: صَبِرِي] «أَمْرِي»] «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ» يَوْسُفَ وَأَخْوِيهِ «جَمِيعًا» إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ «بِحَالِي» «الْحَكِيمُ» فِي صَنْعِهِ.

= عند متاعنا فأكله الذئب، وأكدوا كذبهم «وجاؤوا على قميصه بدم كذب». ارجع إلى تعليلنا حول «الأسباط» من ٢٦.

(١) قوله: «وهم قوم من كنعان»، قال «ياقوت» في «معجم البلدان»: «كنعان» بالفتح ثم السكون، وعين مهملة

وآخره نون، وقال الأزهري: كنعان بن سام بن نوح، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، قال ياقوت: هذا حسن مستقيم، وقال ابن الكلبي: والشام - أي: فلسطين والأردن، ولبنان وسورية اليوم - منازل الكنعانيين، ولفظ «كنعان» عجمي، وله في العربية مخارج، يجوز أن يكون من قولهم: «أَكْنَعُ بِهِ» أَي: أَخْلِفُ، أَوْ: مِنْ «الْكُنْعِ» وَهُوَ الدَّلُّ، أَوْ: مِنْ «الْكَنْعِ» وَهُوَ النِّقْصَانُ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، أَمَّا مِنْهُ مَلْخَصًا.

وعلى كل حال: فإن الأسماء من مثل هذا يصعب تعليلها، هذا على فرض أنه في الأصل من الأسماء المنقولة لا المرتجلة، فالظاهر أن «كنعان»، الذي يقال إنه اسم ابن نوح الذي أهلكه الله تعالى بالطوفان، هو غير «كنعان» جد «الكنعانيين»، لأنه لو كان اسم الغريق «كنعان»، فمن أين جاء الكنعانيون؟ فجاء الكنعانيون هو: كنعان بن سام بن نوح، وليس ابن نوح الذي أغرقه الله، أيًا كان اسمه.

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خُلُصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

٨٤ ﴿وتولى عنهم﴾ تاركاً خطابهم ﴿وقال يا أَسْفَى﴾ الألف بدل من ياء الإضافة، أي: يا حزني ﴿على يوسف وابيضت عيناه﴾ انمحق سوادهما، وبُذِلَ بياضاً، من بكائه ﴿من الحزن﴾ عليه ﴿فهو كظيم﴾ مغوم مكروب، لا يُظهر كربه.

٨٥ ﴿قالوا تالله﴾ لا ﴿تفتأ﴾ تزال ﴿تذكر يوسف حتى تكون حرصاً﴾ مشرفاً على الهلاك، لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أو تكون من الهالكين﴾ الموتى.

٨٦ ﴿قال﴾ لهم ﴿إنما أشكو بني﴾ هو: عظيم الحزن، الذي لا يُضَبَّرُ عليه، حتى يُبَيِّتَ إلى الناس ﴿وحزني إلى الله﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من أن رؤيا يوسف صدق، وهو حي، ثم قال:

٨٧ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه اطلبوا خبرهما ﴿ولا تيأسوا﴾ تفنطوا ﴿من روح الله﴾^(١) رحمته ﴿إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف.

٨٨ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴿الجوع﴾ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴿مدفوعة﴾ [مردودة]، يدفعها كل من رآها لراءدتها، وكانت دراهم زيوفاً^(٢)، أو غيرها ﴿فأوف﴾ أتم ﴿لنا الكيل﴾ وتصدق علينا بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ يثيبهم، فرق عليهم، وأدركته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

٨٩ ثم ﴿قال﴾ لهم توبيخاً ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾ من الضرب [والإلقاء في الحب]، و [ما كان بعد ذلك من] البيع، وغير ذلك ﴿وأخيه﴾ [بنيامين]، من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف؟

٩٠ ﴿قالوا﴾ بعد أن عرفوه، لما ظهر من شمائله، مثبتين: ﴿أنتك﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٣) ﴿لأنت يوسف؟﴾ قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا ﴿إنه من

الْحَزْنُ وَالْحُزْنُ

﴿وتولى عنهم﴾ قَالَ يَأْسَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ

من ﴿الله علينا﴾ بالاجتماع ﴿إنه من

(١) قوله تعالى: ﴿من رَوْحِ الله﴾ بفتح الراء أي: رحمته، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «الروح» ص ٣٧٦.

(٢) قوله: ﴿زيوفاً﴾ هي: جمع «زَيْف» بسكون الياء، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، ففقد صفة الجودة، ولم يخرج من اسم «الدراهم»، أي: هي دراهم من فضة مخلوطة بمعدن آخر، وبيت المال كان لا يقبل هذا النوع من الدراهم، فقبلها يوسف منهم، رحمة بهم وشفقة عليهم.

(٣) قوله: «على الوجهين» أي: التحقيق والتسهيل، فالقراءات أربع سبعة، وثمة قراءة خامسة سبعة أيضاً هي: «إنك» بهمزة واحدة.

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾ قَالَوَا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا بِالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ ﴿وَأِنْ﴾ مَخْفَفَةٌ أَيْ: إِنَّا ﴿كُنَّا لِخَاطِئِينَ﴾ أَتَمِينَ فِي أَمْرِكَ، فَاذِلِّلْنَاكَ.

﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ ﴿عَبَّ﴾ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿خَصَّهُ بِالذِّكْرِ﴾، لِأَنَّهُ مَظَنَّةُ التَّثْرِبِ، فَغَيْرُهُ أَوْلَى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وَسَلَّاهُمْ عَنْ أَبِيهِ فَقَالُوا: ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ:

﴿٩٣﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴿وَهُوَ قَمِيصُ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، الَّذِي لَبَسَهُ حِينَ أَلْقَى فِي النَّارِ، كَانَ فِي عُنُقِهِ فِي الْجَبِّ، وَهُوَ: مِنَ الْجَنَّةِ، أَمْرُهُ جَبْرِيلُ بِإِرْسَالِهِ، وَقَالَ: إِنْ فِيهِ رِيحُهَا، وَلَا يَلْقَى عَلَى مِثْلِي إِلَّا عَوْفِي ﴿فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴿خَرَجْتَ مِنْ عَرِيشِ مِصْرَ﴾ قَالَ أَبُوهُمْ ﴿لَمَنْ حَضَرَ مِنْ بَنِيهِ وَأَوْلَادِهِمْ﴾ إِنْ يَاجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ﴿أَوْصَلْتَهُ إِلَيْهِ﴾ «الصَّبَا»^(٢) بِإِذْنِهِ تَعَالَى، مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ ثَمَانِيَةِ، أَوْ: أَكْثَرَ ﴿لَوْلَا أَنْ تَفْنَدُونَ﴾ تَسْفَهُونَ، لَصَدَقْتُمُونِي. ﴿٩٥﴾ قَالُوا ﴿لَهُ﴾ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ ﴿خَطْنِكَ﴾ «الْقَدِيمِ» مِنْ إِفْرَاطِكَ فِي مَحَبَّتِهِ، وَرَجَاءُ لِقَائِهِ عَلَى بَعْدِ الْعَهْدِ، [قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا عَقُوقٌ].

﴿٩٦﴾ فَلَمَّا أَنْ زَائِدَةٌ ﴿جَاءَ الْبَشِيرَ﴾ «يَهُوذَا» بِالْقَمِيصِ، وَكَانَ قَدْ حَمَلَ قَمِيصَ الدَّمِ، فَأَحْبَبَ أَنْ يَفْرَحَهُ كَمَا أَحْزَنَهُ ﴿الْقَاهُ﴾ طَرَحَ الْقَمِيصَ ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ رَجَعَ ﴿بَصِيرًا﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ فَيَذَلِّكُمْ إِيَّاهُ فَلَا تَمُوتُوا مِنْ حُزْنٍ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٩﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٢﴾

﴿٩٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٩﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٢﴾

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾ قَالَوَا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا بِالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ ﴿وَأِنْ﴾ مَخْفَفَةٌ أَيْ: إِنَّا ﴿كُنَّا لِخَاطِئِينَ﴾ أَتَمِينَ فِي أَمْرِكَ، فَاذِلِّلْنَاكَ. ﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ ﴿عَبَّ﴾ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿خَصَّهُ بِالذِّكْرِ﴾، لِأَنَّهُ مَظَنَّةُ التَّثْرِبِ، فَغَيْرُهُ أَوْلَى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وَسَلَّاهُمْ عَنْ أَبِيهِ فَقَالُوا: ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴿وَهُوَ قَمِيصُ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، الَّذِي لَبَسَهُ حِينَ أَلْقَى فِي النَّارِ، كَانَ فِي عُنُقِهِ فِي الْجَبِّ، وَهُوَ: مِنَ الْجَنَّةِ، أَمْرُهُ جَبْرِيلُ بِإِرْسَالِهِ، وَقَالَ: إِنْ فِيهِ رِيحُهَا، وَلَا يَلْقَى عَلَى مِثْلِي إِلَّا عَوْفِي ﴿فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴿خَرَجْتَ مِنْ عَرِيشِ مِصْرَ﴾ قَالَ أَبُوهُمْ ﴿لَمَنْ حَضَرَ مِنْ بَنِيهِ وَأَوْلَادِهِمْ﴾ إِنْ يَاجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ﴿أَوْصَلْتَهُ إِلَيْهِ﴾ «الصَّبَا»^(٢) بِإِذْنِهِ تَعَالَى، مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ ثَمَانِيَةِ، أَوْ: أَكْثَرَ ﴿لَوْلَا أَنْ تَفْنَدُونَ﴾ تَسْفَهُونَ، لَصَدَقْتُمُونِي. ﴿٩٥﴾ قَالُوا ﴿لَهُ﴾ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ ﴿خَطْنِكَ﴾ «الْقَدِيمِ» مِنْ إِفْرَاطِكَ فِي مَحَبَّتِهِ، وَرَجَاءُ لِقَائِهِ عَلَى بَعْدِ الْعَهْدِ، [قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا عَقُوقٌ]. ﴿٩٦﴾ فَلَمَّا أَنْ زَائِدَةٌ ﴿جَاءَ الْبَشِيرَ﴾ «يَهُوذَا» بِالْقَمِيصِ، وَكَانَ قَدْ حَمَلَ قَمِيصَ الدَّمِ، فَأَحْبَبَ أَنْ يَفْرَحَهُ كَمَا أَحْزَنَهُ ﴿الْقَاهُ﴾ طَرَحَ الْقَمِيصَ ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ رَجَعَ ﴿بَصِيرًا﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ فَيَذَلِّكُمْ إِيَّاهُ فَلَا تَمُوتُوا مِنْ حُزْنٍ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٩﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٢﴾

(١) قوله: «وهو قميص إبراهيم»، إلخ» فيه مبالغة لا دليل عليها، بل هو قميص من قمصان يوسف نفسه.

(٢) قوله: «الصَّبَا»، هي: ريح مهبها من مطلع الشمس، إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدُّبُور»، روى الشيخان وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «نصرتُ بالصَّبَا، وأهلكت عاد بالدُّبُور».

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ الآية ٩٧. الصحيح: أن إخوة يوسف — ما عدا بنيامين — ليسوا بأنبياء، وقد قدمنا القول مفصلاً في ذلك ص ٢٦.

﴿إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾ أباه وأمه، أو: خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ فدخلوا، وجلس يوسف على سريره.

١٠٠ ﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ﴾ أجلسهما معه ﴿على العرش﴾ السرير ﴿وَوَخَّرَا﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿له سجداً﴾ سجود انحناء، لا وضع جبهة، وكان [هذا السجود]، تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إلي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل: من الحب، تكزماً، لئلا يُخلل إخوته ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَغَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم ﴿بَخَلَقَهُ﴾ الحكيم ﴿فِي صَنَعِهِ﴾، وأقام عنده أبوه، أربعاً وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة، وكانت مدة فراقه: ثمانين سنة، أو أربعين، أو ثمانين سنة [والله أعلم]، وحضره الموت، فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر، وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة.

١٠١ ولما أتم أمره، وعلم أنه لا يدوم، تأقت نفسه إلى الملك الدائم فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير^(١) الرؤيا ﴿فَاطِرُ﴾ خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آيائي، فعاش بعد ذلك أسبوعاً، أو أكثر، ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاح [أي: اختلف] المصريون في قبره، فجعلوه في صندوق من مرمر، ودفنوه^(٢) في أعلى النيل، لتعم البركة جانيبه، فسيحان من لا انتضاء لملكه.

١٠٢ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنْبَاءِ أَخْبَارِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيد، أي: عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به، أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم، فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

الْحَزْنُ وَالْحُزْنُ

﴿إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾ قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ وَقَالَ يَتَأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿ذَلِكَ﴾ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

١٠٣ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

١٠٤ ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مَنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة

(١) قوله: «تعبير الرؤيا»، ارجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحلم» ص ٢٧٦.

(٢) قوله: «دفنوه في أعلى النيل»، أي: في مكان ما، ثم نقله موسى عليه السلام من حيث دفن في مصر، إلى فلسطين، كما جاء في الأحاديث، ارجع إلى تعليقنا حول ذلك ص ٤٨٩.

﴿للعالمين﴾ ١٠٥ ﴿وكأين﴾ وكم ﴿من آية﴾ دالة على وحدانية الله ﴿في السماوات والأرض يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وهم عنها معرضون﴾ لا يفكرون بها.

١٠٦ ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إلا وهم مشركون﴾ به، بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلييتهم: ﴿ليكن لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك﴾، يعنونها.

١٠٧ ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية﴾ نعمة تغشاهم ﴿من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت إتيانها.

١٠٨ ﴿قل﴾ لهم ﴿هذه سبيلي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أدعو إلى﴾ دين ﴿الله﴾ [وهنا الوقف. أي: سبيلي هي الدعوة إلى الله] ﴿على بصيرة﴾ حجة واضحة ﴿أنا ومن اتبعني﴾ آمن بي، عطف على «أنا» المبتدأ، المخبر عنه بما قبله [أي: أنا ومن اتبعني على بصيرة] ﴿وسبحان الله﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وما أنا من المشركين﴾ من جملة سبيله أيضاً.

١٠٩ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ بوحى [بالباء مبنياً للمجهول]، وفي قراءة بالنون وكسر الحاء [إليهم] لا ملائكة ﴿من أهل القرى﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأحلسم، بخلاف أهل البوادي، لجفائهم وجهلهم ﴿أفلم يسيروا﴾ أهل مكة [وغيرها] ﴿في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي: آخر أمرهم، من إهلاكهم، بتكذيبهم رسلهم؟ ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الله ﴿أفلا تعقلون﴾ بالتاء والياء، أي: يا أهل مكة هذا، فتؤمنون؟

١١٠ ﴿حتى﴾ غاية لما دل عليه: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾، أي: فتراخى نصرهم، حتى ﴿إذا استبأس﴾ ينس ﴿الرسول وظنوا﴾ أيقن الرسل ﴿أنهم قد كذبوا﴾ بالتشديد، تكذيباً لا إيمان

بعده، والتخفيف، أي: ظن الأمم، أن الرسل أخلفوا ما وعَدُوا به من النصر ﴿جاءهم نصرنا فننجي﴾ بنونين، مشدداً^(١) ومخففاً [فعل مضارع]، وينون مشدداً [فعل] ماضٍ [مبني للمفعول] ﴿من نساء ولا يرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين. ١١١ ﴿لقد كان في قصصهم﴾ الرسل

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٢

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٣﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْعَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

٣١٩

(١) قوله: «بنونين مشدداً» هذه قراءة شاذة، خلافاً لما يوهمه كلام السيوطي، والقراءتان الأخريان اللتان ذكرهما المؤلف سبعيتان ومما: «فَنُنَجِّي» بنونين والثانية ساكنة مخففة وتخفيف الجيم وإسكان الياء، والثانية: «فَنُجِّي» بنون واحدة مضمومة، وتشديد الجيم مكسورة، وفتح الياء.

﴿عبرة لأولي الألباب﴾ أصحاب العقول، [أي: لم نقصها عليكم إلا لتعتبروا، ولا يعتبر إلا العقلاء] ﴿ما كان﴾ هذا القرآن ﴿حديثاً يفترى﴾ يُخْتَلَقُ، [وليست القصص التي فيه أساطير الأولين، كما قال الكافرون] ﴿ولكن﴾ كان تصديق الذي بين يديه ﴿قبله من الكتب﴾ وتفصيل ﴿تبين﴾ كل شيء ﴿يحتاج إليه في الدين﴾ وهدى ﴿من الضلالة﴾ ورحمة لقوم يؤمنون ﴿خصوصاً بالذكر، لانتفاعهم به، دون غيرهم﴾.

﴿سُورَةُ الرَّحْمٰنِ﴾

(مكية، إلا: «ولا يزال الدين كفروا» الآية، «ويقول الذين كفروا لست مرسلًا» الآية. أو: مدنية، إلا: «ولو أن قرآنًا» الآيتين، [وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿المر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «من» ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: القرآن، مبتدأ، خبره: ﴿الحق﴾ لا شك فيه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿لا يؤمنون﴾ بأنه من عنده تعالى.

٢ [ثم بين الله تعالى، ما في خلقه من آيات، في السماء والأرض، تدل على قدرته عز وجل، على ما أنكروه من بعث الموتى، وإنزال الوحي على المرسلين، وهي آيات ظاهرة للعيان، يرونها ويلمسونها، فالتفكر فيها ميسور لكل عاقل فقال:] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ أي: «العمد»، جمع «عماد»، وهو: الأسطوانة، [أي: إن العمدة موجودة، ولكنكم لا ترونها]، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً^(١)، «ثم استوى على العرش» استواء يليق به «وسخر» ذلك

﴿الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿يدبر الأمر﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يفصل﴾ يبيّن ﴿الآيات﴾ دلالات قدرته ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة [وغيرها] ﴿بلقاء

(١) قوله: «وهو صادق بأن لا عمد أصلاً»، هو إشارة إلى الوجه الثاني، على القول بأن جملة «ترونها» صفة لـ «عمد»، والضمير عائد إليها، والمعنى: «رفعها خالية عن عمد مرئية»، وانتفاء العمدة المرئية يحتمل انتفاء الرؤية فقط، أي: لها عمد ولكنها غير مرئية، ويحتمل انتفاء العمدة والرؤية جميعاً أي: لا عمد أصلاً، كما ذكر الجلال السيوطي. وفي قول آخر: جملة «ترونها» مستأنفة، وضميرها يعود لـ «السماوات»، والمعنى: رفعها بلا عمد أصلاً، وأنتم ترونها كذلك، وسيأتي مثيل هذه الآية في سورة «لقمان» ص ٥٤٠.

ربكم ﴿توقنون﴾ ٣. ﴿وهو الذي مدَّ الأرض وجعل ﴿خلق﴾ فيها رواسي﴾ جبلاً ثوابت ﴿وأنهاراً﴾ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴿من كل نوع﴾ يغشي ﴿يغطي﴾ الليل ﴿بظلمته﴾ النهار إن في ذلك ﴿المذكور﴾ لآيات ﴿دلالات﴾ على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنع الله. ٤ ﴿وفي الأرض قطع﴾ بقاع مختلفة ﴿متجاورات﴾ متلاصقات، فمنها طيب ﴿يُنبت﴾، ومنها سَنِجٌ ﴿لا يُنبت شيئاً﴾، و ﴿منها﴾ قليل الرِّيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى: ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿من أعناب وزرع﴾ بالرفع، عطفاً على ﴿جنات﴾، والجَرَّ ﴿عطفاً﴾ على ﴿أعناب﴾، وكذا قوله: ﴿ونخيل صنوان﴾ جمع: «صنو»، وهي: النُّخيلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها ﴿وغير صنوان﴾ منفردة ﴿تسقى﴾ بالناء، أي: الجنات وما فيها، والياء أي: المذكور ﴿بماء﴾ واحد ونفضل ﴿بالنون والياء﴾ ١) ﴿بعضها على بعض في الأكل﴾ بضم الكاف وسكونها، فمن حلو ٢) ومن حامض، وهو من دلائل قدرته تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون. ٥ ﴿وإن تعجب﴾ يا محمد، من تكذيب الكفار لك ﴿فعجب﴾ حقيق بالعجب ﴿قولهم﴾ منكرين للبعث ﴿إذا كنا تراباً إنا لفي خلق جديد﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق، وما تقدم، على غير مثال، قادرٌ على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما، على الوجهين، [أي: على التحقيق والتسهيل]، وتركها. [فهذه أربع قراءات]، وفي قراءة: بالاستفهام في الأول، والخبر في الثاني، [وفي قراءة] أخرى عكسه ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. ٦ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿ويستعجلونك بالسبيئة﴾ العذاب ﴿قبل الحسنه﴾ الرحمة ﴿وقد خلت من قبلهم المثلثات﴾ جمع: «المثلثة»، بوزن «السَّمَرَة»، [وهي: شجرة طويلة]، أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على﴾ مع ﴿ظلمهم﴾ وإلا لم يترك على ظهرها من دابة ﴿وإن ربك

سُورَةُ التَّوْقُونِ ١٣

رَبِّكُمْ تُوقُنُونَ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ * وَإِن تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنْآ لَنُخْلِقَ جَدِيدٌ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ﴿٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ

(١) قوله: «بالنون والياء»، حاصله: أن في قوله تعالى: ﴿تسقى بماء واحد ونفضل﴾ ثلاث قراءات سبعية: الأولى والثانية: «تُسْقَى — بالناء — وَنُفَضِّلُ — بالنون وبالياء، والثالثة: «يُسْقَى — بالياء — وَنُفَضِّلُ — بالنون فقط».

(٢) قوله: «فمن حلو ومن حامض»، روى الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال: «الدَّقْلُ والفارسي، والحلو والحامض»، و «الدَّقْلُ» بفتح الدال المهملة، وفتح القاف هو: رديء التمر، و «الفارسي»: الجيد.

لشديد العقاب ﴿٧﴾ لمن عصاه. ﴿٧﴾ ويقول الذين كفروا لولا ﴿٧﴾ هلا ﴿٧﴾ أنزل عليه ﴿٧﴾ على محمد ﴿٧﴾ آية من ربه ﴿٧﴾ كالعصا واليد والناقاة؟ قال تعالى: ﴿٧﴾ إنما أنت منذر ﴿٧﴾ مخوف للكافرين، وليس عليك إتيان الآيات ﴿٧﴾ ولكل قوم هاد ﴿٧﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم، بما يعطيه من الآيات، لا بما يقترحون. ٨ ﴿٧﴾ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ﴿٧﴾ من ذكر وأنثى، وواحد ومتعدد، وغير ذلك ﴿٧﴾ وما تغيض ﴿٧﴾ تنقص ﴿٧﴾ الأرحام ﴿٧﴾ من مدة الحمل ﴿٧﴾ وما تزداد ﴿٧﴾ منه ﴿٧﴾ وكل شيء عنده بمقدار ﴿٧﴾ بقدر وحد، لا يتجاوزه. ٩ ﴿٧﴾ عالم الغيب والشهادة ﴿٧﴾ ما غاب، وما شوهد ﴿٧﴾ الكبير ﴿٧﴾ العظيم ﴿٧﴾ المتعال ﴿٧﴾ على خلقه بالقهر، بياء ودونها. ١٠ ﴿٧﴾ سواء منكم ﴿٧﴾ في علمه تعالى ﴿٧﴾ من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف ﴿٧﴾ مستر ﴿٧﴾ بالليل ﴿٧﴾ بظلامه

﴿٧﴾ وسارب ﴿٧﴾ ظاهر، بذهابه في سره، أي: طريقه ﴿٧﴾ بالنهار ﴿٧﴾ [وفي «القاموس المحيط»: «السارب: الداهب على وجهه في الأرض» وهذا المعنى أدق] ١١ ﴿٧﴾ له ﴿٧﴾ للإنسان ﴿٧﴾ معقبات ﴿٧﴾ ملائكة ﴿٧﴾ تعقبه ﴿٧﴾ من بين يديه ﴿٧﴾ قدامه ﴿٧﴾ ومن خلفه ﴿٧﴾ ورائه ﴿٧﴾ يحفظونه من أمر الله ﴿٧﴾ أي: بأمره، من الجن وغيرهم ﴿٧﴾ إن الله لا يغير ما بقوم ﴿٧﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿٧﴾ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿٧﴾ من الحالة الجميلة، بالمعصية ﴿٧﴾ وإذا أراد الله بقوم سوءا ﴿٧﴾ عذابا ﴿٧﴾ فلا مرد له ﴿٧﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿٧﴾ وما لهم ﴿٧﴾ لمن أراد الله بهم سوءا ﴿٧﴾ من دونه ﴿٧﴾ أي: غير الله ﴿٧﴾ من ﴿٧﴾ زائدة ﴿٧﴾ وال ﴿٧﴾ يمنعه عنهم. ١٢ ﴿٧﴾ هو الذي يريكم البرق خوفا ﴿٧﴾ (١) للمسافرين [وغيرهم]، من الصواعق ﴿٧﴾ وطمعا ﴿٧﴾ للمقيم [وغيره]، في المطر، [بما يخرج به] ﴿٧﴾ وينشئ ﴿٧﴾ يخلق ﴿٧﴾ السحاب الثقيل ﴿٧﴾ بالمطر. ١٣ ﴿٧﴾ ويسبح الرعد ﴿٧﴾ هو: ملك موكل بالسحاب، يسوقه متلبسا ﴿٧﴾ بحمده ﴿٧﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿٧﴾ وتسبح ﴿٧﴾ الملائكة من خيفته ﴿٧﴾ أي: الله ﴿٧﴾ ويرسل الصواعق ﴿٧﴾ وهي: نار تخرج من السحاب ﴿٧﴾ فيصيب بها

(١) قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ الآية ١٢ والتي بعدها.. عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن الرعد ما هو؟ فقال: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ». فقالوا: فما هو الصوت الذي نسمع؟ فقال: «زَجْرُهُ»

لشديد العقاب ﴿٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴿٧﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٣﴾ وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا

بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. ولم ير في السنة حديث أو أثر آخر في بيان ظاهري: الرعد، والبرق، ومعنى هذا الحديث أن الرعد والبرق يحدثان بسبب زجر الملك للسحاب لا أن الرعد هو الملك نفسه أو صوته، ولا أن البرق هو لمعان سوطه كما قيل. وهذا يتفق مع التعريف العلمي لظاهرة «الصاعقة» وبيانه: أن «الصاعقة» هي: عملية تفريغ كهربائي تحصل خلال طقس عاصف بين غيوم مشحونة كهربائياً بعضها موجب وبعضها الآخر سالب، أو: بين هذه الغيوم والأرض، فنتج عن عملية التفريغ هذه ظاهرة مرئية مضيئة تُعرف «بالبرق»، وظاهرة أخرى صوتية تسببها موجات الضغط الناتجة عن عملية التفريغ ويعرف هذا الصوت «بالرعد»، والطقس العاصف هذا يسببه سرق الملك للسحاب وزجره له، إذ لولا التهيج والسوق العنيفان للسحاب لما حصل تلاقي الموجب والسالب المسبب لظاهرة الصاعقة كما بيئنا، فالبرق والرعد هما مفعلاً «الصاعقة» لا أنها غيرهما، فمنها الصواعق المدمرة المهلكة، ومنها ما هو سبب لهطول الأمطار الذي هو محط الأنظار.

من يشاء فتحرقه، نزل في رجل، بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه، فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو؟ أو من فضة؟ أم من نحاس؟ فنزلت به صاعقة، فذهبت يقحف رأسه، [أي: عظم رأسه - أخرجه البزار والنسائي، عن أنس بن مالك] «وهم» أي: الكفار «يجادلون» يخاصمون النبي ﷺ «في الله وهو شديد المحال» القوة، أو: الأخذ.

١٤ ﴿لَهُ﴾ تعالى ﴿دعوة الحق﴾ أي: كلمته، وهي: «لا إله إلا الله» «والذين يدعون» بالياء، [هي القراءة المتواترة الصحيحة]، و [أما قراءة] التاء ^(١) [«تدعون» - فشاذة، وغير الأربعة، أي:] يعبدون «من

دونه» أي: غيره، وهم الأصنام «لا يستجيبون لهم بشيء» مما يطلبونه «إلا» استجابة «كبسط» أي: كاستجابة باسط «كفيه إلى الماء» على شفير البئر، يدعوه «ليبلغ فاه» بارتفاعه من البئر إليه «وما هو ببالغه» أي: [ببالغ] فاه أبداً، فذلك، ما هم بمستجيبين لهم «وما دعاء الكافرين» [أي:] عبادتهم الأصنام، أو: حقيقة الدعاء «إلا في ضلال» ضياع.

١٥ ﴿وَلِلَّهِ﴾ يسجد من في السماوات والأرض طوعاً «كالمؤمنين» «وكرهاً» كالمنافقين، ومن أكره بالسيف «و» يسجد «ظلالهم بالغدو» البكر، [جمع: «بكرة»] «والأصال» العشايا.

١٦ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك «من رب السماوات والأرض؟ قل الله» إن لم يقولوه، لا جواب غيره «قل» لهم «أفأخذتم من دونه» أي: غيره «أولياء» أصناماً تعبدونها «لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا» وتركتم مالكمها؟ استفهام توبيخ «قل هل يستوي الأعمى والبصير» الكافر والمؤمن؟ «أم هل تستوي الظلمات والكفر والنور» الإيمان؟ لا «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق» أي: خلق الشركاء بخلق الله «عليهم» فاعتقدوا استحقاق عبادتهم

بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق «قل الله خالق كل شيء» لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة «وهو الواحد القهار» لعباده. ١٧ ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: «أنزل» تعالى «من السماء ماء» مطراً «فسالت أودية بقدرها» بمقدار ملئها «فأحتمل السيل زبداً

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ١٣

مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا

(١) قوله: «بالياء والتاء»، يومئذ هما قراءتان صحيحتان، ولكن الصواب ما ذكرناه في التفسير، فكان الأولى أن يقول: «وقرى» بالتاء كما هي عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة، أرجع إلى معنى القراءة الصحيحة والشاذة في المقدمة.

رأياً عالياً عليه، [أو «الزبد»] هو: ما على وجهه، من قذر ونحوه «ومما توقدون» بالتاء والياء «عليه في النار» من جواهر الأرض، كالذهب والفضة والنحاس «ابتغاء» طلب «حلية» زينة «أو متاع» ينتفع به، كالأواني إذا أذيت «زبد مثله» أي: مثل زبد السيل، وهو خبثه الذي ينفيه الكير «كذلك» المذكور «يضرب الله الحق والباطل» أي: [يضرب] مثلهما «فأما الزبد» من السيل وما أوقد عليه، من الجواهر [والمعادن] «فيذهب جفاء» باطلاً مرمياً به، [وهذا مثل الباطل] «وأما ما ينفع الناس» من الماء والجواهر [والمعادن] «فيمكث» يبقى «في الأرض» زماناً، [وهذا مثل الحق]، كذلك الباطل يضمحل وينمحق، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق «كذلك» المذكور «يضرب» يبين «الله الأمثال».

١٨ «لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَجَابَهُ بِالطَّاعَةِ الْحَسَنَى الْجَنَّةُ» والذين لم يستجيبوا له «وهم الكفار، لهم النار يعذبون فيها، دلّ عليه: [لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به] من العذاب «أولئك لهم سوء الحساب» وهو: المؤاخظة بكل ما عملوه، لا يُغفر منه شيء «ومأواهم جهنم وبئس المهاد» الفراش هي.

١٩ «نَزَلَ فِي حِمْزَةِ أَبِي جَهْلٍ^(١): «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ» فآمن به «كمن هو أعمى» لا يعلمه، ولا يؤمن به؟ لا «إنما يتذكر» يتعظ «أولو الألباب» أصحاب العقول.

٢٠ «الَّذِينَ يوفون بعهد الله» المأخوذ عليهم وهم في عالم الذرّ، [عندما أشهدهم على أنفسهم: «الست بربكم؟ فقالوا: «بلى»]، أو: كل عهد «ولا ينقضون الميثاق» بترك الإيمان، أو: الفرائض.

٢١ «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» من الإيمان والرحم، وغير ذلك «ويخشون ربهم» أي: وعيده «ويخافون سوء الحساب» تقدم مثله [ختم الآية ١٨، أي: المؤاخظة بكل ما عملوه، لا يُغفر منه شيء]. ٢٢ «وَالَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبَلَاءِ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ^(٢)» طلب «وجه ربهم» لا غيره من أعراض الدنيا «وأقاموا

الجزء الثالث والعشرون

رَأْيًا وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبْدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ١٧ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ١٨ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ١٩ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ٢٠ الَّذِينَ يوفون بعهد الله وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢١ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢٢ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

٢٢ «وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

(١) قوله: «نزل في حمزة وأبي جهل» هذا قول ضعيف، والصحيح: أنها عامة، لأن هذه الآيات تفرق ما بين المؤمن والكافر، وتعدد أهم صفات المؤمنين، وطرفاً من خلق الكافرين.

(٢) قوله: «وعن المعصية»، أرجع إلى تعليقنا حول معاني الصبر ص ٦٠٧ ففيه فوائد.

الصلاة وأنفقوا ﴿مما رزقناهم سراً وعلانية ويدروون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، في الدار الآخرة.

٢٣ هي ﴿جنات عدن﴾ إقامة ﴿يدخلونها﴾ هم ﴿ومن صلح﴾ آمن ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ وإن لم يعملوا^(١) بعملهم، يكونون في درجاتهم، تكملة لهم ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من أبواب الجنة، أو: القصور، أول دخولهم، للتهنئة، يقولون:

٢٤ ﴿سلام عليكم﴾ هذا الثواب ﴿بما صبرتم﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فنعم عقبى الدار﴾ عباكم.

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ١٣

الْصَّلٰوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٣﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٦﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

٣٢٥

٢٥ ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ البعد من رحمة الله ﴿ولهم سوء الدار﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي: جهنم.

٢٦ ﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ يُضَيِّقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ^(٢) ﴿وفرحوا﴾ أي: أهل مكة [وأمشالهم]، فرح بطر ﴿بالحياة الدنيا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وما الحياة الدنيا في﴾ جنب حياة ﴿الآخرة إلا متاع﴾ شيء قليل، يُتَمَتَّعُ بِهِ ويذهب.

٢٧ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﴿آية من ربه﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله، فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿ويهدي﴾ يرشد ﴿إليه﴾ إلى دينه ﴿من أناب﴾ رجع إليه، ويبدل من ﴿من﴾: [قوله:]

٢٨ ﴿الذين آمنوا وتطمئن تسكن قلوبهم بذكر الله﴾ أي: وعده

(١) قوله: «وإن لم يعملوا بعملهم»، أي: بأن كانت أعمالهم الصالحة أقل، وكانوا من أهل الجنة، قال ابن كثير: أي: يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها، من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين، لتقر أعينهم بهم.

(٢) قوله: «يضيقه لمن يشاء» هذا هو معنى «يقدر» أي: يقلل مقداره على من يشاء، وقد تكررت هذه الكلمة في القرآن، كقوله تعالى في سورة «الفجر»: «وإما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه» أي: ضيقه، وليس معنى «يقدر» هنا «يستطيع» كما يظن البعض لأول وهلة.

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِثُنِ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

٢٩ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿طوبى﴾ مصدر من «الطيب»، أو: شجرة في الجنة^(١)، يسير الراكب في ظلها مائة عام، ما يقطعها ﴿لهم وحسن مأب﴾ مرجع [لهم].

٣٠ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أُممٌ لتتلو﴾ تقرأ ﴿عليهم الذي أوحينا إليك﴾ أي: القرآن ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ حيث قالوا، لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هو ربي لا إله إلا هو توكلت وإليه متاب﴾.

الْبُرْجُ الثَّالِثُ عَشَرَ

أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِثُنِ الْقُلُوبُ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٣٠﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣١﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٣﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ

٣١ ونزل لما قالوا له: إن كنت نبياً فسِّرْ عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً، لنغرس ونزرع، وابعث لنا آبائنا الموتى، يكلمونا أنك نبي، [أخرجه الطبراني وغيره، عن ابن عباس]: ﴿ولو أن قرآننا سيرت به الجبال﴾ نُقِلَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا ﴿أو قطعت﴾ شَقَّقَتْ ﴿به الأرض أو كُتِبَ به الموتى﴾ بأن يحيوا، [أي: لو فعل الله ذلك]، لما آمنوا ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ لا غيره، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه، دون غيره، وإن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا، طمعاً في إيمانهم: ﴿أفلم يئس﴾ يعلم^(٢) ﴿الذين آمنوا أن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لو﴾ يشاء الله لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، من غير آية ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿تصيبهم بما صنعوا﴾ بصنعهم، أي: كفرهم ﴿قارعة﴾ داهية، تفرعهم بصنوف البلاء، من القتل والأسر والحرب والجذب ﴿أو تحل﴾ [أي: تنزل]، يا محمد بجيشك ﴿قريباً من دارهم﴾ مكة ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ بالنصر عليهم ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وقد حلَّ بالحديبية، حتى أتى فتح مكة.

٣٢ ﴿ولقد استهزىء برسول من قبلك﴾ كما استهزىء بك، وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿فأملت﴾ أهملت ﴿للذين كفروا ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿فكيف كان عقاب﴾ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك. ٣٣ ﴿أفمن هو قائم﴾ [أي: رقيب

(١) قوله: «شجرة في الجنة إلخ...» روى أحمد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»، فقال له رجال: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام»، وروى الشيخان، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

(٢) قوله: «يعلم»، إن تفسير المؤلف الجلال السيوطي اليأس بالعلم، جاء على لغة «هوازن»، الذين يطلقون «يئس» على معنى «علم».

﴿على كل نفس بما كسبت﴾ عملت من خير أو شر، وهو: «الله»، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ له، من هم؟ ﴿أم﴾ بل أ﴿تنبؤونه﴾ تخبرون الله ﴿بما﴾ أي: بشريك لا يعلمه - ﴿في الأرض؟﴾ استفهام إنكار، أي: لا شريك له، إذ لو كان [له شريك] لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بظاهر من القول﴾ بظن باطل، لا حقيقة له في الباطن؟ ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ كفرهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ طريق الهدى ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾. ٣٤ ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد منه ﴿وما لهم من الله﴾ أي: عذابه ﴿من واق﴾ مانع.

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ١٣

عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ۚ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَبِوَةِ الدُّنْيَا ۖ وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ۖ ﴿٣٥﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۖ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ ۖ ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

٣٥ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ مبتدأ، خبره محذوف، أي: فيما نقص عليكم [من الآيات] ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها﴾ ما يؤكل فيها ﴿دائم﴾ لا يفنى ﴿وظلها﴾ دائم، لا تتسخه شمس، لعدمها فيها ﴿تلك﴾ أي: الجنة ﴿عقبى﴾ عاقبة ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿وعقبى الكافرين النار﴾.

٣٦ ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام^(١)، وغيره من مؤمني اليهود، [أي: ممن آمن وأسلم من اليهود] ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ لموافقته ما عندهم ﴿ومن الأحزاب الذين تحزبوا عليك بالمعاداة، من المشركين واليهود﴾ من ينكر بعضه ﴿كذكر الرحمن﴾، و[ينكرون] ما عدا القصص [من القرآن] ﴿قل إنما أمرت﴾ فيما أنزل إلي ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَعَابٍ﴾ مرجعي.

٣٧ ﴿وكذلك﴾ الإنزال ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن ﴿حكماً عربياً﴾ بلغة العرب، تحكم به بين الناس ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ أي: الكفار، فيما يدعونك إليه من ملتهم، فرضاً ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ بالتوحيد.

(١) قوله: «عبد الله بن سلام»، هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، من بني قينقاع، من يهود المدينة، كان اسمه «الحصين»، فسماه النبي ﷺ «عبد الله» لما أسلم، وكنيته: أبو يوسف، كان حليفاً للخزرج، رأى في منامه ما رواه الشيخان عنه قال: رأيت كأني في روضة، ووسط الروضة عمود، في أعلى العمود عروة، فقبل لي: ارقه، فقلت: لا أستطيع، فأتاني وصيبي - أي: غلام خادم - فرجع ليأبني، فرقيت فاستمسكت بالعروة، فأنتهيت وأنا مستمسك بها، فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال له: «تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة، عروة الوقي، لا تزال مستمسكاً بها حتى تموت»، وهذه بشارة له بالوفاة على الإسلام، توفي بالمدينة عام ثلاثة وأربعين للهجرة رضي الله عنه.

﴿مالك من الله من﴾ زائدة ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا واق﴾ مانع من عذابه.

٣٨ ونزل لما عيروه بكثرة النساء، [بقتض الطعن في نبوته ﷺ]: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ أولاداً، وأنت مثلهم ﴿وما كان لرسول﴾ منهم ﴿أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لكل أجل﴾ مدة ﴿كتاب﴾ مكتوب فيه تحديده.

٣٩ ﴿يمحو الله﴾ منه ﴿ما يشاء ويثبت﴾ — بالتخفيف والتشديد — فيه، [أي: في الكتاب]، ما يشاء من الأحكام وغيرها^(١) ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أصله، الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

٤٠ ﴿واما﴾ فيه إدغام نون ﴿إن﴾ الشرطية في ﴿ما﴾ المزيدة ﴿نرينك﴾ بعض الذي نعدهم ﴿به﴾ من العذاب، في حياتك، وجواب الشرط محذوف: أي: فذاك ﴿أوتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ لا عليك إلا التبليغ ﴿وعلينا الحساب﴾ إذا صاروا إلينا، فنجازيهم.

٤١ ﴿أو لم يروا﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] أنا نأتني الأرض ﴿نقصد أرضهم﴾ ننقصها من أطرافها ﴿بالفتح على النبي ﷺ﴾ والله يحكم ﴿في خلقه بما يشاء﴾ لا معقب ﴿لا راد﴾ لحكمه وهو سريع الحساب؟.

٤٢ ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ من الأمم بأنبيائهم، كما مكروا بك ﴿فلله المكر جميعاً﴾ وليس مكرمهم كمكره لأنه تعالى ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ فيعدها جزاءه، وهذا هو المكر كله، لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وسيعلم الكافر﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿الكفار﴾ ﴿لمن عقبى الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، في الدار الآخرة، ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه؟.

٤٣ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ لك ﴿لست مرسلًا﴾ قل ﴿لهم﴾ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴿على صدقي﴾ و ﴿[يشهد على رسالتي أيضاً]﴾ من عنده علم الكتاب ﴿من مؤمني اليهود والنصارى﴾^(٢).

البقرة

مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ﴿٣٨﴾ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٩﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴿٤٠﴾ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴿٤٣﴾ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴿٤٤﴾ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٤٦﴾ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿٤٨﴾ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٩﴾

(١) قوله: ﴿من الأحكام وغيرها﴾. الصحيح هو الاختصار على قوله: ﴿من الأحكام﴾، فالمحو والإثبات حاصلان في الأحكام فقط، وهو الناسخ والمنسوخ، هذا هو الصواب في توجيه معنى هذه الآية؛ وأما ما يروى عن بعض الصحابة والتابعين، من أن المحو والإثبات يشمل كل شيء، ما عدا الرزق والأجل، أو يشملهما أيضاً، فلم يثبت شيء من ذلك عنهم، وأما قوله تعالى: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ فقد فسره بعضهم باللوح المحفوظ، والأحسن أنه: ﴿ما سبق في علم الله تعالى﴾. ارجع إلى تعليقنا حول دعاء ﴿نصف شعبان﴾ ص ٦٥٦.

(٢) قوله: ﴿من مؤمني اليهود والنصارى﴾ أي: ممن آمن وأسلم من علماء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام الذي كان من أحرار اليهود وسيداً =

﴿سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ﴾

[عليه السلام]

(مكية، إلا: «الم تر إلى الذين بدلوا» الآيتين... فمدنيتان، وآياتها، إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية)

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ ١٤

(١٤) سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَنَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَبٌ أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

٣٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك^(١)، هذا القرآن ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ يا محمد ﴿لتخرج الناس من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿بإذن﴾ بأمر ﴿ربهم﴾ ويبدل من ﴿إلى النور﴾: ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿العزیز﴾ الغالب ﴿الحمید﴾ المحمود.

٢ ﴿الله﴾ بالجبر بدل، أو: عطف بيان، وما بعده صفة، والرفع مبتدأ، خبره: ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً [فهو مالكهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبداً [فهو ربهم] وويل للكافرين من عذاب شديد.

٣ ﴿الذين﴾ نعت ﴿يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الإسلام ﴿ويبغونها﴾ أي: السبيل ﴿عوجاً﴾ منعوجة، [أي: يحبون أن تكون سبيل الله عوجاً، مائلة، عاتلة، وهي مستقيمة في نفسها، لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها] ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ عن الحق.

٤ ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان﴾ بلغة ﴿قومه ليبين لهم﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

فيهم، وذلك لأن عامة اليهود والنصارى لم يكونوا يعلمون التوراة والإنجيل، ولا يحفظون منها شيئاً، بل هم يتلقونها من أجيالهم ورجالهم، وهؤلاء كانوا يقرأون نعت النبي ﷺ في كتبهم، ويعرفون أنه رسول الله حقاً وصدقاً، ولكنهم يكتفون ذلك عن الناس، لئلا يؤمنوا بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك» هذا هو القول الصحيح في تفسير هذه الأحرف، [ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٢٣].

٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ۖ التَّسْعِ ۙ وَقُلْنَا لَهُ: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الْكَفْرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الْإِيمَانِ ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بَنِعْمِهِ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ التَّذْكِيرِ ﴿لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِلنَّعْمِ.

٦ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴿الْمَوْلُودِينَ﴾ وَيَسْتَحْيُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ [فَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ]، لِقَوْلِ بَعْضِ الْكُهَنَةِ: إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَآئِيلَ، يَكُونُ سَبَبَ ذَهَابِ مَلِكِ فِرْعَوْنَ ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الْإِنْجَاءُ، أَوْ: الْعَذَابُ ﴿بِلَاءٍ﴾ [أَي: إِنْجَامٍ] عَلَيْكُمْ [بِإِنْجَائِكُمْ]، أَوْ: ابْتِلَاءٌ [لَكُمْ بِمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ] ﴿مَنْ رِيكُمْ عَظِيمٌ﴾.

الْحَزَنَةُ الثَّالِثَةُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ عَنكُمْ ﴿٩﴾ وَمَا يَأْتِيكُمْ فَاسْتَفْهَمُوا تَقْرِيرَ [أَي: قَدْ أَتَاكُمْ] ﴿نَبَأٌ﴾ خَبِيرٌ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْم نُوحٍ وَعَادٍ قَوْم هُودٍ وَثَمُودٍ قَوْم صَالِحٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لَكَثَرْتُهُمْ؟ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْحُجُجِ الْوَاضِحَةِ، عَلَى صِدْقِهِمْ ﴿فَرُدُّوهُ﴾ أَي: الْإِيمَانِ ﴿إِلَيْهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَي: إِلَيْهَا، لِيَعْضُوهَا عَلَيْهَا، مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا

٧ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أَعْلَمَ ﴿رَبِّكُمْ﴾ لَشَنِّ شُكْرَتُمْ ﴿نِعْمَتِي﴾، بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وَلَشَنِّ كُفْرَتُمْ ﴿جَحَدْتُمُ النِّعْمَةَ﴾، بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، لَأَعَذِّبَنَّكُمْ، دَلٌّ عَلَيْهِ: ﴿إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

٨ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لِقَوْمِهِ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ عَنكُمْ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿حَمِيدٌ﴾ مَحْمُودٌ فِي صَنْعِهِ بِهِمْ ﴿٩﴾

٩ ﴿مَا يَأْتِيكُمْ﴾ اسْتَفْهَمُوا تَقْرِيرَ، [أَي: قَدْ أَتَاكُمْ] ﴿نَبَأٌ﴾ خَبِيرٌ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْم نُوحٍ وَعَادٍ قَوْم هُودٍ وَثَمُودٍ قَوْم صَالِحٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لَكَثَرْتُهُمْ؟ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْحُجُجِ الْوَاضِحَةِ، عَلَى صِدْقِهِمْ ﴿فَرُدُّوهُ﴾ أَي: الْإِيمَانِ ﴿إِلَيْهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَي: إِلَيْهَا، لِيَعْضُوهَا عَلَيْهَا، مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا

(١) قوله: «التسعة». وهي آيات: اليد، والعصا، والسنين، وطس الأموال، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وجاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه القبط، ليؤمنوا به ويسلموا معه لله رب العالمين، وأوتى آيات أخرى كثيرة لحمل قومه بني إسرائيل على الرجوع عن الضلال، أو على أخذ ما في الثروة، وقد بيّنا ذلك مفصلاً في تعليقنا ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «محمود في صنعه بهم»، صنّع الله بهم، يعني: العقاب، سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة، وهذه إشارة إلى أن القصص أو العقوبة لمستحقها عدل، والعدل محمود غير مذموم، وكذلك فاعل العدل، فلا يصح أن ينسب إلى العادل في المعاقبة ظلم، فالله تعالى قد أهلكت القرون الأولى بظلمهم وكفرهم، وأوجب عقوبات صارمة على المعتدين على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، لردهم وتأمين الناس من شرهم، وهذا عين العدل.

فنجب قولهم عن أحكام الإسلام هذه: إنها همجية قاسية، إذ تأخذهم الرأفة بالمجرمين والظالمين المعتدين، ولا تأخذهم الرأفة بالمعتدى عليهم، المظلومين، المجهولين، المضطهدين، وفيهم الأراذل والأنام، الذين جنت عليهم أيدي أولئك المجرمين، فلا حياة إلا في ظلال العدل كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أرسلتم به ﴿ على زعمكم ﴾ وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴿ موقع في الريبة .

١٠ ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك ؟ ﴾ استفهام إنكار، أي : لا شك في توحيدہ، للدلائل الظاهرة عليه ﴿ فاطر ﴾ خالق السماوات والأرض يدعوكم ﴿ إلى طاعته ﴾ ليغفر لكم من ذنوبكم ﴿ من ، زائدة ، فإن الإسلام يُغفر به ما قبله ، أو : [هي] تبعية ، لإخراج حقوق العباد ﴿ ويؤخركم ﴾ بلا عذاب ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ أجل الموت ﴿ قالوا إن ﴾ ما ﴿ أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ من الأصنام ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ حجة ظاهرة ، على صدقكم .

سُورَةُ الْاِنْفِثَارِ ١٤

أَرْسَلْتُمْ بِهِ ۖ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾
 * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصْذُونَا
 عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ قَالَتْ
 لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
 مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ وَمَا
 لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
 عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيَّ مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

١١ ﴿ قالت لهم رسلهم إن ﴾ ما ﴿ نحن إلا بشر مثلكم ﴾ كما قلتم ﴿ ولكن الله يمين على من يشاء من عباده ﴾ بالنبوة ﴿ وما كان ﴾ ما ينبغي ﴿ لنا أن نأتيكم بسلطان ﴾ [أي : آية وبرهان ، على صدق ما نقول] ﴿ إلا بإذن الله ﴾ بأمره ، لأننا عبيد مربوبون ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يتقوا به ^(١) .

١٢ ﴿ وما لنا أن ﴾ لا نتوكل على الله ﴾ أي : لا مانع لنا من ذلك ﴿ وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا ﴾ على أذاكم ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ .

١٣ ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن ﴾ لتصبرن ﴿ في ملتنا ﴾ ديننا ﴿ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن

(١) قوله : ﴿ يتقوا به ﴾ . هذا هو التفسير الصحيح لمعنى «التوكل» إنه : «الثقة بالله» ، فالمتوكل : هو الواصل بما عند الله تعالى ، المعتمد عليه وحده ، موثقاً بأنه : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، مطمئن بذلك نفسه ، ففي التوكل إيمان بوحداية الله تعالى وكمال صفاته ، وليس التوكل ترك الأسباب ، وعدم العمل والسعي في الرزق ، كما يتوهم البعض ، فإن هذا

«توكل» وليس توكلًا ، فالناجر - مثلاً - يفتح متجره ، ويضع فيه بضاعة ، ويجلس فيه ، وهذه كلها أسباب ، أما الرزاق فهو الله تعالى ، الذي يسوق إليه رزقه المقسوم له .

فأساس التوكل وعماده : الاعتماد على الله والثقة به تعالى وحده ، في كل حال وشأن ، ولا ينافي هذا المعنى أن يعمل العبد بالأسباب ، مع اعتقاده بأنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تعطي ولا تمنع ، بل إن فاعل ذلك كله وخالقه هو الله تعالى ، روى الترمذي وحسنه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً - أي : ضامرة البطون من الجوع - وتروح - أي : ترجع آخر النهار - بطاناً» أي : ممتلئة البطون ، تلاحظ قوله ﷺ : «تغدو ، وتروح» ، أي : فلو لم تفعل الطير ذلك ، لماتت في أعشاشها .

الظالمين ﴿الكافرين﴾ ١٤ ﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أرضهم ﴿من بعدهم﴾ بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لمن خاف مقامى﴾ أي: مقامه بين يدي ﴿وخاف وعيد﴾ بالعذاب. ١٥ ﴿واستفتحوا﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وخاب﴾ خسر ﴿كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عنيد﴾ معاند للحق. ١٦ ﴿من ورائه﴾ أي: أمامه ﴿جهنم﴾ يدخلها ﴿ويسقى﴾ فيها ﴿من ماء صديد﴾ هو: ما يسيل من جوف أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم. ١٧ ﴿ينجرعه﴾ يبتلعه، مرة بعد مرة، لمرارته [وقدّارته] ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يزدرده، لقبحه وكرهته ﴿ويأتيه الموت﴾ أي: أسبابه المقتضية له، من أنواع العذاب ﴿من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه﴾ [أي: بعد ذلك العذاب عذاب غليظ قوي متصل.

الظالمين

الظالمين ﴿١٤﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ مَنْ وَرَاءَهُ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ يَنْجَرُهُ وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَاءِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ

١٨ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الذين كفروا بربهم﴾ مبتدأ، ويبدل منه ﴿أعمالهم﴾ الصالحات، كصلة [رحم] وصدقة، في عدم الانتفاع بها ﴿كرماد﴾ اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴿شديد هبوب الريح، فجعلته هباءً منثوراً، لا يُقدَّرُ عليه، والجار والمجرور خبر المبتدأ﴾ لا يقدرُونَ ﴿أي: الكفار﴾ مما كسبوا ﴿عملوا في الدنيا على شيء﴾ أي: لا يجدون له ثواباً [في الآخرة]، لعدم شرطه، [وهو: الإيمان، بل يثابون عليه في الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مَوْمِنًا حَسَنَةً، يَعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الْكَافِرُ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ، فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» رواه مسلم] ﴿ذلك﴾ [أي: كفرهم بربهم، وخسرانهم ثواب أعمالهم بسببه] ﴿هو الضلال﴾ [الذي أدّى بهم إلى] الهلاك ﴿البعيد﴾ [صفة «الضلال»، لبيان شدة ضلالهم، وبعدهم عن الإيمان]. ١٩ ﴿ألم تر﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أن الله خلق السماوات والأرض بالحق؟ متعلق بـ «خلق» ﴿إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿ويأت بخلق جديد﴾ بدلكم. ٢٠ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ شديد.

٢١ ﴿وبرزوا﴾ أي: الخلائق، والتعبير فيه، وفيما بعده بالماضي، لتحقيق وقوعه ﴿الله جميعاً﴾ فقال الضعفاء ﴿الأتباع﴾ للذين استكبروا ﴿المتبوعين﴾ ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ جمع «تابع» ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا من عذاب الله من شيء﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قالوا﴾ أي: المتبوعون ﴿لو هدانا الله﴾

(١) قوله: «أي: أمامهم» ومثله قوله تعالى في سورة «الكهف»: «وكان وراءهم ملك» أي: أمامهم، قال أبو جعفر النحاس المتوفى عام (٣٣٨هـ) في قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ أي: من أمامه، فهي من: «تَراى» أي: استتر، وقال أبو منصور الأزهري اللغوي المتوفى عام (٣٧٠هـ): إن «وراء» تكون بمعنى: «خلف وأمام» فهو من الأضداد، واشتقاقها مما توارى واستتر، قال القرطبي: وهو حسن. اهـ. فجهم لا يراها الكافر الآن، بل هو مقبل إليها، فهي أمامه.

لهديناكم ﴿لَدَعُونَاكُمْ إِلَى الْهَدْيِ﴾ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من ﴿زائدة﴾ محيص ﴿ملجأ﴾.

٢٢ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واجتمعوا عليه [يلومونه]: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء، ﴿فَصَدَقَكُمُ﴾ ووعدتكم ﴿أَنَّهُ غَيْرُ كَاثِنٍ﴾ فأخلفتكم وما كان لي عليكم من ﴿زائدة﴾ سلطان ﴿قُوَّةَ وَقْدَرَةٍ﴾ أنهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي﴾ [على دعوتي] ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ على إجابتي، [فإنكم استجبتم لي بمحض إرادتكم واختياركم، فكفروا عن اللوم، فلن ينفعنا شيء من ذلك الآن] ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

٢٣ ﴿وَادْخُلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة، [أي: مقدراً خلودهم] ﴿فِيهَا يَبَازُنُ رَبَّهُمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله، ومن الملائكة، وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

٢٤ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ كشجرة طيبة هي: النخلة^(١) ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها [وجذعها طويل عال] ﴿فِي السَّمَاءِ﴾؟

٢٥ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ بإذن ربها بإرادته، كذلك كلمة الإيمان، ثابتة في قلب المؤمن، وعمله [الصالح]، يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيُضْرَبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، فيؤمنون.

٢٦ ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ﴾ هي: كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ هي: [شجرة] «الحنظل»

(١) قوله: «هي النخلة»، إن تفسير «الشجرة الطيبة» في هذه الآية «بالنخلة»، وتفسير «الشجرة الخبيثة» في الآية ٢٦ «بالحنظلة»، جاء في روايات عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

عنه مرفوعاً في بعضها إلى النبي ﷺ، كما في روايات ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي يعلى، ورواية عند الترمذي من حديث حماد بن سلمة، ولكن الأصح - كما قال الترمذي - والمشهور لدى العلماء: أنه موقوف على أنس رضي الله عنه، فهو تفسير صحابي، وقد جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أخبروني عن شجرة تشبه الرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»، قال ابن عمر: فوقع في نفسي: أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلن، فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»، وهذا تفسير واضح للشجرة الطيبة، في الآية.

و «الحنظلة»: شجرة صحراوية لا ساق لها تمتد فروعها على الأرض كما يمتد زرع البطيخ، ثمرها شبيه بثمر البطيخ الأصفر الصغير وهو مكره، يجتثها الزارع حيث وجدها، وبها ضرب النبي ﷺ مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن فقال: «ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح - أي: طيب - وطعمها مر»، رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَادْخُلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَبَازُنُ رَبَّهُمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ

﴿اجتثت﴾ استؤصلت [لأنعدام الخير منها] ﴿من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر، لا ثبات لها، ولا فرع، ولا بركة. ٢٧ ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ هي: كلمة التوحيد ﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي: [في] القبر^(١)، لما يسألهم الملكان، عن ربهم ودينهم ونبیهم، فيجيبون بالصواب، كما في حديث الشيخين، ﴿ويضل الله الظالمين﴾ الكفار، فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون: لا ندري، كما في الحديث [اقرأ التعليق] ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾. ٢٨ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ أي: شكرها ﴿كفرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وأحلوا﴾ أنزلوا ﴿قومهم﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دار البوار﴾ الهلاك؟ ٢٩ ﴿جهنم﴾ عطف بيان ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿وبئس القرار﴾ المقر هي.

٣٠ ﴿وجعلوا لله أندادًا﴾ شركاء ﴿ليضلوا﴾ بفتح الباء وضمها ﴿عن سبيله﴾ دين الإسلام ﴿قل﴾ لهم ﴿تمتعوا﴾ بديناكم قليلًا ﴿فإن مصيركم﴾ مرجعكم ﴿إلى النار﴾.

٣١ ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق﴾ مخالفة، أي: صداقة تنفع، هو: يوم القيامة.

٣٢ ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكم الفلك﴾ السفن ﴿لتجري في البحر﴾ بالركوب والحمل ﴿بأمره﴾ بإذنه ﴿وسخر لكم الأنهار﴾. ٣٣ ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ جاريتين في فلكيهما، لا يقتيران

(١) قوله: «أي: في القبر لما يسألهم الملكان، إلخ، «القبر»: إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، فإن كان ما فيه خيرًا فما بعده خير منه، وإن كان ما فيه شرًا فما بعده شر منه، وسؤال الملكين في القبر حق، فقد أخرج الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أنه ملكان فأعدها يقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فقال محمد ﷺ: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ: «فيراها جميعاً، وأما المناق»

فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تلتيت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين، أي: الإنس والجن - وهذا هو الحديث الذي أشار إليه السيوطي في تفسير الآية، واسم الملكين: «مُنكر ونكير» كما في حديث حسنه الترمذي.

البرزخية

أَجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۖ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۖ ۝٢٧

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۖ ۝٢٩ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۖ ۝٣٠ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَافٍ ۚ قُلْ لِّلَّهِ الْوَيْلُ مِمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ۝٣١ قُلْ لِّلَّهِ الْوَيْلُ مِمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ۝٣٢ قُلْ لِّلَّهِ الْوَيْلُ مِمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ۝٣٣ قُلْ لِّلَّهِ الْوَيْلُ مِمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ۝٣٤

وعذاب القبر حق: فقد روى البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ: مرَّ بقبرين فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»، ارجع إلى تعليقنا حول النميمة ص ٢٤٩، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر.

ومما ينبغي أن يعلم: أن عذاب القبر ونعيمه، اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، و«البرزخ» هو: ما بين الدنيا والآخرة، فكل من مات =

﴿وسخر لكم الليل﴾ لتسكنوا فيه ﴿والنهار﴾ لتبتغوا فيه من فضله. ٣٤ ﴿وأتاكم من كل ما سألتموه﴾ على حسب مصالحكم ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ بمعنى: إنعامه [عليكم] ﴿لا تحصوها﴾ لا تطبقوا عدما ﴿إن الإنسان﴾ الكافر ﴿لظلم كفار﴾ كثير الظلم لنفسه، بالمعصية، والكفر لنعمة ربه، [أما المؤمن الصالح، فهو شاكراً لأنعم الله تعالى].

٣٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ مكة ﴿آمناً﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله حراماً، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يُختلَى خلّاه، [أي: لا يقطع حشيشه النابت

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ ١٤

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ
وَإِن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ۚ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ
الشَّمْرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۚ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۖ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۚ

٣٣٥

بنفسه] ﴿واجنبني﴾ بَعْدَنِي ﴿وبني﴾ عن ﴿أن نعبد الأصنام﴾. ٣٦ ﴿رب إنهن﴾ أي: الأصنام ﴿أضلن كثيراً من الناس﴾ بعبادتهم لها ﴿فمن تبعني﴾ على التوحيد ﴿فإنه مني﴾ من أهل ديني ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [قال إبراهيم] هذا، قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك، [أو: أنه يعني: العصيان غير الشرك]. ٣٧ ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ أي: بعضها، وهو: [إسماعيل] مع أمه [هاجر] ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ هو: مكة ﴿عن بيتك المحرم﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة﴾ قلوباً ﴿من الناس تهوي﴾ تميل وتحن ﴿إليهم﴾ قال ابن عباس: لو قال: «أفئدة الناس»، لحثت إليه فارس والروم، والناس كلهم ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقد [استجاب الله له ذلك، كما قال: «أولم نمكن لهم حراماً آمناً يُجيبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا؟» فمع أنه ليس في مكة شجرة مثمرة، فإن الثمرات تجبى إليها من كل مكان، استجابة لدعاء الخليل عليه السلام، وقيل: [فعل ذلك]، بنقل الطائف إليه^(١). ٣٨ ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي﴾ نسر ﴿وما نعلن﴾ [إلى هنا من كلام إبراهيم، وأما قوله: «وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء» فإنه] يحتمل أن يكون كلامه تعالى،

أو: كلام إبراهيم. ٣٩ ﴿الحمد لله الذي وهب لي﴾ أعطاني ﴿على﴾ مع ﴿الكبر إسماعيل﴾ [وهو الذبيح على الصحيح]، وُلِدَ، وله تسع وتسعون سنة ﴿وإسحاق﴾ وُلِدَ، وله مائة واثنان عشرة سنة ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾.

= وهو مستحق لعذاب، ناله نصيبه منه، قبر أو لم يُقْبَر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، ومثله النعيم للصالحين، ارجع إلى تعليقنا حول مستقر الروح بعد الموت ص ١٩٨ وإلى ص ٥٣٧.
(١) قوله: «فعل بنقل الطائف إليه» أي: إلى الحرم، هذا قول لا دليل عليه، فالصحيح هو ما ذكرناه في سياق تفسير الآية.

٤٠ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَاجْعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيمها، وأتى بـ «مِنْ» لإعلام الله تعالى له، أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ المذكور.

٤١ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل، وقيل: أسلمت أمه، وقرئ [شدوذاً]: «والدي» مفرداً، «وَوَلَدَيَّ» [يعني: ابنيّ] «وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت «الحساب».

٤٢ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون، من أهل مكة [وغيرها] ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى، يقال: شَخَصَ بصر فلان، أي: فتحه فلم يغمضه.

الْحُسْبَانُ

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٤﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٥﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمَثَالَ ﴿٤٦﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٧﴾ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ

٤٣ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين، حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْعِدْتَهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءً﴾ خالية من العقل، لفرعهم.

٤٤ ﴿وَأَنْذِرِ﴾ خوف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾ بأن نُزِدَّ إلى الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ نجب دعوتك ﴿بِالتَّوْحِيدِ﴾ ونتبع الرسل ﴿فَيَقَالُ لَهُمْ﴾ توبيخاً: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتُم ﴿مِّنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ زَاوَدَةٍ﴾ زوال ﴿عنها إلى الآخرة؟﴾ [أي: أنكرتم البعث].

٤٥ ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السالفة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ كيف فعلنا بهم ﴿مِنَ الْعُقُوبَةِ﴾ فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا بَيْنَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ في القرآن، فلم تعتبروا.

٤٦ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ [أي: كفار مكة]، بالنبي ﷺ ﴿مَكَرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله، أو تقييده، أو إخراجَه ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: علمه، أو: جزاؤه ﴿وَإِنْ مَا كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [لضعفه ووهنه]، المعنى:

لا يُعْبَأُ بِهِ، وَلَا يَضُرُّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام، المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة: بفتح لام «لِتَزُولَ»، ورفع الفعل، فـ «إِنْ» مخففة، [والهاء ضمير الشأن مقدرة، واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة، أي: «وإنه كان مكرهم لتزول»]، والمراد تعظيم مكرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على [القراءة] الثانية، [قولُه تعالى في سورة «مريم»:] «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا» [أن دعوا للرحمن ولداً]، وعلى [القراءة] الأولى، [يناسبه] ما قرئ [شدوذاً]: «وما كان». ٤٧ ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ

مخلف وعده رسله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب، لا يعجزه شيء ﴿ذُو انتقام﴾ ممن عصاه. ٤٨ اذكر ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ﴿تُبَدَّلُ﴾ [السَّمَاوَاتِ﴾ هو يوم القيامة، فيُحْشَرُ النَّاسُ، عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ، [الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الرَّقَاقِ»، وَمُسْلِمٌ فِي «التَّوْبَةِ»]، وَرَوَى مُسْلِمٌ [وَالْتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ] حَدِيثًا: سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ، [وَالسَّائِلُ هِيَ: أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ قَالَتْ: قُلْتُ:] أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «عَلَى الصَّرَاطِ» ﴿وَبِرْزَوَا﴾ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. ٤٩ ﴿وَتَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ، تَبْصُرُ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ مَقْرَنِينَ﴾ مُشْدُودِينَ مَعَ شَيَاطِينِهِمْ ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ الْقِيُودِ، أَوْ: الْأَغْلَالِ. ٥٠ ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ قَمَصُهُمْ ﴿مَنْ قَطْرَانٍ﴾ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ لاشتعال النار ﴿وَتَغْشَى﴾ تَعْلُو ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ النَّارِ. ٥١ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ «بِرْزَوَا» ﴿اللَّهُ﴾

سُورَةُ الْحَجَّجَةِ ١٥

مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٥٧﴾
يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٥٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقْرَنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٥٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ
النَّارُ ﴿٦٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٦١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٢﴾

﴿سُورَةُ الْحَجَّجَةِ﴾

(مكية، تسع وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «من» ﴿وقرآن مبين﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

٢ ﴿ربما﴾ بالتشديد والتخفيف، [وهما قراءتان سبعيتان، ولغتان في: «رُبَّ»]

(١) قوله: «من أيام الدنيا لحديث بذلك»، لقد سها الجلال السيوطي، بوصفه النهار بأنه «من أيام الدنيا»، وكرر

ذلك في ثلاثة مواضع أخرى: ص ٤٠، وص ٩٦، وص ١٧٢، ومثله فعل الجلال المحلي ص ٦١٩، والصواب: أن الله تعالى يحاسب الخلق كلهم في «مقدار نصف نهار»، أما مقدار هذا النهار، فقد جاء مبيناً في قوله تعالى في سورة «المعارج» ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ وَرُفِعَ الْكَافِرُونَ﴾، وهو: يوم القيامة، فيتم الحساب في نصف هذا اليوم، لما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، يهون ذلك على المؤمن، كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب»، ويؤيده ما رواه الشيخان في عقاب مانعي الزكاة في المحشر وفيه قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، وروى ابن المبارك في الزهد، وابن أبي حاتم، والحاكم وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه — موقوفاً عليه — قال: «لا يتنصف النهار من يوم القيامة حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء أي: المؤمنون في الجنة، والكفار في النار، =

(١٥) سُورَةُ الْحَجَّجَةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا

﴿يُودُ﴾ يتمنى ﴿الذين كفروا﴾ يوم القيامة، إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لو كانوا مسلمين﴾ و ﴿رُبَّ﴾ للتكثير، فإنه يكثر منهم تمنى ذلك، وقيل: للتقليل، [واعتمده النسفي، وقال: من قال «رُبَّ» للتكثير فهو سهو، لأن ذلك ضد ما يعرفه أهل اللغة]، فإن الأحوال تدهشهم، فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك، إلا في أحيان قليلة. ٣ ﴿ذرهم﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بدنياتهم ﴿ويلههم﴾ يشغلهم ﴿الأمل﴾ بطول العمر وغيره، عن الإيمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال. ٤ ﴿وما أهلكنا من﴾ زائدة ﴿قرية﴾ أريد أهلها ﴿إلا ولها كتاب﴾ أجل ﴿معلوم﴾ محدود لإهلاكها. ٥ ﴿ما تسبق من﴾ زائدة ﴿أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يتأخرون عنه.

الجزء الثاني

يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ١ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٢ وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ٣ مَا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ٤ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي
نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ٥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٦ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ٧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ
الْأَوَّلِينَ ٨ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ٩ كَذَلِكَ نَسْلُكُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ١٠
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ١١ وَلَوْ فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ١٢

٦ ﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ القرآن في زعمه ﴿إنك لمجنون﴾. ٧ ﴿لو ما﴾ هلاً ﴿تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ في قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله. ٨ قال تعالى: ﴿ما تنزل﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [والأصل: ﴿تنزل﴾] ﴿الملائكة إلا بالحق﴾ بالعذاب، [وفي قراءة أخرى: ﴿تنزل﴾ بالنون، وينصب ﴿الملائكة﴾] ﴿وما كانوا إذا﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿منظرين﴾ مؤخرين. ٩ ﴿إنا نحن﴾ تأكيد لاسم ﴿إن﴾، أو [ضمير] فصل، [والإعراب الأول أصح] ﴿نزلنا الذكر﴾ القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ من التبديل والتحريف، والزيادة والنقص.

١٠ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ رسلاً ﴿في شيع﴾ فرق ﴿الأولين﴾. ١١ ﴿وما﴾ كان ﴿يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

١٢ ﴿كذلك نسلكه﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك، ندخله ﴿في قلوب المجرمين﴾ أي: كفار مكة. ١٣ ﴿لا يؤمنون به﴾ بالنبي ﷺ ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أي: سنة الله فيهم، من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم. ١٤ ﴿ولو فتحننا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه﴾ في الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون.

قيام القيامة غويل بعد على الفاتنين، وهو أطول على الكافرين، وكان يوماً على الكافرين عسيراً، ولكنه يهون على المؤمنين - كل بحسب عمله - فمنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم سبعون ألفاً من أمة محمد ﷺ كما في حديث رواه الشيخان، ويكون قصيراً على الفقراء من المسلمين، فيدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، كما في حديث رواه الترمذي وصححه الحاكم، وفي رواية لمسلم: قبل أربعين عاماً، بينما الأغنياء محبوسون للحساب على ما لهم، من أين اكتسبوه؟ وفيهم أنفقوه؟
أما ما رواه أحمد وأبو داود، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم، قبل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام، فهو محمول على قرب قيام الساعة على الصحيح، =

١٥ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَتُ﴾ سُدَّتْ ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ يخيل إلينا ذلك، [ولمّا آمنوا]. ١٦ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والشبله، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي: منازل الكواكب السبعة السيارة: «المريخ»: وله الحمل والعقرب، و«الشمس»: ولها الأسد، و«الزهرة»: ولها الثور والميزان، و«عطارد»: وله الجوزاء والشبله، و«القمر»: وله السرطان، و«المشتري»: وله القوس والحوت؛ و«زُحَل»: وله الجدي والدلو ﴿وَزِينَاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّازِظِينَ﴾. ١٧ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مرجوم. ١٨ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطفه ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ شهاب مبین ﴿[الشهاب]: شعلة نار تنفصل من الكوكب، على الصحيح، وقيل: كوكب مضيء يُخْرِقُهُ، أو: يثقبه، أو: يخبله. ١٩ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت، لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ معلوم مقدار. ٢٠ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء [فقط، ولا يصح همزها، أي: ما تعاشون به] من الثمار والحبوب ﴿و﴾ جَعَلْنَا لَكُمْ ﴿مِنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام، فإنما يرزقهم الله. ٢١ ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ عندنا خزائنه ﴿مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ﴾ وما ننزله إِلَّا بقدر معلوم ﴿عَلَى حَسْبِ الْمَصَالِحِ﴾. ٢٢ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ (١) تلقح السحاب، فيمتلئ ماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابَ﴾ ماء ﴿مَطَرًا﴾ فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴿أَي: ليست خزائنه بأيديكم، [أو: لستم أنتم الخازنون له]. ٢٣ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نَحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون، نرث جميع الخلق. ٢٤ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: من تقدم من الخلق، من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة. ٢٥ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. ٢٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم.

سُورَةُ الْحَجَّزَةِ ١٥

لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَتُ أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ١٥
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيْنَّاها لِلنَّظِيرِينَ ١٦
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مَبِينٌ ١٨ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ١٩
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ٢٠
وَإِنْ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَعْلُومٍ ٢١ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ٢٢ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نَحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ٢٣ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ٢٤ وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ
يُحْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٢٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

= وليس على يوم الحساب، لذلك آورده أبو داود في باب: «قرب الساعة»، والمعنى: يعمله من زمانه هذا إلى انتهاء خمسمائة سنة، بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة، ولو زاد فلا مضايقة فيه.

(١) قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ تفسير السيوطي له غير واضح، والصحيح: أن وصف «الرياح» بـ «اللوّاقِح»، هو من إعجاز القرآن العلمي القطعي، لأنه من الثابت: أن الرياح بتصرف الله تعالى لها، تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والثمر، وعملية التلقيح هذه هي مثل تأبير النخل الذي يقوم به الإنسان، يؤيده وصف الرياح بالعقيم في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ما تذر من شيء أنت عليه إِلَّا جعلته كالريم.

﴿من صلصال﴾ طين يابس [كالفخار]، يسمع له صلصلة، أي: صوت إذا نُقِرَ ﴿من حمأ﴾ طين أسود ﴿مسنون﴾ متغير [من طول مكثه، حتى يتخمر، وقيل: أي: مصوراً].

٢٧ ﴿والجان﴾ أبا الجن، [أي: أصلهم، الذي هو كآدم في الإنس]، وهو: إبليس، [قاله الحسن البصري، والصحيح: أنه أبو الشياطين منهم] ﴿خلقناه من قبل﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ هي نار لا دخان لها، تنفذ من المسام.

٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾.

٢٩ ﴿فلإذا سويته﴾ أتمته ﴿ونفخت﴾

أجريت ﴿فيه من روحي﴾^(١) [أي: روحه التي خلقتها له]، فصار حياً، وإضافة الروح إليه [تعالى]، تشریف لآدم ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية بالانحناء.

٣٠ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فيه تأكيدان [هما: «كلهم» و«أجمعون»].

٣١ ﴿إلا إبليس﴾ هو: [من الجن، وأبو الشياطين، وقيل: أبو الجن كان بين الملائكة]^(٢) ﴿أبى﴾ امتنع من ﴿أن يكون مع الساجدين﴾.

٣٢ ﴿قال﴾ تعالى: ﴿يا إبليس مالك﴾ ما منعك ﴿أ﴾ ن ﴿لا﴾ زائدة ﴿تكون مع الساجدين؟﴾.

٣٣ ﴿قال لم أكن لأسجد﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾.

٣٤ ﴿قال فاخرج منها﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود.

٣٥ ﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الجزاء.

٣٦ ﴿قال رب فأنظرني﴾ [أي: أمهلني] ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي: الناس.

٣٧ ﴿قال فإنك من المنظرين﴾.

٣٨ ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وقت النفخة الأولى، [حيث يموت مع جميع الخلق]. ٣٩ ﴿قال رب بما أغويتني﴾ أي: يا غواثك لي، والباء للقسمة، وجوابه: ﴿لأزيتن لهم في الأرض﴾ المعاصي ﴿ولأغوينهم﴾

الجزء الرابع عشر

مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ

مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ

إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَلِإِذَا

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ

أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَبٰٓئِسُ مٰلِكُ

أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمََّا كُنْتُ لَا تَعْبُدُ لِبَشَرٍ

خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَانۢخُرْ مِنْهَا

فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

الْمُنۢظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ

رَبِّ بِمَا أَغَوَيْتَنِي لِأَزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿من روحي﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

(٢) قوله: «هو أبو الجن كان بين الملائكة»، الصحيح: أنه أبو الشياطين. من الجن، وليس أبا الجن جميعاً كما ذكر السيوطي، ارجع إلى تعليقنا حول «إبليس» ص ٣٨٨، وإلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠، وإلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧، وإلى تعليقنا حول «حواء» ص ٥٣٣.

أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ آدَخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِيُّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْنِي بِنَارٍ يُقَالُ إِنَّكَ مُسْنِيٌّ

أجمعين. ﴿٤٠﴾ [إلا عبادك منهم المخلصين] أي: المؤمنين: [فإنهم في مأمن من غوايتي وإضلالي]. ﴿٤١﴾ قال تعالى: ﴿هذا﴾ [أي: الإيمان] ﴿صراط عليّ مستقيم﴾ [أي: طريق يوصلهم إلى جنتي، وأضمن ذلك لعبادي المخلصين، أو: هذا عهد لهم عندي]. ﴿٤٢﴾ و [هذا العهد] هو: ﴿إن عبادي﴾ أي: المؤمنين، [الذين قدّرت لهم الهداية] ﴿ليس لك عليهم﴾ [أي: على قلوبهم] ﴿سلطان﴾ قوة، [فلا تقدر على إغوائهم] ﴿إلا﴾ لكن ﴿من اتبعك من الغاوين﴾ الكافرين [فالاستثناء منقطع]. ﴿٤٣﴾ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴿أي: من اتبعك معك.﴾ ﴿٤٤﴾ لها سبعة أبواب ﴿أطباق﴾ بعضها فوق بعض، قاله علي بن أبي طالب، والصحيح: أنها أبواب سبعة، يدخل من كل باب، جزء من أتباع إبليس، كلٌ بحسب عمله [لكل باب] منها ﴿منهم جزء﴾ نصيب ﴿مقسوم﴾.

﴿٤٥﴾ [إن المتقين في جنات] بساتين ﴿وعيون﴾ تجري فيها. ﴿٤٦﴾ ويقال لهم: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي: سالمين من كل مخوف، أو: مع سلام، أي: سلّموا وادخلوا ﴿آمنين﴾ من كل فزع. ﴿٤٧﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴿حقن﴾ [إخواناً] حال منهم ﴿على سرر متقابلين﴾ حال أيضاً، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسرة بهم. ﴿٤٨﴾ لا يمسهم فيها نصب ﴿تعب﴾ وما هم منها بمخرجين ﴿أبداءً﴾. ﴿٤٩﴾ ﴿نبي﴾ ﴿نبي﴾ خبّر يا محمد ﴿عبادي﴾ أنني أنا الغفور ﴿للمؤمنين﴾ الرحيم ﴿بهم﴾. ﴿٥٠﴾ وإن عذابي ﴿للعصاة﴾ هو العذاب الاليم ﴿المؤلم﴾. ﴿٥١﴾ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴿هم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل﴾. ﴿٥٢﴾ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴿أي: هذا اللفظ﴾ قال إبراهيم، لمّا عرض عليهم الأكل، فلم يأكلوا: ﴿إنا منكم وجلون﴾ خائفون. ﴿٥٣﴾ قالوا لا توجل ﴿إنا﴾ رسل ربك ﴿نبشرك بغلام عليم﴾ ذي علم كثير، هو: إسحاق، كما ذكر في [سورة] ﴿هود﴾ [الآية ٧١]. ﴿٥٤﴾ قال أبشّرتموني بالولد ﴿على أن مسني﴾

(١) قوله تعالى: ﴿نبي﴾ عبادي ﴿الآيتين﴾: (٤٩ و ٥٠)، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «رياض الصالحين»:

«اعلم: أن المختار للعبد في حال صحته، أن يكون خافئاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحض الرجاء — أي: يغلب الرجاء على الخوف — وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك، متظاهرة على ذلك، قال تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله﴾ أي: انتقامه — إلا القوم الخاسرون»، وقال تعالى: ﴿إنه لا يئأس من رّوح الله﴾ أي: من رحمة — إلا القوم الكافرون»، والآيات التي جمعت بين الرجاء والخوف كثيرة، وكذلك الأحاديث النبوية، منها: ما رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهنم أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جهنم أحد»، وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

الكبر ﴿حال، أي: مع مسه إياي؟﴾ ﴿فيم﴾ ﴿تبشرون؟﴾ استفهام تعجب. ٥٥ ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بالصدق ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين. ٥٦ ﴿قال ومن﴾ أي: لا ﴿يقنط﴾^(١) بكسر النون وفتحها، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الكافرون. ٥٧ ﴿قال فما خطبكم﴾ شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾. ٥٨ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ كافرين، أي: قوم لوط، لإهلاكهم. ٥٩ ﴿إلا آل لوط إنا لمنجوههم أجمعين﴾ لإيمانهم. ٦٠ ﴿إلا أمرأته قدرنا﴾ [أي: قدر الله تعالى] ﴿إنها لمن الغابرين﴾ الباقيين في العذاب، لكفرها. ٦١ ﴿فلما جاء آل لوط﴾ أي: لوطاً ﴿المرسلون﴾. ٦٢ ﴿قال﴾ لهم ﴿إنكم قوم منكرون﴾ لا أعرفكم.

البقرة

الْكِبْرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَاخْطُبْكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إنا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إنا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإنا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مُقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ

٦٣ ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا﴾ أي: قومك ﴿فيه يمترون﴾ يشكون، وهو: العذاب. ٦٤ ﴿وأتيناك بالحق وإنا لصادقون﴾ في قولنا. ٦٥ ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم﴾ امش خلفهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ وهو: الشام. ٦٦ ﴿وقضينا﴾ أوحينا ﴿إليه ذلك الأمر﴾ وهو ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ حال، أي: يتم استئصالهم في الصباح. ٦٧ ﴿وجاء أهل المدينة﴾ مدينة سدوم^(٢)، وهم: قوم لوط، لما أخبروه أن في بيت لوط مؤزداً حسناً، وهم الملائكة ﴿يستبشرون﴾ حال، طمعاً في فعل الفاحشة بهم. ٦٨ ﴿قال﴾ لوط ﴿إن هؤلاء

فعلى المسلم أن لا يغتر بعفو الله ورحمته، فيلازم المعاصي، كما أن عليه أن لا يقنط من رحمة الله، فيظن أن الله لا يغفر له ذنوبه، فلا يتوب، بل: من تاب توبة صحيحة تاب الله عليه قطعاً، أرجع إلى تعليقنا حول التوبة، ص ٧٥٢.

(١) قوله تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ لا يجوز للمسلم أن يئأس من رحمة الله تعالى، ولو كانت ذنوبه كبيرة وسيئاته كثيرة، قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾، قاله تعالى يغفر جميع الذنوب إلا الشرك به لقوله سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وروى الترمذي وحسنه، عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة﴾، أرجع إلى تعليقنا حول التوبة وشروطها ص ٧٥٢ وإلى تعليقنا في الصفحة السابقة ٣٤١.

٣٤٢

(٢) قوله: ﴿مدينة سدوم﴾ بالذال المهملة، وصحح بعضهم أنها بالذال المعجمة، وهي أكبر مدنها، أرجع إلى تعليقنا حول قري قوم لوط وموقعها ص ٢٩٥.

ضيفي فلا تفضحون ﴿٦٩﴾ واتقوا الله ولا تخزون ﴿٧٠﴾ بقصدكم إياهم، بفعل الفاحشة بهم. ﴿٧٠﴾ قالوا أولم ننهك عن العالمين ﴿٧١﴾ عن إضاقتهم. ﴿٧١﴾ قال هؤلاء بناتي ﴿أي: انصرفوا إلى النساء﴾ إن كنتم فاعلين ﴿ما تريدون من قضاء الشهوة، فتزوجوهن﴾، قال قتادة السدوسي، ومجاهد بن جبر، وغيرهما: لم يكن بناته، ولكن كن من أمته، وكل نبي أبو أمته، وقال ابن جريج: أمرهم أن يتزوجوا النساء، ولم يعرض عليهم سفاحاً، أي: زناً. ﴿٧٢﴾ قال تعالى: ﴿لعمرك﴾ خطاب للنبي ﷺ، أي: وحياتك ^(١) ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ يترددون. ﴿٧٣﴾ فأخذتهم الصبيحة ﴿صبيحة جبريل﴾ مشرقين ﴿وقت شروق الشمس﴾.

سورة الحجرات ١٥

ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٩﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٧٠﴾
قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٢﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٣﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبِيحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٤﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٥﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّمَا لِبَسِيلٍ مَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٩﴾
فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِأَمَلٍ مُبِينٍ ﴿٨٠﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨١﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٢﴾ وَكَانُوا يَخْتُونُ مِنْ الْجِبَالِ
بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبِيحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٤﴾
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا

﴿٧٤﴾ فجعلنا عاليها ﴿أي: قراهم﴾ سافلها ﴿بأن رفعها جبريل إلى السماء، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض﴾، فلذلك سُميت: «المؤتفكات»، لأنها قُلبت بأهلها ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ طين طبخ بالنار. ﴿٧٥﴾ إن في ذلك المذكور ﴿آيات﴾ دلالات على وحدانية الله للمتوسمين ﴿لِلناظرين المعبرين﴾. ﴿٧٦﴾ وإنها ﴿أي: قرى قوم لوط﴾ لبسبيل مقيم طريق قريش إلى الشام، لم تدرس، أفلا تعتبرون بهم؟

﴿٧٧﴾ إن في ذلك لآية ﴿لعبرة للمؤمنين﴾. ﴿٧٨﴾ وإن ﴿مخفة أي: إنه﴾ كان أصحاب الأيكة ﴿هي: غيضة شجر بقرب «مدين»، وهم: قوم «شعيب» لظالمين﴾ بتكذيبهم شعبياً. ﴿٧٩﴾ فانتقمنا منهم ﴿بأن أهلكتهم بشدة الحر﴾ وإنهما ﴿أي: قرى قوم لوط، و [أصحاب] الأيكة ^(٢)﴾ لليمام طريق ﴿مبين﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟ ﴿٨٠﴾ ولقد كذب أصحاب الحجر ﴿واد بين المدينة والشام، وهم: ثمود ^(٣)﴾ المرسلين بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباقي الرسل، لاشتراكهم في المنجيء بالتوحيد. ﴿٨١﴾ وآتيناهم آياتنا ﴿في الناقة﴾ فكانوا عنها معرضين ﴿لا يفكرون فيها﴾. ﴿٨٢﴾ وكانوا يختون من الجبال بيوتاً آمنين. ﴿٨٣﴾ فأخذتهم الصبيحة مصبحين ﴿وقت الصباح﴾. ﴿٨٤﴾ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴿من بناء الحصون وجمع الأموال﴾. ﴿٨٥﴾ وما خلقنا

(١) قوله: أي: «وحياتك» لم يقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد ﷺ، وهذا تكريم له ورفع لمقامه، والله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، فأقسم بالضحى والليل وغيرهما، أما نحن فلا يجوز لنا الحلف بغير الله تعالى، وقد بينا ذلك في تعليقتنا حول «الآيمان» ص ١٥٤.

(٢) قوله: «قرى قوم لوط، والأيكة»: ارجع إلى تعليقتنا حول «قرى قوم لوط» ص ٢٩٥، وحول «أصحاب الأيكة» مدين ص ٢٩٦.

(٣) قوله: «وهم ثمود»، ارجع إلى تعليقتنا حولهم ص ٢٩٣.

السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ﴿ لا محالة، فيجازى كلُّ أحد بعمله ﴾ ﴿فاصفح﴾ يا محمد عن قومك ﴿الصفح الجميل﴾ أعرض عنهم، إعراضاً لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف. ٨٦ ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ لكل شيء ﴿العليم﴾ بكل شيء. ٨٧ ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان، لأنها تُتلى في كل ركعة ﴿والقرآن العظيم﴾. ٨٨ ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿منهم ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك ﴿للمؤمنين﴾. ٨٩ ﴿وقل إني أنا النذير﴾ من عذاب الله، أن ينزل عليكم ﴿المبين﴾ البين الإنذار. ٩٠ ﴿كما أنزلنا﴾ العذاب ﴿على المقتسمين﴾ اليهود والنصارى. ٩١ ﴿الذين جعلوا القرآن﴾

أي: كتبهم المنزلة عليهم ﴿عضين﴾ أجزاء، حيث آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، [هذا قول ابن عباس، كما أخرجه البخاري وغيره] وقيل: المراد بهم، [أي: بالمقتسمين]، الذين اقتسموا طرق مكة، يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سحر وبعضهم: كهانة، وبعضهم: شعر. ٩٢ ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ سؤال توبيخ. ٩٣ ﴿عما كانوا يعملون﴾. ٩٤ ﴿فاصدع﴾ يا محمد ﴿بما تؤمر﴾ به أي: أجهز به وأمضه ﴿وأعرض عن المشركين﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد. ٩٥ ﴿إننا كفييناك المستهزئين﴾^(١) بك، ياهلاكنا كلاً منهم بأفة، وهم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي، [وقيل: الحارث] بن قيس، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، [أو: كفييناك إياهم بعصمتك منهم، كقوله تعالى: «والله يعصمك من الناس»، وهذا المعنى أوضح]. ٩٦ ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾ صفة، وقيل: مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط، دخلت الفاء في خبره وهو: ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم. ٩٧ ﴿ولقد﴾ للتحقيق^(٢) ﴿نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون﴾ من الاستهزاء والتكذيب، [أي: قد علمنا ذلك]. ٩٨ ﴿فسبح﴾ متلبساً ﴿بحمد

الحمد لله الذي

السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإنا الساعاة لآتية ﴿فاصفح﴾ الصفح الجميل ﴿٨٥﴾ إن ربك هو الخلاق العليم ﴿٨٦﴾ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴿٨٧﴾ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم وأخفض جناحك للمؤمنين ﴿٨٨﴾ وقل إني أنا النذير المبين ﴿٨٩﴾ كما أنزلنا على المقتسمين ﴿٩٠﴾ الذين جعلوا القرآن عضين ﴿٩١﴾ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴿٩٢﴾ عما كانوا يعملون ﴿٩٣﴾ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴿٩٤﴾ إنا كفييناك المستهزئين ﴿٩٥﴾ الذين يجعلون مع الله إلهاء آخر ﴿٩٦﴾ فسوف يعلمون ﴿٩٧﴾ ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون ﴿٩٨﴾ فسبح بحمد

(١) قوله تعالى: ﴿إننا كفييناك﴾ أخرج البزار والطبراني في «الأوسط» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي؟ ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً حتى تتواء، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: ﴿إننا كفييناك المستهزئين﴾، وهذا وجه في تفسير الآية، والأحسن منه، ما أضفناه في سياق التفسير.

(٢) قوله: ﴿للتحقيق﴾ جاء الفعل المضارع من: «علم» بعد «قد»، في ستة مواضع من القرآن الكريم، وقد جرى الجلالان المحلي والسيوطي رحمهما الله على اعتبارها للتحقيق، لا للقليل كما هي القاعدة، ولكن ابن هشام في «المعني» يرجح إبقاها على القاعدة، أرجع إلى تعليقنا حول هذه المسألة ص ٤٦٩ ففيه فوائد.

ربك ﴿أي، قل: سبحان الله وبحمده﴾ وكن من الساجدين ﴿المصلين﴾ ٩٩ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ الموت.

﴿سُورَةُ النَّجْمِ﴾

(مكية، إلا: «وإن عاقبتكم» إلى آخرها،
مائة وثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿أتى أمر الله﴾ أي: الساعة، و﴿أتى﴾ بصيغة الماضي، لتحقيق وقوعه، أي: قرب ﴿فلا تستعجلوه﴾ تطلبوه قبل حينه، فإنه واقع لا محالة ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يشركون﴾ به غيره.

٢ ﴿ينزل﴾ [الله] ﴿الملائكة﴾ أي: جبريل ﴿بالروح﴾^(١) بالوحي ﴿من أمره﴾ بإرادته ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم: الأنبياء ﴿أن﴾ مفسرة ﴿أنذروا﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب، وأعلموهم ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ خافون.

٣ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي: مُحَقَّقاً، [ولحكمة، لا عبثاً] ﴿تعالى عما يشركون﴾ به من الأصنام.

٤ ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ مني، إلى أن صيره قوياً شديداً ﴿فإذا هو خصيم﴾ شديد الخصومة ﴿مبين﴾ بيئها، في نفى البعث قائلًا: «من يحيي العظام وهي رميم؟»^(٢).

٥ ﴿والأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصبه بفعل مقدر، يفسره: ﴿خلقها﴾^(٣) لكم من جملة الناس ﴿فيها دفء﴾ ما تستدفئون به، من الأكسية [جمع «كساء»]، والأردية [جمع «رداء»]، المصنوعة من أشعارها وأصوافها

سُورَةُ النَّجْمِ ١٦

رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٢﴾

(١٦) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٌ وَعَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

(١) قوله تعالى: ﴿بالروح﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح»، ص ٣٧٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ ارجع إلى ختام سورة «يس»، حيث الآيات القاطعة في الدلالة على البعث بعد الموت، ص ٥٨٦.

(٣) قوله تعالى: ﴿خلقها﴾، وسيأتي في الآية ٦٦ ص ٢٥٤ قوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها﴾ بضمير المذكر، وفي سورة «المؤمنون»: ص ٤٤٧ الآية (٢١): ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ بضمير المؤنث، فالتأنيث: باعتبار لفظ «الجماعة»، والتذكير: باعتبار لفظ «الجمع»، وقال ابن الأنباري: «الأنعام يذكر ويؤنث»، وعليه فتأنيث الضمير العائد إليها وتذكيره سواء، وهكذا جاء في القرآن الكريم.

﴿ومنافع﴾ من النسل والدّر، [أي: اللبن]، والرّكوب ﴿ومنها تأكلون﴾ قدم الظرف، [وهو شبه الجملة: «منها»]، مراعاةً للفاصلة، [أي: لرؤوس الآي].

٦ ﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها إلى مراحها، [أي: المكان الذي تبيت فيه] بالعشيّ ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

٧ ﴿وتحمل أثقالكم﴾ أحمالكم ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ واصلين إليه، على غير الإبل ﴿إلا بشق الأنفس﴾ بجهدّها. إن ربكم لرؤوف رحيم ﴿بكم﴾، حيث خلقها لكم.

٨ ﴿و﴾ خلق ﴿الخيّل والبغال والحمير﴾ لتركبوها وزينة ﴿مفعول له﴾، والتعليل بهما لتعريف النعم، لا ينافي خلقها لغير ذلك، كالأكل في الخيل، الثابت [جله] بحديث الصحيحين^(١) ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة، [من وسائل النقل وغيرها].

٩ ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿ومنها﴾ أي: السبيل ﴿جائر﴾ حائد عن الاستقامة ﴿ولو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم﴾ إلى قصد السبيل ﴿أجمعين﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

١٠ ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ ينبت بسببه ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون دوابكم.

١١ ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك﴾ المذكور ﴿آية﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يفكرون﴾ في صنعه، فيؤمنون.

١٢ ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع مبتداً ﴿والقمر والنجوم﴾ بالوجهين، [أي: بالنصب والرفع] ﴿مسخرات﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بأمره﴾ بإرادته ﴿إن في ذلك آيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون.

١٣ ﴿و﴾ سخر لكم ﴿ما ذرا﴾ خلق ﴿لكم في الأرض﴾ من الحيوان والنبات، وغير ذلك ﴿مختلفاً ألوانه﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إن في ذلك آية لقوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
بَلِغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ
الزَّعَّةَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

(١) قوله: «بحديث الصحيحين». في الصحيحين حديثان: أحدهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحُمُر الأهلية - أي: الحمير - وأذن في لحوم الخيل». وثانيهما: عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه»، وما زال أكل لحوم الخيل جارياً في كثير من بلاد المشرق الإسلامي حتى اليوم، وكذلك شرب لبنها.

يَذْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ذَلَّةً، لِرُكُوبِهِ وَالْغَوْصَ فِيهِ ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هُوَ: السَّمَكُ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هِيَ: اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿وَتَرَىٰ﴾ تَبَصَّرُ ﴿الْفَلَكَ﴾ السَّفِينُ ﴿مَوَآخِرَ فِيهِ﴾ تَمَخَّرَ الْمَاءُ أَي: تَشَقَّ بِجَرِيهَا فِيهِ، مَقْبَلَةً وَمُدْبِرَةً، بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ^(١) ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ عَطَفَ عَلَى: ﴿لِتَأْكُلُوا﴾، [أَي: تَطْلُبُوا] مِنْ فَضْلِهِ ﴿تَعَالَىٰ بِالتَّجَارَةِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ. ١٥﴾ ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ جِبَالًا ثَوَابِتٌ لَمْ ﴿أَنْ﴾ لَا ﴿تَمِيدَ﴾ تَتَحَرَّكَ ﴿بِكُمْ﴾ وَ﴿جَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا﴾ كَالثَّلِيلِ ﴿وَسُبُلًا﴾ طُرُقًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إِلَىٰ مَقَاصِدِكُمْ.

١٦ ﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾ [عَلَامَاتٍ] تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى الطُّرُقِ، كَالْجِبَالِ بِالنَّهَارِ ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ بِمَعْنَى: «النُّجُومِ» ﴿هَمَّ يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى الطُّرُقِ وَالْقِبْلَةِ، بِاللَّيْلِ. ١٧ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وَهُوَ: اللَّهُ ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وَهُوَ:

الْأَصْنَامُ، حَيْثُ تَشْرِكُونَهَا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ؟ لَا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هَذَا، فَتُؤْمِنُونَ؟ [بِتَشْدِيدِ الذَّالِّ وَالْكَافِ، وَفِي قِرَاءَةِ تَخْفِيفِ الذَّالِّ]. ١٨ ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ تَضَيُّطُوهَا، فَضْلًا ^(٢) أَنْ تَطْيِقُوا شُكْرَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حَيْثُ يَنْعَمُ عَلَيْكُمْ، مَعَ تَقْصِيرِكُمْ وَعَصْيَانِكُمْ. ١٩ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [فَاخْشَوْهُ]. ٢٠ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَهُمْ الْأَصْنَامُ ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يُصَوِّرُونَ، مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا. ٢١ ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لَا رُوحَ فِيهِمْ، خَبِيرٌ ثَانٍ، ﴿غَيْرِ أَحْيَاءٍ﴾ تَأْكِيدٌ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: الْأَصْنَامُ ﴿أَيَّانَ﴾ وَقَتٌ ﴿يَبْعَثُونَ﴾ أَي: [لَا يَعْرِفُونَ مَتَى يُبْعَثُ] الْخَلْقُ، فَيَكْفُ يُعْبَدُونَ؟ إِذْ لَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا الْخَالِقُ الْحَيُّ، الْعَالَمُ بِالْغَيْبِ. ٢٢ ﴿إِلَهُكُمْ﴾ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، [وَلَا فِي أَعْمَالِهِ]، وَهُوَ: اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ جَا حِدَةً لِلْوَحْدَانِيَّةِ ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ مُتَكَبِّرُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا.

٢٣ ﴿لَا جُرْمَ﴾ ^(٣) حَقًّا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فَيَجَازِيهِمْ بِذَلِكَ

سُورَةُ الْحَجَّاتِ ١٦

يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ بِالْنَّجْمِ هَمَّ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جُرْمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٣﴾

(١) قوله: «بريح واحدة» هذا عندما كانت السفن شرعية تجري بواسطة الريح فقط، أما اليوم فإن الفلك تمخر البحار على نحو أظهر، بواسطة المحركات الدافعة القوية، وكلمة «الفلك» تطلق على: الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، بخلاف «فلك» بالفتح، فإن جمعها «أفلاك» أي: مدار النجوم.

(٢) قوله: «فضلاً أن تطيقوا شكرها» هكذا جاء في المخطوطة الأولى من دون «عن» بعد «فضلاً»، خلافاً للطبعات ولما هو شائع، والصحيح ما في المخطوطة، لأن «فضلاً» هنا بمعنى: «بلغة» أي: دغ أو سوى، فلا تأتي بعدها «عن».

(٣) قوله تعالى: «لا جرم»، أرجع إلى تعليقنا حول معناه وإعرابه ص ٢٨٧.

﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(١) بمعنى: أنه يعاقبهم. ٢٤ ونزل في النضر بن الحارث: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا﴾ استفهامية. ﴿ذَا﴾ موصولة ﴿أَنْزَلَ رَبِّكُمْ﴾ على محمد؟ ﴿قَالُوا﴾ هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [يقولون ذلك] إضلالاً للناس. ٢٥ ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يَكْفُرْ منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال، فاتبعوهم، فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بشس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه، [أي: بشس] حملهم هذا.

٢٦ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهو: [الملك الكافر]: «نمرود» [بالدال المهملة، والأصح: أنه بالذال المعجمة]، بنى صرحاً طويلاً، ليصعد منه إلى السماء، ليقاتل أهلها ﴿فَأَنَّى اللَّهُ﴾ قصد ﴿بَنِيَانَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس، فأرسل عليه الريح والزلزلة، فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي: وهم تحته ﴿وَأَنَاهِمُ الْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل، لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

٢٧ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم، على لسان الملائكة توبيخاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم؟ ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

٢٨ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَالْقُوا السَّلَامَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت، قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة ﴿بَلَىٰ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

٢٩ ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُمْ بِمَشْوَىٰ﴾ ماوىء ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، «الكبر» من أمراض القلب الخطيرة، و«المتكبر»: إنسان مريض القلب متابع للشيطان، لأن إبليس — أخزاه الله تعالى —

كان أول من تكبر برفضه السجود لآدم قائلاً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، ولقد عرّف النبي ﷺ «الكبر» تعريفاً دقيقاً، فأخرج مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: من بَطَرِ الْحَقِّ، وَغَمَضِ النَّاسِ»، ومعنى: «إن الله جميل»، أي: هو صاحب الكمال المطلق المنزه عن النقائص، و«بَطَرِ الْحَقِّ»: رده وعدم القبول به، و«غَمَضِ النَّاسِ»: بالصاد — أو «غمط» — بالطاء — فيه روايتان، أي: احتقارهم، فكل من يرفض الحق ويأنف عن قبوله أو يحتقر الناس هو المتكبر الذي يبغضه الله تعالى، فمن واجب المسلم أن يكون متواضعاً، لأن الله تعالى أمر بالتواضع، فقد أخرج مسلم وغيره عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد».

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّى اللَّهُ بَنِيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَفِّقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُمْ بِمَشْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٩﴾

٣٠ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ في هذه الدنيا حسنة ﴿حياة طيبة﴾ و﴿لدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا وما فيها، قال تعالى فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾ هي. ٣١ ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ خبره [جملة]: ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾. ٣٢ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ٣٣ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالناء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ العذاب، أو: القيامة المشتعلة عليه؟ ﴿كَذَلِكَ﴾

كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

٣٤ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا به يستهزئون ﴿أي:﴾ العذاب.

٣٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١) من أهل مكة، [وغيرهم من الكافرين] ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عِبدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من البحائر والسوائب^(٢)، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به^(٣)، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ١٦

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ جَنَّاتُ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عِبدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عِبدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ الآية، إن قول المشركين هذا زيادة منهم في الكفر، لأنهم قالوا ذلك استهزاء وتبريراً لكفرهم. ولقد بينا ذلك في تعليقتنا ص ١٨٨ فارجع إليه.

(٢) قوله: ﴿من البحائر والسوائب﴾ هي: جمع «بحيرة» و «سائبة» تقدم بيان معناها عند تفسير قوله تعالى في سورة «المائدة»: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ...﴾ الآية، ص ١٥٧، فارجع إليه.

(٣) قوله: ﴿فهو راض به﴾ أي: بعملة الشيء ذاك، إن قول الذين أشركوا في الماضي، لا يختلف عن قولهم وقول

بعض العصاة في أيامنا، فكل هؤلاء لا يفرقون بين «المشيئة» و «الرضا»، بل يتوهمون أنه تعالى إذا شاء شيئاً فذاك يعني رضاه به ومحبته لفاعله، وهذا غير صحيح، لأن ثمة فرقاً بين «المشيئة» و «الرضا»، فكل ما يحدث من خير أو شر، هو بمشيئة الله تعالى، إذ لا يُعقل أن لا يوجد شيء من دون مشيئته تعالى، وإلا كان مكروهاً وهو محال، ولكن إذا كان الشيء الحاصل خيراً، فهو بمشيئته ورضاه، وإن كان شراً فهو بمشيئته لا برضاه قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، بل إن أحدنا نحن البشر، عندما يشرب الدواء المرّ الكريه، فإنما يشربه بإرادته ومشيئته، ولكن من دون رضاه، وهذا مثل ضربناه للتمييز بينهما.

فلو آمن الكافر وأطاع خالقه، ألا يكون ذلك بمشيئة الله تعالى؟! فلماذا يتخلف عن الإيمان، ويخالف أمر الرحمن؟! إنه الضلال المبين،

والعياذ بالله تعالى.

الذين من قبلهم ﴿أي: كذبوا رسلهم، فيما جاؤوا به، [وقالوا مثل قولهم] ﴿فهل﴾ [استفهام بمعنى النفي، أي: فما على الرسل إلا البلاغ المبين] الإبلاغ النبى، وليس عليهم هداية.

٣٦ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فمنهم من هدى الله﴾ فآمن ﴿ومنهم من حقت﴾ وجبت ﴿عليه الضلالة﴾ في علم الله، فلم يؤمن ﴿فسيروا﴾ يا كفار مكة ﴿في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ رسلهم، من الهلاك.

٣٧ ﴿إن تحرص﴾ يا محمد ﴿على هداهم﴾ - وقد أضلهم الله - ﴿فإنك﴾ لا تقدر على ذلك ﴿فإن الله لا يهدي﴾ بالبناء للمفعول ^(١) وللفاعل ﴿من يضل﴾ من يريد إضلاله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب الله.

٣٨ ﴿واقسموا﴾ ^(٢) بالله جهد أيمانهم ﴿أي: غاية اجتهدهم فيها﴾ لا يبعث الله من يموت ﴿قال تعالى:﴾ ﴿بلى﴾ يبعثهم ﴿وعداً عليه حقاً﴾ مصدران مؤكدان، منصوبان بفعلهما المقدر، أي: وعد ذلك وحقه حقاً ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك.

٣٩ ﴿يبعثهم﴾ ﴿ليبين﴾ متعلق بـ ﴿يبعثهم﴾ المقدر ﴿لهم الذي يختلفون﴾ مع المؤمنين ﴿فيه﴾ من أمر الدين، بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كاذبين﴾ في إنكار البعث.

٤٠ ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ أي: أردنا إيجاده، و ﴿قولنا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أن نقول له كن فيكون﴾ [بالرفع]، أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب، عطفاً على ﴿نقول﴾، والآية لتقرير القدرة على البعث.

٤١ ﴿والذين هاجروا في الله﴾ لإقامة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم: النبي ﷺ وأصحابه ﴿لنبوئتهم﴾ ننزلهم ﴿في الدنيا﴾ داراً ﴿حسنة﴾ هي: المدينة ﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿أكبر﴾ أعظم ﴿لو كانوا﴾

البقرة

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا
عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ
لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَذَّابِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

(١) قوله: «للمفعول وللفاعل» هما قراءتان سبعيتان، فعلى القراءة بالبناء للمفعول يكون المعنى: «إن الله كتب أن لا هادي لمن أضله» بقوله تعالى: «من يضل الله فلا هادي له». وعلى الثانية بالبناء للفاعل يكون المعنى: «إن الله لا يهدي من سبق في علمه تعالى أنه من أهل الضلالة».

(٢) قوله تعالى: «واقسموا» الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والواحدي في «أسباب النزول»، عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: «والذي أرجوه بعد الموت: أنه كذا وكذا». فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟ فأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت، فنزلت هذه الآية.

يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا
أَهْلَ الدِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الدِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن
يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ
بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكَ
لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَفَقَّهُوا ظِلًّا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
دَّخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

يعلمون ﴿٤١﴾ أي: الكفار، أو: المتخلفون عن الهجرة، ما للمهاجرين من الكرامة، لوافقوهم. ٤٢ هم ﴿الذين صبروا﴾
على أذى المشركين والهجرة، لإظهار الدين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون. ٤٣ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحى إليهم﴾ لا ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾
ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم، أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ. ٤٤ ﴿بالبينات﴾ متعلق بمحذوف،
أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿والزُّبُر﴾ الكتب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ فيه من
الحلال والحرام ﴿ولعلمهم يتفكرون﴾ في ذلك، فيعتبرون. ٤٥ ﴿أفأمن الذين مكروا﴾ المكرات ﴿السيئات﴾

بالنبي ﷺ، في دار الندوة، من: تقييده،
أو قتله، أو إخراجهم، كما ذكر في «الأنفال» [في
قوله تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
أو يقتلوك أو يخرجوك... الآية»] أن
يخسف الله بهم الأرض ﴿ك﴾ «قارون»، كما
سيأتي في آخر سورة «القصص» ص ٥١٧
﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي:
من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أهلكوا بيد،
ولم يكونوا يقدرون^(١) ذلك.

٤٦ ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في أسفارهم
للتجارة ﴿فما هم بمعجزين﴾ بفائتين العذاب.
٤٧ ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ تنقص شيئاً
فشيئاً، حتى يهلك الجميع، حال من الفاعل،
أو المفعول ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث
لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨ ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾
له ظل، كشجرة وجبل ﴿تتفياً﴾ تتميل،
[وفي قراءة: «يتفياً» بالياء] ﴿ظلاله﴾ عن
اليمن والشمال ﴿جمع﴾ «شمال»، أي: عن
جانبيهما، أول النهار وآخره ﴿سجداً لله﴾ حال،
أي: خاضعين له بما يراد منهم ﴿وهم﴾ أي:
الظلال ﴿داخرون﴾ صاغرون، نُزِّلُوا منزلة
العقلاء.

٤٩ ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في
الأرض من دابة﴾ أي: نَسَمَةٌ تدب عليها، أي:
يخضع له بما يراد منه، وغلب في الإتيان
بـ «ما»، ما لا يعقل، لكثرة ﴿والملائكة﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يتكبرون عن عبادته.

(١) قوله: «يقدرون ذلك» هو هكذا بثبت النون كما في المخطوطة الثانية، وجاء في المخطوطتين الآخرين والنسخ المطبوعة الأخرى:
«يقدروا» — بحذف النون، وقد وجه ذلك العلامة الصاوي وشيخه «الجمال» في حاشيتهما، بأنها مجزومة، لأنها بدل من «يكونوا» والمبدل من
المجزوم مجزوم، أو أن النون حذفت تخفيفاً، وهذا توجيه ضعيف، فالصواب هو ما أثبتناه هنا أي: «يقدرون»، بثبت النون مرفوعاً، لأن هذه
الجملة ليست بدلاً من التي قبلها، بل هي في محل نصب خبر «كان»، أي: «لم يكونوا مقدرين»، ومثلها قوله تعالى في سورة «المؤمن»: ﴿بل
لم تكن تدعو من قبل شيئاً﴾ فجاءت «تدعو» غير مجزومة.

٥٠ ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير: «يستكبرون» ﴿رَبِّهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حال من «رَبِّهِمْ»، أي: عالياً عليهم بالقهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به. ٥١ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة. ٥٢ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصْبَاءٌ﴾ دائماً، حال من «الدِّينِ»، والعامل فيه معنى الظرف، [وهو: الاستقرار، المفهوم من الجار والمجرور، أي: استقر الدين لله دائماً] ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الإله الحق، ولا إله غيره؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ. ٥٣ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره، و «ما» شرطية، أو: موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الضَّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾ ترفعون أصواتكم، بالاستغاثة والدعاء، ولا تدعون غيره.

٥٤ ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾. ٥٥ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمْتَعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام، أمرٌ تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك. ٥٦ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِما لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع، وهي: الأصنام ﴿نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام، بقولهم: «هذا لله وهذا لشركائنا»، [وقيل: الضمير في «يعلمون» للأوثان، وجري بالواو والنون مجرى من يعقل، والمعنى: ويجعل هؤلاء الكفار، للأصنام التي لا تعلم شيئاً نصيباً مما رزقناهم] ﴿تَاللَّهِ لَشَأَلْنَ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُتِمَ تَقَتُّرُونَ﴾ على الله، من أنه أمركم بذلك.

٥٧ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: البنون، و [شبهة] الجملة، في محل رفع [خبر مقدم، و «ما» مبتدأ مؤخر]، أو: [في محل] نصب بـ «يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها — وهو منزّه عن الولد —، ويجعلون لهم الأبناء^(١) التي يختارونها، فيختصون بالأسنى [والأرفع]، كقوله: «فاستفتحهم الربك البنات ولهم البنون؟». ٥٨ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى﴾ (٢) ﴿تَوَلَّى وَوَجْهٌ مَسْوُودٌ﴾ متغيراً تغير مُغْتَمٍّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غماً، فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟ ٥٩ ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفاً من التعبير، متردداً فيما يفعل به ﴿أَيْمُسُكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى

٥٧ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: البنون، و [شبهة] الجملة، في محل رفع [خبر مقدم، و «ما» مبتدأ مؤخر]، أو: [في محل] نصب بـ «يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها — وهو منزّه عن الولد —، ويجعلون لهم الأبناء^(١) التي يختارونها، فيختصون بالأسنى [والأرفع]، كقوله: «فاستفتحهم الربك البنات ولهم البنون؟». ٥٨ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى﴾ (٢) ﴿تَوَلَّى وَوَجْهٌ مَسْوُودٌ﴾ متغيراً تغير مُغْتَمٍّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غماً، فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟ ٥٩ ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفاً من التعبير، متردداً فيما يفعل به ﴿أَيْمُسُكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿٥١﴾ فَإِيتَى فَارْهَبُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٥٣﴾ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَاءٌ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا ﴿٥٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسُئْلُنَّ عَمَّا كُتِمَ تَقَتُّرُونَ ﴿٦٠﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٦١﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِوً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٦٢﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمُسُكُهُ عَلَى

٥٨ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى﴾ (٢) ﴿تَوَلَّى وَوَجْهٌ مَسْوُودٌ﴾ متغيراً تغير مُغْتَمٍّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غماً، فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟ ٥٩ ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفاً من التعبير، متردداً فيما يفعل به ﴿أَيْمُسُكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى

(١) قوله: «الأبناء التي يختارونها»، هذا هو الصواب كما في المخطوطتين، لأن التأنيت باعتبار لفظ «الجماعة»، وقد تقدم نظير ذلك ص ٣٤٥.

(٢) قوله تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى» الآيتين... هذا وصف دقيق لحال الجاهلية قبل الإسلام، عندما يولد لأحدهم أنثى، فأنكر الله =

هون ﴿هون وذل﴾ أم يدسه في التراب ﴿بأن يثده﴾ ألا ساء ﴿بش﴾ ما يحكمون ﴿حكمهم هذا﴾ حيث نسبوا لخالفهم البنات، اللاتي هنَّ عندهم بهذا المحل.

٦٠ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مِثْلُ السَّوِّءِ﴾ أي: الصفة الشؤى، بمعنى: القبيحة، وهي: وأدهم البنات، مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ الصفة العليا، وهي: أنه لا إله إلا هو، [أي: الوجدانية] ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

٦١ ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نَسَمَةٌ تَدْبُ عَلَيْهَا ﴿وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ﴿عَنْهُ﴾ ساعة ولا يستقدمون ﴿عَلَيْهِ﴾.

٦٢ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات، والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿الْأَسْتَهْمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذْبُ﴾ وهو ﴿أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَى﴾ عند الله أي: الجنة، كقوله [تعالى حكاية عن الكافر]: «وَلَوْ أَنَّ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنَى»، قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾^(١) ﴿حَقًّا﴾ ﴿أَنْ لَهُمُ النَّارُ﴾ وأنهم مفرطون ﴿[بفتح الراء، أي:]﴾ متروكون فيها، أو مُقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء، أي: متجاوزون الحد.

٦٣ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة، فأروها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيَهُمْ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمِ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم: يوم القيامة، على حكاية الحال الآتية، أي: لا ولي لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصرهم؟

٦٤ ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لَتَبِينَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهْدًى﴾ عطف على: ﴿لَتَبِينَ﴾ ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

٦٥ ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ١٦

هُونٌ أَمْ يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى ۚ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ
مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ
لَهُمُ الْحَسَنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتَبَتَيْنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

= تعالى عليهم ذلك، وأعلم الناس جميعاً: أن الولد ذكراً كان أو أنثى، هو هبة من الله تعالى، ونعمة منه، تستقبل بالبشر وتقابل بالشكر.

قال تعالى: ﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ أَوْ يَزْوَاجَهُمْ ذَكَرَانًا وَنِثَاءً وَيَجْعَلْ مِنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾، وفي حديث الشيخين عن عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ: (من أبغى - أي: اختير - من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كنَّ له سِتْراً من النار، ولا يتم استمرار النوع البشري إلى أجله، إلا بوجود الذكور والإناث، فكيف تُرْفَضُ الأنثى وهي: الأم، والبنات، والأخت وسائر الأرحام؟

(١) قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معناه وإعراجه ص ٢٨٧.

يسمعون ﴿سَمِعَ تَدْبِرُ﴾ ٦٦ ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتباراً ﴿تُسْقِيكُمْ﴾ بيان للعبرة ﴿مِمَّا فِي بَطُونِهِ﴾ أي: [بطون ما ذكرناه من] الأنعام، [قاله الكسائي، وقال ابن العربي: تذكير الضمير في: «بطونه»، باعتبار لفظ «الجمع»، وتأنيثه في سورة «المؤمنون»: «مِمَّا فِي بَطُونِهَا»، باعتبارها لفظ «الجماعة»، وهو كثير في اللغة، وقال ابن الأنباري: «الأنعام» يذكر ويؤنث] ﴿مِنْ﴾ للابتداء، متعلقة بـ «تُسْقِيكُمْ» ﴿بَيْنَ فَرْثٍ﴾ [هو: ثفل الكرش] ﴿بِكُسرِ الرَّاءِ﴾ ودم لبناً خالصاً لا يشوبه شيء من الفَرْث والدم، من طعم، أو ريح، أو لون، وهو بينهما ﴿سَائِغاً﴾ للشاربين سهل المرور في حلقهم، لا يُغَضُّ به. ٦٧ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَتَخَلَّدُونَ مِنْهُ سَكراً﴾

خمرأ يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها^(١) ﴿وَرِزْقاً حَسَناً﴾ كالتمر والزبيب، والخَلِّ والدبس [إن في ذلك] المذكور ﴿لآية﴾ دلالة على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

٦٨ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنْ﴾ مفسرة، أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتاً ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: الناس، [أي: يبنون لك من الأماكن، والألم تأو إليها].

٦٩ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سَبِيلَ رَبِّكَ﴾ طَرَفَهُ، من طلب المرعى ﴿ذَلَّلاً﴾ جمع «ذلول»، حال من «السبل»، أي: مسخرة لك، فلا تغسر عليك، وإن توغرت، ولا تضلّي عن العود منها، وإن بغدت، وقيل: [حال] من الضمير في «اسلكي»، أي: منقادة لما يراد منك ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَاباً﴾ هو: العسل ﴿مُخْتَلَفَ أَلْوَانِهِ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع، قيل: [هو شفاء] لبعضها، كما دلّ عليه تنكير «شفاء»، أو: لكلها بضميمته إلى غيره، أقول: وبدونها بنيته، وقد أمر به ﷺ، مَنْ استطلق عليه بطنه، رواه الشيخان^(٢) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

٧٠ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسته، من الهرم والخرف ﴿لَكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ أي: لا يعلم بعد علم شيئاً ﴿قَالَ عِكرمة: من قرأ

بِسْمِعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابًا مُخْتَلَفَ أَلْوَانِهِ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضْلُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ

القرآن، لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريد. ٧١ ﴿وَاللَّهُ فَضْلُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ أي: الموالى ﴿بَرَادَى رِزْقِهِمْ﴾

(١) قوله: «قبل تحريمها»، ارجع إلى تعليقنا عند آيات التحريم ص ١٥٥.

(٢) قوله: «رواه الشيخان» أي: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أخي استطلق =

«وهو على صراط» طريق «مستقيم» وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل لله [تعالى، القادر على كل شيء، المستحق للعبادة وحده]، و «الأبكم»: [مثل] للأصنام، [التي لا تضر ولا تنفع]، والذي قبله [في الآية ٧٥]، مثل الكافر والمؤمن.

٧٧ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ بَاصِرٍ﴾ أو هو أقرب منه، لأنه بلفظ «كن» فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٧٨ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أَهْمَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ والأُنْثَدَةَ ﴿الْقُلُوبَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ - على ذلك، فتؤمنون.

٧٩ ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ ﴿مِثْلَ الْمَذَلَّاتِ ﴿لِلطَّيْرِانِ ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ ﴿أَيُّ: الْهَوَاءِ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴿عِنْدَ قَبْضِ أَجْنَحَتِهِنَّ، أَوْ بَسْطِهَا، أَنْ يَقَعْنَ ﴿إِلَّا اللَّهُ ﴿بِقُدْرَتِهِ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿[وَالْآيَاتِ] هِيَ: خَلْقُهَا بِحَيْثُ يُمْكِنُ الطَّيْرِانِ، وَخَلَقُ الْجَوِّ، بِحَيْثُ يُمْكِنُ الطَّيْرِانُ فِيهِ، وَإِمْسَاكُهَا.

٨٠ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعاً
تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ
بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾
للحمل، [أي: يَخِفُّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا] ﴿يَوْمَ
ظَعْنَكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾
أي: الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي: الإبل
﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي: المعز ﴿أَنَانًا﴾ لبيوتكم،
كَبُسْطٌ وَأَكْسِيَّةٌ ﴿وَمَتَاعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾
تلي فيه.

٨١ ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَالًا﴾ جمع «ظل»، تقيكم حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَافًا﴾ جمع «كِنَ»، وهو ما يُسْتَكَنُ فيه، كالغار والسَّرَبِ [أي: البيت في الأرض] ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلًا﴾ ^(١) قمصاً ﴿تَقِيْكُمْ الْحَرَّ﴾ أي: والبرد [أيضاً] ﴿وَسُرَابِيْلٍ تَقِيْكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ حركم،

أي: الطعن والضرب فيها، كالدروع والجواشن، [وهي: أيضاً نوع من الدروع] ﴿كذلك﴾ كما خلق هذه الأشياء

(١) قوله تعالى: ﴿وجعل لكم سراويل تقيكم الحر﴾، أكثر الناس يعرفون أن الملابس والسيّاب تقيهم البرد، ولا يتنبّهون إلى أنها تقيهم الحر أيضاً كما صرح بذلك القرآن الكريم، ولا غرابة في ذلك، فالملابس تخفّف عن الجسد وطأة الحرّ، كما تخفف عنه لذّة البرد، والجسد العاري تصيبه أشعة الشمس رأساً، فيحس بالحرارة أكثر من الجسد المستور، ويمكن التحقق من ذلك بالتجربة بتعريض اليدين — وإحدهما مستورة — إلى النار من مسافة واحدة.

﴿يَتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِخَلْقِ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ [وغيرها] ﴿تَسْلُمُونَ﴾ تَوْحِيدُونَهُ .

٨٢ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الْإِبْلَاجُ الْبَيِّنُ ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ .

٨٣ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ ^(١) أَيُ : يَقْرَءُونَ بِأَنهَا مِنْ عِنْدِهِ ﴿ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ يَأْشِرُ أَكْثَرُهُمْ ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

٨٤ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وَهُوَ نَبِيُّهَا ، يَشْهَدُ لَهَا وَعَلَيْهَا ، وَهُوَ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي الْإِعْتِزَارِ ﴿وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ﴾ لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ الْعُتْبَى ، أَيُ : الرَّجُوعُ إِلَى مَا يَرْضَى اللَّهُ ، [أَيُ : لَا يُسْتَرْضُونَ ، بِاسْتِجَابَةِ طَلِبِهِمُ الرَّجُوعُ إِلَى الدُّنْيَا ، لِيَعْمَلُوا صَالِحًا] .

٨٥ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا ﴿الْعَذَابَ﴾

النَّارِ ﴿فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ﴾ الْعَذَابُ ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يَمْهَلُونَ عَنْهُ ، إِذَا رَأَوْهُ .

٨٦ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ شَرَكَاؤُهُمْ ﴿مِنْ الشَّيَاطِينِ وَغَيْرِهَا﴾ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوهُمْ نَعْبُدُهُمْ ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ ﴿أَيُ : قَالُوا لَهُمْ﴾ ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ : إِنَّكُمْ عِبَدْتُمُونَا ، كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى : ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَعْبدُونَ﴾ ، «سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ» .

٨٧ ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أَيُ : اسْتَسْلِمُوا لِحُكْمِهِ ﴿وَضَلَّ﴾ غَابَ ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿مِنْ أَنْ آلِهَتِهِمْ تَشْفَعُ لَهُمْ﴾ .

٨٨ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينَهُ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الَّذِي اسْتَحَقُّوه بِكُفْرِهِمْ ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : عِقَابُ ، أَنْيَابُهَا كَالنَّخْلِ الطَّوَالِ ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ بِصَدِّهِمُ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ .

٨٩ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هُوَ نَبِيُّهُمْ ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿شَهِيدًا﴾ ^(٢)

سُورَةُ الْفَتَاةِ ١٦

يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا

وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا

رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ

يَنْظُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا

رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ

فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى

اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا

فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي

كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

(١) قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج

ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبر - المتوفى عام مائة

للهجرة - رحمه الله، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله

فقرأ عليه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بَيْنِكُمْ سَكَنًا﴾ قَالَ

الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾، قَالَ: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك، وهو

يقول: نعم، حتى بلغ: ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾، فَوَلَّى الْأَعْرَابِيَّ فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ

الكَافِرُونَ﴾ .

(٢) قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾ . . . روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَأُ عَلَى الْقُرْآنِ»، فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمِعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئَتْ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿كَفَيْفَ

إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَّفَانِ .

وَايَةُ النِّسَاءِ، هَذِهِ هِيَ: الْآيَةُ ٤٤١ ص ١٠٧، وَلَمْ نَذْكُرْ هَذَا الْحَدِيثَ ثَمَّةً لَضَيْقِ الْمَجَالِ، فَذَكَرْنَاهُ هُنَا لِتَمَاطُلِ الْآيَتَيْنِ، وَحِرْصاً عَلَى الْإِفَادَةِ .

على هؤلاء أي: قومك ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿نبيانا﴾ بياناً ﴿لكل شيء﴾ يحتاج إليه الناس، من أمر الشريعة ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة وبشرى﴾ بالجنة ﴿للمسلمين﴾ الموحدين.

٩٠ ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ التوحيد، أو: الإنصاف ﴿والإحسان﴾ أداء الفرائض، أو: «أن تعبد الله كأنك تراه»، كما في الحديث [الذي أخرجه مسلم، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً] ﴿وإيتاء﴾ إعطاء ﴿ذي القربى﴾ القرابة، خصه بالذكر، اهتماماً به ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا ﴿والمنكر﴾ شرعاً، من الكفر والمعاصي ﴿والبغى﴾ الظلم للناس، خصه بالذكر، اهتماماً، كما بدأ بالفحشاء، كذلك ﴿يعظكم﴾ بالأمر والنهي ﴿لعلكم تذكرون﴾ [بتشديد الدال]،

تعتظون، فيه إدغام التاء في الأصل في الدال، [وفي قراءة بتخفيف الدال مفتوحة]، وفي «المستدرک» [للحاكم]، عن ابن مسعود [قال: «وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر»].

٩١ ﴿وأوفوا بعهدهم﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ توثيقها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ بالوفاء، حيث حلفتكم به، والجملة حال ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ تهديد لهم.

٩٢ ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت﴾ أفسدت ﴿غزلهما﴾ ما غزله ﴿من بعد قوة﴾ إحكام له ويزم ﴿أنكاثاً﴾ حال، جمع «نكث»، وهو: ما ينكث أي: يخلّ إحكامه، وهي امرأة حمقاء [قليلة العقل] من مكة، [اسمها: زَيْطَةُ بنت عمرو]، كانت تغزل طول يومها، ثم تنقضه ﴿تخذون﴾ حال من ضمير «تكونوا»، أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿إيمانكم دخلاً﴾ هو: ما يدخل نبي الشيء وليس منه، أي: [لا تحلفوا غشاً و] فساداً وخديعة ﴿بينكم﴾ بأن تنقضوها ﴿أن﴾ أي: لأن ﴿تكون أمة﴾ جماعة ﴿هي أربى﴾ أكثر ﴿من أمة﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزّ، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم، [وهذا نهى للمسلمين، عن العودة إلى ما كانوا عليه في الجاهلية] ﴿إنما ييلوكم﴾ يختبركم ﴿الله﴾ به ﴿بما أمر به﴾ من الوفاء بالعهد، لينظر المطيع منكم والعاصي، أو: يكون أمة أربى [وأكثر من أخرى]، لينظر أتفون أم لا؟ ﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا، من أمر العهد وغيره، بأن يعذب الناكث، ويثيب الوافي.

سورة التوبة

عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهَدَىٰ رَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ
وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

٩٣ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أهل دين واحد ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن﴾ يوم القيامة، سؤالاً تبيكت، [أي: غلبة بالحجة لإفحامهم] ﴿عما كنتم تعملون﴾ لتجازوا عليه.

٩٤ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أهل دين واحد ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن﴾ يوم القيامة، سؤالاً تبيكت، [أي: غلبة بالحجة لإفحامهم] ﴿عما كنتم تعملون﴾ لتجازوا عليه.

٩٤ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ (١) كرره تأكيداً، [أي: لا تعقدوا الأيمان، مع الانطواء على الخديعة] ﴿فَتَزَلْ قَدَمُكُمْ﴾ أي: أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُوا السَّوْءَ﴾ أي: العذاب ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه، لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

٩٥ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فلا تنقضوا.

٩٦ ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ ينفى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلِيَجْزِيَنَّ﴾ بالياء والنون ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهد ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أحسن» بمعنى: «حسن»، [أي: أجراً حسناً، أو أجراً مضاعفاً، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء].

٩٧ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قبل: هي حياة الجنة، [قاله مجاهد]، وقيل: [هي الحياة] في الدنيا بالقناعة، [قاله الحسن البصري]، أو: الرزق الحلال، [قاله ابن عباس وغيره] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٩٨ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي، قل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» (٢).

٩٩ ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلط [بالإغواء والكفر] ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

١٠٠ ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ بطاعته، [أي: يطيعونه، يقال: «توليت» أي: أطعته، و«توليت عنه»، أي: عرضت عنه وتركته] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾ [وقيل: ضمير «به»، يرجع إلى الشيطان، والمعنى: الذين هم من أجله وبسببه، مشركون بالله تعالى كافرين]. ١٠١ ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا﴾

إلى الشيطان، والمعنى: الذين هم من أجله وبسببه، مشركون بالله تعالى كافرين. ١٠١ ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا﴾

سُورَةُ الْحَجَّاتِ ١٦

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزَلْ قَدَمُكُمْ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الأيمان» ص ١٥٤.

(٢) هذا هو لفظ الاستعاذة المختار لجميع القراء، والاستعاذة مستحبة قبل القراءة عند أكثر العلماء، وهو الصحيح، وقال بعضهم بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر بها في الآية.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب، تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن، وفائدة النسخ.

١٠٢ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿نَزَّلَ﴾ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

١٠٣ ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق^(١) ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ الْقرآنُ﴾ ﴿بَشَرٌ﴾ وهو: قَيْن^(٢)، [أي: حذاد] نصراني، كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ﴾ لغة ﴿الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ [بضم الياء وكسر الحاء، من ﴿الْحَدِّ﴾، ويفتحهما من ﴿لَحَدَّ﴾، أي: [يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يُعَلِّمُهُ ﴿أَعْجَمِي﴾ وهذا] القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي؟.

الْحَقُّ الْمُبِينُ

١٠٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

١٠٥ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ والتأكيد بالترار، و﴿إِنَّ﴾ رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

١٠٦ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾^(٣) إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ ﴿عَلَى التَّلَافُظِ بِالْكَفْرِ﴾، فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [فلا شيء عليه]، و﴿مَنْ﴾ مبتدأ، أو: شرطية، والخبر، أو: الجواب، [محذوف تقديره]: ﴿لَهُمْ وَعِيدٌ شَدِيدٌ﴾، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مِنْ شَرِّ الْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له، أي: فتحةً ووسعه، يعني: طابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١٠٧ ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

(١) قوله: «للتحقيق»، القاعدة أن «قد» إذا جاء بعدها فعل مضارع تكون للتقليل، ولا يرى بعض النحويين في هذه القاعدة استثناءً، ولقد فصلنا القول في هذه المسألة في تعليقنا ص ٤٦٩.

(٢) قوله: «هو قَيْن» اسمه «بلعام»، رومي نصراني، كان قيناً أي: حذاداً بمكة، وقيل: سلمان الفارسي، وقيل:

غيرهما، قال القرطبي: والكل محتمل فإن النبي ﷺ ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله، وقال أبو جعفر النحاس في

ناسخه: وهذه الأقوال ليست متناقضة.

ونقول: لا غرابة في جلوسه ﷺ إلى أهل الكتاب وإلى غيرهم، فهو مبعوث للعالمين، ومأمور بتبليغ رسالته إلى كل من يستطيع الوصول إليه. أرجع إلى تعليقنا حول معنى «القَيْن» ص ٢٣٤.

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مِنْ شَرِّ الْكَفْرِ صَدْرًا فَاعْلَمِهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾

غيرهما، قال القرطبي: والكل محتمل فإن النبي ﷺ ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله، وقال أبو جعفر النحاس في

ناسخه: وهذه الأقوال ليست متناقضة.

ونقول: لا غرابة في جلوسه ﷺ إلى أهل الكتاب وإلى غيرهم، فهو مبعوث للعالمين، ومأمور بتبليغ رسالته إلى كل من يستطيع الوصول إليه. أرجع إلى تعليقنا حول معنى «القَيْن» ص ٢٣٤.

(٣) قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الآية، المرتد هو: الذي يكفر بعد إسلامه، ولو هازلاً، طائعاً غير مكره، فمن أشرك بالله، أو جحد ربه، أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، أو اتخذ له صاحبة أو ولداً، فهو كافر، وكذلك يكفر كل من ادعى النبوة، أو صدق من ادعاه، أو جحد نبياً من الأنبياء، أو كتاباً من كتب الله، أو شيئاً منه، ومن جحد الملائكة، أو البعث، أو سبَّ الله أو رسوله، أو يكفر =

١٠٨ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاسْمَعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

١٠٩ ﴿لَا جْرَمَ﴾ ^(١) حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

١١٠ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا﴾ [بالبناء للمفعول، أي: عَذَّبُوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة: بالبناء للفاعل، أي: كفروا، أو فتنا الناس عن الإيمان] ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، وخبر «إِنَّ» الأولى، دل عليه خبر الثانية.

١١١ اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ﴾
تُحَاجُّ ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا يهملها غيرها،
وهو: يوم القيامة ﴿وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ﴾
جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ﴾
شيئاً.

١١٢ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه:
﴿قَرْيَةً﴾ هي: مكة، والمراد أهلها ﴿كَانَتْ﴾
﴿أَمْنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾
[أي: يطمئن فيها ساكنها، و] لا يحتاج
إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا﴾
رِزْقُهَا رَغَدًا ﴿وَاسِعًا﴾ من كل مكان فكفرت
بأنعم الله ﴿بِتَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ﴾
لباس الجوع ﴿فَقَحَّطُوا سَبْعَ سِنِينَ﴾، [كما سيأتي
تبيانها في سورة «الدخان» ص ٦٥٧]
﴿وَالْخَوْفُ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا﴾
يصنعون.

١١٣ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف
﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

١١٤ ﴿فَكُلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا﴾
رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

سُورَةُ الْغَفَلَةِ ١٦

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاسْمَعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

= كذلك كل من استهزأ بالله، أو كبه، أو رسله، بفعل
صريح، أو قول، أو وجد منه امتهان للقرآن، وكفر
أيضاً من قال عن نفسه: يهودي، أو نصراني

— أو مجوسي، أو لاديني، أو ملحد — أو بريء من الإسلام، أو القرآن، ويكفر أيضاً من لم يكفر من دان بغير الإسلام، أو شك في كفرهم،
أو صحح مذهبهم، ويكفر من اعتقد أن الكنائس يبرت الله، وأن الله يُعبد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارى هو عبادة الله وطاعة له ولرسوله،
ومن قال: إن الله تعالى بذاته في كل مكان فقد كفر. اهـ. (من «الإقناع» للعلامة الحجاوي المقدسي الحنبلي بتصرف).

فعلى المسلم: أن يجتنب كل فعل، أو قول، أو اعتقاد يؤدي إلى الكفر، ومن وقع في شيء من ذلك، فليجدد إسلامه، بأن يقول: أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وليستغفر الله تعالى، فلا شيء أعلى وأشرف وأكرم من الإيمان. ارجع إلى تعليقنا حول حكم
النكاح بعد ارتداد أحد الزوجين ص ٧٣٧.

(١) قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معناه وإعرابه ص ٢٨٧.

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ .

١١٥ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ^(١) وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

١١٦ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لِمَا لَمْ يَحْلَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَحْرَمْهُ ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ [قال ابن كثير: ويدخل في معنى هذه الآية، كلُّ من ابتدع بدعة، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرّم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه].

١١٧ لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

١١٨ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في آية^(٢): ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾، إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

١١٩ ﴿ثُمَّ إِنْ رِبْكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ [أي: الشرك،] [قاله ابن عباس، أو: جميع المعاصي] ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم [وأقلعوا عما كانوا فيه من الكفر] ﴿إِنْ رِبْكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة، أو: التوبة ﴿لِغُفُورٍ﴾ لهم ﴿رَحِيمٍ﴾ بهم، [قال ابن كثير، قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل].

١٢٠ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قدوة، جامعاً لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم، [أي: موحدًا]

﴿وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [وقد زعم كل فريق، أنهم كانوا على دينه، وهم مشركون كافرون، فردّ الله قولهم بهذه الآية، ويقول تعالى: في سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾]. ١٢١ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه [بالنبوة والرسالة] ﴿وَهَدَاهُ إِلَى

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ...﴾ الآية، تقدم تفسير مثل هذه الآية، وهي الآية الثالثة من سورة المائدة ص ١٣٥ فارجع إليه.

(٢) قوله: ﴿فِي آيَةٍ...﴾ الخ، هي الآية ١٤٦ من سورة الأنعام ص ١٨٨.

صراط مستقيم ﴿هو: الإسلام﴾. ١٢٢ ﴿وَاتَيْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿في الدنيا حسنة﴾ هي: الثناء الحسن، في كل أهل الأديان^(١) ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العلى، [أي: معهم في أعلى الجنان].
١٢٣ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرهه، رداً على زعم اليهود والنصارى، أنهم على دينه.

١٢٤ ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتُ﴾ فَرْضُ تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود، أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نريده، واختاروا السبت، فَشَدَّدَ عليهم فيه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمره، بأن يثيب الطائع، ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

سُورَةُ الْجِنَانِ ١١

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٨﴾

١٢٥ ﴿ادْع﴾ الناس يا محمد ﴿إلى سبيل ربك﴾ دينه ﴿بالحكمة﴾ بالقرآن ﴿والموعظة الحسنة﴾ مواعظه، [أي: مواعظ القرآن]، أو: القول الرفيق، [أي: الذي فيه رفق بالناس] ﴿وجادلهم بالتتي﴾ أي: بالمجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والدعاء إلى حججه ﴿إن ربك هو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٢٦ ونزل لما قُتل حمزة [في معركة «أحد»]، ومثل به، فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»^(٢): ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبرتم﴾ عن الانتقام ﴿لهو﴾ أي: الصبر ﴿خير للصابرين﴾^(٣) فَكَفَّ ﷺ وكَفَّرَ عن يمينه، رواه البزار [وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه].

١٢٧ ﴿وأصبر وما صبرك إلا بالله﴾ بتوفيقه ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: الكفار، إن لم يؤمنوا، لحرصك على إيمانهم ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا تهتم بمكرهم، فأنا ناصرك عليهم.

١٢٨ ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿والذين هم محسنون﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

(١) قوله: «أهل الأديان»، أرجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٢) قوله: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، هذه إحدى الروايات، للبزار، وإسنادها ضعيف، وفي رواية أخرى لابن إسحاق أنه ﷺ قال: «لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم»، وهذه أيضاً رواية ضعيفة، فالصحيح: أن الآية نزلت في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري وغيره، من دون ذكر عدد.

(٣) قوله تعالى: «خير للصابرين»، أرجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

﴿سُورَةُ الْاِسْرَاءِ﴾

(مكية، إلا «وإن كادوا ليفتنونك» الآيات الثمان، مائة وعشر، أو: وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿سبحان﴾ أي: تنزيه ﴿الذي أسرى عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليلاً﴾ نصب على الظرف، والإسراء: سير الليل، وفائدة

ذكره، الإشارة بتكثيره، إلى تقليل مدته ﴿من المسجد الحرام﴾ أي: مكة، ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ بيت المقدس، [وصفه بـ «الأقصى»]، لبعده منه ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثمار والأنهار ﴿لنريه من آياتنا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إنه هو السميع البصير﴾ أي: العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراء، المشتمل على: اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالى^(١). [اقرأ حديث الإسراء والمعراج، في أسفل الصفحة].

٢ قال تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدىً لبني إسرائيل﴾ لـ ﴿أ﴾ ن ﴿لا يتخذوا من دوني وكيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم، وفي قراءة: «تتخذوا» بالفوقانية التفاتاً، فـ «أن» [على قراءة التاء] زائدة، والقول مضمّر. [تقديره: «لنقول لهم لا تتخذوا»].

٣ ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ في السفينة ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ كثير الشكر لنا، حامداً في جميع أحواله.

٤ ﴿وقضينا﴾ أوحينا ﴿إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ تبغون بغياً عظيماً. ٥ ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بعثنا عليكم عبداً لنا﴾ [هم: بُحْتْ نصر وقومه، كان قبل المسيح

الْمِيزَةُ الْمَسْنُونَةُ

(١٧) سُورَةُ الْاِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْاِخْوَةُ عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ١ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي
وَكِيلًا ۝ ٢ ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ۝ ٣ ۝ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ۝ ٤ ۝
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ

٣٦٤

بخمسمائة عام، وهو قول سعيد بن المسيّب، وعن ابن عباس وقتادة السّدوسي: هم: جالوت وجنوده] ﴿أولي بأس

(١) قال السيوطي بعد قوله: «ومناجاته له تعالى»:

(فإنه ﷺ قال: «أُتِيْتُ بِالْبَرَقِ، وهو: دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، [دوابها قال:] ثم دخلت [المسجد] فصلبت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة، قال: ثم عَرَجَ بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه [أي: ليعرج إلى السماوات؟] قال: قد أرسل إليه: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: =

شديد ﴿أصحاب قوة، في الحرب والبطش ﴿فجاسوا﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خلال الديار﴾ وسط دياركم، ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ [حاصلاً]، و [قيل]: قد أفسدوا الأولى بقتل زكريا، فبعث عليهم جالوت وجنوده، فقتلوه وسبوا أولادهم، وخربوا بيت المقدس، [وهذا غير صحيح، لأن زكريا كان وقت ولادة المسيح، أما جالوت، فقد قتله داود وهو في جيش طالوت، قبل المسيح بزمان طويل، فكيف يكون قتلهم زكريا، سبباً لبعث جالوت عليهم]؟ ٦ ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ الدولة والغلبة ﴿عليهم﴾ بعد مائة سنة، بقتل جالوت ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عشيرة. ٧ وقلنا: ﴿إن أحسنتم﴾ بالطاعة ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ لأن ثوابه لها ﴿وإن أسأتم﴾ بالفساد ﴿فلها﴾ إساءتكم ﴿فإذا جاء وعد﴾ المرة ﴿الآخرة﴾ بعثناهم ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي، حزناً يظهر في وجوهكم ﴿وليدخلوا المسجد﴾ بيت المقدس، فيخربوه ﴿كما دخلوه﴾ وخربوه ﴿أول مرة ولتبروا﴾ يهلكوا ﴿ما علوا﴾ غلبوا عليه ﴿تنبيراً﴾ هلاكاً، [قيل: إن الذي خرب بيت المقدس الخراب الثاني، هو: «طيطوس» الروماني، والصحيح: أنه لا دليل على شيء من ذلك، فالتوقف أولى]، و [قيل]: قد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى، فبعث عليهم بختنصر، فقتل منهم الوفاً، وسبى ذريتهم، وخرب بيت المقدس، [وهذا أيضاً غير صحيح، لأن بين «بختنصر» و «يحيى» ستمائة عام]. ٨ وقلنا في الكتاب: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد المرة الثانية، إن تبتم ﴿وإن عدتم﴾ إلى الفساد ﴿عدنا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسلط عليهم، بقتل «قريظة»، ونفي «بنو النضير»، وضرب الجزية عليهم ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ محبساً وسجناً.

سُورَةُ الْاِنشِرَافِ ١٧

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٣﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٦﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنَآ آيَةً

١١ ﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ على نفسه وأهله، إذا ضجر ﴿دعاءه﴾ أي: كدعائه له ﴿بالخير وكان الإنسان الجنس عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه، وعدم النظر في عاقبته، [قال ﷺ]: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم» رواه مسلم وأبو داود. ١٢ ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ داليتين على قدرتنا ﴿فمحونا آية﴾

= ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث لنا، فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى، فرجبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ =

الليل ﴿طمسنا نورها بالظلام، لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أي: مبصرة فيها بالضوء ﴿لتبتغوا﴾ فيه ﴿فضلاً من ربكم﴾ بالكسب ﴿ولتعلموا﴾ بهما ﴿عدد السنين والحساب﴾ للأوقات ﴿وكل شيء﴾ يحتاج إليه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيناه [في القرآن] تبييناً، [فلا عذر، لكم، إن ضللتهم بعده]. ١٣ ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره﴾ عمله، يحمله ﴿في عنقه﴾ خُصَّ بالذكر، لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد، إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها: شقي أو سعيد ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يلقاه منشوراً﴾ صفتان له «كتاباً».

١٤ ويقال له: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ محاسباً. ١٥ ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ لأن إثمها

عليها ﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازره﴾ آثمة أي: لا تحمل ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى وما كنا معذبين﴾ أحداً ﴿حتى نبعث رسولاً﴾ يبين له ما يجب عليه.

١٦ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ مُتَعَمِّمِها، بمعنى: رؤسائها، [أمرناهم] بالطاعة على لسان رسلنا ﴿ففسقوا فيها﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فحق عليها القول﴾ بالعذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكناها، بإهلاك أهلها وتخريبها.

١٧ ﴿وكم﴾ أي: كثيراً ﴿أهلكنا من القرون﴾ الأمم ﴿من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده﴾ خبيراً بصيراً ﴿عالمًا بيوأطنها وظواهرها، وبه يتعلق: «بذنوب».

١٨ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿العاجلة﴾ أي: الدنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ التعجيل له، بدل من «له»، بإعادة الجار ﴿ثم جعلنا له﴾ في الآخرة ﴿جهنم يصلها﴾ يدخلها

قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل،

فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، ثم ذهب بي إلى سدة المتهى، فإذا أوراقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى، وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك =

الميزان

الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٣﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٤﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٥﴾ مَّنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٨﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا

﴿مذموماً﴾ مَلُومًا ﴿مَدْحُورًا﴾ مطروداً عن الرحمة. ١٩ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ عند الله، أي: مقبُولًا مثاباً عليه.

٢٠ ﴿كَلَّا﴾ من الفريقين ﴿نَعْمُ﴾ نعطي ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾ بدل [من: ﴿كَلَّا﴾] ﴿مَنْ﴾ متعلق بـ ﴿نَعْمُ﴾ ﴿عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد.

٢١ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والنجاه ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها. ٢٢ ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ [أيها الإنسان المكلف] ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾

لا ناصر لك، [وتكون عاقبتك النار وبئس المصير].

٢٣ ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أَ﴾ ن، أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة: «يلفغان»، فأحدهما بدل من ألفه، [أي: ألف «يلفغان»، التي هي الفاعل] ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفُ﴾ بفتح الفاء [من غير تنوين]، وكسرهما، منوناً وغير منون، [وهو] مصدر، بمعنى: تَبَّأَ وَقُبْحًا ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لِيُنَا.

٢٤ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لرحمتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

٢٥ ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين، من بادرة، وهم لا يضمرون عقوقاً.

= على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، [أي: إلى الموضع الذي ناجيته منه

أولاً] فقلت: أي رب خفف عني، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وتعالى وبين موسى، ويحط عني خمساً خمساً، حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فتلث حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [منه]. رَوَاهُ الشَّيْخَانُ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ». انْتَهَى نَصُّ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الَّذِي ذَكَرَهُ السَّيْوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّفْسِيرِ، وَقَدْ اضْطَرَرْنَا إِلَى وَضْعِهِ فِي ذِيلِ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ، مُرَاعَاةً لَتَرْتِيبِ التَّفْسِيرِ وَالْآيَاتِ. ارجع إلى تعليقنا ص ٢٧٠ ففيه كل ما تلزم معرفته عن رؤية الله تعالى.

مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدِّدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفُ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴿٢٥﴾ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٦﴾

٢٦ ﴿وَأَتِ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴿بِالْإِنْفَاقِ﴾ في غير طاعة الله^(١).

٢٧ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾ كانوا إخوان الشياطين ﴿أَيَ﴾: على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه، فكَذَلِكَ أَخُوهُ الْمُبَذِّرُ.

٢٨ ﴿وَمَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين، من ذي القربى وما بعدهم، فلم تعطهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك، فتعطيهم منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا﴾ ليلاً سهلاً، بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

الْبَيْتُ الْخَامِسُ عَشَرَ

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِذَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

٢٩ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾ فتقعد ملوماً راجع للأول، [أي: الإمساك] ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعاً لا شيء عندك، راجع للثاني، [أي: الإنفاق].

٣٠ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ويقدر. يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً بيوافقهم وظواهرهم، فيرزقهم على حسب مصالحهم.

٣١ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوادة ﴿خَشْيَةً﴾ مخافة ﴿إِمَّا لَكُمْ﴾ فقر نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً إثمًا كبيراً عظيماً.

٣٢ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ﴾ أبلغ من: لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ قبيحاً ﴿وَسَاءَ﴾ بش ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً هو.

٣٣ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٢) ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطاً على القاتل ﴿فَلَا يَسْرِفُ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو

[يقتله] بغير ما قُتِلَ به، [ولا بأسوا منه، حتى لو قُتِلَ بالتغريق في ماء عذب، لم يُغْرِقْهُ في ماء ملح] ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

(١) قوله: ﴿بِالْإِنْفَاقِ﴾ في غير طاعة الله، هذا تعريف لمعنى «التبذير»، فكل درهم ينفق في سبيل غير مشروع فهو تبذير، كالقمار والخمر والزنا وغيرهما. وفاعل ذلك «مبذر»، وهو من إخوان الشياطين، وليس بعد كلام الله تعالى كلام، فليحذر الناس الإنفاق في الحرام، ولا يستهونوا الأمر فإنه عند الله عظيم، أما «الإسراف» فهو: الإنفاق فيما هو مباح، ولكن زيادة على الحاجة، ارجع إلى تعليقنا ص ١٨٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. لقد بينت السنة النبوية هذا الحق، الذي لا يبقى معه للنفس حرمة، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للبخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، =

٣٤ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله، أو: [عاهدتم] الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه.

٣٥ ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كَلِمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

٣٦ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلَّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه، ماذا فعل به.

٣٧ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(١) أي:

ذا مرح، بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تتقها، حتى تبلغ آخرها، بـكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ المعنى: أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟!

٣٨ ﴿كُلَّ ذَلِكَ﴾ المذكور، [مما نهى الله ورسوله عنه] ﴿كَانَ سَيِّئًا﴾ [بالتاء، أي: عملاً سيئاً] ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [وفي قراءة: «سَيِّئُهُ»، بهاء الضمير مضافة، أي: السَّيِّءُ مما تقدم، وهما قراءتان سبعيتان].

٣٩ ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطروداً من رحمة الله، [والمقصود بالخطاب هنا، ما سواه ﷻ من المكلفين].

٤٠ ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ أخلصكم، يا أهل مكة، ﴿رَبِّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بنات لنفسه، بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾:

٤١ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ من الأمثال والوعيد والوعيد ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ۚ إِذَا كَلِمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ

= إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيء الزاني - فيقتل بالرجم - والمارق من الدين التارك الجماعة أي: المرتد عن الإسلام.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، الآية هذا أبلغ وصف للمتكبر، الذي يمشي على الأرض مختلاً فخوراً، وهو في الوقت نفسه تحقير له، وإظهار لضعف نفسه وشُخْب عقله، فهو يظن أنه بتكبره واختياله، يزداد في نظر الناس هيبة واحتراماً، بينما هو في واقع الأمر لا يزداد إلا ضعة وهواناً، فالمتكبر: «قليل العقل»، لأن العاقل لا يرى لنفسه فضلاً مهما علا شأنه ولا يتكبر، وهو ضعيف الإيمان، لأن المؤمن يزداد تواضعاً، قال تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً - أي: بوقار وسكينة - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾. ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الكبر» ص ٣٤٨.

﴿إِلَّا نَفُورًا﴾ عن الحق.

٤٢ ﴿قُلْ لَهُمْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آيُ اللَّهِ﴾ كما يقولون إذا لابتغوا ﴿طلبوا﴾ [أي: تلك الآلهة] ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلًا﴾ ليقاتلوه.

٤٣ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَنَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عَلَوْا كَبِيرًا﴾.

٤٤ ﴿تَسْبِحُ لَهُ﴾ تَزْهَهُ ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَا مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ ﴿إِلَّا يَسْبِحُ﴾ مُتَبَسِّئاً بِحَمْدِهِ. أَيْ: يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَفْهَمُونَ تَسْبِيحَهُمْ. لِأَنَّهُ لَيْسَ بِلَفْظِكُمْ. إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا. حَيْثُ لَمْ يَعَاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

الجزء الثامن عشر

إِلَّا نُفُورًا ﴿١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا

لَا تَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ

عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ

وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ اللَّهُ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٥٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً

أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيءَ إِذَانِهِمْ وَقُرْأْ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ

فِي الْقُرْآنِ وَإِنْ وَحَدُهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَرَ بِهِمْ نُفُورًا ﴿٤١﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ

بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ

إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

٤٥ ﴿وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ أي: ساتراً لك عنهم، فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ ^(١) [أو: حجاباً بينهم وبين الهدى، مستوراً عن الأبصار فلا تراه، وَرَجَّحَ الطبري هذا القول].

٤٦ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً﴾ أعطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ من أَن يفهموا القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً، فلا يسمعونهُ ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رِبْكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا﴾ عنه.

٤٧ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ﴾ بِسَبِيهِ مِنْ
الْهَرَّةِ ﴿إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ﴾ قِرَاءَتِكَ ﴿وَإِذْ هُمْ
نَجْوَى﴾ يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ، أَيْ: يَتَحَدَّثُونَ
﴿إِذْ﴾ بَدَلَ مِنْ «إِذْ» قَبْلَهُ ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾
[أَي: الْكَافِرُونَ] فِي تَنَاجِيهِمْ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿تَتَّبِعُونَ
إِلَّا رِجَالًا مَسْحُورًا﴾ مَخْدُوعًا، مَغْلُوبًا عَلَى
عَقْلِهِ.

٤٨: قال تعالى [رداً عليهم]: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فلا يستطيعون

(١) قوله: «نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ»، يشير به إلى رواية

أخرجها أبو يعلى، وابن أبي حاتم، والبيهقي في
«الدلائل» وغيرهم، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله
عنه عن أبيها، زوجة أبي لهب ولها ولولة وفي يدها فهر
مذمماً أئبنا ودينه قلينا وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه، وإنني أخاف أن تارك، فقال: «إنها لن تراني» وقرأ قرآنًا اعتصم به، فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي ﷺ فقالت: يا ابن أبي قحافة بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجأك، فأنصرفت وهي تقول: لقد علمت قرش أنني بنت سيدها. اهـ.

وقول الصديق أبي بكر لها: ما هجالك، صحيح، لأن ما نزل في حقها كان قرآنًا من كلام الله تعالى، وليس من قول النبي ﷺ.

سَبِيلًا ﴿طريقاً﴾ إليه . ٤٩ ﴿وقالوا﴾ منكربين للبعث ﴿إذا﴾ كنا عظاماً ورفناً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً .

٥٠ ﴿قل﴾ لهم ﴿كونوا حجارة أو حديداً﴾ [إذ هما أشدَّ امتناعاً، من العظام والرفات] .

٥١ ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ يعظم عن قبول الحياة، فضلاً عن العظام والرفات، فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إلى الحياة؟ ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرة﴾ ولم تكونوا شيئاً، لأن القادر على البدء، قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فسينفضون﴾ يحركون ﴿إليك رؤوسهم﴾ تعجباً ﴿ويقولون﴾ استهزاء ﴿متى هو﴾ أي: البعث ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ [أي: هو آت لا محالة، وكل آت قريب] .

سُورَةُ الْاِنْتِزَالِ ١٧

سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ

خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا

قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ

وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا

مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِن يَسَاءَ

يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ

عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

٥٢ ﴿يوم يدعوكم﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فتستجيبون﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿بحمده﴾ بأمره، [وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما]، وقيل: وله الحمد ﴿وتظنون إن﴾ ما ﴿لبئس﴾ في الدنيا ﴿إلا﴾ قليلاً ﴿لهول ما ترون﴾ .

٥٣ ﴿وقل لعبادي﴾ المؤمنين ﴿يقولوا﴾ للكفار^(١) الكلمة ﴿التي هي أحسن﴾ إن الشيطان ينزع ﴿يفسد﴾ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴿بين العداوة﴾ [قال قتادة السدوسي: يحق على كل مسلم عداوة الشيطان، وعداوته: أن تعاديه بطاعة الله] .

٥٤ والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿ربكم أعلم بكم﴾ إن يشأ يرحمكم ﴿بالتوبة والإيمان﴾ ﴿أو إن يشأ﴾ تعذيبكم ﴿يعذبكم﴾ بالموت على الكفر ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال .

٥٥ ﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض﴾ فيخصهم بما شاء، على قدر أحوالهم ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ بتخصيص كلٍّ منهم بفضيلة، كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمد بالإسراء ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ ﴿وقل﴾ لهم ﴿ادعوا﴾ الذين

(١) قوله: ﴿يقولوا للكفار﴾ إلخ. إن ما ذكره الجلال السيوطي، أحد قولين في تفسير هذه الآية والتي بعدها، وعلى هذا الوجه فحكم مسابقة الكفار منسوخ بآية السيف، وهي الآية الخامسة من سورة «التوبة» .

والقول الثاني هو: أن الآية تحت المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن من القول الحسن، وأن يحذروا نزغ الشيطان بينهم ووسوسته لإيقاع العداوة بين المؤمنين، وعليه فإن الآية محكمة، وهو الأوضح والأنسب .

(٢) قوله تعالى: ﴿قل ادعوا﴾ الآية، أخرج البخاري وغيره، عن ابن مسعود رضي الله عنهما: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجنون واستمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ الآية .

زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلَٰهُةٌ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كَالْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَعِزِيرٌ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لَهُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ.

٥٧ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هُمُ آلَٰهُةٌ ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يَطْلُبُونَ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الْقَرِيبَةَ وَالطَّاعَةَ ﴿أَيُّهُمْ﴾ بَدَلَ مَنْ وَارِثُهُمْ، أَيُّ: يَبْتَغِيهَا الَّذِي هُوَ ﴿أَقْرَبُ﴾ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ بغيره؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كَغَيْرِهِمْ، فَكَيْفَ تَدْعُونَهُمْ آلَٰهُةٌ؟ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [أي: يَنْبَغِي أَنْ يُخْذَرُ مِنْهُ وَيُخَافَ]. ٥٨ ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أُرِيدَ: أَهْلِهَا ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بِالمَوْتِ ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بِالقَتْلِ وَغَيْرِهِ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾ مَكْتُوبًا.

الْحُكْمُ فِي تَحْوِيلِ الضَّرِّ

زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿٥٨﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴿٦٠﴾ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦١﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٦٢﴾ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا ﴿٦٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

٥٩ ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ، الَّتِي اقْتَرَحَهَا أَهْلُ مَكَّةَ ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لَمَّا أَرْسَلْنَاهَا فَأَهْلَكْنَاهُمْ، وَلَوْ أَرْسَلْنَاهَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ، لَكَذَّبُوا بِهَا وَاسْتَحَقُّوا الْإِهْلَاكَ، وَقَدْ حَكَمْنَا بِإِمهَالِهِمْ، لِإِتْمَامِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَآتَيْنَا ثَمُودَ ﴿النَّاقَةَ﴾ آيَةً ﴿مُبْصِرَةً﴾ بَيْنَهُ وَاضِحَةً ﴿فَظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا بِهَا ﴿فَأَمْلَكُوا﴾ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ، الْمَعْجَزَاتِ ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ لِلْعِبَادِ لِيُؤْمِنُوا.

٦٠ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ عِلْمًا وَقُدْرَةً، فَهَمَّ فِي قَبْضَتِهِ، فَبَلَّغَهُمْ وَلَا تَخَفْ أَحَدًا، فَهُوَ يَعِصُوكَ مِنْهُمْ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرَّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ (٢) عِيَانًا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، [وَلَيْسَتْ بِرُؤْيَا مَنْامٍ] ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أَهْلُ مَكَّةَ، إِذْ كَذَّبُوا بِهَا، وَارْتَدَّ بَعْضُهُمْ، [أي: مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] لَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهَا ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ وَهِيَ: [شَجَرَةُ الزَّقُومِ]، الَّتِي تَبَتَّ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لَهُمْ، إِذْ قَالُوا: النَّارُ تَحْرَقُ الشَّجَرَ، فَكَيْفَ تُنْبِتُهُ؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بِهَا ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَخْوِيفُنَا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

٦١ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سَجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْإِحْنَاءِ ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾، أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذمياً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقليل له: إن شئت أن تستأني بهم، [أي: أن لا يجابوا]، وإن شئت نؤتهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: «بلى أستأني بهم»، فأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ الآية، وأخرج الطبراني وابن مردويه عن الزبير نحوه.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرَّؤْيَا﴾، أخرج أبو يعلى عن أم هانئ: أخت علي بن أبي طالب، واسمها: «فاخته» على الأشهر، أنه ﷺ لما أسري به، أصبح يحدث نَفراً من قريش يستهزئون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرَّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾ الآية.

قال «أسجد لمن خلقت طيناً» نُصِبَ بنزع الخافض، أي: من طين.

٦٢ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَتَىكَ﴾ [الكاف تأكيد للخطاب]، أي: أخبرني [عن] «هذا الذي كرمت» فضلت «علي» بالأمر بالسجود له؟، [لماذا فضلته علي] وأنا خير منه خلقتني من نار [وخلقت من طين]؟ «لئن» لام قسم «أخرتني إلى يوم القيامة لأحتكن» لاستأصلن «ذريته» بالإغواء «إلا قليلاً» منهم ممن عصمته، [وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان»].

٦٣ ﴿قَالَ﴾ تعالى له: «أذهب» مُنْظَرًا إلى

وقت النفخة الأولى «فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم» أنت وهم «جزاء موفورا» وافرًا كاملاً.

٦٤ «واستفزز» استخف «من استطعت منهم بصوتك» بدعائك، بالغناء والمزامير^(١)، وكل داع إلى المعصية «وأجلب» صخ «عليهم بخيلك ورجلك» وهم: الرُّكَّاب والمشاة في المعاصي «وشاركهم في الأموال» المحرمة، كالربا والغصب «والأولاد» من الزنى «وعدهم» بأن لا بعث ولا جزاء «وما يعدهم الشيطان» بذلك «إلا غرورًا» باطلاً.

٦٥ «إن عبادي» المؤمنين «ليس لك عليهم سلطان» تسلط وقوة «وكفى بربك وكيلًا» حافظاً لهم منك.

٦٦ «ربكم الذي يزجي» يجري «لكم الفلك» السفن «في البحر لتبتغوا» تطلبوا «من فضله» تعالى بالتجارة «إنه كان بكم رحيمًا» في تسخيرها لكم.

٦٧ «وإذا مسكم الضر» الشدة «في البحر» خوف الغرق «ضل» غاب عنكم «من تدعون» تعبدون من الآلهة، فلا تدعونه «إلا إياه» تعالى، فإنكم تدعونه وحده، لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو «فلما نجاكم» من الغرق وأوصلكم «إلى البر» أعرضتم عن التوحيد «وكان الإنسان

كفورًا» جحوداً للنعم. ٦٨ «أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر» أي: الأرض كـ «قارون»^(٢) «أو يرسل

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

قَالَ «أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا» ﴿١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَآحْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

(١) قوله: «بالغناء والمزامير» أي: استملهم بذلك ليرغبوا في المعاصي.

ارجع إلى تعليقنا حول حكم «اللهم والغناء» أول سورة «القمان» ص ٥٣٩.

(٢) قوله: «كقارون»، كان من قوم موسى عليه السلام، فبغى عليهم وتكبر، فأهلكه الله، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٥١٧.

عليكم حاصباً أي: يرميكم بالحصباء، كقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ حافظاً منه. ٦٩ ﴿أم أمتهم أن يعيدكم فيه﴾ أي: البحر ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح أي: ريحاً شديدة، لا تمر بشيء إلا قصفته، فتكسر فلككم ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ ناصراً، أو: تابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم. ٧٠ ﴿ولقد كرمنا﴾ فضلنا ﴿بني آدم﴾ [على سائر الدواب]، بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وحملناهم في البر﴾ على الدواب ﴿والبحر﴾ على السفن ﴿ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تفضيلاً﴾ فـ «مَنْ» بمعنى: «ما» [التي لغير العاقل]، أو: [هي] على بابها، [أي: للعاقل]، وتشمل [تفضيل بني آدم على] الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم [من تفضيل الجنس]، تفضيل [كل فرد من] أفراده، إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء، [أما الكافر، فلا فضل له ولا كرامة، لأنه قد أهان نفسه بكفره، فأهان الله تعالى، ومن يهن الله فما له من مكرم]». ٧١ اذكر ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ نبيهم، فيقال: يا أمة فلان، أو: بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، وهو: يوم القيامة ﴿ومن أوتي﴾ منهم ﴿كتابه يمينه﴾ وهم السعداء، أولو النبائر في الدنيا ﴿فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون﴾ يُنقصون من أعمالهم ﴿فتيلاً﴾ قدر قشرة النواة^(١). ٧٢ ﴿ومن كان في هذه﴾ أي: الدنيا ﴿أعمى﴾ عن الحق ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وأضل سبيلاً﴾ أبعد طريقاً عنه.

٧٣ ونزل في [وفد] ثقيف، وقد سأله ﷺ أن يحرم وادبهم [كما حرم مكة، وإن كره ما يقولون، وخشي كلام العرب، فليقل: الله أمرني بذلك]، والحواء عليه: ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كادوا﴾ قاربوا ﴿ليفتنوك﴾ يستنزلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك لتفtri علينا غيره وإذا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ [ورضوا عنك].

الجزء الثاني عشر

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٩﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٧٠﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧١﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيمينه فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٢﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٣﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْtri عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْخًا قَلِيلًا ﴿٧٥﴾ إِذَا لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

٧٤ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بالعصمة ﴿لقد كدت﴾ قاربت ﴿تركن﴾ تميل ﴿إليهم شيئاً﴾ ركناً ﴿قليلاً﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب، [وهذا هو المقبول، في سبب نزول هاتين الآيتين، ولا يلتفت إلى ما سواه]. ٧٥ ﴿إذا﴾ لو ركنت ﴿لأذقناك ضعف﴾ عذاب

(١) قوله: «قدر قشرة النواة» هذا سهر من السيوطي، في تفسير «الفيل»، لأن ما ذكره هو: معنى «القطير»، أما «الفيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.

﴿الحياة وضعف﴾ عذاب ﴿الممات﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ مانعاً منه .

٧٦ ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً، فَالْحَقْ بِالشَّامِ، فإنها أرض الأنبياء: ﴿وإن﴾ مخففة، [أي: وإنهم] ﴿كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض المدينة ﴿ليخرجوك منها وإذا﴾ لو أخرجوك ﴿لا يلبثون خلافاً﴾ [أي: بعدك] فيها ﴿إلا قليلاً﴾ ثم يهلكون.

٧٧ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴿أي: كُتِّبَتْنا فيهم، من إهلاك من أخرجهم﴾ ولا تجد لستنا تحويلاً تبديلاً.

٧٨ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إلى غسق الليل﴾ إقبال ظلمته، أي: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ [أي: وأقم] صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩ ﴿ومن الليل فتهجد﴾ فصل ﴿به﴾ بالقرآن ﴿نافلة لك﴾ فريضة زائدة لك، دون أمتك، أو: فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عسى أن يبعثك﴾ يقيمك ﴿ربك﴾ في الآخرة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمذك فيه الأولون والآخرون، وهو: مقام الشفاعة^(١) في فصل القضاء [يوم القيامة].

٨٠ ونزل لما أمر بالهجرة: ﴿وقل رب أدخلني﴾ المدينة ﴿مدخل صدق﴾ إدخالاً مرضياً، لا أرى فيه ما أكره ﴿وأخرجني﴾ من مكة ﴿مخرج صدق﴾ إخراجاً لا ألقت بقلبي إليها ﴿واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً﴾ قوة تنصرنى بها على أعدائك.

٨١ ﴿وقل﴾ عند دخولك مكة [فاتحاً]: ﴿جاء الحق﴾ الإسلام ﴿وزهدى الباطل﴾ بطل الكفر

﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك، حتى سقطت [جميعها]، رواه الشيخان. ٨٢ ﴿ونزل من﴾ للبيان ﴿القرآن ما هو شفاء﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ الكافرين ﴿إلا خساراً﴾ لكفرهم به. ٨٣ ﴿وإذا أنعمنا على

سُورَةُ الْأَنْزِلَةِ ١٧

الْحَيَاةِ وَضَعَفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿٧٦﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٧﴾ سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٨﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨١﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٢﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٣﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

(١) قوله: «مقام الشفاعة»، فللنبي ﷺ الشفاعة الكبرى يوم القيامة، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

الإنسان الكافر ﴿أعرض﴾ عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ ثنى عطفه متبخرأ ﴿وإذا مسه الشر﴾ الفقر والشدة ﴿كان يؤوساً﴾ قنوطاً من رحمة الله.

٨٤ ﴿قل كل﴾ منا ومنكم ﴿يعمل على شاكلته﴾ طريقته ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ طريقاً، فيثبه.

٨٥ ﴿ويسألونك﴾ ^(١) أي: اليهود ﴿عن الروح﴾ الذي يحيا به البدن، لو ﴿الروح﴾ يذكر ويؤنث [﴿قل﴾ لهم ﴿الروح﴾ من أمر ربي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى.

الجزء الثاني

الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يَؤُوسًا ﴿٨٤﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَرْبِيَنَّ بِلَذِيٍّ أَوْحِينَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تُحَدُّ لَكَ
بِهِ ۖ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ

٨٦ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ أي: القرآن، بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾.

٨٧ ﴿إلا﴾ لكن أبقيناه ﴿رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً﴾ عظيماً حيث أنزله عليك، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك من الفضائل.

٨٨ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ معيناً، نزل رداً لقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا.

٨٩ ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ صفة لمحذوف، أي: «مثلاً من جنس كل مثل، ليتعظوا» ﴿فأبى أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً للحق.

٩٠ ﴿وقالوا﴾ عطف على «أبى» ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ عينا ينبع منها الماء. ٩١ ﴿أو تكون لك جنة﴾ بستان ﴿من نخيل وعنب فتفجر الأنهار﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية ٨٥.

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه، وقال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه فقالوا: يا محمد، ما الروح؟ فما زال متوكئاً على العسيب وظننت أنه يوحى إليه، فأنزل الله هذه الآية. اهـ.

ولقد جاء ذكر «الروح» - بضم الراء - في القرآن الكريم مراراً وعلى معانٍ مختلفة.

فمنها: «الروح» التي يحيا بها البدن، وهو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، ومنه قوله تعالى في آدم عليه السلام: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ أي: روحه التي خلقتها له، ومثله قوله تعالى في أم المسيح مريم عليها السلام: ﴿نفخنا فيها﴾، و«نفخنا فيه من روحنا»، وإضافة الروح إلى الله تعالى، في آيات آدم والمسيح عليهما السلام، إضافة تشريف، لا بمعنى أن الله تعالى روحاً، =

خلالها وسطها ﴿تفجيراً﴾ ٩٢. ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ قطعاً ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ مقابلة وعياناً، فنراهم. ٩٣ ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ ذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء﴾ على السلم ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ لو رقيت فيها ﴿حتى تنزل علينا﴾ منها ﴿كتاباً﴾ فيه تصديقك ﴿نقرؤه قل﴾ لهم ﴿سبحان ربي﴾ [هذا] تعجب [من قولهم] هل ﴿هل﴾ ما ﴿كنت إلا بشراً رسولا﴾ كسائر الرسل، ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله؟ ٩٤ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا ﴿أي: قولهم منكرين: ﴿أبعث الله بشراً رسولا﴾ ولم يبعث ملكاً؟ ٩٥ قل﴾^(١) لهم: ﴿لو كان في الأرض﴾ بدل البشر ﴿ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسولا إلا من جنسهم، يمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

٩٦ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على صدقي ﴿إنه كان عباده خبيراً بصيراً﴾ عالماً بيوطنهم وظواهرهم. ٩٧ ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء﴾ يهدونهم ﴿من دونه ونحشرهم يوم القيامة﴾ ماشين ﴿على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماوهم جهنم كلما خبت﴾ سكن لهابها ﴿زدناهم

= فإن النصارى كفروا بقولهم هذا، فإله حي قيوم دائم ليس كمثله شيء. وقد سميت الروح روحاً لأنها تروح، أي: ترجع وتعود إلى خالقها ولو بعد حين، وهي سر من الأسرار، لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ومنها، «الروح» أي: «جبريل» عليه السلام، كقوله تعالى في سورة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ وقوله تعالى في سورة مريم: ﴿فأرسلنا إليها روحنا - أي جبريل - فتمثل لها بشراً سوياً﴾، وهو «الروح الأمين»، وهو أيضاً «روح القدس»، أي: الروح المقدسة، ولكن ليس على المعنى الذي يفهمه أهل الكتاب، من أنه أحد الأقانيم الثلاثة، التي تؤلف كلها إلهاً واحداً كما يقولون.

ومنها: «الروح» أي الوحي والقرآن، كقوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ أي: الوحي، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ أي: القرآن، أما «الروح» بفتح الراء، فلها معانٍ أخرى، منها: الراحة والتعظيم كقوله تعالى: ﴿فروح وريحان

وجنة نعيم﴾، ومنها: «الرحمة» كقوله تعالى في سورة «يوسف»: ﴿ولا تياسوا من روح الله - أي رحمته - إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿قل لو كان...﴾ الآية، لقد طلب الكفار، من جملة ما طلبوه، في معرض ردهم رسالة النبي ﷺ، أن يرسل إليهم ملكاً رسولاً ليؤمنوا، ولكن طلبهم هذا لا يحقق الغاية من الرسالة - إن حصل - ولا يتنفع بذلك المطالبون به لسببين، أولهما: أنه لو أرسل إليهم رسولاً من الملائكة لجعله في صورة البشر ليأمنوا به، ويأخذوا عنه، فلا يخرجون به من الإشكال كما قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾. وثانيهما: ما بينه الله في هذه الآية وهو، أنه لو أرسل الله ملكاً على حقيقته، ومكن البشر من رؤيته لاستغربوا خلقه - كما هي العادة - ولأدى هذا الاستغراب إلى وقوع التنافر بينه وبينهم، فلا يطمئن الملك الرسول =

خَلَّلَهَا تَفْجِيرًا ٩٢ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ٩٣ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا نَتَّبِعُ نَقْرُوهٗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ٩٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ٩٥ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ٩٦ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ٩٧ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمًا وَّيُكْمًا وَصَمًّا مَاوَلَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ

سعيراً ﴿تَلْهَبَا وَاشْتَعَالَا﴾.

٩٨ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

٩٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً له؟.

١٠٠ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خِزَانِ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذَا لَأَمْسِكْتُمْ﴾ لبختم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ خوف نفادها بالإنفاق، فتقتروا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلاً.

١٠١ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ﴾ (١) ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والطمس، [أي: طمس الأموال]، والسَّيْنين، [أي: القحط]، ونقص الثمرات ﴿فَاسْأَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عنه، سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو: فقلنا له: «اسأل»، وفي قراءة (٢) بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

١٠٢ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ﴾ ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاطِرٍ عِبْرًا﴾ ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء، [أي: تاء «علمت»، وهي قراءة سبعية] ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكا، أو: مصروفاً عن الخير.

١٠٣ ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْزِمَهُ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعِهِ جَمِيعًا﴾ ١٠٤ ﴿وَقُلْنَا

الْبُرْهَانُ الْمَعْنَوِيُّ

سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّارَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ
خِزَانِ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاطِرٍ
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعِهِ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

وهو يمشي على الأرض، لأنه مُسْتَفْزَبٌ وَمُسْتَفْزَبٌ، ولا يُقبل الناس عليه لأنهم يستغربونه، فلا فائدة إذن من إرساله، ونحن نعرف بالمشاهدة والتجربة: أن الغريب من الناس، لا يستفاد منه إلا بعد أن يألف ويؤلف، ولذلك كان الرسول قبل محمد ﷺ يُبعث إلى قومه خاصة، لأنه يعرفهم وهم يعرفونه، وبعث محمد ﷺ إلى العالمين لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

- (١) قوله تعالى: ﴿تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول ما أوتيته موسى من آيات للقبط، أي: لفرعون وقومه، ولبنى إسرائيل ص ٢٧٨.
- (٢) قوله: ﴿وَفِي قِرَاءَةِ بَلْفِظِ الْمَاضِي﴾، أي: «فسأل» أي، سأل موسى بنى إسرائيل، وهو يومهم أنها قراءة صحيحة، والصواب أنها قراءة شاذة ولغير الأربعة، وكان حق الجلال السيوطي أن يقول: «وقرىء» كما هي عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة، ارجع إلى معنى القراءة الصحيحة والشاذة في المقدمة.

مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٥﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٦﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٧﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٨﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٩﴾ وَيَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ
يَكُونُ وَزِيدَهُمْ خُشُوعًا ﴿١١٠﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١١﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١٢﴾

من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة ﴿١٠٥﴾ وبالحق أنزلناه عليه ﴿نزل﴾ كما أنزل، لم يعثره تبديل ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد ﴿إلا مبشراً﴾ من آمن بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من كفر بالنار. ١٠٦ ﴿وقرآنًا﴾ منصوب بفعل يفهمه ﴿فرقناه﴾ نزلناه مفرقاً، في عشرين سنة، أو: وثلاث ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ مهل وتؤدة، ليفهموه ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ شيئاً بعد شيء، على حسب المصالح. ١٠٧ ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ تهديد لهم ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قبل نزوله، وهم: مؤمنو أهل الكتاب ﴿إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾. ١٠٨ ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿إن﴾ مخففة ﴿أي: أنه﴾ ﴿كان وعد ربنا﴾ بنزوله، وبعث النبي ﷺ ﴿لمفعولاً﴾.

١٠٩ ﴿ويخرون للأذقان يكون﴾ عطف ﴿على﴾ ﴿يخرون﴾ الأولى، بزيادة صفة ﴿ويزيدهم﴾ القرآن ﴿خشوعاً﴾ تواضعاً لله. ١١٠ وكان ﷺ يقول: يا الله، يا رحمن، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر معه فترل: ﴿قل﴾ لهم ﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي: سموه بأيهما، أو: نادوه، بأن تقولوا: ﴿يا الله﴾ ﴿يا رحمن﴾ ﴿أَيًّا﴾ شرطية ﴿ما﴾ زائدة، أي هذين ﴿تدعوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿فله﴾ أي: لمسامهما ﴿الأسماء الحسنى﴾ وهذان منها، فإنها كما في الحديث: الله، الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقدر،

المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور، رواه الترمذي، قال تعالى ﴿ولا تجهر بصلواتك﴾ بقراءتك فيها، فيسمعك المشركون فبسوك، ويسبوا القرآن ومن أنزله [أخرج ذلك البخاري وغيره] ﴿ولا تخافت﴾ [أي: لا تسر بها] ليستفح أصحابك ﴿وابتغ﴾ اقصد ﴿بين﴾ ذلك ﴿الجهر والمخافة﴾ سبيلاً طريقاً وسطاً. ١١١ ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ في الألوهية ﴿ولم يكن له ولي﴾ ينصره ﴿من﴾ أجل ﴿الذل﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه

عظمة تامة، عن اتخاذ الولد والشريك والذل، وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك، للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرد صفاته، روى الإمام أحمد في مسنده، عن معاذ الجُهني، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آية العز: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك» إلى آخر السورة، والله تعالى أعلم. [تنبيه: لقد نقلنا خاتمة الجلال السيوطي رحمه الله من هنا، حيث كانت، في آخر القسم الذي فسرته من القرآن العظيم، وأثبتناها في سياق المقدمة، وأما من أول سورة «الكهف»، فيبدأ القسم الذي فسرته الجلال المحلي رحمه الله، قال:].

﴿سُورَةُ الْكَهْفِ﴾ (١)

(مكية، إلأ: «واصبر نفسك» الآية،
مائة وعشر آيات، أو: وخمس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الحمد﴾ وهو: «الوصف بالجميل»، ثابت لله تعالى، وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو: الثناء [على الله تعالى]، أو: هما [معاً] احتمالات، أفيدها الثالث ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له﴾ أي: فيه ﴿عوجاً﴾ اختلافاً وتناقضاً، والجملة حال من «الكتاب». ٢ ﴿قيماً﴾ مستقيماً، حال ثانية مؤكدة ﴿لينذر﴾ يخوف الكتاب الكافرين ﴿بأساً﴾ عذاباً ﴿شديداً﴾ من لدنه ﴿من قبل الله﴾ وينشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً. ٣ ﴿ما كُتِبَ فيه﴾ أبدأ ﴿هو الجنة﴾. ٤ ﴿وينذر﴾ من جملة الكافرين ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾. ٥ ﴿ما لهم به﴾ بهذا القول ﴿من علم ولا آياتهم﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كبرت﴾ عظمت ﴿كلمة تخرج من أفواههم﴾ «كلمة» تمييز مفسر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مقالاتهم المذكورة ﴿إن﴾ ما ﴿يقولون﴾ في ذلك ﴿إلا﴾ مقولاً ﴿كذباً﴾.

٦ ﴿فلعلك باخع﴾ مهلك ﴿نفسك على آثارك﴾ بعدهم، أي: بعد توليهم عنك ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ القرآن ﴿أسفاً﴾ غيظاً وحزناً منك، لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. ٧ ﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زينة لها﴾

(١) قوله: «سورة الكهف»، روى البخاري واللفظ له، والترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطَئَين - أي: جبلين متيين - فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه يتفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فلذكر ذلك له فقال: «تلك السُّكينةُ نزلت بالقرآن». وأخرج أحمد ومسلم والنسائي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنه الدُّجَال».

(١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عَشْرٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ مَّكِينٍ فِيهِ أَبدَا ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ فَلَعَلَّكَ بَلْعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۚ إِنَّ لَكَ يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أُسْفًا ۖ إْنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا

لنبلوهم ﴿لنختبر الناس، ناظرين إلى ذلك ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ فيه، أي: أزهد له، [أي: أكثر ميلاً إلى العمل الصالح].

٨ ﴿وإننا لجاعلون ما عليها﴾ [أي: الأرض] ﴿صعيداً﴾ فناناً [كالتراب] ﴿جرزاً﴾ يابساً لا يَنْبُتُ.

٩ ﴿أم حسبت﴾ أي: ظننت ﴿أن أصحاب الكهف﴾ ^(١) الغار في الجبل ﴿والرقيم﴾ اللوح [من رصاص، رواه البخاري عن ابن عباس]، المكتوب فيه أسماءهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كانوا﴾ في قصتهم ﴿من﴾ جملة ﴿آياتنا عجباً﴾ خبر ﴿كان﴾، وما قبله: [أي: ﴿من آياتنا﴾] حال، أي: كانوا عجباً دون باقي الآيات؟ أو: [كانوا] أعجبها؟ ليس الأمر كذلك.

١٠ اذكر ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ جمع «فتى»، وهو: الشباب الكامل، خائفين على إيمانهم من قومهم، الكفار، [قال ابن كثير: فذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل] ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾

١١ ﴿فضرربنا على آذانهم﴾ أي: أنمناهم ﴿في الكهف سنين عدداً﴾ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً ﴿هتولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بساطلن بينن﴾ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً

١٢ ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم ﴿لنعلم﴾ علم مشاهدة ﴿أي الحزبين﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أحصى﴾ [على وزن: أفعل]، بمعنى: أضببط ﴿لما لبثوا﴾ للبثهم، متعلق بما بعده ﴿أمداً﴾ غاية.

١٣ ﴿نحن نقص﴾ نقرأ ﴿عليك نبأهم بالحق﴾ بالصدق ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾

١٤ ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ قويناهم على قول الحق ﴿إذ قاموا﴾ بين يدي ملكهم، وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه﴾ أي: غيره

﴿إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ أي: قولاً ذا شطط، أي: إفراط في الكفر، إن دعونا إلهاً غير الله، فرضاً.

١٥ ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه الهة لولا﴾ هلاً ﴿يأتون عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسطان بين﴾ بحجة ظاهرة ﴿فمن أظلم﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى؟.

(١) قوله تعالى: ﴿أصحاب الكهف﴾ قال ابن الأثير في «الكامل»: «كان أصحاب الكهف أيام ملك من ملوك الطوائف اسمه: «دقيوس»، ويقال: «دقيانوس»، وكانوا بمدينة للروم اسمها «أفسوس» وملكهم يعبد الأصنام، وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى، و «الرقيم» خبرهم، كتب =

١٦ قال بعض الفتية لبعض: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ بكسر الميم وفتح القاء، وبالعكس: ما ترتفقون به، من غداء وعشاء.

١٧ ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾ بالتشديد، والتخفيف، تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهَا ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم، فلا تصيبهم ألبته ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ متسع من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

١٨ ﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيْقَاطًا﴾ أي: متبئين، لأن أعينهم مفتوحة، جمع «يقظ» بكسر القاف ﴿وَهُمْ رَقُودٌ﴾ نيام، جمع «راقد» ﴿وَنَقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾ لثلاث تأكل الأرض لحومهم ﴿وَوَكَّلْنَاهُمْ بِأَسْطِ ذُرَاعِهِ﴾ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب؛ وهو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلْتُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ بسكون العين وضمها^(١)، منعهم الله بالرعب، من دخول أحد عليهم.

١٩ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بِعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس، وبُعثوا عند غروبها، فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ بسكون الراء وكسرهما، [مع فتح الواو فيها، أي: بفضتكم] هذه إلى المدينة» يقال: إنها المسمأة الآن: «طرسوس» بفتح الراء.

في لوح، وجعل على باب الكهف الذي أورا إليه، وكانوا قبل إيمانهم يعبدون الأوثان فهداهم الله، وكانت

وإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهَا ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رَقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلَّيْنَاهُمْ بِأَسْطِ ذُرَاعِهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام. وزعم بعضهم: أنهم كانوا قبل المسيح، والأول أصح، وكانوا من الروم، وقال في «معجم البلدان»: «أفسوس» بضم الهمزة بلد بثنور «طرسوس»، يقال إنها بلد أصحاب الكهف، و«طرسوس» - بالسين بعد الراء - بفتح أوله وثانيه، وهي مدينة بثنور الشام بين أنطاكية وحلب، وفيها قبر «المأمون». اهـ.

وهناك من يقول: إن موضع الكهف هو في بلاد الأردن حالياً، جنوب شرقي «عمّان»، وعلى كل حال، فإن المهم هو الاعتبار بفضتهم والاتعاظ بها، وأما معرفة المكان فليس أمراً مهماً.

(١) قوله: «بسكون العين وضمها» حاصله: أن في قوله تعالى: ﴿وَلَمَلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ثلاث قراءات سبعة لا أكثر هي: «ولمَلْتُ - بتخفيف اللام - منهم رُعْبًا» بسكون العين وضمها فهما قراءتان، والقراءة الثالثة: «ولمَلْتُ - بتشديد اللام - منهم رُعْبًا» بسكون العين فقط.

﴿فَلْيَنْظُرْ أَبْهَآ أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أي أطعمة المدينة أحل ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

٢٠ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [بأن يعلموا مكانكم] ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا﴾ أي: إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾.

٢١ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْرَضْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنْ

وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق: أن القادر على إنصافهم المدة الطويلة، وإيقاظهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ [لا] شك ﴿فِيهَا إِذْ﴾ معمول لـ ﴿أَعْرَضْنَا﴾ ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية، في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي: الكفار ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بَنِيَانًا﴾ يسترهم ﴿رَبَّهُمْ﴾ أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم ﴿أمر الفتية، وهم المؤمنون﴾ لنتخذن عليهم ﴿حولهم﴾ مسجدًا ﴿يُصَلِّي فِيهِ، وَفَعِلَ ذَلِكَ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ﴾.

٢٢ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية، في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم لبعض: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي: بعضهم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصاري «نجران» ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظناً في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له، أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المؤمنون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره، صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل تأكيد ودلالة، على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف [القولين] الأولين بالرجم، دون الثالث، دليل على أنه مَرَضِيٌّ وصحيح ﴿قُلْ﴾ ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ»، وَذَكَرَهُمْ سَبْعَةً «فَلَا تَمَارَ» تَجَادَلُ فِيهِمْ إِلَّا مَرَأَةً ظَاهِرًا﴾ مما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا﴾.

٢٣ وسأله أهل مكة، عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غداً»، ولم يقل: إن شاء الله، [أخرجه ابن إسحاق] فنزل: ﴿وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان. ٢٤ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا متلبساً بمشيئة الله تعالى، بأن تقول: «إن شاء الله».

سُورَةُ الْكَافَّةِ ١٨

فَلْيَنْظُرْ أَبْهَآ أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبَّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٢﴾ فَلَا تُمَارِفِهِمْ إِلَّا مَرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

﴿واذكر ربك﴾ أي: مشيئته معلقاً بها ﴿إذا نسيت﴾ التعليق بها، ويكون ذكرها بعد النسيان، كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس، [فإذا قام الناسي من مجلسه، لم يكن ذكرها بعد ذلك كذكرها مع القول] ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا﴾ من خبر أهل الكهف، في الدلالة على نبوتي ﴿رشدًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

٢٥ ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة﴾ بالتثنية ﴿سنين﴾ عطف بيان له «ثلاثمائة»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب، شمسية، وتزيد القمرية عليها، عند العرب، تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ أي:

تسع سنين، فـ «الثلاثمائة» الشمسية، [هي:]

ثلاثمائة وتسع قمرية. ٢٦ ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ ممن اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿له غيب السماوات والأرض﴾ أي: علمه ﴿أبصر به﴾ أي: الله، هي صيغة تعجب ﴿واسمع﴾ به كذلك، بمعنى: ما أبصره وما أسمعه، وهما على جهة المجاز، والمراد أنه تعالى، لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿ما لهم﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿من دونه من ولي﴾ ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ لأنه غني عن الشريك. ٢٧ ﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ ملجأ. ٢٨ ﴿واصبر نفسك﴾ احبسها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون﴾ بعبادتهم ﴿وجهه﴾ تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿ولا تعد﴾ تنصرف ﴿عينك عنهم﴾ عبر بهما، [أي: بالعينين]، عن صاحبهما، [أي: لا تنصرف عنهم] ﴿تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي: القرآن، هو عينة بن حصن وأصحابه^(١) ﴿واتبع هواه﴾ في الشرك ﴿وكان أمره فرطاً﴾ إسرافاً [ومجاوزة للحد، وقيل: من «التفريط»، الذي هو التقصير بترك الإيمان].

٢٩ ﴿وقل﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن [هو]

﴿الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء

فليكفر﴾ تهديد لهم ﴿إننا اعتدنا للظالمين﴾ أي:

الميزان

وَأَذْكُر رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ٢٥ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ
مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٢٦ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا
لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ٢٧
وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ
وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٨ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ٢٩
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

الكافرين ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ ما أحاط بها [أي: سورها].

(١) قوله: «هو عينة بن حصن وأصحابه»، أخرج الواحدي في أسباب النزول، والبيهقي في «الشعب» وغيرهما، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: جاءت المؤلفة قلوبهم: عينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس وذوهمما فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس، ونَحْنُ عِنَا هَؤُلَاءِ وَأَرْوَاحُ جِبَابِهِمْ — يعنون: سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين — فأنزل الله هذه الآية، قال «في الاستيعاب»: عينة بن حصن، هو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، أهد. وهو الذي دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأغضبه حتى هَمَّ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ لَوْلَا أَنَّ ذِكْرَهُ الْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ كعكر الزيت ﴿يشوي الوجوه﴾ من حره إذا قَرَّبَ إليها ﴿بشس الشراب﴾ هو ﴿وساءت﴾ أي: النار ﴿مرتفقاً﴾ تمييز منقول عن الفاعل، أي: قُبِحَ مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وحسنت مرتفقاً»، وإلاً، فأَيُّ ارتفاق في النار؟.

٣٠ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننزع أجر من أحسن عملاً﴾ الجملة خبر: «إن الذين»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم. أي: نثيهم بما تضمنه.

٣١ ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ إقامة ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ يحلون فيها من أساور قيل: «من» زائدة، وقيل: للتبويض، وهي جمع «سوار» من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس [هو] ما رَقَّ من الديباج، [أي: الحرير] «واستبرق» ما غلظ منه، وفي آية [سورة] «الرحمن»: «بطائنها [أي: الفُرُش] من استبرق» «متكئين فيها على الأرائك» جمع «أريكة»، وهي: السرير في الحجلة، وهي: بيت يزين بالثياب والستور للعروس «نعم الثواب» الجزاء الجنة «وحسنت مرتفقاً».

٣٢ ﴿واضرب﴾ اجعل ﴿لهم﴾ للكفار مع المؤمنين «مثلاً رجلين» بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل «جعلنا لأحدهما» الكافر [منهما] «جنتين» بساتين «من أعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً» يقتات به.

٣٣ ﴿كلتا الجنتين﴾ كلتا مفرد [لفظاً]، يدل على التثنية [معنى]، مبتدأ «آت» خبره «أكلها» ثمرها «ولم تظلم» تنقص «منه شيئاً وفجرنا» أي: شققنا

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ ١٨

وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
بشس الشراب وساءت مرتفقاً ﴿٣٠﴾ إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لا ننزع أجر من أحسن عملاً ﴿٣١﴾
أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون
فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من
سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم
الثواب وحسنت مرتفقاً ﴿٣٢﴾ * وأضرب لهم مثلاً
رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما
بنخل وجعلنا بينهما زرعاً ﴿٣٣﴾ كلتا الجنتين آتت أكلها
ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلاهما نهراً ﴿٣٤﴾ وكان له
ثمر فقَالَ لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا
وأعز نفراً ﴿٣٥﴾ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال

﴿خلالهما نهراً﴾ يجري بينهما.

٣٤ ﴿وكان له﴾ مع الجنتين «ثمر» بفتح الشاء والميم، ويضمهما، ويضم الأول وسكون الثاني، وهو جمع «ثمرة»، كـ «شجرة» و«شجر»، و«خشبة» و«خشب»، و«بدنة» و«بذن» «فقال لصاحبه» المؤمن «وهو يحاوره» يفاخره «أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً» عشيرة. ٣٥ «ودخل جنته» بصاحبه، يطوف به فيها، ويريه أثمارها، ولم يقل: «جنتيه»، إرادة للروضة، وقيل: اكفاء بالواحد «وهو ظالم لنفسه» بالكفر «قال

ما أظن أن تبيد تنعدم هذه أبداً.

٣٦ ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ مرجعاً.

٣٧ ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره﴾ يجاوبه ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ثم من نقطة﴾ مني ﴿ثم سواك﴾ عدلك وصيرك ﴿رجلاً﴾.

٣٨ ﴿لكننا﴾ أصله: «لكن أنا»، نُقِلَتْ حركة الهمزة إلى النون، أو: حذفت الهمزة، ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هو﴾ ضمير الشأن [مبتدأ]، تفسره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول: [هو] الله ربي ولا أشرك بربي أحداً.

٣٩ ﴿ولولا﴾ هلاً إذ دخلت جنتك قلت

عند إعجابك بها: هذا ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ وفي الحديث^(١): «من أعطي خيراً، من أهل أو مال، فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم ير فيه مكروهاً» إن ترن أنسا ﴿ضمير فصل بين المفعولين، [لا محل له من الإعراب] ﴿أقل منك مالا وولداً﴾.

٤٠ ﴿فصلى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ جواب الشرط ﴿ويرسل عليها حساباً﴾ جمع «حساباً»، أي: صواعق ﴿من السماء فتصيح صعيداً زلقاً﴾ أرضاً ملساء، لا يثبت عليها قدم.

٤١ ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ بمعنى: غائراً، عطف على «يرسل»، دون «تصبح»، لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق^(٢) ﴿فلن نستطيع له طلباً﴾ حيلة تدركه بها.

٤٢ ﴿وأحيط بثمره﴾ - بأوجه الضبط السابقة^(٣) - مع جنته بالهلاك، فهلكت ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾ في عمارة جنته ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ دعائمها، بأن سقطت [الدعائم]، ثم سقط الكرم ﴿ويقول يا للنتيبه﴾ ليتني لم أشرك بربي أحداً.

٤٣ ﴿ولم تكن﴾ بالتاء والياء ﴿له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ عند هلاكها.

الجزء الثاني عشر

مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۖ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ

قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ

مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ

وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤها غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ ۚ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفِيهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي

أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) قوله: «وفي الحديث... إلخ»، أخرجه البيهقي في «الشعب» وغيره، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة، من أهل أو مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كل آفة، حتى تأتيه ميتته»، فالذي ذكره المحلي هنا هو معنى الحديث لا نصه.

(٢) قوله: «عن الصواعق»، أرجع إلى تعليقنا حول معنى «الصاعقة» ص ٣٢٢.

(٣) قوله: «بأوجه الضبط السابقة» أي: إن في قوله تعالى ﴿بشمره﴾ قراءات ثلاث كالتي تقدمت في «وكان له ثمر» الآية (٣٤) الصفحة السابقة.

وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ
نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ
لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُسْتَفْقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنَوِّلُنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ
لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

﴿وما كان منتصرًا﴾ عند هلاكها بنفسه. ٤٤ ﴿هنالك﴾ أي: يوم القيامة ﴿الولاية﴾ بفتح الواو: «الثَّصْرَة»، وبكسرهما: «المُلْك» ﴿الله الحق﴾ بالرفع صفة «الولاية»، وبالجر صفة الجلالة ﴿هو خير ثوابًا﴾ من ثواب غيره، لو كان يثبت ﴿وخير عقبا﴾ بضم القاف وسكونها: عاقبة للمؤمنين، ونصيبهما على التمييز. ٤٥ ﴿واضرب﴾ صَيَّرَ ﴿لهم﴾ لقومك ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ مفعول أول ﴿كَمَا﴾ مفعول ثانٍ ﴿أنزلناه من السماء﴾ فاختلط به ﴿تكاثر بسبب نزول الماء﴾ نبات الأرض ﴿وامتزج الماء بالنبات، فَرَوِي وَحَسَنَ﴾ فأصبح ﴿هَشِيمًا﴾ يابسًا متفرقة أجزاءه ﴿تذروه﴾ تنثره وتفرقه ﴿الريح﴾ فتذهب به، المعنى: شَبَّه الدنيا بنبات حسن، فيبس، فتكسر، ففرقه الريح، وفي قراءة: «الريح» ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾ قادرًا. ٤٦ ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿والباقيات الصالحات﴾^(١) هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» ﴿خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً﴾ أي: ما يأمله الإنسان، ويرجوه عند الله تعالى. ٤٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نسير الجبال﴾ [إلى التاء مبنياً للمفعول، ورفع «الجبال»، أي:] يذهب بها عن وجه الأرض، فتصير هباء منبثًا، وفي قراءة بالنون وكسر الياء، ونصب «الجبال» ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس عليها شيء، من جبل ولا غيره ﴿وحشرناهم﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فلنم نغادر﴾ نترك ﴿منهم أحدا﴾.

٤٨ ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ حال، أي: مصطفين، كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ أي: فرادى حفاة عراة غُرْلًا، [جمع «غُرْل»، أي: كحالهم قبل الختان، روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةً عَرَاةً غُرْلًا»، قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قالت: قال: «يا عائشة، الأمرُ - أي: هول الموقف - أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض»، ويقال لمنكري البعث: ﴿بل زعتم أن ن مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لن نجعل لكم موعدًا﴾ للبعث.

٤٩ ﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب كل امرئ، في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فترى المجرمين﴾ الكافرين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه ويقولون﴾ عند معابنتهم ما فيه من السيئات ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلتنا﴾ هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ من ذنوبنا ﴿إلا أحصاها﴾ عدّها وأثبتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿ووجدوا ما عملوا

(١) قوله تعالى: «والباقيات الصالحات». أخرج أحمد وابن حبان، والحاكم وصححه، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهلل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، وهذا الحديث يجمع كل ما ذكره المحلي في تفسير الآية.

حاضراً مثبثاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم، ولا ينقص من ثواب مؤمن. ٥٠ ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ ﴿أذكر﴾ ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود انحناء - لا وضع جبهة - تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (١) قيل: [- وهذا قول مردود -] هم نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: منقطع، و﴿إِبْلِيسَ﴾ هو: أبو الجن، [أي: أبو الشياطين منهم]، فله ذرية ذكرت معه بعدد، والملائكة لا ذرية لهم، [اقرأ التعليق] ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ الْخَطَابَ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَالْهَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِإِبْلِيسَ﴾ ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء ﴿بَنَسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ، فِي إِطَاعَتِهِمْ، بَدَلُ إِطَاعَةِ اللَّهِ. ٥١ ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي: إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لم أخضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ الشَّيَاطِينَ عَضْدًا﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟

٥٢ ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ ﴿أذكر﴾ [مقدراً] ﴿يَقُولُ﴾ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الْاَوْتَانِ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ لِيَشْفَعُوا لَكُمْ بَزَعْمِكُمْ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لَمْ يَجِيبُوهُمْ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ بَيْنَ الْاَوْتَانِ وَعَابِدِيهَا﴾ مَوْبِقًا ﴿وَادِيًا مِنْ اَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ، يَهْلِكُونَ فِيهِ جَمِيعًا، وَهُوَ مِنْ «وَبَقَ» بِالْفَتْحِ: «هَلَكَ».

٥٣ ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي: أبْقَنُوا ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً. ٥٤ ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾ بَيْنَا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف، أي: مثلاً من جنس كل مثل، ليتعظروا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم «كان»، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

٥٥ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

الْحُكْمُ الْمَلَكُوتِيُّ

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ؕ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥١﴾ * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا ﴿٥٢﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٣﴾ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ... ﴿إِبْلِيسَ﴾ هو الاسم العلم لجني كان صالحاً فعاش مع الملائكة في السماء، ولما خلق الله تعالى آدم، أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعاً إلا إِبْلِيسَ، وعلل رفضه بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فطرده من رحمته ولعنه وأخرجه من الجنة فسمي «الشيطان»، وأصبح عدواً لبني آدم إلى يوم القيامة، فالذي لا مجال للخلاف فيه - وإن ظن بعضهم أن فيه خلافاً - أن إِبْلِيسَ جني من الجن لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، وليس أباهم، بل هو أبو الشياطين لقوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾، وأنه ليس من الملائكة، ولا هو نوع من الملائكة كما زعم البعض، لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما =

سنة الأولين فاعل، أي: ستتنا فيهم، وهي: الإهلاك المقدّر عليهم ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ [بكسر القاف وفتح الباء، أي: [مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمين، جمع: «قبيل»، أي: أنواعاً. ٥٦ ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ للمؤمنين ﴿ومنذرين﴾ مخوفين للكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ بقولهم: «أبعث الله بشراً رسولاً» ونحوه ﴿ليدحضوا به﴾ ليطلوا بجدها لهم ﴿الحق﴾ القرآن ﴿واتخذوا آياتي﴾ أي: القرآن ﴿وما أنذروا﴾ به من النار ﴿هزوا﴾ سخريه.

٥٧ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يدها﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إنا جعلنا على

قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي: من أن يفهموا القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وفي آذانهم وقرأ﴾ ثقلاً، فلا يسمعون ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أبداء﴾.

٥٨ ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤخذهم في الدنيا﴾ بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴿فيها﴾ بل لهم موعد ﴿وهو: يوم القيامة﴾ لن يجدوا من دونه موثلاً ملجأ. ٥٩ ﴿وتلك القرى﴾ أي: أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ كفروا ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ [بضم الميم، وفتح اللام، أي: [إهلاكهم، وفي قراءة: بفتح الميم [واللام، وروى حفص بكسر اللام] أي: لهلاكهم ﴿موعداً﴾. ٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى﴾ هو ابن عمران ﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه، ويخدمه، ويأخذ عنه العلم ﴿لا أبرح﴾ لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾^(١) ملتقى بحر الروم وبحر فارس، مما يلي المشرق، أي: المكان الجامع لذلك ﴿أو أمضي حقباً﴾ دهرأ طويلاً في بلوغه، إن بعدد.

٦١ ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ بين البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى تذكيره.

سُورَةُ الْكَهْفِ ١٨

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبَلًا ۖ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۚ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ۖ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۖ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ۖ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا إِذَا أَبَدًا ۚ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ ۚ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ۚ وَتِلْكَ الْقُرَى ۖ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۖ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۚ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أَرَحُ ۚ حَتَّىٰ أَبْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَىٰ حُقُبًا ۚ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

= في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»، وأن الملائكة كلهم معصومون ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُهيأون﴾ وقد أدرك هو نفسه ذلك. فعندما قال الله تعالى له:

﴿ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك﴾ لم يقل إبليس: إن الأمر لا يعنيني، أو: لم تأمرني يا رب، بل قال: «أنا خير منه»، فما روي وما قيل خلاف ما ذكرناه، مردود، لمخالفته صريح القرآن الكريم.

(١) قوله تعالى: ﴿مجمع البحرين﴾، إن ما ذكره المؤلف في بيان «مجمع البحرين» غير واضح، ولكن: ما سيأتي ص ٣٩١ في قوله تعالى: ﴿حتى إذا أنيا أهل قرية﴾ من أقوال، يساعدنا في توضيح المراد، فقول: «القرية» هي «أنطاكية»، وعليه يكون «مجمع البحرين»: هو: المضيق الجامع بين البحرين «الأيض المتوسط» و «الأسود»، وقيل: إن «القرية» هي: «برقة» في المغرب، وعليه يكون «مجمع البحرين»: هو: المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وهذا الاحتمالان، من أقرب ما يمكن حمل المعنى على أحدهما، والله أعلم.

﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر﴾ أي: جعله يجعل الله ﴿سرباً﴾ أي: مثل السرب، وهو: الشق الطويل لا نفاذ له. وذلك أن الله تعالى، أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه، فبقي كالكوّة لم يلتئم، وجمد ما تحته منه. ٦٢ ﴿فلما جاوزا﴾ ذلك المكان، بالسير إلى وقت الغداء، من ثاني يوم ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه أتنا غداءنا﴾ هو: ما يؤكل أول النهار ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ تعباً، وحصوله بعد المجاوزة. ٦٣ ﴿قال أرايت﴾ أي: تنبّه ﴿إذ أويئنا إلى الصخرة﴾ بذلك المكان ﴿فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ يبدل من الهاء: ﴿أن أذكره﴾ بدل اشتغال، أي: أنساني ذكره ﴿واتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر عجباً﴾ مفعول ثان، أي: يتعجب منه موسى وفتاه، لما تقدم في بيانه. ٦٤ ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ أي: فقدنا الحوت ﴿ما﴾ أي:

الذي ﴿كننا نبع﴾ نطلبه، فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فارتدا﴾ رجعا ﴿على آثارهما﴾ يقصّانها ﴿قصصاً﴾ فأتيا الصخرة. ٦٥ ﴿فوجدنا﴾ عبداً من عبادنا ﴿هو الخضر﴾ آتيناه رحمة من عندنا ﴿نبوة في قول﴾، [وصححه جماعة، وهو الأقوى]، وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿وعلمناه من لدنا﴾ قبلنا ﴿علماً﴾ مفعول ثان، أي: معلوماً من المعجزات، روى البخاري [ومسلم] حديث: «إن موسى، قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرّد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مكّتل، [أي: قفّة]، فحيثما فقدت الحوت، فهو ثمّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكّتل، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، ووضعاً رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكّتل، فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جريه بالماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغداة، قال موسى لفتاه: «أتنا غداءنا»، إلى قوله: «واتخذ سبيله في البحر عجباً»، قال: وكان [أي: ممر الحوت] للحوت سرباً، ولموسى

الجزء الثاني من سورة القصص

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ فَارْتَدَّ عَلَى ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٧٠﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٥﴾

ولفتاه عجباً الخ. ٦٦ ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ [بفتح الراء والشين]، أي: صواباً أرشد به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك، لأن الزيادة في العلم مطلوبة. ٦٧ ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾. ٦٨ ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ في الحديث السابق، عقب هذه الآية [قال الخضر: «يا موسى، إني على علم من الله علمني، لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمك الله، لا أعلمه»، وقوله: «خبراً»، مصدر لمعنى: «لم تحط»، أي: لم تُخبر حقيقة. ٦٩ ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ أي: وغير عاصٍ ﴿لك أمراً﴾ تأمرني به، وقيد بالمشيئة، لأنه لم يكن على ثقة من نفسه، فيما التزم به، وهذه عادة الأنبياء والأولياء، أن لا يثقوا بأنفسهم طرفة عين.

٧٠ ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ وفي قراءة، بفتح اللام وتشديد النون ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ تنكره مني في علمك، واصبر حتى أحدث لك منه ذكراً أي: أذكره لك بعلمته، فقبل موسى شرطه، رعاية لأدب المتعلم مع العالم. ٧١ ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر، بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها، من جهة البحر بفأس، لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخْرَقْتُهَا لِتَفْرُقَ﴾ [بضم التاء وكسر الراء، ونصب] ﴿أَهْلِهَا﴾ وفي قراءة: بفتح التحتانية والراء، ورفع: «أهلها» ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرَأً﴾ أي: عظيماً منكراً، روي: أن الماء لم يدخلها. ٧٢ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. ٧٣ ﴿قَالَ لَا تَأْخُذْ بَمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك، وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تَرْهَقْنِي﴾ تكلّفني ﴿مَنْ أَمْرِي﴾ مشقة، في صحبتي إليك، أي: عاملني فيها بالعفو واليسر. ٧٤ ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا﴾ لم يبلغ الحنث، [أي: حدّ التكليف]، يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهاً ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الخضر، بأن ذبحه بالسكين مضجعاً، أو: اقتلع رأسه بيده، أو: ضرب رأسه بالجدار، أقوال، وأتى هنا بالفاء العاطفة، لأن القتل [كان] عقب اللقاء، وجواب «إذا»: ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَقْتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة: «زكية» بتشديد الياء، بلا ألف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم تقتل نفساً؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نَكِرًا﴾ بسكون الكاف وضمها، أي: منكراً.

سُورَةُ الْكَهْفَةِ ١٨

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتَفْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرَأً ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تَأْخُذْ بَمَا نَسِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نَكِرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَٰذَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابُوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

مائة ذراع ﴿يريد أن ينقض﴾ أي: يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فأقامه﴾ الخضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ [بتخفيف التاء وكسر الخاء، من غير ألف وصل]، وفي قراءة: «لَاتَّخَذْتَ» [بتشديد التاء وفتح الخاء، وألف الوصل] ﴿عليه أجراً﴾ «جُعلاً»، حيث لم يضيفونا، مع حاجتنا إلى الطعام.

٧٨ ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق «بينني وبينك» فيه إضافة «بين» إلى غير متعدد، سَوَّغَهَا [أي: سَوَّغَ هذه الإضافة:] تكريره بالعطف بالواو «سَأُنَبِّئُكَ» قبل فراقني لك «تَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا»:

٧٩ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها، مؤاجرة لها، طلباً للكسب ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ إذا رجعوا، أو: أمامهم الآن ﴿مَلِكٌ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَضَبًا﴾ نصبه على المصدر، المبيّن لنوع الأخذ. ٨٠ ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم، [وأبي داود والترمذي]: طُبِعَ كَافِرًا، ولو عاش لأرْهَقَهُمَا ذلك، أي: بمحبتهما له يتبعانه في ذلك، [ورُفِضَ لمسلم]: إن الغلام الذي قتله الخضر، طبع كافرًا، ولو عاش لأرْهَقَ أبويه طُغْيَانًا وَكُفْرًا. ٨١ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ أي: صلاحًا وثَقَى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رَحْمًا﴾ يسكنون الحاء، وضمها: رحمة، وهي: البر بالديه، [قيل]: فأبدلهم تعالى جارية تزوجت نبياً، فولدت نبياً، فهدى الله تعالى به أمة، [قال القرطبي]: قال علماؤنا: وهذا بعيد. ٨٢ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا مَالٌ مَدْفُونٌ، مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا بصلاحه، في أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: يناس رُشدَهُمَا ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ مفعول له، عامله: «أراد»، ﴿وما فعلته﴾ أي: ما ذكر من: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار ﴿عن أمري﴾ أي: اختياري، بل أمر إلهام من الله، [لأنه وليّ، والصحيح: أنه أمر وحي، لأنه نبيّ] ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ ويقال: «استطاع» و «استطاع»، بمعنى: أطاق، ففي هذا وما قبله، جُمِعَ بين اللغتين، ونُوِّعَتِ العبارة في «فأردت»، «فأردنا»، «فأراد ربك»، [على سبيل التحسين والأدب، بنسبة ما ظاهره إفساد بحث إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى. روى البخاري والترمذي، عن النبي ﷺ]: قال: «إنما سُمِّيَ الخضر، لأنه جلس على قُرْوَةٍ بيضاء، فإذا هي تهتّرت تحت خضراء» و «القُرْوَةُ»: قطعة نبات مجتمعة يابسة].

الجزء الثاني عشر
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا ٧٩ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٨٢ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ٨٣ إِنَّا مَكَّانُهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ٨٤ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ٨٥ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

٨٣ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عن ذي القرنين﴾ (١) اسمه: «الإسكندر»، ولم يكن نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾ سأقص ﴿عليكم منه﴾ من حاله ﴿ذكر﴾ خبراً. ٨٤ ﴿إِنَّا مَكَّانُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقاً يوصله إلى مراده، [من فتح البلاد، وإذلال أهل الشرك].

٨٥ ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً نحو الغرب. ٨٦ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة، وهي: الطين الأسود، وغروبها في العين، في رأي العين، وإلا فهي أعظم من [أرض] الدنيا.

(١) قوله تعالى: ﴿عن ذي القرنين﴾. الصحيح أنه كان رجلاً مؤمناً وملكاً من الملوك العادلين، وليس نبياً، ذكر بعضهم أنه كان في زمن إبراهيم الخليل، وأسلم على يديه، وهو غير الإسكندر المقدوني، الذي بنى مدينة الإسكندرية، لأن هذا الأخير كان مشركاً كافراً، ومتأخراً عن ذي القرنين بزمان طويل، وبينهما أزيد من ألفي سنة، وقد وهم من اعتبرهما واحداً، كابن الأثير في «الكامل»، وابن هشام في «السيرة»، وفي اسمه خلاف وأقوال، من غير دليل، فيكفي أنه «ذو القرنين» كما وصفه الله تعالى.

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ
وَأِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٧﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨٨﴾ وَأَمَّا
مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ
لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٩﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا
بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ
لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩١﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ
السَّيِّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ﴿٩٤﴾ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٥﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

﴿ووجد عندها﴾ أي: العين ﴿قوما﴾ كافرين ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ يالهام ﴿إما أن تعذب﴾ القوم بالقتل ﴿وإما أن تتخذ﴾
فيهم حسناً ﴿بالأسر. ٨٧﴾ قال أما من ظلم ﴿بالشرك﴾ فسوف نعذبه ﴿نقتله﴾ ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ﴿بسكون﴾
الكاف وضمها: شديداً في النار. ٨٨ ﴿وإما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء﴾ [بضم الهمزة من غير تنوين، مضافاً إلى] ﴿الحسنى﴾ أي: الجنة، والإضافة للبيان، [أي: فله الجنة، أو: فجزاء الخصلة الحسنى له]، وفي قراءة: بنصب
﴿جزاء﴾ [على الحال]، وتنوينه، [أي: مجزياً بها]، قال الفراء: ونصبه على التفسير، أي لجهة النسبة، [أي: نسبة الخبر
المقدم، إلى المبتدأ المؤخر، وتقديره: ﴿فله الحسنى يُجزى بها جزاء﴾، فهو مفعول مطلق] ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾

أي: نأمره بما يسهل عليه. ٨٩ ﴿ثم اتبع سبباً﴾
نحو المشرق. ٩٠ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾
موضع طلوعها ﴿وجدتها تطلع على قوم﴾ هم
الزنج، [أو: غيرهم] ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾
أي: الشمس ﴿ستراً﴾ [أي: ساتراً]، من لباس
ولا سقف^(١)، لأن أرضهم لا تحمل بناء، ولهم
سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس، ويظهرون
عند ارتفاعها. ٩١ ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كما قلنا
﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ أي: بما عند ذي القرنين،
من الآلات والجند وغيرهما ﴿خبراً﴾ علماً.
٩٢ ﴿ثم اتبع سبباً﴾. ٩٣ ﴿حتى إذا بلغ بين
السدين﴾ بفتح السين وضمها، هنا ويُعَدُّ [في
الآية التالية]. وهما: جبلان بمنقُطع بلاد الترك،
سد الإسكندر ما بينهما، كما سيأتي ﴿وجد من
دونهما﴾ أي: أمامها ﴿قوماً لا يكادون يفقهون
قولا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بقاء، وفي قراءة:
بضم الباء وكسر القاف، [أي: لا يفهمون
غيرهم].

٩٤ ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج﴾^(٢)
بالهمز وتركه: هما اسمان أعجميان لقبيلتين،
فلم ينصرفا ﴿مفسدون في الأرض﴾ بالنهب
والبغي، عند خروجهم إلينا ﴿فهل نجعل لك
خرجاً﴾ جُغلاً من المال، وفي قراءة: ﴿خراجاً﴾
﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ حاجزاً، فلا
يصلون إلينا؟

٩٥ ﴿قال ما مكنتي﴾ وفي قراءة: بنونين سن غير
إدغام ﴿فيه ربي﴾ من المال وغيره ﴿خير﴾ من خَرَجِكُم الذي تجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعاً.

(١) قوله: ﴿من لباس ولا سقف... إلى هنا: حسن... وأما قوله بعده: ﴿لأن أرضهم... إلخ﴾ فلا وجه له، لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل
بناء والله تعالى جعل الأرض قراراً، وقوله: ﴿لهم سروب﴾، يناقض نفي السد في الآية، لأن السروب مما يستر، فهي منفية أيضاً على فرض
وجودها، فيكون المعنى الصحيح: قوم لا يتخذون شيئاً يستترهم من الشمس. والله أعلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿يأجوج ومأجوج﴾، سيأتي بيان من هم في تعليقنا ص ٤٣٠.

﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزًا حصينًا. ٩٦ ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعته، على قدر الحجارة التي يُبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الصدفين، بضم الحرفين، [أي: الصاد والذال]، وفتحهما، وضم الأول وسكون الثاني، أي: حافتي الجبل بالبناء، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار ﴿قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو: النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحُذف من الأول، لإعمال الثاني [على مذهب البصريين]، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المُحمى، فدخل بين زُبَرِهِ، فصار شيئًا واحدًا.

٩٧ ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ [سقطت التاء للخفة]، أي: ياجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره، لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ خرقًا لصلابته وسُمُكِهِ. ٩٨ ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَذَا﴾ أي: السد، أي: الإقذار عليه ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّي﴾ نعمة، لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَّبِّي﴾ بخروجهم، القريب من [يوم] البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَاةً﴾ مذكورًا مبسوطًا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَّبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كائنًا.

٩٩ قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ﴾ [بعد انفتاح السد، وقيل: بعد بنائه، وهذا أظهر] ﴿يَمْشِي فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: الخلائق، في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا﴾. ١٠٠ ﴿وَعَرْضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [أي: أبرزناها لهم]. ١٠١ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ ^(١) بدل من «الكافرين» ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرُونَ أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم، بغضاً له، فلا يؤمنون به، [حسدًا وتكبرًا]. ١٠٢ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي، وعيسى، وعزيرًا ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابًا، مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُوا﴾، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف، المعنى: اظنوا أن الاتخاذ المذكور، لا يُعْضِبُنِي، ولا أعاقبهم عليه؟ كَلَّا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نَزْلًا﴾ أي: هي مُعَدَّة لهم، كالمنزلة المعد للضيف. ١٠٣ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

الْبَيْتُ الثَّالِثُ

فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٦
آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا
حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٧
فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ٩٨
قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ٩٩ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمْشِي فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعْمَنَّهُمْ جَمْعًا ١٠٠
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ١٠١
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ١٠٢
أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي
مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ١٠٣
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
نَزْلًا ١٠٤
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ١٠٥

ولا أعاقبهم عليه؟ كَلَّا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نَزْلًا﴾ أي: هي مُعَدَّة لهم، كالمنزلة المعد للضيف. ١٠٣ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

(١) قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ الآية (١٠١)، وأيضاً الآية (١٠٣)، تأمل في هاتين الآيتين، تجد في الأولى: أدق وصف لأهل الهوى والضلال والجبروت، فإن أحدهم لا يستطيع أن يسمع - حتى مجرد سماع - كلمة الحق، فهي على سمعه وقلبه أثقل من الجبال، أما الآية الثانية ففيها جواب - ولا أدق - على سؤال: من هم الأخسرون أعمالاً؟ بأنهم قوم مغرورون يعمل أحدهم ما فيه ضلال مبين ومع ذلك يرى أنه يعمل صالحاً، ويرفض النصيحة.

١٠٤ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً يجازون عليه. ١٠٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده، من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب، والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ أي: لا نجعل لهم قدراً^(١).

١٠٦ ﴿ذَلِكَ﴾ [خبر لمبتدأ محذوف]، أي: الأمر، [هو] ذلك الذي ذكرت، من حبوط أعمالهم، وغيره [من العذاب، الذي سينالهم بسبب كفرهم]، وابتدأ: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [بالهمز، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بإبدال الهمزة واواً، مع ضم الزاي]، أي: مهزوءاً بهما. ١٠٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو:

وسط الجنة وأعلاها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً. ١٠٨ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حَوْلًا﴾ تحولاً إلى غيرها. ١٠٩ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مَدَادًا﴾ هو: ما يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه، بأن تكتب به ﴿لِنَفْدِ الْبَحْرِ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾ بالتاء والياء، تفرغ [وتنتهي] ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه، لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز.

١١٠ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ﴾ يوحى إلي أنما إليكم إله واحد ﴿إِنِّي أَنَا الْمَكْفُوفُ﴾ [عن العمل] بـ «ما»، باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إلي وحدانية الإله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها، بأن يراني^(٢) ﴿أَحَدًا﴾.

(١) قوله: «أي: لا نجعل لهم قدراً»، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقروا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾». اهـ. وقوله ﷺ: «السمين» ليس قيداً لازماً، بل هو جري على الغالب، في الجباية والظالمين بسبب ترفهم، فقد يكون الظالم نحيل الجسم، والناس يقولون: فلان له وزنه، أو: شخصية ذات وزن، فبين الله تعالى ورسوله أنه لا وزن لأحد، ولا قيمة ولا كرامة، إلا بالإيمان والعمل الصالح.

(٢) قوله: «بأن يراني أحداً»، أخرجه الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه».

والشرك شركان: «شرك أكبر»، و«شرك أصغر»، فالأكبر هو: اعتقاد شريك لله تعالى، في ألوهيته وربوبيته وصفاته، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وهو أيضاً المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، فإن قيل: هذا مشرك فمعناه: الكافر، ويقابله «الإيمان».

أما الشرك الأصغر فهو: «الرياء»، وهو: أن يفعل العبد عبادة، يقصد بها غير الله تعالى كشأن الناس عليه، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة، في تحريمه والتحذير منه، مبينة أنه يبطل ثواب العمل، كالحديث القدسي الذي ذكرناه، ويقابله «الإخلاص»، الذي أمرنا الله تعالى به في كل عبادة بقوله: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ فلا يقبل الله تعالى، إلا ما كان خالصاً له، موافقاً لشرعه.

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ ١٨

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿٢﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿٥﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

(مكية، أو: إلا سجدها فمدنية، أو:
إلا «فخلف من بعدهم خلف»
الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٩) سُورَةُ الرَّحْمٰنِ
وَأَنبَأْنَاهُمَا كَانِ وَتَسْتَعِجُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ١ ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ٢
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ ٦ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٧ يَزَكِّرْ يَأْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٨
قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَاتِي عَاقِرًا

٣٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده بذلك (١)
٢ هذا ﴿ذكر رحمة ربك عبده﴾ مفعول
«رحمة» ﴿زكريا﴾ بيان له. ٣ ﴿إذ﴾ متعلق
بـ «رحمة» ﴿نادى ربه نداء﴾ مشتملاً على دعاء
﴿خفياً﴾ سرّاً، جوف الليل، لأنه أسرع
للإجابة.

٤ ﴿قال رب إني وهن﴾ ضعف ﴿العظم﴾
جميعه ﴿مني واشتعل الرأس﴾ مني ﴿شيباً﴾
تميز محول عن الفاعل، [تقديره: واشتعل
شيباً رأسي]، أي: انتشر الشيب في شعره،
كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد
أن أدعوك ﴿ولم أكن بدعائك﴾ أي: بدعائي
إياك ﴿رب شقياً﴾ أي: خائباً فيما مضى، فلا
تخيبني فيما يأتي.

٥ ﴿وإني خفت الموالى﴾ أي: الذين يلوني في
النسب، كبني العم ﴿من ورائي﴾ أي: بعد
موتي، [خفتهم] على الدين أن يضيعوه، كما
شاهدته في بني إسرائيل، من تبديل الدين
﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ لا تلد ﴿فهب لي من
لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وليّاً﴾ ابناً.

٦ ﴿يرثني﴾ بالجزم، جواب الأمر، وبالرفع،
صفة «وليّاً» ﴿ويرث﴾ بالوجهين، [أي: بالجزم
والرفع، قراءتان سبعيتان فيهما] ﴿من آل
يعقوب﴾ جدي، [يرث] العلم والنبوة ﴿واجعله
رب رضيعاً﴾ أي: مرضياً عندك.

٧ قال تعالى في إجابة (٢) «طلبه الابن، الحاصل بها رحمته: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام﴾ يرث، كما سألته ﴿اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾ أي: مسمى يحيى. ٨ ﴿قال رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك»، هذا هو القول الصحيح في هذه الحروف. ارجع إلى تعليقنا ص ٣.

(٢) نص تفسير هذه الآية، أخذناه من إحدى المخطوطات على هذا النحو، وهو الأقرب من سواه.

وقد بلغت من الكبر عتياً [بضم العين]، من «عتا» [العود «يعتو»، إذا] «يبس»، [أي: كبرت] إلى نهاية السن، مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأتي ثمانية وتسعين سنة، وأصل «عتي»: «عتو»، [بضم التاء وواوين]، كسرت التاء تخفيفاً، وقلبت الواو الأولى ياءً، لمناسبة الكسرة، و [قلبت الواو] الثانية ياءً، لتدغم فيها الياء، [وفي قراءة بكسر العين، إتباعاً لكسرة التاء، والمعنى واحد].

٩ قال الأمر كذلك من خلق غلام منكما قال ربك هو علي هين أي: بأن أرؤد عليك قوة الجماع، وأنتق رحم امرأتك للعُلوق وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة، ألهمه السؤال، ليجاب بما يدل عليها.

سورة القصص ١٩

وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ يَبْحِثُ خُدُ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ۖ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝

١٠ ولما تآقت نفسه إلى سرعة المبشر به قال رب اجعل لي آية أي: علامة على حمل امرأتي قال آيتك عليه ألا تكلم الناس أي: تمنع من كلامهم، بخلاف ذكر الله ثلاث ليال أي: بأيامها، كما في آل عمران: «ثلاثة أيام» «سويًا» حال من فاعل «تكلم»، أي: [ستمع من كلامهم] بلا علة. ١١ فخرج على قومه من المحراب أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه، ليصلوا فيه بأمرة، على العادة «فأوحى» أشار إليهم أن سبحوا صلوا «بكرة وعشيا» أوائل النهار وأواخره، على العادة، فعلم بمنعه من كلامهم، حملها يحيى. ١٢ وبعد ولادته بسنتين، قال الله تعالى له: «يا يحيى خذ الكتاب أي: التوراة بقوة» بجد «وآتيناه الحكم» النبوة [على الصحيح، وقيل: الحكمة والفقه في الدين] «صبيًا» ابن ثلاث سنين.

١٣ «وحنانًا» رحمة للناس «من لدنا» من عندنا «وزكاة» صدقة عليهم «وكان تقيًا» روي: أنه لم يعمل خطيئة، ولم يهمل بها.

١٤ «وبراً بوالديه» أي: محسنًا إليهما «ولم يكن جباراً» متكبراً «عصياً» عاصياً لربه.

١٥ «وسلاماً» منا «عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» أي: في هذه الأيام المخوفة، التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمن فيها.

١٦ «وذكر في الكتاب» القرآن «مريم» أي:

خبرها «إذ» حين «انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» أي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

١٧ «فاتخذت من دونهم حجاباً» أرسلت ستراً تستتر به لتفلي رأسها^(١)، أو ثيابها، أو تغتسل من حيضها، [أي: فاختلت بنفسها] «فأرسلنا إليها روحنا» جبريل «فتمثل لها» بعد لبسها ثيابها «بشراً سويًا» تام الخلق.

١٨ «قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً» فتنهي عني بتعودي، [وفي استعاضتها، تذكير بالتقوى الزاجرة عن المنكر].

(١) قوله: «لتفلي رأسها.. إلخ»، هو تعليل غير مناسب ولا دليل عليه، والإنسان لا يستطيع أن يفلي رأس نفسه، فالإطلاق أولى.

١٩ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [طاهراً من الذنوب] بالنبوة، [وفي قراءة: لَأَهَبَ]، ٢٠ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكْ بِغَيًّا﴾ زانية. ٢١ ﴿قَالَ﴾ جبریل: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منك، من غیر أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن ینفخ بأمري جبریل فیک، فتحملی به، ولکون ما ذکر فی معنى العلة، عطف علیہ: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ علی قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ به، فی علمي، فنفخ جبریل فی جیب درعها، فأحست بالحمل فی بطنها مصوراً. ٢٢ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَنَحَّتْ ﴿بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً عن أهلها. ٢٣ ﴿فَاجَاءَهَا﴾ جاء بها، [أي: اضطرها] ﴿الْمَخَاضُ﴾ وَجَع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتعتمد علیہ، فولدت، والحمل والتصوير والولادة فی ساعة [وهو الأظهر، للعطف بالفاء، وقيل: تسعة أشهر] ﴿قَالَتْ يَا لَلتَّيْبَةِ﴾

﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ (١) الأمر ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْ شَيْءٍ مَّتْرُوكًا﴾ لَا يُعْرَفُ وَلَا يُدْكِرُ. ٢٤ ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ [بفتح الميم وكسرهما]، أي: جبریل، وكان [في الوادي] أسفل منها، [قاله ابن عباس]، وقال مجاهد: هو عيسى نفسه ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهر ماء [صغير كالجدول، قيل: كان انقطع. ٢٥ ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [قيل: كانت يابسة، والباء زائدة ﴿تَسْقُطُ﴾ أصله بتاءين، قلبت الثانية سيناً وأدغمت فی السین، وفي قراءة: تَرْكُهَا] [أي: ترك التاء المقلوبة سيناً، وفي قراءة: بضم التاء وكسر القاف]. ﴿عَلَيْكَ رُطْبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ صفته [أي: ناضجاً صالحاً للاجتماع]. ٢٦ ﴿فَكُلِي﴾ من الرُّطْبِ ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السَّرِيِّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، تمييز محمول من الفاعل، أي: لتقر عينك به، أي: تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون [إن] الشرطية في [ما] الزائدة ﴿تَرَيْنَ﴾ [أصله ﴿تَرَايِنَ﴾]، حذفت منه (٢) لام الفعل، [أي: الباء الأولى]، وعينه [أي: الهمزة]، وألقيت حركتها [أي: حركة الهمزة] على الراء، وكسرت ياء الضمير، لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فیسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عن الكلام، فی شأنه وغيره مع الأناسي، بدليل: ﴿فَلَن أَكْلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك. ٢٧ ﴿فَأَنَّتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال، فأروه ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيماً، حيث أتيت بولد من غير أب.

الجزء الثاني عشر

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بِغَيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْ شَيْءٍ مَّتْرُوكًا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَن أَكْلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنَّتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

(١) قوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾، فيه جواز تمنّي الموت عند الخوف من الفتن، أما تمنّي سبب البلاء فلا يجوز، إلا على نحو ما جاء في الحديث، فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَ فَاعْلَأْ فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

(٢) قوله: «حذفت منه إلخ». في هذه الإعمال التي ذكرها المحلي رحمه الله تقديم وتأخير، بيانها: نقلت حركة الهمزة إلى الراء، فسقطت الهمزة فأصبحت الياء التي بعدها متحركة افتتح ما قبلها، فقلب الراء، فالتقى ساكنان: الألف المنقلبة والياء الثانية الساكنة، فحذفت لذلك الألف فصارت «تَرَيْنَ»، ثم أكد بالنون وحركه بالكسر لالتقاء الساكنين.

٢٨ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو رجل صالح، أي: يا شبيهته في العفة ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

٢٩ ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أَنْ كَلَّمُوهُ ﴿قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟﴾

٣٠ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابُ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾

٣١ ﴿وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أُنْمَا كُنْتُ﴾: نفاعاً للناس، [وهذا] إخبار بما كُتِبَ له [أنه سيفعله] ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أَمَرَنِي بِهَا ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ ١١

يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ

بَغِيًّا ٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ

فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابُ

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي

بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ

يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ

الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٦

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

٣٩٩

٣٢ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ منصوب بـ «جعلني» مقدراً ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاضماً ﴿شَقِيًّا﴾ عاصياً لربه.

٣٣ ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه، ما تقدم في السيد «يحيى»، [أي: فهو آمن في هذه الأيام المَخُوفَةِ].

٣٤ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدر، أي: قول ابن مريم [قول الحق]، وبالنصب بتقدير «قُلْتُ»، والمعنى: [قُلْتُ] القول الحق «الذي فيه يمترون» من المرية، أي: يشكون، وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا.

٣٥ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع بتقدير هو [بعد الفاء]، وبالنصب بتقدير «أَنْ»، ومن ذلك، خلق عيسى من غير أب.

٣٦ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بفتح «أَنْ» بتقدير «اذكروا»، ويكسرهما بتقدير

«قل»، بدليل: «مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» هذا المذكور «صراط» طريق «مستقيم» مؤدًى إلى الجنة.

٣٧ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أم إله معه، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب «للذين كفروا» بما ذُكر وغيره «من مشهد يوم عظيم» أي: حضور يوم القيامة وأمواله.

٣٨ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم «يوم يأتوننا» في الآخرة.

﴿لكن الظالمون﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿اليوم﴾ أي: في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾ أي: «بين»، به [أي: بسبب ضلالهم]، صَمُّوا عن سماع الحق، وعَمُّوا عن إبصاره، أي: اعجب منهم يا مخاطب، في سمعهم وإبصارهم في الآخرة، بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً.

٣٩ ﴿وانذرهم﴾ ^(١) خَوْفٌ يا محمد، كفار مكة [وغيرها] ﴿يوم الحسرة﴾ هو يوم القيامة، يتحسر فيه المسيء، على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إذ قضى الأمر﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وهم﴾ في الدنيا ﴿في غفلة﴾ عنه ﴿وهم لا يؤمنون﴾ به. ٤٠ ﴿إنا نحن﴾ تأكيد ﴿نرث الأرض ومن عليها﴾ من العقلاء وغيرهم، بإهلاكهم ﴿والينا يرجعون﴾ فيه للجزاء.

٤١ ﴿واذكر﴾ لهم ﴿في الكتاب إبراهيم﴾ أي: خبره [وقصته] ﴿إنه كان صديقاً مبالغاً في الصدق﴾ نبياً ويبدل من خبره:

٤٢ ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك﴾ لا يكفيك ﴿شيئاً﴾ من نفع أو ضرر.

٤٣ ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ [أي: من اليقين: والمعرفة بالله، وما يكون بعد الموت] ﴿ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً طريفاً سوياً﴾ مستقيماً، [أي: أرشدك إلى دين مستقيم، فيه نجاتك من العذاب].

٤٤ ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ بطاعتك إياه، في عبادة الأصنام ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ كثير العصيان.

٤٥ ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ إن لم تتب [بالإيمان] ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ ناصراً وقريناً في النار.

٤٦ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ فنعيبها؟ ﴿لئن لم تنته﴾ عن التعرض لها ﴿لأرجمنك﴾ بالحجارة، [قاله: الحسن البصري]، أو: بالكلام القبيح، [قاله: الضحاك]، فاحذرنى ﴿واهجرني ملياً﴾ دهرأ طويلاً، [قاله الحسن ومجاهد، وقال ابن عباس: أي: اعتزلني سالم العرض، لا يصيبك مني مَعْرَة

— أي: ما تكره — واختاره الطبري]. ٤٧ ﴿قال سلام عليك﴾ مني، أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سأستغفر لك ربي

الحسرة يوم القيامة

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۖ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي

(١) قوله تعالى: ﴿وانذرهم يوم الحسرة﴾ الآية. أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهينة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيُشْرَثُونَ وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيُشْرَثُونَ وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذْبَحُ، ثم يقول: يا أهل الجنة خلدوا فلا موت، ويا أهل النار خلدوا فلا موت، ثم قرأ — ﷻ — ﴿وانذرهم يوم الحسرة...﴾ الآية.

إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزَلَكُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ مَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرُنَا الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَلَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُنَا الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُنَا الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

إنه كان بي حفيًّا من «حَفِيٍّ» أي: باراً، فيجيب دعائي، وقد وُفِّي [إبراهيم] بوعده، المذكور في [سورة] «الشعراء»، عندما استغفر له بقوله: [«واغفر لأبي»]، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكر في «براءة» [ص ٢٦١]. ٤٨ ﴿واعتزلكم وما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله وأدعوا﴾ أعبد ﴿ربِّي عسى﴾ ن ﴿لا أكون بدعاء ربِّي﴾ بعبادته ﴿شقيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام. ٤٩ ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وهبنا له﴾ ابنين يأنس بهما ﴿إسحاق ويعقوب وكلاً﴾ منهما ﴿جعلنا نبيًّا﴾. ٥٠ ﴿ووهبنا لهم﴾ للثلاثة ﴿من رحمتنا﴾ المال والولد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا﴾ رفيعاً، هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان^(١). ٥١ ﴿واذكر في الكتاب

موسىٰ إنه كان مخلصاً﴾ بكسر اللام وفتحها، من أخلص في عبادته، وخلّصه الله من الدنس ﴿وكان رسولاً نبياً﴾. ٥٢ ﴿ونادينا﴾ بقول: «يا موسىٰ إني أنا الله» ﴿من جانب الطور﴾ اسم الجبل ﴿الأيمن﴾ أي: الذي يلي يمين موسىٰ، حين أقبل من «مَدْيَن» ﴿وقربناه نجياً﴾ مناجياً، بأن أسمع الله تعالى كلامه. ٥٣ ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ نعمتنا ﴿أخاه هارون﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نبيًّا﴾ حال، [والنبوة] هي المقصودة بالهبة، إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أسنّ منه.

٥٤ ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ لم يعد شيئاً إلّا وُفِّي به، [قال القرطبي: وهذا قول صحيح، وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية، أي: من غير تحديد]، و [قيل: انتظر من وعد ثلاثة أيام، أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وكان رسولا﴾ إلى [قبيلة] «جُرْهُم» ﴿نبيًّا﴾. ٥٥ ﴿وكان يأمر أهله﴾ أي: قومه ﴿بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾ أصله «مَرْضُوءاً» قُلبت الواو إناءين، والضمّة كسرة. ٥٦ ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ هو جد أبي نوح ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾. ٥٧ ﴿ورفعناه مكاناً عليًّا﴾ هو حيّ في السماء الرابعة^(٢)، أو السادسة، أو السابعة، أو في الجنة، أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى، ولم يخرج منها.

٥٨ ﴿أولئك﴾ مبتدأ ﴿الذين أنعم الله

(١) قوله: «في جميع أهل الأديان»، أرجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٢) قوله: «هو حي في السماء الرابعة» الثابت أن النبي ﷺ رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج، مثلما رأى غيره من الأنبياء في السماوات الأخرى، فقد روى مسلم عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لما أخرج بي إلى السماء، أتيت على إدريس في السماء الرابعة». ولا شيء يُثبت أنه لا يزال حياً، بل توفاه الله تعالى كغيره من الأنبياء، وأما ما يُروى عن «عين الحياة» التي يقال: إن إدريس و «الخضر» قد شربا منها فلا أساس له، بل هي أقاويل القصاص، فلا وجود لما يسمى: «عين الحياة» أو «ماء الحياة»، إلّا في الآخرة حيث «نهر الحياة» في أفواه الجنة، يلقي الله فيه آخر فوج يخرجهم من النار كقطع الفحم، فيخرجون منه كاللؤلؤ، فيدخلون الجنة، كما في الصحيحين والترمذي.

عليهم صفة له ﴿من النبيين﴾ بيان لهم، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط، [أي: إلى قوله تعالى: «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن»]، صفة له «النبيين»، فقوله: ﴿من ذرية آدم﴾ أي: إدريس ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ في السفينة أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وممن ذرية إبراهيم﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿و﴾ من ذرية ﴿إسرائيل﴾ وهو يعقوب، أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وممن هدينا واجتبتنا﴾ أي: من جملتهم، وخير «أولئك»: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ جمع «ساجد» و«بالك»، أي: فكونوا مثلهم، وأصل «بكي» «بكوي»، [على وزن «فُعُول»، كـ «قُعُود» جمع «قَاعِد» قلبت الواو ياءً، والضممة كسرة. ٥٩] فخلف من بعدهم خلف

أضاعوا الصلاة ﴿بتركها﴾، كاليهود والنصارى [وعصاة هذه الأمة، قال القرطبي: وهو نص في أن إضاعة الصلاة، من الكبائر التي تهلك صاحبها، ولا خلاف في ذلك، قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من ضيعها فهو لما سواها أضيّع] ﴿واتبعوا الشهوات﴾ من المعاصي ﴿فسوف يلقون غياً﴾ هو واد في جهنم، يقعون فيه. ٦٠ ﴿إلا﴾ لكن ﴿من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يَدْخُلُونَ الجنة ولا يظلمون﴾ ينقصون ﴿شيئاً﴾ من ثوابهم. ٦١ ﴿جنات عدن﴾ إقامة، بدل من «الجنة» ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ حال، أي: غائبين عنها ﴿إنه كان وعده﴾ أي: مواعده ﴿مآتياً﴾ بمعنى: آتياً، وأصله «مَاتُوِي»، [فقلبت الواو ياءً، ثم أذغمت بالياء، وكسرت التاء مناسبة لها] أو: مواعده هنا «الجنة»، يأتيه أهلها، [وهم المؤمنون، فيدخلونها]. ٦٢ ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ من الكلام ﴿إلا﴾ لكن يسمعون ﴿سلاماً﴾ من الملائكة عليهم، أو: من بعضهم على بعض ﴿ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً﴾ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبداً.

٦٣ ﴿تلك الجنة التي نورث﴾ نعطي وننزل ﴿من عبادنا من كان تقياً﴾ بطاعته.

٦٤ ونزل لما تأخر الوحي أياماً، وقال النبي ﷺ لجبريل (١): «ما يمنحك أن تزورنا

لِيُؤْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ

عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ مِّنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ نَحْوَ سَجْدًا وَبُكْيًا ﴿٥٩﴾

* نَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٣﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٤﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

[أكثر مما تزورنا؟]: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا﴾ أي: أمامنا من أمور الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمور الدنيا ﴿وما بين ذلك﴾ أي: ما يكون، من هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعه ﴿وما كان ربك نسياً﴾ بمعنى ناسياً، أي: تاركاً لك، بتأخير الوحي عنك. ٦٥ هو ﴿رب﴾ مالك «السموات والأرض

(١) قوله: «وقال النبي ﷺ لجبريل... الحديث»، رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس، أما تأخير الوحي أياماً فقد أخرجه ابن أبي حاتم وغيره.

وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته ﴿٦٦﴾ أي: اصبر عليها ﴿هل تعلم له سميًا﴾ أي: مسمى بذلك؟ لا. ٦٦ ﴿ويقول الإنسان المنكر للبعث، [هو] أُنبي بن خلف، أو الوليد بن المغيرة، النازل فيه الآية، ﴿إِذَا﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال الألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى، [وتركه] ﴿ما مت لسوف أخرج حياً﴾ من القبر، كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنى النفي، أي: لا أحيا بعد الموت، و﴿ما﴾ زائدة للتأكيد، وكذا اللام، ورَدُّ عليه بقوله تعالى: ٦٧ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ أصله «يتذكر»، أبدلت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال، وفي قراءة بتركها، [أي: التاء]، وسكون الذال وضم الكاف ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ فَيَسْتَدِلُّ بِالْإِبْتِدَاءِ عَلَى الْإِعَادَةِ؟ ٦٨ ﴿فوريك لنحشرنهم﴾

أي: المنكرين للبعث ﴿والشياطين﴾ أي: نجمة كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ من خارجها ﴿جنيًا﴾ على الركب، جمع «جاث»، وأصله: «جثو»، أو «جثوي»، من: «جثا» «يجثو»، أو «يجثي»، لغتان، [قلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء، ثم كسرت التاء لتصح الياء]. ٦٩ ﴿ثم لننزعن﴾ [أي: لنستخرجن] ﴿من كل شعبة﴾ فرقة منهم ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ جراءة. ٧٠ ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها﴾ أحق بجهنم، الأشد [على الرحمن عتياً]، وغيره منهم ﴿صلياً﴾ دخولاً واحترافاً، فبدأ بهم، وأصله: «صلوي»، من «صلي» بكسر اللام وفتحها، [مثل «جثياً»]. ٧١ ﴿وإن﴾ أي: ما ﴿منكم﴾ أحد [كافر أو مؤمن] ﴿إلا واردها﴾ أي: داخل جهنم، [وهذا قول منسوب إلى الجمهور، وقال بعضهم: المراد بالورود، المرور على الصراط على متن جهنم، كل إنسان بحسب عمله، فنج أو هالك في النار، وهو الصحيح الموافق لشرف المؤمنين، يؤيده قوله تعالى: لا يسمعون حسيها، «والحسيس»: هو الصوت الخفي، قال ابن كثير: وله شواهد في الصحيحين وغيرهما] ﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾ حتمه وقضى به، لا يتركه. ٧٢ ﴿ثم ننجي﴾ مشدداً ومخففاً ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك والكفر منها، [عبورهم على متن الصراط سالمين] ﴿ونذر

الظالمين﴾ بالشرك والكفر [بعد وقوعهم] ﴿فيها جنيًا﴾ على الركب. ٧٣ ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ واضحات، حال ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين﴾ نحن وأنتم ﴿خير مقاماً﴾ منزلاً ومسكناً، بالفتح من «قام»، وبالضم من «أقام» ﴿وأحسن ندياً﴾ بمعنى: النادي، وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه، يعنون: نحن، فنكون خيراً منكم. ٧٤ قال تعالى ﴿وكم﴾ أي: كثيراً ﴿أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هم أحسن أثاثاً﴾ مالا ومتاعاً ﴿ورثياً﴾ منظرًا، من «الرؤية»، فكما أهلكناهم لكفرهم، نهلك هؤلاء ٧٥ ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد﴾ [وهو أمر،] بمعنى الخبر، أي: «يمد»

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٦﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُنْجَرُ حَيًّا ﴿٦٧﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٨﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٧٠﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٣﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٤﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئِيًّا ﴿٧٥﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ

﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا﴾ في الدنيا، يستدرجه، [باطالة عمره، وإكثار ماله] ﴿حتى إذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إما العذاب﴾ [في الدنيا]، كالقتل والأسر ﴿وإما الساعة﴾ المشتملة على جهنم، فيدخلونها ﴿فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ وجندهم الشياطين، وجند المؤمنين عليهم الملائكة.

٧٦ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا﴾ بالإيمان ﴿هدى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿والباقيات الصالحات﴾ ^(١) هي الطاعة، تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾ أي: ما يُؤَدُّ إليه ويُرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أي الفريقين خير مقاماً﴾. ٧٧ ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ ^(٢) [هو] العاص بن وائل ﴿وقال﴾ لخُبَّاب بن الارت القائل له: تُبْعَثُ بعد الموت، والمطالب له

بمال: ﴿لأوتين﴾ على تقدير البعث ﴿مالاً وولداً﴾ فأقضيك؟

٧٨ قال تعالى: ﴿أطلع الغيب﴾ أي: أعلمه، وأن يؤتى ما قاله؟، واستغني بهمة الاستفهام عن همزة الوصل، فحذفت ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ بأن يؤتى ما قاله؟

٧٩ ﴿كلأ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سنكتب﴾ نأمر بكتب ﴿ما يقول ونمد له من العذاب مدداً﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

٨٠ ﴿ونثره ما يقول﴾ من المال والولد ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فرداً﴾ لا مال له ولا ولد.

٨١ ﴿واتخذوا﴾ أي: كفار مكة [وغيرها] ﴿من دون الله﴾ الأوثان ﴿آلهة﴾ يعبدونهم ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ شفعاء عند الله، بأن لا يعذبوا [حسب زعمهم].

٨٢ ﴿كلأ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سيكفرون﴾ أي: الآلهة ﴿بعبادتهم﴾ أي: يفنونها، كما في آية أخرى: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ ويكفرون عليهم ضداً ﴿أعواناً وأعداء﴾.

٨٣ ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين﴾ سُلطانهم ﴿على الكافرين تؤزهم﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أزاً﴾. ٨٤ ﴿فلا تعجل عليهم﴾ بطلب العذاب [لهم، لتراتحوا منهم] ﴿إنما نعد لهم﴾ الأيام والليالي، أو: الأنفاس

﴿عدداً﴾ إلى وقت عذابهم، [أي: إن لهم أجلاً ينتهون إليه] ٨٥ اذكر ﴿يوم نحشر المتقين﴾ بإيمانهم ﴿إلى الرحمن﴾

(١) قوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات﴾ جاء في الحديث أنها: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله. كما تقدم ص ٣٨٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ أخرج الشيخان وغيرهما، عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أنقاضه حقاً لي عنده - وكان صنع له سيفاً - فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث - أي: لن أكفر أبداً لأن الكفر لا يتصور بعد البعث - قال: فإني لميت ثم مبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك فترلت ﴿أفرأيت الذي﴾ الآيات الأربع.

وفداً جمع «وافد»، بمعنى: راكب، [أو: بمعنى «جماعات»، كقوله تعالى «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً»]. ٨٦ ﴿وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ بِكُفْرِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًّا﴾ جمع «وارد»، بمعنى: ماشٍ عطشان. ٨٧ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس «الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً» أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، [قاله ابن عباس رضي الله عنهما. أي: لا شفاعة^(١) إلا لمؤمن أذن الله له بها]. ٨٨ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله «اتخذ الرحمن ولدًا». ٨٩ قال تعالى لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: منكرًا عظيمًا. ٩٠ ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء «السموات يَنْفَطِرْنَ» بالنون، وفي قراءة^(٢) بالتاء وتشديد الطاء: بالانشقاق «منه» [أي: من قولهم هذا] «وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا» أي: تنطبق عليهم، من أجل:

٩١ ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾. ٩٢ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به ذلك.

٩٣ ﴿إِنْ﴾ أي: ما «كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً» ذليلاً خاضعاً يوم القيامة، منهم عزيز وعيسى.

٩٤ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، ولا واحد منهم.

٩٥ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال، ولا نصير يمنعه.

٩٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فيما بينهم، يتوادون ويتحابون، ويحبهم الله تعالى.

٩٧ ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَا﴾ أي: القرآن «بلسانك» العربي «لتبشر به المتقين» النَّارَ، بالإيمان «وتنذر» تخوف «به قوماً لداً» جمع «الذَّ» أي: جَدِلَ بالباطل^(٣)، وهم كفار مكة [وأمثالهم].

٩٨ ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيراً «أهلكنا قبلهم من قرن» أي: أمة من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل «هل تحسن» تجد «منهم من أحد» أو تسمع لهم رِكْزاً صوتاً خفياً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك، نهلك هؤلاء.

وَفَدًّا ٨٥ ﴿وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًّا﴾ ٨٦ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ٨٧ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ٩٠ ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ٩٣ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ٩٤ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ٩٦ ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَّا﴾ ٩٧ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ٩٨

(١) قوله تعالى: «لا يملكون الشفاعة»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

(٢) قوله: «وفي قراءة بالتاء الخ»، فمع قراءة «تَكَادُ» بالتاء، تُقْرَأُ: «ينفطرن» بالنون وبالتاء، فهما قراءتان، ومع قراءتها بالياء — «يكاد» — تُقْرَأُ: «ينفطرن» بالتاء فقط، فهذه ثلاث قراءات سبعية لا أكثر.

(٣) قوله: «جدل بالباطل»، الجدال عادة المعاندين المتكبرين، أما المناظرة للوصول إلى الحق فمحمودة، ارجع إلى تعليقنا حول «الجدال» ص ٢٨٩.

سُورَةُ طه

(مكية: وآياتها مائة وخمسة وثلاثون آية، أو: وأربعون، أو: واثنان [وثلاثون])

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثامن عشر

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا
تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْتَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ

١ ﴿طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك^(١). ٢ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن﴾ يا محمد ﴿لتشقى﴾ لتتعب، بما فعلت بعد نزوله، من طول قيامك بصلاة الليل، أي: خفف عن نفسك. ٣ ﴿إلا﴾ لكن أنزلناه ﴿تذكرة﴾ به ﴿لمن يخشى﴾ يخاف الله. ٤ ﴿تنزيلاً﴾ [بلفظ المصدر] بدلاً^(٢) من اللفظ، [أي: من الإتيان] بفعله الناصب له، [والأصل: ﴿نزل تنزيلاً﴾] ﴿ممن خلق الأرض والسموات العلَى﴾ جمع «عليا»، كـ «كبرى» و «كبر». ٥ ﴿هو﴾ الرحمن على العرش ﴿وهو في اللغة: سرير الملك﴾ استوى ﴿استواء﴾ يليق به تعالى. ٦ ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما﴾ من المخلوقات ﴿وما تحت الثرى﴾ هو التراب الندي، [وهذه إشارة إلى ما في باطن الأرض، من معادن ونفط وثروات كثيرة]، والمراد: الأرضون السبع، لأنها تحته. ٧ ﴿وإن تجهر بالقول﴾ في ذكر أو دعاء فإله غني عن الجهر به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ منه، أي: ما حدثت به النفس، وما خطر ولم تحدث به، فلا تجهد نفسك بالجهر. ٨ ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون، الوارد بها الحديث^(٣)، و «الحسنى» مؤنث «الأحسن». ٩ ﴿وهل﴾ [أي: قد] أتاك حديث موسى ﴿إذ رآه ناراً فقال لأهله امكثوا﴾ إذ رأى ناراً فقال لأهله ﴿لامراته﴾ امكثوا ﴿هنا، وذلك في مسيره من «مدين» طالباً مصر﴾ إني آنست ﴿أبصرت﴾ ناراً لعلِّي آتيكم منها بقبس ﴿بشعلة في رأس فتيلة، أو عود﴾ أو أجد على النار

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك» يدل على أن المحلي رحمه الله أخذ يقول من قال: إن «طه» - ومثله «يس» - من الحروف المتقطعة مثل «الم»، وعليه اتفاق القراء، وهذا قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الصحيح، وأما القول بأن «طه» و «يس» هما من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ولا يؤثر في ذلك اصطلاح الناس على التسمية بهما واعتبارهما من جملة الأسماء، فإنهما في القرآن الكريم ليسا من الأسماء.

(٢) قوله: «بدلاً من اللفظ» هو هكذا في المخطوطة الثانية، وفي المخطوطة الأولى «بدل» بالرفع - ولا فرق - وليس المراد هنا البدل الاصطلاحي، بل الإشارة إلى استعمال لفظ المصدر - «تنزيلاً» - بدل لفظ فعله الناصب له، أي: قال: «تنزيلاً ممن» بدل: «نزل ممن».

(٣) قوله: «الوارد بها الحديث» أي: الذي زواه الترمذي وغيره، وقد ذكره السيوطي بتمامه في آخر الإسرائ ص ٣٧٩. ارجع إلى تعليقنا ص ٢٢٢.

هدى ﴿أي﴾: [عندها] هادياً يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال، «لعل»، لعدم الجزم بوفاء الوعد. ١١ ﴿فلما أتاها﴾ وهي [موقدة في] شجرة عوسج، [أو غيره] ﴿نودي يا موسى﴾. ١٢ ﴿إني﴾ بكسر الهمزة، بتأويل «نودي» بـ «قيل»، وبفتحها بتقدير الباء ﴿أنا﴾ تأكيد لباء المتكلم ﴿ربك فاخلع نعليك﴾ إنك بالواد المقدس ﴿المطهر أو المبارك﴾، [المسمى] ﴿طوى﴾ بدل أو عطف بيان، بالتثوين وتركه، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث، باعتبار البقعة مع العلمية. ١٣ ﴿وأنا اخترتك﴾ من قومك [رسولاً] ﴿فاستمع لما يوحي﴾ إليك مني. ١٤ ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ فيها. ١٥ ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ [أي]: أردت إخفاءها [عن الناس، ويظهر لهم قريبا بعلاماتها] ﴿لتجزى﴾ فيها ﴿كل نفس بما تسعى﴾ به، من خير أو شر.

سُورَةُ طٰهٍ

هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاصْمُ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ تَخْرُجْ بَيِّضًا مِّنْ غَيْرِ سَوْءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ

١٦ ﴿فلا يصدنك﴾ يصرفنك ﴿عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ في إنكارها ﴿فتردى﴾ أي: فتهلك، إن صدقت عنها.

١٧ ﴿وما تلك﴾ كائنة ﴿بيمينك﴾ يا موسى الاستفهام للتقرير، ليرتب عليه المعجزة فيها.

١٨ ﴿قال هي عصاي أتوكأ﴾ أعتمد ﴿عليها﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وأهش﴾ أخط ورق الشجر ﴿بها﴾ ليستقط ﴿على غنمي﴾ فتأكله ﴿ولي فيها مآرب﴾ جمع «مأربة»، مثلث الراء، أي: حوائج ﴿أخرى﴾ كحمل الزاد والسقاء، وطرده الهوام، زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

١٩ ﴿قال ألقيها يا موسى﴾.

٢٠ ﴿فألقيها﴾ فإذا هي حية ﴿ثعبان عظيم تسعى﴾ تمشي على بطنها سريعاً، كسرعة الثعبان الصغير، المسمى ^(١) بـ «الجان» المعبر به في آية أخرى، [هي]: فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولى مدبراً ولم يعقب.].

٢١ ﴿قال خذها ولا تخف﴾ منها ﴿سنعيدها سيرتها﴾ منصوب بنزع الخافض، أي: إلى حالتها ﴿الأولى﴾ فأدخل يده في فمها، فعادت عصا، وتبين أن موضع الإدخال، موضع مسكها بين شعبتيها، وأري ذلك

السيد موسى، لثلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون. ٢٢ ﴿واضمم يدك﴾ اليمنى، بمعنى: الكف، [أي: كفك] ﴿إلى جناحك﴾ أي: جنبك الأيسر، تحت العضد إلى الإبط، وأخرجها ﴿تخرج﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة، [أي السفرة] ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس، تغشي البصر ﴿آية أخرى﴾ وهي [أي]: «آية» و «بيضاء» حالان من ضمير «تخرج». ٢٣ ﴿لنريك﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿من

(١) قوله: «المسمى بالجان» قال في القاموس: وهو نوع من الحيات سريع الحركة والاهتزاز، ارجع إلى تعليقنا حول ص ٢٠٩.

آيَاتُنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ أَي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى، فضَمَّهَا إلى جناحه كما تقدم، وأخرجها. ٢٤ ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحد في كفره، إلى ادعاء الإلهية. ٢٥ ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسَّعْهُ، لتَحْمُلُ الرسالة. ٢٦ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ لَأُبَلِّغَهَا. ٢٧ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ حدثت من احتراقه بجمره^(١)، وضعها بفيه وهو صغير. ٢٨ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة. ٢٩ ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مَعِينًا﴾ عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾. ٣٠ ﴿هَارُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان. ٣١ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري، [أي: قُوَّتِي بِهِ]. ٣٢ ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: [في النبوة وتبليغ] الرسالة، والفاعلان [أي: «أشدد» و «أشركه»، يقرآن في السبعة]، بصيغتي: الأمر، والمضارع المجزوم^(٢)، وهو جواب الطلب. ٣٣ ﴿كُنِي نَسِيحًا﴾ تسيحاً ﴿كَثِيرًا﴾. ٣٤ ﴿وَنَذِيرًا﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾. ٣٥ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً، فأنعمت بالرسالة. ٣٦ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ مَنَّا عَلَيْكَ [وتفضلاً]. ٣٧ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾. ٣٨ ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ مناماً أو إلهاماً، لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون، في جملة من يولد ﴿مَا يُوْحَى﴾ في أمرك. ٣٩ ويبدل منه: ﴿أَنْ أَقْذِفَهُ﴾ ألقه ﴿فِي التَّابُوتِ﴾ فاقدفه ﴿بِالتَّابُوتِ﴾ في اليم ﴿بِحَرِّ النَّيْلِ﴾ فليلقه اليم بالساحل ﴿أَي: شاطئه، والأمر بمعنى الخبر [عما سيحدث بعد قذفه في اليم]﴾ يأخذه عدو لي وعدو له وهو فرعون ﴿وَالْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنْي﴾ لِنَحْبٍ فِي النَّاسِ، فأحبك فرعون، وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ تَرَبَّى عَلَى رِعَايَتِي وَحَفَظِي لَكَ. ٤٠ ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿تَمْشِي أَخْتُكَ﴾ مريم لتتعرف من خبرك، وقد أحضروا [لك] مرضع، وأنت لا تقبل ثدي واحد منها ﴿فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ؟﴾ فاجيبت، فجاءت بأمه، فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ

الْبَيْتُ الْكُبْرَى

آيَاتُنَا الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٦﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٧﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٨﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٩﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٣٠﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣١﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣٢﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٣﴾ كُنِي نَسِيحًا ﴿٣٤﴾ وَنَذِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٨﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٩﴾ أَنْ أَقْذِفِهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْبَيْمِ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٤٠﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ

(١) قوله: «حدثت من احتراقه بجمره الخ» هذا ما يتناقله

المفسرون في بيان «العقدة» وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، بل هو مروى عن التابعي

المشهور سعيد بن جبير، فقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه في هذه الآية قال: «عُجِمَتْ بجمره نار أدخلها في فيه عن امرأ فرعون تدرا به عنه عقوبة فرعون حين هم يقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائل: إنه لا يعقل، فقد ماله طبقاً فيه جمر وتمر، فأخذ الجمره فوضعها في فيه فاحترق لسانه. وروى هذه القصة أبو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه، خلقة، فسأل ربه بإزالته، فأتاه الله سؤله، وعلى كل: فهي عقدة حلها الله تعالى كما أخبر، وكفى.

(٢) قوله: «بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم»، فعلى القراءة بصيغة الأمر أي: الطلب يكون: «أشدد» بهزمة الوصل، و «أشركه» بفتح الهزمة المقطوعة، والفاعل فيهما ضمير المخاطب أي: يا رب. وعلى القراءة بصيغة المضارع المجزوم يكون: «أشدد» بقطع الهزمة مفتوحة، و «أشركه» بضم الهزمة، والفاعل فيهما ضمير المتكلم، وعلى هذه القراءة هما جواب الطلب: «اجعل لي».

كي تقر عينها ﴿ولا تحزن﴾ حيث ﴿وقلت نفساً﴾ هو القبطي^(١) بمصر، فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فنجيناك من الغم وفتناك فتونا﴾ اختبرناك، في الإيقاع في غير ذلك، وخلصناك منه ﴿فلبث سنين﴾ عشراً ﴿في أهل مدين﴾ بعد مجيئك إليها من مصر، عند^(٢) شعيب النبي، وتزوجك بابتته ﴿ثم جئت على قدر﴾ في علمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عمرك ﴿ياموسى﴾ [أي: جئت في الوقت الذي أردنا إرسالك فيه].

٤١ ﴿واصطنعتك﴾ اخترتك ﴿لنفسى﴾ بالرسالة.

٤٢ ﴿أذهب أنت وأخوك﴾ إلى الناس ﴿بآياتي﴾ التسع^(٣) ﴿ولا تنيا﴾ نفرتا ﴿في ذكرى﴾ بتسبيح وغيره.

٤٣ ﴿أذهباً إلى فرعون إنه طغى﴾ بادعائه الربوبية.

٤٤ ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ في رجوعه عن ذلك، [أي: قولاً لا خشونة فيه] ﴿لعله يتذكر﴾ يتعظ ﴿أو يخشى﴾ الله، فيرجع [عن طغيانه وضلاله]، والترجي [بقوله: «لعله يتذكر»، هو] بالنسبة إليهما، لعلمه تعالى بأنه لا يرجع.

٤٥ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يعجل بالعقوبة ﴿أو أن يطفى﴾ علينا، أي: يتكبر.

٤٦ ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بعوني ﴿أسمع﴾ ما يقول ﴿وأرى﴾ ما يفعل.

٤٧ ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ إلى الشام ﴿ولا تعذبهم﴾ أي: خل عنهم، من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة، كالحفر والبناء وحمل الثقل ﴿قد جئناك بآية﴾ بحجة ﴿من ربك﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي: السلامة له من العذاب.

٤٨ ﴿إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب﴾ ما جئنا به ﴿وتولى﴾ أعرض عنه.

٤٩ ﴿فأتياه، وقالاه جميع ما ذكر، [فأجابهما:] ﴿قال فمن ربكما يا موسى؟﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل، ولإدلاله عليه بالتربية.

٥٠ ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء﴾ من الخلق.

سُورَةُ طه

كَي تَقْرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسٍ ۚ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۚ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۚ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۚ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۚ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا وَمِنَ اتَّبَعِ الْهُدَىٰ ۚ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ ۚ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْؤُوسٍ ۚ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ

(١) قوله: «هو القبطي بمصر»، روى مسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ»، وسيأتي بشماه ص ٥٠٨، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قتل قبطياً كافراً.

(٢) هذا هو الشائع عند الكثيرين، وقيل: لم يكن شعيباً، بل هو رجل مؤمن من أهل «مدين» لأن شعيباً عليه السلام كان قبل موسى بزمان، وهو الصحيح.

(٣) قوله: «التسع»، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقد بيناها في تعليقنا ص ٢٧٨، أو: هي آيات التوراة.

﴿خلقه﴾ الذي هو عليه، متميز به من غيره ﴿ثم هدى﴾ الحيوان منه، إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك. ٥١ ﴿قال﴾ فرعون ﴿فما بال﴾ حال ﴿القرون﴾ الأمم ﴿الأولى﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح، في عبادتهم الأوثان؟ ٥٢ ﴿قال﴾ موسى ﴿علمها﴾ أي: علم حالهم، محفوظ ﴿عند ربي﴾ في كتاب ﴿هو: اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة﴾ لا يضل ﴿يغيب﴾ ربي ﴿عن شيء﴾ ولا ينسى ﴿ربي شيئاً﴾، [أي لا يذهب شيء عن علمه تعالى]. ٥٣ هو ﴿الذي جعل لكم﴾ في جملة الخلق ﴿الأرض مهاداً﴾ [بكسر الميم وفتح الهاء مع الألف، وفي قراءة: بفتح الميم وسكون الهاء بلا ألف، أي: فراشاً] كالمهد للصبي ﴿وسلك﴾ سَهْل ﴿لكم فيها سبلاً﴾ طرقاتاً ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ مطراً، قال تعالى تنميماً لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿من نبات شتى﴾ صفة ﴿أزواجاً﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و«شتى»: جمع «شتيت»، كـ «مريض» و«مرضى» من شئت الأمر [أي:]: «تفترق». ٥٤ ﴿كلوا﴾ منها ﴿وارعوا أنعامكم﴾ فيها، جمع «نعم»، وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رَعَتِ الأنعام، ورعيتها، والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»، أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إن في ذلك﴾ المذكور هنا ﴿آيات﴾ لعبارة ﴿لأولي النهي﴾ لأصحاب العقول، جمع «نهيئة»، كـ «غرفة» و«غرف»، سمي به العقل، لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

٥٥ ﴿منها﴾ أي: من الأرض ﴿خلقناكم﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وفيها نعبدكم﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ عند البعث ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم. ٥٦ ﴿ولقد آريناه﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ التسع [المبينة ص ٢٧٨] ﴿فكذب﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وأبى﴾ أن يوحد الله تعالى. ٥٧ ﴿قال﴾ أجبنا لتخرجنا من أرضنا مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بسحرك﴾ يا موسى؟.

٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ يعارضه ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ لذلك ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً﴾ منصوب بنزع الخافض: «في» ﴿سوى﴾ بكسر أوله وضمه، أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين. ٥٩ ﴿قال﴾ موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وأن يحشر الناس﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضحى﴾ [أي:]: وقته، للنظر فيما يقع. ٦٠ ﴿فتولى فرعون﴾ أدبر [وانصرف] ﴿فجمع كيدَهُ﴾ أي: ذوي كيدِهِ من السحرة ﴿ثم أتى﴾ بهم الموعد.

٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ يعارضه ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ لذلك ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً﴾ منصوب بنزع الخافض: «في» ﴿سوى﴾ بكسر أوله وضمه، أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين. ٥٩ ﴿قال﴾ موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وأن يحشر الناس﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضحى﴾ [أي:]: وقته، للنظر فيما يقع. ٦٠ ﴿فتولى فرعون﴾ أدبر [وانصرف] ﴿فجمع كيدَهُ﴾ أي: ذوي كيدِهِ من السحرة ﴿ثم أتى﴾ بهم الموعد.

الْبَيْتُ الثَّانِي عَشَرَ

خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥١﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥٢﴾ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٤﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ ﴿٥٥﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٧﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَاجًا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴿٥٨﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى ﴿٥٩﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى ﴿٦٠﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦١﴾

٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ يعارضه ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ لذلك ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً﴾ منصوب بنزع الخافض: «في» ﴿سوى﴾ بكسر أوله وضمه، أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين. ٥٩ ﴿قال﴾ موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وأن يحشر الناس﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضحى﴾ [أي:]: وقته، للنظر فيما يقع. ٦٠ ﴿فتولى فرعون﴾ أدبر [وانصرف] ﴿فجمع كيدَهُ﴾ أي: ذوي كيدِهِ من السحرة ﴿ثم أتى﴾ بهم الموعد.

٦١ ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى﴾، وهم اثنان وسبعون، مع كل واحد حبل وعصا ﴿وِيلَكُمْ﴾ أي: ألزكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيَسْحَتَكُمْ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، [من الرباعي: «أسحت»]، ويفتحهما [من الثلاثي «سحت»]، أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ افْتَرَى﴾ كذب على الله. ٦٢ ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيهما. ٦٣ ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّ هَذَيْنِ﴾ [بالياء اسم «إن»، وهي قراءة] لأبي عمرو، ولغيره^(١): «هذان» وهو موافق للغة مَنْ يأتي في المثني بالالف في أحواله الثلاث، [وهي قبيلة «خثعم»، فإنهم لا يقلبون ألف المثني ياءً، في حالتي النصب والجر] ﴿لَسَا حِرَانٍ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ مؤنث «أمثل»، بمعنى: أشرف، أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما.

سُورَةُ طه

قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ٦١ فتنزعوا أمرهم
بينهم وأسروا النجوى ٦٢ قالوا إن هذان لسكران
يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهبا
بطريقتك المثلى ٦٣ فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفًا
وقد أفلح اليوم من استعلى ٦٤ قالوا يمسوي إمامًا أن
تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ٦٥ قال بل ألقوا
فإذا جبالهم وعصيم يحيل إليه من سحرهم أنها
تسعى ٦٦ فأوجس في نفسه خيفة موسى ٦٧ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ٦٨ وألقى ما في يمينك
تلقف ما صنعوا إنا ما صنعوا كيد سحر ولا يفلح
الساحر حيث أتى ٦٩ فالتقى السحرة سجداً قالوا آمنا

٦٤ ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ من السحر، بهمة وصل وفتح الميم، من «جمع»، أي: لم، وبهمة قطع وكسر الميم، من «أجمع»، [أي: «أحكم» ثم اتوا صفًا] حال، أي: مصطفىين ﴿وقد أفلح﴾ فاز ﴿اليوم من استعلى﴾ غلب.

٦٥ ﴿قالوا يا موسى اختر﴾ إما أن تلقى ﴿عصاك أولاً﴾ وإما أن نكون أول من ألقى ﴿عصاه﴾ [وحبله].

٦٦ ﴿قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيم﴾ أصله: «عُصُوء»، قلبت الواو ياءين، وكسرت العين والصاد ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها﴾ حيات ﴿تسعى﴾ على بطونها.

٦٧ ﴿فأوجس﴾ أحس ﴿في نفسه خيفة موسى﴾ أي: خاف، من جهة أن سحرهم من جنس معجزاته، أن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به. ٦٨ ﴿قلنا﴾ له ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ عليهم بالغلبة.

٦٩ ﴿وألقى ما في يمينك﴾ وهي: عصاه ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ما صنعوا﴾ ما صنعوا كيد ساحر ﴿حيث أتى﴾ أي: جنسه [أي: مكر كل ساحر] ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ بسحره،

فالتقى موسى عصاه، فتلقفت كل ما صنعوه. ٧٠ ﴿فالتقى السحرة سجداً﴾ خروا ساجدين لله تعالى ﴿قالوا آمنا﴾

(١) قوله: «ولغيره» أي: لغير أبي عمرو، وهو: ريان بن العلاء أحد القراء السبعة، توفي في قول الأكثرين سنة أربع وخمسين ومائة هجرية، ولقد أجمل المحلي في هذا القول، بيانه: أن فيها أربع قراءات سبعة: الأولى ذكرها المفسر: «إن هذين»، والثانية: «إن هذان» بتخفيف «إن» وتشديد ثون «هذان»، والثالثة والرابعة: تخفيف نون «هذان» مع تشديد نون «إن» وتخفيفها. أرجع إلى تعليقنا حول معنى السحر وحكمه ص ٢١٠.

برب هارون وموسى ﴿٧١﴾ قال ﴿فرعون﴾ ﴿آمنتكم﴾ بتحقيق الهمزتين [وبعدهما ألف ممدودة، أي: على الاستفهام]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: بهمزة واحدة بعدها ألف، على لفظ الخبر الذي معناه الاستفهام] ﴿له قبل أن آذن﴾ أنا ﴿لكم إنه لكبيركم﴾ ﴿معلمكم﴾ الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴿حال بمعنى: مختلفة، أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى﴾ ﴿ولأصلبنكم في﴾^(١) جذوع النخل ﴿أي: عليها﴾ ﴿ولتعلمن أيناً﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿أشد عذاباً وأبقى﴾ أودم على مخالفته.

﴿٧٢﴾ قالوا لن نؤثرك ﴿نختارك﴾ على ما جاءنا من البينات ﴿الدالة على صدق موسى﴾ ﴿والذي فطرنا﴾ خلقنا، قَسَمَ، أو: عطف على «ما» ﴿فاقص ما أنت قاض﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ [وجاء] النصب، [أي: نصب] ﴿هذه﴾، المبدل منها: «الحياة الدنيا»، على الاتساع [في اللغة، أي: نُصبت بتزج الخافض، خلافاً لما كثر واطرد^(٢) أي: [قضاؤك] فيها [فقط]، وتجزى عليه [العذاب الشديد] في الآخرة.

﴿٧٣﴾ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ﴿من الإشرار وغيره﴾ ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ تعلمنا وعملاً، لمعارضة موسى، [وهذا يدل على أنه جمعهم مكرمين] ﴿والله خير﴾ منك ثواباً، إذا أطيع ﴿وأبقى﴾ منك عذاباً، إذا عصي.

﴿٧٤﴾ قال تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا﴾ كافرًا كفرعون ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح [من العذاب] ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه.

﴿٧٥﴾ ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات ﴿الفرائض والنوافل﴾ ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ جمع «عليا»، مؤنث «أعلى».

﴿٧٦﴾ جنات عدن ﴿أي: إقامة، بيان له، [أي: لقوله: «الدرجات العلى»] ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ تطهر من بالذنوب [بالتوبة].

البقرة: ٢٤١-٢٤٢

رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧١﴾ قَالَ ءَاَمَنْتُمْ لَّهِ قَبْلَ اَنْ ءَاِذَنَّا لَكُمْ اِنَّهٗ لَكَبِيْرُكُمْ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعْنَ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبْنَ فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمْنَ اَيْنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَّاَبْقٰ ﴿٧٢﴾ قَالُوْا لَنْ نُّؤْثِرَكَ عَلٰى مَا جَاۤءَنَا مِنَ الْبَيِّنٰتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا اَنْتَ قَاضٍ اِنَّمَا تَقْضِىْ هٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٧٣﴾ اِنَّا ءَاَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطٰيٰنَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا عَلَیْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَّاَبْقٰ ﴿٧٤﴾ اِنَّهٗ مِّنْ يَّاتِ رَبِّهٗ مُجْرِمًا فَلَنْ لَّهٗ جَهَنَّمٌ لَا يَمُوْتُ فِيْهَا وَلَا يَحْيٰى ﴿٧٥﴾ وَمَنْ يَّاتِهٖٓ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحٰتِ فَاولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ الْعُلٰى ﴿٧٦﴾ جَنَّٰتٌ عَدْنٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ جَزَآءُ مَنْ تَزَكٰى ﴿٧٦﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، الصلب أفطع أنواع القتل، كان الجبابرة يقتلون به خصومهم ومعارضهم لإرهاب الناس وإخضاعهم لسلطانهم، لذلك لا تجوز المعاقبة بالصلب إلا لقطاع الطرق المذكورين في قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ الآية ٣٣ من سورة «المائدة» ص ١٤٢.

(٢) قولنا: «خلافاً لما كثر واطرد»، ذكر ابن هشام في كتابه «مغني اللبيب» أنه «يكثر ويتردد حذف الجار مع «أن» و«أن»، وجاء الحذف في غيرهما، أي: قليلاً على سبيل الاتساع والتسّميح، كما قال الجلال المحلي رحمه الله.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ٧٧
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ٧٩ يَلْبَنِي إِسْرَءِيلَ
قَدْ أَنجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ٨٠ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ
يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢ وَمَا أَجْعَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَمْوَسِي ٨٣ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَىٰ وَغَلَّتْ
إِلَيْكَ رَبِّ لِرِضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ

٧٧ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي بهمة قطع، من «أسرى»، وبهمزة وصل وكسر النون من «سرى» لغتان، أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر فاضرب لهم جعل لهم بعصاك طريقاً في البحر يبساً أي: يابساً، فامتثل ما أمر به، وأيسر الله الأرض، فمروا فيها لا تخاف دركاً أي: أن يدركك فرعون ولا تخشى ٧٨ فأتبعهم فرعون بجنوده وهو معهم فغشيهم من اليم أي: البحر ما غشيهم فأغرقهم ٧٩ وأضل فرعون قومه بدعائهم إلى عبادته وما هدى بل أوقعهم في الهلاك، خلاف قوله: «وما أهديك إلا سبيل الرشاد» ٨٠ يا بني إسرائيل قد أنجيناك من عدوك فرعون بإغراقه ووعدناك جانب الطور الأيمن فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ونزلنا عليك المن والسلوى هما: «الترنجبين»، [وهو شيء

أبيض حلو، كان ينزل عليهم في التيه]، و«الطير الشمائي» بتخفيف الميم والقصر، والمنادى، [قيل: هم من كان في عهد موسى، وقيل: بل من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى، توطئة لقوله تعالى لهم: ٨١ «كلوا من طيبات ما رزقناكم» أي: المنعم به عليكم «ولا تطفوا فيه» بأن تكفروا النعمة به «فيحل عليكم غضبي» بكسر الحاء، أي: يجب، وبضمها، أي: ينزل «ومن يحلل عليه غضبي» بكسر اللام وضمها «فقد هوى» سقط في النار. ٨٢ وإني لغفار لمن تاب من الشرك «وآمن» وحّد الله «وعمل صالحاً» يصدق بالفرض والنفل، [أي: أن العمل الصالح، يشمل الفرض والنفل] ثم اهتدى باستمراره على ما ذكر إلى موته. ٨٣ وما أعجلك عن قومك لمجيء ميعاد أخذ التوراة «يا موسى؟» [أي: أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك، وسابقاً لهم؟].

٨٤ قال هم أولاء أي: بالقرب مني يأتون على أثري وعجلت إليك رب لترضى عني، أي: زيادة على رضاك، وقيل الجواب، أتى بالاعتذار [عن سبقه لقومه]، بحسب ظنه.

٨٥ وتخلّف المظنون، [وظهر له أنهم ليسوا على أثره] لكنا «قال» تعالى [له، مخبراً عما حدث لقومه بعده] «فإننا قد فتنا قومك

من بعدك» أي: بعد فراقك لهم «وأضلهم السامري»^(١) فعبدوا العجل. ٨٦ فرجع موسى إلى قومه

(١) قوله تعالى: «وأضلهم السامري»، اختلفوا في اسمه وأصل نسبته هذه، وليس لقول منها دليل، فقيل: اسمه موسى، وقيل: هارون، قال ابن كثير: كان السامري من بني إسرائيل، وقيل: من القبط، وقال ابن الأثير: كان من أهل «باجرمتي» — بفتح الجيم وسكون الراء ثم ميم مفتوحة، آخره ألف مقصورة — وهي قرية قرب «الرقّة» من أرض الجزيرة في سورية اليوم، أما نسبته فليست إلى «السامرة» بل إلى كلمة «شامر» بالشين، وهي في اللغة العبرية تعني «الحارس»، وتلقاها بالعبرية: «شومير»، وهذا أقرب الأقوال.

غضبنا من جهتهم ﴿أسفا﴾ شديد الحزن ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ أي: صدقاً، أنه يعطيكم التوراة؟ ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ [بكسر الحاء باتفاق القراء، ولم يُقرأ هنا بضمها، أي: يجب ﴿عليكم غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وتركتم المجيء بعدي؟ ٨٧ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ مثلث الميم، [أي: بضمها وفتحها وكسرهما، وكلها قراءات سبعة]، أي: بقدرتنا، أو: [أمرنا، ولكن أخلفنا بسبب خطيئتنا] ﴿ولكننا حَمَلْنَا﴾ بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿أوزاراً﴾ أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ أي: حلّي قوم فرعون، استعارها^(١) منهم بنو إسرائيل بعلقة عرس، فبقيت عندهم ﴿فقدناها﴾ طرحناها في النار، بأمر السامري ﴿فكذلك﴾ كما ألقينا ﴿القي السامري﴾ ما معه من حلبيهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي: ٨٨ ﴿فأخرج لهم عجلاً﴾ صاغه من الحلي ﴿جسداً﴾ [قيل:] لحماً ودماً [قاله الحسن البصري وقتادة، وقيل غير ذلك، كما سيأتي^(٢)] ﴿له خوار﴾ أي: صوت يسمع، أي: انقلب كذلك، بسبب التراب الذي [أخذه من أثر الرسول جبريل، و] أثره: الحياة فيما يوضع فيه، ووضعته بعد صوغه في فمه ﴿فقالوا﴾ أي: السامري وأتباعه ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ موسى ربه هنا، وذهب يطلبه، [هذا قول ابن عباس، وبه قال مجاهد].

٨٩ قال تعالى: ﴿أفلا يرون﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لا يرجع﴾ [أي: العجل ﴿إليهم قولاً﴾ أي: لا يرد لهم جواباً؟ ﴿ولا يملك لهم ضراً﴾ أي: دفعه ﴿ولا نفعاً﴾ أي: جلبه، أي: فكيف يتخذ إلهاً؟ ٩٠ ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: قبل أن يرجع موسى ﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني﴾ في عبادته ﴿وأطيعوا أمري﴾ فيها. ٩١ ﴿قالوا لن نبرح﴾ نزال ﴿عليه عاكفين﴾ على عبادته، مقيمين ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

٩٢ قال ﴿موسى بعد رجوعه﴾ يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادته. ٩٣ ﴿ن﴾ لا تتبعن ﴿لا﴾ زائدة ﴿أفصيت أمري﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى؟. ٩٤ قال هارون ﴿يا ابن أم﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد: أمي، وذكرها أعطف لقلبه ﴿لا تأخذ

الْبُرْءُ الْإِسْرَائِيلِيّ

غَضِبْنَا أَسْفًا قَالَ يَقَوْمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفْطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ٨٦ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٨٧ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ٨٩ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ٩٠ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ٩١ قَالَ يَلْهَوْنَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ٩٣ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ

(١) الصحيح: أن الحلي مي لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون، كما أشرنا في تفسير الآية (١٤٨) من سورة «الأعراف» ص ٢١٥.

(٢) قولنا: «كما سيأتي» أي: بيان معنى «جسداً» وما فيه من أقوال، وذلك في تعليقنا ص ٤١٥ التالية.

بلحيتي وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾^(١) وكان أخذ شعره بيمينه غضباً، [وجره إليه] ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ ولو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل. أن تقول فرقت بين بني إسرائيل وتغضب علي ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قُولِي﴾ فيما رأيته، [فقبل عذره. ٩٥ ثم سأل السامري عما فعله] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك، الداعي إلى ما صنعت ﴿يَا سامري؟﴾ ٩٦ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والتاء، أي: علمت بما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي﴾ نفسي ﴿أَلْقِي فِيهَا﴾ [أي: في نفسي]، أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له، [فبذلك] يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً، فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم.

سُورَةُ طه

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٩﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠٠﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠١﴾ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

٩٧ ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فادْهَبْ﴾ من بيتنا ﴿فَإِنَّ لَكَ﴾ في الحياة ﴿أي: مدة حياتك﴾ ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا تقربني، فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحد، أو مسه أحد، حُمًا جميعاً ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وبفتحها، أي: بل تبعث إليه ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ أصله ﴿ظَلَلْتَ﴾ بلامين، أولاهما مكسورة حذف تخفيفاً، أي: دمت ﴿عليه عاكفاً﴾ أي: مقيماً تعبده ﴿لنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ نذرينه في هواء البحر، وفعل موسى^(٣) بعد ذبحه ما ذكره. ٩٨ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي: وسع علمه كل شيء. ٩٩ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أعطيناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنًا. ١٠٠ ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ﴾ يحمل يوم القيامة وزراً ﴿حِمْلًا ثَقِيلًا﴾ من الإثم. ١٠١ ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ تمييز مفسر للضمير في ﴿سَاءَ﴾ والمخصوص بالذم محذوف تقديره: ﴿وزرهم﴾، واللام للبيان، ويُبدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾:

١٠٢ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، النفخة الثانية

(١) قوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معنى ذلك ص ٢١٦.

(٢) قوله: «المصاغ»، هو هكذا في المخطوطات وبعض الطبعات، وهذا سبق قلم، صوابه: «المصوغ» لأنه من «صاغ» الثلاثي، ومن باب «قال».

(٣) قوله: «فعل موسى بعد ذبحه ما ذكره»، الذبح قبل الحرق مروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أي: إن العجل الذي صاغه السامري تحول بسبب أثر الرسول عجلاً حياً من لحم ودم يخور، هذا ما أخذ به الجلال المحلي هنا، وهو قول الحسن البصري وقائدة السدوسي، وقال مجاهد بن جبر: بل كانت الريح إذا دخلت من دُبره، خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله ويفرحون، أي: لم يصبر حياً، وقيل: عندما ألقى السامري القبضة من أثر الرسول، على العجل المصوغ خار مرة واحدة كما يخور العجل الحقيقي. =

﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم، مع سواد وجوههم. ١٠٣ ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها. ١٠٤ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك، أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ امْكُثْهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جداً، لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

١٠٥ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها كالريح. ١٠٦ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطة ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوية. ١٠٧ ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضاً ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعاً [و«الأمْتُ» هو:

المكان المرتفع]. ١٠٨ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نُسِفَتِ الْجِبَالُ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس، بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى «المحشر»، بصوته، وهو إسرافيل، يقول: «هَلُمُّوا إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ» ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا تباعهم، أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [هو:] صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر، كصوت أخفاف الإبل في مشيها، [أو هو: همس الشفاء قال الشاعر: وهنَّ يمشين بنا هميساً، «فالهمس» هو: الصوت الخفي].

١٠٩ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ أَحَدًا﴾ إلا من أذن له الرحمن ﴿أَنْ يَشْفَعَ لَهُ﴾ ورضي له قولاً بأن يقول: لا إله إلا الله، [محمد رسول الله]. ١١٠ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ علماً لا يعلمون ذلك.

١١١ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ خُضَعًا﴾ خضعت للحي القيوم ﴿أَيُّ﴾ الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شركاً.

١١٢ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته.

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٣﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٧﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١١﴾ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾

هذا أهم ما قيل في عجل السامري، ولكن الظاهر من التعبير بلفظ «الجسد» - حيث لا شيء من تلك الأقوال مرفوع إلى النبي ﷺ - أنه لم يصر عجلاً حياً، بل ظل جماداً على نحو ما قاله مجاهد، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فتننا سليمان وإلقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾ والجسد كان ولده الميت كما بينا ص ٦٠١، ويعرّزه أيضاً رواية عيسى بن زردان، عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة، الذي قرأ: «لَنَحْرُقَنَّ»، بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء مخففة، من «حَرَقْتُ الشَّيْءَ أَحْرَقُهُ حَرْقًا» إذا بردته وحككت بعضه ببعض، ويقال للمبرّد: المَحْرَق، فيكون المعنى على هذه القراءة: لَنَبْرُدَّهُ بِالْمَبَارِدِ، وعلى القراءتين الآخرين: من الحرق بالنار، ويمكن الجمع بين المعنيين بأن موسى عليه السلام: حرق عجل الذهب بالنار حتى ذاب، ثم برّده بالمبارد، ثم نفثه في مهب الريح، لتذروه فرق البحر، مبالغة في إهانته، وليبان كذب السامري في قوله: هذا إلهكم وإله موسى.

١١٣ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ معطوف على ﴿كذلك نقص﴾، أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن ﴿قرآناً عربياً وصرقناً﴾ كررنا، [أو: بيتاً] ﴿فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾ الشرك ﴿أو يحدث﴾ القرآن ﴿لهم ذكراً﴾ [أي: موعظة]، بهلاك من تقدمهم من الأمم، فيعتبرون. ١١٤ ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ عما يقول المشركون ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أي: بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه، [وكان ﷺ]، يُتعب نفسه في حفظه، مخافة أن يصعد جبريل ولم يحفظه [وقل رب زدني علماً] أي: بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه، زاد به علمه. ١١٥ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ ^(١) وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ أي: قبل أكله منها ﴿فنسي﴾ ترك عهدنا ﴿ولم نجد له عزماً﴾ حزماً وصبراً عما نهيناه عنه. ١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ وهو [أبو الشياطين، وواحد من الجن، على الصحيح، لقوله تعالى: «كان من الجن فسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو» وقيل: [أبو الجن، كان يصحب الملائكة، ويعبد الله معهم] «أبى» عن السجود لآدم فقال: «أنا خير منه». ١١٧ ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ «حواء»، بالمد ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ تتعب، بالخرث والزرع والحصد والطحن والخبز، وغير ذلك، واقتصر على شقائه، لأن الرجل يسعى على زوجته. ١١٨ ﴿إن لك أن﴾ ن ﴿لا تجوع فيها ولا تعرى﴾. ١١٩ ﴿وأنك﴾ بفتح الهمزة، وكسرهما، عطف على اسم «إن» وجملتها ﴿لا تظما فيها﴾ تعطش ﴿ولا تضحى﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى، لانتفاء الشمس في الجنة. ١٢٠ ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ أي: التي يخلد من يأكل منها ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يفنى؟ وهو لازم «الخلد»، [فدلها على الشجرة التي نهيها عنها].

١٢١ ﴿فأكلا﴾ أي: آدم وحواء ﴿منها فبدت لهما سواتهما﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبْلُهُ، وقُبْلُ الآخر ودُبُرُهُ، وسمي كل منهما «سواة»، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وظفقا يخصفان﴾ أخذاً يلزقان ﴿عليهما﴾

١٢١ ﴿فأكلا﴾ أي: آدم وحواء ﴿منها فبدت لهما سواتهما﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبْلُهُ، وقُبْلُ الآخر ودُبُرُهُ، وسمي كل منهما «سواة»، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وظفقا يخصفان﴾ أخذاً يلزقان ﴿عليهما﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ الآيات، هنا مسألان مهمتان: الأولى: من هو آدم؟ والثانية: أكله من الشجرة، وفي بيانهما نقول: أولاً: خلق الله تعالى

أول إنسان خلقاً سورياً قويمًا في أحسن صورة وسماه «آدم»، خلقه من تراب، ثم سواه ونفخ فيه الروح التي خلقها له، فانبعث حياً عاقلاً يتكلم ويدرك الأشياء، ثم علمه الأسماء كلها، وألهمه معرفة الأعمال والمهن، ومن آدم خلق الله تعالى «حواء»، زوجة له وأماً لأولاده، ومنهما يتناسل البشر من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ الآية، وأخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله سترن ذراعاً»، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً». ثانياً: لا خلاف بين العلماء في أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة، ليس من كبائر الذنوب، ولا من صفاتها ذات الخسة والحقارة، وللعلماء في هذا الشأن أقوال، أهمها قول أبي بكر بن فورك الأصهباني وجماعة من العلماء: إن ذلك كان من آدم قبل النبوة، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه =

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٢٠

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَقْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۖ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۖ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۖ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ ۖ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

من ورق الجنة ﴿ليسترا به﴾ وعصى آدم ربه فغوى ﴿أي: فسد عليه عيشه في الجنة﴾، بالأكل من الشجرة. ١٢٢ ﴿ثم اجتباه ربه﴾ قَرَبَهُ ﴿فتاب عليه﴾ قبل توبته ﴿وهدى﴾ أي: هداه إلى المداومة على التوبة. ١٢٣ ﴿قال اهبطا﴾ أي: آدم وحواء، بما اشتملتما عليه من ذريتهما ﴿منها﴾ من الجنة ﴿جميعاً بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون ﴿إن﴾ الشرطية في «ما» المزیدة ﴿يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي﴾ أي: القرآن ﴿فلا يضل﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة. ١٢٤ ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ أي: القرآن، فلم يؤمن به ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ بالتنوين، مصدر بمعنى: ضيقة، وفُسرَتْ في حديث: بعذاب الكافر في قبره، [أخرجه عبد الرزاق، والحاكم وصححه، والبيهقي وغيرهم مرفوعاً] و«نحشره» أي: المُنْغَرَضُ عن القرآن ﴿يوم القيامة أعمى﴾ أي: أعمى البصر. ١٢٥ ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا، وعند البحث؟ ١٢٦ ﴿قال الأمر﴾ كذلك أنتك آياتنا فنسيتها ﴿تركتها﴾ ولم تؤمن بها ﴿وكذلك﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿اليوم تنسى﴾ تُنْزَكُ في النار. ١٢٧ ﴿وكذلك﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نجزي من أسرف﴾ أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وأبقى﴾ أدام. ١٢٨ ﴿أفلم يهد﴾ يبين ﴿لهم﴾ لكفار مكة ﴿كم﴾ خبرية مفعول ﴿أهلكنا﴾ أي: كثيراً إهلاكنا ﴿قبلهم من القرون﴾ أي: الأمم الماضية، بتكذيب الرسل ﴿يمشون﴾ حال من ضمير ﴿لهم﴾ ﴿في مساكنهم﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا؟ وما ذكر [في تفسير «كم أهلكنا»] مِنْ أَخَذَ [المصدر]: «إهلاك»، من فعله [«أهلكنا»]، الخالي عن حرف مصدرى، لرعاية المعنى، لا مانع منه [لغة] ﴿إن في ذلك لآيات﴾ لِعِبْرًا ﴿لأولي النهى﴾ لذوي العقول. ١٢٩ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لكان الإهلاك﴾ لازماً ﴿لازماً﴾ لهم في الدنيا ﴿وأجل

البقرة

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٣﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٧﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٨﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٢٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

= فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن

الاجتباء والهدى كانا بعد العصيان، ورجح هذا القول الرازي، ومال إليه القرطبي. وقال آخرون: إن الأكل من الشجرة كان بعد النبوة، وهي مخالفة لا تقدر في نبوته عليه السلام، لأنها من الصفات التي لا خسة ولا دناءة فيها، فلا تندرج في باب ما عصم عنه الأنبياء، وهذا قول كثير من العلماء كالطبري، وهو الموافق للنصوص، وبناء على هذا القول، فإن جواز مثل ذلك على الأنبياء، هو لأجل التنبيه إلى أنهم بشر، وأن النبوة لم تُخرجهم من بشريتهم ولكنهم لا يُقرؤون على شيء من ذلك، بل يُنبهون فوراً فيتوبون قبل أن يقتدي بهم أحد.

ولقد غالى بعض الناس في تفسير هذه المخالفة، كالتصاري الذين اعتبروها خطيئة كبرى، وبنوا على ذلك عقيدتهم الباطلة في الفداء، أي: في زعمهم صلب المسيح لتخليص البشر من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وبالمقابل زعم البعض: أن آدم كان منهيًا عن الأكل ظاهراً ومأموراً بذلك باطناً، وهذا أيضاً خطأ لا وجه له، والصحيح هو ما ذكرناه، والله أعلم. ارجع إلى تعليقنا حول «حواء» ص ٥٣٣.

مسمى مضرروب لهم، [قيل: هو] معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل [بين كان واسمها] بخبرها مقام التأكيد [أو: هو معطوف على «كلمة»، أي: ولولا كلمة وأجل مسمى، لكن العذاب لازماً].

١٣٠ فاصبر على ما يقولون منسوخ بآية القتال «وسبح» صلّ [الصلوات الخمس] «بحمد ربك» حال، أي: متلبساً به «قبل طلوع الشمس» صلاة الصبح «وقبل غروبها» صلاة العصر «ومن أناء الليل» ساعاته «فسبح» صلّ المغرب والعشاء «وأطراف النهار» عطف على محل «من أناء» المنصوب، أي: صلّ الظهر، لأن وقتها يدخل بزوال الشمس [عن وسط السماء]، فهو: طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني «لعلك ترضى» بما تُعطى من الثواب.

١٣١ «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به» [من متع الحياة الدنيا وزينتها] «أزواجاً» أصنافاً [وجماعات] «منهم» [أي: من الناس] «زهرة الحياة الدنيا» زينتها وبهجتها، [ونُصِبَ قوله: «زهرة» على الحال] «لنفتنهم» [لنبتليهم ونختبرهم] «فيه» بأن يطغوا «ورزق ربك» في الجنة «خير» مما أوتوه في الدنيا «وأبقى» أدام، [أي: لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزناً، فإنه لا بقاء لها، والمقصود بالخطاب أمته].

١٣٢ «وأمر أهلك» [أي: أهل بيتك، من زوجة وولد وغيرهم] «بالصلاة واصطبر» اصبر «عليها» [أي: امثلها معهم، وحافظ عليها] «لا نسالك» نكلفك «رزقاً» لنفسك ولا لغيرك «نحن نرزقك والعاقبة» الجنة «للتقوى» لأهلها.

١٣٣ «وقالوا» أي: المشركون «لولا» هلاً «يأتينا» محمد «بآية من ربه» مما يقترحونه؟ «أو لم تأتهم» بالثناء والياء «بينه» بيان «ما

في الصحف الأولى» المشتمل عليه القرآن، من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

١٣٤ «ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله» قبل محمد الرسول «لقالوا» يوم القيامة «ربنا لولا» هلاً «أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك» المرسل بها «من قبل أن نذل» في القيامة «ونخزي» في جهنم؟

١٣٥ «قل» لهم «كل» منا ومنكم «متربص» منتظر ما يؤول إليه الأمر «فتربصوا فستعلمون» في القيامة «من أصحاب الصراط» الطريق «السوي» المستقيم «ومن اهتدى» من الضلالة، نحن أم أنتم؟

سُورَةُ طه

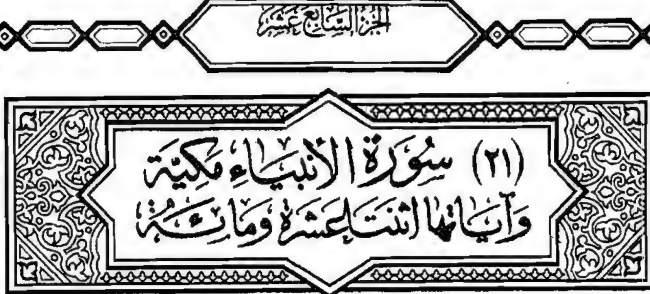
مُسَمًّى ﴿١﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿٢﴾ وَلَا تُمَدِّدْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ﴿٣﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٤﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْ لَمَّا تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿٦﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ اصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

(مكية، وهي: مائة وإحدى، أو اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة منكري البعث، [وغيرهم من أمثالهم] ﴿حَسَابِهِمْ﴾ حسابهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهم في غفلة ﴿عَنْهُ﴾ معرضون ﴿عَنِ التَّأَهُبِ﴾ له بالإيمان. ٢ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ محدث ﴿[أَي: مَنْزِل] شَيْئاً فُشِيئاً، أَي: لَفْظِ قُرْآنٍ﴾ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٣ ﴿لَاهِيَةً﴾ (١) غافلة ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾، [يقول بعضهم لبعض]: ﴿هَلْ هَذَا﴾ أي: محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؟﴾ [وها أنتم عاجزون عن الإتيان بمثل ما جاء به من القرآن،] فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر؟ ٤ ﴿قُلْ﴾ لهم، [وفي قراءة: «قال»] ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أَسْرُوهُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ به. ٥ ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْفَاتُ﴾ (٢) أحلام ﴿أَخْلَاطٌ رَأَاهَا فِي النَّوْمِ﴾ بل افتراه ﴿اِخْتَلَفَهُ﴾ بل هو شاعر ﴿فَمَا أَتَى بِهِ شِعْرٌ﴾ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴿كَالْنَارِ وَالْعِصَى وَالْيَدِ﴾ ٦ قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبها ما أتاه من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ؟﴾ لا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْفَتْ أَهْلِيمُ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(١) قوله سبحانه: ﴿لاهية قلوبهم﴾، لقد أسند الله تعالى

اللهو والغفلة إلى القلوب، إشارة إلى أهمية القلب، كما بين أن العمى المهلك ليس عمى البصر، ولكنه عمى البصيرة، قال تعالى: ﴿فَإِنِهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وهذه القلوب هي: المريضة، المنكرة، الجاحدة، القاسية، الفاسدة، إنها قلوب الكافرين والزنادقة، أما المؤمنون فإن قلوبهم خاشعة، سالحة، ليثة، طاهرة، ففي حديث الشيخين، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قوله ﷺ: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

(٢) قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَضْفَاتُ أَحْلَامُ﴾، «الأضغاث» جمع: «ضغث» وهي في اللغة: القبضة من الحشيش مختلطة الرطب باليابس، ومنه قوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾. أرجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحلم» ص ٢٧٦.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحَى﴾ [بالباء وفتح الحاء]، وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم، أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد [صلى الله عليه وسلم].

٨ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجساداً [لا روح فيها] ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.

٩ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ﴾ أي: المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.

١٠ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا﴾ فيه ذكركم ﴿[أي: هو شرف لكم]، لَأنه بلغنكم﴾ [كما قال تعالى: «وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون»] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به؟

١١ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [أي: فعلنا ذلك بكثير من تلك القرى].

١٢ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين، [طلباً للنجاة، وكانت تلك عادة الكافرين، إذا شعروا بدنو العذاب]، فقالت لهم الملائكة استهزاء:

١٣ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نُعْنِمْ ﴿فِيهِ﴾ [إلى] ﴿مَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ شيئاً من دنياكم، على العادة.

١٤ ﴿قَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ١١

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١٢﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٩﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَا تَتَّخِذُنَا هُ

١٥ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ أي: كالزرع المحصود بالمنجل، بأن قتلوا بالسيف، [أو: بالعذاب] ﴿خَامِدِينَ﴾ ميتين [هالكين]، كخمود النار إذا طَفِئَتْ.

١٦ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ عابثين، بل [خلقناهما] دالين على قدرتنا، ونافعين [بما فيهما] عبادنا. ١٧ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يُلْهَى به، من زوجة أو ولد ﴿لَا تَتَّخِذُنَا هُ

من لدنا ﴿ من عندنا، من الحور العين، والملائكة، [وهذا رد على الذين قالوا: «اتخذ الله ولداً»] ﴾ إن كنا فاعلين ﴿ ذلك، لكننا لم نفعله، فلم نُزده، [لاستحالة علينا]. ١٨ ﴿ بل نقذف ﴾ نرمي ﴿ بالحق ﴾ الإيمان ﴿ على الباطل ﴾ الكفر ﴿ فيدمغه ﴾ يذهبه ﴿ فإذا هو زاهق ﴾ ذاهب، و «دمغه» في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مَقْتَلٌ ﴿ ولكم ﴾ يا كفار مكة [وغيرها] ﴿ الويل ﴾ العذاب الشديد ﴿ مما تصفون ﴾ الله به، من [الشريك، أو] الزوجة، أو الولد. ١٩ ﴿ وله ﴾ تعالى ﴿ من في السماوات والأرض ﴾ ملكاً [وخلقاً وعبداً] ﴿ ومن عنده ﴾ أي: الملائكة، مبتدأ، خبره: ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ لا يغيثون [ولا يتعبون].

المائدة السابعة

مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا

٢٠ ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ عنه، فهو منهم كالنفس منا، لا يشغلنا عنه شاغل. ٢١ ﴿ أم ﴾ بمعنى: «بل» للانتقال وهمزة الإنكار ﴿ اتخذوا آلهة ﴾ كائنة ﴿ من الأرض ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿ هم ﴾ أي: الآلهة ﴿ ينشرون ﴾ أي: يحيون الموتى؟ لا، ولا يكون إلهاً، إلا من يحيي الموتى. ٢٢ ﴿ لو كان فيهما ﴾ أي: السماوات والأرض ﴿ آلهة إلا الله ﴾ أي: غيره ﴿ لفسدتا ﴾ خرجتا عن نظامهما المشاهد، لوجود التمانع بينهم، على وفق العادة عند تعدد الحاكم، من التمانع في الشيء، وعدم الاتفاق عليه ﴿ فسبحان ﴾ تنزيه ﴿ الله رب ﴾ خالق ﴿ العرش ﴾ الكرسي^(١) ﴿ عما يصفون ﴾ أي: [يصف] الكفار الله به، من الشريك له وغيره.

٢٣ ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ عن أفعالهم.

٢٤ ﴿ أم اتخذوا من دونه ﴾ تعالى، أي: سواه ﴿ آلهة ﴾؟ فيه استفهام توبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ذلك، ولا سبيل إليه ﴿ هذا ذكر من معي ﴾ أي: أمتي، وهو القرآن ﴿ وذكر من قبلي ﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل، وغيرهما من كتب الله، ليس في

واحد منها، أن مع الله إلهاً مما قالوا، تعالى عن ذلك ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق ﴾ أي: توحيد الله ﴿ فهم معرضون ﴾ عن النظر الموصل إليه. ٢٥ ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحى ﴾ [بالباء وفتح الحاء]، وفي قراءة بالثون وكسر الحاء ﴿ إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ أي: وخذوني. ٢٦ ﴿ وقالوا

(١) قوله: «الكرسي»، إن تفسير المؤلف الجلال المحلي للعرش بالكرسي، هو جري على القول بأنهما شيء واحد، وهو ما أخذ به أيضاً الجلال السيوطي، والصحيح أن العرش غير الكرسي. ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣ حيث بيان ذلك مع الدليل.

اتخذ الرحمن ولداً من الملائكة سبحانه بل هم عباد مكرمون عنده، والعبودية تنافي الولادة. ٢٧ لا يسبقونه بالقول لا يأتون بقولهم، إلا بعد قوله وهم بأمره يعملون أي: بعده، [فلا يخالفونه فيما كلفهم به].

٢٨ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي: ما عملوا، وما هم عاملون ولا يشفعون إلا لمن ارتضى تعالى أن يشفع له وهم من خشيته تعالى مشفقون أي: خائفون. ٢٩ ومن يقل منهم إني إله من دونه أي: الله، أي: غيره وهو إبليس، دعا إلى عبادة نفسه، وأمر بطاعتها فذلك نجزيه جهنم كذلك كما نجزيه الظالمين أي: المشركين.

٣٠ أولم يواو وتركها، [وهما قراءتان سبعيتان] ير يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً^(١) أي:

سداً، بمعنى: مسدودة ففتقناهما أي: جعلنا السماء سبعاً، والأرض سبعاً، أو فتق السماء: أن كانت لا تُمطر فأمطرت، وفتق الأرض: أن كانت لا تُنبِت فأنبتت وجعلنا من الماء النازل من السماء والنابع من الأرض كل شيء حي نبات وغيره، أي: فالماء سبب لحياته^(٢) أفلا يؤمنون بتوحيدي؟ ٣١ وجعلنا في الأرض رواسي جبالاً ثوابت، [تثبت الأرض]، لـ أن لا تميد تتحرك بهم وجعلنا فيها أي: الرواسي فجاجاً مسالك سبلاً بدل، أي: طرقاً نافذة واسعة لعلمهم يهتدون إلى مقاصدهم في الأسفار.

٣٢ وجعلنا السماء سقفاً للأرض كالسقف للبيت محفوظاً عن الوقوع، [أو: عن الخلل، أو: بشهب النجوم] وهم عن آياتها من الشمس والقمر والنجوم معرضون لا يتفكرون فيها، فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

٣٣ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل تنويره، عوض عن المضاف إليه، [أي: من الشمس والقمر، وتابعه وهو: النجوم في فلك أي: مستدير كالطاحونة، في السماء، [وهو مدار النجوم] يسبحون أي: يدورون و] يسيرون بسرعة، كالسباح في الماء، وللتشبيه به، أتى بضمير جمع من يعقل، [أي: يسبحون]. ٣٤ ونزل لما قال الكفار: إن محمداً سيموت: وما جعلنا لبشر من

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ٢٨ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ٢٩
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ٣٠ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣١ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن يَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣٢ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ٣٣ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٤ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ

(١) قوله تعالى: «كانتا رتقاً» تضمنت هذه الآية إشارة إلى أصل خلق السماوات والأرض، وأنهما كانتا كتلة واحدة، ففتقها الله تعالى، وكوّن السماوات وما فيها من مجرات، والأرض وما عليها، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: «كانتا رتقاً» قال: «كانتا ملتصقتين»، وهذا قول سعيد بن جبير رحمه الله تعالى، وبمثله قال فتادة السدوسي والحسن البصري، ومجاهد رحمهم الله تعالى، وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إذ هي تصرح بأن الماء أصل خلق الكائنات الأرضية الحية، كما ستذكر في التعليق التالي، وبأن السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة، وهذا ما اكتشفه الباحثون بعد نزول القرآن بقرون.

(٢) قوله: «فالماء سبب لحياته» هذا التفسير لـ «شيء حي» غير مطابق لنص الآية، إذ لو كان المعنى كما ذكره المحلي، لكان لفظ الآية هكذا: =

قَبْلَكَ الْخُلْدُ أَي: البقاء في الدنيا أَفَأَنْ مَت فَهَمُ الْخَالِدُونَ فِيهَا؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

٣٥ ﴿كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نخبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ كفقر وغنى، وسقم وصحة ﴿فِتْنَةٍ﴾ مفعول له أي: للنظر أتصبرون وتشكرون؟ أو: لا ﴿وَالْبَإِثْمَ تَرْجِعُونَ﴾ فنجازيكم.

٣٦ ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ما ﴿يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [بضم الزاي وبالهزم. وفي قراءة: بالهزم مع سكون الزاي، وفي أخرى: بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. فهي ثلاث قراءات سبعة] أي: مهزوءاً به، يقولون ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيبها ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ

الرَّحْمَنَ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾ به إذ قالوا: ما نعرفه [وقالوا: «وما الرحمن»، أو «بذكر الرحمن» أي: بالقرآن]. ٣٧ ونزل في استعجالهم العذاب: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ أي: أنه [يستعجل كثيراً ولا يتأنى، أو] لكثرة عَجَلِه في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأْرِيكُمْ آيَاتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فيه، فأراهم القتل بيد.

٣٨ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ [أي: الكفار للمؤمنين] ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

٣٩ قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ﴾ يدفعون ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يمنعون منها في القيامة، وجواب «لو» ما قالوا ذلك. ٤٠ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمُ الْقِيَامَةُ﴾ بغتة فتبتهتهم ﴿تَحِيرُهُمْ﴾ فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴿يَمْهَلُونَ لَتُوبَةٍ أَوْ مَعْدَرَةٍ﴾.

٤١ ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ، [أي: فاصبر كما صبروا. ثم وعده بالنصر عليهم بقوله]: ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو العذاب فكذا يَحِيقُ بمن استهزأ بك.

٤٢ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَكْلُوكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من عذابه

إن نزل بكم، أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله، لأنكارهم له، [أو المعنى: من يحفظكم بالليل والنهار بدل الرحمن، أي: غيره؟ أي: لا حافظ لكم سواه تعالى، فآمنوا به].

«وجعلنا من الماء، أو: بالماء، كل شيء حياً» وليس كذلك، فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة لـ «شيء»، وقوله تعالى «جعلنا» بمعنى: خلقنا، أي: «خلقنا كل شيء حي من الماء»، وهذا يشمل الإنسان والحيوان، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ وروى أحمد والبيهقي والحاكم وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا نبي الله، إذا رأيتك قرت عيني، وطابت نفسي، فأخبرنا عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من ماء».

الْبَيْتُ السَّابِعُ عَشَرَ

قَبْلَكَ الْخُلْدُ أَفَأَنْ مَت فَهَمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٠﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ

﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿معرضون﴾ [أي: لاهون غافلون]، لا يتفكرون فيه.

٤٣ ﴿أَمْ﴾ فيها معنى: همزة الإنكار، أي: أ ﴿لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ مما يسوؤهم ﴿مَنْ دُونَنَا﴾ أي: ألهم من يمنعهم منه [أي: من العذاب] غيرنا؟ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مِنَّا﴾ من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾ يجارون، يقال: «صحبك الله»، أي: حفظك وأجارك.

٤٤ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم، [قال ابن عباس: هم أهل مكة] ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [في

النعمة]، فاغثروا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟ لا، بل النبي وأصحابه [هم الغالبون، وهذا ما كان].

٤٥ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله، لا من قِبَلِ نَفْسِي ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿مَا يَنْذَرُونَ﴾ أي: هم لتركه العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم، [فكانهم لا يسمعون أصلاً].

٤٦ ﴿وَلَتُنْصَبَنَّ لَهُمْ﴾ [يوم القيامة] ﴿نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [والمعنى: عندما يمسه أقل شيء من العذاب] ﴿لَيَقُولُنَّ يَا لَلنَّبِيِّ﴾ ويلتنا ﴿هَلَاكُنَا﴾ [إنا كنا ظالمين] بالإشراك وتكذيب محمد، [فيعترفون حين لا ينفعهم الاعتراف].

٤٧ ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ ^(١) القسط ﴿ذَوَاتِ الْعَدْلِ﴾ [يوم القيامة] أي: فيه، [فتوزن بها أعمال العباد] ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة، أو زيادة سيئة ﴿وَأَنْ كَانَ الْعَمَلُ مُثْقَالًا﴾ زنة ﴿حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ بموزونها ﴿وَكُفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ محصين كل شيء.

٤٨ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾

أي: التوراة، الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ أي: عظة بها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٤٩ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس، أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. ٥٠ ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مَبَارَكٌ﴾ [أي: كثير الخير] ﴿أَنْزَلْنَاهُ

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ١١

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مَنْ دُونَنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٤﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥٠﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ

أفأنتم له منكرون؟ الاستفهام فيه للتوبيخ. ٥١ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي: [أعطيناه] هُذَاهُ قبل بلوغه، [أو: قبل النبوة، بأن ألهمناه الحق وآتيناه الحجة على قومه] وكنا به عالمين أي: بأنه أهل لذلك. ٥٢ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل الأصنام التي أنتم لها عاكفون أي: على عبادتها مقيمون؟ ٥٣ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاعتدنا بهم.

٥٤ قال لهم لقد كنتم أنتم وآباؤكم بعبادتها في ضلال مبين بين.

٥٥ قالوا اجئنا بالحق في قولك هذا أم أنت من اللاعبين فيه؟ أي: الأعب مازح فيما تقول؟.

٥٦ قال بل ربكم المستحق للعبادة رب مالك السماوات والأرض الذي فطرهن خلقهن على غير مثال سبق وأنا على ذلكم الذي قلته من الشاهدين به^(١).

٥٧ ونالله لأکیدن أصنامكم أي: لا مكرن بها، وأضمر في نفسه نية تحطيمها بعد أن تولوا مدبرين أي: ذاهبين إلى عيدكم، وكان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه، فدعوه إلى الخروج معهم، فلم يخرج قائلاً: «إني سقيم»، أي: مريض.

٥٨ فجعلهم أي: جعل الأصنام، بعد ذهابهم إلى مجتمعهم، في يوم عيد لهم جذاذًا بضم الجيم وكسرهما، [وهما قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذًا بفتحها، أي: فتاتًا بفأس إلا كبيراً لهم] علق الفأس في عنقه لعلمهم إليه أي: إلى الكبير يرجعون فيروا ما فعل بغيره.

٥٩ قالوا بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين فيه.

٦٠ قالوا أي: بعضهم لبعض «سمعنا فتى» أي: شاباً [يذكرهم] أي: يعيبنهم يقال له إبراهيم.

٦١ قالوا فاتوا به [والقائل: هو الملك الكافر «نمرود»^(٢)] على أعين الناس أي: ظاهراً لعلمهم يشهدون عليه أنه الفاعل. ٦٢ قالوا بعد إتيانه أنت بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه.

٦٢ قالوا بعد إتيانه أنت بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه.

(١) قوله: «من الشاهدين به». أي: العالمين بالبرهان بذلك، هذا وجه. وثمة وجه آخر أوضح هو: أي: من الشاهدين على أن رب السماوات والأرض هو ربكم لا رب لكم سواه، والشاهد بين الحكم، والمعنى: وأنا سأبين لكم بالدليل ما أقول، وهذا ما فعله حيث بين لهم فيما بعد بتكسيه الأصنام، أنها لا تستحق العبادة.

(٢) قولنا: «نمرود» هو بضم النون والذال المعجمة، وهو صاحب العقيلة النمرودية الجامدة التي أصبحت مثلاً، فيقال للعنيد المكابر: «لا تنمرود».

﴿فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ؟﴾ ٦٣ ﴿قَالَ﴾ ساكتاً عن فعله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فيه تقديم جواب الشرط، [وأصله: إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَاسْأَلُوهُمْ]، وفيما قبله [أي: في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾]، تعريضٌ لهم، بأن الصنمَ المعلومَ عَجْزُهُ عن الفعل، لا يكون إلهاً.

٦٤ ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ أي: بعبادتكم من لا ينطق.

٦٥ ﴿ثُمَّ نَكُسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾ أي: رُدُّوا إِمَى لِكُرْهِمْ، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟.

٦٦ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه؟.

٦٧ ﴿أَفِ﴾ بكسر الفاء، [مع التنوين وتركه]، وفتحها [غير منون، فالقراءات ثلاث سبعة]، بمعنى مصدر، أي: نَتَنَّا وَقَبَحاً ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، لا تستحق العبادة، ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى؟.

٦٨ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نصرتها، فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم، وجعلوه في منجنيق، ورموه في النار.

٦٩ قال تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذابت حراراتها، وبقيت إضاءتها، ويقول [تعالى: ﴿وَسَلَامًا﴾، سلم [إبراهيم] من الموت بيردها.

٧٠ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

٧١ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران»، من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوطٌ بالمؤتفكة^(١)، وبينهما يوم.

٧٢ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم، وكان سأل ولداً، كما ذكر في «الصفات»، [يقوله: «رب هب لي من الصالحين»]. ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة على المسؤول، أو: هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء. ٧٣ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ١١

فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يٰ اِبْرَاهِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ اِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَرَجَعُوا اِلَى اَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا اِنْ كُنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ نَكُسُوا عَلٰى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٧﴾ اَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْنَا يٰ نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلٰى اِبْرَاهِيمَ ﴿٧٠﴾ وَاَرَادُوا بِهٖ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْاَخْسَرِينَ ﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٣﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ اُمَمَةً يَهْدُونَ بِاَمْرِنَا ﴿٧٥﴾ وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِمْ فِعْلَ

(١) قوله: «بالمؤتفكة» هي: قرى قوم لوط، سميت بذلك، لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها، ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٥.

الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿أي: أن تفعل وتقام وتؤتى، منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء: إقامة﴾ تخفيف ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ [أي: مطيعين].

٧٤ ﴿ولوطاً آتينا حكماً﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الخبائث﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، وغير ذلك ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ مصدر «ساء»، نقيض سره ﴿فاسقين﴾ [أي: خارجين عن طاعة الله، بكفرهم وخبائثهم].

٧٥ ﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ [أي: في أهل رحمتنا]، بأن أنجيناه من قومه [في الدنيا، وسندخله الجنة في الآخرة] ﴿إنه من الصالحين﴾.

٧٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿نوحاً﴾ وما بعده بدل منه ﴿إذ نادى﴾ دعا على قومه بقوله: «رب لا تذرني الخ من قبل» أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ الذين في سفينته ﴿من الكرب العظيم﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

٧٧ ﴿ونصرناه﴾ منعه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾.

٧٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿داود وسليمان﴾ أي: قصتهما ويبدل منهما ﴿إذ يحكما في الحرت﴾ هو زرع أو كرم ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ أي: رعته ليلاً بلا راع، بأن انفلتت ﴿وكننا لحكمهم شاهدين﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين، قال داود: لصاحب الحرت رقاب الغنم، وقال سليمان: ينتفع بذكرها ونسلها وصوفها، إلى أن يعود الحرت كما كان، بإصلاح صاحبها، فيردها إليه.

٧٩ ﴿ففهمناها﴾ أي: الحكومة ﴿سليمان﴾

الْحَيَّرَتْ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٤﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٨﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٩﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَخْرَنَاهُ مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكَ لِنُحْصِنَكَ مِنَ النَّاسِ

وحكمهما باجتهد، ورجع داود إلى [حكم] سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وكلاً﴾ منهما ﴿آتيناه﴾ هـ ﴿حكماً﴾ نبوة ﴿وعلماً﴾ بأمور الدين ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير كذلك، سخرنا للتسبيح معه، لأمره به، إذا وجد [داود] فترة، [أي: فتوراً عن التسبيح]، لينشط له ﴿وكننا فاعلين﴾ تسخير تسبيحهما معه، وإن كان عجباً عندهم، أي: مجاوبة للسيد داود. ٨٠ ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ وهي الدرع، لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لكم﴾ في جملة الناس ﴿لنحصنكم﴾ [فيها ثلاث قراءات: بالنون لله، وبالتحتانية: لـ «داود»، وبالضوقانية: لـ «لبوس»].

مَنْ بِأَسْكُرَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٢﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ﴿٨٣﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٨﴾

﴿من بأسكم﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فهل أنتم﴾ يا أهل مكة ﴿شاكرون﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك. ٨١ ﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح عاصفة﴾ وفي آية أخرى: ﴿رُخاء﴾، أي: شديدة الهبوب و«خفيفته» بحسب إرادته ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام ﴿وكنّا بكل شيء عالمين﴾ من ذلك: علّمه تعالى، بأن ما يعطيه سليمان، يدعو للخضوع لربه، ففعله تعالى على مقتضى علمه. ٨٢ ﴿و﴾ سخرنا ﴿من الشياطين من يغوصون له﴾ يدخلون في البحر، فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي: سوى الغوص، من البناء وغيره ﴿وكنّا لهم حافظين﴾ من أن يفسدوا ما عملوا، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل، أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره. ٨٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿أيوب﴾ ويبدل منه ﴿إذ

نادى ربه﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، [فمرض مرضاً شديداً غير مُنْقَرٍ] و [أما ما قيل من: تمزيق جسده، ووضعه في قفّة، وإلقائه على مزبلة]، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، [فهو كلام باطل، لا تجوز نسبته لنبي، كما سيأتي ص ٦٠٢، وكانت مدة بلائه] سنين، ثلاثاً أو سبعا، أو: ثماني عشرة، و [ابتلي أيضاً بـ] ضيق عيشه ﴿أنّي﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مسنى الضر﴾ أي: الشدة ﴿وأنّ أرحم الراحمين﴾. ٨٤ ﴿فاستجبنا له﴾ نداءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتينا أهله﴾ أولاده الذكور والإناث، بأن أحياهم له، وكلّ من الصنفين [من أولاده، عدده: ثلاث أو سبع] ومثلهم معهم من زوجته، وزيد في شبابها، وكان له أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سبحانه، أفرغت إحداهما على أندر^(١) القمح الذهب، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق، [أي: الفضة]، حتى فاض ﴿رحمة﴾ مفعول له ﴿من عندنا﴾ صفة ﴿وذكري للعابدين﴾ ليصبروا فثابروا. ٨٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ على طاعة الله، وعن معاصيه. ٨٦ ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ مع النبوة ﴿إنهم من الصالحين﴾ لها، [قيل:] وسمي «ذا الكفل»، لأنه تكفل بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب،

فوقى بذلك، وقيل: لم يكن نبياً. ٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿ذا النون﴾ صاحب الحوت، وهو: يونس بن متى، ويبدل منه ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ لقومه، أي: غضبان عليهم، مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي: نقضي عليه ما قضيناه، من حسه في بطن الحوت، أو: نضيق عليه بذلك ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ في ذهابي من بين قومي، بلا إذن.

(١) وقوله: «أفرغت إحداهما على أندر القمح إلخ»، هذا معنى حديث رواه أبو يعلى والبرار عن أنس بن مالك مرفوعاً، و «الأندر»: «البيدر».

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ [أي: من بطن الحوت]، بتلك الكلمات ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجيناها ﴿نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم، إذا استغاثوا بنا داعين. ٨٩ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [أي: أنت الوارث] الباقي، بعد فناء خلقك. ٩٠ ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ ندائه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي﴾ ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ فأنت بالولد بعد عقمها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿كَانُوا يَسَارِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ متواضعين في عبادتهم. ٩١ ﴿وَإِذْ نَادَى مَرْيَمُ﴾ التي أحصنت فرجها ﴿حَفِظْتُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ بِنَا غَيْرُكَ﴾ فنفضنا فيها من روحنا ﴿أَي: جبريل،

حيث نفخ في جَنِبِ دُرْعِهَا، فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير فحل.

٩٢ ﴿إِنْ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أَمَّتْكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة [أي: كذلك يجب أن تكون] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وحدون.

٩٣ ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم، متخالفين فيه، وهم: طوائف اليهود والنصارى، [ومن شذ من هذه الأمة]، قال تعالى: ﴿كُلِّ إِلَهًا رَاجِعُونَ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

٩٤ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِسَعِيهِ﴾ وإننا له كاتبون ﴿بِأَن نَّأْمُرَ الْخَفِظَةَ بِكُتْبِهِ﴾ فنجازيه عليه.

٩٥ ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

٩٦ ﴿حَتَّى﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فَتَحْتَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ ^(١) بالهمز وتركه، اسمان أعجميان، لقبيلتين، ويُقدَّر قبله مضاف، أي: سدَّهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون.

الْبَيْتُ الْإِسْلَامِيُّ

فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٠﴾ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩١﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٣﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهًا رَاجِعُونَ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٥﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْتَ بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٧﴾

(١) قوله تعالى: ﴿بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾. ذكروا في القرآن مرتين، هنا وفي أواخر سورة الكهف ص ٣٩٣. ولقد كثرت في أخبارهم وصفاتهم الروايات، إلى حد المبالغة، والمقول بما يخالف المنقول والمعقول، والذي تبني معرفته واعتماده من خبرهم، هو ما ذكره ابن كثير في «تاريخه» وملخصه: أن يأجوج ومأجوج هم من ذرية آدم بلا خلاف، والصحيح أنهم بشر كبقية الناس وعلى أشكالهم وصفاتهم، ليسوا عمالقة ولا هم في غاية القصر كما قيل، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله أين ذلك الواحد؟ فقال ﷺ: «أبشروا، فإن منكم واحداً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً».

﴿واقترَبَ الوعدَ الحقَّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فإذا هي﴾ أي: القصة ﴿شاخصةٌ أبصارَ الذين كفروا﴾ في ذلك اليوم لشدة، [أي: من هولاء، لا تكاد أبصارهم تطرفُ]، يقولون ﴿يا﴾ للتنبية ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿قد كنا﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿بل كنا ظالمين﴾ أنفسنا بتكذيبنا الرسل. ٩٨ ﴿إنكم﴾ يا أهل مكة ﴿وغيرها﴾ ﴿وما تعبدون من دون الله﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حصب جهنم﴾ وقودها ﴿أنتم لها واردون﴾ داخلون فيها. ٩٩ ﴿لو كان هؤلاء﴾ الأوثان ﴿آلهة﴾ كما زعمتم ﴿ما وردوها﴾ دخلوها ﴿وكل﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فيها خالدون﴾.

١٠٠ ﴿لهم﴾ للعابدين ﴿فيها زفير﴾ صوت شديد [يخرج من أجوافهم] ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ شيئاً لشدة غليانها.

١٠١ ونزل لما قال [عبد الله] بن الزبيري، [وكان

شديداً على المسلمين، ثم أسلم بعد فتح مكة]:
عَبْدُ عَزِيزٍ وَالْمَسِيحُ وَالْمَلَائِكَةُ فَهَمُّ فِي النَّارِ،
[أخرجه الحاكم عن ابن عباس، وذلك] على مقتضى ما تقدم: ﴿إن الذين سبقت لهم منا﴾ المنزل ﴿الحسن﴾ [أي: الجنة]، ومنهم من ذكر ﴿أولئك عنها﴾ [أي: عن النار] ﴿مبعدون﴾.

١٠٢ ﴿لا يسمعون حسيها﴾ صوتها، [و «الحسيس» هو: الصوت الخفي] ﴿وهم في ما اشتبهت أنفسهم﴾ من النعيم ﴿خالدون﴾.

١٠٣ ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وهو: أن يؤمر بالعبد [الكافر] إلى النار ﴿وتلقاهم﴾ تستقبلهم ﴿الملائكة﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ في الدنيا. ١٠٤ ﴿يوم﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً

قبله ﴿نطوي السماء كطي السجل﴾ اسم ملك ﴿للكتاب﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل» الصحيفة، و «الكتاب» بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على، [أي: كطي السجل على الكتاب]، وفي قراءة: «للكتب» جمعاً ﴿كما بدأنا أول خلق﴾ عن عدم «نعيد» بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ «نعيد»، وضميره عائد إلى «أول»، و «ما» مصدرية ﴿وعداً علينا﴾ منصوب بـ «وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكّد لمضمون ما قبله ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وعدنا.

١٠٥ ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ بمعنى: «الكتاب»، أي: كتب الله المنزل ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أن الأرض﴾ أرض الجنة^(١) ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾.

١٠٥ ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ بمعنى: «الكتاب»، أي: كتب الله المنزل ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أن الأرض﴾ أرض الجنة^(١) ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾.

(١) قوله: «أرض الجنة» إن تفسير «الأرض» بالجنة هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر رحمه الله، ولقد فسر بعضهم «الأرض» بالجنة في موضعين، هنا وفي آخر سورة «الزمر» ص ٦١٦ في قوله تعالى: ﴿وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ﴾، ولنا في تفسيرها وجه آخر، أرجع إليه في تعليقنا ص ٦١٦.

﴿إِنْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاغِ﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به. ١٠٧ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن، [رحمتهم] بك [دنيا وأخرى، قال ابن عباس: «كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به، سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق، وقيل: أراد بالعالمين: المؤمنين خاصة»]. ١٠٨ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: ما يوحى إلي في أمر الإله، إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ متقادون لما يوحى إلي، من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر، [أي: أسلموا]. ١٠٩ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذَنْتَكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول، أي: مستوين في علمه، لا أستبد به دونكم، لتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب، أو: القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله. ١١٠ ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعل، منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم، من السر. ١١١ ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي: ما أعلمتكم به، [من تأخير العذاب]، ولم يعلم وقته ﴿فَتَنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَكُمْ﴾ ليرى: كيف صنعكم؟ ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول، المترجى بـ «لعل» وليس الثاني محلاً للترجي، [أي: كون تأخير العذاب فتنة، هو المترجى بـ «لعل»، أما قوله: «وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»، فليس كذلك، لأنه واقع بالفعل]. ١١٢ ﴿وَقُلْ﴾ وفي قراءة: «قال» ﴿رَبِّ احْكُمْ﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم، فعذبوا بيدر، وأحد، وخنين، والأحزاب والخندق^(١)، ونصر عليهم ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولداً»، وعلي في قولكم: «ساحر»، وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴿١٠٩﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ أَذَنْتَكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴿١١١﴾ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١٤﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴿١١٥﴾ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٦﴾

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ فَلَانِيزَا وَأَنِّيَا لَهَا ثَانِيزَا وَسَكْبُجُون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

سُورَةُ الْحَجِّ

(مكية، إلّا: «ومن الناس من يعبد الله الآتين، أو إلّا: «هذان خصمان»، الست آيات^(٢) فمدنيات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: عقابه، بأن تطيعوه ﴿إِنْ زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ﴾

أي: الحركة الشديدة للأرض، التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، الذي هو قرب الساعة^(٣) شيء

(١) قوله: «والأحزاب والخندق»، يكفي الاختصار على إحدى الكلمتين لأنهما اسمان لوقعة واحدة.

(٢) قوله «الست آيات»، مخالف لقواعد اللغة، صوابه: «الست الآيات»، إذ لا يصح دخول «ال» على المضاف، فلا تجتمع «ال» والإضافة في الكلمة.

(٣) قوله: «الذي هو قرب الساعة»، وقال آخرون: الآيات تشير إلى هول وقوع وزلازل كائن يوم القيامة، بعد قيام الناس من القبور، واختاره ابن جرير، واستدلوا على ذلك بأحاديث تلاء النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد ذكرنا حديث الشيخين في تعليقنا ص ٤٣٠ — والحق الذي نراه في هذه المسألة جمعاً بين النصوص: أن الزلزلة هي ليوم القيامة، وأن تلك الأحوال تحل بالناس بعد بعثهم.

عظيم ﴿ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب .

٢ ﴿ يوم ترونها ﴾ [أي: الزلزلة] ﴿ تذهل ﴾ بسببها ﴿ كل مرضعة ﴾ بالفعل ﴿ عما أرضعت ﴾ أي: تنساه ﴿ وتضع كل ذات حمل ﴾ أي: حبلى ﴿ حملها وترى الناس سكارى ﴾ من شدة الخوف ﴿ وما هم بسكارى ﴾ من الشراب ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ فهم يخافونه . ٣ ونزل في النضر بن الحارث وجماعة: ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث، وإحياء من صار تراباً ﴿ ويتبع ﴾ في جداله ﴿ كل شيطان مريد ﴾ أي: متمرّد .

٤ ﴿ كتب عليه ﴾ قضى على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ أي: اتبعه ﴿ فإنه يضلّه ويهديه ﴾ يدعوه ﴿ إلى عذاب السعير ﴾ أي: النار .

٥ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿ إن كنتم في ريب ﴾ شك ﴿ من البعث فإننا خلقناكم ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ من تراب ثم ﴾ خلقنا ذريته ﴿ من نطفة ﴾ مني ﴿ ثم من علقه ﴾ وهي: الدم الجامد ﴿ ثم من مضغه ﴾ وهي: لحمة قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة ﴾ مصورة تامة الخلق، ﴿ وغير مخلقة ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿ لنبين لكم ﴾ كمال قدرتنا، لتستدلوا بها في ابتداء الخلق، على إعادته ﴿ ونقر ﴾ مستأنف^(١) ﴿ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ وقت خروجه، [فلا تسقطه قبل ذلك] ﴿ ثم نخرجكم ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ طفلاً ﴾ بمعنى: أطفالاً ﴿ ثم نعوّدهم ﴾ لتبلغوا أشدكم ﴿ أي: الكمال والقوة، وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴾ ومنكم من يتوفى ﴿ يموت قبل بلوغ الأشد ﴾ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴿ أخسّه، من الهرم والخرف ﴾ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴿ قال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يضر بهذه الحالة ﴾ وترى الأرض هامدة ﴿ يابسة ﴾ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ﴿ وتحركت ﴾ وريت ﴿ ارتفعت وزادت ﴾ وأنبئت

سُورَةُ الْحَاجِّ ٢٢

عَظِيمٌ ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنكُم مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ

٤٣٣

(١) قوله: «مستأنف» يعني به أن الواو استئنافية وليست عطفاً على «لنبين»، والمعنى: نجعل في هذا القرار المكين الذي هو الرحم ما نشاء، فإن لم نشأ لم يستقر في الرحم شيء، وإن أقررنا فيه شيئاً فالأجل، فمنه من يسقط، ومنه من يكمل أمره فيخرج حياً، قال قتادة: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرمل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» الحديث.. رواه الشيخان، قال ابن عباس: «فهذه أربعة أشهر، وفي الأيام العشرة بعدها ينفخ الملك الروح، فهذه عدة المتوفى عنها زوجها».

من ﴿زائدة﴾ كل زوج ﴿صنف﴾ بهيج ﴿حسن﴾.

٦ ﴿ذلك﴾ المذكور، من بدء خلق الإنسان، إلى آخر إحياء الأرض ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله هو الحق﴾ الثابت الدائم ﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾.

٧ ﴿وأن الساعة آتية لا ريب﴾ شك ﴿فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾.

٨ ونزل [في النضر بن الحارث أيضاً^(١)]، وقيل: [في أبي جهل، وأمثالهما من المعاندين والجاحدين]: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾ معه ﴿ولا كتاب منير﴾ له نور معه.

٩ ﴿ثاني عطفه﴾ حال، أي: لاوي عنقه، تكبراً عن الإيمان، و «العطف»: الجانب عن يمين أو شمال ﴿ليضل﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيل الله﴾ أي: دينه ﴿له في الدنيا خزي﴾ عذاب، فقتل [أبو جهل] يوم بدر ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أي: الإحراق بالنار، ويقال له:

١٠ ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ أي: قدمته، عبر عنه بهما دون غيرهما، لأن أكثر الأفعال تزاوَل بهما ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي: بذي ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١١ ﴿ومن الناس﴾^(٢) من يعبد الله على حرف ﴿أي: شك في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل، في عدم ثباته﴾ فإن أصابه خير ﴿صحة وسلامة، في نفسه وماله﴾ أطمأن به ﴿ورضي وأقام على دينه﴾ وإن أصابته فتنة ﴿محنة وسقم، في نفسه وماله﴾ انقلب على وجهه ﴿أي: رجع إلى الكفر﴾ خسر الدنيا ﴿بفوات ما أمله منها﴾ والآخره ﴿بالكفر﴾ ذلك هو الخسران المبين ﴿البين﴾. ١٢ ﴿يدعو﴾ يعبد ﴿من دون الله﴾ من الصنم ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق. ١٣ ﴿يدعو لمن﴾ السلام زائدة ﴿ضره﴾ بعبادته ﴿أقرب

الجزء السابع عشر

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١٢﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١٣﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٥﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَبْعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٧﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ

(١) قولنا: [في النضر بن الحارث أيضاً] هذا هو الصحيح من حيث سبب النزول، ولكن هذه الكلمات ليست موجودة في المخطوطات ولكنها مطبوعة في عدد من النسخ، على أنها من كلام الجلال المحلي رحمه الله، لذلك اعتمدنا ما في المخطوطات وأبقينا هذه الكلمات على أنها من إضافاتنا، لأنها ليست من كلام المؤلف، كما هو واضح من سياق تفسيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآية، أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل يقدم المدينة فيُسَلِّمُ، فإن ولدت امرأته غلاماً وتنجت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنج خيله، قال: هذا دين سوء، فأنزل الله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية.

من نفعه ﴿إِنْ نَفَعُ بِتَخِيلِهِ﴾ لبئس المولى ﴿هو﴾، أي: الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب هو.

١٤ وعَقَّبَ ذكر الشاك بالخسران، بذكر المؤمنين بالشواب في: ﴿إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إِنْ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

١٥ ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: [لَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ] محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته، يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به، بأن يقطع نفسه من الأرض، كما في «الصَّحاح»^(١) ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبْنَ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصره النبي ﴿مَا يَغِيظُ﴾ - منها؟ المعنى: فليختنق غيظاً منها، فلا بد منها.

سُورَةُ الْحَجَّ ٢٢

مِنْ نَفْعِهِ ١ لِبَيْسَ الْمَوْلَى وَلِبَيْسَ الْعَشِيرِ ٢ إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٣ إِنْ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٤ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبْنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ٥ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ٦ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنْ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ٧ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ٩ وَمَنْ يَنْ

١٦ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآيات السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هداة، معطوف على هاء: «أَنْزَلْنَاهُ».

١٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) والذين هادوا ﴿هَمَّ الْيَهُودِ وَالصَّابِغِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ﴾ والذين أشركوا إِنْ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿بِإِدْخَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةِ، وَإِدْخَالِ غَيْرِهِمُ النَّارِ﴾ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿مَنْ عَمَلُهُمْ شَهِيدٌ﴾ عالم به، علم مشاهدة.

١٨ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ﴾^(٣) له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴿أي: يخضع له بما يراد منه﴾ وكثير من الناس ﴿وهم: المؤمنون، بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة﴾ وكثير حق عليه العذاب ﴿وهم الكافرون، لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان﴾ ومن يهن

(١) قوله: «كما في الصَّحاح»، هو بفتح الصاد: اسم كتاب في اللغة للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

المشهور، قال في «مختار الصحاح»: لأن المختنق يمد السبب إلى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق، أي: يتدلى مرتفعاً عن الأرض، كما يُفَعَّلُ بالمشنوق في أيامنا، ومنه نقول: قطع الرجل، أي: شق نفسه، وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن كثير: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه وذيقه، فليقتل نفسه، إِنْ كَانَ ذَلِكَ غَائِظُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ لَا مُحَالَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾. ارجع إلى تفسير الآية «٦٢» من سورة «البقرة» المماثلة وتعليقنا عليها ص ١٢، حيث بينا المعنى ووجهناه توجيهاً صحيحاً، وبيننا من هم «الصابغة» على الصحيح.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ...﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «سجود التلاوة» ص ٢٢٦.

الله يُشَقِّهِ ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرُمْ﴾ مُسْعِدٌ ﴿إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْإِكْرَامِ.

١٩ ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ﴾^(١) أَي: الْمُؤْمِنُونَ خَصِمُ، وَالْكَافَرُ الْخَمْسَةُ^(٢) خَصِمٌ، وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ ﴿اخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أَي: فِي دِينِهِ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ يَلْبَسُونَهَا، يَعْنِي: أُحِيطَتْ بِهِمْ النَّارُ، [فَصَارَتْ لَهُمْ كَالْبِلَاسِ يَحِيطُ بِهَا] يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿الْمَاءُ الْبَالِغُ نَهَايَةَ الْحَرَارَةِ.

٢٠ ﴿يَصْهَرُ﴾ يَذَابُ ﴿بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ﴾ مِنْ شَحُومٍ وَغَيْرِهَا ﴿و﴾ تَشْوَى بِهِ ﴿الْجُلُودُ﴾^(٣).

٢١ ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لَضَرْبِ رُؤُوسِهِمْ.

٢٢ ﴿كَلِمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أَي: النَّارِ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يُلْحَقُهُمْ بِهَا ﴿أَعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إِلَيْهَا بِالْمَقَامِعِ ﴿و﴾ قِيلَ لَهُمْ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أَي: الْبَالِغُ نَهَايَةَ الْإِحْرَاقِ.

٢٣ وَقَالَ فِي الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنْ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ﴾ [زَائِدَةٌ، وَقِيلَ: تَبْعِيضِيَّةٌ] ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بِالْجَرِّ، أَي: مِنْهُمَا، بَأَن يَرِصَعُ الذَّهَبُ بِاللُّؤْلُؤِ، [أَوْ: أَسَاوِرَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا، وَرَجَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ]، وَبِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلٍّ: «مِنْ أَسَاوِرَ»، [أَي: يَحْلُونَ أَسَاوِرَ ذَهَبًا، وَأُخْرَى لُؤْلُؤًا، أَوْ: أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَحَلِيَّةٌ غَيْرُهَا مِنَ اللَّؤْلُؤِ] ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هُوَ الْمُحْرَمُ لِبَسُهُ^(٤) عَلَى الرِّجَالِ فِي الدُّنْيَا.

٢٤ ﴿وَهُدُوا﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وَهُوَ^(٥): «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أَي: طَرِيقِ اللَّهِ الْمَحْمُودِ وَدِينِهِ.

٢٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَتَهُ﴾ ﴿و﴾ عَنْ «الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ» مَنَسَكًا وَمَتَعْبَدًا، [أَي: مَكَانَ عِبَادَةٍ] «لِلنَّاسِ سِوَاءِ الْعَاكِفِ الْمَقِيمِ» فِيهِ وَالْبَادِ الطَّارِءُ ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ﴾ الْبَاءُ زَائِدَةٌ

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: «هَذَانِ خَصِمَانِ» الْآيَةُ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي: حَمْزَةٍ، وَعَبِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفِي: عَتَبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رِبْعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتَبَةَ، يَوْمَ بَرْزَا فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَالسَّتَةَ كُلَّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، ثَلَاثَةَ مُسْلِمِينَ، وَالثَّلَاثَةَ الْآخَرُونَ كَافِرُونَ قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ.

(٢) قَوْلُهُ: «وَالْكَافَرُ الْخَمْسَةُ» يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْمَلَلِ الْكَافِرِينَ الْخَمْسَةَ الْمَذْكُورِينَ فِي «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» الْآيَةِ ١٧ الَّتِي تَقَدَّمَتْ.

(٣) قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالْجُلُودُ» أَرْجَعَ إِلَى تَعْلِيلِنَا حَوْلَ «الْجُلُودِ» ص ١٠٩.

(٤) قَوْلُهُ: «هُوَ الْمُحْرَمُ لِبَسُهُ عَلَى الرِّجَالِ»، أَرْجَعَ إِلَى تَعْلِيلِنَا حَوْلَ «حُكْمِ لِبَسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ»، ص ٥٧٦.

(٥) رَوَى مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» مَرْسَلًا، وَالتِّرْمِذِيُّ، قَوْلُهُ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، يُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ الشَّيْخَيْنِ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» وَفِيهِ قَوْلُهُ ﷺ: «أَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ

اللَّهُ فَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾
* هَذَانِ خَصِمَانِ اخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كَلِمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ

﴿بظلم﴾ أي: بسببه، بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿نذقه من عذاب اليم﴾ مؤلم، أي: بعضه، ومن [جواب الشرط] هذا، يؤخذ خبر «إن»، أي: [إن الذين كفروا]، نذيقهم من عذاب اليم. ٢٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ بؤأنا﴾ بيئنا ﴿لإبراهيم مكان البيت﴾ [وأريناه أصله] لبينه، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي﴾ من الأوثان ﴿للقائمين والقائمين﴾ المقيمين به ﴿والركع السجود﴾ جمع راع وساجد، [أي: المصلين]. ٢٧ ﴿وآذن﴾ ناد ﴿في الناس بالحج﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: «يا أيها الناس، إن ريكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه، فأجيبوا ريكم»، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، فأجابه كلُّ مَنْ كَتَبَ له أن يحج، من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: «ليك

سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

بُظْلِمَ نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ الْيَمِ ٢٥ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦ وَآذِنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ٢٨ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ٣٠ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يَتَلَنَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ٣١ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ٣٢ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ

٤٣٧

اللهم ليك»، [قال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف]، وجواب الأمر: ﴿يأتوك رجالاً﴾ مشاة، جمع: «راجل»، كقائم وقيام ﴿و﴾ ركبناً ﴿على كل ضامر﴾ أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يأتين﴾ أي: الضوامر، حملاً على المعنى ﴿من كل فج عميق﴾ طريق بعيد. ٢٨ ﴿ليشهدوا﴾ أي: يحضروا ﴿منافع لهم﴾ في الدنيا بالتجارة، أو: في الآخرة، أو: فيهما، أقوال ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو: يوم عرفة، أو: يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، التي تنحر في يوم العيد وما بعده، من الهدايا والضحايا ﴿فكلوا منها﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ أي: الشديد الفقر. ٢٩ ﴿ثم ليقضوا نفثهم﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشعثهم، كطول الظفر ﴿وليوفوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ندورهم﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وليطوفوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بالبیت العتیق﴾ أي: القديم، لأنه أول بيت وُضِعَ. ٣٠ ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر، أو الشأن، ذلك المذكور ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ هي: ما لا يحل انتهاكه ﴿فهو﴾ أي: تعظيمها ﴿خير له عند ربه﴾ في الآخرة ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه، في: «حرمت عليكم المبة» الآية، فلا استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عَرَضَ، من الموت ونحوه ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ «من» للبيان، أي: الذي هو الأوثان ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أي: الشرك بالله في تلييتهم، أو: شهادة الزور.

٣١ ﴿حنفاء لله﴾ مسلمين، عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غير مشركين به﴾ تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ﴾ سقط ﴿من السماء فتخطفه الطير﴾ أي: تأخذه بسرعة

﴿أو تهوى به الريح﴾ أي: تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ بعيد، أي: فلا يرجى خلاصه [مما وقع فيه، أي: وكذلك الكافر، يهوى به كفره في النار، خالداً فيها أبداً].

٣٢ ﴿ذلك﴾ يقدر قبله: «الأمر» مبتدأ، [أي: الأمر ذلك] ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها﴾ أي: فإن تعظيمها — وهي البدن التي تهدي للحرم — بأن تُسْتَحْسَنَ وتُسْتَسَمَّنَ ﴿من تقوى القلوب﴾ منهم، وسميت «شعائر»، لإشعارها بما تُعَرَّفُ به أنها هُذَي، كطعن حديدة بسنامها.

٣٣ ﴿لكم فيها منافع﴾ كركوبها، والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقت نحرها ﴿ثم محلها﴾ أي: مكان جلّ نحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي: عنده، والمراد الحرم جميعه.

٣٤ ﴿ولكل أمة﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكاً﴾ بفتح السين مصدر، وبكسرهما اسم مكان، أي: ذبحاً قرباناً، أو: مكانه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها ﴿فإلهكم إله واحد﴾ فله أسلموا ﴿انقادوا﴾ وبشر المخبتين ﴿المطيعين المتواضعين﴾.

٣٥ ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت﴾ خافت ﴿قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلياء ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون.

٣٦ ﴿والبدن﴾ جمع «بدنة»، وهي: الإبل ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أعلام دينه ﴿لكم فيها خير﴾ نفع في الدنيا كما تقدم، وأجر في العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها ﴿صواف﴾ قائمة على ثلاث، معقولة، [أي: مربوطة] اليد اليسرى ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر، وهو وقت [جواز] الأكل منها ﴿فكلوا منها﴾ إن شئتم ﴿وأطعموا القانع﴾ الذي يقنع بما يُعطى، ولا يسأل، ولا يتعرض ﴿والمعتز﴾ السائل، أو المتعرض ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك التسخير ﴿سخرناها لكم﴾ بأن تُنحر وتُركب، وإلا لم تُطَقَّ ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي: يرفع إليه منكم، العمل الصالح الخالص له، مع الإيمان.

أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ ۖ الْأَنْعَامِ ۖ فَالْهَيْكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ فَلهُ اسْلَمُوا ۖ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ

٣٧ ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ (١) أي: لا يُرْفَعَانِ إِلَيْهِ ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ أي: يرفع إليه منكم، العمل الصالح الخالص له، مع الإيمان.

(١) قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا...﴾ الآية، فيه رد على من يعتبر ما يُذبح في الحج، هدراً للحم وإضاعة للمال، وهم مخطئون في ذلك، لأن العبادة عمل تعبدي بحت، لا يرجع فيها إلى العقل إلا إذا كان المعقول منها واضحاً، فالأضحية تكليف أي: عبادة، والعبادة لا توزن بالحم والدم بل بالتقوى، أي: بالامتثال لأمر الله تعالى من دون تردد ولا تحرج.

﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أرشدكم لمعالم دينه، ومناسك حجه ﴿وبشر المحسنين﴾ أي: الموحدين. ٣٨ ﴿إن الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ غوائل المشركين، [وفي قراءة: «يدافع»] ﴿إن الله لا يحب كل خوان﴾ في أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته، وهم المشركون، المعنى: أنه يعاقبهم.

٣٩ ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي: للمؤمنين أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد، [وهي ناسخة للمنع عن القتال] ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

٤٠ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إلا أن يقولوا﴾ أي: بقولهم ﴿ربنا الله﴾

وحده، وهذا القول حق، فالإخراج به، إخراج بغير حق، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ بدل «بعض من الناس» «ببعض» [أي: لولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين، من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك في كل زمن و] «لهدمت» بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف «صوامع» للربان «وبيع» كنائس للنصارى «وصلوات» كنائس لليهود بالعبرانية «ومساجد» للمسلمين «يذكر فيها» أي: المواضع المذكورة^(١) «اسم الله كثيراً» وتقطع العبادات بخرابها «ولينصرن الله من ينصره» أي: ينصر دينه ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه «عزيز» منيع في سلطانه وقدرته.

٤١ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ بنصرهم على عدوهم «أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» جواب الشرط، وهو وجوابه، صلة الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ، «ولله عاقبة الأمور» أي: إليه مرجعها في الآخرة.

٤٢ ﴿وإن يكذبوك﴾ [فيه تسلية للنبي ﷺ] «فقد كذبت قبلهم قوم نوح» تأنيث «قوم» باعتبار المعنى «وعاد» قوم «هود» «وتمود» قوم «صالح».

٤٣ ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط﴾.

سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودُ ﴿٣٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٣٣﴾

(١) قوله: «أي: المواضع المذكورة»، هذا على القول بأن الضمير في قوله تعالى: «فيها» يعود على المواضع

المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يُحمل المعنى، على ما قبل تحريف الأسم السابقة دينهم، فيكون المعنى: ولولا هذا الدفع بالقتال المفروض على المؤمنين، لهدمت في زمن موسى الصلوات، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد، وهي كلها يذكر فيها اسم الله كثيراً، لأنها كانت وقتها يعبد فيها الله وحده، وصوب هذا التأويل ابن عطية. وهناك قول آخر: بإعادة الضمير على «المساجد» فقط، قال النحاس: الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر، أن يكون الضمير عائداً على المساجد لا على غيرها، لأن الضمير يليها، - أي: يرجع إلى أقرب المذكورات - وصوب هذا القول ابن جرير، ولا تنافي بين هذا القول والذي قبله، على النحو الذي وجهناه وبيناه، أما القول بأن «البيع» والصلوات، تعني: ما اتخذته اليهود والنصارى، مما هو معروف في أيامنا، فهو غير صحيح، لأن «الكنائس» و«الكُتُس»، لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتتزيه، كما يجب أن يذكر.

٤٤ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم «شعيب» ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ كَذَّبَهُ الْقَبْطُ [فَرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ]، لَا قَوْمَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَي: كَذَّبَ هَؤُلَاءِ رُسُلَهُمْ، فَلَكَ أَسْوَأُ بِهِمْ ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أَمَلَيْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِقَابِ لَهُمْ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَي: إِنكَ أَرَى عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ، بِإِهْلَاكِهِمْ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، أَي: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقَعُهُ.

٤٥ ﴿فَكَأَيْنَ﴾ أَي: كَمْ ﴿مَنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: «أَهْلَكْنَاهَا»، [وَالْقِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ] ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أَي: أَهْلَاهَا [ظَالِمُونَ] بِكُفْرِهِمْ ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ سَاقِطَةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سَقُوفُهَا ﴿وَوَيْلٌ لِّمَنْ يَبْرُءُ مَعْطَلَةٌ﴾ مَتْرُوكَةٌ بِمَوْتِ أَهْلِهَا ﴿وَقَصِرَ مَشِيدُ﴾ رَفِيعُ خَالٍ بِمَوْتِ أَهْلِهِ.

الْحَزْنُ عَلَى مَا كَانَ

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ فَكَأَيْنَ مَنْ
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
وَبُيُوتٌ مُّعْتَطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدُ ﴿٤٦﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
فِي الصُّدُورِ ﴿٤٧﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعْدُونَ ﴿٤٨﴾
وَكَأَيْنَ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا
وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٩﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُرْ
نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ

٤٦ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أَي: كَفَارُ مَكَّةَ [وغيرهم] ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ مَا نَزَلَ بِالْمَكْذِبِينَ قَبْلَهُمْ ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أَخْبَارُهُمْ، بِالْإِهْلَاكِ وَخَرَابِ الدِّيارِ، فَيَعْتَبِرُوا؟ ﴿فَإِنَّهَا﴾ أَي: الْقِصَّةُ ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [عَنِ دَرْكِ الْحَقِّ وَالِاعْتِبَارِ] ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ ^(١) [وَهَذَا هُوَ الْعَمَى الْمَهْلِكُ، وَقَوْلُهُ:] ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تَأْكِيدٌ.

٤٧ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ، فَأَنْجِزْهُ يَوْمَ «بَدْرٍ» ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، بِسَبَبِ الْعَذَابِ ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعْدُونَ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ، فِي الدُّنْيَا.

٤٨ ﴿وَكَأَيْنَ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ الْمُرَادُ: أَهْلَاهَا ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ الْمَرْجِعِ.

٤٩ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ [وغيرهم] ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بَيْنَ الْإِنْذَارِ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

٥٠ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

٥١ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ الْقُرْآنَ بِإِبْطَالِهَا ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ، أَي: يَنْسُبُونَهُمْ إِلَى الْعَجْزِ، وَيَبْطُونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، أَوْ: مُقَدَّرِينَ عَجَزْنَا عَنْهُمْ، وَفِي قِرَاءَةٍ: «مُعَاجِزِينَ»، [أَي:] مُسَابِقِينَ لَنَا، يَظُنُّونَ أَنَّ يَفُوتُونَا، بِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَالْعِقَابَ.

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾، هُوَ تَصْحِيحٌ لِمَفَاهِيمٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ عَلِقَتْ فِي أَذْهَانِ أَكْثَرِ النَّاسِ، فَهَمَّ فِي الْعَادَةِ يَرُونَ أَنَّ «الْعَمَى» هُوَ: فَقْدُ الْبَصَرِ، وَلَا يَشِيرُ أَهْتِمَامُهُمْ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: تَفْسِيرُ النَّبِيِّ ﷺ «الْغِنَى» بِقَوْلِهِ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ - أَي: الْمَالِ - وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»، وَتَفْسِيرُهُ ﷺ: «الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ» بِقَوْلِهِ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالضَّرْعَةِ - أَي: مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ - إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»، رَوَاهُمَا الشَّيْخَانِ.

﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ النار. ٥٢ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ هو: ﴿نبي أمر بالتبليغ﴾، [أي: بتبليغ شره هو إلى الناس] ﴿ولا نبي﴾ [قبل] أي: لم يؤمر بالتبليغ، [والصحيح: أن النبي مأمور بتبليغ شر الرسول، والدليل على هذا، أن كثيراً من الأنبياء قُتلوا فلم يبلغوا الناس ويعارضوهم، لما قتلوهم] ﴿إلا إذا تمنى﴾ قرأ ﴿القي الشيطان في أمنيه﴾ قراءته، ما ليس من القرآن، مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ^(١) في سورة «النجم»، بمجلس من قريش، بعد: «أفرايتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى»، بإلقاء الشيطان على لسانه، من غير علمه ﷺ: «تلك الغرائق العلا، وإن شفاعتهن لثرتجي»، وفرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل، بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن، فسُلي بهذه الآية، [وهذه رواية لا أصل لها، اقرأ التعليق] ﴿فينسخ الله﴾ يبطل ﴿ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ يشنها ﴿والله عليم﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حكيم﴾ في تمكينه منه، يفعل ما يشاء. ٥٣ ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ محنة ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي: المشركين، عن قبول الحق ﴿وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿لفي شقاق بعيد﴾ خلاف طويل، مع النبي ﷺ والمؤمنين، حيث جرى على لسانه، ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك [اقرأ التعليق].

٥٤ ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ التوحيد والقرآن ﴿أنه﴾ أي: القرآن ﴿الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت﴾ تطمئن ﴿له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ أي: دين الإسلام. ٥٥ ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ شك ﴿منه﴾ أي: القرآن، بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي: ساعة موتهم، أو: القيامة فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ هو يوم بدر، لا خير فيه للكفار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو: هو يوم القيامة، لا ليل له.

٥٦ ﴿الملك يومئذ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الله﴾ وحده، وما تضمنه من [معنى] الاستقرار [المقدر]، ناصب للظرف ﴿يحكم بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين، بما بين بعده ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾

٥٧ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب﴾

سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥١ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٣ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٥٥ أَلَمْ لِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) قوله: «وقد قرأ النبي ﷺ... إلخ» وما تبع ذلك من تفسير، هو كلام باطل، ما كان ينبغي للجلال المحلي أن ينقله هكذا من غير بيان، فلقد اتفق جمهور العلماء على أن قصة الغرائق هذه باطلة متناً، ولا أصل لها سنداً، قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي: غير ثابتة نقلاً، ورواها مطعونون، وردّها رداً شديداً القاضي عياض في «الشفاء»، وأبو بكر ابن العربي، وابن كثير، والرازي، وغيرهم، أما الحافظ ابن حجر فقال: وإذا سلمنا أن لها أصلاً وجب تأويلها، وأحسن ما قيل في ذلك: أن الشيطان نطق بتلك الكلمات في أثناء قراءة =

مهمين ﴿ شديداً بسبب كفرهم . ٥٨ ﴾ والذين هاجروا في سبيل الله ﴿ أي : طاعته ، من مكة إلى المدينة ﴾ ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً ﴿ هو رزق الجنة ﴾ وإن الله لهو خير الرازقين ﴿ أفضل المعطين .

٥٩ ﴿ ليدخلنهم مدخلا ﴾ بضم الميم وفتحها ، أي : إدخالاً أو : موضعاً ﴿ يرضونه ﴾ وهو الجنة ﴿ وإن الله لعليم ﴾ بنياتهم ﴿ حلیم ﴾ عن عقابهم .

٦٠ الأمر ﴿ ذلك ﴾ الذي قصصناه عليك ﴿ ومن عاقب ﴾ جازى من المؤمنين ﴿ بمثل ما عوقب به ﴾ ظلماً من المشركين ،

أي : قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرم ﴿ ثم بغي عليه ﴾ منهم ، أي : ظلم بإخراجه من منزله ﴿ لينصرنه الله إن الله لعفو ﴾ عن المؤمنين ﴿ غفور ﴾ لهم عن قاتلهم في الشهر الحرام .

٦١ ﴿ ذلك ﴾ النصر ﴿ بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي : يدخل كلا منهما في الآخر ، بأن يزيد به ، وذلك من أثر قدرته تعالى ، التي بها النصر ﴿ وأن الله سميع ﴾ دعاء المؤمنين ﴿ بصير ﴾ بهم ، حيث جعل فيهم الإيمان ، فأجاب دعاءهم .

٦٢ ﴿ ذلك ﴾ النصر أيضاً ﴿ بأن الله هو الحق ﴾ الثابت ﴿ وأن ما يدعون ﴾ بالياء والتاء ، يعبدون ﴿ من دونه ﴾ وهو : الأصنام ﴿ هو الباطل ﴾ الزائل ﴿ وأن الله هو العلي ﴾ أي : العالي على كل شيء بقدرته ﴿ الكبير ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه .

٦٣ ﴿ ألم تر ﴾ تعلم ﴿ أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ مطراً ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ بالنبات ، وهذا من أثر قدرته ﴿ إن الله لطيف ﴾ بعباده ، في إخراج النبات بالماء ﴿ خبير ﴾ بما في قلوبهم ، عند تأخير المطر .

٦٤ ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ على جهة الملك ﴿ وإن الله لهو الغني ﴾ عن عباده ﴿ الحميد ﴾ لأوليائه .

٦٥ ﴿ ألم تر ﴾ تعلم ﴿ أن الله سخر لكم ما في الأرض ﴾ من البهائم ﴿ والفلك ﴾ السفن ﴿ تجري

الْبَيْتُ الثَّانِي عَشَرَ

مُهَيِّنٌ ﴿ ٥٧ ﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِيرِزْقَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴿ ٥٨ ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿ ٥٩ ﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضُونَهُ ﴿ ٦٠ ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿ ٦١ ﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴿ ٦٢ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿ ٦٣ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿ ٦٤ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ ٦٥ ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴿ ٦٦ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿ ٦٧ ﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿ ٦٨ ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي

النبي ﷺ ، عند سكتة من السكتات محاكياً نعمته ،

فسمعا القريب منه ، فظنها من قوله وأشاعها اهـ . وهذا وجه ذكره أبو جعفر النحاس في « ناسخه » قال : فالقى الشيطان هذا ، في تلاوة النبي ﷺ من غير أن ينطق به النبي ﷺ ، والدليل على هذا أن ظاهر القرآن كذا ، وأن الثقات من أصحاب السير كذا يروون اهـ . ومما قاله البغوي في إجاباته : إن الشيطان أوقع في سامع المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ ، وليس كذلك في نفس الأمر .

فعلى قول الجمهور بطلان قصة الغرائق المزعومة من أساسها ، وهو الذي نجزم به ونعتقد ، يكون معنى الآيات كما يلي : كان الشيطان يلقي في قراءة كل رسول ربي ، ومنهم النبي محمد ﷺ ولكن الله تعالى يبطل ما يلقيه الشيطان ، وقد شاء الله تعالى ذلك ، ليكون امتحاناً للمنافقين والمشركين ، وزيادة يقين للمؤمنين بما جاءهم من الحق ، أما : ماذا ألقى الشيطان في أمنية كل واحد منهم ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ فلم يشب بيانه بنص ، ولا هو مما يجوز القول فيه بالرأي ، فلذلك نسك قائلين : الله أعلم .

في البحر ﴿لِلرَّكُوبِ وَالْحَمَلِ﴾ بِأَمْرِهِ ﴿يَاذَنُ﴾ وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ ﴿مِنْ﴾ أَنْ ﴿أَوْ ثَلَاثًا﴾ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿فَتَهْلِكُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿فِي التَّسْخِيرِ وَالْإِمْسَاكِ﴾.

٦٦ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بِالْإِنشَاءِ، [وَالْخَلْقِ أَوَّلَ مَرَّةٍ] ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ عِنْدَ الْبَعْثِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أَيِ: الْمَشْرُكَ ﴿لَكَفُورٌ﴾ لِنِعْمِ اللَّهِ، بِتَرْكِهُ تَوْحِيدِهِ.

٦٧ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بَفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِهَا، [أَيِ:] شَرِيعَةً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عَامِلُونَ بِهِ ﴿فَلَا يَنَازِعُنَكَ﴾ يَرَادُ بِهِ: لَا تَنَازَعُهُمْ، [وَهَذَا الْمَعْنَى يَجْرِي فِي بَابِ الْمَفَاعَلَةِ فَقَطْ، وَقَدْ نَازَعُوهُ هُمْ، فَنَهَى عَنْ مَنَازَعَتِهِمْ] ﴿فِي الْأَمْرِ﴾

أَيِ: [فِيمَا نَشَرُّهُ لَأَمْتِكَ، فَقَدْ كَانَتْ الشَّرَائِعُ فِي كُلِّ عَصْرٍ، فَلَيْسَ شَرْعُكَ بَدْعًا مِنَ الشَّرَائِعِ، أَيِ: دَعِ كُفَارَ مَكَّةَ، وَلَا تَنَازَعُهُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ، أَوْ: فِي] أَمْرِ الذَّبِيحَةِ، إِذْ قَالُوا^(١): مَا قَتَلَ اللَّهُ، أَحَقُّ أَنْ تَأْكُلُوهُ، مِمَّا قَتَلْتُمْ ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَيِ: إِلَى دِينِهِ ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى دِينٍ﴾ مُسْتَقِيمٌ ﴿مَوْصِلٌ إِلَى الْمَقْصُودِ﴾.

٦٨ ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾^(٢) [أَيِ: مَشْرَكُوا مَكَّةَ وَخَاصِمُوكَ]، فِي أَمْرِ الدِّينِ ﴿فَقُلْ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ﴾، فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، [أَيِ: لَا تَجِبُهُمْ، لِأَنَّهُ لَا جَوَابَ لِمَا لَصَّاحِبِ الْعِنَادِ]، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

٦٩ ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أَيِهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿بَانَ يَقُولُ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، خِلَافَ قَوْلِ الْآخَرِ﴾.

٧٠ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الْاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

٧١ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أَيِ: الْمَشْرُكُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ﴾ هُوَ: الْأَصْنَامُ ﴿سُلْطَانًا﴾ حُجَّةٌ ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أَنَّهَا آلِهَةٌ، [أَيِ:] سَهْلٌ.

عَبَدُوهَا تَقْلِيدًا لِآبَائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ، فَلِذَلِكَ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بِالْإِشْرَاقِ ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يَمْنَعُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ.

٧٢ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظَاهِرَاتٍ، حَالٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٢﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) قوله: «إِذْ قَالُوا»، قَاتَلَ ذَلِكَ هُمْ مَشْرَكُوا مَكَّةَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ هُمْ: الْيَهُودُ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي تَعْلِيقِنَا ص ١٨٢.

(٢) قوله تعالى: «وَإِنْ جَادَلُوكَ»، أَرْجِعْ إِلَى تَعْلِيقِنَا حَوْلَ «الْجَدَلِ» ص ٢٨٩.

المنكر أي: الإنكار لها، أي: أثره من الكراهة والعبوس ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم؟ هو: ﴿النار وعدّها الله الذين كفروا﴾ بأنّ مصيرهم إليها ﴿وبئس المصير﴾ هي.

٧٣ ﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿ضرب مثل فاستمعوا له﴾ وهو ﴿إن الذين تدعون تعبدون﴾ من دون الله أي: غيره، وهم: الأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ اسم جنس، واحده «ذبابة»، يقع على المذكر والمؤنث ﴿ولو اجتمعوا له﴾ [أي:]

لخلقه ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ مما عليهم، من الطيب والزعفران، الملطخين^(١) به ﴿لا يستنقذوه﴾ لا يستردوه منه ﴿لعجزهم، فكيف يُعبدون شركاء الله تعالى؟ وهذا أمر مستغرب، عبّر عنه بضرب مثل ﴿ضعف الطالب﴾ العابد ﴿والمطلوب﴾ المعبود.

٧٤ ﴿ما قدروا الله﴾ عظموه ﴿حق قدره﴾ عظمنه، إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتتصف منه ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ غالب.

٧٥ ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ رسلاً، نزل لما قال المشركون: «أنزل عليه الذكر من بيننا؟»: ﴿إن الله سميع عليم﴾ لمقالاتهم ﴿بصير﴾ بمن يتخذه رسلاً، كجبريل وميكائيل [من الملائكة]، وإبراهيم ومحمد [من الناس]، وغيرهم صلى الله عليهم وسلم.

٧٦ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بَعْدُ ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾.

٧٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي: صلّوا ﴿واعبدوا ربكم﴾ وحدوه ﴿وافعلوا الخير﴾ كصلة الرحم، ومكارم الأخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون، بالبقاء في الجنة.

٧٨ ﴿وجاهدوا في الله﴾ لإقامة دينه ﴿حق جهاده﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب «حق» على المصدر، [وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: جهاداً حقاً] ﴿هو اجنباكم﴾ اختاركم لدينه ﴿وما جعل

(١) قوله: «الملطخين به» هو هكذا في المخطوطة الثانية وهو الصواب، وفي المخطوطتين الآخرين، وبعض النسخ المطبوعة: «الملطخون به»، وقد استشكله الصاري في حاشيته قائلاً: المناسب أن يقول: «الملطخين به» لأنه نمت سبيي للطيب والزعفران، فكلام الصاري قريب مما في المخطوطة الثانية التي اعتمدناها في التفسير.

الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا
قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٧٣ يَأَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ ٧٤ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ٧٥ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْعًا
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ٧٦
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٧٧ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٨
يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ٧٩ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ٨٠ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ٨١ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٨٢ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٨٣
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ٨٤ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ

عليكم في الدين من حرج ﴿أي: ضيق﴾، بأن سهله عند الضرورات، كالقصر [في الصلاة]، والتميم، وأكل الميتة، والفطر [في رمضان] للمرض والسفر ﴿ملة أبيكم﴾ منصوب بنزع الخافض: الكاف، [أي: كملة أبيكم] ﴿إبراهيم﴾ عطف ببيان ﴿هو﴾ أي: الله، ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وفي هذا﴾ أي: القرآن [وقيل: ﴿هو سماكم﴾ أي: إبراهيم، والصواب الأول] ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ يوم القيامة، أنه بلغكم ﴿وتكونوا﴾ أنتم ﴿شهداء على الناس﴾ أن رسلهم بلغتهم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ داوموا عليها ﴿وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ ثقوا به ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فنعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ أي: الناصر لكم.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ٢٣

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۚ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ﴾

(مكية مائة وثمانين، أو:
وتسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿أفلح﴾ فاز ﴿المؤمنون﴾^(١).

٢ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ متواضعون، [خاضعون ظاهراً وباطناً، فالخشوع الظاهري، هو: التمسك بآداب الصلاة، وعدم العبث فيها، والخشوع الباطني، هو: استحضار عظمة الله تعالى].

٣ ﴿والذين هم عن اللغو﴾ من الكلام وغيره ﴿معرضون﴾ [قال الحسن البصري: «اللغو»: المعاصي كلها، قال القرطبي: فهذا قول جامع، يدخل فيه قول من قال: هو الشرك، وقول من قال: هو الغناء، وما لا فائدة فيه، من الأقوال والأفعال].

٤ ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ مؤدون. ٥ ﴿والذين هم لفروجهم

(٢٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

(١) قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآيات العشر، أخرج الإمام أحمد والترمذي - واللفظ له - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي، سَمِعَ عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً، فمكثنا ساعة فسرّني عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا» ثم قال: «أنزل عليّ عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى ختم عشر آيات.

حافظون ﴿٦﴾ إلا على أزواجهم ﴿٦﴾ أي: من زوجاتهم ﴿٦﴾ أو ما ملكت أيمنهم ﴿٦﴾ أي: السراي ﴿٦﴾ فإنهم غير ملومين ﴿٦﴾ في إتيانهم، [بل يكون لهم أجر، روى مسلم من حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «وفي بضع — أي: جماع — أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، يأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟]. قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر»]. ٧ ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ من الزوجات والسراي، كالاتمئاء بيده ^(١) ﴿فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم. ٨ ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ جمعاً ومفرداً، [قراءتان] ﴿وعهدهم﴾ فيما بينهم، أو: فيما بينهم وبين الله، من صلاة وغيرها ﴿راعون﴾ حافظون. ٩ ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ جمعاً ومفرداً ﴿يحافظون﴾ يقيمونها في أوقاتها. ١٠ ﴿أولئك هم الوارثون﴾ لا غيرهم. ١١ ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو: جنة أعلى الجنان، [ففي صحيح مسلم، قوله ﷺ: «فإذا سألتم الله، فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، ومنه تَجْرُ أنهار الجنة»] ﴿هم فيها خالدون﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بعده.

الجزء الثاني عشر

حَفِظُونَ ۖ ﴿٦﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ ﴿٧﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۖ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۖ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۖ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ۖ ﴿١٥﴾ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ۖ ﴿١٦﴾ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ۖ ﴿١٧﴾ فَكَسَوْنَا الْإِطْفَاقَ لَحْمًا ۖ ﴿١٨﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ۖ ﴿١٩﴾ آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۖ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۖ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ۖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ

١٢ ﴿و﴾ الله ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ آدم ﴿من سلالة﴾ هي: من سَلَلَت الشيء من الشيء، أي: استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿من طين﴾ متعلق بـ «سلالة». ١٣ ﴿ثم جعلناه﴾ أي: الإنسان، نسل آدم ﴿نطفة﴾ منياً ﴿في قرار مكين﴾ هو الرحم، [ويبقى أربعين يوماً كذلك]. ١٤ ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ دماً جامداً، [ويبقى أربعين يوماً كذلك] ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ لحمه قدر ما يُمضغ، [ويبقى أربعين يوماً كذلك] ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ وفي قراءة: «عظماً»، في الموضعين، [أي: «عظماً» و«العظم»]، و«خلقنا» في المواضع الثلاثة بمعنى: صيرنا ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أي: المقدرين، ومميز «أحسن»، محذوف للعلم به، أي: [أحسنهم] خلقاً.

١٥ ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ [أي: بعد انقضاء آجالكم] ﴿لميتون﴾.

١٦ ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ للحساب والجزاء. ١٧ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أي: سماوات، جمع «طريقة»، [لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملائكة] ﴿وما كنا عن الخلق﴾ تحتها

(١) قوله: «كالاتمئاء بيده»، الاتمئاء هو: «استفعال» من المني، أي: استخراج المني بالعَيْث، وهو عمل مؤذ يضر الفاعل في نفسه وصحته، وقد حرمه أكثر العلماء، ولكي يتلافى الإنسان الوقوع في «العادة السرية» السيئة المضرة هذه، عليه: أن لا يأري إلى فراشه إلا عندما يشعر بغلبة النوم، وأن ينهض من فراشه بعد النوم مسرعاً، وأن يفض بصره عن المحرمات، وأن لا يقرأ الكتب أو المقالات المشيرة للشهوة، وأن يكثر من الصيام وقراءة القرآن، والمستعان بالله.

﴿غافلين﴾ أن تسقط عليهم، فتهلكهم، بل نمسكها كآية: «ويمسك السماء أن تقع على الأرض».

١٨ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم، [أي: على مقدار مصلح، لأنه لوكثر لأهلك] ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ فيموتون مع دوابهم عطشاً.

١٩ ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفاً وشتاءً.

٢٠ ﴿و﴾ ﴿أَنْشَأْنَا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾

جبل، بكسر السين وفتحها، ومُنْعَ الصَّرْفُ، للعلمية والتأنيث للبقعة، [أي: لأنه اسم علم، على البقعة التي فيها جبل الطور] ﴿تَنْبُتُ﴾ [بضم التاء وكسر الباء]، من الرباعي «أَنْبَتَ»، و[في قراءة: بفتح التاء وضم الباء، من] الثلاثي «نَبَتَ»، «بِالدهن» «الباء» زائدة على الأول، ومعذبة على الثاني، وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَبَّغُ لِلْأَكْلِينَ﴾ عطف على «الدهن»، أي: إدام، يصبغ اللقمة بغمسها فيه، وهو: الزيت.

٢١ ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةٌ﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نَسْقِيكُمْ﴾ بفتح النون وضمها ﴿مِمَّا فِي بَطُونِهَا﴾ أي: اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار، وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [أي: لحومها].

٢٢ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل ﴿وَعَلَى الْفَلَكَ﴾ أي: السفن ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

٢٣ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أطيعوه ووحده ﴿مَّا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهو [أي: «إله»] اسم «ما»^(١)، وما قبله، [أي: «لكم»]، الخبر، و«من» زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته، بعبادتكم غيره؟.

٢٤ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لأتباعهم ﴿مَّا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [أي: «إن هو»] إلا بهذا الذي دعا إليه نوح، من التوحيد ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٥ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا

غَفِيلِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَبَّغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكَ تَحْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ - أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) قوله: «اسم ما» هذا وجه ضعيف في الإغراب، والصحيح أن «ما» هنا مهملة، لم تعمل عمل «ليس»، بسبب تقدم الخبر على المبتدأ، أي: هي نافية فقط، فـ «إله» مبتدأ مجرور لفظاً بحركة حرف الجر الزائد، مرفوع محلاً، وما قبله الخبر، كقوله: «وما من إله إلا الله» وقوله تعالى: «غيره»: فيه قرأتان سبعيتان، بالرفع بدل من محل «إله»، - ومحل رفعه بالابتداء - وبالحرف صفة له مراعاة للفظ.

رجل به جنة ﴿فترى صوا به﴾ انتظروه ﴿حتى حين﴾ إلى زمن موته. ٢٦ ﴿قال﴾ نوح ﴿رب انصرنى﴾ عليهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم. ٢٧ قال تعالى مجيباً دعاءه: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ووحينا﴾ أمرنا ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ يهلكهم ﴿وفار التتور﴾ للخياز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فأسلك فيها﴾ أي: أدخل في السفينة ﴿من كل زوجين﴾ [بإضافة «كل»]، أي: ذكر وأنثى، أي: من كل أنواعهما، [أحمل] ﴿اثنين﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول، و «من» متعلقة بـ «أسلك»، وفي القصة: أن الله تعالى، حشر لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر، واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة، وفي قراءة: «كل» بالثنيين، فـ «زوجين» مفعول، و «اثنين» تأكيد له ﴿و﴾ [أسلك فيها] ﴿أهلك﴾ زوجته وأولاده ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ بالإهلاك، [فلا تحمله فيها]، وهو: زوجته وولده «كنعان»^(١) [الكافران]، بخلاف «سام وحام ويافت»، فحملهم وزوجاتهم^(٢) الثلاثة، وفي سورة «هود»: ﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾، قيل: كانوا ستة رجال ونساء هم، وقيل: جميع من كان في السفينة، ثمانية وسبعون، نصفهم رجال، ونصفهم نساء ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ كفروا [من أهلك وقومك]، بترك إهلاكهم ﴿إنهم مغرورون﴾ ٢٨ ﴿فإذا استويت﴾ اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ الكافرين، وإهلاكهم، [أي: ونجانا مما أهلكهم به]. ٢٩ ﴿وقل﴾ عند نزولك من الفلك ﴿رب أنزلني مثزلاً﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، ويفتح الميم وكسر الزاي: مكان النزول ﴿مباركاً﴾ ذلك الإنزال، أو: المكان ﴿وأنت خير المنزلين﴾ ما ذكر. ٣٠ ﴿إن في ذلك﴾ المذكور، من أمر نوح والسفينة، وإهلاك الكفار ﴿آيات﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وإن﴾ مخفية من الثقبلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كنا لمبتلين﴾ مختبرين قوم نوح، بإرساله إليهم ووعظه. ٣١ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً﴾ قوماً ﴿آخرين﴾ هم عاد^(٣). ٣٢ ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً﴾ هوداً ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ عقابه، فتؤمنون؟ ٣٣ ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا ببقاء الآخرة﴾ بالمصير إليها ﴿وأترفناهم﴾ نعمناهم

الْبَيْتُ الْفُلْكَ الْعِشْرَةِ

رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينَ ٢٥ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ٢٦ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٨ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ٣٠ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ٣٢ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٣ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ

(١) قوله: «كنعان»، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣١٥.

(٢) قوله: «وزوجاتهم الثلاثة» - بالناء -، هو هكذا في إحدى المخطوطات، وفي المخطوطتين والنسخ المطبوعة: «ثلاثة» بلا «أل»، ولعله: «وزوجاتهم الثلاث» على القاعدة، كما جاء مصرحاً به في مثل هذه العبارة في تفسير الآية ٢٦ من سورة «هود» ص ٢٩٠، وإن اعتبرت «ثلاثة» مقطوعة عما قبلها أي: لم يذكر معها معدودها، فإن تأنيثها أيضاً خلاف الفصحح.

(٣) قوله: «هم عاد»، حقه أن يقول: هم ثمود قوم صالح، لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة، وهذا ما اعتمد به البضاوي في تفسيره.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾. ٣٤ ﴿وَاللَّهُ لَشَنَّ أُلْطَعْمَ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فِيهِ قَسَمٌ وَشَرْطٌ، وَالْجَوَابُ (١) لِأَوَّلِهِمَا، وَهُوَ مَغْنٌ عَنْ جَوَابِ الثَّانِي ﴿إِنْكُمْ إِذَا﴾ أَي: إِذَا أُلْطَعْمُوهُ ﴿لِخَاسِرُونَ﴾ أَي: مَغْبُورُونَ. ٣٥ ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ﴾ هُوَ خَبَرٌ «أَنْكُمْ» الْأُولَى، وَ«أَنْكُمْ» الثَّانِيَّةُ تَأْكِيدٌ لَهَا، لَمَّا طَالَ الْفَصْلُ.

٣٦ ﴿هَيَّاتِ هَيَّاتِ﴾ اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ، [أَوْ] بِمَعْنَى مُصَدَّرٍ، [وَمَعْنَاهُ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ]، أَي: بَعْدَ بَعْدَ ﴿لَمَّا تُوْعِدُونَهُ﴾ [هـ] مِنَ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْقُبُورِ، وَاللَّامُ زَائِدَةٌ، [أَوْ:] لِلْبَيَانِ، [وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ «هَيَّاتِ» بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، يَكُونُ الْمَعْنَى: «بُعْدُ بُعْدُ لَمَّا تُوْعِدُونَهُ»، فَ«بُعْدُ» الْأُولَى مُبْتَدَأٌ، وَالثَّانِيَّةُ تَوْكِيدٌ لَهَا، وَقَوْلُهُ: «لَمَّا تُوْعِدُونَهُ»، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ، فَاللَّامُ لَيْسَتْ زَائِدَةٌ].

٣٧ ﴿إِنْ هِيَ﴾ أَي: مَا الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بِحَيَاةِ أَبْنَائِنَا، [أَي: يَمُوتُ أَنَاسٌ، وَيَحْيَا آخَرُونَ] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

٣٨ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أَي: مَا الرَّسُولُ ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: مُصَدِّقِينَ فِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٣٩ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ [أَي: بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ].

٤٠ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وَ«مَا» زَائِدَةٌ ﴿لَيُصْبِحَنَّ﴾ لَيُصْبِرَنَّ ﴿نَادِمِينَ﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ.

٤١ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّبِيحَةَ﴾ صَبِيحَةُ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ كَائِنَةً ﴿بِالْحَقِّ﴾ فَمَاتُوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ وَهُوَ: نَبْتُ يَيْسٍ، أَي: صَيَّرْنَاهُمْ مِثْلَهُ فِي الْيَيْسِ ﴿فَبَعْدًا﴾ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الْمَكْذِبِينَ.

٤٢ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ آخَرِينَ.

٤٣ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾ بِأَنَّ تَمُوتَ قَبْلَهُ ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ عَنْهُ، ذَكَرَ الضَّمِيرُ بَعْدَ تَأْنِيثِهِ، رِعَايَةً لِلْمَعْنَى.

٤٤ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ بِالتَّنْوِينِ وَعَدَمِهِ،

[أَصْلُهَا: «وَتَرَى»، مِنْ «الْوَتْرِ»، وَهُوَ: الْفَرْدُ]، أَي: مُتَتَابِعِينَ [وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ]، بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ زَمَانٌ طَوِيلٌ، [وَقِيلَ: مُتَتَابِعِينَ بِلَا مَهَلَةٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ] ﴿كَلِمَا جَاءَ أُمَّةٌ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوَائِ﴾ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ

(١) قَوْلُهُ: «وَالْجَوَابُ لِأَوَّلِهِمَا، «إِنْ» أَي: لِلْقَسَمِ، وَالْجَوَابُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنْكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ»، وَجَوَابُ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ الثَّانِي مَحْذُوفٌ وَجُوبًا، أَغْنَى عَنْهُ جَوَابُ الْقَسَمِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي «الْفَيْتِ»:

فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٦﴾ حُجَّةَ بَيْنَةٍ، وَهِيَ: الْيَدُ وَالْعَصَا، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ ^(١). ﴿٤٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا ﴿٤٧﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا وَبِاللَّهِ ﴿٤٧﴾ وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٧﴾ [مُتَكَبِّرِينَ]، قَاهِرِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالظُّلْمِ. ﴿٤٧﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٨﴾ مُطِيعُونَ خَاضِعُونَ؟ ﴿٤٨﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ عِيسَى ﴿٥٠﴾ وَآمَهُ آيَةً ﴿٥٠﴾ لَمْ يَقُلْ: «آيَتَيْنِ»، لَأَنَّ الْآيَةَ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ [هِيَ]: «وَلَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ فَحُلٍ» وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴿٥١﴾ مَكَانٍ مُّرْتَفِعٍ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ، أَوْ: دِمَشْقُ، أَوْ فِلَسْطِينَ، أَقْوَالُ، [الْأَوَّلُ: قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالثَّانِي: قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالثَّلَاثُ: قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ] «ذَاتِ قَرَارٍ» أَيُّ: مُسْتَوِيَةٍ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا سَاكِنُوهَا «وَمَعِينٍ» أَيُّ: مَاءٍ جَارٍ ظَاهِرٍ، تَرَاهُ الْعَيُونَ.

الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ

فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٧﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٨﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَهُ آيَةً وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥١﴾ يَتَأَيَّاهُ الرُّسُلُ كُلُّوهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٣﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٤﴾ فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٥﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ

رَبْوَةٍ ﴿٥١﴾ مَكَانٍ مُّرْتَفِعٍ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ، أَوْ: دِمَشْقُ، أَوْ فِلَسْطِينَ، أَقْوَالُ، [الْأَوَّلُ: قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالثَّانِي: قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالثَّلَاثُ: قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ] «ذَاتِ قَرَارٍ» أَيُّ: مُسْتَوِيَةٍ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا سَاكِنُوهَا «وَمَعِينٍ» أَيُّ: مَاءٍ جَارٍ ظَاهِرٍ، تَرَاهُ الْعَيُونَ.

٥١ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ^(٢) الْحَلَالَاتِ «وَاعْمَلُوا صَالِحًا» مِنْ فَرْضٍ وَنَفْلِ ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فَأَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ. ٥٢ ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ «أَنَّ هَذِهِ» أَيُّ: مِلَّةَ الْإِسْلَامِ «أُمَّتُكُمْ» دِينُكُمْ أَيُّهَا الْمَخَاطِبُونَ، أَيُّ: يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا «أُمَّةً وَاحِدَةً» حَالُ لَازِمَةٍ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِتَخْفِيفِ النُّونِ، [أَيُّ: «وَأَنَّ هَذِهِ»]، وَفِي أُخْرَى: بِكُسْرِهَا مُشَدَّدَةً اسْتِثْنَاءً ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ فَاحْذَرُونَ.

٥٣ ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ أَيُّ: الْإِتْبَاعُ «أَمْرَهُمْ» دِينَهُمْ «بَيْنَهُمْ زُبُرًا» حَالُ مَنْ فَاعِلٍ «تَقَطَّعُوا»، أَيُّ: أَحْزَابًا مُتَخَالِفِينَ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ» أَيُّ: عِنْدَهُمْ مِنَ الدِّينِ «فَرِحُونَ» مَسْرُورُونَ.

٥٤ ﴿فَذَرُّهُمْ﴾ أَيُّ: أَتْرَكَ كُفَّارَ مَكَّةَ «فِي غَمْرَتِهِمْ» ضَلَالَتِهِمْ «حَتَّىٰ حِينٍ» أَيُّ: حِينَ مَوْتِهِمْ.

٥٥ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ نَعْطِيهِمْ «مِنْ مَّالٍ

(١) قوله: «وغيرهما من الآيات» تقدم بيانها في تعليقنا ص ٢٧٨.

(٢) قوله تعالى: «يا أيها الرسل» الآية، روى مسلم والترمذي وأحمد — واللفظ له — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات» الآية، وقال: «يا أيها الذين آمنوا آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم»، ثم ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟».

ارجع إلى تعليقنا حول «الدعاء وشروطه» ص ٦٢٦.

﴿تهجرون﴾ [بفتح التاء وضم الجيم]، من الثلاثي، تتركون القرآن. و [في قراءة: بضم التاء وكسر الجيم]، من الرباعي، أي: تقولون غير الحق، في النبي والقرآن. ٦٨ قال تعالى: ﴿أفلم يدبروا﴾ أصله «يتدبروا»، فأدغمت التاء في الدال ﴿القول﴾ أي: القرآن، الدال على صدق النبي ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ [فأنكروه وأعرضوا عنه؟]. ٦٩ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون؟﴾ [قال أبو سفيان: بلى قد عرفوه، ولكنهم حسدوه]. ٧٠ ﴿أم يقولون به جنة؟﴾ [أي: جنون]، الاستفهام فيه للتقرير بالحق، من صدق النبي، ومجيء الرسل للأهم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأن لا جنون به ﴿بل﴾ للانتقال ﴿جاءهم بالحق﴾ أي:

البقرة القصص

٧١ ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين﴾ ٧٢ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾ ٧٣ ﴿أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ ٧٤ ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾ ٧٥ ﴿أفلم يأتيناهم بذكرهم﴾ ٧٦ ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ ٧٧ ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ ٧٨ ﴿أجره وثوابه ورزقه﴾ ٧٩ ﴿خير﴾ وفي قراءة: «خرجاً» في الموضوعين، وفي قراءة أخرى: «خراجاً» فيهما، [فالقراءات ثلاث] وهو خير الرازقين ﴿أفضل من أعطى وأجر﴾ ٨٠ ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ٨١ ﴿بالبعث والشواب والعقاب﴾ ٨٢ ﴿عن الصراط﴾ ٨٣ ﴿أي: الطريق﴾ ٨٤ ﴿لناكبون﴾ ٨٥ ﴿عادلون﴾ ٨٦ ﴿منحرفون﴾ ٨٧ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ ٨٨ ﴿أي: جوع أصابهم بمكة سبع سنين للجبوا﴾ ٨٩ ﴿تمادوا﴾ ٩٠ ﴿في طغيانهم﴾ ٩١ ﴿ضلالتهم﴾ ٩٢ ﴿يعمهمون﴾ ٩٣ ﴿يترددون﴾ ٩٤ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ ٩٥ ﴿الجبوع﴾ ٩٦ ﴿فما استكانوا﴾ ٩٧ ﴿تواضعوا﴾ ٩٨ ﴿لربهم وما يتضرعون﴾ ٩٩ ﴿يرغبون إلى الله في الدعاء﴾ ١٠٠ ﴿حتى﴾ ١٠١ ﴿ابتدائية﴾ ١٠٢ ﴿إذا فتحنا عليهم باباً﴾ ١٠٣ ﴿صاحب﴾ ١٠٤ ﴿عذاب شديد﴾ ١٠٥ ﴿هو يوم بدر بالقتل﴾ ١٠٦ ﴿قاله ابن عباس﴾ ١٠٧ ﴿وقال عكرمة﴾ ١٠٨ ﴿هو باب من أبواب جهنم﴾ ١٠٩ ﴿إذا هم فيه﴾ ١١٠

القرآن، المشتمل على التوحيد، وشرائع الإسلام ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ [حسداً وبغياً وتقليداً]. ٧١ ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ ٧٢ ﴿بأن جاء بما يهوونه، من الشريك والولد لله، تعالى الله عن ذلك﴾ ٧٣ ﴿لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾ ٧٤ ﴿أي: خرجت عن نظامها المشاهد، لوجود التمانع في الشيء عادة، عند تعدد الحاكم﴾ ٧٥ ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ ٧٦ ﴿أي: بالقرآن، الذي فيه ذكرهم وشرفهم﴾ ٧٧ ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾. ٧٨ ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ ٧٩ ﴿أجرأ على ما جتتهم به من الإيمان؟﴾ ٨٠ ﴿فخراج ربك﴾ ٨١ ﴿أجره وثوابه ورزقه﴾ ٨٢ ﴿خير﴾ وفي قراءة: «خرجاً» في الموضوعين، وفي قراءة أخرى: «خراجاً» فيهما، [فالقراءات ثلاث] وهو خير الرازقين ﴿أفضل من أعطى وأجر﴾ ٨٣ ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ٨٤ ﴿بالبعث والشواب والعقاب﴾ ٨٥ ﴿عن الصراط﴾ ٨٦ ﴿أي: الطريق﴾ ٨٧ ﴿لناكبون﴾ ٨٨ ﴿عادلون﴾ ٨٩ ﴿منحرفون﴾ ٩٠ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ ٩١ ﴿أي: جوع أصابهم بمكة سبع سنين للجبوا﴾ ٩٢ ﴿تمادوا﴾ ٩٣ ﴿في طغيانهم﴾ ٩٤ ﴿ضلالتهم﴾ ٩٥ ﴿يعمهمون﴾ ٩٦ ﴿يترددون﴾. ٩٧ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ ٩٨ ﴿الجبوع﴾ ٩٩ ﴿فما استكانوا﴾ ١٠٠ ﴿تواضعوا﴾ ١٠١ ﴿لربهم وما يتضرعون﴾ ١٠٢ ﴿يرغبون إلى الله في الدعاء﴾ ١٠٣ ﴿حتى﴾ ١٠٤ ﴿ابتدائية﴾ ١٠٥ ﴿إذا فتحنا عليهم باباً﴾ ١٠٦ ﴿صاحب﴾ ١٠٧ ﴿عذاب شديد﴾ ١٠٨ ﴿هو يوم بدر بالقتل﴾ ١٠٩ ﴿قاله ابن عباس﴾ ١١٠ ﴿وقال عكرمة﴾ ١١١ ﴿هو باب من أبواب جهنم﴾ ١١٢ ﴿إذا هم فيه﴾ ١١٣

١١٤ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ ١١٥ ﴿أخرج النسائي، والحاكم - وصححه -، والبيهقي، وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العِلَهْزَ - يعني: الوبير بالدم - فأنزل الله ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ الآية. وذلك بعد أن دعا عليهم النبي ﷺ فأصابهم القحط، كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧.

(١) قوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾، أخرج النسائي، والحاكم - وصححه -، والبيهقي، وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العِلَهْزَ - يعني: الوبير بالدم - فأنزل الله ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ الآية. وذلك بعد أن دعا عليهم النبي ﷺ فأصابهم القحط، كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧.

مبلسون ﴿آيسون من كل خير. ٧٨﴾ وهو الذي أنشأ ﴿لكم السمع﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلاً ما﴾ تأكيد للقلّة ﴿تشكرون﴾.

٧٩ ﴿وهو الذي ذراكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ تبعثون. ٨٠ ﴿وهو الذي يحيي﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ بالسواد والبياض، والزيادة والنقصان، [أو: تعاقبهما] ﴿أفلا تعقلون﴾ صنعه تعالى، فتعتبرون؟.

٨١ ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾. ٨٢ ﴿قالوا﴾ أي: الأولون ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَماً أَيْنَا لمبعوثون﴾؟ لا، وفي

الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]. ٨٣ ﴿لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿من قبل إن﴾ ما ﴿هذا إلا أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ كالأصاحيك والأعاجيب، جمع: «أسطورة» بالضم.

٨٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها.

٨٥ ﴿سيقولون لله قل﴾ لهم ﴿أفلا تذكرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، «تتعظون»، فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداءً، قادر على الإحياء بعد الموت؟ [وفي قراءة: بفتح الذال مخففة]

٨٦ ﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم﴾ الكرسي (١)؟.

٨٧ ﴿سيقولون الله (٢) قل أفلا تتقون﴾ تحذرون عبادة غيره؟.

٨٨ ﴿قل من بيده ملكوت﴾ ملك ﴿كل شيء﴾ والتاء للمبالغة ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ يَحْيِي، ولا يُخَمِي عنه؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾.

٨٩ ﴿سيقولون الله (٣) وفي قراءة: «الله﴾ بلام الجر، في الموضعين: [هذا والذي قبله]، نظراً إلى أن المعنى: مَنْ له ما ذكر؟ [فيكون الجواب: الله] ﴿قل فأنى

سُورَةُ الْاٰنْكَارِ ٢٢

مُبْلِسُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨١﴾
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً
وَعِظَماً أَيْنَا لِمُبْعُوثُونَ ﴿٨٣﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ لِمَنِ
الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٨﴾
قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى

(١) قوله: «الكرسي»، جرى المؤلفان الجلالان المحلي

والسيوطي، على القول بأن العرش والكرسي واحد، والصحيح: أن العرش أعظم من الكرسي، وأنها شيان، ولقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٥٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿سيقولون الله﴾، سيأتي بعد آية، أن فيها قراءة أخرى: «الله» بلام الجر، وهي لمعظم القراء السبعة.

(٣) قوله تعالى: ﴿سيقولون الله﴾ في المواضع الثلاثة، والذي هو جواب الكافرين، عن الأسئلة العظيمة: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها؟﴾ الآية ٨٤.

و ﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم؟﴾ الآية ٨٦. و ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء؟﴾ الآية ٨٨. في هذا الجواب منهم، إشارة

إلى الجواب الفطري الذي لا جواب غيره، فالكاثر لا يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة بغير هذا الجواب، والملحد لا يصدق نفسه إن أجاب

بأنها المصادفة أوجدت شيئاً، أو أن المخلوقات أوجدت نفسها، فضلاً أنه لن يصدق أحد من العقلاء في ذلك، فالله تعالى هو وحده خالق كل

شيء، ومالكة ومدير الأمر كله.

تسحرون ﴿تخدعون، وتصرفون عن الحق، عبادة الله وحده؟، أي: كيف تخيل لكم أنه باطل؟.

٩٠ ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ بالصدق ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في نفيه، و [هذا الحق] هو: ٩١ ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا﴾ لو كان معه إله ﴿لذهب كل إله بما خلق﴾ انفراد به، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلنا بعضهم على بعض﴾ مغالبة، كفعل ملوك الدنيا ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له ﴿عما يصفون﴾ به مما ذكر.

٩٢ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد، [وفي: «عالم»، قراءتان سبعيتان: [بالجر صفة [للفظ الجلالة قبله]، والرفع خبر «هو» مقدراً ﴿فتعالى﴾ تعظم ﴿عما يشركون﴾ به معه.

٩٣ ﴿قل رب إماما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية، في «ما» الزائدة ﴿تريني ما يوعدون﴾ به من العذاب، هو صادق بالقتل بيد.

٩٤ ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ فأهلك بإهلاكهم.

٩٥ ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾.

٩٦ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ أي: الخلة [والخصلة التي هي أحسن]، من الصفح، والإعراض عنهم ﴿السيئة﴾. [أي: ادفع بالصفح منك]، أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ يكذبون ويقولون، فنجازيهم عليه.

٩٧ ﴿وقل رب أعوذ﴾ أعتصم ﴿بك من همزات الشياطين﴾ نزغاتهم، بما يوسوسون به، [والأمر لأمتي ﷺ، لئلا يفسد عليها الشيطان أمرها].

٩٨ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في أموري، لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٩٩ ﴿حتى﴾ ابتدائية ﴿إذا جاء أحدهم الموت﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قال رب ارجعون﴾^(١) الجمع للتعظيم.

١٠٠ ﴿لعلني أعمل صالحاً﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فيما تركت﴾ ضيعت من عمري، أي: في مقابلته، قال تعالى: ﴿كلّا﴾ أي: لا رجوع ﴿إنها﴾ أي: «رب ارجعون»، كلمة هو قائلها ولا فائدة له فيها ﴿ومن ورائهم﴾ أمامهم^(٢) ﴿برزخ﴾ حاجز يصددهم عن الرجوع ﴿إلى يوم يبعثون﴾ ولا رجوع بعده، [قال تعالى: «ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه»]. ١٠١ ﴿فإذا نفخ

سورة النازعات

تُسْحِرُونَ ﴿١﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٣﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٥﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٧﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١١﴾ فَإِذَا نُفِخَ

(١) قوله تعالى: ﴿قال رب ارجعون﴾، سؤال الرجعة إلى الحياة الدنيا، إظهاراً للندم على التفريط في حق الله تعالى فيها، ليس مختصاً بالكافرين، بل يسألها المؤمن المقصر أيضاً، كما سيأتي في آخر سورة «المنافقون» عند قوله تعالى: ﴿وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾. الآية ص ٧٤٤.

(٢) قوله: «أمامهم»، هذا هو التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿من ورائهم﴾. ارجع إلى تعليقنا حول هذا المعنى ص ٣٣٢.

في الصور ﴿القرن، النفخة الأولى، أو: الثانية، [والنافخ: إسرافيل] ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ يتفخرون بها ﴿ولا يتساءلون﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا، لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك، في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يتيقنون، وفي آية: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾.

١٠٢ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

١٠٣ ﴿ومن خفت موازينه﴾ بالسيئات ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ فهم ﴿في جهنم خالدون﴾.

١٠٤ ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها، [و «التلفح»: الإصابة بشدة] ﴿وهم فيها كالخون﴾ شمرت [وتقلصت] شفاههم العليا والسفلى، عن أسنانهم.

١٠٥ ويقال لهم: ﴿ألم تكن آياتي﴾ من القرآن

﴿تتلى عليكم﴾ تخوفون بها ﴿فكنتم بها

تكذبون؟﴾. ١٠٦ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا

شقتونا﴾ وفي قراءة: «شقوتنا»، بفتح أوله

وآلف، وهما مصدران بمعنى [واحد] ﴿وكنا

قوماً ضالين﴾ عن الهداية. ١٠٧ ﴿ربنا أخرجنا

منها فإن عدنا﴾ إلى المخالفة ﴿فإننا ظالمون﴾.

١٠٨ ﴿قال﴾ لهم، بلسان «مالك» [خازن

النار]، بعد قدر الدنيا مرتين ^(١) ﴿أخسؤا

فيها﴾ ابعثوا في النار أذلاء ﴿ولا تكلمون﴾ في

رفع العذاب عنكم، فينقطع رجاؤهم.

١٠٩ ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ هم:

المهاجرون، [وغيرهم من المؤمنين] ﴿يقولون

ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير

الراحمين﴾. ١١٠ ﴿فأخذتموهم سخرى﴾

بضم السين وكسرها، مصدر بمعنى «الهزاء»،

منهم: بلال، وصهيب، وعمار، وسلمان

﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ فتركتموه،

لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب

الإنساء، فنسب إليهم ﴿وكنتم منهم

تضحكون﴾ ^(٢). ١١١ ﴿إني جزيتهم اليوم﴾

النعيم المقيم ﴿بما صبروا﴾ على استهزائكم

بهم، وأذاكم إياهم ﴿إنهم﴾ بكسر الهمزة ﴿هم

الفائزون﴾ بمطلوبهم، استئناف، ويفتحها

مفعول ثان لـ «جزيتهم». ١١٢ ﴿قال﴾ تعالى

لهم، بلسان «مالك»، وفي قراءة: «قل»: ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ في الدنيا، وفي قبوركم ﴿عدد سنين؟﴾ تمييز.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ٢٣

فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ

فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا

كَالِخُونِ ﴿٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتْنَىٰ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا

تُكَذِّبُونَ ﴿٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَالِّينَ ﴿٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٧﴾

قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ

عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّاحِمِينَ ﴿٩﴾ فَأَخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِأَخِي أَنَسُوكَ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ

مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ ﴿١٠﴾ إِنْ جَزَيْتُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ

هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٢﴾

(١) قوله: «بعد قدر الدنيا مرتين»، جاء هذا في حديث رواه ابن المبارك وابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً عليه، وفيه مبالغة واضحة، ولعله مما كان يقرأه في كتب أهل الكتاب، ويحدث به، كما هو معلوم.

(٢) قوله تعالى: «وكنتم منهم تضحكون» أي: استهزاء بهم، وسيأتي في آخر سورة «المطففين» ص ٧٩٨ كيف كانوا يضحكون من المؤمنين ويتغامزون عليهم، وكيف سيضحك المؤمنون من الكفار يوم القيامة، ويستفاد من هذه الآيات: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، أعادنا الله تعالى من سيئ الأخلاق والعادات، ووفقنا إلى محاسنها.

١١٣ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ الملائكة، المحصنين أعمال الخلق.

١١٤ ﴿قَالَ﴾ تعالى بلسان «مالك»، وفي قراءة أيضاً: «قل»: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار ليحكم من الطول، كان قليلاً بالنسبة إلى لبئكم في النار.

١١٥ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾؟ بالبناء للفاعل وللمفعول، لا، بل [إنا خلقناكم]، لِنَتَّعِبَكُمْ بالأمر والنهي، وترجعون إلينا، ونجازي على ذلك، «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون».

١١٦ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن العبث وغيره، مما لا يليق به «الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم» الكرسي الحسن^(١).

١١٧ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة^(٢)، لا مفهوم لها، [أي: ليست قيداً لازماً] ﴿فَأَنَّمَا حِسَابُهُ جَزَاءُ﴾ عند ربه ﴿[بِإِدْخَالِهِ النَّارَ خَالِدًا فِيهَا]﴾ إنه لا يفلح الكافرون ﴿[أي: لا يسعدون]﴾.

١١٨ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين، وفي الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أفضل راحم.

﴿سُورَةُ النَّازِعَاتِ﴾

(مدنية، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ هذه «سورة أنزلناها وفرضناها» مخففة ومشددة، [أي: بتخفيف السراء وتشديدها]، لكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالة

الْبَيْتُ الْقَوِيُّ الْكَافِي

قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْأَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ الْبُورِ قَدْ نَبِّئْنَا وَأَنبَأْنَا أَنَّا نَجْ وَنَسِئُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

(١) قوله: «الكرسي الحسن»، هذا بناء على ما جرى عليه الجلال المحلي، ومثله الجلال السيوطي، من أن العرش والكرسي شيء واحد، والصحيح: أن العرش مخلوق أعظم من الكرسي، وليس شيئاً واحداً، ولقد بينا الدليل على ذلك في تعليقنا على آية «الكرسي» ص ٥٣.

(٢) قوله: «صفة كاشفة» يعني: أن جملة «لا برهان له به»، هي صفة موضحة: لقوله: «إلهًا»، وليست صفة لازمة، لأنه لا برهان أصلاً لمشارك بالله تعالى، وإنما تذكر هذه الصفة لحث الإنسان على التفكير، ليعرف أن الله هو الحق، وأن غيره هو الباطل.

لعلكم تذكرون ﴿١﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، [وفي قراءة: بفتح الذال مخففة]، تتعظون.

﴿الزانية والزاني﴾ أي: غير المحصنين، لرجمهما بالسُّتَّة^(١)، و«أل» فيما ذكر، موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط، دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ أي: ضربة، يقال: «جلدته»، ضربت جلده، ويزاد على ذلك بالسُّتَّة، تغريب عام^(٢)، والرقيق على النصف مما ذكر ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ أي: حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدّهما ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يوم البعث، وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه، أو: دال على جوابه ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي: الجلد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ قيل: ثلاثة، وقيل:

شُرُوحُ السُّتَّةِ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

أربعة، عدد شهود الزنا، [للاعتبار والموعظة، أو: للدعاء لهما]. ٣ ﴿الزاني لا ينكح﴾ يتزوج ﴿إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ أي: المناسب لكل منهما، ما ذكر ﴿وحُرِّمَ ذلك﴾ أي: نكاح الزواني ﴿على المؤمنين﴾ الأخيار، نزل ذلك، لما هم فقراء المهاجرين، أن يتزوجوا بغايا المشركين، - وهو موسرات - لينفقن عليهم، فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام، ونسخ بقوله تعالى: «وأنكحوا الأيامي منكم»، [وعن ابن عباس قال: النكاح في هذه الآية، يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنا، واختاره الطبري]. ٤ ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ على زناهن، برؤيتهم ﴿فاجلدوهم﴾ أي: كل واحد منهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ﴿في شيء﴾ أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴿لأتيانهم كبيرة».

٥ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ عملهم ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رحيمٌ﴾ بهم، بإلھامهم التوبة، فيها ينتهي فسقهم، وتقبل شهادتهم، وقيل: لا تقبل، رجوعاً بالاستئناء إلى الجملة الأخيرة. ٦ ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ عليه ﴿إلا أنفسهم﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فشهادة أحدهم﴾ مبتدأ ﴿أربع شهادات﴾ نُصِبَ على المصدر، [أي: المفعول المطلق، وفي

قراءة: برفعها، خبر المبتدأ] ﴿بالله إنه لمن الصادقين﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. ٧ ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان

(١) قوله: «الرجمهما بالسُّتَّة» وقوله بعد ذلك: «ويزاد على ذلك بالسُّتَّة تغريب عام». منها ما رواه الشيخان، عن أبي هريرة، من حديث الأعرابي

الذي زنى ولده، وقبه: «وعلى ابنك جلدة مائة وتغريب عام، واغدا يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» وهذا اللفظ لمسلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ الآية، أخرج البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجه، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية، قذف امراته

عند النبي ﷺ، فقال له: البينة أو حد في ظهرك، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ

يقول: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنني لصادق، ولينزلن الله ما يرى في ظهري من الحد، فنزلت هذه الآيات.

من الكاذبين ﴿ في ذلك، وخبر المبتدأ: تَذَفُّعُ عَنْهُ حَدُّ الْقَذْفِ ٨ ﴿ ويدراً ﴾ يدفع ﴿ عنها العذاب ﴾ أي: حدُّ الزنا، الذي ثبت بشهادته ﴿ أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴾ فيما رماها به من الزنا. ٩ ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ في ذلك. ١٠ ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بالستر في ذلك ﴿ وأن الله تواب ﴾ بقبوله التوبة، في ذلك وغيره ﴿ حكيم ﴾ فيما حكم به، في ذلك وغيره، ليبيِّن الحق في ذلك، وعاجل بالعقوبة من يستحقها. ١١ ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك ﴾ أسوأ الكذب، على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين، بقذفها ﴿ عصبة منكم ﴾ جماعة من المؤمنين [والمناقضين]، قالت [عائشة في تعيينهم هم:] حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبي، ومسطح [بن أثالة]، وحنمة بنت جحش، ﴿ لا تحسبوه ﴾ أيها المؤمنون، غير العصبة ﴿ شرأ لكم بل هو خير لكم ﴾ يأجركم الله به، ويظهر براءة عائشة، ومن جاء معها، منه، وهو: صفوان [بن المعطل السلمي]، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة، بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع، ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شائي، وأقبلت إلى الرُّحْل، فإذا عقدي انقطع (— وهو بكسر المهملة: القلادة —) فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي (— هو: ما يُركب فيه —) على بعيري يخسبوني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن الُعُلَّةَ (— هو: بضم المهملة وسكون اللام —) من الطعام (— أي: القليل —) ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني، فيرجعون إليّ، فغلبتني عيناى فنمت، وكان صفوان قد عرَّس من وراء الجيش فادَّخَلَ (— هما بتشديد الراء والدال، أي: نزل من آخر الليل للاستراحة، فسار منه —)، فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم (— أي: شخصه —) فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، (— أي قوله: «إنا لله وإنا إليه راجعون» —)، فحَمَرَتْ وجهي بجلبابي، (— أي: غطيته بالملاءة —) والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة، غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، ووطئ على يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا مؤغرين

الجزء الثاني من القرآن

مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ

في نَحْرِ الظَّهْمِرة (— أي: [في وقت الهاجرة، وقت توشط الشمس السماء، و «مؤغرين» بالغين المعجمة] من «أوغر» أي: واقعين في مكان وغر، في شدة الحر —) فهلك من هلك في، وكان الذي تولى كبره منهم: عبد الله بن أبي بن سلول. اهـ. [من قولها، رواه الشيخان] وغيرهما، قال تعالى: ﴿ لكل امرئ منهم ﴾ أي: عليه ﴿ ما اكتسب من الإثم ﴾ في ذلك ﴿ والذي تولى كبره منهم ﴾ أي: تحمّل مُعْظَمَه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه، وهو: عبد الله بن أبي ﴿ له عذاب عظيم ﴾ هو النار في الآخرة. ١٢ ﴿ ولولا ﴾ هلاً ﴿ إذ ﴾ حين ﴿ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم ﴾ أي: ظن بعضهم ببعض ﴿ خيراً وقالوا هذا إفك مبين ﴾ كذب بين؟ فيه التفات عن الخطاب، أي: ظنتم أيها العصبة، [بعضكم خيراً]، وقلتم: [هذا

إفك مبین» [١٣ ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿جَاؤُوا﴾ أَي: العَصْبَةُ ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ شَاهِدُوهُ؟ ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: فِي حُكْمِهِ ﴿هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ فِيهِ.

١٤ ﴿لَوْلَا﴾ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ ﴿أَيُّهَا الْعَصْبَةُ﴾ أَي: خَضْتُمْ ﴿فِيهِ﴾ [مَنْ الْإِفْكَ] ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ (١).

١٥ ﴿إِذْ تَلَقَوْهُ بِالْسِتِّكُمْ﴾ أَي: يَرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَحَذَفَ مِنَ الْفِعْلِ إِحْدَى التَّائِينَ، وَ﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبٌ بِـ «مَسَّكُمْ»، أَوْ بِـ «أَفْضَيْتُمْ» وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا لَا إِثْمَ فِيهِ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ فِي الْإِثْمِ.

سُورَةُ النُّجُورِ ٤٤

١٦ ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿إِذْ﴾ حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ مَا يَكُونُ ﴿مَا يَنْبَغِي﴾ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ﴿هُوَ لِلتَّعَجُّبِ هُنَا﴾ هَذَا بَهْتَانٌ ﴿كَذَبَ﴾ عَظِيمٌ.

١٧ ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ﴾ يَنْهَاكُمْ ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿تَعْتَظُونَ بِذَلِكَ﴾ [فَلَا تَعُودُوا لِمِثْلِهِ].

١٨ ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَنْهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

١٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ، [بِقَدْفِهِمْ]، وَهُمْ الْعَصْبَةُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بِحَدِّ الْقَذْفِ (٢)، [وَقَدْ حَدَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعًا] ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بِالنَّارِ، لِحَقِّ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انْتِفَاءَهَا عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ، بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكَ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ. ٢٠ ﴿لَوْلَا﴾ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴿أَيُّهَا الْعَصْبَةُ﴾ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ بِكُمْ، لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ. ٢١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسِتِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

(١) قوله: «فِي الْآخِرَةِ»، أَي: غَفَرَ لَكُمْ، غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّلُولِيِّ الْمَنَافِقِ، فَإِنَّ عَذَابَهُ مُحْتَمٌ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ مِنْهُمْ، هَذَا عَلَى الْقَوْلِ بِحَمْلِ الْعَذَابِ عَلَى عَذَابِ الْآخِرَةِ كَمَا ذَكَرَهُ الْمُحَلِّي، وَقِيلَ: هُوَ عَذَابٌ فِي الدُّنْيَا كَانُوا يَسْتَحِقُّونَهُ، هُوَ أَعْظَمُ مِنَ التَّوْبِيخِ وَالْجَلْدِ، وَلَكِنْ اللَّهُ خَفَفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ بِإِقَامَةِ حَدِّ الْقَذْفِ عَلَيْهِمْ لَيْسَ غَيْرُ.

(٢) قوله: «بِحَدِّ الْقَذْفِ»، أَي: الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً» الْآيَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ. وَبِهَذَا الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ، تُحْفَظُ الْأَعْرَاضُ، وَيَصَانُ شَرَفُ النَّاسِ، وَلَا يَجْرَأُ أَحَدٌ عَلَى الطَّمَنِ فِي عَرَضٍ آخَرَ، مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ شَرْعِيَّةٍ.

ما زكى منكم ﴿أيها العصبه﴾ بما قتلتم من الإفك ﴿من أحد أبدأ﴾ أي: ما صلح، وطهر من هذا الذنب، بالتوبة منه ﴿ولكن الله يزكي﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ من الذنب، بقبول توبته منه ﴿والله سميع﴾ لما قتلتم ﴿عليهم﴾ بما قصدتم . ٢٢ ﴿ولا يأتل﴾ يحلف ﴿أولو الفضل﴾ أي: أصحاب الغنى ﴿منكم والسعة أن﴾ لا يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ﴿نزلت في أبي بكر﴾ حلف أن لا ينفق على مسطح - وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى - لما خاض في الإفك، بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة، أقسموا أن لا يتصدقوا، على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وليعفوا﴾ [أي: أولو الفضل] ﴿وليصفحوا﴾ عنهم في ذلك ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر:

بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه، [وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، روى ذلك الشيخان وغيرهما، في آخر حديث الإفك]. ٢٣ ﴿إن الذين يرمون﴾ بالزنا ﴿المحصنات﴾ العفاف ﴿الفافلات﴾ عن الفواحش، بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿المؤمنات﴾ بالله ورسوله ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾. ٢٤ ﴿يوم﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: ﴿لهم﴾ ﴿تشهد﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿عليهم﴾ السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿من قول وفعل، وهو: يوم القيامة﴾. ٢٥ ﴿يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق﴾ يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ حيث حقق لهم جزاءه، الذي كانوا يشكون فيه، ومنهم عبد الله بن أبي، و﴿المحصنات﴾ هنا: أزواج النبي ﷺ، لم يذكر في قذفهن توبة (١)، ومن ذكر [الله] في قذفهن أول السورة التوبة، غيرهن، [واختار ابن جرير عموم «المحصنات»، في نساء النبي ﷺ وسواهن، وهو الصحيح]. ٢٦ ﴿الخبثات﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿للخبثين﴾ من الناس ﴿والخبثون﴾ من الناس ﴿للخبثات﴾ مما ذكر ﴿والطيبات﴾ مما ذكر ﴿للطيبين﴾ من الناس ﴿والطيبون﴾ منهم ﴿للطيبات﴾ مما ذكر، أي: اللاتق بالخبث مثله، وبالطيب مثله ﴿أولئك﴾ الطيبون، و [كذلك] الطيبات من النساء، ومنهم: عائشة وصفوان ﴿مبرؤون مما يقولون﴾ أي: [مما

البقرة المكية

مَا زَكَّيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ أَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

يقول [الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لهم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة، وقد

(١) قوله: «لم يذكر في قذفهن توبة إلخ»، أي: لم تذكر في هذه الآية التوبة للقاذف، كما ذكرت في الآية الخامسة، بل لعنه الله، وهذبه بالعذاب الأليم، لتعظيم أمر قذف أمهات المؤمنين، وبيان عظيم حقهن وحرمتهن على الأمة، وإلّا فالتوبة الصحيحة تجب ما قبلها، من جميع الذنوب، ومعلوم أن قذف المحصنات، من غير أمهات المؤمنين، من كبائر الذنوب، أما قذف السيدة عائشة، أو الشك في براءتها فهو كفر، لمصادمته صريح القرآن، فاعتقاد براءتها مطلقاً شرط لصحة الإيمان، وكذا حكم قذف غيرها من أمهات المؤمنين، على الصحيح، لأنهن جميعاً سواء في الحكم. أرجع إلى تعليقنا حول «أمهات المؤمنين» ص ٥٥٣.

افتخرت عائشة بأشياء، منها: [أنها] خلقت طيبة، ووُعِدَتْ مغفرة ورزقا كريما. ٢٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: «السلام عليك، أَدْخِلْ؟» كما ورد في حديث، [رواه أبو داود^(١) بإسناد صحيح] ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، [وفي قراءة: بفتح الذال مخففة]، خيرٌ لَكُمْ، فتعملون به. ٢٨ ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ﴾ بعد الاستئذان ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ الرجوع ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول يأذن، وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم عليه.

٢٩ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ [أي: غير معدة لسكن أناس معينين] ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَكُمْ﴾ باستئذان، [أي: استئذان من الحر والبرد]، وغيره، كبيوت الرُّبُط، [أي: أماكن ربط الدواب]، والخانات المُسَبَّلَةِ^(٢) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم، من قصد صلاح أو غيره، وسنأتي [في الآية ٦١]، أنهم إذا دخلوا بيوتهم، يسلّمون على أنفسهم.

٣٠ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره، و«من» زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾ أي: خير ﴿لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج، فيجازيهم عليه.

٣١ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُنْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو: الوجه والكفان، فيجوز نظره لأجنبي، إن لم يخف فتنة، في أحد وجهين، والثاني: يحرم لأنه مظنة الفتنة، ورُجِّحَ حسماً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور، بالمقانع [جمع «قناع»] ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾

الخفية، وهي: ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع «بعل»، أي: زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾

(١) قولنا: «رواه أبو داود إلخ»، وذلك أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: «أَلَيْحُ؟»، أي: أَدْخِلْ؟ فقال ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أَدْخِلْ؟» فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أَدْخِلْ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل.

(٢) قوله: «والخانات المسبلة»، أي: الموقوفة لإيواء ابن السبيل «المنقطع»، ومثلها المرافق العامة: كالحداثق، والمطارات، والمحطات، فيجوز دخولها من غير استئذان، والانتفاع بمرافقها.

أو أبنائهم أو أبناء يعولتهم أو إخوانهم أو بني إخوانهم أو نسايتهم أو ما ملكت أيمانهم فيجوز لهم نظره، إلا ما بين السرة والركبة، فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بـ «نسايتهم»، الكافرات، فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن، [قاله ابن عباس ومجاهد، وغيرهما، وقال بعضهم: المراد جميع النساء]، وشمل «ما ملكت أيمانهم»، العبيد «أو التابعين» في فضول الطعام، [ليأكلوا] «غير» بالجر صفة، والنصب استثناء «أولي الإربة» أصحاب الحاجة إلى النساء «من الرجال» [كالشيخ الهرم، والأبله الذي لا يعرف المرأة من الرجل]، بأن لم ينتشر ذكر كل [من هؤلاء التابعين] «أو الطفل» بمعنى: الأطفال «الذين لم يظهروا» يطلعوا «على عورات النساء»

للجماع، [أي: ما دام الأطفال تحت سن التمييز]، فيجوز أن يبدن لهم، ما عدا ما بين السرة والركبة «ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهم» من خلخال يتقنع «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون»^(١) مما وقع لكم، من النظر الممنوع منه، ومن غيره «لعلكم تفلحون» تنجون من ذلك، لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

٣٢ «وأنكحوا» [أي: زوجوا أيها الأولياء] «الأيامى منكم»^(٢) جمع «أيم»، وهي من ليس لها زوج، بكراً كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر «والصالحين» أي: المؤمنين «من عبادكم وإمائكم» و«عباد» من جموع «عبد» «إن يكونوا» أي: الأحرار «فقراء يغنهم الله» بالتزويج «من فضله والله واسع» لخلقه «عليهم» بهم.

٣٣ «وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً» أي: ما ينكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا «حتى يغنيهم الله» يوسع عليهم «من فضله» فينكحوا «والذين ينفقون الكتاب» بمعنى المكاتب «مما ملكت أيمانكم» من العبيد والإماء «فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً» أي: أمانة وقدرة على الكسب، لأداء مال الكتابة، وصيغتها مثلاً: كاتبتك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا أدبتهما فأت حر، فيقول: قبلت «وآتوهم» أمر للسادة «من مال الله الذي آتاكم» ما يستعينون به، في أداء ما التزموه لكم «ولا تكرهوا فتياتكم» إماءكم «على البغاء» الزنا «إن أردن

الجزء الثاني من القرآن

أو أبنائهم أو أبناء يعولتهم أو إخوانهم أو بني إخوانهم أو نسايتهم أو ما ملكت أيمانهم فيجوز لهم نظره، إلا ما بين السرة والركبة، فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بـ «نسايتهم»، الكافرات، فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن، [قاله ابن عباس ومجاهد، وغيرهما، وقال بعضهم: المراد جميع النساء]، وشمل «ما ملكت أيمانهم»، العبيد «أو التابعين» في فضول الطعام، [ليأكلوا] «غير» بالجر صفة، والنصب استثناء «أولي الإربة» أصحاب الحاجة إلى النساء «من الرجال» [كالشيخ الهرم، والأبله الذي لا يعرف المرأة من الرجل]، بأن لم ينتشر ذكر كل [من هؤلاء التابعين] «أو الطفل» بمعنى: الأطفال «الذين لم يظهروا» يطلعوا «على عورات النساء»

الذي آتاكم» ما يستعينون به، في أداء ما التزموه لكم «ولا تكرهوا فتياتكم» إماءكم «على البغاء» الزنا «إن أردن

(١) قوله تعالى: «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون»، التوبة واجبة على العبد من كل ذنب. ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ١٧٥٢.

(٢) قوله تعالى: «وأنكحوا الأيامى منكم...» إن الزواج يحصن النفس، ويمنع الفساد، ويصون الأعراض، ويحفظ الأنساب، لذلك حث النبي ﷺ على الزواج فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة - أي: القدرة على الزواج - فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أي: قاطع لشهوته، رواه الشيخان وغيرهما، وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم. وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه الشيخان وغيرهما.

تحصناً تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه، فلا مفهوم للشرط، [أي: ليس إرادتهن التحصن شرطاً للنهي، بل إكراههن حرام على كل حال] «لتبتغوا» بالإكراه «عرض الحياة الدنيا» نزلت في عبد الله بن أبي، كان يكره جوارية على الكسب بالزنا، [كما في صحيح مسلم] «ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور» «رحيم» بهن. ٣٤ «ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات» بفتح الياء وكسرها، في هذه السورة، بين فيها ما ذكر، أو: نبيته «ومثلاً» خبراً عجبياً، وهو خبر عائشة «من الذين خلوا من قبلكم» أي: من جنس أمثالكم، أي: أخبارهم العجيبة، كخبر يوسف ومريم «وموعظة للمتقين»، في قوله تعالى: «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله»، «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون» إلخ، «ولولا إذ سمعتموه قلم» إلخ، «يعظكم الله أن تعودوا» إلخ، وتخصيصها بالمتقين، لأنهم المتفعون بها. ٣٥ «الله نور السماوات والأرض» أي: منورها بالشمس والقمر، [وقال ابن عباس وأنس بن مالك: الله هادي أهل السماوات والأرض] «مثل نوره» [أي: هداة]، أي: صفته في قلب المؤمن «كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة» هي: القنديل، و«المصباح»: السراج، أي: الفتيلة الموقودة، و«المشكاة»: الطاقة غير النافذة، أي: الأنبوبة في القنديل «الزجاجة كأنها» والنور فيها «كوكب دري» مضيء، بكسر الدال وضمها من «الدرء»، بمعنى: الدفع، لدفعها الظلام، وضمها وتشديد الياء، منسوب إلى «الدر» [أي: اللؤلؤ] «توقد» المصباح، بالماضي، وفي قراءة: بمضارع «أوقد» مبنياً للمفعول، [أي: يؤقد] بالتحثانية، وفي أخرى «توقد» بالفوقانية، أي: الزجاجة «من» زيت «شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية» بل بينهما، فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» لصفاته «نور» به «على نور» بالنار، ونور الله، أي هداة للمؤمن، نور على نور الإيمان «يهدي الله لنوره» أي: دين الإسلام «من يشاء ويضرب» يبين «الله الأمثال

سُورَةُ النُّورِ

تَحْصَنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۚ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

للناس» تقريباً لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا «والله بكل شيء عليم» ومنه ضرب الأمثال. ٣٦ «في بيوت» متعلق بـ «يسبح» الآتي «أذن الله أن ترفع» تعظم «ويذكر فيها اسمه» بتوحيده «يسبح» بفتح الموحدة وكسرهما، أي: يصلي «له فيها بالغدو» مصدر بمعنى «الغدوات»، أي: البكر «والآصال» العشايا من بعد الزوال. ٣٧ «رجال» فاعل «يسبح» بكسر الباء، وعلى فتحها، نائب الفاعل: «له»، و«رجال»، فاعل فعل مقدر، جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: من يسبحه؟ «لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»

يخافون يوماً تتقلب ﴿فيه القلوب والأبصار﴾ من الخوف، القلوب: [تتقلب] بين النجاة والهلاك، والأبصار: بين ناحيتي اليمين والشمال، [واليوم] هو: يوم القيامة. ٣٨ ﴿ليجزئهم الله أحسن ما عملوا﴾ أي: ثوابه، و«أحسن» بمعنى: «حسن» ﴿ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب، أي: يوشع، كأنه لا يحسب ما ينفقه. ٣٩ ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ جمع «قاع»، أي: فلاة، [قاله الهروي، والصحيح: أن «القيعة» مفرد مثل «القاع»، وجمعهما «قيعان»]، وهو [أي: السراب]: شعاع يرى فيها نصف النهار، في شدة الحر، يشبه الماء الجاري ﴿يحسبه﴾ يظنه ﴿الظمان﴾ أي: العطشان ﴿ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ مما حسبه، كذلك الكافر، يحسب أن عمله كصدقة ينفعه، حتى إذا مات، وقدم على ربه، لم يجد عمله، أي: لم ينفعه [لقد أسسه، وهو الإيمان] ﴿ووجد الله عنده﴾ أي: عند عمله، [أي: لم يجد ما توقعه، ولا ما كان يعبد من دون الله في الدنيا، بل وجد أن الله وحده هو الحق، ولم يجد محاسباً له على عمله غيره، فحاسبه] ﴿فوفاه حسابه﴾ أي: [عاقبه بما يستحق من العذاب، أما عمله الصالح، فقد] جازاه عليه في الدنيا، [قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى في الآخرة، أما الكافر: فيُقطعُ بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجزى بها» رواه مسلم] ﴿والله سريع الحساب﴾ أي: المجازاة.

٤٠ ﴿أو﴾ الذين كفروا، أعمالهم السيئة ﴿كظلمات في بحر لجي﴾ عميق ﴿يغشاه موج من فوقه﴾ أي: الموج ﴿سحاب﴾ غيم، هذه ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة [الموج] الثاني، وظلمة السحاب ﴿إذا أخرج الناظر يده﴾ في هذه الظلمات ﴿لم يكدرها﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ أي: من لم يهد الله، لم يهتد.

٤١ ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿والطير﴾ جمع «طائر»، بين السماء والأرض ﴿صافات﴾ حال، باسطات أجنحتهن ﴿كل قد علم﴾ الله ﴿صلاته وتسبيحه﴾ [ويصح عود الضمير في «علم»، على «كل»، فيكون المعنى: علم كل مخلوق صلاته وتسبيحه] ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ فيه تغليب العاقل. ٤٢ ﴿والله ملك السموات والأرض﴾ [وما بينهما، من] خزائن المطر والرزق والنبات، [وسائر المخلوقات] ﴿والى الله المصير﴾ المرجع.

البقرة الطائفة

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٨﴾ لِيَجْزِيَهمَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٠﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾

٤٣ ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ﴾ يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ يخرج من خلاله ﴿مَخَارِجَهُ﴾ وينزل من السماء من ﴿زَائِدَةٍ﴾ جبال فيها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿مِنْ بَرْدٍ﴾ (١) أي: بعضه ﴿فَيَصِيبُ بِهِ مِنْ يَشَاءَ﴾ [إنعاماً، أو انتقاماً] ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ (٢) لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ الناظرة له، أي: يخطفها.

٤٤ ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل

﴿لَعِبْرَةٍ﴾ دلالة ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب البصائر، على قدرة الله تعالى.

٤٥ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ أي: حيوان ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ (٣) أي: نطفة ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤٦ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ أي: بينات، هي: القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

٤٧ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿آمَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِالرُّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأُطْعِمْنَا﴾ كما فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ يُغْرِضُ ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين، الموافق قلوبهم لآسنتهم. ٤٨ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾، فيه من الجار والمجرور أربعة يتقدمها فعل واحد، وهذا من غرائب القرآن وإعجازه، والمراد بالسحاب السحاب، لأن المطر والثلج والبرد كلها تنزل من السحاب، والسحاب في الفضاء كمثل

الجبال على الأرض، يلاحظها كذلك المسافرون في الطائرات، أي: ينزل الله تعالى البرد من السحاب المتراكم كالجبال، فيصيب به من يشاء. إلخ. وقد ذكر الله تعالى البرد في القرآن ولم يذكر الثلج، لأن العرب في الحجاز وما تحوله لم تكن تعرفه، بل كانوا يعرفون نزول البرد كثيراً عندهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الثلج شيء أبيض ينزل من السماء وما رأيته قط.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٤٤
الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ٤٣ يَقْلِبُ
اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ٤٤
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٥
لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤٦ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرُّسُولِ
وَأُطْعِمْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

(٢) قوله تعالى: ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «الرعد والبرق» ص ٣٢٢.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ إن تفسير المحلي ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ بقوله: «نطفة» وجه ضعيف، لأنه لو كان كذلك لوصفه الله تعالى على العادة بقوله «مهيئ»، أو «دافق»، أما الإطلاق فيصرف إلى الماء المشروب، على الصحيح، أرجع إلى تعليقنا ص ٤٢٣ حيث بينا هذه المسألة مع الأدلة.

بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴿عن المجيء إليه .

٤٩ ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين﴾ مسرعين طائعين، [وهذه عادة المنافقين في كل زمان، يقبلون بالإسلام عندما يرونه موافقاً لهم، ويرفضونه إذا خالف أهواءهم].

٥٠ ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ كفرا ﴿أم ارتابوا﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكم، أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ بالإعراض عنه.

٥١ ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أي: القول اللائق بهم ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ بالإجابة ﴿وأولئك﴾ حيثذ ﴿هم المفلحون﴾ الناجون.

٥٢ ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله﴾ يخافه ﴿ويتهقه﴾ بسكون الهاء وكسرهما، بأن يطيعه ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ بالجنة.

٥٣ ﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ غايتها، [أي: أقسموا إقساماً بليغاً] ﴿لئن أمرتهم﴾ بالجهاد ﴿ليخرجن قل﴾ لهم ﴿لا تقسموا طاعة معروفة﴾ للنبي، خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه، [أو: قد عرفت طاعتكم، وهي الكذب والتكذيب، أي: المعروف منكم الكذب دون الإخلاص، قاله مجاهد] ﴿إن الله خير بما تعملون﴾ من طاعتكم بالقول، ومخالفتكم بالفعل.

٥٤ ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ (٢) ﴿فإن تولوا﴾ عن طاعته، بحذف إحدى التاءين، [أصله: «تولوا»]، خطاب لهم ﴿فإنما عليه ما حُمِّل﴾ من التبليغ ﴿وعليكم ما حُمِّلتم﴾ من طاعته ﴿وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾ أي: التبليغ البين.

٥٥ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم

البقرة الطائفة

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أِفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أُمِّرُوا لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمَسِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، لقد أمر الله تعالى في كثير من آيات كتابه العزيز، بطاعة الرسول واتباعه، والافتداء به، والانتفاء عما نهى، فما أشقى الذين يصرفون الناس عن سنة محمد ﷺ وما أضلهم، وهم موجودون في كل عصر، يسمون أنفسهم «قرآنيين»، أي: لا يعملون إلا بما في القرآن، وهم كاذبون في قولهم وعملهم، إذ لو كانوا حقاً قرآنيين كما يزعمون، لعملوا بسنة محمد ﷺ، لأن الله تعالى أمر بذلك في آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، ولكن: لبس عليهم الشيطان، فصرفهم عن الهدى، واتبعوا الهوى، ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

الآيات: أي: الأحكام ﴿والله عليم﴾ بأمور خلقه ﴿حكيم﴾ بما دبره لهم، وآية الاستئذان، قيل: منسوخة، [قاله سعيد بن المسيب]، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان، [وهو قول أكثر أهل العلم، فهي محكمة ثابتة، واجبة على الرجال والنساء]. ٥٩ ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم﴾ أيها الأحرار ﴿الحلم فليستأذنوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ أي: الأحرار الكبار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾. ٦٠ ﴿والقواعد من النساء﴾ قعدن عن الحيض والولد، لكبرهن. ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ لذلك ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ من الجلباب والرداء، والقناع فوق الخمار ﴿غير متبرجات﴾^(١) مظهرات ﴿بزينة﴾ خفية، كقلادة وسوار وخلخال ﴿وأن يستعففن﴾ بأن لا يضعنها ﴿خير لهن والله سميع﴾

لقولكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبكم. ٦١ ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ في مؤاكلة مقابلتهم [من الأصحاء، وقال القرطبي: لكن المختار أن يقال: إن الله رفع الحرج عن الأعمى، فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج، فيما يشترط في التكليف به من المشي، وما يتعدى من الأفعال، مع وجود العرج، وعن المريض، فيما يؤثر المرض في إسقاطه، كالصوم وشروط الصلاة وأركانها والجهاد] ﴿ولا﴾ حرج ﴿على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي: بيوت أولادكم ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ أي: خزنتموه لغيركم [بغير أجر، فإن كانت على الخزن أجرة، حرّم الأكل]. ﴿أو صديقكم﴾ وهو من صدقكم في مودته، المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر، وإن لم يحضروا، إذا علم رضاهم به، [بأن لا يظهر منهم عدم رضا، بخلاف غيرهم، فلا بد من صريح [رضاه] ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ مجتمعين ﴿أو أشتاتاً﴾ متفرقين، جمع «شت»، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿فإذا دخلتم

الْبَيْتُ الْفَتْحِيُّ

الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذْنَ كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٦١ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿غير متبرجات بزينة﴾ التبرج في اللغة: إظهار المرأة زيتها ومحاسنها للأجانب، ولقد تفاقم أمر التبرج والتعري في هذا الزمان، وانتشر بين النساء، فمن كشف الرأس، إلى كشف الذراعين والساقين، ثم كشف النحور والصدور والظهور، إلى التعري على المسابيح العامة مع الرجال، ثم إلى نوادي العراة، فالإباحية المطلقة، والعياذ بالله تعالى، وهذا الذي ذكرناه موجود في غالب البلدان مع تفاوت بينها. ومما يزيد هذا الواقع سوءاً، أن أجهزة الإعلام من: تلفزة وإذاعة ومجلات، لا تقوم بواجبها في التوجيه والتوعية، بل تعمل على نشر الفساد والانحلال، فلا بد من مواجهة ذلك بحملات صادقة، تنقل إلى الناس الوعي، وتنير أمامهم الطريق، لتقتنع المسلمة، فتحشمت وتترك التبرج، لا خوفاً من زوج أو قريب، ولا تقيداً بعبادات المجتمع، بل إيماناً بالله تعالى، وطلباً لمرضاته واحتساباً لثوابه ورحمته.

بيوتاً لكم لا أهل بها ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل، فسلموا عليهم ﴿تحية﴾ مصدر «حيّاً» ﴿من عند الله مباركة طيبة﴾ يثاب عليها ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا ذلك.

٦٢ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه أي: الرسول ﴿على أمر جامع﴾ كخطبة الجمعة، [ويوم الخندق] ﴿لم يذهبوا﴾ لعروض عذر لهم ﴿حتى يستأذنوه﴾ إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم ﴿أمرهم﴾ فأذن لمن شئت منهم ﴿بالانصراف﴾ واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم.

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

يُوتَا فَسَلُّوْا عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ
كَذٰلِكَ يَبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴿٩﴾
اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ؕ وَاِذَا كَانُوْا
مَعَهُ عَلٰٓى اَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوْا حَتّٰى يَسْتَعْذِنُوْهُ اِنَّ الَّذِيْنَ
يَسْتَعْذِنُوْنَكَ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ؕ فَاِذَا
اَسْتَعْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَاۡئِهِمْ فَاذْنِ لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاَسْتَغْفِرْ
لَهُمُ اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٠﴾ لَا تَجْعَلُوْا دُعَاۡءَ الرَّسُوْلِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاۡءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِيْنَ يَتَسَلَّلُوْنَ
مِنْكُمْ لُوَاۡذَا فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ اَمْرِهٖ اَنْ يُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١١﴾ اَلَا اِنَّ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُوْنَ اِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٢﴾

٦٣ [ثم أمر المؤمنين بتعظيم النبي ﷺ فقال:] ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ بأن تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، وخفض صوت^(١) ﴿قد^(٢) يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذاً﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة، [أو: من الجهاد]، من غير استئذان، خفية مستترين بشيء، و﴿قد﴾ للتحقيق ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: الله، أو: رسوله ﴿أن يصيبهم فتنة﴾ بلاء ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

٦٤ ﴿ألا إن الله ما في السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً﴾ ﴿قد^(٢) يعلم ما أنتم﴾ أيها المكلفون ﴿عليه﴾ من الإيمان والنفاق ﴿و﴾ يعلم ﴿يوم يرجعون إليه﴾ فيه التفات عن الخطاب، أي: [يعلم] متى يكون [ذلك اليوم] ﴿فينبئهم﴾ فيه ﴿بما عملوا﴾ من الخير والشر ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾ [فيجازيهم عليها].

(١) قوله: «وخفض صوت»، أي: حين مناجاته ﷺ، كما

سيأتي بيانه في «سورة الحجرات» ص ٦٨٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿قد يعلم الله﴾ في هذه الآية والتي

بعدها، جاءت «قد» وبعدها الفعل المضارع من «علم» في ستة مواضع في القرآن الكريم، منها هذان الموضعان، قال العلامة جمال الدين عبد الله بن هشام الحبلي اللغوي المتوفى عام ٧٦١ هـ في كتابه «معني اللبيب عن كتب الأعاريب» ما يلي: «المتنى الثالث من معاني «قد»، التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو «قد يصدق الكذوب»، وقد يجود البخيل»، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أي: ما أنتم عليه هو أقل معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة للتحقيق». اهـ. وقال الزمخشري: «دخلت قد لتوكيد العلم، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد»، وقد أخذ الجلالان المحلي والسيوطي بقول البعض: إنها للتحقيق لا للتقليل، في هذه المواضع، على خلاف القاعدة، وقد أشرنا إلى ذلك في كل موضع، ولكن ما ذكره ابن هشام هو الأقوى لموافقة القاعدة التي تقول: تكون «قد» للتحقيق إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتقليل إذا جاء بعدها فعل مضارع.

﴿سُورَةُ الْفُرْقَانِ﴾

(مكية: إلا «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر»، إلى قوله: «رحيماً»، فمدني، وهي: سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى [أي: دام وثبت إنعامه، ولا يقال: «تبارك» لغيره تعالى] ﴿الذي نزل الفرقان﴾ القرآن، لأنه فرق

بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﴿ليكون للعالمين﴾ الإنس والجن، دون الملائكة ﴿نذيراً﴾ مخوفاً من عذاب الله، وذلك لأن الملائكة معصومون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون].

٢ ﴿الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء﴾ من شأنه أن يخلق، [وهو: كل ما سوى الله تعالى] ﴿فقدره تقديراً﴾ سواه نسوية. ٣ ﴿واتخذوا﴾ أي: الكفار ﴿من دونه﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿آلهة﴾ هي الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾^(١) ولا يملكون لأنفسهم ضراً ﴿أي: دفعه﴾ [عنها] ﴿ولا نفعاً﴾ أي: جرء [إليها] ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾ أي: إماتة لأحد، وإحياء لأحد ﴿ولا نشوراً﴾ أي: بعثاً للأموات. ٤ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ أي: ما القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ محمد، [أي: اختلقه] ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ وهم أهل الكتاب، [كأبي فكيهة الرومي، وعدّاس]، قال تعالى: ﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾ كفراً وكذباً، [منصوبان بتزع الخافض]، أي: [جاؤوا] بهيماً، [وقاتل ذلك هو النضر بن الحارث، وكان مؤذياً للنبي ﷺ، ووافقه المشركون فيه]. ٥ ﴿وقالوا﴾ أيضاً: هو ﴿أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم، جمع «أسطورة» بالضم.

الْبُرْهَانُ الْاِقْتِنَاءُ

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا سِتْعٌ وَسِتْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(١) قوله تعالى: ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾، «الخلق» هو: إيجاد الشيء من العدم، أي: بعد أن لم يكن، وهو البرهان الأقوى في إبطال مزاعم الملحدين الذين يشككون المؤمنين قائلين: إذا كان الله قد خلق كل شيء فمن خلق الله؟ فنزلت هذه الآية ومثيلاتها تقطع أرواهم بما ملخصه: الله خالق كل شيء، والخالق لا يكون مخلوقاً، لأن المخلوق لا يستطيع أن يخلق شيئاً، والدليل على أن المخلوق لا يخلق، هو الواقع الذي تحدى الله به المشركين بقوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب﴾ أي: فهما مخلوقان، ولا خالق غير الله تعالى، وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله وَلْيَتَّخِذْهُ»، وفي رواية في الصحيح: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا، خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟»، فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمَنْتُ بالله ورسوله.

﴿اكتبها﴾ انتسخها من ذلك^(١) القوم بغيره، [أي: أمر غيره بنسخها له، وهذا اعتراف بأنه أمي] ﴿فهي تملئ﴾ تقرأ عليه ﴿ليحفظها﴾ بكرة وأصيلاً ﴿غدوة وعشية

٦ قال تعالى ردّاً عليهم ﴿قل أنزل الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السماوات والأرض إنه كان غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم.

٧ ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلاً ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ يصدقه؟
٨ ﴿أو بلقى إليه كنز﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش؟ ﴿أو تكون له جنة﴾

بستان ﴿يأكل منها﴾ أي: من ثمارها فيكتفي بها؟ وفي قراءة: ﴿نأكل﴾ بالنون، أي: نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وقال الظالمون﴾ أي: الكافرون للمؤمنين ﴿إن﴾ ما ﴿تتبعون إلا﴾ رجلاً مسحوراً ﴿مخدوعاً، مغلوباً على عقله

٩ قال تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمشحور، والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ طريقاً إليه.

١٠ ﴿تبارك﴾ [أي: دام وثبت، أو:] تكاثر خير الله، [والأول أصح] ﴿الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي قالوه من الكثر والبستان ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: في الدنيا، لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿ويجعل﴾ بالجزم ﴿لك قصوراً﴾ أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً.

١١ ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ القيامة ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ ناراً مسعرة، أي: مشتدة.

١٢ ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً﴾ غلياناً، كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وزفيراً﴾^(٢) صوتاً شديداً، وسماع^(٣) التغيظ: رؤيته وعلمه. ١٣ ﴿وإذا لقوا منها مكاناً ضيقاً﴾ بالتشديد والتخفيف، بأن يضيق عليهم، و[قوله:] ﴿منها﴾، حال من «مكاناً»، لأنه في الأصل صفة له ﴿مقرنين﴾ مصفدين، قد قرنت، أي: جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ هلاكاً.

سُورَةُ الزُّمَرِ ٤٥

اَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَأُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٣﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٥﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿٦﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٧﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿٨﴾ وَإِذَا لَقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿٩﴾

(١) قوله: «من ذلك القوم»، هو هكذا في المخطوطات والطبعات الأخرى، ولعله: «من أولئك القوم» فتأمل.

(٢) قوله تعالى: «وزفيراً» أرجع إلى تعليقنا حول معنى «الشهيق والزفير» ص ٣٠٠.

(٣) فسر المحلي سماع التغيظ بالرؤية والعلم، أي: لم يسمعوا تغيظها بأذانهم، بل رأوه وعلموه، وهذا تكلف لا داعي له، لأن «التغيظ» هو غليان النار واستعارها، وهو أمر يسمع بالأذان.

١٤ فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لعذابكم، [فلن ينفعكم دعاؤكم شيئاً].

١٥ ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور، من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ؟ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَاءٌ﴾ ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعاً. ١٦ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وعدُّهم ما ذكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعِدًّا مَسْئُولًا﴾ يسأله مَنْ وُعدَ به، [وهم المؤمنون، بقولهم] ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، أو: تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾. ١٧ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، من الملائكة، وعيسى، وعزير، والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى، بالتحتانية والنون^(١)، للمعبودين إثباتاً

للحجة على العابدين ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه، [فالقراءات خمس سبعية] ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال، بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟ ١٨ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ مفعول أول لـ ﴿نَتَّخِذُ﴾، «ومن» زائدة لتأكيد النفي، وما قبله [أي: قوله «من دونك» هو المفعول] الثاني، فكيف نأمر بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْنَاهُمْ وَأَبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم، بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة، والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكت. ١٩ قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ كَذَبَ الْمَعْبُودُونَ الْعَابِدِينَ﴾ بما تقولون ﴿بِالْفُوقَانِيَّةِ﴾ أنهم آلهة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية، أي: لا هم ولا أنتم ﴿صِرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعاً لكم منه «ومن يظلم» يشرك «منكم» نذقه عذاباً كبيراً شديداً في الآخرة.

٢٠ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ بلية، ابتلي الغني بالفقير، والصحيح بالمريض،

والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كل: ما لي لا أكون كالأول في كل؟ ﴿أَنْتَصِرُونَ﴾ على ما تسمعون، ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرٍ﴾ بمن يصبر، وبمن يجزع.

(١) قوله «بالتحتانية والنون» حاصله أن في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثلاث قراءات سبعية لا أكثر كما يوهمه كلام المؤلف الجلال المحلي رحمه الله:

الأولى: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ فيقول ﴿بالياء﴾ فيها. الثانية: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون - فيقول ﴿بالياء﴾. الثالثة: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ فنقول ﴿بالياء﴾ فيها.

٢١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبر، بأن محمداً رسوله؟ قال تعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا﴾ طغوا ﴿عَتَوْا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا، و «عَتَوْا» بالواو على أصله، بخلاف «عَتَبًا» بالإبدال في «مريم». ٢٢ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلائق، هو يوم القيامة، [أو عند الموت]، ونصبه بـ «اذكر» مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين، فلهم البشـرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا، إذا نزلت بهم شدة، أي: عوداً مُعَاداً، يستعيدون من الملائكة، [قاله عبد الملك بن جريج، قال ابن كثير: هذا القول بالنسبة إلى السياق بعيد، والجمهور على أن الضمير في: «يقولون» عائـد على الملائكة، وهو قول عدد كبير من التابعين، واختاره الطبري، أي: حراماً محرماً عليكم دخول الجنة اليوم]. ٢٣ قال تعالى ﴿وَقَدَّمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير، كصدقة، وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو: ما يرى في الكوى التي عليها الشمس، كالغبار المفرق، أي: مثله في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه، لعدم شرطه، [وهو الإيمان]، ويجازون عليه في الدنيا^(١). ٢٤ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: موضع قائلة فيها، وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك، انقضاء الحساب في نصف نهار، كما ورد في الحديث^(٢). ٢٥ ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ﴾ أي: كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾ أي: معه، وهو غيم أبيض ﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنْزِيلًا﴾ هو: يوم القيامة، ونصبه بـ «اذكر» مقدراً وفي قراءة: بتشديد شين «تشقق»، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى «تَنَزَّلُ»، بنونين الثانية ساكنة، وضم اللام، ونصب «الملائكة». ٢٦ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ الْيَوْمَ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين. ٢٧ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ الْأَمْرَ﴾ المشرك، [هو:] عقبه بن أبي مغيط

سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٢٥

* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عَتَوْا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ بِجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِثَنِي أَنْتَ أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّىٰ لَبِثَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَنَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

[وأمثاله من الكافرين]، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف ﴿على يديه﴾ ندماً وتحسراً، في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتشبيه ﴿لَبِثَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. ٢٨ ﴿يَا وَيْلَتَنِي﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة، أي: ويلتي، ومعناه: هلكتي ﴿لَبِثَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَنَا﴾ أي: أيتاً ﴿خَلِيلًا﴾ [أي: صديقاً]. ٢٩ ﴿لَقَدْ

(١) قوله: «ويجازون عليه في الدنيا»، كما في حديث رواه مسلم، تقدم نصه في آخر تفسير الآية (٣٩) ص ٤٦٤.

(٢) قوله: «كما ورد في الحديث»، ارجع إلى تعليقنا ص ٣٣٧ حيث بيان ذلك.

أضلني عن الذكر القرآن بعد إذ جاءني بأن ردني عن الإيمان به، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرَ خَذُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه، عند البلاء. ٣٠ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿يَا رَبِّ إِنِّي قَوْمِي قَرِيشًا اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً. ٣١ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً، من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ قَبْلَكَ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ﴾ المشركين، فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصرًا لك على أعدائك. ٣٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزيور، قال تعالى: نزلناه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: متفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: آتيناه به شيئاً بعد شيء، بتمهل وتؤدة، لتيسير فهمه وحفظه.

الْقُرْآنُ مَهْجُورٌ

الْقُرْآنُ مَهْجُورٌ ٣٠ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ ٣١ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ٣٣ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٤ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٥ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٦ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ٣٧ مَعِينًا ٣٨ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ٣٩ أَي: الْقَبْطِ، فَرَعُونَ وَقَوْمَهُ، فَذْهَبَا إِلَيْهِمْ بِالرَّسَالَةِ، فَكَذَّبُوهُمَا ٤٠ فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ٤١ أَمَلَكْنَاهُمْ إِمْلَاكًا ٤٢ وَذَكَرَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ ٤٣ بِنُكْذِبُهُمْ نُوحًا، لَطُولَ لَبْثِهِ فِيهِمْ، فَكَانَهُ رُسُلًا، أَوْ: لِأَن تَكْذِيبَهُ تَكْذِيبٌ لِّبَاقِي الرُّسُلِ، لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي الْمَجِيءِ بِالتَّوْحِيدِ ٤٤ أَغْرَقْنَاهُمْ ٤٥ [بِالطُّوفَانِ وَجُمْلَةً: «أَغْرَقْنَاهُمْ»] جَوَابُ «لَمَّا» ٤٦ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَعْدَهُمْ «آيَةً» عِبْرَةً ٤٧ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٤٨ وَعَادًا وَنُحُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٤٩ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ

٣٣ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا﴾ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ بياناً لهم.

٣٤ ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم.

٣٥ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ معيناً.

٣٦ ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: الْقَبْطِ، فَرَعُونَ وَقَوْمَهُ، فَذْهَبَا إِلَيْهِمْ بِالرَّسَالَةِ، فَكَذَّبُوهُمَا ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أَمَلَكْنَاهُمْ إِمْلَاكًا.

٣٧ ﴿وَذَكَرَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ بِنُكْذِبُهُمْ نُوحًا، لَطُولَ لَبْثِهِ فِيهِمْ، فَكَانَهُ رُسُلًا، أَوْ: لِأَن تَكْذِيبَهُ تَكْذِيبٌ لِّبَاقِي الرُّسُلِ، لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي الْمَجِيءِ بِالتَّوْحِيدِ ٤٤ أَغْرَقْنَاهُمْ [بِالطُّوفَانِ وَجُمْلَةً: «أَغْرَقْنَاهُمْ»] جَوَابُ «لَمَّا» ٤٦ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَعْدَهُمْ «آيَةً» عِبْرَةً ٤٧ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٤٨ وَعَادًا وَنُحُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٤٩ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ

٣٨ ﴿وَذَكَرَ عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَنُحُودًا﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ (١) اسم

بشر، ونيهم، قيل: شعيب، وقيل غيره، كانوا قعوداً حولها، فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾ أقواماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرس، [لا يعلمها إلا الله تعالى]. ٣٩ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ

(١) قوله تعالى: «وَأَصْحَابَ الرَّسِّ». لا خلاف في أن «الرس» في اللغة هو: «البشر»، أما «أصحاب الرس»، فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة «البروج»، واختاره ابن جرير، وقيل: هم أهل أنطاكية، أصحاب القرية المذكورة في سورة «يس» في قوله تعالى: «وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ»، وقيل غير ذلك والله أعلم، وعلى كل حال: فهم من الأقوام الذين أهلكوا بسبب كفرهم.

الأمثال في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكاً، بتكذيبهم أنبياءهم. ٤٠ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ أي: مرّ كفار مكة ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ مصدر «ساء» بالحجارة، وهي عظمى قرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها، لفعلهم الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا﴾ في سفرهم إلى الشام، فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا﴾ بعثاً، فلا يؤمنون.

٤١ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ ما ﴿يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزْؤًا﴾ [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بالواو وضم الزاي، أي: مهزوءاً به، يقولون: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا؟﴾ في دعواه، محقرين له عن الرسالة. ٤٢ ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة

واسمها محذوف، أي: إنه ﴿كَادَ لِيُضِلَّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنِ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها، قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً، أهم أم المؤمنون؟

٤٣ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهوياً، قدم المفعول الثاني، لأنه أهم، وجملة: «من اتخذ»، مفعول أول «أرأيت»، والثاني: «أفأنت تكون عليه وكيلًا» حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

٤٤ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَمُّهُمُ﴾ إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً أخطأ طريقاً منها، لأنها تنقاد لمن يتعهدا، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

٤٥ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [أي: بسطه، و«الظل» هو: الأمر المتوسط، بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة، وهو: من وقت الإسفار، [وقيل: من طلوع الفجر]، إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلْنَا سَاكِنًا﴾^(١) مقيماً، لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ﴾ أي: الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلولا الشمس، ما عُرف الظل.

٤٦ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا﴾ قبضاً يسيراً خفياً، بطلوع الشمس، [أي:

ثم أزلنا الظل يسيراً يسيراً، فكلما ازداد ارتفاع الشمس، ازداد نقصان الظل، حتى يصبح مقبوضاً، ويخلفه شعاع الشمس، و«الظل» هنا غير «الفيء» المعروف للأشياء]. ٤٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ راحة للأبدان، بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ وهو ٤٨ ﴿وَهُوَ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٢٥

الْأَمْثَلُ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا ٢٥ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا ٢٦ أَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ٢٧ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزْؤًا ٢٨ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ٢٩ إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ٣٠ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ٣١ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ٣٢ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ٣٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ٣٥ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ٣٦ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ٣٧ وَهُوَ

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَا سَاكِنًا﴾ هذه إشارة إلى نعمة الله تعالى في حركة الأفلاك وتكوين الليل والنهار، فإن سكون الظل يعني توقف هذا النظام، ولو توقف لعدمت الحياة على الأرض، فلا يعيش كائن حي، ولا ينبت زرع، ولا تصلح معيشة.

الذي أرسل الرياح ﴿ وفي قراءة: «الريح» ﴿نُشْرًا بين يدي رحمته﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة^(١): بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدر، وفي أخرى: «بُشْرًا» [بسكونها وضم الموحدة بدل النون، أي: مبشرات، ومفرد الأولى «نُشُور» كـ «رسول» والآخر «بشير» كـ «قدير» ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ مطهراً. ٤٩ ﴿لنُحْيِي بِهِ بِلْدَةَ مِثْرًا﴾ بالتخفيف، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذَكَرَهُ باعتبار المكان ﴿ونُسْقِيهِ﴾ أي: الماء ﴿مما خلقنا أنعاماً﴾ إِبِلًا وبقراً وغنماً ﴿وأناسي كثيراً﴾ جمع «إنسان» وأصله: «أناسين»، فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو: جمع «إنسي». ٥٠ ﴿ولقد صرفناه﴾ أي: الماء ﴿بينهم﴾ [فأمطرنا هذه الأرض، دون هذه] ﴿ليذكروا﴾

أصله: «يتذكروا»، أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: «ليذكروا» بسكون الذال وضم الكاف، أي: نعمة الله به ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ جحوداً للنعمة، حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا^(٢). ٥١ ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً، ليعظم أجرك. ٥٢ ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في هوامهم ﴿وجاهدهم به﴾ أي: القرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ [لا يخالطه فتور]. ٥٣ ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً، لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وحجراً محجوراً﴾ سترًا ممنوعاً به اختلاطهما. ٥٤ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ من المني إنساناً، [أو: من الماء الذي هو أصل الخلق، كما تقدم ص ٤٢٣] ﴿فجعل نسباً﴾ ذكراً كان أو أنثى، طلباً للتناسل [والقربة] ﴿وكان ريك قديراً﴾ قادراً على ما يشاء. ٥٥ ﴿ويعبدون﴾ أي: الكفار ﴿من دون الله ما لا ينفعهم﴾ بعبادته ﴿ولا يضرهم﴾ بتركها، وهو: الأصنام ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ معيناً للشيطان بطاعته. ٥٦ ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ مخوفاً من النار. ٥٧ ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿من أجر إلا﴾ لكن ﴿من شاء﴾

الْبَشَرُ وَالْأَنْعَامُ

الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٩﴾ لِنُحْيِي بِهِ بِلْدَةَ مِثْرًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبِي أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٢﴾ فَلَا تَطُوعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٣﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٥﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٧﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ

(١) قوله: «وفي قراءة» الخ بتقديم بيان وجوه القراءات في مثل هذه الآية. في سورة «الإعراف» ص ٢٠١. وستأتي في سورة «النمل» ص ٥٠٢.

(٢) قوله: «مطرنا بنوء كذا» روى مسلم أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً على إثر سماء - أي: مطر - أصابتهم من الليل: «أتدرون ماذا قال ربيكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب»، «والنوء» سقوط النجم، وهذا كله على وجه إعادة الضمير في «صرفناه» إلى المطر، وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال آخرون: إن الضمير يعود على «القرآن»، وتام المعنى عليه واضح.

أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴿٥٨﴾ طريقاً، بإنفاق ماله في مرضاته تعالى، فلا أمنعه من ذلك. ﴿٥٨﴾ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده ﴿٥٩﴾ أي: قل سبحان الله والحمد لله ﴿٥٩﴾ وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴿٥٩﴾ عالماً، تعلق به: «بذنوب». ٥٩ هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴿٥٩﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها (١)، لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه، لتعليم خلقه التبتت، ﴿٥٩﴾ ثم استوى على العرش ﴿٥٩﴾ هو في اللغة: سرير الملك ﴿٥٩﴾ الرحمن ﴿٥٩﴾ بدل من ضمير «استوى»، أي: استواء يليق به [تعالى] ﴿٥٩﴾ فاسأل أيها الإنسان ﴿٥٩﴾ به ﴿٥٩﴾ بالرحمن ﴿٥٩﴾ خبيراً ﴿٥٩﴾ يخبرك بصفاته. ٦٠ ﴿٥٩﴾ وإذا قيل لهم ﴿٥٩﴾ لكفار مكة ﴿٥٩﴾ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما

سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٥٥

أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبٌ عَبَادُهُ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

﴿٦٥﴾ قالوا سلاماً ﴿٦٥﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم. ٦٤ ﴿٦٥﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً ﴿٦٤﴾ جمع «ساجد» ﴿٦٤﴾ وقياماً ﴿٦٤﴾ بمعنى قائمين يصلون بالليل. ٦٥ ﴿٦٥﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴿٦٥﴾ أي: لازماً [ودائماً].

(١) قوله: «أي: في قدرها» إلخ، هذا هو الصحيح في تفسير الأيام الستة، ولكن الجلال المحلي - ومثله فعل السيوطي - عدل في المواضع الأخرى عن هذا وقال: «أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة» وهذا قول لا دليل عليه يُعتمد به، أرجع إلى تعليقنا حول هذا الموضوع ص ٦٣٠.

٦٦ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي، أي: موضع استقرار وإقامة. ٦٧ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ على عيالهم [وأنفسهم] ﴿لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه، أي: يضيّقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً.

٦٨ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١) أي: عقوبة.

٦٩ ﴿يُضَاعَفُ﴾ وفي قراءة: «يُضَعَّفُ» بالتشديد ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ﴾ [أي: في العذاب]، يجزم الفعلين [ـ «يُضَاعَفُ» و«يُخْلَدُ»] بدلاً، ويرفعهما استئنافاً ﴿مُهَانًا﴾ حال، [أي: ذليلاً مطروداً].

الْبَيْتُ الثَّامِنُ

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِنَّهُ يُتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤

٧٠ [أخرج البخاري وغيره واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر... الآية» قال أهل مكة: قد عدلنا بالله، أي: أشركنا به، وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأتيننا الفواحش، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٧١ ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه، غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعاً، فيجازيه خيراً.

٧٢ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل، [روى الشيخان، عن أبي بكر: نَفَعَ بِنِ الْحَارِثِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَايَرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَكَانَ مَتَكْنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، فَمَا زَالَ يَكْررها حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنه. ٧٣ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين. ٧٤ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخير.

(١) قوله تعالى: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ روى البخاري أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا رسول الله: أيُّ الذنوب أكبر عند الله؟ قال: «أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ» قال: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قال: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَرَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾.

٧٥ ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقُونَ﴾ بالتشديد، والتخفيف مع فتح الياء ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

٧٦ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة، و ﴿أُولَئِكَ﴾ وما بعده، خبر «عباد الرحمن» المبتدأ.

٧٧ ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لأهل مكة ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَعْبَأُ﴾ يكثرث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد، فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبا بكم، وقد ﴿كذبتُم﴾ الرسول والقرآن؟ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ ملازماً لكم في الآخرة، بعد ما يحل بكم في الدنيا، فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب «لولا»، دل عليه ما قبله، [أي: لولا دعاؤكم في الشدائد، ما عبأ بكم فكشفها].

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٥٥

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا نَجِيَّةً
وَسَلَامًا ﴿٥٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٥٦﴾
قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَامًا ﴿٥٧﴾

سُورَةُ الشَّعَرَاءِ

(مكية، إلّا: «والشعراء».. إلى آخرها، فمدني، وهي: مائتان وسبع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿طَسَمَ﴾^(١) الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل.

٣ ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَاخِعَ نَفْسِكَ﴾ قاتلها غماً من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾ أهل مكة [وغيرهم] ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [أي: خيفة أن لا يؤمنوا]، و «لعل» هنا للإشفاق^(٢)، أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

٤ ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع، أي: تظل، أي: تدوم ﴿أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع، الذي هو لأربابها، جمعت الصفة منه جمع العقلاء، [أي: «خاضعين» بدل خاضعة].

(٢٦) سُورَةُ الشَّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتُّعٌ وَعَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ
بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ

٤٧٩

٥ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾ [في تنزله]، صفة كاشفة، [أي: غير لازمة بحيث لا تفارق الموصوف، فالقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق] ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ

(١) قوله تعالى: «طسم». ارجع إلى تعليقنا حول الحروف المتقطعة في أوائل بعض السور من ٣.

(٢) قوله: «ولعل هنا للإشفاق»، وهو: الخوف من وقوع المكروه، وهذا أحد معاني «لعل»، يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحزناً على عدم إسلام الكافرين.

معرضين ﴿٧﴾ [صادين غير متاملين]. ٦ ﴿فقد كذبوا﴾ به ﴿فسيأتيهم أنباء﴾ عواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾. ٧ ﴿أو لم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى الأرض كم أنبتنا فيها﴾ أي: كثيراً ﴿من كل زوج كريم﴾ نوع حسن؟ ٨ ﴿إن في ذلك لآية﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في علم الله، و «كان»، قال سيبويه: [إنها] زائدة. ٩ ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ ذو العزة، ينتقم من الكافرين ﴿الرحيم﴾ يرحم المؤمنين. ١٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إذ نادى ربك موسى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أنت القوم الظالمين﴾ رسولاً.

الجزء التاسع عشر

مُعْرِضِينَ ﴿٧﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٤﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٦﴾ قَالَ كَلَّا فَإِنَّا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٧﴾ فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ

١١ ﴿قوم فرعون﴾ معه، ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، و [ظلموا] بني إسرائيل باستعبادهم ﴿ألا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يتقون﴾ الله بطاعته فيوحدونه^(١)؟

١٢ ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني أخاف أن يكذبون﴾.

١٣ ﴿ويضيق صدري﴾ من تكذيبهم لي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بأداء الرسالة، للعقدة التي فيه ﴿فأرسل إلى﴾ أخيه ﴿هارون﴾ [أي: اجعله رسولاً] معي.

١٤ ﴿ولهم علي ذنب﴾ [بزعمهم]، بقتل القبطي منهم^(٢) ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به.

١٥ ﴿قال﴾ تعالى ﴿كلّا﴾ أي: لا يقتلونك ﴿فأذهبا﴾ أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بآياتنا إنا معكم﴾ [بعلمنا] ﴿مستمعون﴾ [أي: نسمع] ما تقولون، وما يقال لكم، أجرياً مجرى الجماعة.

١٦ ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا﴾ أي: كلّا منا ﴿رسول رب العالمين﴾ إليك.

١٧ ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أرسل معنا﴾ إلى الشام ﴿بني إسرائيل﴾ فأتياه، فقالا له ما ذكر.

١٨ ﴿قال﴾ فرعون لموسى، [على جهة المن والاحتقار] ﴿ألم نربك فينا﴾ في منازلنا ﴿وليداً﴾ صغيراً قريباً من الولادة

بعد فطامه ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ ثلاثين سنة، يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه؟ وكان يسمى ابنه، [فمتى كان هذا الذي تدعيه]؟ ١٩ ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ هي: قتله القبطي.

(١) قوله: «فيوحدونه»، هو هكذا بالرفع بثبوت التون كما في المخطوطات وبعض النسخ المطبوعة، لأنه معطوف على «ويتقون».

(٢) قوله: «بقتل القبطي منهم»، وكان قتله خطأ كما جاء في حديث رواه مسلم، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وفيه قوله ﷺ: «وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله عز وجل له: «وقتل نفساً فتجنيك من الغم وفتناك فتونا»، وسيأتي بتامه ص ٥٠٨، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قتل قبطياً كافراً.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك، بالتربية وعدم الاستعباد. ٢٠ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا﴾ أي: حينئذٍ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(١) عما آتاني الله من بعدها، من العلم والرسالة، [أي: قبل أن يوحى الله إليّ، وينعم عليّ بالرسالة والنبوة]. ٢١ ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ٢٢ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها [عليّ] ﴿أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟﴾ بيان لـ «تلك»، أي: اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك، لظلمك باستعبادهم، وقدّر بعضهم أول الكلام، همزة استفهام للإنكار، [أي: «أَوَ تِلْكَ»]. ٢٣ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؟ أي: أي شيء هو؟ ولما لم يكن سبيل للخلق، إلى معرفة حقيقته تعالى، وإنما يعرفونه بصفاته، أجاب موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أُولَوِّجُثُّكَ شَيْءٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ

٢٤ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بأنه تعالى خالقه، فآمنوا به وحده. ٢٥ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال؟ ٢٦ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا، وإن كان داخلاً فيما قبله، [فإنه] يغيب فرعون. ٢٧ ﴿قَالَ﴾ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴿أي: ليس يجيبني عما أسأل﴾.

٢٨ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم تعقلون ﴿أنه كذلك﴾، فآمنوا به وحده.

٢٩ ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ كان سجنه شديداً، يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً. ٣٠ ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أُولَوِّجُثُّكَ شَيْءٌ مُبِينٌ﴾ برهان بين على رسالتي؟

٣١ ﴿قَالَ﴾ له فرعون ﴿فَاتِّبِعْهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

٣٢ ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ

(١) قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ لا يلزم من إطلاق «الضلال» حمله على أنه الضلال عن الهدى أي: الكفر، لأن عدم المعرفة بالشئ يسمى في اللغة «ضلالاً» فيقال: فلان ضل الطريق أو الدار أو المسجد أي: لم يعرف طريقه أو موضح قصده، ومنه: يقال للأمر المفقود المجهول «ضالة» فيقال: أُنشِدتْ ضالته، أي: بحث عنها، ومن هذا المعنى: قال تعالى خطاباً لسيدنا محمد ﷺ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي: كنت لا تعرف شيئاً من أمر الدين، فعلمك الله بالوحي إليك، كقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾. فلا يصح أن يفهم من «الضلال» في مثل هذه الآيات، أنه الكفر — كما يتوهم البعض — لأن الأنبياء معصومون عنه قبل النبوة وبعدها بالإجماع.

مبين ﴿حياة عظيمة﴾^(١).

٣٣ ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء﴾ ذات شعاع، [«من غير سوء»، ظاهرة] ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة، [أي: الشُّمرة].

٣٤ ﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر^(٢).

٣٥ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون؟﴾ [أي: أشيروا علي، ماذا أفعل به؟].

٣٦ ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ آخر أمرهما ﴿وابعث في

المدائن حاشرين﴾ جامعين.

٣٧ ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ يفضل موسى في علم السحر.

٣٨ ﴿نجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة، [كما تقدم في سورة طه].

٣٩ ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون؟﴾ [أي: هل اجتمعتم أيها الناس كلكم؟].

٤٠ ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ الاستفهام: للحث على الاجتماع، والترجي، على تقدير غلبتهم، ليستمروا على دينهم، فلا يتبعوا موسى.

٤١ ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون إن﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [أي: التحقيق والتسهيل] ﴿لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾.

٤٢ ﴿قال نعم﴾ [لكم الأجرة] ﴿وإنكم إذا﴾ أي: حيثئذ ﴿لننجز لكم الأجر﴾ [إلى زيادة على أجركم].

٤٣ ﴿قال لهم موسى﴾ بعد ما قالوا له: «إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين» ﴿اللقوا ما أنتم ملقون﴾ فالأمر منه، للإذن بتقديم إلقائهم، توسلاً به إلى إظهار الحق.

٤٤ ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾.

٤٥ ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف﴾ بحذف إحدى التائين من الأصل، [وهو: «تلقف»، أي: «تبتلع» ما بأفكون] بقلبونه بتمويههم، فيخيلون حبالهم وعصيهم، أنها [من سحرهم] حيات تسعى.

٤٦ ﴿فألقى السحرة﴾ [فيه دلالة، على أنهم لما رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أنفسهم، فكأنهم أخذوا وطرحوا على وجوههم].

(١) قوله: «حياة عظيمة»، أرجع إلى تعليقنا حول عصا موسى، ص ٢٠٩.

(٢) قوله: «فائق في علم السحر»، أرجع إلى تعليقنا حول «السحر»: معناه وحكمه ص ٢١٠.

﴿ساجدين﴾. ٤٧ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ٤٨ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا، لا يتأتى بالسحر. ٤٩ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَأَمَّنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، [وبعدهما ألف ممدودة، على الاستفهام]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: بهزمة واحدة بعدها ألف، على لفظ الخبر الذي معناه الاستفهام] ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ أَذْنَ﴾ أنا لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴿فَعَلِمَكُم شَيْئاً مِنْهُ، وَغَلِبَكُمْ بآخِرِ﴾ فلسوف تعلمون ﴿مَا يَنَالُكُم مِّنِي﴾ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴿أَي: يَدَ كُلِّ وَاحِدٍ يَمْنَى وَرَجْلَهُ الْيُسْرَى﴾ ولأصلبكنم أجمعين. ٥٠ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك، [أي: لن نأبه بعذابك] ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بعد موتنا، بأي وجه كان ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة، [وهذا يدل على شدة استبصارهم].

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَأَمَّنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِيَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ

٥١ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا﴾ خطايانا ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا. ٥٢ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم، يدعوهم بآيات الله إلى الحق، فلم يزيّدوا إِلَّا عِتْوًا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة: بكسر النون ووصل همزة «أسر»، من «سرى»، [وهي لغة في «أسرى»، أي: سر بهم ليلاً إلى البحر ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده، فيلجئون وراءكم البحر، فأنجيكم وأغرقهم. ٥٣ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أُخْبِرَ بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قيل: كان له ألف مدينة، واثنان عشر ألف قرية ﴿حَاشِرِينَ﴾ جامعين الجيش، قائلًا: ٥٤ ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قيل: كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه. ٥٥ ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا. ٥٦ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ متيقظون، وفي قراءة: «حاذرون» مستعدون، [وهما لغتان، إِلَّا أَنْ فِي «حَاذِرٍ» مَعْنَى الْإِسْتِقْبَالِ]. ٥٧ قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: فرعون وجنوده من مصر، ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِّنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾

جنت ﴿بساتين كانت على جانبي النيل﴾ وعيون ﴿أنهار جارية في الدور، من النيل. ٥٨﴾ وكنوز ﴿أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت «كنوزاً»، لأنه لم يُعْطَ حَقُّ الله تعالى منها، [قال ﷺ: «مَا أَدَّى زَكَاتَهُ، فَلَيْسَ بِكَتَزٍ»]، رواه أحمد والبيهقي﴾ ومقام كريم ﴿مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم. ٥٩﴾ كذلك ﴿أي: إخراجنا كما وصفنا﴾ وأورثناها بني إسرائيل ﴿بعد إغراق فرعون وقومه. ٦٠﴾ فاتبعوهم ﴿لحقوهم﴾ مشرقين ﴿وقت شروق الشمس. ٦١﴾ فلما تراء الجمعان ﴿أي: رأى كل منهما الآخر.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ يَدْرِكُنَا جَمْعُ فِرْعَوْنَ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. ٦٢ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَنْ يَدْرِكُونَا ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي﴾ بِنَصْرِهِ ﴿سَيَهْدِين﴾ طَرِيقَ النِّجَاةِ. ٦٣ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فَضْرِبُهُ ﴿فَانْفَلَقَ﴾ انْشَقَّ اثْنِي عَشَرَ فَرْقًا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الْجَبَلُ الضَّخْمُ، بَيْنَهَا مَسَالِكُ سَلَكُوهَا، لَمْ يَيْتَلْ مِنْهَا سَرَجَ الرَّكَّابِ، وَلَا لِبُدَّهُ. ٦٤ ﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ قَرَّبْنَا ﴿ثُمَّ﴾ هُنَاكَ ﴿الْآخِرِينَ﴾ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، حَتَّى سَلَكُوا مَسَالِكَهُمْ. ٦٥ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ، عَلَى هَيْئَتِهِ الْمَذْكُورَةِ. ٦٦ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، بِإِطْبَاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ، لَمَّا تَمَّ دُخُولُهُمُ الْبَحْرَ، وَخُرُوجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهُ. ٦٧ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أَي: إِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿لَايَةً﴾ عِبْرَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِاللَّهِ، لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ غَيْرُ: «أَسِيَّةَ» امْرَأَةٍ^(١) فِرْعَوْنَ، وَ«حَزْقِيلَ» مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ^(٢)، وَ«مَرْيَمَ بِنْتَ نَامُوسَى»، الَّتِي دَلَّتْ عَلَى عِظَامِ^(٣) يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٦٨ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ﴾ فَانْتَقَمَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِإِغْرَاقِهِمْ ﴿الرَّحِيمِ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْجَاهَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ. ٦٩ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: كَفَّارَ مَكَّةَ [وغيرهم] ﴿نَبَأًا﴾ خَبَرَ «إِبْرَاهِيمَ» وَيَبْدُلُ مِنْهُ: ٧٠ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾. ٧١ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صَرَحُوا بِالْفِعْلِ، [أَي: قَالُوا: «نَعْبُدُ أَصْنَامًا»، وَلَمْ يَقُولُوا: هَذِهِ أَصْنَامُ]، لِيُعْطِفُوا عَلَيْهِ: ﴿فَنَنْظِلُ لَهَا حَافِيَيْنِ﴾ أَي: نَقِيمَ نَهَارًا عَلَى عِبَادَتِهَا، زَادُوهُ فِي الْجَوَابِ افْتِخَارًا بِهِ. ٧٢ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ﴾ حِينَ ﴿تَدْعُونَ؟﴾ ٧٣ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكَ﴾ إِنْ عِبَدْتُمُوهُمْ ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كَمْ إِنْ لَمْ تَعْبُدُوهُمْ؟ ٧٤ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أَي: مِثْلَ فَعَلْنَا، [فَاتَّبَعْنَاهُمْ وَقَلَّدْنَاهُمْ، مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا دَلِيلٍ]. ٧٥ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ]. ٧٦ ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ؟﴾ [الْأُولَوْنَ]. ٧٧ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أَي: فَلَا أَعْبُدُهُمْ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ «رَبِّ

(١) قوله: «امرأة فرعون»، وهي التي ضربها الله تعالى مثلاً للذين آمنوا، في الآية (١١) من سورة «التحریم» كما سيأتي، ص ٧٥٣.

(٢) قوله: «مؤمن آل فرعون»، وكان يكتُم إيمانه، أنزل الله تعالى قصته في سورة «غافر» التي تسمى أيضاً سورة «المؤمن» ص ٦٢١.

(٣) قوله: «التي دلت على عظام يوسف»، جاء ذكر العظام في حديث رواه ابن حبان في صحيحه، والمراد: جسده الذي في القبر، أي: دلت على قبره، كما جاء في حديث رواه ابن أبي حاتم البستي، والحاكم وصححه، وغيرهما، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وذلك أن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف لينقله إلى فلسطين فدلته تلك العجوز عليه، فنقل جسده بالفعل، فأجساد الأنبياء لا تبلى، لما رواه أبو داود بإسناد صحيح عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنْ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَعْرِضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ — أَي: بَلَيْتُ — قَالَ: «إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ».

العالمين ﴿فإني أعبدہ﴾ ٧٨ ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ [يرشدني] إلى الدين. ٧٩ ﴿والذي هو بطعمني ويسقني﴾. [أي: يرزقني]. ٨٠ ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [أضاف فعل المرض لنفسه، رعاية للأدب]. ٨١ ﴿والذي يمينني ثم يحين﴾ [يوم القيامة]. ٨٢ ﴿والذي أطمع﴾ أرجو ﴿أن يفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي: الجزاء، [أي: هو غافر الذنب لعباده المؤمنين]. ٨٣ ﴿رب هب لي حكماً﴾ علماً ﴿والحقني بالصالحين﴾ أي: النبيين، [في الجنة]. ٨٤ ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ ثناء حسناً ﴿في الآخرين﴾ الذين يأتون بعدي، إلى يوم القيامة. ٨٥ ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي: ممن يُعطاهها. ٨٦ ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ [أي: المشركين]، بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكر في سورة

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الْعَلَيْنِ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفُرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

٤٨٥

﴿براءة﴾^(١).
٨٧ ﴿ولا تخزني﴾ تفضحني^(٢) ﴿يوم يبعثون﴾ أي: الناس.
٨٨ قال تعالى فيه: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ أحداً.
٨٩ ﴿إلا﴾ لكن ﴿من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك والنفاق، وهو قلب المؤمن^(٣)، فإنه ينفعه ذلك. ٩٠ ﴿وأزلفت الجنة﴾ قُرِّبَتْ ﴿للمنقين﴾ فيزونها، [ثم يدخلونها].
٩١ ﴿وبرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للالغاوين﴾ الكافرين، [ليزداد حزنهم قبل أن يدخلوها].
٩٢ ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون﴾.
٩٣ ﴿من دون الله﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.
٩٤ ﴿فكفبوا﴾ ألقوا، [أي: المعبودون من دون الله] ﴿فيها هم والغاوون﴾ [الكافرون الذين عبدوهم].
٩٥ ﴿وجنود إبليس﴾ أتباعه ومن أطاعه، من الجن والإنس ﴿أجمعون﴾.

(١) قوله: «كما ذكر في سورة براءة»، ارجع إلى تعليقنا حول «الدعاء للكافر والاستغفار له» ص ٢٦١.

(٢) قوله: «تفضحني». عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم، يرى أباه يوم القيامة، عليه الغبرة والقفرة»، أي: سواد يغطي وجوه الكافرين، قال تعالى: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ ترهقها قفرة * أولئك هم الكفرة الفجرة. وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه - أي: على الحالة التي تقدمت من الشقاء - فيقول: يا رب! إنك وعدتني ألا تخزني يوم تبعثون» فيقول: الله تعالى: «إني حرمت الجنة على الكافرين». أخرجهما البخاري في صحيحه، وفي دعاء إبراهيم هذا، تعليم للمسلمين كيفية الدعاء، مع إظهار الحاجة إلى عفو الله تعالى على كل حال.

(٣) قوله: «هو قلب المؤمن». روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أي: خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، عامرة بالإيمان.

١١٢ ﴿قَالَ وَمَا عَلَّمِي﴾ أَيُّ عِلْمٍ لِي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ؟ [أَيُّ لَمْ أَكَلِّفُ الْعِلْمَ بِأَعْمَالِهِمْ، بَلْ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ]. ١١٣ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ فَيَجَازِيهِمْ ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، مَا عَسَيْتُمْ بِهِمْ.

﴿بطشتم جبارين﴾ من غير رافة، [لقسوة قلوبكم].

١٣١ ﴿فاتقوا الله﴾ في ذلك ﴿وأطيعون﴾ فيما أمرتكم به.

١٣٢ ﴿واتقوا الذي أمركم﴾ أنعم عليكم ﴿بما تعلمون﴾ [من الخيرات].

١٣٣ ﴿أمركم بأنعام﴾ [جمع «نعم»، وهي الإبل والبقر والغنم] ﴿وبنين﴾.

١٣٤ ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار، [أي: سخرها لكم، وتفضل بها عليكم، لشكروه].

١٣٥ ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ في

الدنيا والآخرة، إن عصيتموني.

١٣٦ ﴿قالوا سواء علينا﴾ مُسْتَوٍ عندنا ﴿أوعظت

أم لم تكن من الواعظين﴾ أصلاً؟ أي: لا نرغوي لوعظك.

١٣٧ ﴿إن﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي خوفتنا به ﴿إلا خلقُ

الأولين﴾ [بضم الخاء وسكون اللام]، أي:

اختلاقهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الخاء

واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه، من أن

لا بعث، إلا خلق الأولين، أي: طبيعتهم

وعاداتهم.

١٣٨ ﴿وما نحن بمعذبين﴾ [على ما نفعل، كما

تقول].

١٣٩ ﴿فكذبوه﴾ بالعذاب ﴿فأهلكناهم﴾ في

الدنيا بالريح [الشديدة، كما سيأتي في سورة

«الحاقة»] ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم

مؤمنين﴾.

١٤٠ ﴿وان ربك﴾ [يا محمد] ﴿لهو العزيز

الرحيم﴾.

١٤١ ﴿كذبت ثمود^(١) المرسلين﴾ [أي: كذبوا

رسولهم صالحاً].

١٤٢ ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ [في النسب]،

﴿صالح ألا تتقون﴾ [الله، فتؤمنون؟].

١٤٣ ﴿إني لكم رسول أمين﴾.

١٤٤ ﴿فاتقوا الله﴾ [بترك الكفر] ﴿وأطيعون﴾

[في الإيمان].

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٢﴾ وَاتَّقُوا

الَّذِي أَمَرَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمَرَكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٤﴾

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٥﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ

الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا نَحْنُ

بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ ﴿١٤١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ

أَخُوهُمْ صَلِّحْ وَلَا تَنْتَقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَلُمْنَا

ءَامِنِينَ ﴿١٤٧﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ

١٤٥ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ إلا على رب العالمين. ١٤٦ ﴿أتركون في ما ههنا﴾ من الخير ﴿أمين﴾ [من الموت والعذاب؟ أي: أنظنون أنكم باقون في الدنيا؟]. ١٤٧ ﴿في جنات وعيون﴾ [أي: بساتين وأنهار]. ١٤٨ ﴿وزروع ونخل

(١) قوله تعالى: «كذبت ثمود المرسلين» وهم أيضاً «أصحاب الحجر»، وهو واد بين المدينة والشام، إلى الجنوب الشرقي من أرض «مدين» القريبة من خليج العقبة، وتعرف اليوم بـ «فج الناقة»، وآثار مدائنهم ظاهرة، وتعرف بـ «مدائن صالح»، ارجع إلى تعليقنا حول «ثمود» ص ٢٩٣.

طلعها هضيم ﴿لطيف لين﴾.

١٤٩ ﴿وتنتحون من الجبال بيوتاً فرهين﴾ [أي: بطرين، وفي قراءة: «فارهين» [أي: حاذقين [ماهرين بنحتها].

١٥٠ ﴿فاتقوا الله وأطيعوه﴾ فيما أمرتكم به.

١٥١ ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾^(١) [منكم، الذين يشجعونكم على عدم الإيمان].

١٥٢ ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي، [ومنها كفرهم] ﴿ولا يصلحون﴾ بطاعة الله.

١٥٣ ﴿قالوا إنما أنت من المسحurin﴾ الذين سحروا كثيراً، حتى غلب على عقولهم.

١٥٤ ﴿ما أنت﴾ أيضاً ﴿إلا بشر مثلنا فأت بآية

إن كنت من الصادقين﴾ في رسالتك.

١٥٥ ﴿قال هذه ناقة﴾ [لكم آية] ﴿لها شرب﴾

نصيب من الماء، [تشربه في يوم] ﴿ولكم

شرب يوم معلوم﴾ [آخر].

١٥٦ ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم

عظيم﴾ بعظم العذاب.

١٥٧ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقرها بعضهم،

[وهو أشقى ثمود: «قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ»]

برضاهم، [فكانوا جميعاً شركاء في الإثم]

﴿فأصبحوا نادمين﴾ على عقرها، [لما أيقنوا

بالعذاب].

١٥٨ ﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود به، فهلكوا

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

١٥٩ ﴿وإن ربك﴾ [يا محمد] ﴿لهو العزيز

الرحيم﴾.

١٦٠ ﴿كذبت قوم لوط﴾^(٢) المرسلين.

﴿بتكذيبهم لوطاً، لأن تكذيب رسول واحد،

تكذيب لجميع الرسل﴾.

١٦١ ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾

[الله، فتؤمنون؟].

١٦٢ ﴿إني لكم رسول أمين﴾ [على ما أرسلت

به، وصادق فيه].

١٦٣ ﴿فاتقوا الله﴾ [بترك الكفر] ﴿وأطيعوه﴾

[في الإيمان].

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْتَحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا

أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ

بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ

شَرِبَ وَلَكُمْ شَرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ

فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا

نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ

أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

١٦٤ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ إلا

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ أي: الذين أسرفوا على أنفسهم بإهلاكها بكفرهم، وأصل الإسراف: مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه﴾، والإسراف في الإنفاق أيضاً هو: مجاوزة حدود الحاجة، ارجع إلى تعليقنا حول «الإسراف» ص ١٩٦، و «التبذير» ص ٣٦٨.

(٢) قوله تعالى: ﴿قوم لوط﴾، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٨٩.

١٨١ ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين [الكيل والوزن].

١٨٢ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي، [أي: أعطوا الحق].

١٨٣ ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(١) لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره، من «عَثِي» بكسر المثلثة، أفسد، و «مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها.

١٨٤ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ الخليفة ﴿الْأُولِينَ﴾.

١٨٥ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [أي:

الذين سُحروا كثيراً، حتى غلب على عقولهم].

١٨٦ ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

١٨٧ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ بسكون السين

وفتحها، قطعة^(٢) ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَادِقِينَ﴾ في رسالتك. ١٨٨ ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ

بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. ١٨٩ ﴿فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة، أظلمتهم

يوم حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً،

فاحترقوا ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

١٩٠ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾.

١٩١ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

١٩٢ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَنُزِيلَ رَبُّ

الْعَالَمِينَ﴾. ١٩٣ ﴿نُزُلٌ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ﴾^(٣) جبريل. ١٩٤ ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾

[أي: يتلوه عليك، فبعبه قلبك] ﴿لَتَكُونَ

مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾. ١٩٥ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ

الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ

لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ

لَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزْلٌ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، يندرج

تحتة كثير من المعاني كما أشار الجلال المحلي

رحمه الله، وقد بينها في تعليقنا على الآية المماثلة

من سورة (هود) ص ٢٩٧ فارجع إليه.

(٢) قوله: «قطعة»، هو تفسير لقراءة «كسفاً» بسكون السين

فقط، - كما هي عادة الجلال المحلي في تفسيره - وأما على قراءتها بفتح السين فهي جمع أي: قطعاً كما سيأتي في الآية ٤٨ من سورة

(الروم) ص ٥٣٧. قال الأخفش: من قرأ بسكون السين جعله واحداً، ومن قرأ بفتحها جعله جمعاً، وقيل: إنهما جمع، مفردة «كشفتة».

(٣) قوله تعالى: ﴿الروح الأمين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

(٤) قوله تعالى: ﴿بلسان عربي﴾. في هامش المخطوطة الأولى من تعليقات الناسخ ما يلي: «الباء في قوله: ﴿بلسان عربي﴾

- أي: بلغة قريش - متعلقة بـ «المنذرين»، فالمعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب،

واسماعيل، ومحمد ﷺ، ويجوز أن يتعلق بـ «نزل» والمعنى: نزله بلغة العرب لتندرد به، ولو نزله بلغة العجم لقالوا: كيف تؤمن بما

لا نفهمه؟» اهـ.

مبين ﴿بَيْنَ﴾ [ثلاثا يقولوا: لسنا نفهم ما يقول]، وفي قراءة: بتشديد «نزل»، ونصب «الروح»، والفاعل: الله.
 ١٩٦ ﴿وإنه﴾ أي: ذكر القرآن، المنزل على محمد ﴿لني زبر﴾ كتب ﴿الأولين﴾ كالتوراة والإنجيل.
 ١٩٧ ﴿أو لم يكن لهم﴾ لكفار مكة [وغيرهم] ﴿آية﴾ على ذلك ﴿أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ كعبد الله بن سلام^(١) وأصحابه ممن آمنوا؟ فإنهم يخبرون بذلك، و «يكن» بالتحتمية ونصب «آية»، وبالفوقانية ورفع «آية».
 ١٩٨ ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ جمع «أعجم»، [أي: على رجل ليس بعربي].
 ١٩٩ ﴿فقرأه عليهم﴾ أي: كفار مكة ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ أنفة من أتباعه. ٢٠٠ ﴿كذلك﴾ أي: مثل إدخالنا

التكذيب به، بقراءة الأعجمي ﴿سلكناه﴾
 أدخلنا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾
 أي: كفار مكة، بقراءة النبي ﷺ.

٢٠١ ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾
 [وحينئذ لا ينفع الكافرين إيمانهم، ولهم سوء
 الدار].

٢٠٢ ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [يأتيناه].

٢٠٣ ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ لنؤمن؟
 فيقال لهم: لا، قالوا: متى هذا العذاب؟

٢٠٤ قال تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون؟﴾
 [والاستفهام للتهديد والإنكار].

٢٠٥ ﴿أفأريت﴾ أخبرني ﴿إن متعناهم سنين﴾
 [في الدنيا].

٢٠٦ ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من
 العذاب؟.

٢٠٧ ﴿ما﴾ استفهامية بمعنى: أي شيء ﴿أغنى﴾
 عنهم ما كانوا يمتعون؟ ﴿أي: ما يُجدي﴾
 عنهم، ما كانوا فيه من النعيم، في دفع
 العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يُغن.

٢٠٨ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾
 رسل تنذر أهلها، [وهذا كقوله تعالى: «وما
 كنا معذبين حتى نبعث رسولا»].

٢٠٩ [هذه] ﴿ذكرى﴾ عظة لهم ﴿وما كنا﴾
 ظالمين ﴿في إهلاكهم بعد إنذارهم﴾.

٢١٠ ونزل رداً لقول المشركين: ﴿وما تنزل﴾
 به ﴿بالقرآن﴾ الشياطين ﴿بل ينزل به الروح﴾
 الأمين جبريل].

٢١١ ﴿وما ينفي﴾ يصلح ﴿لهم﴾ أن ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك.

٢١٢ ﴿إنهم عن السمع﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ محجوبون بالشهب^(٢). ٢١٣ ﴿فلا تدع مع الله﴾

الملائكة

مبين ﴿بَيْنَ﴾ ١٩٥ ﴿وإنه لني زبر الأولين﴾ ١٩٦ ﴿أو لم يكن لهم﴾
 ١٩٧ ﴿آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ ١٩٨ ﴿ولو نزلناه﴾
 ١٩٩ ﴿على بعض الأعجمين﴾ ٢٠٠ ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به﴾
 ٢٠١ ﴿مؤمنين﴾ ٢٠٢ ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ ٢٠٣
 ٢٠٤ ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ ٢٠٥ ﴿فيأتيهم﴾
 ٢٠٦ ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ ٢٠٧ ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ ٢٠٨
 ٢٠٩ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ ٢١٠ ﴿أفأريت﴾ ٢١١ ﴿إن متعناهم سنين﴾
 ٢١٢ ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ ٢١٣ ﴿ما أغنى﴾
 ٢١٤ ﴿عنهم ما كانوا يمتعون﴾ ٢١٥ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها﴾
 ٢١٦ ﴿منذرون﴾ ٢١٧ ﴿ذكرى﴾ ٢١٨ ﴿وما كنا ظالمين﴾ ٢١٩ ﴿وما﴾
 ٢٢٠ ﴿ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ ٢٢١ ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ ٢٢٢ ﴿فلا تدع مع الله﴾

(١) قوله: «عبد الله بن سلام»، أرجع إلى ترجمته في تعليقنا ص ٣٢٧.

(٢) قوله: «بالشهب»، أي: المنفصلة من الكواكب جمع «شهاب»، كما سيأتي في سورة «الجن» ص ٧٧٠.

إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْذِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٥﴾ وَهُمْ: بنو هاشم، وبنو المطلب، وقد أُنذِرهم جهاراً، [وهو قائم على الصفا قائلاً: «يا معشر قريش، اشترُوا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً»، إلى أن قال: «يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»] رواه البخاري ومسلم. ٢١٥ ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ ﴿لَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الموحدين. ٢١٦ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي: عشيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله. ٢١٧ ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: فوض إليه جميع

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْذِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٥﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٨﴾ الَّذِي يَرِثُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٩﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢٢٠﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢١﴾ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٥﴾ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٨﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٩﴾

أمورك. ٢١٨ ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة. ٢١٩ ﴿وَتَقْلُبُكَ﴾ في أركان الصلاة، قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴾ المصلين. ٢٢٠ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ٢٢١ ﴿وَهَلْ أَنْبَيْتُكُمْ﴾ أي: [يا] كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾؟ بحذف إحدى التاءين من الأصل. ٢٢٢ ﴿تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر، مثل «مسيلم» [الكذاب]، الذي زعم أنه نبي يوحى إليه، وغيره من الكهنة. ٢٢٣ ﴿يُلْقُونَ﴾ أي: الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة، إلى الكهنة ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً^(١)، وكان هذا قبل أن حُجبت الشياطين عن السماء. ٢٢٤ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الضالون] في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم، فهم مذمومون. ٢٢٥ ﴿أَلَمْ تَرَهُمْ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهيمُونَ﴾ يمشون [ويخوضون، غير مباليين]، فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء. ٢٢٦ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فَعَلْنَا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون. ٢٢٧ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ لم يشغلهم الشعر^(٢) عن الذكر ﴿وَانْتَصَرُوا﴾ بهجومهم الكفار ﴿مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا﴾ بهجو الكفار لهم، في جملة المؤمنين، فليسوا مذمومين، قال تعالى:

«لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم»، وقال تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

(١) قوله: «يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً»، روى الشيخان، عن عائشة أم المؤمنين، أنه ﷺ سئل عن الكهان فقال: «ليسوا بشيء»، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثننا أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ فقال ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطئها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة».

(٢) قوله: «لم يشغلهم الشعر عن الذكر». الشعر نوعان: المذموم وممدوح، فالمذموم هو: ما كان فيه ضلال أو فجور، أو حث على الفسوق =

﴿سُورَةُ النَّازِعَاتِ﴾

(مكية، وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿طس﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات القرآن﴾ آيات منه ﴿وكتاب مبين﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة. ٢ هو ﴿هدى﴾ أي:

هاد من الضلالة ﴿وبشرى للمؤمنين﴾ المصدقين به، بالجنة. ٣ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يأتون بها على وجهها ﴿ويؤتون﴾ يعطون ﴿الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمونها بالاستدلال، وأعيد «هم»، لَمَّا فصل بينه وبين الخبر. ٤ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم﴾ الفبيحة، بتركيب الشهوة، حتى رأوها حسنة ﴿فهم يعمهون﴾ يتحIRON فيها، لقبحها عندنا. ٥ ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أشدُّه في الدنيا، [وهو: [القتل والأسر ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. ٦ ﴿وانك﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لتلقى القرآن﴾ أي: يلقي عليك بشدة، [فتلقاه وتأخذه] ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم عليم﴾ في ذلك. ٧ اذكر: ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ زوجته، عند مسيره من «مدين»، إلى «مصر» ﴿إني آنست﴾ أبصرت من بعيد ﴿ناراً سأتيكم منها بخبر﴾ عن حال الطريق، - وكان قد ضلها - ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ بالإضافة - [وهي إضافة] للبيان - وتركها، أي: شعلة نار، في رأس فتيلة أو عود ﴿لعلكم

- والعصيان أو مدح للظالمين، أو هجاء لمن لا يستحقه، وفي هذا النوع، روى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قبحاً حتى يرى - أي: حتى يأكله القبح - خير من أن يمتلىء شعراً».

أما الشعر الممدوح فهو: الذي فيه حكمة تنفع، أو دفاع عن حق، أو إرشاد إلى الخير، أو مدح لمن يستحقه، أو نظم للعلوم، فهذا النوع من الشعر، لا بأس في سماعه أو إنشاده، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ طلب من رديفه عمرو بن الشريد، أن يسمعه من شعر أمية بن أبي الصلت، فأنشده حتى مائة بيت، لأن في شعره حكمة، وأنشد كعب بن زهير بين يدي رسول الله ﷺ قصيدته المعروفة «بانت سعاد» فأكرمه. وقد صحَّ عن النبي ﷺ سماعه الشعر من شعرائه حسان وغيره، وطلبه نظم الشعر دفاعاً عن المسلمين، فقد روى مسلم في صحيحه، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم - أو: هاجهم - وجبريل معك»، وروى مسلم أيضاً عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس - أي: جبريل - لا يزال يؤيدك ما نافحت - أي: دافعت - عن الله ورسوله».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢٧) سُورَةُ النَّازِعَاتِ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ١ هدى
وبشرى للمؤمنين ٢ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٣ إن الذين لا يؤمنون
بالآخرة زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون ٤
أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
الأخسرون ٥ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم
عليم ٦ إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً
سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم

تصطلون ﴿ تستدفئون من البرد، والطاء بدل ثاء الافتعال، [أصله: «تصطلون» جاءت الثاء بعد الصاد، وهي من حروف الإطباق، فقلبت طاء]، من «صَلَّى النار»، بكسر اللام وفتحها. ٨ ﴿ فلما جاءها نودي أن ﴿ بورك ﴿ بورك ﴿ بارك الله ﴿ من في النار ﴿ أي: موسى ﴿ ومن حولها ﴿ أي: الملائكة، أو العكس، [أي: «مَن في النار» يعني الملائكة، «ومن حولها»: موسى]، و «بارك» يتعدى بنفسه وبالحرف، ويقدر بَعْدَ «في»، «مكان»، [أي: بورك من في مكان النار، وقوله: ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴿ [هو] من جملة ما نودي [به]، ومعناه: تنزيه الله من السوء. ٩ ﴿ يا موسى إنه ﴿ أي: الشأن ﴿ أنا الله العزيز الحكيم ﴿. ١٠ ﴿ وألق عصاك ﴿ فلقاها ﴿ فلما رآها تهتز ﴿ تتحرك ﴿ كأنها جان ﴿ حية خفيفة ^(١) ﴿ ولَّى مدبراً ولم يعقب ﴿ يرجع، قال تعالى:

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٧

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تهتز كأنها جانٌ وَلَّى مدبراً وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ بَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ

مدبراً ولم يعقب ﴿ يرجع، قال تعالى: ﴿ يا موسى لا تخف ﴿ منها ﴿ إني لا يخاف لدي ﴿ عندي ﴿ المرسلون ﴿ من حية أو غيرها، [وهنا تم الكلام، ثم استثنى استثناء منقطعاً فقال:]

١١ ﴿ إلا ﴿ لكن ﴿ من ظلم ﴿ نفسه ﴿ ثم بَدَّلَ حسناً ﴿ أتاه ﴿ بعد سوء ﴿ أي: تاب ﴿ فإني غفور رحيم ﴿ أقبل التوبة، وأغفر له، [أي: ولا يخاف لدي ﴿ أيضاً، التائب من ذنبه، لأنني أغفر وأرحم].

١٢ ﴿ وأدخل يدك في جيبك ﴿ طوق القميص ﴿ تخرج ﴿ خلاف لونها ^(٢) من الأدمة [والشمرة] ﴿ بيضاء من غير سوء ﴿ [أي: برص، لها شعاع يُعْشِي ^(٣) البصر، آية ﴿ في تسع آيات ^(٤) مرسلًا بها ﴿ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قومًا فاسقين. ١٣ ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴿ أي: مضيئة واضحة ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴿ بين ظاهر.

١٤ ﴿ وجحدوا بها ﴿ أي: لم يقرؤا ﴿ و ﴿ استيقنتها أنفسهم ﴿ تيقنوا أنها من عند الله ﴿ ظلمًا وعلوًا ﴿ تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد، [أي: جحدوا ظلمًا وعلوًا] ﴿ فانظر ﴿ يا محمد ﴿ كيف كان عاقبة المفسدين ﴿ التي علمتها من إهلاكهم.

١٥ ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان ﴿ ابنه ﴿ علماً ﴿ بالقضاء بين الناس، ومنطق الطير،

وغير ذلك ﴿ وقالوا ﴿ شكراً لله: ﴿ الحمد لله الذي فضلنا ﴿ بالنبوة، وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿ على كثير

(١) قوله: «حية خفيفة»، أي: سريعة الحركة كثيرة الاضطراب. ارجع إلى تعليقنا حول «عصا موسى عليه السلام» ص ٢٠٩.

(٢) هذا رد على أهل الكتاب، وما جاء في كتبهم: أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٣) قوله: «يُعْشِي»، هو هكذا بالعين المهملة، كما في المخطوطتين الثانية والثالثة، وفي المخطوطة الأولى والنسخ المطبوعة بالغين المعجمة، وهو تصحيف من الناسخ، أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى».

(٤) قوله تعالى: «في تسع آيات»، تقدم بيانها في تعليقنا ص ٢٨٧.

من عباده المؤمنين. ١٦ وورث سليمان داود النبوة والعلم، دون باقي أولاده ﴿وقال﴾ [أي: سليمان، متحدثاً بنعمة الله عليه] ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ [وغيره من الحيوانات]، أي: فهم أصواته^(١) وأوتينا من كل شيء ﴿تؤتاه الأنبياء والملوك﴾ [إن هذا] المؤتى ﴿لهو الفضل المبين﴾ [البين الظاهر].

١٧ وحشر ﴿جمع﴾ لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ﴿في مسير له﴾ فهم يوزعون ﴿يجمعون﴾، ثم يسافرون. ١٨ ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾ هو بالطائف، أو: بالشام، نمله صغار، أو: كبار ﴿قالت نملة﴾ هي ملكة النمل، وقد رأت جند سليمان ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾ يكسرنكم ﴿سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ نزل النمل منزل العقلاء، في الخطاب بخطابهم.

الجزء التاسع عشر

مَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ كَلِمَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ
جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢١﴾
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ
ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٢﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٣﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْفَائِيبِينَ ﴿٢٤﴾ لَا عَذْبَةَ فُجَارٍ شَدِيدًا وَلَا أَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

١٩ ﴿فتبسّم﴾ سليمان ابتداءً ﴿ضاحكاً﴾ انتهاءً ﴿من قولها﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته^(٢) إليه الريح، فحبس جنده حين أشرف على واديه، حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبناً ومشاة في هذا السير ﴿وقال رب أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت﴾ بها ﴿علي وعلي ولدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ الأنبياء والأولياء.

٢٠ ﴿وتفقد الطير﴾ ليرى «الهدد» - الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين، لاحتياج سليمان إليه للصلاة - فلم يره ﴿فقال ما لي لا أرى الهدد﴾ أعرض لي ما معني من رؤيته؟ أم كان من الغائبين؟ فلم أره لغيبته؟.

٢١ فلما تحققها قال: ﴿لأعذبه عذاباً﴾ تعذيباً ﴿شديداً﴾ بتنف رأسه^(٣) وذنبه، ورميه في الشمس، فلا يمتنع من الهوام ﴿أو لأذبحنه﴾ بقطع حلقومه ﴿أو ليأتيني﴾ بنون مشددة مكسورة، أو: [بنون مشددة] مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بسلطان مبين﴾ ببرهان بين ظاهر على عذره.

٢٢ ﴿فمكث﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿غير بعيد﴾ يسيراً من الزمن، وحضر لسليمان متواضعاً، برفع رأسه وإرخاء ذنبه، وجناحيه، فغفا عنه، وسأله عما لقي في غيبته ﴿فقال

(١) قوله: «فهم أصواته» أي: الأصوات التي تصدر عن الطير وغيره، وهي أصوات غريزية في الحيوان، لا تعني وجود عقل لديه.

(٢) هذا تكلف لا دليل عليه، بل نص الآية يمارضه، لأن قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٣) قوله: «بتنف رأسه وذنبه... إلخ»، الأحسن عدم تفسير «العذاب» بشيء لأنه لم يحصل، ولأنه لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان كان ما ذكره المؤلف الجلال المحلي، ولا شيئاً آخر، والآية صريحة في إطلاق العذاب ووصفه بالشدة، فلا داعي للتكلف.

أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ ۖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٧﴾
إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿٣٠﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾
* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٢﴾
أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي
إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٥﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾

أحطت بما لم تحط به ﴿٢٧﴾ اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿٢٧﴾ وجئتك من سبأ ﴿٢٧﴾ بالصرف وتركه، قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم، باعتباره صُرف ﴿٢٧﴾ بنياً ﴿٢٧﴾ خبر ﴿٢٧﴾ يقين ﴿٢٧﴾. ٢٣ ﴿٢٣﴾ إني وجدت امرأة تملكهم ﴿٢٣﴾ اسمها بلقيس ﴿٢٣﴾ وأوتيت من كل شيء ﴿٢٣﴾ يحتاج إليه الملوك، من الآلة والعُدَّة ﴿٢٣﴾ ولها عرش ﴿٢٣﴾ سرير ﴿٢٣﴾ عظيم ﴿٢٣﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدر، والياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والزمرد، عليه سبعة أبواب ﴿٢٣﴾، على كل بيت باب مغلق. ٢٤ ﴿٢٤﴾ وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴿٢٤﴾ لا يهتدون ﴿٢٤﴾. ٢٥ ﴿٢٥﴾ ألا يسجدوا لله ﴿٢٥﴾ أي: [فهم لا يهتدون] أن يسجدوا له، فزيدت «لا»، وأدغم فيها نون «أن»، كما في قوله تعالى: «لئلا يعلم أهل الكتاب»، والجملة في محل مفعول «يهتدون»، بسقاط «إلى» ﴿٢٥﴾ الذي يخرج الخبء ﴿٢٥﴾ مصدر بمعنى: المخبوء، من المطر والنبات ﴿٢٥﴾ في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون ﴿٢٥﴾ في قلوبهم ﴿٢٥﴾ وما يعلنون ﴿٢٥﴾ بالسنتهم، [بالياء والتاء]. ٢٦ ﴿٢٦﴾ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿٢٦﴾ استئناف جملة ثناء، مشتمل على عرش الرحمن، في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم. ٢٧ ﴿٢٧﴾ قال ﴿٢٧﴾ سليمان للدهد ﴿٢٧﴾ سننظر أصدقك ﴿٢٧﴾ فيما أخبرتنا به ﴿٢٧﴾ أم كنت من الكاذبين ﴿٢٧﴾ أي: من هذا النوع؟، فهو أبلغ من: «أم كذبت فيه»، ثم دلهم على الماء، فاستخرج وارثوا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله، سليمان بن داود، إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلق علي، وأتوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، ثم قال للدهد: ٢٨ ﴿٢٨﴾ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ﴿٢٨﴾ أي: [إلى] بلقيس وقومها ﴿٢٨﴾ ثم تول ﴿٢٨﴾ انصرف ﴿٢٨﴾ عنهم ﴿٢٨﴾ وقف قريباً منهم ﴿٢٨﴾ فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ يردون من الجواب، فأخذه، وأتاها وحولها جندها، وألقاه في حجرها، فلما رآته ارتعدت، وخضعت خوفاً، ثم

وقفت على ما فيه. ٢٩ ﴿٢٩﴾ ثم ﴿٢٩﴾ قالت ﴿٢٩﴾ لأشرف قومها: ﴿٢٩﴾ يا أيها الملأ إني ﴿٢٩﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية [بين الهمزة والياء، و:] بقلبها واواً مكسورة ﴿٢٩﴾ ألقني إلى كتاب كريم ﴿٢٩﴾ مختوم. ٣٠ ﴿٣٠﴾ إنه من سليمان وإنه ﴿٣٠﴾ مضمونه: ﴿٣٠﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾. ٣١ ﴿٣١﴾ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ﴿٣١﴾.

(١) قوله تعالى: «من سبأ»، سيأتي بيان «من هم» في تعليقتنا ص ٥٦٢.

(٢) قوله: «سبعة أبواب» هو هكذا في المخطوطات والطبعات، وهو صواب، وقد وهم الصاوي في قوله: صوابه «آيات» بدليل قوله بعد ذلك: «وعلى كل بيت»، وعلى كل حال، فإن في وصف عرشها الذي ذكره المحلي، مبالغات لا دليل عليها، فهو «عرش عظيم» وكفى.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بقلبها واواً [محضة]، أي: أشيروا عليّ ﴿فِي أَمْرِي﴾ ما كنت قاطعة أمراً ﴿قَاضِيَتِهِ﴾ حتى تشهدون ﴿تَحْضُرُونَ﴾ ٣٣ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرُنَا﴾ ٣٤ ﴿قَالَ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب، [إذا دخلوا بلادنا]. ٣٥ ﴿وَإِنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرُوا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من قبول الهدية أو ردها، إن كان ملكاً قبلها، أو نبياً لم يقبلها، فأرسلت خدماً ذكوراً وإنثاءً، ألفاً بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً، وغير ذلك، مع رسول

الْمَلَأُ الْقَاضِيَتِهِ

بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن تُضْرَبَ لِبَنَاتُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ تُبَسَّطَ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى تِسْعَةِ فَرَاسِخٍ مِيدَانًا، وَأَنْ يَبْنُوا حَوْلَهُ حَائِطًا مُشْرِفًا، مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ يُؤْتَى بِأَحْسَنِ دَوَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، مَعَ أَوْلَادِ الْجَنِّ، عَنْ يَمِينِ الْمِيدَانِ وَشِمَالِهِ. ٣٦ ﴿فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ بِالْهَدِيَّةِ، وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ﴾ سليمان قال أتمدونن بمال؟ فما آتاني الله؟ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا. ٣٧ ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما آتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي: بقتالها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من بلادهم ﴿سَبَأًا﴾، سميت باسم أبي قبيلتهم: ﴿سَبَأُ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَعْزُبَ بْنِ قَحْطَانَ﴾ ﴿أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية، جعلت سريرها داخل ^(١) سبعة أبواب، داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرساً، وتجهزت للمسير إلى سليمان، لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قَيْلٍ، [بفتح القاف أي: مَلِك]، مع كل قَيْلٍ أَلُوفٌ كثيرة، إلى أن قربت منه على فرسخ، شعر بها. ٣٨ ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ﴾ في الهمزتين ما تقدم [في الآية ٣٢]، ﴿يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ٣٩ ﴿قَالَ عَفَرْتُ مَنِ الْخَنَ أَنَا أَتَيْتُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ٣٩

فلي أخذه قبل ذلك، لا بعده. ٣٩ ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجَنِّ هُوَ: الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ﴾ أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حملي ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

(١) قوله: «داخل سبعة أبواب».. إلى قوله: أَلُوفٌ كثيرة: فيه مبالغة واضحة لا دليل عليها، والصحيح أن يقال: فلما رجع إليها رسولها أقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة، كما توجد مبالغة في وصف ما فعله سليمان قبل وصول حملة الهدية إليه.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ
 أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَكُفِّرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤١﴾
 قَالِ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
 لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ
 كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمِ
 كَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرَدٍّ مِّنْ
 قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ

٤٠ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المنزَّل، [هو: سليمان نفسه]، و [قيل:]: هو: آصف بن برخيا، كان صديقاً، يعلم اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر إليها، ثم رَدَّ بطرفه، فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء، دعا آصفُ بالاسم الأعظم، أن يأتي الله به، فحصل [أن كان العرش بين يديه، بإذن الله تعالى، أما كيف حصل ذلك؟ فالصحيح عدم التعيين، وقيل: [بأن جرى تحت الأرض ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكناً] عنده قال هذا الإتيان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ ليختبرني ﴿أَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة؟ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها، لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَلِإِن رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال على مَن يكفرها، [أي: لا يقطع نعمه بسبب كفرها]. ٤١ ﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ غَيَّرُوهُ إِلَى حَالٍ، تَنَكَّرَ إِذَا رَأَتْهُ نَنظُرُ أَتَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَتِهِ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَغِيرُ عَلَيْهِمْ؟ [قيل:]: قصد بذلك اختبار عقلها، لما قيل إن فيه شيئاً، فغيروه بزيادة أو نقص، أو غير ذلك. ٤٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ لَهَا أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: فعرفته، وشبهت عليهم كما شبهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل: هذا؟ قالت: نعم، قال سليمان، لما رأى لها معرفة وعلماً: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾. ٤٣ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ما كانت تعبد من دون الله؟ أي: غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمِ كَافِرِينَ﴾ لها أيضاً ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ (١) هو سطح من زجاج أبيض شفاف، تحته ماء عذب جار، فيه سمك، اصطنعه سليمان [ليربها ما أعطاه الله من الملك، لا] لِمَا قِيلَ لَهُ: إن ساقبها وقدميها، كقدمي الحمار، [أي: كحافره] ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح، فرأى ساقبها وقدميها حسناً [اقرأ التعليق، فإن هذا لا يليق] ﴿قَالَ لَهَا إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرَدٍّ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾ من زجاج، ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كاتبة ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [قيل:]: وأراد تزوجها، ففكره شعر ساقبها، فعملت له الشياطين «الثورة»، فأزالته بها، فتزوجها وأحبها، وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي: أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه. ٤٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة

(١) قوله تعالى: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾، [إن ما ذكره المحلي وغيره، في تفسير هذه الآية، مما قيل في سبب بناء الصرح، هو مجرد أقاويل لا دليل عليها، تناقلها بعض القصاص، بل إن منها ما لا يليق بمقام النبوة، إذ لا يُعْقَلُ أن يصدق سليمان بأن قدميها كحافر الحمار، ليني الصرح من أجل اكتشاف ذلك، وهل كانت بلقيس سوي امرأة كسائر النساء؟ وقولهم: «فرأى ساقبها وقدميها حسناً»، هو أيضاً مما لا يليق، بل إن أحسن ما قيل في بناء الصرح هو: أنه أراد أن يريها ملكاً أعظم من ملكها، ليحملها على الإسلام، وهذا ما حصل فأسلمت معه، أما ما قيل في زواجهما، فلم يرد فيه دليل، لا نفيًا ولا إثباتًا، فيكون عدم الخوض فيه هو المنهج الصحيح. والله أعلم.

﴿صَالِحًا أَنْ﴾ أي: بأن ﴿اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ في الدين، فريق مؤمنون، من حين إرساله إليه، وفريق كافرون.

٤٦ ﴿قال﴾ للمكذابين ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسينة قبل الحسنة﴾ أي: بالعذاب قبل الرحمة؟ حيث قلت: إن كان ما أتيتنا به حقاً، فأتنا بالعذاب ﴿لولا﴾ هلاً ﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون؟

٤٧ ﴿قالوا اطيرنا﴾ أصله «طيرنا»، أدغمت التاء في الطاء، واجتلبت همزة الوصل، أي: تشاء منا ﴿بك وبمن معك﴾ المؤمنين، حيث قُحطوا، [أي: احتبس عنهم] المطر، وجاعوا ﴿قال طائرکم﴾ شؤمكم ﴿عند الله﴾ أناكم به ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

الجزء التاسع عشر

صَلِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالَ يَلْقَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ
مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٨﴾
وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٠﴾
وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥١﴾
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥٢﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ

٤٨ ﴿وكان في المدينة﴾ مدينة ثمود ﴿تسعة رهط﴾ رجال [تسعة، و «الرهط»: مادون العشرة] ﴿يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي، [بكل طريق يقدرون عليها]، منها قرضهم الدنانير والدراهم، [أي: يأخذون منها ليخف وزنها] ﴿ولا يصلحون﴾ بالطاعة.

٤٩ ﴿قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا﴾ [فعل أمر]، أي: اخلفوا، [أو: خبر، أي: حلفوا] ﴿بالله لنبيته﴾ بالنون [مع فتح التاء]، والتاء وضم التاء الثانية، [يعني: صالحاً] ﴿وأهله﴾ أي: من آمن به، أي: نقتلهم ليلاً ﴿ثم لنقولن﴾ بالنون [وفتح اللام الثانية]، والتاء وضم اللام الثانية ﴿لولي﴾ أي: ولي دمه ﴿ما شهدنا﴾ حضرنا ﴿مهلك أهله﴾ بضم الميم وفتحها [مع فتح اللام فيهما، وروى حفص: بفتح الميم وكسر اللام]، أي: إهلاكهم، أو: هلاكهم، فلا ندري من قتلهم ﴿وإننا لصادقون﴾ [في قولنا هذا، فنحن الذين قتلناهم، ليس غيرنا].

٥٠ ﴿ومكروا﴾ في ذلك ﴿مكراً ومكرنا مكرراً﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وهم لا يشعرون﴾.

٥١ ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم﴾ أهلكتناهم ﴿وقومهم أجمعين﴾ بصيحة جبريل، أو برمي الملائكة بحجارة، يرونها ولا يرونهم.

٥٢ ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ أي: خالية، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بما ظلموا﴾ بظلمهم، أي: كفرهم ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعلهم ﴿لقوم يعلمون﴾ قدرتنا، فيتعظون.

٥٣ ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف ﴿وكانوا يتقون﴾ الشرك.

٥٤ ﴿ولوطاً﴾ منصوب بـ «اذكر»، مقدراً قبله، ويبدل منه: ﴿إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أي: اللواط ﴿وأنتم

تبصرون؟ أي: يبصر بعضكم بعضاً، انهماكاً في المعصية. ٥٥ ﴿أَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه] ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ؟﴾ بل أنتم قوم تجهلون عاقبة فعلكم.

٥٦ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مَنْ قَرَيْتَكُمْ﴾ [أي: من حيث كان لوط وقومه يقيمون، أي: من قراهم] ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال.

٥٧ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مَنْ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. ٥٨ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل، أهلكتهم ﴿فَسَاءَ﴾ بش ﴿مَطَرِ الْمُنْذَرِينَ﴾ بالعذاب، مطرهم.

٥٩ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ هم، ﴿اللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين^(١)، [اقرأ التعليق]، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَا تَشْرَكُونَ﴾ بالباء والياء، أي: يا أهل مكة به؟.

٦٠ ﴿إِنَّا لِلَّهِ خَيْرٌ لِعِبَادِيهَا؟﴾ ﴿أَمِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهِ الثَّمَاتِ مِنَ الْغَيَْةِ إِلَى التَّكْلِمْ﴾ به حدائق ﴿جمع حديقة﴾، وهو: البستان المحوط ﴿ذات بهجة﴾ حُسن ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿إِلَّاهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه فالقراءات أربع]، في مواضع السبعة [الآية، أي: حيث اجتماع الهمزتين] ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه على ذلك؟ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

٦١ ﴿أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [مستقرة]، لا تميد [ولا تضطرب] بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾ جبلاً

أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح، لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿إِلَّاهُ﴾ مع الله بل أكثرهم

(١) قوله: «بتحقيق الهمزتين» - إلى قوله: وتركه، يفيد وجود أربع قراءات، وهو سبق قلم من الجلال المحلي رحمه الله، والصواب أن في: «اللَّهُ» وجهين فقط هما: تسهيل الثانية مع القصر، وإبدالها ألفاً ممدودة مدأ لازماً، وهذان الوجهان جاريان أيضاً في خمسة مواضع أخرى، منها اثنتان في «الأنعام» هما: «قُلِ الذَّكْرَيْنِ» ص ١٨٧. وثلاثة في «يونس» هي: «الآن وقد كنتم» ص ٢٧٤، و «اللَّهُ أَذُنَ لَكُمْ» ص ٢٧٥، و «الآن وقد عصيت» ص ٢٨٠. وكذا الحكم في: «ما جئتم به السحر» في يونس ص ٢٧٩ في قراءة من قرأها على الاستفهام. وقد أجمع القراء العشرة على عدم التحقيق والقصر في هذه المواضع.

لا يعلمون ﴿٦٢﴾ آمن يجب المضطر ﴿٦٢﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿٦٢﴾ إذا دعاه ويكشف سوءه عنه ، وعن غيره ﴿٦٢﴾ ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ الإضافة بمعنى : «في» ، أي : يخلف كل قرن الذي قبله [في الأرض] ﴿٦٢﴾ إله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون ﴿٦٢﴾ تتعظون ، بالفوقانية والتحتانية ، وفيه إدغام التاء في الدال ، [على هاتين القراءتين ، وفي قراءة : بتخفيف الدال مع التاء] ، و «ما» زائدة لتقليل القليل .

﴿٦٣﴾ آمن يهديكم ﴿٦٣﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿٦٣﴾ في ظلمات البر والبحر ؟ بالنجوم ليلاً ، وبعلامات الأرض نهاراً ﴿٦٣﴾ ومن يرسل الرياح بشراً^(١) بين يدي رحمته ؟ أي : قدام المطر ﴿٦٣﴾ إله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون ﴿٦٣﴾ به غيره . ﴿٦٤﴾ آمن^(٢) يبدأ الخلق ﴿٦٤﴾ في الأرحام ، من نطفة ﴿٦٤﴾ ثم يعيده ﴿٦٤﴾ بعد الموت ؟ وإن لم تعترفوا بالإعادة ، لقيام البراهين عليها ، [أي : لا مبدى ولا معيد غير الله تعالى] ﴿٦٤﴾ ومن يرزقكم من السماء بالمطر ﴿٦٤﴾ والأرض بالنبات ﴿٦٤﴾ إله مع الله ؟ أي : لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله ، ولا إله معه ﴿٦٤﴾ قل يا محمد ﴿٦٤﴾ هاتوا برهانكم ﴿٦٤﴾ حجتكم ﴿٦٤﴾ إن كنتم صادقين ﴿٦٤﴾ أن معي إلهاً ، فَعَلْ شيئاً مما ذكر .

المزة الغريبة

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنْ نَمُوتَ نَحْيَا لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِ

٦٥ وسألوه عن وقت قيام الساعة فتزل : ﴿٦٥﴾ قل لا يعلم من في السماوات والأرض من الملائكة والناس الغيب ؟ أي : ما غاب عنهم ﴿٦٥﴾ إلا لكن ﴿٦٥﴾ الله يعلمه ، [أي : لا يعلم أحد الغيب إلا الله] ﴿٦٥﴾ وما يشعرون ﴿٦٥﴾ أي : كفار مكة كغيرهم ﴿٦٥﴾ أيان ﴿٦٥﴾ وقت ﴿٦٥﴾ يبعثون .

٦٦ بل ﴿٦٦﴾ بمعنى «هل» ﴿٦٦﴾ أَدْرَكَ ﴿٦٦﴾ [على] وزن «أَكْرَمَ» ، وفي قراءة أخرى : «أَدَارَكَ» ، بتشديد الدال ، وأصله : «تدارك» ، أبدلت التاء دالاً ، وأدغمت في الدال ، واجتلبت همزة الوصل ، أي : بَلَغَ ولحق ، أو : تتابع وتلاحق ﴿٦٦﴾ علمهم في الآخرة ﴿٦٦﴾ أي : بها ، حتى سألوا عن وقت مجيئها ؟ ، ليس الأمر كذلك ﴿٦٦﴾ بل هم في شك منها بل هم منها عَمُونَ ﴿٦٦﴾ من : عَمِيَ القلب ، وهو أبلغ مما قبله ، والأصل «عميون» ، استثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها ، [وسقطت الياء] .

٦٧ وقال الذين كفروا ﴿٦٧﴾ أيضاً ، في إنكار البعث

﴿٦٨﴾ إِنْ كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنْ نَمُوتَ نَحْيَا لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِ

(١) قوله تعالى : ﴿يرسل الرياح بشراً﴾ ، لم يشر الجلال المحلي رحمه الله هنا إلى القراءات ، كما فعل في سورة «الفرقان» ص ٤٧٦ ، وقد بينا ما فيه من القراءات ص ٢٠١ سورة «الأعراف» فارجع إليها .

(٢) قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ﴾ ، في أول الآيات ٦٠ إلى ٦٤ ، هو مؤلف من : «أم» المتصلة ، وتأتي بعد الهمزة التي يُطْلَبُ بها «التصوُّر» أي : إدراك المفرد ، و «مَنْ» اسم الموصول ، الذي هو المعادل ، الذي يأتي غالباً بعد الاستفهام بالهمزة ، وقد جاء الاستفهام بها كما قدره المحلي بقوله قبل الآية ٦٠ : «آآلهة خير لعبديها أمَّن؟ إلخ ، والمسؤول عنه : «من هو خير؟» والجواب : مَنْ خَلَقَ كُلَّ ذَلِكَ خَيْرٌ ، وهو الله تعالى ، لا جواب غيره .

الأولين ﴿جمع أسطورة بالضم، أي: ما سطر من الكذب.

٦٩ ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ بإنكاره، وهي: هلاكهم بالعذاب.

٧٠ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ [على كفار مكة، يا محمد ﷺ] ﴿ولا تكن في ضيق﴾ [أي: حرج] ﴿مما يمكرون﴾ تسلياً للنبي ﷺ، أي: لا تهتم بمكرهم عليك، فإننا ناصروك عليهم.

٧١ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه؟

٧٢ ﴿قل عسى أن يكون ردف﴾ قَرَّبَ ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ فحصل لهم القتل بيدر، [وغيره من المواقع]، وبإقاي العذاب، يأتيهم بعد الموت.

٧٣ ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار، [وإدراج الرزق عليهم] ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ فالكفار، لا يشكرون [الله على] تأخير العذاب، لإنكارهم وقوعه.

٧٤ ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفيه ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم.

٧٥ ﴿وما من غائبة في السماء والأرض﴾ الهاء [في «غائبة»]، للمبالغة، أي: [ما من] شيء، في غاية الخفاء على الناس ﴿إلا في كتاب مبين﴾ بَيِّن، هو: اللوح المحفوظ، ومكنون علمه تعالى، ومنه تعذيب الكفار.

٧٦ ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ أي: ببيان ما ذكر، على وجهه الرافع للاختلاف بينهم، لو أخذوا به وأسلموا. ٧٧ ﴿وإنه لهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ من العذاب.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٧

الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَقُصَّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٣٩﴾

٧٨ ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ كغيرهم، يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ أي: عدله ﴿وهو العزيز﴾ الغالب ﴿العليم﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحداً مخالفته، كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

٧٩ ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ﴿إنك على الحق المبين﴾ الدين البَيِّن، فالعاقبة لك، بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى، [حيث لا حس ولا عقل]، وبالصم وبالعُمي فقال:

٨٠ ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ (١) ولا تسمع الصم الدعاء إذا بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ولوا مدبرين﴾ [معرضين عن الإيمان]. ٨١ ﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾ [كفرهم، أي: ليس في وسعك خلق الإيمان في قلوبهم] ﴿إن﴾ ما ﴿تسمع﴾ سماع إلهام وقبول ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون، بتوحيد الله. ٨٢ ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ (٢) حق العذاب أن ينزل بهم، في جملة الكفار ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿إن الناس﴾ [بكسر الهمزة]، أي: كفار مكة [وغيرهم]، وعلى قراءة فتح همزة. ﴿إن﴾، تقدّر الباء بعد: ﴿تكلمهم﴾، [أي: بأن الناس] ﴿كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ أي: لا يؤمنون بالقرآن، المشتمل على البعث والحساب والعقاب، ويخرجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾. ٨٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ جماعة ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ وهم رؤساؤهم المتبعون ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يُجَمَّعون، يردّ آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون. ٨٤ ﴿حتى إذا جاؤوا﴾ مكان الحساب ﴿قال﴾ تعالى لهم: ﴿أكذبتم﴾ أنبيائي ﴿بآياتي ولم تحيطوا﴾ من جهة تكذيبهم ﴿بها علماء؟ أما﴾ فيه ﴿ما﴾ الاستفهامية ﴿ذا﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كنتم تعملون﴾ مما أمرتم به؟. ٨٥ ﴿ووقع القول﴾ حق العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ أشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ إذ لا حجة لهم. ٨٦ ﴿ألم يروا أنا جعلنا﴾ خلقنا ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ كغيرهم ﴿والنهار مبصراً﴾ بمعنى: يُبَصِّرُ فيه، ليتصرفوا فيه ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿للقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر، لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكافرين. ٨٧ ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ القرن، النفخة الأولى، من إسماعيل ﴿ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ أي: خافوا الخوف المفضي إلى الموت، كما في آية أخرى: ﴿فَصَعَقَ﴾ [من في السماوات]، الآية ٦٨ من سورة [الزمر]، والتعبير فيه بالماضي، لتحقيق وقوعه.

الجزء الثاني

إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «سماع الموتى» ص ٥٣٧، وإلى ص ١٩٨، وص ٣٣٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ الآية، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»، وهذه الأمور الثلاثة هي من علامات الساعة وأشراطها الثابتة، واختلفوا في تعيين هذه الدابة، ووصفها، ونوعها، ومن أين تخرج؟ اختلافاً كثيراً، والصحيح أنه لا دليل يعتمد عليه بخصوص الدابة هذه، غير ما جاء مجملاً في القرآن الكريم، وقيل: هي الجساسة الوارد ذكرها في حديث الدجال في صحيح مسلم، والله أعلم.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَكُ الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ بصيغة الفعل [الماضي، أي: بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة]، و [بصيغة] اسم الفاعل، [أي: بمد الهمزة وضم التاء] ﴿داخرين﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي، لتحقيق وقوعه. ٨٨ ﴿وترى الجبال﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تحسبها﴾ تظنها ﴿جامدة﴾ واقفة مكانها لعظمتها ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ المَطَرُ^(١)، إذا ضربته الريح، أي: تسير [الجبال] سيره، حتى تقع على الأرض، فتستوي بها مبسوسة، [أي: مفتتة كالرمل]، ثم تصير كالعهن، [أي: الصوف المنفوش]، ثم تصير هباء منثوراً ﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله، بعد حذف عامله، أي: صَنَعَ اللَّهُ ذلك صنْعاً ﴿الذي أتقن﴾ أحكم ﴿كل شيء﴾ صنعه ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ بالياء والتاء، أي: أعداؤه من المعصية، وأولياؤه من الطاعة. ٨٩ ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي: ﴿لا إله إلا الله﴾، [أو: كل حسنة معها]، يوم القيامة ﴿فله خير﴾ ثواب ﴿منها﴾ أي: بسببها و[قوله: «خير»] ليس للفضل، إذ لا فعل خَيْرٌ منها، وفي آية أخرى: «عشر أمثالها» ﴿وهم﴾ أي: الجاؤون بها ﴿من فزع يومئذ﴾ بالإضافة، وكسر الميم، وفتحها [فتحة بناء]، و﴿فزع﴾ منونا، وفتح الميم ﴿آمنون﴾. ٩٠ ﴿ومن جاء بالسئنة﴾ أي: الشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ بأن وليتها، وذُكرت الوجوه، لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتاً: ﴿هل﴾ أي: ما ﴿تجزون إلا﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي؟

٩١ قل لهم: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾ أي: مكة ﴿الذي حرّمها﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم الإنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يُختلَى خلاها، [أي: لا يقطع حشيشها الرطب]، وذلك من النعم على قريش أهلها، في رفع الله عن بلدكم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وله﴾ تعالى ﴿كل شيء﴾ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ لله، بتوحيده. ٩٢ ﴿وأن أتلو

سُورَةُ النِّسَاءِ ٩٧
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ٨٧ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٠ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩١ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَتِمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ يَكْرُمُ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٩٣

القرآن﴾ عليكم، تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فمن اهتدى﴾ له ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل﴾ عن الإيمان، وأخطأ طريق الهدى ﴿فقل﴾ له ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ المخوفين، فليس علي إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال. ٩٣ ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾ فأراهم الله يوم بدر: القتل، والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

(١) قوله: «المطر»، هو بفتح الميم وكسر الطاء المهملة، أي: ذي المطر.

﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾

(مكية، إلّا: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الْآيَةَ، نَزَلَتْ بِالْجُحْفَةِ» - قرب رايغ - أثناء الهجرة)
والآ: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ»، إلى: «لَا تَنْتَفِي الْجَاهِلِينَ»، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا اثْنَانِ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُو
عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ

١ ﴿طَسَمَ﴾ (١) الله أعلم بمراده بذلك.
٢ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾
الإضافة بمعنى «من» ﴿المبين﴾ المظهر الحق من
الباطل.
٣ ﴿تَتْلُو﴾ نقص ﴿عليك من نبأ﴾ خبر ﴿موسى﴾
وفرعون بالحق ﴿الصدق﴾ لقوم يؤمنون ﴿لأجلهم﴾
لأنهم المتفعون به.
٤ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم [واستكبر] ﴿في﴾
الأرض ﴿أرض مصر﴾ وجعل أهلها شيعاً ﴿فريقاً﴾
فريقاً في خدمته ﴿يستضعف طائفة منهم﴾
هم بنو إسرائيل (٢) ﴿يذبح أبناءهم﴾
المولودين ﴿ويستحيي نساءهم﴾ يستبقيهن
أحياء، لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً
يولد في بني إسرائيل، يكون سبب زوال
ملكك ﴿إنه كان من المفسدين﴾ بالقتل
وغيره.
٥ ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾
ونجعلهم أئمة ﴿بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية﴾
ياء، يُقْتَدَى بهم في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾
ملك فرعون.
٦ ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أرض مصر والشام
﴿ونري﴾ [بالنون المضمومة وكسر الراء، مع
نصب الأسماء الثلاثة التالية]: ﴿فرعون وهامان﴾
وجنودهما ﴿وفي قراءة: «ويزرى» بفتح التحتانية﴾
والراء، ورفع الأسماء الثلاثة ﴿منهم ما كانوا﴾
يحذرون ﴿يخافون من المولود، الذي يذهب ملكهم على يديه﴾.

٧ ﴿وأوحينا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إلى أم موسى﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أن﴾

(١) قوله تعالى: ﴿طَسَمَ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

(٢) قوله: ﴿هم بنو إسرائيل﴾، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ١٠ وما يليها، وإلى كتابنا: «بنو إسرائيل واليهود، تاريخ ومصير»، لكي تدرك الفارق ما بين «بني إسرائيل» و«اليهود».

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ
فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ
مُوسَىٰ فَرِيغًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ
قُصِّبِهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ

أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، البحر، أي: النيل ﴿ولا تخافي﴾ غرقه ﴿ولا تحزني﴾ لفراقه ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه، فوضعت في تابوت مطلي بالقار، [أي: الزفت]، من داخل، ممد له فيه، وأغلقت، وألقته في بحر النيل ليلاً. ٨ ﴿فالتقطه﴾ بالتبوت، صبيحة الليل ﴿آل﴾ أعوان ﴿فرعون﴾ فوضعه بين يديه وفتح، وأخرج موسى منه، وهو يمص من إبهامه لبناً^(١) ﴿ليكون لهم﴾ في عاقبة^(٢) الأمر ﴿عدوا﴾ يقتل رجالهم ﴿وحزناً﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة: بضم الحاء وسكون الزاي، لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل، من: ﴿حزنه﴾ كحزنه ﴿إن فرعون وهامان وجزيره﴾ وجنودهما كانوا خاطئين ﴿من

الخطيئة، أي: عاصين [مثله بكفرهم]، فعوقبوا على يديه [بالغرق معه]. ٩ ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ وقد همَّ مع أعوانه بقتله: هو ﴿قُرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ فاطاعوها ﴿وهم لا يشعرون﴾ بعاقبة أمرهم معه. ١٠ ﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فارغاً﴾ مما سواه، [أي: لا تفكر إلا به] ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنها ﴿كادت لتبدي به﴾ أي: بأنه ابنها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر، أي: سكتها ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿لولا﴾، دل عليه ما قبله. ١١ ﴿وقالت لأختها﴾ مريم ﴿قصه﴾ اتبعي أثره، حتى تعلمي خبره ﴿فبصرت به﴾ أبصرته ﴿عن جنب﴾ من مكان بعيد اختلاصاً ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته، وأنها ترقبه. ١٢ ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ أي: قبل رده إلى أمه، أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه، فلم يقبل ثدي واحدة، من المراضع المحضرة له ﴿فقالت﴾ أخته ﴿هل أدلكم على أهل بيت﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يكفلونه لكم﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وهم له ناصحون؟﴾ وفَسَّرَتْ [أخته] ضمير: ﴿له﴾ بالملك، جواباً لهم، فأجيب، فجاءت بأمه، فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله [ثديها] بأنها طيبة الريح، طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به، كما قال تعالى: ١٣ ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ بلاقائه ﴿ولا تحزن﴾ حيثذ ﴿ولتعلم أن

(١) قوله: ﴿وهو يمص من إبهامه لبناً﴾، لو استغنى الجلال المحلي عن هذا القول لكان أحسن، لأنه لا دليل عليه.

(٢) قوله: ﴿في عاقبة الأمر﴾، يشير بذلك إلى أن ﴿اللام﴾ في قوله تعالى: ﴿ليكون﴾ هي لام الصيرورة، وتسمى لام العاقبة ولام المال، وليست لام التعليل، هذا مذهب الكوفيين، أما البصريون ومن تابعهم فأنكروا لام العاقبة، واعتبروها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز.

وعَدَ اللهُ ﴿بَرْدَهُ﴾ إِلَيْهَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أَي: النَّاسُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بِهَذَا الْوَعْدِ، وَلَا بِأَنْ هَذِهِ أُخْتُهُ، وَهَذِهِ أُمُّهُ، فَمَكَثَ عِنْدَهَا إِلَى أَنْ فُطِمَتْ، وَأَجْرَى عَلَيْهَا أَجْرَ تَبْنِئَةٍ، لِكُلِّ يَوْمٍ دِينَارٌ، وَ [قِيلَ:] أَخَذَتْهَا لِأَنَّهَا مَالُ حَرْبِي، فَأَتَتْ بِهِ فِرْعَوْنَ، فَتَرَبَّى عِنْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ، فِي سُورَةِ «الشُّعَرَاءِ»: «أَلَمْ نَرْبِّكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمَرِكَ سِنِينَ؟» ١٤ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وَهُوَ ثَلَاثُونَ سَنَةً، أَوْ: ثَلَاثٌ ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أَي: بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حِكْمَةً، [وَقِيلَ:] النَّبُوَّةُ ﴿وَعِلْمًا﴾ فَقَهَّاءُ فِي الدِّينِ، قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيًّا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَاهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ. ١٥ [ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَسْبَابَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ، وَكَيْفَ أُوتِيَ النَّبُوَّةُ فَقَالَ:] ﴿وَدَخَلَ﴾ مُوسَى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ، وَهِيَ: «مَنْفُ»، [بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ]، بَعْدَ أَنْ غَابَ عَنْهَا مَدَّةٌ ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةً مِنْ أَهْلِهَا﴾ وَقَتِ الْقِيلُولَةِ ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أَي: إِسْرَائِيلِي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أَي: قِبْطِي، يَسْخَرُ الْإِسْرَائِيلِيُّ، لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبَخِ فِرْعَوْنَ ﴿فَاسْتَفَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: خُلِّ سَبِيلُهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ لِمُوسَى: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَيْكَ ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ ضَرْبَةً بِجَمْعِ كَفِّهِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أَي: قَتَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُ قَتْلِهِ ^(١)، وَدَفَنَهُ فِي الرَّمْلِ ﴿قَالَ هَذَا﴾ أَي: قَتَلَهُ ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الْمَهِيْجِ غَضْبِي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِابْنِ آدَمَ﴾ مُضِلٌ لَهُ ﴿مَبِينٌ﴾ بَيِّنُ الْإِضْلالِ. ١٦ ﴿قَالَ﴾ نَادِمًا ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بِقَتْلِهِ ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغْفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أَي: الْمُنْتَصِفُ بِهِمَا أَرْثًا وَأَبَدًا. ١٧ ﴿قَالَ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾ بِحَقِّ إِنْعَامِكَ ﴿عَلَيَّ﴾ بِالْمَغْفِرَةِ، اعْصِمْنِي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عَوْنًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ بَعْدَ هَذِهِ، إِنْ عَصَمْتَنِي، [وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ مُوسَى كَافِرًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَظْلُومًا].

١٨ ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يَنْتَظِرُ مَا يَنَالُهُ مِنْ جِهَةِ الْقَتْلِ ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يَسْتَغِيثُ بِهِ عَلَى قَتْلِ قِبْطِي آخَرَ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ﴾ الْغَوَايَةُ، لَمَّا فَعَلْتَهُ أَمْسَ وَالْيَوْمَ.

١٩ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زَائِدَةٌ ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لِمُوسَى وَالْمُسْتَغِيثِ بِهِ، [لِأَنَّ الْقِبْطَ كَانُوا أَعْدَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] ﴿قَالَ﴾ الْمُسْتَغِيثُ [لِمُوسَى]، ظَانًّا أَنَّهُ [يُرِيدُ أَنْ] يَبْطِشَ بِهِ، لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿يَا مُوسَى

(١) قَوْلُهُ: «لَمْ يَكُنْ قَصْدُ قَتْلِهِ»، أَي: بَلْ قَتَلَهُ خَطَأً، وَلَا إِثْمَ فِيهِ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ وَأَزْكَبُكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ بَعْضُكُمْ يَضْرِبُ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَجَنَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا»، وَإِنَّمَا اسْتَغْفَرَ مُوسَى رَبَّهُ، مِنْ عَجَلَتِهِ وَعَدَمِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَعَدَ اللهُ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأَسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغْفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى

أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن ما تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين فسمع القبطي ذلك، فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون، فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه. ٢٠ ﴿وجاء رجل﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿من أقصا المدينة﴾ آخرها ﴿يسعى﴾ يسرع في مشيه، من طريق أقرب من طريقهم ﴿قال يا موسى إن الملاء﴾ من قوم فرعون ﴿يأتَمرون بك﴾ يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك فخرج﴾ من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ في الأمر بالخروج. ٢١ ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ لحوق طالب، أو: غوث الله إياه ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ قوم فرعون. ٢٢ ﴿ولما توجه﴾ قصد بوجهه ﴿تلقاء

مدین﴾ جهتها، وهي: قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بمدین بن إبراهيم، ولم يكن [موسى] يعرف طريقها ﴿قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ أي: قصد الطريق، أي: الطريق الوسط إليها، فأرسل الله ملكاً بيده «عَنْزَةً»^(١)، فانطلق به إليها.

٢٣ ﴿ولما ورد ماء مدین﴾ [هي:] بئر فيها، أي: وصل إليها ﴿وجد عليه أمة﴾ جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أي: سواهم ﴿امراتين تذودان﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قال﴾ موسى لهما ﴿ما خطبكما؟﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ [بفتح الياء من «صدر»، و«الرعاء»] جمع «راع»، أي: يرجعون من سقيهم، خوف الزحام، فنسقي، وفي قراءة: «يُصدر» [بضم الياء]، من الرباعي، أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقدر أن يسقي.

٢٤ ﴿فسقى لهما﴾ من بئر أخرى بقربهما، رفع حجراً عنها، لا يرفعه إلا عشرة أنفس ثم تولى. انصرف ﴿إلى الظل﴾ لـ «سَمرة»، [وهي: شجرة مرتفعة، صغيرة الورق، قصيرة الشوك، ليستظل بها] من شدة حر الشمس، وهو جائع ﴿فقال رب إنني لما

أنزلت إلي من خير﴾ طعام ﴿فقير﴾ محتاج، فرجعنا إلى أبيهما، في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتا به. بمن سقى لهما، فقال لإحدهما: ادعيه لي. ٢٥ قال تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على

(١) قوله: «بيده عنزة» بفتح حين، هي أطول من العصا وأقصر من الرمح، فيها زُجٌّ - أي: حديدة - كزُجِّ الرمح، أما إرسال الملك إلى موسى عليه السلام ليدله على الطريق، فقد رواه ابن جرير، عن الشَّدي الصغير: محمد بن مروان، الذي قال عنه ابن الأثير في «اللباب»: وكان ضعيفاً منكر الحديث، فلا ينبغي الإغراب في نقل الأخبار من غير دليل يعتمد عليه.

استحياء أي: واضعة كَم درعها على وجهها، حياة منه ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فأجابها، منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة، إن كان ممن يريد، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها، فقال لها: «امشي خلفي، ودليني على الطريق»، [روى ذلك الحاكم وغيره، عن عمر بن الخطاب، ورواه بعضهم عن ابن عباس]، ففعلت، إلى أن جاء أباه، وهو شعيب عليه السلام، [كما قيل، والصحيح أنه غيره]، وعنده عشاء، فقال له: اجلس فتعش، قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وأنا أهل بيت، لا نطلب على عمل خير عوضاً، قال: لا، عادتني وعادة آبائي، تُقري الضيف، ونُطعم الطعام، فأكل، وأخبره بحاله، قال تعالى: ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ مصدر بمعنى «المقصود»، من قتله القبطي، وقصدهم قتله، وخوفه من فرعون ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ إذ لا سلطان لفرعون على «مدين».

الْمُرْسَلَةُ

أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّاهُ فَاسْأَلَاهَا عَنْهُمَا فَأَخْبَرَتْهُمَا بِمَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ رَفَعَةِ هَجَرَ الْبُتْرِ، وَمِنْ قَوْلِهَا: امْشِي خَلْفِي، وَزِيَادَةُ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتْهُ وَعَلِمَ بِهَا، صَوَّبَ رَأْسَهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فَرُغِبَ فِي إِتْكَاحِهِ.

﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ وَهِيَ الْكُبْرَى، أَوِ الصَّغْرَى ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تَكُونُ أَجْرًا لِي، فِي رِعْيِ غَنَمِي ﴿ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ أَي: سَنِينَ ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أَي: رِعْيِ عَشْرٍ سَنِينَ ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ التَّمَامُ﴾ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴿بِاشْتِرَاطِ الْعَشْرِ﴾ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿قَالَهَا﴾ لِلتَّبَرُّكِ ﴿مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ الرَّافِعِينَ بِالْعَهْدِ.

﴿٢٨﴾ قَالَ مُوسَى ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي قُلْتَهُ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أَيْمَانُ الْأَجْلِينَ ﴿الْثَمَانُ أَوِ الْعَشْرُ، وَ «مَا» زَائِدَةٌ، أَي: رَغْبَةٌ قَضِيَتْ﴾ بِهِ، أَي: فَرِغَتْ مِنْهُ ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أَنَا وَأَنْتَ ﴿وَكَيْلٌ﴾ حَفِيزٌ، أَوْ شَهِيدٌ، فَنَمَّ الْعَقْدُ، [أَي: عَقْدُ النِّكَاحِ وَالْإِجَارَةِ] بِذَلِكَ، وَأَمْرٌ شَعِيبُ ابْنَتِهِ، أَنْ تَعْطِيَ مُوسَى عَصَا، يَدْفَعُ بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ، [قِيلَ: وَكَانَ عَصَا الْأَنْبِيَاءِ ^(١) عِنْدَهُ، فَوَقَعَ فِي يَدِهَا عَصَا آدَمَ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ، فَأَخَذَهَا مُوسَى بِعِلْمِ شَعِيبِ.

أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّاهُ فَاسْأَلَاهَا عَنْهُمَا فَأَخْبَرَتْهُمَا بِمَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ رَفَعَةِ هَجَرَ الْبُتْرِ، وَمِنْ قَوْلِهَا: امْشِي خَلْفِي، وَزِيَادَةُ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتْهُ وَعَلِمَ بِهَا، صَوَّبَ رَأْسَهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فَرُغِبَ فِي إِتْكَاحِهِ.

﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ وَهِيَ الْكُبْرَى، أَوِ الصَّغْرَى ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تَكُونُ أَجْرًا لِي، فِي رِعْيِ غَنَمِي ﴿ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ أَي: سَنِينَ ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أَي: رِعْيِ عَشْرٍ سَنِينَ ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ التَّمَامُ﴾ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴿بِاشْتِرَاطِ الْعَشْرِ﴾ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿قَالَهَا﴾ لِلتَّبَرُّكِ ﴿مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ الرَّافِعِينَ بِالْعَهْدِ.

﴿٢٨﴾ قَالَ مُوسَى ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي قُلْتَهُ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أَيْمَانُ الْأَجْلِينَ ﴿الْثَمَانُ أَوِ الْعَشْرُ، وَ «مَا» زَائِدَةٌ، أَي: رَغْبَةٌ قَضِيَتْ﴾ بِهِ، أَي: فَرِغَتْ مِنْهُ ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أَنَا وَأَنْتَ ﴿وَكَيْلٌ﴾ حَفِيزٌ، أَوْ شَهِيدٌ، فَنَمَّ الْعَقْدُ، [أَي: عَقْدُ النِّكَاحِ وَالْإِجَارَةِ] بِذَلِكَ، وَأَمْرٌ شَعِيبُ ابْنَتِهِ، أَنْ تَعْطِيَ مُوسَى عَصَا، يَدْفَعُ بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ، [قِيلَ: وَكَانَ عَصَا الْأَنْبِيَاءِ ^(١) عِنْدَهُ، فَوَقَعَ فِي يَدِهَا عَصَا آدَمَ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ، فَأَخَذَهَا مُوسَى بِعِلْمِ شَعِيبِ.

﴿٢٩﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ أَي: رِعْيَهُ، وَهُوَ ثَمَانُ، أَوْ: عَشْرُ سَنِينَ، وَهُوَ الْمَطْنُونُ بِهِ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ زَوْجَتَهُ، بِإِذْنِ أَيْبَاهَا، نَحْوَ مِصْرَ ﴿أَنْسَ﴾ أَبْصَرَ مِنْ بَعِيدٍ ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسْمُ جَبَلٍ ﴿نَارًا قَالِ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هُنَا ﴿إِنِّي أَنْتَسْتُ نَارًا لِعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عَنْ الطَّرِيقِ، وَكَانَ قَدْ أَخْطَأَهَا ﴿أَوْ جَذْوَةً﴾ بِثَلَاثِ الْجِيمِ، [أَي: بِكُسْرَاهَا وَفَتْحِهَا وَضَمِّهَا، أَي: قِطْعَةً وَشَعْلَةً] ﴿مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ

(١) هذه المبالغات لا دليل عليها، فلم تكن للأنبياء عصي يتوارثونها، بل إن موسى عليه السلام اتخذ لنفسه عصاً، من شجر الأرض، لا من شجر الجنة، ليُهْشَ بها على غنمه، كما هي عادة من يرعى الغنم، ويمشي في البادية.

تَصْطَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسِّيَ إِلَيَّ أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا
جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمْوِسِّيَ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣٠﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذَلِكَ بُرْهَانُ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٢﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٣﴾ قَالَ سَنُنْشِدُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ
سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ

تصطلون ﴿٢٨﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، [أصله «تصتلون»، وقعت التاء بعد الصاد، وهي من حروف الإطباق، فقلبت طاء]، من «صلي» بالنار، بكسر اللام وفتحها. ٣٠ ﴿فلما أتاهها نودي من شاطئ من شاطئ﴾ جانب ﴿الواد الأيمن﴾ لموسى ﴿في البقعة المباركة﴾ بسماعه كلام الله فيها ﴿من الشجرة﴾ بدل من «شاطيء» بإعادة الجار، لنباتها فيه، وهي: شجرة «عُتَاب»^(١)، أو «عليق»، أو «عوسج» ﴿أن﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾. ٣١ ﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كانها جان﴾ وهي: «الحية الصغيرة»، من سرعة حركتها ﴿ولَّى مدبراً﴾ هارباً منها ﴿ولم يعقب﴾ أي: يرجع، فنودي ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ [مما تخاف]. ٣٢ ﴿أسلك﴾ أدخل ﴿يدك﴾ اليمنى،

بمعنى: الكف ﴿في جيبك﴾ وهو: طوق القميص، وأخرجها ﴿تخرج﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة [والسمرة] ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي: برص، فأدخلها، وأخرجها تضيء كشعاع الشمس، تُغشي^(٢) البصر ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ بفتح الحرفين، [أي: الرء والهاء]، وسكون الثاني، مع فتح الأول وضمه، [فهي ثلاث قراءات سبعة]، أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك، فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر عنها بالجناح، لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فذلك﴾ بالتشديد والتخفيف، أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المشار به إليهما «المبتدأ»، لتذكير خبره ﴿برهانان﴾ [دليلان قاطعان]، مرسلان ﴿من ربك إلى فرعون وملائته إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ [أي: كافرين]. ٣٣ ﴿قال رب إني قتلْتُ منهم نفساً﴾ هو القبطي السابق ﴿فأخاف أن يقتلوني﴾ به. ٣٣ ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أُبَيِّنُ ﴿فأرسله معي رداءً﴾ معينا، وفي قراءة: بفتح الدال [مع كسر الراء]، بلا همزة [مع التنوين، وهي سبعة أيضاً] ﴿يصدقني﴾ بالجزم، جواب الدعاء، [أي: جواب «فأرسله»]، وفي قراءة: بالرفع، وجملته صفة «رداء» ﴿إني أخاف أن يكذبوني﴾.

٣٥ ﴿قال سنشد عضدك﴾ تقويك ﴿بأخيك﴾ ونجعل لكما سلطاناً ﴿غلبة﴾ عليهم، بالحجة والبرهان، وغير ذلك ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بسوء، اذها ﴿بآياتنا﴾ [أي: بالعصا واليد، وجمعهما لأن كل واحدة منهما، اشتملت على آيات متعددة] ﴿أنتم ومن اتبعكما﴾

(١) قوله: «وهي شجرة عُتَاب.» إلخ، لا داعي إلى التعمين من غير دليل، فهي «شجرة» وكفى.

(٢) قوله: «تغشي» بالعين المهملة هو الصواب كما في المخطوطة الثانية أي: تجعل بصر ناظرها ضعيفاً لشدة ضرتها، وفي المخطوطتين الأولى والثالثة وبعض النسخ المطبوعة «تغشى» بالمعجمة وهو تصحيف.

الغالبون ﴿لهم﴾ ٣٦ ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ واضحات، حال ﴿قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾^(١) مختلق، [أي: سحر لم يعهدوه من قبل] ﴿وما سمعنا بهذا﴾ كائناً، [أي: حاصلًا] ﴿في﴾ أيام ﴿آبائنا الأولين﴾.

٣٧ ﴿وقال﴾ بواو وبدونها، [قراءتان سبعيتان] ﴿موسى ربي أعلم﴾ أي: عالم ﴿بمن جاء بالهدى من عنده﴾ الضمير للرب ﴿ومن﴾ عطف على ﴿من﴾ قبلها ﴿تكون﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿له عاقبة الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، في الدار الآخرة، أي: وهو ﴿أنا﴾

في الشقين، فأنا محق فيما جئت به، [ولي العاقبة المحمودة] ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الكافرون.

٣٨ ﴿وقال فرعون﴾ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين ﴿فأطبخ لي الآخر﴾ ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ قصراً عالياً ﴿لعلني أطلع إلى إله موسى﴾ أنظر إليه وأقف عليه، [أي: أعرف حقيقته] ﴿وإنني لأظنه من الكاذبين﴾ في ادعائه إلهاً آخر [غيري]، وأنه رسول [من عنده].

٣٩ ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول، [أي: توهموا أنه لا معاد ولا بعث].

٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ البحر المالح^(٢)، ففرقوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

٤١ ﴿وجعلناهم﴾ في الدنيا ﴿أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، [أي: رؤساء في الشرك] ﴿يدعون إلى النار﴾ بدعائهم [الناس] إلى الشرك^(٣)، [المؤدي بهم إلى النار] ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم. ٤٢ ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ خزيًا.

الجزء الثامن

الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه من الكاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً

(١) قوله تعالى: ﴿سحر مفترى﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.
(٢) قوله: «البحر المالح». قال في مختار الصحاح: «ماء ملح»، ولا يقال: «مالح» إلا في لغة رديئة. اهـ. ونقل: يؤيد هذا قوله تعالى في نوعي الماء: ﴿هذا عذب فوات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ ولم يقل: «مالح»، وقد أغرقهم الله تعالى في «البحر الأحمر» على المشهور، ليس في «النيل».
(٢) قوله: «بدعائهم إلى الشرك»، هذا وجه. والوجه الآخر في تفسيرها: أصبحوا أئمة في الكفر، يتبعهم الضالون من الناس، ويقتدون بهم، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم إلى يوم القيامة.

﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المبعدين، [وقال ابن عباس: المشوهين الخلقة، بسواد الوجوه، وزرقة العيون].

٤٣ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بصائر للناس﴾ حال من «الكتاب»، جمع «بصيرة»، وهي: نور القلب، أي: أنواراً للقلوب ﴿وهدى﴾ من الضلالة، لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

٤٤ ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب﴾ الجبل، أو الوادي، أو المكان، ﴿الغربي﴾ من موسى، حين المناجاة ﴿إذ قضينا﴾ أوحينا ﴿إلى موسى الأمر﴾ بالرسالة، إلى فرعون وقومه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ لذلك، فتعلمه فتخبر به، [ولو لم نخبرك نحن بالوحي إليك، لما علمت ذلك، فلماذا لا يصدقك الكافرون؟].

٤٥ ﴿ولكننا أنشأنا قروناً﴾ أمماً من بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ طالعت أعمارهم، فنسوا العهود، واندرست العلوم، وانقطع الوحي، فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وما كنت ثاوياً﴾ مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ خبر ثاني، فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ لك وإليك، بأخبار المتقدمين، [أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم].

٤٦ ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ الجبل ﴿إذ﴾ حين ﴿نادينا﴾ موسى: أن خذ الكتاب بقوة ﴿ولكن﴾ أرسلناك ﴿رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم﴾ [أي: لم يأتهم] ﴿من نذير من قبلك﴾ وهم أهل مكة، [لوجودهم في زمن الفترة، بينك وبين عيسى] ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون، [فيؤمنون]. ٤٧ ﴿ولولا أن نصيبهم مصيبة﴾ عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر وغيره ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ هلاً ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ المرسل بها ﴿ونكون من المؤمنين؟﴾ وجواب «لولا» محذوف، وما

بعدها مبتدأ، والمعنى^(١): لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو: لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً. ٤٨ ﴿فلما جاءهم الحق﴾ محمد ﴿من عندنا قالوا لولا﴾ هلاً ﴿أوتي مثل

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَآئِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ

(١) قوله: «والمعنى... إلخ»، بيانه: وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة، ولينقطع عذرهم إذا جاءهم العذاب، فلا يحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير، أي: أرسلناك إلى الناس رسولاً، لئلا يقولوا عند العقوبة بسبب كفرهم: لماذا لم ترسل إلينا رسولاً؟ فإنك لو أرسلت إلينا رسولاً لاتبعناه وأمانا.

ما أوتي موسى ﴿ من الآيات كاليد البيضاء، والعصا، وغيرهما، أو: الكتاب جملة واحدة؟ قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ موسى من قبل﴾ حيث ﴿قالوا﴾ فيه وفي محمد ﴿ساحران﴾ وفي قراءة: «سحران»، أي: القرآن والتوراة ﴿تظاهرا﴾ تعاونا [على السحر] ﴿وقالوا إنا بكل﴾ من التبيين والكتابين ﴿كافرون؟﴾. ٤٩ ﴿قل﴾ لهم ﴿فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من الكتابين ﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾ في قولكم. ٥٠ ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ في كفرهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ أي: لا أضل منه ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين. ٥١ ﴿ولقد وصلنا﴾ بَيِّنَاتٍ ﴿وفصلنا﴾ لهم القول ﴿القرآن﴾ لعلهم يتذكرون ﴿يتعظون﴾ فيؤمنون. ٥٢ ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أي: القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ أيضاً، [أخرج ابن أبي حاتم، عن السدي: أنها] نزلت في جماعة^(١) أسلموا من اليهود، كعبد الله بن سلام وغيره، و [أخرج أيضاً عن سعيد بن جبير، أنها نزلت في جماعة] من النصارى، قدموا من الحبشة [مسلمين]، و [قيل: قدموا] من الشام. ٥٣ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ موحدين. ٥٤ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بما صبروا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿ويدروون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ منهم ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. ٥٥ ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أعرضوا عنه﴾

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

مَا أُوتِيَ موسى ﴿أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ موسى من قبل﴾ قَالُوا سَحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ فَاتُوا بَكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

(١) قوله: «نزلت في جماعة... إلخ، غير مطابق لمعنى الآيات، بل يتناقض معها تناقضاً واضحاً، لأن هؤلاء جميعاً كانوا كافرين، فعبد الله بن سلام لم يكن قبل إسلامه مؤمناً بل كان كافراً، فكيف يؤتى هو وأمثاله أجره مرتين؟ وكيف يقول هو وأمثاله: «إنا كنا من قبله مسلمين» وهو يهودي؟ وقيل: إن الآيات (٥٢) - إلى (٥٥) تعني أناساً من أهل الكتاب، كانوا مسلمين على عقيدة موسى وعيسى عليهما السلام قبل بعثة محمد ﷺ، ثم أسلموا معه أيضاً، وهذا قول قتادة السدوسي والربيع بن أنس رحمهما الله تعالى، وهذا القول لا يخلو من إشكال أيضاً، لأن الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ بأن يقول: ﴿وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ ومعناه: أنه ﷺ كان عند بعثته أول مسلم من البشر على وجه الأرض، وجاء في صحيح البخاري وغيره: «أن آخر من كان على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، زيد بن عمرو بن نفيل»، وقد توفي قبل البعثة بخمس سنوات، فالقول الأسلم في معنى الآيات هو: أن ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ هم من أسلم مع النبي ﷺ من اليهود والنصارى، وقولهم: ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾ يعنون آباءهم الذين أسلموا مع موسى أو عيسى عليهما السلام، فيؤتون أجرهم مرتين، مرة لإيمانهم بما جاءهم به محمد ﷺ، ومرة أخرى لإيمانهم بصدق ما أخبرهم به نبيهم، وبما كان عليه المسلمون من آباؤهم من الحق، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري من قوله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وأدرك النبي فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة ففدأها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعطها وتزوجها، فله أجران»، رواه الشيخان، وأحمد وغيرهم، أما الذين لم يؤمنوا فازدادوا كفراً على كفرهم.

وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم ﴿ سلام متاركة [لا سلام تحية،] أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ لا نصحبهم .

٥٦ ونزل في ^(١) حرصه ﷺ، على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ هدايته ﴿ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بالمهتدين﴾ .

٥٧ ﴿وقالوا﴾ أي: قومه ﷺ، معذرين عن عدم اتباع الهدى ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ أي: ننتزع منها بسرعة، [إذ سيحاربنا من حولنا من أحياء العرب، إن نحن اتبعناك، وليس قولهم:

«الهدى»، إقراراً منهم، بالحق، بل قالوه مسaire له ﷺ]، قال تعالى: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل، الواقعين من بعض العرب على بعض «نجبي» بالفوقانية والتحنانية «إليه ثمرات كل شيء» من كل أوب «رزقاً» لهم «من لدنا» عندنا؟ «ولكن أكثرهم لا يعلمون» أن ماتقوله حق.

٥٨ ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ أي: عيشها، وأريد بالقرية أهلها، [أي: لقد أهلكنا كثيراً من تلك القرى، وهذا تهديد لأهل مكة] «فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً» للمارة، يوماً أو بعضه «وكننا نحن الوارثين» منهم.

٥٩ ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ بظلم منها «حتى يبعث في أمها» أي: أعظمها «رسولاً» يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون «بتكذيب الرسل».

٦٠ ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: تتمتعون وتزينون به أيام حياتكم، ثم يفنى «وما عند الله» وهو: ثوابه «خير وأبقى أفلا تعقلون» بالتاء والياء، أن الباقي خير من الفاني؟.

٦١ ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾

سُورَةُ الْعَنْكَرِ ٢٨

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُّ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٩﴾ وَالْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا

(١) قوله: «ونزل في حرصه»، أخرجه البخاري ومسلم عن المسيب بن حزن المخزومي رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ، فوجدنا عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: «يا عَمَّ قُل: لا إله إلا الله» كلغة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْزِلْ عَنكَ»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى...﴾ الآية وأنزل في أبي طالب ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾. اهـ. ارجع إلى تعليقنا حول «الاستغفار للكافر والدعاء له» ص ٢٦١.

فهو لاقية مصيبه، وهو الجنة، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا فيزول عن قريب ثم هو يوم القيامة من المحضرين النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر، أي: لا تساوي بينهما.

٦٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم﴾ الله ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ هم شركائي، وأنهم ينصرونكم؟].

٦٣ ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بدخول النار، وهم: رؤساء الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ هم، [و«هؤلاء»] مبتدأ، و[«الذين أغوينا»] صفته، [وجملة: ﴿أغويناهم﴾] خبره، ففروا

﴿كما غوينا﴾ [أي: أضللناهم فضلوا كما ضللنا، و] لم نكرهمهم على الغي ﴿تبرأنا إليك﴾ منهم ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ «ما» نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

٦٤ ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي: الأصنام، الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ دعاءهم ﴿ورأوا﴾ مُمُ العذاب ﴿أبصروه﴾ [وقد غشيهم] ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ في الدنيا، مارأوه في الآخرة.

٦٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ إليكم؟.

٦٦ ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ [أي: خفيت عليهم الحجج و] الأخبار، المنجية في الجواب ﴿يومئذ﴾ أي: لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فهم لا يتساءلون﴾ [أي: لا يسأل بعضهم بعضاً] عنه، فيسكتون [جميعاً ولا يجيبون، لأن الجواب معلوم هو: أنهم كذبوا الرسل].

٦٧ ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وعمل صالحاً﴾ أدى الفرائض ﴿فعمى أن يكون من المفلحين﴾

الْبُرْهَانُ الْقَدِيمُ

فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

يكون من المفلحين﴾ الناجين بوعد الله تعالى، [ووعده تعالى حق لا خُلفَ فيه].

٦٨ ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ما يشاء ﴿ما كان لهم﴾ للمشركين ﴿الخيرة﴾ الاختيار في شيء، [لا في النبوة، ولا في غيرها، فالله هو الذي يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس] ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [أي: عن إشراكهم].

٦٩ ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ تُسرُّ قلوبهم، من الكفر وغيره،

﴿وما يعلنون﴾ بألستهم من ذلك. ٧٠ ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى﴾ الدنيا ﴿والآخرة﴾ الجنة ﴿وله الحكم﴾ القضاء النافذ، في كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ بالنشور.

٧١ ﴿قل﴾ لأهل مكة [وغيرهم] ﴿أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً ﴿إلى يوم القيامة من إله غير الله﴾ بزعمكم ﴿يأتيكم بضياء﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أفلا تسمعون﴾ ذلك سماع تفهم، فترجعون عن الإشراك؟

٧٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ إلى يوم القيامة من إله غير الله ﴿بزعمكم﴾ يأتكم بليل تسكنون ﴿تستريحون﴾ فيه ﴿من التعب؟﴾ أفلا تبصرون ﴿ما أنتم عليه، من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٨

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ

فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾

وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فُقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ

٧٣ ﴿ومن رحمته﴾ تعالى ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بالكسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ النعمة فيهما.

٧٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ ذكر [قوله تعالى: «يوم يناديهم»] ثانياً، [بعد ذكره أولاً في الآية ٦٥]، لِيُنَبِّئَ عَلَيْهِ:

٧٥ ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ وهو نبيهم، يشهد عليكم بما قالوا ﴿فقلنا﴾ لهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على ما قلتم من الإشراك، [فلم يجدوا جواباً ينجيهم] ﴿فعلموا أن الحق﴾ في الإلهية ﴿للله﴾ لا يشاركه فيها أحد، [فلا إله يستحق أن يُعبد إلا الله] ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

٧٦ ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ (١) [أي: من بني إسرائيل، لا من القبط، قيل: كان ابن عمه، وابن خالته، وأمن به ثم كفر، حسداً لموسى وهارون] ﴿فبغى عليهم﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وآتيناه

(١) قوله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ الآيات. في قصة قارون عبرة وذكرى لكل غني، بل لكل إنسان، فنأخذ منها أولاً: إذا كثرت مال الإنسان حتى صرفه عن دينه، فقد هلك ﴿الهاكم التكاثر﴾ حتى زرم المقابر. ثانياً: الثروة المالية من غير إيمان تجعل صاحبها متكبراً ظالماً طاغياً، قال تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ * أن رآه استغنى، ثالثاً: على صاحب المال أن يشكر الله تعالى، وأن لا ينفق ماله مبذراً ولا سرفاً ولا بطراً ولا رياء، وإلا فإن عاقبة أمره وخيمة، ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا أيضاً، ففي عصرنا: ألم يسلط الله تعالى، الظالمين من الحكام على أصحاب الثروات، فأذاقوهم مرُّ الهوان، وجردوهم من أملاكهم وأموالهم؟ ... فهل من مدكر؟ ..

من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة **﴿أولي﴾** الجماعة **﴿أولي﴾** أصحاب **﴿القوة﴾** أي: تنقلهم، [أي: تميلهم بثقلها] فالباء للتعدية، وعدتهم [أي: العصبة]، قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشرة، وقيل: غير ذلك، واذكر **﴿إذ قال له قومه﴾** المؤمنون من بني إسرائيل **﴿لا تفرح﴾** بكثرة المال، **﴿فرح بطر﴾** **﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾** بذلك، [أي: البطرين].

٧٧ **﴿وابتغ﴾** اطلب **﴿فيما آتاك الله﴾** من المال **﴿الدار الآخرة﴾** بأن تنفقه في طاعة الله **﴿ولا تنس﴾** تترك **﴿نصيبك من الدنيا﴾** ^(١) أي: أن تعمل فيها للآخرة **﴿وأحسن﴾** للناس بالصدقة **﴿كما أحسن الله إليك ولا تبغ﴾** تطلب **﴿الفساد في الأرض﴾** بعمل المعاصي **﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾** بمعنى: أنه يعاقبهم.

الجزء الثامن

مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِن مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ^(٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ^(٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ^(٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيبَتْ لَنَا مَثَلٌ مَّا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذَو حَظٍّ عَظِيمٍ ^(٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ^(٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ

٧٨ **﴿قال إنما أوتيته﴾** أي: المال **﴿على علم عندي﴾** أي: في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، بعد موسى وهارون، [وقيل: على علم عندي، بوجوه التجارة والمكاسب، وقيل: بصناعة الذهب، قاله ابن عباس، وهذا القولان أقرب لواقع الحال]، قال تعالى: **﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾** الأمم **﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾** للمال؟ أي: هو عالم بذلك، ويهلكه الله **﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾** لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بلا حساب، [لكنهم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، لقوله تعالى: «فوريك لنسألهم أجمعين»].

٧٩ **﴿فخرج﴾** قارون **﴿على قومه في زينته﴾** باتباعه الكثيرين، ركبناً متحليين بملايس الذهب والحريز، على خيول وبغال متحلية **﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا﴾** للثنية **﴿ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾** في الدنيا **﴿إنه لذو حظ﴾** نصيب **﴿عظيم﴾** واف فيها.

٨٠ **﴿وقال﴾** لهم **﴿الذين أوتوا العلم﴾** بما وعد الله في الآخرة **﴿ويلكم﴾** كلمة زجر **﴿ثواب الله﴾** في الآخرة بالجنة **﴿خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾** مما أوتي قارون في الدنيا **﴿ولا يلقاها﴾** أي: الجنة المثاب بها **﴿إلا الصابرون﴾** على الطاعة، وعن المعصية ^(٢). ٨١ **﴿فخسفنا به﴾** بقارون

(١) قوله تعالى: **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾**، فسره الجلال المحلي: بأن تعمل فيها للآخرة، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وعدد من المفسرين، وقال الحسن البصري وقطاعة السدوسي رحمهما الله: معناه لا تضع حظك من دنياك، في تمتعك بالحلal وطلبك إياه، ونظر لك لعاقبة دنياك. اهـ. واتصر على هذا القول ابن كثير في تفسيره، وقال القرطبي نقلاً عن ابن عطية: فالكلام على هذا التأويل، فيه بعض الفرق بالإنسان، وهذا مما يجب استعماله مع المواضع خشية الثبوت من الشدة. اهـ. ونقول: إن هذا القول هو الأقرب، والمتناسق مع معاني الآية، تلافياً لما يشبه التكرار على القول الأول، والله أعلم.

(٢) الصبر على طاعة الله بفعلها، والصبر عن معصيته بتركها، هما من أبواب الصبر، وقد بيناها في تعليقنا ص ٦٠٧.

﴿وبداره الأرض﴾^(١) فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ﴿من غيره، بأن يمنعوا عنه الهلاك﴾ وما كان من المنتصرين منه.

٨٢ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه﴾ [بقولهم: «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾﴾ بالأمس﴾ أي. من قريب يقولون وي. كأن الله يسط﴾ يوسع ﴿الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يضيق على من يشاء، و «وي»: اسم فعل [مضارع] بمعنى: «أعجب» أي: أنا، والكاف بمعنى اللام، [أي: «أعجب لأن يسط»، وقال أبو جعفر النحاس: أحسن ما قيل فيها، إنها حرف «تندم»، وعزاه إلى الخليل وسيبويه وغيرهما، والمعنى: أن القوم تنبهوا أو نُبهوا، فندموا فقالوا: «وي» [الخ] «لولا أن من الله علينا لخسف بنا﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وي كأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله، كفارون.

٨٣ ﴿تلك الدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ بالبني ﴿ولا فساداً﴾ بعمل المعاصي ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ عقاب الله، بعمل الطاعات.

٨٤ ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ثواب بسببها، وهو عشر أمثالها ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ أي: مثله.

٨٥ ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾^(٢) ﴿أنزله ليرادك إلى معاد﴾ إلى مكة، وكان اشتاقها ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي: فهو الجاني بالهدى، وهم في ضلال، و «أعلم» بمعنى: «عالم».

٨٦ ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ القرآن ﴿إلا﴾ لكن ألقى إليك ﴿رحمة من ربك فلا تكونن﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْطِئُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

(١) إن خسف الأرض بقارون، وباداره التي فيها كنوزها، عبرة لأولي الألباب والأبصار، وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يجر إزاره، إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»، ومعنى يتجلجل فيها: يسبح ويدخل، وهذا الرجل المذكور في الحديث قيل هو قارون نفسه وقيل: رجل غيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً فبلغ الحُجُفَةَ - هو موضع بين مكة والمدينة، قرب بلدة «رايح» - وعرف الطريق، اشتاق إلى مكة فأنزل الله: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾.

ظهيراً معينا للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه .

٨٧ ﴿وَلَا يَصْدُنْكَ﴾ أصله «يصدوننك»^(١)، حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل لالتقاءها مع النون الساكنة، [ثم أكد بنون التوكيد] «عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك» أي: لا ترجع إليهم في ذلك، [ولا تعباً بأقوالهم وتكذيبهم وأذاهم، وامض لأمرك] «وادع» الناس «إلى ربك» بتوحيده وعبادته «ولا تكونن من المشركين» بإعانتهم، [والمراد بالخطاب غيره ﷺ]، أي: لا يفعلن أحد ذلك، على حد قوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطن عملك»، أي: من أشرك حبط عمله، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه.

البقرة النونية

ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصْدُنْكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٨٨ ﴿ولا تدع﴾ تعبد «مع الله إلهاً آخر» [فإنه] «لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه» إلا إياه «له الحكم» القضاء النافذ، [في الأولى والآخرة] «وإليه ترجعون» بالنشور من القبور.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

(مكية، وهي: تسع وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
٢ ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا﴾ أي: بقولهم «آمنّا وهم لا يفتنون» يختبرون، بما يتبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في^(٢) جماعة آمنوا، فأذاهم المشركون.
٣ ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم، علم مشاهدة [واظهار، أي: ليظهرن الله ما علمه من حالهم] «وليعلمن الكاذبين» فيه.

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا السَّاعِدُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾

(١) قوله: «يصدوننك» إلخ. وردّ على ما ذكره المحلي من إعلانات اعتراض مفاده: أن الأصل «يصدوننك»، حذفت النون للجازم، ثم أكد بنون التوكيد فصارت «يصدوننك»، فالتقى ساكنان: الواو والنون الأولى من الحرف المشدد، فحذفت الواو لالتقاءهما.. لا كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(٢) قوله: «نزل في جماعة آمنوا» إلخ.. هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم والواحدي في «أسباب النزول»، عن عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله، وهذا لا يقيد عموم النص، فمعنى الآيات: أن الله سبحانه وتعالى يتلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، ليختبرهم ويظهر حقيقة إيمانهم، كما فعل بالمؤمنين من قبلنا، فما على المؤمن إلا الصبر، فالصبر من الإيمان، «إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب»، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

٤ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يفوتونا، فلا نتقم منهم؟ ﴿سَاءَ﴾ بش ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾هـ، [أي:] حكّمهم هذا.

٥ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ به ﴿لَآتٍ﴾ فليستعد له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

٦ ﴿وَمَنْ جَاهَدْ﴾ جهاد حرب، أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن منفعة جهاده له، لا لله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

٧ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [أي: اللّهم منها، فتنفّرهما لهم] بعمل الصالحات، [أما كبائر الذنوب، فلا بد فيها من التوبة الصحيحة] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى «حسن»، ونصبه بتزج الخافض - «الباء» - ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

٨ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾^(١) بوالديه حسناً ﴿أَي:﴾ إيصاً ذا حُسن، بأن يبرّهما ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ [أي: ليس لك به] موافقة للواقع، [والواقع: أن الإله واحد]، فلا مفهوم له، [أي: ليس العلم بالشريك، أو عدمه قيداً، بل المقصود النهي عن الإشراك بالله مطلقاً] ﴿فَلَا تَطْعَمُهُمَا﴾ في الإشراك، [لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق] ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

٩ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء، بأن نحشرهم معهم. ١٠ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كُعْذَابِ اللَّهِ﴾ في الخوف منه، فيطيعهم، فينافق ﴿وَلَشَنَّ﴾ لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرُكَ﴾ للمؤمنين ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لِيَقُولُنَّ﴾ حذفت منه نون الرفع، لتوالي النونات، و[حذفت] الواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان، فأشركونا في الغنيمة، قال تعالى: ﴿أَوْ لَيْسَ

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ٢٩

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ

(١) قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بوالديه حسناً﴾ الآية، روى مسلم - واللفظ له - وأحمد والترمذي عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله أوصاك بالديك، فأنا أمك وأنا أمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل قوله: ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ الآية ١٥ من سورة العنكبوت، ولم يطعها سعد رضي الله عنه، وما كان ليفعل ولو ماتت جوعاً وعطشاً.

الله بأعلم ﴿أي: بعالم﴾ بما في صدور العالمين ﴿قلوبهم﴾ من الإيمان والنفاق؟ بلى.
 ١١ ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ بقلوبهم، [إيماناً صادقاً] ﴿وليعلمن المنافقين﴾ [أي: ليظهرن ما علمه من حالهم]، فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.
 ١٢ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ في اتباعنا إن كانت، [أي: على فرض أن اتباعنا خطيئة]، والأمر بمعنى الخبر، [أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم]، قال تعالى: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ في ذلك.

سورة النور

١٣ ﴿وليحملن أثقالهن﴾ أوزارهن ﴿وأثقالاً مع أثقالهن﴾ بقولهن للمؤمنين: «اتبعوا سبيلنا»، وإضلالهن مقلديهن ﴿وليسألن يوم القيامة عما كنوا يفترون﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين، [أي: في «وليحملن» و«ليسألن»] لام قسم، وحذف فاعلهما^(١): «الواو» و«نون الرفع».

١٤ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه ﴿فأخذهم الطوفان﴾ الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم، ففرقوا ﴿وهم ظالمون﴾ مشركون.

١٥ ﴿فأنجيناه﴾ أي: نوحاً وأصحاب السفينة ﴿أي: الذين كانوا معه فيها﴾ وجعلناها آية ﴿عبرة﴾ للعالمين ﴿لمن بعدهم من الناس﴾، إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر، حتى كثر الناس.

١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إبراهيم﴾ إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴿خافوا عقابه﴾ ذلكم خير لكم ﴿مما أنتم عليه من عبادة الأصنام﴾ إن كنتم تعلمون ﴿الخير من غيره﴾.

١٧ ﴿إنما تعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿أوثاناً وتخلقون إفكاً﴾ تقولون كذباً: إن

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

الأوثان شركاء الله، [أو: تتحتونها أصناماً، وبه قال عكرمة وقتادة والحسن وغيرهم، واختاره ابن جرير الطبري] ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ لا يقدر أن يرزقكم ﴿فابتغوا عند الله

(١) قوله: «وحذف فاعلهما» إلخ، أي: فاعل «ليحملن»، ونائب الفاعل في «ليسألن»، وسبب حذف الواو، التثنية الساكنين، وحذفت النون لتوالي الأمثال، بعد إدخال نون التوكيد الثقيلة على الفعلين، والأصل فيهما: «ليحملون» و«ليسألون».

الرِّزْقِ أَطْلُبُوهُ مِنْهُ ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١٨ ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ أي: تكذبوني، يا أهل مكة، [وقيل: هذا من قول إبراهيم] ﴿فَقَدْ كَذَبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مَنْ قَبْلِي [من الرسل] ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ، في هاتين القصتين، تسلياً للنبي ﷺ.

١٩ وقال تعالى في قومه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء والتاء، ينظروا ﴿كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرئ^(١) [شدوذاً] بفتح، من «بدأ» و«أبدأ»، [وهما] بمعنى [واحد]، أي: يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ أي: [يعيد] الخلق، [بالبعث يوم القيامة]، كما بدأهم ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ المذكور، من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟

سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّةٌ ٢٦

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

٢٠ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأمانهم ﴿ثُمَّ﴾ الله ينشئ النشأة الآخرة مدّاً، [مع فتح الشين]، وقصراً، مع سكون الشين، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة.

٢١ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون.

٢٢ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ريبكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه [أيما تكونون] ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه.

٢٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي: القرآن والبعث ﴿أُولَٰئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي: جنتي، [بسبب كفرهم] ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

٢٤ قال تعالى في قصة إبراهيم عليه [الصلاة و] السلام: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [ثم اتفقوا على تحريقه] ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قذفوه فيها، بأن جعلها عليه برداً وسلاماً، [بقوله: «يا نار

كوني برداً وسلاماً على إبراهيم»] [إن في ذلك] أي: في إنجائه منها [آيات] هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها، وإخمادها، وإنشاء روض مكانها، في زمن يسير ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته، لأنهم المتفجعون بها.

(١) قوله: «وقرئ»، هذه قراءة شاذة كما بينا، وهي كل قراءة ما عدا القراءات العشر، فلا تجوز القراءة بها، لا في الصلاة ولا في غيرها، وإنما تناقلها العلماء لفوائد تتعلق بعلم العربية، وقد درج الجلالان على الإشارة إليها بـ «قرئ»، وأضفنا بعدها: «شدوذاً» لمزيد بيان. ارجع إلى المقدمة.

٢٥ ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها، و «ما» مصدرية ﴿مُودَّةً بَيْنَكُمْ﴾ [برفع «مودة»] خبر [إنَّ]، وعلى قراءة النصب، [أي: نصب «مودة»، هي] مفعول له، و «ما» كافة، [والقراءتان سبعيتان، و]، المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ﴿يَتَّبِعُوا الْقَادَةَ مِنَ الْآتِبَاعِ﴾ ويلعن بعضكم بعضاً ﴿يَلْعَنُ الْآتِبَاعُ الْقَادَةَ﴾ وما واكم ﴿مَصِيرَكُمْ جَمِيعاً﴾ النار وما لكم من ناصرين مانعين منها.

٢٦ ﴿فَأَمَّنْ لَهُ﴾ صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ أي: إلى حيث أمرني ربي، وهجر قومه، وهاجر من سواد العراق إلى الشام، [وقيل: إن الذي قال: «إني مهاجر إلى ربي» هو «لوط» عليه السلام] ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

البقرة القصص

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَمَعْنَى: «الكتب»، أي: «التوراة» [المتزلة على موسى]، و «الإنجيل» [المنزل على عيسى]، و «الزبور» [المنزل على داود]، و «الفرقان»، [أي: «القرآن»]، المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم [وآتيته أجره في الدنيا] وهو: الثناء الحسن، في كل أهل الأديان^(١) ﴿وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

٢٨ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتُنْتَحِبُونَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]، في الموضعين [أي: هذا والذي بعده] ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أذبار الرجال ﴿وَمَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

٢٩ ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة، بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، [أو: قطع السبيل للسلب والعدوان]، فترك الناس الممر بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾ مُتَحَدِّثَكُمْ ﴿الْمُنْكَرَ﴾^(٢) فعل الفاحشة بعضكم ببعض

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَمَعْنَى: «الكتب»، أي: «التوراة» [المتزلة على موسى]، و «الإنجيل» [المنزل على عيسى]، و «الزبور» [المنزل على داود]، و «الفرقان»، [أي: «القرآن»]، المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم [وآتيته أجره في الدنيا] وهو: الثناء الحسن، في كل أهل الأديان^(١) ﴿وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

٢٨ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتُنْتَحِبُونَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]، في الموضعين [أي: هذا والذي بعده] ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أذبار الرجال ﴿وَمَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

٢٩ ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة، بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، [أو: قطع السبيل للسلب والعدوان]، فترك الناس الممر بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾ مُتَحَدِّثَكُمْ ﴿الْمُنْكَرَ﴾^(٢) فعل الفاحشة بعضكم ببعض

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّتُمْ بَعْدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب تنازل بفاعليه. ٣٠ ﴿قَالَ رَبِّي أَنصُرْنِي﴾ بتحقيق قولتي، فني إنزال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ﴾

(١) قوله: «في كل أهل الأديان»، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥، لدفع ما التبس على البعض، حيث ظن ما وضعه البشر ديناً سماوياً.

(٢) قوله تعالى: «وتأتون في ناديكم المنكر»، أي: يفعلون ما لا يجوز من الأقوال والأفعال في مجالسهم، ولا يُنكر بعضهم على بعض.

المفسدين العاصين يأتیان الرجال، [وغيره من المنكرات]، فاستجاب الله دعاءه.

٣١ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية قرط ﴿إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

٣٢ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

٣٣ ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ﴾ حزن بسبيهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ صدرًا، [واغتمَّ بأمرهم]،

لأنهم حسان الوجوه، في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ونُصِبَ: «أهل» عطفًا على محل الكاف [في: «منجوك»].

٣٤ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به، أي: بسبب فسقهم، [فجعل عالي قراهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل].

٣٥ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة، هي: آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون، [فيتعظون].

٣٦ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ﴾^(١) أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴿أَي: اخشوه، هو يوم القيامة﴾ ولا تعشوا في الأرض مفسدين ﴿حال مؤكدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثناة، [أي: أفسد].

٣٧ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَةَ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ باركين على الركب، ميتين.

٣٨ ﴿و﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودًا﴾ بصرف «ثمود»، وتركه، بمعنى الحي^(٢) والقبيلة.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ٢٩

الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٦﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا

(١) قوله تعالى: «مدْيَن»، هي بلدة شعيب عليه السلام، ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٦.

(٢) قوله: «بمعنى الحي والقبيلة» هذا لف ونشر مرتب، أي: ينصرف «ثمود» إذا كان بمعنى: الحي، أي ليس علماً، ويُمنع من الصرف إذا كان اسماً للقبيلة، أي: للعلمية والتأنيث.

﴿وقد تبين لكم﴾ إهلاكهم ﴿من مساكنهم﴾ بالحجر واليمن^(١) ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فصدّهم عن السبيل﴾ سبيل الحق ﴿وكانوا مستبصرين﴾ ذوي بصائر [يعرفون الحق من الباطل، ولكنهم لم يؤمنوا عناداً وتكبراً].

٣٩ ﴿و﴾ أهلكنا ﴿قارون وفرعون وهامان﴾ ولقد جاءهم ﴿من قبل﴾ موسى بالبينات ﴿الحجج الظاهرات﴾ فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴿فأتين عذابنا﴾.

٤٠ ﴿فكلاً﴾ من المذكورين ﴿أخذنا بذنبيه﴾ فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ﴿ريحاً عاصفة﴾ فيها حصباء، كقوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كقوم [قوم هود عليه السلام] ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون^(٢) ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح [بالطوفان]، وفرعون وقومه [في البحر] ﴿وما كان الله ليعظلمهم﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب الذنب، [وهو كفرهم وضلالهم].

٤١ ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أصناماً يرجون نفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾^(٣) لنفسها، تأوي إليه ﴿وإن أوهن﴾ أضعف البيوت لبيت العنكبوت ﴿لا يدفع عنها حراً ولا برداً﴾ كذلك الأصنام، لا تنفع عابديها ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ذلك، ما عبدوها.

٤٢ ﴿إن الله يعلم ما﴾ بمعنى: الذي ﴿يدعون﴾ يعبدون، بالياء والتاء ﴿من دونه﴾ غيره ﴿من شيء﴾ وهو العزيز ﴿في ملكه﴾ الحكيم ﴿في صنعه﴾.

٤٣ ﴿وتلك الأمثال﴾ [التي ضربها الله تعالى] في القرآن، [كبيت العنكبوت وغيره] ﴿نضربها﴾ نجعلها [ونبينها] ﴿للناس﴾ وما يعقلها يفهمها ﴿إلا العالمون﴾ المتدبرون.

الجزء العنكبوت

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ^(٣٨) وَقُرُونُ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَلْنُ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ^(٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ^ط فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ^(٤٣)

(١) قوله: «بالحجر واليمن»: «الحجر» هي: ديار نمود قوم صالح عليه السلام، أرجع إلى تعليقنا ص ٢٩٣، وقوله «واليمن» قصد به «الأحفاف» حيث كانت مساكن «عاد»، قوم «هود عليه السلام»، أرجع إلى تعليقنا ص ٢٩١.

(٢) قوله: «كقارون»، أرجع إلى قصته ص ٥١٧.

(٣) قوله تعالى: «اتخذت»، قال في «حياة الحيوان الكبرى»: «العنكبوت» دويبة تنسج في الهواء، وجمعها «عنكب» والذكر «عنكب». وفي هذه الآية إشارة إلى أن الأنثى هي التي تقوم بنسج البيت دون الذكر، وبيتها هذا يُضرب مثلاً على الضعف وعدم القوة والمتانة، ومثلها النحلة، فإن إناث النحل هي العاملة دون الذكر.

٤٤ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دلالة على قدرته تعالى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا بالذكر، لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين. ٤٥ ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [إذا أداها المسلم، بطهارة كاملة وخشوع] ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعاً^(١)، أي: من شأنها ذلك، ما دام المرء فيها، [بل وخارجها أيضاً، فلا يخرج من صلاة حتى تظله أخرى] ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٢) من غيره من الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به. ٤٦ ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي: بالمجادلة التي هي أحسن ﴿كَالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ بآيَاتِهِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى حُجَّتِهِ﴾ إلا الذين ظلموا منهم ﴿بأن حاربوا وأبوا أن يقرؤوا بالجزية، فجادلوهم بالسيف﴾ [أي: قاتلوهم] حتى

سُورَةُ التَّيْنَةِ ٢٩

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا
وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ
إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الْكَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٩﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

يُسَلِّمُوا، أو يُعْطُوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قَبِلَ الإقرار بالجزية، إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم^(٣) في ذلك ﴿وَاللَّهُنَّ﴾ وإلَهُكُمْ واحد ونحن له مسلمون مطيعون. ٤٧ ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن، كما أُنْزِلْنَا إِلَيْهِمُ التَّوْرَةَ وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ، كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أي: اليهود، وظهر لهم أن القرآن حق، والجائي به محق، وجحدوا ذلك. ٤٨ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَارْتَابَ﴾ شك ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: [صفة النبي] الذي في التَّوْرَةَ، أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٤٩ ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي: المؤمنون، يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾

(١) قوله: «شرعاً» راجع إلى «الفحشاء والمنكر» أي: في اعتبار الشرع. ارجع إلى تعليقنا حول «معنى المعروف والمنكر» ص ٨٠.

(٢) قوله تعالى: «ولذكر الله أكبر»، فيها وجهان: أولهما: ولذكر الله بالصلاة أكبر من ذكره في غيرها، أي: إن

الصلاة أعظم الطاعات وأفضلها، وهذا صحيح قطعاً. والثاني: «ولذكر الله لكم بالثناء عليكم، أكبر من ذكركم له في عبادتكم»، قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما واختاره الطبري، وهو من قبيل قوله تعالى: «فأذكروني أذكركم» فإذا ذكر المسلم ربه ذكره الله، وذكر الله إيانا أكبر، وليس معنى الآية بحال أن الذكر المعهود عند أصحاب الطرق أفضل من الصلاة، كما ظن بعض الزنادقة، حتى ذهب بهم الضلال إلى ترك الصلاة والاقتصار على أوراد يومية، والعياذ بالله تعالى.

(٣) قوله: «ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم»، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التَّوْرَةَ بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم» وقولوا «آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» الآية، ونقول: إن الحديث الشريف يعني ما لم يثبت بطلانه مما يقرؤون ويقولون، أما باطلهم الواضح الصريح فلا نتردد في رده عليهم.

إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

٥٠ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وفي قراءة: «آية»، كناية صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر إنذار بالنار لأهل المعصية.

٥١ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الْبَيِّنَاتُ لِلَّذِينَ ظَنُّوا

إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٢﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ يَعْبادي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنِّيَرْضَىٰ وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٥٨﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

٥٢ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا﴾ بصدقي ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالككم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يُعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

٥٣ [ولما أنذرهم الرسول ﷺ بالعذاب، قالوا إمعاناً في الإنكار: عَجِّلْ لَنَا هَذَا الْعَذَابَ، فنزل:] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَهُ﴾ لجاءهم العذاب عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ [أي: فجأة] ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه.

٥٤ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [أي: لماذا الاستعجال، وقد أعد الله لهم جهنم، التي ستحيط بهم لا محالة؟].

٥٥ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ﴾ فيه [قراءتان] بالنون، أي: نأمر بالقول، وبالياء، أي: يقول [الملك] الموكَّل بالعذاب ﴿ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه، فلا تفوتونا^(١).

٥٦ ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّيَرْضَىٰ وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ﴾ في أي أرض

تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تيسر فيها، نزل [قوله تعالى: «يا عبادي...»] في ضعفاء مسلمي مكة، كانوا في ضيقتي من إظهار الإسلام بها، [فحثهم على الهجرة، ثم ذكَّروهم بأن الموت لا بد واقع، ليبادروا إلى الطاعة والهجرة فقال تعالى:] ٥٧ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

(١) قوله: «فلا تفوتونا»، صوابه هكذا بالرفع كما في المخطوطات لأن «لا» نافية، وفي بعض الطبعات: «فلا تفوتونا» وهو خطأ.

ثم إلينا ترجعون ﴿٥٨﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم ﴿٥٩﴾ ننزلهم، وفي قراءة: بالمثلثة بعد النون [أي: «لَنُثَوِّنَهُمْ» بسكون الثاء وبالياء]، من «الثواء» [بالفتح، أي: الإقامة، وتعديته إلى: «غرفاً»، بحذف «في»، فـ«غرفاً» منصوب بنزع الخافض، وأصله: «لثوئهم أو: لنبوئنهم، في غرف من الجنة»]. ﴿٥٩﴾ من الجنة غرفاً ﴿٦٠﴾ تجري من تحتها الأنهار خالدين ﴿٦١﴾ مقدّرين الخلود ﴿٦٢﴾ فيها نعم أجر العاملين ﴿٦٣﴾ هذا الأجر. ٥٩ هم ﴿٦٤﴾ الذين صبروا ﴿٦٥﴾ على أذى المشركين والهجرة، لإظهار الدين ﴿٦٦﴾ وعلى ربهم يتوكلون ﴿٦٧﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

سُورَةُ الْجَنَّةِ كُتِبَتْ ٢٩

ثُمَّ إِلَيْنَا تَرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ

٦٠ ﴿٦١﴾ وكأين ﴿٦٢﴾ كم ﴿٦٣﴾ من دابة لا تحمل رزقها ﴿٦٤﴾ لضعفها ﴿٦٥﴾ الله يرزقها وإياكم ﴿٦٦﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿٦٧﴾ وهو السميع ﴿٦٨﴾ لأقوالكم ﴿٦٩﴾ العليم ﴿٧٠﴾ بضمائرهم. ٦١ ﴿٧١﴾ ولئن ﴿٧٢﴾ لام قسم ﴿٧٣﴾ سألتهم ﴿٧٤﴾ أي: الكفار ﴿٧٥﴾ من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون؟ ﴿٧٦﴾ أي: كيف يصرفون عن توحيدِهِ، بعد إقرارهم بذلك؟ ٦٢ ﴿٧٧﴾ الله يبسط الرزق ﴿٧٨﴾ يوسعهُ ﴿٧٩﴾ لمن يشاء من عباده ﴿٨٠﴾ امتحاناً ﴿٨١﴾ ويقدر ﴿٨٢﴾ يضيق ﴿٨٣﴾ له ﴿٨٤﴾ بعد البسط، لمن يشاء ابتلاء ﴿٨٥﴾ إن الله بكل شيء عليم ﴿٨٦﴾ ومنه محل، [أي: وقت]، البسط والتضييق. ٦٣ ﴿٨٧﴾ ولئن ﴿٨٨﴾ لام قسم ﴿٨٩﴾ سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴿٩٠﴾ فكيف يشركون به؟ ﴿٩١﴾ قل ﴿٩٢﴾ لهم ﴿٩٣﴾ الحمد لله ﴿٩٤﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿٩٥﴾ بل أكثرهم لا يعقلون ﴿٩٦﴾ تناقضهم في ذلك. ٦٤ ﴿٩٧﴾ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴿٩٨﴾ (١) وأما القُرْبُ [والطاعات]، فمن أمور الآخرة، لظهور ثمرتها فيها ﴿٩٩﴾ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴿١٠٠﴾ بمعنى: الحياة ﴿١٠١﴾ لو كانوا يعلمون ﴿١٠٢﴾ ذلك، ما آثروا الدنيا عليها. ٦٥ ﴿١٠٣﴾ فإذا ركبوا في الفلك

(١) قوله تعالى: «غرفاً»، جمع «غرفة» وهي: العلية المشرفة. روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي

رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة لَيَتَرَاوُنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاهُونَ الْكَوْكَبَ الذَّرِّيَّ الْغَائِبَ مِنَ الْأَفْقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لَتَفَاضِلُ مَا بَيْنَهُمْ» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

(٢) قوله تعالى: «إلا لهو ولعب» أخرجه النسائي بإسناد صحيح، والطبراني بإسناد جيد، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَهُوٌّ أَوْ سَهْوٌ، إِلَّا أَرْبَعُ خِصَالٍ: مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغُرَضَيْنِ - أي: بين الرامي وهدفه، من أجل الرمي -، وتأديبه فوسه، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة». اهـ. أرجع إلى تعليقنا حول «اللهو والغناء» أول سورة «لقمان» ص ٥٣٩.

دعوا الله مخلصين له الدين ﴿أي: الدعاء، أي: لا يدعون معه غيره، لأنهم في شدة، لا يكشفها إلا هو﴾ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴿به، [أي: ينسون الله الذي نجاهم، ويعودون كما كانوا قبل الشدة، ولا يشكرون الله تعالى، وهذا معنى قوله تعالى]:

٦٦ ﴿ليكفروا بما آتيناكم﴾ من النعمة ﴿وليتمتعوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة بسكون اللام، أمر تهديد ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ذلك.

٦٧ ﴿أولم يروا﴾ يعلموا ﴿أنا جعلنا﴾ بلدهم مكة ﴿حرمًا آمنًا﴾ ويتخطف الناس من حولهم ﴿قتلاً وسياء﴾ دونهم ﴿أفالباطل﴾ الصنم ﴿يؤمنون وبنعمة الله﴾ يكفرون ﴿بإشراكهم؟

٦٨ ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن أشرك به ﴿أو كذب بالحق﴾ النبي أو الكتاب ﴿لما جاءه؟ أليس في جهنم مثوى﴾ ماوى ﴿للكافرين؟﴾ أي: فيها ذلك، وهم منهم.

٦٩ ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ في حقنا، [وطلب مرضاتنا] ﴿لنهديهم سبلنا﴾ أي: طُرُق السير إلينا ﴿وإن الله لمتع المحسنين﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

﴿سُورَةُ الرَّحْمَنِ﴾

(مكية، وهي: ستون، أو: تسع وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك ^(١).

٢ ﴿غلبت الروم﴾ ^(٢) وهم أهل الكتاب، غلبتها «فارس» وليسوا أهل كتاب، بل [كانوا] يعبدون الأوثان، [أي: مجوساً] يعبدون النار، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.

٣ ﴿فني أدنى الأرض﴾ أقرب أرض الروم

إلى فارس، الجزيرة ^(٣) التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو [هم] الفرس ﴿وهم﴾ أي: الروم

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك»، هذا أحسن الأقوال في هذه الحروف. ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣.

(٢) ذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآيات، أن مراعاة حصلت بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه والمشركون على الفترة التي سبقت فيها الروم على الفرس، وهذه أخبار لا أصل لها، ولذا لم يشر إليها المحلّي هنا.

(٣) هي: منطقة «الجزيرة» الواقعة في شرق «سورية» المتاخمة لبلاد العراق.

﴿من بعد غلبهم﴾ أضيف المصدر إلى المفعول، أي: غلبة فارس إياهم ﴿سيغلبون﴾ فارس. ٤ ﴿في بضع سنين﴾ هو: ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان، في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس، [جاء هذا في حديث صححه الترمذي] ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي: من قبل غلب الروم، ومن بعده، المعنى: أن غلبة فارس أولاً، وغلبة الروم ثانياً، بأمر الله، أي: بإرادته ﴿ويومئذ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يفرح المؤمنون﴾ [أي: أصحاب محمد ﷺ]. ٥ ﴿ينصر الله﴾ إياهم [بسبب نصر الروم] على فارس، وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر، بتزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه، [لأن المسلمين، كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون، يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أصحاب أوثان، رواه الترمذي وأحمد والنسائي وغيرهم، عن ابن عباس] ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين. ٦ ﴿وعد الله﴾ مصدر، بَدَلٌ من (١) اللفظ بفعله، والاصل: وَعَدَهُمُ اللهُ النصر ﴿لا يخلف الله وعده﴾ به ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ وعده تعالى بنصرهم. ٧ ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ معاشها، من التجارة والزراعة والبناء والغرس، وغير ذلك ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ إعادة ﴿هم﴾ تأكيد.

٨ ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم؟ ﴿ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾ [فيوجد كل مخلوق، في أجله المسمى لوجوده، أو: جعل لفناء المخلوقات أجلاً]، تفنى عند انتهائه، وبعده، [أي: بعد الفناء بالشفخة الأولى، يكون] البعث [بالشفخة الثانية] ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ كفار مكة [وأمثالهم] ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٩ ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم، وهي: عاقبة الذين من قبلهم ﴿وأناروا الأرض﴾ حرقوها وقلبوها للزراع والغرس ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أي: كفار مكة ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بتكذيبهم رسلهم. ١٠ ﴿ثم كان عاقبة

١١ قوله: ﴿بدل من اللفظ بفعله﴾، هو هكذا يرفع ﴿بدل﴾ في المخطوطتين الأولى والثالثة، وفي المخطوطة الثانية: ﴿بدلاً﴾ وهما سواء، أي: جاء ﴿وَعَدَ﴾ بلفظ المصدر بدل لفظ فعله، لأن فعل ﴿وَعَدَ﴾ ومصدره لا يختلفان إلا باللفظ، فليس المراد هنا البديل الاصطلاحي، بل: جاء لفظ المصدر بَدَلٌ لفظ فعله.

مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٤﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٩﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ

(١) قوله: ﴿بدل من اللفظ بفعله﴾، هو هكذا يرفع ﴿بدل﴾ في المخطوطتين الأولى والثالثة، وفي المخطوطة الثانية: ﴿بدلاً﴾ وهما سواء، أي: جاء ﴿وَعَدَ﴾ بلفظ المصدر بدل لفظ فعله، لأن فعل ﴿وَعَدَ﴾ ومصدره لا يختلفان إلا باللفظ، فليس المراد هنا البديل الاصطلاحي، بل: جاء لفظ المصدر بَدَلٌ لفظ فعله.

الذين أسأوا السوأى ﴿تأنيث «الأسوأ»، [أي: «الأقبح»، [وهو] خبر «كان»، على [قراءة] رفع «عاقبة»، واسم «كان»، على [قراءة] نصب «عاقبة»، والمراد بها: جهنم، وإساءتهم [هي: «أن» أي: بأن «كذبوا بآيات الله» القرآن «وكانوا بها يستهزئون» فلا يؤمنون].

١١ ﴿الله يبدأ الخلق﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثم يعيده﴾ أي: يعيد خلقهم بعد موتهم ﴿ثم إليه يرجعون﴾ بالياء والتاء.

١٢ ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ [أي: يسكت المشركون، لانقطاع حجتهم.

١٣ ﴿ولم يكن﴾ أي: لا يكون ﴿لهم من شركائهم﴾ ممن أشركوهم بالله، وهم: الأصنام، ليشفعوا لهم ﴿شفعاء وكانوا﴾ أي: يكونون ﴿بشركائهم كافرين﴾ أي: متبرئين منهم.

١٤ ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ﴾ تأكيد ﴿يتفرقون﴾ أي: المؤمنون والكافرون.

١٥ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة﴾ جنة ﴿يجبرون﴾ يسرون. [و«الجنة» عند العرب: السرور والفرح، فالمؤمنون يسرون بإكرام الله لهم، وإنعامه عليهم بالجنة].

١٦ ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿ولقاء الآخرة﴾ البعث وغيره، [أي: وما بعده، من حشر وحساب وجزاء] ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ [لا مفر لهم منه ولا مناص]. ١٧ ﴿فسبحان الله﴾ أي: سبحوا الله، بمعنى: صلوا، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الصلوات الخمس في القرآن»، يعني: في هذه الآية] ﴿حين تمسون﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ تدخلون في الصباح، وفيه: صلاة الصبح.

١٨ ﴿وله الحمد في السماوات والأرض﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلها ﴿وعشياً﴾ عطف على «حين»، وفيه: صلاة العصر

﴿وحين تظهرون﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه: صلاة الظهر.

١٩ ﴿يخرج الحي من الميت﴾^(١) كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿ويخرج الميت﴾ النطفة والبيضة ﴿من الحي ويحيي الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يسها ﴿وكذلك الإخراج﴾ تخرجون ﴿من القبور، بالبناء للفاعل والمفعول. ٢٠ ﴿ومن آياته﴾ تعالى الدالة على قدرته:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِضُ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ

(١) قوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ الآية، ارجع إلى تعليقنا حيث شرحنا معنى «الإخراج» في هذه الآيات ص ٦٧.

﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض. ٢١ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء^(١) من ضلع آدم، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذکور ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالى، [فيعتبرون]. ٢٢ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ﴾ أي: لغاتكم، من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوَأَنَّاكَمُ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد، [هو: آدم]، وامرأة واحدة، [هي: حواء] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرهما، أي: ذوي العقول، وأولي العلم.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٢٠

أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَأَنَّاكَمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

٢٣ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته، راحة لكم ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة، بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

٢٤ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتكم ﴿البرق﴾ خوفاً للمسافر [وغيره]، من الصواعق ﴿وطمعاً﴾ للمقيم [وغيره]، في المطر ﴿ويُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [أي: السحاب] ماء فيحيي به الأرض بعد موتها أي: يسها، بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ المذکور﴾ ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون، [فيؤمنون].

٢٥ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته، من غير عمد [اسم جمع لـ «عمود»] ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور، للبعث من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أحياء، فخرجكم منها بدعوة [واحدة، هو] من آياته تعالى. ٢٦ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) قوله: «فخلقت حواء»، «حواء عليها السلام» هي: أم البشر أجمعين، وزوجة أبيهم نبي الله آدم عليه السلام، سميت «حواء» لأنها أم كل حي، قاله ابن سعد في الطبقات، نجبها ونجلها، ولا نذكرها إلا بخير، خلقها الله تعالى - كما قال في كتابه العزيز - من آدم،

ليسكن إليها ويرتاح بالحياة معها، وجعل كل زوجة على مثالها، وجعل بين الزوجين مودة ورحمة، ذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن «حواء» خلقت من ضلع آدم الأيسر وهو نائم، وروى البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»، وفي رواية لمسلم: «وكسرهما طلاقها». وشم «حواء» أو «جنس حواء»، كما يفعله بعض الجهلة، عقوق، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، فقد روى البخاري ومسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه»، وفي رواية: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه... الحديث».

والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿كل له قانتون﴾ مطيعون . ٢٧ ﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ للناس ﴿ثم يعيده﴾ بعد هلاكهم ﴿وهو أهون عليه﴾ من البدء ، بالنظر إلى ما عند المخاطبين ، من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه ، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾ أي : الصفة العليا ، وهي : أنه لا إله إلا الله ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه . ٢٨ [أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل الشرك يقولون في التلبية : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك فتزل : ﴿ضرب﴾ جعل ﴿لكم﴾ أيها المشركون ﴿مثلاً﴾ كائناً ﴿من أنفسكم﴾ وهو : ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم﴾ أي : من ممالككم ﴿من شركاء﴾ لكم ﴿في ما رزقناكم﴾ من الأموال وغيرها ﴿فأنتم﴾

وهم ﴿فيه سواء﴾ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم . أي : أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي ، المعنى : ليس ممالككم شركاء لكم — إلى آخره — عندكم ، فكيف تجعلون بعض ممالك الله شركاء له ؟ ١٩ ﴿كذلك﴾ فصل الآيات ﴿نبينها﴾ مثل ذلك التفصيل ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

٢٩ ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالإشراك ﴿أهواءهم﴾ بغير علم فمن يهدي من أضل الله ؟ أي : لا هادي له ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب الله . ٣٠ ﴿فأقم﴾ يا محمد ﴿وجهك للدين حنيفاً﴾ مائلاً إليه ، أي : أخلص دينك لله ، أنت ومن تبعك ﴿فطرة الله﴾ ^(١) ﴿خلقته﴾ التي فطر الناس عليها وهي دينه [الإسلام] ، أي : الزمها ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لدينه ، [وهذا نهى بلفظ الخبر] ، أي : لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذلك الدين القيم﴾ المستقيم [الذي لا عوج فيه ، وهو] توحيد الله ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي : كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ توحيد الله .

٣١ ﴿منيبين﴾ راجعين ﴿إليه﴾ تعالى [بالتوبة والإخلاص ، أو : مطيعين] فيما أمر به ونهى عنه ، حال من فاعل [أقم] وما أريد به ، أي : أقيموا [الدين لله] ، متبعين في ذلك أمر الله ونهيه ، ولا تبدلوه [واتقوه] خافوه ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ .

٣٢ ﴿من الدين﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فرقوا دينهم﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وكانوا شيعاً﴾ فرقاً في ذلك .

الْمَلَأَهُمُ الْغَيْثَ

وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَنْتُونَ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتَكُمْ أَنفُسُكُمْ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِّن يَّهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِّنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا

(١) قوله تعالى : ﴿فطرة الله﴾ الآية ، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج - أي : تولد - البهيمة بهيمة جمعاء - أي : تامة الأعضاء - هل تحسّون فيها من جذعاء ؟ أي : مقطوعة الأذن أو الأنف ، ثم تلا أبو هريرة : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ .

كُلِّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَيَتَمَتَّعُوا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ فَعَاتِبْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّا يَرُوبَأُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُوبَأُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

﴿كل حزب﴾ منهم ﴿بما لديهم﴾ عندهم ﴿فرحون﴾ مسرورون [معجبون]، وفي قراءة: «فارقوا»، أي: تركوا دينهم الذي أمروا به، [وهذا تحذير للمسلمين، من الاختلاف المخرج عن الملة، أو: من أي اختلاف مرذؤه الهوى]. ٣٣ ﴿وإذا مس الناس﴾ أي: كفار مكة ﴿ضر﴾ شدة ﴿دعوا ربهم منيبين﴾ راجعين ﴿إليه﴾ دون غيره ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ بالمطر ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ [أو: هذه عادة الناس عامة، يدعون الله ليرفع عنهم الضر، فإذا كشفه عنهم، شكره المؤمنون، وعاد إلى شركهم المشركون، وعليه: فالآية عامة]. ٣٤ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ [من الآيات والنعم، واللام في: «ليكفروا» لام أمر]، أريد به التهديد، [وقيل: هي لام «كي»، وجملة «ليكفروا» إخبار عن غائب، وهي على هذا المعنى، مرتبطة بما قبلها، أي: يشركون بربهم، كفراً بما آتيناهم] ﴿فتمتعوا﴾ [في حياتكم الدنيا] ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة [كفركم و] تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة. ٣٥ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار، [أي: أ] ﴿أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ حجة وكتاباً ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا. ٣٦ ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿فرحوا بها﴾ فرح بطر ﴿وإن تصيبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ يياسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة. ٣٧ ﴿أولم يروا﴾ يعلموا ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ لمن يشاء ﴿امتحاناً﴾ ويقدّر ﴿يضيقه لمن يشاء ابتلاء﴾ [إن في ذلك آيات لقوم يؤمنون] بها. ٣٨ ﴿فات ذا القربى﴾ القرابة ﴿حقه﴾ من البر والصلة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ المسافر [المنقطع]، من الصدقة، وأمة النبي ﷺ، تبع له في ذلك، [أي: في الأمر بإعطاء هؤلاء حقهم] ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أي: ثوابه، بما يعملون ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

٣٩ ﴿وما آتيتم من ربا﴾ ^(١) بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية، يطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿ليروا﴾ في أموال الناس ﴿المعطين﴾ أي: يزيد ﴿فلا يربوا عند الله﴾ أي: لا ثواب فيه للمعطين ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ صدقة ﴿تريدون﴾ بها ﴿وجه الله﴾

٣٩ ﴿وما آتيتم من ربا﴾ ^(١) بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية، يطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿ليروا﴾ في أموال الناس ﴿المعطين﴾ أي: يزيد ﴿فلا يربوا عند الله﴾ أي: لا ثواب فيه للمعطين ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ صدقة ﴿تريدون﴾ بها ﴿وجه الله﴾

يربو. يزكو ﴿عند الله﴾ أي: لا ثواب فيه للمعطين ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ صدقة ﴿تريدون﴾ بها ﴿وجه الله﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا...﴾ الآية. الربا في اللغة: الزيادة، وكل معاوضة فيها زيادة أحد العوضين فهي في اللغة «ربا»، والربا نوعان: حرام وحلال، فالحرام هو: الربا المعلوم عند الإطلاق، أي: ربا البيع أو الصرف، أرجع إلى تعليقنا حول الربا ص ٥٩، أما الحلال منه فهو: الزيادة الناتجة عن الهدية المعروفة بهدية الثواب أو هبة الثواب، وهي: أن يهدي الإنسان هدية يلتبس من المهدى إليه ما هو أفضل منها، فليس له فيها أجر، وليس عليه إثم. بهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد وغيرهم هذه الآية.

فأولئك هم المضعفون ﴿٤٠﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب. ﴿٤٠﴾ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمتكم ثم يحييكم هل من شركائكم ﴿٤١﴾ ممن أشركتم بالله ﴿٤٢﴾ من يفعل من ذلكم من شيء؟ لا ﴿٤٣﴾ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿٤٤﴾ به.

﴿٤١﴾ ظهر الفساد في البر ﴿٤٢﴾ أي: الفجار، بقحط المطر وقلة النبات ﴿٤٣﴾ والبحر ﴿٤٤﴾ أي: البلاد التي على الأنهار، بقلّة مائها، [أو: ظهر الفساد، أي: الضلال والفجور والفسوق في كل مكان] ﴿٤٥﴾ بما كسبت أيدي الناس ﴿٤٦﴾ من المعاصي ﴿٤٧﴾ ليذيقهم بالياء والنون ﴿٤٨﴾ بعض الذي عملوا ﴿٤٩﴾ أي: عقوبته ﴿٥٠﴾ لعلهم يرجعون ﴿٥١﴾ يتوبون.

﴿٥٢﴾ قل ﴿٥٣﴾ لكفار مكة ﴿٥٤﴾ سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴿٥٥﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

﴿٥٦﴾ فاقم وجهك للدين القيم ﴿٥٧﴾ دين الإسلام ﴿٥٨﴾ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴿٥٩﴾ هو: يوم القيامة ﴿٦٠﴾ يومئذ يصدعون ﴿٦١﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، [أي:] يفرقون بعد الحساب، إلى الجنة والنار.

﴿٦٢﴾ من كفر فعليه كفره ﴿٦٣﴾ [أي:] وبال كفره، وهو: النار ﴿٦٤﴾ ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون ﴿٦٥﴾ يوطنون منازلهم في الجنة.

﴿٦٦﴾ ليجزي ﴿٦٧﴾ متعلق بـ «يصدعون» ﴿٦٨﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴿٦٩﴾ يشيهم ﴿٧٠﴾ إنه لا يحب الكافرين ﴿٧١﴾ أي: يعاقبهم. ﴿٧٢﴾ ومن آياته ﴿٧٣﴾ أن يرسل الرياح مبشرات ﴿٧٤﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿٧٥﴾ وليذيقكم بها.

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة

أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثب عليها، فلا يحرم إهداء شيء التماساً لما هو أفضل منه، والآية الكريمة لا تفيد تحريم هذا النوع من الهدية أو الهبة، بل هي حث على طلب الأفضل بجعل الهدية خالصة لوجه الله تعالى، هذا في حق جميع الأمة إلا رسول الله ﷺ، فقد نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله في سورة «المائدة»: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾

أي: لا تعط شيئاً فتطلب أكثر منه، وهذا خاص بنبينا محمد ﷺ لأنه مخصوص بأحسن الأخلاق وأشرف الآداب.

والهدية الخالصة لوجه الله تعالى هي من أخلاق المسلمين، فقد حث النبي ﷺ على التهادي لأنه يقرى المحبة بين المسلمين فقال: «تهادوا تحابوا» رواه النسائي وأبو يعلى بسند جيد، وحسنه الحافظ ابن حجر، قال الإمام الغزالي: وقبول الهدية شئ، لكن الأولى ترك ما فيه منة.

ويجب الحذر في باب الهدية على كل ذي سلطان، فكثيراً ما تقدّم الرشاوى وتوكل تحت اسم «الهدية»، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم» رواه أحمد والترمذي، وفي رواية أخرى لأحمد: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما» أي: الواسطة في ذلك.

﴿من رحمته﴾ المطر والخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ السفن بها ﴿بأمره﴾ بإرادته ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم، يا أهل مكة، فتوحدونه. ٤٧ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالحجج الواضحات، على صدقهم في رسالتهم إليهم، فكذبوهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ على الكافرين، بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٤٨ ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ ~~سحاباً~~ ^{سحاباً} ترعجه [وتحركه] ﴿فيسطه في السماء كيف يشاء﴾ من قلة وكثرة

﴿ويجعله كسفاً﴾ بفتح السين وسكونها، قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي: وسطه ﴿فإذا أصاب به﴾ بالودق ﴿من يشاء من عباده﴾ إذا هم يستبشرون ﴿يفرحون بالمطر﴾.

٤٩ ﴿وإن﴾ وقد ﴿كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ تأكيد ﴿لمبلسين﴾ آيسين من إنزاله.

٥٠ ﴿فانظر﴾ [أيها المخاطب، نظر استبصار واستدلال] ﴿إلى أثر﴾ وفي قراءة: «آثار» ﴿رحمة الله﴾ أي: نعمته بالمطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ أي: يسها، بأن تثبت ﴿إن ذلك﴾ المحيي الأرض ﴿لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾.

٥١ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أرسلنا ريحاً﴾ مضرّة على نبات ﴿فأروه مصفراً لظلّوا﴾ [أي: صاروا، جواب القسم ﴿من بعده﴾ أي: بعد اصفراره ﴿يكفرون﴾ يجحدون النعمة عليهم بالمطر. ٥٢ ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾^(١) ولا تسمع الصم

(١) قوله تعالى: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾، اختلفوا في سماع الأموات، فقال بعضهم بسماعهم وفهمهم كلام الأحياء، واستدلوا على ذلك بحديث سؤال الملكين في القبر الذي رواه الشيخان وفيه: «حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان» - تقدم نصه ص ٣٣٤ - ، ويقولون للصحابه الذين قالوا له وهو يخاطب قتلى

بدر أتخاطب أقواماً قد جيفوا؟: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا ينطقون» رواه الشيخان وغيرهما.

وقالت السيدة عائشة، وعدد كبير من العلماء، منهم القاضي عياض المالكي، وأبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، وغيرهم: إن الأموات لا يسمعون، واستدلوا بالآية الكريمة وأمثالها التي تصرح بذلك، وخصوصاً الحديث الأول بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال، جمعاً بينه وبين الآية التي شبه الكفار فيها بالموتى، لإفادة بُعد سماعهم، الذي هو فرع عدم سماع الموتى، وقالوا في حديث قتلى بدر: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ، ففي صحيح البخاري عن قتادة السدوسي قال: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخاً وحسرة وندماً. وقد اتفق فقهاء الحنفية على أن الميت لا يسمع ولا يفهم، فالصحيح: أن الأموات لا يسمعون، إلا في الحالات التي أثبتت الأحاديث النبوية سماعهم فيها خاصة، كما جاء في الحديثين المذكورين وغيرهما من الأحاديث، ارجع إلى ص ١٩٨.

مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى
قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا
أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَانْظُرْ إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمَعُ الصَّمَّ

الدعاء إذا بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء «ولوا مدبرين» ٥٣ «وما أنت بهاد العمي» [أي: لا تستطيع أن تخلق في قلوبهم الهداية] «عن ضلالتهم إن» ما «تسمع» سماع إفهام وقبول «إلا من يؤمن بآياتنا» القرآن «فهم مسلمون» مخلصون بتوحيد الله. ٥٤ «الله الذي خلقكم من ضعف» ماء مهين «ثم جعل من بعد ضعف» آخر، وهو ضعف الطفولية «قوة» أي: قوة الشباب «ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة» ضعف الكبر، وشيب الهرم، و«الضعف» في الثلاثة: بضم أوله وفتح، [وهما قراءتان سبعيتان] «يخلق ما يشاء» من الضعف والقوة، والشباب والشيبة «وهو العليم» بتدبير خلقه «القدير» على ما يشاء.

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ

الدُّعَاءُ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٥﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَٰكِنْ جِئْتُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

٥٥ «ويوم تقوم الساعة يقسم» يحلف «المجرمون» الكافرون «ما لبثوا» في القبور^(١)، [أو: في حياتهم الدنيا] «غير ساعة» قال تعالى: «كذلك كانوا يؤفكون» يُصرفون عن الحق: «البعث»، كما صُرفوا عن الحق: «الصدق في مدة اللبث»، [في القبور، أو: في الدنيا].

٥٦ «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان» من الملائكة وغيرهم «لقد لبثتم في كتاب الله» فيما كتبه في سابق علمه «إلى يوم البعث فهذا يوم البعث» الذي أنكرتموه [في الدنيا] «ولكنكم كنتم لا تعلمون» وقوعه، [أي: كنتم جاحدين منكبين].

٥٧ «فيومئذ لا ينفع» بالياء والتاء «الذين ظلموا معذرتهم» في إنكارهم له «ولا هم يستعتبون» لا يطلب منهم العتبي، أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

٥٨ «ولقد ضربنا» جعلنا «للناس في هذا القرآن من كل مثل» تنبيهاً لهم «ولئن» لا م قسم «جئتهم» يا محمد «بآية» مثل العصا واليد لموسى «ليقولن» حذف منه نون^(٢) الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين [اقرأ التعليق] «الذين كفروا» منهم «إن» ما «أنتم» أي: محمد وأصحابه «إلا مبطلون» أصحاب أباطيل.

٥٩ «كذلك يطبع الله على

(١) قوله: «في القبور»، هذا أحد وجهين، والآخر هو لبثهم في الدنيا، أي: أعمارهم، وهذا هو الأقوى الذي يؤيده قوله تعالى بعد ذلك: «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» ولأن في الوجه الأول تعاضداً بين معنى الآية على أساسه، وبين ما ثبت من صحاح الأحاديث في عذاب القبر. ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٣٤.

(٢) قوله: «حذف منه نون الرفع» إلخ، هذا سبق قلم من المؤلف الجلال المحلي رحمه الله، لأن اللام الثانية في «ليقولن» مفتوحة باتفاق القراء، فهي للغائب المفرد، والصواب أن يقول: هو فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و«الذين» فاعله.

قلوب الذين لا يعلمون ﴿التوحيد﴾ [في كل آن]، كما طبع على قلوب هؤلاء. ﴿فاصبر إن وعد الله﴾ بنصرك عليهم ﴿حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾ بالبعث، أي: لا يحملتك على الخفة والطيش، بترك الصبر، أي: لا تتركه.

﴿سُورَةُ الْقِيَامَةِ﴾

(مكية، إلا: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام،
الآيتين... فمدنيتان وهي أربع وثلاثون آية»)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الْم﴾ الله أعلم بمراده به. ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿الحكيم﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى «من». ٣ هو ﴿هدى ورحمة﴾ بالرفع ﴿للمحسنين﴾ وفي قراءة العامة، [أي: ما عدا حمزة من السبعة]، بالنصب حالاً من «الآيات»، العامل فيها ما في «تلك» من معنى الإشارة. ٤ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بيان «للمحسنين» ﴿ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ هم «الثاني تأكيد. ٥ ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون. ٦ ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ (١) أي: ما يلهي منه عما ينبغي ﴿ليضل﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيل الله﴾ طريق الإسلام ﴿بغير علم ويتخذها﴾ بالنصب عطفًا على «يضل»، وبالرفع عطفًا على «يشتري» ﴿هزوا﴾ [بضم الزاي وسكونها مهموزاً، وبضم الزاي وإبدال الهمزة واواً، أي: مهزوءاً بها] ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

(١) قوله تعالى: ﴿لهو الحديث﴾ قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما هو: الغناء، وقال آخرون: هو الغناء والمزمار. وعلى كل حال فلن ندخل في تفصيل حكم الغناء أو آلات اللهو، لأن الكلام فيه يطول، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى ما نحن فيه من فساد تساهم في انتشاره الأغنيات وآلات اللهو، أي: المعازف المعروفة، فنقول

أولاً: إن الغناء، في هذا العصر، ألفاظه بديئة، سخيفة، يخجل العاقل من سماعها فضلاً عن ترديدها أو التغني بها، وثانياً: إن العالم كله اليوم غارق في أمواج بحار الموسيقى والغناء، فأى خير جناه الناس من ذلك؟ ثم أليس استغراق «المطرب» في «طريقه»، يشل نشاطه ويقضي على همهته واندفاعه إلى العمل، ويغرق قلبه في «الفغلة»؟ ثالثاً: لو أن أجهزة الإعلام سخرت هذا الوقت المهدور، لتعليم الناس الخير وحملهم على فعله، ألا يكون ذلك أصلح للناس وأنفع؟ رابعاً: إن هذا الذي يسمى اليوم بـ «الفن» من غناء، ورقص، وتمثيل، وعزف، لم يكن في عصر من العصور أكثر انتشاراً وضرراً منه في عصرنا، فماذا يقدم المغنون والمغنيات لأمتهم من الخير؟ وماذا تنفع «التمثيليات والمسرحيات» التي تدعي الإصلاح، وإثها أكبر من نفعها؟ خامساً: إن مما يؤلم القلوب حقاً أن يقوم كثير من حكام المسلمين، بتشجيع هؤلاء الساقطين والساقطات من الفنانين والفنانات، بكل وسائل التشجيع وأسبابه، فوضعوا في تصرفهم أجهزة الإعلام والأموال الطائلة، وأغدقوا عليهم الهدايا والألقاب، بينما كبار العلماء والفقهاء والمفكرين والباحثين مهجورون متروكون في عالم النسيان، بل والاضطهاد أحياناً. ارجع إلى تعليقنا حول «الرقص» ص ٢٣٢.

س ماله

سُورَةُ الْقِيَامَةِ ٣١

قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(٣١) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا اَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

٧ ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً ﴿كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قِرَاءًا﴾ صمماً، وجعلنا التشبيه حالان من ضمير «ولَّى»، أو: [الجملة] الثانية بيان للأولى ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ مؤلم، وذكرُ البشارة تهكم به، وهو: النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن.

٨ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ٩ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة، أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم

الله ذلك، وحقه حقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء، فيمنعه من إنجازه وعده ووعيده ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يضيع شيئاً إلا في محله.

١٠ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد، جمع «عماد» وهو: الأسطوانة، وهو صادق بأنه لا عمد أصلاً، [وقد تقدم بيان ذلك، في تفسير الآية الثانية من سورة «الرعد» ص ٣٢٠] ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا﴾ جبلاً مرتفعة لـ ﴿أَنَّ﴾ لا ﴿تَمِيدُ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَبَثَّ﴾ [خلق ونشر] ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا فِيهِ الثَّقَاتِ مِنَ الْغَيَْةِ﴾ من السماء ﴿[أي: السحاب] مَاءً فَأَنْبَتْنَا﴾ [به] ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف حسن.

١١ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَارُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره؟ أي: آلهتكم،؟ حتى أشركتموها به تعالى؟ و «ما» استفهام إنكار مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي بصلته خبره، و «أروني» معلق عن العمل لفظاً، [عامل مَحَلًّا]، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿بَلْ لِلانْتِقَالِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين بإشراكهم، وأنتم منهم.

١٢ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم، والديانة، والإصابة في القول. وِحْكْمُهُ كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته، وأخذ عنه العلم، وترك الفتيا [بعد بعثة داود]، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفِيت؟ وقيل له: أيُّ الناس شر؟

قال: الذي لا يسالي إن رآه الناس مسيئاً، [والصحيح أنه لم يكن نبياً، بل كان مؤمناً حكيماً، هذا قول جمهور السلف وأهل التأويل، وما نقل عن عكرمة مولى ابن عباس من أنه نبي، فغير ثابت] ﴿أَنَّ﴾ أي: وقلنا له أن ﴿أشكر الله﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فإن الله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في صنعه. ١٣ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إن الشرك بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فرجع إليه وأسلم. ١٤ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرهما.

الْبَيْتُ الْإِسْلَامِيُّ وَالْعَزِيمَةُ

وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قِرَاءًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٨ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ١١ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ١٣ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٤ وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٥ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

﴿حملته أمه﴾ فوهنت ﴿وهنا على وهن﴾^(١) أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وفصاله﴾ أي: فطامه ﴿في عامين﴾ وقلنا له ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ أي: المرجع.
 ١٥ ﴿وإن جاهدك﴾^(٢) على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ﴿مرافقة للواقع﴾ فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴿أي: بالمعروف: البر والصلة ﴿واتبع سبيل﴾ طريق ﴿من أناب﴾ رجع ﴿إلي﴾ بالطاعة ﴿ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها، اعتراض [بين كلام لقمان].

سُورَةُ الْقَصَصَاتِ ٣١

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِيٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

١٦ ﴿يا بني إنها﴾ أي: الخصلة السيئة ﴿إن تك مثال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يأت بها﴾ الله ﴿فيحاسب عليها﴾ ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خير﴾ بمكانها، [أي: لا تخفى عليه الأشياء، وإن دقت وتضاءلت].

١٧ ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾^(٣) واصبر على ما أصابك [من الأذى]، بسبب الأمر والنهي ﴿إن ذلك﴾ المذكور ﴿من عزم الأمور﴾ أي: معزوماتها التي يُعزم عليها، لوجوبها.

١٨ ﴿ولا تصعر﴾ وفي قراءة: «تصاعر» ﴿خدك للناس﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً، ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي: خيلاء ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ متبختر في مشيه ﴿على الناس﴾.

١٩ ﴿واقصد في مشيك﴾ توسط فيه الدبيب والإسراع، عليك، [أي: الزم]، السكينة والوقار ﴿واغضض﴾ اخفض ﴿من صوتك﴾ إن أنكر الأصوات أقبحها ﴿لصوت﴾

(١) ولهذا كان حق الأم على الولد أعظم من حق الأب

عليه، لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أنتك»، قال: ثم من؟ قال: «أنتك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

(٢) قوله تعالى: ﴿وإن جاهدك...﴾ الآية، نزلت هذه الآية من سورة «لقمان» والآية الأخرى وهي الثامنة من سورة «العنكبوت» في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه التي جاهدته على أن يكفر بدينه فأبى، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٥٢١، فارجع إليه.

(٣) قوله تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾، المعروف هو: ما عرفه الشرع وحدده، والمنكر كذلك، وقد بينا ذلك في تعليقنا

(٤) قوله «تكبراً» الكبير مرض مهلك من أمراض القلوب، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الكبر» ص ٣٤٨.

الحَمِيرِ [أي: نهيقه، لما فيه من العلو المفرط، من غير حاجة، ولو كان شيء يُهاب لصوته، لكان الحمار]، أوله زفير، وآخره شهيق، [أخرج الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً»، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنه رأى شيطانا]. ٢٠ ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم، لتتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً﴾ هي: حسن الصورة، وتسوية الأعضاء، وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي: المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة [وأمثالهم] ﴿مَن

يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل [يجادلون] بالتقليد. ٢١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّبِعُونَهُ﴾ ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴿أَي: موجباته، [وهو الكفر؟] لا. ٢٢ ﴿وَمَن يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يُقْبِلُ على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحّد ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالطرف الأوثق، الذي لا يخاف انقطاعه، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي «لا إله إلا الله»] ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مرجعها. ٢٣ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُ﴾ [أي: لا تهتم بكفره] ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ إن الله عليهم بذات الصدور ﴿أَي: بما فيها، كغيره، [أي: مثل علمه بغيره]، فمجاز عليه^(١). ٢٤ ﴿نَمَتَّعُهُمْ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ [أي: نلجئهم ونسوقهم] في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو عذاب النار، لا يجدون عنه محيصاً. ٢٥ ﴿وَلَتَنَزَّلَنَّ الْأَمْثَالُ﴾ وواو الضمير، لالتقاء الساكنين، [والجملة جواب القسم] ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وجوبه عليهم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

الْحَمِيرِ ١٩ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أُولَئِكَ أَشْيَطَانُ يُدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ٢١ ﴿وَمَن يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ٢٣ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٢٤﴾ نَمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ٢٥ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٦﴾

(١) قوله: «فمجاز عليه» أي: على ما في صدوركم من الكفر وما أضمرتموه للنبى ﷺ من عداوة، لأن ذلك قد ثبت في قلوبكم، وصار فيها عقيدة، أما المؤمن: فإن الله تعالى لا يجازيه إلا على ما يملك دفعه من الوسوسة، فما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها لا يؤاخذ به، بل إن كراهية الوسوسة من الإيمان، فقد روى الشيخان وأصحاب السنن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به»، قال النووي رحمه الله، عقب إيراد هذا الحديث: قال العلماء، المراد به الخواطر التي لا تستقر، قالوا: وسواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرة أو غيره، فمن خطر له الكفر مجرد خطو، من غير تعمد لتحصيله، ثم صرفه في الحال فليس بكافر ولا شيء عليه. اهـ. وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: وإذا لم يحصل كلام ولا عمل، فلا مؤاخذة بحديث النفس، ما لم يبلغ حد الجزم وإلا أوخذ به، حتى لو عزم على ترك واجب أو فعل محرم ولو بعد سنين أثم حالاً. اهـ.

﴿٢٦﴾ الله ما في السماوات والأرض ﴿فهو مالكم﴾، وخلقاً ﴿فهو خالقهم﴾، وعبيداً ﴿فهو ربهم﴾، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه. ﴿٢٧﴾ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر ﴿بالنصب﴾ عطف على اسم «أن»، ﴿وفي قراءة بالرفع﴾ يمدّه من بعده سبعة أبحر ﴿مداداً﴾ ما نفذت كلمات الله ﴿المعبر بها عن معلوماته﴾ بكتبها بتلك الأقلام، بذلك المداد، ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. ﴿٢٨﴾ ما

خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴿خلقاً﴾ وبعثاً، لأنه بكلمة «كن» فيكون ﴿إن الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مُبْصَر، لا يشغله شيء عن شيء.

﴿٢٩﴾ ألم تر ﴿تعليم﴾ يا مخاطب ﴿أن الله يولج﴾ يدخل ﴿الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل منهما يجرى﴾ في فلكه ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو: يوم القيامة ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ [فيجازيكم به].

﴿٣٠﴾ ذلك المذكور ﴿بأن الله هو الحق﴾ الثابت ﴿وأن ما يدعون﴾ بالياء والتاء، [أي: يعبدون ﴿من دونه﴾] أي: غير الله من الأصنام، هو ﴿الباطل﴾ الزائل ﴿وأن الله هو العلي﴾ على خلقه بالقهر ﴿الكبير﴾ العظيم.

﴿٣١﴾ ألم تر أن الفلك ﴿السفن﴾ تجري في البحر بنعمة الله ليريكم ﴿يا مخاطبين بذلك﴾ من آياته إن في ذلك ﴿آيات﴾ عبراً ﴿لكل صابر﴾ ^(١) عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لنعمته.

﴿٣٢﴾ وإذا غشيهم ﴿أي: علا الكفار، [وهم يركبون الفلك في البحر] ﴿موج كالظلل﴾ كالجبال التي تظل من تحتها، [قاله مقاتل، وقال قتادة السدوسي: كالسحاب، جمع «ظُلَّة»]

﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي: الدعاء ^(٢) بأن ينجيهم، أي: لا يدعون معه غيره ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم

سُورَةُ الْفَتَاتِ ٣١

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ
يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَسْخَرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ
يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ
دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿لكل صابر﴾، هذه صيغة مبالغة من «صابر»، أوجع إلى «معاني الصبر» في تعليقنا ص ٦٠٧.

(٢) قوله: «أي: الدعاء»، أوجع إلى تعليقنا حول «فضل الدعاء» وشروطه ص ٦٢٦، و«الدعاء بالمكروه» ص ٢٦٧ و«الدعاء للكافر والاستغفار له» ص ٢٦١.

﴿مقتصد﴾^(١) متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إلا كل ختار﴾ غدار، [أو «الختر»: أسوأ الغدر] ﴿كفور﴾ لنعم الله تعالى.

٣٣ ﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿اتقوا ربكم وأخشوا يوماً لا يجزي﴾ يغني ﴿والد عن ولده﴾ فيه شيئاً ﴿ولا مولود هو جاز عن والده﴾ فيه ﴿شيئاً إن وعد الله حق﴾ بالبعث ﴿فلا تفرنكم﴾ [أي: تخذعنكم] ﴿الحياة الدنيا﴾ عن الإسلام ﴿ولا يفرنكم بالله﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ الشيطان.

سُورَةُ الْغَاثِ

﴿مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^(٣٢) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣٤)

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ

٣٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٢) متى تقوم ﴿وينزل﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الغيث﴾ بوقت يعلمه ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ أذكر [هو] أم أنثى؟ ولا يعلم واحداً من الثلاثة، غير الله تعالى ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالى ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ خَبِيرٌ﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مفتاح الغيب خمسة: إن الله عنده علم الساعة» إلى آخر السورة، [وفي هذه الآية، إشارة إلى إبطال الكهانة والتجامة وما شاكلهما، وتحذير للأمة، عن إتيان من يدعي علم الغيب].

﴿سُورَةُ السَّجْدَةِ﴾^(٣)

(مكية، ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بممراده به.

٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن [وهو] مبتدأ [قوله]: ﴿لا ريب﴾ [أي: لا] شك ﴿فيه﴾ خبر أول ﴿من رب﴾

(١) قوله تعالى: ﴿مقتصد﴾، إن ما ذكره المؤلف الجلال المحلي رحمه الله، هو أحد الأقوال في معنى «مقتصد» في هذه الآية، وقد فسره مجاهد بن جبر رحمه الله بـ «كافر»، والأوضح هو تفسير «المقتصد» هنا بـ «الجاحد» وسياق الآية يؤيده.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية، هذه مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى. ارجع إلى تعليقنا حولها ص ١٧١.

(٣) لقد بينا ما يتعلق بسجود الثلاثة، في تعليقنا ص ٢٢٦.

العالمين ﴿خبر ثان. ٣﴾ أم ﴿بل يقولون افتراه﴾ محمد، [أي: اختلقه، وجاء به من عند نفسه؟] لا ﴿بل هو الحق من ربك لتنذر﴾ به ﴿قوماً ما﴾ نافية ﴿أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ بإنذارك. ٤ ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة^(١) ﴿ثم استوى على العرش﴾ وهو في اللغة: سرير المَلِك، استواء يليق به [و ﴿ثم﴾ هنا ليست للترتيب، بل هي بمعنى الواو] ﴿ما لكم﴾ يا كفار مكة ﴿من دونه﴾ أي: غيره ﴿من ولي﴾ اسم «ما» بزيادة «من»، أي: ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أفلا تتذكرون﴾ هذا، فتؤمنون؟ ﴿يدبر﴾ [الله تعالى] ﴿الأمر﴾ [أي: أمر الخلق، قال ابن كثير: فينزل أمره] ﴿من السماء إلى الأرض﴾، مدة الدنيا، [أي: مدة بقائها، وقال ابن عباس: يُنزل القضاء والقدر] ﴿ثم يعرج﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إليه﴾ [بعد انقضاء الدنيا] ﴿في يوم﴾ [أي: وقت من الزمان] ﴿كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل [سائل]: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»، وهو: يوم القيامة، لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن، فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يُصلِّيها في الدنيا، كما جاء في الحديث^(٢). ٦ ﴿ذلك﴾ الخالق المدير ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي: ما غاب عن الخلق، وما حضر ﴿العزیز﴾ المنيع في ملكه ﴿الرحيم﴾ بأهل طاعته. ٧ ﴿الذي أحسن﴾ [أنقن وأحكم] ﴿كل شيء خلقه﴾ بفتح اللام، فعلاً ماضياً، صفة لـ «شيء»، وبسكونها بدل اشتمال ﴿وبدأ خلق الإنسان﴾ آدم ﴿من طين﴾. ٨ ﴿ثم جعل نسله ذريته﴾ من سلالة ﴿أولها نقطة﴾ ثم [علقة، ثم مُضغَة] ﴿من ماء مهين﴾، ضعيف، هو: النقطة. ٩ ﴿ثم سواه﴾ أي: خلق آدم ﴿ونفخ فيه من روحه﴾^(٣) أي: جعله حياً حساساً، بعد أن كان جماداً ﴿وجعل لكم﴾ أي: لذريته ﴿السمع﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ «ما» زائدة مؤكدة للقلة.

١٠ ﴿وقالوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿إذا ضللنا في الأرض﴾ غبنا فيها، بأن صرنا تراباً مختلطاً بترابها ﴿إنا لفي خلق جديد﴾ استفهام إنكاري، بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما [وتركه]، على الوجهين، في الموضعين، قال تعالى ﴿بل هم

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٣٢

الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ

(١) قوله: «أولها الأحد وآخرها الجمعة»، لو قال الجلال المحلي هنا ما قاله في تفسير الآية ٥٩ من سورة «الفرقان» ص ٤٧٧ لكان أحسن، أي: «في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس»، أرجع إلى تعليقنا حول «خلق السماوات والأرض» ص ٦٣٠ حيث بينا ذلك مع الأدلة.
(٢) قوله: «كما جاء في الحديث»، أي: الذي رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، وسيأتي نصه مع ما يتعلق به في تعليقنا ص ٧٦٥.
(٣) قوله تعالى: ﴿من روحه﴾، أي: من الروح التي هو خالقها ومالكها، أرجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

بلقاء ربهم ﴿كافرون﴾. ١١ ﴿قل﴾ لهم ﴿يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ أي: يقبض أرواحكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴿أحياء﴾، فيجازيكم بأعمالكم. ١٢ ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾ [أي: الكافرون] ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ مطأطئوها حياء، يقولون ﴿ربنا أبصرنا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وسمعنا﴾ منك تصديق الرسل، فيما كذبناهم فيه ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ فيها ﴿إنا موقنون﴾ الآن، فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿لو﴾ [محذوف، تقديره: لو شئت لآتينا كل نفس هداها] فتتهدي بالإيمان والطاعة، باختيار منها، [وقيل: لو شئت لهديت الناس جميعاً] ﴿ولكن حق القول مني﴾ وهو ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن والناس أجمعين ﴿[أي: الكافرين من الثقلين]﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُوا ﴿١١﴾ * قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكَ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ مَّا تَقْرَبُهُ أَعْيُنُهُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ: بسكون الباء، مضارع ﴿جزاء﴾ بما كانوا يعملون ﴿١٨﴾ ﴿أفمن كان مؤمناً﴾

١٤ وتقول لهم الخزنة، إذا دخلوها: ﴿فذوقوا﴾ العذاب ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الدائم ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والتكذيب. ١٥ ﴿إنما يؤمن﴾ ^(١) ﴿بآياتنا﴾ القرآن ﴿الذين إذا ذكروا﴾ وُعظوا ﴿بها خروا سجداً وسبحوا﴾ متلبسين ﴿بحمد ربهم﴾ أي: قالوا «سبحان الله وبحمده» ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن الإيمان والطاعة. ١٦ ﴿تتجافى﴾ ^(٢) جنوبهم ﴿ترتفع﴾ عن المضاجع ﴿مواضع الاضطجاع﴾ بفرشها، لصلاتهم بالليل تهجداً ﴿يدعون ربهم خوفاً﴾ من عقابه ﴿وطمعا﴾ في رحمته ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. ١٧ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي﴾ خبيء ﴿لهم من قرة أعين﴾ ما تقر به أعينهم، وفي قراءة: بسكون الباء، مضارع ﴿جزاء﴾ بما كانوا يعملون. ١٨ ﴿أفمن كان مؤمناً﴾

(١) قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا...﴾، الآية ارجع إلى تعليقنا حول ﴿سجود التلاوة﴾ ص ٢٢٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع...﴾ الآية، روى الترمذي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن هذه الآية نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى «العتمة» أي: صلاة العشاء، ولكن جمهور المفسرين على أن هذه الآية في صلاة الليل، وهو قول مالك والأوزاعي ومجاهد وغيرهم، فقد أخرج أبو داود والترمذي وقال

فيه: «حديث حسن صحيح»، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة - أي: وقاية -، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع...﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾. وقد جاء في الحث على قيام الليل والتهجد فيه أحاديث كثيرة، منها ما رواه الشيخان، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تطفئ - أي: تشفق - قدما فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، وقال ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» رواه مسلم، وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام في الليل ف صلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»، رواه أبو داود بإسناد صحيح، ونضح الماء أي يرفق ليصحو النائم من نومه.

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ﴿١٨﴾ [أي: كافراً] ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسقون، [أخرج الواحدي عن ابن عباس، وابن جرير عن عطاء بن يسار قالا: نزلت هذه الآية، في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وذلك أنهما تلاحيا - أي: تخاصما - فقال له الوليد: أنا أبسطُ منك لساناً، وأحدُ سناناً، وأردُّ للكتيبة، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فنزلت]. ١٩ ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْدُونِ﴾ ٢٠ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ﴾ ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ كَلَمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ٢١ ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [أي: من بقي منهم ﴿يرجعون﴾ إلى الإيمان].

سُورَةُ التَّيْنَةِ ٢٢

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْدُونِ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارٌ كَلَمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرً

العذاب الأدنى عذاب الدنيا: بالقتل، والأسر، والجذب^(١) سنين، والأمراض

٢٢ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ [لنكذيبهم وإعراضهم].

٢٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ [قال قتادة السدوسي: أي: لقاء موسى] وقد التقيا ليلة الإسراء [وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من لقاء موسى ربه] ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى، [كما رواه الطبراني عن ابن عباس]، أو: الكتاب، [قاله الحسن البصري، وهو الأصح] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

٢٤ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، [أي: قادة] ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ﴿وَوَحْدَانِيَّتِنَا﴾ ﴿يُوقِنُونَ﴾ وفي قراءة: [ولمَّا صَبَرُوا]، بكسر اللام وتخفيف الميم، [أي: لأجل صبرهم كافأناهم].

٢٥ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ من أمر الدين. ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرً

(١) قوله: «والجذب سنين»، يشير إلى الجذب الشديد الذي أصاب كفار أهل مكة سبع سنين، بدعاء النبي ﷺ عليهم بقوله: «اللهم أعني عليهم سبع مئة يومين» رواه البخاري ومسلم، فأجذبوا وتحطوا، حتى أكلوا العظام والميتة، كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧.

أهلكنا من قبلهم ﴿أي: [أولم] يتبين لكفار مكة، إهلاكنا كثيراً ﴿من القرون﴾ الأمم بكفرهم، ؟ [كعاد وثمود؟] ﴿يمشون﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿في مساكنهم﴾ [أي: ديارهم، وهم] في أسفارهم، إلى الشام وغيرها، ليعتبروا؟ ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أفلا يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاض؟

٢٧ ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يصرون﴾ هذا، فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم؟

٢٨ ﴿ويقولون﴾ للمؤمنين ﴿متى هذا الفتح﴾ بيننا وبينكم، [بانتصاركم علينا كما تقولون]؟ ﴿إن كنتم صادقين﴾ [في قولكم هذا، فينبوه لنا].

٢٩ ﴿قل يوم الفتح﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿ولا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ [لأن الإيمان عند نزول العذاب غير مقبول] ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة، أو معذرة.

٣٠ ﴿فأعرض عنهم﴾ [أي: اتركهم ولا تبال بهم] ﴿وانتظر﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إنهم منتظرون﴾ بك حادث موت أو قتل، فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

﴿سُورَةُ الْأَحْزَابِ﴾ (١)

(مدينة، ثلاث وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ دُم على تقواه ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما يخالف شريعتك.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُصِرُّونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى
هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ
لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْظَرُونَ ﴿٣٠﴾

(٣٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

٥٤٨

(١) قوله: «سورة الأحزاب»، الأحزاب: جمع «حزب»، قال في «مختار الصحاح»، حزب الرجل: أصحابه، والحزب أيضاً: الطائفة، وتحزبوا: تجمعوا، و«الأحزاب»: الطوائف، أما «الأحزاب» المعنيون في هذه السورة وفي الآيات (٩ - ٢٧) منها، فهم قريش ومن تجمع معها من القبائل، كغطفان وأشجع، لمحاربة المسلمين وحصار المدينة، وقد حصل ذلك في السنة الرابعة للهجرة على الصحيح، فقام الرسول ﷺ والمسلمون معه بحفر الخندق، ودام حصارهم على المسلمين قريباً من شهر، حتى أرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة فانصرفوا «وكفى الله المؤمنين القتال».

اقرأ الآيات (٩ حتى ٢٧) فهي غنية عن البيان، وارجع إلى تعليلنا حول «الأحزاب» المضلة عن سبيل الله، والمعروفة في أيامنا

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ۖ بِمَا يَكُونُ، قَبْلَ كَوْنِهِ ۖ حَكِيمًا ۖ فِيمَا يَخْلُقُهُ. ٢ ۖ وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ أَيُّ: الْقُرْآنَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ ۖ خَبِيرًا ۖ وَفِي قِرَاءَةِ الْفُوقَانِيَةِ. ٣ ۖ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ فِي أَمْرِكَ ۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ خَافِظًا لَّكَ، وَأَمْتُهُ تَبِعَ لَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، [فَهِيَ أَيْضًا مَأْمُورَةٌ بِجَمِيعِ مَا تَقْدُمُ]. ٤ ۖ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ [نَزَلَ] رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ مِنَ الْكُفَّارِ: إِنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بِكُلِّ مَنِمَا أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي ۖ بِهِمْزَةٌ وَبَاءٌ، وَبِلَا يَاءٍ ۖ تَظْهَرُونَ ۖ بِلَا أَلْفٍ قَبْلَ الْهَاءِ، وَبِهَا، وَالتَّاءُ الثَّانِيَةُ فِي الْأَصْلِ، مَدْغَمَةٌ فِي الظَّاءِ ۖ مِنْهُمْ ۖ يَقُولُ الْوَاحِدُ مَثَلًا لَزَوْجَتِهِ: «أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي» ۖ «أَمَهَاتِكُمْ» أَيُّ: كَالْأَمَهَاتِ فِي تَحْرِيمِهَا بِذَلِكَ [الْقَوْلِ]، الْمَعْدُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقًا، وَإِنَّمَا تَجِبُ بِهِ الْكَفَارَةُ بِشَرْطِهِ، كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ «الْمَجَادَلَةِ» ۖ «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ» (١) جَمْعُ «دَعِيَ»، وَهُوَ: مَنْ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ ابْنًا لَهُ ۖ «أَبْنَاءَكُمْ» حَقِيقَةٌ ۖ «ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» أَيُّ: الْيَهُودَ وَالْمَنَافِقِينَ، قَالُوا: لِمَا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، الَّتِي كَانَتْ أَمْرًا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، الَّذِي تَبَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالُوا: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ أَمْرًا ابْنَهُ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ ۖ «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» فِي ذَلِكَ ۖ «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» سَبِيلُ الْحَقِّ. ٥ ۖ لَكِنْ «أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ» هُوَ أَقْسَطُ ۖ أَعْدَلَ ۖ «عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ» فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۖ بَنُو عَمِّكُمْ ۖ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ وَأُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ

— أَيُّ: عِيَالًا — فَلَْيَاتْنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ، أَيُّ: أَسَدُ دِينِهِ، وَأَكْفَلُ عِيَالِهِ ۖ «وَأَزْوَاجُهُ أَمَهَاتُهُمْ» [أَيُّ: الْمُؤْمِنِينَ]، فِي حُرْمَةِ نِكَاحِهِمْ، [وَوُجُوبِ احْتِرَامِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ] ۖ «وَأُولُو الْأَرْحَامِ» ذَوُو الْقُرَابَاتِ ۖ «بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» فِي الْإِرْثِ ۖ «فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ» أَيُّ: مِنَ الْإِرْثِ بِالْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ، الَّذِي كَانَ أَوَّلُ الْإِسْلَامِ، فَتُسَخَّرُ [إِلَّا] لَكِنْ «أَنْ

(١) قوله تعالى: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ»، أَيُّ: لَا يَصِيرُ الدَّعِيُّ ابْنًا حَقِيقًا، وَالدَّعِيُّ: هُوَ: شَخْصٌ مَعْلُومُ النَّسَبِ، ادَّعَاهُ غَيْرُ أَبِيهِ أَوْ اتَّسَبَ هُوَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ «بِالنَّبِيِّ»، وَالشَّاعِ غِي عَصْرَنَا أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ مَجْهُولُ النَّسَبِ، فَيَقُومُ الزَّوْجَانِ بِتَسْجِيلِهِ عَلَى اسْمَيْهِمَا، رِيْمَنُ الرَّجُلِ نَسَبَهُ وَيَتَّخِذُهُ وَلَدًا.

تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيائِكُمْ [أي: من توالونه من غير الورثة] «مَعْرُوفًا» بِوصية، فجائز «كَانَ ذَلِكَ» أي: نَسَخَ الْإِرْثَ بِالْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ، يَارِثُ ذَوِي الْأَرْحَامِ «فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» وَأُرِيدَ بِ«الْكِتَابِ» فِي الْمَوْضِعِينَ، «اللُّوْحُ الْمَحْفُوظُ».

٧ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حِينَ أَخْرَجُوا مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ، جَمَعَ «ذَرَّةً»، وَهِيَ: أَصْغَرُ النَّمْلِ «وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَيَدْعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ، وَذَكَرُ [هَؤُلَاءِ] الْخَمْسَةِ، مَنْ عَطَفَ الْخَاصَّ عَلَى الْعَامِّ، [تَفْضِيلًا لَهُمْ] «وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» شَدِيدًا، بِالْوَفَاءِ بِمَا حُمِّلُوهُ، وَهُوَ الْيَمِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

الْمَثَلَةُ الْغَلِيظَةُ

٨ تَمْ أَخَذُ الْمِيثَاقَ «لِيَسْأَلَ» اللَّهَ «الصَّادِقِينَ» [أي: الْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ هُمْ كَذَلِكَ] «عَنْ صِدْقِهِمْ» فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، تَبَكُّيًا [—] أَيْ: [إِلْزَامًا بِالْحُجَّةِ —] لِلْكَافِرِينَ بِهِمْ، [وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ»] «وَأَعَدَّ» تَعَالَى «لِلْكَافِرِينَ» بِهِمْ «عَذَابًا أَلِيمًا» مُؤَلَّمًا، هُوَ عَطَفَ عَلَى «أَخَذْنَا».

٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ مِنَ الْكُفَّارِ مَتَحْزِنُونَ، أَيَّامَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، [حَيْثُ أَقْبَلُوا فِي عَشْرَةِ آلَافٍ] «فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا» مِنَ الْمَلَائِكَةِ، [فَانصَرَفُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ] «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» — بِالنَّاءِ، مِنْ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَبِالْيَاءِ، مِنْ تَحْزِينِ الْمُشْرِكِينَ «بِصَبْرٍ».

١٠ إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي وَأَسْفَلِهِ، مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ «وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ» مَالَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَى عَدُوِّهَا، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ «وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» — جَمَعَ «حَنْجَرَةً»، وَهِيَ: مَتْنَى الْحَلْقُومِ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ «وَتَنْظُنُونَ يَا اللَّهُ الظُّنُونَا» الْمُخْتَلَفَةِ، بِالنَّصْرِ وَالْيَأْسِ.

١١ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ «اخْتَبَرُوا»، لِيَتَبَيَّنَ الْمَخْلَصُ مِنْ غَيْرِهِ «وَزَلْزَلُوا»

تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢﴾ لَيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿٥﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٦﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ

١٢ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضَعَفَ اعْتِقَادُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالنَّصْرِ﴾ «إِلَّا غُرُورًا» بِاطِّلَآ. ١٣ ﴿وَإِذْ قَالَتْ

والتبني حرام بعد نزول هذه الآية وباطل، ولا تجوز نسبة إنسان عمداً إلى غير أبيه وأمه، أما ظن بعض الناس أن التبني عمل صالح وخدمة إنسانية، فهو خطأ، سببه أن هؤلاء لا يفرقون بين التبني المحرم وتربية طفل وكفالاته لوجه الله تعالى، من غير أن يعطوه نسبهم، فالذي حرمه الله هو التبني، أي: اتخاذ اللقيط — أو غيره — ولداً، أما تربيته أو كفالاته، فإنها عمل صالح، تدخل في قوله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَذَا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما، رواه البخاري.

طائفة منهم ﴿أي: المنافقين﴾ يا أهل يثرب ﴿هي: أرض المدينة، ولم تُصرف، للعلمية ووزن الفعل،﴾ [فهي على وزن «يُفعل» بكسر العين، كـ «يُضرب»] ﴿لا مقام لكم﴾ بضم الميم وفتحها، أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى «سَلْع» - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ (١) ﴿في الرجوع﴾ يقولون إن بيوتنا عورة ﴿غير حصينة، يخشى عليها، قال تعالى: ﴿وما هي بعورة إن﴾ ما يريدون إلا فراراً﴾ من القتال.

١٤ ﴿ولو دخلت﴾ أي: المدينة ﴿عليهم من أقطارها﴾ نواحيها ﴿ثم سئلوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الفتنة﴾ الشرك ﴿لأنها﴾ بالمد والقصر، أي: أعطوها وفعلوها ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾ [حتى يهلكهم الله تعالى].

١٥ ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ وكان عهد الله مسؤولاً عن الوفاء به.

١٦ ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا﴾ إن فررتم ﴿لا تمتعون﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إلا قليلاً﴾ بقية آجالكم.

١٧ ﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ يجيركم ﴿من الله إن أراد بكم سوءاً﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أو﴾ يصيكم بسوء إن أراد الله بكم رحمة ﴿خيراً؟﴾ ولا يجدون لهم من دون الله ﴿غيره﴾ ولياً ينفعهم ﴿ولا نصيراً﴾ يدفع الضر عنهم.

١٨ ﴿قد﴾ (٢) يعلم الله المعوقين ﴿المشبطين﴾ منكم ﴿وهم: المنافقون﴾ والقائلين لإخوانهم هلمّ تعالىا ﴿إلينا ولا يأتون بالبأس﴾ القتال ﴿إلا قليلاً﴾ رياء وسمعة. ١٩ ﴿أشحة عليكم﴾ بالمعاونة، جمع «شحيح»، وهو حال من ضمير «يأتون» ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾، أخرج البيهقي وأبو نعيم في «الدلائل» والحاكم وغيرهم، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وفريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أنت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحاً

منها، أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحد منا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ: إن بيوتنا عورة - أي: مكشوفة للعدو - وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيسئلون، إذ استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً، حتى أتى علي فقال: «التي يخبر القوم»، فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ومن بينهم، الريح تضربهم وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت النبي ﷺ يصلي - وكان إذا حزبه أمر صلى - فأخبرته خبر القوم وأنهم يرتحلون، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿قد يعلم﴾، «قد» هنا للتقليل على الأصح، على القاعدة، لمجيء المضارع بعدها، وليست للتحقيق كما ذكر الجلالان في غير موضع، ولقد بينا ذلك في ص ٣٦٩ فارجع إليه.

ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي كنظر، أو: كدوران الذي يغشى عليه من الموت أي: سكراته ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ وحيزت الغنائم ﴿سلقوكم﴾ أذوكم، أو: ضربوكم ﴿بالسنة حداد أشحة على الخير﴾ أي: الغنيمة، يطلبونها ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ حقيقة ﴿فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك﴾ الإحباط ﴿على الله يسيراً﴾ بإرادته.

٢٠ ﴿يحسبون الأحزاب﴾ من الكفار ﴿لم يذهبوا﴾ إلى مكة، لخوفهم منهم ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ مرة أخرى ﴿يودوا﴾ يتمنوا ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾

أي: كائنون في البادية ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أخبركم مع الكفار ﴿ولو كانوا فيكم﴾ هذه الكرة ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ رياء، وخوفاً من التعبير.

٢١ ﴿لقد كان لكم في رسول الله﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿حسنة﴾ اقتداء به في القتال، والثبات في موطنه ﴿لمن﴾ بدل من ﴿لكم﴾ ﴿كان يرجو الله﴾ يخافه ﴿واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ بخلاف من ليس كذلك.

٢٢ ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ من الكفار ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وصدق الله ورسوله﴾ في الوعد ﴿وما زادهم﴾ ذلك ﴿إلا إيماناً﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿وتسليماً﴾ لأمره [وذلك خلافاً لقول المنافقين: ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ إلا غروراً]].

٢٣ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا﴾ ما عاهدوا الله عليه ﴿من الثبات مع النبي﴾ فممنهم من قضى نحبه ﴿مات، أو قتل في سبيل الله﴾ ومنهم من ينتظر ذلك ﴿وما بدلوا

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٣﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

(١) قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا...﴾ الآية، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عني أنس بن النضر رضي الله عنه - وبه سمعت أنساً - عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعترض إليك مما صنع هؤلاء - يعني: أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بنتانه - أي: أطراف أصابعه - قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه.

تبديلاً في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين. ٢٤ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ بأن يمتيهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [بأن يهديهم إلى الإيمان، فيؤمنوا] ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به. ٢٥ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الأحزاب ﴿بَغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ مرادهم، من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده، ﴿عَزِيزًا﴾ غالباً على أمره. ٢٦ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: قريظة ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم، جمع «صيصية»، [أو: صيصية]، وهو: ما يتحصن به ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم، وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم، أي: الذراري.

٢٧ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا﴾ بعد، وهي «خير»، أخذت بعد «قريظة»، [وقيل: المراد بالأرض: مكة، وقيل: عامة إلى يوم القيامة] ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

٢٨ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَهَنَ تَسْعَ﴾، و [كُنْ] طلبين منه، من زينة الدنيا، [بأن يوسع عليهن في النفقة] ما ليس عنده، [أخرج ذلك مسلم وأحمد والنسائي] ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أطلقكن من غير ضرار.

٢٩ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْوَاحَ﴾ أي: الجنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ الْجَنَّةَ﴾ [فأخبرهن رسول الله ﷺ]، فأخترن الآخرة على الدنيا. ٣٠ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ

تَبْدِيلًا ٢٣ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ٢٤ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٥ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْوَاحَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٩ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ

(١) قوله: «وهن تسع»، أي: اللاتي مات النبي ﷺ عنهن، وقد تزوجهن بعد وفاة أخدججة بنت خويلد، أول امرأة أسلمت، وجميع أولاده ﷺ منها، ما عدا إبراهيم فمن أمته مارية القبطية، ولم يتزوج رسول الله ﷺ غيرها حتى ماتت عن خمس وستين سنة، ودُفنت بالحجر بمكة، بعد سبع سنين من البعثة، وقيل: عشر، وهؤلاء التسع هن: (١) «سودة بنت زمعة العامرية»، أسلمت قديماً وبايعت، وهاجر رسول الله ﷺ بها إلى المدينة، توفيت سنة أربع وخمسين للهجرة (٢) و «عائشة بنت أبي بكر الصديق» عقد عليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين، وبقيت عنده تسع سنين، ولم يتزوج بكرة غيرها، ماتت سنة تسع وخمسين للهجرة. (٣) و «حفصة بنت عمر بن الخطاب»، توفيت سنة خمس وأربعين. (٤) و «أم سلمة»: هند بنت حذيفة، وقيل: سهيل بن المغيرة المخزومية، تزوجها سنة أربع، توفيت سنة تسع وخمسين. (٥) و «أم حبيبة»: رملة بنت أبي سفيان بن حرب، تزوجها رسول الله ﷺ سنة سبع، توفيت سنة أربع وأربعين. (٦) و «زينب بنت جحش الأسدية»، كانت زوجة لزيد بن حارثة، وهي التي ذكرت قصتها في سورة الأحزاب، زوجه الله ﷺ إياها سنة خمس، توفيت سنة عشرين. (٧) و «جويرية بنت الحارث الخزاعية» من بني المصطلق، تزوجها في شعبان سنة ست، توفيت سنة ست وخمسين. (٨) و «صفية بنت حيي بن أخطب»، سبأها النبي ﷺ يوم خيبر، واضطفاها لنفسه، ثم أعتقها وتزوجها، ماتت سنة خمسين. (٩) و «ميمونة بنت الحارث الهلالية»، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، ماتت سنة إحدى وخمسين، فهؤلاء أمهات المؤمنين اللاتي قال الله فيهن: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْمَاتُهُمْ﴾، رضوان الله تعالى عليهن أجمعين.

بفاحشة مبينة ﴿بفتح الباء وكسرها، أي: بَيِّنَتْ، أو: هي بَيِّنَةٌ﴾ يضاعف ﴿وفي قراءة: «يضعف» بالتشديد، [ورفع العذاب] فيهما﴾، وفي أخرى: «نضعف» بالنون معه، [أي: مع التشديد]، ونصب «العذاب» ﴿لها العذاب ضعفين﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾.

٣١ ﴿ومن يقنت﴾ يطع ﴿منكن الله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين﴾ مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة بالتحسانية، في: «تعمل» و «نؤتها» ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ في الجنة، زيادة [على غيرها من النساء].

٣٢ ﴿يا نساء النبي لستن كأحد﴾ كجماعة ﴿من النساء إن اتقيتن﴾ الله، فإنكن أعظم [من غيركن، أي: إن أردتن التقوى] ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ [أي: لا تلنَّ القول] للرجال ﴿فيطعم الذي في قلبه مرض﴾ نفاق، [أي: فيتشوَّق لفجور] ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ من غير خضوع.

٣٣ ﴿وقرن﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿في بيوتكن﴾ من «القرار»، وأصله: «اقررن» بكسر الراء وفتحها، من «قررت» بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿ولا تبرجن﴾ بترك إحدى التاءين من أصله «تبرج الجاهلية الأولى» أي: ما قبل الإسلام، من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: «ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها» ﴿واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ الإثم، يا «أهل البيت» أي: نساء النبي ﷺ ﴿ويطهركم﴾ منه «تطهيراً».

٣٤ ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ السنة ﴿إن الله كان لطيفاً﴾ بأوليائه ﴿خبيراً﴾ بجميع خلقه. ٣٥ ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات المطيعات﴾ والصادقين

(١) قوله: «نساء النبي ﷺ»، مما لا شك فيه أن نساء النبي جميعهن، داخلات في آل بيته ﷺ، لأن ذكر «أهل البيت» جاء في سياق خطابين، ولما رواه مسلم في

صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فبينا خطيباً يما يدعى «خُماء» بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكرهم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي - أي: ملك الموت - فاجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين - أي: أمرين عظيمين - أولهما: كتاب الله في الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال حصين بن سبرة، ومن أهل بيته يا زيد؟ اليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن: أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. وروى البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه أنه قال: «أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته» أي: راعوه واحترموا وأكرموا بحب آل بيته وإكرامهم، رضوان الله ورحمته عليهم أجمعين.

الجزء الثاني من التفسير

بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلوة وءاتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴿٣٣﴾ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله القرآن والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿٣٤﴾ إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿٣٥﴾ إن المسلمين والمؤمنات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات المطيعات والصادقين

والصادات في الإيمان والصابرين والصابرات على الطاعات والخاشعين المتواضعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا على الطاعات. ٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون بالباء والياء لهم الخيرة أي: الاختيار من أمرهم خلاف أمر الله ورسوله، [أخرج الطبراني بسند صحيح، عن قتادة السدوسي: أنها] نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ وعنى لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما، لظنهما قبل، أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضى للآية ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد،

سُورَةُ الْأَنْجُرَانِ ٢٢

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٦ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ٣٧
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ

[قيل:] ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفسه حبها^(١)، وفي نفس زيد كراهتها، [اقرأ التعليق]، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها، فقال: «أمسك عليك زوجك»، كما قال تعالى: ٣٧ «وَإِذْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِمَا كَرِهْتَ فِي الْأَسْوَاقِ» [تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام «وأنعمت عليه» بالإعتاق، وهو: «زيد بن حارثة»، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة، وأعتقه وتبناه «أمسك عليك زوجك واتق الله» في أمر طلاقها «وتخفي في نفسك ما الله مبديه» مظهره، - لا] من محبتها [كما زعموا] و[لكن: من] أن لو فارقها زيد تزوجتها «وتخشى الناس» أن يقولوا تزوج زوجة ابنه «والله أحق أن نخشاه» في كل شيء، وتزوجها، ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال تعالى: «فلما قضى زيد منها وطراً» حاجة، [وانقضت عدتها] «زوجناكها» فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحمًا «لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر

(١) قوله: «وقع في نفسه حبها... إلخ»، تبع المحلي في

هذا الوجه الفاسد، ما رواه بعضهم عن قتادة وجماعة من المفسرين منهم الطبري، معتمدين في ذلك على رواية ضعيفة أخرجهما ابن سعد والحاكم، والصواب في

معنى الآية هو: أن الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ، أن زيدا سيطلق زينب، وأنه سيتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكى زيد إلى النبي ﷺ خلقها وأنها لا تطيقه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «أمسك عليك زوجك»، واتق الله في قولك، ولم يأمره بطلاقها، وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها هو، وهذا هو الأمر الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه، فقد خشي أن يقول الناس: أمره بطلاقها ليتزوجها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس، في شيء قد أباحه الله له. قال القرطبي: وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراشدين. وقال أيضاً: وما زُرِّي أن النبي ﷺ هو زَيْنُ امرأة زيد، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. وقال أبو جعفر النحاس: ليس ذاك من النبي ﷺ خطبة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار؟

الله ﴿مَقْضِيَّةٌ مَّفْعُولًا﴾. ٣٨ ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل، ﴿الله له سنة الله﴾ أي: «كسنة الله»، فَنُصِبَ بنزع الخافض ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء، أن لا حرج عليهم في ذلك، توسعة لهم في النكاح، [لأنهم أصحاب الشريعة] ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ مقضياً. ٣٩ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لـ «الذين» قبله ﴿يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس، فيما أحل الله لهم ﴿وَكُفِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. ٤٠ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فليس أبا «زيد»، أي: والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجه «زينب» ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [بكسر التاء]، فلا يكون له ابن بعده، يكون نبياً، وفي قراءة: بفتح التاء، كآلة الختم، أي: به خُتِمُوا ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [و] منه [علمه تعالى] بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى، يحكم بشريعته، [أي: بشريعة محمد ﷺ]. ٤١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [قال ابن عباس: لم يُعْذَر أحد في ترك ذكر الله، إلا من غلب على عقله]. ٤٢ ﴿وَسَبِّحْوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره. ٤٣ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليديم إخراجهم إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان، [أي: ليشبكم على الهداية] ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾. ٤٤ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ [أي: يوم القيامة، بعد دخول الجنة] ﴿سَلَامٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة. ٤٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ (١) على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كذبك بالنار. ٤٦ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله، في الاهتداء به. ٤٧ ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الْبُرْهَانُ الْقَائِدُ

اللَّهُ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحْوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا...﴾ الآيتين،

تضمنت هاتان الآيتان عدداً من أسمائه ﷺ، وجاء في آيات وأحاديث، عدد آخر من أسمائه عليه الصلاة والسلام، منها ما رواه البخاري والترمذي وغيرهما،

عن مطعم بن عدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إني خمسة أسماء، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»، أي: ليس بعده نبي - وأنا العاقب، أي: لا نبي بعده أيضاً - وقد سماه الله تعالى في كتابه «محمداً» و «أحمد» بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم: «وقد سماه الله رؤوفاً رَحِيمًا»، وفيه أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فيقول: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»، ومن صفاته ﷺ المذكورة في القرآن: «الكريم»، و «الأمي»، و «الأمين»، و «المزمل»، و «المدثر»، وأشهر كنية له ﷺ «أبو القاسم»، ومما أطلقته عليه الأمة ولم يرد في كتاب ولا سنة: «المصطفى»، و «المجتبي»، و «المختار».

بأن لهم من الله فضلاً كبيراً هو الجنة.

٤٨ ﴿وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ودع﴾ اترك ﴿أذاهم﴾ لا تجازهم عليه، إلى أن تؤمر فيهم بأمر، [أو: أعرض عن أقوالهم وما يؤذك، ولا تشتغل به، وهذا تأويل مجاهد بن جبر] ﴿وتوكل على الله﴾ فهو كافيك ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ مفوضاً إليه [ثم أمره الله تعالى بقتالهم بقوله: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم﴾].

٤٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ وفي قراءة: «تماسوهن»، أي:

تجامعوهن ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ تحصونها بالأقراء [جمع «قرء» بفتح القاف، وهو الحيض، ويطلق أيضاً على الطهر] وغيرها ﴿فتمتعوهن﴾ أعطوهن ما يستمتعن به، أي: إن لم يُسمَّ لهن أصدقة، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ خلوا سبيلهن، من غير إضرار.

٥٠ ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ مهورهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية، [وقد اعتقهما ﷺ وتزوجهما] ﴿وبنات عمك وبنيات عماتك وبنيات خالك وبنيات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [أي: خصصناك في جواز] النكاح بلفظ الهبة، من غير صداق ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي: المؤمنين ﴿في أزواجهم﴾ من الأحكام، بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وما ملكت أيماهم﴾ من الإماء، بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والنوثية، وأن تُستبرأ [بحيضة]، قبل الوطء ﴿لكيلاً﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يكون عليك حرج﴾ ضيق في النكاح ﴿وكان الله

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٢٢

يَأْنَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيْلاً ﴿٤٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَّرَّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴿٤٩﴾
يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ
الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ

٥٥٧

وقد اختصه الله بوصف «المبودية» تشریفاً له ﷺ في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾، وسماه «عبد الله» في قوله تعالى: ﴿وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا - أي: الجن - يكونون عليه لبداً﴾ وليس: «طه»، و«يس» من أسمائه ﷺ على الصحيح ولا هما من الأسماء، بل هما من الحروف المتقطعة في أوائل بعض السور، كما بيناه في تعليقنا أول سورة «طه» ص ٤٠٦.

غفوراً لما يعسر التحرز عنه ﴿رحيماً﴾ بالتوسعة في ذلك. ٥١ ﴿ترجى﴾ بالهمزة، والياء بكده، [أي:] تؤخر ﴿من﴾ تشاء منهم^(١) أي: أزواجك، عن نوبتها ﴿وتؤوي﴾ تضم ﴿إليك من تشاء﴾ منهم، فتأتيها ﴿ومن ابتغيت﴾ طلبت ﴿ممن عزلت﴾ من القسمة ﴿فلا جناح عليك﴾ في طلبها وضمها إليك، خيّر في ذلك، بعد أن كان القسم واجباً عليه، ولكنه ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك»، يعني: ميل القلب، رواه أصحاب السنن الأربعة عن عائشة، وإسناده صحيح ورجاله ثقات [ذلك] التخيير ﴿أدنى﴾ أقرب إلى ﴿أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتينهن﴾ ممّا ذكر، [أي:] المخير فيه ﴿كلهن﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النساء، والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن، تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حليماً﴾ عن عقابهم. ٥٢ ﴿لا تحل﴾ بالياء والياء ﴿لك النساء من بعد﴾ بعد التسع اللاتي اخترتك ﴿ولا أن تبدل﴾ بترك إحدى التائين في الأصل ﴿بهن من أزواج﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن، وتنكح بدل من طلقت، [هذا قول ابن عباس، وصححه ابن العربي، وقال فيه: له يشهد النص، وعليه يقوم الدليل، وقيل: إن الله تعالى رفع عنه الحرج في ذلك، ونسخ حكم الآية، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوّج، لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن] ﴿ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾ من الإماء، فتحل لك، وقد ملك بعدهن مارية، وولدت له إبراهيم [سنة ثمان للهجرة]، ومات في حياته ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ حفيظاً.

٥٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ في الدخول، بالدعاء ﴿إلى طعام﴾ فتدخلوا ﴿غير ناظرين﴾ منتظرين ﴿إناء﴾ نضجه، مصدر «أنى، يأنى» [من باب: رمى، يرمى] ﴿ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا تمكثوا مستأنسين لحديث﴾ من بعضكم، [كما فعل بعض أصحاب النبي ﷺ في وليمة زينب] ﴿إن ذلكم﴾

غُفُوراً رَحِيماً ﴿٥١﴾ * تُرْجَى مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمًا ﴿٥٢﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدِّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ أَحَقَّ الْحَقَّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

المُكْتُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أن يخرجكم، أي: لا يترك بيانه، وقرئ [شدوذاً]: «يستحي» بياء واحدة ﴿وإذا سألتموهن﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿متاعاً﴾ [هو: كل ما يمكن أن يطلب، من المواعين وسائر المرافق] ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ ستر.

(١) قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهم...﴾ الآية، ذهب الجلال المحلي هنا إلى تخصيص تخييره ﷺ بين الإرجاء والإيواء بزواجه، أي: أطلق له أن يقسم بينهم كيف يشاء، وهذا أحد قولين، ثانيهما: أن الآية عامة في الواهبات أنفسهن له، وفي زواجه اللاتي عنده، =

ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ ﴿٥٤﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٥﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا أُمَّهَاتِهِنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ بشيء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله ذنباً عظيماً﴾ [قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه اللائي مات عنهن، لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافراً، وسبب نزولها قول بعضهم: لئن مات النبي ﷺ، لتزوجت فلانة أو فلانة، أو لتزوجنا نساءه، روى ذلك البيهقي عن ابن عباس، وابن جرير وعبد الرزاق وغيرهما عن بعض التابعين]. ﴿٥٤﴾ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه من نكاحهن بعده ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ فيجازيكم عليه. ﴿٥٥﴾ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا نساكنهن: أي: المؤمنات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من الإماء والعبيد، أن يرؤهن ويكلموهن، من غير حجاب ﴿واتقين الله﴾ [يا نساء النبي ﷺ]، فيما أمرت به ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿٥٦﴾ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴿٥٧﴾ محمد ﷺ ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ أي: قولوا: «اللهم صل على محمد وسلم».

﴿٥٨﴾ إن الذين يؤذون الله ﷻ [أي: يفعلون ما يغضبه تعالى] ورسوله ﷺ وهم الكفار، يصفون الله بما هو منزّه عنه، من الولد والشرىك، ويكذبون رسوله ﷺ لعنهم الله في الدنيا والآخرة أبعدهم ﴿وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ ذا إهانة، وهو: النار.

﴿٥٩﴾ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فقد احتملوا بهتاناً﴾ تحملوا كذباً ﴿وإثماً مبيناً﴾ بيناً. ﴿٦٠﴾ يا أيها النبي قل

فهو مخير في أن يقبل من شاء من الواهبات ويرد من شاء، وهو مخير أيضاً في القسم بين زوجاته بعد أن كان القسم واجباً عليه، واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير وقال: جيد قوي وفيه جمع بين الأحاديث. ونقول: على كلا القولين، فهنا مسألان، أولاهما: أن هناك أكثر من واحدة وهبت نفسها للنبي ﷺ، وثانيتهما: هل قبل النبي ﷺ لنفسه واحدة منهم؟ قال التابعي عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله: إنه ﷺ دخل

ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وهذا شاذ، والمحفوظ أنه لم يدخل بواحدة من الواهبات - وإن كان مباحاً له - لأنه راجع إلى إرادته، وأخرج الطبري بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له»، أي: لم يقبل واحدة من الواهبات، وهذا قول الجمهور، وهو الصحيح، وإنما أيج له ذلك وخير فيه، لبيان فضله ﷺ وعلو مقامه.

(١) قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾. الصلاة من الله تعالى على نبيه معناها: ثناؤه عليه وتعظيمه له إعلاء في مقامه ﷺ، والصلاة من الناس: الاستغفار، والصلاة من الملائكة: الدعاء.

وقد جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث كثيرة منها: ما أخرجه أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حبان وصححه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أولى الناس بي - أي: أحقهم بالقرب مني - يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»، وأخرج الترمذي وابن حبان وصحاه وغيرهما، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «البخيل من ذكرت عنده =

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴿جمع «جلاب» وهي: «الملاءة» التي تشتمل بها المرأة، أي: يُرخين بعضها على الوجوه، إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينا واحدة﴾ ذلك أدنى ﴿أقرب إلى﴾ أن يعرفن ﴿بأنهن حرائر﴾ فلا يؤذين ﴿بالتعرض لهن، بخلاف الإماء، فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن﴾ وكان الله غفورا ﴿لما سلف منهن، لترك الستر﴾ رحيما ﴿بهن إذ سترهن﴾^(١).

٦٠ ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته المنافقون﴾ عن نفاقهم ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ بالزنا [وحب الفواحش] ﴿والمرجفون﴾ [الإرجاف: إشاعة الكذب والباطل، ليغتم به الناس] ﴿في المدينة﴾ [بتخويفهم] المؤمنين بقولهم: قد

أتاكم العدو، وسراياكم قتلوا، أو: هزموا ﴿لنغرينك بهم﴾ لنسلطنك عليهم، [فتستأصلهم بالقتل] ﴿ثم لا يجاورونك﴾ يساكنونك ﴿فيها﴾ [أي: في المدينة] ﴿إلا قليلا﴾ [حتى يهلكوا].

٦١ ثم يخرجون ﴿ملعونين﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أين ما تقفوا﴾ ووجدوا ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به، [أي: خذهم وقتلهم].

٦٢ ﴿سنة الله﴾ أي: سن الله ذلك ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ من الأمم الماضية، في منافقيهم المرجفين، [الذين كانوا يخيفون المؤمنين] ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ منه.

٦٣ ﴿يسألك الناس﴾ أهل مكة ﴿عن الساعة﴾ متى تكون؟ ﴿قل إنما علمها عند الله وما يدريك﴾ يعلمك بها؟ أي: أنت لا تعلمها ﴿لعل الساعة تكون﴾ توجد ﴿قريبا﴾.

٦٤ ﴿إن الله لعن الكافرين﴾ أبعدهم ﴿وأعد لهم سعيرا﴾ نارا شديدة، يدخلونها.

٦٥ ﴿خالدين﴾ مقدرا خلودهم ﴿فيها﴾ [إذا أدخلوها] ﴿أبدا لا يجدون وليا﴾ يحفظهم عنها ﴿ولا نصيرا﴾ يدفعها عنهم.

٦٦ ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ يقولون يا للنتنیه ﴿لئنأطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾.

٦٧ ﴿وقالوا﴾ أي: الاتباع منهم ﴿ربنا إنا أطعنا

الْأَزْوَاجُ وَبَنَاتُ الْمُؤْمِنِينَ

لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ^{٥٩} ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ^{٦٠} وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^{٦١} * لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا^{٦٢} مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا^{٦٣} أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا^{٦٤} سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا^{٦٥} يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ^{٦٦} أَلَسَّاعَةُ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةُ تَكُونُ قَرِيبًا^{٦٧} إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا^{٦٨} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^{٦٩} يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتْنَا^{٧٠} أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ^{٧١} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

فلم يصل علي. وأخرج مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا»، وأخرج الشيخان، وأصحاب السنن الأربعة، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: كيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(١) قوله: «إذ سترهن»، أي: أمرهن بذلك، صونا لهن، ارجع إلى تعليقنا حول «التبرج» ص ٤٦٨.

سادتنا وفي قراءة: «سادتنا»، جمع الجمع «وكبراءنا فأضلونا السبيل» طريق الهدى. ٦٨ «ربنا آتاهم ضعفين من العذاب» مثلي عذابنا «والعنه» عذبهم «لعلنا كثيراً» عدده، وفي قراءة: «كثيراً» بالموحدة، أي: عظيماً. ٦٩ «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا» مع نبيكم «كالذين آذوا موسى» بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا، إلا أنه آذُر «فبرأه الله مما قالوا» (١) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففرَّ الحجر بثوبه، حتى وقف به بين ملا من بني إسرائيل، فأدركه موسى، فأخذ ثوبه واستتر به، فأراه «ولا أدرة به، و [الأدرة» بضم الهمزة وسكون الدال، وبفتحهما: [هي: نفخة في الخُصية، [يقال: رجل آذُر، بين الأدرة] وكان عند الله وجهاً» ذا جَاه، ومما أُوذِي به نبينا ﷺ، أنه قَسَمَ قَسْماً فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: «يرحم الله أخي موسى، لقد أُوذِي بأكثر من هذا فصبر»، رواه البخاري.

٧٠ «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً» صواباً.

٧١ «يصلح لكم أعمالكم» يتقبلها «ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً» نال غاية مطلوبه.

٧٢ «إنا عرضنا الأمانة» الصلوات، وغيرها [من وظائف الدين]، مما [أي: مع ما]، في فعلها من الثواب، وتركها من العقاب «على السماوات والأرض والجبال» بأن خلق فيها فهماً ونطقاً «فأبين أن يحملنها وأشفقن» خفن «منها وحملها الإنسان» آدم، بعد عرضها عليه «إنه كان ظلوماً» لنفسه بما حمله، [والمراد بظلمه لها، إتهامه إياها، وهو ممدوح من الأنبياء، وليس المراد بالظلم - منسوباً إلى آدم - حقيقة، التي هي مجاوزة حدود الشرع، بل وقع الظلم في ذريته، من الكافرين والمنافقين والفاسقين] «جهولاً» به [أي: لا يدري عاقبة ما حمله، وأن النفس لا تطيق الدوام عليه في العادة].

٧٣ «ليعذب الله» اللام متعلقة بـ «عرضنا»، المترتب عليه حمل آدم «المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات» المضيعين الأمانة «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات» المؤذنين

الأمانة «وكان الله غفوراً» للمؤمنين «رحيماً» بهم، [وقال الحسن البصري: معنى «حَمَلَهَا»: خان بها، قال الزجاج: والآية في الكافر والمنافق والعاصي، على قدرهم في الخيانة، على هذا التأويل].

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٢٢

سَادَتْنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٢٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٢٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٢٩﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٣٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٣﴾

(١) قوله تعالى: «فبرأه الله مما قالوا...» روى البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حياً شتيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فإذا من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده إما برص، وإما أدرة، وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلأ يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر... ثوبي حجر...»

﴿سُورَةُ سَبَأٍ﴾ (١)

(مكية، إلا: «ويرى الذين أوتوا العلم»
الآية، فمدنية، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَافِرِ

(٣٤) سُورَةُ سَبَأٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الزَّيْجُ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ
مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١ ﴿الحمد لله﴾ حَمِدَ تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه، من ثبوت الحمد، وهو: الوصف بالجميل، لله تعالى ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ كالدنيا، بحمده أوليائه إذا دخلوا الجنة ﴿وهو الحكيم﴾ في فعله ﴿الخبير﴾ بخلقه. ٢ ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿في الأرض﴾ كماء وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ كنبات وغيره ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رزق وغيره ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ من عمل وغيره [كالملائكة] ﴿وهو الرحيم﴾ بأوليائه ﴿الغفور﴾ لهم. ٣ ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل﴾ لهم ﴿بلى﴾ وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴿بالجر صفة، والرفع خبر مبتدأ [محذوف، تقديره: «هو»، وفي قراءة: «علام» بالجر [فقط فالفراءات ثلاث سبعة] لا يعزب﴾ [أي: لا] يغيب ﴿عنه مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ أصغر (٢) نملة ﴿في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ بَيِّن، هو: اللوح المحفوظ. ٤ ﴿ليجزى﴾ فيها ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾

حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرباناً أحسن ما خلق الله عز وجل، وأبراه مما يقولون، وقام الحجر،

فأخذ ثوبه فلبسه، وطف بالحجر ضرباً بعضاه، قال أبو هريرة: فذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾.

(١) قوله: ﴿سورة سبأ﴾، «سبأ» هي أرض باليمن مدينتها «مارب»، بينها وبين «صنعاء» مسيرة ثلاثة أيام، سميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد «سبأ» بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم الذين بنوا سدَّ «مارب»، فكثرت عندهم النعم فكفروا، فأرسل الله عليهم «سبل العرم»، ففترقوا في كل جهة، حتى ضرب فيهم المثل فقليل: «ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبأ». وهم قوم «تبع» الآتي ذكرهم ص ٦٥٨.

(٢) قوله: «أصغر نملة»، هذا هو معنى الذرة في اللغة، قال في «المختار»: «الذرة» جمع «ذرة» وهي: أصغر النمل. اهـ. وهذا النوع من النمل يضرب به المثل في خفة الوزن كما يضرب «بالفتيل» و«النقير» و«القظير» في القلة، وكذلك ضرب الله تعالى مثلاً في الخفة بـ «حبة الخردل» في سورة «القنآن»: ﴿إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ الآية (١٦).

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴿حَسَنٌ﴾، في الجنة. ٥ ﴿والذين سعوا في إبطال آياتنا﴾ القرآن ﴿مُعْجِزِينَ﴾ وفي قراءة هنا، وفيما يأتي [في الآية ٥٣٨]: «معجزين»، أي: مقدّرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتونا، لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ [هو: سيء العذاب ﴿أليم﴾ مؤلم، بالجر والرفع، صفة له «رجز»، [على قراءة الجر]، أو [صفة] «عذاب»، [على قراءة الرفع].

٦ ﴿ويرى﴾ يعلم ﴿الذين أوتوا العلم﴾ مؤمنو أهل^(١) الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: القرآن ﴿هو﴾ [ضمير] فصل، [لا محل له من الإعراب] ﴿الحق ويهدي إلى صراط﴾ طريق ﴿العزیز الحميد﴾ أي: الله، ذي العزة المحمود.

٧ ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجب لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ هو محمد ﴿ينبئكم﴾ يخبركم أنكم ﴿إذا مرقتم﴾ قطعتم ﴿كل ممزق﴾ بمعنى: تمزق ﴿إنكم لفي خلق جديد؟﴾ [قالوا ذلك جحوداً، ومبالغة في الاستهزاء، ثم قالوا:].

٨ ﴿أفترى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿على الله كذباً﴾ في ذلك ﴿أم به جنة﴾ جنون تخيل به ذلك، قال تعالى: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿في العذاب﴾ فيها ﴿والضلال البعيد﴾ عن الحق في الدنيا، [أي: ليس الأمر كما قالوا، بل هو الصادق المصدق].

٩ ﴿أفلم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً﴾ بسكون السين وفتحها قطعة^(٢) ﴿من السماء﴾ وفي قراءة، في الأفعال الثلاثة، بالياء ﴿إن في ذلك﴾ المرتني ﴿آية لكل عباد منيب﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله، على البعث وما يشاء.

١٠ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يا جبال أوبي﴾

رجعي ﴿معه﴾ بالتسييح ﴿والطير﴾ بالنصب، عطفاً على محل «الجبال»، أي: ودعوها تسبح معه ﴿وألنا له

(١) قوله: «مؤمنو أهل الكتاب»، هذا قول: مقاتل بن سليمان، وقصد المؤلف الجلال المعطي رحمه الله أن يقول: الذين آمنوا من أهل الكتاب، لأن عبد الله بن سلام وأصحابه لم يكونوا مؤمنين قبل إسلامهم بل كانوا كافرين، وعن ابن عباس: إنهم أصحاب محمد ﷺ، وقيل: جميع المسلمين، قال القرطبي: وهو أصح لعمره، أرجع إلى ترجمة «ابن سلام» ص ٣٢٧.

(٢) قوله: «قطعة» هو تفسير لقوله تعالى: ﴿كسفاً﴾ بسكون السين، أما بفتحها فهي جمع، أرجع إلى تعليقنا ص ٤٩١.

أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا
فِيءِ آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُّرِقٍ إِنَّكُمْ لَنِ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٤﴾
أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ
نُخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالُ

الحديد فكان في يده كالعجين. ١١ وقلنا: «أن اعمل» منه «سابغات» دروعاً كوامل، يجرّها لابسها على الأرض «وقدر في السرد» أي: نسج الدروع، قيل لصانعتها: «سراد»، أي: اجعله بحيث تتناسب حلقة «واعملوا» أي: آل داود معه «صالحاً إني بما تعملون بصير» فأجازيكم به. ١٢ «و» سخرنا «لسليمان الريح» [بالنصب]، وفي قراءة بالرفع بتقدير: «تسخير» «غدوها» مسيرها من الغدوة، بمعنى: الصباح، إلى الزوال «شهر ورواحها» سيرها من الزوال إلى الغروب «شهر» أي: مسيرته «وأسلنا» أذبنا «له عين القطر» أي: النحاس، فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن، كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم، مما أعطي سليمان «ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن» بأمر «ربه ومن يزغ» يعدل «منهم عن أمرنا» له بطاعته «نذقه من عذاب السعير» النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا، بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه. ١٣ «يعملون له ما يشاء من محاريب» أبنية مرتفعة، يصعد إليها بدرج «وتماثيل» جمع «تمثال»، هو: كل شيء مثله بشيء، أي: صوراً من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته «وجفان» جمع «جفنة» «كالجواب» جمع «جابية»، وهي: حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل، يأكلون منها «وقدور راسيات» ثابتات، لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن، يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: «اعملوا» يا «آل داود» بطاعة الله «شكراً» له على ما آتاكم «وقليل من عبادي الشكور» العامل بطاعتي، شكراً لنعمتي. ١٤ «فلما قضينا عليه» على سليمان «الموت» أي: مات، ومكث قائماً على عصاه، [قيل: مكث] حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته، حتى أكلت الأرض عصاه، فخر ميتاً «ما دلهم على موته إلا دابة الأرض» مصدر «أرضت» الخشبة بالبناء للمفعول: أكلتها الأرض «تأكل منسأته» بالهمز [السكن والمفتوح]، وتركه بألف، أي: عصاه، [وسميت بذلك]، لأنها تنسأ [أي: تطرد، ويؤجر بها] «فلما خر» ميتاً

الْحَدِيدُ وَالنَّحْسُ

أَلْحَدِيدُ ١١ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٢ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاَ شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٣ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ١٤ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ١٥ لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ

«تبين الجن» انكشف لهم «أن» مخفية، أي: أنهم «لو كانوا يعلمون الغيب» ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان «ما لبثوا في العذاب المهين» العمل الشاق له، لظنهم حياته، خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة، بحساب ما أكلته الأرض من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً. ١٥ «لقد كان لسيد» سميت باسم جد لهم من العرب «في مساكنهم» باليمن، [وفي قراءة بالإنفراد] «آية» دالة على قدرة الله تعالى «جنتان» بدل «عن يمين وشمال» عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: «كلوا من رزق ربكم واشكروا له» على ما رزقكم من النعمة في أرض سبا «بلدة

طيبة ﴿ليس بها سباع﴾^(١) [بالعين المهملة]، ولا بعوضة ولا ذبابة، ولا بُزْغوث ولا عقرب، ولا حية، ولا قملة، وإن مرَّ الغريب فيها، وفي ثيابه قمل، يموت لطيب هوائها ﴿و﴾ الله ﴿رب غفور﴾. ١٦ ﴿فأعرضوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ جمع «عَرْمَة»، وهي: ما يمسك الماء، من بناء وغيره، إلى وقت حاجته، أي: سَيْلٌ واديهم، الممسوك بما ذكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي﴾ تثنية «ذوات»، مفرد على الأصل^(٢) ﴿أَكُلْ خَمِطٌ﴾ مرٌ بشع، [كره الريح]، بإضافة «أكل»، بمعنى: مأكول، وتركها [أي: الإضافة]، ويُعْطَفُ عليه ﴿وأثل وشيء من سدر قليل﴾ [وهما نوعان من الشجر، ذي الشوك الكثير والثمر القليل]. ١٧ ﴿ذلك﴾ التبديل

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

طَيْبَةً رَبِّ غُفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِي بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿جزيناهم بما كفروا﴾ بكفرهم ﴿وهل يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ؟﴾ بالياء، والنون مع كسر الزاي ونصب «الكفور»، أي: ما يناقش إلا هو. ١٨ ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين «سبأ»، وهم باليمن، ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر، وهي: قرى الشام، التي يسرون إليها للتجارة ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة، من اليمن إلى الشام ﴿وقدرنا فيها السير﴾ بحيث يقلبون في واحدة، ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، أي: وقلنا ﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ لا تخافون في ليل ولا نهار. ١٩ ﴿فقالوا ربنا بعد﴾ وفي قراءة: «بعد» ﴿بين أسفارنا﴾ إلى الشام، اجعلها مفاوز، ليتناولوا على الفقراء، بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فَبَطَرُوا النعمة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿آيات﴾ عِبَرًا ﴿لكل صبار﴾ عن المعاصي ﴿شكور﴾ على النعم. ٢٠ ﴿ولقد صدق﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم﴾ أي: الكفار، [و] منهم «سبأ» ﴿إبليس ظنه﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه، [فأغواهم] ﴿فاتبعوه﴾ فَصَدَّقَ — بالتخفيف — في ظنه، أو: صَدَّقَ — بالتشديد — ظنه، أي: وجده صادقاً ﴿إلا﴾ بمعنى «لكن» ﴿فريقاً من المؤمنين﴾ «من» للبيان، أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

٢١ ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ تسلط منّا ﴿إلا لنعلم﴾ علم ظهور ﴿من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ فنجازي كلا منهما ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ رقيب.

٢٢ ﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ادعوا الذين زعمت﴾ أي: زعتموهم آلهة ﴿من دون الله﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم.

(١) وفي إحدى المخطوطات وبعض المطبوعات: «سباخ» بالخاء المعجمة، وهي الأراضي ذات الملح، لا تصلح للزراعة.

(٢) قوله: «تثنية ذوات مفرد على الأصل». بيانه: مذهب سيبويه أن «ذو» — بمعنى صاحب — وزنها «فعل» بالتحريك، ولانها ياء، لأن =

قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ﴿ذرة﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكَ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُ﴾ تعالى ﴿مِنْهُمْ﴾ من الآلهة ﴿مَنْ ظَهَرَ﴾ معين [على خلق شيء، فهو تعالى المتفرد بالإيجاد، والمستحق لأن يُعْبَد].

٢٣ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ تعالى، [وهذا] رد لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة، [وفي قراءة: بضمها مبنياً للمفعول] ﴿لَهُ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع، بالإذن فيها [أي: في الشفاعة] ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشراً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾

القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

٢٤ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات؟ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقوله، لا جواب غيره ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، في الإبهام [في قوله: «وإننا أو إياكم» إلخ]، تَلَطَّفَ بهم، دأب إلى الإيمان، إذا وَقَّعُوا لَهُ.

٢٥ ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأننا بربيتون منكم. ٢٦ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحققين الجنة، والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

٢٧ ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ الْحَقَمْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم، عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه.

٢٨ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾ [أي: عامة]، حال من «الناس»، قَدِّمَ للاهتمام به ﴿لِلنَّاسِ﴾ بشيراً ﴿مُبَشِّراً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ﴾ و«نذيراً» منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي:

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهَرَ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ

كفار مكة [وغيرهم] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ٢٩ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب [وبقيام الساعة] ﴿إِنْ كُنْتُمْ

يأتي اللام أكثر من وَاوِيَّة، والحمل على الأكثر، أرجح، فاصلها «ذَوِي»، حُدِثَ الياء اعتباطاً، أي: بلا علة، ونُقلت الضمة - حركة الإعراب - إلى الواو، فصارت «ذُو» ثم حُرِّكَتِ الذال بحركة الواو إتباعاً لها، فصارت «ذُو»، فتَوَثَّتْ على «ذات»، بعد قلب الواو ألفاً، بسبب انفتاحها وانفتاح ما قبلها، وتجمع «ذات» على «ذوات»، فإذا أُريدَ تثنيتها ففيها وجهان: إما إبقاؤها على ظاهر لفظها فتثنى على «ذاتان»، وإما ردها إلى أصلها بإعادة الواو أي: «ذواتان» وهو الأنصح، كما جاء في القرآن الكريم هنا وفي قوله تعالى في سورة «الرحمن»: «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ». أرجع إلى شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.

صادقين؟ ٣٠ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدُمُونَ﴾ عليه، وهو: يوم القيامة.

٣١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) من أهل مكة ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه، كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث، لإنكارهم له، قال تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ﴾ [أي: يتجادلون] ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

سُورَةُ النِّسَاءِ ٣٤

صَدِّقِينَ ﴿٣٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدُمُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ

٣٢ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾؟ لا، [أي: ما رددناكم نحن عن الهدى، ولا أكرهناكم على ضلال] ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ [مشركين ضالين، ومصرين] في أنفسكم [على ذلك].

٣٣ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾^(٢) للذين استكبروا بل ﴿صَدَدْنَا عَنْ الْإِيمَانِ﴾ مكر الليل والنهار. أي: مكر فيهما، منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿وَأَسْرَأُ﴾ أي: الفريقان ﴿النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه، مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

٣٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، إن المعنى الذي ذكره الجلال المحلي، في تفسيره، ليس محصوراً في أهل مكة زمن النبي ﷺ، بل هي عامة لأن الذين يرفضون الإيمان بالقرآن وغيره من الكتب السماوية، وسائر أركان الإيمان، ليسوا أقلية في أيامنا، كما أكثر الملحدين والمستهزئين الذين يزعمون أنهم يصلحون في الأرض، وهم يفسدون.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ الآية، في هذه الآية وما قبلها حوار صريح بين رؤساء الضلال الدعاة إليه، وأتباعهم الذين ضلوا معهم من غير تفكير ولا تعقل، ولقد ذكر الله تعالى هذا الحوار في مواضع من كتابه العزيز، لينبه الناس إلى وجوب التفكير قبل الاتباع، ويحذرهم من التقليد الأعمى والوقوع في شرك الغواية، لكي لا يندموا يوم لا ينفعهم الندم.

إن أخطر أسباب التبعية العمياء بين الناس، هو: تعلق التابع بشخص المتبوع، وجهه الشديد له على غير هدى ولا بصيرة، بحيث يرى كل أقوال متبوعه وجميع أفعاله هي الحق، وغيرها الباطل، وهذا التعلق بالأشخاص على هذا النحو، لا يجوز أن يكون إلا للنبي ﷺ، فهو وحده من البشر الذي يجب اتباعه في كل ما يأمر وينهى، ولا يصدر عنه إلا الحق، أما غيره من الحكام والملوك وأصحاب السلطة، فتجب طاعتهم إن أطاعوا الله تعالى، ويحرم اتباعهم إن هم خالفوا شرع الله عز وجل.

نذير إلا قال مترفوها ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

٣٥ ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ ممن آمن ﴿وما نحن بمُعذِّبين﴾ [لأن من أكرمنا في الدنيا، لا يعذبنا في الآخرة، على فرض وجودها].

٣٦ ﴿قل إن ربي ييسر الرزق﴾ يوسع ﴿لمن يشاء﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء، ابتلاء ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك.

٣٧ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرِّبكم﴾ عندنا زلفى ﴿قربى﴾، أي: تقريباً ﴿إلا﴾ لكن ﴿من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ أي: جزاء العمل [مضاعفاً]، الحسنة مثلاً بعشر [أمثالها] فأكثر ﴿وهم في الغرفات﴾ من الجنة ﴿آمنون﴾ من الموت وغيره [من المكاره]، وفي قراءة: «الغرفة» بمعنى الجمع، [مفردها: «الغرفة»، أي: العلبة].

٣٨ ﴿والذين يسمعون في آياتنا﴾ القرآن بالإبطال ﴿معجزين﴾ [أتباع النبي ﷺ، أي: ينسبونهم إلى العجز، ويشطونهم عن الإيمان، أو: معجزين] لنا، [أي: مقدرين عجزنا، وفي قراءة: «معاجزين» بالالف، أي: مسابقين لنا]، وأنهم يفوتوننا، [لظنهم أنه لا بعث ولا عقاب] ﴿اولئك في العذاب محضرون﴾.

٣٩ ﴿قل إن ربي ييسر الرزق﴾ يوسع ﴿لمن يشاء من عباده﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه ﴿له﴾ بعد البسط، أو: لمن يشاء ابتلاء ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ في الخير ﴿فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي: برزق الله، [فالله خالق الأرزاق، والعباد متسببون فيه].

٤٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم جميعاً﴾ أي: المشركين ﴿ثم نقول للملائكة

اهؤلاء إياكم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الأولى ياء^(١) وإسقاطها ﴿كانوا يعبدون﴾.

٤١ ﴿قالوا سبحانك﴾ تزيهاً لك عن الشريك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا.

(١) قوله: «وإبدال الأولى ياء»، هذا سبق قلم من المؤلف الجلال المحلي رحمه الله، والصواب: أنه لم يقرأ بإبدال الهمزة الأولى ياء أحد من القراء، فيبقى مما ذكره قراءتان هما: تحقيق الهمزتين، وإسقاط الهمزة الأولى، وهما قراءتان سبعيتان.

﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين أي: يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون فيما يقولون لهم.

٤٢ قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيباً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ [في الدنيا].

٤٣ ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ

يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ إن ﴿مَا﴾ هذا إلا سحر مبين^(١) بَيِّن.

٤٤ قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [أي: لم يقرؤوا بطلان ما جئت به في كتاب، ولا سمعوه من رسول بُعث إليهم] فمن أين كذبوك؟ [وما هو مستندهم في ذلك؟].

٤٥ ﴿وَكَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا﴾ أي: هؤلاء ﴿مَعْشَارٌ﴾^(٢) ما آتيناهم [أي: ما آتينا تلك الأمم]، من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي﴾ إليهم [فأهلكتهم] ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقع موقعه.

٤٦ ﴿قُلْ﴾ [لهم يا محمد:] ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ﴾ هي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أي: لأجله ﴿مُتَنِي﴾ أي: اثنين اثنين ﴿وَفَرَادًى﴾ واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ محمد ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ جنون، [فكيف تقولون إنه مجنون؟].

سُورَةُ النِّسَاءِ ٢٤

بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا
تُكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا
مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا
لِلَّهِ مَتْنًى وَفَرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ

المراد

٥٦٩

(١) قوله تعالى: ﴿إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠ حيث بيّنا معناه وحكمه.
(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَّغُوا مَا آتَيْنَاهُمْ﴾، الضمير في «بلغوا» يعود إلى أهل مكة كما قال الجلال المحلي هنا، أو: إلى تلك الأمم، أي: لم نوت السابقين ما آتيناكم يا أهل مكة من البيان والحجة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فليس أمة أعلم من أمته ﷺ ولا كتاب أبين من كتابه. أما «المعشائر» فهو و «العشيرة» سواء، فمعشائر الشيء: عشيرته، ولا يقال هذا في شيء من الأجزاء سوى العشرة. وقال أبو الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى عام ٥٦٠هـ: المعشائر هو عشر العشيرة، والعشيرة: هو عشيرة العشيرة، فيكون المعشائر: جزءاً من ألف جزء. قال القرطبي: وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في التقليل.

﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ﴾ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ ﴿أَي﴾: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

٤٧ ﴿قُلْ﴾ لَّهُمْ ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ ﴿مَنْ أَجْرُ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أَي: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا، [فَتَثْقُلَ عَلَيْكُمْ الْإِجَابَةُ بِسَبَبِهِ] ﴿إِنْ أَجْرِي﴾ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مَطْلَعٌ، يَعْلَمُ صَدَقَتِي.

٤٨ ﴿قُلْ﴾ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴿يَلْقِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ﴾ [أَي: يَبَيِّنُ الْحُجَّةَ وَيُظْهِرُهَا لَهُمْ] ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنِ خَلْقِهِ، فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

٤٩ ﴿قُلْ﴾ جَاءَ الْحَقُّ الْإِسْلَامُ ﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الْكُفْرَ ﴿وَمَا يَعِيدُ﴾ أَي: لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ.

الْحَقُّ وَالْغُيُوبُ

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ

بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ

الْبَاطِلُ وَمَا يَعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ

عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ

قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا

مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ

التَّنَٰوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ

وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ

وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ

كَانُوا فِي شَكٍّ مَرِيبٍ ﴿٥٤﴾

٥٠ ﴿قُلْ﴾ إِنْ ضَلَلْتُ عَنْ الْحَقِّ [كَمَا تَزْعُمُونَ] ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أَي: إِثْمٌ ضَلَالَتِي عَلَيْهَا ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ لِلدَّعَاءِ﴾ قَرِيبٌ [يَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ].

٥١ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عِنْدَ [الْمَوْتِ أَوْ] الْبَعْثِ، [وَجَوَابُ «لَوْ»:] لَرَأَيْتُ أَمْرًا عَظِيمًا ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ [فَلَا نَجَاةَ] لَهُمْ مِنْهُ، أَي: لَا يَفُوتُونَنَا ﴿وَآخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أَي: الْقُبُورِ.

٥٢ ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ [بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ بِالْبَعْثِ، أَوْ] بِمُحَمَّدٍ، أَوْ الْقُرْآنِ، [أَقْوَالٌ، كُلُّهَا صَحِيحَةٌ] ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَٰوُشُ﴾ بِالسَّوَادِ، وَبِالْهَمْزَةِ بَدَلَهَا [مَعَ الْمَدِّ، أَي: «التَّنَٰوُشُ»]، أَي: تَتَنَاوَلُ الْإِيمَانُ ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عَنْ مَحَلِّهِ إِذْ هُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَمَحَلُّهُ الدُّنْيَا، [وَقِيلَ: «التَّنَٰوُشُ» الرَّجْعَةُ أَي: يَطْلُبُونَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيُؤْمِنُوا، فَلَا يَجَابُونَ].

٥٣ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يَزْمُونُ ﴿بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾

أَي: بِمَا غَابَ عِلْمُهُ عَنْهُمْ غَيْبَةً بَعِيدَةً، [أَي: يَرْمُونَ بِالظَّنِّ]، حَيْثُ قَالُوا فِي النَّبِيِّ: سَاحِرٌ، شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، وَفِي الْقُرْآنِ: سَحَرٌ، شَعْرٌ، كَهَانَةٌ، [وَقَالُوا: لَا بَعْثَ وَلَا نَشُورَ، وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارًا].

٥٤ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ مِنَ الْإِيمَانِ، أَي: قَبُولِهِ، [لِيَنْجُوا مِنَ الْعَذَابِ] ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أَشْبَاهَهُمْ فِي الْكُفْرِ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلَهُمْ [مِنَ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ إِيمَانَهُمْ، لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَرِيبٍ﴾ مَوْقِعٌ فِي الرِّيبَةِ لَهُمْ، فِيمَا آمَنُوا بِهِ الْآنَ، وَلَمْ يَعْتَدُوا بِدَلَالَتِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿سُورَةُ فَاطِرٍ﴾

[وتسمى سورة «الملائكة»]

(مكية: وهي خمس، أو: ست وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ فَاطِرٍ ٣٥

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا جِبْرِيلُ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ
رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّنْثَى وَثُلُثٌ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ

٥٧١

١ ﴿الحمد لله﴾ حَمَدَ تَعَالَى نَفْسَهُ بِذَلِكَ، كَمَا
يُتَبَيَّنُ فِي أَوَّلِ سَبَأٍ ﴿١﴾ ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ خَالِقُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ ﴿جَاعِلِ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَثْنَى
وِثْلًاثٍ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ ﴿٢﴾ فِي الْمَلَائِكَةِ
وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَهُ
سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ]. ٢ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾
كَرَزَقٍ وَمَطَرٍ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ﴾ مِنْ
ذَلِكَ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَيُّ: بَعْدَ إِمْسَاكِه
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾
فِي فِعْلِهِ. ٣ ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ﴾ أَهْلُ مَكَّةَ [وغيرهم]
﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِإِسْكَانِكُمْ الْحَرَمَ،
وَمَنْعِ الْغَارَاتِ عَنْكُمْ ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ «مَنْ»
زَائِدَةٌ، وَ«خَالِقٍ» مُبْتَدَأٌ «غَيْرِ اللَّهِ» بِالرَّفْعِ
وَالْجَرِّ، نَعْتٌ لـ «خَالِقٍ» لَفْظًا وَمَحَلًّا، وَخَيْرُ
الْمُبْتَدَأِ: ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ وَ﴿وَمِنْ
الْأَرْضِ﴾ النَّبَاتُ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ،
أَيُّ: لَا خَالِقَ رَازِقٍ غَيْرِهِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى
تُؤْفَكُونَ﴾ مِنْ أَيْنَ تُصَرَّفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ، مَعَ
إِقْرَارِكُمْ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ؟ ٤ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾
يَا مُحَمَّدُ، فِي مَجِيئِكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْبَعْثِ
وَالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
قَبْلِكَ﴾ فِي ذَلِكَ، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا ﴿وَإِلَى اللَّهِ

- (١) قوله: «كما بين في أول سبأ»، حيث قال المؤلف الجلال المحلي هناك ص ٥٦٢: «والمراد به الشئاء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالى». اهـ. هذا وقد افتتحت أربع سور في القرآن الكريم بـ «الحمد لله» هي: «الأنعام» و «الكهف» و «سبأ» و «غافر».
- (٢) قوله تعالى: «يزيد في الخلق»، يزعم بعض الجهلة أن ثمة قراءة بالحاء المهملة، أي: «يزيد في الخلق»، يعنون بذلك الزيادة في حسن الصوت الصادر من الحنجرة، وهذا خطأ فاحش لا وجه له من الصواب، ولم يقرأ به أحد، والقصد منه تزيين الغناء المعروف في هذه الأيام للناس، واعتبار فعل هؤلاء المغنين والمغنيات نعمة من نعم الله والعياذ بالله تعالى، لأن الصوت المسخر في الغناء ينشر الفساد ويؤدي العباد.

ترجع الأمور في الآخرة، فيجازي المكذبين، وينصر المرسلين.

٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعْثِ وَغَيْرِهِ ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ﴾ فِي حُلْمِهِ وَإِمَالِهِ ﴿الْفُرُورُ﴾ [أَي: الشَّيْطَانُ] [بُوسَاوَسُهُ].

٦ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا﴾ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا تَطِيعُوهُ ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ أَتْبَاعَهُ فِي الْكُفْرِ ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النَّارِ الشَّدِيدَةِ.

الْحَقُّ الْقَائِمُ الْعَمَلُ

تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٦﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾ أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ

٧ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هَذَا بَيَانٌ: مَا لِمُوَافَقِي الشَّيْطَانِ [مِنْ الْعَذَابِ]، وَمَا لِمُخَالَفِيهِ [مِنْ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ].

٨ ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ بِالتَّمْوِيهِ ﴿فَرَآهُ﴾ [أَي: رَأَى عَمَلَهُ السَّيِّئَ] ﴿حَسَنًا﴾، «مَنْ» مُبْتَدَأٌ، خَبْرُهُ [مُحذوف تقديره]: كَمَنْ هَذَا اللَّهُ؟ لَا، دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى الْمَزِينِ لَهُمْ «حَسْرَاتٌ» بِاِغْتِمَامِكَ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ، [قَالَ الْكَسَائِيُّ: الْمَعْنَى «أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٌ» وَقَالَ النَّحَّاسُ: وَالَّذِي قَالَهُ الْكَسَائِيُّ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْآيَةِ، لِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُحْذُوفِ، وَالْمَعْنَى: أَنْ اللَّهَ تَعَالَى، نَهَى نَبِيَّهُ عَنْ شِدَّةِ الْاِغْتِمَامِ بِهِمْ وَالْحُزْنِ عَلَيْهِمْ].

٩ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: «الرِّيحَ» «فَتُثِيرُ سَحَابًا» الْمَضَارِعَ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ، أَيْ: تَزْعِجُهُ «فَسُقْنَاهُ» فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغَيْبَةِ «إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ» بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، لَا نَبَاتَ بِهَا «فَأَحْيَيْنَاهُ بِهَ الْأَرْضِ» مِنْ الْبَلَدِ «بَعْدَ مَوْتِهَا» يَسْهَأُ، أَيْ: أَتَبْنَا بِهِ الزَّرْعَ وَالْكَلاَّ «كَذَلِكَ النُّشُورُ» الْبَعْثُ وَالْإِحْيَاءُ.

١٠ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا تَنَالُ مِنْهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، فَلْيَطِيعْهُ [مَنْ أَرَادَهَا] «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» يَعْلَمُهُ، وَهُوَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَنَحْوَهَا «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» يَقْبَلُهُ «وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكْرَاتِ».

﴿السيئات﴾ بالنبي، في دار الندوة: من تقيده، أو: قتله، أو: إخراج، كما ذكر في «الأنفال»^(١) ﴿لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ يهلك.

١١ ﴿والله خلقكم من تراب﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثم من نطفة﴾ مني، بخلق ذريته منها ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع﴾ [حملها] ﴿إلا بعلمه﴾ حال، أي: معلومة له ﴿وما يعمر﴾ من معمر، أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿ولا ينقص من عمره﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر ﴿إلا في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ هين. ١٢ ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿سائغ شرابه﴾

شربه ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿ومن كل﴾ منهما ﴿تأكلون لحماً طرياً﴾ هو السمك ﴿وتستخرجون﴾ من [البحر] الملح [فقط]، وقيل: منهما ﴿حلية تلبسونها﴾ أي: تتحلون بلبسها، و[هي]: اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى﴾ تبصر ﴿الفلك﴾ السفن ﴿فيه﴾ في كل منهما ﴿مواخر﴾ تمخر الماء، أي: تشقه بجريها فيه، مقبلة ومدبرة، بريح واحدة ﴿لتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك.

١٣ ﴿يولج﴾ يدخل الله ﴿الليل في النهار﴾ فيزيد [الليل ويطول] ﴿ويولج النهار﴾ يدخله [في الليل] فيزيد [النهار ويطول] ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دونه﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿ما يملكون من قطمير﴾ [هو:] لفافة الثواة، [أي: الغشاء الرقيق الذي يلفها]. ١٤ ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا﴾ فرضاً ﴿ما استجابوا﴾

(١) قوله: ﴿كما ذكر في الأنفال﴾، أي: في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يخرجوك أو يقتلوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الآية ٣٠ منها.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾ - اختلفت أقوال العلماء في معنى التعمير والإنقاص في

هذه الآية، والقول الذي اختاره ابن جرير الطبري، وأيده ابن كثير، وعزاه القرطبي إلى الفراء هو: ﴿وما يعمر من معمر﴾ أي: ما يغطي بعض الثلث - عند نفخ الروح وكتب الأجل - من العمر الطويل، يعلمه الله تعالى وهو عنده في الكتاب الأول، أي: فيما سبق في علمه تعالى، ﴿ولا ينقص من عمره﴾ الضمير عائد على الجنس لا على العين - أي: لا على عين المعمر، بل على غيره - لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى، لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس، وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه» أي: ونصف ثوب آخر.

ومجمل المعنى: لا يكون العمر طويلاً لأناس وقصيراً لآخرين، إلا موافقاً لما سبق في علم الله عز وجل، أي: إن تفاوت أعمار الخلق ما بين: طويل، وأنقص، وقصير، هو تقدير الله تعالى، يأمر الملك بكتبه للجنين بعد نفخ الروح فيه، هذا أنسب الأقوال، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٠﴾ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١١﴾
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿١٢﴾ إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٥﴾
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا

لكم ﴿ ما أجابوكم ﴾ «يوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرؤون منكم، ومن عبادتكم إياهم ﴿ولا ينبتك﴾ بأحوال الدارين ﴿مثل خير﴾ عالم ﴿بها﴾، وهو الله تعالى، [أي: لا أحد أخير بخلق الله من الله تعالى].

١٥ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ بكل حال ﴿والله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه بهم.

١٦ ﴿إن يشأ﴾ [إذهابكم] ﴿يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ بذلك، [يكون أطوع منكم وأزكى]. ١٧ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ شديد، [أي: ممتنع عسير متعذر].

الْمَثَلَةُ الْغَنِيَّةُ

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْت بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٢﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

١٨ ﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازر﴾ أئمة، أي: لا تحمل ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى﴾ وإن تدع ﴿نفس مثقلة﴾ بالوزر ﴿إلى حملها﴾ منه، [أي: من الوزر]، أي: [وإن تدع] أحداً ليحمل بعضه ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان﴾ المدعو ﴿ذا قرى﴾ قرابة، كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين^(١)، حكم من الله ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي: يخافونه وما رأوه، [أو: يخشون الله تعالى إذا اختلوا، فلم يرهم أحد من الناس]، لأنهم المتشفعون بالإنذار ﴿واقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿ومن تزكى﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ فصلاحه مختص به ﴿والى الله المصير﴾ المرجع، فيجازي في الآخرة بالعمل. ١٩ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن، [والجاهل والعالم]. ٢٠ ﴿ولا الظلمات﴾ الكفر ﴿ولا النور﴾ الإيمان.

٢١ ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ الجنة والنار. ٢٢ ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ المؤمنون والكافرون وزيادة ﴿لا﴾ في الثلاثة تأكيد ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ هدايته، فيحييه بالإيمان ﴿وما أنت بسمع﴾^(٢) من في القبور، أي: الكفار، شبههم بالموتى فلا يجيئون، [لأن الكفر أمات قلوبهم، فلم يؤمنوا]. ٢٣ ﴿إن﴾ ما ﴿أنت إلا نذير﴾ منذر لهم. ٢٤ ﴿إنا أرسلناك

(١) قوله: «وعدم الحمل في الشقين»، أي: «الحمل القهري» المراد بقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، و«الحمل الاختياري» الذي هو تلبية الدعوة إليه، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لا يحمل منه شيء﴾، فالشقان لا يحصلان، لأن الله تعالى قضى بذلك، فلا تؤخذ نفس بجريرة نفس أخرى قهراً، ولا يحمل إنسان ذنب آخر اختياراً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما أنت بسمع من في القبور﴾، إن الأموات لا يسمعون كلام أهل الدنيا، إلا في مواضع مخصوصة ورد بيانها في الأحاديث النبوية، وقد بينا ذلك في تعليقنا على «سماح الموتى» ص ٥٣٧.

بالحق ﴿بالبشر﴾ من أجاب إليه ﴿بالجنة﴾ ونذيراً ﴿من لم يجب إليه﴾ [النار] ﴿وإن﴾ ما ﴿من أمة إلا خلا﴾ سلف ﴿فيها نذير﴾ نبي ينذرهما. ٢٥ ﴿وإن يكذبوك﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿وبالزبر﴾ كصحف إبراهيم ﴿وبالكتاب المنير﴾ هو: التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا، [وهذا قبل الأمر بالقتال]. ٢٦ ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ بتكذيبهم ﴿فكيف كان نكير﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقع موقعه. ٢٧ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله أنزل من السماء﴾ [أي: من السحاب] ﴿ماء فأخرجنا﴾ فيه الثفات عن الغيبة ﴿به ثمرات مختلفاً ألوانها﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها، [وهنا انتهى المعنى، ثم استأنف معنى

جديداً فقال تعالى: ﴿ومن الجبال جدد﴾ جمع «جُدَّة»: طريق في الجبل وغيره^(١) ﴿بيض وحمر﴾ وصفه ﴿مختلف ألوانها﴾ بالشدة والضعف ﴿وغرايب سود﴾ عطف على «جدد»، أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسود غريب، وقليلًا: غريب أسود^(٢).

٢٨ ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [الذين علموا أن الله على كل شيء قدير]، بخلاف الجهال، ككفار مكة [وأمثالهم] ﴿إن الله عزيز﴾ في ملكه ﴿غفور﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

٢٩ ﴿إن الذين يتلون﴾ يقرءون ﴿كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ زكاة وغيرها، [أي: أنفقوا كيفما تيسر لهم] ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ تهلك، [كما تبور تجارة الدنيا].

٣٠ ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿ويزيدهم من فضله إنه غفور﴾ لذنوبهم

(١) قول الجلال المحلي: «طريق في الجبل وغيره» غير واضح، وبيانه أن قوله تعالى: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخُطَّة في ظهر الحمار تخالف لونه، أي: إن صخور الجبال حُفظت وطرائق مختلفة الألوان، والمتأمل في الطبقات الصخرية

من الجبال التي شُقَّت بالطرق، يرى ما تعنيه هذه الآية من اختلاف ألوانها في الجبل الواحد، بل وفي الطبقة الواحدة، وفي ذلك آية وعبرة لأولي

الالباب.

(٢) قوله: «يقال كثيراً أسود غريب، وقليلًا غريب أسود». هذا بناء على أن توكيد الألوان لا يتقدم، فتقول «أحمر قاني»، ولا تقول «قاني أحمر»، لذلك مال المؤلف الجلال المحلي إلى اعتبار تقدم التوكيد في الآية قليلاً، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ومن الجبال سود غرايب، وقال الجوهري: إذا قلت: «غرايب سود» جعل «السود» بدلاً من «غرايب»، وقال الزمخشري في «الكشاف»: وجهه أن يُضَمَّرَ المؤكَّد قبله، ويكون الذي بعده تفسيراً لما أُضْمِرَ، أي: وسود غرايب سود - وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يُدْكَلُ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً. اهـ.

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلَّا نَعْلَمَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ

﴿شكور﴾ لطاعتهم. ٣١ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ القرآن ﴿هو الحق مصداقاً لما بين يديه﴾ تقدّمه من الكتب ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ عالم بالباطن والظاهر.

٣٢ ﴿ثم أورثنا﴾ أطينا ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ وهم أمّتك ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالتقصير في العمل به ﴿ومنهم مقتصد﴾ يعمل به في أغلب الأوقات ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ يضم إلى العمل به، التعليم والإرشاد إلى العمل به، ﴿ياذن الله﴾ بإرادته ﴿ذلك﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هو الفضل الكبير﴾.

الْمَثَلُ الثَّالِثُ الْعِزَّةُ

شُكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴿٣٣﴾ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴿٣٤﴾ يُؤْتِيهِمْ مِنْهُمُ مَقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴿٣٥﴾ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا ﴿٣٧﴾ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٤١﴾ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴿٤٣﴾ كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٤٤﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا

٣٣ ﴿جَنَاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يدخلونها﴾ أي: [الأصناف] الثلاثة [المذكورون]، بالبناء للفاعل والمفعول، [وجملة: «يدخلونها»]، خبرُ «جَنَاتِ» المبتدأ، [وجملة: «يدخلونها»] خبر ثان، [أي: يُزَيَّنُونَ بالحلي] فيها من ﴿زائدة، أو بمعنى:﴾ [بعض] أساور من ذهب ولؤلؤ ﴿١﴾ [بالجر]، مرصع به الذهب، [أو: أساور من كل منهما، وفي قراءة: ولؤلؤًا] بالنصب، عطفًا على موضع «من أساور»، والمعنى: يحلون فيها أساور ذهباً وأخرى لؤلؤاً، أو: أن الأساور من ذهب، وحلية أخرى من اللؤلؤ ﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

٣٤ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ جميعه ﴿إن ربنا لغفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للطاعة.

٣٥ ﴿الذي أهلكنا دار المقامة﴾ الإقامة ﴿من فضله لا يمسننا فيها نصب﴾ تعب ﴿ولا يمسننا فيها لغوب﴾ إعياء من التعب، لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني - [أي: «لغوب»] - التابع للأول، للتصريح بنفيه [أيضاً].

٣٦ ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم﴾ بالموت ﴿فيموتوا﴾ [أي:] يستريحوا [من العذاب به] ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفه عين ﴿كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نُجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ كافر،

بالياء [المضمومة، مع فتح الزاي، ورفع «كل»]، نائب فاعل لـ «نُجْزِي» [أي: والنون مفتوحة مع كسر الزاي، ونصب «كل»]، [أي: «نُجْزِي كُلَّ»]. ٣٧ ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿ربنا

(١) قوله تعالى: ﴿يدخلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ﴾. اللؤلؤ: هو ما يستخرج من جوف الصدف من البحر، ولقد جعل الله تعالى الذهب والحرير زينة لأهل الجنة وجزءاً من نعيمها، مكافأة للذين لم يتحلوا بالذهب ولم يلبسوا الحرير في الدنيا، لأن الذهب والحرير محرمان هنا على ذكور أمة محمد ﷺ، وكذلك يحرم على الرجال وعلى النساء استعمال أواني الذهب والفضة كالملاعق والصحون وغيرها، =

أخرجنا منها، [وأعزنا إلى الحياة الدنيا مرة أخرى] «نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» فيقال لهم: «أو لم نعمركم ما» وقتاً «يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير» الرسول؟ فما أجبتهم [ولا أمتهم] «فلذوقوا» [العذاب] «فما للظالمين» الكافرين «من نصير» يدفع العذاب عنهم.

٣٨ «إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور» بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى، [وذلك] بالنظر إلى حال الناس، [أما بالنسبة إليه تعالى، فالسر والإعلان سواء].

سُورَةُ طه ٢٥

أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَالِمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذُubُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

٣٩ «هو الذي جعلكم خلائف في الأرض» جمع «خليفة» أي: يخلف بعضكم بعضاً «فمن كفر منكم» فعلية كفرة «أي: وبال كفره» ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً «غضباً» ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً «للآخرة».

٤٠ «قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون» تعبدون «من دون الله» أي: غيره، وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى «أروني» أخبروني «ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك» شركة مع الله «في» خلق «السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة» حجة «منه» بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك [حاصل] «بل إن» ما «يعبد الظالمون» الكافرون «بعضهم بعضاً إلا غروراً» باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

٤١ «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا» أي: يمنعهما من الزوال، [فهو] تعالى: قيوم السماوات والأرض «ولئن» لام قسم «زالتا» زلتا «إن» ما «أمسكهما» يمسكهما «من أحد

= فقد روى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباغ وأن نجلس عليه».

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»، وروى مثله عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وروى أبو داود بإسناد حسن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ خريراً فجعله في يمينه، وذهب فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»، والحرير المحرم هو الحرير الذي تخرجه «دودة القز»، أما الحرير الصناعي الذي يصنعه الناس، فهو مباح وإن كان ناعماً.

من بعده» أي: سواء «إنه كان حليماً غفوراً» في تأخير عقاب الكفار. ٤٢ «وأقسموا» أي: كفار مكة «بأنه جهد إيمانهم» أي: غاية اجتهدهم فيها «لئن جاءهم نذير» رسول «ليكونن أهدى من إحدى الأمم» اليهود والنصارى وغيرهما، أي: [من] أي واحدة منهما، لما رأوا من تكذيب بعضهما لبعض، إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء «فلما جاءهم نذير» محمد ﷺ «ما زادهم» مجيئه «إلا نفوراً» تباعداً عن الهدى.

٤٣ «استكباراً في الأرض» عن الإيمان، «السيئ» من الشرك وغيره «ولا يحق» يحيط «المكر السيئ» إلا بأهله» وهو الماكر، ووصف «المكر» بالسيئ» أصل، [أي: جاء على الأصل، من استعمال الصفة تابعة للموصوف]، وإضافته إليه قبل، [أي: في قوله تعالى: «ومكر السيئ»]، استعمال آخر، [جاء على خلاف الأصل، حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف، لذلك] قدر فيه مضاف [إليه هو: «العمل»]، بعد «مكر»]، حذراً من الإضافة^(١) إلى الصفة «فهل ينظرون إلا سنة الأولين» سنة الله فيه من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم «فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً» أي: لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحول إلى غير مستحقه.

٤٤ «أو لم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة» فأملى عليهم الله بتكذيبهم رسلهم «وما كان الله ليعجزه» يسفه ويفوته «من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليمًا» بالأمور كلها «قديراً» عليها.

٤٥ «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي «ما ترك على ظهرها» أي: الأرض «من دابة» نَسَمَة [يفتح السين] تدب عليها «ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى» أي: يوم القيامة «فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادته بصيراً» فيجازيهم على أعمالهم، بإثابة المؤمنين، وعقاب الكافرين.

الْمَزَامِيرُ الْغَوِيَّةُ

مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤١ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ أَسْتَجَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ٤٣ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهِمْ دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ٤٥ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَانِ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ٤٥

(١) قوله: [حذراً من الإضافة إلى الصفة]، بيانه: أن تكون الصفة تابعة للموصوف في إعرابه، ولا تكون مضافة إليه، وقد جاءت الصفة - وهي كلمة «السيئ» في هذه الآية - مرة على الأصل، أي: تابعة للموصوف في قوله تعالى: «ولا يحق المكر السيئ»، وجاءت قبل ذلك في قوله تعالى: «ومكر السيئ» مضافة إلى الموصوف، وهذا استعمال على خلاف الأصل المذكور، فاحتج إلى تقدير مضاف إليه بعد «مكر» تقديره: مكر العمل السيئ» كما قدره الجلال المحلي رحمه الله.

﴿سُورَةُ الْبُرُجِ﴾

(مكية، إلا قوله: «وإذا قيل لهم أنفقوا» الآية، أو: مدينة^(١)، ثنتان، [أو: ثلاث] وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْبُرُجِ ٣٦

(٣٦) سُورَةُ الْبُرُجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ٥ لِنُذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ
غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاةً إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠

٥٧٩

١ ﴿يس﴾ الله أعلم بمراحه به^(٢). ٢ ﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكم، بعجيب النظم وبديع المعاني. ٣ ﴿إنك﴾ يا محمد ﴿لمن المرسلين﴾. ٤ ﴿على﴾ متعلق بما قبله ﴿صراط مستقيم﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك، [وهو]: التوحيد والهدى. والتأكيد بالقسم وغيره، رد لقول الكفار له: «لست مرسلًا». ٥ ﴿تنزيل العزيز﴾ في ملكه ﴿الرحيم﴾ يخلقه [أو: تنزيل، بالرفع]، خبر مبتدأ مقدر، أي: القرآن، [وفي قراءة بنصبه، مفعولاً مطلقاً، أو: مفعولاً لفعل محذوف تقديره: «أمدح»]. ٦ ﴿لننذر﴾ به ﴿قوماً﴾ متعلق به ﴿تنزيل﴾ ﴿ما أنذر آبائهم﴾ أي: لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فهم﴾ أي: القوم ﴿غافلون﴾ عن الإيمان والرشد. ٧ ﴿لقد حق القول﴾ وجب ﴿على أكثرهم﴾ بالعذاب ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي: الأكثر. ٨ ﴿إنا جعلنا في أعينهم﴾ [وفي أيديهم] ﴿أغشاة﴾ بأن نضّم إليها الأيدي، لأن «الغش» يجمع اليد إلى العنق ﴿فهي﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إلى الأذقان﴾ جمع «ذقن» [يفتحين]، وهي: مجتمع اللحيين، [مثلى «لحي»] ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤوسهم، لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد: أنهم لا يدعون للإيمان، ولا يخفضون رؤوسهم له. ٩ ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ في الموضعين ﴿فأغشيناهم﴾ فهم لا يبصرون ﴿تمثيل أيضاً لسد طرق الإيمان عليهم﴾. ١٠ ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ أي: لن ينفعهم إنذارك.

(١) قوله: «أو مدينة»، موجود في المخطوطات الثلاث، وإن صح ذلك فيكون الجلال المحلي قد تفرد بذلك، لأنها مكية بإجماع كما قال القرطبي، وفي عدد آياتها قولان: وخلافهم في موضع واحد هو «يس»، ففي العدد «الكوفي» المنسوب لأبي عبد الرحمن السلمي، هو آية، وعليه يكون العدد ثلاثاً وثمانين آية، أرجع إلى مقدمة هذا الكتاب. أما ما هو متداول من أحاديث في فضل سورة «يس» فلم يصح منها شيء كما قال القاضي أبو بكر ابن العربي، بل كلها أحاديث ضعيفة لذلك لم نذكر منها حديثاً.

(٢) قوله: «الله أعلم بمراحه به»، يفيد أن الجلال المحلي أخذ بقول من اعتبر «يس» من الحروف المتقطعة، وليس اسماً، وهو الصحيح، أرجع إلى تعليقنا ص ٣، وإلى أول سورة «طه» ص ٤٠٦، وإلى أسماؤه ص ٥٥٦.

١١ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره، [أو: حال غيبته عن أعين الناس] ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة. ١٢ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى﴾^(١) للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم، من خير وشر، ليجازوا عليه ﴿وَأَنَّا لَهُمْ﴾ ما استثنى به بعدهم [من خير، كعلم وصدقة جارية: أو شر كضلالة أحدثوها] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نُصِّبُهُ بفعل [مقدر] يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب يبين، هو اللوح المحفوظ. ١٣ ﴿وَاضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَابِ﴾ مفعول ثان ﴿الْقَرْيَةِ﴾ «أنطاكية» ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ - إلى آخره - بدل اشتغال من «أصحاب القرية» ﴿المرسلون﴾ أي: رسل عيسى^(٢).

الْمُرْسَلُونَ

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ﴾
﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى﴾
﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾
﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾
﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾
﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ﴾
﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا﴾
﴿تَكْذِبُونَ﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾
﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ﴾
﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُرِّيَّتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ آتِبِعُوا﴾

١٤ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾
- إلى آخره - ، بدل من «إذ» الأولى
- إلى آخره - «فَعَزَّزْنَا» بالتخفيف
والتشديد، قوينا الاثنين «بثالث» فقالوا إنا إليكم
مرسلون.
١٥ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ﴾
من شيء إن ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.
١٦ ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم، وزيد
التأكيد به وباللام، على ما قبله، لزيادة الإنكار
في: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾.
١٧ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البين
الظاهر، بالأدلة الواضحة، وهي: إبراء الأكمه
والأبرص والمريض، وإحياء الميت.
١٨ ﴿قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع
المطر عنا بسببكم ﴿لَئِنْ﴾ لام القسم ﴿لَمْ تَنْتَهُوا﴾
لنرجمنكم بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ﴾
أليم مؤلم.
١٩ ﴿قَالُوا طَائِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ بكفركم
﴿أَنْتُمْ﴾ همزة استفهام، دخلت على «إن»
الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل،
وإدخال ألف بينهما - بوجهيها - وبين الأخرى،
[وتركها] «ذُكِرْتُمْ» وعظمت وخوفتم؟، وجواب
الشرط محذوف، أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو
محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ﴾
مُسْرِفُونَ متجاوزون الحد بشرككم. ٢٠ ﴿وَجَاءَ﴾
من أقصى المدينة رجل ﴿يَسْعَى﴾ هو: حبيب النجار،

كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَى﴾ يشتد عذواً، لما سمع بتكذيب القوم الرسول ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا﴾

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى﴾ الآية، روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد - أي: مسجد رسول الله ﷺ - قال: بلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» - أي: الزموا دياركم - فقالوا: ما كان يسرنا أن كنا تحولنا. وأخرج الطبراني والترمذي والحاكم مثله.

(٢) قوله: «أي: رسل عيسى»، هذا قول بعض المفسرين، والصحيح، أنهم رسل من الله تعالى وهو ما يؤيده سياق الآيات، وبه أخذ ابن كثير.

الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ
مُتَّبِدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِي لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ
بُضْرًا لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾
إِنِّي إِذَا لَنِي ضَلَّلْتُ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ
فَأَسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قَبْلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ ﴿٢٧﴾
* وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِلَكًا قَبْلَهُمْ
مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا

المرسلين. ٢١ ﴿اتبعوا﴾ تأكيد للأول ﴿من لا يسألكم أجراً﴾ على رسالته ﴿وهم مهتدون﴾ قليل له: أنت على دينهم؟
٢٢ فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني؟﴾ خلقني، أي: لا مانع لي من عبادته، الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وإليه
ترجعون﴾ بعد الموت، فيجازيكم كغيركم. ٢٣ ﴿أتأخذ﴾ في الهمزتين منه، ما تقدم في: ﴿أنذرته﴾ [الآية ١٠]، وهو
استفهام بمعنى النفي، [أي: لن تأخذ] ﴿من دونه﴾ [أي: غيره] ﴿آلهة﴾ أصناماً؟ ﴿إن يردن الرحمن بضرًا لا تغن عني
شفاعتهم﴾ التي زعمتموها ﴿شيئاً ولا ينقذون﴾ [وجملة: ﴿إن يردن الرحمن الخ﴾، صفة ﴿آلهة﴾، [وقيل: مستأنفة، سيق
لتعليل النفي المذكور]. ٢٤ ﴿إني إذا﴾ إن عبت غير الله ﴿لفي ضلال مبين﴾ بين. ٢٥ ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ أي:

اسمعوا قولي، فرجموه فمات. ٢٦ ﴿قيل﴾ له عند
موته ﴿ادخل الجنة﴾ وقيل: دخلها حيّاً،
[والصحيح الأول] ﴿قال يا﴾ حرف تنبيه ﴿ليت
قومي يعلمون﴾. ٢٧ ﴿بما غفر لي ربي﴾ بغفرانه
﴿وجعلني من المكرمين﴾. ٢٨ ﴿وما﴾ نافية
﴿أنزلنا على قومه﴾ أي: حبيب ﴿من بعده﴾ بعد
موته ﴿من جند من السماء﴾ أي: ملائكة،
لإهلاكهم ﴿وما كنا منزلين﴾ ملائكة لإهلاك أحد
[منهم، بل أهلكهم الله بالصيحة، كما قال
تعالى: .] ٢٩ ﴿إن﴾ ما ﴿كانت﴾ عقوبتهم ﴿إلا﴾
صيحة واحدة ﴿صاح بهم جبريل﴾ فلإذا هم
خامدون ﴿ساكنون ميتون﴾. ٣٠ ﴿يا حسرة على
العباد﴾ هؤلاء ونحوهم، ممن كذب الرسل،
فأهلكوا، وهي: شدة التألم، ونداؤها مجاز،
أي: هذا أوانك فاحضري ﴿ما يأتيهم من رسول إلا﴾
كانوا به يستهزئون ﴿مسوق لبيان سببها﴾، [أي:
سبب الحسرة]، لاشتغالها على استهزائهم،
المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.
٣١ ﴿ألم يروا﴾ أهل مكة القائلون للنبي: «لست
مرسلاً»، والاستفهام للتقرير، أي: أعلموا ﴿كم﴾
خبرية بمعنى «كثيراً» معمولة لما بعدها، معلقة ما
قبلها عن العمل، [فليست معمولة لـ «يروا»، لأن
«كم» الخبرية، لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها
فيها] والمعنى: إنا ﴿أهلكنا قبلهم﴾ كثيراً ﴿من
القرون﴾ الأئمة ﴿أنهم﴾ أي: المهلكين ﴿إليهم﴾
إلى المكذبين ﴿لا يرجعون؟﴾ أفلا يعتبرون

بهم؟ و [جملة] «أنهم» . الخ، بدل [اشتغال] مما قبله، برعاية المعنى المذكور. ٣٢ ﴿وإن﴾ نافية [بمعنى «ما»]، أو:
مخففة ﴿كل﴾ أي: كل الخلائق، مبتدأ ﴿لما﴾ بالتشديد، بمعنى «إلا»، وبالتخفيف، فاللام فارقة^(١)، و «ما» مزيدة.

(١) قوله: «فاللام فارقة وما مزيدة»، بيان الإعراب والمعنى على القراءتين في قوله تعالى: ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ ما يلي:

من قرأ «لما» بالتشديد، جعل «لما» بمعنى «إلا»، وجعل «إن» بمعنى «ما»، وتقديره: «وما كل إلا جميع»، ومن قرأ «لما» بالتخفيف، جعل «إن»
مخففة من الثقيلة، وجعل «ما» زائدة، و «اللام» لام تأكيد لزمّت في خبرها فرقاً بين الخفيفة بمعنى «ما» والمخففة من الثقيلة، وتقديره: «وإن كل
لجميع»، وعلى كلا القراءتين: فـ «كل» مبتدأ، و «جميع» خبره.

﴿جميع﴾ خبر المبتدأ، أي: مجموعون ﴿لدينا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿محضرون﴾ للحساب، خبر ثان. ٣٣ ﴿وآية لهم﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿الأرض الميتة﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أحييناها﴾ بالماء، مبتدأ [مؤخر] ﴿وأخرجنا منها حيا﴾ كالحنطة ﴿فمنه يأكلون﴾. ٣٤ ﴿وجعلنا فيها جنات﴾ بسايتين ﴿من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ أي: بعضها، [أو: من] زائدة. ٣٥ ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ بفتحيتين وضميتين، أي: ثمر المذكور، من النخيل وغيره ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي: لم تعمل الثمر ﴿أفلا يشكرون﴾ أنعمه تعالى عليهم؟ ٣٦ ﴿سبحان الذي خلق الأزواج﴾ الأصناف ﴿كلها مما تثبت الأرض﴾ من الحبوب وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ من الذكور والإناث ﴿ومما لا يعلمون﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة. ٣٧ ﴿وآية لهم﴾

الجزء الثاني من القرآن

جميع "لدينا محضرون" ﴿وآية لهم﴾ الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه يأكلون ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴿سبحن الذي خلق الأزواج كلها مما تثبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون﴾ ﴿وآية لهم﴾ الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ ذلك تقدير العزيز العليم ﴿والقمر قدرناه﴾ من حيث سيره ﴿منارل﴾ ثمانية وعشرين منزلا، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين، إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة، إن كان تسعة وعشرين يوماً، حتى عاد، في آخر منازله، في رأي العين ﴿كالعرجون القديم﴾ كعود الساربخ، [جمع شمراخ]، وهو: عيدان عتقود النخيل الذي عليه الرطب أي: أصل العذق [إذا عتق، فإنه يرق ويتقوس ويصفر]. ٤٠ ﴿ولا الشمس ينبغي﴾ يسهل ويصح ﴿لها أن تدرك القمر﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وكل﴾ - تنويه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك﴾ مستدير ﴿يسبحون﴾ يسرون، نزلوا منزلة العقلاء. ٤١ ﴿وآية لهم﴾ على قدرتنا ﴿أنا حملنا فريتهم﴾ وفي قراءة: ذرياتهم، أي: أبناءهم الأصول ﴿في الفلك﴾ أي: سفينة نوح ﴿المشحون﴾ المملوء.

٤٢ ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ أي: مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله، من السفن الصغار والكبار، بتعليم الله تعالى.

(١) قوله: [أي: لا تتجاوزوه]، أشار المؤلف الجلال المحلي بذلك إلى أن المستقر هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة، حيث يبطل سبيلها وتسكن حركتها وتكرر الشمس وينتهي هذا العالم، أي: لا تزال تطلع وتغرب - بإذنه تعالى - حتى يوم القيامة، لا تتوقف ولا تنقطع، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾، روى البخاري ومسلم والترمذي - واللفظ للبخاري - عن أبي ذر رضي الله عنه =

﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه . ٤٣ ﴿وَأِنْ نَسَا نَفَرَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحٌ﴾ مغيب ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُذُونَ﴾ ينجون . ٤٤ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي : لا ينجيهم ، إلا رحمتنا لهم ، وتمتعنا بإياهم بلذاتهم ، إلى انقضاء آجالهم . ٤٥ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا ، كغيركم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ قوله تعالى : [٤٦ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ٤٧ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم ﴿أَنْطَعُمْ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعُمُ؟﴾ في معتقدهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك ، مع معتقدهم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين ، وللتصريح بكفرهم ، [في قوله : «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا»] ، موقع عظيم ، [هو التقييح عليهم والتشنيع بهم] .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢٦

مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ نَسَا نَفَرَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُذُونَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعُمْ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعُمُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا بُولَاقُ إِنَّا كُنَّا مِنْكُمْ قَبْلَ هَٰذَا

٤٨ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه . ٤٩ قال : تعالى ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي : نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد ، أصله «يختصمون» ، نُقلت حركة التاء إلى الخاء ، وأدغمت [التاء - بعد قلبها صادًا -] في الصاد ، [ثم كُسرَت الخاء] ، أي : وهم في غفلة عنها ، بتخاصم وتبايع ، وأكل وشرب ، وغير ذلك ، وفي قراءة : «يخصمون كـ يضربون» ، أي : يخصم بعضهم بعضاً ، [أي : يغلب في الخصومة] . ٥٠ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي : أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم ، بل يموتون فيها . ٥١ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو : قرن النفخة الثانية ، للبعث ، وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ، [جمع «جَدَث»] ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة . ٥٢ ﴿قَالُوا﴾ أي : الكفار منهم ﴿يَا بُولَاقُ﴾ للتشبيه ﴿وَلَنَا﴾ هلاكنا ، وهو : مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعدبوا ، [فقالوا مجيبين أنفسهم ، وقيل : أجابتهم الملائكة] : ﴿هَٰذَا﴾ أي : البعث

= أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس : «تندري أين

تذهب؟» قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : «فإنها تلعب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى : «والشمس تجري لمستقر لها .» وفي رواية مسلم : «تندرون متى ذلكم؟» ذلك حين لا يفتح نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، ثم لا غربة فيما جاء في الحديث من سجد الشمس تحت العرش واستئذائها ، فهو إشارة إلى استمرارها مسخرة بأمره تعالى لما خلقت له ، وهو المعبر عنه بالسجود والاستئذان كل يوم ، وإلى أن طلوعها من مغربها هو أحد الأشراف الكبرى ليوم القيامة ، الذي ينتهي فيه نظام هذا الكون ، وسجودها تحت العرش لا يقتضي خروجها عن مدارها ، كما توهم البعض ، لأن السماوات والأرض وما فيهما واقعة تحت العرش ، وهي جميعها بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة ، أرجع إلى تعليقنا ص ٥٣ .

(١) قوله : «وبين النفختين أربعون سنة» ، الأزلى عدم التحديد بل يقال : «أربعون» فقط ، لما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة =

﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أَقْرَأُوا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِقْرَارُ، وَقِيلَ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ. ٥٣ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً﴾ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا ﴿مُحْضَرُونَ﴾. ٥٤ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا﴾ جَزَاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ٥٥ ﴿إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ بِسُكُونِ الْغَيْنِ وَضَمِّهَا، عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ، مِمَّا يَتَلَذَّذُونَ بِهِ كَافْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ، لَا شُغْلٍ يَتَعَبُونَ فِيهِ، لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا نَصَبَ فِيهَا ﴿فَاكْهُونَ﴾ نَاعِمُونَ، خَيْرٌ نَانَ لـ ﴿إِنْ﴾، وَ [خَبَرَهَا] الْأَوَّلُ: ﴿فِي شُغْلٍ﴾. ٥٦ ﴿هُمْ﴾ مُبْتَدَأُ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ جَمْعُ «ظِلَّةٍ» أَوْ «ظِلٍّ» خَبَرٌ، أَي: لَا تُصِيبُهُمُ الشَّمْسُ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جَمْعُ «أَرِيكَةٍ»، وَهُوَ: السَّرِيرُ فِي الْحَجَلَةِ، أَوْ الْفُرْشُ فِيهَا، [أَي: فِي الْحَجَلَةِ، وَهِيَ: قُبَّةٌ تَعْلَقُ عَلَى السَّرِيرِ] «مُتَكِنُونَ» خَبَرٌ ثَانٍ، مُتَعَلِّقٌ «عَلَى [الْأَرَائِكِ]». ٥٧ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ﴾ يَتَمَنُّونَ. ٥٨ ﴿سَلَامٌ﴾ مُبْتَدَأُ ﴿قَوْلًا﴾ أَي: بِالْقَوْلِ، خَبَرُهُ: ﴿مَنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ بِهِمْ، أَي: يَقُولُ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. ٥٩ ﴿وَوَقَوْلًا يَقُولُ﴾ «امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ» أَي: انْفَرِدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، عِنْدَ اخْتِلَاطِهِمْ بِهِمْ. ٦٠ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ أَمْرُكُمْ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ عَلَى لِسَانِ رَسُولِي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لَا تَطِيعُوهُ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بَيْنُ الْعَدَاوَةِ؟. ٦١ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ وَحَدُونِي وَأَطِيعُونِي ﴿هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾؟. ٦٢ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا خَلْقًا﴾ جَمْعُ «جَبِيلٍ» كـ «قَدِيمٍ»، فِي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّ الْبَاءِ [وَالْجِيمِ] «كَثِيرًا أَفْلَمَ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ» عَدَاوَتُهُ وَإِضْلَالُهُ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَتُؤْمِنُونَ؟ (١).

٦٣ وَيُقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بِهَا. ٦٤ ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفتين أربعون» قال أصحاب أبي هريرة: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: آيئتُ، - أي: امتنعت عن القول بتعين ذلك، لأنه ليس عندي في ذلك توقيف - قالوا: أربعون سنة؟ قال: آيئتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: آيئتُ. وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة موقوفاً عليه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكْهُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٨﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٦٠﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٤﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ

وَأَمَّا التَّعْيِينَ بِأَنَّهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ شَاذٌ، وَأَخْرَجَ أَيْضاً مِنْ وَجْهِ ضَعِيفٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِثْلَهُ، هَذَا مَا قَالَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ، وَالتَّعْيِينَ بِأَنَّهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً وَهُوَ الشَّائِعُ أَخَذَ بِهَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَهُوَ ضَعِيفٌ. فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَذْكُورِ، شَهَادَةُ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَرْصِهِ عَلَى نَقْلِ مَا سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا تَقْصَانٍ، وَرَدَّ عَلَى الَّذِينَ حَاوَلُوا الطَّعْنَ فِيهِ حَسْداً مِنْهُمْ وَبَغْيًا، فَلَوْ كَانَ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مِنْ مُخْتَلَفِي الْأَحَادِيثِ كَمَا يَزْعُمُونَ، لَأَجَابَ أَصْحَابَهُ بِمَا يَشَاءُ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَعَزَّاهُ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ هَؤُلَاءَ لَمْ يَطْعَنُوا فِيهِ وَحْدَهُ، بَلْ طَعَنُوا فِي عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ كَرَامِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(١) قَوْلُهُ: «فَتُؤْمِنُونَ»، هُوَ هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَاتِ بِثَبُوتِ النَّوْنِ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى «تَعْقِلُونَ»، وَلَيْسَ مَنْصُوباً كَمَا فَهَمُ الْبَعْضُ.

تكفرون» ٦٥ ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ أي: الكفار، لقولهم: «والله ربنا ما كنا مشركين» ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ وغيرها ﴿بما كانوا يكسبون﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه، [وقد أنطقه الله الذي أنطق كل شيء].
 ٦٦ ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ لأعميناها طمساً ﴿فاستبقوا﴾ ابتدروا ﴿الصراط﴾ الطريق، ذاهبين [في حوائجهم] كعادتهم ﴿فأتى﴾ فكيف ﴿يبصرون﴾ حينئذ؟ أي: لا يبصرون، [وهذا المعنى اختاره الطبري] - ولكننا لم نفعل ذلك بهم، لينظروا في آياتنا، فيؤمنوا. ٦٧ ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ قردة وخنازير، أو: حجارة ﴿على مكائهم﴾ وفي قراءة: ﴿على مكائهم﴾، جمع «مكانة»، بمعنى: مكان، أي: في منازلهم ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.

٦٨ ﴿ومن نعلمه﴾ بإطالة أجله. ﴿ننكسه﴾ [بفتح النون الأولى وضم الكاف، من «نكس»]، وفي قراءة: بالتشديد، من «التنكيس»، [وهو: قلب الشيء على رأسه] ﴿ففي الخلق﴾ أي: [في] خلقه، فيكون بعد قوته وشبابه، ضعيفاً وهَرماً ﴿أفلا يعقلون﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم، قادرٌ على البعث، فيؤمنون؟ وفي قراءة: بالتاء.

٦٩ ﴿وما علمناه﴾ ^(١) أي: النبي ﴿الشعر﴾ رَدٌّ لقولهم: إنَّ ما أتى به من القرآن شعر ﴿وما ينبغي﴾ يسهل ﴿له﴾ الشعر ﴿إن هو﴾ ليس الذي أتى به ﴿إلا ذكر﴾ عظة ﴿وقرآن مبين﴾ مظهر للأحكام وغيرها. ٧٠ ﴿لينذر﴾ بالياء والتاء، به: ﴿من كان حياً﴾ يعقل ما يخاطب به، وهم: المؤمنون ﴿ويحق القول﴾ بالعذاب ﴿على الكافرين﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به. ٧١ ﴿أولم يروا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو للعطف ﴿أنا خلقنا لهم﴾ في جملة الناس ﴿مما عملت أيدينا﴾ [أي: مما] عملناه، بلا شريك ولا معين ﴿أنعاماً﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فهم لها مالكون؟﴾ ضابطون.

٧٢ ﴿وذللناها﴾ سخرناها ﴿لهم فمنا ركوبهم﴾ مركوبهم، [أي: ما يركبون عليه] ﴿ومنها يأكلون﴾ [أي: لحومها].

٧٣ ﴿ولهم فيها منافع﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ومشارب﴾ من لبنها، جمع «مشرب» بمعنى «شرب»، أو: موضعه، [وهي: «الضرع»] ﴿أفلا يشكرون﴾ المنعم عليهم بها، فيؤمنون؟ [والاستفهام للنفي] أي: ما فعلوا ذلك، [بل كفروا]. ٧٤ ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أصناماً يعبدونها ﴿لعلهم

(١) قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر...﴾، لم يُعرف عنه ﷺ أنه نظم شعراً أو قاله، لأن الله تعالى لم يسهل له ذلك ولم يعلمه إياه، ارجع إلى تعليقنا حول «الشعر» ص ٤٩٣.

ينصرون ﴿يمنعون من عذاب الله تعالى، بشفاعة آلهتهم، بزعمهم. ٧٥﴾ لا يستطيعون ﴿أي: آلهتهم، نُزلوا منزلة العقلاء﴾ نصبرهم وهم ﴿أي: آلهتهم من الأصنام﴾ لهم جند ﴿بزعمهم نصبرهم﴾ محضرون ﴿في النار معهم. ٧٦﴾ فلا يحزنك قولهم ﴿لك: لست مُرسلاً، وغير ذلك﴾ إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿من ذلك وغيره، فنجازيهم عليه. ٧٧﴾ أو لم ير الإنسان ﴿[أي: يعلم، وهو: العاصي بن وائل [وقيل: أبي بن خلف، وقيل: غيرهما]] أنا خلقناه من نطفة ﴿مني، إلى أن صيرناه شديداً قوياً﴾ فإذا هو خصيم ﴿شديد الخصومة لنا﴾ مبين ﴿بينها، في نفي البعث؟ ٧٨﴾ وضرب لنا مثلاً ﴿في ذلك﴾ ونسي خلقه ﴿من المني، وهو أغرب من مثله﴾ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴿

الْبُرْهَانُ الْإِلَهِيُّ

يُنصَرُونَ ﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٨﴾ وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٩﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ الْمَرْخَ وَالْعَفَّارَ، [وهما نوعان من الشجر، يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين، يقطران ماءً، فيحْكُ بعضهما إلى بعض، فتخرج منهما النار]، أو: [هو خطب كل شجر، فإنه كان أخضر ومن الماء، والماء ضد النار، فأخرج الله من الماء وقوداً للنار، قيل: [إِلَّا الْعُنَابُ] ﴿٨١﴾ نَاراً فَلِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوْقِدُونَ ﴿٨٢﴾ تَقْدَحُونَ [وتشعلون]، وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جَمَعَ فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفى النار، ولا النار تحرق الخشب. ٨١﴾ أوليس الذي خلق السماوات والأرض ﴿مع عظمهما﴾ بقادر على أن يخلق مثلهم ﴿أي: الأناسي في الصغر؟﴾ بلى ﴿أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه﴾ وهو الخلاق ﴿الكثير الخلق﴾ العليم ﴿بكل شيء، ٨٢﴾ إنما أمره ﴿شأنه﴾ إذا أراد شيئاً ﴿خلق شيء﴾ أن يقول له كن فيكون ﴿أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب، عطفاً على يقول. ٨٣﴾ فسبحان الذي بيده ملكوت ﴿

أي: بالية؟ ولم يقل: «رميمة»، بالتاء، لأنه اسم لا صفة، روي أنه أخذ عظماً رميمًا، ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا، بعد ما بلي ورّم؟ فقال ﷺ: «نعم ويدخلك النار»، [رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما]. ٧٩﴾ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴿مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه. ٨٠﴾ الذي جعل لكم في جملة الناس ﴿من الشجر الأخضر﴾ المرخ والعفار، [وهما نوعان من الشجر، يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين، يقطران ماءً، فيحْكُ بعضهما إلى بعض، فتخرج منهما النار]، أو: [هو خطب كل شجر، فإنه كان أخضر ومن الماء، والماء ضد النار، فأخرج الله من الماء وقوداً للنار، قيل: [إِلَّا الْعُنَابُ] ﴿٨١﴾ نَاراً فَلِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوْقِدُونَ ﴿٨٢﴾ تَقْدَحُونَ [وتشعلون]، وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جَمَعَ فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفى النار، ولا النار تحرق الخشب. ٨١﴾ أوليس الذي خلق السماوات والأرض ﴿مع عظمهما﴾ بقادر على أن يخلق مثلهم ﴿أي: الأناسي في الصغر؟﴾ بلى ﴿أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه﴾ وهو الخلاق ﴿الكثير الخلق﴾ العليم ﴿بكل شيء، ٨٢﴾ إنما أمره ﴿شأنه﴾ إذا أراد شيئاً ﴿خلق شيء﴾ أن يقول له كن فيكون ﴿أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب، عطفاً على يقول. ٨٣﴾ فسبحان الذي بيده ملكوت ﴿

شئٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

مُلكُك، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القدرة على كل شيء وإليه ترجعون ﴿تردون في الآخرة.

(١) قوله: «إِلَّا الْعُنَابُ»، لم يذكر الجلال المحلي ما يبين سبب هذا الاستثناء، ولكن الصاري في حاشيته علله بأن القصارين الذين يبيضون الثياب، يتخذون مطارقهم من «العُنَاب»، وهذا لا يصلح سبباً، ولم يذكر الخطيب القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» عند كلامه على «العُنَاب» شيئاً من ذلك، فالواقع المشاهد: أن «العُنَاب» يحترق ويوقد مثل غيره، وقد تبين لنا بالتجربة أن شجر «العُنَاب» أسرع احتراقاً من شجر «الرمان».

﴿سُورَةُ الصَّافَّاتِ﴾

(مكية: مائة واثنان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٣٧

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا ثِنْدَانٍ وَثَمَانُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ
ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ
الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ
أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

٥٨٧

١ ﴿والصافات صفا﴾ الملائكة، تصف نفوسها في العبادة، أو: أجنحتها في الهواء، تنتظر ما تؤمر به. ٢ ﴿فالزاجرات زجرا﴾ الملائكة، تزجر السحاب، أي: تسوقه.

٣ ﴿التاليات﴾ أي: جماعة قراء القرآن، تتلوه

﴿ذكرا﴾ مصدر من معنى «التاليات». ٤ ﴿إن

إلهكم﴾ يا أهل مكة [وغيرها] ﴿لواحد﴾.

٥ ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما ورب

المشرق﴾ أي: والمغرب للشمس، لها كل

يوم مشرق ومغرب. ٦ ﴿إنا زينا السماء الدنيا

بزينة الكواكب﴾ أي: بضوئها، أو: بها،

والإضافة للبيان، كقراءة تنوين «زينة»، الميئة

بـ «الكواكب». ٧ ﴿وحفظا﴾ منصوب بفعل مقدر،

أي: حفظناها بالشهب ﴿من كل﴾ متعلق بالمقدر،

[أي: بـ «حفظناها»] ﴿شيطان مارد﴾ عات خارج

عن الطاعة. ٨ ﴿لا يسمعون﴾ أي: الشياطين،

وسماعهم مستأنف في المعنى المحفوظ عنه،

[أي: وحفظناها من سماع كل شيطان] ﴿إلى الملأ

الأعلى﴾ الملائكة في السماء، وعُدِّي السماع

بـ «إلى»، لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة:

بتشديد الميم والسين ﴿ويقذفون﴾ أي: الشياطين

بالشهب ﴿من كل جانب﴾ من أفاق السماء.

٩ ﴿دحورا﴾ مصدر «دحرة»، أي: طرده

وأبعده، وهو مفعول له ﴿ولهم﴾ في الآخرة

﴿عذاب واصلب﴾ دائم. ١٠ ﴿إلا من خطف

الخطفة﴾ مصدر، أي: المرة، والاستثناء

من ضمير: «يسمعون»، أي: لا يسمع إلا

الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة،

فأخذها بسرعة ﴿فأتبعه شهاب﴾ [أي: قيس

من] كوكب^(١) مضيء ﴿ثاقب﴾ يثقبه، أو: يحرقه، أو: يخيله، [أي: يفسد عقله أو أعضائه]. ١١ ﴿فاستفتهم﴾

استخبر كفار مكة، تقريراً [لهم بخطئهم]، أو: توبيخاً ﴿أهم أشد خلقاً أم من خلقنا﴾ من الملائكة والسماوات

والأرضين وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ «من» تغليب العقلاء ﴿إنا خلقناهم﴾ أي: أصلهم آدم ﴿من طين

(١) قوله: «كوكب مضيء». بهذا فسر الجلال المحلي «الشهاب» هنا وفي سورة «الجن» ص ٧٧١. وهو مخالف لما قاله في سورة «الملك»

ص ٧٥٤: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقوس» وهذا هو الصحيح في معنى: «الشهاب»، فهو قيس من الكوكب كما صرنا في

التفسير، لا أنه الكوكب أو النجم ذاته.

تكونوا مؤمنين ﴿ وإنما يصدق الإضلال منا، أن لو كنتم مؤمنين، فرجعتم عن الإيمان إلينا. ٣٠ ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴿ قوة وقدرة، نهركم على متابعتنا ﴿ بل كنتم قومًا طاعين ﴿ ضالين مثلنا.

٣١ ﴿ فحق ﴿ وجب ﴿ علينا ﴿ جميعاً ﴿ قول ربنا ﴿ بالعذاب، أي: قوله: ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ إنا ﴿ جميعاً ﴿ لذائقون ﴿ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: ٣٢ ﴿ فأغويناكم ﴿ المعلى بقولهم ﴿ إنا كنا غاوين ﴿.

٣٣ قال تعالى: ﴿ فإنهم يومئذ ﴿ في القيامة ﴿ في العذاب مشتركون ﴿ لاشتراكهم في الغواية. ٣٤ ﴿ إنا كذلك ﴿ كما نفعل بهؤلاء ﴿ نفعل بالمجرمين ﴿ غير هؤلاء، أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

٣٥ ﴿ إنهم ﴿ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿ كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴿ [ولا يؤمنون].

٣٦ ﴿ ويقولون أننا ﴿ في همزته، ما تقدم [من القراءات، في الآية «١٦»] ﴿ لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴿ أي: لأجل قول محمد؟

٣٧ قال تعالى: ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴿ الجائين به، وهو: «أن لا إله إلا الله» [أي: الإيمان].

٣٨ ﴿ إنكم ﴿ فيه التفات ﴿ لذائقو العذاب الأليم ﴿.

٣٩ ﴿ وما تجزون إلا ﴿ جزاء ﴿ ما كنتم تعملون ﴿.

٤٠ ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴿ أي: المؤمنين، استثناء منقطع، [من الواو في «تجزون»].

٤١ [فقد]: ذكر جزاؤهم في قوله: ﴿ أولئك لهم ﴿ في الجنة ﴿ رزق معلوم ﴿ بكرة وعشيا.

٤٢ ﴿ فواكه ﴿ بدل، أو: بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذذاً، لالحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها، بخلق أجسامهم للأبد ﴿ وهم مكرمون ﴿ بثواب الله سبحانه وتعالى.

٤٣ ﴿ في جنات النعيم ﴿. ٤٤ ﴿ على سرر

متقابلين ﴿ لا يرى بعضهم قفا بعض. ٤٥ ﴿ يطاف عليهم ﴿ على كل منهم ﴿ بكأس ﴿ هو: الإناء بشرابه ﴿ من معين ﴿ من خمر^(١) يجري على وجه الأرض، كأنهار الماء. ٤٦ ﴿ بيضاء ﴿ أشد بياضاً من اللبن ﴿ لذة ﴿ لذية ﴿ للشبارين ﴿ بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب. ٤٧ ﴿ لا فيها غول ﴿ ما يغتال عقولهم

تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٢﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَائِقُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَجْنُونٍ ﴿٣٨﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾
إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٤٠﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٢﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤٣﴾ فَوَكَّهَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٤٤﴾ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٤٥﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٦﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٧﴾ بَيَاضًا لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٨﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

(١) قوله: «من خمر»، الخمر في الجنة صافية لا ضرر فيها ولا أذى، جعلها الله تعالى مكافأة لمن ترك شربها في الدنيا، أرجع إلى تعليفنا حول «تحريم خمر الدنيا» ص ١٥٥.

﴿ولا هم عنها يزفون﴾ بفتح الزاي وكسرهما، [مع ضم الياء فيهما، فالأولى] من: ﴿تُزَفُّ الشَّارِبُ﴾ [يُزَفُّ، إذا سَكِرَ]، و [الثانية من]: ﴿أُزِفَ [الرجل]، ذهب عقله بالشكر، أو: نَفَذَ شَرَابُهُ، أي: لا يسكرون بخلاف خمر الدنيا، [ففيها كل ذلك]. ٤٨﴾ وعندهم قاصرات الطرف ﴿حاسبات الأعين على أزواجهن، لا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم، لحسنهم عندهن﴾ عَيْنٌ ﴿ضخام الأعين حسانها. ٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ ﴿بَيضٌ﴾ للنعام ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور بريشه، لا يصل إليه غبار، ولونه - وهو: البياض في صفرة - أَحْسَنُ ألوان النساء. ٥٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عما مر بهم في الدنيا. ٥١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿١﴾ صاحب ينكر البعث.

الْحِجَابُ وَالْغَيْبُ

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ
عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْ ذَا مِثْنَا
وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَوَّالًا لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتَرُدِّينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُحْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ
خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾

٥٩٠

يقولونه. ٦٢﴾ أَذَلِكَ المذكور لهم ﴿خير نزلاً﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿أم شجرة الزَّقُّومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أخبث الشجر المر بتهامة، يُنبَتُهَا اللَّهُ فِي الْجَحِيمِ، كما سيأتي. ٦٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فتنة للظالمين﴾ أي: الكافرين من أهل مكة، إذ قالوا: النار تُحْرِقُ الشجر، فكيف تُنبَت؟ ٦٤﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

٦٥ ﴿طَلَعَهَا﴾ المشبه بطلع النخل، [أي: ثمره] ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات القبيحة المنظر، [أو: هذا التشبيه تبشيع لها وتكريه لذكرها، لأنه قد استقر في النفوس، أن الشياطين قبيحة المنظر]. ٦٦ ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يَكُونُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها، لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَثَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونُ﴾ [فيعطشون عطشاً شديداً، فيطلبون ماءً، فيُسْقَوْنَ الحميم، كما قال تعالى: «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» وهو المراد بقوله: ٦٧ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ [و«الشَّوْبُ»: الخَلْطُ] ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: من ماء حار، يشربونه، فيختلط بالمأكول منها، فيصير [الحميم] شوباً له، [أي: خليطاً للزقوم]. ٦٨ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم (١)، وأنه خارجها. ٦٩ ﴿إِنَّهُمْ

الْفَوَءَ﴾ وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾. ٧٠ ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ بِهَرَعُونَ﴾ يُزْعَجُونَ إلى آثابهم، [كانهم يحث بعضهم بعضاً]، فيسرعون إليه.

٧١ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية.

٧٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ من الرسل، مخوفين.

٧٣ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ الكافرين، أي: عاقبتهم العذاب.

٧٤ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [بكسر اللام أي: المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب، لإخلاصهم في العبادة، أو: لأن الله أخلصهم [واختارهم] لها، على قراءة فتح اللام.

٧٥ ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ بقوله: «رب إني مغلوب فانتصر» ﴿فَلَنَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن، أي: دعانا على قومه، فأهلكناهم بالغرق.

٧٦ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

٧٧ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو: أبو العرب وفارس والروم، و«حام»: أبو السودان، و«يافث»: أبو الترك والخزر [أي: التتار]، ويأجوج ومأجوج، وما هنالك.

٨٧ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأمم، إلى يوم القيامة.

٧٩ ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

٨٠ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ٨١ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.

طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا قَالِقُونَ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ الْفَوَءَ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ بِهَرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾

(١) قوله: «يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم إلخ»، يؤمهم أنهم يخرجون من النار وهذا غير مراد، لأن الله تعالى قال: «وما هم بخارجين من النار»، فما قصده الجلال المحلي هو: أن الجحيم والحميم هما في النار، وأن الكافرين يؤخذ بهم من هذه إلى هذه، يؤيده قوله تعالى: «يطوفون بينها وبين حميم آن» وذلك كله في النار، ولا يخفف عنهم أثناء تقلهم من عذابها من شيء، بل هم في عذاب مستمر دائم لا نهاية له. ارجع إلى تعليقنا حول «العذاب والنعيم» ص ٦٧٤.

٨٣ ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون^(١) سنة، وكان بينهما هود وصالح: ٨٤ ﴿إِذْ جَاءَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك وغيره. ٨٥ ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لَأُبَيِّهَ وَقَوْمَهُ﴾ موبخاً ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ؟﴾ ٨٦ ﴿أَتُنْفِكُنَّ﴾ في همزتيه ما تقدم [من القراءات في الآية ١٦] ﴿آلِهَةَ دُونِ اللَّهِ تَرِيدُونَ؟﴾ و ﴿إِنْفَكَا﴾ مفعول به، و ﴿آلِهَةً﴾ مفعول به لـ ﴿تَرِيدُونَ﴾، و ﴿الْإِفْكَ﴾: أسوأ الكذب، أي: أتعبدون غير الله؟ ٨٧ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذا عبدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم، زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: أخرج معنا.

الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ

٨٨ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها، ليعتمدوه [ويصدقوه فيما سيقول]. ٨٩ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ عليل، أي: سأسقم. ٩٠ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾. ٩١ ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ وهي: الأصنام، وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ فلم ينطقوا. ٩٢ فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟﴾ فلم تجب. ٩٣ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة، فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه. ٩٤ ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا: نحن نعبدوها وأنت تكسرها؟ ٩٥ ﴿قَالَ﴾ لهم موبخاً ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً. ٩٦ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، و ﴿مَا﴾ مصدرية، [أي وعملكم]، وقيل: موصولة، [أي: والذي تعملونه]، وقيل: [نكرة] موصوفة [أي: وشيئاً تعملونه]. ٩٧ ﴿قَالُوا﴾ بينهم ﴿ابْنُوا لَهُ بَنِينَ﴾ فاملأوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة. ٩٨ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقاءه في النار، لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين، فخرج من النار سالماً. ٩٩ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني بالمصير إليه، وهو الشام.

* وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَتُنْفِكُنَّ آلِهَةَ دُونِ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ ﴿٩١﴾ فَرَاغَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بَنِينَ ﴿٩٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴿٩٩﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٠٠﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠١﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

١٠٠ فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولداً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. ١٠١ ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حلم كثير، [هو إسماعيل].

١٠٢ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ

(١) قوله: «ألفان وستمائة وأربعون سنة»، وقيل: غير ذلك، ولا دليل على قول منها، فالصواب عدم التحديد لقوله تعالى: «وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً»، فبين هؤلاء قرون كثيرة غير محددة كما قال الله تعالى في هذه الآية، فكيف نحدد؟

يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى^{٢٧}
 قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٢٩﴾ وَنَدَيْنَاهُ
 أَنْ يَلْبِسْ بِرَاهِيمَ ﴿٣٠﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٣٢﴾
 وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٤﴾
 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٣٥﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿٣٨﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
 مُوسَى وَهَارُونُ ﴿٣٩﴾ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مِيقٌ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾
 وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٣﴾

يا بني إني أرى: أي: رأيت ﴿في المنام أني أذبحك﴾ ورؤيا الأنبياء حق، [روى البخاري عن عائشة قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا، إلّا جاءت مِثْلَ فَلَقٍ الصبح»]، وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قال يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة [في «أبي»] ﴿افعل ما تؤمر﴾ به ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على ذلك. ١٠٣ ﴿فلما أسلما﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وتله للجبين﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان، بينهما الجبهة، وكان ذلك بمنى، وأمر السكين على حلقه، فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهية. ١٠٤ ﴿ونادينا أن يا إبراهيم﴾. ١٠٥ ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ بما

أتيت به، مما أمكنك من أمر الذبح، [الذي رأيته في منامك، فقد رأى في المنام أنه يذبحه، أي: يقوم بعمل الذبح، ولم ير أنه قد ذبحه بالفعل، لذلك خوطب به: «قد صدقت الرؤيا»] أي: يكفيك ذلك، فجملة: «نادينا»، جواب «لَمَّا» بزيادة الواو ﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناك ﴿نجزي المحسنين﴾ لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. ١٠٦ ﴿إن هذا﴾ الذبح المأمور به ﴿لهو البلاء المبين﴾ أي: الاختبار الظاهر. ١٠٧ ﴿وفدينا﴾ أي: المأمور بذبحه، وهو: «إسماعيل» [على الصحيح]، أو: «إسحاق»، قولان^(١) ﴿بذبح﴾ بكبش عظيم ﴿قيل:﴾ من الجنة، و[قيل:] هو الذي قرب «هايل» [وهذا قول غريب جداً، والصحيح: أنه كبش من الكباش المعروفة]، جاء به جبريل عليه السلام، فذبحه السيد «إبراهيم» مكبراً. ١٠٨ ﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليه في الآخرين﴾ ثناء حسناً. ١٠٩ ﴿سلام﴾ منا ﴿على إبراهيم﴾. ١١٠ ﴿كذلك﴾ كما جزينا «نجزي المحسنين» لأنفسهم. ١١١ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾. ١١٢ ﴿وبشرناه بإسحاق﴾ استدلال بذلك على أن الذبيح غيره «نبياً» حال مقدرة، أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿من الصالحين﴾. ١١٣ ﴿وباركنا عليه﴾ بتكثير ذريته ﴿وعلى

إسحاق﴾ ولده، بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ مؤمن ﴿وظالم لنفسه﴾ كافر ﴿مبين﴾ بين الكفر. ١١٤ ﴿ولقد مَنَّا على موسى وهارون﴾ بالنبوة. ١١٥ ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ بني إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ أي: استعباد فرعون إياهم. ١١٦ ﴿ونصرناهم﴾ على القبط ﴿فكانوا هم الغالبين﴾. ١١٧ ﴿وآتيناهما

(١) قوله: «هو إسماعيل أو إسحاق قولان»، الواضح من قوله تعالى: ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ أن إسماعيل والدته «هاجر» هو الولد الأكبر لإبراهيم، وهو «الغلام الحليم» الذي بشره الله به، كما في الآية ١٠٠ وما بعدهما، وهو الذبيح على =

الكتاب المستبين» البليغ البيان، فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيره، وهو: التوراة. ١١٨ ﴿وهديناهما الصراط﴾ الطريق ﴿المستقيم﴾. ١١٩ ﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليهما في الآخرين﴾ ثناء حسناً. ١٢٠ ﴿سلام﴾ منا ﴿على موسى وهارون﴾. ١٢١ ﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناها ﴿نجزى المحسنين﴾. ١٢٢ ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾. ١٢٣ ﴿وإن إلياس﴾ بالهمز أوله، وتركه ﴿لمن المرسلين﴾ قيل: هو ابن^(١) هارون أخي موسى، وقيل غيره، أرسل إلى قوم به «بعليك»^(٢) ونواحيها. ١٢٤ ﴿إذ﴾ منصوب به «اذكر» مقدراً ﴿قال لقومه ألا تتقون﴾ الله؟ ١٢٥ ﴿أتدعون بعلاً﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً، مضافاً إلى «بك»، أي: أتعبدونه ﴿وتذرون﴾ تركون ﴿أحسن الخالقين﴾ [أَتَقْنِ الْمُقَدَّرِينَ، «الذي أحسن كل شيء خلقه»]

الْبُرْءُ الْقَائِلُ بِالْغَيْبِ

الْكِتَابُ الْمُسْتَبِينُ ١١٧ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ١١٩ سَلَّمَ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢١
إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٢٢ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمَنْ
الْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدْعُونَ
بِعَلًّا ١٢٥ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٢٦ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ١٢٧ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٨
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٢٩ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٣٠
سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ١٣١ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ١٣٢ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٣٣ وَإِنَّ
لَوْطًا لَمَنْ الْمُرْسَلِينَ ١٣٤ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٣٥
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ١٣٦ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ١٣٧

فلا تعبدونه؟ ١٢٦ ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ برفع [الأسماء] الثلاثة، على إضمار «هو»، وينصبها على البدل من: «أحسن». ١٢٧ ﴿فكذبوه﴾ فإنهم لمحضرون في النار. ١٢٨ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ [بكسر اللام] أي: المؤمنين، [فإنهم نجوا لإخلاصهم لله في العبادة، وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين، لأن الله أخلصهم واختارهم لعبادته]، فإنهم نجوا منها. ١٢٩ ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ثناء حسناً. ١٣٠ ﴿سلام﴾ منا ﴿على آل ياسين﴾ هو «إلياس» المتقدم ذكره، وقيل: هو ومن آمن معه، فجتمعوا معه تغليبا، كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: «آل ياسين» بالمد، أي: أهله، المراد به إلياس أيضاً. ١٣١ ﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناها ﴿نجزى المحسنين﴾. ١٣٢ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾. ١٣٣ ﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾. ١٣٤ اذكر ﴿إذ نجينا وأهله أجمعين﴾. ١٣٥ ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ أي: الباقيين في العذاب، [هي امرأته، هلكت مع الهالكين]. ١٣٦ ﴿ثم دمرنا﴾ أهلكنا ﴿الآخرين﴾ كفار قومه.

الصحيح، يدل على ذلك قوله تعالى بعد أربع آيات من ذكر الذبيح والفداء: ﴿وبشرناه بإسحاق﴾، فلم يكن إسحاق عند الذبيح موجوداً، وعندما بشر الله إبراهيم بإسحاق بشره بعده بيعقوب، قال تعالى في سورة

«هود»: ﴿وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ أي: ابن إسحاق، ورد ابن كثير على القائلين بأن الذبيح هو إسحاق: بأن ذلك ليس في

كتاب ولا سنة، وأنه منقول عن أخبار أهل الكتاب. (١) قوله: «هو ابن هارون»، أي: من ذريته، وفي «المخطوطتين: الأولى والثالثة»، والنسخ المطبوعة: «هو ابن أخي هارون الخ» وهذا سهو صوابه ما أثبتناه أخذاً عن «المخطوطة الثانية» وقد تقدّم مثله ص ١٧٦.

(٢) قوله: «بعليك»، هي: مدينة عامرة، تقع في سهل «البقاع» من «لبنان» في بلاد الشام، أكثر أهلها من المسلمين، فيها قلعة مشهورة من الآثار الرومانية العجيبة، وفيها أيضاً آثار إسلامية كثيرة، واسم «بعليك» مركب تركيباً مزجياً من «بعل» الذي هو اسم صنمهم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أتدعون بعلاً﴾ ومن «بك» وتعني: اسم رجل كان ملكاً فيها.

وَإِن كَرَّمْتُمُوهُمْ عَلَيْهِمْ مَّصْبِحِينَ ۖ وَبِالْأَيْلِ أَفْلًا
تَعْقِلُونَ ۚ وَإِنْ يُؤْسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ أَبَقَ إِلَى
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۚ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۚ
فَالْتَقَمَهُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۚ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ۚ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ
* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۚ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ۚ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۚ
فَعَامَنُوا فَتَعَنَّا لَهُمْ إِلَى حِينٍ ۚ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۚ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۚ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۚ
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ أَمْ لَكُمْ

٥٩٥

١٣٧ ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ أي: وقت الصباح، يعني: بالنهار.
١٣٨ ﴿و﴾ [تمرون عليهم] ﴿بالليل أفلا تعقلون﴾ يا أهل مكة، ما حل بهم، فتعتبرون به؟. ١٣٩ ﴿وإن يؤنس لمن
المرسلين﴾. ١٤٠ ﴿إذ أبق﴾ هرب ﴿إلى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة، حين غاضب قومه، لما لم يتزل بهم
العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة، فوقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده، تظهره القرعة.
١٤١ ﴿فساهم﴾ قارع أهل السفينة ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين، فآلقوه في البحر. ١٤٢ ﴿فالتقمه الحوت﴾ ابتلعه
﴿وهو ملیم﴾، أي: أت بما يلام عليه، من ذهابه إلى البحر، وركوبه السفينة، بلا إذن من ربه. ١٤٣ ﴿فلولا أنه كان من

المسبحين﴾ الذاكرين، بقوله كثيراً في بطن
الحوت: ﴿لا إله إلا أنت، سبحانه﴾ إني كنت من
الظالمين. ١٤٤ ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾
لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.
١٤٥ ﴿فنبذناه﴾ ألقيناه من بطن الحوت
﴿بالعراء﴾ بوجه الأرض، أي: بالساحل، من
يومه^(١)، أو: بعد ثلاثة، أو: سبعة أيام، أو:
عشرين، أو: أربعين يوماً ﴿وهو سقيم﴾ عليل
كالفرخ الممّيط، أبضم الميم الأولى، وفتح الثانية
مشددة، أي: المتتوف الشعر. ١٤٦ ﴿وأنبتنا
عليه شجرة من يقطين﴾ وهو: القرع، تظله بساق،
على خلاف العادة في القرع، معجزة له، وكانت
تأتيه وعلّة صباحاً ومساءً، يشرب من لبنها حتى
قوي. ١٤٧ ﴿وأرسلناه﴾ بعد ذلك، كقبله، [أي:
كما كان رسولاً] إلى قومه بـ «نبيو»، من
أرض^(٢) «الموصل» إلى مائة ألف أو بل
﴿يزيدون﴾ عشرين، أو: ثلاثين، أو: سبعين
ألفاً. ١٤٨ ﴿فآمنوا﴾ عند معاينة العذاب،
الموعودين به ﴿ففتعنهم﴾ أبقيناهم ممتعين
بمالهم ﴿إلى حين﴾ تنقضي آجالهم فيه.
١٤٩ ﴿فاستفتهم﴾ استخر كفار مكة، توبيخاً لهم
﴿ألربك البنات﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله
﴿ولهم البنون﴾ فيختصون بالأسنى؟. ١٥٠ ﴿أم
خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ خلقنا
فيقولون ذلك؟. ١٥١ ﴿ألا إنهم من إفكهم﴾
كذبهم ﴿ليقولون﴾: ١٥٢ ﴿ولد الله﴾ بقولهم:

الملائكة بنات الله ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيه. ١٥٣ ﴿أصطفى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل
فحذفت، أي: أختار ﴿البنات على البنين﴾؟. ١٥٤ ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد؟. ١٥٥ ﴿أفلا
تذكرون﴾ بإدغام التاء [الثانية] في الذال: أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الولد، [وفي قراءة بتخفيف الذال]. ١٥٦ ﴿أم لكم

(١) كل ما يمكن قوله: أن مدة لبثه في بطن الحوت لم تكن طويلة، وهو ما يفيد العطف بالفاء في الآيات، أما التحديد بيوم أو أكثر أو أقل فلا دليل عليه.

(٢) وقيل: أرسل إليهم بعد ذلك، وقيل: أرسل إلى أمة أخرى.

سلطان مبين ﴿حجة واضحة أن الله ولدا﴾ ١٥٧ ﴿فأتوا بكتابكم﴾ التوراة^(١)، فأروني ذلك فيه ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم ذلك. ١٥٨ ﴿وجعلوا﴾ أي: المشركون ﴿بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة﴾ أي: الملائكة، [وسئوا «جنة»]، لاجتنانهم، [أي: استتارهم] عن الأبصار ﴿نسباً﴾ بقولهم: إنها بنات الله، [أو: لأن كفار قريش كانوا يقولون: إن الجنة صنف من الملائكة] ﴿ولقد علمت الجنة إنهم﴾ أي: قائل ذلك ﴿لمحضرون﴾ النار، يعذبون فيها. ١٥٩ ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له ﴿عما يصفون﴾ بأن الله ولداً. ١٦٠ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾^(٢) أي: المؤمنين استثناء منقطع، أي: فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء. ١٦١ ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ من الأصنام. ١٦٢ ﴿ما أنتم عليه﴾ أي: على معبودكم، و«عليه» متعلق بقوله: ﴿بفانتين﴾

أي: [بمضلين] أحداً. ١٦٣ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [أي: من سبق] في علم الله تعالى، [أنه يدخلها]. ١٦٤ قال جبريل للنبي ﷺ: ﴿وما منا﴾ معشر الملائكة أحد ﴿إلا له مقام معلوم﴾ في السماوات، يعبد الله فيه لا يتجاوزه. ١٦٥ ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ أقدامنا في الصلاة. ١٦٦ ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المتزهدون الله عما لا يليق به. ١٦٧ ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: وإنه ﴿كانوا﴾ أي كفار مكة ﴿ليقولون﴾ [قبل بعثة النبي ﷺ]: ١٦٨ ﴿لو أن عندنا ذكراً كتاباً﴾ من الأولين﴾ أي: من كتب الأمم الماضية. ١٦٩ ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾ العبادة له، [بكسر اللام، وفي قراءة بفتحها: أي: الذين اختارهم الله لعبادته]. ١٧٠ قال تعالى: ﴿فكفروا به﴾ بالكتاب الذي جاءهم، وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم. ١٧١ ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ بالنصر ﴿لعبادنا المرسلين﴾ وهي «لأغلبن أنا ورسلي». ١٧٢ أو: هي قوله: ﴿إنهم لهم المنصورون﴾. ١٧٣ ﴿وإن جندنا﴾ أي المؤمنين ﴿لهم الغالبون﴾ الكفار، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. ١٧٤ ﴿فتول عنهم﴾ أعرض عن كفار مكة ﴿حتى حين﴾ تؤمر فيه بقتالهم. ١٧٥ ﴿وأبصرهم﴾ إذا نزل بهم العذاب [بالقتل والأسر] ﴿فسوف يبصرون﴾ عاقبة كفرهم.

الْحُجَّةُ الْوَحِيدَةُ

سُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٨﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾

(١) قوله: «التوراة»، الصواب إسقاطه، لأن الخطاب للمشركين من العرب كما قال المحلي في تفسير الآية (١٤٩)، والتوراة ليست لهم، ويكون المعنى: فأتوا بكتاب يؤيد قولكم، إن كان عندكم حجة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾، في: «المخلصين» أينما جاءت في القرآن الكريم قراءتان سبعيتان هما: بكسر اللام أي: الذين أخلصوا العبادة لله وحده، وبفتحها: أي: الذين أخلصهم الله تعالى واختارهم لعبادته أي: خصهم بذلك فضلاً منه تعالى وتشريفاً لهم.

١٧٦ فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿أَفِعْذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾.

١٧٧ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر، [أي: المنذرين]، مقام المضمّر، [أي: صباحهم].

١٧٨ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. ١٧٩ ﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم. ١٨٠ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولداً [وشريكاً].

١٨١ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

﴿سُورَةُ الْحَجِّ﴾

(مكة، ست، أو: ثمان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ص﴾ الله أعلم بمراده به^(٢) ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي البيان، أو: الشرف، وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

٢ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة [وغيرهم] ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ﴿كَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوْا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «نَادَوْا»، أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة. ٤ ﴿وَعَجَبُوا أَن﴾

جاءهم منذر منهم ﴿رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

سُورَةُ الْحَجِّ ٣٨

أَفِعْذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(٣٨) سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجَبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

٥٩٧

(١) قوله: «قال الفراء»: هو أبو زكريا: يحيى بن زياد الفراء، الكوفي اللغوي المعروف، المتوفى عام تسعة ومائتين، لقب بالفراء لأنه كان يفرى الكلام، يقال: «فراء» أي: قطعه على جهة الإصلاح، أي: كان حجة في إصلاح لغة العرب، أما غير أبي زكريا ممن لُقّب بالفراء فنسبة إلى خياطة الفراء - «فروة» - أو بيعها.

(٢) قوله: «الله أعلم بمراده به»، هذا هو القول الصحيح في هذه الحروف، ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣.

﴿وقال الكافرون﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمرة ﴿هذا ساحر كذاب﴾ [في دعواه النبوة]. ٥ ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟﴾ حين قال لهم: قولوا ﴿لا إله إلا الله﴾، أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أي: عجيب. ٦ ﴿وانطلق الملائكة منهم﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب، وسماعهم فيه من النبي ﷺ: ﴿قولوا: لا إله إلا الله﴾^(١) ﴿أن امشوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿واصبروا على آلهتكم﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إن هذا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لشيء يراد﴾ منا، [أو: إنه لأمر يراد بنا، فاحذروا أن تطيعوه]. ٧ ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ أي: ملة عيسى ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلا اختلاق﴾ كذب. ٨ ﴿أنزل﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال

الْحَزْبُ الْاَوَّلُ

وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۖ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۖ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِثٌ ۖ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ۖ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۖ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۖ أَمْ هُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۖ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۖ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۖ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ۖ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۖ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ ۖ حَقَّ عِقَابِ ۖ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا

الف بينهما على الوجهين، وتركه ﴿عليه﴾ على محمد ﴿الذكر﴾ القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي: لِمَ يُنَزَّلُ عليه؟ قال تعالى: ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ وحيي، أي: القرآن، حيث كذبوا الجاني به ﴿بل لما﴾ لم ﴿يذوقوا عذاب﴾ ولو ذاقوه، لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حيثئذ. ٩ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز﴾ الغالب ﴿الوهاب﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ ١٠ ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما؟﴾ إن زعموا ذلك ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاؤوا، و﴿أم﴾ في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. ١١ ﴿جند ما﴾ أي: هم جند حقير ﴿هنالك﴾ أي: في تكذيبهم لك ﴿مهزوم﴾ صفة ﴿جند﴾ من الأحزاب ﴿جند﴾ أيضاً، أي: كالأجناد، من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهرروا وأهلكوا، فكذلك نهلك هؤلاء.

١٢ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ [جمع «وتد»،] كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد، يشد إليها يديه، ورجليه ويعذبه. ١٣ ﴿وتمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي: الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أولئك الأحزاب﴾.

١٤ ﴿إن﴾ ما ﴿كل﴾ من الأحزاب ﴿إلا كذب الرسل﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم، فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة، وهي: دعوة التوحيد ﴿فحق﴾ وجب ﴿عقاب﴾. ١٥ ﴿وما ينظر﴾ ينتظر ﴿هؤلاء﴾ كفار مكة ﴿إلا

(١) قوله ﷺ: ﴿قولوا لا إله إلا الله﴾، رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وذلك أن قريشاً شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: «أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية» قال: كلمة واحدة؟ قال: «كلمة واحدة». فقال: «يا عم قولوا: لا إله إلا الله»، فقالوا: إلهاً واحداً؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. فنزلت الآيات.

صبيحة واحدة هي: نفخة القيامة، تُحلُّ بهم العذاب ﴿ما لها من فوق﴾ بفتح الفاء وضمها، [أي: رجوع] [أو توقف].
 ١٦ ﴿وقالوا﴾ لما نزل: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ إلخ ﴿ربنا عجل لنا قطنًا﴾ [من «قَطَّ الشيء» إذا قطعه، ومعروف في اللغة أن يقال للنصيب: «قَطٌّ»، وللكتاب المكتوب بالجائزة: «قَطٌّ»]، أي: [نصيبنا، أو: كتاب أعمالنا ﴿قبل يوم الحساب﴾ قالوا: ذلك استهزاء. ١٧ قال تعالى: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ أي: القوة في العبادة، [روى الشيخان عن النبي ﷺ: أن داود]، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل، وينام ثلثه، ويقوم سدسه ﴿إنه أواب﴾ رجَّاع إلى مرضاة الله. ١٨ ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ بتسبيحه ﴿بالعشي﴾ وقت صلاة العشاء ﴿والإشراق﴾ وقت صلاة الضحى، وهو: أن تشرق الشمس ويتأهى ضوءها.

١٩ ﴿و﴾ سخرنا ﴿الطير محشورة﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كل﴾ من الجبال والطير ﴿له أواب﴾ رجَّاع إلى طاعته بالتسبيح.

٢٠ ﴿وشددنا ملكه﴾ قوَّيناه بالحرس والجنود، [قيل: كان يحرس محرابه في كل ليلة، ثلاثون ألف رجل ﴿وآتيناه الحكمة﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وفصل الخطاب﴾ البيان الشافي، في كل قصد.

٢١ ﴿وهل﴾ معنى الاستفهام هنا: التعجب، والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أتاك﴾ يا محمد ﴿نبأ﴾ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴿محراب داود؟﴾ أي: مسجده، حيث مُنِعوا الدخول عليه من الباب، لشغله بالعبادة، أي: [هل أتاك] خبرهم وقصتهم؟

٢٢ ﴿إذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا لا تخف﴾ نحن ﴿خصمان﴾ قيل: فريقان، ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما [رجلان خصمان حقيقيان، أتياه في غير وقت القضاء ابتلاء، وقيل: [ملكاً جاء في صورة خصمين، وقع لهما ما ذكر، على سبيل الفرض، لتنبه داود عليه السلام على ما وقع منه^(١)، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها، وتزوجها ودخل بها [اقرأ التعليق] ﴿بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ تجرَّ ﴿واهدنا﴾ أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ وسط الطريق، الصواب.

٢٣ ﴿إن هذا أخي﴾ أي: على ديني ﴿له تسع وتسعون نعمة﴾ [وهي: نعاج حقيقية، وقيل: [يعبر بها عن المرأة،] ولا وجه لهذا القول هنا] ﴿ولي نعمة واحدة فقال أكفنيها﴾ اجعلني كافليها ﴿وعزني﴾ غلبني ﴿في الخطاب﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك. ٢٤ ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ ليضمها ﴿إلى نعاجه﴾ وإن كثيراً من الخلطاء ﴿الشركاء﴾

(١) قوله: «على ما وقع منه» إلخ. إن ما ذكره المحلّي هنا وغيره في كتب التفسير وقصص الأنبياء من: أن داود عليه السلام أحب امرأة، وطلب من زوجها أن ينزل له عنها، إلى غير ذلك مما فيه ذكر للمرأة في هذه القصة، هو باطل لا أساس له من الصحة ولا يجوز اعتباره مطلقاً، بل يجب اعتماد ما قرره العلماء المحققون في تفسير هذه الآيات، وملخصه:

﴿ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ «ما» لتأكيد القلة، [قيل:] فقال الملكان - صاعدين في صورتيهما إلى السماء - : قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال تعالى: ﴿وطني﴾ أي: أيقن ﴿داود أنما فتناه﴾ أوقعناه في فتنة، أي: بلية، [بدخول الخصمين عليه في محرابه، وأما القول بأن الفتنة، كانت] بمحبته تلك المرأة، [فباطل، - اقرأ التعليق أسفل هذه الصفحة والتي قبلها -] ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً﴾ أي: ساجداً ﴿وأناب﴾. ٢٥ ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾ زيادة خير في الدنيا ﴿وحسن مآب﴾ مرجع في الآخرة. ٢٦ ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ تدبر أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ هوى النفس ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ عن

الدلائل الدالة على توحيده ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لهم عذاب شديد بما نسوا﴾ بنسيانهم ﴿يوم الحساب﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب، لآمنوا في الدنيا.

٢٧ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ أي: عبثاً ﴿ذلك﴾ أي: خلق ما ذكر، لا شيء ﴿ظن الذين كفروا﴾ من أهل مكة [وغيرهم] ﴿فويل﴾ وإد [في جهنم، أو: كلمة تهديد] ﴿للكافرين كفروا من النار﴾.

٢٨ ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة، مثل ما نعطون، و «أم» بمعنى همزة الإنكار.

٢٩ ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ﴿أنزلناه إليك مبارك ليدبروا﴾ أصله ﴿يتدبروا﴾، أدغمت التاء في الدال ﴿آياته﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وليتذكروا﴾ يتعظ

أولاً: إن الله تعالى ذكر قصة الخصمين بعد ثناء عظيم على داود عليه السلام، وعقب عليها بثناء كبير. ثانياً: إن الخصمين من بني آدم حقيقة، على القول الصحيح، لا من الملائكة، وقد اختصما فعلاً. ثالثاً: إن الخلاف بين الخصمين كان على نعمة حقيقية لأنهما من رعاة الشاء، وليس المراد هنا بالنعمة المرأة إطلاقاً، لأن

البقرة القصص

لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِّدَّبْرُوا ؕ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

الأصل في الإطلاق الحقيقة ولم يرد ما يصرف عنها. رابعاً: أما «الفتنة» و «الاستغفار» فنقول فيهما: إن دخول الخصمين عليه وهو في محرابه في غير مجلس القضاء، هو اختبار له وامتحان، لبيان ما إذا كان سيقضي بينهما، أم أنه سيفض بينهما بطردهما، لإفزازهما له ومخالفتهما آداب الدخول، ولكنه رغم فزعه منهما لم يؤنبهما ولم يعاقبهما، بل كظم غيظه واستمع إلى شكواهما، ولكنه استعجل في الحكم على أحدهما قبل سماع قوله، ثم بعد انصافهما أدرك عليه السلام أن ذلك كان فتنة وابتلاء، وأنه استعجل في الحكم، فاستغفر ربه من ذلك، وهذا لا يقدر في النبوة، وفي مطلق الأحوال فإن استغفار النبي لا يلزم أن يكون عن ذنب أو معصية، فسدنا محمد ﷺ كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة كما جاء في صحيح مسلم، بل هو رفع لدرجات الأنبياء، والغريب أن تخفى هذه الحقائق على بعض العلماء الذين أكثروا من نقل القصص الباطلة في حق الأنبياء، كيوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد، وفسروا القرآن بما لا يقبله عقل سليم، فضلاً عن عدم ثبوته في كتاب أو سنة، من غير أن يثبتوا ذلك للناس، فخذ أيها المسلم حذرك، وعليك بما ذكرناه، فهو الصواب بتوفيق الله تعالى.

﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول . ٣٠ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أي : سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع في التسيب والذكر ، في جميع الأوقات . ٣١ ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ هو : ما بعد الزوال ﴿الْصَّافِنَاتُ﴾ الخيل ، جمع : «صافنة» ، وهي : القائمة على ثلاث ، وإقامة الأخرى على طرف الحافر ، وهو من «صَفَنَ» «يَصْفِنُ» «صُفُونًا» ﴿الْجِبَادُ﴾ جمع «جواد» ، وهو : السابق ، المعنى : أنها إن استوفقت سكنت ، وإن ركضت سبقت ، وكانت ألف فرس ، عُرِضَتْ عليه بعد أن صلى الظهر ، لإرادة الجهاد عليها لعدو ، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة ، غربت الشمس ولم يكن صلى العصر ، فاغتم . ٣٢ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أي : أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي : الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي : صلاة العصر ، [فتركها ناسياً] ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي : الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي : استترت بما يحجبها عن الأبصار . ٣٣ ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾

أي : الخيل المعروضة ، فَرُدُّوْهَا ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ بالسيف [أو بيده حباً لها] ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع «ساق» ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي : ذبحها وقطع أرجلها ، تقرباً إلى الله تعالى ، حيث اشتغل بها عن الصلاة ، وتصدق بلحمها ، فعوضه الله خيراً منها وأسرع ، وهي : الريح تجري بأمره كيف شاء . ٣٤ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ^(١) ابتليناه [بموت ولده على الصحيح ، وقيل :] بسلب ملكه ، وذلك لتزوجه بامرأة هواها ، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه ، وكان ملكه في خاتمه ، فتزعه مرة عند إرادة الخلاء ، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة ، على عادته ، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذها منها ، [وهذا كله كلام باطل] ﴿وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ هو [ولده المتوفى ، وقيل : إنه] ذلك الجني ، وهو : صخر ، أو : غيره ، جلس على كرسي سليمان ، وعكفت عليه الطير وغيرها ، فخرج سليمان في غير هيئته ، فرآه جالساً على كرسيه ، وقال للناس : أنا سليمان ، فأنكروه [وهذا قول باطل] ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع سليمان [إلى الله تعالى ، وقيل : رجع إلى ملكه بعد أيام ، بأن وصل إلى الخاتم ، فلبسه وجلس على كرسيه ،] [وهذا باطل أيضاً] . ٣٥ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي﴾ لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي : سواي ، نحو : «فمن يهديه من بعد الله؟» أي : سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ . ٣٦ ﴿فَنَسَخْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ رُخَاءٌ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩)

بنصب ﴿بضر﴾ وعذاب ﴿٤١﴾ ألم ، ونسب ذلك إلى الشيطان ، وإن كانت الأشياء كلها من الله ، تأدبا معه تعالى . ٤٢ وقيل له [لما انقضت مدة ابتلائه] : ﴿اركض﴾ اضرِب ﴿برجلك﴾ الأرض ، فضرِب ، فنبعت عين ماء ، فقيل : ﴿هذا مفتسل﴾ ماء تغتسل به ﴿بارد وشراب﴾ تشرب منه ، فاغتسل وشرب ، فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره . ٤٣ ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ أي : أحيا الله من مات من أولاده ، ورزقه مثلهم ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿منا وذكرى﴾ عظة ﴿لأولي الألباب﴾ لأصحاب العقول . ٤٤ ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ هو : حزمة ، [أي : قبضة] من حشيش ، أو : قضبان [مختلطة الرطب باليابس] ﴿فاضرب به﴾ زوجتك ، وكان قد حلف ، ليضربها مائة ضربة ، لابطائها عليه يوماً ﴿ولا تحث﴾ بترك ضربها ، فأخذ مائة عود من الإذخر ، أو : غيره ، فضرِبها ضربة واحدة ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد﴾ أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجأ إلى الله تعالى .

الجزء الثاني والعشرون

بِنُصِبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنٌ مَّآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِفْتَاحُهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ حَاسِبَاتٌ أَعْيُنُهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ بَنَاتٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ٥٣ ﴿هَذَا﴾ المذكور

٤٥ ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿والأبصار﴾ البصائر في الدين ، وفي قراءة : «عبدنا» ، و «إبراهيم» بيان له ، وما بعده عطف على «عبدنا» . ٤٦ ﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾ هي «ذكرى الدار» الآخرة ، أي : ذكرها والعمل لها ، وفي قراءة بالإضافة ، وهي للبيان . ٤٧ ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع «خير» بالتشديد . ٤٨ ﴿واذكر إسماعيل واليسع﴾ وهو نبي ، واللام زائدة ﴿وذا الكفل﴾ اختلف في نبوته ، [والصحيح أنه نبي] ، قيل : كفل مائة نبي ، فرؤوا إليه من القتل ﴿وكل﴾ كلهم ﴿من الأخيار﴾ جمع «خير» بالتثنية . ٤٩ ﴿هذا ذكر﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وإن للمتقين﴾ الشاملين لهم ﴿لحسن مآب﴾ مرجع في الآخرة . ٥٠ ﴿جنات عدن﴾ بدل أو : عطف بيان لـ «حسن مآب» ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ منها . ٥١ ﴿متكئين فيها﴾ على الأرائك ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ . ٥٢ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أتراب﴾ أسنانهن واحدة ، وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة ٥٣ ﴿هذا﴾ المذكور

ليطوفن على نسائه ، لتحمل كل امرأة بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل : «إن شاء الله» فلم تحمل منهن امرأة إلا واحدة جاءت بشق ولد . وهذا القول هو أقرب من حيث المعنى إذا أردنا التحديد ، ولو كان بعض المفسرين على غيره ، وتوقف بعضهم كابى حيان ، وأما الأقاويل الأخرى فاضرب بها عرض الحائط ، لأنها غير ثابتة . (١) قوله تعالى : ﴿بنصب وعذاب﴾ ، بالغ القصاص في الحديث عن مرض أيوب عليه السلام ، حتى قالوا : إن الدود أخذ يتساقط منه ، وهجره الناس بعد أن وضعوه في قفّة وطرحوه على مزبلة ، إن هذا الكلام لا يجوز اعتماده ولا اعتقاد حصوله ، وهو كلام باطل ، بل يجب اعتقاد عصمة الأنبياء عن الأمراض المنقورة الشنيعة كالتي قبلت عن أيوب ، فقد مرض عليه السلام وابتلي بلاء شديداً في نفسه وماله وأهله كما أخبرنا الله تعالى ، لا نزيد على ما قاله الله تعالى إلا بدليل ، ولا دليل ، أما سبب حلقه الذي ذكره المحلي في تفسير الآية ٤٤ فليس فيه شيء ثابت ، وإنما تناقله المفسرون ، على سبيل الاستنتاج كما يظهر ، والله أعلم .

﴿ما يوعدون﴾ بالغيبة، والخطاب التثنية ﴿ليوم الحساب﴾ أي: لأجله. ٥٤ ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من: ﴿رزقنا﴾، أو: خبر ثانٍ لـ ﴿إن﴾، أي: دائماً، أو: دائماً.

٥٥ ﴿هذا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وإن للطاغين﴾ مستأنف ﴿لشر مآب﴾ [أي: منقلب بصيرون إليه].

٥٦ هو ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ الفراش.

٥٧ ﴿هذا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فليذوقوه حميم﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وغساق﴾ بالتخفيف والتشديد، ماء يسيل من صديد أهل النار.

٥٨ ﴿وأخر﴾ بالجمع والإفراد ﴿من شكله﴾ مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواج﴾ أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

٥٩ ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم: ﴿هذا فوج﴾ جمع ﴿مقتحم﴾ داخل ﴿معكم﴾ النار بشدة، فيقول المتبعون ﴿لا مرحباً بهم﴾ لا سعة عليهم، [خلاف قولهم: «أهلاً ومرحباً»، أي: أتيت أهلاً، وأتيت سعة، فاستأنس ولا تستوحش] ﴿إنهم صالوا النار﴾.

٦٠ ﴿قالوا﴾ أي: الأتباع ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا﴾ أي: الكفر ﴿فبئس القرار﴾ لنا ولكم، النار.

٦١ ﴿قالوا﴾ أيضاً ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿في النار﴾.

٦٢ ﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة [وأمثالهم]، وهم في النار: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم في الدنيا، ﴿من الأشرار﴾.

٦٣ ﴿اتخذناهم سخرى﴾ بضم السين وكسرهما، أي: كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي: أمفقودون هم؟ ﴿أم زأغت﴾ مالت ﴿عنهم الأبصار﴾ فلم ترهم؟ وهم فقراء المسلمين: كعمار [بن ياسر]، وبلال [بن رباح الحبشي]،

مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٤ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ٥٥ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ٥٧ وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٥٨ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٥٩ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ٦٠ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ٦١ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنْ الْأَشْرَارِ ٦٢ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ٦٣ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ٦٤ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٦٦

وصهيب [بن سنان الرومي]، وسلمان [الفارسي]، رضي الله عنهم.

٦٤ ﴿إن ذلك لحق﴾ واجب وقوعه، وهو: ﴿تخاصم أهل النار﴾ [فيما بينهم] كما تقدم.

٦٥ ﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة [وغيرهم] ﴿إنما أنا منذر﴾ مخوف بالنار ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ لخالقه.

٦٦ ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لأوليائه.

٦٧ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هو نبأ عظيم﴾. ٦٨ ﴿أنتم عنه معرضون﴾ أي: القرآن أنبأكم به، وجتكم فيه بما لا يُعلم إلا بوحى، وهو [معنى] قوله تعالى:

٦٩ ﴿ما كان لي من علم بالملا الأعلى﴾ أي: الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ في شأن آدم، حين قال الله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ إلخ.

٧٠ ﴿إن﴾ ما ﴿يوحى إلي إلا أنما أنا﴾ أي: أني ﴿نذير مبين﴾ بين الإنذار. ٧١ اذكر ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾ هو آدم.

٧٢ ﴿فإذا سويته﴾ أتمته ﴿ونفخت﴾ أجريت ﴿فيه من روحي﴾ [أي: من الروح الذي أنا خالقه ومالكه]، فصار حياً، وإضافة الروح إليه [تعالى]، تشريف لآدم، و«الروح»^(١): جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذ فيه ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية بالانحناء.

٧٣ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فيه تأكيد.

٧٤ ﴿إلا إبليس﴾ هو: [أبو الشياطين على الصحيح، وقيل: أبو الجن، كان بين الملائكة استكبر وكان من الكافرين] في علم الله تعالى.

٧٥ ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي توليت خلقه، وهذا تشريف لآدم، فإن كل مخلوق، [قد] تولى الله خلقه [أيضاً]: ﴿استكبرت﴾ الآن عن السجود؟ استفهام توبيخ ﴿أم كنت من العالين﴾ المتكبرين [من قبل]، فتكبرت عن السجود، لكونك منهم.

٧٦ ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. ٧٧ ﴿قال فاخرج منها﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود. ٧٨ ﴿وإن عليك لعنتي﴾ [أي: طردي وإبعادي لك] ﴿إلى يوم الدين﴾ الجزاء. ٧٩ ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ أي: الناس، [طلب تأخير أجله إلى يوم القيامة].

٨٠ ﴿قال فإنك من المنظرين﴾. ٨١ ﴿إلى يوم الوقت

الْبُرْهَانُ الدَّقِيقُ

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَانْخُرْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ

(١) قوله: «والروح.. إلخ»، هذا موضع من المواضع التي نقل عن الجلال السيوطي في الخاتمة: أنه خالف فيها ما فسره الجلال المحلي، فلم يفسر السيوطي الروح بما فسره به المحلي هنا، بل أمسك عن تعريفها وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم إلا قليلاً﴾، و«الروح» يذكر ويؤنث، نقول: هذه روح وهذا روح. ارجع إلى خاتمة السيوطي التي أثبتناها في مقدمتنا على هذا الكتاب، وارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

المعلوم ﴿٨٣﴾ وقت النفخة الأولى، [وهو حين موت الخلائق]. ٨٢ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [أي: لأضلنهم] ﴿أجمعين﴾.

٨٣ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [بكسر اللام، وفي قراءة بفتحها، أي: الذين اختارهم الله لعبادته]، أي: المؤمنين. ٨٤ ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني، فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول، قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسَمي، وجواب القسم:

٨٥ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ بذريتك ﴿وممن تبعك منهم﴾ من الناس ﴿أجمعين﴾.

٨٦ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَنْ أَجْرٌ﴾ جُعِلَ، [فتنقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

٨٧ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للإنس والجن، [أي: العلاء منهم]، دون الملائكة^(١)، [لأنهم معصومون] لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فلا يحتاجون إلى عظة وتخويف.

٨٨ ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ أي: يوم القيامة، و«علم» بمعنى «عرف»، واللام قبلها لام قسم مقدر، أي: والله.

﴿سُورَةُ الْبُرُوجِ﴾

(مكية، إلا: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية، فمدنية. وهي: خمس وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾

خبره ﴿العزیز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه. ٢ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الكتاب بالحق﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ لا يستحقه غيره ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ الأصنام ﴿أولياء﴾ وهم كفار مكة قالوا: ٣ ﴿إِلَّا اللَّهُ الدِّينَ الْخَالِصُ﴾

(١) قوله: «للإنس والجن العلاء دون الملائكة»، كلمة «العلاء» غير موجودة في بعض المخطوطات، أرجع إلى تعليقنا حول «الجن»

٤ ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿اتَّخِذِ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتَّخَذَهُ وَلَدًا، غَيْرَ مَنْ قَالَوا: إِنْ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَعَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ، وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلُفًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿١٠﴾ تَوَّارَدَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ
وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٢﴾ خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ
الْأَنْعَامِ ثَمَنِينَ ۚ أَنْزَلَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَآَنَىٰ تُصْرَفُونَ ﴿١٣﴾ إِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ

٦ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أَي: آدَمَ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حَوَاءَ، [لِيَحْصَلَ التَّنَاسُلُ مِنْهُمَا] ^(٢) ﴿وَأَنْزَلَ﴾ [أَي: خَلَقَ] ﴿لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ الْإِبِلَ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ: الضَّائِنَ وَالْمَغْزِ ^(٣) ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا يَبَيِّنُ فِي سُورَةِ «الْأَنْعَامِ» ^(٤) ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أَي: نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقًا، ثُمَّ مُضْغًا ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هِيَ: ظِلْمَةُ الْبُطْنِ، وَظِلْمَةُ الرَّحِمِ، وَظِلْمَةُ الْمَشِيمَةِ. ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا﴾ [أَي: كَيْفَ] ﴿تَصْرَفُونَ﴾ عَنْ عِبَادَتِهِ، إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

(٣) فی الآيتين (١٤٣) و (١٤٤) منها.

تشكروا الله، فتؤمنوا **﴿يرضه﴾** بسكون الهاء وضمها، مع إشباع ودونه، أي: [يرضى] الشكر **﴿لكم ولا تزر﴾** نفس **﴿وازره وزر﴾** نفس **﴿أخرى﴾** أي: لا تحمله **﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** إنه عليم بذات الصدور بما في القلوب. ٨ **﴿وإذا مس الإنسان﴾** أي: الكافر **﴿ضر دعا ربه﴾** تضرع **﴿منياً﴾** راجعاً **﴿إليه﴾** ثم إذا خوله نعمة أعطاه إنعاماً **﴿منه نسي﴾** ترك **﴿ما كان يدعو﴾** يتضرع **﴿إليه من قبل﴾** وهو الله، فـ «ما» [من قوله: «نسي ما»]، في موضع «من» **﴿وجعل الله أنداداً﴾** شركاء **﴿ليضل﴾** بفتح الياء وضمها **﴿عن سبيله﴾** دين الإسلام **﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾** بقية أجلك **﴿إنك من أصحاب النار﴾**. ٩ **﴿أمن﴾** بتخفيف الميم **﴿هو قانت﴾** قائم بوظائف الطاعات **﴿آناء الليل﴾** ساعاته **﴿ساجداً وقائماً﴾** للصلاة **﴿يحذر﴾**

سُورَةُ الزُّكْرَةِ ٢٩

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ نَّسِيِّ مَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِّنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمِنْ هُوَ قُلْتِ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا

(١) قوله تعالى: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**. لقد مدح الله تعالى الصابرين، وأجاز لهم الثواب، وجعل أجرهم بغير حساب، والصبر قرين الإيمان وضيء للمؤمن، والمؤمن وحده هو الذي يعرف المعنى الصحيح للصبر، إذ ربما فهم بعض الناس أن الصبر هو: السكوت عن الباطل وعدم مقاومته أو مقاتلته، مع القدرة على ذلك، وهذا خطأ فاحش، فليس الصبر استسلاماً ولا سكوتاً ولا خضوعاً، بل هو: ثبات وصمود في مواجهة الشدة.

ولهذا أمر الله تعالى، ورسوله والمؤمنين بالصبر في كل موقف عسير شديد، ومن أهم تلك المواقف:

أولاً: «القتال» فلقد أمر الله تعالى المجاهدين في سبيله بالصبر في الحرب فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا﴾** الله لعلمكم تفلحون».

ثانياً: «عند مواجهة المصائب والبلايا»، فالمؤمنون لا ينهارون أمام المصيبة أو الشدة بل يشتون ويصبرون، قال تعالى **﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾**، وقال سبحانه: **﴿ويشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾**، وقال عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء أي: نعمة - شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء - أي: مصيبة - صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

له الدين ﴿من الشرك﴾ الأكبر، الذي هو الكفر، والأصغر الذي هو: الرياء، لتكون العبادة صحيحة وخالصة لله تعالى وحده. ١٢ ﴿وأمرت لأن﴾ أي: بأن ﴿أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمة. ١٣ ﴿قل﴾ [يا محمد]: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ [أي: يوم القيامة، قال ذلك، حين دعاه قومه إلى ترك دينه واتباعهم]. ١٤ ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ من الشرك. ١٥ ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ غيره، فيه تهديد لهم، وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدد وصولهم إلى الحور [العين]، المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ البين. ١٦ ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ طباق [مطبقة عليهم]. ﴿من النار ومن تحتهم ظلل﴾ من النار ذلك يخوف الله به عباده ﴿أي: المؤمنين، ليتقوه، يدل عليه: ﴿يا عباد فاتقون﴾. ١٧ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ الأوثان ﴿أن يعبدوها﴾ [أي: اجتنبوا عبادتها] ﴿وأنابوا﴾ أقبلوا ﴿إلى الله لهم البشري﴾ بالجنة ﴿فبشر عباد﴾. ١٨ ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وهو: ما فيه فلاحهم ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ أصحاب العقول. ١٩ ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ أي: «لأملأن جهنم»، الآية [١١٩ من سورة «هود»] ﴿أفأنت تنقذ﴾ تخرج ﴿من في النار﴾ [منها؟] وجملة الاستفهام هي [جواب الشرط، وأقيم فيه،] أي: في الاستفهام، الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإتكاف، والمعنى: لا تقدروا على هدايته، فتنقذه من النار. ٢٠ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ بأن أطاعوه ﴿لهم غرف من فوقها غرف

ثالثاً: «في مواجهة مغريات النفس»، قال الله

تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» متفق عليه، أي: من اتبع الشهوات المحرمة دخل النار، ومن قاوم شهوات نفسه دخل الجنة، وقال الله تعالى حكاية عن لقمان الحكيم وهو ينصح ولده: ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، والرسول الكريم ضرب بنفسه المثل الأعلى في تحمله أذى الناس وعناد الكافرين.

فأخذاً مما تقدم، قسّم العلماء الصبر إلى أربعة أقسام هي:

أولاً — «الصبر على المصيبة» أي: أن يصبر الإنسان إذا حلت به مصيبة: في ماله، أو: أهله، أو: نفسه، أو: أي عزيز عليه، ولا يكون الصبر صبراً مأجوراً إلا إذا كان عند الصدمة الأولى، أي: عندما يفاجأ الإنسان بخبر وقوع المصيبة، فإن هو استرجع قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون، راضياً بقضاء الله تعالى وحكمه، فهو الصابر الحق، الموعود بالأجر العظيم.

ثانياً — «الصبر على طاعة الله تعالى» بأن يصبر على عمل ما كلفه الله به، فيصبر على أداء الصلاة في البرد، والسفر، والمرض، وتحمل مشقة الصيام في شهر رمضان خاصة في أيام الحر وفي البلاد الحارة، ويدفع الزكاة، وغير ذلك من الطاعات، بلا ضجر ولا ملل.

ثالثاً — «الصبر عن معصية الله تعالى» بأن يصبر عن فعل المحرمات، فيمتنع عنها، ولو كانت مسهلة قريبة المنال بسبب كثرة الفساد، فيترك شرب الخمر، والزنا، ويقاوم شهواته ويضغط على نفسه ويردعها عن فعل المحرمات، وبذلك يكون قوياً بطلاً، قال العلامة ابن الوردي في لاميته: =

الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ

لَهُ الدِّينَ ١١ وَأَمَرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣
قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ١٤ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١٥ لَهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ
اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْْبَادُونَ فَاتَّقُوا ١٦ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ
عِبَادِ ١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ١٨
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأنت تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ١٩
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ

مبنية تجري من تحتها الأنهار» أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية «وعد الله» منصوب بفعله المقدر، [أي: «وَعَدَ وَغَدَا»] «لا يخلف الله الميعاد» [أي: لا يخلف الله] وعده. ٢١ «ألم تر» تعلم «أن الله أنزل من السماء» [أي: السحاب] «ماءً فسلكه ينابيع» أدخله أمكنة تنبع «في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج» [الزرع، أي: يابس «فتراه» بعد [لونه الذي كان عليه، وهو لون] الخضرة - مثلاً - «مصفراً ثم يجعله حطاماً» فتاتاً «إن في ذلك لذكرى» تذكيراً «لأولي الأبالب» يتذكرون به، دلالة على وحدانية الله تعالى وقدرته. ٢٢ «أفمن شرح الله صدره للإسلام» فاهتدى «فهو على نور» [أي: هدى] «من ربه» كمن طبع على قلبه؟ دل على هذا «فويل» كلمة عذاب «للقاسية قلوبهم من ذكر الله» (١) أي: عن قبول القرآن، [فلذا سمعوا الذكر، أعرضوا عنه وقست قلوبهم] «أولئك في ضلال مبين» بين. ٢٣ «الله نزل أحسن الحديث كتاباً» بدل من «أحسن»، أي: قرآن «متشابهاً» يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره «مثاني» يثنى [ويكرر] فيه، الوعد والوعيد وغيرهما، [كالقصص والأحكام] «تقشعرون» ترتعد عند ذكر وعيده «جلود الذين يخشون» يخافون «ربهم ثم تلين» تطمئن «جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» أي: عند ذكر وعده، [وإنما ذكرت القلوب والجلود مع اللين، لأن الجلود لا تقشعر، إلا إذا دخلت الخشية القلوب، تفادياً للتكرار] «ذلك» أي: الكتاب «هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد».

٢٤ «أفمن يتقي» يلقي «بوجهه سوء العذاب يوم القيامة» أي: أشده، بأن يلقي في النار، مغلولة يدها إلى عنقه، كمن آمن منه بدخول الجنة؟ «وقيل للظالمين» أي: كفار مكة [وغيرهم] «ذوقوا ما كنتم تكسبون» أي: جزاءه.

= واهجر الخمرة إن كنت فتى

كيف يسعى في جنون من عقل؟
ليس من يقطع طريقاً بطلاً

إنما من يتقي الله... البطل

رابعاً - «الصبر على قبول الحق»، من أي شخص كان، فالحق أحق أن يُتبع، مهما علت مرتبة المخطيء وانخفضت مكانة قائل الحق، إن قول الحق بطولة، أما قبول الحق والعمل به فبطولة أكبر، فقد يسهل على الإنسان أن يقول الحق، ولكن يصعب على كثير من الناس - وخاصة أصحاب السلطة - أن يقبلوا الحق أو يرضوا به، بل غالباً ما تأنف نفوسهم وترفض قبول الحق، لا لشيء سوى أنهم متكبرون، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(١) قوله تعالى: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» فسر المؤلف الجلال المحلي «من» في قوله تعالى: «من ذكر الله» بمعنى: «عن»، وهذا اختيار ابن جرير الطبري، وفيه وجه آخر هو: أن قلوبهم تقسو بسبب ذكر الله، وهذا صحيح أيضاً، لأن قلوب المؤمنين تزداد بذكر الله إيماناً كما قال تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون»، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، =

مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ٢١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٢٢ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢٣ أَفَمَنْ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٢٤ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَاجِهُهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٥

٢٥ ﴿كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. ٢٦ ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُرْىَ﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما كذبوا. ٢٧ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. ٢٨ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر. ٢٩ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون، سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز، أي: لا يستوي العبد لجماعة، والعبد لواحد، فإن

الأول، إذا طَلَبَ مِنْهُ كُلٌّ مِنْ مَالِكِيهِ، خدمته في وقت واحد، تحيّر فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني: مثل للموحد، [فهو أقل تعباً، وأصلح حالاً] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده، [على ظهور الحق] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة [وأمثالهم] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.

٣٠ ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطأوا موته ﷺ.

٣١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [فبتخاصم الكافر والمؤمن، والظالم والمظلوم، والتابع والمتبوع].

٣٢ ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك له والولد إليه ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ [أي: مقام] ﴿وَأَمَّا الْكَاافِرِينَ﴾ بلى^(١). ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ هو: النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون، فـ «الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

= أما قلوب الكافرين فتزداد قسوة إذا ذكر الله أو تليت عليهم آيات القرآن قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُرْىَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٢﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾

(١) قوله: «بلى»، هي حرف جواب، تختص بالنفي وتفيد إبطاله، سواء أكان مجرداً عن استفهام ونحوه كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُيُوتِهِمْ﴾، أم كان النفي مقرباً بالاستفهام على حقيقة كقولنا: «أليس زيد بقاتم؟ فنقول: بلى»، أو مقرباً بالاستفهام على سبيل التوبيخ كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ؟ بلى﴾، أو كان الاستفهام تقريرياً كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ قالوا: بلى﴾، وكقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: لو قالوا: «نعم»، لكفروا، ووجهه: أن «نعم» تصديق للمخبر - بنفي أو إيجاب - بما أخبر به، بينما «بلى» تفيد إبطال النفي وإثبات المنفي، فمعنى الجواب بـ «بلى» في الآيات المذكورة: بلى: سُبُحْتَ، وبلى: نَسَمْتُ ذَلِكَ، وبلى: قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ، وبلى: أَنْتَ رَبُّنَا، وهكذا باقي الآيات والأمثال.

٣٤ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم.

٣٥ ﴿لِيَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أسوأ» و «أحسن» بمعنى: «السَّيِّئِ» و «الحَسَنِ».

٣٦ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾^(١) الخطاب له ﷺ ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام، أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

سُورَةُ الرِّكَازِ ٣١

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرَّتِهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٦١١

٣٧ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ
بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي انتقام﴾ من
أعدائه؟ بلى.

٣٨ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم
ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي:
الأصنام ﴿إن أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
كَاشِفَاتُ ضُرَّتِهِ؟﴾ لا ﴿أو أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ
هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ؟﴾ لا وفي
قراءة: بالإضافة فيها، [أي: بالإضافة
«كاشفات» و «ممسكات» إلى ما بعدهما] ﴿قل
حسبي الله﴾ [أي: فهو وحده يكفيني كيد
الكافرين] ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ يثق
الواثقون.

٣٩ ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾
حالكم ﴿إني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف
تعلمون﴾.

٤٠ ﴿من﴾ موصولة، مفعول العلم
﴿بأبيه عذاب يخزيه﴾ [أي: يذله
ويُهينُه، في الدنيا بالقتل والسبي]
﴿ويحل﴾ ينزل ﴿عليه﴾ [في الآخرة]
﴿عذاب مقيم﴾ دائم، وهو عذاب
النار، وقد أخزاهم الله يسدر^(٢).

(١) قوله تعالى: ﴿ويخوفونك﴾، أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة السُّدُوسِي رحمه الله قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ لتكفن عن شتم آلهمنا أو لنامرئها فلتخبلنك فنزلت.

(٢) قوله «يسدر» بذر: بفتح ثم سكون، ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، وبينه وبين ساحل البحر ليلة، وبه سميت الوقعة المباركة التي أظهر الله بها الإسلام - أي: معركة بدر الكبرى - في السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة.

٤١ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ اهتداه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [أي: تكون عاقبة ضلاله عليها، بأن يعذب في النار] ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الهدى. ٤٢ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (١) ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسلة [هي: نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس] ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون، أن القادر على ذلك، قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك، [فلم يهتدوا]. ٤٣ ﴿أَمْ بَلْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ شفعاء ﴿عند الله بزعمهم؟﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ يَشْفَعُونَ﴾ ولو كانوا لا يملكون شيئاً من الشفاعة وغيرها ﴿ولا يعقلون﴾ أنكم تعبدونهم، ولا [يعقلون] غير ذلك؟ لا.

الْجَزَاءُ وَالْعَذَابُ

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ مَا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلِ اللَّهُ الشَّافِعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا

٤٤ ﴿قُلِ اللَّهُ الشفاعة جميعاً﴾ (٢) أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾.

٤٥ ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ أي: دون آلهتهم ﴿اشمأزت﴾ نفرت وانقبضت ﴿قلوب الذي لا يؤمنون بالآخرة﴾ وإذا ذكر الذين من دونه ﴿أي: الأصنام﴾ إذا هم يستبشرون.

٤٦ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى: يا الله ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا

٤٦ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى: يا الله ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا

(١) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ...﴾ الآية، ذكر ابن كثير أن في هذه الآية ومثلاتها وفاتين: الوفاة الكبرى، وهي: قبض الروح عند انقضاء الأجل، والوفاة الصغرى وهي تلك التي عند المنام. اهـ.

وأخرج البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماننا وإليه النشور».

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ الشفاعة جميعاً﴾. «الشفاعة» ثابتة يوم القيامة لنبيينا محمد ﷺ ولغيره، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا يعتد بخلاف من خالف في ذلك من المعتزلة وغيرهم، فقد روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحِلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة». قوله: «وأعطيت الشفاعة» أي: الشفاعة العظمى التي اختص بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين والمؤمنين حتى الخليل إبراهيم، والكليم موسى، فيشفع نبيينا محمد ﷺ في فضل القضاء لجميع الخلائق، بإراحته من هول الموقف وتعجيل الحساب، أما الشفاعة في غير ذلك الموقف فهي ثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء، وللملائكة والعلماء والشهداء والمؤمنين، فقد روى أبو داود بسند حسن والترمذي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكيثر من امتي»، قل ابن كثير: وقد تواترت في هذا النوع الأحاديث، — ولعله يعني: التواتر المعنوي — فيشفع ﷺ في قوم دخلوا النار بنوبهم =

فيه يختلفون» من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق، [عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، يفتح صلاته إذا قام من الليل: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك، فيما كانوا فيه يختلفون، اهتدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» رواه مسلم]. ٤٧ «ولو أن للذين ظلموا» [كذبوا وأشركوا] «ما في الأرض جميعاً مثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة» [لو كان يُقبل ذلك منهم] «وبدا» ظهر «لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» يظنون [من العذاب]. ٤٨ «وبدا لهم سيئات» [أي: عقاب] «ما كسبوا» [من الكفر والمعاصي] «وحاق» نزل «بهم ما كانوا به يستهزئون» أي: العذاب. ٤٩ «فإذا مس

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٥١

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥١﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٣﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

الإنسان» [المراد بـ «الإنسان» الجنس] «ضرر» دعائنا» [لكشفه عنه] «ثم إذا خولناه» أعطيناه «نعمة» إنعاماً «منا قال» [جاحداً] «إنما أوتيته على علم» من الله بأني له أهل، [أو: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة] «بل هي» أي: القولة «فتنة» بلية، يتلى بها العبد «ولكن أكثرهم لا يعلمون» أن التحويل استدراج وامتحان. ٥٠ «قد قالها الذين من قبلهم» من الأمم، كفارون، وقومه الراضين بها، [كما تقدم في سورة «القصص» الآية «٧٨»] «فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» [أي: لم تغن عنهم أموالهم، ولا أولادهم، من عذاب الله شيئاً]. ٥١ «فأصابهم سيئات ما كسبوا» أي: جزاؤها «والذين ظلموا من هؤلاء» أي: قريش «سَيَصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ» بفائتين عذابنا، ففُحِطُوا سبع سنين، ثم وُسِّعَ عليهم، [كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧]. ٥٢ «أو لم يعلموا أن الله يسطر الرزق» يوسع «لمن يشاء» امتحاناً «ويقدر» يضيقه، لمن يشاء ابتلاءً «إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» به. ٥٣ [روى مسلم وأبو داود والنسائي، عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك، كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر»، في آخر «الفرقان»، ونزل أيضاً قوله تعالى: [«قل يا عبادي الذين أسرفوا على

= فيخرجهم منها، وفي قوم فيدخلون الجنة بغير حساب، وفي قوم استوجبوا النار فلا يدخلونها بشفاعته، وروى ابن ماجه بسند حسن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: أي: أصناف ثلاثة هم: — الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»، وروى أبو داود والترمذي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»، وروى الشيخان والترمذي أحاديث طويلة في الشفاعة جاء فيها: أن المؤمنين يؤذن لهم في الشفاعة، فيخرجون من النار خلقاً كثيراً، حتى لا يبقى فيها من أهل الخير أحد، ثم يعمم الله برحمته من فاته شفاعته، فيخرج من النار كل من لا يستحق الخلود فيها، ولا تكون الشفاعة إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

أنفسهم ﴿بالكفر أو المعاصي﴾ لا تقتطوا ﴿بكسر النون وفتحها، وقرىء [شدوذا] بضمها: تيأسوا﴾ من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً^(١) لمن تاب من الشرك، [لأن الكافر إذا آمن، يُغفر له كل شيء قبل ذلك، وأما العصاة المؤمنون، فإن الله يغفر لمن تاب منهم توبةً صحيحة، ومن مات منهم ولم يتب من ذنبه، فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وعليه: فالآية دعوة عامة، لجميع الكفرة والعصاة، إلى التوبة والإنابة] إنه الغفور الرحيم.

٥٤ ﴿وأنبيوا﴾ ارجعوا ﴿إلى ربكم وأسلموا﴾ أخلصوا العمل ﴿له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ بمنعه [عنكم]، إن لم تتوبوا.

الْبُرْهَانُ وَالْغُرُوبُ

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٥ ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ٥٦﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٧﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْزَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ٥٨﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٩﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَكُلْتُ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ٦٠﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَلَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٦١﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٢﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ

٥٥ ﴿وأتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ هو القرآن ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ قبل إتيانه، بوقته.

٥٦ فبادروا قبل ﴿أن تقول نفس يا حسرتي﴾ أصله: «حسرتي»، أي: ندامتي ﴿على ما فرطت﴾ [أي: قصرت] ﴿في جنب الله﴾ أي: طاعته ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: وإني ﴿كنت لمن الساخرين﴾ بدينه وكتابه.

٥٧ ﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لكنت من المتقين﴾ عذابه.

٥٨ ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كربة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ المؤمنين، فيقال له من قبل الله:

٥٩ ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وكننت من الكافرين﴾.

٦٠ ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ عن الإيمان؟ بلى.

٦١ ﴿وينجي الله من جهنم﴾ الذين

(١) قوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾، أي: ما عدا الشرك بالله تعالى، فإن الله تعالى لا يغفره إلا إذا تاب الكافر منه، والتوبة من الشرك تكون بالدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين، مع التبرؤ من كل دين أو عقيدة تخالف دين الإسلام، والشرك الذي لا يغفره الله تعالى يشمل كل ما هو كفر، من قول أو فعل أو اعتقاد، فعابده الأصنام مشركون كالفرون، وعملهم هذا شرك وكفر، وكذلك النصارى واليهود والمجوس والشيوعيون، وسائر الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى، كلهم كافرون مشركون، لا يغفر الله لهم إن هم ماتوا على كفرهم وضلالهم، فإن تابوا بالإيمان، تاب الله عليهم وبدل سيئاتهم حسنات.

اتقوا ﴿الشرك﴾ بمفازتهم ﴿بمكان فوزهم من الجنة، بأن يُجعلوا فيه، [أي: ينجيهم بإدخالهم الجنة]﴾ لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.

٦٢ ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ يتصرف فيه كيف يشاء.

٦٣ ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ أي: مفاتيح خزائنها، من المطر والنبات وغيرهما ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ القرآن ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ متصل بقوله: «وينجي الله الذين اتقوا» إلى آخره، وما بينهما اعتراض.

٦٤ ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون؟﴾ «غير» منصوب بـ «أعبد»، المعمول لـ «تأمروني»، [وفي «تأمروني» أربع قراءات سبعة هي: ١. بنون

واحدة، وبنونين بإدغام [مع فتح الباء وسكونها]، وفك [مع سكون الباء فقط] بتقدير «أن».

٦٥ ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك﴾ والله ﴿لئن أشركت﴾ يا محمد فرضاً ﴿ليحيطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [وهذا تحذير لأمته ﷺ، لأنه معصوم عن ذلك، أو: هو بيان لعاقبة الشرك بالله تعالى].

٦٦ ﴿بل الله﴾ وخذهُ ﴿فاعبد وكن من الشاكرين﴾ إنعامه عليك.

٦٧ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وما عرفوه حق معرفته، أو: ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿والأرض جميعاً﴾ حال، أي: السبع ﴿قبضته﴾ أي: مقبوضة له، في ملكه وتصرفه ﴿يوم القيامة﴾ والسموات مطويات ﴿مجموعات﴾ بيمينه ﴿بقدرته﴾ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿معه﴾ [روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»].

٦٨ ﴿ونفخ في الصور﴾ النفخة الأولى ﴿فصعق﴾ مات ﴿من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ من الحور والولدان

وغيرهما ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قيام ينظرون﴾ ينتظرون ما يفعل بهم.

٦٩ ﴿وأشرقت الأرض﴾ أضاءت [عَرَصَاتُ الْقِيَامَةِ] ﴿بنور ربها﴾^(١) حين يتجلى لفصل القضاء.

سُورَةُ الْبُرُجَةِ ٢١

اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

(١) قوله تعالى: ﴿بنور ربها﴾، أي: بنور تجلي سبحانه وتعالى، أو: هو نور مخصوص يخلقه الله تعالى في ذلك اليوم، فالنور الذي تشرق به الأرض يوم القيامة، هو نور مخصوص، لأنه لا يكون وقتها شمس ولا قمر، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: ﴿بنور ربها﴾ أي: بعدله.

﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب الأعمال، للحساب ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أي: أمة محمد ﷺ، يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي: العدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئاً. ٧٠ ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أي: جزاءه ﴿وهو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بما يفعلون﴾ فلا يحتاج إلى شاهد. ٧١ ﴿وسيق الذين كفروا﴾ بعنف ﴿إلى جهنم زمراً﴾ جماعات متفرقة ﴿حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها﴾ جواب ﴿إذا﴾ ﴿وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ القرآن، وغيره [من الكتب السماوية] ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب﴾ أي: «لا ملأ من جهنم» الآية [١١٩] من سورة «هود» ﴿على الكافرين﴾. ٧٢ ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين﴾ مقدرين الخلود ﴿فيها﴾ [إذا دخلوها] ﴿فبئس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾ جهنم. ٧٣ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾ بلطف ﴿إلى الجنة زمراً﴾ حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ﴿الواو فيه للحال بتقدير «قد»﴾ ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم﴾ حالاً [بدخولكم الجنة، أو: كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا من أصحاب الخباثات] ﴿فادخلوها خالدين﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب ﴿إذا﴾ مقدر، أي: دخلوها، وسوقهم، وفتح الأبواب قبل مجيئهم، تكريم لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم، ليبقى حرها إليه، إهانة لهم. ٧٤ ﴿وقالوا﴾ عطف على «دخولها» المقدر ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي: أرض الجنة^(١) ﴿ننبؤا﴾ نزل ﴿من الجنة حيث

البقرة

وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّتَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبْؤًا مِّنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ

(١) قوله: «أي: أرض الجنة» بهذا فسر كثير من المفسرين «الأرض»، هنا وفي قوله تعالى في سورة «الأنبياء»: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» واستبعدوا أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المعهودة، بل اعتبر بعض العلماء أن تفسير «الأرض» بالتي نحن عليها الآن خطأ، لأنه - في رأيهم - يوافق تفسير بعض الزنادقة الذين حملوا المعنى على القوى الكافرة والدول الكبرى التي هي - في نظرهم - صالحة لاستعمار الأرض واستخراج معادنها وكنوزها، وهذا تورم لا داعي إليه، لأن بطلان زعم أولئك الزنادقة واضح، فتفسير «الأرض» بالجنة بعيد، لأنه لا دليل، ولأن اللغة لا تساعد عليه، فلم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة»، لا في القرآن ولا في السنة، بل سميت «الأرض» باسمها وكذلك «الجنة»،

ولعل سبب تفسيرهم الأرض بالجنة هو اقترانها «بالإرث» مثل: «وأورثنا الأرض» ظناً منهم أن «الإرث» لا يكون إلا للجنة، حيث يرث المؤمن مكان الكافر فيها لو آمن، وهذا تصور غير مطابق للمعنى، لأن «الإرث» يكون في الجنة، ويكون أيضاً في «جهنم» حيث يأخذ الكافر مكان المؤمن فيها، وهو «التغابن» المشار إليه في قوله تعالى: «ذلك يوم التغابن»، ويكون «الإرث» أيضاً في «الأرض» هنا في الحياة الدنيا ومعناه فيها: توارث الناس جيلاً بعد جيل، حتى يرثها الله ومن عليها، ولكن الوراثة الصحيحة هي وراثة المؤمنين الصالحين التي أمر الله تعالى بها، قال تعالى: «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» وقال سبحانه: «ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمننَّ لهم في الأرض» وهي الوراثة المقصودة بقوله تعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» أي: لا يرثها الميراث المطلوب، فيعمرها بالصلاح والخير إلا عباد الله المؤمنون، أما الكافرون فإنهم إن ورثوها أفسدوا فيها، وإليه يشير قوله تعالى: «أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» فيكون معنى الآية كما يلي: إن المؤمنين يحمدون الله تعالى على إنجاز وعده لهم بالجنة، =

نشاء ﴿لأنها كلها، يُختار فيها مكان على مكان﴾ فنعم أجر العاملين ﴿الجنة﴾.

٧٥ ﴿وترى الملائكة حافين﴾ حال ﴿من حول العرش﴾ [أي: محدقين به] من كل جانب منه ﴿يسبحون﴾ حال من ضمير حافين ﴿بحمد ربهم﴾ ملابسين للحمد، يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وقضي بينهم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بالحق﴾ أي: العدل، فدخل المؤمن الجنة، والكافر النار ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ختم استقرار الفريقين، بالحمد من الملائكة.

﴿سُورَةُ الْحَافِينَ﴾

[وتسمى: سورة «المؤمن»]
(مكية، إلّا: «الذين يجادلون»
الآيتين، خمس وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.
- ٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزیز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه.
- ٣ ﴿غافر الذنب﴾ للمؤمنين ﴿وقابل التوب﴾ لهم مصدر ﴿شديد العقاب﴾ للكافرين، أي: مشددة ﴿ذي الطول﴾ الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام، بكل من هذه الصفات، فإضافة المشتق منها، [أي: من هذه الصفات وهو كل من: «غافر» و«قابل» و«شديد»، إضافة] للتعريف، [أي: لتعريف المضاف، كالأخيرة] [أي: كإضافة في: «ذي الطول»، ليصح أن يكون صفة للمعرفة، أي: للفظ الجلالة في: «من الله»] ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾ المرجع.
- ٤ ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ القرآن ﴿إلا﴾ الذين كفروا ﴿من أهل مكة﴾ [وأمثالهم] ﴿فلا يغررك قلبهم في البلاد﴾ للمعاش سالمين، فإن عاقبتهم النار.

﴿سُورَةُ الْحَافِينَ﴾

نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٥﴾ وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ
مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤) سُورَةُ الْحَافِينَ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٢﴾ مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ
اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٣﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ

﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿من بعدهم وهمت

= ويحمدونه تعالى على صلاحهم في الدنيا الذي هو سبب دخولهم الجنة ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ فأدخلنا الجنة، ثم حمدوا الله على توفيقه لهم في الدنيا فعطفوا حمداً آخر تقديره: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أورثنا الأرض﴾ أي: جعلنا فيها مؤمنين صالحين، وبسبب ذلك ها نحن الآن ﴿نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾، فلما كانت «الأرض» هي الجنة لقال: «نتبوا منها» إذ لا داعي للتكرار، والله أعلم..

كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴿يقتلوه﴾ و﴿جادلوا﴾^(١) بالباطل ليدحضوا ﴿يزيلوا﴾ به الحق فأخذتهم ﴿بالعقاب﴾ فكيف كان عقاب ﴿أي﴾ لهم؟ أي: هو واقع موقعه.

٦ ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ أي: «لأملأن جهنم»، الآية [١١٩] من سورة «هود» ﴿على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ بدل من: «كلمة» [أي: المعذبون بها].

٧ ﴿الذين يحملون العرش﴾^(٢) مبتدأ ﴿ومن حوله﴾ عطْفٌ عليه، [أي: على المبتدأ، والمعنى: حملة العرش، ومن حول العرش من الملائكة] ﴿يسبحون﴾ خبره ﴿بحمد ربهم﴾ ملايسين للحمد، أي:

يقولون «سبحان الله وبحمده» ﴿ويؤمنون به﴾ تعالى ببصائرهم، أي: يصدقون بوحدانيته ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ أي: وسعت رحمتك كل شيء، و[وسع] علمك كل شيء ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ دين الإسلام ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ النار.

٨ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾ إقامة ﴿التي وعدتهم ومن صلح﴾ عطْفٌ على «هم» في و«أدخلهم»، أو: في «وعدتهم» ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ إنك أنت العزيز ﴿في ملكه﴾ الحكيم ﴿في صنعه».

٩ ﴿وقهم السيئات﴾ أي: عذابها ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم».

١٠ ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ من قبل الملائكة، وهم يَمَقَّتُونَ أنفسهم [ويغضونها غاية الغضب]، عند دخولهم النار ﴿لمقت الله﴾ إياكم، [وغضبه عليكم] ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل﴾ إن الجدال بالباطل عادة الكافرين والمعاندين في كل زمان، وهم في زماننا كثيرون، - والله المستعان - أرجع إلى تعليقنا حول «الجدال» ص ٢٨٩.

(٢) قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش﴾، حملة العرش يوم القيامة ثمانية، كما في قوله تعالى في سورة «الحاقة» ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾، ولكن العلماء اختلفوا في «الثمانية» فقال بعضهم: هم ثمانية أملاك، وقال بعضهم: هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وقيل: هم ثمانية أصناف من الملائكة، أما قبل يوم القيامة، فقيل: إن حملة العرش أربعة، من الملائكة أو من الصفوف.

فالثابت قطعاً هو: أن للعرش حملة من الملائكة، وأنهم يوم القيامة ثمانية، والله أعلم بسوى ذلك، أرجع إلى معنى «العرش» في تعليقنا ص ٥٣.

كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ

إِذْ تَدْعُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ [أي: فلا تؤمنون]. ١١ ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إِمَاتَتَيْنِ ﴿وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إِحْيَاءَتَيْنِ، لِأَنَّهُمْ [عندما كانوا] نطفاً أَمْوَاتٌ، [أي: كانوا عدماً] فَأَحْيَوْا، ثُمَّ أَمَيْتُوا، ثُمَّ أُحْيُوا لِلْبَعْثِ ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بِكُفْرِنَا بِالْبَعْثِ ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ مِنَ النَّارِ، وَالرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا، لِنَطِيعَ رَبَّنَا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طَرِيقٍ؟ وَجَوَابُهُمْ لَا. ١٢ ﴿ذَلِكُمْ﴾ أَي: الْعَذَابُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ ﴿بِأَنَّهُ﴾ بِسَبَبِ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا، [كُنْتُمْ] ﴿إِذَا دَعَى اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بِتَوْحِيدِهِ ﴿وَإِنْ يَشْرِكْ بِهِ﴾ يُجْعَلُ لَهُ شَرِيكٌ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تَصَدَّقُوا بِالْإِشْرَاقِ، [فَتَحْسَبُوا أَنْكُمْ مُؤْمِنُونَ] ﴿فَالْحُكْمُ﴾ فِي تَعْذِيبِكُمْ ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾ عَلَى خَلْقِهِ ﴿الْكَبِيرِ﴾ الْعَظِيمِ. ١٣ ﴿هُوَ الَّذِي يَرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دَلَائِلُ تَوْحِيدِهِ ﴿وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يَعْتَظُ ﴿إِلَّا مِنْ نَبِيٍّ﴾ يَرْجِعُ عَنِ الشُّرْكِ، إِلَى [الْإِيمَانِ وَطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى].

١٤ ﴿فَادْعُوا﴾ اعْبُدُوا ﴿اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مِنَ الشُّرْكِ [كُلَّهُ]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إِخْلَاصُكُمْ فِيهِ. ١٥ ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أَي: اللَّهُ عَظِيمُ الصِّفَاتِ، أَوْ: رَافِعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خَالِقُهُ [وَمَالِكُهُ] ﴿يَلْقَى الرُّوحَ﴾ الْوَحْيَ [وَالنَّبِيَّةَ] ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أَي: قَوْلُهُ ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ^(١) [وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ] ﴿لِيُنْذِرَ﴾ يُخَوِّفُ [النَّبِيَّ] الْمُلْقَى عَلَيْهِ، النَّاسَ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بِحَذْفِ الْبَاءِ وَإِثْبَاتِهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، [سُمِّيَ بِذَلِكَ]، لِتَلَاقِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ، وَالظَّالِمِ وَالْمُظْلَمِ فِيهِ.

١٦ ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ خَارِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ لِمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ؟ يَقُولُهُ تَعَالَى وَيَجِيبُ نَفْسَهُ: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أَي: لَخَلْقِهِ.

١٧ ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿يَحَاسِبُ جَمِيعَ الْخَلْقِ﴾ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ، [مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَا] مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ^(٢) لِحَدِيثِ بِذَلِكَ [رَوَاهُ ابْنُ خُبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ].

١٨ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ «أَرْفِ الرَّحِيلِ»: قَرُبَ إِذْ

إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا
اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ
مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
وَإِنْ يَشْرِكْ بِهِ تُوْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٣﴾
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مِنْ يُنِيبٍ ﴿١٤﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٥﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ
ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٧﴾
الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذْ

(١) قوله تعالى ﴿على من يشاء من عباده﴾، إن مما يجب على المسلم اعتقاده، أن النبوة فضل من الله تعالى، يختص بها من يشاء من عباده، وأنها لا تُكسب اكتساباً كما يعتقد بعض الزنادقة، قال صاحب الجوهرة:

وَلَمْ تَكُنْ نَبَوَّةٌ مُكْتَسَبَةً وَلَوْ رَقَى فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَةٍ
بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ بِوَيْهِ لِمَنْ يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِنَّةِ

(٢) قوله: «من أيام الدنيا»، وَصَفُ الْجَلَالِ الْمُحَلِّي «نصف النهار» بأنه من أيام الدنيا سبق قلم، أرجع إلى تعليقنا ص ٣٣٧ حيث بينا ذلك.

القلوب ﴿ترتفع خوفاً﴾ لدى ﴿عند﴾ الحناجر كاظمين ﴿ممتلئين غما﴾، حال من «القلوب»، عوملت [الحناجر] بالجمع بالياء والنون، معاملة أصحابها ﴿نما للظالمين من حميم﴾ محب ﴿ولا شفيع يطاع﴾ تقبل شفاعته، لا مفهوم للوصف، [أي: إن وصف الشفيع بـ «يطاع»، ليس قيداً]، إذ لا شفيع لهم أصلاً، [لقلوبهم يوم القيامة:] «فما لنا من شافعين»، أو: له مفهوم، بناءً على زعمهم [وظنهم في الدنيا]، أن لهم شفعاء [في الآخرة]، أي: لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا. ١٩ ﴿يعلم﴾ أي: الله ﴿خائنة الأعين﴾ (١) بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وما تخفي الصدور﴾ القلوب. ٢٠ ﴿والله يقضي بالحق والذين يدعون﴾ يعبدون، أي: كفار مكة [وغيرها] بالياء وبالتاء ﴿من دونه﴾ وهم الأصنام ﴿لا يقضون بشيء﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إن الله هو السميع﴾ لا أقوالهم ﴿البصير﴾ بأفعالهم. ٢١ ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم﴾ وفي قراءة: «منكم» [وهي قراءة سبعية] ﴿قوة﴾ وآثاراً في الأرض ﴿من مصانع وقصور﴾ فأخذهم الله ﴿أهلكهم﴾ بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴿يقيمهم﴾ عذابه. ٢٢ ﴿ذلك﴾ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الظاهرات ﴿فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾. ٢٣ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ برهان بين ظاهر. ٢٤ ﴿إلى فرعون وهامان وقارون﴾ فقالوا ﴿هو ساحر﴾ (٢) كذاب. [وقد خصهم بالذكر، لأنهم المحرضون على عداوة موسى، ففرعون: هو الملك، وهامان: وزيره ومساعدته، وقارون: هو صاحب المال والكنوز، وأعمالهم في الكفر واحدة]. ٢٥ ﴿فلما جاءهم بالحق﴾ بالصدق ﴿من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾

(١) قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾، خيانة العين - كما فسرهما الجلال المحلي هنا - هي: مسارقتها النظر إلى محرم، أي: أن ينظر إلى ما يحرم النظر إليه من امرأة مسارقة، بحيث لا يشعر جلسيه بذلك، وقد جاء في الحديث الشريف معنى آخر لخيانة العين، فقد روى أبو داود - واللفظ له - والنسائي: «أنه لما كان يوم فتح مكة، اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان يؤذي النبي ﷺ كثيراً - عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء به عثمان حتى أوقفه على النبي ﷺ - أي: بين يديه - فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع ﷺ رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يابى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله؟»، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».

(٢) قوله تعالى: ﴿وقارون﴾، كان من قوم موسى عليه السلام فبغى وطني، أرجع إلى قصته ص ٥١٧.

(٣) قوله تعالى: ﴿ساحر﴾، أرجع إلى تعليقنا حول السحر وحكمه ص ٢١٠.

الْحَنَاجِرُ وَالْأَعْيُنُ

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١٩ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الْصُّدُورُ ٢٠ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ٢١ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٢
* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا
فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ٢٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢٤
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٢٥ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٢٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

وقد جاء في الحديث الشريف معنى آخر لخيانة العين، فقد روى أبو داود - واللفظ له - والنسائي: «أنه لما كان يوم فتح مكة، اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان يؤذي النبي ﷺ كثيراً - عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء به عثمان حتى أوقفه على النبي ﷺ - أي: بين يديه - فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع ﷺ رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يابى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله؟»، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».

واستحيوا ﴿نساءهم﴾ [أحياء، فلا تقتلوهن] ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ هلاك.

٢٦ ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لأنهم كانوا يكفونهم عن قتله ﴿وليدع ربه﴾ ليمنعه مني ﴿إنني أخاف أن يبدل دينكم﴾ من عبادتكم إياي، فتتبعوه ﴿وأن يظهر في الأرض الفساد﴾ [بنصب الفساد]، من قتل وغيره، وفي قراءة^(١): «أو [أن]» وفي أخرى: بفتح الياء والهاء [في: «يظهر»]، وضم الدال [من: «الفساد»]، فاعل «يظهر».

٢٧ ﴿وقال موسى﴾ لقومه وقد سمع ذلك ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر^(٢) لا يؤمن بيوم الحساب﴾.

٢٨ ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قيل:

[هو] ابن عمه ﴿يكنم إيمانه أقتلون رجلاً أن﴾ أي: لأن ﴿يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿من ربكم وإن يك^(٣) كاذباً فعليه كذبه﴾^(٤) أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف﴾ مشرك ﴿كذاب﴾ مفتر.

٢٩ ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين، حال ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إن جاءنا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو: قتل موسى ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ طريق الصواب. ٣٠ ﴿وقال الذي آمن يا قوم

سُورَةُ غَافِلٍ ٤٠

وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٦

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ٢٧

وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ

لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٨ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ

وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ

كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ

اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ٢٩ يَنْقُومُ لَكُمْ

الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ

اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا

أُهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٣٠ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ

٦٢١

(١) قوله: «وفي قراءة»، حاصله أن ثمة أربع قراءات سبعيات:

الأولى: «وأن يظهر» - بضم الياء - في الأرض الفساد» بالنصب.

الثانية: «وأن يظهر» - بفتح الياء - في الأرض الفساد» - بالرفع.

الثالثة والرابعة: «أو أن» بدل «وأن» على الوجهين المذكورين.

(٢) قوله تعالى: «متكبر»، أرجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٣) قوله تعالى: «وإن يك» بحذف النون، ويجوز لغة: «وإن يكن» كما في قوله تعالى: «إن يكن غنياً أو فقيراً» وحذفت النون لكثرة الاستعمال على قول عمرو بن عثمان إمام البصريين المعروف بـ «سبويه» - ومعناها: راحة التفاح - المتوفى عام ثمانين ومائة.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد النيرد المتوفى عام ست وثمانين ومائتين: حذفت لأنها نون الإعراب.

(٤) قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: «وإن يك كاذباً فعليه كذبه». الآية، لم يكن قوله هذا شكاً منه في رسالة موسى عليه السلام، بل هو أسلوب حكيم له فائدتان: أولاهما: التلطف معهم ليكفوا عن أذاه، ولثلاً يقتلوه. والثانية: تقريب النصيحة من عقولهم النافرة لحملهم على التكفير، فهو يقول لهم: إن كان كاذباً فيما يتوعدكم به ويدعوكم إليه - كما تقولون - فلن يضركم ذلك شيئاً، ولكن خافوا أن يكون صادقاً، فإنكم ستهلكون إن لم تؤمنوا، فلإيمان أضمن لكم على كل حال، وبمثل هذا الأسلوب الحجة، خاطب إبراهيم عليه السلام قومه، أرجع إلى تعليقنا ص ١٧٤.

إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴿٣١﴾ أي: يوم حزب حزب^(١). ﴿٣١﴾ مثل داب ﴿أي: عادة﴾ ﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ ﴿مثل﴾ بدل من «مثل» قبله، [بعده مضاف محذوف] أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا، [وعادتهم هي كفرهم] ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾. ﴿٣٢﴾ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴿يحذف الياء وإبائها، أي: يوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها [ليدخلوا الجنة]، والشقاوة لأهلها [ليدخلوا النار]، وغير ذلك. ﴿٣٣﴾ يوم تولون مدبرين﴾ عن موقف الحساب، [ذاهبين هارين، يوم لا مفراً ولا مناص، بل إن مصيركم] إلى النار ﴿ما لكم من الله﴾ أي: من عذابه ﴿من عاصم﴾ مانع ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾. ﴿٣٤﴾ ولقد جاءكم

الْحَزْبُ وَالْأَحْزَابُ

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَابٍ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُتَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ ۚ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مِّمَّا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ

[أيها القبط] ﴿يوسف من قبل﴾ أي: قبل موسى، وهو: يوسف بن يعقوب في قول [وهب بن منبه الذي قال: إن يوسف] عُمر [وطال عُمره] إلى زمن موسى، أو: [هو] يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، في قول [آخر، وهما قولان ضعيفان. والصحيح: أن الآية تعني: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومؤمن آل فرعون يخاطب الموجودين في زمنه من القبط، مذكراً إياهم بما فعل آبائهم من قبل] ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك﴾ [بعبارتكم، أي: مات] ﴿قلتم﴾ من غير برهان ﴿لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ شاكٌ فيما شهدت به البينات.

﴿٣٥﴾ الذين يجادلون في آيات الله ﴿معجزاته، مبتدأ﴾ بغير سلطان ﴿برهان﴾ أناهم كبير ﴿جدالهم﴾، خبر المبتدأ ﴿مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا﴾ [ومقت الله: بغضه لهم، ولعنه إياهم، وإحلال العذاب بهم، والمؤمنون أيضاً ييغضون من تكون هذه صفاته] ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلالهم ﴿يطبع﴾ يختم ﴿الله﴾ بالضلal على كل قلب متكبر جبار ﴿بتنوين قلب﴾ ودونه، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه،

وبالعكس، و «كل» على القراءتين، لعموم الضلال جميع القلب، لا لعموم القلوب، [أي: يختم الله بالضلal على جميع القلب]. ﴿٣٦﴾ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ﴿بناء عالياً﴾ ﴿لعلني أبلغ الأسباب﴾. ﴿٣٧﴾ أسباب السماوات ﴿طرقها الموصلة إليها﴾ ﴿فأطلع﴾ بالفرع عطفاً على «أبلغ»، وبالنصب جواباً لـ «ابن»، [أي: أنظر] ﴿إلى إله موسى

(١) قوله: «يوم حزب حزب»، أشار بذلك إلى أن هلاك الأحزاب - كقوم نوح وغيرهم - لم يكن في يوم واحد، وأن ذلك ليس مراداً، بل كان لكل حزب يوم أهلكوا فيه، أو بدأ هلاكهم فيه، كعاد الذين أهلكوا بريح قوية، دامت سبع ليالٍ وثمانية أيام متتالية.

وإني لأظنه ﴿كاذباً﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً، [وتلبساً على قومه] ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ [فراه حسناً] ﴿وصدَّ عن السَّيْلِ﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ خسارة.

٣٨ ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني﴾ أي، بإثبات الياء وحذفها ﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ تقدم [معناه في الآية ٢٩]، أي: طريق الصواب، وهو الموصل إلى الجنة.

٣٩ ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ تمتع يزول ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [الاستقرار والخلود].

٤٠ ﴿من عمل سيئة فلا يجزى﴾ (١) إلا مثلها ومن

عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ﴿بضم الياء وفتح الخاء﴾، [أي: بالبناء للمفعول] وبالعكس [أي: بالبناء للفاعل]. ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.

٤١ ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾ [أي: طريق الإيمان الموصل إلى الجنان] ﴿وتدعونني إلى النار﴾.

٤٢ ﴿تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لمن تاب.

٤٣ ﴿لا جرم﴾ (٢) حقاً ﴿أن ما تدعونني إليه﴾ لأعبده [من دون الله] ﴿ليس له دعوة في الدنيا﴾ أي: استجابة دعوة ﴿ولا في الآخرة﴾ [أي: لا يجيب داعية لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا ينفع ولا يضر، ولا يملك من الأمر شيئاً] ﴿وأن مردنا﴾ مرجعنا ﴿إلى الله وأن المسرفين﴾ الكافرين ﴿هم أصحاب النار﴾.

٤٤ ﴿فستذكرون﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿ما أقول﴾

(١) قوله تعالى: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ الآية، وأما الحسنة فتضاعف، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن مِمَّ بحسنة

— أي: قصد فعلها قصداً راجحاً — فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها — أي: خوفاً من الله تعالى — كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

قال الإمام النووي بهذا الحديث القدسي: فانظر يا أخي، وفقنا الله وإياك، إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ، وقوله: «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها، وقال في السيئة التي يعملها: «كتبها الله سيئة واحدة» فأكد تقليلها بـ «واحدة» ولم يؤكد بها بـ «كاملة» فله الحمد والمنة.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٠

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۖ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ
وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۖ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ آتِيعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ۚ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَنْقُومُ مَا لِي
أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي
لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ ۖ مَا لِيَ بِهِ ۖ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ
لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ۚ وَأَن مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ
وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمُ الْمُصْحَبُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ

— أي: قصد فعلها قصداً راجحاً — فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها — أي: خوفاً من الله تعالى — كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

(٢) قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «لا جرم» وإعرابها ص ٢٨٧.

لَكُمْ ﴿وَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴿أَيُّ: أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَسْلَمْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرِ الْعِبَادِ﴾
قال ذلك، لَمَّا تَوَعَّدُوهُ بِمُخَالَفَتِهِ دِينَهُمْ.

٤٥ ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا﴾ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ ﴿وَحَاقَ﴾ نَزَلَ ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿أَيُّ: بِفِرْعَوْنَ وَآلِهِ وَ[قَوْمِهِ مَعَهُ
﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الْغُرْقُ [فِي الْيَمِّ فِي الدُّنْيَا].

٤٦ ثُمَّ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ^(١) يَحْرَقُونَ بِهَا [فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ] ﴿غَدَاً وَعَشِيًّا﴾ صَبَاحاً وَمَسَاءً ﴿وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُقَالُ [لَهُمْ] ﴿ادْخُلُوا﴾ يَا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [بِضَمِّ الْخَاءِ، أَمْرٌ لَهُمْ]، وَفِي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ
الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْخَاءِ: أَمْرٌ لِلْمَلَائِكَةِ،
[أَيُّ: ادْخُلُوهُمْ] ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عَذَابِ
جَهَنَّمَ.

٤٧ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ بِتَخَاصُمِ
الْكُفَّارِ [جَمِيعاً] ﴿فِي النَّارِ﴾ يَقُولُ
الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا جَمْعُ «تَابِع» ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ
مُغْنُونَ﴾ دَافِعُونَ ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جِزْءاً ﴿مِنَ
النَّارِ﴾.

٤٨ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿فَادْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ
وَالْكَافِرِينَ النَّارَ﴾ [أَيُّ: لَا فَائِدَةَ مِنَ التَّخَاصُمِ
بَعْدَ أَنْ قُضِيَ الْأَمْرُ].

٤٩ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أَيُّ: قَدَرِ يَوْمٍ ﴿مِنَ
الْعَذَابِ﴾.

٥٠ ﴿قَالُوا﴾ أَيُّ: الْخَزَنَةُ تَهْكِمُ ﴿أَوَلَمْ
تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْمُعْجَزَاتِ
الظَّاهِرَاتِ؟ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أَيُّ: فَكَفَرُوا
بِهِمْ [رَغْمَ ذَلِكَ] ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾
أَنْتُمْ، فَإِنَّا لَا نَشْفَعُ لِلْكَافِرِينَ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ﴾ انْعِمَادٌ، [أَيُّ: لَا يَسْتَجَابُ
لَهُمْ].

٥١ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ جَمْعُ

الْبَيِّنَاتُ وَالْبَيِّنَاتُ

لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غَدَاً وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ
تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا
دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾

«شَاهِد» وَهُمْ: الْمَلَائِكَةُ، يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالْبَلَاغِ، وَعَلَى الْكُفَّارِ بِالْكَذِبِ، [وَقِيلَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ].

(١) قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا...﴾ الآية، قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ. وكذلك يعرض على الإنسان بعد موته مقعده في الجنة أو في النار، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحذركم إذا مات عرض عليه مقعده بالقدادة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»، أرجع إلى تعليقنا حول «عذاب القبر ونعيمه» ص ٣٣٤.

٥٢ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْبِئْسَةِ الدَّارِ﴾ والثناء ﴿الظَّالِمِينَ مَعَذَرْتَهُمْ﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: شدة عذابها.

٥٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة، [ليعملوا بها من بعده].

٥٤ ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ تذكرة لأصحاب العقول. ٥٥ ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد، [فأنت موعود

بالنصر] ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْكَ﴾ لِيُسْتَنَّ بِكَ ^(١) ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلّ متلبساً ^(٢) ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ [جمع «بكرة»، أي: صلّ الصلوات الخمس].

٥٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ [أي: يجادلون عناداً] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر [عن قبول الحق]، وطمع [في] أن يعلموا عليك ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

٥٧ ونزل في منكري البعث: ﴿لَخَلِيقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابتداء ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية، وهي: الإعادة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهو [أي: منكر البعث] كالأعمى، ومن يعلمه [ويؤمن به] كالبصير [لذلك قال تعالى:].

٥٨ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ولا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيه زيادة «لا» ﴿قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالباء والثناء، أي: تذكرهم قليل جداً.

٥٩ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لِرَبِّكَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها. ٦٠ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ

(١) قوله: «ليستن بك»، لذلك كان ﷺ يكثر من الاستغفار ويحث عليه، فقد روى مسلم عن الأغربين يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإنني أتوب في اليوم مائة مرة». وروى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٢) قوله: «متلبساً» بتقديم التاء على اللام أي: ملاسماً للحمد، هذا هو الصواب كما في المخطوطتين الثانية والثالثة، وأما ما جاء في المخطوطة الأولى من تقديم اللام على التاء أي: «متلبساً» فهو تصحيف من الناسخ وخطأ وقع أيضاً في بعض الطبعات.

ادعوني أستجب لكم ﴿١﴾ أي: اعبدوني ﴿١﴾ أثبتكم، [وتفسير الدعاء بالعبادة] بقرينة ما بعده ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون﴾ بفتح الياء وضم الخاء، وبالعكس، [أي: بالبناء للفاعل والمفعول] ﴿جهنم داخرين﴾ صاغرين.

٦١ ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ إسنادُ الإِصْـبَارِ إليه مجازي، لأنه يُبْصِرُ فيه، [أي: مضيئاً لتبصروا فيه] ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله، فلا يؤمنون.

٦٢ ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون؟﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان [إلى الكفر] مع قيام البرهان؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٦٣ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٤ ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ كذلك يؤفك الذين كانوا يعايت الله يمجّدون ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم﴾ ورزقكم من الطيبات ذلك الله رب العالمين ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك، [وقولوا:] ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ٦٥ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله لما جاءني البينات﴾ دلائل التوحيد ﴿من ربي وأمرت أن أسلم لرب﴾

٦٣ ﴿كذلك يؤفك﴾ أي: مثل إفك هؤلاء، أفك [أي: ضلّ وضُرف عن الإيمان] ﴿الذين كانوا بآيات الله﴾ معجزاته [لرسله] ﴿يجحدون﴾ ينكرون، مع وضوح البرهان على صدقهم.

٦٤ ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ [أي: مكاناً لاستقراركم وحياتكم] ﴿والسماء بناءً﴾ سقفاً ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [أي: خلقكم في أحسن صورة، «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»] ﴿ورزقكم من الطيبات ذلك الله ربكم فبارك الله رب العالمين﴾.

٦٥ ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك، [وقولوا:] ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

٦٦ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله لما جاءني البينات﴾ دلائل التوحيد ﴿من ربي وأمرت أن أسلم لرب﴾

(١) قوله: ﴿أي: اعبدوني﴾، أخرج الترمذي وقال: حسن صحيح، وأبن حبان وغيرهما، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ الآية، فالدعاء عبادة، وترك دعاء الله سبحانه استكبار، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء، كما هو ثابت في أحاديث كثيرة، وإذا دعا المسلم ربّه فليدعه بإخلاص، وهو موقن بأن الله سيستجيب دعاءه.

إن من أهم شروط إجابة الدعاء: ترك الحرام في كل شأن من شؤون الحياة، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب - أي: قدوس منزّه عن النقائص - لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب.. يا رب.. ومطعمه حرام، وملبسته حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟» أي: كيف يستجاب لمن هذه صفته؟ أرجع إلى تعليقنا حول «النهي عن الدعاء بالمكروه» ص ٢٦٧.

العالمين ﴿وهكذا أنتم، فقد جئتمكم بالبينات من ربكم، فوحدوه وأسلموا له، ولا تشركوا به شيئاً﴾.

٦٧ ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾. بخلق أبيكم آدم منه، [ثم خلق من آدم زوجه حواء] ﴿ثم﴾ [تناسل البشر منهما] ﴿من نطفة﴾ مني ﴿ثم من علقه﴾ دم غليظ ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ بمعنى: أطفالاً ﴿ثم﴾ يبيقكم ﴿لتبلغوا أشدكم﴾ تكامل قوتكم، هو: من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ بضم الشين وكسرهما ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي: قبل الأشد والشيوخة، فعَل ذلك بكم، لتعيشوا ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ وقتاً محدوداً [هو أجل الموت] ﴿ولعلكم تعقلون﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٠

٦٨ ﴿هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ بضم النون، وفتحها بتقدير «أن»، أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور، [أي: إذا أراد إيجاد شيء، وجد بلا إبطاء].

٦٩ ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآن ﴿أنى﴾ كيف ﴿يصرفون﴾ عن الإيمان؟ [وهذه الآية تعجب من حال الكافرين، الذين لا يتفكرون فيما يرون من الآيات أو يسمعون، أي: كيف يضل عن الإيمان إنسان عاقل؟].

٧٠ ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلاً﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة [وأمثالهم] ﴿فسوف يعلمون﴾ عقوبة تكذيبهم.

٧١ ﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾ «إذ» بمعنى «إذا» ﴿والسلاسل﴾ عطف على «إذ» الأغلال، فتكون [السلاسل أيضاً] في الأعناق، أو [هي] مبتدأ، خبره محذوف، أي: في أرجلهم، أو: خبره [جملة: ﴿يسحبون﴾] أي: يجرون بها.

الْعَالَمِينَ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرِفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ

٦٢٧

٧٢ ﴿في الحميم﴾ أي: جهنم ﴿ثم في النار يسجرون﴾ يوقدون.

٧٣ ﴿ثم قيل لهم﴾ تبيكياً، [أي: تقيعاً وتعنيفاً وإلزاماً بالحجة] ﴿أين ما كنتم تشركون﴾.

٧٤ ﴿من دون الله﴾ [أي: معه، وهي: الأصنام؟] ﴿قالوا ضلوا﴾ غابوا ﴿عنا﴾ فلا نراهم، [وتركنا في العذاب] ﴿بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت، قال تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أي: وقودها ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يضل الله الكافرين﴾. ٧٥ ويقال لهم أيضاً: ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بما كنتم تفرحون﴾

في الأرض بغير الحق من الإشراك وإنكار البعث وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح. ٧٦ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين^(١) [عن الإيمان]. ٧٧ فاصبر إن وعد الله بعذابهم حق فأما نرينك فيه إن شرطية، مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره، [ففي «نرينك» مؤكّدان هما: «ما» المزيّدة قبله، ونون التوكيد بعده] بعض الذي نعدّهم به، من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك «أو تنوفينك» قبل تعذيبهم «فإلينا يرجعون» فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور [جواب] للمعطوف فقط، [أي: لقوله: «تنوفينك»، لأن جواب «نرينك» محذوف كما تقدم].

الْبُرْءُ إِلَى اللَّهِ وَالنَّارِ

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ٧٦ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ٧٧ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ٧٨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ٧٩ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ قِيلَ: الْإِبِلُ خَاصَةٌ هُنَا، وَالظَّاهِرُ: [أَنهَا] الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ [أَيْضًا] «لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ». ٨٠ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ مِنَ الدَّرِّ وَالنَّسْلِ وَالْوَبَرِ وَالصَّوْفِ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ هِيَ: حَمْلُ الْأَثْقَالِ إِلَى الْبِلَادِ «وَعَلَيْهَا» فِي الْبَرِّ «وَعَلَى الْفُلْكِ» الْسَفْنُ فِي الْبَحْرِ «تَحْمِلُونَ». ٨١ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ [أَيُّهَا النَّاسُ، بِاسْتِمْرَارٍ وَعَلَى الدَّوَامِ] «فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ «تُنْكِرُونَ»؟ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ، [وَالْمَعْنَى: هَلْ يَحِقُّ لَكُمْ إِنْكَارُ آيَةِ اللَّهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؟ لَا]، وَتَذَكِيرٌ «أَيُّ» أَشْهُرُ مِنْ تَأْنِيهِ، [أَيُّ: أَشْهُرُ مِنْ «آيَةٍ»].

٨٢ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [مَنْ الْأَمَمُ الْمَاضِيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا]

(١) قوله «المتكبرين» ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٢) قوله: «روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي... إلخ، جاء هذا في حديث رواه أبو يعلى في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، وفي مسنده موسى بن عبيدة الرزدي وهو ضعيف جداً، فهذه رواية لا أصل لها ولا يعتد بها، والصواب أنه لا يعلم عدد الأنبياء والمرسلين حصراً إلا الله تعالى، والدليل على ذلك هذه الآية الكريمة، ولعمدتي بيان أرجع إلى تعليقنا على الآية المماثلة من سورة «النساء» ص ١٣١.

﴿كانوا أكثر منهم﴾ [عدداً ومالاً] ﴿وأشد قوة وأثراً في الأرض﴾ من مصانع وقصور ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ [أي: لم يغن عنهم ذلك شيئاً].

٨٣ ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فرحوا﴾ أي: الكفار ﴿بما عندهم﴾ أي: الرسل^(١) ﴿من العلم﴾ فرح استهزاءً وضحك، منكبين له ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب، [فقد كانوا في الدنيا يستهزئون، إذا أنذرتهم رسلهم بالعذاب].

٨٤ ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ [ولكن: هل نفعهم إيمانهم هذا؟ لا، دل عليه قوله تعالى:]

٨٥ ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه، [تقديره: سن الله بهم سنة من قبلهم] ﴿التي قد خلت في عباده﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ [أي: تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك].

﴿سُورَةُ فَصَّلَتْ﴾

(مكية: [أربع وخمسون، وقيل:] ثلاث وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿حم﴾^(٢) الله أعلم بمراده به.
- ٢ ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ مبتداً.
- ٣ ﴿كتاب﴾ خبره.

﴿سُورَةُ فَصَّلَتْ﴾ ٤١

كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ

(١) قوله: «أي: الرسل»، ما ذهب إليه الجلال المحلي هو وجه في تفسير الآية، والأوضح منه قول مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى: إن الكفار هم الذين فرحوا بما عندهم من العلم حيث قالوا: نحن أعلم منهم، لن نُعَذَّبَ ولن نُنَبِّئَ، فيكون فرحهم فرح بطر واستكبار.

(٢) قوله تعالى: ﴿حم﴾، هذه السورة إحدى الحواميم السبع، أي: التي افتتحت بـ «حم» وهذه الحواميم هي: — بالتتابع — من سورة «غافر» حتى سورة «الأحقاف».

﴿فصلت آياته﴾ يثبت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قرآناً عربياً﴾ حال من «كتاب» بصفته، [أي: مع صفته التي هي جملة: «فصلت آياته»، فالذي سوغ مجيء الحال بعد «كتاب» - وهو نكرة - وصفها بما بعدها] «لقوم» متعلق به «فصلت» «يعلمون» يفهمون ذلك، وهم العرب. ٤ ﴿بشيراً﴾ صفة «قرآن» «ونذيراً» فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴿سماع قبول. ٥﴾ وقالوا ﴿لنبي﴾ «قلوبنا في أكنة» أغطية «مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر» ثقل «ومن بيننا وبينك حجاب» خلاف في الدين، [فهم يعبدون الأصنام، وهو يعبد الله تعالى] «فاعمل» على دينك «إننا عاملون» على ديننا. ٦ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فاستقيموا إليه﴾ بالإيمان والطاعة «واستغفروه» [من شرككم] «وويل» كلمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عذاب «للمشركين». ٧ ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ [أي: لا ينفقون مما رزقهم الله، ويقولون للمؤمنين: «أنطعم من لو يشاء أطعمه»] «وهم بالآخرة هم» تأكيد «كافرون». ٨ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ مقطوع.

٩ ﴿قل أنتم﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينهما - بوجهيها - وبين الأولى، [وتركها] «لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين» (١) «الأحد والاثنين» وتجعلون له أنداداً ﴿شركاء﴾ «ذلك رب» مالك «العالمين» جمع «عالم»، وهو: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون، تغليظاً للعقلاء.

١٠ ﴿وجعل﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»، للفواصل الأجنبية «فيها» رواسي ﴿جبالاً ثوابت﴾ [ثبتها] «من فوقها وبارك فيها» بكثرة المياه والزروع والضروع «وقدر» قسم «فيها أقواتها» للناس والبهائم «في» تمام «أربعة أيام» أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء [اقرأ التعليق] «سواء» منصوب على المصدر، أي: استوت [الأيام] الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص «للسائلين» عن خلق الأرض بما فيها. ١١ ﴿ثم استوى﴾ قصد.

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ إِنكُمْ لَنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴿١١﴾

(١) قوله تعالى: «في يومين»، ثم قوله بعد ذلك: «في أربعة أيام»، ثم قوله: «ففضاهن سبع سموات في يومين»، هذا تفصيل لمثل قوله تعالى في سورة «ق»: «ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب» أي: تعب وإعياء، فتم خلق الأرض وتقدير أقواتها في مقدار أربعة أيام، وتم خلق السماوات في مقدار يومين، كل ذلك بلا ترتيب زمني، لأن «ثم» في مثل قوله تعالى: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان» لا تفيد في حق الله تعالى ترتيباً زمنياً، لأنه تعالى لا يجري عليه زمان، فكان خلق السماوات والأرض وما بينهما في مقدار ستة أيام، من غير تحديد ولا تعيين على الصحيح، أما تعيين هذه الأيام بأسمائها على التحو الذي ساقه المحلّي هنا، وكذلك فعل في جميع المواضع الأخرى التي يذكر فيها «في ستة أيام» حيث اعتاد أن يقول بعد ذلك: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، فهو تعيين لا سند له، وهو أيضاً مخالف لما فسره هو في سورة «الفرقان» ص ٧٧ حيث قال: «من أيام الدنيا» =

﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ في موضع الحال، أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر العاقل، أو: نُزِّلْنَا لخطابهما منزلته. ١٢ ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه، أي: صيرها ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [اقرأ التعليق] الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم، ولذلك لم يقل هنا: «سواء»، ووافق ما هنا، آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به مَنْ فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحَفِظْنَا﴾ منصوب بفعله المقدر، أي: حفظناها من استراق الشياطين السَّمْعَ بالشهب ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

١٣ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: كفار مكة، عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿نَقُلْ أَنْذَرْتَكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾ أي: عذاباً يهلككم مثل الذي أهلكهم. ١٤ ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومديرين عنهم ﴿أَنْ، أَيْ: بَأْنَ﴾ لا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لَأَنزَلَ ﴿[علينا]﴾ ملائكة فإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴿على زعمكم﴾ كافرين.

١٥ ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: لا أحد، كان واحدٌهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وكانوا بآياتنا المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ﴾. ١٦ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ بازدة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها: مشؤومات ﴿لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ﴾

سُورَةُ فَصَّلَتْ ٤١

إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ

٦٣١

= أي: قدرها لأنه لم يكن ثمَّ شمس، وتبعه السيوطي في بعض المواضع كما في تفسير الآية السابعة من سورة «هود» ص ٢٨٤ مخالفاً بذلك ما سبق له اعتماده في تفسيرها في مواضع أخرى، كما في أول سورة «يونس» ص ٢٦٥ إذ يقول أيضاً: ﴿إِنْ رِيبَكُمْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثمَّ شمس ولا قمر. اهـ. وإنَّ كان يكفي أن يقول: «شمس»، لأنه لا علاقة للقمر باليوم والليلة، وقد روي تعيين الأيام الستة بأسماؤها كما ذكره الجلالان عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولعله يروي قول اليهود في ذلك، الذين يزعمون أن الله خلقهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم في اليوم السابع أي: يوم «السبت» استراح، و«السبت» في اللغة: القطع والراحة، لذلك هم يتركون فيه كل عمل و«يَسْتَيْتُونَ»، ورواه أيضاً البيهقي والحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ، واستغريه ابن كثير. أما ما جاء في صحيح مسلم والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «خلق الله التربة =

الحزبي ﴿الذل﴾ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد ﴿وهم لا يتصرون﴾ بمنعه عنهم. ١٧ ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ بيّنا لهم طريق الهدى ﴿فاستحبوا العمى﴾ اختاروا الكفر ﴿على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ المهين ﴿بما كانوا يكسبون﴾. ١٨ ﴿ونجيناً﴾ منها ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الله، ﴿وهم صالح عليه السلام، ومن آمن معه﴾. ١٩ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يُخْشَرُ﴾ بالياء [مضمومة، ورفع «أعداء»]، وبالنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة [أي: نصب «أعداء»] ﴿أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ يساقون. ٢٠ ﴿حتى إذا ما﴾ زائدة ﴿جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ [في الدنيا من أعمال].

٢١ ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ أراد نطقه ﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ قبل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه تقريب ما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداءً وإعادة تكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

٢٢ [أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن عبد الله بن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو: ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله بسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى:] ﴿وما كنتم تستترون﴾ عند ارتكابكم الفواحش من ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ لأنكم لم توفقوا بالبعث ﴿ولكن ظننتم﴾ عند استاركم ﴿أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾.

٢٣ ﴿وذلكم﴾ مبتدأ ﴿ظنكم﴾ بدل منه ﴿الذي ظننتم بربكم﴾ نعت البدل، والخبر ﴿أرداكم﴾ أي: أهلككم [فأوردكم النار]

الْحَزْبُ الثَّالِثُ الْغَيْثُ

الْحَزْبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ١٨ وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٠ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ٢١ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ ٢٢ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ٢٣ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ

يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه - أي: الشر - يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، فقد قال فيه ابن كثير وغيره: إن هذا الحديث من غرائب الصحيح، ونقول: الصحيح أنه لا غرابة فيه، لأن هذا الحديث لا علاقة له بخلق السموات والأرض في ستة أيام، فليست الأيام المذكورة فيه هي الأيام التي تم فيها خلق السموات والأرض - وقد قدمنا أن خلقهما تم في مقدار ستة أيام - فالحديث يوضح ما جاء في القرآن ويزيد عليه ولا يخالفه، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾، فهذه الآية صريحة في أن أشياء كثيرة =

فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ
 مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٥﴾
 * وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
 خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ
 قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ
 لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
 شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ
 بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ

﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ٢٤ ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ لهم ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا العُتْبَى، أي: الرضا [عنهم] ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرضيين. ٢٥ ﴿وَقَبَضْنَا﴾ سَبَبْنَا [وهيئنا] ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾^(١) من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: لأملأن جهنم، الآية [١١٩ من سورة «هود»] ﴿فِي﴾ جملة ﴿أُمِّ قَدْ خَلَّتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ كانوا خاسرين. ٢٦ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ﴾ إيتوا بِاللَّغَطِ ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكت عن القراءة. ٢٧ قال الله تعالى فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أقبح جزاء عملهم، [أي: أشد عذابه]. ٢٨ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد، وأسوأ الجزاء ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ بتحقيق الهمة الثانية وإبدالها واواً [النار] عطف بيان لـ «جزاء»، المخبر به عن «ذلك» ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة، لا انتقال منها ﴿جَزَاءُ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر، [أي: جازاهم جزاء] ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ [ينكرون مع وضوح الآيات]. ٢٩ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: إبليس و [ابن آدم] قابيل، سَنَّا الكفر والقتل، [فَسَنَّا إبليس الكفر، وَسَنَّا قابيل القتل] ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أشد عذاباً منا. ٣٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ

= خلقت في السماوات والأرض بعد خلقهما، يؤيده رواية «النسائي» لحديث أبي هريرة المذكور التي في أولها: أن النبي ﷺ أخذ بيدي فقال: «يا أبا هريرة، إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع» ثم ذكر الحديث بتمامه، ولا يلزم أن يكون خلق هذه الأشياء قد تم في أسبوع واحد، فلو ربطنا بين قوله تعالى: ﴿وَبِثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ وقوله ﷺ في حديث مسلم: «وَبِثَّ فِيهَا الدُّوَابُّ يَوْمَ الْخَمِيسِ»، وبين ما جاء في هذا الحديث عن خلق آدم يوم الجمعة، وما جاء في الأحاديث الصحيحة الأخرى، لوجدنا التطابق والتوافق ظاهرين، والله تعالى أعلم.

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾، «القرناء» جمع «القرين» أي: صاحب، ولم يرد لفظ القرين مجموعاً إلا في هذا الموضع، وجاء في غيره مفرداً، وقد أطلق اسم «القرين» في القرآن الكريم على معاني منها:

* معنى: «الصاحب من الإنس» وهو المذكور في سورة «الصفات» ص ٥٩٠ في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (الآية ٥١ وما بعدها).

* وأطلق على: «الشيطان من الجن»، وهو المذكور في سورة «الزخرف» ص ٦٥١ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْتَسِ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الآية ٣٦ ثم قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ الْقَرِينَ﴾ الآية ٣٨ منها. وقوله تعالى في سورة «النساء» ص ١٠٦: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ الآية ٣٨ منها. وقوله تعالى في سور «ق» ص ٦٩٠: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتَهُ﴾ الآية ٢٧ منها.

قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴿ على التوحيد وغيره، مما وجب عليهم، [قال العلماء: معنى «الاستقامة»: لزوم طاعة الله تعالى، وروى مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم» ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿أن﴾ بأن ﴿لا تخافوا﴾ من الموت وما بعده ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾. ٣١ ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ نحفظكم فيها ﴿وفي الآخرة﴾ أي: نكون معكم فيها، حتى تدخلوا الجنة ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾ تطلبون. ٣٢ ﴿نزلاً﴾ رزقاً مهيباً، [وهو] منصوب بـ «جعل» مقدراً ﴿من غفور رحيم﴾ هو الله. ٣٣ ﴿ومن أحسن قولاً﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً ﴿ومن دعا إلى الله﴾ بالترديد ﴿وعمل صالحاً﴾ وقال إنني من المسلمين. ٣٤ ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ في جزاءاتهما، لأن بعضهما فوق بعض، [فالحسنات تتفاوت في فضلها وثوابها، والسيئات بعضها أسوأ من بعض كذلك، هذا وجه، وقيل: المراد بالحسنة، الإيمان والطاعة، وبالسيئة، الشرك والمعصية، وهما لا يستويان] ادفع ﴿السيئة بالتي﴾ أي: بالخصلة التي هي أحسن ﴿كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو﴾ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴿أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته، إذا فعلت ذلك، ف «الذي» مبتدأ، و «كأنه» الخبر، و «إذا» ظرف لمعنى التشبيه. ٣٥ ﴿وما يلقاها﴾ أي: يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ﴾ انصيب وافر من [ثواب [الله تعالى] عظيم] [وهو الجنة]. ٣٦ ﴿وما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ينزعك من الشيطان نزع﴾ أي: إن يصرفك عن [تلك] الخصلة، وغيرها من [خصال] الخير، صارف ﴿فاستعذ بالله﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يذفعك عنك ﴿إنه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل. ٣٧ ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ نَزَّلَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

* ويطلق على: «الملك الموكل بالإنسان» وهو المشار إليه بقوله تعالى في سورة «ق» ص ٦٩: ﴿وقال قرينه هذا ما لدي عتيق﴾ الآية ٢٣ منها، وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «ولياي، إلا أن الله أعانني فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»، وقوله: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، فمن رفع قال: معناه، أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين قد أسلم وصار مؤمناً، وهذا هو القول الأقوى والرواية الأرجح، وفي رواية أخرى لمسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». فالقرين من الجن يأمر بالشر، والقرين من الملائكة يأمر بالخير. ارجع إلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠.

ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴿٣٨﴾ فإن استكبروا ﴿٣٩﴾ عن السجود لله وحده ﴿٤٠﴾ فالملأكة يسبحون ﴿٤١﴾ يصلون ﴿٤٢﴾ له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴿٤٣﴾ لا يملون ﴿٤٤﴾.

﴿٣٩﴾ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ﴿٤٥﴾ [حال، أي: يابسة لا نبات فيها] فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ﴿٤٦﴾ تحركت ﴿٤٧﴾ ووربت ﴿٤٨﴾ انتفخت وعلت ﴿٤٩﴾ إن الذي أحيها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴿٥٠﴾.

﴿٤٠﴾ إن الذين يلحدون ﴿٥١﴾ [بضم الياء وكسر الحاء] من «الحدة»، وفي قراءة أخرى: بفتح الياء والحاء، من] «لحد»، [أي: يميلون عن الحق] ﴿٥٢﴾ في آياتنا ﴿٥٣﴾ القرآن بالكذب ﴿٥٤﴾ لا يخفون علينا ﴿٥٥﴾ فنجازيهم، [وهذا تهديد لهم وإنذار بوعيد شديد] ﴿٥٦﴾ أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة؟ ﴿٥٧﴾ [سؤال تكرر، لحمل الناس على التفكير والرجوع إلى الحق] ﴿٥٨﴾ اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴿٥٩﴾ تهديد لهم.

﴿٤١﴾ إن الذين كفروا بالذكر ﴿٦٠﴾ القرآن ﴿٦١﴾ لما جاءهم ﴿٦٢﴾ [سوف] نجازيهم [على كفرهم به] ﴿٦٣﴾ وإنه لكتاب عزيز ﴿٦٤﴾ منيع.

﴿٤٢﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿٦٥﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه، ولا بعده، [ولا يناله تحريف أو تبديل] ﴿٦٦﴾ تنزيل من حكيم حميد ﴿٦٧﴾ أي: الله المحمود في أمره.

﴿٤٣﴾ ما يقال لك ﴿٦٨﴾ من التكذيب ﴿٦٩﴾ [إلا] مثل ﴿٧٠﴾ ما قد قيل للرسول من قبلك ﴿٧١﴾ [كشاعر وكاهن، فلا تحزن، ولا تهتم لقولهم] ﴿٧٢﴾ إن ربك لذو مغفرة ﴿٧٣﴾ للمؤمنين.

(١) قوله: «لا يملون» أي: من التسييح، فالملأكة عابدون مسبحون ليلاً ونهاراً، لأنهم لا ينامون،

ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أما البشر فقد يعتريهم الملل من الطاعة والعبادة إذا شددوا على أنفسهم، لأنهم يحسون بالتعب ويحتاجون إلى الراحة، لذلك رفع الله تعالى عنا الحرج فقال: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، ولم يكلفنا إلا ما نطق به ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وحث النبي ﷺ على الانتصاف في الطاعة حرصاً على استمرارها وحسن أدائها، فقد روى مسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «هلك المتطعون»، قالها ثلاثاً، وهم: المتشددون في غير موضع التشديد، وروى الشيخان من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «عليكم بما نطقون، فوالله لا يعمل الله حتى تملوا»، وروى عنها أيضاً رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذ نَسَ أحدكم وهو يصلي، فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنه إذا صلى وهو ناعس، لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه».

وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين . ٤٤ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ [أي: غير عربي، وجاءهم به محمد ﷺ] ﴿لَقَالُوا لَوْلَا هَلَّا﴾ ﴿فَصَلَّتْ﴾ بَيَّنَّتْ ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها؟ ﴿أَمْ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيٍّ﴾ و﴿عَرَبِيٍّ﴾؟ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية^(١) وقلبها ألفاً [ممدودة مدّاً لازماً، وبتسهيلها، بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ﴾ وشفاء من الجهل والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرء ثقّل، فلا يسمعون وهو عليهم عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ ينادون من مكان بعيد﴾ أي: هم كالمنادي من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادي به .

٤٥ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق،

الجزء الثاني من القرآن الكريم

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ﴿أَعْجَمِيٍّ﴾ و﴿عَرَبِيٍّ﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ ينادون من مكان بعيد﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ وَفِي قَرَاءَةِ ثَمَرَاتٍ﴾ [بالجمع] ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أو عيتها، جمع ﴿كِمٍّ﴾ بكسر الكاف، إلا بعلمه ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي﴾ [الذين زعمتم أنهم لي شركاء؟] ﴿قَالُوا أَأُذْنَاكَ أَعْلَمُنَاكَ الْآنَ﴾ ﴿ما منا من شهيد﴾ أي: شاهد بأن لك شريكاً .

٤٨ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿من قبل﴾ في الدنيا من الأصنام [وغيرها] ﴿وَوَظَنُوا﴾ أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين، [أي: «ما منا»، و«ما لهم»]، معلق [لكل من: «أذن» و«ظن»] عن العمل [لفظاً لا محلاً]، وجملة النفي [في الموضعين المذكورين] سدت مسدّ المفعولين، [فقوله: «ما لهم من محيص» سدت مسدّ مفعولي «ظنوا»]، وقوله: «ما منا من شهيد» سدت مسدّ المفعول الثاني لـ «أذنك»، وكاف ضمير الخطاب هي المفعول الأول، لأن «أذن» يتعدى إلى مفعول بنفسه، وإلى آخر يحرف جر، وتقدير الكلام «أذنك بقولنا: ما منا من شهيد» . ٤٩ ﴿لَا يَسْمَعُ﴾

(١) قوله: «بتحقيق الهمزة الثانية إلخ...»، للقراء ورواتهم قراءات ووجوه في هذه الآية لا يتسع المجال لبيانها هنا، فالأحسن الرجوع إلى أهل العلم في القراءات لأخذها مشافهة .

(٢) قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾... الآية، ارجع إلى تعليقنا حول «مفاتيح الغيب» ص ١٧١ .

الإنسان من دعاء الخير ﴿أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما﴾ وإن مسه الشر ﴿الفقر والشدة﴾ فيؤوس قنوطاً^(١) من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافر.

٥٠ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أدقناه﴾ آتيناه ﴿رحمة﴾ غنى وصحة ﴿منا من بعد ضراء﴾ شدة وبلاء ﴿مسته ليقولن هذا لي﴾ أي: بعملني ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن﴾ لام قسم ﴿رجعت إلى ربي﴾ [افتراضاً] ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ أي: الجنة ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولندينقنهم من عذاب غليظ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

٥١ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ [والمراد به] الجنس ﴿أعرض﴾ عن الشكر ﴿وناءً بجانبه﴾ [بتأخير الهمزة عن الألف

كـ «قال»، أي: [ثنى عطفه متبخرأ، وترفع

عن الانقياد إلى الحق]، وفي قراءة: بتقديم

الهمزة [على الألف بوزن «رمي»، وهي بنفس

المعنى] ﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾

كثير.

٥٢ ﴿قل أرأيتم إن كان﴾ أي: القرآن ﴿من عند

الله﴾ كما قال النبي ﷺ ﴿ثم كفرتم به من﴾ أي:

لا أحد ﴿أضل ممن هو في شقاق﴾ خلاف

﴿بعيد﴾ عن الحق؟ أوقع هذا، [أي: قوله: «من

أضل ممن هو في شقاق بعيد»]، موقع: [من

أضل] منكم، بياناً لحالهم.

٥٣ ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ أقطار السماوات

والأرض من: الثِّرات، والنبات، والأشجار،

﴿وفي أنفسهم﴾ من لطيف الصنعة وبديع

الحكمة ﴿حتى يتبين لهم أنه﴾ أي: القرآن [هو]

﴿الحق﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب

والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به، وبالجائي به

﴿أولم يكف بربك﴾ فاعل «يكف»، [والباء

حرف جر زائد] ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل

منه، أي: أولم يكفهم في صدقك، أن ربك

لا يغيب عنه شيء ما؟ [أو: أولم يكفك ربك،

أنه عالم بكل شيء، ومنه كفرهم؟، أي:

فسيعاقبهم عليه].

٥٤ ﴿ألا إنهم في مرية﴾ شك ﴿من لقاء ربهم﴾

لإنكارهم البعث ﴿ألا إنه﴾ تعالى ﴿بكل شيء﴾

محيط ﴿علماً وقدره، فيجازيهم بكفرهم.

سُورَةُ الْقُنُوطِ

الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُ

قَنُوطٌ ٥٠ وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ

لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ

إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥١ وَإِذَا

أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ٥٢ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ٥٣ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ٥٤ مَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ

بَعِيدٍ ٥٥ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ٥٦ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٧ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ مِنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ

أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ٥٨

(١) قوله تعالى: ﴿فيؤوس قنوط﴾ «القنوط» هو: اليأس من رحمة الله، أما «القنوت» بالناء: فهو الخشوع في العبادة قال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾،

فالكافر يفرح ويبيطر إن أصابته نعمة ولا يشكر، ويجزع ويهلع إذا أصابته مصيبة ولا يصبر، أما المؤمن فإن من صفاته: الشكر على النعمة،

والصبر على المصيبة، قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان

خييراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم، و «السراء» هي: النعمة، و «الضراء» هي: المصيبة. ارجع إلى تعليقنا حول «معاني

سُورَةُ الشُّورَى

(مكية، إلا: «قل لا أسألكم» الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَى ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ نَكَادُ السَّمَوَاتِ
بِتَفْطَرِنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظُ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا

١ ﴿حم﴾.

٢ ﴿عسق﴾ الله أعلم بمرااده به^(١).

٣ ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يوحى﴾ إليك و﴿أوحى﴾ إلى الذين من قبلك الله ﴿فاعل الإيحاء﴾ العزيز ﴿في ملكه﴾ الحكيم ﴿في صنعه﴾.

٤ ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً ﴿فهو مالكهم﴾، ﴿وهو العلي﴾ على خلقه ﴿العظيم﴾ الكبير.

٥ ﴿نكاد﴾ بالتاء والياء ﴿السماوات ينفطرن﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿من فوقهن﴾ أي: تشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله تعالى ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي: ملاسین للحمد ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين^(٢) ﴿ألا إن الله هو الغفور﴾ لأوليائه ﴿الرحيم﴾ بهم. ٦ ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ أي: الأصنام ﴿أولياء الله﴾ حفيظ ﴿مُحْصٍ﴾ عليهم ﴿أعمالهم﴾، ليجازيهم ﴿بها﴾ ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تُحْصَلُ المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ. ٧ ﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أوحينا إليك قرآنًا عربياً لننذرك﴾ أي: تخوِّف [به] ﴿أم القرى ومن حولها﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس^(٣)

(١) قوله: «الله أعلم بمرااده به»، أرجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

(٢) يستغفرون لهم بمثل ما سبق في الآيات ٧ - ٩ من سورة «غافر».

(٣) قوله: «وسائر الناس»، إن مما يجب الإيمان به، أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، المولود في «مكة»، والمتوفى في «المدينة»، هو رسول الله إلى العالمين إنهم وجنهم، عرباً وأعاجم، في جميع بقاع الأرض، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وشرعته خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها، وبقية إلى يوم القيامة، فلا نبي يبعث بعده، ومن خالف من الزنادقة في شيء من ذلك كـ «القديانية» الذين يعتقدون نبوة «غلام أحمد»، و «البهائية» وغيرهم من أهل الهوى والضلال، فهو كافر لمخالفته صريح النصوص وإجماع الأمة.

﴿وتنذر﴾ الناس ﴿يوم الجمع﴾ أي: يوم القيامة، يُجْمَعُ فيه الخلق ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه فريق﴾ منهم ﴿في الجنة وفريق﴾ في السعير ﴿النار﴾

٨ ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون﴾ الكافرون ﴿ما لهم من ولي ولا نصير﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩ ﴿أم اتخذوا من دونه﴾ أي: الأصنام ﴿أولياء﴾ «أم» منقطعة بمعنى: «بل» - التي للانتقال -، و[بمعنى: همزة الإنكار، أي: ليس المتخذون من الأصنام أولياء] فالله هو الولي ﴿أي: الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد

العطف ﴿و هو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [وغيره لا يقدر على ذلك].

١٠ ﴿وما اختلفتم﴾ مع الكفار ﴿فيه من شيء﴾ من الدين وغيره ﴿فحكمه﴾ مردود ﴿إلى الله﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع.

١١ ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ حيث خلق حواء^(١) من ضلع آدم ﴿و﴾ [جعل] ﴿من الأنعام أزواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يذكركم﴾ بالمعجزة: يخلقكم ﴿فيه﴾ في الجعل المذكور، أي: يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للإناسي والأنعام بالتغليب ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٢) الكاف زائدة، لأنه تعالى لا مثل له ﴿وهو السميع﴾ لما يقال ﴿البصير﴾ لما يفعل.

١٢ ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ مفاتيح خزائنها، من المطر والنبات وغيرهما ﴿يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إنه بكل شيء عليم﴾.

١٣ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ هو: أول أنبياء الشريعة^(٣) ﴿والذي أوحينا

سُورَةُ الشُّوَرٰى ٤٢

وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴿٨﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٩﴾ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾

* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(١) قوله: «حيث خلق حواء من ضلع آدم»، أرجع إلى تعليقنا حول «حواء» ص ٥٣٣، وحول «آدم» ٤١٧.

(٢) قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» هذا أصل عظيم، تقوم عليه عقيدة التوحيد الصحيحة، وتُردُّ إليه جميع

النصوص من القرآن والسنة منعاً لتوهم التعطيل، أو التشبيه، أو التجسيم، أو اتصافه تعالى بصفة من صفات المخلوقين، أو إنكار ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

(٣) قوله: «هو أول أنبياء الشريعة»، أي: أول الرسل الذين جاؤوا بشريعة شاملة، قال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه «أحكام القرآن» كلاماً حسناً هذا نصه: (ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير - أي: الذي رواه الشيخان وغيرهما - : «ولكن اتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض». وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول نبي بغير إشكال، لأن آدم لم يكن معه إلا نبوة. ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم، وإنما كان تنبهاً على بعض الأمور واقتصاراً على ضرورات المعاش، وأخذاً بوظائف الحياة والبقاء، واستقر المدى إلى نوح فبعثه الله بتحريم -

إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿١٤﴾ هذا هو «المشروع» الموصى به، والموصى إلى محمد ﷺ، وهو التوحيد «كبر» عظم «على المشركين ما تدعوهم إليه» من التوحيد «الله يجتبي إليه» [أي: يختار] إلى التوحيد «من يشاء ويهدي إليه من ينيب» يقبل إلى طاعته. ١٤ ﴿وما تفرقوا﴾ أي: أهل الأديان [المبتدعة]، في الدين [الذي أنزله الله تعالى، وهو الإسلام]، بأن وحد بعض، وكفر بعض ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بالتوحيد [على لسان الرسل] «بغياً» [أي: ظلماً وعدواناً] من الكافرين «بينهم» [أي: من بعضهم على بعض، طلباً للرياسة، وحباً بالدنيا] «ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الجزاء» إلى أجل مسمى «يوم القيامة لقضي بينهم» [أي: بين من آمن ومن كفر]،

بتعذيب الكافرين في الدنيا «وإن الذين أورتوا الكتاب» [أي: التوراة والإنجيل] «من بعدهم» [أي: من بعد أولئك المختلفين في الحق]، وهم: اليهود والنصارى «لفي شك منه» [أي: من الدين الذي أوصى به الأنبياء، أو: من محمد ﷺ، أو: من الإسلام] «مريب» موقع في الريبة. ١٥ ﴿فلذلك﴾ التوحيد «فادع» يا محمد الناس «واستقم» عليه «كما أمرت ولا تتبع أهواءهم» في تركه «وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل» أي: بأن أعدل «بينكم» في الحكم «الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم» فكل يجازى بعمله «لا حجة» خصومة «بيننا وبينكم» هذا قبل أن يؤمر بالجهاد «الله يجمع بيننا» في المعاد، لفصل القضاء «وإليه المصير» المرجع. ١٦ ﴿والذين يحتاجون في دين الله نبياً» من بعد ما استجيب له «بالإيمان، لظهور معجزاته، و [المحاجون]: هم اليهود، كانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب﴾ «حجتهم داحضة» باطلة

الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول، ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحداً بعد واحد، شريعة بعد شريعة، حتى ختمها الله بخير الممل، الإسلام، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ. وكان المعنى — أي: معنى الآية — : «ووصيناك يا محمد ونوحاً ديناً واحداً» يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة

إِلَيْكَ وَمَا وَصَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٥﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٦﴾ فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ يَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَجَحْتَهُمْ دَاحِضَةً

وهي، التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتقرب إلى الله بصالح الأعمال، والتزلف إليه بما يردُّ القلب والجراحة إليه، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وتحريم الكفر، والقتل، والزنا، والإذابة للخلق كيفما تصرفت، والاعتداء على الحيوان كيفما كان، واقتحام الدنائات، وما يعود بخرم المروءات، فهذا كله شرع ديناً واحداً وملة متحدة، لم يختلف على السنة الأنبياء وإن اختلفت أعداؤهم، وذلك قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي: اجعلوه قائماً — يريد: دائماً — مستمراً محفوظاً، مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب عليه، فمن الخلق من وفى بذلك، ومنهم من نكث به «ومن نكث فإنما ينكث على نفسه»، واختلفت الشرائع وراء هذا — أي: في الأمور الفرعية الأخرى — حسبما أراد الله، مما اقتضته المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم. اهـ. واختلاف الشرائع المشار إليه، ليس هو التحريف والتبديل الذي أدخلوه على الشرائع السابقة فإن هذا كان منهم إمعاناً في ضلالهم وكفرهم ونقول: الصحيح في آدم عليه السلام، أنه أول الرسل على الإطلاق، إلا أن نوحاً عليه السلام كان أول رسل الشريعة الشاملة، والدليل على ذلك ما يلي:

﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾. ١٧ ﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ متعلق بـ ﴿أنزل﴾ و﴿الميزان﴾ العدل ﴿وما يدريك﴾ يعلمك ﴿لعل الساعة﴾ أي: إتيانها ﴿قريب﴾ و﴿لعل﴾، معلق للفعل ﴿يدريك﴾ [عن العمل، لفظاً لا محلاً]، وما بعده سد مسد المفعولين. ١٨ ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ خائفون ﴿منها﴾ ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون ﴿يجادلون﴾ في الساعة لقي ضلال بعيد ﴿عن الحق﴾. ١٩ ﴿الله لطيف بعباده﴾ بزمهم وفاجرهم، حيث لم يهلكهم جوعاً، بمعاصيهم ﴿يرزق من يشاء﴾ [أي: من كل منهم ما يشاء] وهو القوي ﴿على مراده﴾ العزيز ﴿الغالب على أمره﴾. ٢٠ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿حرث الآخرة﴾^(١) أي: كسبها، وهو

الثواب ﴿نزد له في حرثه﴾ بالتضعيف فيه، الحسنة إلى العشر وأكثر ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ بلا تضعيف، ما قسم له ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾.

٢١ ﴿أم﴾ بل ﴿لهم﴾ لكفار مكة ﴿شركاء﴾ هم شياطينهم ﴿شرعوا﴾ أي: الشركاء ﴿لهم﴾ للكفار ﴿من الدين﴾ الفاسد ﴿ما لم يأذن به الله﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿لهم عذاب أليم﴾.

٢٢ ﴿ترى الظالمين﴾ يوم القيامة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وهو﴾ أي: الجزاء عليها ﴿واقع بهم﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿والذين آمنوا﴾

أولاً: أن آدم عليه السلام كان يعبد الله تعالى، ويعلم أولاده وذريته العباد، ويأمر وينهى، ولم يكن ذلك منه عن رايه وهواه، ولا هو مبلغ لشرع رسول آخر في زمانه، إذ لا رسول غيره في حينه، ومعلوم أن للعبادة كيفية لا يعرفها العباد إلا بوحي من الله تعالى إلى رسول، فآدم عليه السلام رسول، أوحى الله إليه وعلمه، ولكنه لم يكن بحاجة إلى شريعة شاملة، ولا من أتى بعده، حتى نوح عليه السلام الذي كان قومه أول من أشرك بالله تعالى، فكانت شريعته أول شريعة، وكان نوح أول رسل الشريعة.

وثانياً: أن الخلائق حين يضحجون من هول المحشر، يلجأون إلى الرسل طالبيين منهم الشفاعة لتعجيل الحساب وفصل القضاء، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، وقد ثبت في

الصحيحين وغيرهما في حديث الشفاعة: أن أول إنسان يسأله الخلائق الشفاعة هو آدم عليه السلام، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر، ويحيل الناس إلى من يليه، حتى يشفع لهم محمد ﷺ. ارجع إلى تعليقنا حول ﴿الأديان﴾ ص ٢٤٥.

(١) قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾. ﴿الآية﴾ روى الترمذي وحسنه، وابن ماجه وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وقال: يقول الله: ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملاً صدرك غنى، وأسأ فقرك، ولا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسأ فقرك، فمن كان همه الحصول على متاع الحياة الدنيا، وليس له إلى الآخرة هم ألبنة، فقد حرم الآخرة ولا ينال من الدنيا إلا ما قسم الله له، فيخسر في النتيجة دنياه، لأنها فانية لا تدوم له، ويخسر آخرته، لأنه لم يفعل لها ﴿وذلك هو الخسران المبين﴾، ومن كان همه لآخرته فإن الله تعالى يشيه ويضاعف له أجره، وينال من دنياه ما قسمه الله تعالى له وهو راض مطمئن القلب، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر﴾، أي: هي سجن المؤمن بالنسبة إلى ما أعد الله له في الجنة من نعيم، وهي جنة الكافر إذا قورنت بما أعد الله له في النار من عذاب أليم.

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
 اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ
 الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
 حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
 مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وعملوا الصالحات في روضات الجنات ﴿أنزهها وأطيبها﴾، بالنسبة إلى من دونهم ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ [من النعيم والثواب الجزيل] ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾.

٢٣ ﴿ذلك الذي يبشِّرُ﴾ من البشارة، مخففاً [على وزن: «يَفْتُلُ»]، ومثقلاً [بضم الياء وكسر الشين مشدداً] ﴿الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أجراً إلا المودة في القربى﴾ استثناء منقطع أي: أسألكم أن تؤدوا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿ومن يقترب﴾ يكتسب ﴿حسنة﴾ طاعة ﴿نزد له فيها حسناً﴾ بتضعيفها ﴿إن الله غفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للقليل فيضاعفه.

الماء الطاهر والخير

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَجُمِعَتْ جَمِيعُهُمْ

٢٤ ﴿أم﴾ بل ﴿يقولون افترى على الله كذباً﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فإن يشأ الله يختم﴾ يربط ﴿على قلبك﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل ﴿ويمح الله الباطل﴾ الذي قالوه ﴿ويحق الحق﴾ يثبت ﴿بكلماته﴾ المنزلة على نبيه ﴿إنه عليهم بذات الصدور﴾ بما في القلوب.

٢٥ ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [أي: منهم، [إذا تابوا] ﴿ويعفو عن السيئات﴾^(١) المتأب عنها ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ بالياء والتاء، [من الخير والشر].

٢٦ ﴿ويستجيب﴾ [الله] ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [أي: يجيبهم إلى ما يسألون ﴿ويزيدهم﴾ الله ﴿من فضله﴾ [ما شاء من الكرامة والثواب] ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾.

٢٧ ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ جميعهم

(١) قوله تعالى: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ ما ذكره المحلي مبني على أن الآية في قبول التوبة إذا حصلت من

العبد، وثمة وجه آخر هو: أن هذه الآية تشير إلى الذنوب بنوعها «الكبائر» منها و«الصغائر»، فالكبائر لا بد فيها من التوبة، أي: لا تكفرها الأعمال الصالحة، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾.

أما الصغائر: وهي عثرات اللسان والجوارح، أي: «اللهم» كما سماها الله تعالى في قوله: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللثم﴾ فهذه الذنوب هي السيئات المعنية بقوله تعالى: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ أي: يتجاوز عنها باجتناب الكبائر لقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾، وبالطاعات كالوضوء والصلاة والصيام، والأحاديث فيها كثيرة، منها ما رواه مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياها من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢، وإلى تعليقنا حول «محقرات الذنوب» ص ٧٠٢.

﴿لَبِغُوا﴾ جميعهم، أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ﴾ بالتخفيف وضده [أي: وبالتشديد]، من الأرزاق ﴿بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ﴾ فيسقطها لبعض عبادته دون بعض، وينشأ عن البسط، البغي [والظلم] ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [وسيجازيهم].
 ٢٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثُ﴾ المطر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ ينسوا من نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ ييسط مطره [على الأرض، فيعم الخيرُ الخلق] ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود عندهم. ٢٩ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرَّق ونشر ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي: ما يدب على الأرض، من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للمحشر ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ [أي: في الأجل الذي حدده لذلك] ﴿قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

٣٠ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿مِنْ مَصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي، لأن أكثر الأفعال بها ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يجازي عليه، وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، [بعد جزاء الدنيا بالمصائب]، أما غير المذنبين، فما يصيبهم في الدنيا، [فهو] لرفع درجاتهم في الآخرة.

٣١ ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ يا مشركين ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله هرباً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ يدفع عذابه عنكم.

٣٢ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال في العظم.

٣٣ ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ (١) يصرن ﴿رَوَاكِدٍ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ هو المؤمن، يصبر في الشدة، ويشكر في الرخاء، [كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء - أي: نعمة - شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء - أي: مصيبة - صبر، فكان خيراً له» رواه مسلم].

٣٤ ﴿أَوْ يُوقِقْهُمْ﴾ عطف على «يُسْكِنُ»، أي: يغرقهم بعصفِ الريح بأهلهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: يغرقهم بالكثير الذي عفا عنه]. ٣٥ ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي: يغرقهم ليتقّم منهم، ويعلم ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ

سُورَةُ الشُّرُوحِ ٤٢

لَبِغُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٤﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٧﴾ أَوْ يُوقِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٨﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾. الآية. إن ذكر «الريح» ليس على سبيل الحصر، بل لأن السفن كانت تجري به قبل أن يعرف العالم المحركات الآلية، ومعنى الآية عام يشمل كل الأسباب المحركة للسفن، والريح قوة من تلك القوى، وبه سميت القوة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فِيهَا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: فونكم، أي: إن السفن تجري على ظهر البحر بإذن الله تعالى، فإن يَشَأْ يَظْلَمُهَا، فتبقى ثابتة على ظهره.

من محيص ﴿مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي﴾ يعلم، والنفي معلق عن العمل [لفظاً لا محلاً].
 ٣٦ ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿من شيء﴾ من أثاث الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ يتمتع به فيها، ثم يزول
 ﴿وما عند الله﴾ من ثواب ﴿خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (١). ٣٧ ويعطف عليهم: ﴿والذين يجتنبون
 كبائر الإثم والفواحش﴾ موجبات الحدود، [كالقتل والسرقة والزنا، وغيرها من الكبائر]، من عطف البعض على الكل
 ﴿وإذا ما غضبوا﴾ (٢) هم يغفرون ﴿يتجاوزون﴾ ٣٨ ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من التوحيد
 والعبادة ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿وأمرهم﴾ الذي يبدو لهم ﴿شورى بينهم﴾ يتشاورون فيه، ولا يغفلون ﴿ومما
 رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله،
 ومن ذكر صنف. ٣٩ ﴿والذين إذا أصابهم
 البغي﴾ الظلم ﴿هم ينتصرون﴾ صنف [آخر]،
 أي: ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال
 تعالى: ٤٠ ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ سميت
 الثانية سيئة، لمشابتها للأولى في الصورة، وهذا
 ظاهر فيما يقتض فيه من الجراحات، قال
 بعضهم: وإذا قال له: «أخزأك الله» فيجيبه:
 «أخزأك الله» فمن عفا عن ظالمه ﴿وأصلح﴾
 الود بينه وبين المعفو عنه ﴿فأجره على الله﴾ أي:
 إن الله يأجره لا محالة ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾
 أي: البادئين بالظلم، فيرتب عليهم عقابه.
 ٤١ ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أي: ظلم الظالم
 إياه، [فأراد ردّ الظلم عنه] ﴿فأولئك ما عليهم من
 سبيل﴾ مؤاخذه. ٤٢ ﴿إنما السبيل على الذين
 يظلمون الناس ويغفون﴾ يعملون ﴿في الأرض
 بغير الحق﴾ بالمعاصي، [أي: يظلمون في
 الأرض بعملها] ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ مؤلم.
 ٤٣ ﴿ولمن صبر﴾ فلم ينتصر ﴿وغفر﴾ تجاوز
 ﴿إن ذلك﴾ الصبر والتجاوز ﴿لن عزم الأمور﴾
 أي: معزوماتها، بمعنى: المطلوبات شرعاً.

- (١) قوله تعالى: ﴿يتوكلون﴾، ارجع إلى تعليقنا حول
 «الترك» ص ٣٣١. وإلى تعليقنا حول «الصبر» ص ٦٠٧.
 (٢) قوله تعالى: ﴿وإذا ما غضبوا﴾ الغضب يكون خلقاً شيئاً
 إذا ترتب عليه أذى للغير، أو وقوع في محرم، وأشنع
 الغضب في الإنسان هو ما يوقعه في غضب الله الواحد

البقرة المكية

مَنْ مَحْصٍ ٣٥ ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَجِّحْ الْحَيَوةَ
 الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
 يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ
 وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
 لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ
 يَنْتَصِرُونَ ٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلَهَا ٤٠﴾ فَنَ عَفَا
 وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ٤١﴾ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٢﴾ وَلَمَنْ
 أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٤٣﴾
 إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ٤٤﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٥﴾
 وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ٤٦﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ٤٧﴾

الديان، وذلك أن بعض أصحاب القلوب الغافلة إذا ما غضب سبَّ الله تعالى، أو الدين، وتلفظ بألفاظ تخرجه عن العلة والعياذ بالله تعالى، وهؤلاء
 لا يردعهم سوى العقاب، لذلك حذر رسول الله ﷺ من الغضب، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ:
 أوصني، قال «لا تغضب» فردد مراراً، قال: «لا تغضب»، وبين عليه الصلاة والسلام أيضاً، أن القوة الحقيقية هي في كظم الغيظ وضبط النفس عند
 الغضب، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة - أي: ليس القوي هو الذي يصرع
 الناس - إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وكث الغضب باب من أبواب الصبر، والصبر من الإيمان، وضياء للمؤمن، وإذا غضب
 الإنسان، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غيظه، فقد روى الشيخان أن النبي ﷺ رأى رجلين يتسبَّان، وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت
 أوداجه، فقال ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد» فقالوا له ذلك =

٤٤ ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: أحد يلي هدايته، بعد إضلال الله إياه، ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردٍ إلى الدنيا﴾ من سبيل طريق؟

٤٥ ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي: النار ﴿خاشعين﴾ خائفين متواضعين ﴿من الدل ينظرون﴾ إليها ﴿من طرف خفي﴾ ضعيف النظر، مسارقة، [أي: لا يرفعون رؤوسهم للنظر رفعا تاما، لأنهم ناكسو الرؤوس أذلاء]، و«من» ابتدائية، أو: بمعنى الباء ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور، المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، و[الاسم] الموصول [وصلته] خبر «إن» ﴿ألا إن الظالمين﴾ الكافرين ﴿في عذاب مقيم﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى:

سُورَةُ الشُّورَى ٤٢

وَمَنْ يَضِلِلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

٤٦ ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

٤٧ ﴿استجيبوا لربكم﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ هو: يوم القيامة ﴿لا مرد له من الله﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يرده، [أو: إذا قال الله: «كن»، فإنه يكون، ولا يستطيع أحد أن يرده] ﴿ما لكم من ملجأ﴾ [أي: مفر ومهرب] تلجؤون إليه ﴿يومئذ وما لكم من نكير﴾ إنكار للذنوبكم، [أي: لا مجال للإنكار هناك].

٤٨ ﴿فإن أعرضوا﴾ عن الإجابة [والإيمان] ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إن﴾ ما ﴿عليك إلا البلاغ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ نعمة، كالغنى والصحة ﴿فرح بها وإن نصبهم﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سيئة﴾ بلاء ﴿بما قدمت

٦٤٥

ولا يجوز أن يؤمر الغضبان بغير الاستعادة، فلا يقال له: «وحد الله»، ولا: «صل على النبي»، لأنه إن كان غافلا جاهلا سب الله وسب النبي، وهذا ما يحصل بالفعل، والعياذ بالله تعالى. وجاء في أحاديث أخرى في علاج الغضب، أن من غضب فليتوضأ، فإن الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفىء النار، وإذا كان الغاضب قائما فليجلس، وإن كان جالسا فليضطجع، لأن ذلك يكسر حدة الغضب. والغضب ليس مذموما دائما، بل منه ما هو محمود، بل قد يكون واجبا، وهو الغضب إذا انتهكت حرمة الله تعالى، وهو غضب النبي ﷺ، فما كان يغضب لنفسه قط، روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالى».

أيديهم ﴿أي: قَدَّمُوهُ، وَعَبَّرَ بِالْأَيْدِي، لَأَن أَكْثَرَ الْأَفْعَالِ بِهَا﴾ ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ للنعمة، [فَيَعْدُدُ الْمَصَائِبَ وَيُنْسِي النِّعَمَ].

٤٩ ﴿لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ مِنْ الْأَوْلَادِ ﴿إِنثَاءً﴾ [لَا ذَكَورَ مَعَهُنَّ] وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿وَلَا إِنثَاءَ مَعَهُمْ﴾.

٥٠ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذَكَرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء. ٥١ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ ﴿وَحْيًا﴾ فِي الْمَنَامِ، أَوْ بِالْهَامِ ﴿أَوْ﴾ إِلَّا ﴿مَنْ وَرَاءَ حِجَابٍ﴾ بَأَن يُسْمِعَهُ كَلَامَهُ

ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ رَسُولًا مَلَكًا كَجِبْرِيلَ ﴿فِيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي: يكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُ﴾ عليٌّ عن صفات المحدثين ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

٥٢ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ ﴿٢﴾ هو: القرآن، به تحيا القلوب ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل [تدري] عن العمل، [لفظاً لا محلاً]، وما بعده سُدَّ مسدَّ المفعولين ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا﴾ تهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي ﴿تَدْعُو بِالْوَحْيِ﴾ إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

٥٣ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً ﴿فَهُوَ مَالِكُهُمْ﴾، وخلقاً ﴿فَهُوَ خَالِقُهُمْ﴾، وعبيداً ﴿فَهُوَ رَبُّهُمْ﴾ ﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

الْبَرَاءَةُ وَالْإِيمَانُ

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ أَمْرُنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(١) قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً﴾. الآيتين (٤٩ و ٥٠)، يغلب في الناس حبهم للأولاد، وللمذكور منهم خاصة، وتفضيلهم على الإناث، قتلًا يميز الإنسان بين أولاده، ولا يلجأ الزوجان اللذان لا يتنجبان إلى التني - وهو محرم - فقد أخبر الله تعالى أنه هو الذي قدر كل شيء، وهو الذي يهب النسل والذرية، فوجب لهذا ذكرًا فقط، ولذا إناثًا فقط، ولغيرهما ذكورًا وإناثًا معًا، كما أنه سبحانه يجعل من يشاء من الأزواج عقيمًا، فلا يلد ولا يتنجب، كل ذلك لحكمة يعلمها الله تعالى وحده، فإذا شاء الإنسان أن يرتاح، فما عليه إلا بالرضا والتسليم بما قدر الله ووهب، وبما أعطى ومنع، فبالإيمان والتسليم يطمئن القلب وترضى النفس - أرجع إلى تعليقنا حول «التني» ص ٥٤٩.

(٢) قوله تعالى: ﴿رُوحًا مِمَّنْ أَمْرُنَا﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

﴿سُورَةُ الْحُرُوفِ﴾

(مكية، وقيل: إلا «وإرسال من أرسلنا» الآية، تسع وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿حم﴾^(١) الله أعلم بمراده به. ٢ ﴿والكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ المظهر طريق الهدى، وما يُحتاج إليه من الشريعة.

٣ ﴿إنا جعلناه﴾ أوجدنا الكتاب ﴿قرآناً عربياً﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة، [وغيرهم من العرب والناس كافة] ﴿تعقلون﴾ تفهمون معانيه، [لأن اللغة العربية، أوسع اللغات وأعظمها وأجمعها].

٤ ﴿وانه﴾ [أي: القرآن] مُنْبِتٌ ﴿ففي أم الكتاب﴾ أصل الكتب، أي: اللوح المحفوظ ﴿لدينا﴾ عندنا ﴿لعلي﴾ على الكتب قبله ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة.

٥ ﴿أنضرب﴾ نمسك ﴿عنكم الذكر﴾ القرآن ﴿صفحة﴾ إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تنهون، لأجل ﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾ مشركين؟ لا.

٦ ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾؟ [أي: في الأمم قبلكم].

٧ ﴿وما يأتيهم﴾ [أي: أناهم] ﴿من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

٨ ﴿فأهلكنا أشد منهم﴾ من قومك ﴿بطشاً﴾ قوة ﴿ومضى﴾ سبق إثبات ﴿مثل الأولين﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك، [إن لم يؤمنوا، فعذبهم الله بالقتل والأسر في الدنيا].

٩ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق السماوات والأرض؟ ليقولن﴾

حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ [إلى هنا] آخر جوابهم، أي: [خلقهن] الله ذو العزة والعلم، [ثم] زاد تعالى [على قولهم: «خلقهن العزيز العليم» قوله]: ١٠ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ [بكسر الميم وفتح الهاء مع الألف، وفي قراءة: «مهّداً»، بفتح الميم وسكون الهاء، بلا ألف، أي: فراشاً كال مهد للصبي] ﴿وجعل

سُورَةُ الْحُرُوفِ ٤٣

(٤٣) سُورَةُ الْحُرُوفِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا نِسْتَعِ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا
لَعَلِّي حَكِيمٌ ٤ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ
قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧ فَأَهْلَكْنَا
أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

٦٤٧

(١) قوله تعالى: ﴿حم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الحروف المتقطعة» ص ٣.

لكم فيها سبلاً طرقاتاً لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم في أسفاركم. ١١ والذي نزل من السماء ماء بقدر أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً فأنشرنا أحيينا به بلدة ميتة كذلك أي: مثل هذا الإحياء تخرجون من قبوركم أحياء. ١٢ والذي خلق الأزواج الأصناف كلها وجعل لكم من الفلك السفن والأنعام كالإبل ما تركبون حذف العائد على الاسم الموصول اختصاراً، وهو مجرور في الأول، أي: [إذا أعيد إلى الفلك]، والمعنى: وجعل لكم من الفلك ما تركبون فيه منصوب في الثاني، [أي: إن أعيد إلى الأنعام]، والمعنى: وجعل لكم من الأنعام ما تركبونها. ١٣ لتستقروا على ظهوره ذكر الضمير، وجمع الظاهر، نظراً للفظ «ما»، ومعناها^(١) ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين^(٢) مطيقين. ١٤ وإنا إلى ربنا لمنقلبون المنصرفون، [أي: لصائرون إليه بعد مماتنا]. ١٥ وجعلوا له من عباده جزءاً حيث قالوا: الملائكة بنات الله، لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى إن الإنسان القاتل ذلك لكفور مبين بين ظاهر الكفر: ١٦ أم بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر، أي: أتقولون اتخذ مما يخلق بنات لنفسه وأصفاكم أخلصكم بالبنين؟ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر. ١٧ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً جعل له شُبهاً بنسبة البنات إليه، لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنات تولد له ظل صار وجهه مسوداً متغيراً تغير مغنم [حزين] وهو كظيم ممثلي غنماً، فكيف ينسب البنات إليه تعالى؟ ١٨ أو همزة الإنكار، وواو العطف، بجملة، [أي: مما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة]، أي: [أو] يجعلون الله من ينشأ يتربى في الحلية الزينة وهو في الخطام غير مبين مظهر لحجته، لضعفه عنها بالاثوتة؟ [أي: أضاف إلى الله تعالى، من هذا وصفه وهذه حاله؟]

الْمَلَأْنَا السَّمَاءَ السُّبُلَ

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١١ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ١٢ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ١٣ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ ١٤ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ١٥ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٦ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ١٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٨ أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٩ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا

٦٤٨

وفي الآية دلالة على إباحة الحلي للنساء. ١٩ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا حضروا

(١) في هذه العبارة لفت ونشر مرتب، فأنته. (٢) أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيه خارجاً إلى مقر كبير ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون»، اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من غناء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «أبيون تائبون لربنا حامدون».

﴿خلقهم؟ سكتب شهادتهم﴾ بأنهم إناث ﴿ويسألون﴾ عنها في الآخرة، فيترتب عليها العقاب. ٢٠ ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ (١) أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال تعالى: ﴿ما لهم بذلك﴾ القول، من الرضا بعبادتها ﴿من علم إن﴾ ما ﴿هم إلا يخرصون﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به، أو «الخرص»: هو الحَدْسُ والتخمين.

٢١ ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فهم به مستمسكون؟﴾ أي: لم يقع ذلك.

٢٢ ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة ﴿وإنا﴾ ماشون ﴿على آثارهم مهتدون﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله، [فعبدنا ما عبدوا].

٢٣ ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ منعموها مثل قول قومك: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ متبعون، [وفي تخصيص «المترفين»، إشعار بأن التمتع وحُب الدنيا، صرفهم عن النظر والتفكير، إلى التقليد الأعمى واتباع الهوى].

٢٤ ﴿قال﴾ لهم ﴿أ﴾ تتبعون ذلك ﴿ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟﴾ قالوا إنا بما أرسلتم به ﴿أنت ومن قبلك﴾ كافرون.

٢٥ قال تعالى تخويفاً لهم: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي: من المكذبين للرسل قبلك ﴿فانظر كيف كان عقوبة المكذبين﴾ [أي: آخر أمرهم ونهايتهم وهي: الهلاك].

٢٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء﴾ بريء ﴿مما تعبدون﴾.

٢٧ ﴿إلا الذي فطرني﴾ خلقني ﴿فإنه سيهدين﴾ يرشدني لدينه، [أي: إن الهدى من الله، لا من سواه]. ٢٨ ﴿وجعلها﴾ أي: كلمة التوحيد، المفهومة من قوله: ﴿إني

ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ كلمة باقية في عقبه ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله سبحانه وتعالى.

سورة الزمر ٥٢

خَلَقَهُمْ سَتَكَبُّ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ ١٩ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ٢٠ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ٢١ بَلْ قَالُوا إنا وَجَدْنَا آباءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ٢٢ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آباءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ٢٣ * قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءُكُمْ كُرْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ٢٤ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ٢٥ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ٢٦ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ٢٧ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ٢٨ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ٢٩

٦٤٩

(١) قوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ الآية. هذا من باب: كلمة حق أريد بها باطل، وهذا كفر لهم عندما أمروا بإطعام المحتاجين: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ ١٩ فرد الله عليهم بأن مشيئة الله تعالى غيب لا علم لهم به، فمن الذي أذراهم بأن الله لم يشأ لهم الإيمان؟ ثم: لو هم آمناء، ألا يفعلون ما شاء الله؟ أرجع إلى تعليقنا حول هذا المعنى ص ١٨٨.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يرجعون﴾ عما هم عليه، إلى دين إبراهيم أبيهم. ٢٩ ﴿بل متعت هؤلاء﴾ المشركين ﴿وأبائهم﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حتى جاءهم الحق﴾ القرآن ﴿ورسول مبين﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ. ٣٠ ﴿ولما جاءهم الحق﴾ القرآن ﴿قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾. ٣١ ﴿وقالوا لولا﴾ هلاً ﴿نزل هذا القرآن على رجل من﴾ أهل ﴿القريتين﴾ من آية منهما ﴿عظيم﴾ أي: الوليد بن المغيرة [المخزومي] بمكة، [وقد مات كافراً]، و: عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، [وقد أسلم وحسن إسلامه]. ٣٢ ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ النبوة، [فيعطونها من شأوا؟ لا، بل نحن قسمناها فاخترناك، وأيضاً] ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً،

[فلم يعترضوا على ذلك، والقاسم في الحالين هو الله تعالى] ﴿ورفعنا بعضهم﴾ بالغني ﴿بالغنى﴾ والعقل والقوة ﴿فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم﴾ الغني ﴿بعضاً﴾ الفقير ﴿شخرياً﴾ [بضم السين، من «الشخرة»، لا من «الشخيرة»، أي: مسخراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ: [شدوذاً] بكسر السين ﴿ورحمة ربك﴾ أي: الجنة ﴿خير مما يجمعون﴾ في الدنيا. ٣٣ ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ على الكفر، [بأن يقتلوا] ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ بدل من ﴿لمن﴾ ﴿سقفاً﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما جميعاً ﴿من فضة ومعارج﴾ كالدرج من فضة ﴿عليها يظهرون﴾ يعلون إلى السطح. ٣٤ ﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سريراً﴾ من فضة، جمع «سرير» ﴿عليها يتكئون﴾.

٣٥ ﴿وزخرفاً﴾ ذهباً، [وقيل: زينة]، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمنين، من إعطاء الكافر ما ذكر، لأعطيناه ذلك، لقله خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في التعيم، [قال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»]، رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كل ذلك لهما﴾ بالتخفيف، ف «ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى: «إلا»، [وعلى هذه القراءة]، ف «إن» نافية ﴿متاع الحياة الدنيا﴾

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾ أَهُم يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُر بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ ﴿٣٥﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَعْمَلْ

يتمتع به فيها ثم يزول ﴿والآخرة﴾ أي: الجنة ﴿عند ربك للمتقين﴾. ٣٦ ﴿ومن يعش﴾ [أي: يتعamy و] يعرض ﴿عن

(١) قوله تعالى: ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ إن تفسير المحلي «بعضهم» بالغني، و «بعضاً» بالفقير ليس شرطاً لازماً، فالغني أيضاً يعمل للفقير، فالتاجر يبيع كل من يشتري، والطبيب يعاين المريض — ولو كان فقيراً — ويأخذ منه أجرته، وهكذا سائر أصحاب المهن. ولقد أساء بعضهم فهم هذه الآية فظن — بقصد أو غيره — أن القرآن الكريم يكرس الطبقة في المجتمع ويساعد الغني على الفقير، وهذا خطأ فاحش مرثء سوء نية وجهل باللغة العربية التي على أساسها يفسر القرآن الكريم، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن واقع جميع البشر الذين ليسوا على مستوى واحد لا في القوة، ولا في العقل، ولا في غيرهما من الطاقات، فهذا يطبق من الأعمال ما لا يقدر عليه غيره، وذلك يرغب في عمل يكرهه غيره، =

ذكر الرحمن ﴿نَقِصْ﴾ نسب ﴿له شيطاناً فهو له قرين﴾^(١) لا يفارقه [في الدنيا، يمنعه من الحلال، ويدفعه إلى الحرام، ينهيه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية]. ٣٧ ﴿وإنهم﴾ أي: الشياطين ﴿ليصدونهم﴾ أي: العاشين ﴿عن السبيل﴾ أي: طريق الهدى ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ في الجمع، رعاية معنى ﴿مَنْ﴾. ٣٨ ﴿حتى إذا جاءنا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قال﴾ له ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿لبت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي: مثل بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فئس القرين﴾ أنت لي. ٣٩ قال تعالى: ﴿ولن ينفعكم﴾ أي: العاشين، تمنيتكم وندمكم ﴿اليوم﴾ [أي: يوم القيامة] ﴿إذ ظلمتم﴾ أي: تبين لكم ظلمكم، بالإشراك في الدنيا ﴿أنكم﴾ [أي: لأنكم] مع قرنائكم ﴿في العذاب مشتركون﴾، علّه بتقدير اللام، لعدم النفع [من ذلك]، و ﴿إذ﴾ بذلك من: «اليوم».

سُورَةُ الْقُرَيْنِ ٤٢

٤٠ ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ بيّن؟ أي: [لن تقدر على ذلك]، فهم لا يؤمنون.

٤١ ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون [إن] الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نذهب بك﴾ بأن نमितك قبل تعذيبهم ﴿فإننا منهم منتقمون﴾ في الآخرة.

٤٢ ﴿أو نرينك﴾ في حياتك ﴿الذي وعدناهم﴾ به من العذاب ﴿فإننا عليهم﴾ على عذابهم ﴿مقتدرون﴾ قادرون.

٤٣ ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك﴾ أي: القرآن ﴿إنك على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾.

٤٤ ﴿وإنه للذكر﴾ لشرف ﴿لك ولقومك﴾ لتزوله بلغتهم ﴿وسوف تسألون﴾^(٢) عن القيام بحقه.

٤٥ ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن﴾ أي: غيره ﴿آلهة يعبدون؟﴾ قيل: هو - [أي: طلب السؤال] - على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل [رسول الله ﷺ]، على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال، التقرير لمشركي قريش: أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

٤٦ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون

ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيُصِدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيِئِسَ الْقُرَيْنُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَدَرُّ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

= لكل إنسان خبرة وعمل، ولا يجمع إنسان واحد الخبرة في كل شأن، فلا بد إذن من أن يطلب الإنسان من إنسان غيره عملاً، لذلك أباح الله تعالى «العمل» وأحل الأجرة عليه، وأوصى العامل وصاحب العمل بتقوى الله تعالى والصدق والرفاء.

(١) قوله تعالى: ﴿فهو له قرين﴾، أرجع إلى تعليقنا حول معاني «القرين» ص ٦٣٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿وسوف تسألون﴾، هذا دليل واضح على ما قدمنا الكلام فيه ص ٦٣٠ بشأن مسؤولية العرب في حمل الإسلام ونشره في العالم، لأنهم أهل اللغة، وأقدر من غيرهم على فهم القرآن الكريم.

وملكه ﴿٤٧﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾. ﴿٤٨﴾ وما نريهم من آية ﴿مِنْ آيَاتِ الْعَذَابِ﴾، «كالطوفان»^(١) وهو: ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلق الجالسين سبعة أيام، و«الجراد» ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قريتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم. ﴿٤٩﴾ وقالوا ﴿لِمُوسَىٰ﴾ لما رأوا العذاب ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل، لأن السحر^(٢) عندهم علم عظيم [في نظرهم، أو: نادوه بالساحر، على عادتهم قبل إيمانهم] ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ الْبَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْتَمَسْتَهُ فِي آسُورَةٍ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَايِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

﴿٥٠﴾ فلما كشفنا ﴿بدعاء موسى﴾ عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴿ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم﴾.

﴿٥١﴾ ثم ذكر تعالى، كيف أضل فرعون قومه فقال: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخاراً ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار ﴿أي: من النيل﴾ تجري من تحتي ﴿تحت قصوري؟﴾ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي.

﴿٥٢﴾ أم ﴿٣﴾ تبصرون؟ وحيث أن: أي: لأنكم تبصرون، فستدركون أني ﴿أنا خير من هذا﴾ أي: موسى ﴿الذي هو مهين﴾ ضعيف حقير ﴿ولا يكاد يبين﴾ يظهر كلامه، للثغته^(٤) بالجمرة التي تناولها في صغره.

﴿٥٣﴾ فلولا ﴿هلا﴾ ﴿القي عليه﴾ إن كان صادقاً ﴿أسورة من ذهب﴾ جمع «أسورة»، [وفي قراءة بها]، كـ «أغربة» جمع «سوار»، كعادتهم فيمن يسودونه، أن يلبسوه أسورة من ذهب، ويطوقوه طوق ذهب ﴿أوجاء معه الملائكة مقترنين﴾ متتابعين، يشهدون بصدقه.

﴿٥٤﴾ فاستخف ﴿استغزى فرعون﴾ قومه فطاعوه ﴿فيما يريد من تكذيب موسى﴾، [أما «استخف به» فمعناه: أهانه]. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ [أي: كافرين]. ﴿٥٥﴾ فلما آسفونا أغضبونا ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾.

(١) قوله: «كالطوفان» إلخ، ارجع إلى تعليقنا حول «آيات موسى عليه السلام» ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «لأن السحر عندهم علم عظيم»، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٣) قوله تعالى: «أم»، «أم» هذه ليست منقطعة بمعنى: بل، ولكنها متصلة معادلة للهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مطلوب بها التعين، أي: «أفلا تبصرون أم أنتم تبصرون؟» أي: أنتم تبصرون أني خير من موسى.

(٤) قوله: «لثغته بالجمرة» إلخ، قيل في سبب العقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام كلام لا سند له، كتناوله الجمرة بدل التمرة، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٤٠٨.

٥٦ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا﴾ جمع «سالف»، كـ «خادم» و «خدم»، أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقدمون على مثل فعالهم. ٥٧ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ ^(١) جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ»، فقال المشركون: رضيّا أن تكون آلهتنا مع عيسى، لأنه عُيِدَ من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من المثل ﴿يَصُدُّونَ﴾ [بكسر الصاد]: يضجون فرحاً بما سمعوا، [وفي قراءة: بضم الصاد، أي: يعرضون من أجل المثل]. ٥٨ ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟﴾ أي: عيسى، فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل، ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ ^(٢) خصومة بالباطل، لعلمهم، [أي: العرب]، أن «ما» [في: و «ما تعبدون»] لغير

العاقل، فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شديدو الخصومة. ٥٩ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرابته، يُستدل بها على قدرة الله تعالى على ما يشاء. ٦٠ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ﴾ بذلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بأن نهلككم. ٦١ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: عيسى ﴿لَعَلِمَ لِلسَّاعَةِ﴾ تُعلم بتزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾، حذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين، تُشَكَّنُ فيها ﴿و﴾ قل لهم ﴿اتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. ٦٢ ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ﴾ الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿بَيْنَ الْعَدَاوَةِ﴾.

٦٣ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا بَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فبيّن لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأطيعوه.

٦٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ هذا صراط ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

٦٥ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى، أهو الله؟ أو: ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ اللَّهِ﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مَنْ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٢

لَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعَلِمَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ الآية، أخرج أحمد بسند صحيح، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «إنه ليس أحد يُعْبَدُ من دون الله وفيه خير» فقالوا: لست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً؟ وقد عُيِدَ من دون الله، فأَنزَلَ الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية، وقد قالوا ذلك مجادلة بالباطل، وهم يعلمون أن عيسى عليه السلام ليس داخلاً في الوعيد، لأنه رسول الله ولا يرضى بأن يعبدوه.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ الآية، ارجع إلى تعليقنا حول «الجدال» ص ٢٨٩.

عذاب يوم اليم ﴿٦٦﴾ هل ينظرون ﴿٦٦﴾ أي: كفار مكة، أي: ما ينتظرون ﴿٦٦﴾ إلا الساعة أن تأتيهم ﴿٦٦﴾ بدل من الساعة ﴿٦٦﴾ بغتة ﴿٦٦﴾ فجأة ﴿٦٦﴾ وهم لا يشعرون ﴿٦٦﴾ بوقت مجيئها قبله.

٦٧ ﴿الأخلاء﴾ [أي: المتلاقون] على المعصية في الدنيا ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء، ويقال لهم:

٦٨ ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [كما خاف وحزن الكافرون، بل أنتم آمنون ومطمئنون].

٦٩ ﴿الذين آمنوا﴾ نعت لـ ﴿عبادي﴾ ﴿بآياتنا﴾ القرآن ﴿وكانوا مسلمين﴾.

٧٠ [يقال لهم]: ﴿ادخلوا الجنة أنتم﴾ مبتداً ﴿وأزواجكم﴾ زوجاتكم ﴿تحبرون﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدا.

٧١ ﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ [جمع «صحفة»، أي: بقصاع [للطعام] من ذهب^(١) وأكواب] للشراب] جمع «كوب»، وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وفيها ما تشتهي﴾ [بحذف هاء الضمير، وفي قراءة: «تشتهي»، بزيادة الهاء بعد الياء، وهما قراءتان سبعيتان] ﴿الأنفس﴾ تلذذاً ﴿وتلذ الأعين﴾ نظراً ﴿وأنتم فيها خالدون﴾.

٧٢ ﴿وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون﴾.

٧٣ ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها﴾ أي: بعضها ﴿تأكلون﴾ وما يؤكل يخلف بدله.

٧٤ ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾.

٧٥ ﴿لا يفتقر﴾ يخفف ﴿عنهم﴾ وهم فيه مبلسون ﴿ساکتون سکوت یأس﴾.

٧٦ ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [لأنفسهم بالكفر].

٧٧ ﴿ونادوا يا مالك﴾ هو: خازن النار ﴿ليقبض علينا ربك﴾ [أي: ليُمِثنا،

[لنستريح من العذاب] قال ﴿بعد ألف سنة﴾: ﴿إنكم ماكثون﴾ مقيمون في العذاب دائماً.

الجنة والآخرة

عَذَابِ يَوْمِ الِيم ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ

بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَلْعَابِدِ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ

الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا

مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا

مَا نَسْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾

لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ

فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرَعُنَّ مِنْهُمُ وَهُمْ فِيهِ

مُبْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾

(١) قوله تعالى: ﴿بصحاف من ذهب﴾ أخرج الشيخان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم - أي: للكافرين - في الدنيا ولكم في الآخرة»، وقد بينا حكم استعمال الذهب والفضة والحرير في تعليقنا ص ٥٧٦ فارجع إليه.

(٢) قوله: ﴿بعد ألف سنة﴾، أي: يجيئهم مالك بعد ألف سنة من ندائهم بقوله: ﴿إنكم ماكثون﴾، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، كما رواه عنه عبد الرزاق وابن حميد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه البيهقي وغيرهم. والله أعلم.

٧٨ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ﴾ [بالإسلام]، على لسان الرسول ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾. ٧٩ ﴿أَمْ أَمْرًا﴾ أي: كفار مكة، أحكموا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﷺ ﴿فَإِنَّا مَبْرُمُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

٨٠ ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يسرون إلى غيرهم، وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَى﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

٨١ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ قرصاً [كما يزعمون] ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له تعالى،

فانتفت عبادته، [وذلك مبالغة في الاستبعاد، فـ «إن» للشرط، وهذا اختيار الطبري والرازي، وقيل: «إن» نافية بمعنى «ما»، أي: «ما كان للرحمن ولد»، وهنا تم الكلام، ثم ابتدئ: «فأنا أول العابدين» أي: الموحدين من أهل مكة، على أن لا ولد له].

٨٢ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(١) ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

٨٣ ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ في باطلهم ﴿وِيلَعِبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

٨٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء، أي: [هو] معبود [فيها] ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحه.

٨٥ ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم؟ ﴿وَالِيهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالياء والتاء.

٨٦ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون، أي: الكفار ﴿مَنْ دُونَهُ﴾ أي: الله، [أي: لا يملك هؤلاء المعبودون] ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم، وهم: عيسى وعزير والملائكة،

فإنهم يشفعون للمؤمنين^(٢). ٨٧ ﴿وَلَنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ؟﴾ ليقولن الله ﴿حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ﴾ [لتوالي التواتر]، وواو الضمير [لالتقاء الساكنين] ﴿فَأَنَّى يُوَفُّكَونَ؟﴾ [أي: كيف] يصرفون عن عبادة الله؟

سُورَةُ الْحَزْقُ ٤٢

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾

أَمْ أَمْرًا أَمْ إِنَّا مَبْرُمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ

سُرَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ

إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾

فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي

يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَنْ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤَفُّكَونَ ﴿٨٧﴾

(١) قوله: «الكرسي»، جرى الجلال المحلي وتبعه الجلال السيوطي على تفسير «العرش» بالكرسي، أي: أنهما شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي، ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣ حيث الدليل على ما ذكرناه.

(٢) قوله: «فإنهم يشفعون للمؤمنين»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعه» ص ٦١٢.

٨٨ ﴿وَقِيلَ﴾ [بالنصب] أي: قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر، أي: «وقال [قِيلَ]»، وفي قراءة بالجر عطفاً على «الساعة»، من قوله: «وعنده علم الساعة»، أي: ويعلم وقت قيامها، ويعلم وقت تضرعه وقوله: [يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون]. ٨٩ قال تعالى: ﴿فاصفح﴾ أعرض ﴿عنهم وقل سلام﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فسوف يعلمون﴾ بالياء والتاء، [وهذا] تهديد لهم.

﴿سُورَةُ الدُّخَانِ﴾

(مكية، إلا: «إنا كاشفو العذاب» الآية، وهي ست، أو: سبع، أو: تسع وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به. ٢ ﴿والكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ المظهر الحلال من الحرام. ٣ ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ هي: ليلة القدر [على الصحيح]، أو: ليلة النصف من شعبان^(١)، نزل فيها من أم الكتاب، أي: اللوح المحفوظ، من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إنا كنا منذرين﴾ مخوفين به. ٤ ﴿فيها﴾ أي: في ليلة القدر [وهو الصحيح]، أو: في ليلة النصف من شعبان^(١) ﴿يفرق﴾ يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرها، التي تكون في سنة، إلى مثل تلك الليلة. ٥ ﴿أمرأ﴾ فرقاً ﴿من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ الرسل، محمداً ومن قبله. ٦ ﴿رحمة﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿من ربك إنه هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم. ٧ ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ برفع ﴿رب﴾ خبر ثالث، ويجزه بدل من ﴿ربك﴾ ﴿إن كنتم﴾ يا أهل مكة ﴿موقنين﴾ بأنه تعالى رب السماوات والأرض، فأبقنوا بأن محمداً رسوله. ٨ ﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

الجزء الثاني من القرآن

وَقِيلَ يَرْبَ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُمِنُونَ ﴿١﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

(٤٤) سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٨﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٩﴾

(١) قوله في الموضعين: «أو في ليلة النصف من شعبان»، هذا قول مرجوح. والصحيح: أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، ليست ليلة النصف من شعبان، سئل أحمد بن حنبل عن أبي بكر بن العربي القول في ذلك بما فيه الكفاية، قال: «وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر، وفيهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان، وهو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» فدل على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عيّن من زمانه الليل هاهنا بقوله: «في ليلة مباركة» فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف حديث يعول عليه لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها. اهـ. هذا ولم يرد في فضل قيام لياليها على الخصوص أو صيام نهارها حديث يُعْتَدُّ به، فليس تخصيص نهارها بالصيام سنة كما يظن عامة الناس، وأقوى ما جاء في فضلها ما رواه الطبراني وابن حبان في «صحيحه»، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»، وكذلك الدعاء المشهور بين العامة: =

سورة الشعراء

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾
أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
عَنهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنْ كُنْتُمْ عَادُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا
مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ
مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُونِ ﴿٢٠﴾
وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ
قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾

٩ ﴿بل هم في شك﴾ من البعث ﴿يلعبون﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال ﴿لما رأى من الناس إداراً عن الإسلام﴾:
﴿اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف﴾ [رواه البخاري ومسلم]. ١٠ قال تعالى: ﴿فارتقب﴾ لهم ﴿يوم تأتي السماء
بدخان مبين﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، [حتى أكلوا العظام والميتة]، إلى أن رأوا من شدته، كهينة الدخان،
بين السماء والأرض. ١١ ﴿يغشى الناس﴾ فقالوا ﴿هذا عذاب أليم﴾ [أتى أبو سفيان النبي ﷺ فقال: يا محمد، إنك
تأمر بطاعة الله وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، فدعا رسول الله ﷺ لهم، فسقوا الغيث، رواه
الشيخان، وهذا قولهم: ١٢ ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ مصدقون نبيك [إن كشفت عنا، ثم نقضوا قولهم
ولم يؤمنوا]. ١٣ قال تعالى: ﴿أنى لهم
الذكرى؟﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان عند نزول
العذاب ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ بين الرسالة،
[أو: هو استبعاد لحصول الإيمان منهم، أي: من
أين يكون لهم التذكر والاعتاظ، عند حلول
العذاب المذكور، وقد جاءهم قبله رسول مبين،
فلم يؤمنوا]. ١٤ ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم
أي: يعلمه القرآن بشر، [وقالوا:] ﴿مجنون﴾.
١٥ ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ أي: الجوع عنكم زمناً
﴿قليلاً﴾ فكشف عنهم ﴿إنكم عائدون﴾ إلى
كفركم، فعادوا إليه. ١٦ اذكر ﴿يوم نبطش
البطشة الكبرى﴾ هو يوم يدر ﴿إنا منتقمون﴾
منهم، و ﴿البطش﴾: الأخذ بقوة. ١٧ ﴿ولقد
فتنا﴾ بلونا ﴿قبلهم قوم فرعون﴾ معه ﴿وجاءهم
رسول﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كريم﴾ على الله
تعالى. ١٨ ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أدوا إلي﴾
ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي: أظهروا
إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عباد الله إني لكم رسول
أمين﴾ على ما أرسلت به. ١٩ ﴿وأن لا تعلوا﴾
تتجبروا ﴿على الله﴾ بترك طاعته ﴿إني آتيكم
بسلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ بين على رسالتي.
٢٠ فترعدوه بالرجم فقال: ﴿وإني عذت بربي
وربكم أن ترجموني بالحجارة. ٢١ وإن
لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ فاتركوا
أذاي، فلم يتركوه. ٢٢ ﴿فدعا ربه أن﴾ أي:
بأن ﴿هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون.
٢٣ فقال تعالى: ﴿فأسر﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿بعبادي﴾ بني إسرائيل ﴿ليلاً﴾ إنكم متبعون ﴿يتبعكم فرعون وقومه﴾.

﴿اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه﴾، إلخ...، فإنه غير ثابت، وفيه ما لا يجوز الدعاء به كقول: ﴿اللهم إن كنت كتبني عندك في أم الكتاب
شقياً أو محروماً أو مَقْتراً علي في الرزق، فامنح اللهم بفضلك شقاوتي وحرمانتي وتقتير رزقي﴾، فهذا دعاء غير جائز لأن ﴿أم الكتاب﴾ هو ما سبق
في علم الله تعالى، ولا يبدل ولا يتغير شيء مما سبق في علمه تعالى أنه كائن أو لا يكون، وأما الاستدلال بعد هذا الدعاء بقوله تعالى: ﴿ويمحو
الله ما يشاء ويثبت﴾ فهو استدلال غير صحيح، لأن معنى المحو والإثبات في الآية هو: النسخ في الأحكام فقط، وقد فصلنا القول في هذه الآية
حيث هي من سورة الرعد ص ٣٢٨.

٢٤ ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعت أنت وأصحابك ﴿رَهْوَ﴾ ساكناً منفرجاً، حتى يدخله القبط [ـ فرعون وجنوده ـ ، ولا تضربه بعصاك ليلتئم] ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ فاطمأن [موسى] بذلك، فأغرقوا. ٢٥ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري [وكم] للتكثير، أي: تركوا كثيراً من ذلك. ٢٦ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن. ٢٧ ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ ناعمين. ٢٨ ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ، أي: الأمر [كذلك] ﴿وَأُورِثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل. ٢٩ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين، [فتبكي عليهم السماء والأرض، لعظم المصيبة بفقدهم، وقيل: [يبكي^(١) عليهم بموتهم، مصلاًهم من الأرض، ومصعد عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة، وفيها جواز البكاء على الميت، وإظهار الحزن لفقد الصالحين]. ٣٠ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء. ٣١ ﴿مَنْ فَرَعُونَ﴾ قيل: بدل من «العذاب» بتقدير مضاف، أي: [من] عذاب [فرعون]، وقيل: حال من «العذاب» فإنه كان غالباً من المسرفين [أي: متجبراً من الكافرين]. ٣٢ ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم العقلاء، [من الإنس والجن]. ٣٣ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ آيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر، و [إنزال] المن والسلوى وغيرهما. ٣٤ ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾. ٣٥ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَةٌ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نطفٌ [في أصلاب الآباء] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد [الموتة] الثانية. ٣٦ [وقالوا]: ﴿فَأَنؤُا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نُبعث بعد موتنا، أي: نَحْيَا. ٣٧ قال تعالى: ﴿أَهْمُ خَيْرٌ﴾ [في القوة والمنعة] ﴿أَمْ قَوْمُ تَبِعَ؟﴾ [قيل: هو: نبي^(٢) أو: رجل صالح] ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. ٣٨ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

الْمَثَلَةُ الْغَيْرُورَةُ

وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ٢٤ كَمْ تَرَكُوا ٢٥ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٦ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٢٧ وَنَعْمَةٍ ٢٨ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ٢٩ كَذَلِكَ ٣٠ وَأُورِثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٣١ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ٣٢ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ٣٣ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ٣٤ مِنْ فَرَعُونَ ٣٥ إِنَّهُ كَانَ غَالِبًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ٣٦ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٧ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ٣٨ إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُنَّ ٣٩ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ٤٠ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤١ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تَبِعَ ٤٢ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٤٣ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

(١) قوله: «يبكي عليهم.. إلخ» لم يصح في هذا التحديد حديث مرفوع، بل رواه الترمذي وغيره بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً، ورواه بعضهم عن علي وابن عباس وعدد من التابعين، فالآية عامة.

(٢) قوله: «هو نبي أو رجل صالح» الصحيح أنه ليس نبياً، وقومه هم «سبأ» الذين تقدم ذكرهم في أول سورة «سبأ» ٥٦٢، وكانوا يسمون ملكهم «تبعاً» كما يسمّى ملك الفرس «كسرى»، وقد ذكرهم الله تعالى لأنهم كانوا عرباً من قحطان، وأهل مكة من عدنان ليعتبروا بهم، وكان «تبع» كافراً ثم أسلم وتابع دين الكليم موسى عليه السلام على يدي من كان في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة السيد المسيح عليه السلام، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بسبع مائة سنة. اهـ. عن تفسير ابن كثير بتصرف.

بينهما لا عين ﴿بخلق ذلك، حال. ٣٩﴾ ما خلقناهما ﴿وما بينهما﴾ إلا بالحق ﴿أي: محقين في ذلك، لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك﴾ ولكن أكثرهم ﴿أي: كفار مكة [وغيرهم]﴾ لا يعلمون ﴿٤٠﴾ إن يوم الفصل ﴿يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد﴾ بمقاتهم أجمعين ﴿للعذاب الدائم. ٤١﴾ يوم لا يغني مولى عن مولى ﴿بقرابة أو صداقة، أي: لا يدفع عنه شيئاً﴾ من العذاب ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منه، و ﴿يوم﴾ بدل من: ﴿يوم الفصل. ٤٢﴾ إلا من رحم الله ﴿وهم المؤمنون، فإنه يشفع﴾^(١) بعضهم لبعض يأذن الله ﴿إنه هو العزيز﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين. ٤٣ ﴿إن شجرة الزقوم﴾ هي من أخشب الشجر المر بهامة، ينبتها الله تعالى في الجحيم.

٤٤ ﴿طعام الأثيم﴾ أي: [الفاجر والكافر، مثل: أبي جهل وأصحابه، [وسائر الكافرين] ذوي الإثم الكبير. ٤٥ ﴿كالمهل﴾ أي: كدردوي الزيت الأسود، خبر ثان ﴿تغلي في البطون﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحانية حال من «المهل».

٤٦ ﴿كغلي الحميم﴾ الماء الشديد الحرارة. ٤٧ ﴿خذوه﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فاعتلوه﴾ بكسر التاء وضمها، جرؤه بغلظة وشدة ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسط النار. ٤٨ ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَّبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾.

٤٩ ويقال له: ﴿ذوق﴾ أي: العذاب ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾ بزعمك وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني، [وقائل ذلك هو أبو جهل].

٥٠ ويقال لهم: ﴿إن هذا﴾ الذين ترون من العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ فيه، تشكون. ٥١ ﴿إن المتقين في مقام﴾ مجلس ﴿أمين﴾ يؤمن فيه الخوف.

٥٢ ﴿في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾.

٥٣ ﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾ أي: ما رَقَّ

سُورَةُ الدُّخَانِ

بَيْنَهُمَا لَعِينٌ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾

من الديباج، وما غلظ منه ﴿متقابلين﴾ حال، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسرة بهم. ٥٤ ﴿كذلك﴾ يقدَّر قبله: «الأمر»، [أي: «الأمر كذلك»] ﴿وزوجناهم﴾ من التزويج، أو: قرناهم ﴿بحور عين﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. ٥٥ ﴿يدعون﴾ يطلبون الخدم ﴿فيها﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بكل فاكهة﴾ منها ﴿آمينين﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف، [و «آمينين»] حال.

(١) قوله: «فإنه يشفع بعضهم لبعض»، أرجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

٥٦ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [البقرة^(١)]، بل يحيون فيها أبداً ﴿إِلَّا﴾ [سوى] ﴿الْمَوْتِ الْأُولَى﴾ أي: التي [ذاقوها] في الدنيا، بعد حياتهم فيها، قال بعضهم: «إِلَّا» بمعنى: «بعد» [أي: لا يذوقون الموت أبداً، بعد المَوْتِ الْأُولَى التي ذاقوها بعد حياتهم في الدنيا] ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ ربهـم ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

٥٧ ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى: «تَفَضُّلاً»، منصوب بـ «تفضل» مقدراً «من ربك ذلك هو الفوز العظيم».

٥٨ ﴿فَإِنَّمَا يَسِرْنَ﴾ أي: سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العربُ عنك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، فيؤمنون بك، لكنهم لا يؤمنون، [لأنهم لا يفكرون ولا يعقلون].

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسِرُّهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةَ ١٤ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الدَّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن

﴿سُورَةُ الْجَاثِيَةِ﴾

(مكية، إلا: «قل للذين آمنوا يغفروا»
الآية، وهي: ست، أو: سبع وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراحه به^(٢).

٢ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتداً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعته.

٣ ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَآيَاتٌ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿و﴾ خلق

﴿مَّا يَبُثُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِّن دَابَّةٍ﴾ هي: ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث. ٥ ﴿و﴾ في «اختلاف الليل والنهار» ذهابهما ومجيئهما [متعاقبين، أو: زيادة أحدهما ونقصان الآخر] ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [أي: السحاب] ﴿مِّن

(١) قولنا: «آلئة»، يجوز فيه قطع الهمزة ووصلها.

(٢) قوله: «الله أعلم بمراحه به»، أرجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

رزق ﴿مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح﴾ تقليبها، مرة جنوباً ومرة شمالاً، وباردة وحارة، [وشديدة ولينة] ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ الدليل، فيؤمنون.

٦ ﴿تلك﴾ الآيات المذكورة ﴿آيات الله﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نتلوها﴾ نقصها ﴿عليك بالحق﴾ متعلق بـ ﴿نتلو﴾ ﴿فبأي حديث بعد الله﴾ أي: [بعد] حديثه، وهو القرآن، ﴿وآياته﴾ حججه ﴿يؤمنون؟﴾ أي: كفار مكة، أي: لا يؤمنون، وفي قراءة بالتاء.

٧ ﴿ويل﴾ كلمة عذاب ﴿لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ كثير الإثم.

٨ ﴿يسمع آيات الله﴾ القرآن ﴿تتلى عليه ثم يصير﴾ على كفره ﴿مستكبراً﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ مؤلم.

٩ ﴿وإذا علم من آياتنا﴾ أي: القرآن ﴿شيئاً اتخذها هزواً﴾^(١) [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً]، أي: مهزواً بها ﴿أولئك﴾ أي: الأفاكون ﴿لهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

١٠ ﴿من ورائهم﴾ أي: أمامهم^(٢)، لأنهم الآن في الدنيا ﴿جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من المال والفعال ﴿شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله﴾ الأصنام ﴿أولياء ولهم عذاب عظيم﴾ [أي: دائم مؤلم].

١١ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب﴾ حظ ﴿من رجز﴾ أي: عذاب ﴿أليم﴾ موجه.

١٢ ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري السفن﴾^(١) الذي سخر لكم البحر لتجري السفن ﴿فيه بأمره﴾ بإذنه ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿من فضله ولعلكم تشكرون﴾. ١٣ ﴿وسخر

رَزَقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ
ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾
وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٨﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى
عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٩﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠﴾ مَن رَّآهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا
يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾
* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ

(١) قوله تعالى: ﴿اتخذها هزواً﴾ في هامش المخطوطة الأولى من تعليقات الناسخ ما يلي: «فائدة»: ترجيع الضمير في «اتخذها» إلى الآيات دون «شيئاً» للإشعار بأنه إذا سمع كلاماً وعلم أنه من الآيات، بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها، ولم يقتصر على ما سمعه، ولهذا قال الشيخ: - أي: المحلي - مهزواً بها.

(٢) قوله: «أي: أمامهم» هذا هو المعنى الصحيح، لقوله تعالى: ﴿من ورائهم﴾، وقد بينا وجه ذلك في تعليقاتنا ص ٣٣٢ فارجع إليه.

لكم ما في السموات من شمس وقمر، ونجوم وماء، وغيره ﴿وما في الأرض﴾ من دابة، وشجر ونبات وأنهار وغيرها، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جميعاً﴾ تأكيد ﴿منه﴾ حال أي: سخرها كائنة منه تعالى، [لا من غيره، فهو تعالى خالقها ومسخرها لكم] ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيها، فيؤمنون.

١٤ ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ وقائه، أي: اغفروا للكفار، وما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا

قبل الأمر بجهادهم ﴿ليجزى﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون ﴿قوماً﴾ بما كانوا يكسبون ﴿من الغفر للكفار أذاهم﴾ [أي: فيثيبهم، وهم المؤمنون، أو: ليجزي الكافرين على أذاهم للمؤمنين].

١٥ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن أساء فعليها﴾ أساء ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ تصيرون، فيجازي المصلح والمسيء.

١٦ ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ به بين الناس ﴿والنبوة﴾ لموسى وهارون منهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ الحلالات، كالمز والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ عالمي زمانهم العقلاء، [من الإنس والجن].

١٧ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فما اختلفوا﴾ في بعثته ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ أي: لبغي حدث^(١) بينهم، حسداً له ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

١٨ ﴿ثم جعلناك﴾ يا محمد ﴿على شريعة﴾

طريقة ﴿من الأمر﴾ أمر الدين ﴿فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ في عبادة غير الله، [وهذا أمر ونهي لكل مسلم]. ١٩ ﴿إنهم لن يغفوا﴾ يدفعوا ﴿عنك من الله﴾ من عذابه ﴿شيئاً وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿بعضهم

(١) قوله: «لبغي حدث بينهم» أي: بغي بعضهم على بعض، وظلم بعضهم بعضاً، وذلك بحرص السادة منهم على مصالحهم ورياستهم، وإضلالهم إياهم عن الهدى، وهؤلاء هم الأتباع والمتبعون الذين يختصمون يوم القيامة، ويلوم كل منهم الآخر، حيث لا يتفهم لوم ولا ندامة.

أولياء بعض والله ولي المتقين ﴿٢٠﴾ هذا ﴿القرآن﴾ بصائر للناس ﴿معالم﴾، يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ بالبعث. ﴿٢١﴾ أم ﴿بمعنى همزة الإنكار﴾ [أي: أ] ﴿حسب الذين اجتروا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾ الكفر والمعاصي ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء﴾ خبر ﴿محياتهم ومماتهم؟﴾ مبتداً ومعطوف، والجملة بدل من الكاف [في «كالذين»]، والضميران للكفار، المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير، كالمؤمنين؟ أي: في رَغَدٍ من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيث قالوا للمؤمنين: لئن بُعِثْنَا، لَنُعْطَى من الخير مثلَ ما تُعْطُونَ؟، قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا، من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و«ما» مصدرية، أي: بشئ حُكماً حكمهم هذا.

﴿٢٢﴾ ﴿وخلق الله السموات و﴾ خلق ﴿الأرض بالحق﴾ متعلق بـ «خلق»، ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وهم لا يظلمون﴾. ﴿٢٣﴾ [عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه، طرحوا الأول وعبدوا الآخر فزل:] ﴿أفرايت﴾ أخبرني ﴿من اتخذ إلهه هواه﴾ ما يهواه، من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وأضله الله على علم﴾ منه تعالى، أي: عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه، [أو: على علم من الضال بضلاله، وأنه ليس على حق] ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ ظلمة، فلم يبصر الهدى، ويقدر هنا المفعول الثاني لـ «رأيت»، أي:

سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقَبِيضِ ٥٥

أُولِيَاءَ بَعْضٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَاءِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

﴿أيهتدي؟﴾ ﴿فمن يهديه من بعد الله؟﴾ أي: بعد إضلاله إياه، أي: لا يهتدي ﴿أفلا تذكرون﴾ تتعظون؟ فيه إدغام إحدى التائين في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال، أي: بناء واحدة].

﴿٢٤﴾ وقالوا: أي: منكرو البعث ﴿ما هي﴾ أي: الحياة ﴿إلا حياتنا﴾ التي في ﴿الدنيا نموت ونحيا﴾ أي: يموت بعض، ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ مرور الزمان، قال تعالى: ﴿وما لهم بذلك﴾ المقول ﴿من علم إن﴾ ما ﴿هم إلا يظنون﴾. ﴿٢٥﴾ وإذا تلى عليهم آياتنا من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بينات﴾ واضحات، حال ﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أحياء ﴿إن كنتم صادقين﴾ أننا نبعث.

٢٦ ﴿قُلْ اللَّهُ يَحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نطفاً ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياء ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾ [لا] شك ﴿فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٧ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يبدل منه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ﴾ الكافرون، أي: يظهر خسرائهم، بأن يصيروا إلى النار.

٢٨ ﴿وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أي: أهل الدين ﴿جَائِيَةً﴾ على الركب، أو: مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ كتاب أعمالها، ويقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

الْبُرْهَانُ وَالْغَيْبُ

قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِرُ بِحَسْرِ الْمَبْطُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي الْقُرْآنَ تَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ تَكْبِيرْتُمْ ^(١) وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ كَافِرِينَ؟ [أي: فادخلوا النار، جزاء كفركم وتكبركم].

٣١ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي﴾ القرآن ﴿تتلى عليكم فاستكبرتم﴾ تكبرتم ^(١) ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ كافرين؟ [أي: فادخلوا النار، جزاء كفركم وتكبركم].

٣٢ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب ﴿لَا رَيْبَ﴾ [لا] شك ﴿فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ؟﴾ إِنَّا نَحْنُ بِالْأَنفُسِ قَالَ الْمُبْرَدُ: ^(٢) أصله: ﴿إِن نَحْنُ إِلَّا نَظُنُّ ظَنًّا﴾ وما نحن بمستيقنين ﴿أَنَّهُ آتِيَةٌ﴾.

٣٣ ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾

(١) قوله: «تكبرتم»، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٢) قوله: «المبرد»، بكسر الراء مشددة هو: أبو العباس محمد بن يزيد البصري، النحوي، اللغوي، راوية الأدب المشهور، ومعنى «المبرد» المثبت للحق، وذلك أن المازني لما صنف كتابه «الألف واللام» سأل المبرد عن دقيقه وعويصه، فأجابته أحسن جواب، فقال له: قم فانت المبرد، فعرف بذلك، توفي سنة ست وثمانين ومائتين، ودفن بمقبرة باب الكوفة في بغداد.

ما كانوا به يستهزئون ﴿أي: العذاب﴾، [جزاء استهزائهم]. ٣٤ ﴿وقيل اليوم نساكم﴾ نترككم في النار ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: تركتم العمل للقاءه ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها. ٣٥ ﴿ذلك بأنكم اتخذتم آيات الله﴾ القرآن ﴿هزوا﴾ [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بضم الزاي وإبدال الهمزة واوا، أي: مهزواً بها] ﴿وغرركم الحياة الدنيا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فاليوم لا يخرجون﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذ. ٣٦ ﴿فله الحمد﴾ [هو:] الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين^(١) ﴿رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾ خالق ما ذكر، و«العالم»: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.

٣٧ ﴿وله الكبرياء﴾^(٢) العظمة ﴿في السماوات والأرض﴾ حال، أي: كائنة فيهما ﴿وهو العزيز﴾ [في ملكه] ﴿الحكيم﴾ [في صنعه، كما] تقدم [في أكثر من موضع].

﴿سُورَةُ الْاِخْفَافِ﴾

(مكية، إلا: قل أرايتم إن كان من عند الله الآية،
والأ: فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل الآية،
والأ: «ووصينا الإنسان بوالديه»،
الثلاث آيات^(٣)،
وهي: أربع، أو: خمس وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.
- ٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

سُورَةُ الْاِخْفَافِ ٤٦

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنَسِكُ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٥﴾ ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٦﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(٤٦) سُورَةُ الْاِخْفَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسِينَ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢

(١) قوله: «على وفاء وعده في المكذبين»، أي: وفي المؤمنين أيضاً، وإنما اقتصر المؤلف الجلال المحلي على المكذبين دفعاً لما يتوهم من أنه تعالى إنما يحمد على الفضل فقط، فأفاد أنه يُحمد على «العدل» كما يحمد على «الفضل»، فأدخاله الكافرين النار عدل لا ظلم فيه، وإدخال المؤمنين الجنة فضل منه تعالى.

(٢) قوله تعالى: ﴿وله الكبرياء﴾. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: العز إزاري والكبرياء ردائي» أي هما لي وحدي — فمن ينازعني في واحد منهما فقد عدبته، أرجع إلى تعليقنا حول «التكبر» ص ٣٤٨.

(٣) قوله: «الثلاث آيات» بالإضافة، فيه الجمع بين «ال» التعريف والإضافة، وهذا غير مقبول لغة، فالصحيح أن يقول: «الثلاث الآيات».

٣ ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلَ مَسْمًى﴾ إلى فَنَائِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾ خُوفُوا بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿مُعْرَضُونَ﴾ [مُؤَلَّوْنَ] لَاهُونَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

٤ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، [و «ما»] مفعول أول [لـ «أرى»] ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثان ﴿مِنْ الْأَرْضِ؟﴾ بيان «ما» [من قوله: «ماذا»، على اعتبار أن «ما» اسم استفهام و «ذا» اسم موصول ويصح أن تكون بياناً لـ «ماذا» وهي كلها اسم استفهام] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ مع الله؟، و «أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿أَتُنُونِي﴾ بكتاب ﴿مَنْزِلَ﴾ ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أُنَارُ﴾ بقية ﴿مَنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعوكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله [زلقي] ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعوكم.

الْحَزْنُ الْبَاطِلُ (الْعُسْرُ)

مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ ۚ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ

٥ ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهم: الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ؟﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

٦ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي: الأصنام، [والمعبودون من دون الله كافة] ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾ جاحدين.

٧ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ.

٨ ﴿أَمْ﴾ بمعنى «بل»، و [بمعنى] همزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: القرآن؟ ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ فَرَضاً [كما تقولون] ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ [أي: من عذابه] ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرون على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [أي: تقولون في القرآن] من التكذيب، والإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع، يقال: أفاضوا في الحديث، أي: اندفعوا فيه ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾

٨ ﴿أَمْ﴾ بمعنى «بل»، و [بمعنى] همزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: القرآن؟ ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ فَرَضاً [كما تقولون] ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ [أي: من عذابه] ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرون على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [أي: تقولون في القرآن] من التكذيب، والإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع، يقال: أفاضوا في الحديث، أي: اندفعوا فيه ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب

(١) قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

﴿الرحيم﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

٩ ﴿قل ما كنت بدعاً﴾ بديعاً ﴿من الرسل﴾ أي: [لست] أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبونني؟ ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ في الدنيا^(١)، أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؟ أو ترمون بالحجارة؟ أو يُخسف بكم كما فعل بالمكذبين قبلكم؟ ﴿إن﴾ ما ﴿أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ أي: القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وما أنا إلا نذير مبين﴾ بين الإنذار.

١٠ ﴿قل أرايتم﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إن كان﴾ أي: القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به﴾ جملة حاله ﴿وشهد

شاهد من بني إسرائيل﴾ [أخرج الشياخ،

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

أن الشاهد] هو عبد الله بن سلام ﴿على

مثله﴾ أي: عليه، أنه من عند الله

﴿فأمن﴾ الشاهد ﴿واستكبرتم﴾ تكبرتم عن

الإيمان؟ وجواب الشرط، بما [أي: مع ما]

عُطف عليه [محذوف، تقديره:] أستم

ظالمين؟ دل عليه: ﴿إن الله لا يهدي القوم

الظالمين﴾.

١١ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي:

[قالوا] في حقهم ﴿لو كان﴾ الإيمان ﴿خيئاً

ماسبقونا إليه وإذ لم يهتدوا﴾ أي: القائلون

﴿به﴾ أي: بالقرآن ﴿فسيقولون هذا﴾ أي:

القرآن ﴿إفك﴾ كذب ﴿قديم﴾ [كقولهم:

«أساطير الأولين»].

١٢ ﴿ومن قبله﴾ أي: القرآن ﴿كتاب موسى﴾

أي التوراة ﴿إماماً ورحمة﴾ للمؤمنين به،

حالان ﴿وهذا﴾ أي: القرآن ﴿كتاب مصدق

للكتب قبله﴾ [لساناً عربياً] حال من الضمير في

«مصدق» ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ مشركي مكة

[وغيرها] ﴿و﴾ هو ﴿بشرى للمحسنين﴾

للمؤمنين.

١٣ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾

على الطاعة. ﴿فلا خوف عليهم ولا هم

يحزنون﴾.

١٤ ﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها﴾

حال ﴿جزاء﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر، أي: يُجزون ﴿بما كانوا يعملون﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٦

الرَّحِيمُ ﴿١﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي

مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ

وَكُفْرُتُمْ بِهِ ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۖ

فَعَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا

إِلَيْهِ ۖ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿٤﴾

وَمِن قَبْلِهِ ۖ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَذَا كِتَابٌ

مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ

لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

(١) قوله: «في الدنيا»، هذا قول الحسن البصري رحمه الله وجماعة. قال ابن كثير: وهذا الذي عول عليه ابن جرير الطبري، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك في أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم بأنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وعلى القول الآخر فإن قوله تعالى: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ أي: في الآخرة منسوخ بقوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

١٥ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ وفي قراءة: «إحساناً»، أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنُصِبَ «إحساناً» على المصدر بفعله المقدر، ومثله «حُسناً» حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً أي: على مشقة ﴿وحمله وفصاله﴾ من الرضاع ﴿ثلاثون شهراً﴾ ستة [أشهر]، أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة، أرضعته الباقي ﴿حتى﴾ غاية لجملة مقدرة، أي: وعاش حتى ﴿إذا بلغ أشده﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، أو ثلاثون ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ أي: تمامها، وهو أكثر الأشد ﴿قال رب﴾ إلخ، قيل: نزل في أبي بكر الصديق^(١)، لما بلغ أربعين سنة، من بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ، آمن به، ثم آمن

أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن، وابن عبد الرحمن أبو عتيق، [واسمه محمد]، ﴿أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت﴾ بها ﴿علي وعلى والدي﴾ وهو التوحيد ﴿وأن أعمل صالحاً﴾ ترضاه ﴿فأعتق تسعة من المؤمنين، يعذبون في الله﴾ وأصلح لي في ذرتي ﴿فكلهم مؤمنون﴾ إني ثبت إليك وإني من المسلمين. ١٦ ﴿أولئك﴾ أي: قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن﴾ بمعنى: حسن ﴿ما عملوا﴾ أي: الحسنات ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ في أصحاب الجنة ﴿حال﴾ أي: كائنين في جملتهم ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ في قوله تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات﴾.

١٧ ﴿والذي قال لوالديه﴾ بالافراد^(٢)، أريد به الجنس ﴿أف﴾ بكسر الفاء [مع التنوين وتركها]، وفتحها [من غير تنوين] بمعنى مصدر، أي: نتناً وقبحاً ﴿لكما﴾ أنضجر منكما ﴿أتعذاني﴾ وفي قراءة بالإدغام ﴿أن أخرج﴾ من القبر ﴿وقد خلت القرون﴾ الأمم ﴿من قبلي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع، ﴿ويلك﴾ أي: هلاكك، بمعنى «هلكك» ﴿آمن﴾ بالبعث ﴿إن وعد الله حق﴾ فيقول ما هذا ﴿أي: القول بالبعث﴾ إلا أساطير الأولين ﴿أكاذيبهم﴾.

الجزء الثاني من القرآن الكريم

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَايِهِ أَفِ لَكُمْ مَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ

١٨ ﴿أولئك الذين حق﴾ وجب ﴿عليهم القول﴾ بالعذاب ﴿في أمم﴾ قد خلت من قبلهم من

(١) قوله: «نزل في أبي بكر الصديق... إلخ» هذا ما رواه الواحدي في «أسباب النزول»، وهو غير موافق لواقع الحال، لأن أبا قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يُسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عمر أبي بكر وقتها تسعاً وخمسين سنة، بل الصحيح أن الآية عامة، وهي حث للإنسان على التمسك بقوة بدين الله تعالى إذا بلغ أربعين سنة، لأنه سن كمال العقل والجسم، يؤيده سياق الآيات.

(٢) قوله: «بالافراد»، أي: بإفراد كلمة «الذي»، وفاعل «قال»، وهذه ليست قراءة كما قد يفهم من قوله: «بالافراد»، فجاء اسم الموصول وعائده مفردين، والمراد بهما جنس الإنسان الكافر العاق، من غير تعيين على الصحيح، كما ذكرنا في التعليق السابق.

الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين. ١٩ ﴿ولكل﴾ من جنسي المؤمن والكافر ﴿درجات﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة، [وقد سماها الله تعالى «دَرَكَات» فقال: «إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار»] ﴿مما عملوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وليوفيهم﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون ﴿أعمالهم﴾ أي: جزاءها ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئاً، [بأن] يُنْقَصَ للمؤمنين [من حسناتهم]، ويزاد للكفار [في سيئاتهم].

٢٠ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم ﴿أذهبتم﴾ بهمة، وبهمزتين [محققتين مع

المد ودونه]، وبهمزة^(١) ومدة، وبهما وتسهيل الثانية [بمدة ودونها] ﴿طياتكم﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿في حياتكم الدنيا واستمتعتم﴾ تمتعتم بها فالיום تجزون عذاب الهون﴾ أي: الهوان [والخزي] ﴿بما كنتم تستكبرون﴾ تتكبرون^(٢) ﴿في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ به، [أي: بتكبركم]، وتعذبون بها، [أي: النار].

٢١ ﴿واذكر أخا عاد﴾ هو: هود عليه السلام ﴿إذ﴾ إلخ، بدل اشتمال ﴿أنذر قومه﴾ خوفهم ﴿بالأحقاف﴾^(٣) وإد باليمن، به منازلهم ﴿وقد خلت النذر﴾ مضت الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿أن﴾ [أي:] بأن قال ﴿لا تعبدوا إلا الله﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إني أخاف عليكم﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عذاب يوم عظيم﴾.

٢٢ ﴿قالوا أجئنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أنه يأتينا. ٢٣ ﴿قال﴾ هود ﴿إنما العلم عند الله﴾ هو الذي يعلم، متى يأتيكم العذاب ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ إليكم ﴿ولكنني أراكم قوماً تجهلون﴾ باستعجالكم العذاب.

٢٤ ﴿فلما رأوه﴾ أي: [أرأوا] ما [وعدهم به، و] هو العذاب ﴿عارضاً﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم﴾ قالوا

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٦

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ١٨ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٩ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ٢٠ * واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ٢١ قالوا أجئنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ٢٢ قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنني أراكم قوماً تجهلون ٢٣ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا

(١) قوله: «وبهمزة ومدة»، هو هكذا في المخطوطات والنسخ المطبوعة، وهذه قراءة شاذة للحسن البصري رحمه الله، وكان حق الجلال المحلي أن يشير إليها بـ «قري»، كما هي عادته، أما القراءات الأخرى التي ذكرها فهي صحيحة.

(٢) قوله: «تتكبرون»، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٣) قوله تعالى: «بالأحقاف»، هي: بلاد «عاد» قوم نبي الله «هود» عليه السلام. ارجع إلى تعليقنا «حولها» ص ٢٩١.

هذا عارض ممطرنا أي: مطر أتنا، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب [يقولكم: «فأتنا بما تعدنا»] ريح بدل من «ما» فيها عذاب اليم مؤلم. ٢٥ ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه «بأمر ربها» بإرادته، أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم، وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم «نجزى القوم المجرمين» غيرهم. ٢٦ ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا﴾ في الذي «إن» نافية [بمعنى «ما»]، أو: زائدة «مكناكم» يا أهل مكة «فيه» من القوة والمال «وجعلنا لهم سمعاً» بمعنى: أسماعاً «وأبصاراً وأفئدة» قلوباً «فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء» أي: شيئاً من الإغناء، و «من» زائدة «إذ» معمولة لـ «أغنى»، وأشربت [«إذ»] معنى التعليل، [أي: لأنهم] «كانوا» يجحدون بآيات الله حججه البينة «وحاق» نزل بهم ما كانوا به يستهزئون أي: العذاب. ٢٧ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ أي: أهلها، كشمود وعاد وقوم لوط «وصرفنا الآيات» كررنا الحجج البينات «لعلهم يرجعون» [عن كفرهم، فلم يرجعوا، فلا تكونوا مثلهم]. ٢٨ ﴿فَلَوْلَا﴾ هلاً «نصرهم» بدفع العذاب عنهم «الذين اتخذوا من دون الله» أي: غيره «قرباناً» متقرباً بهم إلى الله «آلهة» معه وهم: الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول، ضمير محذوف يعود على الموصول، أي: هم، [تقديره: اتخذوهم]، و «قرباناً» [هو المفعول] الثاني، و «آلهة» بدل منه «بل ضلوا» غابوا «عنهم» عند نزول العذاب «وذلك» أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً «إفكهم» كذبهم «وما كانوا يفترون» يكذبون، و «ما» مصدرية، أو موصولة، والعائد محذوف، أي: فيه. ٢٩ ﴿و﴾ اذكر «إذ صرفنا» أملاً [ووجهنا وبعثنا] «إليك نفرًا من الجن» جن «نصيين» من اليمن، أو: جن «نينوى»، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخلة^(١) يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان [وغيرهما عن ابن عباس] «يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا» أي: قال بعضهم لبعض «أنصتوا» أصغوا لاستماعه «فلما قضى» فرغ من قراءته «ولوا» رجعوا «إلى قومهم

الْبُرْجُ الْخَالِدُ وَالْغُرُفُ

هَذَا عَارِضٌ مُّطَرُّنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٥ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسْكِنَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٦ وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَالِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا بِمَعْنَى: أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً قُلُوبًا فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٢٧ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا آيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٨ فَلَوْلَا نَصْرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٢٩ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ

(١) قوله: «بطن نخلة»، هذا هو الصواب كما في المخطوطتين، وهو موضع في الطريق إلى الطائف عندما كان ﷺ قاصداً سوق عكاظ، أما «بطن نخل» - كما في إحدى المخطوطات وبعض الطبقات - الذي هو على مرحلتين من المدينة حيث صلى النبي ﷺ صلاة الخوف فهو غير مراد هنا، فأخبر الله تعالى نبيه باستماع الجن القرآن أول مرة وما قالوه بعد استماعه، ونزل في ذلك أول سورة «الجن» كما سيأتي بيانه في تعليقنا هناك ص ٧٧٠، هذا ما رواه الشيخان وغيرهما الذي أشار إليه الجلال المحلي، أما نزول هذه الآية: =

منذرين ﴿مخوفين قومهم العذاب، إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً﴾ [فأسلموا]. ٣٠ ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً﴾ هو القرآن ﴿أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه﴾ أي: تقدمه، كالتوراة ﴿يهدي إلى الحق﴾ الإسلام ﴿وإلى طريق مستقيم﴾ أي: طريقه. ٣١ ﴿يا قومنا أجيئوا داعي الله﴾ محمداً ﷺ، إلى الإيمان ﴿وآمنوا به يغفر﴾ الله ﴿لكم من ذنوبكم﴾ أي: بعضها، لأن منها: المظالم، لا تغفر إلا برضى أربابها ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ مؤلم. ٣٢ ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيقوته ﴿وليس له﴾ لمن لا يجيب ﴿من دونه﴾ أي: الله ﴿أولياء﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أولئك﴾ الذين لم يجيبوا ﴿في﴾ ضلال مبين ﴿بين ظاهراً﴾.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ ٤٦

مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ
بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا
بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ
النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو
العِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

٣٣ ﴿أولم يروا﴾ يعلموا، أي: متكرو البعث. ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ لم يغجز عنه ﴿بقادر﴾ خبر ﴿أن﴾ وزيدت الباء فيه، لأن الكلام في قوة^(١): ﴿أليس الله بقادر؟﴾ ﴿على أن يحيي الموتى؟﴾ بلى ﴿هو قادر على إحياء الموتى﴾ إنه على كل شيء قدير. ٣٤ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أليس هذا﴾ التعذيب ﴿بالحق؟﴾ قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. ٣٥ ﴿فاصبر﴾ على أذى قومك ﴿كما صبر أولو العزم﴾^(٢) ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿من الرسل﴾ قبلك، فتكون ذا عزم، و﴿من﴾ للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعية، فليس منهم ﴿آدم﴾ لقوله تعالى: ﴿ولم نجد له عزماً﴾، ولا ﴿يونس﴾ لقوله تعالى: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ ﴿ولا تستعجل لهم﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب، فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كأنهم يوم يرون﴾

= ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ إلخ، فلم يخرج الشيطان أنها نزلت بسبب ذلك؛ بل أخرجه الحاكم

— وصححه — وأقره الحافظ الذهبي، وأخرجه أيضاً البيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) قوله: ﴿في قوة﴾ أليس الله بقادر، يشير الجلال المحلي بهذا إلى أحد أسباب زيادة الباء، وهو: زيادتها في خبر الفعل المنفي الناسخ للمبتدأ والخبر، ف﴿أن﴾ حرف مشبه بالفعل، وهو منفي، فجاءت «الباء» زائدة في خبرها — أي: في «بقادر».

(٢) قوله تعالى: ﴿أولو العزم من الرسل﴾ قال ابن كثير وغيره ما مجمله: وقد اختلفوا في مقدارهم على أقوال أشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك استنتاجاً من بعض الآيات لا بناء على دليل، ويحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون ﴿من﴾ في قوله: ﴿من الرسل﴾ لبيان الجنس وعلى القول الأول: هي تبعية، وقيل: الظاهر أن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله، فكلهم أصحاب عزم ولكنهم متفاوتون في ذلك.

ما يوعدون ﴿من العذاب في الآخرة، لطوله﴾ لم يلبثوا ﴿في الدنيا، في ظنهم﴾ إلا ساعة من نهار ﴿، هذا القرآن ﴿بلاغ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فهل﴾ أي: لا يهلك عند رؤية العذاب ﴿إلا القوم الفاسقون؟﴾ أي: الكافرون.

﴿سُورَةُ الْحَجَرِ﴾

[وتسمى سورة محمد ﷺ]

(مدنية، إلا: وكأين من قرية، الآية،
أو: مكة، وهي: ثمان، أو: تسع وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الذين كفروا﴾ من أهل مكة [وغيرهم] ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ أي: الإيمان ﴿أضل﴾ أحبط ﴿أعمالهم﴾ [الصالحة]، كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، [لأن الثواب مرتبط بالإيمان]، ويجزون^(١) بها في الدنيا، من فضله تعالى.

٢ ﴿والذين آمنوا﴾ أي: الأنصار^(٢) وغيرهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ وآمنوا بما نزل على محمد ﴿أي: القرآن﴾ وهو الحق من ربهم كفر عنهم ﴿غفر لهم﴾ سيئاتهم وأصلح بهم ﴿أي: حالهم﴾، فلا يعصونه.

٣ ﴿ذلك﴾ أي: إضلال الأعمال [للكافرين]، وتكفير السيئات [للمؤمنين] ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الذين كفروا﴾ اتبعوا الباطل ﴿الشیطان﴾ وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق ﴿القرآن﴾ من ربهم كذلك ﴿أي: مثل ذلك﴾ البيان ﴿يضرب الله للناس﴾

أمثالهم ﴿أي: يبين أحوالهم﴾، فالكافر يُحْبَطُ عمله والمؤمن يُغْفَرُ زَلُّهُ. ٤ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرِبْ

الْبُرْجَانِ وَالْغَنِيَّةِ

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَبَلَّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ
إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾

(٤٧) سُورَةُ الْحَجَرِ مَدِينِيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّبِيُّ وَتِلْكَ آيَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

٢٧٢

(١) قوله: «ويجزون بها في الدنيا»، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، أما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها».

(٢) قوله: «الأنصار»، هم المسلمون من أهل المدينة الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، أرجع إلى تعليلنا حولهم ص ٢٣٨.

الرقاب مصدر، بدل من اللفظ بفعله^(١)، أي: فاضربوا رقابهم، أي: اقتلوهم، وعبر بـ «ضرب الرقاب»، لأن الغالب في القتل، أن يكون بضرب الرقبة «حتى إذا أئخنتموهم» أكثرتم فيهم القتل «فشدوا» أي: فأسكوا عنهم وأسروهم، وشدوا «الوثاق» ما يوثق به الأسرى «فإما مناً بعد» مصدر، بدل من اللفظ بفعله^(٢)، أي: تمنون عليهم، بإطلاقهم من غير شيء «وإما فداء» أي: تفادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين «حتى تضع الحرب» أي: أهلها «أوزارها» أثقالها، من السلاح وغيره، بأن يسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر «ذلك» خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر فيهم ما ذكر «ولو يشاء الله لانتصر منهم» بغير قتال «ولكن» أمركم به «ليبلو بعضكم ببعض» منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة، ومن قتل منهم إلى النار «والذين قتلوا» وفي قراءة: «قاتلوا» الآية، [أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة السدوسي قال: [نزلت يوم أحد^(٣)، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات «في سبيل الله فلن يضل» يحيط «أعمالهم». «سيهدهم» في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم «ويصلح بالهم» حالهم فيها، وما في الدنيا^(٤) لمن لم يقتل، وأدرجوا في «قتلوا» تغلياً. ٦ «ويدخلهم الجنة عرفها» بينها «لهم» فيهدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير استدلال. ٧ «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله» أي: دينه ورسوله «ينصركم» على عدوكم «ويثبت أقدامكم» يثبتكم في المعترك. ٨ «والذين كفروا» من أهل مكة، مبتدأ خبره [محذوف تقديره: [«تعمسوا»، بدل عليه: «فتعسا لهم» أي: هلاكاً وخيبة من الله «وأضل أعمالهم» عطف على «تعمسوا» [المقدر]. ٩ «ذلك» أي: النعس والإضلال «بأنهم كرهوا ما أنزل الله» من القرآن المشتمل على التكليف «فأحبط أعمالهم».

١٠ «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم» أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم «وللكافرين أمثالها» أمثال عاقبة ما قبلهم. ١١ «ذلك» أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين «بأن الله مولى» ولي وناصر «الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم» [أي: لا ينصرهم أحد من الله تعالى]. ١٢ «إن الله يدخل

سُورَةُ الْحَجَّاتِ ١٧

الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَئخْتَمُوهُمۡ فَشَدُّوا۟ الْوَتَا۟قَ فِيمَا مَنَ۟ا بَعْدُ وَإِمَا فِدَا۟ءٍ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوۡزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللّٰهُ لَانتَصَرۡ مِنْهُمۡ وَلَٰكِن لِّبَلِّوۡا۟ بَعْضُكُمۡ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَالَهُمۡ ۖ ۝١ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحۡ بَالَهُمۡ ۖ ۝٢ وَيُدۡخِلُهُمۡ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمۡ ۖ ۝٣ يَٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ إِن تَنۡصُرُوا۟ اللّٰهَ يَنۡصُرْكُمْ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمْ ۖ ۝٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعۡسَا۟ لَهُمۡ وَأُضِلَّ أَعۡمَالُهُمۡ ۖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُوا۟ مَا أُنۡزِلَ اللّٰهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَالَهُمۡ ۖ ۝٦ أَفَلَمۡ يَسِيرُوا۟ فِي الْأَرۡضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنۢ بَقۡلِهِمۡ ۖ دَمَرَ اللّٰهُ عَلَيْهِمۡ وَلِلۡكَافِرِينَ أَمۡثَلُهَا ۖ ۝٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوۡلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۖ ۝٨ إِنَّ اللّٰهَ يَدۡخُلُ

٦٧٣

(١) قوله في الموضعين: «مصدر بدل من اللفظ بفعله»، ليس المراد به البدل الاصطلاحي، بل يشير إلى استعمال «ضرب» المصدر عوضاً عن فعله «اضربوا»، واستعمال «مناً» بدل «اتمنوا».

(٢) قوله: «يوم أحد»، هو: جبل قرب المدينة حصلت عنده المعركة المعروفة، في السنة الثالثة للهجرة.

(٣) قوله: «وما في الدنيا» إلخ، أي: من الهداية وإصلاح البال هو لمن لم يقتل من المجاهدين، فهؤلاء يكافئهم بالهداية وإصلاح البال في الدنيا، أما الذين قتلوا وامتوا منهم، فأولئك سيثيبهم الله في الآخرة بإثرائهم منازل الشهداء الأبرار.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون في الدنيا ويأكلون كما تأكل الأنعام أي: ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة والنار مثوى لهم منزل ومقام ومصير؛ ١٣ ﴿وَكَايْنٍ﴾ وكم ﴿من قرية﴾ أريد بها أهلها هي أشد قوة من قريتك مكة، أي: أهلها التي أخرجتك روعي لفظ «قرية» أهلكتهم روعي معنى «قرية» - الأولى - ﴿فلا ناصر لهم﴾ من إهلاكنا. ١٤ ﴿أفمن كان على بينة﴾ حجة وبرهان ﴿من ربه﴾ وهم المؤمنون ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ فرآه حسناً، وهم كفار مكة ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في عبادة الأوثان؟ أي: لا مماثلة بينهما. ١٥ ﴿مثل﴾ أي: صفة الجنة التي وعد المتقون المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ بالمد والقصر،

الجنة الشارِب والشارِبِين

ك «ضارب» و «حذر»، أي: غير متغير [الرائحة]، بخلاف ماء الدنيا، فيتغير لعارض وأنهار من لبن لم يتغير طعمه بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع وأنهار من خمر لذة لذبة للشاربين بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب، [مضرة للعقل والجسم] وأنهار من عسل مصفى بخلاف عسل الدنيا، فإنه لخروجه من بطون النحل، يخالطه الشمع وغيره ولهم فيها أصناف من كل الثمرات ومغفرة من ربهم فهو راض عنهم، مع إحسانه عليهم بما ذكر، بخلاف سيّد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم، ساخطاً عليهم كمن هو خالد في النار خبر مبتدأ مقدر، أي: «أمن هو في هذا النعيم، [كمن هو] الخ، وسقوا ماء حميماً أي: شديد الحرارة فقطع أمعاءهم»^(١) أي: مصارينهم، فخرجت من أديبارهم، وهو جمع «معى» بالقصر، وألفه [عوض] عن ياء، لقولهم [في تثنية]: «معيان».

١٦ ﴿ومنهم﴾ أي: الكفار ﴿من يستمع إليك﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم لعلماء الصحابة، منهم: عبد الله بن مسعود، وابن عباس، استهزاء وسخرية: ﴿ماذا قال﴾ [محمد] «أنفا؟» بالمد والقصر،

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ

أي: [هذه] الساعة، أي: لا ترجع إليه، [قال ابن عباس: كنت ممن يُسأل، - أي: على صغر سنه -] أولئك

(١) قوله تعالى: «فقطع أمعاءهم»، إن وصف الجنة وما فيها من نعيم، والنار وما فيها من عذاب دليل صريح على أن نعيم الجنة حقيقي محسوس، يتلذذ به المؤمن بجسده وحواسه، وأن عذاب النار أيضاً عذاب حقيقي محسوس، وليس كما يزعم بعض الزنادقة القائلين: إن النعيم والعذاب معنويان، وإن الكافرين يعدون بحجبه عن الله، والمؤمنين ينعمون بقربهم منه تعالى، وينكرون ما في الجنة من نعيم كالفواكه والأنهار والحدود العينية أن تكون أموراً حقيقية، ويدعون أنها تعابير مجازية، ويقولون الشيء ذاته عن العذاب، إن هؤلاء لا يؤمنون بالبعث جسداً وروحاً، بل يبعث الروح فقط، فالذي يجب الإيمان به: أن البعث يوم القيامة سيكون بالروح وبالجسد معاً، وأن النعيم والعذاب للروح والجسد معاً.

الذين طبع الله على قلوبهم ﴿بالكفر﴾ واتبعوا أهواءهم ﴿في النفاق﴾. ١٧ ﴿والذين اهتدوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زادهم﴾ الله ﴿هدى﴾ وآتاهم تقواهم ﴿ألههم﴾ ما يتقون به النار. ١٨ ﴿فهل ينظرون﴾ ما ينتظرون، أي: كفار مكة ﴿إلا الساعة أن تأتيهم﴾ بدل اشتغالهم من «الساعة»، أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم «بغثة؟» فجأة ﴿فقد جاء أشراتها﴾ علاماتها، منها: «بعثة النبي ﷺ»، و«انشقاق القمر»^(١) و«الدخان»^(٢) ﴿فأني لهم إذا جاءتهم الساعة﴾ ذكرهم ﴿تذكرهم﴾، [والمعنى: من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة]، أي: لا يتفهم. ١٩ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ أي: دُم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿واستغفر لذنوبك﴾ لأجله، قيل له ذلك، مع عصمته، لتشتت به أمته، وقد فعله، قال النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ٤٧

الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ ﴿١٧﴾
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۖ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۚ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ ۖ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

مرة» [رواه مسلم بلفظ: «فأني أتوب في اليوم مائة مرة»] ﴿وللْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم، بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ متصرفكم لأشغالكم بالنهار ﴿ومشاوكم﴾ ماواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

٢٠ ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ طلباً للجهاد. ﴿لولا﴾ هلاً ﴿نزلت سورة﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وذكر فيها القتال﴾ أي: طلبه ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿ينظرون إليك نظر المغشي﴾ [المغمى] ﴿عليه من الموت﴾ خوفاً منه وكرهاً له، أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فأولى لهم﴾ مبتداً خيرة:

٢١ ﴿طاعة وقول معروف﴾ أي: حسن لك، [المعنى: الواجب عليهم أن يطيعوك، ويخاطبوك بالقول الحسن] ﴿فإذا عزم الأمر﴾ أي: فرض القتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لكان خيراً لهم﴾ وجملة «لو» جواب «إذا». ٢٢ ﴿فهل عسيتم﴾^(٣) بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب، أي: لعلكم ﴿إن توليتهم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البني والقتل. ٢٣ ﴿أولئك﴾ أي: المفسدون ﴿الذين لعنهم

(١) قوله: «وانشقاق القمر»، كما سيأتي بيانه في أول سورة القمر ص ٧٠٤.

(٢) قوله: «الدخان»، أي: الذي رآه بسبب الجوع الشديد الذي أصابهم بدعائه ﷺ عليهم كما تقدم بيانه ص ٦٥٧.

(٣) قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم﴾ الآية، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم - أي - أتم خلقهم - قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل =

الله فأصمهم ﴿عن استماع الحق﴾ وأعمى أبصارهم ﴿عن طريق الهداية﴾ ٢٤ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيعرفون الحق ﴿أم﴾ بل ﴿على قلوب﴾ لهم ﴿أقفالها﴾ فلا يفهمونه؟ ٢٥ ﴿إن الذين ارتدوا﴾^(١) بالنفاق ﴿على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى﴾ الشيطان سول ﴿أي﴾ زين ﴿لهم وأملى لهم﴾ بضم أوله ﴿وكسر ثالثه وفتح الياء﴾ أي: أمهلوا، و ﴿في قراءة﴾ بفتحها، ﴿أي﴾: أوله ﴿و [فتح] اللام، والمملي﴾ هو الشيطان بإرادته تعالى، فهو المضل لهم. ٢٦ ﴿ذلك﴾ أي: إضلالهم ﴿بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ أي: المشركين ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتشبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً، فأظهره الله تعالى ﴿والله يعلم أسرارهم﴾ بفتح الهمزة، جمع «سر»، وبكسرها: مصدر.

الجزء الثاني من التفسير

الله فأصمهم وأعمى أبصرهم ﴿٢٣﴾ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴿٢٤﴾ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ﴿٢٥﴾ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم ﴿٢٦﴾ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبرهم ﴿٢٧﴾ ذلك بأنهم اتبعوا ما آتخبط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴿٢٨﴾ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴿٢٩﴾ ولتعرفنهم في لحن القول ﴿٣٠﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين، فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ ظاهرها حسن، ويعنون بها القبيح، يخاطبون بها الرسول ﷺ ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ [وسيجازيكم عليها].

٣١ ﴿ولنبلونكم﴾ نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حتى نعلم﴾^(٢) علم ظهور، ﴿أي﴾: ليظهر ما علمناه من حالكم ﴿المجاهدين منكم والصابرين﴾ في الجهاد وغيره ﴿ونبلو﴾ نظهر ﴿أخباركم﴾ من طاعتكم وعصيانكم، في الجهاد وغيره، وبالياء والنون في الأفعال الثلاثة^(٣). ٣٢ ﴿إن

٢٧ ﴿فكيف﴾ حالهم ﴿إذا توفتهم الملائكة يضربون﴾ حال من «الملائكة» ﴿وجوههم وأدبارهم﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟ ٢٨ ﴿ذلك﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ أي: العمل بما يرضيه ﴿فأحبط أعمالهم﴾. ٢٩ ﴿أم﴾ [بمعنى «بل»، وممزة الإنكار] ﴿حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ [أي: شك ونفاق، وهم المنافقون] ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ يظهر أحقادهم، على النبي ﷺ والمؤمنين؟ ٣٠ ﴿ولو نشاء لأريناكمهم﴾ عرفناكمهم، وكررت اللام [للتأكيد] في: ﴿فلتعرفنهم بسيماهم﴾ علامتهم ﴿ولتعرفنهم﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿في لحن القول﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين، فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ ظاهرها حسن، ويعنون بها القبيح، يخاطبون بها الرسول ﷺ ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ [وسيجازيكم عليها].

٣١ ﴿ولنبلونكم﴾ نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حتى نعلم﴾^(٢) علم ظهور، ﴿أي﴾: ليظهر ما علمناه من حالكم ﴿المجاهدين منكم والصابرين﴾ في الجهاد وغيره ﴿ونبلو﴾ نظهر ﴿أخباركم﴾ من طاعتكم وعصيانكم، في الجهاد وغيره، وبالياء والنون في الأفعال الثلاثة^(٣). ٣٢ ﴿إن

من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض﴾ وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم». وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يسط له في رزقه ويُنشأ له في أثره فليصل رحمه»، ومعنى «يُنشأ» في أثره، أي: يؤخر له في أجله وعمره، بأن يبارك الله له في عمره، ويوقفه فيه إلى العمل الصالح الذي لا يناله غيره في مثل عمره.

(١) قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا﴾. الآية: أرجع إلى تعليقنا حول «الردة» ص ٣٦٠، وتعليقنا حول «النفاق» ص ١٢٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿حتى نعلم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره: «أي: حتى نرى»، وهو معنى ما قاله الجلالان في جميع هذه المواضع.

(٣) قوله: «في الأفعال الثلاثة»، أي: في «نبلونكم»، و «نعلم» و «نبلو»، من هذه الآية.

الذين كفروا وصدوا عن سبيل ﴿الله﴾ وشاقوا الرسول ﴿خالفوه﴾ من بعد ما تبين لهم الهدى ﴿هو معنى «سبيل الله﴾ لن يضرُوا الله شيئاً وسيجِط أعمالهم﴾ يبطلها، من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، نزلت في المُطعمين من أصحاب بدر، [كأبي جهل وغيره، أطعموا فقراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها]، أو [نزلت] في قريظة والنضير، [كانوا ينفقون على قريش، ليستعينوا بهم على عداوة النبي ﷺ].

٣٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [أي: حسناتكم] بالمعاصي — مثلاً — (١)، [قاله الحسن البصري]. ٣٤ ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ طريقه وهو الهدى ﴿ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ نزلت في أصحاب القلب، [وهو بئر في «بدر»، ألقى فيه القتلى من الكفار].

٣٥ ﴿فلا تهنوا﴾ تضعفوا ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ بفتح السين وكسرهما، أي: الصلح من الكفار، إذا لقيتموهم ﴿وأنتم الأعلون﴾ حذف منه واو لام الفعل، [أي: السواو الثانية، وأصله: «الأعلون»، أي: الأغلبون القاهرون ﴿والله معكم﴾ بالعون والنصر ﴿ولن يترككم﴾ ينقصكم أعمالكم ﴿أي: ثوابها.﴾

٣٦ ﴿إنما الحياة الدنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لعب ولهو﴾ [فلا تغفروا بها] ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ الله، وذلك من أمور الآخرة ﴿يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها، [وما زاد عليها فهو تطوع منكم].

٣٧ ﴿إن يسألكموها فحفظكم﴾ يبالغ في طلبها ﴿تبخلوا ويخرج﴾ البخل ﴿أضفانكم﴾ [جمع «ضغينة»، أي: الحقد والبغض] لدين الإسلام.

٣٨ ﴿ها أنتم﴾ يا «هؤلاء» [أيها المؤمنون] ﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ ما فرض عليكم ﴿فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ يقال: يبخل عليه وعنه، [أي: يمنعها الأجر والثواب] ﴿والله الغني﴾ عن نفقتكم ﴿وأنتم

سُورَةُ الْحَجَّاتِ ٤٧

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٢٧﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٩﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَظْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْفَانَكُمْ ﴿٣٢﴾ هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ

٦٧٧

(١) قوله: «بالمعاصي — مثلاً»، في السبب المبطل للعمل الصالح أقوال: منها قول الحسن الذي ذكره المحلي، وقيل: بالكثرة، وقيل: بالرياء والسمعة، وقيل غير ذلك، والصحيح: أنه ليست كل معصية مبطله للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعها، ومنها ما يبطل بعضها، ومنها ما لا يبطل شيئاً، في «الزَّدة» تحيط جميع الأعمال الصالحة إذا مات عليها صاحبها ولم يتب، و «الرياء»: يبطل ثواب العمل الذي رأى فيه، وكذلك إعجاب المرء بعمله، و «المن والأذى»: يبطلان الصدقة، أما السيئات والذنوب الأخرى — مما لا نص بخصوصه — فإنها لا تبطل عملاً صالحاً للعبد على القول الصحيح، بل إن عمل الحسنة يذهب السيئة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُلْغِي السَّيِّئَاتِ﴾، وهذا من فضل الله تعالى وكرمه، وقال بعض العلماء كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ أي: لا تبطلوا ما بدأتم به من النافلة، كصلاة وصيام، فأوجبوا إتمامه، وقضائه إذا أبطل.

الفقراء ﴿إليه﴾ وإن تتولوا ﴿عن طاعته﴾ يستبدل قوماً غيركم ﴿أي: يجعلهم بدلكم﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿في التولي عن طاعته، بل مطيعين له عز وجل﴾.

﴿سُورَةُ الْفَتْحِ﴾ (١)

(مدنية، تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إنا فتحنا لك﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها، [الذي سيحصل في] المستقبل، عتوةً بجهادك ﴿فتحاً ميباً﴾ بيناً ظاهراً. ٢ ﴿ليغفر لك الله﴾ بجهادك ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ منه لترغب أمتك في الجهاد، وهو [أي: إسناد الذنب إليه ﷺ] مؤول، لعصمة الأنبياء (٣) عليهم الصلاة والسلام، بالدليل العقلي القاطع، من الذنوب، واللام للعللة الغائية [وهي: المرتبة على آخر الفعل، وليست للعللة الباعثة، لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام]، فمدخولها [وهو: الغفران] مسبب [عن الفتح] لا سبب [له] ﴿وَيُتِمُّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُ﴾ إنعامه ﴿عليك ويهديك﴾ به ﴿صراطاً﴾ طريقاً ﴿مستقيماً﴾ يثبتك عليه، وهو: دين الإسلام. ٣ ﴿وينصرك الله﴾ به ﴿نصراً عزيزاً﴾ ذا عز لا ذل له. ٤ ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ الطمأنينة ﴿في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، منها الجهاد ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ فلبو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٥ ﴿ليدخل﴾ متعلق بمحذوف، أي: أمر بالجهاد [وغيره من شرائع الدين، ليُدخل] ﴿المؤمنين والمؤمنات جنات

الْمَدِينَةِ الْيُسْرَى وَالْعُسْرَى

الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَينصرك الله نصرًا عزيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

(١) قوله: ﴿سورة الفتح﴾ أخرج الشيخان وغيرهما: أنها نزلت في الطريق عند انصرافه ﷺ من الحديبية السنة السادسة للهجرة، حيث عقد مع المشركين «صلح الحديبية» المعروف، كما سيأتي ص ٦٧٩، وهو الفتح المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ على الأصح، وهو قول أنس بن مالك وجابر رضي الله عنهما، وقول قتادة والشعبي والضحاك رحمهم الله تعالى، وعليه الأكثر، وفي هذه السورة قال ﷺ: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لم أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس» رواه الشيخان، وقيل: الفتح هو «فتح خيبر»، وقيل: هي عامة تشمل فتح مكة وغيرها كما قال المؤلف الجلال المحلي رحمه الله.

(٢) قوله: «وهو مؤول لعصمة الأنبياء، إلى قوله: لا سبب»، موجود في المخطوطة الثانية فقط التي هي أحدث المخطوطات، =

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً^٦. ويُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السُّوءِ^٧ بفتح السين وضمها، في المواضع الثلاثة^(١)، ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين عليهم دائرة السوء^٨ بالذل والعذاب وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً^٩ مرجعاً. ٧. والله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً في ملكه^{١٠} حكيماً في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٨. إنا أرسلناك شاهداً على أمتك في القيامة ومبشراً لهم في الدنيا بالجنة ونذيراً منذرًا، مخوفاً فيها من عمل سوءاً بالنار. ٩. ليؤمنوا بالله ورسوله بالياء والتاء، فيه وفي [الأفعال] الثلاثة بعد ويعزروه^{١١} ينصروه، وقرئ [شدوذا]: بزايين مع الفوقانية ويوقروه^{١٢} يعظموه، وضميرهما لله، أو: لرسوله ويسبحوه^{١٣} أي: الله بكرة وأصيلاً^{١٤} بالغداة والعشي. ١٠. إن الذين يبايعونك بيعة الرضوان بالحديبية^(٢) إنما يبايعون الله^{١٥} هو نحو: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»^{١٦} يد الله فوق أيديهم^{١٧} التي بايعوا بها النبي، أي: هو تعالى مطلع على مبايعتهم، فيجازيهم عليها فمن نكث^{١٨} نقض البيعة فإنما ينكث^{١٩} يرجع وبال نقضه^{٢٠} على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله^{٢١} أي: في البيعة^{٢٢} فسيؤتيه بالياء والنون أجراً عظيماً^{٢٣} [في الجنة].

١١. سيقول لك المخلفون من الأعراب^{٢٤} حول المدينة، أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذ رجعت منها: «شغللتنا أموالنا

وبعض النسخ المطبوعة، دون المخطوطات الأخرى، ولعلها من إضافات الناسخ كما هو ظاهر، وهو مبني على القول بعصمة الأنبياء حتى عن الصغار التي لا حجة فيها، لذلك احتاج إلى تأويل الذنب، أرجع إلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧ وما يليها.

(١) قوله: «بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة» هذا سبق قلم من المؤلف - المحلي -، والمواضع الثلاثة هي: «ظن السوء» و«دائرة السوء»، في هذه الآية،

والموضع الثالث في الآية (١٢)، وهو قوله تعالى: «وظلنتم ظن السوء». والصواب: أن في قوله تعالى: «دائرة السوء» فقط، قراءتين بفتح السين وضمها، أما الموضعان الآخران المذكوران، فليس فيهما إلا فتح السين، وليس فيهما ضمها باتفاق القراء.

(٢) قوله: «بيعة الرضوان بالحديبية» «الحديبية»: (بضم الحاء وفتح الدال وكسر الباء وفتح الياء الثانية مخففة أو مشددة). اسم قرية - سميت بئر هناك - بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل و «المرحلة»: أربعة وعشرون ميلاً. خرج النبي ﷺ إليها معتمراً آخر سنة ست للهجرة، فمنعه كفار مكة من دخولها، فأرسل إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ليفاوضهم، فأشيع أنهم قتلوه، فدعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى البيعة على مناجزة القوم، فكانت «بيعة الرضوان» تحت الشجرة، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة أي: ألفاً وأربعمائة رجل، وهذا ما رواه مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا إْنَا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوْهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا إِنْ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَسُئْتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا

وأهلوناً عن الخروج معك ﴿فاستغفر لنا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال تعالى مكذباً لهم: ﴿يقولون بالسنتهم﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿ما ليس في قلوبهم﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قل فمن استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً﴾ بفتح الضاد وضمها ﴿أو أراد بكم نفعاً؟ بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، [ومنه كذبكم في اعتذاركم].

١٢ ﴿بل﴾ في الموضعين، [أي: هذا والذي قبله]، للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظننتم أن لن ينقلب﴾ [يرجع]

﴿الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم﴾ أي: [زين لكم الشيطان]، أنهم يستأصلون بالقتل، فلا يرجعون [إلى المدينة] وظننتم ظن السوء ﴿هذا وغيره﴾ وكنتم قوماً بوراً ﴿جمع بائراً، أي: هالكين عند الله بهذا الظن﴾.

١٣ ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا اعتدنا للكافرين سعيراً﴾ ناراً شديدة.

١٤ ﴿والله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويمذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي: لم يزل متصفاً بما ذكر^(١).

١٥ ﴿سيقول المخلفون﴾ المذكورون ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم﴾ هي: مغانم «خير»^(٢) ﴿لتأخذوها ذرونا﴾ اتركونا ﴿نتبعكم﴾ لناخذ منها ﴿يريدون﴾ بذلك ﴿أن يبدلوا كلام الله﴾ وفي قراءة: «كلم الله، بكسر اللام، أي: مواعيده بغنائم «خير» أهل الحديدية خاصة، [لأن الله تعالى وعد أهل الحديدية فتح خير، وأنها لهم خاصة] ﴿قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ أي: قبل عودنا ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك؟ ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ من الدين ﴿إلا قليلاً﴾ منه. ١٦ ﴿قل

الْبُرْءُ لِلَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ

وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ۚ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ

(١) قوله: «لم يزل متصفاً بما ذكر»، يشير الجلال المحلي رحمه الله بهذا إلى أن «كان» تفيد هنا إثبات معنى ما دخلت عليه إثباتاً محققاً ودائماً أي: أن الغفران والرحمة صفتان ثابتتان لله تعالى في كل آن، ولا ينحصر مدلولها في الزمن الماضي كما هي العادة في الأفعال الماضية، وذلك مثلما جرت العادة على استعمال الماضي للدلالة على تأكيد وقوع الأمر وحصوله في المستقبل كقوله تعالى: «أتأتى أمر الله فلا تستعجلوه» أي: هو آت لا محالة فكانه قد أتى بالواقع.

(٢) قوله: «مغانم خير»، «خير» إحدى معاقل اليهود في ذلك الوقت، ذات حصون ومزارع ونخل، بينها وبين المدينة ستة وتسعون ميلاً، ولا تزال عامرة حتى اليوم، خرج النبي ﷺ إليها في شهر محرم السنة السابعة للهجرة بعد رجوعه من «الحديبية» وفتحها عنوة، ومن سببها اصطفى «صفية بنت حبي» بن أخطب، ثم أعتقها وتزوجها بعد أن أسلمت، ارجع إلى تعليقنا حول «أمهات المؤمنين» ص ٥٥٣.

للمخلفين من الأعراب المذكورين، اختباراً «ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد» قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم «تقاتلونهم» حال مقدرة، هي: المدعو إليها في المعنى، [أي: إلى قتالهم، ثم أستأنف بقوله: «أو» هم «يسلمون» فلا تقاتلونهم، [فليست «أو» بمعنى: «إلى» أو «إلا»، ولو كانت كذلك لنصب الفعل: «يسلمون» بحذف النون] «فإن تطيعوا» إلى قتالهم «يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً» مؤلماً، [فلما نزلت، قال أهل الزماعة والمجازون: كيف بنا يا رسول الله؟ فنزل قوله تعالى:]

سُورَةُ الْفَتْحِ ٤٨

لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٩﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

١٧ «ليس على الأعْمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج» [أي: لا إثم عليهم] في ترك الجهاد «ومن يطع الله ورسوله يدخله» بالياء والنون «جنت تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه» بالياء والنون «عذاباً أليماً».

١٨ «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك بالحديبية» تحت الشجرة (١) هي: [شجرة مرتفعة، صغيرة الورق قصيرة الشوك، تسمى «سَمُرَةً»، وهم: ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على: أن ينجزوا قريشاً، وأن لا يفروا، وعلى الموت (٢) «فعلم» الله «ما في قلوبهم» من الصدق والوفاء «فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» هو: فتح «خير»، بعد انصرافهم من الحديبية.

١٩ «ومغانم كثيرة يأخذونها» من خير «وكان الله عزيزاً حكيماً» أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٠ «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها» من الفتوحات «فعجل لكم هذه» غنime خير، [أو: صلح الحديبية] «وكف أيدي الناس عنكم» في عيالكم لما خرجتم، وهمت بهم اليهود، فقلد الله في قلوبهم الرعب، [هذا قول قتادة، واختاره الطبري] «ولتكون» أي: المعجزة، عطف على مقدر، أي: «لتشكروه [ولتكون]» [آية للمؤمنين] في نصرهم «ويهديكم صراطاً

(١) قوله تعالى: «تحت الشجرة»، سبب هذه البيعة أنه ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان إلى مكة ليخبرهم بعزم النبي ﷺ على «زيارة البيت» وأنه لا يريد

قتالاً، فجاهد خبر بأن أهل مكة قتلوه، فدعا ﷺ حيثل إلى المبايعة على الحرب والقتال، فبايعوه جميعاً تحت تلك الشجرة كما تقدم ٦٧٩.

(٢) قوله: «وعلى الموت»، هو هكذا في المخطوطة الثالثة، وهو الصواب، وجاء في بعض المطبوعات: «من الموت»، بدل: «وعلى الموت» وهو سهو، فالجلال المحلي يشر إلى الروايات الواردة عن الصحابة في موضوع المبايعة، فقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله ومقل بن يسار قالوا: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت، وروى البخاري عن عباد بن تميم، ومسلم عن سلمة بن الأكوع قالوا: بايعناه على الموت.

مستقيماً أي: طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه تعالى. ٢١ ﴿وَأُخْرَى﴾ صفة «مغانم» مقدراً، مبتدأ، [وقوله: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾] صفة المبتدأ، هي من فارس والروم، [وباقى الفتوحات] ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [خبر المبتدأ، أي: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾] علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٢٢ ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحديبية ﴿لَوْلُوا الْأَذْيَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾. ٢٣ ﴿سَنَةِ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي: سن الله ذلك سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

الْمِيزَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْغَنِيَّةُ

٢٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم، طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم، فأخذوا، وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ، فغفا عنهم وخلّى سبيلهم^(١)، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالياء والتاء، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٥ ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدْيِ﴾ معطوف على [الضمير: ﴿كَمْ﴾]، أي: وصدوا الهدى [مَعْكُوفًا] محبوساً، حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو: الحرم، بدل اشتمال [من «الهدى»، والمعنى: منعوا بلوغ الهدى محله] ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَالنِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة إيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من: «هم» ﴿فَتَضِيكُمُ مِنْهُمْ مَعْرَةً﴾ أي: إثم «بغير علم» منكم به، وضمائر الغيبة [في: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾] و «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» [، للصفين، بتغليب الذكور، وجواب «لَوْلَا» محذوف، أي: «لَأَذْنُ لَكُمْ فِي الْفَتْحِ»، لكن لم يؤذن فيه حيثل «ليدخل الله في رحمته من يشاء» كالمؤمنين

مُسْتَقِيمًا ٢١ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٢ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْيَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٢٣ سَنَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٢٤ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٢٥ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَالنِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُمُ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٦ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حيثل، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً. ٢٦ ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ «عذبنا» ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل [«جعل»] ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾

(١) قوله: «وخلّى سبيلهم»، أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً - من قریش - في السلاح من جبل التميم، يريدون غرة رسول الله ﷺ - أي: أخذة على حين غفلة ليقتلوه - فأنزلوا فاعتقهم، فأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع، وأخرج أحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مَعْقِل المزني، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: هذا هو المشهور في سبب نزولها.

الحمية ﴿الأنفة من الشيء﴾ حمية الجاهلية بدل من «الحمية» وهي: صدهم النبي وأصحابه، عن المسجد الحرام ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قافل، ولم يَلْحَقْهُمْ من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وألزمهم﴾ أي: المؤمنين ﴿كلمة التقوى﴾ «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وأضيفت إلى «التقوى»، لأنها سببها ﴿وكانوا أحق بها﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وأهلها﴾ عطف تفسيري ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه تعالى، أنهم أهلها.

٢٧ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم، عام الحديبية، قبل خروجه: أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر

بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه، وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا، وشق عليهم ذلك، وراب بعض المنافقين، نزلت، وقوله: «بالحق»، متعلق بـ «صدق»، أو: حال من «الرؤيا»، وما بعدها تفسير لها، وهي: «لندخلن المسجد الحرام» قطعاً، وقوله تعالى: ﴿إن شاء الله﴾ للتبرك «آمينين محلقين رؤوسكم» أي: جميع شعورها، «ومقصرين» بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان^(١) «لا تخافون» أبداً «فعلهم» في الصلح «ما لم تعلموا» من الصلاح «فجعل من دون ذلك» أي: الدخول «فتحاً قريباً» هو فتح «خير»، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

٢٨ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ أي: دين الحق «على الدين كله» على جميع باقي الأديان «وكفى بالله شهيداً» أنك مرسل بما ذكر، كما قال الله تعالى:

٢٩ ﴿محمد﴾ مبتداً «رسول الله» خبره «والذين معه» أصحابه من المؤمنين، مبتداً خبره «أشداء» غلاظ «على الكفار» لا يرحمونهم «رحماء بينهم» خبر ثان، أي: متعاطفون متوادون، كالوالد مع الولد «تراهم» تبصرهم «ركعاً سجداً» حالان «يبتغون» مستأنف، [أي: يطلبون] «فضلاً من الله ورضواناً سيماهم» علاماتهم، مبتداً «في وجوههم» خبره، وهو:

نور وبياض يعرفون به بالآخرة، أنهم سجدوا في الدنيا «من أثر السجود» متعلق بما تعلق به الخبر، أي: كائنة وأعرب حالاً من ضميره المتقل إلى الخبر، [وتقدير الكلام: سيماهم كائنة في وجوههم، حال كونها من أثر السجود] ذلك الوصف المذكور «مثلهم» صفتهم، مبتداً «في التوراة» خبره «ومثلهم في الإنجيل» خبره «كزرع أخرج شطأه» بسكون الطاء وفتحها، [أي: فراخه، أو «الشطأ»: فراخ النخل] «فأزره» بالمد والقصر، قواه وأعانه

(١) قوله: «وهما حالان مقدرتان»، أي: «محلقين ومقصرين»، وقوله: «مقدرتان» ليدفع به ما قد يقال: إن حال الدخول إحرام لا خلق فيه ولا =

الْحِمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

﴿فَاسْتَغْلَظْ﴾ غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾ قوي واستقام ﴿عَلَى سَوْقِهِ﴾ أصوله، جمع «ساق» ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ﴾ أي: زراعته لحُسنه، تَنَلَّ الصحابة رضي الله عنهم بذلك، لأنهم بدؤوا في قلة وضعف، فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَقِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: شُبِّهوا بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ الصحابة، و«من» لبيان الجنس، لا للتبعض، لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، وهما [أي: المغفرة والأجر العظيم]، لمن بعدهم أيضاً [من المؤمنين]، كما في آيات [أخرى].

﴿سُورَةُ الْحَجَرَاتِ﴾

(مدنية، ثمانى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من «قدّم» بمعنى: «تقدم»، أي: لا تتقدموا بقول أو فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه، أي: بغير إذنهما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس، أو القعقاع بن مغبد. ٢ ونزل فيمن^(١) رفع صوته عند النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم «فوق صوت النبي» إذا نطق «ولا تجهروا له بالقول» إذا ناجيتموه «كجهر بعضكم لبعض» بل دون ذلك، إجلالاً له [لـ] [أن] [لا] «تجسط أعمالكم وأنتم لا تشعرون» أي: خشية ذلك، بالرفع والجهر المذكورين. ٣ ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ بعد ذلك، كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

تقصير، فأشار إلى أن الحلق والتقصير يكونان في وقتها إثر انتهاء المناسك، والمعنى: أنكم ستكوتون آمين من أول دخولكم إلى نهاية مناسككم.

(١) قوله: «ونزل فيمن رفع صوته». يانه: أن الآيتين الأوليين من سورة «الحجرات» نزلتا في المجادلة التي جرت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ، فقد روى البخاري عن عبد الله بن أبي مليكة قال: «كاد الخوارج أن يهلكوا بني أبي بكر وعمر»، ورفعوا أصواتهم عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم - سنة تسع، وسألوه أن يؤمر عليهم أحداً - فأشار عمر بالأقرع بن حابس، وأشار أبو بكر بالقعقاع بن مغبد، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافاً، فارتفعت أصواتهما فأنزل الله هاتين الآيتين. اهـ - من حديثين في البخاري، ففي الآية الأولى: نهى عن تقدم النبي بقول أو فعل، - وهو هنا: اقتراح الشيخين تأمير فلان أو فلان - ، وفي الآية الثانية: نهى عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ. وعلى كل حال فإن الحكم عام، قال ابن كثير: فلا تجوز مخالفة الكتاب والسنة، وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حياً وفي قبره دائماً. اهـ.

الْحَجَرَاتِ

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ مَلِكِيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ

أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي: لتظهر منهم لهم مغفرة وأجر عظيم الجنة.

٤ ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة، والنبي ﷺ في منزله، فنادوه: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات» حُجرات نسائه ﷺ، جمع «حُجرة»، وهي: ما يُحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، كان كل واحد منهم، نادى خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أيها، مناداة الأعراب، بغلظة وجفاء «أكثرهم لا يعقلون» فيما فعلوه، مَحَلَّك الرفيع، وما يناسبه من التعظيم.

٥ «ولو أنهم صبروا» «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر، أي: «ثبت» «حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم» لمن تاب منهم.

سورة الحجرات ٤٩

اللَّهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٤ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٦ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ٧ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ٨ فَضَلَّاهُم مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٩ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

٦ ونزل في «الوليد بن عتبة»، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقًا [أي: عاملاً ليجبي الصدقة منهم]، فخافهم لثرة، [أي: عداوة]، كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة، وهموا بقتله، فهَمَّ النبي ﷺ بغزوهم، فجاءوا منكرين ما قاله عنهم: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ» خبر «فتبينوا» صدقه من كذبه، وفي قراءة: «فتبينوا»، من الثبات [أي: التثبت] «أن تصيبوا قوماً» مفعول له، خشية ذلك «بجهالة» حال من الفاعل، أي: جاهلين «فتصحوا» تصبروا «على ما فعلتم» من الخطأ بالقوم «نادمين» وأرسل ﷺ إليهم، بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي بذلك.

٧ «واعلموا أن فيكم رسول الله» فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال «لو يطيعكم في كثير من الأمر» الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فرتب على ذلك مقتضاه «لعتنتم» لأنتم دونهم، إثم التَّسَيَّب [المفضي] إلى المرتب، [أي: إثم الفعل الذي يترتب على قولكم بخلاف الواقع] «ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه حسنه» في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفُسُوق والعصيان «استدراك من حيث المعنى دون اللفظ، لأن من حُبَّ إليه الإيمان، إلخ، غايرت صفته من تقدم ذكره «أولئك هم» فيه التفات عن الخطاب «الراشدون» الثابتون على دينهم. ٨ «فضلنا من الله»

[اسم] مصدر منصوب بفعله المقدر، أي: «أفضل» «ونعمة» منه «والله عليم» بهم «حكيم» في إنعامه عليهم. ٩ «وإن طائفتان من المؤمنين» الآية، نزلت في قضية هي: أن النبي ﷺ ركب حماراً، ومَرَّ على [عبد الله] بن أبيي [السلولي]، فبال الحمار، فسد ابن أبيي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره، أطيب ريحاً من مسكك، فكان بين قوميها ضرب بالأبدي والنعال والسَّعَف، [وأصله في الصحيحين] «اقتتلوا» جُمِعَ نظراً إلى المعنى، لأن كل طائفة جماعة، وقرئ: [شدوذاً]: «اقتلتا» «فأصلحوا بينهما» ثني نظراً إلى اللفظ «فإن بغت» تعدت «إحدهما على

الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء ﴿إلى أمر الله﴾ الحق ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بالإنصاف ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا ﴿إن الله يحب المقسطين﴾. ١٠ ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ في الدين ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ إذا تنازعا، وقرئ [شدوذاً]: ﴿إخوتكم﴾ بالفوقانية ﴿واتقوا الله﴾ في الإصلاح ﴿لعلكم ترحمون﴾. ١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر﴾ الآية، [قال الضحاك بن مزاحم]: نزلت في وفد تميم، حين سخرُوا من فقراء المسلمين، كعمار وصهيب، [وقال مجاهد: هي سخرية الغني من الفقير، أي: عامة]، والسخرية: الإزدراء والاحتقار ﴿قوم﴾ أي: رجال منكم ﴿من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ عند الله ﴿ولا نساء﴾ منكم ﴿من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ لا تعييوا فتعابوا، أي: لا يعيب بعضكم بعضاً ﴿ولا تنازروا بالألقاب﴾ لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسق، يا كافر^(١) ﴿بئس الاسم﴾ المذكور، من السخر واللمز والتناز، [وقيل: هو التناز فقط] ﴿الفسوق بعد الإيمان﴾ بدل من «الاسم»، لإفادة أنه فسق، لتكرره عادة ﴿ومن لم يتب﴾ من ذلك ﴿فأولئك هم الظالمون﴾. ١٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ أي: مآثم [موقع في الإثم]، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿ولا تجسسوا﴾ حذف منه إحدى التاءين، لا: تتبعوا عورات المسلمين ومعاييبهم، بالبحث عنها ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه^(٢) ﴿أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ بالتخفيف والتشديد، أي: لا يحسن به [فعل ذلك] ﴿فكرهتموه﴾ أي: فاغتيابه في حياته، كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فأكروهوا الأول ﴿واتقوا الله﴾ أي: عقابه في الاغتيال، بأن تتوبوا منه ﴿إن الله تواب﴾ قابل توبة التائبين ﴿رحيم﴾ بهم. ١٣ ﴿يا أيها

الميزان النازح (التفسير)

الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا

(١) قوله: «يا كافر»، قال الحسن البصري وابن جبير رحمهما الله: كان الرجل يُعَيَّرُ بعد إسلامه بكفره فيقال له: يا يهودي، يا نصراني، فنزلت، وهذا ما أشار إليه المحلي بقوله: «يا فاسق يا كافر» أي: باعتبار ما كان، ومنه أيضاً

قول بعض الجهلة، لانتسان مسلم: فلان كافر، أو: أنت واحد كافر، وهم يقصدون أن عمله كعمل الكفار، من ظلم أو غش أو كذب، فهذا كله حرام، أما إذا كان المقصود أن ما عليه المسلم من الدين كفر، فيكون كفراً وأقاربه كفراً، لأنه وصف الإسلام بالكفر، قال رسول الله ﷺ «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه» رواه الشيخان، ومثله من قتل «مسلماً» لأجل أنه مسلم، فيكون قاتله كافراً.

(٢) قوله: «وإن كان فيه». روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أندرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» أي: افتريت عليه الكذب، وكما تحرم الغيبة فعلاً كذلك يحرم سماعها من غير إنكار، قال النووي رحمه الله في «رياض الصالحين» ما ملخصه: اعلم أن الغيبة تباح لغرض شرعي صحيح لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب: الأول: «التظلم»: فيجوز للمظلوم أن يقول لمن له =

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى آدم وحواء ﴿وجعلناكم شعوباً﴾ جمع «شعب» بفتح الشين، هو: أعلى طبقات النسب ﴿وقبائل﴾ هي دون الشعوب، وبعدها: العنائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: «خزيمة»: شعب، «كنانة»: قبيلة، «قريش»: عِمارة — بكسر العين — . «قُصَي»: بطن، «هاشم»: فخذ، «العباس»: فصيلة ﴿لتعارفوا﴾ حذف منه إحدى التاءين، ليعرف بعضهم بعضاً، لا لتفاخروا بعلو النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إن الله عليم بكم ﴿خبير﴾ ببواطنكم. ١٤ ﴿قالت الأعراب﴾ [هم] نفر من بني أسد، [أتوا النبي ﷺ في سنة مجدبة، فأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين، فأفسدوا طرق المدينة بالقدرات، وأغلوا الأسعار، وكانوا يمتنون على النبي ﷺ، بأنهم أسلموا ولم يقاتلوه كما فعل غيرهم، فنزلت فيهم هذه الآيات إلى آخر السورة] ﴿أمتاً﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قل﴾ لهم ﴿لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ انقذنا ظاهراً ﴿ولما﴾ أي: لم ﴿يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ بالإيمان وغيره ﴿لا يأتكم﴾ بالهزم [مع اللام مكسورة] وتركه، ويبادله ألفاً، لا ينقصكم ﴿من أعمالكم﴾ من ثوابها ﴿شيئاً﴾ إن الله غفورٌ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم. ١٥ ﴿إنما المؤمنون﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعد ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ ثم لم يرتابوا ﴿لم يشكوا في الإيمان وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ فجاهدكم يظهر صدقهم في إيمانهم ﴿أولئك هم الصادقون﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام [ظاهراً]. ١٦ ﴿قل﴾ لهم ﴿اتعلمون الله بدينكم؟﴾ مُضَعَّف «علم»، بمعنى: شعر، أي: اتشعرون بما أنتم عليه في قولكم آمنا؟ ﴿والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم﴾. ١٧ ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾ منصوب بترع الخافض [وهو]: [الباء]، ويقدر [باء أخرى] قبل «أن» في الموضعين: [أي: «أن أسلموا» و «أن هداكم»] ﴿بل الله يمتن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ في قولكم «آمنا». ١٨ ﴿إن الله يعلم

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ١٩

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أُنْعَمِ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

قدرة على إنصافه من ظالمه: ظلمي فلان بكذا... الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، وإن لم يكن يقصد إزالة المنكر فحرام. الثالث: الاستفتاء: فيجوز أن يقول للمفتي: ظلمي فلان بكذا فهل له ذلك؟ ولكن الأحوط أن يقول: ما تقول في رجل كان أمره كذا؟ الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها: بيان جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة. ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته أو غير ذلك، فيجب على المستشار أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساويء التي يعرفها فيه بنية النصيحة. الخامس: «أن يكون مجاهراً بنفسه أو بدعته» فيجوز ذكره بما يجاهر به. السادس: «التعريف» إذا كان الإنسان معروفاً بلقب — كالأعرج والأصم — جاز تعريفه بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التقبيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة. اهـ.

غيب السماوات والأرض ﴿أي: ما غاب فيهما﴾ والله بصير بما يعملون ﴿بالياء والتاء: لا يخفى عليه شيء منه.

﴿سُورَةُ قَاتٍ﴾

(مكية، إلا: «ولقد خلقنا السماوات والأرض» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ قَاتٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا أَحْسَنُ وَأَرْجَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكْ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ق﴾ الله أعلم بمراحه به ﴿والقرآن المجيد﴾
الكريم، [وجواب القسم محذوف تقديره: ما
آمن كفار مكة بمحمد ﷺ].

٢ ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ رسول [من
أنفسهم]، ينذرهم [و] يخوفهم بالنار بعد
البعث ﴿فقال الكافرون هذا﴾ الإنذار ﴿شيء﴾
عجيب.

٣ ﴿إذا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية،
وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]
﴿متنا وكنا تراباً﴾ نرجع؟ ﴿ذلك رجع بعيد﴾ في
نهاية البعد. ٤ ﴿قد علمنا ما تنقص﴾ تأكل
﴿الأرض منهم﴾ [أي: ما تأكل من أجسادهم في
البلى، نعلم ذلك، ولا يخفى علينا أين تفرقت
الأبدان، وأين ذهبت] ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾
هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

٥ ﴿بل كذبوا بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءهم فهم﴾
في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿في أمر مريج﴾
مضطرب [مختلط، حيث] قالوا مرة: ساحر
وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن
وكهانة. ٦ ﴿أفلم ينظروا﴾ بعيونهم، معتبرين
بعقولهم، حين أنكروا البعث ﴿إلى السماء﴾
كاثنة ﴿لوقتهم كيف بنيناها﴾ بلا عمد ﴿وزيناها﴾
بالكواكب ﴿وما لها من فروج﴾ شقوق تعييبها؟.

٧ ﴿والأرض﴾ معطوف على موضع ﴿إلى
السما﴾، كيف ﴿مددناها؟﴾ [أي: مهدناها

وجعلناها صالحة للحياة، وقيل: [دحوناها على وجه الماء^(١)] ﴿من تحت الكعبة﴾ ﴿والقينا فيها رواسي﴾ جيالاً تثبتها.

(١) قوله: [دحوناها على وجه الماء] روى هذا المعنى الطبراني والبيهقي في الشعب وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً، ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً أيضاً، وأخرجه ابن جرير الطبري عن السدي، ونسبه القرطبي إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يثبت ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ، أرجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ الآية (١٩٦) من آل عمران ص ٧٨.

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُم مَّا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ

﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾ يبهج به لحسنه. ٨ ﴿تبصرة﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وذكري﴾ تذكيراً ﴿لكل عبد منيب﴾ رجاء إلى طاعتنا ٩ ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركاً﴾ كثير البركة ﴿فأنبتنا به جنات﴾ بساتين ﴿وحب﴾ الزرع ﴿الحصيد﴾ المحصول. ١٠ ﴿والنخل باسقات﴾ طوالاً، حال مقدرة، [أي: مقدراً لها الطول بعد حين] ﴿لها طلع نضيد﴾ مترابك بعضه فوق بعض. ١١ ﴿رزقاً للعباد﴾ مفعول له ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كذلك﴾ مثل هذا الإحياء ﴿الخروج﴾ من القبور، فكيف تنكرون؟، والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر، [فكيف ينكرون البعث؟]. ١٢ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾

تأنث الفعل لمعنى «قوم»، [لأنه بمعنى «أمة»] ﴿وأصحاب الرس﴾ هي: بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونيهم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وثمود﴾ قوم صالح.

١٣ ﴿وعاد﴾ قوم «هود» ﴿وفرعون وإخوان لوط﴾ [أي: قومه].

١٤ ﴿وأصحاب الأيكة﴾ أي: الغيضة، قوم شعيب ﴿وقوم تبع﴾ (١) هو: ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه، [ولم يكن نبياً] ﴿كل﴾ من المذكورين ﴿كذب الرسل﴾ كقريش ﴿فحق وعيد﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق (٢) صدرك من كفر قريش بك.

١٥ ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ [فلم نعرف كيف نخلقه؟]، أي: لم نغي به، فلا نغي بالإعادة ﴿بل هم في لبس﴾ شك ﴿من خلق جديد﴾ وهو البعث.

١٦ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم﴾ حال بتقدير «نحن» ﴿ما﴾ مصدرية ﴿توسوس﴾ تحدث ﴿به﴾ الباء زائدة، أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نفسه ونحن أقرب إليه﴾ بالعلم ﴿من حبلى الوريد﴾ الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفحتي العنق. ١٧ ﴿إذ﴾ ناصبه ﴿أذكر﴾ مقدراً ﴿يتلقى﴾ يأخذ ويثبت ﴿المتلقيان﴾ الملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿عن اليمين

وعن الشمال﴾ منه ﴿قعيد﴾ قاعدان، وهو مبتدأ، خبره ما قبله، [أي: الجار والمجرور]. ١٨ ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثني، [أي: كل منهما يقال له: «رقيب عتيد»]. ١٩ ﴿وجاءت

(١) قوله تعالى: ﴿وقوم تبع﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «تبع» ص ٦٥٨، وإلى تعليقنا حول قومه «سبا» ص ٥٦٢.

(٢) قوله: «فلا يضيق»، هو هكذا برفع الفعل في المخطوطات والنسخ المطبوعة، ولعله سهو، لأن «لا» نافية، وحقه أن يكون: «فلا يضيق»، وقد جاء مثله في تفسير الآية (٤٨) من سورة «الطور» كما سيأتي ص ٧٠٠، والمعنى على اعتبار «لا» نافية بعيد، فتأمل.

سكرة الموت ﴿ غمرته وشدته ﴾ بالحق ﴿ من أمر الآخرة، حتى يراه المنكر لها عياناً، وهو: نفس الشدة ﴾ ذلك ﴿ أي: الموت ﴾ ما كنت منه تحيد ﴿ تهرب وتفزع. ٢٠ ﴾ ونفخ في الصور ﴿ للبعث ﴾ ذلك ﴿ أي: يوم النفخ ﴾ يوم الوعيد ﴿ للكفار بالعذاب. ٢١ ﴾ وجاءت ﴿ فيه ﴾ كل نفس ﴿ إلى المحشر ﴾ معها سائق ﴿ ملك يسوقها إليه ﴾ وشهيد ﴿ يشهد عليها بعملها، وهو: الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: ٢٢ ﴾ لقد كنت ﴿ في الدنيا ﴾ في غفلة من هذا ﴿ النازل بك اليوم ﴾ فكشفنا عنك غطاءك ﴿ أزلنا غفلتك، بما تشاهده اليوم ﴾ فبصرك اليوم حديد ﴿ حاد، تدرك به ما أنكرته في الدنيا. ٢٣ ﴾ وقال قرينه ﴿ ١ ﴾ الملك الموكل به ﴿ هذا ما ﴾ أي: الذي ﴿ لدي عتيد ﴾ حاضر. ٢٤ فيقال لملك [خازن النار]:

﴿ ألقيا في جهنم ﴾ أي: ألقى ألقى، [فالتثنية للتوكيد، قاله المبرد، وقال الخليل بن أحمد والأخفش: هذا كلام العرب الفصيح، أن تخاطب الواحد بلفظ الاثنين: أي - أحياناً - ومنه قول امرئ القيس: «قفا نبك...» أو: «القيين» ٢) [بنون التوكيد الخفيفة]، وبه قرأ الحسن [البصري، وهي قراءة شاذة]، فأبدلت النون ألفاً ﴿ كل كفار عتيد ﴾ معاند للحق. ٢٥ ﴿ مناع للخير ﴾ كالزكاة ﴿ معتد ﴾ ظالم ﴿ مريب ﴾ شاك في دينه. ٢٦ ﴿ الذي جعل مع الله إلهاً آخر ﴾ مبتدأ ضمَّن معنى الشرط، خبره ﴿ فالقياه ﴾ تفسيره مثل ما تقدم [في: «ألقيا في جهنم»] ﴿ في العذاب الشديد ﴾. ٢٧ قال قرينه ﴿ الشيطان ﴾ ربنا ما أطفيت ﴿ أضللت ﴾ ولكن كان في ضلال بعيد ﴿ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطفاني بدعائه لي. ٢٨ ﴾ قال تعالى ﴿ لا تختصموا لدي ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿ وقد قدمت إليكم ﴾ في الدنيا ﴿ بالوعيد ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. ٢٩ ﴿ ما يبدل ﴾ يغيّر ﴿ القول لدي ﴾ في ذلك ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و «ظلام» بمعنى: ذي ظلم، لقوله: «لا ظلم اليوم».

٣٠ ﴿ يوم ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿ نقول ﴾ بالنون والياء ﴿ لجهنم هل امتلأت؟ ﴾ استفهام تحقيق، لوعده بملئها ﴿ ونقول ﴾ بصورة الاستفهام

كالسؤال ﴿ هل من مزيد؟ ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به، أي: قد امتلأت، [أو: هو استفهام بمعنى الاستزادة، أي: هل من مزيد فازداد؟]. ٣١ ﴿ وأزلفت الجنة ﴾ قربت ﴿ للمتقين ﴾ مكاناً ﴿ غير بعيد ﴾ منهم فيرونها، ويقال لهم:

(١) قوله تعالى: ﴿ قال قرينه ﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «القرين» ص ٦٣٣.

(٢) قوله: «أو: القيّين»، وبه قرأ الحسن الخ، هذا سهو من الجلال المحلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهجمة مكسورة وبألف ممدودة بعد القاف وهزمة منصوبة منونة، أي: «إلقاء» مصدر «ألقى»، كما ضبطها في كتاب «إتحاف فضلاء البشر»، وهي قراءة شاذة كما ذكرنا.

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ
بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

٣٢ ﴿هذا﴾ المرئي ﴿ما توعدون﴾ بالتاء والياء، في الدنيا، ويبدل من «المتقين» قوله: ﴿لكل أواب﴾ رجاء إلى طاعة الله
﴿حفيظ﴾ حافظ لحدوده. ٣٣ ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ خافه ولم يره، [أو: في الخلوة حين لا يراه أحد] ﴿وجاء
بقلب منيب﴾ مقبل على طاعته. ٣٤ ويقال للمتقين أيضاً: ﴿ادخلوها بسلام﴾ سالمين من كل مخوف، أو: مع سلام،
أي: سلّموا وادخلوا ﴿ذلك﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يوم الخلود﴾ الدوام في الجنة. ٣٥ ﴿لهم ما يشاؤون فيها
ولدينا مزيد﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا. ٣٦ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أهلكنا قبل كفار قريش قرونًا، [أي:]
أما كثيرة من الكفار ﴿هم أشد منهم بطشاً﴾ قرة ﴿فنبؤا﴾ فنبؤوا ﴿في البلاد هل من محيص﴾ [أي: محيد ومهرب] لهم أو

لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا. ٣٧ ﴿إن في ذلك
ذلك﴾ المذكور ﴿لذكرى﴾ لعظة ﴿لمن كان له
قلب﴾ عقل [يتدبر به] ﴿أو ألقى السمع﴾ استمع
الوعظ ﴿وهو شهيد﴾ حاضر بالقلب. ٣٨ ﴿ولقد
خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾
[أي: في مقدارها، وقيل:] أولها الأحد وآخرها
الجمعة ﴿وما مسنا من لغوب﴾ تعب، نزل رداً على
اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت،
وانتفاء التعب عنه، بتزهره تعالى عن صفات
المخلوقين، ولعدم المماسّة بينه وبين غيره، إنما
أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ٣٩
﴿فاصبر﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿على ما
يقولون﴾ أي: اليهود وغيرهم، من التشبيه
والتكذيب ﴿وسبح بحمد ربك﴾ صلّ حامداً ﴿قبل
طلوع الشمس﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وقبل
الغروب﴾ أي: صلاتي الظهر والعصر. ٤٠ ﴿ومن
الليل فسبحه﴾ أي: صلّ العشاين ﴿وأدبر
السجود﴾ بفتح الهمزة جمع «دبر»، وكسرهما
مصدر «أدبر»، أي: صلّ النوافل المسنونة عقب
الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه
الأوقات، ملائماً للحمد.

٤١ ﴿واستمع﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يوم يناد
المناد﴾ هو إسرافيل ﴿من مكان قريب﴾
[يسمعه الخلق، وقيل: قريب] من السماء^(١)،
وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من
الأرض إلى السماء، يقول: أيتها العظام البالية

والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.
٤٢ ﴿يوم﴾ يدل من «يوم» قبله ﴿يسمعون﴾ أي: الخلق كله ﴿الصيحة بالحق﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من
إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذلك﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يوم الخروج﴾ من القبور،
وناصب «يوم» - الثانية - : «ينادي» مقدراً، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. ٤٣ ﴿إننا نحن نحْيِي ونُمِيتُ

(١) قوله: «من السماء إلخ»، هذا قول مروى عن كعب الأحبار وغيره، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالله أعلم.

وإلينا المصير. ٤٤ ﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ﴾ قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَّاعاً﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر، أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشْرُ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها، [أي: «علينا»]، للاختصاص، [أي: لإفادة اختصاص الله تعالى بالقدرة على الحشر]، وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو: الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب. ٤٥ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، [كقوله تعالى: «لست عليهم بمسيطر»]، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ﴾ وهم المؤمنون.

سُورَةُ الدَّازِيَّاتِ

﴿سُورَةُ الدَّازِيَّاتِ﴾

(مكية، ستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَالدَّازِيَّاتِ﴾ [هي:]: الرياح تذرروا التراب وغيره ﴿ذُرُّوا﴾ مصدر، ويقال: تذر به ذرأ، تَهَبُّ به. ٢ ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ [هي:]: الشُّحُبُ تحمل الماء ﴿وَقَرَّأَ﴾ ثَقُلًا، مفعول «الحاملات». ٣ ﴿فَالْجَارِيَّاتِ﴾ [هي:]: السفن تجري على وجه الماء ﴿يَسْرَأَ﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي: ميسرة. ٤ ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين العباد والبلاد، [وفق أمر الله تعالى]. ٥ ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ﴾ «ما» مصدرية، أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. ٦ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوْاقِعٌ﴾ لا محالة.

٧ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [أي:]: طرائق النجوم، جمع «حبيكة»، كـ «طريقة» و«طرق»، أي: صاحبة الطرق في الخلقة^(١)، كالطريق في الرمل.

٨ ﴿إِنكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قيل [في]

النبي ﷺ: «شاعر، ساحر، كاهن» و[قيل في القرآن]: «شعر، سحر، كهانة». ٩ ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف عنه ﴿عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْقُرْآنِ﴾ أي: عن الإيمان به ﴿مَنْ أُنْفَكُ﴾ حُزِرَ عن الهداية، في علم الله تعالى. ١٠ ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لَمَنَ الكذابين، أصحاب القول المختلف. ١١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ جهل يغمرهم

(١) قوله: «صاحبة الطرق في الخلقة»، أي: هكذا خلقها الله تعالى وفيها طُرُق للكواكب ومسارات، وأصل «الحَبْكُ»: الشد والإحكام، فالآية تشير إلى دقة خلق السماء مع ما فيها من مسارات النجوم التي لا تحصى، وهي دليل على قدرة الله تعالى وكمال صفاته جل وعز.

(٥١) سُورَةُ الدَّازِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالدَّارِيَّاتِ ذُرُّوا ١ فَاَلْحَمِلَاتِ وَقَرَّأَ ٢ فَالْجَارِيَّاتِ يَسْرَأَ ٣ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ٤ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ٧ إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ٩ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ

«سَاهُونَ» غافلون عن أمر الآخرة. ١٢ «يَسْأَلُونَ» النبي ﷺ استهزاء «أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ؟» أي: متى مجيئه؟ ١٣ وجوابهم يجيء: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أي: يعذبون فيها. ١٤ ويقال لهم حين التعذيب: «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» تعذيبكم «هَذَا» العذاب «الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» في الدنيا استهزاء. ١٥ «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ» و«عِيُونَ» تجري فيها. ١٦ «آخِذِينَ» حال من الضمير في خبر «إِنَّ» «مَا أَنَا هُمْ» أعطاهم «رَبُّهُمْ» من الثواب «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ» أي: دخولهم الجنة «مُحْسِنِينَ» في الدنيا. ١٧ «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» و«مَا» زائدة، و«يَهْجَعُونَ» خبر «كَانَ»، و«قَلِيلًا» ظرف، أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره.

١٨ «وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» يقولون: اللهم

اغفر لنا. ١٩ «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» الذي لا يسأل^(١) لتعففه.

٢٠ «وَفِي الْأَرْضِ» من الجبال والبحار

والأشجار والثمار والنبات وغيرها «آيَاتٌ»

دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى

و«وَحَدَانِيَةً» للموقنين. ٢١ «وَفِي أَنْفُسِكُمْ»

آيات أيضاً، من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما

في تركيب خلقكم من العجائب «أَفَلَا

تَبْصُرُونَ» ذلك، فتستدلون به على صانعه

وقدرته؟ ٢٢ «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» أي: المطر

المسبب عنه النبات، الذي هو رزق «وَمَا

تُوعَدُونَ» من الماء والثواب والعقاب، أي:

مكتوب ذلك في السماء. ٢٣ «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ» أي: ما توعدون «لَحَقَّ مِثْلُ

مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ» برفع «مثل» صفة، و«مَا»

زائدة، ويفتح اللام مركبة مع «مَا»، المعنى:

مثل نطقكم في حقيقته، أي: معلومته عندكم

ضرورة، [لا تشكون فيه، كما لو أن] صدوره

عنكم. ٢٤ «هَلْ أَتَاكَ» خطاب للنبي ﷺ،

[أي: قد أتاك بإخبارنا] «حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ

الْمَكْرَمِينَ؟» وهم ملائكة: اثنا عشر أو:

عشرة، أو: ثلاثة، منهم «جبريل». ٢٥ «إِذْ»

ظرف لـ «حَدِيثِ ضَيْفِ» «دَخَلُوا عَلَيْهِ»

فقالوا سلاماً» أي: هذا اللفظ «قَالَ سَلَامٌ»

أي: هذا اللفظ «قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» لا نعرفهم،

٢٦ «فَرَاغَ» مال «إِلَى أَهْلِهِ» سراً «فَجَاءَ بِعِجَلٍ

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ ٥١

سَاهُونَ ١ يسألون أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى

النَّارِ يُفْتَنُونَ ٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ

بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ٤ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥

آخِذِينَ مَاءً أَتَهُمُ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ

مُحْسِنِينَ ٦ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ٧

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ

وَالْمَحْرُومِ ٩ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ١٠

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ١١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

وَمَا تُوعَدُونَ ١٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ

مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ١٣ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ

إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ ١٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ١٥ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ

(١) قوله: «الَّذِي لَا يَسْأَلُ لَتَعْفُوهُ»، أي: لا يسأل الناس مالاً ولا يطلبه منهم، ولقد توسع بعض الناس في السؤال فاتخذوا من «التكفف» مهنة لهم يجنون بها الأموال من غير كد ولا عمل، والناس يعطونهم ويساعدونهم ظناً منهم أن هؤلاء المتكففين هم «السائلون» الذين يعنيه القرآن الكريم، بل ظن بعضهم أن الإسلام يشجع على «التكفف» مع ما فيه من مذلة وهوان، وبطالة وكسل وتواكل، وهذه كلها خصال لا يحبها الله تعالى في عبده، ولا يرضى عن عيده فيهِ، فكان لزاماً بيان حكم السؤال ومتى يجوز أو لا يجوز، فنقول: =

سمين ﴿فشواه﴾، وفي سورة «هود»: ﴿بعجل حنيد﴾، أي: مشوي. ٢٧ ﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾؟ عرض عليهم الأكل، فلم يجيبوا. ٢٨ ﴿فأوجس﴾ أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة قالوا لا تخف﴾ إنا رسل ربك ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ ذي علم كثير، وهو: ﴿إسحاق﴾، كما ذكر في «هود» ﴿في قوله: «وبشرونا بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب»﴾. ٢٩ ﴿فأقبلت امرأته «سارة» ﴿في صرة﴾ صبيحة، حال، أي: جاءت صائحة ﴿فصكت وجهها﴾ لطمته ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، [قاله: مجاهد]، أو: عمره مائة وعشرون سنة، وعمرها تسع وتسعون سنة، [وقيل: غير ذلك، والله أعلم]. ٣٠ ﴿قالوا كذلك﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قال ربك إنه هو الحكيم﴾ في صنعه

الْبَشِيرُ الْبَشِيرُ الْبَشِيرُ

سَمِينُ ﴿٣١﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴿٣٣﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٣٥﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ * قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٨﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٩﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٣﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٤﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٤٥﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ

﴿العليم﴾ بخلقه. ٣١ ﴿قال فما خطبكم﴾ شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾. ٣٢ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ كافرين، أي: قوم لوط. ٣٣ ﴿لترسل عليهم حجارة من طين﴾ يطبخ في النار [حتى يصلب، وهو «السجيل»، لترجمهم به]. ٣٤ ﴿مسومة﴾ معلمة، عليها اسم من يرمى بها ﴿عند ربك﴾ ظرف لها ﴿للمسرفين﴾ يأتينهم الذكور مع كفرهم. ٣٥ ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾ لإهلاك الكافرين. ٣٦ ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وهو لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام، أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات. ٣٧ ﴿وتركنا فيها﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آية﴾ علامة على إهلاكهم ﴿للدن يخالون العذاب الأليم﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم. ٣٨ ﴿وفي موسى﴾ معطوف على «فيها»، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون﴾ متلبساً ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة. ٣٩ ﴿فتولى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بركنه﴾ مع جنوده، لأنهم له كالركن ﴿وقال﴾ لموسى [أي: عنه]: هو ﴿ساحر أو مجنون﴾. ٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ البحر فغرقوا ﴿وهو﴾ أي: فرعون

إن «سؤال الناس» من غير ضرورة حرام، لما رواه مسلم عن قبيصة بن مخرق الهلالي رضي الله عنه قال:

تحتل حَمَالَةً - أي: تكفلت بمال لقاء صلح - فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أتم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها» ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة - أي: سؤال الناس - لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حَمَالَةً فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يُمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله - أي: أهلكته - فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة - أي: حاجة شديدة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا - أي: العقلاء - من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سداداً من عيش، فما سواه من المسألة يا قبيصة سُخْتاً يأكلها صاحبها سُخْتاً» أي: حراماً، فعندما أمر الله تعالى بإعطاء «السائل» أو «السائلين» فإنما يعني أصحاب الضرورة الملجئة إلى السؤال، أما «المتكفرون الناس» لجمع المال بدل العمل من غير ضرورة، فإن كسبهم سحت وحرام، ولا يجوز أن نعطيهم شيئاً إذا علمنا عدم حاجتهم، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان =

مُلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٥٢﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ ﴿٥٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ قَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٨﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٥٩﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٠﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٦٣﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٦٤﴾

﴿مليم﴾ آت بما يلام عليه، من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية. ٤١ ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿عاد﴾ آية ﴿إذ أرسلنا عليهم﴾ الريح العقيم ﴿هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي «الدَّبُورُ» [روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكْتُ عادٌ بالدَّبُور»، و «الصَّبَا» بفتح الصاد، هي: الريح التي تهبُّ من مطلع الشمس، و «الدَّبُور» بفتح الدال، هي: التي تهبُّ من مغربها]. ٤٢ ﴿ما تذر من شيء﴾ نفس أو مال ﴿أنت عليه إلا جعلته كالريم﴾ كالبالي المتفتت. ٤٣ ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿ثمود﴾ آية ﴿إذ قيل لهم﴾ بعد عقرهم الناقة ﴿تمتعوا حتى حين﴾ أي: إلى انقضاء أجالكم، كما في آية: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام». ٤٤ ﴿فعتوا﴾ تكبروا ﴿عن أمر ربهم﴾ أي: عن أمثاله

﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ بعد مضي الثلاثة [الـ] أيام، أي: الصيحة المهلكة ﴿وهم ينظرون﴾ أي: بالنهار. ٤٥ ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي: ما قدروا على النهوض، حين نزول العذاب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ على من أهلكهم. ٤٦ ﴿وقوم نوح﴾ بالجر، عطف على ﴿ثمود﴾، أي: وفي إهلاكهم بماء السماء والأرض آية، وبالنصب أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿من قبل﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين». ٤٧ ﴿والسما﴾ بنيناها بأيدٍ بقوة ﴿وإنا لموسعون﴾ قادرون، يقال: «آد» الرجل «بيد» قوي، و «أوسع» الرجل: صار ذا سعة وقوة. ٤٨ ﴿والأرض فرشناها﴾ مهدناها ﴿فنعم الماهدون﴾ نحن. ٤٩ ﴿ومن كل شيء﴾ متعلق بقوله: «خلقنا» ﴿خلقنا زوجين﴾ صنفين، كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لعلكم تذكرون﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، [أي: بتخفيف الدال، وفي قراءة بتشديدها]، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد، فتعبدونه. ٥٠ ﴿ففرُّوا إلى الله﴾ أي: إلى ثوابه، من عقابه، بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ بين الإنذار. ٥١ ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ يُقَدَّرُ قبل ﴿ففرُّوا﴾: «قل

لهم: ٥٢ ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا﴾ هو ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي: مثل تكذيبهم لك، بقولهم: إنك ساحر أو مجنون، تكذيباً للأمر قبلهم رسالهم، بقولهم ذلك. ٥٣ ﴿أتوَّاصوا﴾ كلهم ﴿به؟﴾ استفهام بمعنى النفي، [أي: لم يوص بعضهم بعضاً بذلك] ﴿بل هم قوم طاغون﴾ وقد جمعهم على هذا القول طغيانهم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مُرْغَةٌ - أي: قطعة - لحم». ولقد حثَّ النبي ﷺ المسلمين على أن يكونوا معطين لا آخذين، فقال ﷺ - وهو على المنبر وقد ذكر الصدقة والتعفف عن المسألة - : «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة» رواه الشيخان، بل طلب ﷺ من نفر من أصحابه أن يبايعوه، =

٥٤ ﴿قَتُولٌ﴾ أَعْرَضَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿لَأَنْتَ بَلَّغْتَهُمُ الرِّسَالَةَ﴾

٥٥ ﴿وَذَكَرٌ﴾ عَظَ بِالْقُرْآنِ ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [أي: مَنْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يُؤْمِنُ.

٥٦ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَلَا يَنَافِي ذَلِكَ عَدَمُ عِبَادَةِ الْكَافِرِينَ، لِأَنَّ الْغَايَةَ لَا يُلْزَمُ وَجُودَهَا، كَمَا فِي قَوْلِكَ: بَرِيتَ هَذَا الْقَلَمَ لِأَكْتُبَ بِهِ، فَإِنَّكَ قَدْ لَا تَكْتُبُ بِهِ، [وَقَالَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ: إِلَّا لِأَعْرِفُونِي، وَاسْتَحْسِنَهُ الْقُرْطُبِيُّ].

٥٧ ﴿مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ لِي، وَلَا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ وَلَا أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ.

٥٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ الشَّدِيدِ.

الْبَيِّنَاتُ وَالْآيَاتُ

فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ

يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴿٥٨﴾

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا

يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي

يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

٥٩ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ،

مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ ﴿ذُنُوبًا﴾ ^(١) نَصِيبًا

مِنْ الْعَذَابِ ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ﴾ نَصِيبِ

﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ الْهَالِكِينَ قَبْلَهُمْ ﴿فَلَا

يَسْتَعْجِلُونَ﴾ بِالْعَذَابِ، إِنْ أَخَّرْتَهُمْ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ.

٦٠ ﴿فَوَيْلٌ﴾ شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾

فِي «يَوْمِهِمُ الَّذِينَ يَوعَدُونَ» أَي: يَوْمِ

الْقِيَامَةِ.

سُورَةُ الطُّورِ

(مكية، وهي: تسع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَالطُّورِ﴾ أَي: الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

مُوسَى.

٢ ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾.

٣ ﴿فِي رَقٍ﴾ [الرَّق: هُوَ الْجِلْدُ الرَّقِيقُ الَّذِي

يَكْتُبُ فِيهِ] «مَنْشُورٌ» أَي: [مَبْسُوطٌ،

وَالْكِتَابُ هُوَ: التَّوْرَةُ أَوِ الْقُرْآنُ.

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا السَّعْدُ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾

فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ وَقَالُوا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَّامُ نَبَايَعُكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ، وَتُطْعِمُوا اللَّهَ وَأَمْسِكُوا كَلِمَةً وَخَفِيفَةً: لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَكَانَ بَعْضُ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ، يَسْقُطُ مَبْسُوطٌ أَحَدُهُمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يَنَالُهُ إِيَّاهُ. [رواه مسلم].

(١) قوله تعالى: «ذُنُوبًا» بفتح الدال، هو هنا: النسيب، كما قال الجلال المحلي، وأصل الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة — أي: الملاي ماء —، وكانوا يستقنون الماء فيقسمون ذلك على الأنبياء، فقليل للذنوب «نصيب» من هذا، ومعناه حديث الأعرابي الذي يال في المسجد فقام الناس ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سنجلأ من ماء، أو: ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» [رواه البخاري].

٤ ﴿وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ﴾ هو في السماء الثالثة، أو السادسة، أو السابعة^(١) بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة، لا يعودون إليه أبداً. ٥ ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ أي: السماء. ٦ ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ أي: المملوء، [هذا قول قتادة السدوسي، وقال مجاهد بن جبر: «المُوقَد»، أي: الذي سَيُسَجَّر يوم القيامة، لقوله تعالى: «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»] ٧ [وجواب القسم قوله: «إِنَّ عَذَابَ رِيكٍ لِّوَاقِعٌ» لنازل بمستحقه. ٨ ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ عَنْهُ. ٩ ﴿يَوْمَ﴾ معمول لـ «واقع»، «تمور السماء موراً» تتحرك وتدور. ١٠ ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ تصير هباءً منثوراً، وذلك في يوم القيامة.

١١ ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب «يومئذ للمكذبين» [الذين كذبوا] الرسل. ١٢ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ باطل «يلعبون» أي: يتشاغلون بكفرهم. ١٣ ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ يُدْفَعُونَ يعنف، بدل من «يوم تمور»، ويقال لهم تبيكياً [وتوبيخاً]: ١٤ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾. ١٥ ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الرحي: هذا سحر؟ أم أنتم لا تبصرون؟ [لا، بل أنتم ترون النار وتذوقون عذابها]. ١٦ ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا﴾ عليها «أو لا تصبروا» صبركم وجزعكم «سواء عليكم» لأن صبركم لا ينفعكم «إنما تجزون ما كنتم تعملون» أي: جزاءه. ١٧ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾. ١٨ ﴿فَكَهِينٌ﴾ متلذذين «بما» مصدرية «آثامهم» أعطاهم «ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم» عطف على «آثامهم»، أي: بإتيانهم ووقايتهم.

١٩ ويقال لهم: «كلوا واشربوا هنيئاً» حال، أي: مهئين «بما» الباء سببية «كنتم تعملون» [في الدنيا من العمل الصالح]. ٢٠ ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ حال من الضمير المستكن، [أي: الملحوظ] في قوله تعالى: «فِي جَنَّاتٍ»، [تفديره: إن المتقين منعمون متكبين] «على سرر مصفوفة» بعضها

إلى جنب بعض «وزوجناهم» عطف على «جنت»، أي: قرناهم «بحور عين» عظام الأعين حسانها.

٢١ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ «وأتبعناهم» [وفي قراءة: «وأتبعنهم»] معطوف على «آمنوا»

وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ٤ وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ ٥ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ ٦ إِنَّ عَذَابَ رِيكٍ لِّوَاقِعٌ ٧ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ١٤ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ فَكَهِينٍ بِمَاءٍ انْتَهُم رِبُّهُمْ وَوَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ٢٠ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ٢١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

(١) قوله: «أو السابعة بحيال الكعبة» إلى قوله: «لا يعودون إليه أبداً» إلخ، هذا ما رواه الشيخان في حديث «الإسراء»، أرجع إلى نص الحديث

أسفل ص ٣٦٤ وما يليها.

﴿ذرياتهم﴾ [وفي قراءة: ﴿ذريتهم﴾]، الصغار والكبار ﴿بإيمان﴾ من الكبار و﴿بإيمان﴾ من الآباء في الصغار^(١)، والخبر: ﴿الحقنا بهم ذرياتهم﴾ [وفي قراءة: ﴿ذريتهم﴾] المذكورين، في الجنة، فيكونون في درجاتهم، وإن لم يعملوا بعملهم، تكملة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وما ألتناهم﴾ بفتح اللام [من باب «ضرب»]، وكسرهما، [من باب «علم»]، نقصناهم ﴿من عملهم﴾ [أي: من عمل الآباء] ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ يزداد في عمل الأولاد ﴿كل امرئ بما كسب﴾ من عمل خير أو شر ﴿رهين﴾ مرهون، يؤخذ بالشر، ويجازى بالخير. ٢٢ ﴿وأمددناهم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه. ٢٣ ﴿يتنازعون﴾ يتعاطون بينهم ﴿فيها﴾ أي: الجنة

الزَّالِمَاتُ وَالزَّالِمُونَ

ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَنَزَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾
إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَاكَ أَمَّا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلُكُمْ بِهَذَا أَمْ هُم قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

﴿كأساً﴾ خمراً ﴿لا لغو فيها﴾ بسبب شربها يقع بينهم ﴿ولا تأنيم﴾ [أي: لا إثم] به، [أي: بشربه] يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا. ٢٤ ﴿ويطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿غلمان﴾ أرقاء [أي: كالعبيد، مسخرون لخدمتهم، إذ لا رق في الآخرة] ﴿لهم كأنهم﴾ حسناً ولطافة ﴿لؤلؤ﴾ مكنون ﴿مصون في الصدف﴾ لأنه فيها أحسن منه في غيرها. ٢٥ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضاً، عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه، تليذاً واعترافاً بالنعمة. ٢٦ ﴿قالوا﴾ إيماء إلى علة الوصول ﴿إنا كنا قبل في أهلنا﴾ في الدنيا ﴿مشفقين﴾ خائفين من عذاب الله. ٢٧ ﴿فمنن الله علينا﴾ بالمغفرة ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أي: النار، لدخولها في المسام. ٢٨ وقالوا إيماء أيضاً: ﴿إنا كنا من قبل﴾ أي: في الدنيا ﴿ندعوه﴾ أي: نعبده موحدين ﴿إنه﴾ بالكسر استئنافاً، وإن كان تعليلاً معني، وبالفتح تعليلاً لفظاً ﴿هو البر﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿الرحيم﴾ العظيم الرحمة. ٢٩ ﴿فذكر﴾ ذم على تكدير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ أي: بإنعامه عليك ﴿بكاهن﴾ خبر «ما»، [والباء حرف جر زائد] ﴿ولا مجنون﴾ معطوف عليه. ٣٠ ﴿أم﴾ [هنا وفي المواضع التالية بمعنى: بل، وبمعنى همزة الإنكار] ﴿يقولون﴾ هو ﴿شاعر نترصد به ريب المنون﴾

حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء. ٣١ ﴿قل تريبصوا﴾ هلاكي ﴿فإني معكم من المترصدين﴾ هلاككم، فعذبوا بالسيف يوم بدر، و«الترصد»: الانتظار. ٣٢ ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا؟﴾ أي: قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون، أي: لا تأمرهم بذلك [لو كانوا يعقلون حقاً] ﴿أم﴾ بل ﴿هم قوم طاغون﴾ [ضالون] بعنادهم. ٣٣ ﴿أم يقولون

(١) قوله: «من الآباء في الصغار» أي: إن الصغار يتبعون خير الأبوين ديناً، فولد المسلم يكون مسلماً تبعاً لوالده، وإذا ارتد الوالد بقي الولد مسلماً تبعاً لأمه المسلمة، أما الولد الكبير أي: البالغ المكلف، فلا يصبح مسلماً بإسلام أحد أبويه الكافرين، بل لا بد من أن يؤمن هو ليصبح في عداد المؤمنين.

تَقُولُهُ ۖ لَمْ يَخْلَقْهُ ۖ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ۖ إِنْ
كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ۖ أَمْ هُمْ
أَخْلَقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ بَلْ
لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ۖ أَمْ هُمْ
الْمُصْطَفُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ
الْبُنُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤١﴾
أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا
فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ
سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٥﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٦﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

تقوله ﴿ اختلق القرآن ٢٠ لم يخلقه ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ استكباراً ٣٤ فإن قالوا: اختلقه ﴿ فليأتوا بحديث ﴾ مختلق ﴿ مثله
إن كانوا صادقين ﴾ في قولهم ٣٥ ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ [أي: من غير] خالق ﴿ أم هم الخالقون ﴾ أنفسهم؟
ولا يُعْقَلُ مخلوق بغير خالق، ولا معدوم يُخلَقُ، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوحّدونه، ويؤمنون
برسوله وكتابه؟ ٣٦ ﴿ أم خلقوا السماوات والأرض ﴾ ولا يقدِرُ على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿ بل
لا يوقنون ﴾ به، وإلا لآمنوا بنبيه ٣٧ ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسّوا من شأوا بما
شأوا ﴿ أم هم المستطرون ﴾ المستلطون الجبارون؟، وفعله ﴿ سيطر ﴾، ومثله: ﴿ ييطر ﴾ و ﴿ ييقر ﴾ (١) ٣٨ ﴿ أم لهم سلم ﴾
مرفق إلى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ أي: عليه،

كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي
بزعمهم — إن ادعوا ذلك — ﴿ فليأت مستمعهم ﴾
أي: مدعي الاستماع عليه ﴿ بسُلطان مبین ﴾
بحجة بينة واضحة ٣٩ ولشبه هذا الزعم،
بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى: ﴿ أم له
البنات ﴾ بزعمكم ﴿ ولكم البنون ﴾ تعالى الله عما
زعمتموه.

٤٠ ﴿ أم تسألهم أجراً ﴾ على ما جنتهم به من
الدين ﴿ فهم من مغرم ﴾ غُرم ذلك ﴿ مثقلون ﴾ فلا
يسلمون.

٤١ ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أي: علمه ﴿ فهم
يكتبون ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ،
في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

٤٢ ﴿ أم يريدون كيداً ﴾ بك، ليهلكوك في دار
النَّدوة ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ المغلوبون
المهلكون؟ فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيد.

٤٣ ﴿ أم لهم إله غير الله ﴾ سبحانه الله عما
يشركون ﴿ به من الآلهة، والاستفهام بـ ﴿ أم ﴾ في
مواضعها [الخمس عشرة المتقدمة]، للتقبيح
والتوبيخ.

٤٤ ﴿ وإن يروا كسفاً ﴾ (٢) بعضاً ﴿ من السماء
ساقطاً ﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿ فأسقط علينا
كسفاً من السماء ﴾، أي: تعذيباً لهم
﴿ يقولوا ﴾ هذا ﴿ سحب مركوم ﴾ متراكم ﴿ فيه
مطر ﴾ نرتوي به، ولا يؤمنون.

٤٥ ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ يموتون ٤٦ ﴿ يوم لا يغني ﴾ بدل من: ﴿ يومهم ﴾ عنهم

(١) قوله: ﴿ ومثله ييطر وييقر ﴾ — أي: في الوزن مُفَعِّلٌ بكسر العين، ولم يأت على هذا الوزن سوى خمسة ألفاظ هي: ﴿ محجير ﴾ اسم جبل،
و ﴿ مسيطر ﴾ من ﴿ سيطر ﴾، و ﴿ مهيمن ﴾ من ﴿ هيمن ﴾، و ﴿ مبيطر ﴾ من ﴿ ييطر ﴾ ومنه البيطار، و ﴿ مبيقر ﴾ من ﴿ ييقر ﴾، أي: فسد وهلك ومشى مشية
المتكبر، أما ﴿ البائر ﴾ فمعناه: المتبحر المتوسع في العلم من ﴿ التبكر ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿ وإن يروا كسفاً ﴾ يسكون السين، باتفاق القراء — هنا — أرجع إلى تعليقنا حول معنى ﴿ كسفاً ﴾ والقراءات فيها ص ٤٩١.

كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون ﴿٤٧﴾ وإن للذين ظلموا بکفرهم عذاباً دون ذلك ﴿٤٨﴾ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿٤٩﴾ وأنك ونحفظک ﴿٥٠﴾ وسبح ﴿٥١﴾ متلبساً ﴿٥٢﴾ بحمد ربك ﴿٥٣﴾ أي: قل سبحان الله وبحمده ﴿٥٤﴾ حين تقوم ﴿٥٥﴾ من منامک أو مجلسک. ﴿٥٦﴾ ومن الليل فسیحه ﴿٥٧﴾ حقيقة أيضاً ﴿٥٨﴾ وإدبار النجوم ﴿٥٩﴾ مصدر، أي: عقب غروبها سبحة أيضاً، أو: صل في الأول والعشاءین، وفي الثاني: [سنة] الفجر، وقيل: [فريضة] الصبح [واختاره الطبري].

الْمِائَةُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

سُورَةُ النَّجْمِ

(مكية، اثنتان وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والنجم﴾ الثريا ﴿إذا هوى﴾ غاب، [وقال الحسن البصري: المراد بالنجم، النجوم إذا سقطت يوم القيامة، أي: كقوله تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾]. ٢ ﴿ما ضل صاحبکم﴾ محمد عليه الصلاة والسلام، عن طريق الهداية ﴿وما غوى﴾ ما لايس الغي، وهو: جهل من اعتقاد فاسد. ٣ ﴿وما ينطق﴾ بما يأتيكم به ﴿عن الهوى﴾ هوى نفسه. ٤ ﴿إن﴾ ما ﴿هو إلا وحي يوحى﴾ إليه. ٥ ﴿علمه﴾ إياه ملك ﴿شديد القوى﴾. ٦ ﴿ذو مرة﴾ قوة وشدة، أو: منظر حسن. أي: جبريل عليه السلام ﴿فأستوى﴾ استقر. ٧ ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أفق الشمس، أي: عند مطلعها، على صورته التي خلقت عليها، فرآه النبي ﷺ - وكان بحراء - قد سَدَّ الأفق إلى المغرب، فخرَّ مغشياً عليه، وكان قد سأله أن يريه نفسه، على صورته التي خلقت عليها، فواعده بحراء، فنزل جبريل عليه السلام له، [على صورته التي هي صورته مرتين، وكان يأتيه] في صورة آدميين، [روى ذلك مسلم عن عائشة]. ٨ ﴿ثم دنا﴾ قرب منه ﴿فتلوى﴾، زاد في القرب. ٩ ﴿فكان﴾ منه ﴿قاب﴾ قدر.

كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٥٠﴾

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثِنْتَانِ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

(١) قوله: ﴿فرآه النبي ﷺ﴾ البخاري، روى الشيخان وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاءت بحراء، فلما قضيت جوارى مبطت، فتوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رعباً، فرجعت فقلت: «دثروني دثروني»، وإلى هذه الرواية يشير قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾، وروى الشيخان والترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام في صورته مرتين»، أما سؤاله ﷺ جبريل بأن يريه نفسه على صورته التي خلقت عليها الذي أشار إليه المحلي هنا، فقد أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قوسين أو أدنى﴾ من ذلك، حتى أفاق وسكن روعه. ١٠ ﴿فأوحى﴾ تعالى ﴿إلى عبده﴾ جبريل ﴿ما أوحى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى، تفخيماً لشأنه. ١١ ﴿ما كذب﴾ بالتخفيف والتشديد، أنكر ﴿الفؤاد﴾ فؤاد النبي ﴿ما رأى﴾ ببصره، من صورة جبريل. ١٢ ﴿أفتمارونه﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿على ما يرى﴾ خطاب للمشركين، المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل، [عندما أخبرهم بالوحي]. ١٣ ﴿ولقد رآه﴾ [أي: رأى جبريل] على صورته ﴿نزلة﴾ مرة ﴿أخرى﴾. ١٤ ﴿عند سدرة المنتهى﴾ لما أسري به في السماوات، وهي: شجرة تنبئ عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. ١٥ ﴿عندها جنة المأوى﴾ تأوي إليها الملائكة، أو: أرواح الشهداء، [قاله: ابن عباس]، أو: المتقون.

١٦ ﴿إذ﴾ حين ﴿يفشى السدرة ما يفضى﴾ من طير وغيره، و ﴿إذ﴾ معمولة لـ ﴿رآه﴾.

١٧ ﴿ما زاغ البصر﴾ من النبي ﷺ ﴿وما طغى﴾ أي: ما مال بصره عن مرتبه المقصود له، ولا جاوزه تلك الليلة.

١٨ ﴿لقد رأى﴾ فيها ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ أي: العظام، أي: بعضها، فرأى من عجائب الملكوت، ﴿رفرفاً﴾ [أي: بساطاً] أخضر، [قد] سد أفق السماء، و ﴿[رأى] جبريل له ستمائة جناح﴾ [رواهما البخاري].

١٩ ﴿أفرايتم اللات والعزى﴾.

٢٠ ﴿ومناة الثالثة﴾ للثنتين قبلها ﴿الأخرى﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول ﴿أفرايتم﴾ الأول: «اللات» وما عطف عليه، و [المفعول] الثاني: محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهمه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدوها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟

٢١ ولما زعموا أيضاً، أن الملائكة بنات الله، مع كراهتهم البنات نزل: ﴿الكم الذكر وله الأنثى؟﴾.

٢٢ ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ جاثرة، من «ضاز» يضيزه، إذا ظلمه وجار عليه.

٢٣ ﴿إن هي﴾ أي: ما المذكورات ﴿إلا أسماء

سميتنوها﴾ أي: سميت بها ﴿أنتم وأباؤكم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي: بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون﴾ في عبادتها ﴿إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ على لسان النبي ﷺ، بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه.

٢٤ ﴿أم للإنسان﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿ما تمنى﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك.

٢٥ ﴿فلا للآخرة والأولى﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى.

٢٦ ﴿وكم من ملك﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿ففي السماوات﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لا تغني

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿١٠﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ۖ مَا أَوْحَىٰ ﴿١١﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١٢﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٣﴾
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٥﴾
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٦﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَ مَا يَغْشَى ﴿١٧﴾
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٨﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَىٰ ﴿١٩﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٢٠﴾ وَمَنَاةَ
الْبَالِغَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢١﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢٢﴾ تِلْكَ
إِذَا قُسِمَةُ ضِيزَىٰ ﴿٢٣﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا
أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ
رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٤﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَىٰ ﴿٢٦﴾ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي

شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لهم فيها ﴿لمن يشاء﴾ من عباده ﴿ويرضى﴾ عنه، كقوله: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى»، ومعلوم أنها لا توجد منهم، إلا بعد الإذن فيها^(١)، «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه».

٢٧ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

٢٨ ﴿وما لهم به﴾ بهذا المقول ﴿من علم إن﴾ ما ﴿يتبعون﴾ فيه ﴿إلا الظن﴾ الذي تخيلوه ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

٢٩ ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ أي: القرآن ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

الْمَلَكُ الْمَلَكُ الْمَلَكُ

شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيَرْضَى ٢٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ

الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا ٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ

إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

أَهْتَدَى ٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

بِالْحُسْنَى ٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ

إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

٣٠ ﴿ذلك﴾ أي: طلب الدنيا ﴿مبلغهم من

العلم﴾ أي: نهاية علمهم، أن أثروا الدنيا على

الآخرة ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله

وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي: عالم بهما،

فيجازيها.

٣١ ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي:

هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، «يضل

من يشاء، ويهدي من يشاء» ﴿ليجزى الذين

أسأوا بما عملوا﴾ من الشرك وغيره ﴿ويجزى

الذين أحسنوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات

﴿بالحسنى﴾ أي: الجنة.

٣٢ ﴿بين المحسنين بقوله﴾: ﴿الذين يجتنبون

كبائر الإثم والفواحش إلا اللَّعْمَ﴾^(٢) هو: صغار

الذنوب، كالنظرة والقبلة واللمسة، فهو استثناء

منقطع، والمعنى: لكن اللَّعْمَ، يُغْفَرُ باجتناب

الكبائر ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ بذلك،

ويقول التوبة ونزل فيمن كان يقول: «صَلَاتُنَا،

صِيَامُنَا، حَجُّنَا، [أي: إعجاباً بعملهم]:

﴿هو أعلم﴾ عالم ﴿بكم﴾ إذ أنشأكم من

الأرض﴾ أي: خلق أياكم آدم من التراب ﴿وإذ

أنتم أجنة﴾ جمع «جنين» ﴿في بطون أمهاتكم

(١) قوله: «إلا بعد الإذن فيها»، أرجع إلى تعليقنا حول

«الشفاعة» ص ٦١٢.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّعْمَ﴾، أرجع إلى تعليقنا حول «الكبائر والصغائر» ص ٦٤٢، وإلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢، وعلى كل حال فإن

الصغائر أيضاً، داخلة في المحرمات، ولا يجوز للمسلم أن يستصغر عواقب الصغائر كما هي حال الذين يفعلونها. وهم لا يبالون، وإذا قيل

لأحدهم: كيف تنظر إلى النساء الأجنبية؟ - مثلاً - أجاب: متهاوناً، هذا من الصغائر، ولا يختلج له عرق، فهؤلاء مغترون برحمة الله، أسأوا

فهم معنى «الصغائر» فاستهونوا المحرمات واستسهلوه، والعياذ بالله تعالى، وهو أمر جدير بالخطر والخوف من عواقبه، فقد عقد الحافظ المنذري باباً

خاصاً في كتابه «الترغيب والترهيب» سماه: «الترهيب من ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب والإصرار على شيء منها» ذكر فيه عدداً من

الأحاديث منها قوله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعد، وجاء ذا بعد حتى

حملوا - أي: جمعوا - ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلك»، رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

فلا تزكوا أنفسكم ﴿ لا تمدحوها، أي: على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿ هو أعلم ﴾ أي: عالم ﴿ بمن اتقى ﴾ . ٣٣ ﴿ أفرأيت الذي تولى ﴾ عن الإيمان؟ [أي: ارتد لما عُيِّرَ به، وقال: إني خشيت عقاب الله، وضمن له المُعَيِّرُ، أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع . ٣٤ ﴿ وأعطى قليلاً ﴾ من المال المسمى ﴿ وأكدي ﴾ منع الباقي، مأخوذ من «الكدية» وهي: أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر، [فينقطع العمل بسببها] . ٣٥ ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ يعلم [الغيب، و]، من جملة: أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة، ؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة، أو غيره، وجملة: «أعنده»، [هي] المفعول الثاني لـ «رأيت»،

بمعنى: «أخبرني» . ٣٦ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ لم يبنأ بما في صحف موسى ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها .

٣٧ ﴿ و ﴾ صحف ﴿ إبراهيم الذي وفى ﴾ تم ما أمر به؟، نحو: «وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن» . ٣٨ بيان «ما»: ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ الخ، و «أن» مخففة من الثقل، أي: أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها . ٣٩ ﴿ وأن ﴾ أي: أنه ﴿ ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء .

٤٠ ﴿ وأن سعيه سوف يرى ﴾ أي: يبصر في الآخرة . ٤١ ﴿ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه ويسعيه . ٤٢ ﴿ وأن ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ [شذوذًا] بالكسر استئنافًا - وكذا ما بعدها -، فلا يكون مضمون [هذه] الجمل في

الصحف على الثاني، [أي: على كسر «إن» استئنافًا] ﴿ إلى ربك المنتهى ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم . ٤٣ ﴿ وأنه هو أضحك ﴾ من شاء، أفرحه ﴿ وأبكى ﴾ من شاء، أحزنه . ٤٤ ﴿ وأنه هو أمات ﴾ في الدنيا ﴿ وأحيا ﴾ للبعث . ٤٥ ﴿ وأنه خلق الزوجين ﴾ الصنفين ﴿ الذكر والأنثى ﴾ .

٤٦ [خلقهما] ﴿ من نطفة ﴾ مني ﴿ إذا نمتي ﴾ نصب في الرحم . ٤٧ ﴿ وأن عليه النشأة ﴾ بالمد والقصر، [أي: بألف بعد الشين وبدونها] ﴿ الأخرى ﴾ الخلقة

الأخرى للبعث، بعد الخلقة الأولى . ٤٨ ﴿ وأنه هو أغنى ﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿ وأقنى ﴾ أعطى المتخذ قنية . ٤٩ ﴿ وأنه هو رب الشعري ﴾ هو: كركب خلقت الجوزاء، كانت تُعْبَدُ في الجاهلية . ٥٠ ﴿ وأنه أهلك عادًا الأولى ﴾ وفي قراءة: يادغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي: «قوم عاد»، و [عاد] الأخرى: «قوم صالح» . ٥١ ﴿ وثمودًا ﴾ بالصرف، اسم للأب، وبلا صرف للقبيلة، وهو معطوف على «عادًا» ﴿ فما أبقي ﴾ منهم أحدًا . ٥٢ ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي: قبل عاد وثمود، أهلكناهم ﴿ إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴾ من عاد وثمود،

لطول لبث نوح فيهم، «فلتب فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا»، وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه .

فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۖ أَفَرَأَيْتَ
الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَاعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۖ أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ ۖ أُخْرَى ۖ
وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ
يُرَى ۖ ثُمَّ يُجْزَاهُ أَجْرَآءَ ۖ الْأَوْفَى ۖ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ
الْمُنْتَهَى ۖ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۖ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ۖ ۚ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۖ
مِنْ نُّطْفَةٍ ۖ إِذَا تُمْنَى ۖ وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشَأُ ۖ الْأُخْرَى ۖ
وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ۖ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ۖ
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۖ وَثَمُودًا ۖ فَمَا أَبْقَى ۖ
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ۖ

٥٣ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أهوى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض، بأمره جبريل بذلك. ٥٤ ﴿فَفُشَاهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَى﴾ أبهم [العذاب] تهويلاً، وفي هود: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ﴾. ٥٥ ﴿فَبَآئِيَ آلَآءِ رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَى﴾ تتشكك، أيها الإنسان أو تكذب؟ ٥٦ ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ من جنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. ٥٧ ﴿أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ﴾ قرئت القيامة. ٥٨ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ﴾ كاشفة أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو، كقوله: ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْقَتُهَا إِلَّا هُوَ﴾. ٥٩ ﴿أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعْجِبُونَ﴾ تكديماً.

٦٠ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده. ٦١ ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم. ٦٢ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ (١) الذي خلقكم ﴿وَاعْبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

﴿سُورَةُ الْقَمَرِ﴾

(مكية، إلا: «سيهزم الجمع» الآية. وهي: خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قربت القيامة ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلقين، على [جَبَلِي]: أبي قبيس وقُتَيْبَان، آية له ﷺ، وقد سُئِلَهَا، [أي: سأله أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر]، فقال: «اشهدوا»، رواه الشيخان (٢).

٢ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ كفار قريش ﴿آيَةً﴾ أي: معجزة له ﷺ، كانشقاق القمر ﴿يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ قوي، من «المِرَّة»، أي: القوة، أو: [من الاستمرار، أي: دائم] ٣ ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل.

الْمُؤْتَفِكَةُ وَالنَّذِيرِ

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ٥٣ فَعَشَاهَا مَا غَشَى ٥٤ فَبَآئِيَ آلَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ٥٦ أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨ أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ٦٢

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمْسُونَ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ١ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ٢ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ٣ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ٤

(١) قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾، هذه أول سجدة نزلت، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»، ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، بل إن هذا الحديث دليل على بطلانها لأنه خلا عن إشارة إليها. أرجع إلى تعليقنا حول سجود الثلاثة ص ٢٢٦ وإلى تعليقنا حول «قصة الغرائق» ص ٤٤١.

(٢) قوله: «رواه الشيخان»، أي: رويًا حادثة انشقاق القمر، هذه، ولم يشير إلى نزول هذه الآيات بسبب ذلك، أما التصريح بسبب النزول فقد أخرجه الترمذي - وقال: حسن صحيح - عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: «فانشق القمر بمكة مرتين» فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ إلى «سحر مستمر»، وأخرجه البيهقي والحاكم وغيرهما.

وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۚ
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ۖ خُشْعًا
أَبْصَرُهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ۚ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۖ
مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۚ
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَأَزْدِجِرَ ۚ فَدَعَاهُ رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ۚ فَفَتَحْنَا
أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ۚ وَبَجَرْنَا الْأَرْضَ
عُبُونًا فَأَلْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ۚ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى
ذَاتِ الْوُجْهِ ۚ وَدُسِّرَ ۚ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءٌ لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ۚ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ ۚ
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ

﴿وكل أمر﴾ من الخير والشر ﴿مستقر﴾ بأهله في الجنة أو النار. ٤ ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أخبار هلاك الأمم
المكذبة رسلهم ﴿ما فيه مزدجر﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والبدال بدل من تاء الافتعال، و [يقال: ازدجرته
وزجرته، إذا] نهيته بغلظة، و «ما» موصولة، أو: موصوفة. ٥ ﴿حكمة﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو:
من «مزدجر» بالغة تامة ﴿فما تغن﴾ تنفع فيهم ﴿النذر﴾ جمع «نذير»، بمعنى: «منذر»، أي: الأمور المنذرة لهم،
و «ما» للنفي، أو: للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم. ٦ ﴿فتول عنهم﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به
الكلام ﴿يوم يدع الداع﴾ هو: «إسرافيل»، وناصب «يوم» [قوله: «يخرجون»] [الآتي] بغد ﴿إلى شيء نكر﴾ بضم
الكاف وسكونها، أي: منكر، تنكرة النفوس
لشدته، وهو الحساب. ٧ ﴿خاشعاً﴾ أي: ذليلاً،
وفي قراءة: «خُشْعاً»، بضم الخاء وفتح الشين
مشددة ﴿أبصارهم﴾ حال من الفاعل
﴿يخرجون﴾ أي: الناس ﴿من الأجداث﴾ القبور
﴿كانهم جراد منتشر﴾ لا يدرون أين يذهبون، من
الخوف والخيرة، والجملة حال من فاعل
﴿يخرجون»، وكذا قوله: ٨ ﴿مهطعين﴾ أي:
مسرعين ماديين أعناقهم ﴿إلى الداع﴾ يقول
الكافرون ﴿منهم﴾ هذا يوم عسر ﴿أي: صعب
على الكافرين، كما في «المذثر»: يوم عسير على
الكافرين. ٩ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ قبل قريش ﴿قوم
نوح﴾ تأنيث الفعل لمعنى «قوم»، [وهو: «الامة»]
﴿فكذبوا عبدنا﴾ نوحاً ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾
أي: انتهره بالسب وغيره. ١٠ ﴿فدعاه ربه أني﴾
بالفتح، أي: بأنني ﴿مغلوب فانتصر﴾ [أي: انتقم
لي منهم يا رب]. ١١ ﴿ففتحنا﴾ بالتخفيف
والتشديد ﴿أبواب السماء بماء منهمر﴾ منصبت
انصباباً شديداً.

١٢ ﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ تنبع ﴿فالتقى
الماء﴾ ماء السماء والأرض ﴿على أمر﴾ حال
﴿قد قدر﴾ قضي به في الأزل، وهو هلاكهم
غرقاً.

١٣ ﴿وحملناه﴾ أي: نوحاً ﴿على﴾ سفينة
﴿ذات ألواح ودسر﴾ وهي: ما تشد به الألواح،
من المسامير وغيرها، واحدها «دسار»

ك «كتاب». ١٤ ﴿تجري بأعيننا﴾ بمرأى منا، أي: محفوظة ﴿جزاء﴾ منصوب بفعل مقدر، أي: أغرقوا انتصاراً
﴿لمن كان كفر﴾ وهو نوح عليه السلام، وقوي [شدوذاً] «كفراً» بالبناء للفاعل مأي: أغرقوا عقاباً لهم ١٥ ﴿ولقد
تركناها﴾ أبقينا هذه القلعة ﴿آية﴾ لمن يعتبر بها، أي: شاع خبرها واستمر ﴿فهل من مدكر﴾ معتبر ومثبط بها؟ وأصله:
«مذكر»، أبدلت التاء دالاً مهملة، وكذا المعجمة وأدغمت فيها.

١٦ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي: إنذاري؟، استفهام تقرير، و «كيف» خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال،
والمعنى: حمل المخاطبين، على الإقرار بوقوع عذابه تعالى، بالمكذبين لنوح موقعة. ١٧ ﴿ولقد يسرنا القرآن

لِلذِّكْرِ سَهْلَانَهُ لِلحِفْظِ، أَوْ: هَيَّأَنَاهُ لِلتَّذْكِيرِ ﴿فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحْفَظُ مِنْ كُتِبَ اللَّهُ عَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ غَيْرَهُ. ١٨ ﴿كَذَبْتَ عَادَ﴾ نبيهم هوداً، فَعُدُّوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي﴾ أي: إنذارِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ، أي: وَقَعَ مَوْقِعُهُ، وَبَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: ١٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم [عليهم، لا على المؤمنين]، أَوْ: قُوَّةٌ، وَكَانَ يَوْمُ الْارْبَعَاءِ آخِرَ الشَّهْرِ، [قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ] ٢٠ ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ تَقْلَعُهُمْ مِنْ حُفْرِ الْأَرْضِ الْمُنْدُسِينَ فِيهَا، وَتَصْرَعُهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَتَدُقُّ رِقَابَهُمْ، فَتُبَيِّنُ [وَتَفْصِلُ] الرَّأْسَ عَنِ الْجَسَدِ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وَحَالَهُمْ مَا ذَكَرَ ﴿أَعْجَازُ﴾ أَصُولُ ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ مُنْقَطِعِ سَاقٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَشَبَّهُوا بِالنَّخْلِ لَطُولِهِمْ، وَذُكِّرَ هُنَا، وَأَنْتَ فِي «الْحَاقَّةِ»: «نَخْلٌ خَاوِيَةٌ»، مِرَاعَاةً لِلْفَوَاصِلِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ. ٢١ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي﴾. ٢٢ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ﴾ ٢٣ ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ﴾ بِالنَّذْرِ جَمْعُ «نَذِيرٍ»، بِمَعْنَى: «مُنْذِرٍ»، أَيْ: بِالْأُمُورِ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا نَبِيَّهُمْ «صَالِحٌ»، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ. ٢٤ ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا﴾ مُنْصَوِّبٌ عَلَى «الِاسْتِغْثَالِ» «مَنَا وَاحِدًا» صِفَتَانِ لـ «بَشْرًا» «تَتَّبِعُهُ؟» مُفَسِّرٌ لِلْفِعْلِ النَّاصِبِ لَهُ، وَالِاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى النِّفْيِ، الْمَعْنَى: كَيْفَ تَتَّبِعُهُ، وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، وَهُوَ وَاحِدٌ مَنَا، وَلَيْسَ بِمَلِكٍ؟، أَيْ: لَا تَتَّبِعُهُ «إِنَّا إِذَا» أَيْ: إِنْ اتَّبَعْنَاهُ «لَفِي ضَلَالٍ» ذَهَابٌ عَنِ الصِّرَاطِ «وَسُعْرٍ» جَنُونٍ، [يُقَالُ: نَاقَةٌ مُسْعُورَةٌ، إِذَا هَاجَتْ، وَكَلْبٌ مُسْعُورٌ].

٢٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ بِتَحْقِيقِ الهمزتين، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ، وَتَرْكِهِ «الذِّكْرَ» الْوَحْيَ «عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا» أَيْ: لَمْ يَرْجُحْ إِلَيْهِ «بَلْ هُوَ كَذَابٌ» فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ «أَشْرٌ» مُتَكَبِّرٌ بِطَرَفٍ. ٢٦ قَالَ تَعَالَى: «سَيَعْلَمُونَ غَدًا» أَيْ: فِي الْآخِرَةِ «مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشْرُّ» وَهُوَ: هُمْ، بَأَن يُعَذِّبُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ.

٢٧ ﴿إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ﴾ مَخْرَجُوهَا مِنَ الْهَضْبَةِ الصَّخْرَةِ، كَمَا سَأَلُوا «فِتْنَةً» مَحَنَةً «لَهُمْ» لِنَحْتَبِرَهُمْ «فَارْتَقِبْهُمْ» يَا صَالِحُ، أَيْ: انْتَظِرْ مَا هُمْ صَانِعُونَ، وَمَا تَصْنَعُ بِهِمْ «وَاصْطَبِرْ» الطَّاءُ بَدَلُ مِنْ تَاءِ الْإِفْتَعَالِ، أَيْ: اصْطَبِرْ عَلَى أَظْلَمِ ٢٨ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ ٢٩ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ «فُدَارًا»، لِيقْتُلَهَا «فَتَعَاطَى» تَنَاولَ السِّيفِ «فَعَقَّرَ» بِهِ النَّاقَةَ، أَيْ: قَتَلَهَا مُوَافَقَةً لَهُمْ. ٣٠ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي﴾ أَيْ: إِنْذَارِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ، أَيْ: وَقَعَ مَوْقِعُهُ، وَبَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: ٣١ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

الْإِسْرَافُ وَالنِّبْيَةُ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ١٧ ﴿كَذَبْتَ عَادَ﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ١٨ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ١٩ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ٢٢ كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالنَّذْرِ ٢٣ فَقَالُوا أَبَشْرًا مَنَا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ٢٤ أَلُفْتِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ ٢٦ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ٢٨ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَّرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ٣٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

المحتظر هو: الذي يجعل لغنه حظيرة، من يابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو: «الهمشيم». ٣٢ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟ ٣٣ كذبت قوم لوط بالنذر أي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. ٣٤ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي: صغار الحجارة، الواحد [منها]، دون ملء الكف، فهلكوا [إلا آل لوط] وهم ابتناه معه «نجيناهم بسحر» من الأسحار، أي: وقت الصبح، من يوم غير معين، [ولذلك صرف]، ولو أريد [به «سحر»] من يوم معين، لمنع الصرف، لأنه معرفة معدول عن [لفظ] «السحر»، لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بـ «آل»، [لأن الأصل في التعريف أن يكون بـ «آل»]، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولاً [ثم جعل عالي قراهم سافلها، أو: العكس؟] قولان، وغير عن الاستثناء على الأول، [أي: على القول بأن الحاصب كان أولاً]، بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع - وإن كان من الجنس - تستحاً، ٣٥ «نعمة» أي: إنعاماً «من عندنا كذلك» أي: مثل ذلك الجزاء «نجزي من شكر» أنعمنا وهو مؤمن، أو: من آمن بالله ورسله وأطاعهم. ٣٦ ولقد أنذرهم خوفهم لوط «بطشتنا» أخذنا إياهم بالعذاب «فتماروا» تجادلوا وكذبوا «بالنذر» بإنذاره. ٣٧ ولقد راودوه عن ضيفه أي: أن يخلي بينهم وبين القوم، الذين أتوه في صورة الأضياف، ليختبئوا بهم، وكانوا ملائكة «فطمسنا أعينهم» أعميناها، وجعلناها بلا شق كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه «فذوقوا» فقلنا لهم: ذوقوا «عذابي ونذر» أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرته وفائدته.

٣٨ ولقد صبحهم بكرة وقت الصبح من يوم غير معين «عذاب مستقر» دائم متصل بعذاب الآخرة. ٣٩ «فذوقوا عذابي ونذر». ٤٠ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟ ٤١ ولقد جاء آل فرعون قومهم معه «النذر» الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. ٤٢ بل «كذبوا بآياتنا كلها» أي: التسع التي أوتىها موسى «فأخذناهم» بالعذاب «أخذ عزيز قوي «مقتدر» قادر، لا يعجزه شيء. ٤٣ «أكفاركم» يا قريش «خير من أولائكم» المذكورين، من قوم نوح إلى فرعون، فلم يعذبوا؟ «أم لكم» يا كفار قريش «براءة» من العذاب «في الزبر» الكتب؟، والاستفهام في الموضوعين بمعنى النفي، أي: ليس الأمر كذلك. ٤٤ «أم يقولون» أي: كفار قريش «نحن جميع» أي: جمع «منتصر» على محمد؟ ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر نزل: ٤٥ «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فهزموا ببدر، ونصر رسول الله ﷺ عليهم. ٤٦ «بل الساعة موعدهم» بالعذاب

سورة القنقريه

الْمُحْتَظَرِ ٣١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٣٢ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ٣٣ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ٣٤ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ٣٦ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ ٣٧ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ٣٨ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ ٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٤٠ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ٤٢ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ ٤٤ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ

﴿والساعة﴾ أي: عذابها ﴿أدهى﴾ أعظم بلية ﴿وأمر﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧ ﴿إن المجرمين في ضلال﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وسعر﴾ نار ﴿مُسْقَرَة﴾ - بالتشديد - أي: مهيجة، في الآخرة. ٤٨ ﴿يوم يسحبون في النار﴾ على وجوههم ﴿أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ إصابة جهنم لكم. ٤٩ ﴿إنا كل شيء﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خلقناه بقدر﴾ بتقدير، حال من «كل»، أي: مقدراً، وقرئ «شدوذا»: «كل» بالرفع مبتداً، خبره: «خلقناه». ٥٠ ﴿وما أمرنا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إلا﴾ امرأة ﴿واحدة كلمح بالبصر﴾ في السرعة، وهي: [قول] «كن» فيوجد، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ٥١ ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر،

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالسَّاعَةُ أَدهى وَأمرٌ ٤٧ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٨ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٩ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٥٠ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ٥١ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ٥٢ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٣ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ٥٤ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٥ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ٥٦

(٥٥) سُورَةُ الْاِنْشِرَاقِ
وَايَاتُهَا ثَمَانٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣

٧٠٨

من الأمم الماضية ﴿فهل من مدكر؟﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي: اذكروا واتعظوا. ٥٢ ﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿في الزبر﴾ كتب الحفظة. ٥٣ ﴿وكل صغير وكبير من الذنب، أو العمل﴾ مستطر ﴿مكتوب في اللوح المحفوظ. ٥٤﴾ ﴿إن المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿ونهر﴾ أريد به الجنس، وقرئ «شدوذا»: بضم النون والهاء، جمعاً، كـ «أسد» و «أسد»، والمعنى: أنهم يشربون من أنهار الماء واللبن والعسل والخمر. ٥٥ ﴿فني مقعد صدق﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم، وأريد به الجنس، وقرئ «شدوذا»: «مقاعد»، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات، سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا، خبراً ثانياً [لـ «إن»]، وبدلاً، وهو صادق يبدل البعض ﴿عند ملك﴾ مثلاً مبالغة، أي: عزيز الملك واسعه، سبحانه وتعالى ﴿مقتدر﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله سبحانه وتعالى، و [قوله: «عند»] إشارة إلى الرتبة، من فضله تعالى.

﴿سُورَةُ الْاِنْشِرَاقِ﴾

[جل جلاله]

(مكية^(١))، إلا: يسأله من في السماوات والأرض الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الرحمن﴾ [تعالى]: ٢ ﴿علم﴾ من شاء ﴿القرآن﴾ [وسهله لأن يذكروا ويحفظوا]: كقوله: «ولقد يسرنا القرآن للذكر» [٣]. ﴿خلق الإنسان﴾ أي: الجنس، [آدم وذريته].

(١) قوله: «مكية، إلا: يسأله.. الآية» هو قول ابن عباس، وقال الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما: هي مكية كلها، وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها، قال القرطبي: والقول الأول أصح.

٤ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. ٥ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. ٦ ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات والشجر ﴿مَا لَهُ سَاقٌ﴾ يسجدان ﴿يَخْضَعَانِ لَهَا يَرَادُ مِنْهُمَا﴾ ٧ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. ٨ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. ٩ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَخْسَرُوا الْمِيزَانَ﴾ [أي: لا] تنقصوا الموزون. ١٠ ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، الجن والإنس وغيرهم. ١١ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [جمع «كَم» بكسر الكاف، أي: أوعية طلعتها. ١٢ ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التبن ﴿وَالرِّيحَانُ﴾ الورق، أو: [هو] المشموم.

١٣ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ نَعَمْ ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الجن والإنس ﴿تُكْذِبَانِ؟﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير، لِمَا رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ «الرَّحْمَنِ» حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ سَكُوتًا، لِلْجَنِّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ مَرَّةٍ: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ»، إِلَّا قَالُوا: لَا بَشِيءَ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ»، [ورواه البزار عن ابن عمر مرفوعاً]: ١٤ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس، يُسَمَّعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ، أي: صوت إذا نُقِرَ ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو: ما طُبِخَ مِنْ طِينٍ. ١٥ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن^(١)، [قيل: هو إبليس] ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ هو لهاها الخالص، [الخالي] من الدخان. ١٦ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ١٧ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾^(٢) مشرق الشتاء، ومشرق الصيف ﴿رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذلك. ١٨ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ؟﴾ ١٩ ﴿مَرْجٍ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين.

٢٠ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لَا يَفْغِيَانِ﴾ لا يغيي واحد منهما على الآخر، فيختلط به.

٢١ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ؟﴾

٢٢ ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل

﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعها الصادق بأحدهما، [وهو: المِلْح] ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ.

سُورَةُ الْفَجْرِ ٥٥

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ١ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٢
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٣ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
الْمِيزَانَ ٤ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٥ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٦ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ٧ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ٨
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ٩ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكْذِبَانِ ١٠ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١١
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكْذِبَانِ ١٣ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ١٤ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٥
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٦ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ ١٧
يَلْتَقِيَانِ ١٨ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ١٩ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢٠ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ٢١

(١) قوله: «أبا الجن»، ذهب المؤلفان الجلالان السيوطي والمحلي إلى أن «إبليس» هو أبو الجن، كما أن «آدم» أبو الإنس، والصحيح أن إبليس واحد من الجن وليس أباهم، بل هو أبو الشياطين، أرجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٨٨، وإلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠.

(٢) قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» جاء اسم «الشرق» و «الغرب» في هذه الآية بالثنية، وجاء بالجمع في قوله تعالى في سورة «المعارج»: «فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»، وجاء مفرداً في سورة «المزمل»: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ». قال أفراد يعني: =

وردة ﴿أي: مثلها مُحَمَّرَةٌ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول؟
 ٣٨ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ ٣٩ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر^(١)،
 فوربك لنسألنهم أجمعين، و «الجان» هنا وفيما سيأتي^(٢) بمعنى: «الجنى» و «الإنس» فيهما بمعنى: «الإنسي»
 ٤٠ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

٤١ ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَاهُمْ﴾ أي: سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾.
 ٤٢ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم:
 ٤٣ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ [أي: التي كذبتُم بها].

٤٤ ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿أَنْ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص كـ «قاض».

٤٥ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

٤٦ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: قيامه بين يديه

لالحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّاتٍ﴾ ٤٧ ﴿فَبَإِي

آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ ٤٨ ﴿ذَوَاتَا﴾ تشبة

«ذوات» على الأصل^(٣)، ولأما «ياء» ﴿أَفْنَانٍ﴾

أغصان، جمع «فَن» كـ «طَلَل».

٤٩ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

٥٠ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾

٥١ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

٥٢ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل

ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان، رطب ويابس،

والمر منهما في الدنيا - كالحنظل - حلو [في الجنة].

٥٣ ﴿فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

٥٤ ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ حال عامله محذوف، أي:

يتنعمون [متكبرين] ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا

مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن،

والظواهر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾

ثمرهما ﴿دَانٍ﴾ قريب، يناله القائم

والقاعد والمضطجع. ٥٥ ﴿فَبَإِي آلَاءِ

سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٥٥

وَرَدَّةٌ كَالَّذِي هَانَ ﴿٣٨﴾ فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبَإِي

آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ

فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبَإِي

آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبَإِي آلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبَإِي آلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾

فَبَإِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ

بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبَإِي آلَاءِ

(١) قوله: «ويسألون في وقت آخر» هو إشارة إلى أنه لا تعارض بين قوله تعالى هنا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ وقوله: ﴿وقفوههم إنهم مسؤولون﴾، فالقيامه مواطن لطول ذلك اليوم، فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض، وهذا قول عكرمة مولى ابن عباس.

(٢) قوله: «وفيما سيأتي»، أي: في قوله تعالى: ﴿لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان﴾ في الآيتين (٥٦، ٥٧).

(٣) قوله «على الأصل» أي: على ما قبل حذف الواو، وبعد حذفها تصبح «ذات» فتثنى على «ذاتان»، وقوله: «ولأما ياء» أي: «ذوي» على وزن «فعل»، أرجع إلى تعليقنا حول إعلالات هذه الكلمة عند قوله تعالى في سورة «سبا»: ﴿ذَوَاتِي أَكَلْ خَمَطٍ﴾ ص ٥٦٥.

ربكما تكذبان؟ ﴿٥٦﴾ فيهن في الجنتين، وما اشتملتا عليه، من العلالى والقصور ﴿قاصرات الطرف﴾ العَيْن، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لم يطمئنهن﴾ يفتضهن، وهن من الحور [على المشهور]، أو: من نساء الدنيا، [الشيئات والعجائز] المنشآت، [المشار إليهن بقوله تعالى: «إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً غريباً أتراباً»، أي: يجعلهن بعد الثبوبة أبكاراً، متحبيات إلى أزواجهن، وأتراباً على ميلاد واحد، وهذا قول الحسن البصري] إنس قبلهم ولا جان. ﴿٥٧﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٥٨﴾ كأنهن الباقوت ﴿صفاء﴾ والمرجان ﴿أي: اللؤلؤ بياضاً.﴾ ﴿٥٩﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٦٠﴾ هل ﴿ما﴾ جزاء الإحسان ﴿بالطاعة﴾ إلا الإحسان؟ ﴿بالنعيم.﴾ ﴿٦١﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٦٢﴾ ومن دونهما ﴿أي: الجنتين [الأولين] المذكورتين﴾ جنتان ﴿[أخريان] أيضاً، لمن خاف مقام ربه، [روى البخاري في صحيحه في «باب»: قوله تعالى «ومن دونهما جنتان»، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما»﴾. ﴿٦٣﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٦٤﴾ مدهامتان ﴿سوداوان من شدة خضرتهما.﴾ ﴿٦٥﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٦٦﴾ فيهما عيان نضاختان ﴿فوارتان بالماء، لا تنقطعان.﴾ ﴿٦٧﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٦٨﴾ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴿هما منها، [أي: النخل والرمان من الفاكهة]، وقيل: غيرها.﴾ ﴿٦٩﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٧٠﴾ فيهن ﴿أي: الجنتين وقصورهما﴾ ﴿١﴾ خيرات ﴿[يسكون الياء جمع: «خيرة» ك «وزدة»، أو: جمع «خيرة» بتشديد الياء فحقت ياءه، وهي: المرأة الصالحة، الحسنة الخلق، الحسنة الوجه، قال الجمهور، أي: خير النساء] أخلاقاً﴾ حسان ﴿أي: أحسنهن وجوهاً﴾. ﴿٧١﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٧٢﴾ هن ﴿حور﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مقصورات﴾ مستورات ﴿في الخيام﴾ من درمجوف، [وهي خيام] مضافة إلى القصور، شبيهة بالخدور.

الْجَنَّتَيْنِ وَالْقُصُورِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصْرَاتُ الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾
كَأَنَّهُنَّ الْبَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مَدَاهِمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴿٦٦﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ
وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ
خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾

﴿٧٣﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴿٧٤﴾ لم يطمئن ﴿أي: يمسسهن﴾ إنس قبلهم قبل أزواجهن ﴿ولا جان﴾.

(١) قوله: «أي: الجنتين وقصورهما»، إن تفسير الجلال المحلي هذا غير واضح، لأنه لو كان المعنى كما قال لجاء النص بلفظ: «فيهما» كما في الآيات الأخرى، بل الواضح أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فيهن﴾ يعود إلى الجنات الأربع المنبئات في حديث البخاري الذي ذكرناه في تفسير الآية (٦٢). وذلك أن الله تعالى وصف في الآيات (٤٦ حتى ٦١) الجنتين الأوليين لمن خافه واتقاه، ثم وصف في الآيات (٦٢ حتى ٦٩) الجنتين الأخريين، ثم وصف في الآيات (٧٠ حتى ٧٧) الجنات الأربع جميعاً، وذلك على سبيل التفصيل أولاً ثم الإجمال.

٧٥ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ ٧٦ ﴿مَتَكِّثِينَ﴾ أي: أزواجهن، وإعراجه [حال]، كما تقدم [في الآية (٥٤)، أي: يتنعمون متكثين] ﴿على رفرف خضر﴾ جمع «ررفة»، أي: بسط، أو: وسائد ﴿وعبقري حسان﴾ جمع «عبرية»، أي: طنافس، [و «عبري» منسوب إلى «عبر»، قرية في اليمن، ينسج فيها بسط منقوشة]. ٧٧ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ ٧٨ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [للمؤمنين، بأنعمه تعالى عليهم، كما تقدم^(١)، ولفظ «اسم» زائد.

﴿سُورَةُ الْوَاقِعَةِ﴾

(مكية، إلّا: «أفبهذا الحديث» الآية، و «ثلاثة من الأولين» الآية وهي ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.
- ٢ ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تكذب، بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.
- ٣ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.
- ٤ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً.
- ٥ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ فُتَّتْ.
- ٦ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَدَّرًا﴾ غباراً ﴿مُنْبَثًّا﴾ منتشرًا، و «إذا» الثانية بدل من الأولى.
- ٧ ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ في القيامة ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً.
- ٨ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتُونَ، [أي: يُعْطُونَ] كتبهم بآيمانهم، مبتدأ خبره ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

٩ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار.

١٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، [والسابقون إلى الإيمان من كل أمة]، مبتدأ

(١) قوله: «تقدم»، أي: تقدم معنى هذه الآية في تفسير الآية (٢٧) من هذه السورة ص ٧١٠، أما «تبارك الله» فمعناه: ثبت ودام إنعامه.

﴿سُورَةُ الْوَاقِعَةِ﴾

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِّثِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تَهَيَّأْتُ وَتَنَبَّأْتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ
رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَدَّرًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا
ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ

«السابقون» تأكيد لتعظيم شأنهم. ١١ والخبر: «أولئك المقربون». ١٢ «في جنات النعيم». ١٣ «ثلة من الأولين» مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية. ١٤ «وقليل من الآخرين» من أمة محمد ﷺ، وهم: «السابقون» من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبر: ١٥ «على سرر موضونة» منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. ١٦ «متكئين عليها متقابلين» حالان من الضمير [الملحوظ] في الخبر، [أي: في قوله: «على سرر»، تقديره: «جالسون على سرر... إلخ»]. ١٧ «يطوف عليهم» للخدمة «ولدان مخلصون» على شكل الأولاد، لا يهرمون. ١٨ «بأكواب» أقداح لا عرى لها «وأباريق» لها عرى وخراطيم «وكأس» إناء يشرب به الخمر «من معين» أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

الْبَيْتُ الثَّانِي

السَّابِقُونَ ١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ١٢ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٤
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ١٥ مُتَكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ١٦
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ
وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ١٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ١٩
وَفَلَكِهَةٌ تَمَّامًا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحْمٌ طَيْرٍ تَمَّامًا يَشْتَهُونَ ٢١
وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَلِ الثَّوَلِ الْمَكْنُونِ ٢٣
بِجَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ٢٦ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ
مَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ٢٧ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ٢٨ وَطَلْحٍ
مَنْضُودٍ ٢٩ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ٣٠ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ٣١
وَفَلَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٣٣ وَفُرُشٍ

١٩ «لا يصعدون عنها ولا ينزفون» بفتح الزاي وكسرهما، من «نَزَفَ الشارب»، «وَأَنْزَفَ» أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. ٢٠ «ولحم طير مما يشتبهون». ٢١ «و» لهم للاستمتاع [أي: عندهم] «حور» نساء شديقات سواد العيون وبياضها «عين» ضخام العيون، كُسرت عينه بدل ضمها، لمجانسة الباء، [لأن أصلها «عَيْنٌ»، بضم العين وسكون الباء]، ومفرده «عيناء» كحمراء، وفي قراءة: بجر «حور عين»، [عطفاً على ب «أكواب»، أي: يتمتعون بأكواب وفاكهة وحور عين]. ٢٢ «كأَمْثَلِ الثَّوَلِ الْمَكْنُونِ» المصون [في البياض]. ٢٣ «جزاء» مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر، أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزيناهم «بما كانوا يعملون». ٢٤ «لا يسمعون فيها» في الجنة «لغوا» فاحشاً من الكلام «ولا تأثيماً» من يؤثم. ٢٥ «لكن» «قيلًا» قولاً «سلاماً سلاماً» بدل من «قيلًا»، فإنهم يسمعون. ٢٦ «وأصحاب اليمين» ما أصحاب اليمين. ٢٧ «في سدر» شجر «التَّيِّقِ» «مخضود» لا شوك فيه، [قد خُصِدَ شوكه، أي: قُطِعَ]. ٢٨ «وطلح» شجر الموز «منضود» [أي: متراكب مرصوص] بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. ٢٩ «وظل ممدود» (٢) دائم. ٣٠ «وماء مسكوب» جار دائماً. ٣١ «ولا مقطوعة» في زمن، [أي: ليست موسمية كثمر الدنيا، توجد في فصل ولا توجد في غيره، بل هي مثمرة دائماً] «ولا ممنوعة» بضمن. ٣٢ «وفرش

(١) قوله: «بخلاف خمر الدنيا»، أرجع إلى تعليقنا حول «الخمر» ص ١٥٥.

(٢) قوله تعالى: «وظل ممدود». روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «وظل ممدود»: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

مرفوعة ﴿أي: نساء مرفوعات القدر﴾ على السرر. ٣٥ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ أي: الحور العين، من غير ولادة^(١). ٣٦ ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، ولا وجع. ٣٧ ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها، جمع: «عُرُوب»^(٢) وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَتْرَابًا﴾ جمع «تَرْب»، أي مستويات في السن، [فيقال في النساء: «أتراب»، وفي الرجال: «أقران»]. ٣٨ ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن»، أو: «جعلناهن». ٣٩ و ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ هم: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ [أي: جماعة] ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. ٤٠ ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ٤١ ﴿وَأَصْحَابِ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابِ الشَّمَالِ﴾. ٤٢ ﴿فِي سُمُومٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ٥٦

مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ ﴿٣٨﴾ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْخَنَثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ لَمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كِلُونَ مِّنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالِقُونَ مِنْهَا الْأَبْطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ

٤٣ ﴿وِظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السواد. ٤٤ ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كثيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. ٤٥ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ منعمين، لا يتعبون في الطاعة. ٤٦ ﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْخَنَثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك [بالله تعالى]. ٤٧ ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين [وتركه]. ٤٨ ﴿أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة: بسكون الواو، عطفاً بـ «أو»، والمعطوف عليه محل «إن» واسمها. ٤٩ ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾. ٥٠ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة، [حيث الحساب والجزاء]. ٥١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ﴾. ٥٢ ﴿لَا كِلُونَ مِّنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ بيان للشجر. ٥٣ ﴿فَمَالَتُونَ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿الْبَطُونَ﴾. ٥٤ ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾. ٥٥ ﴿فَشَارِبُونَ

(١) قوله: ﴿أي: الحور العين من غير ولادة﴾، أي: لَسُنَّ من نساء أهل الدنيا، هذا هو القول المشهور لدى المفسرين؛ وقال الحسن البصري رحمه الله: إن الحور العين المذكورات في القرآن من المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقهن الله في الآخرة على أحسن صورة، وقد سبق أن أشار الجلال المحلي إلى هذا القول في تفسير الآية ٥٦ من سورة «الرحمن» من ٧١٢.

(٢) قوله: «جمع عروب»، بفتح العين المهملة، ومنه قول لبيد:

وَفِي الْبَحْرِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رَّيَا الرُّوَادِفَ يَنْشَىٰ دُونَهَا الْبَصْرُ

شرب ﴿بفتح الشين وضمها، مصدر ﴿الهيم﴾ الإبل العطاش، جمع ﴿هيمان﴾ للذكر، و﴿هيمي﴾ للأنثى، كعطشان وعطشى. ٥٦ ﴿هذا نزلهم﴾ ما أعد لهم ﴿يوم الدين﴾ يوم القيامة. ٥٧ ﴿نحن خلقناكم﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فلولا﴾ هلاً ﴿تصدقون﴾ بالبعث، إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ٥٨ ﴿أفرايتم ما تمنون﴾ تريقون من المني في أرحام النساء؟ ٥٩ ﴿أنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة، والأخرى، وتركه في المواضع الأربعة [الآتية] ﴿تخلقونه﴾ أي: المني بشراً ﴿أم نحن الخالقون﴾ [المقدرون المصورون؟]. ٦٠ ﴿نحن قدرنا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ بعاجزين. ٦١ ﴿على﴾ عن^(١) ﴿أن نبدل﴾ نجعل ﴿أمثالكم﴾ مكانكم ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿في﴾

ما لا تعلمون ﴿من الصور، كالقردة والخنازير. ٦٢﴾ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴿بالألف بعد الشين﴾، وفي قراءة: بسكون الشين [بلا ألف] ﴿فلولا تذكرون﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال]. ٦٣ ﴿أفرايتم ما تحرثون﴾ تثيرون الأرض، وتلقون البذر فيها. ٦٤ ﴿أنتم تزرعونه﴾ تبتونه [وتجعلونه زرعاً] ﴿أم نحن الزارعون؟﴾. ٦٥ ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ نباتاً يابساً، لا حب فيه ﴿فظلتم﴾ أصله: ﴿ظللتم﴾ بكسر اللام، حذفت تخفيفاً، أي: أقمتم نهارة ﴿تفكهون﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل [وهو: ﴿تفكهون﴾، أي: تعجبون من ذلك وتقولون: ٦٦ ﴿إنا لمفرمون﴾ نفقة زرعنا، [من «المُفرم»، و«المُفرم»: الذي ذهب ماله بغير عوض]. ٦٧ ﴿بل نحن محرومون﴾ ممنوعون رزقنا. ٦٨ ﴿أفرايتم الماء الذي تشربون؟﴾. ٦٩ ﴿أنتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب، جمع «مُزن» ﴿أم نحن المنزلون؟﴾ ٧٠ ﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فلولا﴾ فهلاً ﴿تشكرون﴾ [الله على نعمه]. ٧١ ﴿أفرايتم النار التي تورون﴾ تخرجون من الشجر الأخضر؟ [أي: تستخرجونها من مصادرها، كالحطب وغيره].

٧٢ ﴿أنتم أنشأتم شجرتها﴾ كالمرخ والعفار^(٢)، والكَلَخ، [وهو شجر معروف في بعض بلاد المغرب والشام] ﴿أم نحن المنشئون﴾ [أي: الخالقون؟].

الْمُنشَأُونَ وَالْمُنشِئُونَ

شَرَبَ الْهَيْمَ ٥٥ هَذَا نُزِلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ عَلَيَّ أَنْ نَبْدَلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرَثُونَ ٦٣ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَتَلَّوْا شَرِبُهُ ٧٠ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧١ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧٢ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ٧٣

(١) قول الجلال المحلي: «عن» في تفسير: ﴿على﴾ جاء بناء على نفسه: «بمسبوقين»، «أي: بعاجزين». وفيه تكلف، لأنه يقال: عجز عن الشيء، فالأولى إبقاء «بمسبوقين» على معناها، أي: بمغلوبين، فالمسبوق هو المغلوب على أمره، و«غلب» تعدي بـ «على»، والمغلوب عاجز كذلك.

(٢) قوله: «المرخ والعفار»، تقدم بيانها آخر سورة «يس» ص ٥٨٦.

٧٣ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَاعاً﴾ بُلَغَةً ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين، من «أقوى القوم»، أي: صاروا بالقوى بالقصر، والمد [القواء -]، أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. ٧٤ ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِاسْمِ﴾ [أي: اذكر اسم ربك مسبحاً، وقيل: «باسم»] زائد ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. ٧٥ ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بمساقطها لغروبها^(١). ٧٦ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القسم بها ﴿لَقَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: لو كنتم من ذوي العلم، لعلمتم عظم هذا القسم. ٧٧ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المتلو عليكم ﴿لَقُرْآنَ كَرِيمٍ﴾. ٧٨ ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكتوب ﴿مَكْنُونٍ﴾ مصون، وهو المصحف. ٧٩ ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث، [فلا يجوز مس المصحف إلا

بوضوء]. ٨٠ ﴿تَنْزِيلٍ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ٨١ ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنْتُمْ مَّدْهُونُونَ﴾ متهاونون مكذبون؟ ٨٢ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر، أي: شكره ﴿أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ يسقيا الله، حيث قلتم [عند إنزال المطر عليكم: «مُطَرْنَا بِنُورٍ كَذَا»]^(٢). ٨٣ ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ الرَّوحَ وَقْتَ التَّرَعِّ﴾ الحلقوم هو: مجرى الطعام. ٨٤ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ إليه. ٨٥ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ من «البصرة»، أي: لا تعلمون ذلك، [أو: من البصر، أي: لا ترون ملك الموت وأعوانه]. ٨٦ ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأن تبعثوا، أي: غير ميعوثين بزعمكم. ٨٧ ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ تردون الروح إلى الجسد، بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما زعمتم، ﴿فَلَوْلَا﴾ الثانية تأكيد للأولى، و «إذا» ظرف لـ «ترجعون» المتعلق به الشرطان، والمعنى: هل ترجعونها، إن نقيتم البعث صادقين في نفيه؟ أي: ليتفي عن محلها، [أي: عن محل الروح وهو الجسد -] الموت كالبعث. ٨٨ ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمِتِّ﴾ من المقربين. ٨٩ ﴿فَرُوحٌ﴾^(٣) أي: فله استراحة «وريحان» رزق حسن «وجنة نعيم» وهل الجواب لـ «أما»، أو: لـ «إن»، أو «لهما»؟ أقوال. ٩٠ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. ٩١ ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾ أي: له السلامة من العذاب «من أصحاب اليمين» من جهة أنه منهم. ٩٢ ﴿وَأَمَّا إِنْ

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهُونُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ

(١) قوله: «بمساقطها لغروبها»، هذا قول قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله وغيره، وهو قول غير واضح، لأنه ليس للنجوم مغارب بل لها منازل، قال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: مواقع النجوم منازلها، أي: كما أن للشمس مغارب ومشارق، فإن للقمر بروجاً ومنازل.

(٢) قوله: «مُطَرْنَا بِنُورٍ كَذَا»، «النُّور»: سقوط النجم، وكان عادة الجاهليين نسبة نزول المطر إلى سقوط نجم، كما جاء في حديث قدسي رواه مسلم بما يقوله الكافر والمؤمن عند نزول المطر ذكرنا نصه ص ٤٧٦.

(٣) قوله تعالى: «فروح» بفتح الراء، من الراحة، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «الروح» ص ٣٧٦.

كان من المكذبين الضالين ﴿٩٣﴾ فنزل من حميم ﴿٩٤﴾ وتصلية جحيم ﴿٩٥﴾ إن هذا لهو حق اليقين ﴿٩٦﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٩٧﴾

سورة الحديد (٧١)

(مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ أي: نزهة كل شيء، قالام مزيدة، وجيء بـ «ما» دون «من»، تغليظاً للأكثر ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه. ٢ ﴿له ملك السماوات والأرض يحيي﴾ بالإنشاء [والخلق] ويميت بعده ﴿وهو على كل شيء قدير﴾. ٣ ﴿هو الأول﴾ (٣) قبل كل شيء، بلا بداية والآخر بعد كل شيء، بلا نهاية والظاهر بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس ﴿وهو بكل شيء عليم﴾. ٤ ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، [أي: في مقدارها] أولها الأحد (٤) وآخرها الجمعة ﴿ثم استوى على﴾

(١) قوله: «تقدم» أي: في تفسير الآية (٧٤) من هذه السورة ص ٧١٧.

(٢) قوله: «سورة الحديد»، هي مكية على الصحيح، وقيل: مدنية، وقال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع. وتسمى هذه السورة، والسور التي بعدها وهي: «الحشر» و«الصف» و«الجمعة» و«التغابن» و«المسبحات»، لأن كلاً منها مفتوحة بالتسبيح. روى أحمد وأبو داود والترمذي، عن العرياض بن سارية رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

— أي: قبل نومه — ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»، وقد اختلف المفسرون في هذه الآية، والظاهر أنها الآية الأولى من كل سورة منها. (٣) قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر...﴾ الآية، أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر، أرجع إلى تعليقنا حول «أسماء الله الحسنى» ص ٢٢٢. (٤) قوله: «أولها الأحد وآخرها الجمعة» هذا قول غير قوي، والصحيح أن خلق السماوات والأرض تم في مقدار ستة أيام من غير تسمية أو تعيين، لأنه لم يكن ثم شمس، وقد بينا ذلك مفصلاً في تعليقنا حول «خلق السماوات والأرض» ص ٦٣٠ فارجع إليه.

العرش ﴿الكُرسِي﴾^(١)، استواءً يليق به ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿في الأرض﴾ كالمطر والأموات ﴿وما يخرج منها﴾ كالنبات والمعادن ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وهو معكم﴾ بعلمه ﴿أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [فيجازيكم به]. ٥ ﴿له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ الموجودات جميعها. ٦ ﴿يولج الليل﴾ يدخله ﴿في النهار﴾ فيزيد [النهار] وينقص الليل ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فيزيد [الليل] وينقص النهار ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٧ ﴿آمنوا﴾ [أيها الناس، فالخطاب عام، وقيل: هو خطاب للمؤمنين، أي:]: دوموا على الإيمان ﴿بالله﴾ ورسوله

وأنفقوا ﴿في سبيل الله﴾ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴿من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم﴾، [قيل:]: نزل^(٢) في غزوة العُسرة وهي غزوة تبوك^(٣) ﴿الذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه، [وغيره من الصحابة، الذين آمنوا وأنفقوا] ﴿لهم أجر كبير﴾.

٨ ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾ خطاب للكفار، أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بالله﴾ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ﴿بضم الهمزة وكسر الحاء﴾ [ورفع ما بعده]، وفتحها ونصب ما بعده ﴿ميثاقكم﴾ عليه، أي: أخذه الله في عالم الدُّر، حين أشهدهم على أنفسهم: «ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، وإن كنتم مؤمنين» أي: مريدين الإيمان به، فبادروا إليه.

٩ ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ آيات القرآن ﴿ليخرجكم﴾ [بإيمانكم بها] ﴿من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿وإن الله بكم﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لرؤوف رحيم﴾.

١٠ ﴿وما لكم﴾ بعد إيمانكم ﴿إلا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تنفقوا في سبيل الله﴾ ميسرات السماوات والأرض ﴿بما فيهما﴾ فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لا يستوي

الْعَرْشُ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمُتَّوْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي

(١) قوله: «الكُرسِي»، جرى الجلالان السيوطي والمحلي رحمهما الله على القول بأن «العرش والكُرسِي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكُرسِي وأكبر منه، أرجع إلى تعليقنا على آية الكُرسِي ص ٥٣.

(٢) قوله: «نزل في غزوة العُسرة إلخ»، الظاهر أن الجلال المحلي قد انفرد بهذا القول، والصحيح أن هذه الآيات عامة على نحو ما وجهنا في تفسيرها.

(٣) قوله: «وهي: غزوة تبوك»، كانت في شهر رجب سنة تسع للهجرة وكان الفصل صيفاً وقد بلغ الحر أقصاه، والناس في عُسرة من العيش، وقد أُنعت الثمار وطابت، لذلك أعلن ﷺ عن قصده في هذه الغزاة، فقد روى الشيخان عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: =

منكم من أنفق من قبل الفتح ﴿لمكة﴾ وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً ﴿من الفريقين﴾ وفي قراءة: [«وكل»] بالرفع مبتدأ ﴿وعد الله الحسنی﴾ الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم به .
 ١١ ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ بإيقافه ماله في سبيل الله ﴿قرضاً حسناً﴾ بأن ينفعه الله ﴿فيضاعفه﴾ وفي قراءة: «فيضعفه» بالتشديد ﴿له﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما ذكر في ^(١) «البقرة» ﴿وله﴾ مع المضاعفة «أجر كريم» مقترن به رضاً وإقبال.

١٢ اذكر ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم﴾ أمامهم ﴿و﴾ يكون ﴿بإيمانهم﴾ ويقال لهم ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ أي: ادخلوها ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا وَنَحْنُ نَقْتَسِمُ مِنْ تَوَرَّكُم مِّنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم على الطاعة؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق وتربصنهم بالمؤمنين الدوائر واربتنم شككتكم في دين الإسلام وغررتكم

١٣ ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ أبصرونا، وفي قراءة: بفتح الهمزة وكسر الظاء: أي: أنهلونا ﴿نقتبس﴾ نأخذ القبس والإضاءة ﴿من نوركم قيل﴾ لهم استهزاء بهم ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ فرجعوا ﴿فضرب بينهم﴾ وبين المؤمنين ﴿يسور﴾ قيل: هو سور الأعراف ^(٢) ﴿له باب باطنه فيه الرحمة﴾ من جهة المؤمنين ﴿وظاهره﴾ من جهة المنافقين ﴿من قبله العذاب﴾

١٤ ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ على الطاعة؟ ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ بالنفاق ﴿وتربصنهم﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿واربتنم﴾ شككتكم في دين الإسلام ﴿وغررتكم﴾

لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً وقفاراً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، وحض أهل الغنى على الإنفاق، فجاء الكثيرون من الصحابة بمال وفير، وخرج بما يقارب الثلاثين ألفاً من المسلمين، حتى عسكر في تبوك، فلم يلق أحداً، ثم قفل راجعاً بعد أن غاب عن المدينة قرابة الشهرين، ومعنى: «ورى بغيرها»، أي: أظهر ما يفيد أنه يقصد غيرها، وهذا من باب الخدعة في الحرب، قال ﷺ: «الحرب خدعة» رواه الشيخان

وغيرهما، وقوله «خدعة» هي: بفتح الخاء وسكون الدال على الأفصح، قال النووي رحمه الله: هي لغة النبي ﷺ، ومعناها: أي: هي خدعة واحدة من تيسر له فطن بعدوه.

(١) قوله: «كما ذكر في البقرة»، أي: في قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ الآية (٢٦١)، وكما بينه رسول الله ﷺ، فقد روى الشيخان عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها - أي: خشية من الله تعالى - كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

(٢) قوله: «هو سور الأعراف»، ارجع إلى تعليقنا حول «الأعراف وأصحابه» ص ١٩٩.

الأماني ﴿حتى جاء أمر الله﴾ الموت ﴿وغيركم بالله الغرور﴾ [أي: خدعكم] الشيطان.

١٥ ﴿فاليوم لا تؤخذ﴾ بالتاء والياء ﴿منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم﴾ أولى بكم ﴿وبئس المصير﴾ هي.

١٦ ﴿ألم يأن﴾ يحزن ﴿للذين آمنوا﴾ نزلت في شأن الصحابة، لما أكثروا المزاح^(١) ﴿أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿من الحق﴾ القرآن؟ ﴿ولا يكونوا﴾ معطوف على «تخشع» ﴿كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ هم: اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فقس قلوبهم﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٥٧

الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٦﴾
فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ
النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾ * أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ
وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

١٧ ﴿اعلموا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ بالنبات، فكذاك يفعل بقلوبكم، يردها إلى الخشوع ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على قدرتنا، بهذا وغيره ﴿لعلكم تعقلون﴾.

١٨ ﴿إن المصدقين﴾ من التصديق، أدغمت التاء في الصاد، أي: الذين تصدقوا ﴿والمصدقات﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة: بتخفيف الصاد فيهما، من التصديق: الإيمان ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ راجع إلى الذكور، والإناث بالتغليب، وعُطِفَ الفعل «أقرضوا» على الاسم [أي: «المصدقين»، الكائن] في صلة «أل»، لأنه فيها [أي: في صلة أل]، حل محل الفعل، [فتقدير «المصدقين» هو: «الذين تصدقوا»، فيكون «المصدقين» شبه فعل، فيعطف عليه الفعل، قال ابن مالك:

واغطف على اسم شبه فعل فعلاً،

وذكر «القرض» بوصفه، [أي: قرضاً حسناً] بعد «التصدق» تقييد له [أي: تصدقوا لوجه الله تعالى] «يضاعف» وفي قراءة: «يضعف» بالتشديد، أي: قرضهم ﴿لهم ولهم أجر كريم﴾.

١٩ ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون﴾ المبالغون في التصديق ﴿والشهداء عند ربهم﴾ على المكذبين من

الأمم ﴿لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أولئك أصحاب

(١) قوله: «لما أكثروا المزاح»، أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾ إلا أربع سنين»، وهي تحليير متجدد للمسلمين من الركود إلى اللهو والضحك والمزاح ومن نسيان حياة الجد والانضباط التي جاء بها الإسلام صونا لصالح الدنيا وضماناً لصالح الآخرة، وهذا لا يعني أن المزاح كله حرام، فإنه إذا كان خالياً عن حرام أو غيبة أو لمز، وكان حقاً، فلا بأس به عندئذ، وكذلك الضحك القليل، فإنه كان يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه - أي: أضراسه الداخلية - رواء البخاري، ولكنه نهى عن كثرة الضحك لأنها تميئ القلب، رواه الترمذي وابن ماجه وقال الصحابة: يا رسول الله =

الجحيم النار. ٢٠ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ﴿تزيين﴾ وتفاسر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يُعين عليها، فمن أمور الآخرة ﴿كمثل﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها، كمثل ﴿غيث﴾ مطر ﴿أعجب الكفار﴾ الزراع ﴿١﴾ ﴿نباته﴾ الناشئ عنه ﴿ثم يهيج﴾ ييسر ﴿فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ فتأتا يضمحل بالرياح ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لمن أثر عليه الدنيا ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وما الحياة الدنيا﴾ ما التمتع فيها ﴿إلا متاع الغرور﴾ [أي: متاع يغتر من ركن إليه، حتى يعتقد أن لا دار سواها، ولا معاد وراءها]. ٢١ ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، و﴿العرض﴾: السعة ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ

الْحَجِيم ﴿١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِّن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ

٢٢ ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ بالجذب ﴿ولا في أنفسكم﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إلا في كتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ [أي: خلق ذلك وحفظه، لا يفتننا].

٢٣ ﴿لكيلا﴾ «كي» ناصبة للفعل، بمعنى: «أن»، أي: أخبر تعالى بذلك لئلا ﴿تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم ولا تفرحوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بما آتاكم﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ متكبر بما أوتي ﴿فخور﴾ به على الناس. ٢٤ ﴿الذين﴾ [مبتداً] ﴿يبخلون﴾ بما يجب عليهم [أداؤه].

٢٤ ﴿الذين يبخلون﴾ أي: تمارحنا - قال ﷺ: «إني لا أقول إلا حقا، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخَالِطَنَا بِالْمَلَأُطْفَةِ وَالْمَزَاجِ - حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِّي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ الثُّغَيْرُ؟ - أَيْ: طَائِرُ الْبَلْبَلِ، وَطَلَبَ رَجُلٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى دَابَّةٍ فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بَوْلُ النَّاقَةِ؟ - أَيْ: إِنَّهُ صَغِيرٌ لَا يَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ - فَقَالَ ﷺ: «مَنْ تَلَدَ الْإِبِلَ إِلَّا التَّرْقُوقَ؟» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

أما المزاج بالكذب فهو حرام، قال عليه الصلاة والسلام: «ويل للذي يحدث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ، وَمَنْ أَشْنَعُ الْمَزَجِ بِالْكَذِبِ مَا يُعْرِفُ الْيَوْمَ «بَكْذِبَةِ أُولِ نَيْسَانَ» الَّتِي يَعْتَبَرُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ «كَذِبَةُ بِيضَاءٍ» وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ حَرَامٌ وَيَخْشَى عَلَى مُسْتَحَلِّ الْكَذِبِ أُولِ نَيْسَانَ إِنْ عَانَدَ بَعْدَ الْبَيَانِ مِنَ الْكُفْرِ، بَلْ إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَبٌ وَمَعَ ذَلِكَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ جَائِزٌ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، لِأَنَّهُ يَنْاقِشُ فِي أَمْرِ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَهُوَ تَحْرِيمُ الْكَذِبِ.

(١) قوله: «الزراع»، هذا أحد قولين في تفسير «الكفار» وهو من: «الكفر» بفتح الكاف أي: التغطية، والزراع يغطي الحب بالتراب، فقيل له: كافر على هذا المعنى، ومنه تسمية كثير من البلدان باسم «كفر» أي: المزرعة، ومنه سمي الليل: كافراً لأنه يستر بظلامه الأشياء، وكل شيء غطي شيئاً فقد كفره، والقول الثاني هو: أن المراد بالكفار هنا الكافرون بالله عز وجل، فهو من «الكفر» بضم الكاف، أي: الجحود، لأنهم أكثر إعجاباً بزينة الدنيا وحرصاً عليها واغتراراً بها، واستحسن هذا القول القرطبي.

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾^(١) به، [وخبر المبتدأ محذوف، تقديره: لهم وعيد شديد ﴿ومن يتول﴾ عما يجب عليه ﴿فإن الله هو﴾ ضمير فصل [لا محل له من الإعراب]، وفي قراءة [سبعية]: بسقوطه ﴿الغني﴾ عن غيره ﴿الحميد﴾ لأوليائه. ٢٥ ﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بالبينات﴾ بالحجج القواطع ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ بمعنى: الكتب ﴿والميزان﴾ العدل ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ وأنزلنا الحديد ﴿أي: أنشأناه وخلقناه، كقوله تعالى: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» أي: خلق، وقيل: أخرجنه من المعادن ﴿فيه بأس شديد﴾ [يعني: السلاح]، يقاتل به [من أبى الحق وعانده، بعد قيام الحجة عليه] ﴿ومنافع للناس﴾ [في معاشهم، كالفأس والمنشار، وسائر الأدوات والآلات] ﴿وليعلم الله﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿ليقوم الناس﴾ من ينصره ﴿بأن ينصر دينه بآلات الحرب، من الحديد وغيره﴾ ورسله بالغيب ﴿حال من هاء ينصره﴾، أي: غائباً عنهم في الدنيا، قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إن الله قوي عزيز﴾ لا حاجة له إلى النصرة، لكنها تنفع من يأتي بها.

٢٦ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ يعني: الكتب الأربعة، «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«القرآن»، فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ [كافرون].

٢٧ ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية﴾ هي: رفض النساء، واتخاذ الصوامع، [ونصب «رهبانية» بفعل محذوف دل عليه: ﴿ابتدعوها﴾ من قبل أنفسهم ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ما أمرناهم بها ﴿إلا﴾ لكن فعلوها [التزاماً منهم] ﴿ابتغاء رضوان﴾ مرضاة ﴿الله﴾ فما رعوها حق رعايتها ﴿[أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام، إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي^(٢) على دين عيسى كثير منهم، فآمنوا بنينا ﴿فآتيناهم الذين آمنوا﴾ به ﴿منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾. ٢٨ ﴿يا أيها الذين

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٥٧

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ^ط وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ

٧٢٣

(١) قوله تعالى: ﴿البخل﴾. البخل هنا بمعنى «الشح» وهو: الامتناع عن أداء الواجب من الزكاة أو النفقة، روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»، وهو: مرض من أمراض القلوب يقابل في سوره الإسراف والتبذير، ويتخطاهما في خطره وضرره، فالواجب الإنفاق من غير إسراف، ولا تبذير، ولا تقتير، ارجع إلى تعليقنا حول معنى: «الإسراف» ص ١٩٦، ومعنى: «التبذير» ص ٣٦٨.

(٢) قوله: «وبقي... إلخ»، فيه تساهل، فالذين آمنوا منهم بنينا لم يكونوا على دين المسيح الحق، وقد بينا ذلك ص ٥١٤.

أَمِنُوا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ يُوْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ لَا يَمَانِكُمْ بِالْبَنِيِّنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٩ ﴿لَا يَلْعَلُ يَلْعَلُ﴾ [قال الأخفش: «أن لا» زائدة للتأكيد]، أي: أعلمكم بذلك، ليعلم «أهل الكتاب» التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ «أن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم «لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله» خلاف ما في زعمهم، أنهم أحباء الله وأهل رضوانه «وأن الفضل بيد الله يؤتيه» يعطيه «من يشاء» فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم [في الآية السابقة] «والله ذو الفضل العظيم» جلّ وعلا.

سورة الحجرات

أَمِنُوا أَنْفُقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٨ ﴿لَا يَلْعَلُ يَلْعَلُ﴾ [قال الأخفش: «أن لا» زائدة للتأكيد]، أي: أعلمكم بذلك، ليعلم «أهل الكتاب» التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ «أن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم «لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله» خلاف ما في زعمهم، أنهم أحباء الله وأهل رضوانه «وأن الفضل بيد الله يؤتيه» يعطيه «من يشاء» فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم [في الآية السابقة] «والله ذو الفضل العظيم» جلّ وعلا.

(٥٨) سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِمَّن نَسَأْتُمْ مَأْهَنَ أُمَّهَاتِهِمْ

سورة الحجرات

(مدنية، اثنان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ «قد سمع الله قول التي تجادلك» (١) تراجعك أيها النبي «في زوجها» المظاهر منها، كان قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها: بأنها حرمت عليه، على ما هو المعمود عندهم، من أن الظهار موجب فرقة مؤبدة، وهي: خولة بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت «وتشتكي إلى الله» وحدثها وفاقته، وصبيّة صغاراً، إن ضمنتهم إليه ضاعوا، وإليها جاعوا «والله يسمع تحاوركما» تراجعكما «إن الله سميع بصير» عالم.

٢ «الذين يظهرون» أصله: «يتظاهرون»، أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة: «بألف بين الظاء والهاء الخفيفة»، [أي: يظاهرون]، وفي أخرى: [يظاهرون] «كـ يقاتلون»، والموضع الثاني - [أي: «يظهرون» الآتي في الآية الثالثة] - كذلك «منكم من نسأتم ما هن أمهاتهم

(١) قوله تعالى: «قد سمع الله قول» الآية، أخرج البخاري تعليقاً، والبيهقي، والحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي سمع كل شيء، «إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليّ بعضه،

وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني؟، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» وهو: أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت رضي الله عنهما، أما زوجته فهي: «خولة» وقيل: «خويلة» وفيهما نزلت هذه الآيات على الصحيح، فقد روى أحمد وأبو داود عن خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة «المجادلة» قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، فدخل عليّ يوماً فراجعتني بشيء فغضب فقال: «أنت عليّ كظهر أمي»، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي - أي: يريد جماعي - قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، فوائبني، فامتنعت منه بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقته عني، ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ، =

إِنْ أَمَّهُاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ، وَبِلَا يَاءٍ «وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ» بِالظَّاهِرِ «لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا» كَذِبًا [لَأَنَّ الزَّوْجَةَ لَيْسَتْ كَالْأُمِّ] «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ» لِلْمَظَاهِرِ بِالْكَفَّارَةِ. ٣ «وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» أَي: فِيهِ، بَأَن يَخَالِفُوهُ بِإِمْسَاكِ [الْمَرْأَةِ] الْمَظَاهِرِ مِنْهَا، الَّذِي هُوَ خِلَافُ مَقْصُودِ الظَّاهِرِ، مِنْ وَصْفِ الْمَرْأَةِ بِالتَّحْرِيمِ «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» أَي: إِعْتَاقُهَا عَلَيْهِ «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّاسَا» بِالْوُطْءِ، [أَي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجَامِعَهَا] «ذَلِكَ تَوْعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ». ٤ «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» رَقَبَةً [يَعْتَقُهَا] «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ» أَي: الصِّيَامَ «فَإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا» عَلَيْهِ، أَي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا، حِمْلًا لِلْمَطْلُوقِ عَلَى الْمُقِيدِ^(١)، لِكُلِّ مَسْكِينٍ مَدٌّ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ «ذَلِكَ» أَي: التَّخْفِيفُ فِي الْكَفَّارَةِ «لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ» أَي: الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ «حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ» بِهَا «عَذَابُ الْيَمِّ» مُؤَلَّمٌ.

٥ «إِنَّ الَّذِينَ يَخَادُونَ» يَخَالِفُونَ «اللَّهِ وَرَسُولَهُ كَبْتُوا» أَذَلُّوا «كَمَا كَبَتِ الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» فِي مُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَهُ «وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ «وَلِلْكَافِرِينَ» بِهَا «عَذَابُ مُهِينٍ» ذُو إِهَانَةٍ.

٦ «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

٧ «أَلَمْ تَرَ» تَعْلَمُ «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

إِنْ أَمَّهُاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٣ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا ذَلِكَ تَوْعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٤ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابُ الْيَمِّ ٥ إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبْتُوا كَمَا كَبَتِ الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابُ مُهِينٍ ٦ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلد، ابن عمك شيخ كبير فاقني الله فيه»، فما برحت حتى نزل في قرآن، فقرأ علي رسول الله ﷺ: «قد سمع الله» الآيات، فقال لي رسول الله ﷺ: «مره فليفتي رقية»، فقلت: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين»، فقلت: والله إنه لشيخ كبير ما له من صيام، قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسقياً - بفتح الواو، هو: مقدار ستين صاعاً - من تمر» فقلت: يا رسول الله، ما ذاك عنده، فقال ﷺ: «فإننا سنعيه بقرق - بفتح الفاء، مكيال معروف بالمدينة - من تمر»، فقلت: والله يا رسول الله فإننا سنعيه بقرق آخر، قال ﷺ: «قد أصبت وأحسن، فاذهبي فتصدقني

به عنه، ثم استوصي بآبن عمك خيراً»، قالت خولة: ففعلت، قال ابن كثير: هذا هو السبب الصحيح في نزول هذه السورة، أي: آيات الظهار. اهـ.

وحقيقة الظهار: تشبيه ظهر بظهر، والموجب للحكم هو: تشبيه ظهر محلل بظهر محرّم، ولهذا أجمع الفقهاء على أن من قال لزوجه: «أنت علي كظهر أمي» أنه مظاهر، وهذا أصل الظهار، وكان معروفاً عند العرب قبل الإسلام من غير الكفارة.

(١) قوله: «حِمْلًا لِلْمَطْلُوقِ عَلَى الْمُقِيدِ»، فَيُذَكِّرُ الْكَفَّارَةَ بِتَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ، ثُمَّ بِصِيَامِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّاسَا»، وَأَمَّا الْكَفَّارَةُ بِالْإِطْعَامِ فَجَاءَتْ مُطْلَقَةً فَاجْرِي عَلَيْهَا حُكْمُ مَا قَبْلُهَا، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِطْعَامُ أَيْضًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ وَاجِبَةٌ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ، فَلَا يَجُوزُ الْإِنْتِقَالُ إِلَى وَاحِدَةٍ، إِلَّا بَعْدَ تَعَدُّرِ الْآخِرَةِ قَبْلُهَا.

ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴿١﴾ بعلمه، [أي: يعلم ما يتناجون به سراً بينهم] ﴿٢﴾ ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ﴿٣﴾ [يعلمه تعالى، وهو كقوله: «وهو معكم أينما كنتم»] ﴿٤﴾ أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴿٥﴾ فلا يخفى عليهم ما يتناجون به.]

٨ ﴿الم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول﴾؟ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم، أي: تحدثهم سراً ناظرين إلى المؤمنين، ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإذا جاؤوك حيوك﴾ (١) أيها النبي ﴿بما لم يحيك به الله﴾ وهو قولهم: «السَّامُ عليك»، أي: الموت ﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ هلاً ﴿يعذبنا الله بما نقول﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي، إن كان نبياً؟ ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ هي.

١٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ (٢) واتقوا الله الذي إليه تحشرون.

١٠ ﴿إنما النجوى﴾ بالإثم ونحوه ﴿من الشيطان﴾ بفروره ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وإذا جاؤوك حيوك﴾ الآية، أخرج أحمد والبخاري والطبراني بسند جيد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك - أي: الموت - ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول - أي: لو كان نبياً لعذبنا الله بقولنا هذا - فنزلت الآية ﴿وإذا جاؤوك﴾.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: وعليكم السَّام واللَّعنة، فقال: «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»، قلت: ألا تسمعهم يقولون: السَّام عليك. فقال رسول الله ﷺ: «أنا سمعت ما أقول: وعليكم؟» فأنزل الله هذه الآية، وفي مسلم: «وإننا نجاب عليهم ولا يجابون علينا» أي: يستجاب لي دعائي عليهم، ولا يستجاب لهم دعائهم عليّ، وفيه دليل على حلمه ﷺ وصبره على الأذى، وقولهم: «السَّام عليك» هو: الموت، ويقرأ: «السَّام عليكم» بالهمز من «السَّامة»، وهو دعاء منهم على النبي ﷺ والمؤمنين بأن يأموا دينهم.

(٢) قوله تعالى: ﴿وتناجوا بالبر والتقوى﴾، لقد نهى النبي ﷺ أيضاً المسلمين عن أن يتناجوا فيما بينهم على نحو يؤذي أحدهم، فقد أخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يُحرِّثُ»، أي: ويدخل في نفسه الريبة، وقد يظن أنهما يَصْمُران له سوءاً، ومثله أن يتكلم اثنان بلغة لا يفهمها الثالث، وهذا من أرفع درجات الأدب الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

الجزء الثاني والعشرون

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا

وليس ﴿هو﴾ بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ﴿أي﴾ إرادته ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ (١) توسعوا ﴿في المجالس﴾ [بالجمع] ﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾ في الجنة ﴿وإذا قيل انشزوا﴾ [بكسر الشين، أي: انهضوا] وقوموا إلى الصلاة، وغيرها من الخيرات ﴿فانشزوا﴾ [بكسر الشين أيضاً]، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بالطاعة في ذلك ﴿و﴾ يرفع ﴿الذين أوتوا العلم درجات﴾ في الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾.

١٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ (٢) أردتم مناجاته ﴿فقدموا بين يدي نجواكم﴾ قبلها ﴿صدقة ذلك خير لكم وأطهر﴾ لذنوبكم ﴿فإن لم تجدوا﴾ ما تصدقون به ﴿فإن الله غفور﴾ لمناجاتكم ﴿رحيم﴾ بكم، يعني: فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله:

١٣ ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه، أي: خفتم من ﴿أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟﴾ لفقر ﴿فإذا لم تفعلوا﴾ الصدقة ﴿وتاب الله عليكم﴾ رجع بكم عنها ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي: دوموا على ذلك ﴿والله خبير بما تعملون﴾.

١٤ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إلى الذين تولوا﴾ هم: المنافقون ﴿قوماً﴾ هم: اليهود ﴿غضب الله عليهم؟ ما هم﴾ أي: المنافقون ﴿منكم﴾ من المؤمنين ﴿ولا منهم﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿ويحلفون على الكذب﴾ أي: قولهم إنهم مؤمنون

(١) قوله تعالى: ﴿إذا قيل لكم تفسحوا﴾ الآية، في هذه الآية بيان لأدب المجالس في الإسلام، المبني على التعاون والتراحم والاحترام، لا على التمييز، روى البخاري ومسلم - واللفظ له - عن ابن عمر

رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة، ثم يخالف مقعده فيقعد فيه، ولكن يقول: افسحوا»، وهذا النهي عام في الجمعة وغيرها، كما يفيد الحديث السابق، ويجوز في الفعلين: «يجلس» في الحديث الأول، و«يخالف» في الحديث الثاني، الواقعين بعد «لا»، الرفع بتقدير: «ثم هو»، والجزم بالعطف على موضع فعل النهي، والنصب بإعطاء «ثم» حكم «وار الجمع».

(٢) قوله تعالى: ﴿إذا ناجيتم الرسول﴾ الآية، أخرج عبد الرزاق والحاكم وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية التجوي، كان عندي دينار فبعت بعشرة دراهم، فكننت كلما ناجيت النبي قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد».

وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ

﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون فيه .

١٥ ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من المعاصي .

١٦ ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ سترًا عن أنفسهم وأموالهم ﴿فصدوا﴾ بها المؤمنين ﴿عن سبيل الله﴾ أي : الجهاد فيهم ، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فلهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة .

١٧ ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ من عذابه ﴿شيئاً﴾ من الإغناء ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

الْبُرْهَانُ الْوَالِدِيُّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ [يَعَادُونَ وَ] يَخَالِفُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ [الْمَغْلُوبِينَ [الْأَذْلَاءَ]].

٢١ ﴿كتب الله﴾ في اللوح المحفوظ ، أو : قضى ﴿لأغلبين أنا ورسلي﴾ بالحجة أو : السيف ، [أو : بهما جميعاً] ﴿إن الله قوي عزيز﴾ .

٢٢ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون﴾^(١) بالله واليوم الآخر يوادون ﴿يصادقون [ويحبون ويوالون]﴾ من حاد ﴿خالف ، وحارب ، وعادى﴾ الله ورسوله ولو

(١) قوله تعالى : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون﴾ . الآية ، أي : ليس من أخلاق المسلمين ذلك ، وهذا مبدأ ثابت في الإسلام ، فإلزام المسلم لا يجوز أن يكون لغير الله تعالى ، إذا تعارض الولاء لله مع الولاء للقرابة أو العشيرة أو غيرها ، فالله تعالى نهى عن التعصب للقرابة أو الأرض أو القبيلة ، وأمر بتصرة دينه والمسلمين جميعاً ، وبمجاهدة كل من يعارض دين الله ويعاديه ، ولو كان من الأقربين ، وقدم رابطة الأخوة في الإيمان على أية رابطة أخرى فقال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ، أي : إن المؤمن أخو المؤمن كما قال ﷺ في حديث رواه الشيخان : «المسلم أخو المسلم» ، أي : لا أخ للمسلم إلا المسلم ، يتصره ويواليه ويساعده ويحبه ، أما الأواصر الأخرى من دون الإيمان ، فلا قيمة لها ولا وزن ، بل هي أسباب تنقطع يوم القيامة ، ولا تنفع أصحابها ، قال تعالى في الأتباع والمتبعين على الباطل : ﴿ورأوا المذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ ، وقال تعالى في رابطة الصداقة على غير أساس التقوى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ .

كانوا ﴿أي: المحادون﴾ آباءهم ﴿أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ بل يقصدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة، [كأبي عبيدة بن الجراح، الذي قتل أباه يوم بدر، ومصعب بن عمير، قتل أخاه «عبيدا»، وغيرهما ممن قتلوا أبناء قبيلتهم، أو هُمُوا بذلك، فلم تَلَن قلوبهم لكافر، ولو كان ذا قرى] ﴿أولئك﴾ الذين لا يوادونهم ﴿كتب﴾ أثبت ﴿في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح﴾ ^(١) [أي: بنصر، أو: بالقرآن، أو: بنور] ﴿وإيمان﴾ منه ﴿تعالى﴾ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ﴿بطاعته﴾ ورضوا عنه ﴿بنوابه﴾ أولئك حزب الله ﴿يتبعون أمره، ويجتنبون نهيه﴾ إلا إن حزب الله هم المفلحون ﴿الفائزون﴾.

سُورَةُ الْحَشْرِ ٥٩

﴿سُورَةُ الْحَشْرِ﴾ (٢)
(مدنية، أربع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
أي: نَزَّهَهُ، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ «ما»
تغليب للأكثر، [أي: لغير العاقل] ﴿وهو العزيز
الحكيم﴾ في ملكه وصنعه.

٢ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ هم: بنو النضير من اليهود ﴿من
ديارهم﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لأول الحشر﴾ ^(٣)
هو: حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم
عمر في خلافته إلى «خير» [اقرأ
التعليق] ﴿ما ظننتم﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يخرجوا

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا اأَرْبَعُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا

٧٢٩

(١) قوله تعالى: ﴿بروح﴾، نُشر بما ذكرنا، وهذه من معاني
«الروح». ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣٧٦.

(٢) قوله: «سورة الحشر»، أخرج البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال: «سورة الأنفال نزلت في
بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير، وكان
يسمونها «سورة بني النضير»، ارجع إلى تعليقنا حولهم
ص ٢٣٥، وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن
عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير
على رأس سنة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم
ونخلهم في ناحية المدينة، فحاصروهم رسول الله ﷺ

حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة - أي: السلاح - فأنزل الله فيهم: ﴿سبح لله ما في
السماوات وما في الأرض﴾ الآيات، وشبهها أنهم نقضوا عهدهم وحلفهم مع بني عامر، وهُمُوا يقتل النبي ﷺ، كما جاء في كتب المغازي
والسير.

(٣) قوله تعالى: ﴿لأول الحشر﴾ إلخ، اتفق المفسرون على أن: «أول الحشر» كان في الدنيا وهو إخراجهم من المدينة، وأما آخره، فقيل: هو
حشرهم في الآخرة، وقيل: عندما أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خيبر إلى تيماء وأريحا، وذلك أنه عندما أجلاهم النبي ﷺ من
المدينة، ذهبت طائفة منهم إلى بلاد الشام، وأكثرهم ذهبوا إلى خيبر، وبهذا يظهر أن في تفسير الجلال المحلي لأول الحشر بأنه: إخراجهم إلى
الشام وتفسيره لآخر الحشر: بأنه إجلاؤهم إلى خيبر سهواً وتناقضاً يدركه المتأمل، والصواب ما ذكرناه.

﴿وظنوا أنهم مانعتهم﴾ خبر ﴿أن﴾ ﴿حصوصهم﴾ فاعله، به تم الخبر ﴿من الله﴾ من عذابه ﴿فأتاهم الله﴾ أي: أمره وعذابه ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ لم يخطر ببالهم، من جهة المؤمنين ﴿وقذف﴾ ألقى ﴿في قلوبهم الرعب﴾ يسكون العين وضمها، الخوف، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يخربون﴾ بالتشديد والتخفيف، من «أخرب» ﴿بيوتهم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها، من خشب وغيره ﴿بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ فاعتبروا يا أولي الأبصار. ٣ ﴿ولولا أن كتب الله﴾ قضى ﴿عليهم الجلاء﴾ بالخروج من المواطن ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقرينة من اليهود ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾. ٤ ﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاق الله﴾ فإن الله شديد العقاب ﴿له﴾. ٥ ﴿ما قطعتم﴾ (١)

الجزء الثاني من القرآن

وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانَعَتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ٣ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ٤ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ٥ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٦ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفُلْسَفِينَ ٧ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٩ وَيَخْتَصِمُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، فَأَعْطَى مِنْهُ الْمُهَاجِرِينَ، وَثَلَاثَةً (٢) مِنَ الْأَنْصَارِ لَفَقَرَهُمْ.

يا مسلمون ﴿من لينة﴾ نخلة ﴿أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ فبإذن الله ﴿أي: خيركم في ذلك﴾ ﴿وليخزي﴾ بالإذن في القطع ﴿الفاستقين﴾ اليهود، في اعتراضهم بأن قطع الشجر المشرك فساد.

٦ ﴿وما أفاء﴾ رد ﴿الله على رسوله منهم﴾ [أي: من أموال بني النضير] ﴿فما أوجفتهم﴾ [أي: ما] أسرعتم يا مسلمون ﴿عليه من﴾ زائدة ﴿خيل ولا ركاب﴾ إبل، أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء﴾ والله على كل شيء قدير ﴿فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، يفعل فيه ما يشاء، فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة (٢) من الأنصار لفقرهم.

٧ ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ كـ «الصفراء»، و «وادي القرى»، و «يتبع» ﴿فلله﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وللرسول ولذي﴾ صاحب ﴿القرى﴾ قرابة النبي ﷺ، من بني هاشم وبني المطلب ﴿والبسامى﴾ أطفال المسلمين، الذين هلكت آبائهم وهم فقراء ﴿والمساكين﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي: يستحقه النبي ﷺ، والأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه، من أن لكل من الأربعة، خمس الخمس، وله الباقي.

(١) قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ الآية. أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرق نخلة بني النضير وقطع «البؤيرة» - موضع بقرب المدينة إهانة لهم وإرعاباً لقلوبهم - فقالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخل وتحريقها؟! فأَنزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية.

(٢) قوله: «ثلاثة من الأنصار» وهم: أبو دجانة سَمَّاكُ بْنُ خَرْفَةَ، وسَهْلُ بْنُ حَنْفِيَّةَ، والحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط: أبا دجانة وسهلاً.

﴿كي لا﴾ «كي» بمعنى اللام، و «أن» مقدرة بعدها، [أي: لئلا] ﴿يكون﴾ «القيء»، علة لقسمه كذلك ﴿دولة﴾^(١) متداولاً بين الأغنياء منكم وما آتاكم ﴿أعطاكم﴾ «الرسول» من القيء وغيره ﴿فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [للمخالفين].

٨ ﴿للفقراء﴾ [بدل من قوله: «الذي القربى» وما بعده، أي: ما أفاء الله على رسوله فهو للفقراء من هؤلاء، أو: متعلق بمحذوف، أي: اعجبوا [للفقراء] «المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون» في إيمانهم، [فكونوا مثلهم في قوة إيمانكم].

سُورَةُ الْحَجَرِ ٥٩

كَي لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا اتَّكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

٩ ﴿والذين تبوأوا الدار﴾ أي: [سكنوا] المدينة ﴿و﴾ [لزموا] ﴿الإيمان﴾ أَلْفُوه، وهم: الأنصار ﴿من قبلهم﴾ [أي: قبل أن يهاجر المهاجرون إليهم] ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ حسداً ﴿مما أوتوا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين، من أموال بني النضير المختصة به ﴿ويؤثرون على﴾^(٢) أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿حاجة إلى ما يؤثرون به﴾ ومن يوق شح نفسه ﴿حرصها على المال﴾ فأولئك هم المفلحون.

١٠ ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾ حسداً ﴿للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

١١ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين نافقوا يقولون

(١) قوله تعالى: ﴿دولة﴾ بضم الدال، وقرئ «بفتحها شذوذاً» لغير الأربعة، أما من حيث اللغة: فإن «الدولة» بضم الدال: ما يتقل من الثعم - مال وغيره - من قوم إلى آخرين، أي: متداولاً كما قال المحلي في التفسير، أما «الدولة» - بفتح الدال - فهي الظفر والاستيلاء في الحزب، يقال: دالت دولته أي: ذهبت سلطته.

(٢) قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ الآية، روى

البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد - أي: من الجوع - فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال رسول الله ﷺ: «الرجل يضيعة هذه الليلة يرحمة الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرينه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الضيعة، قال: فإذا أراد الضيعة العشاء فتوهمهم، وتعالى فاطفتني السراج ونطرت بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله عز وجل»، أو: ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله هذه الآية.

أما الرجل «الضيف» فقيل: هو «أبو هريرة» راوي الحديث، وقيل: غيره، وأما الأنصاري الذي استضاف، فقيل: هو «أبو طلحة الأنصاري» وقيل: «عبد الله بن رواحة»، وقيل: غيرهما.

لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴿وهم: بنو النضير، وإخوانهم في الكفر﴾ ﴿لئن﴾ لام قسم في الأربعة (١) ﴿أخرجتم﴾ من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم﴾ في خذلانكم ﴿أحداً أبداً وإن قوتلتم﴾ حذفت منه اللام الموطنة [للقسم] ﴿لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون﴾.

١٢ ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿ليولن الأدبار﴾ واستغني بجواب القسم المقدّر، عن جواب الشرط، في المواضع (٢) الخمسة ﴿ثم لا ينصرون﴾ أي: اليهود.

الْبُرْءُ لِلَّهِ وَالْغَيْبُ

لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ أُنْجِزَهُمْ
لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِكْرُ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَنْ أُنْجِزُوا
لَا يُخْرِجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَنْ نَنْصُرَهُمْ
لِيُؤَلَّنَ الْأُدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَا كُفْرًا قَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ

١٣ ﴿لأنتم﴾ [أيها المسلمون] ﴿أشد رهبة﴾ خوفاً ﴿في صدورهم﴾ أي: المنافقين، [أو: اليهود] ﴿من الله﴾ لتأخير عذابه ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

١٤ ﴿لا يقاتلونكم﴾ أي: اليهود ﴿جميعاً﴾ مجتمعين ﴿إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار﴾ [بالأفراد، أي: [سور، وفي قراءة: جُدُر، [بالجمع] ﴿بأسهم﴾ حريهم ﴿بينهم﴾ شديد تحسبهم جميعاً مجتمعين ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة خلاف الحُصْبَانِ ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ [فأهل الباطل: مختلفة أراؤهم وأهواؤهم، لا يجتمعون إلا في عداوة أهل الحق].

١٥ مثلهم في ترك الإيمان ﴿كمثل الذين من قبلهم قرياً﴾ بزمان قريب، وهم: أهل بدر من المشركين ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ عقوبته في الدنيا، من القتل وغيره ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة.

١٦ مثلهم أيضاً، في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ كذبا منه ورياء. ١٧ ﴿فكان

(١) قوله: ﴿في الأربعة﴾ أي: المواضع الأربعة وهي: ﴿لئن أخرجتم﴾، ﴿لئن قوتلوا﴾، و﴿لئن نصروهم﴾، فاللام في هذه المواضع لام قسم.

(٢) قوله: ﴿واستغني بجواب القسم المقدّر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة﴾، هي المواضع الأربعة المذكورة في التعليق الأول، والخامس قوله تعالى: ﴿وإن قوتلوا﴾ أي: اجتمع في هذه المواضع قسم وشرط، وكان القسم فيها مقدماً، فيكون الجواب للقسم، ويكون جواب الشرط محذوفاً، قال ابن مالك في ألفيته:

واحذف لدى اجتماع شرط أو قسم جواب ما أخرت فهو مُتَنَزَّم

عاقبتهم﴾ [بالنصب، خبر «كان» مقدماً، أي: الغاوي والمغوي، وقرئ^(١) «شدوذاً» بالرفع، اسم «كان» «أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين» أي: الكافرين.

١٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١٩ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنَّهُمْ يَوْمَ يُقَدَّمُوا لَهَا خَيْرًا﴾ «أولئك هم الفاسقون».

٢٠ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المكرمون المقربون].

٢١ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييزاً كالإنسان ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا﴾ متشققاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون، [وهذا حث للإنسان، على التفكير والتأمل في مواعظ القرآن، فلا عذر لأحد عاقل في ترك تدبره، قال تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدتبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»].

٢٢ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٢) السر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

٢٣ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر، [أي: المنزه] عما لا يليق به ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة^(٣) لهم ﴿الْمُهَيِّمُنُ﴾ من «هيمن يهيمن»، إذا كان رقيباً على الشيء، أي: الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ [قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وقيل: جبر خلقه على ما أراد] ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به ٢٤ ﴿هُوَ اللَّهُ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٥٩

عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ

(١) قوله: «وقرئ بالرفع» أي: برفع «عاقبتهم»، وهذه قراءة شاذة كما بيناه في التفسير، قرأ بها الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(٢) قوله تعالى: «هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة» الآيات، تضمنت هذه الآيات عدداً من أسماء الله الحسنى، أرجع إلى تعليقنا حولها ص ٢٢٢.

(٣) قوله: «بخلق المعجزة لهم»، المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد النبي تصديقاً له في رسالته، وهي نازلة منزلة قوله تعالى: «صدق عبدي - النبي - في كل ما يبلغ عني»، أي: إنها علامة على أن الرسول صادق فيما يبلغ عن الله عز وجل، ومعجزات الأنبياء كثيرة مشهورة.

الخالق الباري» المنشئ من العدم «المصور له الأسماء الحسنى» التسعة والتسعون، الوارد بها الحديث^(١)، و«الحسنى»: مؤنث «الأحسن» يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم» تقدم أولها، [أي: العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه].

﴿سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِينَ﴾

(مدنية، ثلاث عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ» أي: كفار مكة «أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ» توصلون «إِلَيْهِمْ» قَصْدُ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَهُمْ، الذي أَسْرَهُ إِلَيْكُمْ، وَوَرَى بِهِ «حُتَيْنَ» «بِالْمُودَةِ» بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا بِذَلِكَ، لِمَا لَهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ الْمُشْرِكِينَ، فَاسْتَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّنْ أَرْسَلَهُ مَعَهُ، بِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ، وَقَبِلَ عِدْرَ حَاطِبٍ فِيهِ «وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ» أي: دين الإسلام والقرآن «يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ» مِنْ مَكَّةَ بِتَضْيِيقِهِمْ عَلَيْكُمْ «أَنْ تُؤْمِنُوا» أي: لِأَجْلِ أَنْ آمَنْتُمْ «بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ جَاهِدًا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي» وَجَوَابَ الشَّرْطِ، دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، أَي: فَلَا تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ «تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ» أي: إِسْرَارَ خَيْرِ النَّبِيِّ إِلَيْهِمْ «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أَخْطَأَ طَرِيقَ الْهَدْيِ، وَ«السَّوَاءِ» فِي الْأَصْلِ: الْوَسْطُ.

٢ «إِنْ يَشْقُصْكُمْ» يَظْفِرُوا بِكُمْ «يَكُونُوا

(١) قوله: «الوارد بها الحديث»، أي: الذي رواه الترمذي وغيره، أرجع إلى تعليقنا حول «أسماء الله الحسنى» وما جاء فيها من أحاديث من ٢٢٢، وقرأ الحديث الوارد بها وفيه تعددها في تفسير قوله تعالى: «أَيُّهَا مَا تَدْعُو اللَّهَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى» آخر سورة «الأنعام» ص ٣٧٩.

الْمُدَّةُ الْقَلِيلَةُ وَالْغَنَاءُ

أَلْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٦٠) سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِينَ
وَأَيُّهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخْرُجُونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٤﴾ إِنْ يَشْقُصْكُمْ يَكُونُوا

(٢) قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» الآيات، أخرج الشيخان وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ - موضع بين مكة والمدينة -، فإن بها ظمينة - أي: امرأة في هودج - معها كتاب فخطوه منها فاتوني به»، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظمينة فقلنا: أخرجني الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أولنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها - بكسر العين، أي: شعرها المصفور - فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتععة، إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تمجل علي يا رسول الله، إني كنت امرءاً مُلَصِّقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من مملوك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم، أن أتخذ يد يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر، فقال النبي ﷺ: «صدق»، لا تقولوا إلا خيراً، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: «

لکم أعداء ویسوطوا إلیکم أیدیہم بالقتل والضرب والسنہم بالسوء بالسب والشتم وودوا تمنا لو تکفرون ٣. لن تنفعکم أرحامکم قرابتکم ولا أولادکم المشرکون الذین لأجلہم أسررتہم الخیر، من العذاب فی الآخرة یوم القيامة یفصل بالبناء للمفعول والفاعل بینکم وبینہم، فتکونون فی الجنة، وہم فی جملة الکفار فی النار واللہ بما تعملون بصیر ٤. قد كانت لکم اسوة بکسر الهمزة وضمها فی الموضعین (١): قدوة حسنة فی إبراہیم أي: بہ، قولاً وفعلًا والذین معہ من المؤمنین إذ قالوا لقومہم إنا برءاء جمع بریء ک ظریف منکم ومما تعبدون من دون اللہ کفرنا بکم أنکرناکم ویدنا بیثنا وبینکم العداوة والبغضاء أبداً بتحقیق الهمزین، وإبدال الثانية واواً حتى تؤمنوا باللہ وحده إلا

قول إبراہیم لأبیہ لأستغفرن لک مستثنی من «أسوة»، أي: فلیس لکم التأسی بہ فی ذلك، بأن تستغفروا للکفار، وقوله وما أملك لک من اللہ أي: من عذابه وثوابه من شیء کنی بہ، عن أنه لا یملك له غیر الاستغفار، فهو مبني علیہ [أي: معطوف علی: لأستغفرن] ومرتبطة بہ، ولكنه مستثنی من حیث المراد منه، [أي: اقتدوا بہ، إلا فی الاستغفار لکافر]، وإن کان من حیث ظاہره مما یئأسی بہ، [أخذاً من] قل فمن یملك لکم من اللہ شیئاً، واستغفاره له، قبل أن یتبین له أنه عدو اللہ [فلما تبین له أنه عدو للہ تبرأ منه]، كما ذکر (٢) فی «براءة ربنا علیک توکلنا وإلیک أنبنا وإلیک المصیر» [هذا الدعاء]، من مقول [إبراہیم الخلیل ومن معہ، أي: وقالوا:

٥ «ربنا لا تجعلنا فتنة للذین کفروا» أي: لا تظهرہم علینا، فیظنوا أنهم علی الحق، فیفتنوا، أي: تذهب عقولہم بنا واغفر لنا ربنا إنک أنت العزیز الحکیم فی ملکک وصنعک.

٦ «لقد کان لکم» یا أمہ محمد، جواب قسم مقدّر «فیہم اسوة» [یکسر الهمزة وضمها] «حسنة لمن کان» بدل اشتمال من «کم» [فی «لکم»]، بإعادة الجار «یرجو اللہ والیوم الآخر» أي: یخافہما، أو: یظن الثواب والعقاب «ومن یتول» بأن یوالی الکفار

سُورَةُ الْاِنْتِحَارِ ٦٠

لَکُمْ اَعْدَاءٌ وَیَبْطُطُوا اِلَیْکُمْ اَیْدِیْہُمْ وَالسِّنَہُم بِالسَّوِیِّ وَوَدُّوا لَوْ تَکْفُرُوْنَ ۝ لَنْ تَنفَعَکُمْ اَرْحَامُکُمْ وَلَا اَوْلَادُکُمْ یَوْمَ الْقِیَمَةِ یَفْصِلُ بَیْنَکُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِیْرٌ ۝ قَدْ کَانَ لَکُمْ اَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِیْ اِبْرٰہِیْمَ وَالَّذِیْنَ مَعَهُ ۚ اِذْ قَالُوا لِقَوْمِہِمَّ اِنَّا بُرَءٌۢ وَاَنتُمْ مِمَّا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ کَفَرْنَا بِکُمْ وَبَدَا بَیْنَنَا وَبَیْنَکُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ اَبَدًا حَتّٰی تُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ ۚ اِلَّا قَوْلَ اِبْرٰہِیْمَ لِاَبِیْہِ لِاسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَمَا اَمْلَکُ لَکَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ ۚ رَبَّنَا عَلَیْکَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَیْکَ اَنْبَنَّا وَإِلَیْکَ الْمَصِیْرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِیْنَ کَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۚ اِنَّکَ اَنْتَ الْعَزِیْزُ الْحَکِیْمُ ۝ لَقَدْ کَانَ لَکُمْ فِیْہِمُ اَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ کَانَ یَرْجُوْا اللّٰهَ وَالْیَوْمَ الْاٰخِرَ وَمَنْ یتَّوَلَّ

٧٣٥

«إنہ شہد بدرًا، وما یدریک لعل اللہ اطلع علی أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لکم» فدمعت عینا عمر ولم یصرّح فی هذا الحدیث بنزول الآیات فی حاطب، ولا ضرر فی ذلك، بل یبقی الاستشہاد بہ قائماً، لأن القطنة نزلت علی ذلك، ویؤیدہ قول عمرو بن دینار - أحد رجال سندہ بعد روايته للقصّة: إنها نزلت فیہ، وكذلك ما أخرجه الحاکم عن ابن عباس، أنها نزلت فی مکاتبة حاطب وقومه إلی کفار قریش، والظاهر نزولها فی حاطب وحده كما یفہم من حدیث الصحیحین المتقدم، وهذا ما علیہ المفسرون.

(١) قوله: «فی الموضعین»، أي: فی هذه الآیة، وفی الآیة السادسة الآتیة، وأيضاً فی الآیة ٢١ «الأحزاب» ص ٥٥٢.

(٢) قوله: «كما ذکر فی براءة»، أي: سورة «التوبة» ص ١٦١، أرجع إلی تعلیقنا فیہا، حیث بینا حکم الدعاء للکافر والاستغفار له.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته. ٧ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعةً لله تعالى ﴿مَوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. ٨ ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾ ^(١) عن الذين لم يقاتلوكم ﴿من الكفار﴾ في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم ﴿بذل﴾ اشتمال من ﴿الذين﴾ ﴿وَتَقْسُطُوا﴾ تَفَضُّوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: العدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين. ٩ ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِظَاهَرِهِمْ﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿الذين﴾، أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ فأولئك هم الظالمون.

الجزء الثاني من التفسير

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ

١٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بِالْغُيُوبِ ﴿مُهَاجِرَاتٌ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في «الحديبية»، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف: «أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأزواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان صلى الله عليه وسلم يحلفهن» ^(٢) ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ فإن علمتموهن ﴿ظَنَّمُوهُنَّ﴾ بالحلف ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ فلا ترجعهن ﴿تَرُدُّوهن﴾ إلى الكفار لا من حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ﴿أي: أعطوا الكفار، [الذين هم] أزواجهن﴾ ما أنفقوا عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ^(٣) ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن.

(١) قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ...﴾ الآية، أخرج البخاري والبيهقي وغيرهما، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي رغبة في عهد النبي ﷺ - أي: طاعة في عطاء - فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أצלها؟ - بالمد - على الاستفهام - قال: «نعم»، وكانت أمها - قتيلة - أو قتيلة بنت عبد العزى - مشركة، وقد طلقها أبو بكر في الجاهلية، قال: سفيان بن عيينة أحد الرواة: فأنزل الله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ...﴾ الآية، هكذا قال ابن عيينة رحمه الله، ولم

يرد ذكر نزولها في الحديث المذكور، لذلك لم يذكره البخاري في «كتاب التفسير»، ويؤيد قول ابن عيينة، ما أخرجه أحمد والبخاري وأبو داود الطيالسي وغيرهم: أن أم أسماء المذكورة قدمت إليها بهدايا، فكرهت أن تقبل منها أو تدخلها بيتها، فسألت لها عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، وأخرج الحاكم والواحدي في سياق هذه القصة: أن عائشة سألت عن ذلك، فلا النبي ﷺ هذه الآية.

(٢) قوله: «كذا كان رسول الله ﷺ يحلفهن». روى ذلك عبد الرزاق عن قتادة السدوسي ومجاهد بن جبر ورحمهما الله تعالى، وروى البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية.

(٣) قوله: «بشرطه»، أي: بشروط النكاح المقررة شرعا.

﴿ولا تمسكوا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بعضكم الكوافر﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها، [أي: لعصمة النكاح] بشرطه، أو: اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه، [وهو دوام الردة إلى وفاء العدة، وهذا مذهب الشافعي^(١)] ﴿واسألوا﴾ اطلبوا ﴿ما أنفقتم﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد، ممن تزوجهن من الكفار ﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ على المهاجرات، كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ به ﴿والله عليم حكيم﴾. ١١ ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو: شيء من مهورهن، بالذهاب ﴿إلى الكفار﴾ مرتدات ﴿فعاقبتم﴾ فغزوتهم وغنمتم ﴿فأتوا﴾ [أعطوا] ﴿الذين ذهب أزواجهم﴾ من الغنمة ﴿مثل ما أنفقوا﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به، من الإتياء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم، [أي: نسخ].

١٢ ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن﴾ كما كان يفعل في الجاهلية، من وأد البنات، أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ أي: بولد ملقوطة، ينسبه إلى الزوج، ووصفه بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعت، سقط بين يديها وأرجليها ﴿ولا يعصينك في﴾ فعل ﴿معروف﴾ هو: ما وافق طاعة الله، كترك النياحة، وتمزيق الثياب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فبایعن﴾ فعل ﴿ذلك بالقول﴾، ولم يضاف واحدة منهن^(٢) ﴿واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾. ١٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ هم اليهود ﴿قد يشؤا من الآخرة﴾ أي: من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي، مع علمهم بصدقه ﴿كما يش الكفار﴾ الكائنون ﴿من أصحاب القبور﴾ أي: من المقبورين، من خير الآخرة، إذ تعرض عليهم [وهم في القبور]، مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سُورَةُ النِّسَاءِ: ٦٠

وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتُولُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنَ

أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۝

٧٣٧

(١) قولنا: «وهذا مذهب الشافعي» بيانه - في الردة - : إذا

ارتد الزوجان أو أحدهما عن الإسلام، ثم تاب المرتد في أثناء العدة أقرأ على أزواجهما، إذا كانت الزوجة مدخولاً بها، وإن انقضت العدة قبل التوبة فلا بد من عقد جديد، أما إذا كانت غير مدخول بها فإنها تبين في الحال، وهذا أيضاً مذهب الإمام أحمد، أما عند الأحناف: فإذا ارتد أحد الزوجين عن الإسلام، انفسخ النكاح ووقعت الفرقة بينهما للحال، بلا توقف على قضاء القاضي بذلك، وهذه الفرقة تنسخ لعقد الزواج ولا يحسب طلاقاً، وقال الحافظ ابن عبد البر في «الكافي» - في فقه المالكية - : وتبين منه امرأته في أول ردة بطلقة واحدة بائنة، فإن تاب قبل ولم ترجع إليه إلا بنكاح جديد. أرجع إلى تعليقنا حول «الردة» ص ٣٦٠.

(٢) قوله: «ولم يضاف» أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: فمن أقر بهذا الشرط - أي: الإيمان - من المؤمنات قال لها رسول الله: «قد بايعتك» كلاماً، أي: بالكلام لا باليد كما بايع الرجال، ولا والله ما ست يده يد امرأة قط في المبايعه، =

﴿سُورَةُ الصَّفِّ﴾ (١)

(مكة، أو مدنية، أربع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني والعشرون

(١١) سُورَةُ الصَّفِّ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَا شَمَانِجَ عَشِيرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوصَةٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي

١ ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
أي: نزهته، فاللام [في الله] مزيدة، وجيء
بـ «ما» [دون «من»]، تغليبا للأكثر، [أي: لغير
العاقل] ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾
في صنعه. ٢ [ونزل لما سمع أصحاب
النبي ﷺ مدح الجهاد وقالوا: «لئن لقينا قتالا
لنفرعن فيه ونسنا»، ففرؤوا يوم أحد: ﴿يا أيها
الذين آمنوا لم تقولون﴾ في طلب الجهاد ﴿ما
لا تفعلون﴾ إذ انهزمت بأحد؟ [استفهام على
جهة الإنكار].

٣ ﴿كبير عظم﴾ مقتا تمييز، [أي: بغضا]
﴿عند الله أن تقولوا﴾ فاعل «كبر» ﴿ما لا
تفعلون﴾. ٤ ﴿إن الله يحب﴾ ينصر ويكرم
﴿الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ حال، أي:
صافين ﴿كانهم بيوت مرسوص﴾ ملزق بعضه
إلى بعض، ثابت. ٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾ قالوا: إنه آذو^(٢)
أي: متنفخ الخضية، و[هو] ليس كذلك،
وكذبوه ﴿وقد﴾ للتحقيق^(٣) ﴿تعلمون أنني
رسول الله إليكم﴾ الجملة حال، والرسول
يُحترم ﴿فلما زاغوا﴾ عدلوا عن الحق
بإيذائه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أمالها عن
الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿والله
لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الكافرين في علمه.
٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال عيسى ابن مريم يا بني

ما يابعن إلا بقوله: «قد يابعتك على ذلك». وهذا دليل على عدم جواز مصافحة المرأة غير المحرم، خلافا لما يفعله كثير من الناس،
ظنا منهم أنها من «السلام»، ولقوله ﷺ: «إني لا أصافح النساء» وهو حديث صحيح رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

(١) قوله: «سورة الصف»، روى أحمد والترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فذاكرنا فقلنا:
لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، فأنزل الله تعالى سورة «الصف».

(٢) قوله: «قالوا إنه آذو»، أرجع إلى تعليقنا حول هذه القصة ٥٦١.

(٣) قوله: «للتحقيق»، أرجع إلى تعليقنا ص ٤٦٩.

إسرائيل ﴿لم يقل: يا قوم، لأنه لم يكن له فيهم قرابة، [لأنه خلق من غير أب] ﴿إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي﴾ قبلي ﴿من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾^(١)، قال تعالى ﴿فلما جاءهم﴾ جاء «أحمد» الكفار «بالبينات» الآيات والعلامات ﴿قالوا هذا﴾ أي: المجيء به «سحر»^(٢)، وفي قراءة: «ساحر»، أي: الجائي به «مبين» بين.

٧ ﴿ومن﴾ أي: لا أحد «أظلم» أشد ظلاماً «ممن افترى على الله الكذب» بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر «وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين» الكافرين.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦١

إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى
الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ يُرِيدُونَ
لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ
عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

٨ ﴿يريدون ليطفئوا﴾ منصوب بـ «أن» مقدرة، واللام مزيدة «نور الله» شرعه وبراهينه «بأفواههم» بأقوالهم: إنه «سحر، وشعر، وكهانة» «والله منكم» مظهر «نوره» وفي قراءة، بالإضافة «ولو كره الكافرون» ذلك.

٩ ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ [محمداً ﷺ] «بالهدى ودين الحق ليظهره» يعليه «على الدين كله» جميع الأديان المخالفة^(٣) «ولو كره المشركون» ذلك.

١٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة﴾^(٤) تنجيكم «بالتخفيف والتشديد» «من عذاب أليم» مؤلم، فكانهم قالوا: نعم، فقال:

١١ ﴿تؤمنون﴾ تدومون على الإيمان «بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» أنه خير لكم، فافعلوه.

١٢ ﴿يفسر﴾ جواب شرط مقدر، أي: إن تفعلوه يغفر «لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات

(١) قوله تعالى: «اسمه أحمد»، ارجع إلى تعليقنا حول «أسمائه» ص ٥٥٦.

(٢) قوله تعالى: «سحر»، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٣) قوله: «الأديان المخالفة»، هي: جميع الأديان ما عدا «الإسلام» الذي هو دين الله الذي لا يقبل من العباد سواه، وبه أرسل جميع الرسل، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٤) قوله تعالى: «هل أدلكم على تجارة»، الآية، إن من عادة الإنسان أنه يرغب في التجارة المربحة، ويقدر ما تكون التجارة ذات ربح يكون ميل الإنسان إليها ورغبته فيها، طمعاً بالربح الناتج عنها، مع ما فيها من تعب وعناء، لذلك خاطب الله تعالى المؤمنين بهذا الأسلوب الفريد، مرغياً في أمرين عظيمين هما: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وهذا العقد قائم في كل زمان، نزل به قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» الآية ١١١ سورة «التوبة»، قال شمرٌ - بكسر الشين وسكون الميم - بن عطية الأسدي رحمه الله: ما من مسلم إلا والله عز وجل في عنقه بيعة، وفي بها أو مات عليها، وقال بعضهم: من حمل - السلاح - في سبيل الله، فقد قبل هذا العقد ووفى به.

تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ ١٣ ﴿و﴾ يؤتكم نعمة ﴿أخرى تحبونها﴾ [هي] نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين بالنصر والفتح ١٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله لدينه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كما﴾ كان الحواريون كذلك، الدال عليه: ﴿قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله أي: من الأنصار الذين يكونون معي، متوجهاً إلى نصرته الله؟﴾ قال الحواريون نحن أنصار الله والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، [واسمهم مأخوذاً] من الحور، وهو: البياض الخالص، [أي: هم ذوو بياض خالص]، وقيل: [سموا بذلك، لأنهم] كانوا قصارين يحورون الثياب، أي: يبيضونها ﴿فأمنت طائفة من بني إسرائيل﴾ بعيسى ابن مريم، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وكفرت طائفة﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتلت الطائفتان ﴿فأيدنا﴾ قريناً ﴿الذين آمنوا﴾ من الطائفتين ﴿على عدوهم﴾ الطائفة الكافرة ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين.

البقرة

تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٥﴾

(١٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا إِخْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

٧٤٠

﴿سُورَةُ الْجُمُعَةِ﴾ (١)

(مدنية، إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يسبح لله﴾ ينزهه، فاللام زائدة ﴿ما في السماوات وما في الأرض﴾ في ذكر ﴿ما تغليب لأكثر [أي: لغير العاقل] الملك القدوس﴾ المنزه عما لا يليق به.

(١) قوله: «سورة الجمعة»، سميت هذه السورة بهذا لأن فيها ذكر «صلاة الجمعة»، ويوم «الجمعة» هو أفضل الأيام، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» وزاد في رواية له: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»، وصلاة الجمعة أفضل الصلوات، فقد أجمع العلماء على أنها فرض عين على كل مسلم ذكر، إذا توفرت سائر شرائطها المعروفة، لذلك حث رسول الله ﷺ

على الحرص على أدائها فقال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة واستمع وأصغت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا» رواه مسلم، قال النووي رحمه الله: فيه النهي عن مس الحصى وغيره من أنواع العبث - كالعبث بالشبحة - في حالة الخطبة، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة، والمراد بالقوله هنا: الباطل المذموم المردود، وقال الحافظ المنذري: معنى «لغا» قيل: خاب، أي: خسر من الأجر، وقيل: أخطأ.

كما حذر النبي ﷺ من تركها فقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه» رواه أبو دارود والنسائي.

وقد فرضت صلاة الجمعة والنبي ﷺ بمكة، ولم يصلها فيها، بل كانت أول جمعة صلاها تلك التي أقامها في بني سالم بن عوف، أول وصوله المدينة في المسجد الذي بطن الوادي المعروف اليوم بـ «مسجد الجمعة»، قرب مسجد «قباء»، فصلى بمن معه من المسلمين =

«العزیز الحکیم» في ملكه وصنعه. ٢ «هو الذي بعث في الأميين العرب، و «الأمي»: من لا يكتب، ولا يقرأ كتاباً «رسولاً منهم» هو: محمد ﷺ «يتلو عليهم آياته» القرآن «ويزكيهم» يطهرهم من الشرك «ويعلمهم الكتاب» القرآن «والحكمة» ما فيه من الأحكام «وإن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وإنهم «كانوا من قبل» [أي: من قبل] مجيئه «لفي ضلال مبين» بين. ٣ «وآخرين» عطف على «الأميين»، أي: الموجودين «منهم» والآتين منهم بعدهم «لما» لم «يلحقوا بهم» في السابقة [إلى الإسلام] والفضل «وهو العزیز الحکیم» في ملكه وصنعه، وهم التابعون، والاقتصار عليهم، كافٍ في بيان فضل الصحابة، المبعوث فيهم النبي ﷺ، على من عداهم، ممن بُعث إليهم وأمنوا به، من الإنس والجن، إلى يوم القيامة، لأن كل قرن

سورة الحجرات ٦٢

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ

٧٤١

خير ممن يليه (١). ٤ «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» [أي: النبي ﷺ] ومن ذكّر معه «والله ذو الفضل العظيم». ٥ «مثل الذين حملوا التوراة» كلّفوا العمل بها «ثم لم يحملوها» لم يعملوا بما فيها، من نعته ﷺ، فلم يؤمنوا به «كمثل الحمار يحمل أسفاراً» أي: كتباً، في عدم انتفاعه بها «بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله» المصدّقة للنبي ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: «هذا المثل» «والله لا يهدي القوم الظالمين» الكافرين.

٦ «قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله» [أي: أحباء له] «من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» تعلق بتمنيه الشيطان، على أن الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء [الله]، والولي يؤثر الآخرة، ومبدؤها الموت، فتمنوه.

٧ «ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم» من كفرهم بالنبي ﷺ المستلزم لكذبهم «والله عليم بالظالمين» الكافرين.

٨ «قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه» الفاء زائدة «ملايكم» [أي: واقع بكم لا محالة] «ثم تردون إلى عالم الغيب

«وكانوا مائة، والصحيح أن الجمعة صلاة مستقلة، وليست ظهراً مقصوراً لقول عمر بن الخطاب رضي الله

عنه: «الجمعة ركعتان، تمام غير قصر، على لسان نبيكم ﷺ»، وقد خاب من افترى» رواه أحمد وغيره، ولكن من فاتته صلاة الجمعة صلى الظهر أربعاً.

(١) قوله: «لأن كل قرن خير ممن يليه»، روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»، أي: هم حريصون على ترويج شهادتهم، ويستهيئون بأمر الشهادة واليمين، وفي رواية للترمذي والحاكم: «ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوا»، أي: تظهر عليهم آثار الترف وحب الدنيا، قال ابن الأباري في قوله ﷺ، «قرني»، «المعنى: أهل قرني» فحذف المضاف، ويسمى أهل العصر قرناً لاقرانهم في الوجود، وقال القرطبي: القرن من الناس هم أهل زمان واحد، أما مدة القرن فاختلف فيها، فقيل: هو ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل: مائة، وقيل غير ذلك.

والشهادة ﴿السر والعلانية﴾ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿فيجازيكم به﴾ ٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة﴾ (١) من ﴿بمعنى﴾ في ﴿يوم الجمعة فاسعوا﴾ فامضوا ﴿إلى ذكر الله﴾ أي: الصلاة ﴿وذروا البيع﴾ أي: اتركوا عقده ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير، فافعلوه... ١٠ ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ أمر بإباحة ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿من فضل الله واذكروا الله﴾ ذكرًا ﴿كثيراً لعلكم تفلحون﴾ تفوزون... ١١ [روى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: [كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير، وضرب لقدميها الطبل، على العادة، فخرج لها الناس من المسجد، غير اثني عشر رجلاً فتزل: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ أي: التجارة، لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وتركوك﴾ في الخطبة ﴿قائماً قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير﴾ للذين آمنوا ﴿من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي: من رزق الله تعالى.

سورة المائدة

وَالشَّهَادَةُ فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سورة المائدة

(مدنية، إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا﴾ بالسنتهم، على خلاف ما في قلوبهم ﴿نشهد أنك لرسول الله

(١) قوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة... الآية

«الأذان»: سنة مؤكدة للصلوات الخمس والجمعة، وهو من شعائر الإسلام، وهو في اللغة: «الإعلام»، وفي الاصطلاح: الألفاظ المعهودة التي يؤذن بها للصلاة وهي: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الصلاة، الله أكبر، الله أكبر. لا إله إلا الله» ويزيد المؤذن عليها في أذان الفجر بعد: «حي على الفلاح» الثانية: «الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم»، لما صح من أن النبي ﷺ أمر بذلك بلا لرضي الله عنه، فهذه هي ألفاظ الأذان التي أمر النبي ﷺ بالأذان بها، وهي التي علمها للمؤذن كما سيأتي، فكل زيادة في الأذان، أو قبله، أو بعده، بدعة مردودة.

(٦٣) سُوْرَةُ الْمُنَافِقُوْنَ مَدْنِيَّةٌ وَأَيَّاهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

وكان بدء الأذان في المدينة، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فينبئون الصلاة - أي: يقدرون حينها، ليدركوها في الوقت - ليس ينادي لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر: ألا تبغون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فناد بالصلاة». وذلك أنه بعد اجتماع الصحابة هذا، وتشاورهم مع النبي ﷺ افرقوا، فرأى أحدهم - هو: عبد الله بن زيد - في المنام رجلاً يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله... أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعوه به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ =

والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد يعلم ﴿إن المنافقين لَكاذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفاً لما قالوه.

٢ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ ستره عن أموالهم ودمائهم، [فتظاهروا بالإسلام حماية لها] ﴿فَصَدُّوا﴾ بها. ﴿عن سبيل الله﴾ أي: الجهاد فيه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٣ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب، أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾ ختم ﴿على قلوبهم﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

٤ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم،

في ترك التفهم ﴿خَشَبٌ﴾ بسكون الشين وضمها ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ ممالة إلى الجدار، [أي: لا يسمعون ولا يعقلون، أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام] ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ﴾ تصاح، كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عليهم﴾ لما في قلوبهم من الرعب، أن يتزل فيهم ما يبيع ذمائمهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ﴾ أهلهم ﴿أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان، بعد قيام البرهان؟

٥ [وقيل لعبد الله بن أبي السَّلُولي المنافق: إنه قد نزل فيك آي شدداد، وهي التي ستأتي، رداً على قوله: لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فجعل يلوي رأسه فنزل:] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ لووا بالتشديد والتخفيف: عطفوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون يعرضون عن ذلك ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

٦ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستغفار عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ إن الله لا يهدي القوم الفاسقين [الكافرين].

٧ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم ﴿مَنْ الْأَنْصَارُ﴾ لا تنفقوا على من

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾
وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ
صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى
يُؤفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَوْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ

فقلت: بل، فقال لي أكبر: وذكر الأذان للإقامة. يقول عبد الله بن زيد: لما أصبحت أمت رسول الله ﷺ فأخبرتني بما رأيت فقال: إنها لرويا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فأتى عليه ما رأيته، فليؤذن به فإنه أُنْذِيَ منك صوتاً، فقم مع بلال، فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به، قال: فسمع عمر ذلك وهو في بيته، فجعل يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأي، فقال رسول الله ﷺ: «فلله الحمد» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ بِتَمَامِهِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ كَلِمَاتُ الْأَذَانِ وَلَا الْإِقَامَةَ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَلَمْ يَذْكُرْ لَفْظَ الْإِقَامَةِ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُمْ، وَقَدْ اشتهر عبد الله بن زيد بهذا حديث الأذان الذي تداوله فقهاء الإسلام بالقبول، قال ابن الجوزي في «التحقيق»: حديث عبد الله بن زيد هو أصل التأذين، وهكذا علمه رسول الله ﷺ لأبني محذورة المؤذن، وأذن به المسلمون، ولا يزالون، وسيظلون كذلك إلى ما شاء الله تعالى.

عند رسول الله ﷺ من المهاجرين حتى ينفضوا. يتفرقوا عنه ﷻ خزائن السماوات والأرض ﷻ بالرزق، هو الرزاق للمهاجرين وغيرهم ﷻ ولكن المنافقين لا يفقهون ﷻ [ذلك]. ٨ يقولون لئن رجعنا ﷻ أي: من غزوة بني المصطلق ﷻ إلى المدينة ليخرجن الأعز ﷻ عنوا به أنفسهم ﷻ منها الأذل ﷻ عنوا به المؤمنين ﷻ والله العزة ﷻ الغلبة ﷻ ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﷻ ذلك. ٩ يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم ﷻ تشغلكم ﷻ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﷻ الصلوات الخمس ﷻ ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﷻ. ١٠ وأنفقوا ﷻ في الزكاة ﷻ مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا ﷻ بمعنى «هلاً»، أو: «لا»، زائدة، و «لو» للتمني ﷻ أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ﷻ

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ ٦٣

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُوا ﷻ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﷻ يَقُولُونَ
لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﷻ
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﷻ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﷻ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﷻ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﷻ
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﷻ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﷻ

بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتصدق
بالزكاة ﷻ «وأكون» ﷻ [بالواو ونصب النون،
عطفاً على «فأصدق»]، وفي قراءة:
«وأكن»، بجزم النون وحذف الواو لالتقاء
الساكنين، عطفاً على موضع الفاء، لأنه
لو لم تكن الفاء في: «فأصدق» لكان
مجزوماً ﷻ [من الصالحين] ﷻ بأن أحج،
قال ابن عباس: ما قصر أحد في الزكاة
والحج، إلا سأل الرجعة عند الموت، [رواه
الترمذي].

١١ «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها»
[فلكل نفس أجل، لا يتقدم ولا يتأخر،
ولا يمنع الموت فيه مانع، قال تعالى:
«أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة»] ﷻ «والله خير بما
تعملون» ﷻ بالتاء والياء، [فأحسنوا العمل
في حياتكم الدنيا، فهي مزرعة الآخرة].

(١) قوله تعالى: «هم الذين يقولون» الآية ٧، وقوله:
«يقولون لئن رجعنا» الآيتين ٧ و ٨.

أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله
عنه قال: سمعت عبد الله بن أبي المنافق يقول
لأصحابه: «لا تنفقوا علي من عند رسول الله ﷺ حتى
ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
الأذل» فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عني للنبي ﷺ،
فدعاني النبي ﷺ، فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى

عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا: فكذبني وصدقه، فأصابني شيء لم يصني مثله، فجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلى أن
كذبك رسول الله ﷺ ومثلك؟ فأنزل الله: «إذا جاءك المنافقون» فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأ ما ثم قال: «إن الله قد صدقك».

(٢) قوله: «من غزوة بني المصطلق»، المصطلق: هو جذيمة بن كعب الخزاعي، ولقبه هذا هو «مفتعل» من: «الصلقي» وهو الصوت الشديد وتسمى
هذه الغزاة: «غزوة المريسيع» وهو ماء لخزاعة، وهو من قولهم: رشت العين، إذا دمت من فساد، كانت هذه الغزوة في شعبان سنة ست
للهجرة، وسببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجمعون له بقيادة الحارث بن أبي ضرار والد السيدة: «جوزية بنت الحارث» التي
تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذه الغزوة، فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: «المريسيع» من ناحية قديد - اسم موضع قرب مكة إلى
ساحل البحر الأحمر - فتزاحف الناس واقتلوا، فهزم الله بني المصطلق، ثم قتل رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، وأثناء عودته كانت =

﴿سُورَةُ النَّجْمِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثماني عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يترحه، فاللام زائدة، وأتى بـ «ما» دون، «مَنْ» تغليباً للكثر ﴿لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ^(١) وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يميّتكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٣ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ﴾ [كما شاء] ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال، [ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم] ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ [يوم القيامة] ٤ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ٥ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؟

سُورَةُ النَّجْمِ ٦٤

(٦٤) سُورَةُ النَّجْمِ مَلَانِي
وَأَيَّانَهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمَلِكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۝ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝

٧٤٥

= قصة «الإفك» التي تولاها عبد الله بن أبي السلولي المنافق ونُفِرَ قليل من المسلمين، كما تقدم في سورة «النور» ص ٤٥٨.

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، ثم قول المؤلف الجلال المحلي في تفسيره: «في أصل الخلقة» أي: خلقهم الله تعالى على هذه الصفة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ويُعيدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً، وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». قال القرطبي في تفسيره: «قال علماؤنا، والمعنى تعلق العلم الأزلي بكل معلوم، فيجري ما علم الله وأراد وحكم، فقد

يزيد إيمان شخص على عموم الأحوال، وقد يريده إلى وقت معلوم، وكذلك الكفر». وقال القرطبي ناقلاً قولاً آخر في تفسير هذه الآية: «وقال جماعة من أهل العلم: إن الله خلق الخلق ثم كفره وأمره، أي: آمن بعض وكفر بعض. وأضاف القرطبي قائلاً: «والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة: أن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان، فالؤمن يؤمن ويختار الإيمان بعد خلق الله إياه، والكافر يكفر واختار الكفر بعد خلق الله إياه، لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه، ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدور عجز، ووجود خلاف المعلوم جهل، ولا يليقان بالله تعالى». اهـ.

فالإنسان يؤمن أو يكفر باختاره وكسبه، وهو مأمور ومنهي، وعلى ذلك سيحاسب يوم القيامة، أما ما في علم الله تعالى فهو غيب لا يعلمه الإنسان، أرجع إلى تعليقنا ص ١٨٨.

٦ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿بأنه﴾ ضمير الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فقالوا أبشر﴾ أريد به الجنس ﴿يهدوننا؟ فكفروا وتولوا﴾ عن الإيمان ﴿واستغنى الله﴾ عن إيمانهم ﴿والله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في أفعاله.

٧ ﴿زعم الذين كفروا أن﴾ مخففة، واسمها محذوف، أي: أنهم ﴿لن يبعثوا قل﴾ [يا محمد] ﴿بلى وربي لتبعثن﴾ [بعد الموت، من قبوركم أحياء] ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ [أي: بأعمالكم، ثم تجازون عليها] ﴿وذلك على الله يسير﴾.

الْبَيِّنَاتُ الْغَيْبِيَّةُ

٨ ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور﴾ القرآن ﴿الذي أنزلنا﴾ [على رسولنا محمد] ﴿والله بما تعملون خبير﴾ [فيجازيكم به].

٩ اذكر ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يَغْنُ المؤمنون^(١) الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة لو آمنوا ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله﴾ وفي قراءة: [«نكفر» و«ندخله»]، بالنور في الفعلين ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

١٠ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ هي.

١١ ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ بقضائه ﴿ومن يؤمن بالله﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يهد قلبه﴾ للصبر^(٢) عليها ﴿والله

(١) قوله: «يَغْنُ المؤمنون الكافرين»، «التغابن»: أن يغيب القوم بعضهم بعضاً، وهو من: «غَبَنَ يَغْنِي» ومصدره: «الغبن» والاسم منه «الغبين»، وأصله:

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُودُنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ

الغبن في البيع أو الشراء، يقال: غبنه في البيع إذا خدعه، والمغبون: هو المخدوع أي: الطرف الخاسر، والكافر مغبون يوم القيامة، أي: خسر آخرته، ويسمي هذا الخسران تغابياً - مع أنه من طرف واحد - لأن الكافر كان في الدنيا يحسب أنه يحسن صنعاً بكفره، فلما جاء يوم القيامة تبين له أنه كان مخدوعاً، قد خدعه الشيطان وغرّه، وأن المؤمن كان عاقلاً واعياً، ففاز وأفلح. وهذا التغابن في الآخرة، هو أيضاً الإرث المذكور في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقياً﴾ أي: يأخذ المؤمن مكانه ومكان كافر لو كان آمن لدخل الجنة، وكذلك يأخذ الكافر مقعد المؤمن في النار لو لم يكن آمن، فلكل إنسان نعيم في الجنة لو آمن، وعذاب في النار لو كفر، فيرث كل مكان الآخر. (٢) قوله: «للصبر عليها» أي: على المصيبة، أرجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

بكل شيء عليم ﴿١٣﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴿١٤﴾ البيّن، [وهذا تهديد ووعيد، لمن يعصي الله ورسوله].

﴿١٣﴾ الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٤﴾

﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴿١٥﴾ أن تطيعوهم، في التخلف عن الخير، كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية، الإطاعة في ذلك ﴿١٦﴾ وإن تعفوا عنهم، في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير، مُعتَلِّين بمشقة فراقكم عليهم ﴿١٧﴾ وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴿١٨﴾

﴿١٥﴾ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴿١٦﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿١٧﴾ والله عنده أجر عظيم ﴿١٨﴾ فلا تفوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

﴿١٦﴾ فاتقوا الله ما استطعتم ﴿١٧﴾ ناسخة لقوله: «اتقوا الله حق تقاته» ﴿١٨﴾ واسمعوا ﴿١٩﴾ ما أمرتم به، سماع قبول ﴿٢٠﴾ وأطيعوا ﴿٢١﴾ [الله] ﴿٢٢﴾ وأنفقوا ﴿٢٣﴾ في الطاعة ﴿٢٤﴾ خيراً لأنفسكم. خبر «يكن» مقدرة، جواب الأمر، [أي: أنفقوا يكن خيراً لكم] ﴿٢٥﴾ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿٢٦﴾ الفائزون.

﴿١٧﴾ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً ﴿١٨﴾ [بأن تصدقوا عن طيب قلب] ﴿١٩﴾ يضاعفه لكم ﴿٢٠﴾ وفي قراءة: «يضعفه» بالتشديد، بالواحد عشر، إلى سبعمائة وأكثر ﴿٢١﴾ ويغفر لكم ﴿٢٢﴾ ما يشاء ﴿٢٣﴾ والله شكور ﴿٢٤﴾ مجاز على الطاعة ﴿٢٥﴾ حلیم ﴿٢٦﴾ في العقاب على المعصية.

﴿١٨﴾ عالم الغيب ﴿١٩﴾ السر ﴿٢٠﴾ والشهادة ﴿٢١﴾ العلانية ﴿٢٢﴾ العزيز ﴿٢٣﴾ في ملكه ﴿٢٤﴾ الحكيم ﴿٢٥﴾ في صناعته.

(١) قوله: «فإن سبب نزول الآية...»، أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما وصحاحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: نزلت هذه الآية ﴿١٤﴾ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴿١٥﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه، فأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا

الناس قد فقّهوا، فهُتُوا أن يعاقبهم، فأنزل الله ﴿١٦﴾ وإن تعفوا وتصفحوا ﴿١٧﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار رحمه الله قال: نزلت سورة «التغابن» كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: ﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ﴿١٥﴾ فاحذروهم ﴿١٦﴾ فتركوا في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوا فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم، فنزلت هذه الآية، وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة. فالعداوة المعنية في هذه الآية، ليست عداوة البغضاء والكراهية التي تقع بين الإنسان وزوجته وأولاده أحياناً لخلاف أو خصام، بل الآية تحذير للمسلم من الانسياق مع عاطفته ومحبته لأهله، إلى حد يؤدي به إلى ترك العمل الصالح، ومخالفة أمر الله تعالى، وهذه الآية أصل للقاعدة الشرعية الواردة في قوله ﷺ فيما رواه أحمد والحاكم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا طاعة لأحد في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»، أي: فيما وافق حكم الشرع.

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿١٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَلِمَآ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِنْ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ

﴿سُورَةُ الطَّلَاقِ﴾

(مدنية، ثلاث^(١) عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد [هو] وأمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾

لعدتهن ﴿لأولها﴾، بأن يكون الطلاق في طهر لم تُمسَّ فيه، لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان^(٢) ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ احفظوها لترجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ زناً ﴿مُبَيَّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرهما، أي: بيّنت، أو بيّنة، فيُخْرِجْنَ لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ الطَّلَاقَ﴾ أمراً ﴿مَرَّجَةً﴾، فيما إذا كان [الطلاق] واحدة أو اثنتين، [أما الطلاق الثالث، فلا تحل له من بعده، حتى تنكح زوجاً غيره].

٢ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قارين انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة، ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق^(٣) ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهدود عليه، أو [للمشهدود] له ﴿ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(١) قوله: «ثلاث عشرة آية»، هذا قول، وقيل: اثنتا عشرة آية، وقيل: إحدى عشرة.

(٢) قوله: «رواه الشيخان»، أي: وأصحاب السنن أيضاً - واللفظ للبخاري - عن عبد الله بن عمر بن الخطاب

سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ - أي: غضب - فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها ظاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة كما أمره الله»، وطلاق البذعة المخالف لطلاق السنة حرام، وموقعه أتم، ولكن طلاقه هذا واقع عند الجمهور، وعلى ولي الأمر تأديبه على مخالفته السنة، ولو أن أولياء الأمور في بلاد الإسلام - وهو واجبهم - أدبوا أولئك الجهلة العابثين في أحكام الطلاق وغيرها، لأنقذوا كثيراً من الأسر من الضياع، ولانضبط الناس، فلا يوقعون الطلاق إلا طبقاً للسنة النبوية الشريفة.

(٣) قوله: «على المراجعة أو الفراق»، هذا ليس على إطلاقه، ولا هو على سبيل الوجوب، فينبغي بيانه بأن الإشهاد على إرجاع المطلقة طلاقاً رجعياً، أو على حصول طلاق بين زوجين إنما هو للاحتياط خوف الجحود، فالأمر للندب لا للوجوب، والآية أصل في الشهادة.

الله يجعل له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة. ٣ ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [بتنوين «بالغ» ونصب «أمره»]، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ كَرْحًا وَشَدَّةً قَدْرًا﴾ ميقاناً. ٤ ﴿وَاللَّاتِي﴾ ^(١) بهمة وياء، وبلا ياء في الموضعين: [هذا والذي بعده] «يئسن من المحيض» بمعنى الحيض «من نسائكم إن ارتبتم» شككتم في عدتهن «فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن» لصغرهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن، أما هن، فعدتهن ما في آية [«البقرة»]: «يترصدن

بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا» «وأولات الأحمال أجلهن» [أي: انقضاء عدتهن، مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن]: «أن يضعن حملهن»، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا في الدنيا والآخرة. ٥ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة «أمر الله» حكمه «أنزله إليكم» ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا. ٦ ﴿أَسْكُنُوهُنَّ﴾ أي: المطلقات «من حيث سكنتم» أي: بعض مساكنكم «من وجدكم» أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف، أي: أمكنة سعتكم، لا مادونها «ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن» المساكن، فيحتجن إلى الخروج، أو: النفقة، فيفتدين منكم «وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم أولادكم فمنهن فأتوهن أجورهن» على الرضاع «وأتوهن بينكم» وبينهن «بمعروف» [أي: وليأمر بعضكم بعضاً]، بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم للرضاع «وإن تعاسرتم» تضايقتن في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله «فسترضع له» للأب «أخرى» ولا تكره الأم على إرضاعه ^(٢). ٧ ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمرضعات.

سُورَةُ الطَّلَاقِ ٦٥

اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا ١ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ٢ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٣ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ٤ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٥ وَاللَّاتِي ٦ يئسن من المحيض ٧ إن ارتبتم ٨ فعدتهن ثلاثة أشهر ٩ وَاللَّاتِي ١٠ لم يحضن ١١ وأولت ١٢ الأحمال أجلهن ١٣ أن يضعن حملهن ١٤ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا ١٥ ذَلِكَ ١٦ أمر الله أنزله ١٧ إليكم ١٨ ومن يتق الله يكفر عنه ١٩ سيئاته ٢٠ ويعظم له ٢١ أجرًا ٢٢ أسكنوهن ٢٣ من حيث سكنتم ٢٤ من وجدكم ٢٥ أي: سعتكم ٢٦ عطف بيان ٢٧ أو بدل مما قبله ٢٨ بإعادة الجار ٢٩ وتقدير مضاف ٣٠ أي: أمكنة سعتكم ٣١ لا مادونها ٣٢ ولا تضاروهن ٣٣ لتضيقوا عليهن ٣٤ المساكن ٣٥ فيحتجن ٣٦ إلى الخروج ٣٧ أو: النفقة ٣٨ فيفتدين ٣٩ منكم ٤٠ وإن كن أولات حمل ٤١ فأنفقوا عليهن ٤٢ حتى يضعن حملهن ٤٣ فإن أرضعن ٤٤ لكم فأتوهن ٤٥ أجورهن ٤٦ وأتمروا ٤٧ بينكم ٤٨ بمعروف ٤٩ وإن تعاسرتم ٥٠ فسترضع ٥١ له ٥٢ أخرى ٥٣ لينفق ٥٤

(١) قوله تعالى: «واللاتي يئسن» أخرج ابن جرير، وإسحاق بن راهويه، والحاكم وغيرهم، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية التي في «سورة البقرة» في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار وأولات الأحمال فأنزلت «واللاتي يئسن من المحيض» الآية، قال السيوطي في «لباب النقول»: صحيح الإسناد.

(٢) قوله: «ولا تكره الأم على إرضاعه»، هذا الإطلاق هو قول الشافعي رحمه الله، أي: سواء أكانت زوجة أم مطلقة، وقال مالك رحمه الله: يلزم الزوجة الإرضاع بنفسها إن كان بها لبن، وكان شأنها ذلك، بأن لم تكن من بنات الأشراف اللاتي ليس من عادتهن الإرضاع، وهذا إذا كانت الزوجية قائمة. وللمرضع والدلة الرضيع أخذ أجره الرضاع كالأجنبية، إذا كانت مطلقة باتفاق العلماء عملاً بهذه الآية الكريمة، وليس للام الامتناع =

﴿ذو سعة من سعته ومن قدر﴾ ضيق ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه﴾ أعطاه ﴿الله﴾ أي: على قدره ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ وقد جعله بالفتوح.

٨ ﴿وكأين﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي»، بمعنى: «كم» ﴿من قرية﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عنت﴾ عصت، يعني: [عصى] أهلها ﴿عن أمر ربها ورسله فحاسبناها﴾ في الآخرة، [وعبر بصيغة الماضي] - وإن لم تجيء [المحاسبة بعد] - لتحقيق وقوعها ﴿حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً﴾ بسكون الكاف وضمها: فظيعاً، وهو عذاب النار.

الْبَابُ الثَّانِي

٩ ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ عقوبته ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ خساراً وهلاكاً.

١٠ ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ تكرير الوعيد تأكيد ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أصحاب العقول ﴿الذين آمنوا﴾ نعت للمنادي، أو: بيان له ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ هو القرآن.

١١ ﴿رسولاً﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر، أي: وأرسل [إليكم رسولاً] ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ بفتح الباء [أي: يبينت]، وكسرهما [أي: بينة]، كما تقدم [في قوله تعالى: «بفاحشة مينة» في أول السورة] ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿من الظلمات﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إلى النور﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً﴾ يدخله ﴿وفي قراءة بالنون﴾ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴿هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعيمها﴾.

١٢ ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض﴾

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۖ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۖ ۝

= عن الإرضاع، بل تجبر على ذلك في الحالات التالية: إن لم يقبل الثدي غيرها، أو عُدِمَ الأب، أو كان حياً ولكنه أعسر بأجرنتها حيث تستحقها. وقد أجمع العلماء على أن الرضاعة بشرطها المقررة شرعاً، تفيد التحريم بين الرضيع ومرضعته وأقاربها، كما تفيد قرابة النسب، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «يحرم من الرضاعة»، وفي رواية: «من الرضاع، ما يحرم من النسب» رواه الشيخان وغيرهما، أي: أن المرأة المرضع تصبح أمّاً من الرضاعة للرضيع، وزوجها والدّه، وأولادها جميعاً إخوتة وأخواته، ويصبح إخوتها وأخواتها: أخواله وخالاته، إلخ... فلا يجوز لهذا الرضيع زواج واحدة منهن بسبب حرمة الرضاعة، وللعلماء في هذا الباب تفصيل واستثناءات لا مجال لذكرها هنا، فيجب على الجميع، - وخاصة المرضعات - الاعتناء بأمر «الإرضاع» إذا حصل، وحفظه وإشهاره حتى يعرف بين الناس، ليحول ذلك دون زواج المحرم، الذي انفردت بتحريمه الشريعة الإسلامية السمحة.

مثلهن يعني: سبع أرضين ﴿ينزل الأمر﴾ الوحي [وقيل: القضاء والقدر، قال القرطبي: وهو قول الأكثرين] ﴿بينهن﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل من السماء السابعة، إلى الأرض السابعة ﴿لتعلموا﴾ متعلق بمحذوف أي: أعلمكم بذلك الخلق والتزليل، [لتعلموا] ﴿أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾.

﴿سُورَةُ الرَّحْمَنِ﴾

(مدنية، اثنا عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ؟﴾ من أمتك «مارية» القبطية، لَمَّا واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت، وشتق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها، حيث قلت: «هي حرام علي»^(١) ﴿تبني﴾ بتحريمها «مرضات أزواجك» أي: رضاهن «والله غفور رحيم» غفر لك هذا التحريم. ٢ ﴿قد فرض الله﴾ شرع ﴿لكم تحلة أيمانكم﴾ تحليتها بالكفارة المذكورة في «سورة المائدة»، [كما سبق بيانه ص ١٥٤]، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفر ﴿عن يمينه؟﴾ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية، وقال الحسن [البصري]: لم يكفر، لأنه ﴿مغفور له﴾ «والله مولاكم» ناصركم «وهو العليم الحكيم». ٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه﴾ هي: «حفصة» «حديثاً» هو تحريم «مارية»، وقال لها: «لا تنسبه» «فلما نبأت به» «عائشة»، ظناً منها أن لا حرج في ذلك «وأظهره الله﴾ أطلع «عليه» «على النبأ» به «عرّف بعضه» لحفصة «وأعرض عن بعض» تكرماً منه «فلما نبأها به قالت من أنباءك هذا قال نبأني العليم

(١) قوله: «حيث قلت: هي حرام علي»، ما ذكره المؤلف المحلي في سبب نزول الآيات، من تحريم «مارية» رواه الحاكم والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن الذي في الصحيحين وغيرهما أنها نزلت

في تحريمه ﷺ العسل على نفسه، قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ثبت في الصحيح عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمسك عندها، فتراضيت أنا وحفصة على: أننا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير - وهو شيء فيه حلاوة وله رائحة مثيرة - قال: «لا ولكني شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه وقد حلفت، لا تخبري أحداً»، يبتغي مرضاة أزواجه، وأما من روى أنه حرم مارية فهو أقرب إلى المعنى، لكنه لم يلدن في صحيح. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السبين معاً، وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجري ما جرى، فحلف أن لا يشربه وأسر ذلك إليهما، ونزلت الآية في الجميع. اهـ.

وأياً كان سبب النزول، فالحكمة واضحة هي: أن لا يخجل الإنسان من عمل المباح الذي أباحه الله تعالى للإنسان، ولا من تعاطي الحلال، ولو كان ذلك مستغرباً عند بعض الناس، كمثل تعدد الزوجات، فإن كثيراً من الناس يعددون على خجل من الناس رغم قدرتهم على ذلك واستعدادهم للعدل بينهن.

(٣) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَا عَشَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ

الخير ﴿أي: الله﴾ ٤ ﴿إن توبوا﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ مالت إلى تحريم مارية، [أو: العسل]، أي: سرّكما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف، أي: تُقبلا، وأطلق: ﴿قلوب﴾ على ﴿قلبين﴾، ولم يعبر به، لاستئصال الجمع بين تثنيتين، فيما هو كالكلمة الواحدة، [أي: المضاف والمضاف إليه] ﴿وإن تظاهرا﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها: تتعاوننا ﴿عليه﴾ أي: النبي، فيما يكرمه ﴿فإن الله هو﴾ [ضمير] فصل ﴿مولاه﴾ ناصره ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾ أبو بكر وعمر [وغيرهما]، معطوف على محل اسم ﴿إن﴾، فيكونون ناصريه [أيضاً] ﴿والملائكة بعد ذلك﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظهري﴾، ظهراء، أعوان له في نصره عليكم، [روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ﷺ: ﴿إنما وليي الله وصالح المؤمنين﴾].

٥ ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أن يبدله﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أزواجاً خيراً منكن﴾ خبر ﴿عسى﴾، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل، لعدم وقوع الشرط، [وهو الطلاق] ﴿مسلمات﴾ مقرات بالإسلام ﴿مؤمنات﴾ مخلصات ﴿قانتات﴾ مطيعات ﴿تاتيات عابדות سائحات﴾ صائحات، أو مهاجرات، ﴿ثيات وأبكاراً﴾.

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم بالحمل على طاعة الله﴾ ناراً وقودها الناس ﴿الكفار﴾ والحجارة ﴿كأصنام منها﴾، يعني: أنها مفرطة الحرارة، تتقد بما ذكر، لا كنار الدنيا، تتقد بالحطب ونحوه ﴿عليها ملائكة﴾ خزنتها، عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في ﴿المدثر﴾ ﴿غلاظ﴾ من: غلظ القلب ﴿شداد﴾ في البطش ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ بدل من لفظ الجلالة، أي: لا يعصون أمر الله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم.

٧ ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ يقال لهم ذلك، عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي: جزاءه. ٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾^(١) بفتح النون وضمة: صادقة، بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿عسى ربكم﴾ ترجية تقع [لا محالة] ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾ بساين ﴿تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله النبي﴾

٧ ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ يقال لهم ذلك، عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي: جزاءه.

٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾^(١) بفتح النون وضمة: صادقة، بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿عسى ربكم﴾ ترجية تقع [لا محالة] ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾ بساين ﴿تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله النبي﴾

الْحَبِيرُ ﴿١﴾ إِنَّ تُوباً إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٢﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خيراً مِنْكُنَّ مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَلْبِسَاتٍ عِيدَاتٍ سَلَّحَاتٍ ثَبَّاتٍ وَأَبْكَاراً ﴿٣﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُحْزَى اللَّهُ النَّبِيُّ

نصوحاً﴾^(١) بفتح النون وضمة: صادقة، بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿عسى ربكم﴾ ترجية تقع [لا محالة] ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾ بساين ﴿تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله﴾

(١) قوله تعالى: ﴿توبة نصوحاً﴾. «التوبة» واجبة على العبد من كل ذنب وعلى الفور، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحَّت توبته عن ذلك البعض، وبقي عليه الباقي حتى يتوب منه، وتكون التوبة نصوحاً إذا تاب ولم يعد إلى ذلك الذنب أبداً، فإن عاد لم تكن توبته نصوحاً، ولكن لا تنقُص توبته التي تابها، فإن تاب في المرة الثانية قبلت توبته، وهكذا كلما أذنب وتاب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه، فلا يضره، روى ذلك الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه، من غير إقلاع عنه ثم يعاوده، =

والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم ﴿أمامهم﴾ [على الصراط، يملكون فيه] ﴿و﴾ يكون ﴿بأيامهم﴾ [في كتب أعمالهم] ﴿يقولون﴾ مستأنف ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿واغفر لنا﴾ على كل شيء قدير ﴿٩﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة واغلظ عليهم ﴿بالانتهاز والمقت﴾ وماوأهم جهنم وبئس المصير ﴿هي﴾ ١٠ ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ في الدين، إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح، واسمها «واهلة»، تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط، واسمها «واعله»، تدل قومه على أضيافه، إذا نزلوا به، ليلاً، بإيقاد النار، ونهاراً بالتدخين ﴿فلم يغنيا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عنهما من الله﴾ من عذابه ﴿شيئاً وقيل﴾ لهما ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

سورة التين

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنِيَءٌ وَكَانَتْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٢﴾

٧٥٣

١١ ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أنت بموسى، واسمها «آسية»، فعذبها فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحي عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها، ظللتها الملائكة ﴿إذ قالت﴾ في حال التعذيب ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ فكشف لها فراته، فسهل عليها التعذيب ﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ وتعذيبه ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال [طاووس] بن كيسان [اليمني]: رُفِعَتْ إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب، [والصحيح]: أنها ماتت بالتعذيب، كما ذكره ابن جرير الطبري وغيره، لأن دخول الجنة، لا يكون إلا بعد الموت.

١٢ ﴿ومريم﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ابنة عمران التي أحصنت فرجها حفظته ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ أي: [من] جبريل، حيث نفخ في جيب درعها، بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى، ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ شرائعه ﴿وكتبه﴾ المنزل ﴿وكانت من القانتين﴾ من القوم المطيعين.

فإن هذه توبة الكذابين، ولا بد لصحة التوبة من شروط بحسب المعصية، فإذا كانت المعصية بين العبد وربه، فالتوبة منها ثلاثة شروط هي: ترك المعصية فوراً، والتندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها أبداً، وإن كانت تتعلق بحق آدمي، كالضرب بغير حق، وأكله مال غيره ظلماً، والغية إذا بلغت المغتاب، فلا بد من شرط رابع هو: أن يبرأ من حق صاحبها، يرد المال أو تمكين غيره من القصاص، أو استرضاء صاحب الحق، كما يشترط لقبول التوبة أن تكون قبل بلوغ الروح الحلقوم عند الموت، لما رواه الترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»، ولا تصح التوبة عند وقوع العذاب، فلم تقبل توبة فرعون عندما أدركه الغرق، فمات كافراً، ولا تقبل توبة التائبين عندما تطلع الشمس من مغربها، لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال تعالى: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبائر والصغائر» ص ٦٤٢، وحول «محقرات الذنوب» ص ٧٠٢.

سُورَةُ الْمَلِكِ ﴿٦٧﴾

(مكية، ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[روى أصحاب السنن الأربعة وغيرهم - واللفظ للترمذي - عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن، ثلاثون آية، شَفَعَتْ لرجل حتى غُفِرَ له، وهي: تبارك الذي بيده الملك»]. ١ ﴿تبارك﴾ [دام وثبت إنعامه، أو:]

تنزه عن صفات المحدثين ﴿الذي بيده﴾ في تصرفه ﴿الملك﴾ السلطان والقدرة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾. ٢ ﴿الذي خلق الموت﴾ في الدنيا ﴿والحياة﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي: ما به الإحساس، والموت: ضدها، أو: عدها^(١)، قولان. و﴿الخلق﴾ على الثاني بمعنى التقدير، [أي: قَدَّرَ الموت] ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أطوع لله ﴿وهو العزيز﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الغفور﴾ لمن تاب إليه. ٣ ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ بعضها فوق بعض، من غير مماثلة ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ لهن، ولا لغيرهن ﴿من تفاوت﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فارجع البصر﴾ أعذه إلى السماء ﴿هل ترى﴾ فيها ﴿من فطور﴾ صدوع وشقوق؟ ٤ ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ كرة بعد كرة ﴿ينقلب﴾ يرجع ﴿إليك البصر خاسئاً﴾ ذليلاً، لعدم إدراك خلل ﴿وهو حسير﴾ منقطع عن رؤية الخلل. ٥ ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بمصابيح﴾ بنجوم ﴿وجعلناها رجوماً﴾ مراجم ﴿للسياطين﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل ﴿شهاب﴾ عن الكوكب، كالقبس يؤخذ من النار، فيقتل الجنى أو يخبله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ النار الموقدة. ٦ ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب

الجزء الثاني من القرآن

سُورَةُ الْمَلِكِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ
إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ

(١) قوله: ﴿والموت﴾ ضدها، أو: عدها. قولان إلخ، هذا التفصيل إشارة إلى اختلاف المتكلمين في «الموت» حيث قال بعضهم: إنه أمر وجودي، أي: شيء يوجد، وهو ضد الحياة التي هي أمر وجودي باتفاقهم، وقال آخرون: إن «الموت» أمر عَدَمِي، أي: ليس الموت شيئاً ليُخلق بل هو عدم الحياة، فإذا انعدمت الحياة مات المخلوق، لذلك وضع الجلال المحلي، أنه بناء على هذا القول، فإن «خلق الموت» الوارد في الآية معناه: التقدير، أي: خلق الحياة لأنها أمر وجودي، وقدر الموت بنهاية تلك الحياة، فإذا جاء أجل النهاية انعدمت الحياة، أما على القول الأول: فإن الموت أمر وجودي كالخلق، أي: عند نهاية الحياة يخلق الله شيئاً يسمى: «الموت»، وهذا هو القول الصحيح الذي يؤيده نص الآية، وكذلك حديث ذبح الموت في يوم الحشر الذي ذكرناه في تعليقنا ص ٤٠٠.

جهنم وبئس المصير ﴿٧﴾ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ﴿٨﴾ صوتاً منكراً كصوت الحمار ﴿وهي تفور﴾ تغلي ﴿٩﴾ تكاد تميز ﴿وقرى﴾ [شدوذا]: «تتميز» على الأصل، تتقطع [وينفصل بعضها عن بعض] ﴿من الغيظ﴾ غضباً على الكفار ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ جماعة منهم ﴿سألهم خزنتها﴾ سؤال توبيخ ﴿ألم يأتكم نذير؟﴾ رسول يندرکم عذاب الله تعالى؟ ﴿٩﴾ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن ﴿ما﴾ أنتم إلا في ضلال كبير ﴿يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار، حين أخبروا بالكذب، وأن يكون من كلام الكفار للنذر، [قالوه لهم في الدنيا] ١٠﴾ وقالوا لو كنا نسمع ﴿أي: سماع تفهم﴾ أو نعقل ﴿أي: عقل تفكر﴾ ما كنا في أصحاب السعير ﴿أي: من أهل النار﴾.

سُورَةُ الْمَلِكِ ٦٧

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٢﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهَا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٤﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ

٧٥٥

١١ ﴿فاعترفوا﴾ حيث لا يرفع الاعتراف ﴿بذنبهم﴾ وهو تكذيب النذر، [وعدم سماعهم وتفكرهم] ﴿فسحقاً﴾ بسكون الحاء وضمها ﴿لأصحاب السعير﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله.

١٢ ﴿إن الذين يخشون ربهم﴾ يخافونه ﴿بالغيب﴾ في غيبتهم عن أعين الناس، فيطيعونه سرّاً، فتكون [طاعتهم] علانية أولى ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ أي: الجنة.

١٣ ﴿وأسرؤا﴾ أيها الناس ﴿قولكم أواجهوا﴾ به إنه تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم؟ وسبب نزول ذلك، أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسرؤا قولكم لا يسمعكم إله محمد.

١٤ ﴿ألا يعلم من خلق؟﴾ أي: ما أسرؤن، أي: أيتقني علمه بذلك ﴿وهو اللطيف﴾ في علمه ﴿الخبير﴾ فيه؟ لا.

١٥ ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ سهلة للمشى فيها، [وصالحة للحياة عليها] ﴿فامشوا في مناكبها﴾ جوانبها [وأطرافها] ﴿وكلوا من رزقه﴾ المخلوق لأجلكم ﴿واليه النشور﴾ من القبور للجزاء. ﴿ءأمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها، [أي: بين الهمزة الثانية في حالتها]، وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً ﴿من في السماء﴾ [أي: أأمنتم] ﴿سلطانه﴾ [تعالى] وقدرته [عليكم] ﴿أن يخسف﴾ بدل [اشتغال] من ﴿من﴾ ﴿بكم﴾

(١) قوله تعالى: ﴿شهيقة﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الشهيق والزفير» ص ٣٠٠.

(٢) قال القرطبي هنا كلاماً حسناً نصه: «والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة متشرة، مشيرة إلى العلو، لا يدفعها إلا ملحد أو جاحد معاند، والمراد بها: توقيره تعالى وتنزيهه عن الشغل والتحت، ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان، ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان».

الأرض فإذا هي تمور؟ تتحرك بكم وترتفع فوقكم.

١٧ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ بِدَلٍ [اشتمال] مِنْ «مَنْ» عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ رِيحًا تَرْمِيكُمْ بِالْحَصْبَاءِ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ إِذْ نَارِي بِالْعَذَابِ؟ أَيِ: [فَسَتَعْلَمُونَ] أَنَّهُ حَقٌّ.

١٨ ﴿وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ الْأُمَمِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ إِنْكَارِي عَلَى التَّكْذِيبِ، عِنْدَ إِهْلَاكِهِمْ، أَيِ: إِنَّهُ حَقٌّ.

الْحَزْنُ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ

الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا^١ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ الْحَقَّ.

١٩ ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ يَنْظُرُوا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ فِي الْهَوَاءِ ﴿صَافَاتٍ﴾ بِاسْطَاتِ أَجْنَحَتِهِنَّ ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أَجْنَحَتِهِنَّ بَعْدَ الْبَسْطِ، أَيِ: وَقَابِضَاتٍ مَا يُمْسِكُهُنَّ عَنِ الْوُقُوعِ حَالِ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بِقُدْرَتِهِ؟ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ الْمَعْنَى: أَلَمْ يَسْتَدْلُوا بِثبُوتِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ، عَلَى قُدْرَتِنَا أَنْ نَفْعَلَ بِهِمْ مَا تَقْدِمُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْعَذَابِ؟.

٢٠ ﴿أَمِنْ﴾ مَبْتَدَأُ ﴿هَذَا﴾ خَبْرُهُ ﴿الَّذِي﴾ بَدَلُ مِنْ ﴿هَذَا﴾ «هُوَ جُنْدٌ أَعْوَانٌ لَكُمْ» صِلَةُ «الَّذِي» «يَنْصَرُّكُمْ» صِفَةُ «جُنْدٍ» [مَحْمُولٌ عَلَى لَفْظِهِ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ نَاصِرٍ لَكُمْ] «مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ» أَيِ: غَيْرِهِ، يَدْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ؟ أَيِ: لَا نَاصِرَ لَكُمْ ﴿إِنْ﴾ مَا «الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» غَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ، بِأَنَّ الْعَذَابَ لَا يَنْزِلُ بِهِمْ.

٢١ ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرَّحْمَنُ ﴿رِزْقَهُ﴾ أَيِ: الْمَطَرُ عَنْكُمْ؟، وَجَوَابُ الشَّرْطِ، مَحْذُوفٌ، دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، أَيِ: فَمَنْ يَرْزُقُكُمْ؟ أَيِ: لَا رَازِقَ لَكُمْ غَيْرُهُ ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ تَمَادَوْا ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ تَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ.

٢٢ ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا﴾ وَاقِعًا ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ مُعْتَدِلًا ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طَرِيقٍ ﴿مُسْتَقِيمٍ؟﴾ وَخَبَرُ «مَنْ» الثَّانِيَةِ مَحْذُوفٌ، دَلَّ عَلَيْهِ خَبَرُ الْأُولَى، أَيِ: أَهْدَى، وَالْمَثَلُ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، أَتَيْهُمَا عَلَى هَدًى.

٢٣ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خَلَقَكُمْ ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ الْقُلُوبَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «مَا» مُزِيدَةٌ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ مُخْبِرَةٌ بِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ جَدًّا عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ. ٢٤ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خَلَقَكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لِلْحِسَابِ [وَالْجُزْءِ]. ٢٥ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وَعَدَ الْحَشَرَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ

صادقين فيه ؟ ٢٦ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِمَجِيئِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بَيْنَ الْإِنذَارِ ، [فَمَنْ تَفَكَّرُوا وَاعْتَبِرُوا ، اهْتَدَى وَأَمَنَ] .
 ٢٧ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي : العذاب يوم الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً ﴿سِيتٌ﴾ اسودت ﴿وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي : قَالَ الْخَزَنَةُ لَهُمْ ﴿هَذَا﴾ أي : العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بِإِنذَارِهِ ﴿تَدْعُونَ﴾ أَنْكُمْ لَا تَبْعَثُونَ ، وَهَذِهِ حِكَايَةُ حَالِ تَأْتِي ، [وَأِنَّمَا] عَبَّرَ عَنْهَا بِطَرِيقِ الْمَضِيِّ ، لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهَا ، [عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ، أَي : سَيَأْتِي] . ٢٨ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَذَابِهِ ، كَمَا تَقْصِدُونَ ﴿أَوْ رَحِمْنَا﴾ فَلَمْ يَعْزُبْنَا ﴿فَمَنْ يَجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ؟ أَي : لَا مُجِيرَ لَهُمْ مِنْهُ . ٢٩ ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ : عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ

﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَيْنَ ، أَنْحَنَ ، أَمْ أَنْتُمْ ^(١) ، أَوْ : هَمْ ؟ ٣٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غَائِرًا فِي الْأَرْضِ ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جَارٍ ، لَا تَنَالُهُ الْأَيْدِي وَالْأَدْلَاءُ كَمَا تَكُونُ ؟ أَي : لَا يَأْتِي بِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، فَكَيْفَ تَنْكُرُونَ أَنْ يَبْعَثَكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ ^(٢) ، وَتَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عِنْدَ بَعْضِ الْمُتَجَبِّرِينَ فَقَالَ : تَأْتِي بِهِ الْفُؤُوسُ وَالْمَعَاوِلُ ، فَذَهَبَ مَاءُ عَيْنَيْهِ وَعَمِيَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَرَاءَةِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى آيَاتِهِ .

﴿سُورَةُ الْقَبَلَةِ﴾

(مكية ، ثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ن﴾ ^(٣) أَحَدُ حُرُوفِ الْهَجَاءِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ ﴿وَالْقَلَمُ﴾ الَّذِي كَتَبَ بِهِ الْكَائِنَاتُ فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ ، [أَوْ : هُوَ كُلُّ قَلَمٍ ، مِمَّا يَكْتُبُ بِهِ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] . ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أَي : الْمَلَائِكَةُ ، [مَنْ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ ، وَالنَّاسُ مِنَ الْبَيَانِ] . ٢ ﴿مَا أَنْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾

(١) قَوْلُهُ : «أَنْحَنَ أَمْ أَنْتُمْ ، أَوْ هَمْ» ، اخْتَلَفَتْ النُّسخُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَذَلِكَ لِاتِّبَاعِ حَصْلِ لَدَى النَّاسِ وَالْمَصْحُوحِ ، وَالصُّوَابِ فِيهَا مَا أَثْبَتَاهُ وَهُوَ مَا فِي الْمَخْطُوطَةِ الْأُولَى ، وَمَخْطُوطَةٌ أُخْرَى وَيَسَانُهُ أَنْ قَوْلُهُ : «أَنْحَنَ» يَعْنِي :

النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَقَوْلُهُ : «أَمْ أَنْتُمْ» يَعْنِي : الْكَافِرِينَ عَلَى قِرَاءَةِ «فَسَتَعْلَمُونَ» بِالتَّاءِ ، ثُمَّ قَالَ الْجَلَالُ الْمُحَلِّيُّ بَعْدَ ذَلِكَ : «أَوْ هَمْ» أَي : بَدَلُ «أَمْ أَنْتُمْ» ، مُشِيرًا إِلَى قِرَاءَةِ : «فَسَيَعْلَمُونَ» بِالْيَاءِ ، أَي : «أَنْحَنَ أَمْ هَمْ» عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ، وَ «أَنْحَنَ أَمْ أَنْتُمْ» عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى .
 (٢) قَوْلُهُ : «وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَقُولَ الْقَارِئُ عَقِبَ «مَعِينٍ» : اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ ، لَقَدْ تَسَاهَلُ الْمُؤَلِّفُ الْجَلَالُ الْمُحَلِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا ، وَالصَّحِيحُ : أَنَّهُ لَا يَسْتَحِبُّ أَنْ يَقُولَ الْقَارِئُ عَقِبَ «مَعِينٍ» شَيْئًا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ حَدِيثٌ بِذَلِكَ مُطْلَقًا ، خِلَافًا لِمَا ذَكَرَهُ ، وَخِلَافًا لِمَا هُوَ شَائِعٌ لَدَى الْعَامَّةِ مِنَ النَّاسِ وَبَعْضِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ .

(٣) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ن﴾ ، فَسَرَّهُ بَعْضُهُمْ تَفْسِيرًا غَرِيبًا ، حَيْثُ قَالَ : هُوَ الْحَوْتُ ، مُسْتَدَلًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَذَا النُّونُ﴾ أَي : وَصَاحِبُ الْحَوْتِ ، وَهُوَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذَا الِاسْتِدْلَالُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ ، وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرَهُ الْجَلَالُ الْمُحَلِّيُّ .

سُورَةُ الْقَبَلَةِ

صَدِيقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّعَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يَجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

(٦٨) سُورَةُ الْقَبَلَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تِلْكَ ثَنَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

بمجنون ﴿٣﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون. ٣ ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ مقطوع. ٤ ﴿وإنك لعلی خلق﴾ دين ﴿عظيم﴾. ٥ ﴿فستبصر ويبصرون﴾. ٦ ﴿بأيكم المفتون﴾ مصدر كالمعقول، أي: الفتون، بمعنى: الجنون، أي: أبك أم بهم؟ ٧ ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ له، و «أعلم» بمعنى: «عالم». ٨ ﴿فلا تطع المكذبين﴾ [أي: المشركين، فيما يدعونك إليه]. ٩ ﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿لو﴾ مصدرية ﴿تدهن﴾ تلين لهم، [بترك نهيمهم عن الشرك، أو: بأن توافقهم فيه أحياناً] ﴿فيدهنون﴾ يلينون لك، [أي: يتركون ما هم عليه من الطعن، ويوافقونك]، وهو مغطوف على «تدهن»، [مرفوع بثبوت النون، ولم يُجعل جواب التمني، بل هو من جملة المتمنى، أي: تمتوا لينك لهم وليتهم لك،] وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا»، قُدِّر قبله بعد الفاء: «هم»، [أي: «تمنوا لو تدهن، فهم يدهنون»، ليصبح الجواب جملة اسمية، تخلصاً من لزوم نصب «فيدهنون»، الواقع بعد فاء السببية، التي هي في جواب التمني]. ١٠ ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهين﴾ حقير. ١١ ﴿هماز﴾ عياب، أي: مغتاب ﴿مشاء بنميم﴾ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم. ١٢ ﴿مناع للخير﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿معتد﴾ ظالم ﴿أثيم﴾ أثم. ١٣ ﴿عتل﴾ غلبت جاف ﴿بعد ذلك زنيماً﴾ دعي في قريش، وهو: الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً، بما وصفه به من العيوب، فالحق به عاراً لا يفارقه أبداً، وتعلق به «زنيماً» الظرف قبله. ١٤ ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ أي: «لأن»، وهو متعلق بما دل عليه: ١٥ ﴿إذا تلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿قال﴾ هي «أساطير الأولين» أي: كذب بها، لإنعامنا عليه بما ذكر؟ وفي قراءة: «أن» بهمزة مفتوحة. ١٦ ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ سنجعل على أنفه علامة، يعبر بها ما عاش، فحطيم أنفه بالسيف يوم بدر، [ويبقى أثر الجرح في أنفه]. ١٧ ﴿إننا بلوناهم﴾ امتحنا أهل مكة، [بما أعطيناهم من النعم، ليشكروا بالإيمان، وقيل: [بالقحط والجوع] كما بلونا أصحاب الجنة] (١) البستان ﴿إذا أقسموا

البقرة

بمجنون ﴿٢﴾ وإن لك لأجراً غير ممنون ﴿٣﴾ وإنك لعلی خلق عظيم ﴿٤﴾ فستبصر ويبصرون ﴿٥﴾ بأيكم المفتون ﴿٦﴾ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴿٧﴾ فلا تطع المكذبين ﴿٨﴾ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴿٩﴾ ولا تطع كل حلاف مهين ﴿١٠﴾ هماز مشاء بنميم ﴿١١﴾ مناع للخير معتد ﴿١٢﴾ أثيم عتل بعد ذلك زنيماً ﴿١٣﴾ أن كان ذا مال وبنين ﴿١٤﴾ إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴿١٥﴾ سنسمه على الخرطوم ﴿١٦﴾ إننا بلوناهم ﴿١٧﴾ أصحاب الجنة ﴿١٨﴾ إذا أقسموا ليعبرن ﴿١٩﴾ فأتاهن من ربك ﴿٢٠﴾ فاصبحن ﴿٢١﴾ فتنادوا ﴿٢٢﴾

ليصبرن ﴿٢٣﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مصبحين﴾ وقت الصباح، كي لا يشعر بهم المساكين فلا يخطون منها، ما كان أبوه يتصدق به عليهم منها. ١٨ ﴿ولا يستثنون﴾ في يمنهم بمشيئة الله تعالى، [أي: لا يقولون: إن شاء الله، وقيل: كان استثناءهم التسييح، أو: لا يتركون للمساكين شيئاً، والجملة مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك]. ١٩ ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ نار أحرقتها ﴿وهم نائمون﴾. ٢٠ ﴿فاصبحن﴾ [أي: احترقت فصارن] كالليل الشديد الظلمة، أي: سوداء. ٢١ ﴿فتنادوا﴾

(١) قوله تعالى: «أصحاب الجنة»، أخرجه عبد الرزاق وغيره عن سعيد بن جبيرة رحمه الله تعالى قال: كانوا من قرية يقال لها «ضروان» =

مُصْبِحِينَ ۖ أَنْ أَغْدُوا عَلَىٰ حَرِّكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ۚ فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۚ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۚ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرِّ قَدِيرِينَ ۚ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۚ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۚ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۚ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۚ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۚ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۚ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ

مُصْبِحِينَ [وقت الصباح] ٢٢ ﴿أَنْ أَغْدُوا عَلَىٰ حَرِّكُمْ﴾ غلتكم، تفسير للثَّانِي، أو: «أَنْ» مصدرية، أي: بَانَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ مرادين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. ٢٣ ﴿فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ يتسارَّون. ٢٤ ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ تفسير لما قبله، أو: «أَنْ» مصدرية، أي: بَانَ. ٢٥ ﴿وَغَدُوا عَلَىٰ حَرِّ﴾ منع للفقراء ﴿قَادِرِينَ﴾ عليه في ظنهم. ٢٦ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ عنها، أي: ليست هذه [جنتنا]، ثم قالوا لما علموها: ٢٧ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثمرتها، بمنعنا الفقراء منها. ٢٨ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين؟ ٢٩ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم. ٣٠ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضاً.

٣١ ﴿قَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [ظالمين بمنع حق الفقراء]. ٣٢ ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿لِيَقْبَلَ تَوْبَتَنَا﴾ ويرد علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها^(١). ٣٣ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْعَذَابُ﴾ [في الدنيا بالقتل والأسر والقيحط]، لمن خالف أمرنا، من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا. ٣٤ ونزل لما قالوا، [أي: كفار مكة للمسلمين]: إِنَّا بُعِثْنَا، نُعْطَىٰ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، [لأن الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة، وإن لم يحصل التفضيل، فلا أقل من المساواة]: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾. ٣٥ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [أي: كالكفار؟]، أي: تابعين لهم في العطاء، ٣٦ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ ٣٧ ﴿أَمْ﴾ أي: بل ﴿لَكُمْ كِتَابٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ﴾

= على ستة أميال من «صنعا»، وقيل: كانوا من أهل الحيشة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا من أهل الكتاب، وكان والدهم يسير في بستانه سيرة حسنة، ويتصدق من ثمارها على المساكين في كل سنة، فلما مات ورثه بنوه، صتموا على حرمان الفقراء ما

كانوا ينالونه من والدهم طمعاً وبخلًا، فلما عزموا على ذلك عاقبهم الله تعالى بنقيض قصدهم، فأذهب كل ما بأيديهم فلم يَبْقَ لهم من جنتهم شيء، وسئل قتادة السدوسي رحمه الله: أحم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفني نعيًا، وكذلك توقف الحسن البصري رحمه الله في كونهم مؤمنين قائلًا: لا أدري هل كان قولهم «إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ» إيمانًا منهم، أو: على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؟ وقال القرطبي: والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا. اهـ. وعلى هذا فهم مؤمنون، وعملهم كان معصية، فعاقبهم الله بإحراق جنتهم، وهو الأوضح.

(١) قوله: «روي أنهم أبدلوا خيراً منها»، نقل هذه الرواية القرطبي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه من غير سند، ولم يذكر السيوطي وابن كثير والرازي شيئاً من هذا المعنى، وليس في الآيات ما يدل على حصول الإبدال، فالإمساك أولى.

الجزء التاسع والعشرون

يكشف عن ساق ﴿ هو: عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة، للحساب والجزاء، يقال: ﴿كشفت الحرب عن ساق﴾، إذا اشتد الأمر فيها ﴿ويدعون إلى السجود﴾ امتحاناً لإيمانهم، [وفضحاً لهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة] ﴿فلا يستطيعون﴾ تصير ظهورهم ^(١) طبقاً واحداً. ٤٣ ﴿خاشعة﴾ حال من ضمير «يدعون»، أي: ذليلة ﴿أبصارهم﴾ لا يرفعونها ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة وقد كانوا يدعون﴾ في الدنيا ﴿إلى السجود وهم سالمون﴾ فلا يأتون به، بأن لا يُصلُّوا. ٤٤ ﴿فلدني﴾ دعني ﴿ومن يكذب بهذا الحديث﴾ القرآن ﴿سنستدرجهم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿من حيث لا يعلمون﴾ [أي: سنأخذهم على غفلة، وهم لا يعرفون، فعذبوا يوم بدر]. ٤٥ ﴿وأملئ لهم﴾ أمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾ شديد لا يطاق. ٤٦ ﴿أم﴾ بل أُنسألهم ﴿على تبليغ الرسالة﴾ أجراً فهم من مغرم ﴿مما يعطونك﴾ مثقلون ﴿فلا يؤمنون لذلك؟﴾ ٤٧ ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يقولون؟. ٤٨ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ فيهم ما يشاء ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ في الضجر والعجلة، وهو: يونس عليه السلام ﴿إذ نادى﴾ دعا ربه ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غماً في بطن الحوت [قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين]. ٤٩ ﴿لولا أن تداركه﴾ أدركه ﴿نعمة﴾ رحمة ﴿من ربه﴾

(١) قوله: «تصير ظهورهم طبقاً واحداً» هو إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الذي رواه الشيخان، وفيه قوله ﷺ «فيكشف عن ساق» وفي رواية للبخاري «فيكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له - تعالى - كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»، وذلك يكون ابتلاء من الله تعالى للعباد، وآخر امتحان للمؤمنين، عندما يشتد الأمر على الخلق يوم القيامة، ويتجلى الله على عباده، فيسجد المؤمنون المخلصون سجود تلذذ لا تكليف، ولا يستطيع ذلك المراؤون والكافرون، لأن ظهورهم لا تشني ولا تنحني، وهذا فضح لهم، وإظهار لما في قلوبهم.

لنبيذ من بطن الحوت بالعراء وهو مدموم لكنه رُحِمَ فُبَذَ غير مدموم. ٥٠ فاجتباه ربه بالنبوة^(١) فجعله من الصالحين الأنبياء. ٥١ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بضم الياء وفتحها بأبصارهم أي: ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك عن مكانك لما سمعوا الذكر القرآن ويقولون حسداً إنه لمجنون بسبب القرآن الذي جاء به. ٥٢ وما هو إلا ذكر للعالمين الجن والإنس، لا يحدث بسببه جنون.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

(مكية، إحدى أو اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الحاقة القيامة، التي يحق فيها ما أنكروا من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك. ٢ ما الحاقة؟ تعظيم لشأنها، وهما - [أي: ما الحاقة] - مبتدا وخبر، [وجملة المبتدا والخبر هذه]: خبر الحاقة. ٣ وما أدراك أعلمك ما الحاقة؟ زيادة تعظيم لشأنها، فـ [ما] مبتدا، وما بعدها، [أي: جملة أدراك ما الحاقة] خبره، [وما] الثانية وخبرها، في محل المفعول الثاني لـ [أدري]. ٤ كذبت ثمود وعاد بالقارعة القيامة، لأنها تفرع القلوب بأهوالها. ٥ فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة. ٦ واما عاد فاهلكوا بريح صرصر شديدة الصوت عاتية قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم. ٧ سخرها أرسلها بالقهر، [وسلطها] عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها^(٢) من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء حسوماً متتابعات، شبت بتتابع فعل الحاسم، في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى، حتى ينحسم فترى القوم

سُورَةُ الْحَاقَّةِ ٦٩

رَبِّهِ لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ١ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٢ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٣ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٤

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا اثْنَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ٥ بِالطَّاغِيَةِ ٦ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٧ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ

- (١) قوله: «بالنبوة»، فيه إشارة إلى قول بأنه أرسل بعد نبذه، وأنه لم يكن نبياً قبل ذلك، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» من سورة «الصافات» أن يونس عليه السلام كان رسولاً قبل أن يلتقمه الحوت على الصحيح، فالاجتباء والإرسال في هاتين الآيتين هما إشارة إلى ما كان عليه يونس عليه السلام من النبوة قبل ذلك وبعده أيضاً. أرجع إلى تعليقنا ص ٥٩٥.
- (٢) قوله: «أولها من صبح الأربعاء الخ»، هذا قول يحيى بن سلام ووهب بن منبه رحمهما الله، قال وهب: وهذه الأيام التي تسميها العرب «أيام العجوز» ذات برد وريح شديدين، وسميت العجوز لأنها وقعت في عجز الشتاء، وقيل: أولها من صباح يوم الجمعة، وقيل: الأحد... وهذه أقوال لا دليل على واحد منها، فالصحيح القول بعدم التعيين، فالله أعلم ببيداتها، فهي «سبع ليال وثمانية أيام» وكفى.

فيها صرعى ﴿كأنهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل خاوية﴾ ساقطة فارغة. ٨ ﴿فهل ترى لهم من باقية؟﴾ صفة «نفس» مقدرة، [أي: «ومن نفس باقية»]، أو: الناء للمبالغة، أي: [من] باق؟ لا. ٩ ﴿وجاء فرعون ومن قبلة﴾ [أي: «أتباعه [وجنوده]، وفي قراءة: بفتح القاف وسكون الباء، أي: من تقدمه من الأمم الكافرة والمؤتفكات﴾ [أي: «أهلها، وهي: قري قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ بالفعلات ذات الخطأ. ١٠ ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فأخذهم أخذة رابية﴾ زائدة في الشدة على غيرها. ١١ ﴿إنا لما طغى الماء﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حملناكم﴾ يعني: آباءكم، إذ أنتم في أصلابهم ﴿في الجارية﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

الجزء الثاني من التفسير

فِيهَا صَرَعى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١١﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿١٣﴾ وَحَمَلْتُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ضَعِيفَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ ﴿١٧﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴿جَوَانِبِ السَّمَاءِ﴾ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ﴿أَي: فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ الْمَذْكُورِينَ﴾ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ: مِنْ صُفُوفِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ ١٨ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لَا تُخْفَى بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ مِنَ السَّرَائِرِ. ١٩ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْنِي كِتَابِهِ يَمِينَهُ فَيَقُولُ﴾ خطاباً لجماعته، لما سُرَّ به ﴿هاؤم﴾ خذوا ﴿أَقْرُوا﴾ كِتَابِيهِ ﴿تَنَازَعُ فِيهِ﴾ [الْعَامِلَانِ: «هاؤم» و«أقراؤا»] ﴿٣﴾ ٢٠ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ تَبَقُّتُ ﴿أَنِّي مَلَاقٍ حِسَابِيهِ﴾ [وَالْهَاءُ فِي: «كِتَابِيهِ» وَ«حِسَابِيهِ» لِلسَّكْتِ كَمَا سَيَأْتِي] ٢١ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾

(١) قوله تعالى: «المؤتفكات»، سميت بذلك لأن الله تعالى قلبها على أهلها، أرجع إلى تعليقنا حول «قري قوم لوط» ص ٢٩٥.

(٢) أرجع إلى تعليقنا حول «حملة العرش» ص ٦١٨.

(٣) قوله: «تنازع فيه هاؤم وأقروا». التنازع هو: «توجه عاملين إلى معول واحد»، فالعاملان هنا هما: «هاؤم» و«أقروا» والمعمول هو: «كتابه»، فأيهما عملت فقدّر للآخر مفعوله، قال ابن مالك في النية:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل قُبلَ فللواحد منهما العمل
والثان أولى عند أهل البصرة واختار عكساً غيرهم ذا أسرة

٤٢ ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ بالتاء والياء^(١) في الفعلين، و«ما» زائدة مؤكدة [لمعنى القلة]، والمعنى: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها، مما أتى به النبي ﷺ، من الخير والصلة والعفاف، فلم تغن عنهم شيئاً. ٤٣ بل هو ﴿تنزيل من رب العالمين﴾. ٤٤ ﴿ولو تقول﴾^(٢) أي: النبي ﷺ ﴿علينا بعض الأقاويل﴾ بأن قال عنا ما لم نقله.

٤٥ ﴿لأخذنا﴾ لنلنا ﴿منه﴾ عقاباً ﴿باليمين﴾ [أي: لعاقبناه] بالقوة والقدرة.

٤٦ ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ نياط القلب، وهو: عرق متصل به، إذا انقطع مات صاحبه.

٤٧ ﴿فما منكم من أحد﴾ هو اسم «ما»، و«من» زائدة لتأكيد النفي، و«منكم» حال من «أحد» عنه حاجزين ﴿مانعين، خبر «ما»، وجميع لأن «أحداً» [إذا جاءت] في سياق النفي، [كانت] بمعنى الجمع، وضمير «عنه» للنبي صلى الله عليه وسلم، أي: لا مانع لنا عنه، من حيث العقاب.

٤٨ ﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لنذكره للمتقين﴾.

٤٩ ﴿وإننا لنعلم أن منكم﴾ أيها الناس ﴿مكذبين﴾ بالقرآن، و«نعلم أيضاً أن منكم مصدقين [به].

٥٠ ﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين، وعقاب المكذبين به.

٥١ ﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أي: اليقين المتيقن حق التيقن.

٥٢ ﴿فسبح﴾ نزهه ﴿باسم﴾ زائدة ﴿ربك العظيم﴾ سبحانه.

سورة الماعن

وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٣﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٥﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ ﴿١٠﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾

(٧٠) سُورَةُ الْمَاعَنِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا اَرْبَعٌ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ

﴿سُورَةُ الْمَاعَنِ﴾

(مكية، أربع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿سأل سائل﴾ دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾. ٢ ﴿للكافرين ليس له

(١) قوله: «فالتاء والياء في الفعلين»، أي: في «ما تذكرون» في هذه الآية، و«ما تؤمنون» في الآية التي قبلها. وبيانه أن في: «تؤمنون» قراءتين، بالتاء والياء، أما: «تذكرون» ففيها ثلاث قراءات بالياء مع تشديد الذال فقط، وبالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها.

(٢) قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا﴾ الآيات، هذا على سبيل الافتراض، أي: لو كان زعمكم أن القرآن من عند محمد ﷺ يأتي به من غير أن نوحيه إليه لعاجلناه بالعقوبة، ونحن قادرون على ذلك لا يمنعا منه مانع، وكذلك أخذ الله عز وجل مدعي النبوة مسيلمة الكذاب، الذي هلك قتلاً على أيدي أصحاب محمد ﷺ، أي: ليس محمد متقولاً بل هو صادق بار راشد، والله تعالى صدقه بالمعجزات وحماه وعصمه، وأيده بنصره وبالمؤمنين، وأعز دينه، وهزم أعداءه، فله سبحانه الحمد والشكر.

دافع ﴿هو النضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق﴾ [من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اثنتا بعذاب أليم﴾. ٣ ﴿من الله﴾ متصل، [أي: متعلق] بـ ﴿واقع﴾ ﴿ذي المعارج﴾ مصاعد الملائكة، وهي: السماوات. ٤ ﴿تخرج﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة والروح﴾ جبريل ﴿إليه﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿في يوم﴾ متعلق بمحذوف، أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ بالنسبة إلى الكافر، لما يلقي فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا، كما جاء في الحديث^(١). ٥ ﴿فاصبر﴾ وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صبراً جميلاً﴾ أي: لا جزع فيه. ٦ ﴿إنهم يرونه﴾ أي: العذاب ﴿بعيداً﴾ غير واقع. ٧ ﴿ونراه قريباً﴾ واقعاً لا محالة. ٨ ﴿يوم تكون السماء﴾ متعلق بمحذوف، أي: يقع، ﴿كالمهل﴾ كذائب الفضة. ٩ ﴿وتكون الجبال كالمهن﴾ كالصوف، بالخفة والطيران بالريح. ١٠ ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ قريب قريبه، لا اشتغال كل بحاله. ١١ ﴿يبصرونهم﴾ أي: يبصر الأحياء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يود المجرم﴾ يتمنى الكافر ﴿لو﴾ بمعنى: «أن» ﴿يفتدي من عذاب يومئذ﴾ بكسر الميم وفتحها ﴿بنيه﴾. ١٢ ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وأخيه﴾. ١٣ ﴿وفصيلته﴾ عشيرته، لفصله منها ﴿التي تؤويه﴾ تفضمه [وتنصره]. ١٤ ﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ ثم ينجي ذلك الافتداء، عطف على: ﴿يفتدي﴾. ١٥ ﴿كلًّا﴾ ردّ لما يؤذّه، [أي: لا ينجي ذلك] ﴿إنها﴾ أي: النار ﴿لظي﴾ اسم لجهنم، لأنها تلتظي، أي: تلهب على الكفار. ١٦ ﴿نزاعة للشوى﴾ جمع «شواة»، وهي: جلدة الرأس. ١٧ ﴿تدعو من أدبر وتولى﴾ عن الإيمان، بأن تقول: «إني [يا مشرك]، إني [يا كافر]».

سورة المعارج ٧.

دَافِعٌ ﴿١﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٣﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٥﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٦﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٧﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٨﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿٩﴾ يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمَ كَلَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١٠﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١١﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٢﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٣﴾ كُلًّا إِنَّا لَنَظُّوهُ ﴿١٤﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٥﴾ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٧﴾ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٨﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢٠﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٢﴾

١٨ ﴿وجمع﴾ المال ﴿فأوعى﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه. ١٩ ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ حال مقدرة، [أي: صار كذلك فيما بعد]، وتفسيره: ٢٠ ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ لا يصبر [وقت من الشر. ٢١ ﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ وقت من الخير، أي: المال. ٢٢ ﴿إلا المصلين﴾ أي: المؤمنين. ٢٣ ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ مواظبون.

(١) قوله: «كما جاء في الحديث»، أي: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة... ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا»، قال في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد وأبو يعلى، وروى الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قالوا: يا رسول الله، فأين المؤمنون يومئذ؟ قال ﷺ: «يوضع لهم منابر من نور، يظلل عليهم الغمام، يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار».

٢٤ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ هو الزكاة^(١). ٢٥ ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال، فيُخَرِّمَ [حَقَّهُ فيها]. ٢٦ ﴿وَالَّذِينَ يَصَّدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء. ٢٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. ٢٨ ﴿إِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله. ٢٩ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [عن الزنا، فلا يقضون شهوتهم في حرام]. ٣٠ ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْؤَمِينَ﴾ [أي: في إتيانهم من حيث أمرهم الله تعالى، بل لهم في ذلك أجر، فقد روى مسلم، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قوله ﷺ: «وفي بُضْعٍ - بضم الباء أي: جماع - أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر»]. ٣١ ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام. ٣٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالإنفراد: ما أوتمنوا عليه، من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون. ٣٣ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ﴾ [بالإنفراد]، وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتُمونها. ٣٤ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥ ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾. ٣٦ ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ﴾ نحوك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ حال، أي: مديمي النظر. ٣٧ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَزِيزِينَ؟﴾ حال أيضاً، أي: جماعات حلقاً حلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: «لئن دخل هؤلاء الجنة، لندخلنها قبلهم». ٣٨ قال تعالى: ﴿أَيُّطْعَمُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ﴾ [بالبناء للمفعول والفاعل] ﴿جَنَّةٍ نَعِيمٍ؟﴾ ٣٩ ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كثيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نُطْفَةٍ، فلا يُطْمَعُ بذلك في الجنة، وإنما يُطْمَعُ فيها بالتقوى. ٤٠ ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة [لتأكيد القسم] ﴿أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾

(١) قوله: «هو الزكاة»، روى الشيخان - واللفظ لمسلم -

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

الزكاة

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٥
وَالَّذِينَ يَصَّدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْؤَمِينَ ٣٠ فَمَنْ ابْتَغَى
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
قَائِمُونَ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ ٣٤
أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ٣٥ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ٣٦ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧
أَيُّطْعَمُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّا ٣٩
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ٤٠ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ

من صاحب فضة ولا ذهب - أي: مال نقدي - لا يؤدي منها حقها - أي: زكاتها - إلا إذا كان يوم القيامة صَفَحَتْ له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله [إما إلى الجنة وإما إلى النار] ثم ذكر: الإبل والبقر والغنم كذلك.

ووهم بعضهم فظن أنه لا زكاة على المال المتداول في أيامنا من أوراق وعمليات غير الذهب والفضة، وهذا خطأ يدركه المتأمل، فحامل هذه الأوراق المالية لا يملك ورقة عادية - إذن لكان أعطاها لمن يعطيه أكبر حجباً منها - بل هو يحمل «قيمة»، وما المال إلا قيمة، وجميع المعاملات المالية في العالم كله تتم بهذه الطريقة أي: بحمل القيمة لا بحمل عين الذهب والفضة كما كان في الماضي، فالصحيح أن الزكاة واجبة فيها لأن الزكاة ليست عن «الورقة» بل عن قيمتها التي لولاها لما كانت مالاً، فطالما أن لهذه الأوراق قيمة فهي «مال»، وقد حلت محل =

والمغارب ﴿لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَسَائِرِ [مَنَازِلِ] الْكَوَاكِبِ [وَمَوَاقِعِهَا]﴾ ﴿إِنَّا لِقَادِرُونَ﴾. ٤١ ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾ نَأْتِي بِدَلْهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿بِعَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ﴾. ٤٢ ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أَتْرَكَهُمْ ﴿يَخْوَضُوا﴾ فِي بَاطِلِهِمْ ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فِي دُنْيَاهُمْ ﴿حَتَّى يَلَاقُوا﴾ يَلْقُوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فِيهِ الْعَذَابُ. ٤٣ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ الْقُبُورِ، [جَمْعُ «جَدَثٍ»] ﴿سَرَّاعًا﴾ إِلَى الْمَحْشَرِ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نَضَبٍ﴾ [بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الصَّادِ]، وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْحَرْفَيْنِ: شَيْءٌ مَنْصُوبٌ كَعَلَّمْ أَوْ رَايَ ﴿يُوفُضُونَ﴾ يُسْرِعُونَ. ٤٤ ﴿خَاشِعَةً﴾ ذَلِيلَةً ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرَاهَهُمْ﴾ تَغْشَاهُمْ ﴿ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذَلِكَ» مُبْتَدَأٌ، وَمَا بَعْدَهُ الْخَبَرُ، وَمَعْنَاهُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

سُورَةُ النُّوحِ

[عليه السلام]

(مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ أَي: بِإِنْذَارِ ﴿قَوْمِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾ إِنْ لَمْ يَؤْمِنُوا ﴿عَذَابَ الْيَمِّ﴾ مَوْلَمٌ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ٢ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّنُ الْإِنْذَارِ. ٣ ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ أَقُولُ لَكُمْ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [وَحْدَهُ] ﴿وَاتَّقَوْهُ وَأَطِيعُوا﴾ [فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ، فَلِإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ]. ٤ ﴿يَغْفِرُ

= الذهب والفضة في كونها ثمنًا للسلع، ففيها الزكاة، وعندما تفقد قيمتها بأن تصبح ملغاة أو تكون مزورة فلا زكاة فيها لأنها ليست مالا بل هي أوراق عادية، وهذه الأوراق المالية على اختلافها، حُكْمُهَا حُكْمُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَكُلُّهَا «مَالٌ» وتندرج تحت معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ...﴾ وفيها الزكاة، بل إن كل شيء يعتبره خزينة «الدولة» مالا، ويتعامل به الناس على هذا الأساس، فالزكاة فيه واجبة من أي معدن كان، لأنه يصير بذلك نقداً، ولا ينطبق على الأوراق المالية حكم «المغشوش» الذي قال الفقهاء: إنه لا زكاة فيه، لأن هذه الأوراق ليست مغشوشة، بل هي نقد معتبر تُصدره خزينة الدولة، أما المغشوشة منها فهو: «المزور»، والعملة المزورة لا

زكاة فيها بلا خلاف لأنها ليست مالا، ولا قيمة لها أصلاً بل هي محظورة التداول، أما النقود المغشوشة في الماضي فقد كانت متداولة بين التجار والناس فقط، وكان «بيت المال» يردّها ولا يقبلها، فلذلك قالوا: لا زكاة فيها.

ثم: أليس باستطاعة مالك هذه الأوراق التقديرة أن يشتري بها ما شاء من الذهب والفضة؟ وأن يبيع بها ما يشاء منهما أيضاً؟ فما الفرق - إذن - بين هذه وهذين؟... ثم هل يجوز لحامل هذه الأوراق - وهو يرى أنها ليست مالا بل يراها مغشوشة غشاً خالصاً - هل يجوز له أن يتعامل بها؟ فكيف يراها من جانب مالا فيبيع بها ويشتري، وفي الوقت نفسه يراها من جانب آخر مغشوشة لا زكاة فيها؟ فلو لم تكن الأوراق المالية مالا صحيحاً معتبراً، لوجب الإفتاء بتحريم التعامل بها منعاً للغش والخديعة وأكل مال الناس بغير حق، وهذا ما لم يقله أحد حتى الآن، فالزكاة واجبة فيها قطعاً، ولو أخذنا بقول الفائلين بغير ذلك لانعدمت الزكاة بالكلية، =

وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿١﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نَضَبٍ يُوفُضُونَ ﴿٤﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهَهُمْ ذَلَّةً ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥﴾

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿١﴾ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقَوْهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرُ

لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿مَنْ﴾ زَائِدَةٌ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُغْفِرُ بِهِ مَا قَبْلَهُ، أَوْ: تَبْعِيضِيَّةٌ، لِإِخْرَاجِ حَقِّقِ الْعِبَادَةِ ^(١) ﴿وَيُؤْخِرْكُمْ﴾ بِلا عَذَابٍ ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَجَلَ الْمَوْتِ ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِعَذَابِكُمْ، إِنْ لَمْ تَتُومِنُوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخِرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ لَا مَمْتَمَ.

٥ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أَي: دَائِمًا مُتَّصِلًا.

٦ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ.

٧ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ [إِلَى الْإِيمَانِ] ﴿لَتُغْفِرَ لَهُمْ﴾ [بِإِيمَانِهِمْ] ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامِي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ غَطَوْا رُؤُوسَهُمْ بِهَا، لئَلَّا يَبْصُرُونِي ﴿وَأَصْرُوا﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾.

٨ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ أَي: بِأَعْلَى صَوْتِي. ٩ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صَوْتِي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الْكَلَامَ ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [أَي: لَمْ أَبْقِ جُهْدًا].

١٠ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ].

١١ ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ الْمَطَرَ﴾، وَكَانُوا قَدْ مُنِعُوهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كَثِيرَ الدَّرُورِ.

١٢ ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بَسَاتِينَ ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جَارِيَةً.

١٣ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا؟﴾ أَي: [لَا] تَأْمَلُونَ وَقَارَ اللَّهِ إِيَّاكُمْ، [وَمُحِبَّتِهِ لَكُمْ]، بَأَن تَتُومِنُوا، [وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَغَيْرُهُ]: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ ثَوَابًا، وَلَا تَخَافُونَ لَهُ عِقَابًا؟

١٤ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ جَمْعُ «طَوْرٍ» وَهُوَ: الْحَالُ، فَطَوْرًا: نَظْفَةً، وَطَوْرًا: عِلْقَةً، إِلَى تَمَامِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَالنَّظَرُ فِي خَلْقِهِ، يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِخَالْقِهِ.

١٥ ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تَنْظُرُوا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؟

١٦ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ أَي: فِي مَجْمُوعِهِنَّ، الصَّادِقُ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا «نُورًا» وَجَعَلَ

الجزء الثاني من القرآن

لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخِرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٢﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٣﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٤﴾ اسْتَكْبَرُوا ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٧﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٨﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٩﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٠﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١١﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

= ولتعتل ركن من أعظم أركان الإسلام، ولوجد بخلاء الأغنياء - وما أكثرهم - في هذه الفتوى حجة لنسج الزكاة، وحيلة لأكل حق أهل الزكاة فيها، هذا مع العلم بأن القول بعدم وجوب الزكاة في الأوراق النقدية، لم ينسب إلى غير مذهب الشافعية، وقد بينا بناء على هذا المذهب، أن قياس حكم الأوراق النقدية على ما قالوه في حكم زكاة المغشوش هو قياس مع الفارق، وغير مستوفٍ شروط القياس الصحيح. والله تعالى أعلم.

(١) قوله: «لإخراج حقوق العباد»، أي: لأن الله تعالى لا يفرها لأحد حتى للشهيد، إلا إذا سامح صاحب الحق بحقه، أرجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

الْشَّمْسِ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ
لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا
كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتِهِمْ
أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ
الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي

الشمس سراجاً ﴿١٦﴾ والله أنبتكم ﴿١٧﴾ خلقكم ﴿١٨﴾ من الأرض ﴿١٩﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿٢٠﴾ نباتاً ﴿٢١﴾ أي: من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالنفخار. ﴿٢٢﴾ ثم يعيدكم فيها ﴿٢٣﴾ ويخرجكم إخراجاً ﴿٢٤﴾ للبعث ﴿٢٥﴾ ويخرجكم ﴿٢٦﴾ للبعث ﴿٢٧﴾ إخراجاً ﴿٢٨﴾ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴿٢٩﴾ ميسوطة ﴿٣٠﴾ مسهلة للحياة ﴿٣١﴾. ﴿٣٢﴾ لتسلوكوا منها سبلاً ﴿٣٣﴾ طرقاً ﴿٣٤﴾ فجاجاً ﴿٣٥﴾ واسعة، ﴿٣٦﴾ فتمشوا في مناكبها، وتأكلوا من رزقه ﴿٣٧﴾. ﴿٣٨﴾ قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا ﴿٣٩﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿٤٠﴾ من لم يزد ماله وولده ﴿٤١﴾ وهم: الرؤساء، المنعم عليهم بذلك، وولده، بضم الواو وسكون اللام، ويفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولد» - بفتحهما، كـ «خشب» و «خشب»، وقيل ^(١): بمعنى كـ «بخل» و «بخل»، فهما بمعنى واحد ﴿٤٢﴾ «إلا خساراً» طغياناً وكفراً.

﴿٤٣﴾ ومكروا ﴿٤٤﴾ أي: الرؤساء ﴿٤٥﴾ مكراً كبيراً عظيماً جداً، بأن كذبوا نوحاً وأذوه ومن اتبعه. ﴿٤٦﴾ وقالوا ﴿٤٧﴾ للسفلة ﴿٤٨﴾ لا تذر آلِهَتكم ولا تذر وداً ﴿٤٩﴾ بفتح الواو وضمها ﴿٥٠﴾ ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴿٥١﴾ هي أسماء أصنامهم، ﴿٥٢﴾ أي: لا تركوا عبادتها، كما يطلب منكم نوح. ﴿٥٣﴾ ٢٤ [قالوا ذلك] ﴿٥٤﴾ وقد أضلوا ﴿٥٥﴾ بها ﴿٥٦﴾ كثيراً من الناس، بأن أمروهم بعبادتها ﴿٥٧﴾ ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ﴿٥٨﴾ عطف على: «قد أضلوا»، دعا عليهم لما أوحى إليه: «أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن».

﴿٥٩﴾ ٢٥ «مما» «ما» صلة ﴿٦٠﴾ خطاياهم ﴿٦١﴾ وفي قراءة: «خطيئاتهم» بالهمز، ﴿٦٢﴾ أي: بسببها ﴿٦٣﴾ أغرقوا ﴿٦٤﴾ بالطوفان ﴿٦٥﴾ فادخلوا ناراً ﴿٦٦﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق ^(٢) تحت الماء ﴿٦٧﴾ فلم يجدوا لهم من دون الله ﴿٦٨﴾ أي: غيره ﴿٦٩﴾ أنصاراً ﴿٧٠﴾ يمنعون عنهم العذاب.

﴿٧١﴾ ٢٦ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴿٧٢﴾ أي: نازل دار، والمعنى: لا ترك منهم أحد.

﴿٧٣﴾ ٢٧ «إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً» من يفجر ويكفر، قال ذلك، لما تقدم من الإيحاء إليه.

﴿٧٤﴾ ٢٨ «رب اغفر لي ولوالدي» وكانا مؤمنين.

(١) قوله: «وقيل بمعنى»، أي: «ولد» بضم الواو وسكون اللام ويفتحهما، هما لغتان في «الولد» مثل: «البخل» و«البخل»، والعدم والعدم، فيتنق لفظ الواحد في كلا اللغتين مع لفظ الجمع، كما قالوا: «الفلك» في الواحد وفي الجمع.

(٢) قوله «عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء» أي: في الدنيا، فكانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب، وهذا القول مروى عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله، وهو قول غير قوي، والصحيح الذي قرره الرازي وقدمه القرطبي: أنهم أدخلوا بند إغراقهم، وهذا يدل على عذاب القبر لأن الإدخال حصل فور الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة وإلا بطلت دلالة الفاء. أرجع إلى تعليقنا حول «عذاب القبر ونعيمه» ص ٣٣٤، وتعليقنا حول «مصير الروح بعد الموت» ص ١٩٨.

﴿ولمن دخل بيتي﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى يوم القيامة ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ هلاكاً فأهلكوا.

﴿سُورَةُ الْجِنِّ﴾

(مكية، ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَلَا يَأْتِيهَا مَكَّانٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

١ ﴿قُل﴾ يا محمد للناس ﴿أوحى إلي﴾ أي: أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿أنه﴾ الضمير للشأن ﴿استمع﴾ لقراءتي ﴿نفر من الجن﴾ (١) جن «نصييين»، [وهي: قرية في اليمن]، وذلك في صلاة الصبح «بطن نخلة»، موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن»، الآية [٢٩ من سورة «الأحقاف» ص ٦٧٠] ﴿فقالوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ يُعجب منه، في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك. ٢ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فآمنا به ولن نشرك﴾ بعد اليوم ﴿بربنا أحداً﴾. ٣ ﴿وأنه﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تعالى جد ربنا﴾ تنزه جلاله وعظمته، عما نسب إليه ﴿ما اتخذ صاحبة﴾ زوجة ﴿ولا ولداً﴾. ٤ ﴿وأنه﴾ كان يقول سفيهننا ﴿جاهلنا﴾ على الله شططاً ﴿غلواً في الكذب﴾، بوصفه بالصاحبة والولد. ٥ ﴿وأننا ظننا أن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لن نقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ بوصفه بذلك، حتى تبيننا كذبهم بذلك. ٦ قال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون﴾ يستعيذون ﴿برجال من الجن﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان، من شرسفهائه.

(١) قوله تعالى: ﴿نفر من الجن...﴾ إلخ، أخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا شيء قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا - هذا الذي حدث - ، فانطلقوا، فانصرف نفر الذين ترجعوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً، فأنزل الله على نبيه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾ الآيات، وإن الذي أوحى إليه هو قول الجن، كما جاء في سورتي: «الأحقاف» ص ٦٧٠ و «الجن»، هذا في المرة الأولى التي استمع فيها الجن القرآن، ولكنه ﷺ خرج مرة أخرى ملياً داعي الجن، كما رواه مسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن، لأنه ﷺ مبعوث إلى الفلقين، كما سيأتي، ويقال للجن: «الجنة» بكسر الجيم ومنه قوله تعالى في سورة «الناس»: =

﴿فَزَادُوهُمْ﴾ يعوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ طغياناً، فقالوا: سُذْنَا الجن والإنس. ٧ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا﴾ كما ظننتم ﴿يا إِنْسُ﴾ أي: أنه ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ بعد موته. ٨ قال الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُمْنَا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مَلِكٌ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشَهَبًا﴾ نجوماً محرقة، [والصحيح أن «الشهاب»: قيس ينفصل عن الكوكب، لا أن الكوكب يزول عن مكانه]، و [قد حصل] ذلك، لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ. ٩ ﴿وَأَنَا كُنَّا﴾ أي: قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: نستمع ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا﴾ أرصد له، لِيُرْمَى بِهِ. ١٠ ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَ أَرِيدُ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيراً؟ ١١ ﴿وَأَنَا مَنَا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمَنَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرِائِقَ قَدَدًا﴾ فرقاً مختلفة، مسلمين وكافرين. ١٢ ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنَّ﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لَنْ نَعْجِزَ اللهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هاربين منها. ١٣ ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن ﴿أَمْنَا بِهِ﴾ فمن يؤمن بربه فلا يخاف ﴿بِخَسَا﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء، [أي: فهو لا يخاف] ﴿بِخَسَا﴾ نقصاً من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلماً، بالزيادة في سيئاته. ١٤ ﴿وَأَنَا مَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمَنَا الْقَاسِطُونَ﴾ الجاثرون بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية. ١٥ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، [وفي: «وَأَنَا» و «أَنَّهُمْ» و «أَنَّهُ»، في اثني عشر موضعاً، هي: و «أَنَّهُ تَعَالَى»، و «أَنَا مَنَا الْمُسْلِمُونَ» وما بينهما، [قراءتان]: بكسر الهمزة استنفاً، وبفتحة بما يوجّه به، [أي: بأن يؤول بمصدر يعطف على المصدر]. ١٦ قال تعالى في كفار مكة: ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين، [كما تقدم في سورة «الدخان» ص ٦٥٧].

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ١ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا ٢ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْكٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَبًا ٣ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ٤ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا ٥ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًا أَرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ٦ وَأَنَا مَنَا الصَّالِحُونَ وَمَنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِائِقَ قَدَدًا ٧ وَأَنَا ظَنْنَا أَنَّ لَنْ نَعْجِزَ اللهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ٨ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ٩ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ١٠ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ١١ وَأَنَا مَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمَنَا الْقَاسِطُونَ ١٢ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ١٣ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٤ وَالْوِاسِقُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ ١٥ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٦

﴿من الجنة والناس﴾، وهم خلق من مخلوقات الله تعالى حقيقة لا وهماء، فيجب الإيمان بوجودهم، لأن النصوص من الكتاب والسنة متضافرة على ذلك، وعليه انعقد الإجماع، ولا عبرة بمزاعم النافين لوجودهم، فمن الآيات والأحاديث الكثيرة فيهم نلخص ما يلي:

الجن أجسام لطيفة، خلقهم الله تعالى من النار، وهم عقلاء مكلفون، ذكور وإناث يتناسلون ويتوالدون، شملتهم رسالة محمد ﷺ، فمنهم المسلمون ومنهم الكافرون، مسلموهم يدخلون الجنة، وكافروهم في النار مخلدون، لم يرسل الله تعالى من الجن رسلاً، بل فيهم منذرون، أي: مؤمنون يبلغون قومهم دعوة الرسول من الإنس، يأكلون ويشربون، هم يروننا لأننا أجسام كثيفة، ونحن لا نراهم على حقيقتهم التي خلقهم الله عليها لأنهم أجسام لطيفة، وقد بينا أقوال العلماء في هذه المسألة، في تعليقنا على قوله تعالى: =

١٧ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم ﴿فيه﴾ فنعلم كيف شكرهم، عِلْمٌ ظهور ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ أي: القرآن ﴿نسلكه﴾ بالنون والياء: ندخله ﴿عذاباً صعباً﴾ شاقاً. ١٨ ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لله فلا تدعوا﴾ فيها ﴿مع الله أحدا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا. ١٩ ﴿وَأَنَّهُ﴾ بالفتح والكسر استئنافاً، والضمير للشأن ﴿لما قام عبد الله﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يدعوه﴾ يعبد به بطن نخلة ﴿كادوا﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يكونون عليه لبدا﴾ بكسر اللام وضمها، [فعلى قراءة الكسر: جمع «لُبْدَة»، [أي: كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً، ازدحاماً على سماع القرآن، [وعلى القراءة بضم اللام: «لُبْدَا» — هو واحد يدل على الكثرة]. ٢٠ ﴿قَالَ﴾ مجيباً للكفار في قولهم:

الجزء الثاني من القرآن

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعْباً ١٧ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٢٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ مُقَدَّرُونَ مَقْدَرًا خُلُودَهُمْ فِيهَا أَبَدًا ٢٤ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ مُقَدَّرُونَ مَقْدَرًا خُلُودَهُمْ فِيهَا أَبَدًا ٢٥ قُلْ إِنِّي لَا أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ٢٦ عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ٢٧ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ

«ارجع عما أنت فيه»، وفي قراءة: «قل»، «إنما أدعو ربي» إلهاً «ولا أشرك به أحداً». ٢١ «قل» «إني لا أملك لكم ضراً» غياً «ولا رشداً» خيراً. ٢٢ «قل» «إني لن يجيرني من الله» من عذابه «إن عصيته» «أحد ولن أجِد من دونه» أي: غيره «ملتحداً» ملتجأ. ٢٣ «إلا بلاغاً» استثناء من مفعول «أملك»، أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم «من الله» أي: عنه «ورسالاته» عطف على «بلاغاً»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض، لتأكيد نفي الاستطاعة «ومن يعص الله ورسوله» في التوحيد، فلم يؤمن «فإن له نار جهنم خالدين» حال من ضمير «من»، [الملحوظ] في: «له»، رعاية لمعناها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مقدراً خلودهم «فيها أبداً». ٢٤ «حتى إذا رأوا» [حتى] ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا «ما يوعدون» من العذاب «فسيعلمون» عند حلوله بهم يوم «بدر»، أو: يوم القيامة «من أضعف ناصراً وأقل عدداً» أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني، فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ٢٥ «قل إن» أي: ما «أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً» من العذاب «أم يجعل له ربي أمداً» غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو؟ ٢٦ «عالم الغيب» ما غاب عن العباد «فلا يظهر» يطلع «على غيبه أحداً» من الناس. ٢٧ «إلا من ارتضى من

رسول فإنه» مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له «يسلك» يجعل ويسير «من بين يديه» أي: الرسول «ومن

«إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» ص ١٩٥، أعطاهم الله تعالى القدرة على أن يظهروا في صور مختلفة كالإنسان والحيوان، وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات كما في أحاديث في صحيح مسلم، أما النبي ﷺ فلا يمتنع أن يكون رآهم في صورهم كما يرى الملائكة — كما قال ابن العربي — فقد روى مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنه أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن»، قال ابن مسعود: «فانطلق فأرانا آثارهم واثار نيرانهم»، فهذه الطرق التي في «صحيح مسلم» تدل على أنه ﷺ رآهم وذهب إليهم قصداً، فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، أما جن «نصيين» الذين استمعوا إليه وهو يصلي بطن نخلة، فلم يرههم النبي ﷺ ولم يشعر بحضورهم واستماعهم.

خلفه رصداً ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الرحي . ٢٨ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور، [أي: ليظهر ما علمه] ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ الرسل ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدر، أي: فعلهم ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محول المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء .

﴿سُورَةُ الْمِزْمَلِ﴾

(مكية، أو: إلا قوله: «إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ» . إلى آخرها، فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ [هو] النبي ﷺ، وأصله: «المتزمل»، أدغمت التاء في الزاي، أي: المتلفف بشيابه حين مجيء الوحي، خوفاً منه لهيبته، [كما سيأتي في سورة «المدثر»] . ٢ ﴿قُمِ اللَّيْلُ﴾ صلّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ . ٣ ﴿نِصْفَهُ﴾ بدل من «قليلًا»، وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث . ٤ ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثلثين، و«أو» للتخيير ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ تثبت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾ [أي: اقرأه على مهل وبيان، مع تدبر المعاني] . ٥ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ مهيباً، أو: شديداً، لما فيه من التكليف . ٦ ﴿إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ [بكسر الواو، وفتح الطاء والمد، أي: موافقة لمن] السمع للقلب على تفهم القرآن، [لانقطاع الأصوات والحركات، فيواطىء السمع القلب، وفي قراءة: «وَطْأً» بفتح الواو وسكون الطاء، أي: أثبت قراءة وقياماً] ﴿وَأَقُومُ قِيْلًا﴾ أبين قولاً . ٧ ﴿إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن . ٨ ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل «بسم الله الرحمن الرحيم»، في ابتداء قراءتك ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾ في العبادة ﴿تَبْتِيلًا﴾ مصدر «تَبَّلَ»، [واقع موقع: «تَبَتَّلَ» الذي هو مصدر «تَبَّلَ»]، جيء به رعاية للفواصل، [أي: لرؤوس الآي]، وهو ملزوم التبتل، [أي: انقطع بعبادتك إليه تعالى، ولا تشرك به غيره] . ٩ هو «رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو

سُورَةُ الْمِزْمَلِ ٧٣

خَلْفَهُ رَصَدًا ٢٧ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٢٨

(٧٣) سُورَةُ الْمِزْمَلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِصْفَهُ - أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقُومُ قِيْلًا ٦ إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

٧٧٣

ويستطيع الجنّ الدخول في جسد الإنسي، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»: في هذه الآية دليل على فساد إنكار «الصُّرَع» من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبايع، وأن «الشيطان» لا يسلك في الإنسان، ولا يكون منه مس. اهـ. وهذا ما عليه جمهور العلماء. والدليل على وقوع تسلط الشيطان على أجساد بني آدم بالأذى قوله تعالى: «وَإِذْ نَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانَ يَنْصُبْ وَعَذَابُكَ» فكان له تسلط على جسده لا على عقله وقلبه، لأنه ليس له سلطان على عباد الله المخلصين، ويدأوى «المصروع» بتلاوة القرآن، كاية الكرسي والمعوذتين وبالدُّعَاءِ والدعاء، ولا يجوز استعمال ما سوى ذلك مطلقاً.

فاتخذوه وكيلاً ﴿١٠﴾ واصر على ما يقولون ﴿١١﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿واجرهم هجرًا جميلًا﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم. ﴿١٢﴾ وذرنى ﴿والمكذبين﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أولي النعمة﴾ التمتع ﴿ومهلهم قليلاً﴾ من الزمن، فقتلوا بعد يسير منه ببدر. ﴿١٣﴾ إن لدينا أنكالا ﴿قيوداً ثقلاً﴾ جمع: نكل، بكسر النون ﴿وجحيماً﴾ ناراً محرقة. ﴿١٤﴾ وطعاماً ذا غصة ﴿يغصُّ به في الحلق، وهو: الزقوم، أو: الضريع، أو: الغسلين، أو: أشوك من نار﴾ لا يخرج ولا ينزل ﴿وعذاباً أليماً﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر، لمن كذب النبي ﷺ. ﴿١٥﴾ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴿سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال، يهيل، وأصله: مهيلول، استقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء. ١٥﴾ إنا أرسلنا إليكم ﴿يا أهل مكة﴾ رسولاً ﴿هو محمد ﷺ﴾ شاهدًا عليكم ﴿يوم القيامة﴾ بما يصدر منكم من العصيان ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾ هو موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿١٦﴾ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً شديداً. ﴿١٧﴾ فكيف تتقون إن كفرتم ﴿في الدنيا﴾ يوماً ﴿مفعول: تتقون، أي: عذابه، أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم يجعل الولدان شيباً﴾ جمع «شيب» لشدة هوله، وهو: يوم القيامة، والأصل في شين: «شيباً» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشيب نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة. ﴿١٨﴾ السماء منفطره ذات انقطاع، أي: انشقاق به ﴿بذلك اليوم لشدة﴾ كان وعده ﴿تعالى بمجيء ذلك مفعولاً﴾ أي: هو كائن لا محالة. ﴿١٩﴾ إن هذه الآيات المخوفة ﴿تذكروا﴾ عظة للخلق ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة. ﴿٢٠﴾ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى ﴿من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ بالجر: عطف على «ثلثي»، وبالنصب، عطف على «أدنى»، وقيامه كذلك، نحو ما أمر به أول السورة ﴿وطائفة من الذين معك﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري، كم صلى من الليل؟ وكم بقي منه؟ فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، سنة أو أكثر، فخفف عنهم، قال تعالى: ﴿والله يقدر﴾ يحصى «الليل والنهار

الجزء الثاني والعشرون

فَاتَّخَذْهُ وَكِيلًا ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُهُمْ هَجرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٦﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذَاً وَبِيلًا ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

أما الاتصال بالجن بأوراد وأقوال مخصوصة والتحدث معهم فأمر ممكن الحصول، وواقع بالفعل ولكنه غير جائز شرعاً، لما يترتب عليه من أضرار في دين الفاعل ونفسه، والشواهد من الواقع على ذلك كثيرة، وعلى المسلمين أن يحذروا أولئك المشعبذين، الذين يغشون الناس بما يدعونه من تلقي العلوم والأخبار والعلاجات الطبية عن الجن، فأكثر الجن مرده فاجرون، لا يريدون للمؤمن إلا الأذى والسوء والجن لا يعلمون الغيب، وكذلك الآخذون عنهم من الإنس، روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال رسول الله ﷺ: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله، إنهم يتحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الجن يخطفها =

عَلِمَ أَنْ ﴿مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا مُحَذَوْفٌ، أَي: أَنَّهُ ﴿لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أَي: اللَّيْلُ، لَتَقُومُوا فِيهَا بِإِجْبَابِ الْقِيَامِ فِيهِ، إِلَّا بِقِيَامِ جَمِيعِهِ، وَذَلِكَ يُشَقُّ عَلَيْكُمْ﴾ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴿رَجَعَ بِكُمْ إِلَى التَّخْفِيفِ﴾ فَاقْرَءُوا مَا تيسر من القرآن ﴿فِي الصَّلَاةِ، بَأَن تَصَلُّوا مَا تيسر﴾ عَلِمَ أَنْ ﴿مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، أَي: أَنَّهُ ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يَسَافِرُونَ ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يَطْلُبُونَ مِنْ رِزْقِهِ، بِالتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَكُلٌّ مِنَ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ، يُشَقُّ عَلَيْهِمْ مَا ذُكِرَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، فَخَفَّفَ عَنْكُمْ بِقِيَامِ مَا تيسر منه، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تيسر مِنْهُ﴾ [أَي فِي الصَّلَاةِ] كَمَا تَقْدُمُ ﴿وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ﴾ بَأَن تَنْفِقُوا مَا سِوَى الْمَفْرُوضِ مِنَ الْمَالِ، فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عَنْ طَيِّبِ قَلْبٍ ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ مِمَّا خَلَفْتُمْ، وَ «هُوَ» [ضَمِيرٌ] فَصْلٌ، [وَاقِعٌ بَعْدَ مَعْرِفَةٍ]، وَمَا بَعْدَهُ [أَي: «خَيْرٌ»]، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْرِفَةً، [فَإِنَّهُ] [يُشَبِّهُهَا، لِامْتِنَاعِهِ مِنَ التَّعْرِيفِ^(١)]، [لِاقْتِرَانِهِ بِـ «مِنْ» مَقْدَرَةً] ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفَرُوا﴾ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿بِهِمْ﴾.

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ ٧٤

عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تيسر من القرآن عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تيسر مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

(مكية، خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ﴾^(٢) هُوَ: النَّبِيُّ ﷺ، وَأَصْلُهُ: «الْمَدَّثَرُ»، أَدْغَمْتَ التَّاءَ فِي الدَّالِ، أَي: الْمَتَلَفُ بِشَبَابِهِ، عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ ﷺ.
- ٢ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ خَوْفُ أَهْلِ مَكَّةَ النَّارِ، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا.
- ٣ ﴿وَرَبِّكَ فَكْبِرْ﴾ عَظَّمَ عَنْ إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ.

(٧٤) سُورَةُ الْمَدَّثَرِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا الْمَدَّثَرُ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ٣

= الْجَنِّيُّ فَيَقْرَأُ فِي أُذُنِ وَلَدِهِ، فَيُخَلِّطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَلْبَةٍ، وَمِنْ «الْكُهْنَانَةِ»: «الْعَرَّافُ» - أَي: «الْمُبْصِرُ» - وَ «الرَّمَالُ» أَي: ضَارِبُ الرَّمْلِ، وَ «الْمَنْجَمُ» أَي: الَّذِي يَدْعِي عِلْمَ الْغَيْبِ بِنَاءٍ عَلَى النُّجُومِ - وَهَذَا غَيْرُ «عَالِمِ الْفَلَكَ» - وَالَّذِي يَضْرِبُ بِالْحَصَى وَالْوَدْعَ، وَالَّذِي يَدْعِي أَنَّ لَهُ صَاحِبًا مِنَ الْجِنِّ يُخْبِرُهُ عَمَّا سَيَكُونُ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَذْمُومٌ شَرْعًا مُحْكَمٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ صَدَّقَهُمْ بِالْكَفْرِ.

(١) قَوْلُهُ: «لِامْتِنَاعِهِ مِنَ التَّعْرِيفِ» أَي: يَمْتَنِعُ هُنَا تَعْرِيفَ أَفْعَلٍ مِنَ الْفِعْلِ إِلَى مَوْالٍ خَاصَّةً: أَنَّ ضَمِيرَ الْفِعْلِ لَا يَقَعُ إِلَّا بَيْنَ مَعْرِفَتَيْنِ، وَهُنَا وَقَعَ بَيْنَ مَعْرِفَةٍ وَنَكْرَةٍ، فَاجْتَابَ عَنْهُ بِأَن أَفْعَلَ التَّفْضِيلُ - خَيْرًا - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْرِفَةً فَهُوَ يُشَبِّهُهَا، فَجَازَ الْإِتْيَانُ بِضَمِيرِ الْفِعْلِ.

(٢) أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ - وَاللَّفْظُ لِلْمَسْلَمِ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَارَوْتُ بَحْرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلَتْ فَاسْتَبَطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَتَوَدَّيْتُ فَنظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَنظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَفَرَعْتُ رَأْسِي، فَلَمَّا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي: جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَتْني رَجْفَةً شَدِيدَةً، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثَرُونِي، فَدَثَرُونِي، فَصَبَّوْا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ﴾. الْآيَاتُ.

٤ ﴿وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ﴾ عن النجاسة، أو قصرها، خلاف جرّ العرب ثيابهم خيلاء، فربما أصابتها نجاسة. ٥ ﴿وَالرَّجْزُ﴾ فسرّه النبي ﷺ بالأوثان، [رواه الحاكم وصححه] ﴿فَاهَجَرَ﴾ أي: دم على هجره. ٦ ﴿وَلَا تَمَنَّيْ تَسْتَكْثِرُ﴾ بالرفع حال، أي: لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ^(١) ﷺ، لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب. ٧ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي. ٨ ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور، وهو: «القرن»، النفخة الثانية. ٩ ﴿فَذَلِكَ﴾ أي: وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله - «المبتدأ» - ويُنْبِئُ لإضافته إلى غير متمكن، [أي: إلى مُتَوَيْنِ تنوين عوض عن جملة، وهو: «إِذَا»، أما تنوين التمكين، فهو اللاحق للاسم المنصرف مثل: «رجلٌ» و «قاضيٌ»]، وخبر المبتدأ ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ والعامل في «إِذَا»، ما دلّت عليه الجملة، أي: اشتد الأمر.

الْمَثَلُ الْخَامِسُ

وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ ٤ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمَنَّيْ ٦
تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ ٨
فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ١٠ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا ١٢ وَبَنِينَ شُهَدَاءَ ١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ١٦
سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ١٧ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ
سَقَرًا ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨
لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلْنَا

١٠ ﴿على الكافرين غير يسير﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين ^(٢)، أي: في عسره. ١١ ﴿ذرني﴾ اتركني ﴿ومن خلقت﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه [وهو، الصحيح، فالواو ليست عاطفة، وهذا تهديد ووعد، أي: أعرض عن عانذك، فسأتولّى عقابه] ﴿وحيداً﴾ حال من «مَنْ»، أو: من ضميره المحذوف، أي: مَنْ خلقتُه منفرداً بلا أهل ولا مال، هو: «الوليد بن المغيرة». ١٢ ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ واسعاً متصلاً، من الزروع والضروع والتجارة. ١٣ ﴿وبنين﴾ عشرة أو أكثر ﴿شهودا﴾ يشهدون المحافل، وتُسمعُ شهاداتهم. ١٤ ﴿ومهدت﴾ بسطت ﴿له﴾ في العيش والعمر والولد ﴿تمهيداً﴾. ١٥ ﴿ثم يطمع﴾ أن أزيد ﴿[يُدخاله الجنة؟]﴾ ١٦ ﴿كلاً﴾ لا أزيده على ذلك ﴿إنه كان لآياتنا﴾ القرآن ﴿عنيدا﴾ معانداً. ١٧ ﴿سأرهقه﴾ أكلفه ﴿صعوداً﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلاً من نار، يصعد فيه ثم يهوي أبداً. ١٨ ﴿إنه فكر﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وقدر﴾ في نفسه ذلك. ١٩ ﴿فقتل﴾ لِعَنَ وَعَذَّبَ ﴿كيف قدر﴾ على أي حال كان تقديره. ٢٠ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ ٢١ ﴿ثم نظر﴾ في وجوه قومه، أو: فيما يقدح به فيه. ٢٢ ﴿ثم عبس﴾ قبض وجهه وكَلَحَهُ، ضيقاً بما يقول ﴿وبسر﴾ زاد في القبض والكُلُوح. ٢٣ ﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان واستكبر ﴿وتكبر﴾ عن اتباع النبي ﷺ. ٢٤ ﴿فقال﴾ فيما جاء به ﴿إن﴾ ما هذا إلا سحر يؤثر ﴿ينقل عن السحرة﴾. ٢٥ ﴿إن﴾ ما هذا إلا قول البشر ﴿كما قالوا﴾: «إنما يعلمه بشر». ٢٦ ﴿سأصلبه﴾ أدخله ﴿سقر﴾ جهنم. ٢٧ ﴿وما أدراك ما سقر﴾ تعظيم لشأنها. ٢٨ ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ [أحداً من الكافرين،

(١) قوله: «وهذا خاص به ﷺ، إلخ»، أرجع إلى تعليقنا حول «عبدة الثواب» ص ٥٣٥.

(٢) قوله: «أنه يسير على المؤمنين في عسره»، أي: فيكون أخف عليهم من صلاة مكتوبة يصلونها المؤمن في الدنيا، كما في حديث ذكرنا نصه ص ٧٦٥.

أو: [شيئاً من لحم ^(١) ولا عصب، إلا أهلكته ثم يعود كما كان. ٢٩ ﴿لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ محرقة لظاهر الجلد. ٣٠ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ مَلَكًا﴾ هم خزنتها، قال بعض الكفار، [هو: أبو الأشدّين، أو: الأشدّ، واسمه أسيد بن كلدة الجُمحي]، وكان قوياً شديداً البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين. ٣١ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: فلا يطاقون، كما يَتَوَهَّمُونَ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ﴾ ذلك [العدد] ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [كأبي جهل وأمثاله]، بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لَيْسَتِيقْنَ﴾ [ليستبين] ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود [والنصارى]، صدّق النبي ﷺ، أنها تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ [تصديقاً] لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك بالمدينة [وهم: المنافقون] ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ﴾ مثلاً؟ ﴿سَمَوْهُ لَغُرَابَتِهِ﴾، بذلك، وأعرب حالاً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال مُنْكَرٍ هذا العدد، وهُدَى مَصْدَقَهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ من يشاء وما يعلم جنود ربك؟ أي: الملائكة، في قوتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾. ٣٢ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾. ٣٣ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا﴾ بفتح الذال ﴿دَبَّرَ﴾ جاء بعد النهار، وفي قراءة: «إذ أدبر»، بسكون الذال بعدها همزة، أي: مضى. ٣٤ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ظهر. ٣٥ ﴿إِنِّهَا﴾ أي: سقر ﴿لِإِحْدَى الْكَبِيرِ﴾ البلياء العظام. ٣٦ ﴿نَذِيرًا﴾ حال من «إحدى»، وذكر، لأنها بمعنى العذاب «لِلْبَشَرِ». ٣٧ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بدل من «البشر» ﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. ٣٨ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. ٣٩ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون، فَنَاجُونَ مِنْهَا، كائنون: ٤٠ ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ بينهم. ٤١ ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم، ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ٤٢ ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ المؤمنين الذين يصلون. ٤٤ ﴿وَلَمْ نَكْ نَنْطَعَمْ﴾

سُورَةُ الْمُلَافَةِ ٧٤

أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَبَيِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ٣١ كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤ إِنِّهَا لِإِحْدَى الْكَبِيرِ ٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٣٦ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمْ نَكُ نَطْعَمْ

أدخلكم ﴿ففي سقر؟﴾. ٤٣ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [أي: المؤمنين الذين يصلون]. ٤٤ ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعَمْ﴾

(١) قوله: «شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته»، هذا التفسير هو ما ذهب إليه كثير من المفسرين، ولكن المتأمل يدرك أنه تفسير بعيد، ولا يتفق مع آيات العذاب الأخرى حتى الآية التالية لها: ﴿لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ فإذا كانت لا تبقى شيئاً من لحم ولا عصب، فما فائدة الإشارة إلى أنها تحرق الجلد؟ فعندما يكون اللحم قد احترق هل يبقى للجلد أثر لتلوّحه النار؟ ولقوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ نَفْسُ جُلُودِهِمْ بِلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، فالآية هذه واضحة في أن الاحتراق لا يتناول اللحم لأنه لا إحساس فيه، بل الإحساس كله في الجلد الكائن في ظاهر البدن، وفي باطنه كالأمعاء كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ١٠٩، =

المسكين ﴿٤٥﴾ وكنا نخوض ﴿٤٦﴾ مع الخائضين ﴿٤٧﴾ فيه. ﴿٤٨﴾ وكنا نكذب بيوم الدين ﴿٤٩﴾ البعث والجزاء. ﴿٥٠﴾ حتى أتانا اليقين ﴿٥١﴾ الموت. ﴿٥٢﴾ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿٥٣﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم^(١). ﴿٥٤﴾ فما ﴿٥٥﴾ مبتدأ ﴿٥٦﴾ لهم ﴿٥٧﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل^(٢) ضميره إليه ﴿٥٨﴾ عن التذكرة معرضين ﴿٥٩﴾ حال من الضمير، المعنى: أي شيء حصل لهم، في إعراضهم عن الاعتاق؟ ﴿٦٠﴾ كأنهم حمير ﴿٦١﴾ بضم الميم، جمع: ﴿٦٢﴾ حمار ﴿٦٣﴾ مستنفرة ﴿٦٤﴾ وحشية. ﴿٦٥﴾ فرت من قسورة ﴿٦٦﴾ أسد، أي: هربت منه أشد الهرب. ﴿٦٧﴾ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة ﴿٦٨﴾ أي: من الله تعالى، باتباع النبي ﷺ؟ كما قالوا: ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾. ﴿٦٩﴾ كلاً ﴿٧٠﴾ ردع عما أرادوه ﴿٧١﴾ بل لا يخافون الآخرة ﴿٧٢﴾ أي: عذابها. ﴿٧٣﴾ كلاً ﴿٧٤﴾ استفتاح ﴿٧٥﴾ إنه ﴿٧٦﴾ أي: القرآن ﴿٧٧﴾ تذكرة ﴿٧٨﴾ عظة. ﴿٧٩﴾ فمن شاء ذكره ﴿٨٠﴾ قرأه فاتعظ به. ﴿٨١﴾ وما يذكرون ﴿٨٢﴾ بالياء والتاء ﴿٨٣﴾ إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى ﴿٨٤﴾ بأن يتقى ﴿٨٥﴾ وأهل المغفرة ﴿٨٦﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَسْكِينِ ﴿١﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٢﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٥﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٦﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٧﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٨﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً ﴿٩﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿١٢﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الْقِيَمَةِ

(مكية، أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿١﴾ زائدة في الموضعين، [أي: هذا والذي بعده، وزيادتها لتأكيد القسم] ﴿٢﴾ أقسم بيوم القيامة. ٢ ﴿٣﴾ ولا أقسم بالنفس اللوامة التي تلوم نفسها [على ما فات وتندم، أو: تحاسب نفسها] وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف، أي: لتبعثن، دل عليه:

= والمعنى الصحيح للآية هو: أنها لا تبقى ولا تذر أحداً من الكافرين إلا تلتفت به ليلها، أو: هي كقوله تعالى: ﴿نَمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يموت الكافر فيستريح، ولا يحيى حياة من غير عذاب، وقال مجاهد رحمه الله: لا تبقى من فيها حياة، ولا تذر ميثاً، تحرقهم كلما جددوا.

(١) قوله: «لا شفاعة لهم»، أرجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» في الآخرة ص ٦١٢.

(٢) قوله: «متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه»، أي: إن الخير — لهم — متعلق بمحذوف وجوباً تقديره: «حصل أو حاصل» وهو الخبر حقيقة، فانتقل ضمير هذا المحذوف إلى الجار والمجرور وسمي ظرفاً أو جاراً ومجروراً مستقراً، لاستقرار الضمير فيه، فحل محل المحذوف في كونه خبراً للمبتدأ، هذا قول جمهور البصريين. وقال غيرهم: إن المتعلق — أي: المحذوف المقدر المذكور — هو الخير، فالضمير عندهم باق في هذا المتعلق لم ينتقل إلى شيء الجملة، وعليه فإن الجار والمجرور متعلقان بالمحذوف المقدر الذي هو في محل رفع خبر المبتدأ. واختار ابن مالك أن يقدّر المحذوف اسم فاعل، وذهب ابن هشام إلى تساوي تقدير اسم الفاعل أو الفعل، فسيان عنده أن نقول: تقديره «كائن ومستقر»، أو: كان واستقر.

(٧٥) سُورَةُ الْفِيَاضِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿٢﴾

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۚ (٣) بَلَىٰ قَدَرِينَ
 عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۚ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ
 أَمَامَهُ ۚ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ (٦) فَإِذَا بَرَقَ
 الْبَصَرُ ۚ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۚ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ ۚ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۚ (١٠)
 كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ (١٢)
 يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ (١٣) بَلِ
 الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ۚ (١٥)
 لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
 وَقُرْآنَهُ ۚ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ (١٨) ثُمَّ إِنَّ
 عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۚ (٢٠)
 وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۚ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۚ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا

٣ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر ﴿النَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ للبعث والإحياء؟ ٤ ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَادِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ وهو: الأصابع (١) أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ ٥ ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه بـ «أن» مقدرة، أي: أن يكذب ﴿أَمَامَهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: ٦ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ؟﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. ٧ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ بكسر الراء وفتحها: دَهْشٌ وَتَحْيِيرٌ، لَمَّا رَأَىٰ مِمَّا كَانَ يَكْذِبُهُ. ٨ ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أَظْلَمَ وَذَهَبَ ضَوْؤُهُ. ٩ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطُلعا من المغرب، أو: ذهب ضوءهما [وهو الصحيح] وذلك في يوم القيامة. ١٠ ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ؟﴾ ١١ ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ يُتَحَصَّنُ بِهِ. ١٢ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر الخلائق، فيحاسبون ويجازون. ١٣ ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره، [أو بما أسلف من عمل، أو آخر من سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ أو صَالِحَةٍ، يُعْمَلُ بِهَا بَعْدَهُ، يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّا نَحْنُ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ»]. ١٤ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد، تنطق جوارحه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بد من جزائه. ١٥ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ﴾ جمع: «مَعَذرة»، على غير قياس، [وقياسه: «مَعَاذِرُ»]، أي: لو جاء بكل معذرة، ما قبلت منه. ١٦ قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ بالقرآن، قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك. ١٧ ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قراءتك إياه، أي: جريانه على لسانك.

١٨ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع، ثم يقرأ [كما أقرأه جبريل، روى ذلك الشيخان وغيرهما]. ١٩ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بالتهديم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها. ٢٠ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: «أَلَا» ﴿بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا، بالياء والتاء في الفعلين: «يحبون» و«يذرون»]. ٢١ ﴿وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ فلا يعملون لها. ٢٢ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاصِرَةٌ﴾ حسنة مضيئة. ٢٣ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا

(١) قوله: «وهو الأصابع»، قال في القاموس المحيط: وهي الأصابع وأطرافها، وفي «مختار الصحاح»: «البنان» واحده «بنانة» هي أطراف الأصابع، وعلى كل حال فإن ذكر البنان في هذه الآية إعجاز قرآني، لأن في أطراف الأصابع من الدقة في ترتيب خطوط جلدها ما يدهش العقول، وهو ما يعرف «بالبصمات»، فلقد ثبت أنه لا توجد بصمة من أصبع إنسان تشبه بصمة تلك الأصبع من إنسان آخر، لذلك يعتمد المحققون في اكتشاف الجرائم والسرقات وغيرها على بصمات أطراف الأصابع، كما أنها مركبة من عظم ولحم وغضروف - الظفر - ينبت كلما قص، وجلد حساس جداً يميز الإنسان باللمس به الأشياء المحسوسة، ويعرفها معرفة تامة لا يحصلها بغير البنان من جلده كله.

ناظرة ﴿٢٤﴾ أي: يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة^(١). ﴿٢٥﴾ ووجوه يومئذ بأسرة ﴿٢٦﴾ كالحلة شديدة العبوس. ﴿٢٧﴾ تظن ﴿٢٨﴾ أن يفعل بها فاقرة داهية عظيمة، تكسر فقار الظهر. ﴿٢٩﴾ كلاً بمعنى: «ألا» إذا بلغت النفس «الترافي» عظام الحلق. ﴿٣٠﴾ وقيل ﴿٣١﴾ قال من حوله: «من راق»^(٢) يرقيه ليشفي؟ [أي: أين الراقي..؟ اتوا به]. ﴿٣٢﴾ وظن ﴿٣٣﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك «أنه الفراق» فراق الدنيا. ﴿٣٤﴾ والتفت الساق بالساق ﴿٣٥﴾ أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو: التفت شدة فراق الدنيا، بشدة إقبال الآخرة. ﴿٣٦﴾ إلى ربك يومئذ المساق ﴿٣٧﴾ أي: السَّوق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، المعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم، تُساق إلى حكم ربها، [ولا رادٌ لذلك]. ﴿٣٨﴾ فلا صدق الإنسان ﴿٣٩﴾ ولا صلى ﴿٤٠﴾ أي: لم يصدق ولم يصل. ﴿٤١﴾ ولكن كذب ﴿٤٢﴾ بالقرآن ﴿٤٣﴾ وتولى ﴿٤٤﴾ عن الإيمان. ﴿٤٥﴾ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴿٤٦﴾ يتبختر في مشيته إعجاباً. ﴿٤٧﴾ أولى لك ﴿٤٨﴾ فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل [بمعنى: «لَرمَكَ»] واللام للتبيين، أي: وَلَيْكَ ما نكره ﴿٤٩﴾ فأولى ﴿٥٠﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك. ﴿٥١﴾ ثم أولى لك فأولى ﴿٥٢﴾ تأكيد. ﴿٥٣﴾ أبحسب ﴿٥٤﴾ يظن ﴿٥٥﴾ الإنسان أن يترك سدى ﴿٥٦﴾ هملاً، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يَحْسَب ذلك. ﴿٥٧﴾ ألم يك ﴿٥٨﴾ أي: كان ﴿٥٩﴾ نطفة من مني تمنى ﴿٦٠﴾ بالتاء والياء، تُصَّب في الرحم؟ ﴿٦١﴾ ثم كان ﴿٦٢﴾ المني [أي: صار] ﴿٦٣﴾ علقه فخلق ﴿٦٤﴾ الله منها الإنسان ﴿٦٥﴾ فسوى ﴿٦٦﴾ عدل أعضائه؟ ﴿٦٧﴾ فجعل منه ﴿٦٨﴾ من المني الذي صار علقه، أي: قطعة دم، ثم مضغة، أي: قطعة لحم ﴿٦٩﴾ الزوجين النوعين ﴿٧٠﴾ الذكر والأنثى؟ ﴿٧١﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. ﴿٧٢﴾ أليس ذلك ﴿٧٣﴾ الفعال لهذه الأشياء ﴿٧٤﴾ بقادر على أن يحيي الموتى؟ ﴿٧٥﴾ قال ﷺ: [«من قرأ: لا أقسم بيوم القيامة، فأنتهى إلى قوله: أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ فليقل: بلى»^(٣)، [رواه أبو داود وأحمد، وهو حديث ضعيف^(٤)].

الجزء الثاني من القرآن

نَاطِرَةً ﴿٢٤﴾ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ ﴿٢٥﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٧﴾ وَقِيلَ مِنْ رَأَقٍ ﴿٢٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٩﴾ وَالتَّفَتِ أَلْسَاُقُ بِأَلْسَاُقٍ ﴿٣٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاُقُ ﴿٣١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٢﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٤﴾ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ﴿٣٥﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ﴿٣٦﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٧﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى ﴿٣٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً تَلْحَقُ فَسَوَّى ﴿٣٩﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤١﴾

(١) قوله: «يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة»، هذا حق، ارجع إلى تعليقنا حول «رؤيته» ص ٢٧٠.

(٢) قوله: «يرقيه ليشفي»، هذا نداء المستغيث، في ساعة لا يجد الإنسان فيها مَنْ يُغِيث، إنها استغاثة من جاءته سكرة الموت بالحق، فلا ينفعه «راق» يرقى، ولا طبيب يداوي، ولا دواء ولا علاج.

(٣) قوله: «بلى» هذا حرف جواب، ارجع إلى تعليقنا حول الجواب به، ص ٦١٠.

(٤) فالصحيح أنه لا يجاب بـ «بلى» هنا، ولا في آخر «اليتين والزيتون»، لعدم قوة الحديث، خصوصاً في الصلاة.

سُورَةُ الْاِنْسَانِ

(مكية، أو: مدنية. إحدى وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ اَدَمٌ حِينَ
من الدهر؟ أربعون سنة ﴿لم يكن﴾ فيه شيئاً
مذكوراً ﴿كان فيه مصوراً من طين لا يُذكر،
أو المراد بالإنسان الجنس، وبالحين مدة
الحمل. ٢﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ اَلْجَنَسَ ﴿من
نطفة أمشاج﴾ أخلاط، أي: من ماء الرجل
وماء المرأة، المختلطين الممتزجين ﴿نبّليه﴾
نخبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو: حال
مقدرة، أي: مريدين ابتلاءه حين تأمله
﴿فجعلناه﴾ بسبب ذلك ﴿سميعاً بصيراً﴾.
٣ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴿بيّنا له طريق الهدى،
يبعث الرسل﴾ إِمَّا شَاكِرًا ﴿أي: مؤمناً﴾ وَإِمَّا
كَفُورًا ﴿حالان من المفعول، أي: بيّناه له في
حال شكره أو كفره، المقدّرة، و﴾ إِمَّا لَتَفْصِيلِ
الأحوال. ٤ إِنَّا أَعْتَدْنَا هِيَئًا ﴿للكافرين
سلاسل﴾ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ ﴿وأغلالاً﴾ فِي
أَعْنَاقِهِمْ، تُشَدُّ فِيهَا السَّلَاسِلُ ﴿وسعيراً﴾ نَارًا
مُسَعَّرَةً ﴿أي: مهيّجة يعذبون بها. ٥﴾ إِنْ
الْأَبْرَارَ ﴿جمع «بر»، أو: «بار»، وهم:
المطيعون ﴿يشربون من كأس﴾ هو: إناء شرب
الخمير وهي فيه، والمراد: «من خمر»، تسمية
للحال باسم المحل، و «من» للتبويض ﴿كان
مزاجها﴾ ما تمزج به ﴿كافوراً﴾ [لطيب
رائحته]. ٦ عَيْنًا ﴿بدل من: «كافوراً»، فيها
رائحته ﴿يشرب بها﴾ منها ﴿عباد الله﴾ أولياؤه

سُورَةُ الْاِنْسَانِ ٧٦

(٧٦) سُورَةُ الْاِنْسَانِ مَدَنِيَّةٌ
وَاَيَّانَهَا اِحْدَى وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا
مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
بِفَعْلَانِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِّنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ اَلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا

٧٨١

﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يقودونها^(١) حيث شاؤوا من منازلهم، [قاله مجاهد بن جبر رحمه الله]. ٧ ﴿يوفون بالنذر﴾^(٢)
في طاعة الله ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ منتشرًا، [يقال: استطار الحريق إذا انتشر]. ٨ ﴿ويطعمون الطعام
على حبه﴾ أي: الطعام وشهوتهم له، [أو: على حب الله تعالى، أي: لوجه الله عز وجل] ﴿مسكيناً﴾ فقيراً

(١) قوله: «يقودونها»، أي: يُجَرِّونَهَا وَيُسَيِّرُونَهَا.

(٢) قوله تعالى: «يوفون بالنذر»، النذر ليس مرغباً فيه شرعاً، بل هو مكروه، لأنه التزام وتشديد على النفس، وإنما يستخرج به من البخيل،
ارجع إلى تعليقنا حول «النذر» ص ٥٧.

﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾^(١) يعني: المحبوس بحق. ٩ ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ شكرًا، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأثنى عليهم به؟ قولان. ١٠ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلم الوجوه فيه، أي: كربه المنظر لشدة ﴿قَمَطِيرًا﴾ شديدًا في ذلك. ١١ ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حُسْنًا وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾. ١٢ ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم^(٢) عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ ألبسوه. ١٣ ﴿مُتَكَبِّينَ﴾ حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدر، [أي: من الفاعل، وتقديره: أدخلوها ثم جلسوا متكبين] ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ السرر في الحجال، [جمع «حَجَلَة» وهي: موضع كالقبة] ﴿لَا يَرُونَ﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ لا حارًا ولا باردًا، وقيل: «الزمهرير»، القمر، فهي [أي: الجنة] مضيئة من غير شمس ولا قمر. ١٤ ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة، عطف على محل «لا يرون»، أي: غير رائيين [شمسًا ولا زمهريرًا ودانية] ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [أي: منهم] ﴿ظِلَالُهَا﴾ أي: [ظلال] شجرها ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ أدنيت ثمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع. ١٥ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ فيها ﴿بِأَنِيَّةٍ﴾ من فضة وأكواب ﴿أَقْدَاحَ بَلَا عَرَى﴾ كانت قوارير. ١٦ ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: أنها من فضة، يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قَدَرُوهَا﴾ أي: الطائفون ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قدر رأي الشاربين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألد الشراب. ١٧ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنْجَبِيلًا﴾. ١٨ ﴿عَيْنًا﴾ بدل من: «زنجبيلًا» ﴿فِيهَا تَسْمَى سَلْسِيلًا﴾ يعني: أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساغ في الحلق. ١٩ ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان، لا يشيئون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حُسْبَتُهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لَوْلُوا مَنُورًا﴾ من سلكه، أو: من صدقه، وهو أحسن منه في غير ذلك. ٢٠ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ﴾ أي: وجدت الرؤية منك في الجنة ﴿رَأَيْتَ﴾ جواب «إذا» ﴿نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا﴾

الجزء الثاني من التفسير

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٩ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ١٠ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطِيرًا ١١ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١٢ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٣ مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ١٤ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ١٥ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ١٦ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ١٧ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ١٨ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ١٩ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حُسْبَتُهُمْ لَوْلُوا مَنُورًا ٢٠ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

(١) قوله تعالى: «وَأَسِيرًا». قال سعيد بن جبيرة رحمه الله وآخرون: هو الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أسراهم يومئذ مشركين، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر بأن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، قاله ابن كثير، وقال ابن العربي في «أحكام القرآن»: «وفي إطعامه ثواب عظيم — وإن كان كافرا — فإن الله يرزقه، وقد تعين بالعهد إطعامه، ولكن من الفضل في الصدقة لا من الأصل في الزكاة، ويدخل فيه المسجون من المسلمين، فإن الحق قد حبسه عن التصرف، وأسرته فيما وجب عليه».

(٢) قوله: «بصبرهم عن المعصية»، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

كبيراً واسعاً لا غاية له. ٢١ ﴿عَالِيَهُمْ﴾ فوقهم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر لمبتدأ بعده، وفي قراءة: بسكون الياء مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به، للمطوف عليهم ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ حرير ﴿خَضِرٌ﴾ بالرفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالجر، أو ﴿الْإِسْتَبْرَقُ﴾ هو: [ما غُلِظَ من الديباج، فهو البطائن، و «السُّنْدُسُ» الظهائر، وفي قراءة: عكس ما ذكر فيهما، وفي أخرى برفعهما، وفي أخرى بجرهما] ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وفي موضع (١) آخر: «من ذهب»، للإيذان بأنهم يحلون من النوعين، معاً ومفرقاً ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ مبالغة (٢) في طهارته ونظافته، بخلاف خمر (٣) الدنيا. ٢٢ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا نَعِيمٌ﴾ كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً. ٢٣ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن»، أو: فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾ خبر «إن»، أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة، ليكون أسهل فهماً وحفظاً، وأيسر عملاً.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧٦

كَبِيرًا ٢٠ ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾
وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ٢١
إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ٢٢
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ٢٣ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كُفُورًا ٢٤﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ٢٧ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ٢٩ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٣٠ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣١ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٢

٧٨٣

٢٤ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿ءِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ أي: «عتبة بن ربيعة»، و «الوليد بن المغيرة»، قالوا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر، أي: لا تطع أحدهما أيًا كان، فيما دعاك إليه، من إثم أو كفر. ٢٥ ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة، [أي: صل] ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني: الفجر والظهر والعصر. ٢٦ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه، كما تقدم [في «المزمل»]: من: ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. ٢٧ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا أي: يوم القيامة، لا يعملون له. ٢٨ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّتَهُمْ﴾ قوتنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا جَعَلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾ في الخلقة بدلًا منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن»، نحو «إن يشأ يذهبكم»، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لم يقع. ٢٩ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا بالطاعة. ٣٠ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إن الله كان عليماً حكيماً ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فعله. ٣١ ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته، وهم: المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ [الظالمين]، أي: «أعد» يفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

(١) قوله: «وفي موضع آخر»، هو قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ الآية ٢٣ من سورة «الحج» ص ٣٦ والآية (٣٣) من سورة «فاطر» ص ٥٧٦.

(٢) قوله: «مبالغة»، هو هكذا في المخطوطات والنسخ المطبوعة، أي: وصف الشراب بالطهور، للمبالغة في وصفه بذلك.

(٣) قوله: «بخلاف خمر الدنيا»، فهي نجسة مضرة، ارجع إلى تعليقنا حول «تحريم الخمر» ص ١٥٥.

﴿سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ﴾
(مكية، خمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والمرسلات عرافاً﴾ أي: الرياح متتابعة كعزفِ الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال. ٢ ﴿فالعاصفات عصفاً﴾ الرياح تنشر الشديدة. ٣ ﴿والناشرات نشرأ﴾

الجزء الثاني من السورة

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرَافًا ١ ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ٢ ۝
وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ٣ ۝ فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا ٤ ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ
ذِكْرًا ٥ ۝ عَذْرَاءٌ أَوْ تِغْرًا ٦ ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ٧ ۝
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ٨ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ٩ ۝
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ١٠ ۝ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْتَتَ ١١ ۝ لَأَيِّ
يَوْمٍ أُجِّلَتْ ١٢ ۝ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ١٣ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ١٤ ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٥ ۝ أَلَمْ نُهْلِكِ
الْأَوَّلِينَ ١٦ ۝ ثُمَّ نَبْعُهُمُ الْآخَرِينَ ١٧ ۝ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

١٢ ﴿لأي يوم﴾ أي: يوم عظيم ﴿أجلت؟﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ. ١٣ ﴿ليوم الفصل﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب ﴿إذا﴾، [التي في الآيات المتقدمة]، أي: [إذا حصل كل ذلك]، وقع الفصل بين الخلائق. ١٤ ﴿وما أدراك ما يوم الفصل؟﴾ تهويل لشأنه. ١٥ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ هذا وعيد لهم. ١٦ ﴿ألم نهلك الأولين﴾ بتكذيبهم؟ أي: أهلكتهم.

١٧ ﴿ثم نبعهم الآخرين﴾ ممن كذبوا، ككفار مكة، فنهلكهم. ١٨ ﴿كذلك﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نفعل﴾

(١) قوله: ﴿محي نورها﴾، هذا معنى: الطمس. وفي سورة «التكوير»: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ وهو من «الكدر» ضد «الصفو»، يقال: دماء كدر، ومعنى «الانكدار والطمس» واحد هو: ذهاب النور، وفي سورة «الانفطار»: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي: انقضت وتساقطت متناثرة تناثراً شديداً، أي ذهب نظامها فتهاوت منكدة مطموسة النور، ولقد سها الجلال المحلي رحمه الله في سورة «التكوير» ص ٧٩٣ حيث فسر قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ بقوله: انقضت وتساقطت، لأن هذا هو معنى «انتثرت» الذي ذكره في سورة «الانفطار» ص ٧٩٥، فالصواب ما ذكرناه.

﴿بالمجرمين﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل، فنهلكهم. ١٩ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ تأكيد. ٢٠ ﴿الم نخلقكم من ماء مهين﴾ ضعيف؟، وهو: «المني». ٢١ ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ حريز، هو: «الرحم». ٢٢ ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو: وقت الولادة. ٢٣ ﴿فقدرونا﴾ على ذلك ﴿فنعم القادرون﴾ نحن. ٢٤ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. ٢٥ ﴿الم نجعل الأرض كفاتاً؟﴾ مصدر «كَفَتَ»، بمعنى: «ضَمَّ»، أي: ضامة. ٢٦ ﴿أحياء﴾ على ظهرها ﴿وأموئاً﴾ في بطنها. ٢٧ ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبلاً مرتفعات، [تثبتها كي لا تميد بكم] ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ عذباً. ٢٨ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. ٢٩ ويقال للمكذبين يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به﴾ من العذاب ﴿تكذبون﴾. ٣٠ ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ هو: دخان جهنم، إذا ارتفع افرق ثلاث فرق لِعِظَمِهِ.

بِالْمُجْرِمِينَ ١٨ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٩ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ٢١ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ٢٣ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ٢٧ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٢٨ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢٩ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ٣٠ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ٣١ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ٣٢ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَّرٌ ٣٣ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٣٤ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ٣٦ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَذَا يَوْمٌ أَلْفُ فَصْلٍ جَمْعًا ٣٨ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ

٣١ ﴿لا ظليل﴾ كنين يظلمهم من حر ذلك اليوم ﴿ولا يغني﴾ يرد عنهم شيئاً ﴿من الاله﴾ النار.

٣٢ ﴿إنها﴾ أي: النار ﴿ترمي بشرر﴾ هو: ما تطاير منها ﴿كالقصر﴾ من البناء، في عظمه وارتفاعه.

٣٣ ﴿كانه جمالات﴾ جمع: «جمالة»، جمع: «جمل»، وفي قراءة: «جمالة» ﴿صفر﴾ في هيتها ولونها، وفي الحديث^(١): «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَيْرِ»، والعرب تسمي سود الإبل: «صُفْرًا»، لِشَوْبِ سَوَادِهَا بِصَفْرَةٍ، فْقِيل: «صفر» في الآية بمعنى: «سود» لما ذكر، وقيل: لا، [ليس: «صُفْر» بمعنى سود، بل هو باق على حقيقته]، و«الشَّرَر» جمع: «شررة»، و«الشَّرَار» جمع: «شرارة»، والقير: «القار» [أي: الزفت]. ٣٤ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

٣٥ ﴿هذا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يوم لا ينطقون﴾ فيه شيء. ٣٦ ﴿ولا يؤذن لهم﴾ في العذر ﴿فيعتذرون﴾ عطف على «يؤذن»، من غير تسبب عنه^(٢)، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذن فلا اعتذار. ٣٧ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. ٣٨ ﴿هذا يوم ألف فصل جمعاكم﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿والأولين﴾

من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعاً. ٣٩ ﴿فإن كان لكم كيد﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم

(١) قوله: «وفي الحديث: شَرَارُ النَّارِ إلخ...» هو بهذا اللفظ ليس حديثاً، فلم يثبت مرفوعاً ولا موقوفاً، بل هو معنى لحديث رواه مالك والبيهقي في «الشَّعْب» مختصراً مرفوعاً جاء فيه قوله ﷺ: «أثرونها - أي: نار جهنم - حمراء كثاركم هذه؟ لهي أشد سواداً من القار» أي: الزَّفْتِ.

(٢) أي: ليست الفاء في «فيعتذرون» فاء السببية، ليقدر بعدها «أن»، وينصب بها الفعل المضارع.

﴿فَكِيدُونَ﴾ فافعلوها. ٤٠ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٤١ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ أي: تكاثف أشجار، إذ لا شمس يُظَلُّ من حرها ﴿وَعُيُونَ﴾ نابعة من الماء.

٤٢ ﴿وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فيه إعلام، بأن المأكَل والمشرب في الجنة، بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا، فبحسب ما يجد الناس في الأغلب. ٤٣ ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال، أي: مهتئين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة [في الدنيا]. ٤٤ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الذين آمنوا وأحسنوا].

٤٥ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٤٦ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان، وغايته إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ﴾ [كافرون، ومصيركم إلى النار].

٤٧ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٤٨ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾ صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون، [أي: لا يؤمنون، ليكونوا من أهل الصلاة].

٤٩ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٥٠ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ؟﴾ أي: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله، بعد تكذيبهم به، لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره^(١).

﴿سورة التساؤل﴾

[وتسمى: سُورَةُ النَّبَاِ]

(مكية، إحدى وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ؟﴾ يسأل بعض قريش بعضاً.

٢ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو: ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره.

سُورَةُ النَّبَاِ

فَكِيدُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونَ ﴿٤٢﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٥﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا أَنْبَاؤُكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي

(١) روى أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل: آمنا بالله».

إن هذا الحديث وأمثاله التي وردت فيما يقال في آخر «سورة القيامة» و«سورة النين» هي أحاديث ضعيفة وقد أشرنا إليها هنا للبيان، فالصحيح: أنه لا يقال شيء بعد تلاوة هذه الآيات خصوصاً في الصلاة.

٣ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالمؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. ٤ ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. ٥ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد، وجيء فيه بـ «ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. ٦ ثم أوماً تعالى، إلى القدرة على البعث فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ فراشاً كالْمِهْدِ، [صالحة للحياة عليها]؟ ٧ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتاد، [لثلا تميد بكم]؟ والاستفهام للتقرير. ٨ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكوراً وإناثاً. ٩ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم. ١٠ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً بسواده. ١١ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتاً للمعاش. ١٢ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ جمع «شديدة»، أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.

هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَآبًا ﴿٢٢﴾ لَتَسِيرَنَّ فِيهَا أَهْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا هِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءَ

١٣ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيراً ﴿وَهَّاجًا﴾ وقاداً، [يبعث الضوء والدفع]، يعني: «الشمس». ١٤ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر، كالمُعْصِرِ [وهي: الجارية، أي: المرأة] التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صباباً. ١٥ ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالبن. ١٦ ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة، جمع «لفيف» كـ «شريف» و «أشراف». [وقيل: جمع «لف» بكسر اللام وضمها]. ١٧ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وقتاً للثواب والعقاب. ١٨ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، [و«يوم» هنا] يدل من: «يَوْمَ الْفَصْلِ»، أو: بيان له، والنافخ «إسرافيل» ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة. ١٩ ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ بالتشديد والتخفيف، شقت لتزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب. ٢٠ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباء، أي: مثله في خفة سيرها.

٢١ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [من رصدت الشيء أرصدته، إذا ترقبته، فهي] راصدة [الكفار]، أو: مُرْصَدَةٌ [أي: معدة ومهيئة لهم]. ٢٢ ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ الكافرين، فتلا يتجاوزونها ﴿مَنَآبًا﴾ مرجعاً لهم، فيدخلونها. ٢٣ ﴿لَتَسِيرَنَّ﴾ حال مقدرة، أي: مقدراً لبثهم ﴿فِيهَا﴾ [بعد دخولها] ﴿أَهْقَابًا﴾ دهوراً لا نهاية لها، جمع «حُقْب» بضم أوله. ٢٤ ﴿لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوماً، [فإنهم لا يذوقونه] ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يشرب تليذاً، ٢٥ ﴿إِلَّا﴾ لكن [يشربون] ﴿هِيمًا﴾ ماء حاراً غاية الحرارة ﴿وَغَسَاقًا﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه. ٢٦ ﴿جُوزُوا بِذَلِكَ﴾ جزاء

وفاقاً ﴿موافقاً لعملهم﴾، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار. ٢٧ ﴿إنهم كانوا لا يرجون﴾ يخافون ﴿حساباً﴾ لأنكارهم البعث. ٢٨ ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿كذاباً﴾ تكذيباً. ٢٩ ﴿وكل شيء﴾ من الأعمال ﴿أحصيناه﴾ ضبطناه ﴿كتاباً﴾ كتباً في «اللوح المحفوظ» لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن. ٣٠ ﴿فذوقوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة، عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿فلن تزيدكم إلا عذاباً﴾ فوق عذابكم. ٣١ ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ مكان فوز في الجنة. ٣٢ ﴿حدائق﴾ بساتين، بدل من «مفازاً»، أو: بيان له ﴿وأعنباً﴾ عطف على «مفازاً». ٣٣ ﴿وكواعب﴾ جوارى تكعبت ثديهن، جمع «كاعب» «أتراباً» على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. ٣٤ ﴿وكأساً دهاقاً﴾ خمرأ مائلة محلها، وفي [سورة] «القتال» «وأنهاراً من خمر». ٣٥ ﴿لا يسمعون فيها﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لغوا﴾ باطلاً من القول ﴿ولا كذاباً﴾ بالتخفيف، أي: كذباً، وبالتشديد، أي: تكذيباً من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. ٣٦ ﴿جزاء من ربك﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عطاء﴾ بدل من «جزاء» ﴿حساباً﴾ أي: كثيراً من قولهم: أعطاني فأحسبني، أي: أكثر علي، حتى قلت: حسبي. ٣٧ ﴿رب السماوات والأرض﴾ بالجر والرفع ﴿وما بينهما الرحمن﴾ كذلك، ويرفعه مع جر «رب» ﴿لا يملكون﴾ أي: الخلق ﴿منه﴾ تعالى ﴿خطاباً﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفاً منه. ٣٨ ﴿يوم﴾ ظرف لـ ﴿لا يملكون﴾ ﴿يقوم الروح﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿والملائكة صفاً﴾ حال، أي: مصطفين ﴿لا يتكلمون﴾ أي: الخلق ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ في الكلام ﴿وقال﴾ قولاً ﴿صواباً﴾ من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى.

٣٩ ﴿ذلك اليوم الحق﴾ الثابت وقوعه، وهو: يوم القيامة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ مرجعاً، أي: رجع إلى الله بطاعته، ليسلم من العذاب فيه.

٤٠ ﴿إنا أنذرناكم﴾ أي: كفار مكة [وغيرها] ﴿عذاباً قريباً﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل

آت قريب ﴿يوم﴾ ظرف لـ «عذاباً» بصفته، [أي: مع صفته] «ينظر المرء» كل امرئ «ما قدمت يده» من خير وشر «ويقول الكافر يا» حرف تنبيه «ليتني كنت تراباً» يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم^(١)، بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: «كوني تراباً»، [أو معناه: يا ليتني لم أخلق].

(١) قوله: «عندما يقول الله تعالى للبهائم... إلخ». هو إشارة إلى ما رواه عبد بن حميد وابن المنذر والطبري والبيهقي وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يُحْشَرُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْبَهَائِمُ وَالْدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ وَكُلُّ شَيْءٍ، فَيُعْلَمُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَقُولْ: «كوني تراباً» فذلك حين يقول الكافر «يا ليتني كنت تراباً»، وروى الحاكم مثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، =

وفاقاً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَاباً ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقاً ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَاباً ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَاباً ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآباً ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

(مكية، ست وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرَقًا﴾ نزعاً بشدة. ٢ ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين، أي: تسألها برفق. ٣ ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى، أي: تنزل. ٤ ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ٥ ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا، أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لتبعن يا كفار مكة [وغيرها]، وهو عامل في: ٦ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى، بها يرجف كل شيء، أي: يتزلزل، فوصف بما يحدث بها. ٧ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادَّةُ﴾ النفخة الثانية، بينهما أربعون^(١) سنة، والجملة حال من «الراجفة»، فالיום واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث، الواقع عقب الثانية. ٨ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قلقة. ٩ ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة، لهول ما ترى. ١٠ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار، استهزاء وإنكاراً للبعث ﴿إِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين، [وتركه] لمردودون في الحافرة؟ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة؟ و«الحافرة»: اسم لأول الأمر، ومنه: رجع فلان في حافرتة، و«الحافرة»: إذا رجع من حيث جاء. ١١ ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً؟﴾ وفي قراءة: «ناخرة»، بالية متفتتة، نحياً؟ ١٢ ﴿قَالُوا تِلْكَ﴾ أي: رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذَا﴾ إن صَحَّتْ «مكرة» رجعة «خاسرة» ذات خسران، [قالوا ذلك استهزاء]. ١٣ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: الرادفة، التي يعقبها البعث «زجرة» نفخة «واحدة» فإذا نفخت.

١٤ ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: كل الخلائق «بالساهرة» بوجه الأرض أحياء، بعدما كانوا يبطنها أمواتاً. ١٥ ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد «حديث موسى؟» عامل في: ١٦ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي، بالتثنية، وتركه، فقال [له]:

أما الإخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فقد جاء فيما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَوْذُنُ الْحَقِيقِ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءُ»، و«الجلحاء» هي: الشاة التي لا قرن لها، و«القرناء» هي: ذات القرن، فهذه تؤذي تلك في الدنيا، فيكون الاقتصاص في الآخرة إظهاراً للعدل بين جميع الخلق.

(١) قوله: «بينهما أربعون سنة» الأحسن عدم التعيين بل يقال: أربعون، وكفى، وقد بينا ذلك مع الدليل في تعليقنا ص ٥٨٣ فارجع إليه.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٧٩

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سِتُّ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا ١
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ٢
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ٣
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ٤
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ٥
تَتَّبِعُهَا الرَّادَّةُ ٦
قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٧
أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ٨
يَقُولُونَ ٩
أَوْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ١٠
أَوْ إِذَا كُنَّا عِظَامًا ١١
نَخِرَةً ١٢
قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٣
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ ١٤
وَاحِدَةٌ ١٥
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٦
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ١٧
مُوسَى ١٨
إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٩

٧٨٩

١٧ ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر. ١٨ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ أدعوك ﴿إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ وفي قراءة: بتشديد الزاي، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تتطهر من الشرك، بأن تشهد أن لا إله إلا الله. ١٩ ﴿وَأَهْدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته ببرهان ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ فتخافه. ٢٠ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ من آياته التسع^(١) وهي: اليد أو العصا. ٢١ ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالى. ٢٢ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأرض بالفساد. ٢٣ ﴿فَحَشَرَ﴾ جَمَعَ السحرة وجنوده ﴿فَنَادَىٰ﴾. ٢٤ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لا رب فوقني. ٢٥ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالأُولَىٰ﴾ أي: قوله قبلها: «ما علمت لكم من إله غيري»، و [قيل:] كان بينهما أربعون سنة.

الْحَزَنَةُ

أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ١٧ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ ١٨ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ١٩ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ٢٠ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ٢٢ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ٢٤ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ٢٥ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ٢٦ ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ ٢٧ ﴿٢٧﴾ بَنَاهَا ٢٨ ﴿٢٨﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا ٢٩ ﴿٢٩﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ٣٠ ﴿٣٠﴾ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ٣١ ﴿٣١﴾ أَبْرَزَ نُورَ شَمْسِهَا ٣٢ ﴿٣٢﴾ وَأَضْيَفَ لَيْلَهَا ٣٣ ﴿٣٣﴾ لِّلَّيْلِ ٣٤ ﴿٣٤﴾ لَّأَنَّهُ ٣٥ ﴿٣٥﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٣٦ ﴿٣٦﴾ وَالشَّمْسُ ٣٧ ﴿٣٧﴾ لَّأَنَّهُ ٣٨ ﴿٣٨﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٣٩ ﴿٣٩﴾ وَالشَّمْسُ ٤٠ ﴿٤٠﴾ لَّأَنَّهُ ٤١ ﴿٤١﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٤٢ ﴿٤٢﴾ وَالشَّمْسُ ٤٣ ﴿٤٣﴾ لَّأَنَّهُ ٤٤ ﴿٤٤﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٤٥ ﴿٤٥﴾ وَالشَّمْسُ ٤٦ ﴿٤٦﴾ لَّأَنَّهُ ٤٧ ﴿٤٧﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٤٨ ﴿٤٨﴾ وَالشَّمْسُ ٤٩ ﴿٤٩﴾ لَّأَنَّهُ ٥٠ ﴿٥٠﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٥١ ﴿٥١﴾ وَالشَّمْسُ ٥٢ ﴿٥٢﴾ لَّأَنَّهُ ٥٣ ﴿٥٣﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٥٤ ﴿٥٤﴾ وَالشَّمْسُ ٥٥ ﴿٥٥﴾ لَّأَنَّهُ ٥٦ ﴿٥٦﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٥٧ ﴿٥٧﴾ وَالشَّمْسُ ٥٨ ﴿٥٨﴾ لَّأَنَّهُ ٥٩ ﴿٥٩﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٦٠ ﴿٦٠﴾ وَالشَّمْسُ ٦١ ﴿٦١﴾ لَّأَنَّهُ ٦٢ ﴿٦٢﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٦٣ ﴿٦٣﴾ وَالشَّمْسُ ٦٤ ﴿٦٤﴾ لَّأَنَّهُ ٦٥ ﴿٦٥﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٦٦ ﴿٦٦﴾ وَالشَّمْسُ ٦٧ ﴿٦٧﴾ لَّأَنَّهُ ٦٨ ﴿٦٨﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٦٩ ﴿٦٩﴾ وَالشَّمْسُ ٧٠ ﴿٧٠﴾ لَّأَنَّهُ ٧١ ﴿٧١﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٧٢ ﴿٧٢﴾ وَالشَّمْسُ ٧٣ ﴿٧٣﴾ لَّأَنَّهُ ٧٤ ﴿٧٤﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٧٥ ﴿٧٥﴾ وَالشَّمْسُ ٧٦ ﴿٧٦﴾ لَّأَنَّهُ ٧٧ ﴿٧٧﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٧٨ ﴿٧٨﴾ وَالشَّمْسُ ٧٩ ﴿٧٩﴾ لَّأَنَّهُ ٨٠ ﴿٨٠﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٨١ ﴿٨١﴾ وَالشَّمْسُ ٨٢ ﴿٨٢﴾ لَّأَنَّهُ ٨٣ ﴿٨٣﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٨٤ ﴿٨٤﴾ وَالشَّمْسُ ٨٥ ﴿٨٥﴾ لَّأَنَّهُ ٨٦ ﴿٨٦﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٨٧ ﴿٨٧﴾ وَالشَّمْسُ ٨٨ ﴿٨٨﴾ لَّأَنَّهُ ٨٩ ﴿٨٩﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٩٠ ﴿٩٠﴾ وَالشَّمْسُ ٩١ ﴿٩١﴾ لَّأَنَّهُ ٩٢ ﴿٩٢﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٩٣ ﴿٩٣﴾ وَالشَّمْسُ ٩٤ ﴿٩٤﴾ لَّأَنَّهُ ٩٥ ﴿٩٥﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٩٦ ﴿٩٦﴾ وَالشَّمْسُ ٩٧ ﴿٩٧﴾ لَّأَنَّهُ ٩٨ ﴿٩٨﴾ مِثْلُ ظِلِّهَا ٩٩ ﴿٩٩﴾ وَالشَّمْسُ ١٠٠ ﴿١٠٠﴾ لَّأَنَّهُ

٢٦ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ﴾ الله تعالى. ٢٧ ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه، أي: منكمرو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ أشد خلقاً؟ [وجواب السؤال محذوف تقديره: بل السماء، قال تعالى: «الخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس»] ﴿بَنَاهَا﴾ بيان لكيفية خلقها. ٢٨ ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء، أي: جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً، [وقيل: نُخْنَهَا وَغَلْظَهَا، أي: جعلها سميكة]، وقيل: «سَمَكَهَا» سقفاً ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب. ٢٩ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل، لأنه [مثل] ظلها، والشمس لأنها مسراجها. ٣٠ ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها [ومهدها، لتكون صالحة للحياة عليها]، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو. ٣١ ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»، أي: [دحاهها] مخرجاً ﴿مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم، من الشجر والعشب، وما يأكله الناس، من الأقوات والثمار، وإطلاق «المرعى» عليه استعارة.

٣٢ ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض، لتسكن. ٣٣ ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدر، أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر، أي: تمتعاً ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ جمع «نعم» وهي: الإبل والبقر والغنم. ٣٤ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ النفخة الثانية. ٣٥ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَىٰ﴾ في الدنيا، من خير وشر. ٣٦ ﴿وَبَرَزَتْ﴾ أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِّمَنْ يَرَىٰ﴾ لكل «رأى»، وجواب «إذا»: ٣٧ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ كفر.

(١) قوله: «من آياته التسع»، لقد أوتي موسى عليه السلام آيات ومعجزات كثيرة، أرجع إلى تعليقنا ص ٢٧٨ حيث بيناها.

٣٨ ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [فضلها وقدمها]، باتباع الشهوات. ٣٩ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه. ٤٠ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأثارة [بالسوء] ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المُرْدِي، باتباع الشهوات. ٤١ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والطائع في الجنة. ٤٢ [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ: متى تكون الساعة؟ - استهزاء - فتزل:] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا؟﴾ متى وقوعها وقيامها؟. ٤٣ ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا؟﴾ ليس عندك علمها حتى تذكرها. ٤٤ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ منتهى علمها، لا يعلمها غيره. ٤٥ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾ يخافها.

٤٦ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية، لما بينهما من الملاسة، إذ هما طرفا النهار، وحسن الإضافة، وقوع الكلمة فاصلة، [أي: رأس آية، تناسب رؤوس الآي قبلها].

﴿سُورَةُ عَبَسَ﴾

(مكية، اثنتان وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿عَبَسَ﴾^(١) النبي ﷺ، كَلَحَ [أي: تَكَسَّرَ] وجهه [عابساً] ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض، لأجل. ٢ ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [وهو] «عبد الله بن أم مكتوم»، فقطعه عما هو مشغول به، ممن يرجو إسلامه من أشرف قريش، الذين هو حريص على إسلامهم، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فانصرف النبي ﷺ إلى بيته، فعوتب في ذلك، بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء^(٢): «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»، ويبسط له رداءه.

٣ ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّهُ يَزْكَى﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي، أي: يتطهر من الذنوب، بما يسمع منك.

٤ ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في

الذال، أي: يتعظ ﴿فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ العظة المسموعة منك، وفي قراءة: بنصب «تنفعه»، جواب الترجي. ٥ ﴿أَمَّا مَنْ

(١) قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾. الآيات. أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين - هو: أبي بن خلف، ذكره أبو يعلى في مسنده - فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: «أترى بما أقول بأساً؟» فيقول: لا. فنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أن جاءه الأعمى ﴿الآيات...﴾

(٢) قوله: «يقول له إذا جاء الخ...». لم يثبت هذا القول مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولا موقوفاً على صحابي، بل رواه الواحد في =

سُورَةُ عَبَسَ ٨٠

وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ٤٠
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ
مَرْسَاهَا ٤٢ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنْتَهَاهَا ٤٤ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ٤٥
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ٤٦

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يَدْرِيكَ
لَعَلَّهُ يَزْكَى ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ٤ أَمَّا مَنْ

٧٩١

استغنى بالمال. «فأنت له تصدى» وفي قراءة: بتشديد الصاد، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، [أي:] تُقبل وتعرض، [وهذا لَفَتْ ونشر مرتب، للمعنى والقراءة]. ٧ «وما عليك ألا يزكى» يؤمن. ٨ «وأما من جاءك يسعى» حال من فاعل: «جاء». ٩ «وهو يخشى» الله، حال من فاعل: «يسعى»، وهو: الأعمى. ١٠ «فأنت عنه تلهي» فيه حذف التاء الأخرى في الأصل، أي: تتشاغل؟ ١١ «كلًا» لا تفعل مثل ذلك «إنها» أي: السورة، أو: الآيات «تذكرة» عظة للمخلوق. ١٢ «فمن شاء ذكره» حفظ ذلك، فاتعظ به. ١٣ «في صحف» خبر ثان لـ «إنها»، وما قبله اعتراض «مكرمة» عند الله. ١٤ «مرفوعة» في السماء «مطهرة» منزهة من مس الشياطين. ١٥ «بأيدي سفرة» كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ. ١٦ «كرام بررة» مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة. ١٧ «قتل الإنسان» لعن الكافر «ما أكفره؟» استفهام توبيخ، أي: ما حملة على الكفر؟ [أو: ما أشد كفره؟]. ١٨ «من أي شيء خلقه؟» استفهام تقرير. ١٩ ثم بينه فقال: «من نطفة خلقه فقدره» علقه ثم مضغة، إلى آخر خلقه. ٢٠ «ثم السبل» أي: طريق خروجه من بطن أمه «يسره». ٢١ «ثم أماته فأقبره» جعله في قبر يستره^(١). ٢٢ «ثم إذا شاء» [أي: في الوقت الذي شاء إنشائه، وإخراجه من القبر فيه] «أنشره» للبعث، [أي: أحياه بعد موته]. ٢٣ «كلًا» حقًا «لما يقض» لم يفعل [حتى موته] «ما أمره» به ربه، [فالإنسان مقصّر مهما فعل]. ٢٤ «فلينظر الإنسان» نظر اعتبار «إلى طعامه» كيف قدر ودبر له. ٢٥ «أنا صببنا الماء» من السحاب [على الأرض] «صبًا» [أي: بغزارة]. ٢٦ «ثم شققنا الأرض» بالنبات «شقًا». ٢٧ «فأنبتنا فيها حبًا» كالحنطة والشعير. ٢٨ «وعنبًا وقضبًا» هو: القث الرطب، [علقًا للدواب]. ٢٩ «وزيتونًا ونخلًا» [أي: شجرة الزيتون والنخل]. ٣٠ «وحدائق غلبًا» بساتين كثيرة الأشجار. ٣١ «وفاكهة وأبًا» ما ترعاه البهائم، وقيل: الثبن.

الْبَرَاءَاتُ

أَسْتَغْنَى ٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزَكِّي ٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يُخْشَى ٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرُهُ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ٢٣ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعَنْبًا وَقَضْبًا ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ٣١

«أسباب النزول» بلا إسناد وذكره القرطبي في تفسيره منسوباً إلى سفيان الثوري رحمه الله، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: ذكره الثعلبي بلا إسناد. «وروى ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه، إلا أن الحافظ ابن كثير علق على إسناد هذه الرواية قائلاً: فيه غرابة ونكارة وقد تكلم في إسنادها.

وحاصل ما تقدم: أن قول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» لم يثبت مرفوعاً ولا موقوفاً، خلافاً لما هو شائع، لكن الثابت ما رواه أبو يعلى في مسنده وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم: أنه ﷺ كان بعد ذلك، يكرم عبد الله ابن أم مكتوم ويسأله: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟». وكان يؤذن لرسول الله ﷺ، واستخلفه على المدينة مرتين.

(١) يقال «قبره» إذا دفنه، و «أقبره»، إذا جعل له قبراً يوارى فيه، ومنه يظهر أن تفسير الجلال المحلي ليس لكلمة «فأقبره» بل هو لكلمة: «قبره»، فانتبه وتأمل.

٣٢ ﴿مَتَاعًا﴾ متعة، أو: [مصدر، أي: تمتيعاً، كما تقدم في السورة قبلها^(١)، ﴿لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ﴾ [جمع «نعم»]، وهي: الإبل والبقر والغنم، كما] تقدم فيها أيضاً.

٣٣ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ النفخة الثانية، [وسميت بذلك، لأنها تَصُخُّ الآذان، أي: تُصَيِّها بشدتها].

٣٤ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ﴾ [أي: يهرب] ﴿المرء من أخيه﴾.

٣٥ ﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾.

٣٦ ﴿وَصَاحِبَتُهُ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ [أولاده]، «يوم» بدل من «إذا»، وجوابها دل عليه [قوله:].

٣٧ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ حال يشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه.

٣٨ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [مشرقة] مضببة.

٣٩ ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة [بما آتاها الله من الكرامة]، وهم المؤمنون.

٤٠ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَافِرَةٌ﴾ غبار.

٤١ ﴿تَرَهَّقَهَا﴾ تَغَشَّاهَا «فترة» ظلمة وسواد.

٤٢ ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمْ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

(مكية، تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لَفَّتْ وَذُهِبَ بنورها.

٢ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انْقَضَتْ وَتَسَاقَطَتْ على الأرض^(٢).

٣ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذُهِبَ بها عن وجه الأرض، فصارت هباءً منثوراً^(٣).

٤ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ تُرِكَتْ بلا راع، أو: بلا حَلَبٍ [بفتح اللام] — لِمَا دَهَمَ من الأمور، ولم يكن مالٌ أعجب إليهم منها.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ٨١

مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ ٣٢ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَافِرَةٌ ٤٠ تَرَهَّقَهَا ٤١ فَرَّةٌ ٤٢ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ٤٣

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُ عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤

(١) أي: في الآية (٣٣) من سورة النازعات السابقة.

(٢) قوله: «انقضت وتساقطت على الأرض»، هذا ليس تفسيراً «لِلانكدار»، بل هو معنى قوله تعالى في سورة الانفطار: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ كما سيأتي، ولو استغنى عن قوله: «على الأرض» لكان أحسن لأن النجوم لا تساقط على الأرض، بل تنفتت وتتناثر وتفتن قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ﴾، ومعنى «انكدرت»: طمست ومحي نورها، وقد بينا هذه المسألة في تعليقنا عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِست﴾ ص ٧٨٤ فارجع إليه.

(٣) قوله: «منثوراً»، هو هكذا في المخطوطتين الأولى والثانية، وجاء في المخطوطة الثالثة وبعض النسخ المطبوعة: «منبثاً»، ولا فرق بينهما من حيث المعنى، لأن «الهباء» وُصِفَ بهما في القرآن الكريم، و «الهباء» هو: الغبار المنتشر.

٥ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جُمِعَتْ بعد البعث، ليقْتَصَّ لبعض من بعض، ثم تصير تراباً [كما تقدم في سورة «النبأ» ص ٧٨٨].
٦ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: أوقدت فصارَتْ ناراً. ٧ ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قرنت بأجسادها، [أي: رُذِّتْ الأرواح إلى الأجساد]. ٨ ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ﴾ الجارية [— أي: الأنثى المولودة —] تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تَبَكَّتْ لِقَاتِلِهَا، [ولِإِذَا لَهَا بالحجة]. ٩ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟﴾ وقرئ [شدوذاً] بكسر التاء، حكاية لما تخاطبُ به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. ١٠ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: فتحت وبسطت. ١١ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نزعَتْ عن أماكنها، كما ينزع الجلد عن الشاة. ١٢ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ النار ﴿سُعِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: أَجْجَتْ. ١٣ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قُرِبَتْ لأهلها ليدخلوها، وجواب [إذا] [التي في] أول السورة، وما عطف عليها [هو]: ١٤ ﴿عَلِمَتْ﴾ نفس: أي: كل نفس، وقت هذه المذكورات، وهو: يوم القيامة ﴿مَا أَحْضَرْتُ﴾ من خير وشر. ١٥ ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ لا زائدة [للتأكيد القسم ﴿بِالْخُسْ﴾. ١٦ ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ هي: النجوم الخمسة، «زحل» و «المشتري» و «المريخ» و «الزهرة» و «عطارد»، «تَخُسُ» بضم النون، أي: ترجع في مجراها وراءها، [فإنه] يَبِينُ ترى النجم في آخر البرج، إذ [به] كَرَّرَ راجعاً إلى أوله، و «تَكُنُسُ» بكسر النون: تدخل في «كناسها»، [و«كناس» الظبي]: مخبؤه بين الشجر، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. ١٧ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدبر. ١٨ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ امتد حتى يصير نهراً بيتاً. ١٩ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى، وهو: «جبريل»، أضيف إليه لنزوله به. ٢٠ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: عند الله تعالى ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به «عند». ٢١ ﴿مَطَاعِ ثُمَّ﴾ أي: تطيعه الملائكة في السماوات والأرض ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي. ٢٢ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﷺ، عطف على «إنه»، إلى آخر المُقْسَمِ عليه ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم. ٢٣ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام على صورته التي خُلِقَ عليها^(١). ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو [الأفق] الأعلى بناحية المشرق. ٢٤ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِظَنِّينَ﴾ أي: بمتهم، وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيل، فيُنْقِصُ شيئاً منه. ٢٥ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَّرْجُومٍ﴾. ٢٦ ﴿فَإِنْ تَذَهَبُونَ؟﴾ فأي طريق تسلكون، في إنكاركم القرآن، وإعراضكم عنه؟ ٢٧ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. ٢٨ ﴿لَمَنْ

الْبَيِّنَات

- وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦
وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ٨
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ١٢
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤
فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ١٦
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ٢٠ مَطَاعِ ثُمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ
بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِظَنِّينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥
فَإِنْ تَذَهَبُونَ ٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لَمَنْ

عليها^(١). ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو [الأفق] الأعلى بناحية المشرق. ٢٤ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِظَنِّينَ﴾ أي: بمتهم، وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيل، فيُنْقِصُ شيئاً منه. ٢٥ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَّرْجُومٍ﴾. ٢٦ ﴿فَإِنْ تَذَهَبُونَ؟﴾ فأي طريق تسلكون، في إنكاركم القرآن، وإعراضكم عنه؟ ٢٧ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. ٢٨ ﴿لَمَنْ

(١) قوله: «على صورته التي خلق عليها»، هذه هي المرة الأولى التي رآه فيها كذلك، كما في حديث رواه الشيخان، ذكرنا نصه في تعليقنا ص ٧٠٠.

شاء منكم ﴿ بدل من «العالمين» بإعادة الجار ﴿ أن يستقيم ﴾ باتباع الحق . ٢٩ ﴿ وما تشاؤون ﴾ الاستقامة على الحق ﴿ إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [أي : إلا أن يشاء رب] الخلاق استقامتكم عليه .

﴿ سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ ﴾

(مكية ، تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ انشقت .
- ٢ ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ انقضت ونساقطت ^(١) .
- ٣ ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ فتح بعضها في بعض ، فصارت بحراً واحداً ، واختلط العذب بالملح .
- ٤ ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ قلب ترابها ، وبعث موتاها ، وجواب ﴿ إذا ﴾ وما عطف عليها [هو] :
- ٥ ﴿ علمت نفس ﴾ أي : كل نفس ، وقت هذه المذكورات ، وهو : يوم القيامة ﴿ ما قدمت ﴾ من الأعمال ﴿ و ﴾ ما ﴿ آخرت ﴾ منها ، فلم تعمله ^(٢) .
- ٦ ﴿ يا أيها الإنسان ﴾ الكافر ﴿ ما غرك بريك الكريم ﴾ حتى عصيته [يكفرك؟ والجواب : غره جهله وشيطانه المسلط عليه ، لقوله تعالى : ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾] .
- ٧ ﴿ الذي خلقك ﴾ بعد أن لم تكن ﴿ نسواك ﴾ جعلك مستوي الخلق ، سالم الأعضاء ﴿ فعذلك ﴾ بالتخفيف والتشديد : جعلك معتدل الخلق ، متناسب الأعضاء ، ليست يد أو رجل ، أطول من الأخرى .
- ٨ ﴿ في أي صورة ما ﴾ زائدة ﴿ شاء ركبك ﴾ .
- ٩ ﴿ كلا ﴾ ردع عن الاغترار ^(٣) بكرم الله تعالى ﴿ بل تكذبون ﴾ أي : كفار مكة [وغيرها] ﴿ بالدين ﴾ الجزاء على الأعمال . ١٠ ﴿ وإن عليكم لحافظين ﴾ من الملائكة لأعمالكم .

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ ٨٢

شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا
الْإِنْسَانُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

٧٩٥

(١) قوله : « انقضت ونساقطت » ، ارجع إلى تعليقنا ص ٧٨٤ حيث بينا معنى هذه الآية ومثلاتها .

(٢) قوله : « فلم تعمله » ، لا معنى له ، لأن الإنسان لا يحاسب إلا عما له فيه كسب ، والصحيح أن معنى « علمت نفس ما قدمت وأخرت » كمنعني قوله تعالى : « يبين الإنسان يومئذ بما قدم وأخّر » وقد بينا ذلك واضحاً في تفسير هذه الآية من سورة « القيامة » ص ٧٧٩ فارجع إليه .

(٣) قوله : « ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى » ، يشير إلى أن الجلال المحلي رحمه الله يرى أن جواب السؤال في الآية السادسة : « ما غرك بريك الكريم » ؟ هو : غره كرم الله وعفوه ، وهذا قول واهٍ ضعيف ، بل لا يجوز التفسير به أصلاً ، فالكافر لا يفكر بهذا المستوى الرفيع من التفكير ، نعم : لو حمل السؤال على العاصي المؤمن لكان هذا الجواب مقبولاً ، ولكن الآية تخاطب الإنسان الكافر ، فالصحيح أن الكافر غره جهله وشيطانه ، كما بيناه في التفسير .

١١ ﴿كِرَامًا﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿كَاتِبِينَ﴾ لَهَا.

١٢ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [أَي:] جَمِيعِهِ.

١٣ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ جَنَّةٍ.

١٤ ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الْكَفَّارَ ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ نَارٍ مُحْرَقَةٍ.

١٥ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يَدْخُلُونَهَا وَيُقَاسُونَ حَرَهَا ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ الْجَزَاءِ.

١٦ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بِمُخْرَجِينَ.

١٧ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أَعْلَمَكَ ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ؟﴾.

١٨ ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ؟﴾ تَعْظِيمَ لِسَانِهِ.

١٩ ﴿يَوْمٌ﴾ بِالرَّفْعِ [خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ]، أَي: هُوَ يَوْمٌ، [وَفِي قِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، أَي: الْجَزَاءِ فِي يَوْمٍ] ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ مِنَ الْمُنْفَعَةِ ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أَي: لَا أَمْرٌ لغيرِهِ فِيهِ، أَي: لَمْ يُمْكِنْ أَحَدًا مِنَ التَّوَسُّطِ فِيهِ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا.

﴿سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ﴾

﴿[أَو: سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ]﴾

(مَكِّيَّةٌ، أَوْ مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ وَثَلَاثُونَ آيَةً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَيْلٌ﴾ ^(١) كَلِمَةُ عَذَابٍ، أَوْ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [ثُمَّ يَبَيِّنُ مَنْ هُمْ فَقَالَ تَعَالَى:]

٢ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى﴾ أَي: مِنَ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿الْكَيْلَ﴾ [أَوْ الْوِزْنَ، بِالزِّيَادَةِ فِيهِ].

٣ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أَي: كَالُوا لَهُمْ ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أَي: وَزَنُوا لَهُمْ ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْوِزْنَ:

الْمُطَفِّفِينَ

كِرَامًا كَاتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ١٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ١٩ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ٢٠ يَوْمَئِذٍ

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سِتُّ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ١ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ الْآيَاتُ.. أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَبْخَسِ النَّاسِ كَيْلًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأَحْسَنَ الْكَيْلَ وَالْوِزْنَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْأَمَانَةِ، وَيُخْسِرُهُمَا غَشٌّ وَخِيَانَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

(٢) قَوْلُهُ: ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾، ذَكَرَ الْجَلَالُ الْمَحَلِّيُّ هَذَا الْقَوْلَ - فِي مَعْنَى «وَيْلٌ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: هُنَا، وَفِي الْآيَةِ (٢٧) مِنْ سُورَةِ «ص» ص ٦٠٠ حَيْثُ اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَالْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ فِي سُورَةِ «الْهُمَزَةِ» ص ٨٢١، وَفِي الْمَوَاضِعِ الْآخَرَى يَقْتَصِرُ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ
مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ

﴿ألا﴾ استفهام توبيخ ﴿يظن﴾ يتقين ﴿أولئك أنهم مبعوثون﴾. ٥ ﴿ليوم عظيم﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة، [فيسألون عن أعمالهم؟]. ٦ ﴿يوم﴾ بدل من محل «ليوم»، فناصبه: «مبعوثون» ﴿يقوم الناس﴾ من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ الخلائق: لأجل أمره وحسابه وجزائه. ٧ ﴿كلاً﴾ حقاً ﴿إن كتاب الفجار﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لفي سجين﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو (١) مكان أسفل الأرض السابعة، وهو: محل إبليس وجنوده. ٨ ﴿وما أدراك ما سجين﴾ ما كتاب سجين [تعظيم لشأنه]. ٩ ﴿كتاب مرقوم﴾ [أي: كتاب الفجار] مختوم، [لا يُنسى ولا يمحي]. ١٠ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. ١١ ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ الجزء، بدل أو: بيان «للمكذبين». ١٢ ﴿وما يكذب به إلا كل معتد﴾ متجاوز الحد

﴿أثيم﴾ صيغة مبالغة، [أي: كثير الإثم بكفره]. ١٣ ﴿إذا تلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿قال أساطير الأولين﴾ الحكايات التي سطرت قديماً، جمع: «أسطورة» بالضم، أو: «إسطارة» بالكسر. ١٤ ﴿كلاً﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بل ران﴾ غلب ﴿على قلوبهم﴾ فغشها. ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ، [قال المفسرون: هو الذنب على الذنب، حتى يسود القلب]. ١٥ ﴿كلاً﴾ حقاً ﴿إنهم عن ربهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لمحجوبون﴾ فلا يرونه (٢). ١٦ ﴿ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ لداخلو النار المحرقة. ١٧ ﴿ثم يقال﴾ لهم ﴿هذا﴾ أي: العذاب ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾. ١٨ ﴿كلاً﴾ حقاً ﴿إن كتاب الأبرار﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لفي عليلين﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير، من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو (٣) مكان في السماء السابعة تحت العرش. ١٩ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما عليون﴾ ما كتاب عليين؟ ٢٠ هو: [أي كتاب الأبرار] ﴿كتاب مرقوم﴾ مختوم، [لا يُنسى ولا يمحي]. ٢١ ﴿يشهده المقربون﴾ من الملائكة. ٢٢ ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ جنة. ٢٣ ﴿على الأرائك﴾ السرر في الحجال [جمع: «حجلة» وهي: القبة فوق السرير]

(١) قوله: «وقيل هو مكان... إلخ». هذا هو الصحيح، أرجع إلى تعليقنا حول «مستقر الروح بعد الموت» ص ١٩٨.

(٢) قوله: «فلا يرونه» فهم بعضهم من هذه الآية أن العذاب معنوي هو الحجب عن الله تعالى، ليس حسياً، فأنكروا أن يكون عذاب النار حقيقياً، وقالوا كذلك في نعيم الجنة، وهم مخطئون خطأ فاحشاً بيناه في تعليقنا ص ٦٧٤ فارجع إليه، وارجع إلى تعليقنا حول «رويته تعالى» ص ٢٧٠.

(٣) قوله: «وقيل هو مكان إلخ» هذا هو الصحيح، فقد روى الإمام أحمد وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: عليون في السماء السابعة تحت العرش، قال ابن كثير: وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة، وهو بخلاف «سجين».

﴿ينظرون﴾ ما أعطوا من النعيم.

٢٤ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ بهجة التمتع وحسنه.

٢٥ ﴿يسقون من رحيق﴾ خمر خالص من الدنس ﴿مختوم﴾ على إنائها، لا يفك ختمه إلا هم.

٢٦ ﴿ختامه مسك﴾ آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

٢٧ ﴿ومزاجه﴾ أي: ما يمزج به ﴿من تسنيم﴾
فُسِّرَ بقوله:

٢٨ ﴿عيناً﴾ فنصبه بـ «أمدح» مقدراً ﴿يشرب﴾
بها المقربون ﴿أي: منها، أو: ضمن﴾ يشرب،
معنى: يلتذ.

٢٩ ﴿إن الذين أجمعوا﴾ [بالكفر،
وعداوة النبي ﷺ والمؤمنين]، كآبي
جهل ونحوه ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾
كعمار وبلال ونحوهما ﴿يضحكون﴾ استهزاء
بهم.

٣٠ ﴿وإذا مروا﴾ أي: المؤمنون ﴿بهم﴾
يتغامزون ﴿يشير المجرمون إلى المؤمنين،
بالجفن والحاجب استهزاء.

٣١ ﴿وإذا انقلبوا﴾ رجعوا ﴿إلى أهلهم انقلبوا﴾
فاكهين ﴿وفي قراءة: «فاكهين»: معجيين
بذكرهم المؤمنين، [والاستهزاء بهم].

٣٢ ﴿وإذا رأوهم﴾ رأوا المؤمنين ﴿قالوا إن﴾
هؤلاء لمضالون ﴿لإيمانهم بمحمد ﷺ.

٣٣ قال تعالى: ﴿وما أرسلوا﴾ أي:
الكفار ﴿عليهم﴾ على المؤمنين ﴿حافظين﴾
لهم، أو: لأعمالهم، حتى يردوهم إلى
مصالحتهم.

٣٤ ﴿فاليوم﴾ أي: يوم القيامة ﴿الذين آمنوا من﴾
الكفار يضحكون ﴿كما ضحك الكفار منهم﴾
في الدنيا].

٣٥ ﴿على الأرائك﴾ في الجنة ﴿ينظرون﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم، كما ضحك
الكفار منهم في الدنيا.

٣٦ ﴿هل ثوب﴾ جوزي ﴿الكفار ما كانوا يفعلون؟﴾ [أي: ينظر المؤمنون، هل جوزي الكفار
على ما كانوا يقابلونهم به في الدنيا، من الاستهزاء والتقيص؟، فيرون ذلك بأم أعينهم، ويكون
الجواب: نعم.

الْأَنْعَامُ

يَنْظُرُونَ ﴿٢٦﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكَ وَفِي

ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنَ

تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا

مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ

انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ

الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

(مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ ٨٤

(٨٤) سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ١ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ٢
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤
وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ٥ يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَذْحًا مُّكَلِّبِهِ ٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينَةٍ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨
وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ
سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَن

٧٩٩

١ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾. ٢ ﴿وَأذنت﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لربها وحقت﴾ وحق لها أن تسمع وتطيع. ٣ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مدت﴾ زيد في سعتها، كما يُمدُّ الأديم [أي: الجلد]، ولم يبق عليها بناء ولا جبل. ٤ ﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى [والكنوز] إلى ظاهرها ﴿وتخلت﴾ عنه، [روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تلقي الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذه - أي: لأجل هذا المال - قتلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعْتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعْتُ يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً»]. ٥ ﴿وَأذنت﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لربها وحقت﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسان عمله. ٦ ﴿يأتيا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً مُكَلِّبِهِ﴾ فأما من أُوتِيَ كِتَابَهُ بِبِيمِينَةٍ ٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٨ ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ١٠ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ١١ ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ ١٢ ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ١٣ ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن

وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه. ١١ ﴿فسوف يدعو﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثبوراً﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه. ١٢ ﴿ويصلى سعيراً﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة: بضم الباء وفتح الصاد واللام المشددة. ١٣ ﴿إنه كان في أهله﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مسروراً﴾ باتباعه لهواه. ١٤ ﴿إنه ظن أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنه

(١) قوله: «كما فسر في حديث الصحيحين»، أي: ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عُدْبٌ»، قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ليس ذلك بالحساب ولكن: ذلك العرض، من نوقش الحساب عُدْبٌ».

﴿لَنْ يَحُورَ﴾ يرجع إلى ربه.

١٥ ﴿بَلَى﴾ يرجع إليه ﴿إِنْ ربه كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالمًا برجوعه إليه.

١٦ ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ لا زائدة [للتأكيد القسم] ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هو: الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

١٧ ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَعَ ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.

١٨ ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم نوره، [أي: صار بدرًا كاملاً]، وذلك في الليالي^(١) البيض.

١٩ ﴿لَتَرْكِبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله «تركبون»، حذف نون الرفع لتوالي الأمثال، و [حذفت] الواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو

الموت، ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

٢٠ ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ الكفار أي: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ؟﴾ أي: أي مانع لهم من الإيمان؟ أو: أي حجة لهم في تركه، مع وجود براهينه؟

٢١ ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون؟ يخضعون، بأن يؤمنوا به لإعجازه؟ ٢٢ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالبعث وغيره.

٢٣ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صحفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

٢٤ ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم «بعذاب اليم» مؤلم، [وذكر البشار تهكم بهم].

٢٥ ﴿إِلَّا﴾ لكن «الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون» غير مقطوع ولا منقوص، ولا يُمنُّ به عليهم.

﴿سُورَةُ الْبُرُوجِ﴾

(مكية، اثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ للكواكب اثنا عشر برجاً، تقدمت في [سورة] «الفرقان»^(٢).

٢ ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

﴿سُورَةُ الْبُرُوجِ﴾

لَنْ يَحُورَ ١٤ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ ١٨
لَتَرْكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩ فَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ٢١ بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ٢٢ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابِ الْيَمِ ٢٤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثِنْتَانِ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢

(١) قوله: «ذلك في الليالي البيض»، وهي ليالي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشهر القمري، وهذه من الأيام التي يشحب صيامها. روى الشيخان عن أبي هريرة، وروى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ «أَوْصَى كُلَّ مَنْهُمَا بِثَلَاثِ» «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن يضلّي الزور قبل أن ينام»، وروى الترمذي وحسنه - في تحديد الأيام الثلاثة - عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا فَصُمْ: ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةٍ، وَخَمْسَ عَشْرَةٍ»، وروى أبو داود عن قتادة بن ملحان رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ: ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةٍ، وَخَمْسَ عَشْرَةٍ».

(٢) أي: في قوله تعالى فيها: «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا» الآية (٦١) منها ص ٤٧٧.

٣ ﴿وشاهد﴾ هو: يوم الجمعة ﴿ومشهد﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث^(١)، فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه والثالث: يشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صذرُهُ، تقديره: لقد. ٤ ﴿قتل﴾ لمن أصحاب الأخدود^(٢) الشق في الأرض، [أي: الذين شقوها، و «الأخدود»: مفرد، جمعه: «أخاديد»]. ٥ ﴿النار﴾ بدل اشتغال منه ﴿ذات الوقود﴾ ما توقد به، [أي: لُعن أصحاب النار، الذين أوقدوها لتعذيب المؤمنين بها]. ٦ ﴿إذ هم عليها﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قعود﴾. ٧ ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شهود﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار، بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من ثم [من الكافرين] فأحرقتهم. ٨ ﴿وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحميد﴾ المحمود. ٩ ﴿الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين، إلا إيمانهم. ١٠ ﴿إن الذي فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالإحراق﴾ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴿بكفرهم﴾ ولهم عذاب الحريق ﴿أي: عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا، بأن خرجت النار فأحرقتهم، كما تقدم. ١١﴾ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ [أي: العظيم، الذي لا فوز مثله]. ١٢ ﴿إن بطش ربك﴾ بالكفار [والظلمة والجبابرة] ﴿لشديد﴾ بحسب إرادته. ١٣ ﴿إنه هو يبدىء﴾ الخلق ﴿ويعيد﴾ [أي: يعيده]، فلا يعجزه ما يريد. ١٤ ﴿وهو الغفور﴾ للمذنبين من المؤمنين ﴿الودود﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة. ١٥ ﴿ذو العرش﴾ خالقه ومالكة ﴿المجيد﴾ بالرفع، [أي: الله تعالى هو المجيد]، المستحق لكمال صفات العلو، [وفي قراءة: بالجر، صفة للعرش]. ١٦ ﴿فعال لما يريد﴾ لا يعجزه شيء. ١٧ ﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث الجنود﴾. ١٨ ﴿فرعون﴾

سورة الفرقان ٨٥

وَشَاهِدْ وَمَسْهُودٌ ﴿٤﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿١﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ
عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُحُودٌ ﴿٤﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٧﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿٨﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ﴿١١﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٢﴾ فَعَّالٌ لِمَا
يُرِيدُ ﴿١٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٤﴾ فِرْعَوْنُ

(١) قوله: «كذا فسرت الثلاثة في الحديث». أي: الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقال فيه: حسن غريب.

(٢) قوله تعالى: «أصحاب الأخدود»، في بيان من هم؟ وفي مكانهم أقوال: منها أنهم كانوا في قرية من قرى «تجران» جنوب جزيرة العرب، بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وقيل: هناك أكثر من أخدود، بل هي ثلاثة: في العراق، والشام، واليمن، والله أعلم. وعلى كل حال فإن المقطوع به هو: أن ظلمة كافرين كانوا فيما سبق، قد شقوا أخدوداً وأضرموا فيها النار، ليكروهوا المؤمنين منهم على ترك الإيمان والعودة إلى الكفر فأبوا، فأخبرنا الله تعالى بقصتهم، ليكونوا للمسلمين أسوة حسنة في صبرهم على الإيمان وتحمل العذاب في سبيل الله عز وجل، وجاءت قصتهم مفصلة في السنة النبوية فرواها مسلم في صحيحه عن صهيب الرومي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، =

وثمود ﴿ بدل من الجنود ﴾ ، واستغني بذكر فرعون عن [ذكر] أتباعه ، وحديثهم : أنهم أهلكوا بكفرهم ، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ، ليتعظوا . ١٩ ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ بما ذكر . ٢٠ ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ لا عاصم لهم منه ، [أي : ينتقم منهم متى شاء] . ٢١ ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ عظيم . ٢٢ ﴿ في لوح ﴾ هو : في الهواء ، فوق السماء السابعة ﴿ محفوظ ﴾ بالجبر ، [صفة «لوح» ، وفي قراءة : بالرفع ، صفة «قرآن» ، أي : محفوظ] من الشياطين ، ومن تغيير شيء منه ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وهو من درة بيضاء ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [كما رواه عنه الإمام البغوي] .

سُورَةُ الطَّارِقِ

سُورَةُ الطَّارِقِ ﴿

(مكية، سبع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ والسماء والطارق ﴾ أصله : كلُّ آتٍ ليلاً ، ومنه النجوم ، لطلوعها ليلاً . ٢ ﴿ وما أدراك ﴾ أعلمك ﴿ ما الطارق ؟ ﴾ مبتدأ وخبر ، في محل المفعول الثاني لـ «أدرى» ، و «ما» [التي] بعد «ما» الأولى خبرها ، وفيه تعظيم لشأن «الطارق» المفسر بما بعده وهو : ٣ ﴿ النجم ﴾ أي : الثريا ، أو ، كل نجم . ﴿ الشاقب ﴾ المضيء ، لثقبه الظلام بضوئه ، وجواب القسم : ٤ ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ بتخفيف «ما» ، فهي مزيدة ، «وإن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ، أي : إنه ، واللام فارقة . [وفي قراءة] بتشديدها ، فـ «إن» نافية و «لما» بمعنى «إلا» ، و «الحافظ» من الملائكة ، يحفظ عملها من خير وشر . ٥ ﴿ فلينظر الإنسان ﴾ نظر اعتبار ﴿ مم خلق ؟ ﴾ من أي شيء ؟ ، جوابه : ٦ ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ ذي اندفاق من الرجل والمرأة ، في رحمها . ٧ ﴿ يخرج من بين الصلب ﴾ (١) للرجل «والترائب» للمرأة ، وهي عظام الصدر . ٨ ﴿ إنه ﴾ تعالى ﴿ على رجعه ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿ لقادر ﴾ فإذا اعتبر أضله ، عَلِمَ أن القادر على ذلك ، قادر على بعثه . ٩ ﴿ يوم تبلى ﴾ تختبر وتكشف «السرائر» ضمائر القلوب ، في العقائد والنيات .

وَتَمُودَ ﴿ ١٨ ﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿ ١٩ ﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿ ٢٠ ﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿ ٢١ ﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿ ٢٢ ﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سَبْعُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ﴿ ١ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿ ٢ ﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿ ٣ ﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿ ٤ ﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿ ٥ ﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿ ٦ ﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿ ٧ ﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ﴿ ٨ ﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿ ٩ ﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا

١٠ ﴿ فما له ﴾ لمنكر البعث ﴿ من قوة ﴾ يتمتع بها من العذاب ﴿ ولا

= وذكر قصة الغلام الذي بعثه الملك في ذلك الزمان ليتعلم السحر من الساحر وكيف تعرّف الغلام على الراهب ثم آمن ، ولما علم الملك بإيمانه حاول أن يقتله بإلقائه من ذروة جبل ، ثم بقذفه في لجة البحر فأنجاه الله تعالى ، ثم دله الغلام على كيفية يستطيع بها أن يقتله ، وأنه جمع الناس في صعيد واحد ، وأخذ سهماً من كثانة الغلام وضربه به قائلاً : «بسم الله رب الغلام» فمات الغلام وآمن الناس جميعاً ، فأمر الملك بالأخدود ، وأضرم فيها النار ، فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها ، فجاءت امرأة تحمل صبياً فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمّة اصبري فإنك على الحق [اقرأ قصتهم في هذا الحديث كاملة في باب «الصبر» من «رياض الصالحين»] .

(١) قوله تعالى : «يخرج من بين الصلب والترائب» إنهما : صلب الرجل وترائبه ، وصلب المرأة وترائبها ، [ارجع إلى مقدمة الكتاب] .

ناصر ﴿ يدفعه عنه . ١١ ﴾ والسَّماء ذات الرجوع ﴿ المطر، لعوده . كل حين . ١٢ ﴾ والأَرْض ذات الصدع ﴿ الشق عن النبات . ١٣ ﴾ إنه ﴿ أي : القرآن ﴾ لقول فصل ﴿ يفصل بين الحق والباطل . ١٤ ﴾ وما هو بالهزل ﴿ باللعب والباطل . ١٥ ﴾ إنهم ﴿ أي : الكفار ﴾ يكيدون كيداً ﴿ يعملون المكائد للنبي ﷺ . ١٦ ﴾ وأكيد كيداً ﴿ استدرجهم من حيث لا يعلمون . ١٧ ﴾ فمهمل ﴿ يا محمد ﴾ الكافرين أمهلهم ﴿ تأكيد، حَسَنَةُ مخالفة اللفظ، أي : أنظرهم ﴾ رويداً ﴿ قليلاً، وهو : مصدر مؤكَّد لمعنى العامل، [أي : أمهلهم إمهالاً، وهو : [مصغر ^(١) «رُوداً» أو : «إزواداً» على الترخيم، [أي : ترخيم التصغير بحذف الزوائد]، وقد أخذهم الله تعالى ببدر، ونُسِخَ الإمهال بالأمر بالقتال والجهاد.

سُورَةُ الْأَعْلَى ٨٧

﴿سُورَةُ الْأَعْلَى﴾

(مكية، تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿سبح اسم ربك﴾ أي : نزه ربك عما لا يليق به، ولفظ «اسم» زائد، [قاله ابن عباس رضي الله عنهما] ﴿الأعلى﴾ صفة لـ «ربك».

٢ ﴿الذي خلق فسوى﴾ مخلوقه، أي : جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت.

٣ ﴿والذي قدر﴾ ما شاء ﴿فهدي﴾ [أرشد] إلى ما قدره من خير وشر، [فرغب في الخير، وحذر من الشر].

٤ ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أنبت العشب.

٥ ﴿فجعلهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غشاً﴾ جافاً هشياً ﴿أحوى﴾ أسود يابساً.

٦ ﴿سنقرئك﴾ القرآن ﴿فلا تنسى﴾ ^(٢) ما تقرؤه . ٧ ﴿إلا ما شاء الله﴾ أن تنساه، ينسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل، خوف النسيان، فكانه قيل له : لا تعجل بها، إنك ما تنسى، فلا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر وما يخفى﴾ ونيسرك

نفسك بالجهر بها ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾ منها . ٨ ﴿ونيسرك

نَاصِرٍ ١٠ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الْصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلٍ
الْكَافِرِينَ ١٧ أَمَهُلُهُمْ رُودًا ١٨

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّانَهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ٥ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ٦
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ٧ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٨ وَنُيَسِّرُكَ

(١) قوله : «مصغر رُوداً» أو : «إزواداً»، بالنصب فيهما، وفي إحدى المخطوطات بالرفع، ومعنى : «رُوداً» أي : مهلاً، ومنه : «رُودَكَ» أي : أمهل.

(٢) قوله تعالى : «فلا تنسى»، أي : لن تنسى أبداً، وليست «لا» هنا للنهي كما يظن البعض بل هي نافية، وكيف تكون للنهي وما بعدها غير مجزوم ؟ وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة القيامة : «لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه» أي : لا تخش يا محمد نسيان ما يوحى إليك وأطمئن، فإنك لن تنسى شيئاً منه أبداً، ولم ينس ﷺ شيئاً.

للبسرى ﴿لشريعة السهلة، وهي: الإسلام.﴾

٩ ﴿فذكر﴾ عظم بالقرآن ﴿إن نفعت﴾^(١) الذكرى ﴿من تذكره﴾، [وهو] المذكور في:

١٠ ﴿سبذكر﴾ بها ﴿من يخشى﴾ يخاف الله تعالى، كآية: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيده﴾، [أي: فذكر بالقرآن، فسبذكر ويتعظ، من يخاف وعيد الله تعالى].

١١ ﴿ويتجنبها﴾ أي: الذكرى، أي: يتركها جانباً، لا يلتفت إليها ﴿الأسقى﴾ بمعنى الشقي، أي: الكافر.

١٢ ﴿الذي يصلح النار الكبرى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

١٣ ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة هينة.

١٤ ﴿قد أفلح﴾ فاز ﴿من تزكى﴾ تطهر بالإيمان.

١٥ ﴿وذكر اسم ربه﴾ مكبراً ﴿فصلى﴾ الصلوات الخمس، وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة [وغيرها] معرضون عنها.

١٦ ﴿بل يؤثرون﴾ بالثقتانية وال فوقانية، [أي: يفضلون] ﴿الحياة الدنيا﴾ على الآخرة.

١٧ ﴿والآخرة﴾ المشتملة على الجنة ﴿خير وأبقى﴾.

١٨ ﴿إن هذا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيراً ﴿لفي الصحف الأولى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.

١٩ ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

﴿سُورَةُ الْغَاشِيَةِ﴾

(مكية، ست وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿هل﴾ قد ﴿أتاك﴾ حديث الفاشية. القيامة، لأنها تغشى الخلاق بأهوالها.

٢ ﴿وجوه يومئذ﴾ عبّر بها [أي: بالوجوه] عن الذوات، في الموضعين، [هذا والذي بعده في الآية الثامنة، لأن أثر الذل والتعب، يكون أظهر في الوجه] ﴿خاشعة﴾ ذليلة.

لِلْبَسْرِى

لِلْبَسْرِى ٨ فذكر إن نفعت الذكرى ٩ سيد ذكر

من يخشى ١٠ ويتجنبها الأسقى ١١ الذى يصلى

النار الكبرى ١٢ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ١٣

قد أفلح من تزكى ١٤ وذكر اسم ربه فصلى ١٥

بل يؤثرون الحياة الدنيا ١٦ والآخرة خير وأبقى ١٧

إن هذا لفي الصحف الأولى ١٨ صحف إبراهيم

وموسى ١٩

(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هل أتاك حديث الغشية ١ وجوه يومئذ خاشعة ٢

(١) قوله تعالى: ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾، أي: فعظم يا محمد قومك بالقرآن، ثم اختلف المفسرون في معنى «إن»، فقيل: «المعنى: فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع»، فحذف الثاني اكتفاء بقوله تعالى: ﴿وجعل لكم سراويل تقيكم الحر﴾ أي: والبرد أيضاً. وقيل غير ذلك، وعلى كل فإن الآية أمر بالتذكير للناس عامة، من نفعته ومن لم تنفعه، فمن تذكر نجا، ومن أعرض كانت الذكرى حجة عليه يوم القيامة، فلا يستطيع أن يقول: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾، أو أن في الآية توجيهاً للاهتمام أولاً بمن يتوقع منهم الانتفاع بالتذكير، وتقديمهم على غيرهم ممن لا يتوقع منهم ذلك، أي: اهتم أولاً بمن تراهم أكثر استعداداً للاهتمام ثم بمن بعدهم.

٣ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ ذات نَصَبٍ وتعَب، بالسلاسل والأغلال. ٤ ﴿تَصَلَّى﴾ بضم التاء وفتحها ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾. ٥ ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أَنِيَّةٍ﴾ شديدة الحرارة. ٦ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو: نوع من الشوك، لا ترعاه دابة لُحْيَتِهِ. ٧ ﴿لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾. ٨ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ حسنة. ٩ ﴿لَسَعِيهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة، لما رأت ثوابه. ١٠ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ حَسَاً وَمَعْنَى﴾ (١). ١١ ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ بالباء والتاء [مبنيًا مجهول] ﴿فِيهَا لَاغِيَةٌ﴾ [بالرفع]، أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام، [وفي قراءة: «لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ»]. ١٢ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنى: «عيون». ١٣ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ذَاتًا وَقَدْرًا وَمَحَلًّا». ١٤ ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أقداح لا عُرَى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم. ١٥ ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائل مصفوفة ﴿بَعْضُهَا بِجَنْبِ بَعْضٍ﴾، يُسْتَدُّ إِلَيْهَا. ١٦ ﴿وَزُرَابِي﴾ [جمع «زُرْبِيَّة»، أي: أي: بُسْطٌ طنافس لها خَمَلٌ، أي: «مُذَبَّ»، وتسمى أيضًا: «السجادة»] ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة، [وقيل: متفرقة في المجلس]. ١٧ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة، نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟﴾ ١٨ ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. ١٩ ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ؟﴾ أي: بُسِطَتْ، فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته؟. وصدّرت بالإبل، لأنهم أشدّ ملابسة لها من غيرها، وقوله: «سطحت» (٢)، ظاهر في أن الأرض سطح لا كرة، كما قال أهل الهيئة، وإن لم ينقُض ركنًا من أركان الشرع. ٢١ ﴿فَلَذَكَّرْ﴾ هُمْ نَعَمَ اللَّهُ ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾. ٢٢ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ وفي قراءة بالسین بدل الصاد، أي: بمسلّط، وهذا قبل الأمر بالجهاد. ٢٣ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ (عن الإيمان) ﴿وَكُفِّرْ﴾ بالقرآن. ٢٤ ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر: عذاب الدنيا بالقتل والأسر. ٢٥ ﴿إِنَّا إِلَيْنَا يَأْتِيهِمْ﴾ رجوعهم بعد الموت. ٢٦ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أَنِيَّةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ ﴿٢١﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢٢﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكُفِّرْ ﴿٢٤﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

(١) قوله: «حَسَاً وَمَعْنَى»، هذا رد على الزنادقة القائلين: إن

العذاب في النار والنعيم في الجنة معنويان لا حسيان. ارجع إلى تعليقنا حول هذا الموضوع ص ٦٧٤.

(٢) قوله: «وقوله: سطحت... إلى قوله: من أركان الشرع»، ساقط من بعض النسخ المطبوعة وهو موجود في المخطوطات وبعض النسخ المطبوعة فلذلك أثبتناه، ثم إن استدلال الجلال المحلي رحمه الله بالسطح على نفي قول أهل الهيئة - أي: علماء الجغرافية - ليس واضحاً، لأن البسط في السطح المنحني أظهر منه في السطح المستقيم، وليس في قول علماء الهيئة ما يعارض نصاً واضح الدلالة، لذلك قال «ياقوت الحموي» في «معجم البلدان» بعد سرد الأقوال: «وأصلح ما رأيت في ذلك وأسدّه في رأيي، ما حكاه محمد بن أحمد الخوارزمي قال: والأرض مدورة بالكلية، مضرّسة بالجزية من جهة التلال البارزة والوهاد الغائرة، ولا يخرجها ذلك من الكُرْبَةِ إذا وقع الحسّ منها على الجملة، لأن مقادير الجبال وإن شمتحت صغيرة بالقياس إلى كل الأرض».

﴿سُورَةُ الْفَجْرِ﴾

(مكة، أو: مدنية، ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والفجر﴾ أي: فجر كل يوم. ٢ ﴿وليل﴾
عشر ﴿أي: عشر ذي الحجة. ٣ ﴿والشفع﴾
الزوج ﴿والوتر﴾ بفتح الواو وكسرهما، لغتان:
الفرد. ٤ ﴿والليل إذا يسر﴾ مقبلاً ومدبراً.
٥ ﴿هل في ذلك﴾ القسم ﴿قسم للذي حجر﴾
عقل؟ وجواب القسم محذوف، أي: لتعذب
يا كفار مكة [وغيرها]. ٦ ﴿الم تر﴾ تعلم
يا محمد ﴿كيف فعل ربك بعاد؟﴾ [قوم هود
عليه السلام]. ٧ ﴿إرم﴾ هي: عاد الأولى،
فـ «إرم» عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف
للعلمية والتأنيث ﴿ذات العماد﴾ أي: ذات
الأنبية المرفوعة على العمدة، أو: البناء
المرتفع، ففي «الصحاح»، و «العماد»: الأنبية
المرتفعة، وقيل: ذات [الطول، كان طول
الطويل منهم أربعمئة ذراع^(١)]. ٨ ﴿التي
لم يخلق مثلها في البلاد﴾ في بطشهم وقوتهم.
٩ ﴿وئمود الذين جابوا﴾ قطعوا ﴿الصخر﴾
جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً ﴿بالواد﴾
وادي القرى^(٢). ١٠ ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾،
[أي: الظالم] كان يتد أربعة أوتاد، يشد
إليها يدي ورجلي من يعذبه، [أو: هو كناية
عن قوة ملكه في الأرض، ومع ذلك أهلكه
الله تعالى، لأنه طغى]. ١١ ﴿الذين طغوا﴾
تجبروا ﴿في البلاد﴾. ١٢ ﴿فاكثروا فيها
الفساد﴾ القتل وغيره. ١٣ ﴿فصب عليهم﴾
[أي: على كل فريق منهم] ﴿ربك سوط﴾

الْفَجْرِ

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ فَكَيْفَ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ١ وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر ٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ
لِبِالْمِرْصَادِ ١٤ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ

٨٠٦

نوع ﴿عذاب﴾ [فأهلك عاد بالريح، وتمود بالصيحة، وفرعون بالغرق]. ١٤ ﴿إن ربك لبالمِرْصاد﴾
يرصد أفعال العباد، لا يقوته منها شيء، ليجازيهم عليها. ١٥ ﴿فأما الإنسان﴾ الكافر ﴿إذا ما ابتلاه﴾ اختبره ﴿ربه

(١) قوله: «كان طول الطويل منهم أربعمئة ذراع»، وقيل غير ذلك، وكله ضعيف، قال ابن العربي في «أحكام القرآن»: وهو باطل لأنه ثبت
في الصحيح: «أن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء فلم يزل الخلق ينقص إلى الآن»، أرجع إلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧.

(٢) قوله: «وادي القرى»، أرجع إلى تعليقنا حول «تمود» ص ٢٩٣.

﴿سُورَةُ الْبَلَدِ﴾

(مكية، عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿لَا﴾ زائدة [لتأكيد القسم] ﴿أقسم بهذا البلد﴾ مكة. ٢ ﴿وَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بهذا البلد﴾ [يعني: في

المستقبل]، بَأَنْ يُحِلَّ لَكَ، فتقاتل فيه، وقد أنجز الله

له هذا الوعد يوم الفتح، [روى الشيخان - واللفظ

للبخاري - عن خويلد العدوي أنه سمع النبي ﷺ

يقول: «إِنْ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يَحْرَمْهَا النَّاسُ،

لَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ يَوْمَئِذٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ يَسْفِكَ

بِهَا دَمًا، وَلَا يَغْضَبَهَا - أَي: يَقْطَعُ - شَجَرًا، فَإِنْ

أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقَالُوا لَهُ: إِنْ

اللَّهُ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذِنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي سَاعَةً

مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا

بِالْأَمْسِ، وَلِيُتْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ» [فالجمله اعتراض

بين المقسم به وما عطف عليه. ٣ ﴿وَوَالِدٌ﴾ أي:

آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ ذريته، و «مَا» بمعنى: «مَنْ».

٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾

نَصَبٍ وَشِدَّةٍ، يَكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشِدَائِدَ الْآخِرَةِ.

٥ ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان، قويٌّ قريش وهو:

أَبُو الْأَشْدِّينَ، [أو: الْأَشَدُّ، أَسِيدُ بَنِي كَلْدَةَ الْجُمُحِيِّ،

وَأَمْثَالُهُ]، بِقُوَّتِهِ ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها

محذوف أي: أَنَّهُ ﴿لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؟﴾ والله

تعالى قادر عليه. ٦ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة

محمد ﴿مَا لَأَبْدَأُ﴾ كثيراً بعضه على بعض.

٧ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أي: أَنَّهُ ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه

فيعلم قَدْرَهُ؟ والله عالم بقَدْرِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَتَكَبَّرُ

بِهِ، وَمَجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ السَّيِّئِ. ٨ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾

استفهام تقرير، أي: جَعَلْنَا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ؟﴾ [يبصر

بهما]. ٩ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ؟﴾ [لنطقه وستر فمه].

١٠ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ؟﴾ بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ٢

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا

لُبًّا ٦ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ

عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢

فَكَ رَقَبَةٍ ١٣ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنْ

١١ ﴿فَلَا﴾ فهلاً ﴿اقتحم العقبة﴾ جازماً؟، [أي: مَا الَّذِي يَمْنَعُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ أُعْطِيَاهُ الْأَسْبَابُ؟]. ١٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾

أَعْلَمُكَ ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها، تعطيها لشأنها، والجمله اعتراض، وبين سبب اختيارها بقوله: ١٣ ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾ مَنْ

الرَّقَ بَأَنْ أَغْتَقَهَا. ١٤ ﴿أَوْ أَطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة. ١٥ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة. ١٦ ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾

أي: لَصُوقِي بِالْتُّرَابِ لِفَقْرِهِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بَدَلِ الْفَعْلَيْنِ، مُصْدَرَانِ مَرْفُوعَانِ، [أي: «فَكَ» و«إِطْعَمْتُ»]، مُضَافٌ الْأَوَّلُ لـ «رَقَبَةٍ»،

وَمَنْوُ الثَّانِي، فَيَقْدُرُ قَبْلَ الْعَقَبَةِ: «اِقْتِحَامٌ»، [أي: وَمَا أَدْرَاكَ مَا اِقْتِحَامُ الْعَقَبَةِ؟]، والقراءة المذكورة، [أي: بِالْمُصْدَرِّينِ

الْمَرْفُوعَيْنِ]، بَيَانُهُ [أي: بَيَانُ لِمَعْنَى «الِاقْتِحَامِ» الْمَقْدَرِ، فَيَصْبِحُ الْمَعْنَى: اِقْتِحَامُ الْعَقَبَةِ هُوَ: فَكَ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ].

- ١٧ ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على: ﴿اقتحم﴾، و ﴿ثم﴾ للترتيب الذكري، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿من الذين آمنوا﴾ [أي: كان عند عمله الصالحات مؤمناً، لأن الإيهان شرط لقبول العمل الصالح] ﴿وتواصوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بالصبر﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ الرحمة على الخلق.
- ١٨ ﴿أولئك﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أصحاب الميمنة﴾ اليمين، [أي: أصحاب الجنة].
- ١٩ ﴿والذين كفروا﴾ بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴿الشمال﴾، [أي: أصحاب النار].

٢٠ ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ بالهمزة، والواو بـدَلَة: مُطَبَّعة [ومغلقة].

﴿سُورَةُ الشُّعَرَاءِ﴾

(مكية، خمس عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ ﴿والشمس وضحاها﴾ [أي: و] ضوئها.
- ٢ ﴿والقمر إذا تلاها﴾ تبعها طالعاً عند غروبها، [فتور القمر لا يظهر، إلا إذا غربت الشمس].
- ٣ ﴿والنهار إذا جلاها﴾ بارتفاعه، [أي: ظهرت فيه].
- ٤ ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يغطيها بظلمته، و [إذا] في الثلاثة لمجرد الظرفية، [فلا تفيد الشرطية]، والعامل فيها فعل القسم [المقدر: «أقسم»].
- ٥ ﴿والسماء وما بناها﴾.
- ٦ ﴿والأرض وما طحاها﴾ بَسَطَها.
- ٧ ﴿ونفس﴾ بمعنى: «نفس» ﴿وما سواها﴾ في الخلقة، و «ما» في [المواضع] الثلاثة مصدرية، أو: بمعنى «من»^(١).
- ٨ ﴿فالهمها فجورها وتقواها﴾ بَيَّن لها طريق الخير والشر، وأخبر «التقوى» رعاية لرؤوس الآي، وجواب القسم: ٩ ﴿قد أفلح﴾ حذف منه اللام، [فلم يقل: «لقد» كما هو الأصل،

أي: لم تلزمه اللام] لطول الكلام ﴿من زكاه﴾ طهرها من الذنوب. ١٠ ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من دساها﴾ أخفاها بالمعصية [وغمسها فيها]، وأصله: «دسها»، أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً. ١١ ﴿كذبت ثود﴾ رسولها صالحاً

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٩١

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا
هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ٢٠

(٩١) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ
إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّاهَا ٧ فَالْهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠ كَذَبَتْ ثُودُ

(١) قوله: «مصدرية أو بمعنى من»، فعلى اعتبار «ما» مصدرية يكون المعنى: والسماء وبنائها، والأرض وطحوها، ونفس وتسويتها، أي: خلقها، وعلى اعتبارها بمعنى «من» يكون المعنى: أقسم بالسماء، والأرض، ونفس، وأقسم بمن بناها وطحاها وسواها، وهو الله تعالى، والله يُقسم بما شاء من خلقه، أما العباد فلا يجوز لأحدهم أن يحلف إلا بالله تعالى كما بينا في تعليقا ص ١٥٤.

﴿بَطَفُواهَا﴾ بسبب طغيانها، [هذا مثل ضربه الله تعالى، لبيان عاقبة النفوس الطاغية].

١٢ ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ واسمه ﴿قُدَارُ بْنُ سَالَفٍ﴾، إلى عَقْرِ النَّاقَةِ بِرِضَاهُمْ.

١٣ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أي: ذروها ﴿وَسَقِيَاهَا﴾ شَرِبَهَا [أي: حظها من الشرب] في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم.

١٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتب عليه نزول العذاب بهم، إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها، ليسلم لهم ماء شَرِبَهَا. ١٥ ﴿فَدَمَدَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ العذاب [فأهلكهم] ﴿بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَاهَا﴾ أي: الدمدمة عليهم، أي: عَمَّهم بها، فلم يُقِلَّتْ منهم أحد. ١٦ ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء، [قراءتان سبعيتان] ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عَقَبَاهَا﴾ تبعها.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

يُطْفَوْنَهَا ١١ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ
عُقَبَهَا ١٥

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنِّيَرُهُ
لِلْيُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ

سُورَةُ اللَّيْلِ

(مكية، إحدى وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ بظلمته، كل ما بين السماء والأرض. ٢ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ تكشف وظهر، و [إذا] في الموضعين، لمجرد الظرفية، [فلا تفيد الشرطية]، والعامل فيها فعل القسم، [أي: أقسم]. ٣ ﴿وَمَا﴾ بمعنى «من»، [أي: والذي]، أو: [هي] مصدرية ﴿خلق الذكر والأنثى﴾ آدم^(١) وحواء، أو: كل ذكر، وكل أنثى، والخشى المشكل^(٢) عندنا [أي: في علمنا]، ذكر أو أنثى عند الله تعالى، [فالله يعلم حقيقته، أما نحن فلا نعلم ذلك]، فيحنت بتكليمه، من حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثى. ٤ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّى﴾ مختلف، فعامل للجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. ٥ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حق الله ﴿واتقى﴾ الله. ٦ ﴿وصدق بالحسنى﴾ أي: «بلا إله إلا الله [محمد رسول الله]» في الموضعين^(٣). ٧ ﴿فسننيره لليسرى﴾ للجنة. ٨ ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ عن ثوابه. ٩ ﴿وكذب

(١) قوله: «آدم وحواء»، أرجع إلى تعليقنا حول «آدم عليه السلام» ص ٤١٧، وتعليقنا حول «حواء عليها السلام» ص ٥٣٣.

(٢) قوله: «الخشى المشكل عندنا» إلخ. هذا استدراك من الجلال المحلي رحمه الله، أراد أن يوضح فيه التباساً قد يخطر ببال البعض مقاده: أن «الخشى المشكل» داخل أيضاً تحت معنى الآية، «وما خلق الذكر والأنثى» لأنه مُشْكَلٌ بحسب علمنا نحن البشر، أما في علم الله تعالى فليس مشكلاً، لأنه يعلم حقيقته وأنه ذكر أو أنثى.

(٣) قوله: «في الموضعين»، أي: في هذه الآية وفي الآية التاسعة بعدها.

بالحسني. ١٠ ﴿فَنَسِيْرُهُ﴾ نهيته ﴿لِلْعُسْرَى﴾ للنار. ١١ ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ [أي: لا ينفعه ماله] ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ في النار. ١٢ ﴿إِنْ عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾ لَتَبَيْن طريق الهدى من طريق الضلال، لِيُمَثَّلَ أمرنا بسلوك الأول، ونهينا عن ارتكاب الثاني. ١٣ ﴿وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي: الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ. ١٤ ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة [وغيرهم] ﴿نَارًا تَلْظَى﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرئ [شدوذا] بشوئها، أي: تنوقد. ١٥ ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ بمعنى: الشقي. ١٦ ﴿الَّذِي كَذَبَ﴾ النبي ﷺ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤوّل، لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فيكون المراد [بالحصر في الآية]، الصلّي المؤيد، [أي: لا يؤيد في النار إلا الكافر، أما مرتكب الكبيرة، إذامات من غير توبة، فأمره إلى الله تعالى، إن شاء أدخله النار بلا تأييد، وإن شاء عفا عنه فلا يُدْخِلُهُ]. ١٧ ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يبعد عنها ﴿الْأَتَقَى﴾ بمعنى: «التقي». ١٨ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ متزكياً به عند الله تعالى، بأن يخرج له الله تعالى، لا رياء ولا سمعة، فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في [أبي بكر] الصديق رضي الله عنه، لما اشترى بلالاً المعبّد على إيمانه واعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك لِيَدَّ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ فَتَزَلْ: ١٩ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾. ٢٠ ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك «ابتغاء وجه ربه الأعلى» أي: طلب ثواب الله. ٢١ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة، والآية تشمل مَنْ فعل مثل فعله [رضي الله تعالى عنه]، فيبعد عن النار ويثاب.

﴿سُورَةُ الضُّحَى﴾ (مكية، إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ولما نزلت، كثير^(١) صلى الله عليه وسلم آخرها، فسُنَّ التكبير آخرها، ورُوي الأمر به^(٢) خاتمتها، وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: «الله أكبر»، أو: «لا إله إلا الله والله أكبر» ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أول النهار، أو: كله. ٢ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ غطى بظلامه، أو: سكن. ٣ ﴿وَمَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ﴾

سُورَةُ الضُّحَى ١٣

بِالْحُسْنَى ١ فَنَسِيْرُهُ لِلْعُسْرَى ٢ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ٣ إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى ٤ وَإِنَّا لَنَالِ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى ٥ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْظَى ٦ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ٧ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ٨ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى ٩ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ١٠ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ١١ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ١٢ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ١٣

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ١ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ٣

(١) قوله: «ولما نزلت كثير» آخرها. أي: تصديقاً لما كان يتظر من الوحي، قال ابن كثير في تفسيره: «لم يَرَوْا ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف». اهـ.

(٢) قوله: «وروي الأمر به خاتمتها» إلخ. فالتكبير خاتمة «الضحى» وخاتمة كل سورة بعدها سنة اتفق عليها القراء، وقد جاء الأمر به في حديث مرفوع إلى النبي ﷺ رواه الحاكم والبيهقي في الشعب في طريق أبي الحسن البرقي المقرئ، وذكر الحافظ ابن الجزري في «التقريب» أنه ورد في ذلك أحاديث مرفوعة وموقوفة.

وما قلّ ﴿٤﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار ﴿١﴾ عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربّه ودعه وقلاه. ﴿٤﴾ وللآخرة خير لك ﴿٥﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿من الأولى﴾ الدنيا. ﴿٥﴾ ولسوف يعطيك ربك ﴿٦﴾ في الآخرة من الخيرات، عطاءً جزيلاً ﴿فترضى﴾ به، فقال ﷺ ﴿٢﴾: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار»، إلى هنا تم جواب القسم، بمُثَبِّتِينَ بعد مَنفِيَّتَيْنِ. ﴿٦﴾ ألم يجدك ﴿٧﴾ استفهام تقرير، أي: وجدك ﴿يتيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو: بعدها ﴿فأوى﴾؟ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. ﴿٧﴾ ووجدك ضالًّا ﴿٨﴾ عما أنت عليه من الشريعة [لا علم لك بها] ﴿فهدى﴾ أي: هداك إليها، [وعلّمك ما لم تكن تعلم]. ﴿٨﴾ ووجدك عائلًا ﴿٩﴾ فقيرًا ﴿فأغنى﴾؟ أغناك، بما قَتَعك به من الغنيمة وغيرها، [أو: فأغنى قلبك فلا توصف بالفقر]، وفي الحديث:

«ليس الغنى عن كثرة العرض، [بسكون الرأى وتفتح، أي: المال]، ولكن الغنى غنى النفس» [رواه الشيخان]. ﴿٩﴾ فأما اليتيم فلا تقهر ﴿١٠﴾ وأما السائل فلا تنهر ﴿١١﴾ ترجمه لفقره. ﴿١١﴾ وأما بنعمة ربك ﴿١٢﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فحدث﴾ أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال، رعاية للفواصل:

﴿سُورَةُ الشَّرْحِ﴾

(مكية، ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ألم نشرح﴾ استفهام تقرير، أي: شرحنا لك ﴿يا محمد﴾ صدرك ﴿بالنبوة وغيرها؟﴾
٢ ﴿ووضعنا﴾ حططنا ﴿عنك وزرك﴾ [أي: ذنبك].
٣ ﴿الذي أنقض﴾ أثقل ﴿ظهرك﴾ [لو لم يعف الله عنه]، وهذا كقوله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك». ﴿٤﴾ ورفعنا لك ذكرك ﴿بأن تذكّر مع ذكرى، في الأذان والإقامة، والتشهد والخطبة، وغيرها. ﴿٥﴾ فإن مع العسر يسراً﴾ الشدة ﴿يسراً﴾ سهولة. ﴿٦﴾ إن مع العسر يسراً﴾ والنبي ﷺ، قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم.

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا مَا ثَابَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

(١) قوله: «نزل هذا لما قال الكفار...» أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب البجلي رضي الله عنه قال: اشتكى - أي: مرض - رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فنجأت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريباً منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى: ﴿والضحى﴾. والمرأة هي: العوراء أم جميل، واسمها أروى بنت حرب أخت أبي سفيان، وهي: حمالة الحطب زوج أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأخرج الترمذي وقال: حسن صحيح - عن جندب البجلي رضي الله عنه قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودّع محمد، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وما ودعك ربك وما قل﴾.

(٢) قوله: «فقال ﷺ...» إلخ، لم يثبت هذا القول مرفوعاً ولا موقوفاً خلافاً لما هو شائع، وقد أخرجه البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «رضاء أن يدخل أمتهم الجنة»، وأخرجه الخطيب في «تلخيص المشابه» موقوفاً على ابن عباس بلفظ: «لا يرضى محمد وواحد من أمتي في النار». وهذا الإسنادان غير =

﴿سُورَةُ التِّينِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ التِّينِ ٩٥

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ٨

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهُمَا ثَارَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦
فَإِنْ كَذَّبَكَ بِغَدُ الْإِنسَانِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ
الْحَكِيمِينَ ٨

٨١٢

١ ﴿والتين والزيتون﴾ أي: المأكولين، أو: جبلين بالشام، يُثْبِتَانِ المأكولين. ٢ ﴿وطور سينين﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ومعنى: «سينين» المبارك، أو: الحسن بالأشجار المثمرة. ٣ ﴿وهذا البلد الأمين﴾ مكة، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً، [وجواب القسم: ٤ ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ الجنس ﴿في أحسن تقويم﴾ تعديل لصورته. ٥ ﴿ثم رددناه﴾ في بعض أفرادهم ﴿أسفل سافلين﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن [زمن الضعف] عن زمن الشباب، ويكون له أجره لقوله تعالى: ٦ ﴿إلا﴾ أي: لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فلهم أجر غير ممنون ﴿غير مقطوع﴾، وفي الحديث [الموقوف على ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يُعْجِزُهُ عن العمل، كُتِبَ له ما كان يعمل»، (وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر، كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً»]. ٧ ﴿فما يكذبك﴾ أيها الكافر ﴿بغد﴾ بعد ما ذُكِرَ من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم رُدَّه إلى أرذل العمر، الدالُّ على القدرة على البعث ﴿بالدين﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب؟ أي: ما يجعلك مكذباً بذلك، ولا جاعل له؟ ٨ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين؟﴾ أي: هو أقضى القاضين، وحكمه بالجزاء من

ذلك [أي: من جملة قضائه]، وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها، قليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» [رواه أحمد وأبو داود مرفوعاً وهو حديث ضعيف، فالصحيح: أنه لا يقال شيء في الجواب، خصوصاً في الصلاة].

ثابتين أيضاً، ولكن الصحيح الثابت هو ما رواه مسلم والنسائي وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾، وقول عيسى ابن مريم: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾، فرفع يديه فقال: «أمتي... أمتي... ويكي... فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمرك ولا نسووك».

﴿سُورَةُ الْاِنْسَانِ﴾

(مكية، تسع عشرة آية، صدرها إلى: «ما لم يعلم»، أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وكان ﷺ مختلياً في غار حراء قرب مكة.)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْاِنْسَانِ

(٩٦) سُورَةُ الْاِنْسَانِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيُّهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَى ⑥ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ⑦ إِنَّ إِلَى
رَبِّكَ الرَّجْعَى ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ⑨ عَبْدًا
إِذَا صَلَّى ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ⑪
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑬
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا

١ ﴿أقرأ﴾ أوجد القراءة، مبتدئاً باسم ربك الذي خلق الخلائق. ٢ ﴿خلق الإنسان﴾ الجنس ﴿من علق﴾ جمع «علقة»، وهي: القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. ٣ ﴿أقرأ﴾ تأكيد للأول ﴿وربك الأكرم﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في «أقرأ». ٤ ﴿الذي علم﴾ [الإنسان] الخط ﴿بالقلم﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام، [قاله الضحاك بن مزاحم، وقيل: بل آدم عليه السلام]. ٥ ﴿علم الإنسان﴾ الجنس ﴿ما لم يعلم﴾ قبل تعليمه، من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. ٦ ﴿كلاً﴾ حقاً ﴿إن الإنسان ليطغى﴾. ٧ ﴿أن رآه﴾ أي: [رأى] نفسه ﴿استغنى﴾ بالمال، نزل [ذلك] في أبي جهل، [ومعناه عام]، و «رأى» علمية [تنصب مفعولين]، و «استغنى» مفعول ثان، [أي: مستغنياً]، و «أن رآه» مفعول له. ٨ ﴿إن إلى ربك﴾ يا إنسان ﴿الرجعى﴾ الرجوع، تخويف له، فيجازي الطاغى بما يستحقه. ٩ ﴿أرأيت﴾ في مواضعها الثلاثة، [أي: هذا وما بعده] للتعجب، [أي: اعجب يا مخاطب من هذا] ﴿الذي ينهى﴾ هو: أبو جهل. ١٠ ﴿عبدًا﴾ هو: النبي ﷺ ﴿إذا صلى﴾ [وكان قد قال: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة، لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً]، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عن ابن عباس. ١١ ﴿أرأيت إن كان﴾ المنهى [أي: محمد ﷺ] ﴿على الهدى﴾. ١٢ ﴿أو﴾ للتقسيم (١) ﴿أمر بالتقوى﴾. ١٣ ﴿أرأيت إن كذب﴾ أي: الناهي النبي ﴿وتولى﴾ عن الإيمان. ١٤ ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ما صدر منه؟ أي: يعلمه، فيجازيه عليه، أي: اعجب منه يا مخاطب، من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث أن المنهى على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث أن الناهي، مكذب متول عن الإيمان. ١٥ ﴿كلاً﴾ ردع له ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لنسفعاً﴾

كذباً. أي: الناهي النبي ﴿وتولى﴾ عن الإيمان. ١٤ ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ما صدر منه؟ أي: يعلمه، فيجازيه عليه، أي: اعجب منه يا مخاطب، من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث أن المنهى على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث أن الناهي، مكذب متول عن الإيمان. ١٥ ﴿كلاً﴾ ردع له ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لنسفعاً﴾

(١) قوله: «للتقسيم»، قال الصاري في حاشيته: الأولى أن يقول «بمعنى الوارء» أي: «أرأيت إن كان محمد على الهدى وأمر بالتقوى، اليس ناهيه عن ذلك ما لكأ؟»

بالنَّاصِيَةِ ﴿لَنَجْزِيَنَّ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ ۖ ١٦﴾ نَاصِيَةً ﴿بَدَلَ نَكْرَةٍ مِنْ مَعْرِفَةِ ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَصَفُهَا بِذَلِكَ مُجَازٌ، وَالْمُرَادُ صَاحِبُهَا. ١٧﴾ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أَي: أَهْلُ نَادِيهِ، وَ[«النَّادِي»]: هُوَ مَجْلِسٌ يُتَّخَذُ، لِيَتَحَدَّثَ فِيهِ الْقَوْمُ، وَكَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - لَمَّا انْتَهَرَهُ حَيْثُ نَهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ - : لَقَدْ عَلِمْتُ مَا بِيهَا رَجُلٌ أَكْثَرَ نَادِيًا مِنِّي، لَا مَلَأَنَّ عَلَيْكَ هَذَا الْوَادِي، إِنْ شِئْتُ، خِيَلًا جُرْدًا وَرَجَالًا مُرْدًا.

١٨﴾ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ الْمَلَائِكَةُ [الْغُلَظَّ الشَّدَادُ لِإِهْلَاكِهَ]، فِي الْحَدِيثِ [الْمَوْقُوفُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، لَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ عِيَانًا»] رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا. ١٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لَهُ ﴿لَا تَطْعُمُهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ، فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صَلَّ اللَّهُ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾^(١) مِنْهُ بِطَاعَتِهِ.

سُورَةُ الْقَدَرِ ٩٧

﴿سُورَةُ الْقَدَرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنْ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢) أَي: الشَّرَفِ الْعَظِيمِ.

٢﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أَعْلَمَكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟﴾ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهَا، وَتَعْجِيبٌ مِنْهُ.

٣﴾ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا، خَيْرٌ مِنْهُ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَتْ فِيهَا.

٤﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ﴾ بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ فِي الْأَصْلِ ﴿وَالرُّوحِ﴾ أَي: جِبْرِيلُ ﴿فِيهَا﴾ فِي اللَّيْلَةِ ﴿يَأْذُنُ رَبِّهِمْ﴾ بِأَمْرِهِ ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَضَاهُ اللَّهُ فِيهَا، لِتِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ، وَ«مَنْ» سَبَبِيَّةٌ بِمَعْنَى الْبَيَاءِ، [أَي: بِكُلِّ أَمْرٍ].

٥﴾ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ خَيْرٌ مُقَدِّمٌ، وَمُبْتَدَأٌ [مُؤَخَّرٌ] ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ وَكُسْرُهَا: إِلَى وَقْتِ طُلُوعِهِ، جُعِلَتْ سَلَامًا، لِكثْرَةِ السَّلَامِ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَا تَمُوتُ بِمُؤْمِنٍ وَلَا بِمُؤْمِنَةٍ إِلَّا سَلِمَتْ عَلَيْهِ.

بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطْعُمُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

(٩٧) سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يَسْجُدُ - أَي: سَجُودَ التَّلَاوةِ - فِي «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» وَ«وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، أَرْجِعْ إِلَى تَعْلِيلِنَا حَوْلَ سَجُودِ التَّلَاوةِ ص ٢٢٦.

(٢) قوله تعالى: «فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، تَضَافَرَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَقَدَرُوهُ الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، وَقِيَامُهَا سَنَةٌ لَمَّا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وَلَيْسَ إِحْيَاءُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِالَّذِي يَفْعَلُهُ الْعَوَامُ مِنَ السَّهْرِ طَوَالَ اللَّيْلِ مِمَّا يَفُوتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ صَلَاةُ الْفَجْرِ بِسَبَبِ النَّعَبِ وَغَلَبَةِ النَّوْمِ، بَلِ الْمَطْلُوبُ أَنْ يَصَلِّيَ الْمُسْلِمُ وَيَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِالْخَيْرِ طَالَمَا هُوَ نَشِيطٌ لَذَلِكَ، فَإِذَا تَعَبَ وَنَعَسَ فَلْيَرْقُدْ.

﴿سُورَةُ الْبَيْنَةِ﴾

(مكية، أو: مدنية، [ثمان أو: تسع آيات])

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْبَيْنَةِ

(٩٨) سُورَةُ الْبَيْنَةِ
وَأَيُّهَا مَثَرَاتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

١ ﴿لم يكن الذين كفروا من﴾ للبيان (١) ﴿أهل الكتاب والمشركين﴾ أي: عبدة الأصنام، عطف على «أهل» «منفكين» خبر «يكن»، أي: زائلين عما هم عليه [من الكفر] «حتى تأتيتهم» أي: أتتهم «البينة» أي: الحجة الواضحة، وهي: محمد صلى الله عليه وسلم. ٢ ﴿رسول من الله﴾ بدل من «البينة»، وهو: النبي ﷺ «يتلو صحفاً مطهرة» من الباطل. ٣ ﴿فيها كتب﴾ أحكام مكتوبة «قيمة» مستقيمة، أي: يتلو مضمون ذلك، وهو: القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. ٤ ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ في الإيمان به ﷺ «إلا من بعد ما جاءتهم البينة» أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجاني به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ، كانوا مجتمعين على الإيمان به إذ جاء، [أي: فور مجيئه،] فحسده من كفر به منهم. ٥ ﴿وما أمروا﴾ في كتابهم التوراة والإنجيل «إلا ليعبدوا الله» أي: أن يعبدوه، فحذفت «أن» وزيدت اللام «مخلصين له الدين» من الشرك «حنفاء» مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به؟ «ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين» الملة «القيمة» المستقيمة. ٦ ﴿إن الذين كفروا من أهل

الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي: مقدراً خلودهم فيها من الله تعالى.

(١) قوله: «البيان»، أي: إن «من» تبين بما بعدها ما جاء قبلها. فبينت هنا أن الكافرين على اختلاف أسباب كفرهم من وثنية حجرية، أو كفر بنسبة ولد لله تعالى، أو اتخاذ شريك معه، أو كفر بالنبوة والرسالة، هم جاحدون متحجرون معاندون يرفضون الحق ولو شاهدوه حياناً، وهذه الآية دليل واضح على أن «أهل الكتاب» أي: اليهود والنصارى كافرون كالوثنيين والملحدين وغيرهم، لأن الكفر كله — وإن تعددت أسبابه — ملة واحدة.

﴿أولئك هم شر البرية﴾ [الخلقة].

٧ ﴿إن الدين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ [الخلقة].

٨ ﴿جزاءهم عند ربهم جنات عدن﴾ إقامة ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم﴾ بطاعته ورضوا عنه ﴿بثوابه﴾ ذلك لمن خشى ربه ﴿خاف عقابه، فانتهى عن معصيته تعالى.﴾

﴿سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ﴾ (١)

(مكية، أو: مدنية، تسع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ حُرُكَتْ لقيام الساعة ﴿زلزالها﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها.

٢ ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ كنوزها (٢) وموتاهاً، فالقنها على ظهرها.

٣ ﴿وقال الإنسان﴾ الكافر بالبعث ﴿ما لها؟﴾ إنكاراً لتلك الحالة.

٤ ﴿يومئذ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها ﴿تحدث أخبارها﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر.

٥ ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿ربك أوحى لها﴾ أي: أمرها بذلك، [كما جاء] في الحديث [عن النبي ﷺ أنه قرأ: «يومئذ تحدث أخبارها» فقال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «فإن أخبارها أن] تشهد على كل عبد أو أمة، بكل ما عمل على ظهرها، [أن تقول: عمل كذا وكذا،

يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»، رواه الترمذي وأحمد والنسائي - واللفظ له -]. ٦ ﴿يومئذ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٢﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٣﴾

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا مَاتَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ هَٰذَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

(١) قوله: «سورة الزلزلة»، أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قوله ﷺ لرجل من أصحابه «أليس معك: إذا زلزلت الأرض؟» قال: بلى. قال: «ربع القرآن». أي: كان معك ربع القرآن لأنها تعدل ثواباً لقارئها - قراءة متدبر - كتاب قراءة ربع القرآن.

(٢) قوله: «كنوزها»، أي: من الذهب والفضة كما في حديث رواه مسلم، وقد ذكرنا نصه في تفسير الآية الرابعة من سورة «الانشقاق» ص ٧٩٩.

يصدر الناس ﴿ينصرفون من موقف الحساب﴾ ﴿أشتاتاً﴾ متفرقين، فاخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي: جزاءها، من الجنة، أو النار. ٧ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ ^(١) زنة نملة صغيرة ﴿خيراً يره﴾ ير ثوابه. ٨ ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ ير جزاءه.

﴿سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ﴾

(مكية، أو: مدنية، إحدى عشر آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والعاديات﴾ الخيل تعدو في الغزو، وتضبح ﴿ضبحاً﴾ هو: صوت أجوافها إذا عدت. ٢ ﴿فالموريات﴾ الخيل، توري النار ﴿قدحاً﴾ بحوافرها، إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

٣ ﴿فالمغيرات﴾ صبحاً الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها.

٤ ﴿فأثرن﴾ هيخن ﴿به﴾ بمكان عدوهم، أو: بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ غباراً، بشدة حركتهن.

٥ ﴿فوسطن به﴾ بالنقع ﴿جمعاً﴾ من العدو، أي: صرن وسطه. وعطف الفعل على الاسم، لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاتي عدون، فأورين، فأغرزن.

٦ ﴿إن الإنسان﴾ الكافر ﴿لربه﴾ لكتود ﴿لكفور﴾، يجحد نعمته تعالى، [قال الحسن البصري: يذكر المصائب وينسى النعم].

٧ ﴿وإنه على﴾ ^(٢) ذلك ﴿أي: كئوده﴾ لشهيد يشهد على نفسه بصلته.

٨ ﴿وإنه لحب الخير﴾ المال، [ومنه قوله تعالى: «كتب عليكم إذ حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية» الآية ١٨٠ البقرة، أي: مالا] ﴿لشديد﴾ الحب له، فيخل به.

٩ ﴿أفلا يعلم إذا بعثر﴾ أثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾ من الموتى أي: يعثوا ١٠ ﴿وحصل﴾ تبين وأفرز.

الْعَادِيَّاتِ

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

(١٠) سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوْسَطْنَ
بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ

(١) قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ الآية، هي من أجمع الآيات، سماها النبي ﷺ «الفائدة الجامعة» - أي: الفريدة من نوعها - جاء ذلك فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الذي ذكر فيه النبي ﷺ الخيل وما في ربطها في سبيل الله من أجر، فمثل رسول الله ﷺ عن الحُر - أي: الحمير - فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفائدة الجامعة» ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

(٢) قوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾، أرجع الجلال المحلي الضمير في «إنه» إلى الإنسان، وقال القرطبي: «وإن الله عز وجل =

﴿ما في الصدور﴾ القلوب من الكفر والإيمان.

١١ ﴿إِنْ رَبُّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ لعالم، فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً، نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم»، أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» بـ «يومئذ» - وهو تعالى خبير دائماً - لأنه يوم المجازاة.

﴿سُورَةُ الْقَارِعَةِ﴾

(مكية، ثمان [أو: عشر] آيات،

[أو: إحدى عشرة آية])

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿القارعة﴾ القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.
٢ ﴿ما القارعة؟﴾، تهويل لشأنها، وهما: مبتداً وخبر، خبر «القارعة».

٣ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما القارعة؟﴾ زيادة تهويل لها، و «ما» الأولى مبتداً، وما بعدها خبره، و «ما» الثانية وخبرها، في محل المفعول الثاني لـ «أدري».

٤ ﴿يوم﴾ [منصوب على الظرفية]، ناصبٌ دل عليه «القارعة» أي: تفرع [القلوب بأهوالها، يوم] «يكون الناس كالفرش المبثوث» كقرواء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للحيرة، إلى أن يدعوا للحساب.

٥ ﴿وتكون الجبال كالمنفوش﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

٦ ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته.

٧ ﴿فهو في عيشة راضية﴾ في الجنة، أي: ذات رضى، بأن يرضاه، أي: مرضية له.

٨ ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

٩ ﴿فأما﴾ فمسكره «هاوية». ١٠ ﴿وما أدراك ما هي﴾ أي: ما «هاوية». ١١ هي «نار حامية» شديدة الحرارة، وهاء «هي» للسكت، تثبت وصلأ ووقفأ، وفي قراءة: تحذف وصلأ [وتثبت وقفأ].

﴿سُورَةُ الْقَارِعَةِ﴾ ١١

مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ١١

(١٠) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠
نَارٌ حَامِيَةٌ ١١

= على ذلك من ابن آدم لشهيد، فأعاد الضمير إلى الله تعالى وقال: هو قول أكثر المفسرين وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بالقول الأول الحسن البصري وقتادة السدوسي رحمهما الله، وتكون شهادته على نفسه بلسان الحال، كما قال ابن كثير، أي: يظهر عليه بأقواله وأفعاله.

﴿سُورَةُ النَّكَارِ﴾ (١)
(مكية، ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الْهَآكِمُ﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال، [أي: بكثرتها]. ٢ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن مَثُم فدفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثراً،

[والوجه الأول هو الصحيح]. ٣ ﴿كَلَّا﴾ ردع [وزجر]. ٤ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ٥ ﴿ثُمَّ كَلَّا﴾ سوف تعلمون سوء عاقبة تفاخركم، عند النزع، ثم في القبر. ٦ ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر [وجواب «لو» محذوف تقديره: ما اشتغلتم به، [وهنا تم الكلام، ثم استأنف مقسماً]: ٦ ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ النار، جواب قسم محذوف، وحذف^(٢) منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء. ٧ ﴿ثُمَّ لَتَرُونَهَا﴾ تأكيد ﴿عين اليقين﴾ مصدر، لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد. ٨ ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، و [حذفت] وار ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ ما التذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ، والأمن، والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

﴿سُورَةُ الْغَصْرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر. ٢ ﴿إِن الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ في تجارته^(٣). ٣ ﴿إِلَّا الَّذِينَ

(١) قوله: «سورة النكار»، أخرج الحاكم عن عبد الله بن

عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا

يستطيع أحدكم أن يقرأ آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿الهاكم النكار﴾؟» وروى مسلم في

صحيحه عن عبد الله بن التميمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿الهاكم النكار﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك يا ابن

آدم من مالك إلا ما أكلت فأفثيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأفثيت؟» وفي رواية له: «وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس».

(٢) قوله: «وحذف منه لام الفعل إلخ. ٤، أي: من «لترن»، وأصله: «لترن أو ن» فحذفت لام الفعل وعينه، أي: الهمزة والياء من أصل الفعل الذي

هو: «رأى» على وزن «فعل»، ثم أقيت حركة الهمزة على الراء فصارت «لترن».

(٣) [قوله]: «في تجارته». لقد أبدع الجلال المحلي في تفسيره هذا، والأولى أن يقال: إن الإنسان خاسر وهالك إلا إذا آمن وعمل صالحاً... إلخ،

أي: لا تنفع الدنيا وما عليها إذا لم يكن مؤمناً صالحاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢) سُورَةُ النَّكَارِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَمَانٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَآكِمُ التَّكَاثُرُ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١ إِنْ الْإِنْسَانُ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١﴾ فَلَيْسُوا فِي خَسْرَانٍ ﴿٢﴾ وَتَوَاصَوْا ﴿٣﴾ أَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿٤﴾ بِالْحَقِّ ﴿٥﴾ الْإِيمَانِ ﴿٦﴾ وَتَوَاصَوْا ﴿٧﴾ بِالصَّبْرِ ﴿٨﴾ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

﴿سُورَةُ الْهُمَزَةِ﴾

(مكية، أو مدنية، وآياتها تسع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: راد في جهنم
﴿لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ﴾ كثير الهمز واللمز، أي:
الغيبة (٢). نزلت فيمن كان يغتاب النبي صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين، كأمية بن خلف،
والوليد بن المغيرة وغيرهما، [وقال
ابن عباس: هم المشاؤون (٣) بالنميمة،
المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب،
فعلى هذا هما بمعنى] وقيل: «الهمزة» هو
الذي يغتاب ويطلع في وجه الرجل،
و«اللمزة» هو: الذي يغتاب إذا غاب، واختاره
أبو جعفر النحاس، وقيل غير ذلك].

٢ ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مَالًا﴾
وعدهد. أحصاه وجعله عدَّة لحوادث الدهر،
[أو: يَعدُّه ويعيد عدَّه، مرة بعد مرة، يجد في
ذلك متعة].

٣ ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَن مَّالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ جعله
خالدًا لا يموت.

٤ ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم
محذوف، أي: [والله] ليطرحن ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾
التي تَحْطُمُ كل ما ألقى فيها.

٥ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحُطْمَةُ؟﴾
٦ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ﴾ المسعرة.

٧ ﴿الَّتِي تَطْلُعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْتَدَةِ﴾ القلوب
فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

٨ ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الصبر رعاية لمعنى
٩ ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم الحرفين ويفتحهما،
[جمع «عمود»، أي: أحكم إصاها وإغلافها بها] «ممددة» صفة لما قبله، فتكون النار داخل العمدة.

سُورَةُ الْهُمَزَةِ ١٠٤

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ ﴿١﴾

(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَّمَزَةٍ ١ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ٢
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٣ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ فِي الْحُطْمَةِ ٤
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦
الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ ٧ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ٨
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ٩

(١) قوله تعالى: «وتواصوا بالصبر»، أرجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

(٢) قوله: «أي: الغيبة»، وهي: ذكرك أخاك بما يكره، مما هو فيه، أرجع إلى تعليقنا حول «الغبية» ص ٦٨٦.

(٣) قوله: «المشاؤون بالنميمة»، و«النميمة» هي: نقل الكلام على جهة الإفساد، وهي من كبار الذنوب، ومن أسباب عذاب القبر. أرجع إلى

تعليقنا حول «النميمة» ص ٢٤٩.

﴿سُورَةُ الْفِيلِ﴾ (مكة، خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الم تر﴾ استفهام تعجب، أي: اعجب ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟﴾ هو: «محمود»، وأصحابه: «أبرهة»

ملك اليمن وجيشه، بنى بصنعاء كنيسة، ليصرف إليها الحاج عن مكة، فأحدث رجل من «كنانة» فيها، ولطخ قبلتها بالغذرة، احتقاراً بها، فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن، مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة، أرسل الله سبحانه وتعالى عليه ما قصه في قوله: ٢ ﴿الم يجعل﴾ أي: جعل ﴿كيدهم﴾ في هدم الكعبة ﴿في تضليل﴾ خسارة وهلاك؟. ٣ ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ جماعات جماعات، قيل: لا واحد له، كـ «أساطير»، وقيل: واحدة «أبول» أو: «إيال» أو «إيل»، كـ «عجول» و«مفتاح» و«سكين». ٤ ﴿نرميهم بحجارة من سجيل﴾^(١) طين مطبوخ. ٥ ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته، أي: أهلكهم الله تعالى، كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو: أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ، [وقد عُرِفَ عند العرب بعام الفيل، وبه كانوا يؤرخون].

﴿سُورَةُ قُرَيْشٍ﴾

(مكة، أو: مدنية، أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إيلاف قريش﴾ (هم: قبيلة قريش)، سمو بذلك لاجتماعهم بعد التصرف، أو: لتكسبهم بالتجارة. ٢ ﴿إيلافهم﴾ تأكيد، وهو مصدر «الف» بالمد «رحلة الشتاء» إلى اليمن،

(١) قوله تعالى: «نرميهم بحجارة من سجيل»، زعم بعضهم أن طيور الأبايل مله ليست طيوراً حقيقية وكذلك الحجارة، بل ذلك مرض خبيث كالجدري أصابهم فأهلكهم، وهذا زعم غريب، لأن القرآن عربي مبين، ولا شيء في الآيات يدل على أن استعمال كلمتي «الطير» و«الحجارة» جاء على سبيل المجاز، بل إن التشبيه «كعصف مأكول» يدل بوضوح على الحقيقة، فلا يقال للمرضى الذين أنهكهم المرض: إنهم «كعصف مأكول» ثم ما المانع من كون ذلك حقيقة؟. ليس الله بقادر على ذلك؟. وأخيراً فإن العرب تناقلت القصة وروتها على أنها حقيقة لا مجاز فيها وكانت عندهم مشهورة معروفة، ثم أثبتها الله تعالى في كتابه العزيز آية على قدرته على كل شيء.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ
تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۚ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۚ

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا أَرْبَعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۚ إِلَّا لَفٍ فِيهِمْ رِحْلَةَ الْشَتَاءِ ۚ

﴿و﴾ رحلة «الصيف» إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة، على المقام بمكة لخدمة البيت، الذي هو فخرهم، وهم: ولد «النضر بن كنانة»، [أما غير ولد «النضر»، فليسوا من قريش، هذا ما عليه الأكثرون، ويؤيده حديث وائلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً - أي: النضر - ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه الشيخان وغيرهما. وقيل: هم بنو «فهر» بن مالك بن النضر]. ٣ ﴿فليعبدوا﴾ تعلق به «إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رب هذا البيت﴾ [أي: البيت الحرام في مكة، أي: فليعبدوا الله]. ٤ ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي: من أجله ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي: من أجله، وكانوا يصيهم الجوع، لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

سُورَةُ الْمَاعُونِ ١٠٧

وَالصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٤

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سَبْعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْبَيْتِ ٢ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ٧

٨٢٢

﴿سُورَةُ الْمَاعُونِ﴾ (١)

(مكية، أو: مدنية، أو: نصفها [مكي] ونصفها
[الآخر مدني]، ست، أو: سبع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدينِ﴾؟ بالجزاء
والحساب، أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه.
٢ ﴿فَذَلِكَ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء، [أي: فهو
ذلك] ﴿الذي يدع البيت﴾ أي: يدفعه بعنف عن
حقه. ٣ ﴿ولا يحض﴾ نفسه ولا غيره ﴿على طعام
المسكين﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاص بن
واثل، أو: الوليد بن المغيرة. ٤ ﴿فويل
للمصلين﴾ [أي: للذين وجبت عليهم الصلاة].
٥ ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون،
يؤخرونها عن وقتها. ٦ ﴿الذين هم يراؤون﴾ في
الصلاة وغيرها، [قال الإمام مالك رحمه الله
تعالى: «إن المنافق إذا صلى، صلى رياء، وإن
فاته صلاة لم ينضم إليها»]. ٧ ﴿ويمنعون
الماعون﴾ (١) كالإبرة والفأس والقذير والقضعة.

(١) قوله: «سورة الماعون»، هذه السورة نصفان: نصفها

الأول في الكافرين، ومن أشنع صفاتهم: التكذيب بيوم الدين، وقسوة القلب على اليتيم والمسكين. ونصفها الثاني في المنافقين: الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً. أرجع إلى تعليفنا حول «النفاق» ص ١٢٦، وإلى تعليفنا حول «الرياء» ص ٣٩٥، فنعود بالله تعالى من أن نكرن من أهل هذه السورة.

(٢) قوله تعالى: ﴿ويمنعون الماعون﴾، هو اسم مفعول من: «أعان» «فيعين»، و«العون» هو: «الإمداد بالأسباب الميسرة للأمر»، وللعلماء في المقصود «بالماعون» أقوال، منها: أنها الزكاة وهو قول مالك. وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون، ظهرت الصلاة فضلها، وخفيت الزكاة فمنعوها، وقيل: هو القذير والدلو... إلخ. وكل ما يتعاطاه الناس بينهم. قال ابن العربي: وعلى قدر الماعون والحاجة إليه يكون الذم في منعه، إلا أن الذم إنما هو على الواجب، والعارية ليست بواجبة على التفصيل، بل إنها واجبة على الجملة. اهـ. وعلى كل حال: فإن في الآية حثاً على المعروف، الذي هو صدقة، فلا يتركها المؤمن إذا وجد إليها سبيلاً.

﴿سُورَةُ الْكَوْثَرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الكوثر﴾ هو: نهر^(١) في الجنة، وهو حوضه تردُّ عليه أمته، أو: الكوثر الخير الكثير، من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوهما. ٢ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَانْحَرْ﴾ نسكك. ٣ ﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: ميفضك ﴿هو الأبر﴾ المنقطع عن كل خير، أو: المنقطع العقب، نزلت في العاص بن وائل، سعى النبي ﷺ «أبتر»، عند موت ابنه القاسم، [وقيل غيره، والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ، من الذين توهّموا أن في وفاة أولاده الذكور انقطاع ذكره، بل أبقي الله ذكره، ورفع له على رؤوس الأشهاد إلى يوم القيامة].

الْمِيقَاتُ

(١٠٨) سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾
إِنْ شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(١٠٩) سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتٌّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِّبُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

٨٢٤

﴿سُورَةُ الْكَافِرُونَ﴾

(مكية، أو: مدنية، ست آيات)

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد ألّهتنا سنة، وتعبد ألّهتك سنة [رواه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. ٢ ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. ٣ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله سبحانه وتعالى وحده. ٤ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. ٥ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق ﴿مَا﴾ على الله [دون «من»، جاء] على وجه المقابلة [أي: المشكلة]. ٦ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذفت باء الإضافة [القراء] السبعة وفقاً ووصلوا، وأبنتها «يعقوب» في الحاليين.

(١) قوله: «هو نهر في الجنة» روى ذلك الشيخان وغيرهما - واللفظ لمسلم - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى [غفاه] ثم رفع رأسه منسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت عليّ أنباء» أي: هذه الساعة - سورة، فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، «إنا أعطيناك الكوثر». الخ، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعديده ربي عز وجل، عليه خير كثير، وهو حوض تردُّ عليه أمي يوم القيامة، أتيت عدد النجوم في السماء، فيختلج - أي: يجذب ويبعد - العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»، وقيل في تفسير «الكوثر» أقوال أخرى أرسلها بعضهم إلى خمسة عشر قولاً، ولكن الصحيح منها ما جاء في صحاح الأحاديث، فليس بعد بيان النبي ﷺ بيان.

﴿سُورَةُ النَّصْرِ﴾

(مدنية، ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نبيُّه على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة. ٢ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحدٌ واحدٌ، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. ٣ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي متلبساً بحمده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة، يكثّر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» [رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري والنسائي وغيرهما عنها بلفظ آخر، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سُورَةُ النَّصْرِ ١١

(١١) سُورَةُ النَّصْرِ قَدْ نَزَلَتْ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣

﴿سُورَةُ الْمَيْدَةِ﴾

(مكية، خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه (١) وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال عنه أبو لهب: تبتاً لك ألهذا دعوتنا؟، نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعُبرَ عنها باليدين مجازاً، لأن أكثر الأفعال نزاول بهما، وهذه الجملة دعاء [عليه] ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت يده، وهذه [أي: جملة ﴿وَتَبَّتْ﴾] خبر [أي: خبرية لا إنشائية]، كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. ٢ ولما خوّفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أقتدي منه بمالي وولدي نزل: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

(١١) سُورَةُ الْمَيْدَةِ مَكِينَةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

٨٢٥

(١) قوله: لما دعا النبي ﷺ قومه، أخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»، ليطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ: «إِنَّ إِلَهُكُمْ مِنْ أَيْ: أَخْبَرُونِي»، لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاء، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبتاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. السورة.

كسب) أي: كسبه، أي: ولده، و «أغنى» بمعنى: «بغنى». ٣ «سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ» أي: تلهب وتوقد، فهي مآل تكتبه، [وكني بأبي لهب] لتلهب وجهه إشراقاً وحمرة، [أوامرته] عبد الغزى بن عبد المطلب [«وامراته» عطف على ضمير «يصلى»، سوغه، [أي: سوغ العطف على الضمير] من غير حاجة إلى الفصل بضمير منفصل [، الفصل بالمفعول وصفته، وهي: أم جميل: [أروى بنت حرب أخت أبي سفيان] «حمالة» بالرفع [نعت لـ «امراته»]، والنصب [على اللبم أو: على الحال] «الحطب» الشوك والسعدان، تلقية في طريق النبي صلى الله عليه وسلم. ٥ «في جدها» عنقها «حبل» من مسد) أي: ليقط، وهذه الجملة حال من «حمالة الحطب»، الذي هو نعت لـ «امراته»، [أو خبر مبتدأ مقلوب] «...»

لَبَّ الْقَلَّادِ

كَسَبَ ١ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ٢ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ ٣ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٤

(١١٢) سُورَةُ الْاِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ازْبَجْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ ٣ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ (١)

(مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ [أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما، أنه] سئل النبي ﷺ عن ربه فقال: «قل هو الله أحد» قد «الله» خبر «هو»، و «أحد» بدل منه، أو: خبر ثان. ٢ «الله الصمد» مبتدأ وخبر، أي: المقصود في الحوائج على الدوام. ٣ «لم يلد» [أي: ليس له ولد]، لانقضاء مجانسته «ولم يولد» [أي: ليس له والد]، لانقضاء الحدوث عنه. ٤ «ولم يكن له كفواً أحد» أي: مكافئاً، ومماثلاً، و «له» متعلق بـ «كفواً»، وقدم عليه، لأنه محط القصد بالنفي، وآخر «أحد»، وهو اسم «يكن»، عن خبرها، رعاية للفاصلة.

سُورَةُ الْفَلَقِ (٢)

(مكية، أو: مدنية، خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نزلت هذه [السورة] والتي بعدها، لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ، في وتربه إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمخله، فأخضر بين يديه ﷺ، وأمر بالنعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقده، ووجد حقه، حتى انحلت المقد كلها، وقام كأنما تخط من عقال. ١ «قل أعوذ برب الفلق» الصبح. ٢ «من شر ما خلق» من خيران مكلف وغير مكلف، وجماد كالسم وغير ذلك. ٣ «ومن شر

(١) قوله: «سورة الاخلاص»، أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أنتم أحكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة»، فشق ذلك عليهم وقالوا: «أنا نطق ذلك يا رسول الله؟» فقال: «قل هو الله أحد، الله الصمد» ثلث القرآن. وروى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ «قل هو الله أحد» يرددها، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، وكان الرجل يقولها بأي، فبأها قليلة - فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» أي: يعدل ثواب قراءتها بتدوير ثواب قراءة ثلث القرآن، أما سبب كونها تعدل ثلث القرآن، فالأحسن الإمساك عن الخوض فيه، لأنه سر لم يردنا فيه نص. (٢) قوله: «لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ»، ما ذكره الجلال المحلي في سبب النزول، أخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس =

عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۖ أَي: الليل إذا أظلم، أو: القمر إذا غاب. ٤ «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ» السواحر تنفث «فِي الْعُقَدِ» التي تعقدھا في الخيط، [أي:] تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، [هذا هو «النفث»]. وقال الزمخشري: [هو النفخ] معه [أي: مع الريق]، كبنات لبيد المذكور، [فهن اللاتي فعلن السحر بأمر أبيهن، والاستعاذة تشمل الساحرين أيضاً]. ٥ «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» أظهر حسده، وعمل بمقتضاه، كلبيد المذكور، من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة، الشامل لها [قوله: «من شر» ما خلق]، [أي: تخصيصها بالذكر] بعده لشدة شرها، [و«الحسد» هو: تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، أما الغبطة فهي مباحة، وهي: المنافسة، بأن يتمنى أن يكون عنده مثلها].

سُورَةُ النَّاسِ

(مكية، أو: مدنية، وهي: ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» خالقهم ومالكهم، خصوا بالذكر تشريفاً لهم، ومناسبة للاستعاذة من شرّ الموشوس في صدورهم. ٢ «مَلِكِ النَّاسِ» ٣ «إِلَهِ النَّاسِ»، بدلان، أو: صفتان، أو: عطفاً بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان. ٤ «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ» أي: الشيطان، سمي بالحدث [أي: الوسوسة]، لكثرة ملاسته له «الخناس» لأنه يخس ويتأخر عن القلب، كلما ذكر الله تعالى. ٥ «الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» قلوبهم، إذا غفلوا عن ذكر الله. ٦ «مِنْ الْجِنَّ وَالنَّاسِ» بيان للشيطان الموشوس، أنه جنّي وإنسي، كقوله تعالى: «شياطين الإنس والجن»، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كل شمل شرّ لبيد وبناته المذكورين، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس، إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً، بمعنى يليق بهم في الظاهر، [كالنميمة والحث على ارتكاب المعاصي وتزيينها]، ثم تطيل وسوسيتهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

سُورَةُ النَّاسِ

عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۖ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۖ

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۖ

(١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سَبِّتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۖ

إِلَهِ النَّاسِ ۖ

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۖ

وَالنَّاسِ ۖ

رضي الله عنهما: وله شاهد في الصحيح، أما حادثة سحره ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ سحر، حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء، وما فعله. وقد طعن بعضهم في ذلك، وأنكره، طعن منهم أن ذلك يتنافى مع النبوة، والصحيح: أن السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه أنواع الأمراض الأخرى، ولا يقدح في نبوته، وأما التخييل المذكور في الحديث فهو داخل فيما يجوز طرده عليه من أمور دنياه التي لم يبعث بسببها، وهو ما يثبت الرواية الأخرى: «حتى إنه ليخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهم». قال سفيان بن عيينة: وهذا أشد ما يكون من السحر، أي: غاية ما يؤثره السحر التخييل، والتخييل لا ينفك الإنسان إدراكه ولا يؤثر في تفكيره، تماماً مثلما تخيل موسى من سحر السحرة أن الحبال والمعصي حيا تسعي، قال تعالى «فإذا حبالهم وعضيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» ولم تكن كذلك، فكانت اعتقاداته ﷺ كلها على السداد، وأقواله على الصحة، أرجع إلى تعليقنا حول معنى «السحر» وحكمه ص ٢١٠.

خاتمة

يقول مراجعه وجامع حواشيه

محمد بن أحمد كنعان

قاضي الشرع الشريف في لبنان :

تم كتاب «قرة العينين على تفسير الجلالين»

بحمد الله تعالى وتوفيقه ،

في يوم الإثنين ، العشرين من شهر جمادى الأولى ،

من السنة الثانية ، بعد المائة الرابعة والالف ،

من هجرة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد

عليه أفضل الصلاة والتسليم

وعلى آله وأصحابه والتابعين

يا حسان إلى يوم الدين ،

والحمد لله رب العالمين .

تعريف بهذا المصحف الشريف

أولاً: كُتِبَ هذا المصحف وضبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلميّ، عن عثمان بن عفان، وعليّ ابن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، رضي الله عنهم عن النبي ﷺ.

ثانياً: أخذ هجاؤه: مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها عثمان بن عفان إلى البصرة، والكوفة، والشام، ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المتسخة منها.

أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهجية تلك المصاحف فأتبع فيها الهجاء الغالب مع مراعاة قراءة القارئ الذي يكتب المصحف لبيان قراءته، ومراعاة القواعد التي استنبطها علماء الرسم من الأهجية المختلفة على حسب ما رواه الشيخان: أبو عمرو الداني، وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف.

وعلى الجملة فإن كل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره في مصحف من المصاحف الستة السابق ذكرها. والعمدة في بيان كل ذلك على ما حققه الأستاذ محمد بن محمد الأموي الشريشي المشهور بالخرّاز في منظومته: «مورد الظمان» وما قرره شارحها المحقق الشيخ عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الأندلسي.

ثالثاً: أخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب: «الطراز على ضبط الخرّاز» للإمام التنسي مع إبدال علامات الأندلسيين والمغاربة بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشاركة.

رابعاً: أتبع في عدّ آياته طريقة الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلميّ عن عليّ ابن أبي طالب على حسب ما ورد في كتاب: «ناظمة الزهر» للإمام الشاطبي وشرحها لأبي عيد رضوان المخلّاتي. و «كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي» وكتاب: «تحقيق البيان» للأستاذ الشيخ محمد المتولي شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً. وآي القرآن على طريقتهم: «سنة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية».

خامساً: أخذ بيان أوائل أجزاء «الثلاثين» وأحزاب «الستين» وأرباعها من كتاب: «غيث الثّق» للعلامة السّفافسي، و «ناظمة الزهر وشرحها»، و «تحقيق البيان»، و «إرشاد القراء والكاتبين» لأبي عيد رضوان المخلّاتي.

سادساً: أخذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرره الأستاذ: «محمد بن علي بن خلف الحسيني» شيخ المقرّاء المصرية على حسب ما اقتضته المعاني التي تُرشد إليها أقوال أئمة التفسير.

سابعاً: أخذ بيان السجّادات ومواضعها من كتب الفقه في المذاهب الأربعة.

ثامناً: أخذ بيان السكّنات الواجبة عن حفص من «الشاطبية وشرّاحها» والتلّقي من أفواه المشايخ.

تاسعاً: اصطلاحات الضبط:

وَضَعَ الصُّفْرَ الْمُسْتَدِيرَ فَوْقَ حَرْفٍ عَلَّةٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ ذَلِكَ الْحَرْفِ فَلَا يُنْطَقُ بِهِ فِي الْوَصْلِ وَلَا فِي الْوَقْفِ،
نَحْوُ: قَالُوا، يَتْلُوا حُصْفًا، لَا أَذْجَعَةً، وَتَمُودًا مَا أَبْقَى، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا، أُولَئِكَ، وَأُولُوا الْعِمْرِ، مِنْ نَبَأَى
الْمُرْسَلِينَ، بَيَّنَّهَا بِأَيْدِيهِ.

وَوَضَعَ الصُّفْرَ الْمُسْتَطِيلَ الْقَائِمَ فَوْقَ أَلْفٍ بَعْدَهَا مَتَحَرِّكٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَتِهَا وَصَلًا لَا وَقْفًا، نَحْوُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ،
لَنَكُونَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي، وَتَطْنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ، كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فَضْوَةٍ، وَأَهْمَلْتُ الْأَلْفَ الَّتِي بَعْدَهَا سَاكِنٌ، نَحْوُ: أَنَا
الْتَذِيرُ مِنْ وَضَعِ الصُّفْرِ الْمُسْتَطِيلِ فَوْقَهَا وَإِنْ كَانَ حَكْمُهَا مِثْلَ الَّتِي بَعْدَهَا مَتَحَرِّكٌ فِي أَنَّهَا تَسْقُطُ وَصَلًا وَتَثْبِتُ وَقْفًا
لِعَدَمِ تَوْهَمِ ثُبُوتِهَا وَصَلًا.

وَوَضَعَ رَأْسَ خَاءٍ صَغِيرَةٍ (بِدُونِ نَقْطَةٍ) فَوْقَ أَيِّ حَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى سَكُونِ ذَلِكَ الْحَرْفِ وَعَلَى أَنَّهُ مُظْهَرٌ يَقْرَعُهُ
اللسانُ، نَحْوُ: مِّنْ خَيْرٍ، وَيَتَوَكَّعُ عَنْهُ، بِسَبِيلِهِ، قَدْ سَمِعَ، فَقَدْ ضَلَّ، فَضِضَتْ جُلُودُهُمْ، أَوْعَظْتَ، وَخَضَّمْتُ، وَإِذَا
رَأَعْتَ.

وَتَعْرِیَةُ الْحَرْفِ مِنْ عِلَامَةِ السَّكُونِ مَعَ تَشْدِيدِ الْحَرْفِ التَّالِيِ يَدُلُّ عَلَى إِدْغَامِ الْأَوَّلِ فِي الثَّانِي إِدْغَامًا كَامِلًا،
نَحْوُ: أُحِبِّتَ دَعْوَتَكُمْ، يَلْهَثُ ذَلِكَ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ، وَمَنْ يَكْرِهْنَهُنَّ، أَلَزَمْتُكُمْ.

وَتَعْرِیَتُهُ مَعَ عَدَمِ تَشْدِيدِ التَّالِيِ يَدُلُّ عَلَى إِخْفَاءِ الْأَوَّلِ عِنْدَ الثَّانِي فَلَا هُوَ مُظْهَرٌ حَتَّى يَقْرَعَهُ اللِّسَانُ وَلَا هُوَ
مُدْغَمٌ حَتَّى يُقْلَبَ مِنْ جِنْسٍ تَالِيِهِ، نَحْوُ: مِنْ تَحْتِهَا، مِنْ ثَمَرَةٍ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ، أَوْ إِدْغَامُهُ فِيهِ إِدْغَامًا نَاقِصًا، نَحْوُ: مَنْ
يَقُولُ، مِنْ وَالٍ، فَرَطْتُمْ، بَسَطْتَ.

وَوَضَعَ مِيمَ صَغِيرَةٍ بَدَلَ الْحَرَكَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمُنُونِ أَوْ فَوْقَ النُّونِ السَّاكِنَةِ بَدَلَ السَّكُونِ مَعَ عَدَمِ تَشْدِيدِ الْبَاءِ
التَّالِيَةِ يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ التَّنْوِينِ أَوْ النُّونِ مِيمًا، نَحْوُ: عَلِيمٌ يَذَاتُ الصُّدُورِ، جَرَاءُ يَمَا كَانُوا، كَرَامٌ يَرْوُ، مِنْ بَعْدِ،
مُتَّبِعًا.

وَتَرْكِيبُ الْحَرَكَتَيْنِ: (ضَمَتَيْنِ أَوْ فَتَحَتَيْنِ أَوْ كَسْرَتَيْنِ) هَكَذَا ُ ُ ُ يَدُلُّ عَلَى إِظْهَارِ التَّنْوِينِ، نَحْوُ: سَمِيعٌ
عَلِيمٌ، وَلَا شَرَابًا إِلَّا، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.

وَتَتَابُعُهُمَا هَكَذَا ُ ُ ُ مَعَ تَشْدِيدِ التَّالِيِ يَدُلُّ عَلَى إِدْغَامِهِ، نَحْوُ: خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ، عَفُورًا رَجِيمًا، وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ.

وَتَتَابُعُهُمَا مَعَ عَدَمِ التَّشْدِيدِ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْفَاءِ، نَحْوُ: يَشَاهِبُ ثَائِقٌ، سِرَاعًا ذَلِكَ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرِيمٍ، أَوْ إِدْغَامِ
الناقص، نَحْوُ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ، رَجِيمٌ وَدُودٌ.

فَتَرْكِيبُ الْحَرَكَتَيْنِ بِمَنْزِلَةِ وَضَعِ السَّكُونِ عَلَى الْحَرْفِ، وَتَتَابُعُهُمَا بِمَنْزِلَةِ تَعْرِیَتِهِ عَنْهُ.

وَالْحُرُوفُ الصَّغِيرَةُ تَدُلُّ عَلَى أَعْيَانِ الْحُرُوفِ الْمَتْرُوكَةِ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَةِ مَعَ وَجُوبِ النُّطْقِ بِهَا، نَحْوُ:
ذَلِكَ الْكِتَابُ، دَاوُدَ، يَكُونُ أَلَسْتَهُمْ، يُحْيِي، وَيُمِيتُ، أَنْتَ وَلَوْ، فِي الدُّنْيَا، إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ، إِلَى الْخَوَارِجِ، لِمَنْ فِيهِمْ رَحْلَةٌ
الْشِّتَاءِ، إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا، كَتَبُوا بِسْمِهِ، فَيَقُولُ، وَكَذَلِكَ تُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَكَانَ عُلَمَاءُ الضُّبْطِ يَلْحَقُونَ هَذِهِ الْأَحْرَفَ حَمَاءً بِقَدْرِ حُرُوفِ الْكِتَابَةِ الْأَصْلِيَةِ وَلَكِنْ تَعَسَّرَ ذَلِكَ فِي الْمَطَابِعِ
فَاكْتَفَى بِتَصْفِيرِهَا فِي الْإِدْلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ.

وَإِذَا كَانَ الْحَرْفُ الْمَتْرُوكُ لَهُ بَدَلٌ فِي الْكِتَابَةِ الْأَصْلِيَةِ عُوِّلَ فِي النُّطْقِ عَلَى الْحَرْفِ الْمَلْحَقِ لَا عَلَى الْبَدَلِ،
نَحْوُ: الْفَلَكَةُ، كَيْشْكُورُ، أَرَبُوا، مَوْلَهُ، التَّوْرَةُ، وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، لَقَدْ رَأَى، وَنَحْوُ: وَاللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبْطِطُ . وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً . فَإِنْ وَضَعْتَ السِّينَ تَحْتَ الصَّادِ دَلٌّ عَلَى أَنَّ التُّطُقَ بِالصَّادِ أَشْهَرُ، نَحْوُ: الْمَصْبِطُونَ .

ووضع هذه العلامة (٢) فوق الحرف يدل على لزوم مده مدًا زائدًا على المد الأصلي الطبيعي، نحو: الْمَرْءُ الطَّائِفُ . قُرُوءُ . سِوَاءِ بِهِمْ . شُفْعَاءُ . تَأْوِيلُهُ: إِلَّا اللَّهَ . لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ . بِمَا أُنْزِلَ . على تفصيل يعلم من فن التجويد . ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل «آمنوا» كما وُضع غلطاً في كثير من المصاحف بل تكتب «آمنوا» بهمزة وألف بعدها .

والدائرة المحلاة التي في جوفها رقم تدل بهيتها على انتهاء الآية وبرقمها على عدد تلك الآية في السورة، نحو: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ ، ولا يجوز وضعها قبل الآية البتة (١) . فلذلك لا توجد في أوائل السور، وتوجد دائماً في أواخرها .

وتدل هذه العلامة (*) على ابتداء رُبُع الحزب . وإذا كان أول الربع أول سورة فلا توضع .

ووضع خط أفقي فوق كلمة يدل على مُوجب السجدة، ووضع هذه العلامة (﴿ ﴾) بعد كلمة، يدل على موضع السجدة، نحو: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ تَوْفِيقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢﴾ .

ووضع النقطة الخالية الوسط المَعْيَنَة الشكل تحت الراء في قوله تعالى: يَسْمُرُ اللَّهُ بِجَنِّهَا، يدل على إمالة الفتحة إلى الكسرة، وإمالة الألف إلى الياء . وكان الثُّقَات يضعونها دائرة حمراء، فلما تعسر ذلك في المطابع عدل إلى الشكل المعين .

ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قبيل النون المشددة من قوله تعالى: مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ، يدل على الإشمام (وهو ضم الشفتين) كمن يريد النطق بضمه، إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق) .

ووضع نقطة مدورة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى: ءَأَعْجَبِيَّ وَعَرْفِيَّ، يدل على تسهيلها بين بين، أي: بين الهمزة والألف .

عاشراً: علامات الوقف :

م علامة الوقف اللازم، نحو: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ .

لا علامة الوقف الممنوع، نحو: الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ .

ج علامة الوقف الجائز جوازاً مستويي الطرفين، نحو: ثُمَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ .

ط علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى، نحو: وَلَئِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ .

(١) قوله: «ولا يجوز وضعها قبل الآية»، المراد أن الأحسن عدم فعل ذلك لتلا يَشُوْش على القارئ الذي اعتاد أن يرى رقم الآية في آخرها، وليس المراد أن تقديم الرقم وجعله في أول الآية حرام، لأن الترقيم ليس أمراً مانوراً، وإنما فعله المتأخرون تسهلاً على القارئ، ومثله تقسيم الأجزاء والأحزاب والأرباع . فهي أمور غير توقيفية .

٤ علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى، نحو: قُلْ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ.

٥ ٥ علامة تعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر، نحو: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾

حادي عشر: ترجمات السور:

وأما ترجمات السور فقد روي الاكتفاء فيها بذكر أسم السورة، وأنها مكية أو مدنية، وعدد آياتها؛ ورؤي أيضاً حذف الاستثناء من المكي والمدني، فلا يقال: مكية إلا آية أو آيات كذا، ومدنية إلا آية أو آيات كذا. وذلك لأن هذا موضع خلاف بين العلماء، وموطنه كتب التفسير وعلوم القرآن.

* * *

هذا: وقد قام بمراجعة هذا المصحف الشريف على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعة دقيقة، وإنجاز ما تم في طبعته الأولى عام ألف وثلاثمائة وسبعة وثلاثين هجرية، لجنة من القراء والعلماء برئاسة الأستاذ الشيخ: «محمد بن علي بن خلف الحسيني» المعروف بـ «الحداد» المتوفى عام ألف وثلاثمائة وسبعة وخمسين هجرية، صاحب المؤلفات الكثيرة في هذا الفن، وشيخ المقارئ المصرية، وهو الذي كتبه بخطه رحمه الله تعالى، وقد أمر بذلك ملك مصر في حينه «فؤاد الأول»، فعرف هذا المصحف بـ «مصحف الملك»، فكان أول مصحف يطبع على نحو متقن روعيت فيه أصول علم الرسم والضبط الموافق للمصحف الإمام الذي أمر بكتبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو المقصود بقولنا: «مصحف بالرسم العثماني»، — وهو غير المصحف المعروف بـ «مصحف حافظ عثمان» التركي المتضمن مخالقات كثيرة لأصول هذا الفن.

ثم راجعته وأعدت النظر فيه مرة أخرى لجنة علمية برئاسة الأستاذ الشيخ: «علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الضَّبَّاع» — بالضاد المعجمة والعين المهملة، خلافاً لما ضبطه في «الأعلام» — شيخ المقارئ المصرية المتوفى عام ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية رحمه الله تعالى وذلك تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة، فصار هذا المصحف الشريف عمدة القراء والحفاظ، فعمّ تداوله وكثرت طبعاته، والحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس السور

رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة
٢	١	سورة: الفاتحة	٤٧٠	٢٥	سورة: الفرقان	٦٨٤	٤٩	سورة: الحُجرات
٣	٢	سورة: البقرة	٤٧٩	٢٦	سورة: الشعراء	٦٨٨	٥٠	سورة: ق
٦٢	٣	سورة: آل عمران	٤٩٤	٢٧	سورة: النمل	٦٩٢	٥١	سورة: الذاريات
٩٧	٤	سورة: النساء	٥٠٦	٢٨	سورة: القصص	٦٩٦	٥٢	سورة: الطور
١٣٤	٥	سورة: المائدة	٥٢٠	٢٩	سورة: العنكبوت	٧٠٠	٥٣	سورة: النجم
١٦٢	٦	سورة: الأنعام	٥٣٠	٣٠	سورة: الروم	٧٠٤	٥٤	سورة: القمر
١٩٢	٧	سورة: الأعراف	٥٣٩	٣١	سورة: لقمان	٧٠٨	٥٥	سورة: الرحمن
٢٢٦	٨	سورة: الأنفال	٥٤٤	٣٢	سورة: السجدة	٧١٣	٥٦	سورة: الواقعة
٢٣٩	٩	سورة: التوبة	٥٤٨	٣٣	سورة: الأخراب	٧١٨	٥٧	سورة: الحديد
٢٦٥	١٠	سورة: يونس	٥٦٢	٣٤	سورة: سبأ	٧٢٤	٥٨	سورة: المجادلة
٢٨٣	١١	سورة: هود	٥٧١	٣٥	سورة: فاطر	٧٢٩	٥٩	سورة: الحشر
٣٠٢	١٢	سورة: يوسف	٥٧٩	٣٦	سورة: يس	٧٣٤	٦٠	سورة: الممتحنة
٣٢٠	١٣	سورة: الرعد	٥٨٧	٣٧	سورة: الصافات	٧٣٨	٦١	سورة: الصف
٣٢٩	١٤	سورة: إبراهيم	٥٩٧	٣٨	سورة: ص	٧٤٠	٦٢	سورة: الجمعة
٣٣٧	١٥	سورة: الحجر	٦٠٥	٣٩	سورة: الزمر	٧٤٢	٦٣	سورة: المنافقون
٣٤٥	١٦	سورة: النحل	٦١٧	٤٠	سورة: غافر	٧٤٥	٦٤	سورة: التغابن
٣٦٤	١٧	سورة: الاسراء	٦٢٩	٤١	سورة: فصلت	٧٤٨	٦٥	سورة: الطلاق
٣٨٠	١٨	سورة: الكهف	٦٣٨	٤٢	سورة: الشورى	٧٥١	٦٦	سورة: التخریم
٣٩٦	١٩	سورة: مريم	٦٤٧	٤٣	سورة: الزخرف	٧٥٤	٦٧	سورة: الملك
٤٠٦	٢٠	سورة: طه	٦٥٦	٤٤	سورة: الدخان	٧٥٧	٦٨	سورة: القلم
٤٢٠	٢١	سورة: الأنبياء	٦٦٠	٤٥	سورة: الجاثية	٧٦١	٦٩	سورة: الحاقة
٤٣٢	٢٢	سورة: الحج	٦٦٥	٤٦	سورة: الأحقاف	٧٦٤	٧٠	سورة: المعارج
٤٤٥	٢٣	سورة: المؤمنون	٦٧٢	٤٧	سورة: مُحَمَّد ﷺ	٧٦٧	٧١	سورة: نوح
٤٥٦	٢٤	سورة: النور	٦٧٨	٤٨	سورة: الفتح	٧٧٠	٧٢	سورة: الجن

رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة
٧٧٣	٧٣	سورة: الْمُزَّمِّل	٨٠٣	٨٧	سورة: الْأَعْلَى	٨١٩	١٠١	سورة: الْقَارِعَة
٧٧٥	٧٤	سورة: الْمُذْتَر	٨٠٤	٨٨	سورة: الْغَاشِيَة	٨٢٠	١٠٢	سورة: التَّكْوِيْن
٧٧٨	٧٥	سورة: الْقِيَامَة	٨٠٦	٨٩	سورة: الْفَجْرِ	٨٢٠	١٠٣	سورة: الْعَصْرِ
٧٨١	٧٦	سورة: الْإِنْسَان	٨٠٨	٩٠	سورة: الْبَلَد	٨٢١	١٠٤	سورة: الْهُمَزَة
٧٨٤	٧٧	سورة: الْمُرْسَلَات	٨٠٩	٩١	سورة: الشَّمْس	٨٢٢	١٠٥	سورة: الْفِيل
٧٨٦	٧٨	سورة: النَّبَأ	٨١٠	٩٢	سورة: اللَّيْل	٨٢٢	١٠٦	سورة: قُرَيْش
٧٨٩	٧٩	سورة: النَّازِعَات	٨١١	٩٣	سورة: الضُّحَى	٨٢٣	١٠٧	سورة: الْمَاعُون
٧٩١	٨٠	سورة: عَبَسَ	٨١٢	٩٤	سورة: الشَّرْح	٨٢٤	١٠٨	سورة: الْكَوْثَر
٧٩٣	٨١	سورة: التَّكْوِيْر	٨١٣	٩٥	سورة: التِّيْن	٨٢٤	١٠٩	سورة: الْكَافِرُون
٧٩٥	٨٢	سورة: الْإِنْفِطَار	٨١٤	٩٦	سورة: الْعَلَق	٨٢٥	١١٠	سورة: النَّصْر
٧٩٦	٨٣	سورة: الْمُطَفِّفِيْن	٨١٥	٩٧	سورة: الْقَدْر	٨٢٥	١١١	سورة: الْمَسَد
٧٩٩	٨٤	سورة: الْإِنْشِقَاق	٨١٦	٩٨	سورة: الْبَيِّنَة	٨٢٦	١١٢	سورة: الْإِخْلَاص
٨٠٠	٨٥	سورة: الْبُرُوج	٨١٧	٩٩	سورة: الزَّلْزَلَة	٨٢٦	١١٣	سورة: الْفَلَق
٨٠٢	٨٦	سورة: الطَّارِق	٨١٨	١٠٠	سورة: الْعَادِيَات	٨٢٧	١١٤	سورة: النَّاس

* * *

فهرس "قرة لعينين" مرتباً على الحروف الهجائية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٦	أصحاب الأيكة «مدين»	١٧٤	«ألف»
٣٨١	أصحاب الكهف	٣٨٨	إبراهيم عليه السلام والكواكب
٢٩٣	أصحاب الحجر «ثمود»	١٨٩	إبليس
٤٧٤	أصحاب الرّسّ	٥٤٨	الأحزاب المضلة عن سبيل الله
٧٥٨	أصحاب الجنة	٢٧٦	الأحزاب «يوم الخندق»
٨٠١	أصحاب الأخدود	٢٩١	الأحلام «الرؤيا والحلم»
٨٢٢	أصحاب الفيل	١٣٥	الأحقاف «عاد»
٢٥٨	الأعراب والعرب	٤١٧	آخر القرآن نزولاً
٣٦	الاعتكاف	٢٢٤	آدم عليه السلام «أكله من الشجرة»
٥٣	الإكراه في الدين	٢٤٥	آدم عليه السلام «جعل له شركاء»
١٧٦	إلياس عليه السلام	٤٠١	الأديان «السماوية»
٢	أمين	٧٤٢	إدريس عليه السلام
٥٣٧	الأموات «هل تسمعون؟»	١٩٨	الأذان
١٣١	الأنبياء «عددهم»	٥٥٣	الأرواح بعد الموت
٢٣٨	الأنصار رضوان الله عليهم	٢٦	أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين
٢٥٩	أهل الصّفّة رضي الله عنهم	١٩٦	الأسباط
٥٥٤	أهل البيت رضوان الله عليهم	٢٢٢	الإسراف
٢٨٤	أول خلق الله تعالى	٥٥٦	أسماء الله الحسنى
٦٠٢	أيوب عليه السلام «مرضه وقصته»	٣٦٤	أسماء النبي ﷺ
٢٧٨	آيات موسى عليه السلام	٧٨٢	الإسراء والمعراج
٧٣١	الإيثار	١٨٤	الأسير
١٥٤	الأيمان والحلف بالله عز وجل	٢٦١	الاستثناء «في العذاب والنعيم»
٧٢٣	«باء»	٢٠٠	الاستغفار للمشرك والدعاء له
	البخل		أصحاب الأعراف

رقم الصفحة الموضوع

«جيم»	
جُبُّ يوسف عليه السلام	٣٠٤
الجدال	٢٨٩
الجلود	١٠٩
الجنّ	٧٧٠
الجنة والنار	٦٧٤
الجهاد في سبيل الله	١١٨

«حاء»

حد السرقة	١٤٤
الحديبية	٦٧٩
حديث الإفك	٤٥٨
الحروف المتقطعة أول بعض السور	٣
حرية العقيدة	٢٨١
الحرير والذهب	٥٧٦
الحساب يوم القيامة	٣٣٧
الحكم بما أنزل الله	١٤٥
حلاوة الإيمان	٢٤٣
الحُلُم والرؤيا	٢٧٦
حواء عليها السلام	٥٣٣
الحي من الميت	٦٧

«خاء»

الخمر: «تحريمها»	١٥٥
الخمر: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن	٤٣
الخمر والميسر﴾	
الخمر: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم	١٠٧
سكارى﴾	
خلق السماوات والأرض	٦٣٠
الخلود في العذاب	١٨٤
الخنديق «الأحزاب»	٥٤٨
خير	٦٨٠

رقم الصفحة الموضوع

بدر الكبرى	٦١١
البرق والرعد	٣٢٢
بعلبك	٥٩٤
بلقيس ملكة سبأ	٤٩٩
بنو إسرائيل	١٠
بنو قريظة والنضير	٢٣٥
بنو المصطلق	٧٤٤
بيعة الرضوان «الحديبية»	٦٧٩

«تاء»

تَجَّع «ملك سبأ»	٦٥٨
تبوك	٧١٩
التبذير	٣٦٨
التبرج	٤٦٨
التبني	٥٤٩
التخلف عن الجهاد	٢٤٧
التشاؤم «الطيرة»	٢١٢
التصفيق «مع الرقص والصفير»	٢٣٢
تعدد الزوجات	١٢٤
التكفّف	٦٩٣
تمني الموت	٣٩٨
التوبة	٧٥٢
التواضع والتكبر	٣٤٨
التوكل	٣٣١
التولي يوم الزحف	٢٢٩
التيّم «الطهارة»	١٣٧

«ثاء»

ثعلبة بن حاطب وعلاقته بقوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾	٢٥٤
الثلاثة الذين خَلَفُوا	٢٦٢
ثمود قوم صالح عليه السلام	٢٩٣

رقم الصفحة	الموضوع
٣٢٢	الرعد والبرق
٢٣٢	الرقص «مع الصغير والتصفيق»
٦١	الرَّهْن
١٩٨	الروح بعد الموت
٣٧٦	الرُّوح «بجميع معانيها»
٣٩٥	الرياء
	«زاي»
٧٦٦	الزكاة
٣٠٠	الزفير والشهيق
٤٦٢	الزواج
٥٥٣	زوجات النبي ﷺ
٥٥٥	زيد بن حارثة وزينب رضي الله عنهما
	«سين»
٦٩٣	سؤال الناس «التكفف»
١٥٧	السائبة والبحيرة...
٥٦٢	سباً
١٩٨	سجّين
٢٢٦	سجود التلاوة
٢١٠	السحر «معناه وحكمه»
١٤٤	السرقه
٦٠٢	سليمان عليه السلام «ولقد فتننا سليمان»
٤٩٩	سليمان عليه السلام وبلقيس
	رحمهما الله
٥٣٧	سماع الأموات
٤١٣	السَّامري
	«شين»
٧٢٣	الشُّحّ «البخل»
٤٩٣	الشُّعر
٦١٢	الشفاعة في الآخرة

رقم الصفحة	الموضوع
	«دال»
٥٠٤	دابة الأرض
٥٩٩	داود عليه السلام «قصته مع الخصمين»
٦٥٦	دعاء النصف من شعبان
٢٦٧	الدعاء بالمكروه والشر
٢٦١	الدعاء للكافر والاستغفار له
٦٢٦	الدعاء «فضله وشروطه»
	«ذال»
٥٩٣	الذبيح «إسماعيل، لا إسحاق»
٥٦٢	الذَّرة
٥٧٢	ذكر الله عز وجل أكبر
٦٤٢	الذنوب «الكبائر والصغائر»
٧٠٢	الذنوب «محقرات الذنوب»
٥٧٦	الذهب والحريز
٣٩٢	ذو القرنين رحمه الله تعالى
	«راء»
٢٧٠	رؤية الله تعالى
١٩٥	رؤية الجن
٢٧٦	الرؤيا الصالحة والحُلُم
٥٩	الربا
٢٤١	الرجاء والخوف
١٦٣	رحمة الله تعالى
١٢٩	ردُّ على الملاحدة
١٤٠	ردُّ على القائلين: «نحن أبناء الله»
١٧٧	ردُّ على مدَّعي النبوة والإلهام
١٨٨	ردُّ حول «المشيئة»
٢٠٥	ردُّ على المشككين
٣٦٠	الرَّدة «المرتد»
٥٣٥	الرشوة «مع الهدية»
٧٤٩	الرَّضاع

رقم الصفحة الموضوع

الشهيد «الجهاد» ١١٨
الشیطان «إبليس» ٣٨٨

«صاد»

الصابئة ١٥١
الصاعقة (البرق والرعد) ٣٢٢
الصبر «معانيه وأقسامه» ٦٠٧
الصدق ٢٦٣
الصفير «مع الرقص والتصفيق» ٢٣٢
صلاة الجمعة ٧٤٠
صلاة الخوف ١١٩
صلاة الليل ٥٤٦
صلاة المريض ٩٥
صلاة المسافرين ١١٩
الصلاة على النبي ﷺ ٥٥٩
صلة الرحم ٦٧٥
صلح الحديبية ٦٧٩
الصَّلب ٤١٢

«ضاد»

الضحك «مع المزاح» ٧٢١
الضيافة ٢٩٦

«طاء»

الطهارة ١٣٧
الطيرة «التشاؤم» ٢١٢

«ظاء»

الظلم ١٢٨
الظَّهار ٧٢٤

رقم الصفحة الموضوع

«عين»

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ٤٥٨
عاد قوم هود عليه السلام ٢٩١
عاشوراء ٢١٣
عبد الله بن سلام رضي الله عنه ٣٢٧
عجل السَّامري ٤١٥
عدد الأنبياء ١٣١
العدل بين الزوجات ١٢٤
عذاب القبر ٣٣٤
العذاب والنعيم «حقيقان» ٦٧٤
العَرَبُ والأعراب ٢٥٨
العرش ٥٣
عصا موسى «حية أم ثعبان» ٢٠٩
عِلِّيُّون ٧٩٧
العنكبوت ٥٢٦
عيسى عليه السلام ١٣٠
عين الحياة «إدريس عليه السلام» ٤٠١
العين «إصابة العين حق» ٣١٣

«غين»

الغرائيق «قصة الغرائيق» ٤٤١
غزوة بدر الكبرى ٦١١
غزوة بني المصطلق «المريسيع» ٧٤٤
غزوة تبوك ٧١٩
غزوة الخندق «الأحزاب» ٥٤٨
الغُسل «الطهارة» ١٣٧
الغضب ٦٤٤
الغُلُو في الدين ١٣٢
الغناء واللَّهُو ٥٣٩
الغيبة ٦٨٦

«فاء»

الفقه في الدين ٢٦٣

رقم الصفحة الموضوع

«لام»	
«لا جرم» معناها وإعرابها	٢٨٧
لقمان الحكيم رحمه الله تعالى	٥٤٠
— «في متن التفسير» —	
اللهو والغناء	٥٣٩
لوط عليه السلام وقومه	٢٩٥
لوط عليه السلام «فاحشة قومه»	٢٠٥
ليلة النصف من شعبان	٦٥٦
ليلة القدر	٨١٥
«ميم»	
مأرب «سبأ»	٥٦٢
الماسونية	٧٤
المؤتفة «قرى لوط عليه السلام»	٢٩٥
الماء «ما خُلِق منه»	٤٢٣
المتعة	١٠٣
مجمع البحرين	٣٨٩
المحامون	١٢١
المخلفون الثلاثة	٢٦٢
مَدِين «قوم شعيب عليه السلام»	٢٩٦
المرتد «الرَّذَّة»	٣٦٠
المزاح	٧٢١
المساجد «بناؤها وإعمارها»	٢٤٢
مستقر الأرواح بعد الموت	١٩٨
المسيح عليه السلام	١٣٠
المعابد	٤٣٩
المعشار	٥٦٩
المعراج والإسراء	٣٦٤
المعروف والمنكر «معناهما»	٨٠
المعصية «في قصة آدم عليه السلام»	٤١٧
مفاتيح الغيب	١٧١
الملائكة	١٩
المنام «الرؤيا والحُلُم»	٢٧٦

رقم الصفحة الموضوع

٦٢	فضل: «ختام سورة البقرة» متن
١٣٤	فضل: «سورة المائدة»
١٦٢	فضل: «سورة الأنعام»
٢٨٣	فضل: «سورة هود»
٣٨٠	فضل: «سورة الكهف»
٤٤٥	فضل: «الآيات العشر الأولى من المؤمنين»
٦٧٨	فضل: «سورة الفتح»
٧٥٤	فضل: «سورة الملك»
٨١٦	فضل: «سورة الزلزلة»
٨٢٠	فضل: «سورة التكاثر»
٨٢٤	فضل: «سورة الكافرون»
٨٢٦	فضل: «سورة الإخلاص»
	«قاف»
٥١٧	قارون
٣٣٤	القبر وما فيه
٣٦٨	القتل بالحق
٤٦٠	القذف
٢٩٥	قرى قوم لوط عليه السلام
٦٣٣	القرين «معانيه»
٤٤١	قصة الغرائيق
١٥٥	القمار «الميسر»
٥٤٦	قيام الليل
٢٣٤	القَيْنُ والقِيَان
	«كاف»
٣٤٨	الكِبَر «التكبر»
٧٢١	كذبة أول نيسان «مع المزاح»
٥٣	الكرسي
١٠٠	الكَلَالَة
٣١٥	كُنْعَان
٨٢٤	الكوثر

رقم الصفحة	الموضوع
١٠٣	نكاح المتعة
٢٤٩	النميمة
	«هاء»
٢٠	هاروت وماروت
٥٣٥	الهدية وهبة الثواب
	«واو»
١٣٧	الوضوء «الطهارة»
٧٢٨	الولاء لله وحده
٣٥٢	ولادة الأنثى
	«ياء»
٤٣٠	يأجوج ومأجوج
١٥٤	اليمين «الأيمان»
١٠	اليهود «مع بني إسرائيل»
٣٠٦	يوسف عليه السلام وامرأة العزيز
١٧٦	يونس عليه السلام
١٧٦	اليسع عليه السلام

رقم الصفحة	الموضوع
٣٣٤	منكر ونكير «القبر»
٢٧٨	موسى عليه السلام «الآيات»
٢١٩	موسى وهارون عليهما السلام
	والقاروه الألواح
٥٦١	موسى عليه السلام والحجر
٥٠٨	موسى عليه السلام «قَتْلُهُ الْقِبْطِي»
١٥٥	الميسر - «القمار» - مع الخمر
١٩٣	الميزان في الآخرة
٣٩٥	ميزان للعظماء
٥٣٧	الميت «هل يسمع؟»
	«نون»
١٣١	النُّبُوَّة «عدد الأنبياء»
٩٦	النجاشي رحمه الله تعالى
٥٧	النذر
٥٥٣	نساء النبي ﷺ
١٣٨	النصارى
٦٥٦	النصف من شعبان
٦٧٤	النعيم والعذاب «حقيقيان»
١٢٦	النفاق بنوعيه

والحمد لله رب العالمين

أطراف في فضيلة تلاوة القرآن وحملته

من كتاب
(التبيان في آداب حملة القرآن)
للإمام النووي رحمه الله

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ۚ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝﴾

[سورة فاطر: الآيات ٢٩ و ٣٠]

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

(رواه البخاري وأحمد وغيرهما)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
«الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يَتَتَعَّعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران».

(رواه البخاري ومسلم في صحيحهما)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يقرأ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَنْزَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يقرأ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يقرأ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يقرأ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ».

(رواه البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة)

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
«إِنَّ الله تعالى يَرْفَعُ بهذا الكلامِ أقواماً وَيَضَعُ به آخرين» .

(رواه مسلم وابن ماجه)

وعن أبي أُمَامَةَ الباهلي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :
«اقرأوا القرآنَ فَإِنَّه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه» .

(رواه مسلم وأحمد)

وعن عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله حَسَنَةٌ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالها، لا أقولُ
الْمَ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ» .

(رواه أحمد والحاكم والترمذي وقال: حسن صحيح)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
«إِنَّ الذي ليس في جَوْفِهِ شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ» .

(رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«إِنَّ من إجلالِ الله تعالى إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ
الغالي فيه والجاني عنه، وإكرامَ ذي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ» .

(حديث حسن، رواه أبو داود)

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه